

«فأحذر يا عزيزي، فالهلاكُ قادمٌ على يدِ القناصِ»

رواية
2023

كارة القناص

شروق حسن

حارة القناص

رواية

حارة القناص

شروق حسن

شروق حسن

المقدمة

نبحثُ عن الهدى فنجدُ الضلال، ما بالها الدنيا تريدُ لنا
الظلام، والكون يدور في مدارات تقبض على أنفاسنا غايتها
الهلاك، والجميع يسعى للموت مقابل أن يجد السلام، فقل لي
كيف العيش وسط جموع الذئاب! العودة تعني الموت،
خروجك من المستنقع المُحتبس فيه عشرات السنين للانتقام
يُصيبك بالغثيان.

مجهول يرتدي وشاح جلدي أسود اللون يُغطي جميع جسده،
وقناع يخفي معظم وجهه عدا عيناه، عيان سوداويتين
يُقسمان بالدمار، الدمار في كل من سبَّب له التعاسة
والإنهيار، أمسك سلاحه الأبيض بيده، ثم سار خارج المنزل
القديم المتهاك، الساعة تعدت الثانية بعد منتصف الليل،
والصمت القاتل يعم شوارع الأرجاء، خطواته كانت بطيئة
لتؤخر أجل شخصٍ آخر، ويده تقبض على سلاحه أكثر
وأكثر، وعقله يرسم له آلاف السيناريوهات لطرق القتل
المتعددة، هل يقتله مرةً واحدة!! أم يُقطِّع أصابعه أولاً ومن
ثم يقتله!! أم يشفي غليله ويقطع يداه ومن ثم ينحر عنقه!!
والحقيقة هو مُحترار للغاية في قتل ضحيته.

حارة القناص

وصل إلى الوجهة المقصودة، فيلا "الأرمني"، حيث يعيش ذلك الطبيب المعتوه والمقصود، بخطوات خفيفة وخُطى مدروسة دلف للداخل، وبهدوء شديد وثقة قاتلة صعد لغرفته والتي يحفظها عن ظهر قلب، فتح باب غرفته بخفة وخطواته تسبقه، أنزل وجهه لمستوي رأسه بجانب الفراش، حيث كان متسطحًا براحة، لتلفح أنفاسه بشرة وجهه الباردة.

عيناه القاتمة دارت على ملامح وجهه يُطالعه بكره دفين، وجّه نصل مديته لرقبته ينغزه بها نغزات خفيفة، ليشعر بها ذلك النائم، فتح عيناه ببطئٍ لإستيعاب ما يحدث حوله، وعندما ارتكزت نظراته على نصل السكين فزع من مضجعه، استند على يداه وهو يعود للخلف بخوف، ثم تحدث بهلع:

ان... انت مين!!!!

قرّب وجهه المخفي خلف قناعه، ثم تحدث بفحيح جعل الذي أمامه يتبول على نفسه من الخوف الشديد:

أنا هلاكك.. أنا قدرك الأسود.. أنا القناص.....!!

حارة القناص

أنهى كلماته وهو يُمسك بعنقه بيده القويتان، وقبل أن يُخرج الآخر أي صوت من فمه، كان هو ينحر عنقه بسكينه الحادة ببطئ يتلذذ في قتله، ومع قتله يتذكر صرخاته في الماضي، ضربات قلبه التي كادت أن تتوقف، وأشخاص يصرخون من حوله، لينتهي به الأمر في غرفة العناية دون حول له ولا قوة.

رمى جثته على الأرض بحقد وغل شديدين قبل أن يبصق عليه بإشمئزاز، ثم خرج بنفس الخفة التي ولج بها، وها هو يُخطط أول سطره للإنتقام، إنتقام سيحرق الجميع، الجميع بلا إستثناء، إنتقام خاص بالقناص.....!!!!

«فاحذر يا عزيزي، فالهالك قادم علي يد القناص».

إهداء:

إلى جميع البشر ونفوسهم الخبيثة، فلتذهبوا إلى الجحيم.

حارة القناص

• «الفصل الأول»

• «حارة القناص»

• «مَنْ القاتل!»

«وكيف يكون لي سبيل، وأنا هنا غارق في قاع
المستنقع!!»

صوت صافرات الشرطة قطع ذلك الصمت المخيف الذي يعم
تلك المنطقة المهجورة، إضاءة السيارات أعطت الحياة لها
بعد أن كانت حالكة مُخيفة، وقفت السيارات؛ تبعها هبوط
العساكر منها لإحاطة ذلك الشيء الجاثم بدون حراك، هبط
ذلك الضابط بتعابير وجهه الواجمة؛ ثم اتجه إليه لرؤيته،
جلس كالقرفصاء أمام جسده المُفارق للحياة، ليُصدم بأنه
أحد أفراد عائلته، والذي لم يكن سوى «رفعت الأرماني»،
شقيق والده الطبيب المشهور!!

شُلَّ جسده مُتصلبًا في مكانه من الصدمة، لا يجد ما يفعله
سوى النظر لجثته بلامح وجه غير مُصدقة، تلك هي
الحادثة الثانية التي تحدث بذات الشهر لأحد أفراد عائلته،
رمش بعينه عدة مرات يُحاول استعادة ثباته المفقود، فلفت
إنتباهه هذا الكارت الموضوع بجانب جثته، والذي لم يكن
سوى وشم «القناص»!!

حارة القناص

اشتدت عينيه بقسوة مُرعبة، ثم هتف بفحيح قاتل:
_ حظك الأسود وقعك في طريق "صهيب الأرماني"، وقسمًا
بربي ما هرحمك.

قاطعته صوت ذلك العسكري الذي تحدث بعملية:
_ "صهيب" بيه، شمعنا المنطقة وللأسف مفيش فيها أي
كاميرات مُراقبة ولا عندنا أي معلومات كافية عن هوية
القاتل.

وكان بحديثه هذا أشعل فتيل الغضب داخله، ليصرخ به
بغضب قاتل:

_ يعني إيه مفيش معلومات كافية!! أومال أنت
لازمتك إيه!! شوفلي أي كاميرات مراقبة على نطاق واسع
حوالين المنطقة دي.

هزَّ العسكري رأسه بسرعة مُرتعدًا من حالة الهياج التي
تلبسته، ثم هرول من أمامه مُسرعًا لينجو من برائته، شدَّ
"صهيب" على خصلاته بقوة وكاد أن يُجَن، يبدو أن
القناص يستهدف عائلته تحديدًا، لكن لِمَا!! سؤال لا يجد له
إجابة سوى أنه قاتل ماجور.

حارة القناص

عاد بأنظاره تجاه عمه والحسرة تُصيب قلبه، لا يعلم كيف سيبلغ عائلته بهذا الخبر المشؤوم، هم لم يتعافوا بعد من موت ابن عمه والذي قُتل منذ اسبوعين تقريبًا بنفس الطريقة، ونفس ذلك الكارت الخاص بالقناص كان يُوضع جانب جثته، ما هذا!! هناك جزء مفقود وحلقة مجهولة في الأمر.

صاح رنين هاتفه فجأةً، فأخرجه من جيب بنطاله؛ ليجد اسم والده يُنير شاشته العريضة، نفخ بغيظ ساحبًا نفسًا عميقًا قبل أن يُجيب بهدوء:

_ألو يا بابا!

أتاه صوت والده الهادئ يُخبره:

_تأخرت ليه كدا يا "صهيب"! مامتك قلقانة عليك جدًا.

تحدث "صهيب" بجمود قائلاً:

_بابا عندي ليك أخبار مش كويسة.

اعتدل والده "مختار" من مضجعه، ثم تحدث بقلق:

_في إيه يا "صهيب" قلقتني!.

أتاه صوت "صهيب" يُخبره بصوت خفيض يعكس حُزنه:
_ عمي "رفعت" اتقتل.

حينما كانت جميع الطُرق سالحة للسير بها، قذفتني الرياح إلى الطريق الخاطئ، طريقٌ مليءٍ بالعثرات الموجهة، وعند تصميمي للعودة حيثما بدأت، انتشلتني الأيدي السامة، لتبدأ في رسم حياتي دون حتى تدخلِي، لينتهي بي الأمر كوحش ثائر، أقتل بدمٍ بارد، حتى أصبحتُ أنا.. القناص.

مجموعة من الأطفال الصغار يلتفون حول طفلٍ يُماثلهم في العمر يُدعى "أنس"، لكن ثيابه تُظهر غِناه ومستواه الراقى الذي لا ينتمي لفصيلتهم ومستواهم من البشر، وثرائه كان سببًا كافيًا ليعرف بين زملائه الذين تهاتفوا على صداقته، وبرغم صغر سنه؛ فقد كان يحمل من الكبرياء ما يجعلك تنفر من طريقته المستحقرة في الحديث.

نظر "أنس" بشمولية للأوجه التي تنتبه له بفضول لرؤية ذلك الهاتف حديث الطراز الذي إبتاعه حديثًا، رفع رأسه بغرور وهو يُمسك الهاتف بين يديه مُتحدثًا بعنجهية واضحة للعيان:

حارة القناص

_ الفون دا بابي جابه ليا إمبراح بمناسبة عيد ميلادي،
ووعدني لو نجحت في سنة خامسة السنادي بمجموع عالي
هيجبلي واحد أحدث.

كانت النظرات على الهاتف تُحدجه بإنهار، مما زاد من
غرور الآخر وشعوره بالتميز والإختلاف، أدار وجهه
للناحية الأخرى عندما سمع صوت زميله وهو يقول ببراعة:
_ لما أكبر بابا هيجبلي واحد أحسن من دا.

طالعه "أنس" بإشمئزاز، ثم تحدث بطريقة مُهينة أشعرته
بمدى حقارته من بين هؤلاء الأثرياء:
_ أنت فقير، ومش معاك تشتري لبس نضيف بدل المقطع
دا.

شعر بالإهانة، وما زاد من شعور الذل لديه؛ عندما ضحك
زملاؤه عليه، ليخفض هو رأسه في حرج شديد، وطبقة
رقيقة من الدموع تشكلت في عيناه بعد إهانة زميله له، نظر
إلى ثيابه البالية بحسرة والتي تُعتبر كـ خردة بالنسبة لثياب
الآخر ولم يتحدث.

حارة القناص

دخل المعلم فجأةً إلى الفصل الدراسي، ليتشقت الأطفال ويجلس كلاً منهم بمقعده الذي اختاره بنفسه، نظر المعلم إلى "أنس" يطمئن على وجوده، فهناك توصية كبيرة تأتي لأجل الإعتناء به، دار بعيناه على التلاميذ ثم تحدث ناظرًا إليهم بهدوء:

_ النهاردة مش هناخد حاجة، كل واحد هيجي عليه الدور هيقول حلمه يطلع إيه لما يكبر.. اتفقنا!!

نال الإقتراح رضا جميع الطلاب، ليستمع إلى أصواتهم المُهلهة، بدأ كل واحدٍ منهم في الحديث عن حلمه بسعادة غريبة، حلمًا سينتظرون من أجله الكثير من الأعوام، حتى جاء الدور على "أنس"، الذي تحدث بثقة كبيرة:

_ هطلع مهندس أكيد.

طالعه المعلم بإعجاب لهدفه السامي، ثم حوّل نظره إلى الطفل الآخر، ليسأله بلامبالاة وسخرية:

_ وانت نفسك تطلع إيه لما تكبر يا "قاسم"!!

التمعت عيني "قاسم" بشغف، سابقًا في بحور أحلامه الوردية، تشكلت إبتسامة كبيرة على ثغره وهو يردف بحالمية:

_نفسي... نفسي أطلع دكتور جراحة كبير وأعالج ماما.

وكأي طفل صغير كان ينتظر التشجيع كمثله من الأطفال، لكنه لم ينال سوا السخرية التي حطمت أحلامه العالية التي كان يبنيها منذ قليل، استمع لصوت المعلم الذي تشدق بسخرية لاذعة:

_دكتور!!! مرة واحدة كدا!!! دا أنت فاشل.

وللمرة الثانية يضحك عليه طلاب فصله ليصبح أضحوكة بينهم، وذلك بسبب فقره الغير مؤذي لهم بالمرّة، والذي بسببه لا يستطيع أن يحضر دروسه كباقي أصدقائه، وتلك المرّة بكى ظلماً وقهراً مما يتعرض له من تنمر كبير حفر في نفسه الأذى بنصلٍ حاد لم يمحيه الزمان.

أفاق من تذكره لطفولته الحزينة عندما استمع لصوت الممرض الذي دخل لمكتبه للتو يُخبره بعجالة:

_دكتور "قاسم" فيه حالة طوارئ حرجة لسه جاية حالاً ومستتينك في العمليات.

حارة القناص

وقف "قاسم" بعجالة مرتدياً معطفه الطبي، ثم سار بجانبه بخطى سريعة، ليبدأ الممرض بشرح حالة المريض وهم في طريقهم إليه:

_حادثة عربية.. اتقلبت بيه على الطريق السريع، وللأسف دخل في عربية نقل كبيرة، أدت لكسور في يده ورجله، وفيه شك إن يكون فيه نزيف داخلي، دا غير الكدمات و...

قاطع "قاسم" بجمود وهو يبدأ بإرتداء القفازات الطبية وذلك الماسك العازل لوجهه:

_خلاص يا "سمير" ندخله على الإنعاش أحسن، بلاها عمليات ووجع قلب بقا.

حمم "سمير" بخرج، ثم تتم بخفوت:

_العفو يا دكتور مش قصدي، بس كان قصدي أسهل لحضرتك الموضوع.

ارتدى قفازته وماسك الوجه وزى العمليات كاملاً ثم دلف للداخل، وكان من كان بذكرياته أتى له على طبق من ذهب، إنه هو.. وجه ذلك المعلم الذي هدم سقف أحلامه، ليحارب حينها الجميع وقساوة العالم من حوله وبدأ بالإجتهد، وما كان عليه سوى الإجتهد! كان يسهر أياماً وليالٍ طويلة

ليستذكر دروسه، وجد عوائق كبيرة وكثيرة في حياته لكنه لم يستسلم، والعائق الأكبر هو عدم معرفته للقراءة جيداً، فقد كان كثيرٌ من الفاشلين لا يستطيع كتابة جملة واحدة صحيحة، فبدأ بالتحدي، وأول مَنْ تحدى هو ذاته، ذاته المريضة بهاجس الفشل والرسوب، حتى نجح وبات من أكبر الجراحين.

إستفاق على صوت "سمير" القلق:

_دكتور "قاسم" الحالة بتروح مننا.

كظم حقه ونظر له بكره شديد، ومقاطع من الماضي تجول بخاطره كشريط سينمائي، أغمض عينه بقوة ومهنة الطب تلوح أمام عيناه، وقسمه الذي قاله عندما أصبح طبيب!! هل سيتخلى عن قسمه من أجله!! بالطبع لا.

وقف أمامه ويبدو أن الجراحة ستكون بالدماغ! وتلك من أخطر أنواع الجراحات، وبيروود شديد طلب المشرط من الممرضة الواقفة جانبه ثم بدأ بشق رأسه، حيث بينت الإشاعات والفحوصات عن وجود نزيف داخلي وتدمل في الدماغ.

حارة القناص

وببراعة شديدة بدأ بإجراء العملية الجراحية، يُحاول أن يُلهي ذاته عن هوية ذلك القابع أمامه، ليُثبت للجميع ولذاته أولاً أنه قد وصل، ومع إقترابه لإنهاء الجراحة؛ استمع لصوت صفير جهاز القلب، لينظر الجميع لبعضهم بقلق، إلا هو.. أكمل ما يفعل ببرود تام، حتى انتهى بعد ثوانٍ لا تُعد أمراً للمرضة بتقطيب رأسه.

أمسك "قاسم" بصاعق الكهرباء ليضع «سمير» مُسرعاً ذلك الجيل على سطحه، ثم بدأ بإنعاش قلبه، مرة.. وإثان.. وثلاثة.. حتى أمر "سمير" بصوت عالي نسبياً:
_ ارفع على 200 يا "سمير" بسرعة.

فعل "سمير" ما أمره به مسرعاً، ومع الضغط الرابعة بدأ القلب بالنبض، تتفس الجميع الصعداء لنجاح تلك العملية شديدة الخطورة بالنسبة لهم، ليهنئ الجميع "قاسم" شاكرين إياه بإمتنان شديد، ومن المتوقع بنسبة كبيرة أن يدخل المريض بغيوبة وهذا وارد، لكن ما يُهم هو نجاح العملية.

راقب "قاسم" تهنئتهم بجمود ثم اتجه للخارج، ليُقابل أهل المريض المنهمرين في البكاء، لتسأل أحدهم بلهفة شديدة ومن الواضح أنها زوجته:

حارة القناص

_ طمني يا بني الله يخليك، جوزي عامل إيه!!

وضع يده في جيب معطفه الطبي متشدقًا بنبرة باردة:

_ العملية نجحت والمريض بخير، والـ 48 ساعة اللي جايبين هيبينوا كل حاجة، ادعوله..

ذهب من أمامهم ثم أكمل جملة جازرًا على أسنانه بحقد:

_ ربنا ياخده

أكمل طريقه نحو مكتبه ناظرًا لساعة يده، ليجدها قد تعدت الثانية بعد منتصف اليوم، ها قد أوشكت ساعته بالعمل أن تنتهي، لذلك قرر النوم قليلًا حتى يعود إلى منزله في الصباح الباكر.

انقضى الليل بالآمه وذكرياته، وصدحت شمس الأمل تُحلق في الأرجاء، تنشر البهجة في الأنحاء من حولها، إلا على تلك البائسة التي تجلس على مكتبها تنظر أمامها بشرود، حركت القلم بين يديها بحركات ثابتة، كذلك قدمها التي تهتز بخفة من الحين والآخر، من يراها يظن بأنها تُركز على شيء ما؛ لكن الحقيقة عكس ذلك عزيزي، فهي تُخطط لدمار كبير، من المُحتمل أن يُصيبها قبل أن يُصيب الجميع.

حارة القناص

دلّفت في تلك الأثناء صديقتها تحمل بين يديها كوبين من القهوة الساخنة، وضعت واحدًا أمامها والآخر أمام تلك البعيدة بعقلها، جلست قبالتها ثم أردفت بقلق بالغ:

__ناوية على إيه يا "أهّلة"!__

استفاقت "أهّلة" من شرودها رافعة نظرها نحو صديقتها التي تنتظر جوابها، ثم أجابتها بغموض:

__ناوية على كل خير يا "يمنى"، كل خير إن شاء الله.

ردت الأخيرة بخفوت لم يزيد الأخرى إلا خوفًا ورُعبًا من القادم، تعلم بعناد صديقتها والذي سيودي بحياتها بتاتًا، عضت على شفيتها تُحاول إثائها عن قرارها، قبل أن تقول برفق:

__طيب معلىش فكري تاني، أنتِ كدا هتودي نفسك في داهية، هيقتلوك ومش هيقلوا عليكِ يا رحمان يا رحيم، وأنتِ مش قداهم.

تحولت نظرات "أهّلة" من البرود إلى الغضب، ثم ضربت بيدها على مكتبها بحدة، صارخة باهتياج:

__مش هيقدروا يعملوا حاجة، دا لو عرفوا يوصلولي أصلًا!__

حارة القناص

كانت "يمنى" معتادة على حالتها تلك وغضبها المفاجيء،
لذلك تحدثت بصوت رزين نابع من قلقها وخوفها عليها:
_ أنتِ عارفة إنه مش صعب عليهم يوصلوك، وإنهم لو
وصلوا ليك مش هيرحموكِ.

هزت "أهّلة" رأسها تنفي ما تقوله، قبل أن تتحدث هي
بثبات:

_ مش هيعرفوا صدقيني، أي خبر بنشره في الجريدة بيكون
تحتة إسم مُستعار مش حقيقي، ورئيس الجرنان ميقدرش
يرفض اللي بنشره، لأن رقبتة تحت ضرسى وممكن أوديه
ورا الشمس ساعتها.

يأست "يمنى" في إرجاعها عن رأيها، لذلك عادت إلى
مقعدّها تجلس عليه بإنهاك، سحبت نفسًا عميقًا ثم زفرتة
على مهل لتتحكم في أعصابها، أمسكت بكوب القهوة ثم
قرّبتة من شففتيها مُرتشفة إياه على مهل، وعيناها تجول
على "أهّلة" التي هدأت وعادت لشرودها مرة أخرى، وكان
لم يحدث شيئًا منذ قليل!.

طرق الباب مُقاطعًا ذلك الصمت المُخيف، تبعه دخول
السكرتيرة الخاصة برئيس التحرير التي تحدثت بجمود
مُوجهة حديثها لـ "أهْلَّة" التي تُتابعها بحاجب مرفوع:
_الأستاذ "ضياء" عايزك.

أشارت لها "أهْلَّة" بإصبعيها تأمرها بالذهاب:
_روحي أنتِ وأنا جاية وراك.

كزت "سلوى" على أسنانها بحقد من معاملتها المُحتقرة
لها، وما كادت أن تُصيح بها؛ حتى تذكرت أمر "ضياء"
بعدم التخطي عليها حتى لا تفشل خطتهم، لذلك سحبت نفسًا
عميقًا ثم زفرته على مهل مُحدجة إياها بسخط قبل أن تذهب
من أمامهما.

وقفت "أهْلَّة" تُعدّل من ثيابها لتستعد لمُجابته، تعلم أن تلك
المُقابلة سيكون خلفها شيء سيء، لذلك استدارت لها
"يُمنى" تقول بقلق:

_الاتنين دول مش مريحني يا "أهْلَّة"، أنا خايفة عليك.

حارة القناص

تقدمت "أهّلة" منها مُربّبة على كتفها بحنان، تعلم بمدى حبها وخوفها عليها، ثم تحدث بإبتسامة طفيفة لم تصل ليعنيها:

_متقلقيش عليا يا "يمون"، هبقى كويسة والله متقلقيش، سببها على الله.

لم تُهدأ كلماتها من روعها، بل ظل القلق مُصاحباً لها، خاصةً وهي تتبع أثرها الذي اختفى من الوسط حولها.

علم "قاسم" بمقتل الطبيب "رفعت الأرماني" صباحاً، اشتدت عينيه بقسوة وهياج حارق، كيف قُتل!! من المُفترض أن يقتله هو لأ أحد غيره!! فقط كان ينتظر القليل من الوقت ليستطيع تعذيبه، لكنه ذهب قبل أن ينال مبتغاه منه.

حاول التحكم بأعصابه المُتلفة؛ لكنه لم يستطيع، لذلك أطاح بكل شيء يُوضع على مكتبه بغضب جام، صعد صدره هبوطاً وصعوداً وهو يتسائل مع ذاته:

_إزاي!! إزاي مات!! كان المفروض أنا اللي أقتله مش حد تاني.

حارة القناص

خلع معطفه الطبي ثم رماه بعصبية أرضاً، فبدأ بإرتداء ثيابه الأخرى استعداداً للذهاب، وأثناء إنهماكه في ذلك ظل سؤالاً يدور في عقله بلا توقف، مَنْ القاتل!.

انتهى ثم خرج من مكتبه، بل من المشفى بأكملها مُتجهًا نحو منزله بسيارته الخاصة، حقًا إن كان أحدًا من هؤلاء الحمقى سيقتلهم بالتأكيد.

وصل للمنطقة البسيطة التي يقطن بها راکنًا سيارته جانب المنزل، ثم دلف للداخل بلامح وجه مُتهجمة يتوعد لهم، وها قد وصله صوت صُراخ هؤلاء الأوغاد المُعتاد.

__أقسم سأقتلك أيها الحقير، لقد أكلت طعامي للتو، تبًا لك.

__طعام مين يا أبو طعام!! دا أكلي أنا وأنت خدت نصيبك، متبقاش بجح وطماع.

__اهدأوا يا رفاق، هل الطعام ما سيفرق بيننا!!

_ نعم سيفرق بيننا، هذا طعامي أنا، خاص بي أنا، من ضمن ممتلكاتي أنا، لما أكله ذلك المُختل!!

قلب "قاسم" عيناه بملل، هؤلاء الثلاثة سيُصيبانه بذبحة صدرية لا محال، اقترب منهم ببرود ثم جلس على المقعد المُقابل لهم واضعًا قدمًا فوق الأخرى ينتظر إنتهائهم.

لم يُعيروه إهتمامًا حتى بعدما رأوه، فكز على أسنانه غيظًا من تجاهلهم، فأخرج مسدسه من جيب بنطاله، وأصرَّ ضربه على الطاولة أمامه بقوة حتى يُصدر صوتًا عالٍ، انتبهوا لفعلته لذلك توقف ثلاثتهم عن الشجار، مُبتلعين ريقهم بقلق.

لوى "قاسم" شفثيه بسخرية، ثم هبَّ من مكانه مُشبِّهًا كف يديه معًا خلف ظهره، ثم سألهم بهدوء مُخيف:

_ مين اللي قتل "رفعت الأرماني"!!

نظر ثلاثتهم لبعضهم البعض بحذر ولم يُجيبوه، لذلك أعاد عليهم سؤاله مرة أخرى بجمود أخافهم وهو ينحني على الطاولة يُمسك بسلاحه:

_ مش هكرر سؤالي تاني.. مين اللي قتل "رفعت الأرماني"!!

هنا وتحدث "فور" بقلق من أن يُصيبه طيشه:
_أقسم لستُ أنا، لقد كنتُ نائمًا ليلة البارحة.

خرج صوت "قاسم" يسأله ببرود:
_وأول امبارح!!

أتاه صوت "فور" مُسرعًا:
_أقسم كنت نائم أيضًا.

_وأول أول إمبارح!!

جاءه الجواب سريعًا من "فور" نافياً عنه كل التهم:
_أقسم كنت نائم طيلة هذا الأسبوع.

صمت "فور" قليلًا، ثم أشار تجاه أحد الشابين الآخرين:
_من المؤكد أنه "رائد"، ذلك الحقير الذي أكل طعامي.

حارة القناص

فتح "رائد" عينه بصدمة من تلفيق التهمة إليه، ثم دافع
عن ذاته مُستنكرًا:

_ هي أي نصيبة تحصل تجيبوها على قفايا، موركوش غير
ولا إيه!!

نهره "فور" حانقًا:

_ اصمت أيها اللص، أنت بشع وقاسي القلب، كيف لك أن
تأكل طعامي بكل تلك القسوة!! والذي يجعلك تأكل طعامي
يجعلك تقتل ذلك العجوز القبيح.

تخصر "رائد" محله، ثم أشاح بيده في الهواء بطريقة
سوقية:

_ لأ بقولك إيه اتظبط بدل ما اظبطك، وبعدين مين "رفعت"
دا اللي اقتله، أنا مش بقتل غير العواجيز الكبيرة اللي قربت
تموت، عشان الصغيرين بيصعبوا عليا.

تصنّع "فور" التأثير، فوضع يده موضع قلبه، ثم تحدث
بطريقة مسرحية:

_ أوه يا رجل!! لقد توقف شعر قدمي من تأثري بحديثك، تبًا
لحنانك يا فتى!

كان "قاسم" يتابعهم ببرود ولم يتحدث، فانتقل ببصره تجاه "جون" الهادئ، ثم سأله على بغتة:
_وأنتَ يا "جون" مش هتقول حاجة!.

كان "جون" هادئ نعم، لكن ذلك بسبب تلك الموسيقى الصاخبة التي يستمع إليها وهو مُغمضٌ لعينه، أعاد "قاسم" سؤاله تحت أنظار هذان الذان توقفًا عن الشجار، جز على أسنانه بغيظ عندما أيقن بعدم إستماعه له من الأساس، لذلك تقدم منه بغضب؛ منتشلاً تلك السماعات اللعينة التي يضعها بأذنه.

تذمر "جون" صائحًا باعتراض:
_هاي يا رجل!! أعطيني حبيباتي.

طفح كيل "قاسم" من أفعالهم التي تُثير حنقه؛ فأمسكه من ياقة ملابسه يهزه بقوة:

_بقولك إيه أنا جبت أخري منكم انتوا التلاتة، قسماً بالله
آخر ما أزهدق لهصفي المُسدس دا في دماغكم عشان أنا
قرفت.

حارة القناص

ابتلع "جون" ريقه من تهديده الصريح، ثم ربت على كتفه
ليُهدأه قائلاً بتوتر:

_ اهدأ يا رجل ما بك؟! لا تأخذ الأمور على أعصابك،
ستتفجر تموت غيظاً.

حاول مرة وأخرى أن يتحكم بذاته، لكن تلك المرة لم
يستطيع، فسدد له لكمة قوية أطاحت بوجهه وهو يصرخ
به:

_ حيوان.

ارتدى "جون" أرضاً مُتأوفاً بقوة وهو يضع يده مكان
لكمته، ذهب إليه "فور" مُسرِعاً يجلس جانبه أرضاً
ليتفحصه، ثم رفع رأسه لـ "قاسم" يصرخ به:

_ ما الذي فعلته به أيها القاسي!! كِدت أن تقتله أيها المُختل.

وجّه "قاسم" فوهة مُسدسه تجاه رأسه، ثم سأله بجمود
متحدثاً بلغته:

_ عد لي ما قُلت منذ قليل هكذا!!.

دفع "فور" "جون" بعيداً، ثم وقف مكانه مُجدداً بجانب
"رائد" مُردداً بإرتعاد:

_ أي حديث قُلت أنا؟! أنا لم اتحرك من مكاني يا هذا.

أنزل "قاسم" سلاحه نافخاً بغیظ، ثم وجّه حديثه لـ "رائد"
مُتسائلاً:

_ معرفوش مين اللي قتل "رفعت الأرماني"؟!!

ابتلع الجميع ريقهم بصعوبة شديدة، لا يعلمون كيف
سيخبرونه بما علموه، ليُشير "رائد" للتلفاز من خلفه،
والذي يُذيع الخبر منذ الصباح على جميع القنوات الفضائية.

استدار "قاسم" للتلفاز مُمسكاً بجهاز التحكم؛ ليرفع من
درجة الصوت، فجاءه صوت المُذيع مُتحدثاً بنبرة عملية
جادة:

_ وها قد جائتنا الأخبار عن مقتل الطبيب "رفعت الأرماني"
بطريقة بشعة تُقشعر لها الأبدان، حيث قام القاتل بشق عنقه
دون ذرة شفقة أو رحمة، واصدرت الحكومة المصرية عن
وجود كارت بجانب جثته خاص بـ "القناص"، وما زالت هوية
القاتل مجهولة.

حارة القناص

تشنج وجه "قاسم" بإستتكار شديد، نظر للثلاث شباب بتعابير وجه ساخطة، ليخرج صوته بعد عدة ثواني من الصمت يسألهم بطريقة خرجت رغبًا عنه مُضحكة:

__ لما اللي قتله هو القناص أومال أنا ابقى مين!!

وضع "رائد" يده على فمه يُخفي ابتسامته، فمال برأسه قليلاً يهمس بصوت خفيض لـ "چون" الواقف بجانبه:

__ المشهد دا أنا شوفته قبل كدا في فيلم الخالة نوسة.

سأله "چون" بإستغراب:

__ من تلك الخالة نوسة؟!

نكزه "رائد" في جانبه ليصمت:

__ اسكت اسكت اللي يخربيتك، لو سمعك هيقتلني أنا وأنت.

بينما "قاسم" كان في وادٍ آخر، هو لم يقتله، إذاً من القاتل!! ومن أين أتى بذلك الكارت الذي يخصه!! وكيف أتى به!! ولما يُريد تليفق التهمة إليه هو تحديداً!! الكثير والكثير من التساؤلات التي تدور بعقله ولا يجد لها إجابة، حتى صدح صوته باهتياج:

حارة القناص

_إزاي!! مين اللي له مصلحة يعمل كدا!!!!

هنا وخرج صوت "فور" قائلاً:

_بالطبع الذي أخذ الكارت كان بموقع الجريمة السابقة التي نفذتها، وأخذه حينها ليقوم بتنفيذ خطة القتل تلك.

طالعه "قاسم" بإقتناع مُفكرًا في حديثه، لا يوجد سوى ذلك التفكير المنطقي، هز رأسه عدة مرات بنعم، ثم أردف بموافقة على حديثه:

_معاك حق، وأنا هعرف إزاي أوصل للي عمل كدا في أسرع وقت.

تقدم "رائد" حتى بات يقف بمواجهته، ثم تسائل بحذر:

_هتعمل إيه بعد كدا يا "قاسم"!!؟

حوّل "قاسم" أنظاره إليه، والتي تحولت من الغضب إلى الخبث، مُجيبًا إياه بإبتسامة مأكرة:

_كل خير إن شاء الله، جهزوا نفسكم هنروح نعزي "مختار الارماني" في أخوه بالليل، ما انتوا عارفين إن احنا صحاب واجب.

حارة القناص

العمل كان على قدم وساق، الجميع يُجهز الصوان؛ لتلقي التعازي الخاصة بالمتوفي "رفعت الأرماني"، جلس "مختار" على مقعده بإنهاك تهبط دموعه بعدم تصديق، اليوم قُتل شقيقه، ومنذ أسبوعين قُتل ابن شقيقه، عائلته مُستهدفة من قبل شخص مجهول سيُنهي حياتهم واحدًا تلو الآخر، لكن لِمَا!!

جاء في تلك اللحظة "صهيب" يجلس جانب والده بتعابير وجه حادة وتقاسيم متوعدة، قائلاً:

_متقلقش يا بابا، اللي عمل كدا هنوصله في أقرب وقت صدقني وهياخد جزاته.

أحاط "مختار" بوجهه مردفًا بحسرة يشوبها البكاء:

_هتوصلوله امتي بس!! لما يخلص علينا واحد ورا الثاني!!.

طالعه "صهيب" بعجز لا يعلم بما يُجيبه، معه كل الحق، فعائلته تُقتل أمام أعين الجميع دون معرفة من الفاعل، لكنه أقسم متوعدًا أن يصل لذلك القناص مهما كلفه الأمر، حتى لو كان الثمن حياته.

حارة القناص

خرجت في تلك الأثناء فتاة في أوائل العشرينات مُتَشَحَّة
بالسواد، تُهرول تجاه "مُختار" لتجلس أمامه أرضًا
ودموعها تنهمر بلا توقف، فتحت فمها تتحدث ببكاء
وشهقات عنيفة:

_بابا... بابا يا عمي... بابا مامتش صح!! قولي حاجة الله
يخليك يا عمي... بابا مستحيل يسبني صح!!

هبطت دموع "مختار" بأسى ساحبًا رأسها داخل أحضانه،
ثم ربت على خصلاتها البُنْدُقية الناعمة قائلاً:

_اهدي يا "حبيبة" يا بنتي، باباك في مكان أحسن دلوقتي،
ادعيه بالرحمة.

هزت رأسها بنفي هستيري داخل أحضانه هاتفة بصراخ:

_لأ.. لأ.. لأ.. بابا مامتش لأ يا عمي...

قالت الأخيرة بخفوت شديد وبعدها شعرت بغمامة سوداء
تُسيطر على عيناها لتأخذها لمكانٍ بعيد غير الواقع المؤلم،
فزع "مختار" صارخًا بابنه الذي يُتابع المشهد بجمود:

_اطلب الدكتور يا "صهيب" بسرعة.

حارة القناص

أبعد "صهيب" أبيه بهدوء، ثم أردف بلامبالاة:
متقلقش يا بابا، هي بس أغمى عليها من الصدمة.

قال حديثه ثم حملها صاعدًا للأعلى حيث غرفتها، ثم وضعها على الفراش بهدوء شديد واعتدل في وقفته مرة أخرى، وضع يده بجيب بنطاله الأسود يُحدجها ببرود ظاهري، حتى مضى بعض الوقت وهو يقف ووقفته تلك لا يفعل شيئاً سوى النظر إليها.

استفاق من غيبوبته المؤقتة مُحممًا بقوة، ثم حسم قراره للهبوط حيث أبيه، هو بحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى، فقط لينتظر حتى يأتي الليل وينتهوا من مراسم العزاء، ثم تبدأ مهمته لكشف هوية القناص المجهولة.

طرقت "أهّلة" باب مكتب رئيسها ثم دلفت للداخل دون أن تستمع لإذنه، كان يقف أمام النافذة يُوليها ظهره، مُفكرًا في تلك الخطوة التي سيأخذها لإنقاذ عنقه من تحت مخالبتها التي تُحيطها، استدار لها راسمًا ابتسامة صفراء على ثغره، ثم أردف بترحيب زائف:
اتفضلي يا "أهّلة".

حارة القناص

طرقت بكعب حذائها الطويل على الأرض السيراميكية
اللامعة، ثم جلست على المقعد مُردفة ببرود قاتل:

__ اتفضلت من غير ما تقول يا "ضياء" بيه.

كتم غيظه بصعوبة مُحافظًا على بسمته، ثم جلس على
المقعد أمامها قائلاً:

__ هكلك بمهمة صعبة فشل فيها كثير جدًا من الصحفيين.

ارجعت ظهرها للخلف تضح قدمًا فوق الأخرى، ثم أردفت
بسخرية لاذعة:

__ مهمة صعبة منك أنت!! هو اللي زيك يعرف حاجة في
الشغل!! أنت اللي زيك له في النسوان و... بس.

نطقت بجملتها الأخيرة ببطئٍ تتلذذ في إذلاله كما فعل معها
هو سابقًا، رأت تأثير حديثها على معالم وجهه التي تحولت
للحقد، يرغب الآن في الفتك بها بأي طريقة، لكن مهلاً،
فتلك المهمة لن تكون له، لن يُلوث يده بدمائها القذرة،
سينتظر ويرى موتها أمامه دون أدنى مجهود منه.

حارة القناص

أغض عينيه ضاغطاً على أنفه ليتحكم في إنفعالاته، ثم فتحهما على مهل ينظر لها بجمود، لينطق ببرود مُتغاضياً عن جزء إهانتته:

_زي كُل مرة جالنا أخبار إن القناص هينفذ عملية من عملياته بكرة الساعة 2 بعد نص الليل...

_والمطلوب!!

سألته مُقاطعة إياه بترقب، لتتشكل ابتسامة عريضة على فمه قائلاً:

_المهمة دي عليك المرادي، أنت عارفة إن الاتنين اللي راحوا قبلك مختفين لحد دلوقتي، وأنا الحقيقة مش هلاقي أحسن منك ينفذ المهمة دي.

الآن علمت سبب طلبه لها وإختيارها هي تحديداً لتلك المهمة، هو يُريد التخلص منها وللأبد لتحفظ سره، لكن بعينه، لن تذهب بعيداً عنه بتلك السهولة حتى تُذيقه من نفس الكأس الذي سقاها منه.

لكن هل ستفرض!! بالطبع لا، لن تظهر كضعيفة مهما كلفها الأمر، هي كانت ومازالت من أكفأ الصحفيين في تلك

حارة القناص

الجريدة، والقضايا التي كُلفت بها من قبل تشهد على ذلك،
رسمت ابتسامة باردة على محياها ثم أجابته بخبت دفين:

_وماله، هنفذ المهمة، بس متجيش في الآخر تعيط.

ورغم قلقه من حديثها المُبهم، إلا أن كلماتها الأخيرة أثارت
حنقه بقوة، نفذ صبره لذلك صاح بها باهتياج:

_أنتِ اتجننتي!!! ازاي ت....

قاطعته مُنتفضة من على مقعدها:

_مش فاضية للكلام الفاضي دا يا "ضياء" بيه، عن اذنك.

أولته ظهرها راسمة على محياها ابتسامة شامته، تعلم بأنه
الآن يحترق حقداً منها، وما زال القادم أسوأ، ستُدمر جميع
من شارك في أذيتها، ستُنهي عليهم واحداً تلو الآخر، حتى
لو كان ذلك.... بمساعدة القناص!.

_ها يا ماما، أخط شطة على الفراخ ولا محطش!!

جاءها صوت "نبيلة" العالي بالنفي:

حارة القناص

__إياك يا "ملك" أشم ريحة الشطة في الأكل، أنتِ عارفة إن
أخواتك "أهّلة ويمنى" مش بيحبوها.

أجابتها "ملك" بخضوع واستسلام:
__حاضر يا ماما مش هحط حاجة.

وما إن أنهت حديثها المُستسلم، حتى أمسكت بالشطة
الحمراء الحارقة تضع نصفها على الدجاج، سال لُعابها
جوعًا وطمعًا لتأكله وحدها، ثم تمتت يخبث:
__ابقوا شوفوا بقى هتاكلوا ازاي.

حملت الصينية الساخنة بين يديها بقطعة بالية قديمة، ثم
حدجتها بأعين مُلتمعة تُحدثها كأنها فتاة في عمر الثالثة:
__هاكلك لوحدي يا جميل، هاكلك لوحدي يا سكر.

دلفت في تلك الأثناء والدتها "نبيلة"، فوجدتها تُمسك
بالطعام بين يديها تنظر له بطريقة أثارت ريبتها:
__بسم الله الرحمن الرحيم، بتبصي للأكل كدا ليه يا بت أنتِ!!
أنتِ اتفجعتي!!.

حارة القناص

لوت "ملك" شفيتها بسخط وهي تنظر لوالدتها، ثم وضعت
الدجاج من يدها على الرخامة العريضة، مُتحدثة بضجر
وهي تُمسد على معدتها الجائعة:

—وهما اتأخروا كدا ليه!! أنا جوعت، بتُ لا أطيقُ
الانتظار يا "نبيلة".

أمسكت "نبيلة" بالملعقة الكبيرة بين كفها تنكرها بها في
جانبه وهي تصرخ بها بصخر:

—ما تتهدي يا بت بقى!! هو أنا مخلفة ديك رومي!! يا بنتي
دا أنتِ حتى مبتمضغيش الأكل، أنتِ بتبليعيه على طول.

رفعت "ملك" أصابعها الخمسة أمام وجه والدتها تردف
بسخط:

—محدث جايبني ورا غير قرك أنتِ وولادك، حسبى الله ونعم
الوكيل.

خلعت "نبيلة" نعلها ثم صوبته بوجهها وهي تُصيح بها:
—بتدعي على مين يا قليلة الأدب، ما أنا لو كنت فضيت
وربيتك خمس دقائق على بعض مكنش هيحصل كدا.

حارة القناص

أشاحت "ملك" بيدها بسخط من أقوالها الدائمة لها، ثم
أردف بحنق قبل أن تُسرِع مُهرولة للاختباء بغرفتها:
_روحوا استحموا بقي، انتوا مفيش وراكوا غير "ملك"
الغبانة!!.

جرت خلفها والدتها تحمل الملعقة الخشبية بين يدها وهي
تصرخ بها:

_خدي يا بت.. خدي يا قليلة الرباية.. والله لهوريك يا
"ملك" على قلة أدبك دي بس اصبري.

ضحكت "ملك" بانتصار بعدما استطاعت الهروب من
والدتها، ثم اتجهت إلى درج مكتبها تفتحه ببطء، لتُخرج من
قطعة من العلكة تمضغها بإستمتاع رهيب.

استمعت إلى صوت هاتفها يصدح في الأرجاء، فاتجهت إليه
تُمسكه بين يدها لتري من المُتصل، شغلت ابِتسامَة واسعة
مساحة كبيرة من وجهها عندما رأت هويته، لتُجيب مُسرعة
وهي تقول بسعادة:

_كنت عارفة إني مش ههون عليك، وحشتني يا "إبراهيم".

أتاها صوت "إبراهيم" الجامد يسألها ببرود:

عاملة إيه يا "ملك"!.

ابتلعت ريقها بقلق من نبرته ثم أجابته بحذر:

الحمد لله يا "إبراهيم".

صمت "إبراهيم" لبرهة، ثم تحدث قائلاً:

_بصي يا "ملك" أنتِ بنتِ ناس وألف من يتمناك، بس أنا
وأنتِ يا بنتِ الناس مش هننفع نكمل مع بعض.

انتفضت من مكانها فرعاً وهي تردف بخوف:

_إيه الكلام دا يا "إبراهيم"! مش أنت قولتلي هتقدملي
على آخر الشهر!!._

_كان كلام وانتهى، أنا أمي دلوقتي جيبالي عروسة
وخطوبتنا الأسبوع الجاي، وأنا متصل عشان أعزمك،
عقبالك ما تلاقي ابن الحلال، سلام.

أغلق المُكالمة بوجهها بعدما انتهى من حديثه، حتى لم
ينتظر لسماع إجابتها، تاركًا إياها تنظر حولها بصدمة
وشرود، لقد تركها حقًا ليتزوج من أخرى!! بعد كل تلك

حارة القناص

الوعود والأحاديث التي رماها على مسامعها تركها!! جلست على فراشها تضم قدميها لصدرها مُنكمشة على ذاتها، وثنوانٍ وكانت تنفجر في البكاء، وإحساس الظلم والخداع يملك منها.

__ كفايا بقي يا تاتا أنا زهقت.

هتفت "سهيلة" بتلك الكلمات وهي تُحاول الإعتدال من على قدم جدتها التي تضع رأسها على قدمها قصرًا، يَأْسْت "لواحظ" من صراخها فجذبتها من خصلاتها تنهرها قائلة:

__ يا بت اتهدى بقي خليني أفليك، القمل بيجري في كل حنة في شعرك.

تأففت قائلة بسخط:

__ قَمْل إيه يا ستي بس!! أنتِ بقالك 3 ساعات مقعداني القعدة المنيلة دي عشان تصطادي القمل بتاعك.

شهقت "لواحظ" بصوت ملحوظ قائلة بشفاه مُلتوية:

حارة القناص

_بتاعي دا إيه يا بنت أمك!! لأ يا حبيبتي دا أنا شعري
حرير، ما أنتِ لو تسمعي كلامي وتعملي زيي وتحطي جاز
على شعرك هتلاقيه بقى ناعم وحرير ومسبب اسمعي
كلامي.

اعتدلت "سهيلة" تجلس محلها بضجر وهي تُحدج جدتها
بغیظ، ثم أردفت حانقة:

_جاز إيه بس يا تاتا، أنتِ عايزة تشليني!!

أمسكت "لواحظ" بنعلها رافعة إياه لتضربها به، لكنها
هرولت من أمامها مُسرعة قبل أن يطولها، رقصت أمامها
بحركات بهلوانية قائلة:

_ومجتش فيا.. ومجتش فيا آاه..

قاطع رقصها ذلك الكف الذي هبط على رقبتها من الخلف،
والذي لم يكن صاحبه سوى شقيقها "رائد" التي تحدث
بشماتة:

_أحسن عشان تبقي تدايقي "لولي" تاني.

حارة القناص

قال جملته ذاهبًا تجاه جدته "لواظظ" مُحْتَضِنًا إياها
بمشاكسة، ثم أكمل بشاعرية وهو يُقَبِّلُ جبينها مُغِيظًا
شقيقته التي تُطالعه بحقد:

_حُبِّكَ يَا "لواظظ" خطف قلبي خطف، زي الغريق اللي
القرش هبشني هبش، أنا اللي عومت في المايه زي السمكة
المقلية، عشان أجيبك يا حبيبتي البيض بتقلية.

رفعت "لواظظ" بصرها إليه قائلة بإعتراض:
_بس أنا مش بحب البيض بتقلية.

قهقه بخفة غامزًا لها بمشاكسة:
_خلاص هجيبك فول وطعمية.

لوت "سهيلة" شفتيها بإستنكار قائلة:
_دي عشان تكون على نفس القافية يعني!! وبعدين إيه اللي
جاب البيض للمايه!!

ما كاد "رائد" أن يُجيبها، حتى وجد جدته تدفعه بعيدًا بحدة
وهي تصرخ به:

_أنت مين يا قليل الأدب!! يالهوي مُتحرش.

حارة القناص

اقترب منها "رائد" مُكَمِّمًا فمها مُسرِعًا بفزع قبل أن تقوم
بفصحه، ثم أردف وهو ينظر لشقيقته:

_ هي خدت الدوا النهاردة!!

هزت "سهيلة" رأسها بجهل وهي مُنهمكة في الضحك، ثم
أردف شامتة بضحكات عالية:

_ دي أخرة الشِعر الهابط اللي أنت بتقوله، البس يا شاعر
زمانك.

حدجها بحدة لكنها لم تُبالي تاركة إياه مازال يُكمم فم
"لواحظ" التي تُحاول الدفاع عن ذاتها من ذلك المتحرش
الحقير، تأوه "رائد" بقوة عندما قامت بغرس أسنانها
الصناعية في لحم يده، ثم رفعت كف يدها هابطة به على
وجهه تزامنًا مع قولها:

_ بتتحرش بواحدة ست زي أختك يا كلب!!

أجابها "رائد" غيظًا مُمسكًا بوجهه:

_ أخت مين يا أم أخت، دا أنتِ قلبك واقف 3 مرات الشهر
اللي فات يا ولية عشان طلعتي السلم لوحدك، مفكرة نفسك
هيفا!!

حارة القناص

صفت بيدها ثم لوحت بهم في الهواء مُجيبة إياه بردح:
_ هيفا مين دي يا واد اللي تقارنها بيا!! أنت مش شايف
عيوني الزرقا ولا شعري الأصفر الطبيعي.

انتفض "رائد" من مكانه ثم أجابها بسخط قبل أن يتركها
ويذهب:

_ أصفر مين يا ستي صلي على النبي، أنتِ قرعة أصلاً.

تركها مُهرولاً وهي تُلقي كمًا هائلاً من السباب، دخل
لشقيقته التي كانت تقوم بإطفاء النيران من أسفل الطعام، ثم
أخبرها بهدوء أثناء إنتشاله لقطعة من الخيار:

_ اعلمي حسابك يا "هايلة" إن أصحابي هيجوا يتعشوا
معايا النهاردة.

سألته ضاحكة:

_ والواد "فور" القمر هيجي!!

ضربها على مؤخرة رأسها وهو ينهرها:

حارة القناص

_بس يا قليلة الأدب، اعلمي حساب لكيس الجوافة اللي
واقف قدامك، وبعدين دا مش هينفعك يا موكوسة عشان هو
أصلًا مسيحي.

ردت عليه بهيام مُصطنع:

_هدخله للإسلام، الحب مفيهوش مستحيل يا أخ "رائد".

حدجها مُستتكر ثم أردف وهو ينتشل قطعة أخرى من
الخيار:

_طيب ياختي، خليك في أحلام اليقظة والروايات بتاعتك
دي، وأنا ورايا مشوار كدا مهم وبليل هاجي

وما كاد أن يخرج من المطبخ؛ حتى توقف قائلاً بتذكر:

_وأه صحيح، هبقى آخذ رواية كمان منك عشان عجبتني
أوي اللي فاتت.

ضحكت مُومئة له:

_ماشى، بس عد الجمائل وافتكراختك حبيبتك.

حارة القناص

جاء الليل بعد أن أسدل ستاره، وتجمع الأربعة شباب بالمنزل الخاص بهم هم فقط، نظر "قاسم" بشمولية لأوجههم، ثم أردف بخبث:

_بيننا يا رجالة.

تبعه الشباب جميعًا، فاستقلوا بسيارة واحدة سوداء والتي كانت تخص "قاسم"، صعد "چون" بجانب "قاسم"، وبالخلف جلس كلاً من "رائد وفور" معًا، تحركت السيارة بهم، وطيلة الطريق كان "فور" يُحدج "رائد" بنظرات ساخطة كان الآخر يستقبلها منه ببرود، لن ينسى قسوته معه، لقد أكل طعامه المسكين، هو فقط له الحق في أكله.

رَبَّع "فور" ذراعه بضيق ثم تحدث مُوجهًا حديثه لـ "قاسم":
_أريد الجلوس في الأمام، لا أريد الجلوس بجانب هذا النتن ذو الرائحة العفنة.

شهق "رائد" بعنف صائحًا:

_هو مين دا اللي نتن يابن العيلة النتنة أنت!! دا أنا لسه مستحمي بكلور يلا.

_كلور!!

حارة القناص

رددها "قاسم" بإستنكار ناظرًا له من خلال المرآة الأمامية،
ليؤكد له "رائد" بقوة:

_ أه كلور، بيدي ريحة هايلة يا ض يا "قاسم" وعهد الله.

سخر "قاسم" قائلاً بلذاعة:

_ هايلة دي تبقى أختك يلا.

استدار "چون" بجسده لـ "رائد" يقترح عليه ببساطة:

_ يا فتى افعل مثلي ولا تتحمم، الإستحمام بشع للغاية.

أشاح "رائد" بيده نافياً برأسه:

_ لأ يا عم أنا نضيف وبحب استحمى مرتين في الشهر.

_ أوه مرتين في الشهر!! هذا كثير حقًا، فأنا أتحمم كل عام

مرة واحدة فقط، حتى لا تفوح رائحتي الكريهة.

نظر له "قاسم" بطرف عينه للحظة ثم أعادها للطريق

مُجددًا وهو يتسائل:

حارة القناص

_ دا على أساس إن ريحتك مش فايحة دلوقتي يا أنتن خلق
الله!!.

اعترض "فور" بضجر مُدافعًا عن أخيه:

_ اصمت "قاسم"، فأخي ليس بذو رائحة كريهة، بل ذو
رائحة جميلة يفوح منها العِطر.

طالعه "چون" بتأثر متحدثًا بحب:

_ حقًا أحبك يا أخي، ليس لي غيرك لينصفني بتلك الحياة
القاسية.

_ لا تقل هذا يا مُغفل، أنا سأظل بجانبك دائمًا حتى الممات.

حدجهم "رائد" بتقرز، ثم تمت بصوت هامس:

_ جتكم نيلة في علاقتكم القذرة، مش عارف من امتي وبقوا
الأخوات بيحبوا بعض!!!

وصل الجميع إلى فيلا "الأرمانى"، ليستمعوا إلى صوت
الآيات القرآنية التي تُتلى في المذيع بصوت عالٍ نسيبًا،
جالت عين "قاسم" على جميع الأوجه بحذر، حتى توقفت

حارة القناص

حدقتيه على صف الرجال من عائلة "الارماني" يتلقون
التغازي بكل حزن وأذى، توعد "قاسم" داخله مُتوعدًا:
_ولسه اللي جاي هيكسرکم أكثر، ربنا يكثر من أحزانکم.

استفاق على يد "رائد" التي وُضعت على كتفه يحثه على
التقدم:
_يلا يا "قاسم".

سار الاربعة بجانب بعضهم البعض يُحدجون بهم بأعين
مُتوعدة، الأربعة يجمعهم نفس الهدف، وهو الإنتقام، وصلا
إلى حيث تجمّع الرجال، فمدّ "قاسم" يده لـ "مُختار" يُصافحه
وأعينه تكادُ أن ينطلق منها الشرر، كذلك فعل الثلاثة
الآخرون ثم دلفوا للداخل ليجلسوا قليلًا.

جلس "جون" بجانب "قاسم"، وعلى جانبه من الناحية
الأخرى كان يجلس "رائد"، و"فور" جاور شقيقه كذلك،
كانت رؤيتهم وهم على تلك الحالة تُشعرهم بالإنشاء،
ترضي ذلك الجزء الحاقد بداخلهم، تلك المرة لم يُخطتوا
لشيء، لكن الهدف كان في مرامهم.

ارتسمت ابتسامة حاقدة على ثغر "جون" ثم همس متوعدًا:

حارة القناص

_وما زال القادم سيشهد على جميع مآسيهم.

حدجه "قاسم" بخبث قائلاً:

_بالتأكيد يا صديقي.

مرّ خمسة عشر دقيقة، لذلك اقترح "فور" بحنق:

_يكفي يا رفاق، فأنا لا أطيق الجلوس بمكان يجمعني مع هؤلاء الأوغاد.

وافقه الجميع على ذلك، لذلك هبّ "قاسم" من مقعده قائلاً
بهدوء:

_يلا نمشي.

قاموا بمصافحة الرجال مرة أخرى، وتلك المرة تثبتت أنظار
"قاسم" على "صهيب" الذي لم يكن متواجداً حين دخولهم،
صافحه الشباب بهدوء، حتى جاء دوره قائلاً له بهدوء:

_البقاء لله.

حارة القناص

لا يعلم "صهيب" كيف رأى السعادة تتراقص بعينيه، يشعر بشيء غامض تجاه ذلك المائل أمامه، أجابه بحذر بعد أن مدّ يده لمصافحته:

_ونعم بالله، هو حضرتك مين.

صمت "قاسم" قليلاً، ورغماً عنه ارتسمت ابتسامة غريبة على ثغره وهو يُجيبه بشماتة:

_أنا اللي جاي أشمت في موت "رفعت الأرماني".

احتدت عين "صهيب" بغضب مُمسكاً إياه من تلايبه يسأله بصوت خفيض حاد:

_أنت مين!!!

أنزل "قاسم" يده من على ثيابه ومازالت تلك الإبتسامة الباردة مُرتسمة على ثغره، ثم تشدق بغموض:

_أنا الدمار لعيلة "الأرماني".

كز "صهيب" على أسنانه بحقد وهو يقول بتهديد:

_أنت متعرفش مين هو "صهيب الأرماني"!!، أنا هوديك في ستين داهية.

اقترب "قاسم" منه ثم همس جانب أذنه بسخرية:
_متعشمش عشان القفا ميعلمش.

ابتعد ليرى معالمة التي تحولت للغضب الحارق، ثم تركه
وذهب يغلي من الغضب، وبنفس النظرات الشامتة كان
يُحدجه الشباب المُتابعون للموقف بأكمله، نظر "صهيب"
لأثرهم بحقد، ثم نادى على مدير أعمال العائلة الذي يُجاوره،
ثم سأله بشر:

_مين دا يا "راضي"!!.

أجابه "راضي" مُسرعًا تجنبًا لغضبه:

_دا دكتور "قاسم طاحون" شغال في المستشفى بتاعة عيلة
حضرتك يا "صهيب" بيه.

استمع لحديثه ثم همس بخفوت خطير:

_ "قاسم طاحون".

«يُتْبَع»

سنة مهجورة:

_ *دعاء الخروج من المنزل*

قال رسول الله - ﷺ -: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ».

«حارة القناص»

«الفصل الثاني»

«وسواس قهري»

يقولون أن الحب جنة، وما هو إلا بجحيم خادع، يجذبك تجاهه بكل إحتواءٍ وحنان، وعند إرتخائك به؛ تشتعل النيران تنبش بكل ذرة في فؤادك، فتُصبح كالجسد بلا روح، مُجرد جثة هامدة تسير في الارض بلا هوية.

أمسكت "أهّلة" بقلمها وعيناها مُثبتتان على الورقة البيضاء الفارغة أمامها، ستُشعل الوسط من حولها قبل ذهابها، تلك المهمة التي كلفها بها رئيس التحرير ما هي إلا بداية الهلاك، ورغم إنقباضة قلبها من القادم؛ إلا إنها بدأت بتدوين الكلمات التي ستُشعل المدينة بأكملها:

_"وعلى المرة الثانية على التوالي في نفس الشهر.. تم قتل الطبيب "رفعت الأرماني" بطريقة بشعة تُوحى بعدم آدمية القاتل، ومن قبلها تم قتل ابنه "حاتم الأرماني" بنفس تلك الطريقة، يبدو أن عائلة "الأرماني" الشهيرة مُستهدفة ولديها الكثير من الأعداء، لكن لما!! هل تعمل العائلة

بأعمالٍ غير مشروعة والقاتل ينتقم!! أم هناك فردًا منهم يقوم بقتلهم واحدًا تلو الآخر للإستيلاء على ثروتهم المهولة!! أم تتفق أجهزة الشرطة مع القناص للتخلص من أشخاص مُحددin بعينهم!! الكثير والكثير من التساؤلات، وحلقاتٌ مفقودة تُسبب حالة من الذعر بين المواطنين، ومن بين كل هذا يبقى السؤال الأهم على الإطلاق، «مَنْ القناص!».

«مجهولة نارية»..

هكذا وقَّعت بإسمها المُستعار أسفل كتاباتها، نظرت "أهَّلة" للمقال الذي حضرته بابتسامة منتصرة، إن كان رئيسها يُريد التخلص منها؛ فلتخلص هي منه قبل أن يفعلها، ذلك النكرة الحقير ستُذيقه من الويلات مثلما فعل، تعلم كُله العلم بأن ما دونته سيفتح أبواب الجحيم على الجميع، وهذا ما تُريده تمامًا.

انتفضت من مكانها ثم اتجهت إلى المرحاض بعدما خبئت الأوراق في الدرج الخاص بها، فتحت صنبور المياه ثم غسلت يدها، فركتهما بقوة شديدة، هي غسلتها منذ عدة دقائق، لكن بات وسواسها القهري يورقها بشدة تلك الأيام، أصبحت تشمئز من لمسات الجميع التي تُشعرها بالغثيان،

اغلقت الصنبور مرة أخرى ثم نظرت لكفيها تتأكد من نظافتهم، وعندما هدأت قليلاً خرجت بهدوء وكأن شيئاً لم يحدث.

عادت لمكتبها فوجدت "يمنى" خلفها مُباشرة قائلة باستعجال:

_يلا يا "أهّلة" ماما اتصلت كذا مرة عشان اتأخرنا.

أومات لها ثم أردفت بهدوء:

_رُبع ساعة بس يا "يمنى" وهنمشي، هنزل أطبع الخبر.

حدجتها "يمنى" بيأس على عنادها ولم تتحدث، فلن يتغير شيء إن فتحت الأمر مرة أخرى، جلست على مقعدها قائلة بهدوء:

_تمام، وأنا هستناك هنا.

هزت "أهّلة" رأسها بخفة، ثم انتشلت الأوراق التي كتبتها منذ عدة دقائق تنظر لها مُجدداً بنظرات سريعة، وبعدها خرجت من المكتب نهائياً قاصدة غرفة الطباعة، طرقت الباب ثم دلفت بهدوء، فوجدت الموظف المسؤول عن

حارة القناص

الطباعة والنشر يجلس أمام الآلة، اقتربت منه ماددة يدها له
قائلة بملامح مُبهمة وباردة:

_ اطبع الخبر دا وانشره.

حدجها الموظف بقلق، فلطالما كانت مقالاتها تُثير الجدل في
الأرجاء، أمسك بالأوراق ثم بدأ في قرائتها لتعديلها،
فاتسعت عيناه مما هو مكتوب، يبدو أنها تريد الدمار
للجميع، رفع حدقتاه له قائلاً بهلع:

_ إيه اللي أنت كاتباه دا؟! أنت كدا هتودينا في داهية كلنا.

احتدمت عينها بغضب، فصرخت بوجهه غاضبة:

_ أنت تعمل اللي أنا بقولك عليه وخلص، وخليك فاكِر إن
رئيس التحرير بنفسه هو اللي سمحلي أنشر أي حاجة وفي
أي وقت.

قطب جبينه بضيق ثم وضع الأوراق أمامه على المكتب
مُردفاً لها يُحاول إقناعها:

_ يا ستي عارف، بس دا مش هيطولك منه غير الأذى، كل
مرة بتنشري خبر أنقح من اللي قبله وبتفلتي بصعوبة.

تنفست "أهله" بعمق تُحاول السيطرة على إنفعالاتها،
فتحدثت بنبرة حاولت بقدر الإمكان أن تظل هادئة:

_ اعمل اللي طلبته منك يا "رضا" وخلص، اطبع الخبر
وعلى بكر الصبح عايزاه يكون في كل الجرايد.

تركته وسارت عدة خطوات، ثم وقفت مُستديرة له تقول
بتحذير:

_ المقال لو منتشرش يا "رضا" هتزعل مني صدقي، وأنا
زعلي وحش أوي.

أقلت بكلماتها المُحذرة ثم تركته وغادرت تطرق بكعب
حذاءها الحاد على الأرض السيراميكية اللامعة، تاركة
"رضا" ينظر لأثرها بإحباط، عاد بحدقاته تجاه المقال التي
تريد نشره وهو يُتمتم بحسرة:

_ يا وقعتك المربربة يا "رضا"، هعمل إيه دلوقتي!! لو
منشرتوش هتهزق من "أهله"، ولو نشرته هتهزق من
"ضياء" بيه، يعني في الحالتين متهزأ.

وقف بيأس ثم بدأ بطباعة ذلك المقال التي كتبتة، عالمًا في
قرارة نفسه أن ذلك الخبر من المُمكن أن يُغلق لهم الجريدة

حارة القناص

للأبد، لخطورة ما تحتويه كلماته المٌغلّفة بالإتهام تجاه الشرطة وكبار الأعمال.

_ أنا مش شمتان..

لكن من حقي إن أنا أفرح إنك زعلان..

أول ما ندمت عرفت إنك زينا إنسان..

بتحس وليك قلب يحاسبك ترجع ندمان..

سيبني أفرح فيك..

هكذا ردد "قاسم" كلمات الأغنية بإبتسامة عريضة وإنتشاء كبير، سخر "رائد" منه ضاحكًا:

_ يا راجل أنت مش شمتان!! أومال لو شمتان هتعمل إيه!!

حوّل "قاسم" أنظاره له ثم أردف بضحكة عالية:

_ قول يا بني استغفر الله، احنا مش بنشمت في موت حد.

شاركهم "چون" المرح قائلاً بمشاكسة:

حارة القناص

_وأنا أشهد على أخلاقك يا عزيزي.

غمز له "قاسم" بمرح وهو يقول بسعادة:

_أخويا وعم عيالي أقسم بالله.

قاطع "فور" لحظاتهم مُتحدثًا بتذمر:

_أنا جائع يا رفاق، لم أكل منذ نصف ساعة.

استدار له "رائد" يرمقه بسخرية، ثم أردف باستنكار:

_يا ساتر يارب!! بقالك نص ساعة مكلتش!!

أوما له "فور" آسفًا، قائلاً بتأثر:

_نعم، رأييت!! كنت اتضور جوعًا وأنا جالس بين الرجال، حتى أنني تخيلت ذراع الرجل طعامًا وكِدت أن ألتهمه أقسم.

انفجر الجميع في نوبة من الضحك مما يروييه، فأردف "قاسم" من بين ضحكاته:

حارة القناص

_ تخيلت شكك وأنت ماسك دراع الراجل وعايز تاكله مسخرة.

قهقه "رائد" بقوة ضارباً يده بكف "قاسم" مُتحدثاً:
_ احنا نخاف على فخادنا بعد كدا بقى لياكلها.

حدجهم "فور" بضجر، ثم تحدث بما جعلهم يفتحون أفواههم ببلاهة بعدما أوقفتم الصدمة عن الضحك:

_ يا رفاق! أتعرفون جارتنا التي تسكن جانب منزلنا!! لقد سرقت منها دجاجة كبيرة ثم سلقتها وأكلتها وحدي دون أن أُخبر أيًا منكم.

انتفض "جون" صارخاً ينهره بغضب:

_ يا رجل ماذا فعلت!! لقد لوثت شرفنا في الطين أيها الأحمق، نحن لا نسرق بل نقتل فقط.

جعد "فور" وجهه بسخط، ثم أجابه بضيق:

_ لقد كنت جائعًا، ماذا كنت أفعل حينها!! أتريدني أن أموت جوعًا!!.

حارة القناص

جاءه صوت "رائد" متحدثًا بإستتكار:

_لأ ياخويا متموتش من الجوع، اسرق عشان ربنا يودينا النار.

تلك المرة وجّه "قاسم" حديثه له وهو ينظر من المرآة الأمامية له متشدقًا بغضب:

_يعني تسرق الفرخة ومتأكلناش معاك!! تصدق إنك بجح وناكر للجميل.

أيده "جون" ساخطًا:

_أخبره، ذلك الأناني الوقح يسرق الدجاجة ومن ثم يأكلها وحده.

شاركهم "رائد" هو الآخر صارخًا بوجهه وهو يسأله:

_ويا ترى بقى سألقتها ولا حمرتها!! أنا بحب الفراخ المتحجرة أكثر.

أجابه "فور" بثقة:

_شويتها وأكلتها كلها، كانت لذيذة بحق.

تمتم "قاسم" بصوت حائق:

_تطفحها.

طالعهم "فور" بغيظ، ثم أردف صارخاً:

_أريد أن أقول لكم شيئاً فقط، "تباً لكم أيها الأوغاد".

أوقف "قاسم" السيارة أمام أحد المطاعم، ثم أجابه ساخرًا:

_والله ما فيه وغد غيرك.

هبط الجميع من السيارة عندما هبط "قاسم" أولاً، ليتسائل

"رائد" بتعجب:

_وقفنا هنا ليه!!.

أجابه بهدوء تزامناً مع إغلاقه لسيارته:

_هنتعشى هنا النهاردة.

_بس أنا قولت لماما إن احنا هنتعشى فى البيت النهاردة

وهي عملت حسابها.

غمز له "قاسم" بمشاكسة:

_وماله، هناكل هنا وبعدين هناكل من إيد "چيچي".

اتسعت ابتسامة الجميع بشراهة غريبة، فيبدو أنهم مُتفقين على عشق الطعام، و"فور" يعشق الطعام والنوم معًا، يعتبرهما أشياء مُقدسة في الحياة، لذلك تحدث بحماس:

_يعيش "رائد" يعيش، آه لو تعلمون أنني أحب الطعام كحبي لأطفالي.

ساروا معًا تجاه المطعم فتسائل "چون" متعجبًا:

_ليس لديك أطفال يا رجل.

أوما "فور" قائلًا:

_أعلم، لكنني أحبهم كثيرًا منذ الآن، سأكون حنونًا عليهم، لن أكون قاسٍ مثل أمي.

قال الأخيرة بخفوت متألم ظهر في نبرة صوته، حدجه الجميع بحزن دفين لما مرَّ به من قبل، حدجه "چون" بأسى، فما كان عليه سوى الصمت، وبماذا يجب عليه أن

حارة القناص

يتحدث وهو كان يتعرض من والدته بنفس التعدي
والضرب!!

أشار "قاسم" لـ "رائد" فأوماً له، ليُحيط "قاسم" بكتف
"فور" قائلاً بمزاح:

إِذَا أنت حزين فلن تأكل، صحيح!!

أجابه "فور" متذمراً:

ماذا تريد مني "قاسم"!! أنا لا أكل كثيراً، لما هذا الظلم
إِذَا!!

قهقه "قاسم" بخفة مؤكداً له وهو ينظر لمعدته التي امتلئت
بالقليل من الدهون:

أعلم أعلم، حتى إنك فقدت بعض الكيلوجرامات يا صاح.

بينما أحاط "رائد" بكتف "جون" بنفس الطريقة، ثم قال
بتخيط:

ما رأيك عزيزي "جون" أن نسرق دجاجة غداً مثلما فعل
"فور" اليوم.

حارة القناص

علم "چون" ما يُحاول فعله، لذلك شاركه في مرحة ليستطيع
النسيان:

_ ليس لدي أي مانع، لكن أنت الذي سيسرقها فأنا لستُ بـ
لِص.

لوى "رائد" شفتيه بإستتكار، ثم تشدق بسخرية:

_ كم أنت شاب خلوق يا فتى!! على أساس إنك لن تأكل
منها!!

رد عليه "چون" نافيًا يُحاول شرح ما يُفكر به:

_ بل سأكل بالتأكيد، في النهاية أنت من ستسرقها لستُ أنا.

وصلوا إلى طاولة فارغة فجلسوا عليها جميعًا، وبعد ما
يقرب من الدقيقة جاء لهم الجرسون ليُملوا عليه طلباتهم،
تحدث "قاسم" بإبتسامة هادئة لهم:

_ ها تاكلوا إيه!! العزومة عندي النهاردة.

تحدث "فور" صائحًا بحماس:

حارة القناص

_أريد دجاجة كاملة، وقطعة كبيرة من اللحم، ومعهم طبق كبير من الأرز الطازج، ونصف كيلو من الكباب، ويا حبذا لو تجلب لي صينية كبيرة من المحشيات.

حدجه الشباب بصدمة جليّة ظهرت واضحة على تعابير وجههم، فصعد صوت الجرسون مُتسائلًا ببلاهة:

_الأكل دا للتريزة كلها صح!!

اعترض "فور" صائحًا بضجر:

_بالطبع لا، هذا الطعام يخصني وحدي، فلتري ماذا يريدون هم.

أردف "رائد" بصدمة:

_يابني معدتك هتنفجر من كُتر الأكل، يخربيت العته.

تأفف "فور" بضجر قائلاً:

_دَعك وشأنك، أنا ساكل ما طلبت.

هز "قاسم" رأسه بيأس، ثم نظر للجرسون متحدثًا بهدوء:

حارة القناص

_ هاتله اللي هو عايزه..._

صمت ناظرًا للجميع بمكر، فرفع نظره مرة أخرى للجرسون
طالبًا منه بمكر:

_ وهات لكل واحد فينا زيه بالظبط.

حدجهم الجرسون بريية بدأت تُسيطر على محياه، ما بهم
هؤلاء!! هل هم حَفنة من مصاصي الدماء حتى يطلبوا
طعامًا بكل تلك الكميات!! وأخيرًا خرج صوته مُتمتمًا
بخفوت:

_ تحت أمرك يا فندم، عن إذنكم.

نظر "رائد" تجاه "قاسم" يسأله بتعجب شديد:

_ في إيه يا "قاسم"!! أنت اتفجعت زيه ولا إيه!!

أجابه مُشاكسًا:

_ يا جدع بقى متقطعش رزقك واقعد ساكت.

قاطعهم صوت "فور" موجهًا حديثه للجميع بسعادة:

حارة القناص

_ يا رفاق أود إخباركم بشيء هام.

انتبهوا له جميعًا منتظرين ذلك الحديث الهام الذي سيرميه
على آذانهم، ليُكمل هو بسعادة واضحة:

_ غداً سأذهب للإعتراف بحبي لتلك الفتاة التي عشقتها
سراً.

غمز له "جون" بمرح:

_ أووووه وأخيراً يا رجل!! أنت تحبها تقريباً منذ ثلاثة
أشهر ولم تعترف لها حتى الآن.

_ أجل، كنت انتظر الوقت المناسب، وها قد فاض الشوق
بي.

ضرب "رائد" على ذراعه ثم اقترب منه مُتحدثاً بوقاحة:
_ قبل ما تتكلم بوسها على طول، الحاجات دي مفيهاش
كلام.

ضرب "قاسم" على الطاولة بحدة من حديث "رائد" الوقح،
ثم صرخ به بغضب:

حارة القناص

_ أنت بتقول إيه يا حيوان!! بوسة إيه اللي يديهالها على طول!!

حمم "رائد" بخرج وكذلك "فور"، ليُكمل "قاسم" بمشغبة:

_ أنت تتكلم معاها الأول وبعدين تبوسها.

هلل "جون" صائحًا بضحكة عالية، ثم تشدق بمزاح:

_ أقسم أنك أوقح شخص بيننا، قد تبدو للجميع رجل بارد وغامض، لكن لا يعلم حقيقتك التافهة إلا نحن.

رفع "قاسم" حاجباه بدهشة مُشيرًا لذاته بعدم تصديق، ثم أردف بزيف:

_ أنا وقح يابني!! يا جدع اتقي الله أنا مفيش في احترامي.

رفع "رائد" يده مُضيفًا بسخرية:

_ وأنا أشهد سيدي القاضي السافل.

حارة القناص

جاء لهم الجرسون بعد ربع ساعة تقريبًا، يضع أمامهم الطعام بكافة أنواعه، صفق "فور" بحماس قائلاً بتأثر وهو يمسح على معدته الفارغة:

__ اشتاق للطعام كثيرًا يا رجال.

رُسمت ابتسامة خفيفة على شفتي "چون" مُجيبًا إياه بحنان:

__ بالهناء والشفاء يا أخي، لكن على مهلك حتى لا يتوقف الطعام بحلقك.

أجابه مُسرعًا وهو يبدأ بالتهام الطعام:
__ حسنًا حسنًا.

مرت الدقائق يأكلون صامتين، كُلاً منهم يلتهم طعامه بشهية مُنفحة، فرغم عدم قتل أيًا منهم لـ "رفعت الارماني"؛ إلا إنهم سعداء للغاية، تلك العائلة قد سببت لهم أذى نفسي وجسدي كبير لم يتوقعه بشر، يظهرون على العن كالملائكة، وفي السر؛ ما هم إلا شياطين سوداء تتفق مع إبليس، وبالنسبة لهم قد جمعهم القدر معًا للانتقام، صدفة ربطت بينهم فأصبحوا كالأخوة، مترابطين بنسيج من الشر والخير معًا، تركيبة عجيبة لكن مثيرة للاهتمام.

رفع "رائد" رأسه ينظر تجاه "قاسم" الذي يأكل بشرود،
فعلم أن ذاكرته قد أخذته لمكانٍ بعيد عنهم، كما كان حال
الآخرون، خرج صوته بهدوء مُقاطعًا أفكاره وهو يتسائل
بترقب:

__ المهمة الجاية امتى يا "قاسم"؟!!

رفع "قاسم" عيناه له، وها قد عاد الجمود القسوة يُرسمان
على وجهه، وضع الملاعة من يده ثم استند بظهره على
كرسيه ببرود، وأخيرًا خرج صوته مملوء بعبق الحقد:
__ بكرا.

نظر "چون" لـ "فور" بقلق، وكذلك بادلته الآخر نفس
النظرات، قبل أن يخرج صوته متسائلًا:
__ مَن سيرسل الرسالة تلك المرة للشرطة!!

__ "فور"، تلك المرة المهمة عليه.

تنفس "جون" الصعداء براحة، بينما انتفض "فور" هلعًا
قائلًا بفرع:

حارة القناص

مَنْ "فور" هذا!! بربك هل تريد الخلاص مني لتلك
الدرجة!!

أجابه "قاسم" بسماجة مُستمتعًا بإغاظته:
لأ ذكي ونبيه ما شاء الله عليك، على الأقل لو اتقبض عليك
هتوفر أكل.

طالع "رائد" صديقه "قاسم" قائلاً:
بلاش "فور"، دا غبي وممكن يودينا في داهية.

صعد صوت "فور" صائحًا بإعتراض:
هاي يا رجل!! ماذا تقصد بحديثك هذا!!

أشاح "رائد" بيده بلامبالاة ثم تشدق بسخط:
يا شيخ اتنيل بقى، دا أنا بقتعه إنه ميطلعكش المهمة دي.

حدجهم "قاسم" بغضب، ليخرج صوته حادًا قاطعًا:
أنا قلت "فور" اللي هيطلع، خلص الكلام.

حارة القناص

وضع "چون" يده على قلبه يردف بارتياح:
_حمداً لله، اشعر بأن روحي قد عادت لي مُجدداً.

صدمه "قاسم" بحديثه العابت والذي أردف به:
_لا تقلق عزيزي، فالمرّة القادمة لك أنت.

عادت كُلاً من "أهّلة ويُمنى" من العمل بأجساد مُنهكة ووجه
يظهر عليه التعب، ارتموا على الاريقة مغمضين أعينهم
بتعب شديد، فـطيلة اليوم كانا مُنكبين على الكثير والكثير
من الأوراق، حتى تعبت ظهورهم، وجدتا المنزل هاديء
وصوت تلك الغبية شقيقتهم لا يظهر في الوسط، حدثت
"يُمنى" شقيقتها "أهّلة" بتعجب، ثم أردفت بقلق:
_هما مش ظاهر لهم صوت ليه!!

نظرت "أهّلة" حولها بقلق علّها تستمع لصوت أحد منهما،
لكنها لم تجد سوى الصمت المُخيف، فأجابتها بريية:
_تفتكري تكون "ملك" قتلت ماما!!

عضت "يُمنى" على أصابعها تُجيبها:

حارة القناص

_ هي قادرة وتعملها، تعالي نشوفهم هما فين.

هبت كتاهما من على الاريكة، ثم اتجهوا معاً نحو المطبخ،
ليجدوا والدتهم تقوم بتقطيع ثمرة الطماطم بصمت وهدوء،
دلفا لها فتحدثت "يمنى" لوالدتها:

_ خير اللهم اجعله خير، أنتِ و"ملك" مش بتتخانقوا!!

لوت "نبيلة" شفيتها بتهمك بعدما رفعت رأسها تنظر
تجاههم، ثم أردفت بسخط:

_ لسه متخانقين طازة ياختي وهتلاقيها متلقة في أوضتها.

هزت "أهلة" رأسها بيأس، ثم اتجهت ناحية والدتها تُقبل
وجنتها بحنان:

_ عاملة إيه يا "بليلة" النهاردة!!

ارتسمت ابتسامة مُحبة على ثغر "نبيلة"، مُجيبة إياها
بحب:

_ أنا الحمد لله كويسة طول ما أنتِ واخواتك كويسين يا
حبيبتي.

ذهبت إليها "يمنى" هي الأخرى، فقبلتها من الناحية الثانية
قائلة بحنان:

_ربنا يديمك لنا يا ماما.

_ويديمكوا ليا يا حبايبي، يلا روحوا غيروا على ما أخط
الأكل على السفرة.

أوما لها الاثنتان بصمت، فاتجهت "يمنى" لغرفتها لتبديل
ثيابها، بينما اتجهت "أهّلة" إلى المرحاض! تشعر بالقرف
من كل ما حولها، حالتها أصبحت أكثر سوءًا عن ذي قبل،
فتحت الصنبور وظلت تفرك في يدها بقوة حتى جرحت
أظافرها لحم كفها، أغمضت عينيها بأسى على حالتها، لما
تريد التقيؤ الآن!! هي مشمنزة من اللاشيء حقًا.

أمسكت بسائل غسيل اليد الخاص بها، ثم وضعته بكمية
مهولة على كفها، لتظل تفركه بسرعة علّ ذلك الشعور
يذهب عنها، فعلت مثل ما تعلمت من أحد الدورات التعليمية
على موقع اليوتيوب، وسحبت نفسًا عميقًا للسيطرة على
شعورها، ظلت هكذا لبضعة ثوان ثم زفرته على مهل، فلتبعد
عن عقلها تلك الأفكار المُسوسة، هي تكره مرضها هذا،
تريد أن تعيش حياة طبيعية، تريد المُصافحة بطريقة
طبيعية، لكن الأمر صعب في حالتها.

هي ترفض رفضًا تامًا الذهاب لطبيب نفسي، حتى بعد محاولة والدتها وشقيقاتها للذهاب، لكن كانت تُصر على رأيها بعدم الذهاب، ذهب شعور الغثيان عنها ناظرة ليدها النظيفة برضا، لذلك أغلقت الصنبور بهدوء، مُنتشلة عدة طبقات من المناديل الورقية لتجفف بها يديها، وبعدها خرجت من المرحاض بوجه ثابت مُزيف كما اعتادت.

وجدت والدتها بدأت بـ رص الأطباق، والتي استدارت لها مُتذمرة:

لسه مغيرتيش يا "أهّلة"!! أنا قربت أخلص رص الأكل.

أجابتها مسرعة وهي تتجه نحو غرفتها:

في ثواني يا "بلبلّة" يا قمر وهكون مغيرة وقدامك هنا.

اختلفت من أمامها ودلفت إلى غرفتها لتُبدل ثيابها، أخرجت منامة جميلة من اللون الأسود وعلى جانبيها خط عريض من اللون الرصاصي، وهذان تحديداً هما لونها المفضلان، انتهت من ارتداء ملابسها وتركت شعرها الأسود الحالم مفروداً على ظهرها كما تُحب دائماً.

حارة القناص

نظرت للمرأة بوجه ثابت، تنظر على ملامح وجهها، كم
تعشق ذاتها كثيرًا! بدايةً من عيناها السوداء وخصلاتها
التي تُشابهها في اللون، خاصةً لون بشرتها القمحية المائلة
للسمراء قليلًا، حتى أنفها الكبير قليلًا تحبه، فهي واقعة في
حب ذاتها لدرجة لا تُوصف، رسمت ابتسامة صغيرة على
محياتها تهمس لذاتها بشيء من زيادة الثقة بالنفس:

_ كدا أحسن يا "هولا"، كفاية تكشير.

استدارت تتجه نحو الخارج لتأكل مع عائلتها الجميلة
واللطيفة، لم تجد سوى "يمنى" الجالسة على المقعد بملل،
لتسألها "أهّلة" باستغراب:

_ قاعدة كدا ليه، أو مال فين ماما!!

أجابتها بهدوء وأعين تُوشك على الإنغلاق:

_ جارتنا "أم أسماء" جت نادت لها عشان تديها الحُقنة.

انكمش وجه "أهّلة" بتقرز بدأ يتضاعف مرة أخرى، ثم
هتفت بإشمزاز:

_ هي ماما مش هتبطل بقى!! أنا مش عارفة هي مبقرفش!!.

نظرت لها "يمنى" بيأس بمعنى لا أدري، وهنا تحدثت
"أهّلة" باستغراب شديد:

_ البت "ملك" فين مش ظاهرة!! تتحسد بجد.

هبت "يمنى" من على مقعدها، ثم حثتها قائلة:
_ تعالي نشوفها، مش من عوايدها تفضل ساكتة كدا.

استحسننت "أهّلة" اقتراحها، فاتجها كلتاها إلى غرفة
"ملك" طارقين على بابها بهدوء:
_ ملك أنت صاحبة!!

هتفت بها "أهّلة" بتساؤل، فأتاها صوت "ملك" المتحشرج:
_ تعالي يا "أهّلة" ادخلي أنا صاحبة.

دلفت "يمنى وأهّلة" معًا، فوجدوا أعين شقيقتهم مُنتفخة
ببكاء، هرعت "يمنى" تجاه شقيقتها تجلس جانبها على
الفراش وهي تتسائل بقلق:
_ مالك يا "ملك" بتعطي ليه!!

لم تُجيبها بل ظلت مُنهمكة في البكاء مُتَحسرة على ما
أصابها، اتجهت "أهّلة" نحو الكومود ثم أمسكت بكوب
الماء الموجود عليه، ماددة يدها نحو فم شقيقتها تحثها
على تضجرع رشفة صغيرة منه حتى تهدأ:

_خُدي اشربي واهدي عشان نعرف إيه اللي حصل.

ارتشفت ملك القليل من الماء، مدت "يُمنى" يدها إليها
تمسح دمعاتها الهابطة على وجنتها، ثم سألتها بحنان
وقلق:

_مالك يا "يمونة"، ليه العياط دا كله!! اوعي يكون من
ماما!!

هزت رأسها نفيًا ببكاء، ثم أردفت بصوت مبجوح:

_إ.. "إبراهيم" سابني.

_دا أي واحد فيهم!!

هكذا أردفت "أهّلة" بسخرية وغيظ، فأجابتها "ملك" وهي
تمسح دموعها:

_اللي من اسكندرية.

دفعتها "يمنى" غيظًا بعدما كانت مُتأثرة ببكاؤها، صارخة بها:

_بقي أنت بتعطي عشان "إبراهيم" سابك!! ياختي بركة إنه سابك أقسم بالله، ما هو لو يعرف عن دستة الرجالة اللي بتكلمهم كان فتح دماغك قبل ما يسيبك.

حدجتها "ملك" بسخط ثم هبت صائحة:

_في إيه يا "يمنى"!!!! ما أنت عارفة إني بتضايق لما حد فيهم بيزعل مني أو يسبيني، مش بيهون عليا زعلم ياستي.

هنا وصعد صوت "أهلة" ينهرها:

_يا "ملك" الطريق اللي أنت ماشية فيه دا آخرته مش حلوة، صدقيني هتخسري كثير، مش عيب لما تحبي، لكن متروحيش تحبيلي 12 راجل وتقوليلي بحبهم كلهم!! سيبتي إيه أنت للرجالة كدا بقي!!

تأففت "ملك" بحنق تمسح آخر دمة من على أهدابها:

حارة القناص

_يوه بقى، أنا غلطانة إني قولتلكم بجد، دا بدل ما تهونوا
عليا!! كدا راجل من رجالتى نقصوا وبقوا 11، هجيب الـ12
منين دلوقتي بقى!!

نظرت لها "يمنى" بسخط تاركة لهم الغرفة وذهبت، بينما
طالعتها "أهّلة" بضيق، هاتفة قبل أن تخرج من الغرفة:
_لو معقتيش قسماً بالله يا "ملك" هقول لماما وهي
هتتصرف معاك بطريقتها بقى.

أغلقت الباب بقوة خلفها بغضب، فنظرت "ملك" لأثرها
مُتمتمة بضيق مع نفسها:
_وأنا عملت إيه لدا كله يعني!! فيها إيه لما أحب 12
واحد!!.

قاطع تمتمتها رنين الهاتف الذي صدح فجأةً، أمسكته
لنتفحصه، وما هي إلا ثوانٍ وارتسمت ابتسامة عريضة على
ثغرها قبل أن تُجيب بهيام:
_وحشتني يا "معتز".....

وصل الشباب إلى منزل "رائد" في حال أفضل بكثير،
فصداقتهم تُعتبر ذلك الرابط المتين التي تجمع أربعتهم،

حارة القناص

الحب والود مُتشكل بينهم، وهذا ما يجعل صداقتهم تدوم
لفترة أطول.

دلف الجميع للداخل، وكالعادة وجدوا "محروس" والد
"رائد" يُغازل زوجته "جيهان":

_جمالك يا أم "رائد" زي جمال البط البلدي السائد، ريشك
خطفني، عينك جابتني، ودنك ادتني.. من الأمل طاقة.

صفق الشباب عاليًا مُحيين إياه على هذا الشعر الراقى
العظيم، بينما صفر "قاسم" مُشجعًا بهتاف:
_الله أكبر، إيه الحلاوة دي، إيه الطعامة دي.

خرجت "لواحظ" من غرفتها بلامح ناعسة مُتهجمة
الوجه، يبدو أنهم أيقظوها من نومتها، ويبدو أيضًا أنهم
سيتلقوا توبيخًا لاذعًا، وحدث ما توقعوه عندما صاحت
بحدة:

_مش عارفة أنام منكم يا ولاد ال*** يا شوية زبالة.

ابتلع "رائد" ريقه بقلق مُردفًا بإعتذار:

_حقك عليا يا ستي، ادخلي نامي وارتاحي أنتِ.

طالعه بإشمئزاز، ثم بصقت عليه صارخة قبل أن تدلف
وتُغلق الباب بوجههم:

_ اتفوخس عليكم وعلى تربيتكم اللي تعر.

حمم "قاسم" وهو يُعدل من ياقة ملابسه قائلاً:

_ شكلنا غير مُرحب بينا هنا يا شباب، حيث كدا بقى أنا داخل
المطبخ هشرب.

نظر "محروس" لأثره بإستنكار مُتحدثاً بسخط:

_ وأنا اللي مفكر إن الواد عنده كرامة وهيمشي!!

دلف "قاسم" للمطبخ، فوجد "سهيلة" تُمسك بكوب من
النسكافيه الساخن تتذوق رشفته الاولى بإستمتاع، وما
كادت أن ترتشف الثانية؛ حتى وجدت من ينتشل الكوب من
بين يديها مُتحدثاً بسماجة:

_ ثانكس يا هايلة، تسلم إيدك.

طالعه ببلاهة وهو يرتشف الكوب بإستمتاع، فتحول وجهها
إلى الغضب تمد يدها لإنتشال الكوب من بين يده بسخط:

حارة القناص

_ هات يا عم النسكافيه بتاعي هي إيه البلطجة دي!!

هددها "قاسم" ببرود وهو يشير لإتجاه ما:

_ هتسكتي ولا أنادي لـ "چيچي" وأوريها المواعين اللي
متعملتش!!

كزت على أسنانها بغيظ مُردفة:

_ أنت.. أنت.. أنت بارد.

_ عارف يا أخت "هايلة"، المهم بقى قوليلي عملتي إيه مع
البت اللي ضايقتك في الجامعة!!

تحدثت "سهيلة" بثقة تزامناً مع بدأها لغسل الأواني
المُتراكمة أمامها:

_ عيب عليك، سمعت كلامك طبعاً ولما جت تضايقتي تاني
قولتلها أمك رقاصة وجبتها من شعرها قدام صاحبها اللي
بتتنفخخ بيها.

تحدث بإعجاب مُشجعاً:

_ تربيتي.

حارة القناص

غمزت له بمرح وهي تُجيبه:
_ عيب عليك، بتعلم بسرعة.

جاء اليوم الثاني مُسرِعًا، وقد نجح "فور" في إيصال موعد قتل القناص لأحد الأشخاص برسالة بريدية سلمها بنفسه لأحد العساكر بعدما أخفى وجهه بقبعة كبيرة حتى لا يتم كشفه، وعادةً ما يُسجل موعد القتل مُتأخرًا نصف ساعة حتى يكون انتهى تمامًا من ضحيته.

كانت الساعة الحادية عشر مساءً، بين الأشجار الكثيفة والجو المُعتم المُخيف، كان يقف هو بثبات يُطبق على الأنفاس، وأمامه ضحيته تأن بألم شديد من شدة الألم، لقد ضربه كثيرًا حتى خرجت الدماء من فمه، مال القناص أمام وجه ذلك المُمرض والذي يعمل لدى مشفى "الأرمني" بإبتسامة خبيثة أَرعبته، ثم همس بشر:

_ ها يا "عبيد"!! يارب أكون مقصرتش في واجبي.

خرج صوت "عبيد" مكتومًا بألم يسأله بصعوبة:

_ أنت.. أنت عايز مني إيه!!

قتلوه ليه!!

همسة خرجت من فمه بشر، سيفتح أبواب الجميع على الجميع لكن بالترتيب، وسيعلم ما يريد علمه، وعلى بُعد ليس بالكبير خلف أحد الأشجار، كانت تقف هي تقوم بتصوير كل ما تستطيع تصويره، لقد تمكنت منه، كانت تعلم بأنه يأتي قبل ميعاده دائماً كما حدث في الجريمتين التي تسبق تلك، وها هي نجحت في الوصول إليه.

وبينما كانت تُصور، استمعت لصوت صراخ الرجل بقوة شديدة، وما كادت أن تصرخ؛ حتى انقطع صوتها عندما رآته يشق عنقه ببطئٍ وتلذذٍ شديداً، وما أوقف نبض قلبها لثوانٍ هو تثبيت بصره تجاهها بثبات وكأنه يعلم عن وجودها من قبل، تبعه قوله الغليظ والذي أصدماها بقوة:

أهلاً أهلاً بالصحفية «المجهولة النارية»!!!.

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

اشروق حسن |

من سنن الرسول ﷺ :

النهي عن اللعن: عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ".

رواه البخاري ومسلم.

#سنن مهجورة.

«الفصل الثالث»

«حارة القناص»

إتفاق

جميعنا مُحاصرون بالشر، تطولنا الأيدي الخبيثة لتلوثنا، وما عليك سوى المُجازفة للهرب، والنتيجة؛ إما أن ننفذ بجلودنا غير مدنسين بما ألقوه علينا من تعاويد مُهلكة، وإما أن نُحصر في دائرة لا يمكننا الخلاص منها فيما بعد، والخيار الثاني هو الأكثر شيوعًا..!

قتله بدم بارد دون أن يرف له جفن، هو مُذنب كما الآخرين، بل وقاتل أيضاً، نفذ "قاسم" مهمته بقتل المُمرض الذي يعمل بمشفى الأرماني، بعد أن شفى غليله منه واقتص لحق ذاته، ليلمح بطرف عيناه تلك الدخيلة التي اقتحمت سكونه، كان يعرفها جيداً، فتصريحاتها الخطيرة المُخبئة خلف اسمها المُستعار كانت تنال إعجابه بشدة، وكأنها تُساعده بطريقة غير مُباشرة، لذلك بحث خلفها "المجهولة النارية"، حتى توصل إلى هويتها بعد بحث دام لعشرة أيام كاملة، وها هي قد جاءت إليه وحدها دون مجهود يُذكر منه.

التفت إليها ينظر لظلها المعكوس بخبث، التوى ثغره بابتسامة ساخرة قبل أن يصعد صوته المليء بالمكر:

أهلاً أهلاً بالصحفية «المجهولة النارية»!!

تصنم جسدها من الصدمة، وآخر شيء كانت تتوقعه أن يُكشف أمرها بواسطة هذا القاتل، ارتعشت أطرافها بقوة، وشعور الغثيان بات يُهاجمها بقوة، لقد رأت دماء ذلك المُمرض تتناثر من حوله على الأرض بعدما شق عنقه، مشهد مُخيف ومثير للإشمئزاز.

حارة القناص

لم يجد منها أي استجابة، لذلك خرج صوته ساخرًا يحثها
على الإستجابة:

_قربي قربي يا شيخة، دا احنا بقينا أهل خلاص.

خرجت من خلف الشجرة الكبيرة المُختبئة خلفها تجر قدمها
بصعوبة، ما هذا الدوار الذي يُداهمها الآن!! اقتربت منه
ناظرة للجنة من خلفه بأعين مُتفحصة، لتستمع إلى صوته
يسألها بهدوء:

_إيه رأيك في العرض!! بدمتك مش كان حلو!!

رفعت أنظارها إليه تُطالعه بجمود، التوى ثغرها عن ابتسامة
ماكرة وهي تُجيبه مؤكدة على حديثه:

_كان حلو، لأ وعجبني، بس تقدر تقول كدا إني بقرف.

تعجب من قوتها وبرودها المثير للأعصاب هذا، فقد ظن
بأنه سيجد خوفًا بدلًا من تلك القوة التي تُظهرها في عيناها،
اقترب منها خطوتين ثم شبك كِلتا يديه معًا مُتسائلًا:

_جاية هنا ليه!! أظن الأخبار وصلتك إن العملية هتم 11
مش 10.

حارة القناص

أجابته ساخرة وهي تهز كتفها ببرود:

_مزاجي، وطالما مزاجي قالي إني آجي بدري يبقى أعمل
اللي على كيفي أنا مش على كيفك أنت.

لوى شفتيه بإعجاب مُبدئياً يثني على حديثها:

_لأ عجبتي، بس للأسف لسانك الحلو دا مش هيدوم كثير.

قال جملة الأخريرة أثناء إخراجهِ لسلاحه من جيب بنطاله
الخلفي، مُوجهاً إياه نحو رأسها بنظرات تحولت للقسوة
والشر، لا تتكر بأنها خافت للحظات، لكن عاد برودها
يُسيطر عليها من جديد، وكان مُتأكدة أن الذي أمامها لن
يستطيع إيدائها:

_نزل اللي في إيدك وخلينا نعمل إتفاق، عجبك كان بها،
معجبكش تقدر تعمل اللي يريحك.

أنزل سلاحه ضاغظاً بيده على أنفه وعيناه مُثبتتان على
خاصتها وكأنه يقرأهما، خرج صوته مُتسائلاً وهو يُحدجها
بجمود:

_إيه اللي مخليك واثقة كدا!!

حارة القناص

التوى ثغرها بعثت قبل أن تُجيبه بمكر يُشابهه:

_هدفنا واحد يا قناص، عيلة "الأرمانى" تخلص واحد ورا
التانى.

صدر من بين شفثيه صوتًا مستنكرًا متحدثًا بما جعل الدماء
تفور إلى وجهها:

_إيه دا هي عيلة "الأرمانى" علموا عليك أنتِ كمان؟!!

ورغم أنها كانت تستشيط غضبًا من كلماته، إلا أنها ردت له
نفس الحديث بتهكم صريح وقوة:
_زي ما علموا عليك أنتِ كمان.

توقعت أن يغضب، يثور، أو على الأقل يُلقى على مسامعها
الكثير من الكلمات اللاذعة، لكنه خالف توقعاتها عندما علت
ضحكاته المكان عقب جملتها، حدجته بدهشة ظهرت على
محيائها، ورغم القلق الذي تلبسها؛ إلا أنها أردفت بلامبالاة
زائفة:

_إيه اللي يضحك في كلامي!!

توقف عن الضحك مُجيبًا إياها وهو يأخذ أنفاسه اللاهثة:

__ولا حاجة متشغليش بالك..

صمت قليلاً ثم اقترب منها على بغتة بعدما تحول وجهه للقسوة مُتغيراً إلى إنسان آخر عن الذي كان يتحدث منذ ثوانٍ معدودة، أمسك بذراعها لاويًا إياها خلف ظهرها بقوة آلامتها لكنها أظهرت الثبات، ثم أردف بإنفعال ممزوج بالقسوة:

__أنا محدش يقدر يعلم عليا، أنا بس اللي بعلم على الناس، والدليل قدامك أهو..

أردف بجملته الأخيرة وهو يُشير إلى جثة "عبيد" المُلقاه بجانب إحدى الأشجار بعشوائية، ثم استطرد حديثه هامساً لها بشر:

__وعندي استعداد أخليك مكانه في أي وقت وأي لحظة أنا عايزها، بس زي ما قولتي هدفنا واحد، وبما إنك صحفية فأنا عايزك الأيام اللي جاية دي، هتفيديني كتير.

شعرت بالإشمزاز من لمساته، نظرت ليدته التي تُمسك بذراعها بقرف شديد، وكأنه كائن لزج مليء بالفضلات، لم تسمع أو تفقه أي شيء مما تحدث به، بل ظلت تتلوى بين يديه ليترك بها، وكان هو يظنه خوفاً لا إشمزازاً، تركها

عندما زادت مُقاومتها، وما كاد أن يتحدث حتى طالعها
باستغراب عندما وجدها تمسح مكان لمساته بهستيرية
شديدة.

ضيق عيناه بتعجب من أفعالها الغريبة عليه تلك، ظن أنها
تُعاني من حالة نفسية من الرجال، لكن هرولتها من أمامه
لتختبئ خلف أحد الأشجار واستماعه لصوت تقيؤها جعله
يُخمن بأن لديها وسواس قهري، هو ليس بطبيب نفسي
لكنه درس الأمراض النفسية كفروع ثانوية بجانب دراسته
الأساسية.

انتظر قليلاً حتى تستعيد ثباتها ليُحافظ على مساحتها
الشخصية، عداوته ليست معها، بل مع كل من له دخل في
أذيته، لذلك ليكون رؤوفاً بها قليلاً، تابع سيرها المُتمهل
تجاهه ومسحها بمنديلها الورقي مكان لمساته بإشمنزاز،
قرر التخفيف عنها قليلاً لذلك تحدث مُوجهًا حديثه لها
بمشاكسة:

__متخافيش لسه مستحمي قبل ما آجي، يعني مش معفن.

طالعتة بغل ولم تُجيبه، تكره رؤية أحدهم لها بهذا الضعف،
لكن لم تتحمل لمساته التي أصابتها بالغثيان وتقيات،
استمعت إلى صوته الذي عاد لحالة جموده مرة أخرى وهو
يردف:

_ يلا عشان البوليس زمانه على وصول.

قالها ثم سبقها بعدة خطوات بطيئة، جاعلاً إياها تنظر لأثره
بصدمة، هل هو أبله أم ماذا؟ كيف يتحول بتلك السرعة!
فتارةً تشعر وكأنه رجل طبيعي، وتارةً أخرى تراه غامض لا
يمكنها قراءته.

تبعته بهدوء وظلت تسير خلفه على الأوراق المتساقطة
لمدة عشرون دقيقة تقريباً حتى وصلا إلى الطريق العام
المليء بالمارة، وقف ينظر لها بطرف عيناه، ثم تحدث
بهدوء حاد:

_ تعالي امشي جنبى عشان محدش يشك فينا.

التوى ثغرها باستنكار وهي تُجيبه:

_ وهياخدوا بالهم إزاي إن شاء الله!! وبعدين الجو ليل
والطريق فاضي.

حارة القناص

وضع يده بجيب بنطاله الأسود مُردفًا بنفاذ صبر:

_اسألتك كثير وأنا دماغي بتوجعني، يعني إيه الجو ليل!! ما فيه كاميرات متتيلة مزروعة في كل حِته، اخلصي اتيلي وامشي جنبي أنا مش هاكلك.

أشاحت بيدها أمام وجهه هاتفه أمام وجهه بصوت عالٍ:

_لأ لا بقولك إيه.. أنا مسـمحلـكش، أنت تقف عوج وتتكلم عدل عشان مزعلكش، وأنا زعلي وحش وهيضايـك.

احتدت عيناه غضبًا، فاقترب منها خطوتين وابتعدت هي مثلها بفرع، فصعد صوته حادًا غليظًا:

_صوتك الحلو دا لو علي تاني أنا هقطعك لسانك بالسكينة القمر اللي معايا دي، أنت فاهمة!!

ارتعشت أطرافها مع صراخه الأخير بها، وبتلقائية أوامات له مُوافقة على حديثه رغم غضبها من صراخه عليها، لكن غضبه يُثير خوفها حقًا من بشاعته، ارتسمت ابتسامة مُجاملة على وجهه، ثم أردف بتشجيع:

_أيوا كدا شطورة وتعجبيني.

حارة القناص

في تلك اللحظة أقسمت أن لديه انفصام، هذا الرجل يُثير فضولها حقًا، كانت تظن أن شخصية القناص ما هي إلا شخصية غامضة، مثيرة، وقحة، حادة، قاتلة، ومجرم، لكن لم تكن تعلم بانفصامه أيضًا، حتى ذلك الجزء العايب به لم تكن لتتوقعه.

استفاقت على صوته وهي تسير بجانبه لكن مع الحفاظ على مسافة مناسبة وهو يُردد بهدوء وتفكير:

_البوليس دلوقتي زمانه وصل لمكان الجريمة، عايزك بكرا تجهزيلي خبر محترم من اللي قلبك يحبه زي بتاع الأسبوع اللي فات.

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفثيها وهي تُجيبه بمكر:

_فيه خبر بكرا لسه هيتنشر طازة هيقلب الدنيا، كان المفروض يتنشر النهاردة بس حصل عُطل، بس دا ميمنعش إني أكتب عن الجريمة اللي حصلت دلوقتي.

غمز لها مُبدئيًا إعجابه بعملها:

_كفاءة.

ابتسمت بخفة على قوله ثم سارت جانبه صامتة طوال الطريق، تُفكر في مستقبلها المجهول والمُبهم، وكأنه كان يُشاركها ويفكر فيما تُفكر به، لمع في عقلها سؤالاً لم تتردد لحظة واحدة في طرحه، لذلك تحدثت على بغتة وهي تسأله:
_ليه عايز تنتقم من عيلة الارماني!!

ظل واضحاً لكفيه في جيب بنطاله ولم يُجيبها، ورغم غيظها من بروده، إلا إنها كانت مُتيقنة من أذى عائلة "الارماني" له بأي شكل من الأشكال، كما أدوها هي...!!

وقفوا على مقدمة الشارع التي تسكن بها "أهلة"، ثم استدار لها مُفجراً مفاجئته التي صنمتها في مكانها قبل أن يذهب ويتركها:

_اعملي حسابك هاجي اتقدمك بكرة، الاتفاق اللي بينا مينفعش بمجرد كلام، لازم حاجة تربطنا عشان محدش يشك فينا، سلام يا كفاءة.

قال الأخيرة بغمزة مُشاكسة، تاركاً إياها في صدمتها تنظر لأثره بصدمة واضحة على ملامح وجهها الأبله، رمشت بجفنيها عدة مرات عندما اختفى أثره من أمامها، مُتمتمة مع ذاتها بحماقة أثناء عودتها لمنزلها:

هو.. هو قال إيه!! يتجوز مين!!!!!!.

تمطعت "ملك" على معدتها أثناء تقلبها في هاتفها على إحدى وسائل التواصل الإجتماعي، المسمى بـ«فيسبوك»، ظلت تتفحص المنشورات بملل شديد وهي تتفخ بنفاذ صبر، حتى توقفت فجأة وهي ترى اقتراحات الصداقة المعروض عليها، ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغرها عندما رأت الكثير والكثير من الشباب رائعين المظهر.

انقطعت أنفاسها عندما وجدت شخصًا منهم قد أرسل لها طلب صداقة، كم كان مظهره وسيماً ولائقاً نال إعجابها، قرأت اسمه بتمعن حتى توقفت عند اسم عائلته للحظة، ثم انفجرت في الضحك، حاولت كتم ضحكاتهما بصعوبة حتى لا تستمع والدتها إليها، وبعد صعوبة بالغة نجحت في ذلك، قرأت الاسم مرة أخرى بابتسامة واسعة مُرددة بصوت هامس "رائد محروس الجعان"!!!!.

وبدون تفكير قامت بقبول طلب صداقته نظرًا لشخصيته الوسيمة، فالتضع اسمه المضحك جانبًا الآن، همست مع نفسها بسعادة طاغية:

وأخيرًا كملت الـ12 راجل تاني!! لم علينا عبيدك يارب.

وضعت الهاتف جانبًا ثم تمددت على ظهرها تسحب الغطاء فوقها بإرتخاء، في نية لتخلد إلى النوم، وهي مُتأكدة بقوة بأنها ستستيقظ وتجد منه رسالة ترحيب ليبدأ في تبادل الأحاديث معها.

لتعلم أن مقدار جهادك يكمن في قوتك وقوة إيمانك، سيأتي الشيطان من جميع النواحي لإيقاعك في ذنبٍ لست بقاصده، ذنب سيأخذك لطريقٍ أنت كارهه، تحبه في البداية، وفي نهايته تكره ذاتك لوقوعك في مثل ذلك الإثم العظيم.

استندت "سهيلة" على ظهر فراشها تحمل هاتفها بين يديها فاتحة إحدى التطبيقات برتقالية اللون، موقع كبير يحتوي على الكثير من القصص والروايات يُسمى «الواتباد»، ظلت تبحث عن رواية تجذبها لقراءتها، حتى وجدت رواية بغلافًا واسمًا جذابين للغاية، فتحت بهدوء ثم بدأت بقراءتها بتروي.

كانت القصة في بدايتها ذات طابع قوي من حيث أفكارها وحوارها، وهذا ما جذبها بها للغاية، لتغمس في قرائتها

دون أي شعور بما حولها، قرأت الفصل الأول، وبعدها الثاني، يليه الثالث، حتى وصلت للرابع والأحداث الشيقة تجذبها نحوها لإنهائها.

وأثناء انغماسها بالقراءة، توقفت عند أحد المشاهد التي تحمل وصفاً رومانسياً عميقاً، حاولت تجاهله مثلما تفعل في كل قصة قرأتها من قبل، لكن تلك المرة تحديداً غلبتها نفسها الضعيفة لتبدأ في قراءة المشهد بالكامل، وأثناء انتقال عينيها بين الكلمات تشعر بسخونة خجلة تسري في أوردتها من وقاحة المشهد، لقد قبّل البطل لزوجته بطريقة حقيرة جعلتها تتخيل المشهد كاملاً، ابتلعت ريقها بتوتر مما قرأته، فهي ولأول مرة تقرأ مشهد بكل تلك الجرأة!!

المسكينة تظن أن الأمر توقف لـهنا!! لا تعلم بقية القصة، انتهى المشهد ومعه شعرت بالدوار يُداهمها، ذلك التخيل أصاب رأسها بصداً حاداً، وعقلها مازال يدور ويُعيد تلك الكلمات في ذاكرتها مُجدداً، لتبدأ في تخيلها مرة أخرى.

قررت إلهاء نفسها عن التفكير بقراءة بقية القصة، وباليتمتها لم تفعل ذلك، فقد جذبتها أحداث القصة مُجدداً، وبعد قرائتها لما يقرب من خمسة فصول أخرى وصلت للفصل ما قبل الأخير، ويا ليتها نامت لم تقرأه، ظلت تقرأ حتى وصلت

لمشهد رومانسي آخر، كادت أن تتجاهله لكن غلبتها نفسها
الخبیثة مرة أخرى وبدأت بقرائته بهدوء شديد.

ومع كل كلمة تقرأها تتعالى ضربات قلبها كالأمواج الهائجة
من حدة المشهد ووقاحته، فلم يتوقف على قبلة وبعد
اللمسات فقط، بل كان يصف مشهد حميمًا كاملًا، جعلت
الإدرينالين يتصاعد لرأسها وجميع جسدها لتُصيبها حرارة
شديدة، رغم برودة الجو من حولها، ارتعشت أصابعها
المُمسكة بالهاتف ولم تستطع الإمساك به، ليسقط على
الغطاء فوقها، وعقلها يُخيل لها جميع المشاهد القبيحة
بطريقة أقبح.

عضت على شفيتها تمنع ذاتها من الإسترسال في خيالاتها،
ولأول مرة تكتشف أعماق الواتباد، الكثير والكثير من
القصص الوقحة الخادشة للحياء تُدون به، ورغم سوءها إلا
إنها لديها إقبال كبير لعدد كبير من القراء المُراهقين والغير
مُراهقين.

وضعت هاتفها جانبًا ثم استلقت على ظهرها بوهن، لقد
قرأت عن أشياء لم تكن تعلم عنها شيء برغم كبرها،
وضعت يدها على وجنتها لتجدها شديدة السخونة، وكذلك
قلبها يطرق كالطبول ولا تعلم لماذا، أغمضت عينيها ببطئ

تظن بأنها ستنام سريعاً، فعادت التخيلات مرة أخرى تحوم في عقلها دون رحمة.

وها هي ضحية جديدة وقعت تحت براثن فتاة تظن بأنها كاتبة، تُدون بعض الكلمات الوقحة بجانب بعضها وتُطلق عليها اسم رواية، لا تعلم بأن تلك الكلمات البسيطة التي دونتها ضيعت مستقبل كثير من الفتيات، ومن ضمنها هي...!!

فراق... كلمة مُكونة من أربعة أحرف، بين طياتها الكثير من الألم والمعاناة، قد تظهر بأنك قوياً صامداً، والحقيقة بأنك مجرد هَش تحتاج للإحتواء، وإن لم تجد تضطر إلى مشاركة جدران غرفتك الجامدة حزنك الدفين، ولو استمع العالم لصرخات فؤادك لانتفض هلعاً من شدته، لكن من سيشعر بك سوى ذاتك!!

انكمشت على ذاتها تضم قدمها إلى صدرها تحتمي من العالم، وجهت بصرها لشرفة حجرتها المفتوحة على مصرعيها، نظرت للقمر المُكتمل بدموع تهبط على صفحات وجهها الحزين، شهقت "حبيبة" بقوة مُصدرة أنيناً باكياً من

فأهها، كأنها تُقدم العزاء لذاتها لفقدانها لوأدها، فبرغم شدته وصرامته إلا أنه كان أحن عليها من والدتها القاسية.

استمعت إلى صوت طرق على الباب فأذنت للطارق بصوت مُتَحَرِّجٍ بِأَكِّ لِلدخول:

__ ادخل.

دلفت والدتها في تلك الأثناء في كامل أناقتها، تردي فستاناً من اللون الكحلي الغامق واضعة مكياج لوجهها كاملاً، طالعتها "حبيبة" باستنكار حاد ولم تُعقب، فلو تحدثت ستنتال توبيخاً لاذعاً منها الآن، صممت تئن ببكاء، لتستمع إلى صوت تأفف والدتها الصارخ، تلاه صراخها المُتعصب:

__ أنتِ هتفضلي في المناحة دي كثير!! أبوك مات وخلص، إيه لازمة القلق اللي أنتِ عاملاه دا كله!!!

حدجتها بسخط، فانتفضت من مكانها صارخة بوجهها ولأول مرة بكره واضح:

__ أنتِ بني آدمة معندكيش دم.

وما إن انتهت جملتها؛ وجدت صفة قوية تهبط على وجهها أدت إلى ترنحها للخلف لضئالة جسدها، وضعت "حبيبة"

يدها على وجهها مكان صفتها مُطالعة إياها بجمود مُخيف،
هبطت والدتها لمستواها تُمسكها من عظمة فكها بقوة وهي
تقول:

من بkra الصبح هتروحي البيوتي سنتر عملي شعرك
وضوافرك وتظبيط لوشك عشان ورانا تصوير، أنا مش
هعطل شغلي عشانك أنت وأبوك، مش هيقرني حتى وهو
ميت.

كانت تستمع إلى حديثها بصدمة شديدة، وددت لو كان كل ما
تُعائشه ما هو إلا حُلماً مُزعجاً ستستيقظ منه بعد قليل، لكن
للحقيقة المؤسفة؛ لم يكن إلا واقعاً مريراً تُعائشه بكل طاقتها
التي بدأت تنفذ تدريجياً.

جريمة جديدة تُسجل إلى القضايا الجنائية، والضحية هو
"عبيد"، المُمرض الذي يعمل بمشفى عائلته، وكالعادة
عائلته وكل ما يخصها هم المُستهدفون، جذب "صهيب"
خصلاته بقوة حتى كاد أن يقتلعها، ماذا يفعل!!! كيف يصل
إلى القاتل!! من الفاعل!! لِمَا عائلته خاصةً هي المقصودة!!
كاد أن يُجن من كثرة التساؤلات التي تدور بعقله ولا يجد
لها إجابة.

حارة القناص

جاء إليه أحد العساكر مُمسكًا في يده شيء ما قائلاً بعملية:
_ "صهيب" بيه... لقينا دا يا فندم.

أمسك "صهيب" بما جلبه بأعين تتطلق منها الشرر، إنه كارت خاص بالقناص، يتعمد وضعه جانب ضحيته ليضع علامته عليها، اشتدت يده حول الكارت حتى ثناه بغضب أعمى بصيرته، رغبته في الإنتقام تزداد يوماً بعد يوم، وفضوله في معرفة القناص يكاد أن يقتله، لذلك أصر في قرارة نفسه أن يصل إليه مهما كان الثمن.

صدحت شمس يومٍ جديدٍ مُختلفٍ كُلياً عن ذي قبل، استيقظ الشباب جميعاً جالسين على أريكة واحدة، دفع "قاسم" "رائد" الذي يتثائب متحدثاً بضجر:

_ يا أخي وسع إيدك اللي هتخرم عيني دي.

حدجه "رائد" باستنكار ولم يُعقب، بل لم يجد طاقة للرد عليه إن صح القول، استند برأسه على كتف "جون" مُغمضاً لعينيه بنعاس شديد، فدفعه "جون" هو الآخر بسخط قائلاً:

_ ابتعد يا رجل، لا تكن مثل العلكة هكذا.

لم يتحمل "رائد" معاملتهم، فقام بدفعهم الاثنين على بعضهم ليقعوا أرضًا، ثم نام على الأريكة بنعاس شديد غافلًا عن تلك النظرات الكارهة التي يُحدجونها بها، ارتسم المكر على عين "قاسم"، وذهب ناحية الثلجة الموجودة بنهاية الرواق، جالبًا مكعبًا من الثلج ليضعه داخل ملابسه.

انتفض "رائد" يقفز من مكانه كالقار الهارب، ظل يصرخ أثناء محاولته لجذب قطعة الثلج التي تلتصق بجسده ووثابه، بينما كُلا من "قاسم وچون" منفجرين في الضحك على مظهره الذي زاد من ضحكاتهم.

توقفوا فجأة عندما وجدوا "فور" يخرج من المطبخ حاملاً صينية كبيرة من الطعام، تحتوي على جميع الانواع بكل أصنافها، وعلى وجهه ترتسم معالم الإمتعاض والضيق الشديد.

وضع الصينية أرضًا ثم جلس أمامها مُربعًا قدميه معًا وبعض الكلمات الغير مسموعة تخرج من فمه، لكن لم يتسطيعوا التقاط أيًا منها، نظر "چون" لـ "قاسم" يسأله بعيناه، ليهز "قاسم" رأسه بجهل، فنظر كلاهما لـ "رائد" دون حديث، وكانت الإجابة عدم معرفته بشيء هو الآخر.

حارة القناص

اقترب ثلاثتهم منه مُجمعين حوله، وما كادوا ان يسألوه عن سبب ضيقه، حتى وجدوه يصرخ بهم بغضب:

مَنْ سيلمس طعامي أقسم بأبي سأقطع يده إربًا، ابتعدوا عن هنا أيها الأوغاد.

حدجوه باستنكار فصاح "رائد" بسخط:

تصدق إن احنا أوغاد فعلاً إننا عاملين قيمة لعيل معفن زيك!! وبعدين أنت جايب التونة دي ليه من التلاجة!! دي تخصني أنا.

نهره "فور" مُصححاً له حديثه:

تخصنا، صح مصطلحاتك إذا سمحت سيد "رائد".

ردد "رائد" كلمته بعدم تصديق:

سيد "رائد"، أنت عارف آخر مرة حد احترمني كان امتي؟! وأنا كنت بمثل دور الأستاذ في مسرحية المدرسة.

تجاهل "قاسم" حديثهم ثم سأله مباشرة:

مالك لاوي بوزك على الصبح ليه!! مين ضربك!!

حارة القناص

أجابه بحنق وهو يدس قطعة كبيرة من الخبز والجبن:
_ لم يضربني أحد، اصمت الآن ودعني وشأني.

_ أنت بتقولي أنا اصمت!!

تسائل "قاسم" بجمود وها قد عاد لشخصيته الباردة، فهز
"فور" رأسه ينفي له على الفور:
_ أقصد "رائد" لست أنت عزيزي "قاسم".

تأفف "چون" متسائلاً:

_ هيا يا فتى قل لنا ما الذي يُزعجك.

وضع "فور" الطعام من يده ثم تحدث بحزن ظاهر في
نبرته:

_ أتذكرون تلك الفتاة التي قلت لكم بأنني سأذهب وأعترف
لها بحبي!!!

أوما له الجميع بصمت فسأله "قاسم" مُستفسراً عن سبب
حزنه:

_رفضك يعني عشان كدا زعلان!!

هز رأسه بنفي حاد مُكملاً حديثه بألم:

_بل قالت لي أنها شاذة ولا تُقبَل سوى الفتيات... ثم
قبلتني!!

ظن أنه سيجد المواساة والكلمات الداعمة منهم، لكنه لم يجد
سوى الضحك الهستيري منهم، أمسك "جون" بمعدته مُطلقاً
ضحكات عالية كما الجميع، ثم تحدث بصعوبة من بين
ضحكاته:

_هل تقصد بأنها تراك فتاة!!!

أكمل "قاسم" لحديثه ضاحكاً بشدة:

_أو شايفاه أرجل واحد في النسوان.

ضرب "رائد" كفه بكف "قاسم" صائحاً بصعوبة:

_مش قادر أقسم بالله.

حارة القناص

انتفض "فور" من مكانه بغضب واقفًا، ليتجه نحو غرفته
غالقًا الباب بوجههم، ثوانٍ وفتحته مرة أخرى قبل أن يهتف
بصراخ:

_أريد أن أقول لكم شيئًا واحدًا... "تبًا لكم يا أوغاد".

«يُتْبَع»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 🕊️

من سنن الرسول ﷺ :

الصلاة عند رؤية ما يكره في المنام، وترك التحدث به: قال ﷺ : "فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ".

رواه مسلم .

«الفصل الرابع»

«حارة القناص»

«من أجل أمي»

الحياة أشبه بوحش يهرول خلفك للقضاء على أحلامك، رغم محاولاتك للخلاص..

عاد "قاسم" إلى الحارة التي يقطن بها بعدما عاد حاملاً الكثير من الطعام والأدوية، نظر لواجهة المنزل الذي يقطن به مع أصدقائه بشمولية، فقد كان يتكون من ثلاثة طوابق مجهزة كلياً عدا الطابق الأخير، دلف للداخل ثم صعد على سلالم المنزل حتى وصل إلى الطابق الأول، وجد الباب مغلقاً وصوت الشباب العالي يظهر من خلفه بوضوح، تخطاه وصعد للطابق الثاني حتى وصل إليه.

وضع الحقائب أرضًا، ثم أخرج سلسلة المفاتيح من جيب بنطاله فاتحًا الباب بهدوء، حمل الحقائب مرة أخرى ثم دلف للشقة النظيفة تمامًا، أغلق الباب بقدمه مُكملًا طريقه للداخل، وتحديدًا نحو المطبخ، فتح أنواره بهدوء، وبعدها وضع الحقائب على الرخامة اللامعة، وبدأ بتعبئته في الثلاجة.

بعد فوات عدة ثواني، انتهى أخيرًا من رص الطعام داخل البراد، فأمسك بالأدوية وأخذها مُتجهًا إلى إحدى الغرف، طرق مرتان ثم دلف بعدها بهدوء، وقفت المُمرضة التي كانت تجلس على المقعد المجاور للفراش تُحييه بإبتسامة بسيطة:

اتفضل يا دكتور "قاسم".

بادلها "قاسم" ابتسامتها ثم تسائل بود:

عاملة إيه يا "لوسيندا"!.

أجابته بهدوء وهي تتجهز لتركه وحده بالغرفة:

كويسة الحمد لله، هسيب حضرتك تقعد معاها براحتك، عن إذنك.

حدجها بإمتنان ثم أفسح لها الطريق للخروج، أغلق الباب خلفها بهدوء، ثم اتجه ناحية الفراش بعدما جذب مقعد بلاستيكيًا أسود اللون، واضعًا إياه بالقرب منها، أمسك بكف يدها البارد بين يديه يُحيط بهما، ثم هبط عليه مُقبلًا إياه بحنان شديد، رفع عيناه لها مُمرًا إياها على وجهها الذي ازداد شحوبًا، قَرَّب وجهه من وجهها ثم همس لها بألم:

_ مش هتقومي بقى!! أنا موحشتكيش طيب!!

وكالعادة كان الصمت هو الإجابة، فلم يصدر منها أي ردة فعل سوى أنها صامتة، منذ ثمان أعوام وهي على تلك الحالة، تستفيق قليلًا، ثم تنام لأسابيع عدة!!

أخرج زفيرًا مُتحسرًا من بين شفتاه، هو اشتاق لها كصغير فقد حنان والدته، وبالفعل هو فقده، هذا ليس مجرد تشبيه، تسالت الدمعات إلى عيناه لتملأها بغزارة، فخرج صوته مُتحشرجًا بإرتعاش:

_ المُمرض اللي اشترك في الجريمة دي أنا قتلتة إمبرح، قتلتة وناري لسه مطفتش ولا قلبي عايز يهدى، هخليهم يدفعوا التمن غالي على اللي عملوه فيك، أنا مش هسامحهم، عمري ما هسامحهم ولا هرحمهم بس اللي عملوه فيك أنت وأخويا الله يرحمه.

والغرفة خالية من أي أصوات سوى صوت تنفسه العالي،
وهنا انهارت حصونه عندما أخبرها بنبرة باكية يرجوها:

_قومي يا ماما خليك معايا، أنا محتاج وجودك ودعمك ليا
زي ما كنت بتعملي معايا وأنا صغير، قومي أنا محتاج
لدعواتك ليا عشان أعرف أكمل اللي بدأتَه.

وعندما لم يجد منها أي استجابة واضحة له؛ بكى، بكى
شعورًا باليتم وهي على وجه الحياة، حرموه منها ومن أخيه
ليُصبح وحيدًا يُصارع الجميع وحده، شعر بأصابعها تضغط
على يده المُمسكة بها بخفة ضئيلة، فرفع رأسه سريعًا لها
ليجدها تفتح عيناها بوهن ناظرة للفراغ أمامها، اعتدل بغيته
قائلًا بعدم تصديق:

_ماما!! ماما أنت كويسة صح!!

وكعادتها لم يحصل على جوابًا منها، حولت أنظارها تجاهه
بصمت ولم تتكلم، فيكفيه نظراتها التي تُطالعها به بإشتياق
ظاهر في عيناها بعد ذهابها في غيبوبة مرضية لمدة
شهران كاملان، مدَّ رأسه إليها يطبع قبلة مُشتاقة أعلى
جبينها، ثم تحدث بألم بعدما عاد بأنظاره لها:

_وحشتيني أوي، متنايمش تاني، خليك معايا، أنا لوحدي.

قال الأخيرة بهمس خافت طرق له قلبها بعنف، لكنها لن تستطيع المواجهة، بل بالأحرى لن تستطيع العيش مجدداً، لقد فقدت الكثير ومازالت تعيش حياتها على حساب الماضي، تنام في غيبوبة مؤقتة وعند شعورها بحاجته إليها تستيقظ ثم تعود في حالة اللاوعي مرة أخرى، تاركة طاقة الإنتقام داخله تتجدد مع الوقت.

راقبها وهي تُغمض عيناها بهدوء، لذلك هبّ من مقعده جالساً جانبها على الفراش يقول برجاء:

_ لأ عشان خاطري كفايا هروب، بقالك تمن سنين سيياني لوحدني وبتعذب، طيب أنا مصعبتش عليك.

_ وأنا مصعبتش عليهم ليه!!.

خرج صوتها ضعيفاً وهي تتسائل بخفوت شديد، استند برأسه على كتفها يُجيبها بشهقات:

_ هجيبك حقك منهم والله بس متسبنيش، القانون معرفش يجيب حقك بس أنا هجبهولك، خلّيك معايا حرام عليك بلاش تسيبيني كدا.

رفعت كفها بعد عناء طويل تضعها على خصلاته تهمس له بصعوبة:

_خليك عارف إن أنت وأخوك الله يرحمه كنتوا أغلى حاجة في حياتي، ضحيت علشانكم كثير بس صدقني مبقتش قادرة.

خرج من أحضانها يُدجها بهلع، ودمعته تتسابق على صفحة وجهه متحدثًا بفرع:

_ليه بتقولي الكلام دا؟! أنتِ تعبانة!! حاسة بحاجة!!

هزت رأسها بالنفي وصدرها يعلو ويهبط بنهيج حاد، لقد تحدثت كثيرًا اليوم، واستعادت الكثير من الذكريات المؤلمة، ذهب "قاسم" إلى حقيبة الدواء جاذبًا منها إبرة الدواء، ملئها بالسائل الخاص بها ثم دفعها في ذراعها ببطئ، مسح على وجهها بحنان ثم أردف واعدًا إياها:

_هتتعالجي وهتكوني أحسن من الأول، هسفرك بعد اسبوعين لروسيا، هتتعالجي في أحسن مستشفى وأحسن الدكاترة هناك، وأنا هكون متابع معاك، مش هسيبك أبدًا.

رسمت ابتسامة هادئة على ثغرها ثم عادت لتغمض عيناها مجددًا، سحبتها الهالة السوداء تحصرها بين حياة تنسجها

من وحي خيالها هي، بعيداً عن واقعها المرير، ورغم راحتها؛ إلا أن قلبها يخفق بقلق على فلذة كبدها الجريح، لكن رغمًا عنها لا تستطيع مساعدته كما لا تستطيع مساعدة نفسها.

بينما هو نظر إليها بحسرة وقلبًا يئن من التعب، لقد أنهكه الكتمان والخوف، يخاف أن يأتي يومًا ويفقدها كما الآخرون، أمسك بكفها ثم قبّله بحنان شديد هامسًا جانب أذنها برجاء:

حاولي عشاني، مش هقدر أعيش من غيرك.

أحاط بخصرها ثم وضع رأسه بين صدرها ليشعر بالأمان، هو بحاجةها الآن أكثر من أي وقت، لكن هي لا تقاوم إلا قليلًا، وهو يفعل ما بوسعه لينهي سلسلة انتقامه ليذهب بها للخارج لعلاجها، دفن رأسه أكثر وكأنه يرجوها بأن تشعر به، لكن يعلم بأنها من الأساس تشعر بكل ردة فعل تصدر منه، لكنها لا تستطيع الحركة.

كأدمية يُحركها الجميع كانت هي، لكن الجميع بالنسبة لها هي والدتها، فقسوتها تُشعرها بالمقط والنفور تجاهها، وكأنها ليست من صُلبها، أنهت "حبيبة" إرتداء ثيابها ناظرة لمحياها في المرآة بشرود، لقد تغيرت كُلياً حتى باتت فتاة مجهولة لا تعرف هوية ذاتها.

دلفت في تلك الأثناء والدتها "صوفيا" دون استئذان، حدجتها باستنكار شديد لما ترتديه هاتفة بحدة:

_إيه اللي أنتِ لابساه دا!!! هتحضري التصوير بالمنظر المُعرف دا!!

نظرت "حبيبة" لثيابها بهدوء، والتي كانت عبارة عن فستان من اللون الأسود يصل لبعد ركبتها بقليل، وحذاء يُماثله في اللون، كذلك رفعت خصلاتها على هيئة زيل حصان، ووجه أبيض خالي من أي مستحضرات التجميل، صعد صوتها يسألها باستغراب:

_ماله شكلي مش شايفة فيه أي حاجة غلط!!

اقتربت والدتها من الخزانة الخاصة بها وهي تُصيح بعصبية:

_لأ دا أنت اتجننتي على الآخر، شكله موت أبوكِ أثر على دماغك مش على شكلك بس.

نحرت الكلمات في قلبها بقسوة وكالعادة لم تتحدث أو تُعبر عن شعورها، بل التزمت الصمت وتشكلت طبقة رقيقة من الدموع داخل عيناها، انتبهت على صوت طرق حذاء والدتها التي تقترب منها، والتي دفعت بوجهها ثوب من اللون الأحمر القاني، والذي يصل بعد منتصف فخذها بقليل، ثم أمرتها قائلة بحزم:

_البسي الفستان دا يلا وعشر دقائق تكوني قدامي تحت، وحطي Full Makeup يليق مع الفستان بدل منظرِك دا.

حدجتها "حبيبة" بصدمة، ثم تحدثت مشدوهة:

_أنتِ عايزاني ألبس فستان أحمر وبابا لسه مكملش أسبوع حتى على موته!!!.

تأففت والدتها بنفاذ صبر ثم صاحت مُستنكرة:

_يــــــــــــوه، كل شوية بابا بابا!! افهمي بقى أبوكِ مات وخلصنا، شغلنا مش هيتعطل أكثر من كدا عشان خاطر أبوكِ، واخلصي البسي مش فاضية للكلام الفاضي دا.

انتهت حديثها مُتجهة للخارج بعصبية، تاركة ابنتها تنتظر لأثرها بعدم تصديق من قسوتها تلك، هي كانت وما زالت قاسية، لكن ظنت بأن وفاة والدها سيُغيرها قليلاً، فلم يزيد هذا إلا سوءاً.

اتجهت ناحية الفستان الذي اختارته والدتها تُحدجه بألم، كيف عليها أن ترتديه!!! اتجهت إلى المرحاض بيأس وبدأت في تبديل ثيابها إلى ذلك الفستان القصير حد اللعنة، وبدأت بفك خصلاتها لتتركها حرة على ظهرها، كذلك وضعت مكياجاً خفيفاً أظهر جمالها أكثر، وكذلك كُحل العين الأسود الذي حدد إطار عيناها العسلية لتُصبح أكثر جاذبية عن ذي قبل.

قد تبدو للجميع جميلة، لكنها تشعر بالسوء في قرارة نفسها رغم أن كل ما بها بسبب والدتها، شخصيتها الضعيفة جعلت من السهل على والدتها أن تتحكم بها مثلما تشاء.

وضعت أمسكت بحقيبتها السوداء اللامعة ثم خرجت من غرفتها وفكرها شارد، تشعر بالأسى والحزن على ذاتها، تستحق الأفضل والأفضل لا يُريدها، فاقت من شرودها على اصطدامها بجسد عريض صلب، كادت أن تنزلق على

الدرجات لولا لحاق "صهيب" بها مُمسكًا إياها من ذراعها
مُسرعًا.

وضعت يدها على صدرها تتنفس بعنف، غافلة عن نظراته
المُشمزة التي يُحدجها بها على ما ترتديه مم ثياب ظاهرة
لمعظم جسدها، ارتعدت على صوته العالي الذي صرخ بها
ناهرًا:

_إيه القرف اللي أنتِ لابساه دا!! لو مش عاملة احترام
للناس اللي عايشين معاكِ اعلمي حساب لأبوكِ اللي ميت
بقاله يومين دا.

ترغرت عيناها بالدموع، فأخفت وجهها عنه بألم بخفضه
للأسفل، لتُخفي خصلاتها وجهها كُليًا، استشاط غضبًا ظنًا
منه أنها تتجاهله، فرفع وجهها رغمًا عنها يمسكها من فكها
يرفعه بقوة، ليرى تلك الدموع التي تُزين وجهها، خفض
غضبه قليلًا ثم ابتعد عنها خطوتان للخلف يأمرها بحزم:

_ادخلي غيري القرف اللي أنتِ لابساه دا.

همست بارتعاش ويداها تمسح وجهها:

_بس ماما هتزعقلي.

هي طفلة بدرجة لا تُوصف، تخاف من أقل الأشياء، وتُطيع جميع الأوامر حتى وإن كانت خاطئة، لعن بسره زوجة عمه الحقيرة والتي حكمت عليها أن تعمل بمجال الموضة والتصوير، فما له إلا أن يراها ترتدي ثيابًا أقل ما يُقال عنها قطع بالية من القماش تُظهر جسدها بسخاء، وهي كالبلهاء تسير خلفها دون أن تتحدث بكلمة واحدة.

استدار على صوت "صوفيا" التي تُنادي عليها من أسفل الدرج:

_ يلا يا "حبيبة" هنتأخر.

استعادت "حبيبة" ثباتها، وما كادت أن تخطو أول خطوة للأسفل؛ حتى شعرت بمن يجذبها من معصمها بقوة، وصوته يصدح مُوجهًا حديثه لـ "صوفيا":

_ "حبيبة" مش هتروح في أي مكان بالمنظر المقرف دا.

غلت الدماء في جسد "صوفيا" من معارضته وتحكمه في ابنتها:

_ وأنت مالك أنت، بتدخل بيني وبين بنتي ليه!! ابعده عن بنتي يا "صهيب" أحسنك وملكش دعوة بيها.

حارة القناص

أوقفها "صهيب" أمامه وهو يُشير ناحيتها:

_مليش دعوة بيها إزاي!! أنتِ مش شايفة منظرها!! أقل
كلمة الناس هتقولها لما يشوفوا لبسها دا إنها عا***
رخيصة، وبنات عيلة "الأرمانى" مش كدا، وآخر كلام
"حبيبة" مش هتخرج من هنا بالمنظر دا.

صعدت الدرجات حتى باتت بالمقابل له هو وابنتها صارخة
به:

_أنت بتتحداني في بنتي!!! هي عايزة تيجي معايا كدا أنت
مالك!!!

أجابها بتحدي وأعين ينطلق منها الشرر:
_يبقى نسألها ونشوف هي عايزة تروح مع مين.

حوّل "صهيب" نظراته نحو "حبيبة" المصدومة، ثم سألها
بقوة:

_عايزة تروحي مع أمك ولا تفضلي هنا مُعززة مُكرمة يا
"حبيبة"!!.

أصبحت في وضع مُتأزم الآن، لا تعلم ماذا تفعل أو مَنْ تختار، هي لا تريد الذهاب مع والدتها والبقاء بالمنزل مع "صهيب" وعمها، لكن إن عارضت حديث والدتها ستُحول حياتها لجحيم بمعنى الكلمة، لذلك حكمت رأيها وقررت قائلة بصوت خفيض مُرتعش:

_هـ.. هروح مع ماما.

طالعت "صوفيا" الآخر بشماتة ظهرت جلية على محياها، واضعة يدها على ظهر ابنتها تقول لها بتشجيع:

_شطورة يا حبيبة ماما، يلا عشان متأخرش على التصوير.

ورغم صدمته في البداية، إلا أنه أخرج صوتًا ساخرًا من فمه مُعلقًا بلذاعة شديدة:

_ما أنت زي أمك هتوقع منك إيه يعني!!

رمى بكلماته المُهينة ثم ذهب من أمامهم مُحدجًا إياهم بنظرات مُحتقرة كارهة، بينما "صوفيا" كادت ان تنصهر محلها من وقاحتها الدائمة معها، لذلك جذبت "حبيبة" من يدها تسحبها خلفها والغضب يُعمي عيناها، حتى إنها لم تشعر بتلك الباكية التي تبكي بصمت وأسى على حالها.

_ لقد كُسر قلبي يا فتى، أشعر به قد تفتت لأشلاء صغيرة
يسهل أكلها.

نطق "فور" بتلك الكلمات بحزن شديد أثناء تناوله الطعام
للمرة السابعة عشر اليوم، حدجه "رائد" باستتكار من
طرف عيناه ولم يُعقب، بينما أكمل "فور" حديثه قائلاً بتأثر:
_ أشعر بأن شهيتي مُغلقة من شدة حزني، أشعر بالجوع
الشديد يا أخي.

ربت "چون" على قدمه يوازره في محنته:

_ اهدأ يا أخي، لا تفعل بذاتك هكذا، تناول الطعام الذي يكفيك
للغد، أشعر بأنك قد فقدت بعض الكيلوجرامات من الحزن.
أوماً "فور" مؤكداً:

_ نعم أعلم، لكن قلبي يرفض أن أتناول طعاماً زائد عن الحد،
قلبي حزين للغاية "رائد".

قال الأخيرة موجهًا حديثه لـ "رائد" الذي انتفض صارخًا:

_يا أخي جك وجع في قلبك أنت وأخوك المطبلا تي دا، كل
دا ومكلتش!! يا أخي دا أنت هتخلص على خزين مصر في
شهرين.

امتعض وجه "فور" ساخطًا، لذلك هتف بعد أن هبَّ من
مكانه مُشيحًا بيده في الهواء:

_ماذا بك يا فتى لما لا تُطبقني!! أتغار مني لأنني وسيم!!.

تحول وجه "رائد" للشماتة وهو يُجيبه:

_وسيم آه... مش لما تملى عين الكائن اللي أنت كنت
بتحبها!! أديها خزوقتك وطلعت بتاعة بنات مش رجالة.
رد عليه "فور" بغضب:

_أتعلم!! أنت أقدر شخص قد قابلته بحياتي، أقسم أنني لم
أكل.

أنهى جملة ثم سار عدة خطوات، وتوقف بعدها ثم عاد مرة
أخرى ينشل طبقًا من اللحم من على الطاولة قائلاً:

_سأتذوق هذا فقط أثناء جلوسي بغرفتي، تبًا لك يا وغد.

حارة القناص

تركهم ثم دلف للغرفة مُغلقًا بابها عليه حتى لا يُفسد أحدهم خلوته مع طعامه، بينما "جون" حدج "رائد" بنظرات مُغتاظة ثم صرخ به:

_ هل ارتحت الآن!! لقد احزنته يا رجل، كم أنت قاسي القلب.

دفعه "رائد" بضجر ثم جلس جانبه على الأريكة قائلاً:

_ سيبك من أخوك الأهطل وقولي عملت إيه مع الحِثة!!

قطب "جون" جبينه بتعجب مُتسائلاً بإستغراب:

_ ماذا تقصد بالحِثة!! لا أفهم مقصدك.

نفخ "رائد" بنفاذ صبر مُوضحاً له:

_ قصدي "لوسيندا" يا بني آدم، اعترفتلها بحُبك ولا لسه!!.

وعلى ذكر اسمها تحول وجه "جون" للهيام، حتى كادت أن تخرج قلوبًا حمراء من عيناه، لوى "رائد" شفّتيه يمينًا ويسارًا كالعجائز، ثم تحدث ناغمًا:

_ يعني هتموت على نفسك من مجرد إني قولتلك اسمها وأنت مش عايز تعترفلها!! أنت أهطل يابني!!

اعتدل "چون" من جلسته ثم وضَّح له سبب رفضه
بالإعتراف لها:

_ثقافتنا مُختلفة "رائد"، بروسيا نحن نحتضن الفتيات
اللواتي نُعجب بهن، لكن هنا!! بمجرد ما حاولت أن أعانقها
وجدت يدها تُصافح وجهي، يدها ثقيلة يا رجل.

قهقه "رائد" عاليًا أثناء قوله الضاحك:

_يعني أنت مشكلك معاها إن إيديها ثقيلة!! ما هو طبيعي
تعمل كدا، رايح تحضن واحدة مشوفتهاش غير مرتين
وعايزها تقولك بالحضن يا بيبي.

هز رأسه بنعم مُوضحًا له بضجر:

_ماذا فعلت أنا!! في دولتنا تحمل الفتاة بطفلها قبل الزفاف
ببضعة أشهر، وأنا لم أكن أريد سوى عناق فقط، هي قاسية
للغاية يا صديقي.

نفى له بحديثه قائلًا بمزاح:

_أنت اللي سافل يا حبيبي، ابقى حاول المرة الجاية بس
تجر ناعم معاها، شوف هي حاسة بإيه ناحيتك.

أوما له بحماس ثم صاح مُهتلاً:
_حسناً، غداً سأراها وأفعل ما قُلتِ.

طالعه "رائد" بفخر قائلاً:
_تربيتي وعهد الله.

قاطع حديثهم هو دخول "قاسم" بملامح مُقتضبة حزينة
ظهرت واضحة على وجهه، نظر كلاهما لبعضهم البعض
فعلموا السبب وراء حزنه هذا، من المؤكد بأنه صعد
لوالدته، وقف "رائد" أمامه يسأله بهدوء:
_كنت فين يا "قاسم"!! اتأخرت أوي ليه كدا!!

حدجه "قاسم" بقتوط ونفاذ صبر، مُجيباً إياه بسخرية:
_متحسسنيش إنك مراتي وحياة أبوك، واوعى من خلقتي
عشان مش طابق نفسي دلوقتي.

اقترب منه "چون" هو الآخر، فنفخ "قاسم" ظناً منه بأنه
سيتحدث كما فعل "رائد"، لكن قاطع تفكيره عندما احتضنه

بقوة مُربّتًا على ظهره بحنان، خرج صوت "جون" داعمًا
له قائلاً:

_ لا تقلق يا عزيزي، فوالدتك ستكون بخير أبشر، هي قوية
مثلك تمامًا.

وكانه بدون وعي قد ضغط على جرح لم يتعافى بعد، أغمض
"قاسم" عيناه بألم ثم بادله العناق، يشكر الظروف التي
جمعتهم بهؤلاء الأصدقاء الداعمين، رغم أنهم يُثيرون حنقه
أحيانًا؛ إلا أنهم مصدر السعادة الوحيد بحياته الكئيبة.

اقترب منهم "رائد" ثم أحاطهم بكتفه يقول بمزاح:
_ تعالوا يا ولاد في حضني أنا زي أمكم.

خرج في تلك الأثناء "فور" من غرفته على بغتة، وصدم
عندما رآهم بوضعهم المُخل هذا، وضع يده على صدره
مُتحدثًا بدهشة حقيقية:

_ لم تكن الفتاة هي الشاذة فقط، بل أنتم أيضًا!! يا حسرتاه
على أصدقائي.

نهره "رائد" وما زال يُحيطهم بذراعيه كالدجاجة الخائفة
على صغارها:

__ اُخرس يا حقير، أنا بحضنهم حضن أخوي بريء.

اتسعت ابتسامة "فور" وهو يقول بسعادة:

__ حقًا!! إذا خذوني معكم فأنا أحتاج للإحتواء أيضًا.

فتح "چون" ذراعه يحثه على القدوم متممًا:

__ تعال يا صغيري، فنحن لن نكتمل بدونك.

اقترب منهم ثم دخل في دائرة الأحضان تلك، ليُصبح كُلاً منهم يُحيط الآخر بدعم قوي، هُم معًا وليس كُلُّ منهم على حدة، فالقوة بالترابط وليس بالفكاك، وها هو الزمن قد جمعهم عن الطريق الصدفة، ليُصبحوا كالأخوة أو أكثر قليلًا، تربطهم صلة أكثر من قوية، وما أقوى من رابطة الصداقة.

«الهدوء يعم المكان من حولي، وقلبي مُعبأ بالصخب».

تلك هي الكلمات التي دونتها "أهّلة" بمذكراتها قبل أن تضعها جانبًا، هبّت من على الفراش مُتجهة ناحية شرفة غرفتها، نظرت للخارج بشرود والهواء البارد يضرب

صفحات وجهها بعنف تتلذذ به، أغمضت عيناها تُحاول
تجميع شتاتها، عادت بذاكرتها لصباح اليوم عندما أخبرت
والدتها برغبة أحدهم لطلب يدها، وأوضحت عن رغبتها به،
حينها صدحت الزغاريد من حولها من فم والدتها، تبعه
قولها الضاحك:

وأخيراً وافقتي!! دا أنا كنت شكيت إنك هتخلي جنبي.

ارتسمت بسمة صغيرة على فاه "أهّلة" عند تذكرها لكلمات
والدتها، وكذلك شقيقاتها اللاتي سعدن بذلك الخبر كثيراً، كم
امتلاً قلبها بالفرح عندما رأت سعادتهم، رغم أن الزواج لن
يكون سوى إتفاق للإنتقام؛ إلا أن رؤيتها لهدفها يتحقق
أمامها يُشعرها بالإنشاء.

خرجت من الغرفة مُتجهة ناحية المرحاض، فتحت الصنبور
ببطئ ثم أمسكت بالسائل الخاص ليدها ووضعت منه كمية
مُناسبة عليها، ظلت تغسلها لدقيقتان كاملتان دون كلل أو
ملل لتتأكد من نظافتهم، غسلتها بالماء ثم جففتها بالمنشفة
جيداً، وأخيراً نظرت لها برضا دون اشمئزاز.

سارت نحو المطبخ لتأكل بعض اللقيمات من الطعام التي لا تتذوقه طيلة النهار، وبعد إنتهائها وضعت الصحون في حوض الغسيل تاركة إياهم لـ"ملك" لتقوم بغسلهم.

عادت لغرفتها مرة أخرى غارقة الباب خلفها، ثم ارتمت على الفراش بإنهاك شديد، فذلك اليوم كان مُتعباً للغاية، خاصةً أنها ذهبت لموقع الجريمة التي حضرته بالأمس لتقوم بتصويره وأخذ كل البيانات الكافية التي ستنتشر على أثرها الخبر غداً، ستكون خطبتها نعم، لكن في نفس الوقت سيكون موعد إغلاق تلك الجريدة التي تعمل بها.

استمعت لصوت رنين هاتفها فانتشلته من على الكومود جانبها بهدوء، نظرت لشاشته فوجدته رقم غير مسجل، وبلامبالاة قامت بالإجابة ببرود شديد جاهلة عن هوية المُتصل:

_يا نعم!!

أتاها صوته يحدثها بإستغراب:

_يا ساتر يارب!! عايزة تفهميني إني هصطح الكام شهر اللي هتعيشيهم معايا كدا!!.

حارة القناص

عرفت هويته من صوته، فتحدثت بتأكيد:
_ هي دي طريقي لو تمشي معاك.

جاء صوته الهادئ يؤكد لها:
_ يعجبني معجبنيش مش هطلعك بطاقة، المهم قولتي للعيلة
الكريمة إني جاي بكرة.

_ قولتلهم ياخويا.

ردد خلفها بصدمة قائلاً:

_ أخويا!!!!

_ ما أنا معرفش اسمك إيه عشان أناديك بيه ياعم الغامض
أنت.

همهم بتفكير متشدقاً:

_ اممم شكل أيامك هتبقى عسل معايا بس لسانك السكر
اللي عايز قطعه دا، اسمي "قاسم" يا خفة.

حارة القناص

أجابته بمشاكسة وهي تعلم كل العلم بأنها تُثير حنقه:
_ ماشي يا "قاسم"، بالسلامة أنت بقي يا "قاسم" ياخويا
عشان عايزة أريح حبتين، تشاو يا عزيزي.

حدج الهاتف بصدمة وبفم مفتوح، هامسًا ببلاهة:
_ دي قفلت في وشي!! وحياة أمك ما هعديها لك.

رمى هاتفه على الفراش وهو يتوعد لها بسره، وما كاد أن
يتمدد على الفراش ليخلد للنوم، حتى استمع إلى صوت
إطلاق النيران يعم الأرجاء من حوله.....!

«يُتْبَع»

#حارة_القناص.

اشروق حسن | 🌸

من سنن المصطفى ﷺ المهجورة صلاة ركعتين عند
مخاصمة أو منازعة اخيك المسلم
قال ﷺ: { تكفير كل إحاء ركعتان }.

#سنة_مهجورة. □

«الفصل الخامس»

«حارة القناص»

«طريق الهلاك»

"بسم الله الرحمن الرحيم"

انتفض "قاسم" من مكانه عندما استمع لصوت الطلقات تصدح في الأرجاء بصوت عالي، خرج من الغرفة مُسرِعًا دون النظر لما لا يرتديه من ثياب علوية، فوجد الثلاثة شباب هم الآخرون يخرجون من غرفهم بقلق.

صعد صوت "رائد" يتسائل بقلق:

إيه اللي حصل، في إيه!!

هز "قاسم" كتفه بجهل مُتجهًا ناحية باب الشقة بثبات ليرى ما يحدث وما مصدر تلك الطلقات التي صدحت في الأجواء، وقف "فور" أمامه يمنعه أثناء قوله المفزوع:

_ لا تفتح الباب يا رجل، سيتم القبض علينا، حصرةً على شبابنا يا رفاق.

دفعه "قاسم" بعيداً بضجر وتأفف قائلاً بنفاذ صبر:
_ يا أخي ابعده بقي هي ناقصة عته!!.

نظر "فور" لظهره ساخطاً، ثم تشدق بغضب:
_ فلتذهب إلى الجحيم "قاسم"، كم أنت رجل قاسي القلب جاهل التعامل مع أشخاص أبرياء مثلي.

حدجه "قاسم" بسخرية من طرف عيناه، ثم فتح باب المنزل بعد أن انتشل قميصاً كان موضوعاً على المقعد الموجود بغرفة المعيشة، خرج والثلاثة شباب خلفه، فوجد سكان المنطقة جميعهم يقفون ينظرون لسيارة الشرطة التي تأخذ أحد الشباب تضعه قسراً داخلها، ومن خلفهم صوت والدة ذلك الشاب تصرخ ببكاء لترك ولدها.

مصممت إحدى النساء التي كانت على مقربة منهم على شفيتها بأسى مصطنع وهي تتصنع الحزن:

_ يا عيني عليك يا ابني، شبابيه ضاع بسبب الديون اللي عليه.

أجابتها المرأة الأخرى بحزن حقيقي يخرج من أعماقها،
والتي تُدعى "حفيظة":

_ربنا يفك أسرهِ يارب، لسه شباب في عز الورد ولولا الفقر
ما كان اتحوج لحد، ربنا يعديه منها على خير.

آمنت السيدة الأخرى على حديثها، وكل هذا وكان الشباب
يستمعون إلى حوارهم بدون قصد، كاد "قاسم" أن يعود
للمنزل مرة أخرى، لكن لمح بطرف عيناه "صهيب
الأرمني" يقف واضعاً كلتا يداه في جيب بنطاله مُحدجاً
الجميع ببرود.

التمعت عيني "قاسم" بالمكر وجالت فكرة خبيثة داخل عقله
عزم على تنفيذها، عدل من وضعية قميصه المُشعثة، ثم
اتجه ناحيته ببطئ شديد، رمى "صهيب" سيجاره التي كان
ينفثها، وما كاد أن يصعد للسيارة؛ حتى لمح "قاسم" يتجه
إليه وعلى ثغره ابتسامة مقبلة.

تحول وجهه من البرود إلى الغضب عندما تذكر ما فعله من
كيد المرة الماضية، يبدو كشخص عابث غير مُريح بالمرّة،
خاصةً تلك الابتسامة الخبيثة التي ترتسم على شفاهه

حارة القناص

باستمرار، اقترب منه هو الآخر حتى بات كلاهما في مواجهة بعضهم البعض.

صعد صوت "قاسم" مُحيياً إياه بترحيب زائف:

_ أهلاً أهلاً "صهيب" باشا، وحياتك يا جدع وما ليك عليا حلفان المنطقة كلها نورت بوجودك، حتى شايف النور!!

أنهى حديثه وهو يُشير للمنطقة المُظلمة من حوله، لا يوجد سوى الإضاءات الخفيفة ومصابيح سيارات الشرطة، أخرج "صهيب" صوتاً ساخراً من بين شفثيه، ثم حك جانب أنفه بإبهامه وهو يُجيبه بطريقة مُستتكرة أثناء تربيته على صدره بخفه:

_ لأ وأنت الصادق يا "قاسم" كفايا نورك.

نظر "قاسم" لموضع يده التي تلامسه بحاجب مرفوع، أرجع بيده خصلاته المُناسبة على وجهه مُجيباً إياه:
_ نوري ونورك واحد يا باشا، المهم محدش فينا ينطفي.

أكد "صهيب" على حديثه مردفاً:

حارة القناص

__بالظبط، المهم محدش فينا ينطفي، والبقاء للي يفضل
منور أكثر.

قهقه "قاسم" عاليًا على دعابته المقصودة، ثم أردف
بكلمات ذات مغزى:

__معاك حق، بس حاسب لأحسن لمبتك تتحرق.

اقترب منهم "رائد" عندما طال حديثهم مُوزعًا نظراته
عليهم، فوجد نظرة التحدي مُرتسمة على وجه كليهما، يبدو
أن الأمر لن يمر مرور الكرام، خاصةً أن "قاسم" ذو عقل
عنيد وشخصية باردة بذات الوقت، ويبدو أن "صهيب"
يأخذ نفس صفاته.

وقف جانب "قاسم" ثم أردف موجهاً حديثه تجاه "صهيب":
__اتفضل يا "صهيب" باشا معانا.

حوّل "صهيب" أنظاره له بعدما قاطع تحديه مع الآخر، ثم
أردف ببرود لم يؤثر على هدوءهما:
__هتفضل بس مش دلوقتي، بس أوعدكم قريب أوي.

خرج صوت "قاسم" ضاحكًا:

_في أي وقت والله.. احنا صحاب واجب برضه.

طالعهم "صهيب" بنظرات مُتفحصة، ثم أشار للشرطي الذي يقف جانبه منذ البداية لإتباعه، ابتعد عنهم مُستقلًا سيارة الشرطة من الأمام، وأنظار كُلاً من "قاسم ورائد" تتبعناه ببرود، انفض الجميع من حولهم بعد دقائق قليلة، ولم يتبقى سوا الأربعة شباب الذين ينظرون لبعضهم البعض بنظرات ذات مغزى، وبعد ثوانٍ من الصمت؛ صعد صوت "چون" مُتحمسًا:

_يا شباب هل تفكرون فيما أفكر به!!.

اتسعت ابتسامة "قاسم" حتى برزت أنيابه، ثم أجابه بتأكيد:
_أجل عزيزي، ما تُفكر به هو الصحيح، لدينا مهام كثيرة غدًا.

قفز "فور" سعيدًا والفرحة تغزو معالمه:

_كم أعشق هذا، أنا لن أنام تلك الليلة من شدة الحماس أقسم لكم.

أحاطه "قاسم" بذراعه من كتفه أثناء عودتهم للمنزل مرة أخرى، ثم تحدث ضاحكًا:
بل عليك النوم جيدًا عزيزي، فلدينا غدًا يومًا طويلًا للغاية.

كانت "يمنى" جالسة على المقعد المخصص لها أمام حاسوبها، كانت تكتب وتُدون عليه بكل براعة وتخطيط، عيناها تجولان على الكلمات أمامها بفخر فيما كتبه وسيُنشر في الصحف، يبدو أن "أهله" لم تكن وحدها فقط التي تعشق التحدي وإثارة الجدل، بل هي تُماثلها في الخبث والتفكير أيضًا، لكن بطريقة تظهر للآخرين أنها مجرد صدفة لا أكثر.

قاطع تفكيرها رنين هاتفها الذي صدح يعلو في الأرجاء، انتشلتها ناظرة لإسم المتصل بهدوء، وما إن رأت الإسم المُدون؛ حتى ارتسمت على شفتها ابتسامة عابثة وخبیثة، فتحت الهاتف ثم أجابته بهدوء زائف ناهيك عن تلك الضجة التي تحدث دواخلها:

_ كنت مستنيك تتصل من زمان، بس للأسف اتأخرت.

جاءها صوته البارد يُخبرها بجمود:

_ كان ورايا شغل، المهم إيه الأخبار؟!!!

أجابته بثقة وعقل مُدبر:

_ كل حاجة ماشية زي ما احنا عايزين، وقريب أوي
هنوصل، بس عايزة أقابلك بكرا؛ عشان عندي معلومات
مهمة جدًا هتفيدك وهتفيدنا كلنا.

قطب جبينه أثناء ارتشافه لقهوته الداكنة مُتسائلًا:

_ بخصوص إيه!!

أجابته على بغتة وصوت هامس خبيث:

_ القناص.

انتفض من مكانه يسألها مُجددًا بعدم تصديق:

_ بتقولي مين!!

لوت شفتيها بسخرية متشدقة باستهزاء:

_مالك اتبرجت كدا!! لتكون خايف لسمح الله!!

**_لأ لأ خايف إيه، أنا بس استغربت، على العموم متسنيك
بكرا في شفتي زي ما متعودين، سلام يا "يمون".**

أغلقت الهاتف ثم وضعت على المكتب مُجددًا وهي تنظر
أمامها بشرود، لن تنسى اعتراف "أهلة" لها عن هوية
القناص، فهم ورغم أنهم شقيقتين؛ إلا أنهم يُعتبران مركز
أسرار لبعضهم، ويبدو أن "يمنى" تلك المرة لن تفي
بوعدها.

تمددت "ملك" على فراشها بنعاس شديد، لكن صوت إصدار
هاتفها لرسالة نصية أثار انتباهها، انتشلت "الهاتف" من
على الكومود جانبها ثم نظرت به، لتتسع ابتسامتها تدريجيًا
عندما رأت "رائد" قد أرسل لها رسالة نصية كان محتواها:

حارة القناص

_"يا مساء الأنااس على أحلى الناس".

ضحكت بخفة قبل أن تضغط على شاشة الهاتف مُراسلة
إياه، فسألته بجهل زائف:
_"مين حضرتك!!".

جاءها الرد منه بعد ثوانٍ:
_"مُعجب وعائز يتعرف، ممكن ولا إيه النظام!!".

أنهى جملة بايموچي يغمز بعث، مما زاد من الحماس
داخلها، فاعتدت مُستتدة على الفراش وكأن النوم قد ذهب
من عيناها:

_"اسمك رائد محروس الجعان!!".

_"أيو.. عندك اعتراض في اسمي ولا إيه!!".
أجابته ضاحكة دون كذب:

_"الصراحة اسم عيلتك مضحك أوي".

جعد جبينه بضجر مُجيبًا إياها:

_"طول عمره اسم عيلتي عاملي مشكلة دايمًا، المهم أنتِ منين!!".

_"أنا من مصر".

كتب بسخرية وضحك:

_"لا إله إلا الله دا بجد!!".

أرسلت له بعض الأشكال الضاحكة، ثم ظلوا يتحدثوا طيلة الليل دون ملل، فهو مستمتع بالحديث معها، وهي كذلك مُنبهرة بوسامته، ليست قاتلة لكنها جذابة، غافلين عن كبر الذنب الذي يفتعلانه، ومن خلفه سيواجهان الكثير من المشاكل.

الذنب يجذبنا نحوه كالمغناطيس، فيكون من الصعب علينا الفكاك منه إلا بأعجوبة، فإن انتصر إيمانك على ضعفك؛ فأنت إذاً من الناجين، لكن هناك من يعجبهم الذنب مُفتعلين إياه بكل صدر رحب دون أدنى مقاومة تُذكر، والاثتان من خلف وسوسة نفسك الضعيفة، فإما أن تُقاوم وتتجو، وإما أن تظل عالقًا بالقاع وسط مستنقع الذنوب.

مسحت "سهيلة" دموعها بصمت، فمنذ أن سلكت ذلك الطريق ولا تستطيع الخروج منه، منذ آخر شيء قامت بقراءته وهي تقرأ الكثير من تلك النوعية من الروايات، لقد غرقت وسط تلك السطور المُغلقة بالكلمات الساكرة، فنبشتها الأيدي المُلطخة بالأوساخ ليُصبح عقلها ملوث هو الآخر، ولسوء حظها أصبحت مدمنة للروايات الإباحية.

انزوت على ذاتها بالفراش تضم قدمها إلى صدرها تبكي بصمت، هي وقعت ضحية لفريسة مجهولة تكتب خلف شاشة إلكترونية، حتى أصبحت مُحاصرة داخل دائرة من نار، كلما قررت الإبتعاد تجذبها نحوها مرة أخرى.

هبت من مكانها فجأة ثم همست لنفسها وهي تتحدث بهستيريا:

_لأ يا "سهيلة" لأ، لازم تفوقي قبل ما تضيعي نفسك، لازم تبعدني عن الطريق دا، أنا كدا بظلم نفسي وبظلم أهلي معايا.

أنهت حديثها ثم انفجرت تبكي على ما فعلته، تشعر أن الأمر لن يتوقف عن ذلك، فأحياناً عقلها يحثها على مشاهدة أفلام غير لائقة لإرضاء فضولها، هي تقرأ فقط... وشيطانها يحثها على المشاهدة أيضاً، وهي مُحاصرة بين نفسها الضعيفة وضميرها الذي يرجوها للإستيقاظ.

وضعت يدها على قلبها تُسيطر على ضرباته، تخاف الهلاك، لكن ماذا عليها أن تفعل!! أنارت بعقلها فكرة استحسنتها للغاية، وهي أن تطلب السماح من المولى عز وجل، هو سيُجيبها، ستطلب المغفرة حتى تستطيع الإبتعاد.

خرجت من الغرفة مُتجهة ناحية المرحاض تنظر حولها بترقب، تخاف أن يراها أحد بتلك الحالة من الإنهيار، حمدت ربها أن "رائد" يبيت عند أصدقائه الليلة ثم بدأت بالتوضأ، ومع كل قطرة ماء تهبط على وجهها تختلط بها دمعاتها بحزن على ما وصلت إليه في لحظة ضعف.

كانت تُردد أثناء وضوءها بكاء خفيض "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين".

انتهت من وضوءها ثم عادت إلى غرفتها مُجدداً، جففت وجهها بالمنشفة ثم ارتدت اسدال الصلاة الخاص بها، وقفت على مصليتها أمام القبلة، ثم بدأت بأداة صلاة التوبة، ظلت تُصلي وتقرأ آيات قصيرة من القرآن ودموعها تنهمر كشلالات المياة الغزيرة على وجهها، كانت تبكي بين يدي خالقها كما لم تبكي من قبل، تشعر بفداحة ما فعلته وما كانت تنتوي أن تفعله، تخاف أن تعود إليها تلك الوسواس

الشيطنية مرة أخرى، تخشى أن تضعفها نفسها مجددًا
وإعادتها لقراءة لتلك الأشياء، وهنا رفعت يدها للخالق
تدعوه برجاء:

اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته، وكل خطيئة أخطأتها،
اللهم إنني أتقرب إليك بذكرك، وأستشفع بك إلى نفسك،
وأسألك بجودك أن تدنيني من قربك، وأن توزعني شكرك،
وأن تلهمني ذكرك، اللهم إنني أسألك سؤال خاضع متذل
خاشع، أن تسامحني وترحمني، وتجعلني بقسمك راضيًا
قانعًا، وفي جميع الأحوال متواضعًا، اللهم وأسألك سؤال
من اشتدت فاقته، وأنزل بك عند الشدائد حاجته، وعظم
فيما عندك رغبته، اللهم عظم سلطانتك وعلا مكانك، وخفي
مكرك وظهر أمرك، وغلب قهرك وجرت قدرتك، ولا يمكن
الفرار من حكومتك، اللهم لا أجد لذنوبي غافرًا ولا لقبائحي
سائرًا، ولا لشيء من عملي القبيح بالحسن مبدلاً غيرك، لا
إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ظلمت نفسي، وتجرات بجهلي
وسكنت إلى قديم ذكرك لي ومنك علي.

رددت ذلك الدعاء بخشوع شديد، ذلك الدعاء الذي علمته
إياها جدتها "لواحظ" منذ الصغر، شعرت بحاجتها للدعاء
والبكاء على سجادة صلاتها، لكم ارتاح قلبها، ولكم شعرت
بالسكينة، رفعت عيناها للسماء بعدما وقفت للذهاب بشرفة
غرفتها، ثم دعت مُتمنية:

حارة القناص

"اللهم أرح قلبي وابعدي عن الشهوات، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على ديني واغفرلي وارحمي يا ارحم الراحمين".

انتهت ثم سحبت نفسًا عميقًا وزفرته على مهل، لقد غزتها الراحة والطمأنينة الآن، أغلقت النافذة التي تُلحح وجهها بالهواء البارد ثم اتجهت إلى الفراش، تمددت عليه وعلى ثغرها ابتسامة مُرتاحة، وبعدها غطت في نوم عميق.

ليس من الخطأ أن تُذنب، لكن من الخطأ أن تظل على معصيتك دون توبة.

اليوم هو اليوم المنتظر، وهو خطبة كُلاً من "قاسم وأهله"، ولكن قبل أي خطوة سيخطوها قرر الذهاب للمشفى أولاً لمباشرة عملياته الهامة، تجهز "قاسم" وارتي ثياباً عادية؛ والتي كانت عبارة عن بنطال من الجينز الأزرق الغامق يعلوه قميصاً من اللون الأزرق السماوي، مشط خصلاته الطويلة نسيباً، ثم ارتدى حذائه وخرج من الغرفة.

حارة القناص

كانت الساعة السابعة صباحًا فبالطبع لم يكن مستيقظًا أيًا من الشباب سوى "جون" الذي يتجهز للذهاب إلى عمله، حيث يعمل موظفًا في إحدى الشركات الخاصة والعالمية وذلك لبراعته وقدرته للتحدث على أكثر من خمس لغات مشهورة، وبجانب عمله فهو مهووس بالبرمجة وكل ما يخص الإختراق والسوشيال ميديا.

رسم "جون" بسمة خفيفة على ثغره عندما رآه، فأردف بود:

_ صباح الخير "قاسم"، كيف حالك عزيزي!!

أجابه "قاسم" بابتسامة خفيفة مُربتًا على كتفه:

_ بخير "جون"، هل نمت جيدًا عزيزي!!

أجابه "جون" مبتسمًا:

_ نعم.

سأله مجددًا بمكر ومشاكسة لعلمه بمضايقته:

_ هل أكلت طعامك قبل أن تذهب!!

نعم.

سأله للمرة الثالثة وهو بالكاد يُسيطر على ضحكاته بسبب تعابير وجهه التي بدأت تتحول للضجر من كثرة إهتمامه:

حسناً، ارتدي ثياباً ثقيلة عزيزي "چون" حتى لا تُصاب بالبرد.

رد عليه "چون" ضاحكاً بنبرة يشوبها الحنق:

بربك "قاسم" ماذا تفعل!! تُعاملني وكأنك أُمي.

قهقهه "قاسم" بخفة، فأمسك بالكوب البلاستيكي الذي بجانبه يقذفه بوجهه أثناء قوله الضاحك:

وأنت تطول يا معفن يكون عندك أم عسل زيي كدا؟!.

أمسك "چون" بالكوب قبل أن يصل لوجهه مُجيباً إياه بعبث:

إن جئت للحق فلا، لكن لا تُعاملني كالصغار، يتبقى فقط أن تُرضعني لترتاح.

ضحك "قاسم" عالياً قبل أن يهب من مكانه قائلاً:

حقيـر وسافل أقسم بالله، يلا أنا همشي عشان متأخرش،
وأنت كمان متأخرش عشان نلحق نروح نتقدم ونخلص من
الحوار دا.

أوما له "چون" بالإيجاب ثم خرج معه من البناية، فوجدوا
المنطقة فارغة إلا من عدد صغير من الأشخاص، أحاط
"چون" بكتف "قاسم" أثناء سيرهم ثم أردف بمرح:
رغم أن تلك الخطبة من تخطيطك أنت إلا أنني سعيد بك
وكانك صغيري يا فتى.

رسم "قاسم" ابتسامة صغيرة على ثغره، ثم تنهد بعمق قبل
أن يُردف مُتمنياً:

أتمنى أن ينتهي كل هذا قريباً "چون"، تلك الأيام ثقيلة
على قلبي بشكل لا يُطاق، أشعر بي أنطفيء شيئاً فشيئاً.

دعمه "چون" مُمسكاً يده بقوة، ثم أكمل تشجيعه بحديثه
الحنون:

كل هذا سيمر يا رجل أقسم لك، هي فقط بضعة أشهر
المُتبقية ومن بعدها سينتهي كل هذا الألم القابع بداخلنا.

طالعه "قاسم" بإمتنان لحديثه المُفعم بالدعم، متحدثاً بحب
أخوي شديد:

_شكرًا لك "چون"، شكرًا لك ولأخيك الأحمق و"رائد"
الأبله.

تحدث "چون" ضاحكًا بقوة:

_أه يا رجل لو استمع "فور" لحديثك هذا!! أقسم أنه سيأكل
أكثر من خمسون مرة لينسى بها أحزانه.

أيده "قاسم" مُقهقهًا بصوت عالي مُردفًا بعد أن سيطر على
ضحكاته قليلًا:

_معك حق، إما أنه سينام وإما سيأكل، أخشى أن يأكلنا
ونحن نيام ليلًا من كثرة طعامه.

على الجانب الآخر كان "فور" مستيقظًا على غير عادته،
لكن يسأل بشدة!! وقف أمام مرآة المرحاض ينظر لوجهه
الأحمر بتعب، وضع يده على رقبته يُدلكها برفق مُتمتمًا مع
ذاته:

_ما بك "فور"!! ما الذي أصابك يا رجل!! يبدو أنني مُصاب
بالبرد أو ما شابه.

هكذا أقتع ذاته عندما اشتد الإحتقان عليه يُؤلم حنجرته،
خرج من المرحاض مُتجهًا إلى غرفة "رائد" لعلمه بذهاب

كُلًّا من "قاسم وچون" إلى عملهما، اتجه إليه بعدما فتح الباب ببطئ، ثم صعد على الفراش يهزه برفق وكأنه طفل مريض يحتاج إلى الإعتناء:

_"رائد" استيقظ، حنجرتي تؤلمني ولا أعلم ماذا أفعل، أشعر بأن الموت يُداهمني.

دفعه "رائد" بضجر بعيداً عنه وهو يُتمتم بنعاس:

يا عم روح موت بعيد عني ومتقرفنيش بقى.

هزه "فور" مرة أخرى ولكن بشدة يصرخ به بصوت مختنق:

أنت عديم الإحساس يا رجل، استيقظ هيا فأنا حقاً أشعر بالإختناق.

أنهى حديثه ساعلاً مرة أخرى بقوة، فاعتدل "رائد" يُحدجه بقلق مُتحدثاً:

وادي يا "فور" أنت تعبان بجد!!

هز رأسه بالإيجاب يؤكد حديثه أثناء تدليكه لعنقه ببطئ، رفع رأسه ينظر لـ "رائد" عندما طال صمته، فوجد ابتسامة

حارة القناص

بلهاء مُتشكلة على شفتيه، قطب "فور" جبينه بغضب يسأله
بحدة:

_ ما بك تضحك كالنعجة يا وغد!!!.

تغاضى "رائد" عن توبيخه له مُتحدثًا بنفس الابتسامة
البلهاء:

_ يا فرحة قلبي... يعني مش هتاكل النهاردة وتخلص خزين
البيت!!.

جعد "فور" وجهه مُتسائلًا وشعور الظلم بدأ يُسيطر على
مشاعره:

_ أتقصد بأنني آكل كثيرًا!!! بل وأنهى طعامكم أيضًا!!.

وضع "رائد" يده على صدره وباليدين الأخرى يُشير لذاته
بصدمة زائفة:

_ أنا قولت كدا يا جعد!!! لا إله إلا الله يخربيت الظلم!!!

حدق به "فور" بضجر ثم هبَّ من جانبه من على الفراش
صائحًا أثناء توجهه للخارج:

تَبَا لَكَ يَا وَغْد، أَكْرَهَكُمْ وَأَكْرَهَ مَعْرِفَتِكُمُ السُّودَاءَ تَلَكْ، أَنْتُمْ
أُنَاسٌ حُقْرَاءٌ دَائِمًا مَا تَظْلَمُونَ مَسْكِينًا مِثْلِي.

تابع "رائد" أثره بسخط، ثم تمدد مُجددًا على ظهره ساحبًا
الغطاء فوَّقه لِيُغْطِي بِهِ جَسَدَهُ الْبَارِدَ:

جِتْكَ دَاهِيَةٌ أَنْتِ كِمَانٍ، الْوَاحِدُ مَشَّ عَارِفٌ يَأْخُذُ رَاحَتَهُ فِي
الْبَيْتِ دَا؟!!

"اليوم هو يوم خطبتي، يوم بداية النهاية لأعدائي، سأنفذ
انتقامي على الجميع، انتقامًا سيكون بمثابة نقطة في بحر
ما فعلوه بي، أنا لستُ المُذنبُ، بل أنا الضحية، ضحية قُتلت
روحها منذ الصغر وأصبحت جسدًا لا يهوى للجميع سوى
الهلاك، سأُنهي حديثي بأن البشر هم أقدر المخلوقات على
الكوكب، لذلك هم يستحقون كل هذا الكره القابع بقلبي".

أغلقت "أهلة" دفتر مذكراتها بتتهيدة قوية قابعة بين جنبات
صدرها، كل يوم حالتها تزداد سوءً، وكُرْهها يستد أكثر
فأكثر، ومرضها النفسي يُنهيها بالتدريج، فكرت هل اتحادها
مع القناص سيكون مُربحًا لها؟! وكانت الإجابة نعم، فهدفهم

حارة القناص

واحد وانتقامهم مُحدد من أقدر عائلة موجودة على البشرية،
«عائلة الأرماني».

انتبعت على فتح الباب فجأةً ودخول كُلاً من "يُمنى وملك"
فأوجه مُبتسمة تُزين محياهم، طرقت "ملك" على الطنجرة
المُمسكة بها بمرح وهي تُغني:

_ النهاردة هكلم أبوكِ قالها وروحي راحت ياني، قال إيه
خدودك كسفوكِ بقي لونها برتقاني....

كانت تهز جسدها وتميل على ألعانها تحت أنظار أخواتها
الضاحكة، قذفتها "أهلة" بالوسادة في وجهها ضاحكة:

_ اخرسي بقي.. أنا أصلاً مش هعمل فرح.

توقفت "ملك" عن الرقص ناظرة إليها بصدمة، فصعد
صوتها بعد أن أطلقت شهقة عالية:

_ نعم نعم!!! جرا إيه يا بت أنتِ هو إيه اللي مش هعمل
فرح!!! لتكوني مفكرة القرار دا قرارك والجوازة دي
جوازتك لوحديك، لأ دا أنا اخرب البيت فوق دماغك أنتِ
وأختك العرة دي.

جعدت "يمنى" وجهها بإشمنزاز وهي تقول بقرف:
_ياي بيئة.

_روحي استحمي يا "يمنى" وبظلي عفانة.

صعدت تلك الكلمات من فم "ملك" التي أطلقتها بغضب، ثم
حولت نظراتها لـ "أهّلة" التي تتابعها بضجر:

_سيبك من أنثى الحمار دي وخليك معايا هنا، فرحك هيتعمل
يعني هيتعمل، أومال أنا هشقط رجالة منين أنا!!!

أشارت "يمنى" لـ "أهّلة" بقلة حيلة مُتحدثة بيأس:

_شوفي يا سستي!! يعني الهوليلة اللي عملتها دي كلها
عشان مش هتشوف رجالة في فرحك ومش هتعرف تشقظ.

اعتدلت "أهّلة" على فراشها تُوجه حديثها بعناد لـ "ملك"
التي تتابعهم بسخط:

_طيب وحياة أمك عشان خاطر ك ما أنا عاملة فرح، يخربيت
القرف اللي أنت فيه، دا الواحد بيقرف من الرجالة وبيحاول
يبعد عنهم وأنت عايزة تكوشي على كله.

حارة القناص

نفخت "ملك" على طلاء أظافرها الأحمر الذي وضعته اليوم
قائلة بغرور:

_لأ ما أنا مش هكلم رجالة زيادة تاني، أنا لقيت الرجل
الـ12 الحمد لله وقفلتهم الدسنة.

_يا ماما.

صعد ذلك النداء من فم "أهّلة" تُنادي على والدتها، فزعت
"ملك" بشدة فهرولت إليها تُكلم فمها برجاء:

_يخربيتك يخربيتك أنتِ بتعملي إيه هتفضحيني!! اخس
على الأخوة وقلة الأدب.

دفعتها "أهّلة" بعيداً عنها وهي تهتف بضجر أثناء مسحها
محل لمس شقيقتها لها بإشمزاز:

_ما هي فعلاً قلة أدب يا قليلة الرباية، دا لو أمك كانت
فضيت تربيك 3 ثواني بس كنتِ هتكوني محترمة أكثر من
كدا.

أتت في تلك الأثناء "نبيلة" التي كانت مُنهمكة في أعمال
المنزل، نظرت لهم بتعجب مُتسائلة بترقب:

_خير يا "أهّلة" بتنادي ليه!!

وما كادت أن تُجيبها، حتى سارعت "ملك" بمقاطعتها بتوتر
وهي تقول:

_لأ يا ماما أبداً دي كانت بتسأل عن صحتك.

انكمش وجه "نبيلة" بسخط مُردفة بضجر:

_وحياة أمك أنتِ وهي مناديين ليا عشان تسألوني عن
صحتي!!

تحدثت "يمنى" تلك المرة لإخراج شقيقتها من هذا المأزق:
_آه يا ماما يا حبيبتي.. واحنا عندنا مين أغلى منك يعني.

أكدت لها "أهّلة" هي الأخرى توافق على حديثهم تُكرر
حديث "يمنى":

_بالظبط كدا، واحنا عندنا مين أغلى منك يا مامتي!!.

طالعتهم "نبيلة" بسخط قبل أن تنخفض وتلتقط نعلها
المنزلي وهي تصرخ عليهم:

حارة القناص

_طيب يلا روح أمك أنتِ وهي عشان تساعدوني في الطبخ
طالما معندكوش أغلى مني، يلا يا بت أنتِ وهي قدامي.

قالت جملتها الأخيرة وهي تهبط على ذراع "ملك" التي
صرخت بضجر أثناء هرولتها مع شقيقاتها للخارج:

_آه يا ماما.. أنتِ دائماً بتيجي عليا عشان غلبانة كدا!!
يخربيت القهر.

أجابتها "نبيلة" التي تُطالعهم بشماتة من الخلف:

_غلبانة آه ما أنا عارفة، يلا يابت أنتِ وهي الناس جاية
العصر وانتوا قاعدين بتمرقعوا كدا؟!..

وصل "قاسم" للمشفى التي يعمل بها والخاصة لعائلة
"الأرمانى"، طالعها بنظرات كارهة مُستحقرة تقبع من
جوف عيناه بحرقة، سحب نفساً عميقاً ليتحكم بانفعالاته،
فإن ترك غضبه سيحرق كل ما حوله.

دخل صاعداً الدجات قاصداً مكتبه، دلف للداخل ثم ارتدى زي المشفى الخاص به وانطلق يفحص الحالات التي قام بمعالجتها، وصل إلى الحالة الأولى والتي كانت تخص طفل صغير لم يتخطى العاشرة، والذي باشر بنفسه لإجراء العملية الحرجة له بعد أن أصيب بنزيف داخلي جراء حادث سيارة كبير.

طرق على الباب بهدوء ثم دلف بعد أن استمع لإذن الدخول، تشككت تلقائياً ابتسامة بسيطة على ثغره عندما رأى حالة الطفل التي تحسنت كثيراً عما كان به من قبل، اقترب منه بتروي قائلاً بمرح:

__ لااا دا احنا بقينا جامدين خالص أهو، عامل إيه يا بطل!!.

التمعت عيني الطفل بسعادة عندما رأى زيه الطبي، ثم أجابه بخفوت وفرحة ظهرت جلية على محياه:

__ الحمد لله بقيت كويس يا عمو.

وقف "قاسم" أمام فراشه مباشرة بعدما القى التحية على والدته بوجه بشوش، ثم انحنى عليه مُقبلاً جبينه بحنو:

__ ألف سلامة عليك يا حبيبي، ها قولني بقى إيه سر الضحكة الكبيرة أوي دي.

ضحكت والدته بخفة وكذلك هو، فأجابه الطفل بأعين يلتمع
فيها الحماس:

_ عشان نفسي أبقى دكتور زي حضرتك كدا وأنقذ حياة
الناس وربنا يحبني.

خفتت ابتسامة "قاسم" تدريجيًا مُجيبًا إياه أثناء جلوسه
جانبه على طرف الفراش:

_ لأ طبعًا متمناش تكون زيي، اتمنى تبقى أحسن مني،
وأكبر دكتور في العالم كله.

جعد الطفل جبينه بضيق ولم يُعقب، ولم تمر سوى ثوانٍ
قليلة إلا وهو يفتح عيناه بتذكر:

_ على فكرة أنا شوفتك في اللحم وكنت عسول أوي.

قطب "قاسم" جبينه بتعجب شديد، هو لم يرى الطفل من
قبل، كيف له أن يحلم به!! تسائل مشدوها مُنتظرًا إجابته
بترقب:

_ حلمت بيا إزاي يعني!؟

شرح له الصغير بيده السليمة مُشيرًا لموضع قلبه:

_كنت عمال تعيط كثير أوي وماسك قلبك من هنا، وأنا كنت
عمال أقولك متعيطش يا عمو بس أنت مش كنت بتسمع
كلامي، وفيه واحدة ست كبيرة جت وقعدت جنبنا ولما
شوفتها سكت ومش بقيت تعيط.

ما هذا الهراء التي يتحدث به!! هكذا همس لنفسه مُتعجبًا،
فكيف لطفل لم يراه من قبل أن يراه في حلمه بل ويتحدث
معه أيضًا!! تجاهل حديثه ظنًا بأنه طفل صغير فتحدث
بابتسامة جذابة:

_امممم لا دا حلم كبير أوي بقى، عشان كدا لازم آخذ بالي
من نفسي عشان معيطش.

أكد على حديثه بنظرات بريئة للغاية مما جعل ابتسامة
"قاسم" تتسع أكثر، أمسك بالملف الخاص بالطفل يُراجع،
وبعد ما يقرب من الدقيقة تحدث بمشاكسة:

_لأ دا احنا بقينا عال خالص الحمد لله.

وجهت والدته حديثها له تسأله بلهفة:

_بجد يا كتور بقى كويس خلاص.

حارة القناص

أوما لها مؤكداً بابتسامة خفيفة مُتجنبًا النظر لها:

_ايوا يا مدام الحمد لله، هو بس المفروض يتحجز هنا كمان
عشر أيام حفاظًا على الجرح وتجنبًا لأي مشكلة تحصل
معاها، لكن غير كدا فأنا بظمنك عليه.

شكرته بدموع تلتمع في عيناها وهي تُحيط برأس ابنها
بسعادة:

_الحمد لله يارب، مش عارفة أشكرك إزاي يا دكتور بجد.

أجابها بعملية أثناء اتجاهه للخارج:

_الشكر لله وحده، ألف سلامة يا بطل، عن اذنكم.

خرج من الغرفة وعلى ثغره ترتسم ابتسامة سعيدة، يشعر
بالنقاء مع الأطفال حقًا، يمكنهم بكل سهولة سلب الطاقة
السلبية داخلك بضحكة واحدة سعيدة منهم، وهذا ما هو
حدث معه الآن.

توجه للغرفة التي تُجاورها، والتي ما إن وقف أمامها حتى
انمحت ابتسامته لتحل محلها الجمود والقسوة، طرق على
باب الغرفة بهدوء ليُفتح له الباب بواسطة شاب صغير
نسبيًا، أفسح له الطريق عندما أدرك هوية الطارق، ليُدلف

"قاسم" بعدها بملامح باردة، رأى ذلك المعلم المثسطح أمامه يُحدجه بإستتكار، لا يكرهه؛ لكن لا يحبه أيضًا، فذلك القابع أمامه كان سببًا من الأسباب التي أثرت عليه بالسلب في يومًا من الأيام، كان صغيرًا لكنه لا ينسى الإهانة التي تعرض لها على يده.

تفحص أجهزته الحيوية وبدّل له المحلول المُعلق بيده، ثم كتب أدوية جديدة تتماشى مع حالته المُتعافية نسبيًا، انتبه لصوته عندما صرح يسأله بتفكير:
_ أنا حاسس إن أنا شوفتك قبل كدا.

نظر له "قاسم" بطرف عينه ولم يُجيبه، مما زاد من تعجب الآخر تحن أنظار عائلته، أنهى "قاسم" ما يفعله وكاد أن يذهب، فاستوقفه الآخر مرة أخرى يسأله بإلحاح بعد أن رأى نظراته المُعادية تجاهه:

_ مش هتقولي شوفتك فين قبل كدا!!!

التفتت له "قاسم" بملامح قاسية، ثم أردف ببرود حاد قبل أن يذهب ويترك ذلك المنصدم:

_ معاك "دكتور قاسم طاحون".

تحججت "يمنى" من والدتها عن وجود عمل هام للغاية لذلك يلزم الذهاب الآن، طالعتها "أهّلة" بتعجب شديد من حديثها، عن أي عمل تتحدث هي!! لقد أخذت كلتاها إجازة لمدة يوم واحدة للخطبة، إذا ما الأمر، وما الذي تُخفيه!!

ارتدت "يمنى" ثيابها على عجلة ثم اتجهت للخارج تحت حنق من والدتها، غافلة عن نظرات شقيقتها التي تُطالعها بشك وعقل مشوش.

هبطت "يمنى" من البناية ثم أوقفت إحدى سيارات التاكسي وبعدها أملت العنوان المُتجهة إليه.

مرت نصف ساعة ووصلت لوجهتها، أعطت للسائق أمواله ثم هبطت من السيارة، لتجد ذاتها تقف أمام بناية شاهقة في منطقة راقية للغاية، صعدت للدور الرابع الموجود به غايتها وابتسامة خبيثة بدأت تتشكل على ثغرها، ضغطت على جرس الباب وانتظرت قليلاً حتى فُتح الباب.

طلَّ "صهيب" بعدما فتح لها، والذي أُرِدِف بابتسامة عابثة
بعد أن رآها:

_نورتي يا "يمون".....!!!

«يُتْبَعُ»

من سنن الرسول ﷺ :

النهي عن اللعن: عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ".

رواه البخاري ومسلم

«الفصل السادس».

«حارة القناص».

«خطبة».

هناك كثير من البشر قلوبهم حاقدة وكريهة، لكن مغلفون
بطبقة من الذهب تُقسِم إن رأيتهم بأنهم أبرياء من العفة
والوفاء، وتلك النوعية موجودة بحياة الكثير منا.

أفسح "صهيب" الطريق لـ "يمنى"، فدلقت للداخل بعد أن
رمته بنظرة باردة لم تؤثر بنظراته الماكرة، أغلق الباب
خلفه ببطن ثم اتبعها لغرفة المعيشة، فوجدها قد سالت
طريقها نحو الأريكة ثم جلست عليها بهدوء تضع قدمًا فور
الأخرى.

حارة القناص

جلس هو بالمقعد الوثير الذي يجاورها مُستندًا على ذراعيه،
ثم تحدث بعث أثناء تجفيفه لخصلاته المُبللة بالمنشفة:

تشربي إيه يا "يمون"!!.

أجابته بهدوء وهي تعتدل بجلستها تُعدّل من خصلاتها
الساقطة على وجهها:

مش عايزة أشرب حاجة وخلينا في المهم.

رمى "صهيب" المنشفة من يديه قاذفًا إياها على الطاولة
الزجاجية بالمنتصف، ثم هبّ من على مقعده مُتجهًا للمطبخ
المصنوع على الطراز الأمريكي، قائلاً بعث وهو يفتح باب
البراد:

والله أبدًا لازم تشربي حاجة، أجيبك شمبانيا!!.

جعدت وجهها باشمنزاز وهي تهز رأسها بنفي، ثم أجابته
بضجر:

هات عصير أو أي حاجة وخلينا نخلص من اليوم دا بقي.

جذب "صهيب" زجاجة العصير ثم صبها في كؤوس
زجاجية فخمة، واضعًا إياها على صينية صغيرة واتجه

حارة القناص

بعدها لها مُنحنياً بخفة ليضعهم على الطاولة، عاد لمحله
مرة أخرى لمقعده ثم وجّه انتباهه إليها عند إعطائه لكوب
العصير لها:

_ها بقي... قولتيلي إنك تعرفي مين هو القناص وعايزة
تبلغيني.

ارتشفت "يمنى" رشفة صغيرة من العصير، ثم تحدثت إليه
مُحذرة إياه بقوة:

_قبل أي حاجة... لو أختي اتلطت في الموضوع دا هقلب
الطرابيزة عليك ومش هسمي على حد فيكوا، لا أنت ولا
عيلتك.

لوى "صهيب" ثغره باستنكار ثم أردف بقسوة:
_دا اسمه تهديد صح؟!.

أرجعت ظهرها للخلف مُجيبة إياه ببرود:
_اعتبره زي ما أنت عايز، المهم أختي لأ.

_اتفقتا، هاتي اللي عندك، مين هو القناص؟!.

اعتدلت مُجيبة إياه على بغتةً وصوت هامس:
_ "قاسم طاحون".

انتفض من مكانه كما لو لدغته أفعى سامة فشل في
السيطرة عليها، ثم حدجها لعدة ثوانٍ بعدم تصديق يُقلب
كلماتها وحديثها بين دهاليز عقله، وأخيرًا خرج صوته
يسألها مرة أخرى غير مصدقًا ذلك الحديث الذي رمته عليه:
_ أنتِ قُولتي مين!!!.

أخرجت صوتًا ساخرًا من بين شفثيها، ثم كررت حديثها مرة
أخرى:
_ "قاسم طاحون" يا "صهيب" بيه.

اشتدت عيناه قسوةً، كذلك ابيضت مفاصل يده من قوة
الضغط عليها، لقد نفذت آخر ذرة صبر لديه تجاه ذلك
الرجل، تتم بصوت خفيض لكنه يحمل من الغضب أطنانًا
كثيرة:

_ مين قالك أو أكدك الكلام دا!!!

حارة القناص

وقفت "يمنى" مكانها مُمسكة بحقيبتها في يدها ثم اقتربت منه بمكر هامسة بالقرب من أذنه:

_ أصل عقبال عندك خطوبته هو وأختي النهاردة، سلام يا "صهيب" بيه.

تركته وذهبت غافلة عن تلك العاصفة الهوجاء التي تملكت منه، كيف لـ"قاسم" أن يكون هو القناص!! ولماذا ينتقم من عائلته تحديداً!! وإن كان يكرههم لتلك الدرجة لما يعمل بالمشفى الخاصة بهم!!! الكثير والكثير من الأسئلة الغامضة تدور برأسه، حتى كاد أن ينفجر من شدة التفكير.

احتدم العراك داخله ورغبة الانتقام منه تزداد شيئاً فشيئاً، هو بالأساس كان لا يُطيعه، لكن بعد ما علمه الآن يريد التخلص منه وتعذيبه بأي طريقة كانت، أمسك بهاتفه بغضب بالغ مُهاتفاً أحد الأشخاص، ثوانٍ وكانت تأتيه الإجابة، فتحدث هو بصوت شيطاني هامس:

_ عايز أقابلك بليل في المكان اللي بنتقابل فيه دائماً تمام سلام.

أنهى اتفاقه ثم دلف للمرحاض ليتحمم، علَّ ذلك الماء يُطفئ تلك النيران المُشتعلة داخله بعد ما عرفه.

عاد "قاسم" إلى المنزل بعدما أخذ إجازة لمدة يوم واحد، كان وجهه جامدًا بشدة، مُبهم، وغامض، دلف للداخل فوجد "فور" جالسًا على الأريكة بوجه مُنهك، حدجه باستغراب وبدأ القلق يتفاقم في قلبه عندما وجده ساكنًا لا يتحرك، اقترب منه حتى جلس جانبه يهزه برفق:

_"فور" .. واد يا "فور" أنت مُت ولا إيه!!!"

_ اصمت واللغة عليك أنت الآخر "قاسم"، لا يكفي ذلك الحقير "رائد" لتأتي أنت أيضًا وتزعجني.

خرجت تلك الكلمات من فم "فور" حانقًا وما زال لا يستطيع أخذ تنفسه بشكل طبيعي، وضع "قاسم" يده على جبهته فوجد حرارته طبيعية، علم السبب حول هذا الإختناق الآن، فبالطبع بسبب تناوله لكميات كبيرة من الطعام مما أدى إلى انتفاخ معدته ومنعه من التنفس بشكل طبيعي.

حارة القناص

هز "قاسم" رأسه بيأس عندما همس "فور" له بتعب:
_ اعطني تلك الحلوى "قاسم"، اشعر بالجوع.

أمسك "قاسم" بيدي "فور" يسحبه قِصرًا، ثم جعله يستند
بذراعيه على كلتا ركبتيه حتى تتسع الرئتين ويستطيع
التنفس بشكل أسرع، حاول "فور" العودة لمكانه مرة أخرى
بضجر، فنبتته "قاسم" رَغْمًا عنه وهو يقول بسخط:
_ يا أخي اهدى بقى بدل ما الأكل يقف في زورك وتفطس
مننا.

حاول "فور" الاعتدال مرة أخرى حتى يأس صارخًا:
_ بريك ماذا تفعل بي!!! اتركني وشأني يا مغفل.

استغل "قاسم" وضعيته تلك فضربه على مؤخرة عنقه
بمشاكسة:

_ اثبت ياض بدل ما تلاقي كمان قفا لابس فيك.

_ أنا أكرهك "قاسم".

حارة القناص

أجابه "قاسم" بعث أثناء محاولاته لكتم ضحكاته على ردة فعله المنتظرة:

_وأنا أحبك يا عزيزي، ما رأيك أن تيجي ونأتي بـ
"منيجي"!!!

تسائل "فور" باستغراب:

_مَن هو "منيجي"!!

كتم "قاسم" صوته بصعوبة وهو يُجيبه:

_اسم طفلنا يا فتى.

انتفض "فور" من مكانه بخضة يفتح عيناه على وسعهما
بعدم تصديق، ابتلع ريقه برعب قبل أن يقول بخوف:

_ماذا تقول يا رجل!!! بالطبع أنت تمزح صحيح!!!.

وقف "قاسم" وداخله يريد أن يموت من الضحك، لكنه
اقترب من بثبات زائف أثناء قوله الماكر:

_ما بك يا رجل!! لما أنت مُعقد هكذا!!.

حارة القناص

راقب "فور" اقترابه بهلع لذلك صاح بعلو صوته صارخًا:
_ "رائد" .. أين أنت يا "رائد"!! يريد "قاسم" التحرش
بي، فلينفذني أحد.

صرخ بالأخيرة عندما رمى "قاسم" رأسه على كتفه مُنفجرًا
في الضحك، لا يستطيع إيقاف ضحكاته، خاصةً عندما دفعه
"فور" بعيدًا ثم صعد على الأريكة هاربًا:

_ فلتبعد جسدك الحقيير عني، ما بك أصبحت تهوى الرجال!!
أنت قدر يا رجل.

قهقهه "قاسم" عاليًا حتى باتت صدى صوت ضحكاته تصدح
بالخارج، لقد صدق حقًا أنه يريد، كم هو غبي حقًا، جاء
"رائد" من الخارج مُستمعًا لصوت صراخ "فور" وضحكات
"قاسم"، قطب جبينه بتعجب ثم تسائل:

_ في إيه يا "فور" طالع عندك كدا ليه!!!

أجابه "فور" الذي كان يُطالع "قاسم" بسخط:

_ هذا الوقح يريدنا أن نُنجب "منيجي".

ضم "رائد" شفتيه يمنع صدور أي ضحكة منه، ثم تسائل
مُدعيًا البراءة:

_ منيجي ازاي يعني!!

_ فلتسأله هو، أنا لا أعلم ما الذي حدث لهذا العالم، الجميع
يُنَجِب من الجميع هكذا!!!.

هنا ولم يتسطيع "رائد" كتم ضحكاته ضاربًا كفه بكف
"قاسم" الذي استقبله ضاحكًا هو الآخر، حدجهم "فور"
بسخط ولم يتحدث، وبمجرد ما رأى شقيقه "چون" يدلف
من باب المنزل؛ حتى هرول إليه قائلًا باستنجاد:

_ فلتتقذني "چون" من "قاسم"، أصبح قذرًا وأنا أريد
الذهاب من المنزل قبل أن يفعل بي شيئًا قبيحًا.

علم "چون" ما يرمي إليه عندما شاهد فزعه وضحكات
الشباب العالية، فأخيه يشمئز من تلك الأشياء وبقوة، رغم
أن بثافتهم يوجد الكثير من تلك الأشياء لكنه كان مُعارضًا
لها بشدة، كان دائمًا يردد على مسامعه «الرجال للنساء، ما
يفعلونه مُقرز للغاية»، وهو مُتفق مع حديثه كثيرًا.

حارة القناص

أحاط "چون" بكتفه ثم دخل جالسًا على الأريكة وهو جانبه كالطفل الصغير، ثم تحدث بضجر مُوجهاً حديثه لـ "قاسم ورائد":

ـ ماذا فعلتم له يا حمقى، لما تزعجونه هكذا!!! إنه جميل ولطيف للغاية.

توقف "قاسم" عن الضحك مؤكدًا حديثه بسخرية:
ـ لطيف اه، روح نام أنت وأخوك.

ارتشف "رائد" بعض الماء، ثم وجه حديثه لـ "قاسم" يسأله:

ـ هنروح نتقدم امتى!!!

نظر "قاسم" لساعة معصمه قائلاً:

ـ هنروح نقتع "چيچي" عشان تيجي معانا، وربنا يستر من ردة فعلها.

أكد له "چون" على حديثه لاويًا شفثيه بقلق:

ـ نعم بالفعل، بالطبع ستظل تتوح بأننا لم نخبرها من قبل.

حارة القناص

وقف "رائد" بالمنتصف بكل شجاعة قائلاً:

_متخافوش يا رجالة، الست دي أمي وأنا راجل ومستحيل
تزعقلي قدامكم.

انتفض "رائد" عندما وجد نعل والدته يحتضن وجهه بقوة،
مما جعله يصرخ مُتألماً، ابتلع الشباب ريقهم برعب
ودموعهم تهبط بصمت دون حتى الحديث.

فكعادة "جيهان" عندما تغضب من شيء ما، تُحضر كيساً
بلاستيكياً من البصل ثم تبدأ بتقطيعه بلا هدف، مسح "فور"
دموعه عندما طال ضيقها منهم:

_عيناى تصرخ من الألم أتوسل إليك توقي عن بشر
البصل.

توقفت ثم وجهت نصل السكين تجاه وجهه تصرخ به مُوبخة
إياه:

_أنت تسكت خالص بدل ما أشق رقبتك نصين، سمعت!!.

خضع لها "فور" صامتًا، وجاء دور "قاسم" للحديث
فأوقفته صائحة:

_ أنت بالذات تسكت ومتكلمش خالص بدل ما أقوم بالشبب
وعلى دماغك.

تأفف "قاسم" بسخط ماسحًا وجهه من الدمعات التي تهبط
على وجهه:

_ حسبي الله ونعم الوكيل في اللي زرع البصل دا، يا خالتي
الله يسترك كفايا هتعمي.

شوحت بيدها أمام وجهه وهي تهتف بصراخ مثله تمامًا:

_ ما تتعمي ولا تروح في داهية، مش بدل ما أعرف إنك
رايح تتقدم لواحدة وأنا آخر من يعلم!! بقى دي آخرتها يا
نتن!!!.

اعتدل "رائد" في جلسته على الأرضية الصلبة:

_ ياما ما هو قالك الموضوع جه بسرعة، ليه جو المسلسلات
الهندي اللي أنت عاملاه دا!!!.

حارة القناص

لم تُجيبه، بل ظلت تُخرط البصل تُخرج به نوبة غضبها
منهم، صدح صوت "جون" يهتف بكاء:
_ يكفي هذا واللعة، لم أعد أرى شيئاً.

خلعت "جيهان" نعلها الآخر تقذفه عليه أثناء صراخها
عليه:

_ أنت بتقولي أنا اللعة!!! دا أنت يومك أسود أنت وهو
النهاردة.

ذهب "قاسم" للجلوس جانبها على طرف الكرسي
لمراضاتها بحديثه المعسول، لكنه انتفض بفرع عندما
صرخت به بغضب:

_ ابعد يلا هتكسر دراع الكرسي، دا أنا جايهاها الأسبوع اللي
فات بـ 90 جنيه.

أغمض "قاسم" عيناه بنفاز صبر وها قد بدأ غضبه يعلو
على قسماته، لكن سيطر على ذاته برسمه ابتسامة متصنعة
وهو يميل على جبينها يُقبله باعتذار:

_ خلاص يا ستي حقك عليا والله، وأوعدك المرة الجاية قبل
ما أتحرك أي خطوة هاجي أقولك أنت الأول.

حارة القناص

نظرت له بطرف عينا وها قد بدأت تميل:

_ يا واد!! بتثبتي يعني!!

أشار لذاته بصدمة مزيفة قائلاً بعتاب:

_ أنا بثبتك!! اخس على قلة الثقة يا "چيچي" اخس، يلا
قومي البسي بقي عشان متأخرش يا قمر.

ضحكت بخفة واضعة السكين والبصل جانباً، ثم أردفت
بإستسلام:

_ خلاص هاجي وأمري لله، بس يا ويلك ويا سواد ليك لو
خبيت عليا حاجة تاني.

أوما لها مُسرَعًا بخضوع متشدقاً:

_ عيب عليك يا ستي، أنا راجل وكلامي سيف على رقبتني.

ذهب الجميع لمنزل "أهلة" بعدما استطاع "قاسم" اقناعهم
وإرضائهم بشتى الطرق، فكانوا كالجيش الذي يذهب للقبض
على مجرم واحد لكثرتهم، طرق "محروس" باب المنزل

حارة القناص

بهدهوء مُحدجًا الشباب بإشـمئزاز بطرف عينه، فتحت لهم
"نبيلة" و "يمنى" والتي استقبلتهم بإبتسامة باهتة مُرددتين
بترحيب:

_ اتفضلوا يا جماعة، آنستوا وشرفتوا والله.

نظرت "نبيلة" للعدد الكبير الذي يدلف بأعين مُتسعة، فقد
كانوا "محروس، چيهان، لواحظ، سهيلة، فور، چون، رائد،
وأخيرًا قاسم".

توقفت "لواحظ" بإنهاك طالبة من "يمنى" بنهيج:

_ اسديني يا شابة أصلي من قادرة أمشي.

حدجتها "يمنى" باستغراب قاطبة جبينها بتعجب ودلفت
للداخل تاركة إياها وحدها، مصممت "لواحظ" على شفيتها
باستنكار هامسة مع ذاتها:

_ مسم، بنات آخر زمن ياختي، معندهمش لا زوق ولا
احترام، كانوا يجوا يشوفوني وأنا بنت 14 سنة، مكنش فيه
في أخلاقي والله.

استندت "لواحظ" على "سهيلة" التي أمسكت بيدها ضاحكة
وهي تقول بمرح:

_تتعالى يا تاتا اسندي عليا أنا وسيبك منها، دي باين عليها
قليلة الذوق.

سارت معها "لواحظ" عدة خطوات ثم توقفت فجأة ناظرة
لها بتعجب:
_أنت مين!!.

قلبت "سهيلة" عيناها بضجر مُجيبة إياها:
_أنا "سهيلة" يا تاتا بنت ابنك.

ادمعت أعين "لواحظ" بتأثر قبل أن تُجيبها:
_ابني مين!! أنا أصلاً متجوزتش.

تركت "سهيلة" يدها بضجر ثم دلفت للداخل مُتمتمة مع
ذاتها ببعض الكلمات الحانقة، تابعت "لواحظ" ابتعادها
مُنادية إياها بحنق:

_أنتِ يا بت... شيلي الأكل من تحت رجلك.

حارة القناص

نظرت "سهيلة" أسفل قدمها لكنها لم تجد شيئاً، استدارت لجدتها لتجدها ترسم على ثغرها ابتسامة بلهاء قبل أن تقول ضاحكة:

_ وضحكت عليك، عليك واحد.

عضت "سهيلة" على أناملها بغيظ، ثم أكملت سيرها للداخل دون التوقف على نداء جدتها المُتكرر، بعد ذهابها أردفت "لواحظ" ساخطة:

_ بت قليلة الرباية زي أبوها.

صمتت قليلاً ثم نظرت حولها بتعجب قائلة:

_ أنا فين!!

بالداخل.. هتفت "ملك" بسعادة وهي تقفز مكانها:

_ العريس جه، العريس جه، عايزة أشوفه أوي والله.

دخلت عليهم "يمنى" في تلك الأثناء، والتي استمعت لحديث "ملك" الأخير مُعلقة عليه بسخرية:

_ ياختي اتبيلي يعني هتشوفي الأملة!!

حدجتها "أهّلة" بتحذير من أن تُخطئ القول أمام شقيقتهم،
فنفخت "يمنى" بغيظ من نظراتها الواضحة، هي لا تريد
منها أن تتزوج من قاتل مثل هذا، تريد لها الأفضل دائماً كما
تريد لعائلتها جميعاً، لكن تورطها مع مجرم كهذا سيُدخلهم
في كثير من المتاعب والمصائب التي لا حصر لها.

دلفت "نبيلة" تستعجلهم بناتها للخروج، لكنها توقفت بأعين
متأثرة عندما رأت هيئة فئاتها الجميلة، فقد كانت ترتدي
فستاناً طويلاً من اللون الأحمر، تاركة لخصلاتها العنان
خلف ظهرها، مع وضعها لقليل من مستحضرات التجميل
التي زينت بها ذاتها.

اقتربت "نبيلة" من "أهّلة" مُحترضة إياها بين ذراعها
قائلة:

_زي القمر يا نور عيني، أحلى وأجمل عروسة أشوفها في
الدنيا.

طالعت "أهّلة" والدتها بحب ثم قبلتها على جبينها بحنان
وهي تردف:

_تسلميلي يا أحسن أم في الدنيا، دي عيونك هي اللي جميلة
والله.

جاء صوت "ملك" من خلفهم متحدثة بحزن مصطنع:

_بوسيني أنا كمان يا ماما، دا أنا قلبي اشتكى من قلة
الهشكة.

_ما بلاش أنتِ.

قالتها "يمنى" بنبرة خبيثة ضاحكة، فنكرتها "أهلة" من
جانبها وهي تكتم ضحكاتها حتى لا تلاحظ والدتهم الأمر،
ذهبت "نبيلة" تحتضن "ملك" هي الأخرى هاتفة بحنان:

_وأنتِ كمان يا حبيبتى زي القمر والله، كلكم حلويات، يلا
بقى عشان متأخرش على الناس برا.

طالعت "ملك" شقيقتها "يمنى" بتوعد، ثم خرجوا من
الغرفة، لتكون الصدمة من نصيب "ملك" التي رأت "رائد"
يجلس وسط تلك العائلة التي من المفترض قادمة لخطبة
شقيقتها..!!!!!!!

مُنكسة الرأس، وحيدة، تائهة، يكرهها الجميع، كانت تلك حالتها بعدما عادت مع والدتها للمنزل الآن، لم تعد للمنزل هي والدتها سوى اليوم، قضوا ليلة البارحة في تصوير الكثير والكثير من الصور التي ستُنشر في المجلات، لكن لم يكن هذا الذي يُحزنها، بل تناول أحد الرجال في لمسها بطريقة قذرة غير لائقة وصمت والدتها على هذا الفعل المشين كانت أكثر ما جعلها مُصدمة.

تذكرت عندما وضع الشاب يده على قدمها العارية عند تصويرهم الإعلان الجديد، حينها انتفضت من مكانها غاضبة تصرخ بوجهه:

_ أنت اتجننت!! ازاي تحط إيدك عليا بالطريقة دي.

جاءت والدتها إليها مُسرعة والتي كانت تُتابع التصوير كاملاً بل وتُشرف عليه، ثم تسائلت حانقة من أفعال ابنتها المُستهترة _ كما تظن _:

_ في إيه يا "حبيبة" لكل دا؟!!!.

أشارت "حبيبة" للشباب الذي يُتابع حديثها ببرود، وعيناه تجول فوق فستانها الذي يكاد لا يُخفي من جسدها شيء، مُتابعة بصياح:

_بيحط إيدِه على رجلي بطريقة مش كويسة.

صدمتها والدتها بقولها البارد وهي تهز كتفها بلامبالاة:
_وايه المشكلة!! دا شغل يا حبيبتى، والشغل مُتاح فيه أي حاجة.

حدجتها "حبيبة" بعدم تصديق ودهشة، لا تُصدق بأن تلك هي ردة فعلها، اقتربت منها والدتها ثم همست بأذنها وهي تجز على أسنانها بغضب:

_لمي الدور بدل ما أخلي يوم طين النهاردة، احنا في تصوير مش في بيت أبوك.

ارتعش جسد حبيبة بهلع عندما دفعتها والدتها "صوفيا" لذلك الشاب والمدعو بـ"زين"، والذي استقبلها في أحضانه برحابة صدر مُستغلاً قربها المُهلك منه، انتفضت مُبتعدة عنه وكل ما يجول بخاطرها هو الإستماع لحديث والدتها الآن، وبعد ذلك فلتهرب بعيداً، بعيداً عن العالم بأكمله.

كانت طوال جلسة التصوير تتحمل لمساته الجريئة والتي تُشعرها بالإشمزاز منه ومن ذاتها، شردت بثيابها وحديث

"صهيب"، بالفعل هي تبدو كعاهرة بتلك الثياب، هو لم يكذب، بل رمى حقيقتها النكراء بوجهها دون أن يُجملها.

انتهت من كل هذا بأكمله ومعه عادت من ذكريات ليلة أمس، نظرت حولها فوجدت أنها تجلس بغرفتها بنفس تلك الثياب القذرة التي كانت ترتديها، وقفت محلها مُتجهة أمام المرآة تنظر لإنعكاسها بحسرة، وثوانٍ كانت تنهمر البكاء الهستيري، أمسكت بخصلاتها تُشعثها بقوة وهي تصرخ عاليًا، ثم ضربت على وجهها عدة ضربات، هي ليست مرغوبة، ليست محبوبة، الجميع يراها كسلعة رخيصة ليس لها أي أهمية، وهنا أمسكت بزجاجة العطر وقذفتها على المرأة لتتهشم إلى فُتات صغيرة، مثل قلبها تمامًا.

فُتح باب الغرفة ودخل منه "صهيب" بفزع على صوت صراختها التي استمع إليها عند سيره نحو غرفته، وجدها بتلك الحالة من الجنون وتقذف وتسب كل ما تطوله يدها، وكأنها لا ترى أمامها من فرط ما تحمله في قلبها من ضغينة.

حاول تهدأتها بالحديث ولكنها لم تستجيب، لذلك كتفها من ذراعها رغمًا عنها، بينما هي كانت تتلوى بين ذراعيه وهي تصرخ عاليًا بهستيريا:

_ سيبوني في حالي بقى، يا بابا، تعالى خُذني
من هنا.

أحاط "صهيب" بها مُهدداً إياها كالطفلة الصغيرة:
_ شششش محدش هيجي جنبك، اهدى أنا معاك.

ظلت على حالة الهذيان التي تلبستها وهي تبكي بقوة، تبكي
ألمًا وخسرة على حياتها التي تخسرها شيئًا فشيئًا بسبب
جشع والدتها، حاولت الفكك من حصاره وهي تصرخ به:
_ سبني بقولك، أنا بكرهكم كلمكم سبوني.

لم يتركها، ولم يبتعد عنها، بل ظل مُلتصقًا بها يُمسد بيده
على خصلاتها المُشعثة بفعل يدها، ثم خرج صوته هادئًا
حنونًا تلك المرة:

_ اهدى يا "حبيبة" محدش هيجي ناحيتك، اهدى.

أغمضت عيناه بتعب وغفت، لكن في الحقيقة هي هربت من
واقعها الأليم، هربت من الجميع بفقدانها للوعي، حدجها
"صهيب" بحزن ثم حملها بهدوء واضعًا إياها على فراشها
الكبير، قام بوضع الغطاء فوق جسدها العاري، ثم ظل

بجانباها يُمسد على خصلاتها بحنان، وقرر عدم تركها تلك
المرّة.

تراجعت "ملك" للخلف بصدمة وهي تلطم على وجهها
برعب مُزامنةً مع قفزها الغبي مُتمتمة مع ذاتها برعب:
_يا نهار اسوح يا نهار اسوح، إيه اللي جابه دا؟!!!!!

دلقت شقيقاتها للصالون، واستمعت إلى صوت والدتها
ينادي عليها بصوت عالٍ، ابتلعت ريقها برعب ثم ذهبت
إليهم تُقدم قدمًا وتؤخر الأخرى، مُتحاشية النظر إلى "رائد"
الذي ردد بصدمة وصوت عالي على مسامع الجميع:
_ "ملك"!!!!!!!.

«يُتْبَع»

#حارة_القناص.

|شروق حسن|

سنة مهجورة:

✨ الترديد خلف المؤذن ✨

قال رسول الله - ﷺ -: « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ ». .

[صحيح مسلم]

«الفصل السابع»

«حارة القناص»

«الجاثوم»

_ يخربيت أمك!!

كلماتان خرجتا من فاه "ملك" عندما ردد "رائد" اسمها بعدم تصديق، وجهت "نبيلة" نظرها تجاه "رائد" تسأله باستغراب وشيء من الحدة:

_ أنت تعرفها!!؟

كاد أن يُجيبها، فقاطعتها "يمنى" مُتدخلًا بسرعة:

_ هيعرفها منين بس يا ماما أكيد صدفة ولا حاجة.

حارة القناص

تدخل "محروس" متحدثًا بلباقة:

_أكيد فيه سوء تفاهم يا مدام، استني خرينا نفهم.

قطبت "نبيلة" جبينها أثناء مُطالعتها للجميع بتدقيق، جز
"قاسم" على أسنانه بغضب، ثم مال قليلاً على "رائد"
يسأله بصوت هامس:

_أنت تعرفها منين يا بغل أنت!!!

أجابه "رائد" بنفس الهمس أثناء مطالعته لملاحم الجميع
المتوترة:

_بكلها بقالي كام يوم وكانت حاطة صورتها على البروفايل
فعرفتها.

عاد "قاسم" لمكانه معتدلاً به هامساً لذاته:

_روح منك لله يا بعيد هتبوظلي الجوازَة قبل ما تكمل.

كاد "رائد" أن يتحدث ويُنقذ الموقف المُتأزم الذي وضع
الجميع به، لكن "لواحظ" قد قاطعته مُتحدثًا أثناء ارتشافها
للعصير بطريقة غريبة:

_هتلاقيه بيكلمها زي ما بيكلم البنات الثانية، أصل "رائد"
دا واد صايح وبتاع بنات... ناوليني يا عسولة حتة الجاتوه
دي.

قالت الأخيرة وهي تُشير لـ "يُمنى" التي تُطالعها بغضب،
بينما هبت "نبيلة" من مكانها بغضب موجهة حديثها
لابنتها:

_نعم!! بيكلمها ازاي يعني!! إيه الكلام اللي هي بتقوله دا يا
ملك!! تعرفيه منين انطقي!!.

توتر الوضع وأصبح صعباً بعدما أشعلت "لواحظ" الأجواء
من حولها، انتشلت قطعة من الجاتوه ثم حدجتهم بحماس
مُنظرة العراك الذي سينشأ بينهم.

حدج "رائد" جدته بسخط مُتوعداً لها في سره، ثم نظر
لـ "نبيلة" التي يتلبسها حالة من الغضب تجاه الجميع،
مُقترِباً منها وهو يتفوه بحماقة شديدة ورطته أكثر:

_اهدي بس يا حماتي هي مش ق....

قاطعه "صراخ" نبيلة بوجهه مُلوحه بيدها أمام وجهه:

_ حماة مين يابني!! أنت أهبل ولا واقع على نفوخك وأنت صغير!!

صح ما تفوه به مسرعاً قائلاً بغباء:

_ قصدي يعني بما إنك حماة "قاسم" يبقى هتبقى حماتنا كلنا، صح ولا إيه!!!

_ لأ كداب وبتاع بنات يا صايح، اديله في جنبه متسكتلوش المتحرش دا.

صعدت تلك الكلمات من فاه "لواحظ" المُشجعة للشجار، بينما "ملك" ودت أن تقذف إحدى المزهريات على رأسها حتى تفقد الوعي وتصمت قليلاً، تمنّت بتلك اللحظة أن ينتهي كل هذا على خير، وإلا لن تُمرر والدتها ما حدث مرور الكرام.

هنا وصدح صوت "سهيلة" التي تسالت مُستغلة عراهم لتقف بجانب "ملك"، ثم تدخلت مُسرعة لإنقاذ أخيها من الموقف المُتأزم به قائلة بتبرير:

_ يا جماعة صلوا على النبي، "ملك" أصلاً صحبتي و"رائد" شافها معايا كذا مرة في الجامعة عشان كذا عرفها.

أكد "رائد" على حديثها سريعاً:

_ايوا بالظبط، هو دا اللي عايز أفهمهولك يا حماتي والله.

كزت "نبيلة" على أسنانها بغضب من كلمته المُتكررة ومازالت غير مقتنعة بحديث تلك الفتاة المُدعاة بشقيقتة، ضربت "جيهان" ابنها موجهة حديثه له بابتسامة صفراء:

_خلاص يا "رائد" يا حبيبي، مش لازم تعرف الناس كلها إن دمك خفيف ههه.

أنهت حديثها مع ابنها ثم نظرت لـ "نبيلة" المُتهجمة مُردفة بضحكة مصطنعة:

_متز عيش منه، أصل "رائد" ابني من وهو صغير ودمه شربات كدا.

جلست "نبيلة" محلها مرة أخرى ترد عليها بحنق:

_لأ ما هو واضح.

جلس الجميع أماكنهم مرة أخرى بعد أن هدأ الوضع إلى حد ما، بينما "لواحظ" تمت مع ذاتها بحسرة:

حارة القناص

_ يا خسارة مش هيتخانقوا.

صعد صوت "فور" تلك المرة قائلاً:

_ لا تحزني خالتي، فـ"رائد" الأكثر إحترامًا بيننا صدقيني،
هو فقط يُحب المزاح كثيرًا كما قالت "چيچي".

كانت "نبيلة" والفتيات يُتابعانه بفاهٍ مفتوح، وهُنَا صعد
صوت "أهّلة" تسأله ببلاهة:

_ إيه دا أنت مُدبلج!!

قطب "فور" جبينه بضيق من هذا السؤال الذي تكرر على
مسامعه لآلافِ عدّة قائلاً بسخط:

_ اصمتي يا فتاة ماذا تقولين، أنا لستُ مصري الجنسية
لذلك أتحدث بالفصحى.

رفعت "أهّلة" حاجبها تسأله بانتباه:

_ مش مصري إزاي احكي لي.

_ طيب أقوم أمشي أنا طيب وأسيبكم تتكلموا على راحتكم!!

حارة القناص

كلمات صعدت من فم "قاسم" الذي يُحدج الجميع بضيق من حديثهم الغير مفهوم والغبي.

اعتدلت "أهلة" في مكانها وكذلك "فور"، بينما حمم "محروس" أولاً قبل أن يبدأ حديثه الهاديء بعد بُرهة من الصمت موجهاً إياه لـ "نبيلة":

__ طبعاً يا مدام نبيلة حضرتك عارفة إن احنا جاين نطلب إيد بنتك "هالة" لـ...

نكزه "قاسم" بخفة مُصححاً له بصوت هامس:
__ "هالة" مين يا عم "محروس" اسمها "أهلة".

أعاد "محروس" تكرار جملته مرة أخرى قائلاً:
__ إيد بنتك "بيلا" لـ..

__ يا نهار مش معدي النهاردة، عليا الطلاق اسمها "أهلة".

نفخ "محروس" بنفاذ صبر وهو يدفعه بعيداً عنه بحنق، ثم صاح بصوت عالي حائق:

حارة القناص

_ يعني خلصت الأسماء ملقوش غير الإسم الملعبك دا عشان
يسموها بيه!!!

ثم وجّه حديثه لـ "نبيلة" مرة أخرى وهو يقول بنفاد صبر:
_ بالصلاة عالنبى احنا جايين نطلب إيد بنتك "إيزابيلا" لإبننا
"قاسم" يا أم "ملك".

هنا ولم تحتمل أكثر، لذلك هبت "نبيلة" من مكانها مرة
أخرى تهز رأيا بنفي وعدم تصديق:
_ لأ مستحيل أقبل أناسب العيلة دي، مستحيل.

قالت كلمتها الأخيرة ثم دلفت للداخل تاركة الجميع ينظرون
لبعضهم ببلاهة، وهنا صدح صوت "لواحظ" ضاحكًا:
_ الله الجوازة باظت.

هل ستظل عالقًا داخل قوقعة أفكارك المؤذية!! إلى متى
ستتحمل كل هذا العناء!! أنت شخص ضعيف، وحيد،
وبائس، كُن على يقين أن الجميع لا يُكِن لك غير الكره، أنت

مُجرد هامش منبوذ، حياتك البائسة سببها تعاستك، وحياتك الغير مُستقرة أنت صانعها، فكن على استعداد لتؤدي من الجميع مرةً أخرى.

كانت "حبيبة" تنام براحة بعد نوبة البكاء والهيجان الهستيرى الذي أصابها، لكنها شعرت بالأرق مما جعلها تفتح عيناها مُتوبة الإستيقاظ، لكن مهلاً!! هناك ما يُعيق حركتها!!!.

حاولت تحريك أي جزء بجسدها ولكن لا يسجيب، وكأنها أُصيبت بالشلل التام، قررت النداء على أحدهم لينقذها، وهُنا كانت الصدمة، حيث لا تستطيع فتح فمها لمُناداة من يُنقذها، حاولت المُقاومة والمُعافرة ولكنها لم تنجح، هبطت دموعها بعجز وحاولت مرة أخرى لتحريك اصبع يدها، فكانت النتيجة ذاتها، لا تستطيع.

زاد رُعبها عندما وجدت ظلًا قصير بجسد مُملتى يقف جانب فراشها، ارتفعت نسبة الإدرنالين في جسدها وقاومت مرة أخرى لإخراج صوتها، وبالفعل خرج ولكن بصوت مكتوم وضعيف للغاية وكأنها تزار أو تزوم، أغمضت عيناها برعب تمنع ذاتها من مطالعة هذا الشيء الغريب والذي يُحدجها بنظرات غريبة ومُخيفة للغاية.

ارتعش جسدها عندما لاحظت اقترابه منها أكثر، ومعه تزداد بسمته سوءً وشرًا أصابها بالهلع، حاولت التحرك، التحدث، أو الهرب ولكنها لم تستطيع، بالنهاية أغمضت عيناها أكثر حتى شعرت بأن جفنيها كادا أن يدخلتا داخل عيناها من قوة ضغطها عليه، وهنا خرج صوتها بالفعل، لكن عندما شعرت بيد هذا الجسد الصغير توضع على ذراعها ويغرز بأظفاره على لحم يدها.

انتفضت "حبيبة" من مضجعتها عندما شعرت بيد تمسكها وتهزها من كتفها، دفعته مُبتعدة بقدمها حتى وصلت إلى نهاية الفراش بزعر، كان "صهيب" يتابعها بقلق شديد من حالتها المُفرعة، فقد كان يتجهز للخروج من الغرفة قبل أن تستيقظ وتجده جانبها، لكنه لاحظ حركتها الغريبة وتقطيعة حاجبها التي دلت على رؤيتها لكابوسٍ ما.

رفع كفيه أمام وجهها يقول بتهداة:

ـ خلاص اهدي دا أنا، انسي كل اللي شوفتيه، كل دا كابوس متقلقيش.

وهنا لم تتحمل الكتمان أكثر، بل انفجرت في البكاء شاعرة بالضعف يحتلها مرة أخرى، نظرت ليدها حيث أمسكها ذلك الكائن الغريب فوجدت خط من الدماء المُتَجَر مطبوع عليها، وهنا علمت بأنها مريضة، ولكن بمرض نفسي لا يمكن الشفاء منه بسهولة.

وقفت على ركبتيها ثم اقتربت من "صهيب" حيث يجلس على حافة الفراش، مُمسكة بيده وهي تردف برجاء:
_ "صهيب" أنا تعبانة متسبنيش.

حدجها باستغراب شديد، فهي لأول مرة تطلب منه أن يظل جوارها، يعلم أنها ضعيفة وما زالت، لكن تلك المرة يظهر الضعف على محياها من الخارج، ربت بيده على ذراعها متشدقاً بهدوء يُجاريها في حالتها:
_ مش هسيبك بس اهدي يا "حبيبة".

ظلت تُتمتم ببعض الكلمات التي لم يفهم منها شيء وهي تبكي، فتركها تُخرج ما بجبعتها لعلها ترتاح قليلاً، وتدرجياً بدأ حديثها يتضح شيئاً فشيئاً ويا ليته لم يستمع إليه:

_ أنا بكرها أوي.. خلتة يحط إيدہ على جسمي.. هي مش بتحبني.. وهو كان مقرب جامد.. محدش بيحبني.. أنا لوحدي.. كله عايز يأذيني.. أنا عايزة بابا.. أنا معملتش في حد حاجة.. أنا بكره الناس كلهم.. كله عايز يأذيني.. أنا.. أنا عايزة أموت.

قالتها بضعف شديد وبعدها استندت برأسها على كتفه تبكي بصمت، حديثها كان غير مُرتب، لكن صادم، وهو لم يكن يعي لشيء سوى صوت بكائها وحديثها الذي رمت له دفعةً واحدة، من الذي حاول لمسها!! وهل سمحت والدتها بهذا أيضاً!! ابتلع ريقه بصعوبة يُحاول السيطرة على إنفعالاته، وضع يده على ظهرها يُهدئها قبل أن يسألها بهدوء عكس تلك النيران المُشتعلة داخله:

_ مين اللي حاول يحط إيدہ عليك يا "حبيبة"!!

ظن أنها ستماطل في الحديث، لكنها أجابته هامسة وبصوتٍ مبجوح:

_ "زين" اللي شغال معايا في موقع التصوير، أنا بكرهه.. وبكره ماما أوي.. بكره كل الناس عشان محدش بيحبني.

حارة القناص

أغمض عينه بألم على حالتها يُربت على خصلاتها بحنان،
ثم سألها وكأنه يُحادث طفلة صغيرة:

مين اللي قالك إن مفيش حد بيحبك؟!

أجابته بضعف أشد ودموع تهبط بصمت:

ماما.

سبة بذينة صعدت من فم "صهيب" على تلك الشيطان
المُتجسد بمظهر امرأة، لقد أوصلت ابنتها لأسوء حالاتها
النفسية التي من الصعب على أي إنسان أن يتحملها، لكنها
فعلت ونجحت بذلك، سحب "صهيب" نفسًا عميقًا ثم زفره
على مهل ليستطيع تهدأتها، وما كاد أن يفعل حتى وجدها
ترفع عيناها الحمراء تطلب منه برجاء مُصاحبًا للدموع:

_أنا مش عايزة أروح معاها تاني، مكنتش عايزة أروح
معاها التصوير، بس.. بس هي هددتني إني لو مروحتش
معاها هتتشر صوري الوحشة في المجلات وسُمعتي هتبقى
وحشة_.

كان يستمع له مصعوقًا، ماذا تقول تلك!! عن أي صور
تتحدث!! شعر بتنفسه يقل رويدًا لكنه سألها بصعوبة:

_ صور وحشة إزاي يعني!!._

مسحت عيناها بظهر يدها وهي تُحدجه بتردد خائف، يُقسم أنها طفلة لكن بجسد أنثوي جعلها مجرد سلعة في يد والدتها، دعمها بإمساكه ليدها ثم سألها مُجددًا:

_ اتكلمي يا "حبيبة" ومتخافيش محدش هيعملك حاجة._

وثقت به لذلك أجابته بتلعثم وعادت الدموع لتتجمع بعيناها:

_ كـ... كنت بغير ومكنتش أعرف إن فيه كاميرا في حمام الاستوديو وصورت كل حاجة، ومن.. ومن ساعتها وهي بتهددني لو معملتش اللي هي عايزاه هتنشر الفيديو دا وهتفضحني._

لم يجد شيئًا لمواساتها سوى الصمت، حتى إنه لم يفتح فمه للتحدث بكلمة واحدة، وكان صوته أمتنع من الحديث من بشاعة ما استمع إليه، إن فعلت والدتها بها هكذا، إذاً من الذي سيحميها!!!

شعرت بالذل مما روته، خاصةً صمته والذي فسرتة على إنه استحقاقًا لها، أخفضت رأسها بأسى تبكي بصمت، ظنت بأن الخلاص سيكون بين يديه، لكن من الواضح بأنه لا

يُصدقها مثلما يظهر على معالم وجهه، لا تعلم المُغفلة أن صمته نتيجة لصدمة، فلم يكن يتوقع ولو بأقصى خياله أن السبب وراء ضعفها هو والدتها، وهو الذي كان يُأمن وجودها جانبها!!

شعرت "حبيبة" بأنامله ترفع وجهها ليُصبح مواجهًا له، ابتلعت ريقها بتوتر من عيناه المُتفحصة لكل إنش من وجهها، وأخيرًا خرج صوته يسألها بهدوء جاد:

مُسْتَعْدَة تواجهي خوفك وقلقك دا؟!!! مستعدة تروحي لدكتور نفسي؟!!

حدجته بتيهة ولا تعلم بما عليها إجابته، عضت على شفيتها وداخل عقلها يدور الكثير والكثير من الأسئلة، وهو فقط صامت يُراقب تعابير وجهها التي تتغير من الحين للآخر، خرج صوتها خائفًا تسأله بتوتر:

بس.. بس ماما ه..

قاطعها بقسوة بعد أن هبَّ من الفراش واقفًا من مكانه جاذبًا إياها معه، كادت أن تتعرقل في الفراش من جذبه لها، لكنها وازت نفسها مُستمعة لغضبه الأهوج وحديثه المُتعصب:

_ ملكيش دعوة بأمك قولتلك، اتعودي تقولي لأ، عاجبك شكك!! عاجبك لبسك!! عاجبك ضعفك!! خوفك!! عاجبك حياتك!! قولي لأ على الحاجة اللي مش عايزاها، قولي، عاجبك اللي أنت عايشة فيها!! انطقي.

دفعته صارخة بإنهيار بعد أن وجدت شيئاً تُخرج به الطاقة السلبية التي بداخلها:

_ لأ.. لأ مش عاجبني لأ.. مش عايزة أعيش كدا بس مش قدامي حل تاني.. ماما هتفضلني لو مسمعتش كلامها.. لأ أنا مش عايزة كدا لأ.

ارتمت على الأرض وهي تهز رأسها تنفي ما وجهه لها من أسئلة، هي مُتعبة، من الداخل قبل الخارج، حياتها تحولت لجحيم، أصبحت دُمية بين يدي والدتها تتحكم بها كيفما تشاء، وهي عليها التنفيذ والطاعة، لكن لا تستطيع التحمل بعد الآن، لقد وصلت لذروتها من التعب النفسي الذي يكاد يقضي على روحها.

جلس "صهيب" جانبها، وعلى حين غرة جذبها لأحضانه، وهي تشبثت به تطلب منه منحها الأمان، ربت على ظهرها ولم يتحدث، تركها تُخرج مكنونات قلبها علها ترتاح، تركها تصرخ وتبكي كيفما تشاء، وهو فقط يحتضنها.

مرت دقائق وهي جالسة تبكي بصمت دون التحرك أو الخروج من أحضانه، وهو لم يكل منها، هدأت قليلاً ثم رفعت وجهها المملوء بالدموع مُتحدثة علر بغتة:
_أنا عايزة أتعالج، مش عايزة أفضل ضعيفة كدا.

ربت على خصلاتها ويده تجول على خصلاتها المُشعثة،
راسماً ابتسامة هادئة على ثغره قبل أن يُجيبها:
_هنتعالجي وهتكوني أقوى.

سألته بريبة قائلة:

_وهتفضل معايا صح!!

أكد لها حديثها وهو يُوميء لها بالإيجاب:

_هفضل معاك ومش هسيبك لحد ما تتعالجي، وأنا واثق إنك هتبقي أحسن.

ابتسمت براحة ثم اعتدلت منتوية الوقوف، فأسندها واقفاً معها وهو يسألها:

_راحة فين؟!

جففت وجهها كاملاً من دموعها، ثم أجابته بصوت مبحوح
هاديء:

ـ هغسل وشي وهغير هدومي، وعايزة أخرج عشان أجيب
هدوم تانية أطول وأوسع من دي.

غزت السعادة وجهه، فاقترب منها مُمسكاً إياها من خدها
كالطفلة الصغيرة وهو يُردد بحماس:

ـ أشطر كتكوتة يا ناس، استعدي بقي عشان هاجي واختار
معاك، ما هو مش معقول أسيبك لوحدك في خطوة مهمة
زي دي.

ابتسمت بفرحة ثم قالت بسعادة عارمة عندما وجدت
تشجيعه المُتحمس لها:

ـ الله بجد!! خلاص هنروح النهاردة بليل أوكي!!

هز رأسه لها يُوافقها، وابتسامة واسعة مُرسمة على ثغره
مُحدجاً إياها بحنان، وبتلك اللحظة تحديداً شعر بأنها طفلة
التي لا تحتاج لشيء سوى الإهتمام والحنان، وإن لم تفعل
والدتها هذا، فسيتكفل هو بالأمر.

ظلت الفتيات يُحاولن إقناع والدتهم عن التراجع عن قرارها وهي مُحكمة رأيها لا تريد إكمال تلك الزيجة، تشعر بالغموض تجاه تلك العائلة، خاصةً المُسمى بـ "رائد"، لا ترتاح إليه بتاتاً.

هزت "نبيلة" رأسها بنفي مُرددة بحزم على مسامعهم:
_ قُلْتُ لَأ يَعْنِي لَأ، أَنَا أَصْلًا مَش مَرْتَاة لِيهِمْ، خُصُوصًا الِلي
اسمه "رائد" دا، شكله مريحيش كدا وحساه مش طبيعي.

تدخلت "أهْلَّة" حانقة من حديث والدتها:

_ يا ماما هو أَنَا هتجوزه هو ولا هتجوز "قاسم"!! أَنَا مالي
بيه أَصْلًا، وبعدين قولتلك إن "قاسم" يتيم الأب والأم
وبيعتبرهم عيلته، أكيد مينفعلش يقولهم اتفضلوا انتوا عشان
حضرتك مش موافقة عليهم.

رفعت "نبيلة" أنظارها إليها مُردفة بقلق ينبع عن خوفها:

_ يا "أهْلَّة" أَنَا خايفة عليكِ وخايفة تتعبي من وجودهم
معك، أَنَا في الأول وفي الآخر عايزة مصلحتك أنتِ.

طالعتها "أهّلة" بحنان، ثم اقتربت منها تجلس أمامها على الفراش بعد أن رسمت ابتسامة مُحبة على ثغرها:

_متقلّيش عليا يا حبيبتي والله، أنا مرتاحة مع "قاسم"،
وبعدين يا ستي هما مخوفينك أوي كدا ليه!! دي عيلة هبلة
وخصوصًا الست الكبيرة دي، زي ما يكون بينها وبين
حفيدها طار واحنا منعرفوش.

قالت الأخيرة بمرح مما جعل الإبتسامة تتشكل على ثغر
"نبيلة"، وأخيرًا وافقت مُتهدة بيأس:

_ماشي وأمرنا لله، لعل اللي جاي خير.

وقفت مُتجهة للخارج، ولكن قبل أن تذهب رمت نظرة غريبة
لـ "ملك" وكأنها تقول لها أنا أتابعك، ابتلعت "ملك" ريقها
برعب وتصنعت اللامبالاة حتى لا تجذب أنظار والدتها إليها،
ثم تبعت شقيقاتها للخارج وهي تلعن "رائد" وتلعن معرفته
السوداء التي أوقعتها بالمصائب.

جلست "نبيلة" مرة أخرى على المقعد وبجانبها ابنتها
"أهّلة" وعلى الجانب الآخر تجلس "يمنى" المُمتعضة،
فحتى الآن لا تريد لذلك القاتل أن يصبح زوجًا لشقيقتها حتى

حارة القناص

لا تقع في المصائب، نكزتها "لواظ" في ذراعها بقوة
أمتها وهي تسألها بفضول:

_مالك يا عسولة مكشرة ليه!! حد ضربك!! حد زعلك!! حد
كلمك!! حد جابك من شعرك!! احكي لي احكي لي دا احنا هنبقى
أهل.

لوت "يمنى" ثغرها بتأفف ثم أجابتها بحنق:
_مفيش حاجة يا حاجة متشغليش دماغك بيا.

مصممت "لواظ" على شفيتها قائلة:

_ومالك ياختي بتقولليها من تحت ضرسك كدا؟! عجائب
والله، بقولك إيه يا واد يا "قاسم"! أنا مش موافقة على
الجواز دي.

أغمض "قاسم" عيناه بنفاد صبر وفي تلك اللحظة تحديداً
تمنى لو أنه لم يجلب هؤلاء الحمقي، جز على أسنانه بغيظ
مُتحدثاً وهو يُوجه حديثه لـ"لواظ":

_اسكتي يا "لواظ" الله يكرمك مش ناقص وجع دماغ
وخلينا نخلص من أم اليوم اللي مش عايز يعدي بسببك أنتِ
وحفيدك دا.

حارة القناص

لم تُبالي "لواحظ" بحديثه، بل التفتت إلى "نبيلة" الساخطة
هي الأخرى تقول لها بعتاب مُزيف:
_بس أنا زعلانة منك يا ست "أم هلال".

تغاضت "نبيلة" عن نطقها لإسم ابنتها مُتسائلة بتعجب
وشيء من السخرية:
_زعلانة من إيه إن شاء الله!؟

أشارت "لواحظ" لقطع الجاتوه التي قامت بإلتهامها هي
و"فور" قائلة بتعجب:
_يعني الجاتوه مش قد كدا، مستخسرين تجيبوا جاتوه من
محل حلويات كبير!!

تشنج وجه "نبيلة" بسخط، بينما تلك المرة تحدثت "يمنى"
بحدة طفيفة:

_مستخسرين دا إيه يا حاجة!! بعد ما خلصتي الجاتوه جاية
تقولي مش حلو ومستخسرين!!

حارة القناص

استتدت "لواظ" بيدها على وجهها كحركة شعبية مشهورة، ثم أردفت وهي تأخذ رأي "فور" الذي يلتهم آخر قطعة من الموضوعه أمامه:

_ والله يا حبيبتي مش أنا لوحدني اللي بقول كدا، مش صح يا واد يا "فور"!!.

رفع "فور" وجهه المملتيء بقطع الشيكولاتة التي لوثت وجهه أثناء عراكه مع الطعام، ثم أكد على حديثها وهو يقول بإشمنزاز:

_ نعم، معك حق خالتي، تلك الحلوى سيئة للغاية كما قلت.

تحجبت "يمنى" تصرخ بوجهه:

_ وحياة خالتك!! ما تيجي تاكل اللي في التلاجة كمان وأهو بالمره تشوف جودة الأكل عاملة إيه!!.

ضرب "چون" على وجهه هامسًا لـ "رائد" الذي يجلس بجانبه:

_ تلك الفتاة غبية، لقد وضعت نفسها في مأزق مع أخي الآن.

حارة القناص

بينما اتسعت ابتسامة "فور" قائلاً بحماس بعد أن وقف من مجلسه:

ـ حقاً!! أنا جاهز الآن هيا بنا لنتذوق الطعام.

ـ أنت أهبل يا بني أنت كمان!! دا يخربيت العته اللي موجود فيكوا!!

قطب "فور" جبينه باستغراب، ثم استدار لـ "قاسم" يسأله بغضب:

ـ ما معنى (يخربيت العته) "قاسم"!!.

وقف "قاسم" من على الكرسي دافعاً "فور" ليسقط جالساً في مكانه مرة أخرى وهو يقول بتأفف وغضب بدأ يتملك منه:

ـ انجز يا عم "محروس" خرينا ننجز بدل ما وعهد الله أرميلكوا نفسي من البلكونة عشان ترتاحوا، يخربيت اليوم اللي عرفتم فيه يا جدع والله.

تدخلت "چيهان" الصامتة من البداية ثم تحدثت موجهة حديثها لـ "نبيلة":

طبعًا يا ست "نبيلة" زي ما قال جوزي إن اخنا مش هتلاقي أحسن منكم عشان نناسبكم، وكمان ابننا "قاسم" ما شاء الله عليه، أدب وأخلاق واحترام ودكتور قد الدنيا ومش هتلاقي زيه صدقيني.

خرجت ضحكة ساخرة من فم "أهّلة" لاحظتها "قاسم"، والذي بدوره حدجها بحاجب مرفوع وحنق، أكد "چون" على حديثها قائلاً:

طبع خالتي، أقسم أن "قاسم" لطيف للغاية.

ضربه "رائد" بذراعه في جانبه قائلاً بضحكة مكتومة:

اسكت الله يخربيتك هيفهموك غلط.

وبالفعل جاء سؤال "نبيلة" الذي خرج حادًا بعض الشيء:

لطيف إزاي يعني مش فاهمة!!

تلعثم "چون" في الحديث من حدتها، فقاطعه "فور" الذي أردف بضجر موجهًا حديثه إليها:

حارة القناص

_ ما بكِ خالتي تصرخين بوجه أخي الجميل هكذا!! اللعنة
على قسوتكم أيها المصريون.

تدخل "قاسم" متحدثًا بنفاذ صبر:

_ سيبك منهم يا طنط وخليك معايا أنا، اعتبريهم مش
موجودين عشان أنا ذات نفسي زهقت منهم وقوليلي رأيك
إيه، نقرأ الفاتحة ونلبس الدبل دلوقتي ولا أخذهم وأخلع.

تهدت "نبيلة" قائلة بيأس:

_ والله يابني أنت كويس ومحترم بس أنا بنتي هتعيش في
بيت لوحدها.

أكد لها قائلاً:

_ أكيد، أنا أصلاً عندي بيت 3 أدوار، واحد لـ "جون وفور"،
والتاني هيبقى بتاعي أنا، والتالت فاضي.

_ على خيرة الله، نقرأ الفاتحة.

حارة القناص

قالتها "نبيلة" بهدوء بعد أن اتفقا على كل شيء، ولم تسأله عن عمله لمعرفة كل شيء من "أهلة" التي أخبرتها عن حياته، مال "فور" على "رائد" يسألها باستغراب:
_ ماذا يعني هذا!! أقصد ماذا تعني بـ(نقرأ الفاتحة)!!.

انتهى "رائد" من قرائتها ثم أجابه بهدوء:
_ دي سورة من القرآن عندنا بنقرأها لما اتنين بيتفقوا على الجواز كموافقة مبدئية كدا.

_ حسناً علمها لي.

قال "فور" بحماس، ليُجيبه "رائد" ضاحكًا:
_ بس أنت مسيحي هتتعلم قرآن إزاي!!

مط "فور" شفتيه بحنق قائلاً:
_ أريد أن أتعلم الفاتحة فقط، هيا "رائد" لا تكن وغداً هكذا وعلمها لي.

أوماً له "رائد" يضحك على أسلوبه ثم أردف واعدًا:

_أوعدك لما نروّح هعلمهالك، لكن دلوقتي مش هينفع.

وافقه "فور" سعيدًا:

_حسنًا، أنت صديق رائع يا فتى.

تجهزت "صوفيا" للخروج بعد أن ارتدت ثيابها، والتي كانت عبارة عن فستان أسود اللون طويل، لكن يوجد به فتحة كبيرة من الجانب تُظهر قدمها بسخاء مُقزز، هبطت الدرج بتروٍ تطرق على الأرض السيراميكية بكعب حذاءها الأسود، واضعة على وجهها زينة كاملة للوجه، فبدت كشابة في أواخر العشرينات بعد أن أخفت تجاعيدها بتلك الأدوات الخادعة.

وصلت إلى نهاية الدرج فوجدت "مختار" والد "صهيب" يدخل من الباب الرئيسي مُحدجًا إياها بسخط، طالعته بلامبالاة وكادت أن تتخطاه مُتجاهلة إياه، لكنه أوقفها ممسكًا إياها من رسغها بقوة يسحبها خلفه، حاولت مقاومته وهي تقول بحقد:

_بتعمل إيه سيب إيدي.

فتح باب المكتب ثم دفعها للداخل، فكادت أن تفقد توازنها على أثر دفعته، لكنها لحقت ذاتها قبل اللحظة الأخيرة، نظرت له بغضب صارخة أمام وجهه بعصبية:

_ أنت اتجننت!! إيه الطريقة الهمجية اللي بتتعامل بيها معايا دي!! أنت ناسي إن أنا مرات أخوك الكبير!!

أشار لها ولثيابها بإشمزاز صائحا:

_ والله أنا فاكِر كويس، الدور والباقي عليكِ محدش عارف يلمك من بعد موت أخويا، مقضياها فُسح وخروجات وسهر ولا كان جوزك ميت بقاله اسبوعين.

أرجعت خصلاتها السوداء للخلف هاتفة:

_ والله دا شيء ميخصكش، دا يخصني أنا لوحدي.

وصل إلى غضبه فصاح بها دون وعي بغضب جامح:

_ لأ مش لوحديك، و"حببية" كمان بتتأذي بسببك وبسبب طريقتك المقرفة في اللبس، أنتِ مفكراني مش واخد بالي من معاملتك ليها!!

حاولت تهدئة ذاتها بأقصى ما لديها تُخبره بهدوء زائف:

_"حبيبة" بتشتغل معايا بمزاجها مش بجبرها تعمل حاجة
غصب عنها.

لوى شفتيه ساخرًا يسألها بإستتكار:

_"لا والله!! لتكوني مفكراني أعمى ولا مبشوفش."

وبثوانٍ معدودة كانت نظراتها تتحول للمكر والخبث علمها
هو جيدًا، اقتربت منه بقوة حتى باتت على بُعد إنشآت قليلة
للغاية منه، ثم سألته بعبث:

_"أنت بتحفلها زي زمان ولا إيه!!"

أغض عينيه يُسيطر على ذاته من قُربها المُهلك، ثم أجابها
بجمود واضح وصريح:

_"أكيد لازم أحفلها، هي مش بنتي!!!!!!"

سارت بأصابعها على قميصه الأبيض تُخطط شباكها
كالأفعى، حتى وصلت إلى ياقة قميصه تُهدمه ببطئٍ ماهر:

_"محدث عارف إنها بنتك غيري أنا وأنت وبس، وقدام
الناس هي بنت "رفعت الأرماني"."

حارة القناص

أنزل يدها بغضب ثم أمسكها من رسغها قائلاً وهو يركز على
أسنانه:

أنتِ تخرسي خالص، دا كله كان طيش وحصل في وقت
غلط.

نفضت يدها ثم اردفت بنبرة عابثة:

وقت غلط أو وقت مش غلط في الآخر "حبيبة" بنتك.

أنهت حديثها ثم اقترب منه مُقبلة إياه على وجنته بغتةً قائلة
بمكر:

تشاو يا بيبي، وعلى فكرة أيام زمان وحشتني موت، وأنت
كمان وحشتني.

عضت على شففتيها تزامناً مع خروجها للخارج، وتركته
تعلم جيداً تأثيرها القوي عليه.

اتفق الجميع على موعد الزفاف، والذي أصرت عليه
"أهلة" أن يكون نهاية هذا الشهر، ورغم رفض والدتها
الشديد إلا أنها ظلت تلح عليها بقوة، ودخل معها "قاسم"

الذي حاول إقناعها هو الآخر ولكن بقوة أشد، مُتعللاً بسفره الذي يجب أن يكون بعد شهر ونصف ويجب ألا يتركها ويأخذها معه، وهنا رفضت أكثر وأكثر، فغمزت "أهلاً" لشقيقاتها برجاء أن يقوما بإقناع والدتهما معها، وبالفعل تدخلوا في ذلك، ووسط إصرارهم الشديد والمريب رضخت ووافقت بضجر، وذلك بعد أن رأت رغبة ابنتها القوية في الزواج بأقصى سرعة لأنها لا تحب فترة التعارف، وستكتفي بشهر واحد من الخطبة.

أرجع "فور" ظهره يستند على المقعد، واضعاً يده على معدته التي تتضور جوعاً، ثم تحدث بضجر:
_ ألم نأكل؟! أنا أتضور جوعاً.

وجد أنظار الجميع تتوجه إليه يُحدجونه باستغراب، وهنا صدح صوت "يمنى" الساخر تُخبره:
_ شايفاك ما شاء الله خدت علينا أوي، يا جدع دا أنا خدت فترة على ما آخذ على بيتنا.

تشنج وجه "فور" حنقاً، ثم تشدق بسخط أعضبها:
_ أنتِ تُثيرين غضبي أيتها الفتاة، تبدين شريرة على الأغلب.

أجابته بسخافة واضحة:

_معلش.

وقفت "نبيلة" تُنادي على فتياتها قائلة لضيوفها:

_يلا يا بنات نحط الأكل للضيوف، ثواني وهيكون الأكل محطوط على السفرة.

ذهب خلفها الفتيات واقترحت "سهيلة" بود أن تُساعدهم، ولم يُمانعوا أبدًا، راقب "قاسم" ابتعادهم، ثم هبَّ من مكانه مُمسكًا "فور" من ياقة ملابسه يُعنفه بصوت خفيض:

_أنت يابني مبتشبعش!!! دايماً فاضحنا في كل حِثة كدا؟!!

حاول "فور" التملص من بين يديه متحدثًا بضجر:

_ماذا فعلت أنا يا هذا!!! كنت أموت جوعًا، لم أكل منذ ساعة كاملة تقريبًا بسببك.

تركه "قاسم" ساخطًا، ثم حوّل أنظاره تجاه "لواظ" يُحدجها بابتسامة شريرة أخافتها، ابتلعت ريقها بقلق مُتسائلة بثبات زائف:

__مالك بتبصلي كدا يا واد؟! هتاكني ولا هتاكني!!

اقترب منها "قاسم" بترو، ثم انحنى قليلاً مُمسكاً بسكين الفواكه الموضوع على الطاولة، مُجيباً إياها بهمس شرير:

__لأ وأنتِ الصادقة هقتلك وأخلص منك يا "لواحظ" عشان أنا جبت أخري منك.

رسمت ابتسامة متوترة على ثغرها قائلة بنبرة مُعاتبة له:

__وأهون عليك يا بني!! دا أنا حتى بحبك زي حفيدي بالظبط.

تدخل "رائد" مستنكراً يقول:

__وبما إنها مش بتحب حفيدها فهي مش بتحبك يا ض يا "قاسم".

حولت "لواحظ" أنظارها لـ "محروس" الذي يُغازل زوجته "جيهان" قائلة باستنجاد:

__الحقتي يا "محروس" وسـيبك من مراتك، الواد دا عايز يقتلني.

رفع "محروس" أنظاره لـ "قاسم" متحدثاً بهدوء:

حارة القناص

_ اقعد يا "قاسم" وسيب أُمي في حالها، وسيبني أنا كمان
أشوف حالي مع الحلاوة بالقشطة دي.

ضربته "جهان" على ذراعه بخفة قائلة بخجل:
_ بس بقى يا "محروس" عيب كدا، الولاد قاعدين.

تدخلت "سهيلة" متحدثة باستنكار:
_ ما تقوموا ريحوا جوا شوية يا جماعة.
ضربها "رائد" على مؤخرة عنقها ينهرها:
_ بس يا قليلة الأدب إيه الكلام اللي أنت بتقوليه دا؟! أنا بس
اللي أقول كدا سمعتي!!

أشاحت "سهيلة" بيدها أمام وجهه قائلة:
_ يا أخويا اتنيل أنت كمان.

جاءت في تلك الأثناء "يمنى" تفتح لهم الستار تدعوهم
بهدوء:

_ اتفضلوا يا جماعة الأكل جاهز.

وكان أول من يذهب هو "فور" وبعده بقية العائلة، وأخيرًا جاء دور "قاسم" للولوج من جانبها، سددت له نظرة كارهة التقطها ببراعة، فوضع يده بجيب بنطاله متحدثًا بسخرية دون النظر إليها:

فكرت لما تروحي لـ "صهيب الأرماني" وتتفقي معاه عليا إني كدا مش هعرف؟! يبقى للأسف أنتِ لسه متعرفيش مين هو القناص.

أنهى حديثه راميًا لها نظرة ساخرة وبعدها دلف حيث يجلس الجميع، تاركًا إياها تنتظر لأثره بأعين مصدومة غير مُصدقة، كيف علم باتفاقها مع "صهيب الأرماني"، ليس سهلًا كما توقعت، بل أخطر بكثير مما كانت تظن.

التفوا جميعًا حول مائدة الطعام صامتين، كل شخصٍ شارد في ملكوته، أمسكت "أهلة" بجهاز التحكم ثم أتت بقناة الأخبار التي تُتابعها دائمًا، وأتت اللحظة المناسبة والمتوقعة تمامًا، فلقد تم نشر الخبر التي كتبتَه على لسان أحد الصحفيين الذين يمتلكون سُلطة عالية في البلدة، مُزينًا الحديث ببعض الكلمات السامة التي تدخل العقول فتسبب هياجها من قوتها، وأكثر الأخبار خطورة هو الخبر الثاني، والذي بدأ المذيع بقوله بجدية كبيرة:

"لقد أتتنا أخبارًا عن وجود بعض الجواسيس المُلثمين في دور الشرف والبراءة، مُرتدين زي كبار رجال الأعمال والأطباء والمهندسين وضباط الشرطة، حيث جئتنا المعلومات التي تؤكد على تورط المباحث الأمنية مع القناص، وذلك للتخلص من أعدائهم بطريقة غير مباشرة، تظهر للمواطنين بأن القناص مجرد قاتل عابر، لكن ما هو إلا قاتل مأجور من كبار البلاد".

هذا الخبر نُقل على لسان «المجهولة النارية».

كانت "أهلة" تستمع للخبر بتشفي، وكذلك "يمنى" أيضًا، نظرت "أهلة" لـ "قاسم" الجالس بجانبها، فوجدته يُطالعها بعبث غامزًا إياها بمشاكسة قبل أن يقول بإطراء:
كفاءة.

ردت عليه بغرور:

أقل حاجة عندي، ولسه اللي جاي أكثر بس الصبر.

أكملوا طعامهم وجاء الخبر التالي والذي جعل جميع الشباب يبتسمون معًا دون إدراك وبتلقائية، حينما بدأ المذيع حديثه:

_"حادثة بشعة تُصيب عائلة "الأرمني"، حيثُ قام أحد العابثين بتفجير مصانع الأدوية الخاصة بهم، مُسببة حالة من الهلع والخوف بين العامة، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل قاموا بإشعال النيران بالشاليه الكبير الخاص بعائلة "الأرمني" أيضًا، مما سبب لهم خسائر طائلة وكبيرة أدت إلى إنخفاض أسهم مشفاهم في السوق التجارية".

مالت "أهلة" قليلًا على "قاسم" متحدثه بعثت خافت حتى لا تجذب الأنظار:

_حركة صايعة دي ها؟!!

سألها بغرور وهو يغمز لها:

_بس إيه رأيك؟!!

قلدته في الحديث مثلما يفعل دائمًا قائلة بمشاكسة:

_كفاءة.

ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه ثم أجابها ضاحكًا:

_بعض ما عندكم يا عم.

حارة القناص

انتهى العشاء وذهب "قاسم" والعائلة من المنزل بعد يوم طويل وحافل، وضعت "نبيلة" يدها على رأسها تشعر بالصداع، ثم قالت بإنهاك طفيف:

_ أنا خلاص فصلت، هدخل أُغَيِّر هُدومي وأنام.

ذهبت لها "أهْلَّة" مُقبلة إياها من جبينها، ثم أردفت بحنان:

_ تصبحي على خير يا ماما.

_ وأنتِ من أهله يا حبيبتي.

دلفت "نبيلة" للداخل، وكذلك "ملك" التي كانت صامتة اليوم عكس عاداتها، وبقي كلاً من "أهْلَّة" و"يمنى" معاً، اقتربت "يمنى" من شقيقتها متحدثة بضجر:

_ ارتحتي وعملتي اللي في دماغك!؟

قبلتها "أهْلَّة" بمشاكسة من وجنتها ثم أومأت لها:

_ آه ارتحت، وعازاك أنتِ كمان ترتاحي عشان دماغك متوجعكيش من التفكير، يلا تصبحي على خير يا "يمون".

تابعت "يمنى" ذهابها وهي تهز رأسها بياس من عنادها، ثم دلفت هي الأخرى لحجرتها تُفكر في كيفية علم "قاسم"

بما فعلته، هل يُراقبها!! أم أنه يُراقب "صهيب الأرمني"
لذلك علم بذهابها إليه!!

اتجهت "أهّلة" أولاً نحو المرحاض، تغسل يدها بقوة
شديدة، عاد شعور الإشمئزاز يُداهمها مرة أخرى ولا تعلم
سببه، رغم أنها لم تُصافح أي من الموجودين، حالتها
أصبحت متأخرة وهي تعترف بذلك، أصبحت تغسل يدها
يوميًا أكثر من المئة مرة دون سبب، هي فقط تشعر
بالإشمئزاز من اللاشيء.

رفعت أنظارها تُحدج ذاتها بالمرآة بهدوء، لاحظت إحمرار
عينها نتيجة لكتمانها لتقيؤها، وكالعادة فشلت في ذلك
فتقيأت، ذلك تقيأ لمدة دقيقتين تقريبًا دون توقف، هي فقط
تريد من ذلك الشعور بالإشمئزاز أن يذهب الآن، مسحت
فمها ووجها بالكامل بالماء، تبدو شاحبة للغاية، ملامحها
باهتة ومن السبب!! "عائلة الأرمني".

وها هي قد بدأت بخطوتها الثانية في الإنتقام، وهي اتحادها
مع القناص، ستتقضي على تلك العائلة واحدًا تلو الآخر،
ستتأر لذاتها وتُشعل النيران في جسد الجميع.

ألم أخبركم ما هي الخطوة الأولى!! حسناً دعوني أخبركم
الآن، هي من قتلت "رفعت الأرماني"... "أهْلَة" هي
القاتلة المجهولة التي يبحث عنها الجميع، ومن ضمنهم
القناص.


«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف أقول حين
أسأل ربي؟

قال: قل اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني.

فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك. 

«الفصل الثامن»

«حارة القناص»

«أنت بطلي»

تجلس وحيداً تروي لجدران غرفتك عن حُزنك القابع بين
جنباتِ صدرك، ذلك الثقل الجاثم فوق فؤادك يُشعرك بأنها
النهاية، ظلت تكافح وحدك بين دروب الحياة القاسية دون

صُنِعَ رَفِيقًا وَاحِدًا يَأْخُذُ بِيَدِكَ، أَنْتَ مَجْرَدُ مَنْبُودٍ أَحْمَقٍ لَيْسَ لَكَ مَنْ يُعِينُكَ، فَأَغْلِقْ بَابَكَ عَلَى ذَاتِكَ وَابْتَعدْ عَنِ الْعَالَمِ الَّذِي يُعْرِيكَ أَمَامَ ضَعْفِكَ أَيُّهَا الْبَائِسُ.

انتهت "أهّلة" من غسل يديها، ثم جففتها بمناديل ورقية بعناية، نظرت لهما بتدقيق شديد حتى تتأكد من نظافتهما، وكذلك فعلت مع وجهها عندما غسلته من أدوات التجميل الخفيفة التي كانت تتزين بها، اتجهت بترو نحو غرفتها وعاد عقلها لتذكّر تلك الليلة التي قتلت بها "رفعت الأرماني".

بدلت فستانها بثياب أخرى مُريحة، وعقست خصلاتها للأعلى بمظهر فوضوي لكن جميل يتماشى معها، وقفت تنظر للمرأة مُجددًا، هي جميلة وهذا ما تُكرره فوق مسامعها دائمًا، ملامحها مُريحة للعين، بشرة قمحية مائلة للسمار الخفيف، وأعين واسعة من اللون الأسود يُزينها أهداب كثيفة تُحيط بهما، وأخيرًا جسد ضئيل وصغير لكنها تُحبه، من يراها يُقسم بأنها فتاة مازالت في أوائل العشرينات، لكن هي تخطت الخامسة والعشرون بعامين.

عادت للفراش وتسطحت عليه براحة، تريد أن تنام وتنسى ما يُوسوس به عقلها لتذكره، إن تذكرت ستتقيأ مُجددًا ومن

الممكن أن تشعر بها والدتها تلك المرة، أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل، ومعه تغلبت عليها نفسها وتذكرت كل شيء بالتفصيل وكأنه حدث بالأمس.

عودة للماضي

عندما انتشرت الأقاويل حول مقتل ابن "رفعت الأرمني" قررت الذهاب إلى محل الجريمة التي حدثت بها مقتله، وبالفعل ذهبت ومعها كاميرتها وكذلك دفترها الصغير التي تُدون به الملاحظات، هي بالأساس تستهدف "عائلة الأرمني" من البداية قاسمة على النيل منهم، وجدت قوات الشرطة تُحيط بموقع الجريمة بعناية، فكان من الصعب عليها التقدم أكثر، أثار عقلها بفكرة ستتمكنها من تخطيهم، رغم أن نسبة نجاحها ضئيلة للغاية لكنها ستنفذها.

كانت الجريمة بمكان أشبه بالأراضي الزراعية المليئة بالأعشاب الكثيفة، خلعت الوشاح المحيط بعنقها ثم وضعته على رأسها، وبطرفه غطت وجهها حتى لا يتم كشف هويتها، اختبأت خلف أعواد القش الصلبة مُخرجة عود ثقاب من جيب بنطالها الخلفي ثم أشعلته في كومة القش الموجودة بجانبها، انتظرت قليلاً حتى ارتفعت النيران عاليًا مُحدثة دخانًا كثيفًا.

هرولت بسرعة قبل أن يأتي أحدهم إلى هنا ويراهما، ثم وقفت بين تراحم الصحفيين الذين أتوا مثلها عندما علموا خبر مقتل فردًا من عائلة "الأرمني" الشهيرة، وبخضة مُزيفة أردفت بهلع وصوت عالٍ وهي تُشير إلى المكان التي تصعد منه النيران:

حريقة!!

التفت الجميع حيث تشير بما فيهم الضباط الذين لاحظوا حجم الحريق الكبير، ذهب بعضهم إلى موقع الحريق بما فيهم الصحفيين، والبعض الآخر كان مُنشغل الذهن بينما يقفون مكانهم لمنع أي تدخل صحفي، استغلت انشغالهم والضجة العالية التي أحدثتها، وعلى حين غرة سحبت الكارت الخاص بالقناص والذي كان موضوعًا داخل سيارة الإسعاف المجاورة للجريمة دون أن يراها أحد، كان موضوعًا داخل كيسًا بلاستيكيًا لحفظ بصماته إن وُجدت، مُقررة استغلاله وقتل ذلك الحقيير المُسمى بـ "رفعت الأرمني".

وجاء اليوم المحسوم، عندما قامت بتأجير أحد الرجال وأمرته بتسريب زيت سيارة المدعو "رفعت الأرمني"،

وبالفعل فعل ذلك وتوقفت سيارته في أحد المناطق الخالية والمهجورة عندما انتهى بنزين سيارته تمامًا، وهنا ظهرت هي، ظهرت وعينيها تشُّعان دمارًا هائلًا أفزعه، فتح عيناه على مصرعيهما وقد عرفها عندما رآها، وذلك للشبه الكبير بينها وبين والدتها، وما كاد أن يتحدث أو ينطق بكلمة واحدة؛ حتى سمعها تقول بصوت خافت ومخيف:

_ ابقى سلملي على الحبايب كلهم يا "رفعت" بيه، سلام يا حقير.

أنهت جملتها ثم دفعته بغتةً على الأرض الأسفلتية الصلبة، لتصطم رأسه بأحد الأحجار الكبيرة والتي أفقدته وعيه على الفور، لكنها لم تُشفق عليه كما لم يُشفق عليها من قبل، بل استغلت فقدان وعيه وشقت عنقه بنفس الطريقة التي يقتل بها القناص حتى لا يتم كشفها.

بصقت عليه بإشمزاز مُطالعة إياه بكره دفين، ناظرة ليدها المغطاة بالقفازات السوداء لمحو بصمات يدها، ورغم هذا شعرت بالإشمزاز والقرف من مظهر الدماء على يديها، حاولت أن تُسيطر على ذاتها لكنها لم تستطع، فقد غلبها وسواسها القهري جاعلاً إياها تتقياً بقوة على جانب

الطريق، ومنذ ذلك اليوم زاد مرضها حدة وخطورة، فباتت تغسل يديها أكثر ما تتنفس تقريبًا.

:Back

عادت من شرودها مُنتفضة من على فراشها تركض تجاه المرحاض، فتحت صنوبر المياة حتى يُغطي على صوتها العالي، وبعدها بدأت بالتقيؤ، رغم عدم وجود شيء بمعدتها ولكنها حاولت، حاولت وليت كل هذا ينتهي اليوم قبل غداً، قبل أن يقضي عليها مرضها.

دلف الشباب للمنزل الذي يجمعهم سويًا، فكانت الساعة قد تعدت العاشرة مساءً، ارتمى "فور" على الأريكة، ثم وضع يده على معدته قائلاً بألم:
_أوه أنا جائع بشدة.

انتفض "رائد" الذي كان يُجاوره متفوهًا بفرع:

حارة القناص

_ أنت إيه يا بني مبترحمش؟! أنت مش لسه واكل عند الناس
دلوقتي ومخلص أكلهم?!

تشنج وجه "فور" باستنكار وهو يُجيبه:

_ لم آخذ راحتِي في تناول الطعام يا هذا، ما بك تنظر إلى
طعامي وكأنه من مال أبيك?!

رد عليه ساخرًا:

_ قال وهو مال أبيك يعني?!

ضحك "قاسم" على مشاكساتهم الدائمة، ثم ضرب بيده على
الأريكة بجانبه وهو يقول لـ"فور":

_ تعالى يا فور يا حبيبي اقعد جنبي وسيبك من المتخلف دا.

اتسعت ابتسامة "فور" أثناء ذهابه وجلوسه جانب "قاسم"،
لُحيطه "قاسم" الذي أرفد بمزاح:

_ مالك يا عم دايمًا زعلان ومكشر كدا ليه?!

أجابه "فور" بعد أن تنهد بيأس:

حارة القناص

_أنا لستُ كئيبًا يا صديقي، بل كنتُ أضع آمالي في البشر
ويخذلونني.

ارتسمت ابتسامة خفيفة على ثغر "قاسم"، ثم رد عليه
ساخرًا:

_أنت حاطط أمك في الناس، وأمل أصلًا رقاصة.

قهقهه "رائد" عاليًا ثم غمز له "قاسم" مُحييًا إياه:
_بتقول حكم وعهد الله يا عم.

أكد "قاسم" على حديثه قائلاً بفخر وهو يُوجه حديثه
له "فور":

_وبعدين أنا مش قولتلك قبل كدا "متتعشمش عشان القفا
ميعلمش!".

أكمل له "رائد" مازحًا:

_وعلى قد عشمك مد قفاك.

تلك المرة تشارك الثلاثة الضحكات في جو مَرِح، تجمعهم الكوميديا السوداء، كما جمعهم القدر ليُصبحوا كـ يداً واحدة يُواجهوا معاً الصِعب.

صمتوا قليلاً فتسائل "فور" بتعجب وهو ينظر حوله:
_ أين أخي "چون"؟! كان معنا منذ قليل.

أجابه "رائد" بلامبالاة أدت إلى تشكل الغضب داخل حدقتي
"قاسم":

_ شوفته وهو طالع فوق، أكيد طالع لـ "لوسيندا".

هبَّ "قاسم" من مكانه مُتسائلاً بحدة خرجت بطريقة سوقية
منه:

_ نعم نعم يا روح خالتك طلع عند مين؟! دا أنا هخلي يومه
أسود النهاردة.

قال جملته ثم التهم الخطوات التي بينه وبين الباب ليفتحه
بحدة، وعقله يرسم له ما يفعله هذا الوقح الآن مع الطيبة
المسكينة بالأعلى، وفوق كل هذا في شقة والدته المريضة!

جز على أسنانه بغيظ بعدما وصل للأعلى، ليجد الباب مُواربًا بفتحة صغيرة للغاية تكاد لا تُذكر، فتح الباب بهدوء ودلف بترو، وما لا تعرفونه أن "چون" وقح بدرجة لا تُوصف، لكن لا يظهر عليه هذا، وهذا ما يخافه.

استمع إلى صوت همهمات آتية من أحد الغرف المجاورة لغرفة والدته النائمة، فاقترب منها مُبتلعًا ريقه بخوف من تلك الوسوس التي بدأت تدور بعقله، هل اعتدى عليها؟! أم هي من قد سلمته ذاتها بإرادتها، وإن كان هذا أو ذاك سيقتلهم الإثنين لا محالة.

فتح الباب على بَغْتَةً وعينه مُنتظرة رؤية مظهر وقح يصدمه، لكن ما صدمه حقًا هو رؤيته لـ "چون" وهو مُكبل على أحد المقاعد، وعلى ثغره يُوضع لاصق يمنع خروج صوته، وأمامه "لوسيندا" التي تقف أمامه والغضب مُرتمس على وجهها، بالإضافة إلى تلك العصا التي تمسكها بيدها وكأنها تُعذبه!.

وضع "قاسم" يده على صدره بعد أطلق زفيرًا يدل على راحتته، ثم تمتم لها بإعجاب وهو ينظر بشماتة لـ "چون" الذي سد له نظرة رجاء:

__ جدعة والله، أنا كنت عارف إنك بنت بـ 100 راجل.

ثم نظر لـ "چون" بسخط قبل أن يذهب ويُغلق باب الغرفة مُجددًا:

ـ أحسن خليك زي الكلب كدا يا سافل.

أغلق الباب وعلى شفثيه ابتسامة عابثة على ما فعلته "لوسيندا" به، وبالطبع لن يخرج قبل الدلوف للإطمئنان على والدته، فتح باب غرفتها ببطئ فوجدها نائمة كالعادة، زفر باختناق لرؤيته للأسلاك مُوصلة بجسدها وهي نائمة وشاحبة كالعادة.

اقترب منها بهدوء حتى جلس على جانب الفراش، أمسك بكف يدها الموصل للمحلول الذي يمدها بالفيتامينات ثم قبله بحرارة شديدة، وبعدها همس بإشتياق أهلكه:

ـ وحشتيني.. مش ناوية ترجعي بقى؟! بقالي سنين مش بعمل حاجة غير إني أطلب منك الطلب دا وأنتِ مش عايزة تسمعي كلامي.

وكالعادة لم يجد سوى الصمت، وهذا ما كان يتوقعه، يشعر بالألم من ابتعاد روحها عنه رغم وجود جسدها جانبه، وكما يفعل دائمًا وضع رأسه على صدرها دافئًا ذاته داخلها،

يهرب من العالم إليها، وهي الملاذ الوحيد له رغم غرْبته،
صعد صوته مُتألِّمًا وهو يتحدث معها كأنها تسمعه:

_لقيت مُتبرع بعد شهرين من البحث، لقيت كلى مشابهة
لنوع الأنسجة بتاعتك، بس للأسف دا كله هيتم بعد شهرين،
هستنى شهرين تانيين عشان تعملِي العملية وترجعي معايا
تاني، عارف إني مقصر في حقك بس أنا بجيبه من اللي
ظلموك، أنا بحبك أوي يا ماما ومحتاجك معايا، أنا مشبعتش
منك ولا من حنيتك، من بعد موت أخويا وأنا فقدتك، بس
قسماً بالله هجيب حقك وحقه، ودا كله البداية مش أكثر.

أغض عينه لتهبط دمعة كانت مُحْتبسة من بين جفنيه بألم،
يُريد عودة والدته إليه، يريد شقيقه كذلك، يحتاج لعائلته
التي حرمتها منه عائلة "الأرمانى"، ورغمًا عنه تذكر مقاطع
مما حدث قديمًا، تذكر وفتح جرحه أكثر وأكثر، وهو فقط
يُعاني بصمت.

عودة للماضي

عاد من مدرسته وهو يبكي بحزن من ضحكات زملائه
عليه، مسح دموعه بكم قميصه المدرسي المُتهالك ثم داف

حارة القناص

لمنزله، رأته والدته "حياة" بذلك المظهر، فذهبت إليه
مُسرة مُتحدثة بفرع:

_مالك يا "قاسم" يا حبيبي بتعيط ليه!؟

اغرورقت الدموع بعين "قاسم" الواسعة مرة أخرى، ثم
أجابها بنشيج:

_صحابي النهاردة فضلوا يتريقوا عليا عشان فقير وهدومي
مقطعة، وبيقولوا عليا فاشل كمان.

نظرت لإبنها بشفقة هابطة له وهي تستند على ركبتيها، ثم
احتضنته بحنان مُربتة على ظهره الذي يهتز من بكائه،
ليصعد صوتها هامسًا بهدوء:

_أنت مش فقير، هما اللي فقرا ومش محترمين، الغني غني
بأخلاقه وأدبه وتعليمه، مش بفلوسه ولبسه النضيف
وشكله.

هدأ قليلاً من بكائه بسبب حديثها الهاديء الذي بثته إليه،
ابتعدت عنه قليلاً ثم حملته بمرح على ذراعها مُتجهة به
نحو الأريكة المُتهالكة، وأكملت حديثها مُمسدة على خصلاته
المُجعدة قليلاً:

_مش لازم لما أي حد يقولك كلمة تبقى صح، حتى لو هو شايفك كدا فعلاً، هما قالوا عليك فاشل، بس أنت بتعمل كل اللي عليك عشان تذاكر وأنا عارفة دا وبشوفك وأنت سهران بليل، أنت راجل، هما لسه أطفال بياخدوا فلوس من أهلهم ودا حقهم، بس أنت بتتكسف تطلب من بابا فلوس عشان أنت عارف إن هو مش معاه، مش عايز تخرجه وعشان كدا بتسكت.

رأت نظراته المُلتمعة التي يُحدجها بها، لتهبط على وجنته المُمثلة قليلاً تُقبلها بحنان شديد، تبعها قولها المُشجع:

_عارفة إن احنا مش معانا فلوس كثير، بس احنا عندنا أجمل وأحسن ابن في الدنيا، معانا "قاسم" حبيبي ونور عيني، أنا واثقة فيك، وواثقة إنك هتوصل للي أنت عايزه، عشان أنا ابني بطل.

اتسعت ابتسامه "قاسم" بطفولية وكان لم يُصيبه الحزن يوماً، فبادر باحتضانها وإحاطة عنقها بقوة، ثم ردد بحب غريزي:

_أنا بحبك أوي يا ماما.

عودة

_أنا بحبك أوي يا ماما.

كرر جملة التي قالها قديمًا ودموعه تهبط بلا توقف، لم يُزيده التذکر سوى مرارةً وألمًا، لم يُزيده سوى حقدًا وإنقاصًا ممن كانوا السبب في حرمانه من عائلته الجميلة، ومع الدمعة الأخيرة التي هبطت منه؛ خرجت منه همسة حاقدة بإسم ضحيته الجديدة:

_ "صهيب الأرماني".

_ بقولك إيه حل عن دماغي، هو إيه اللي عملت فيك جميلة!!

هتفت "ملك" بتلك الكلمات بعصبية شديدة، ليُجيبها "رائد" المُستند بظهره على الفراش بعث:

_ آه طبعًا عملت فيك جميلة، تفتكري لو مامتك كانت عرفت إنك بتكلميني كانت هتسكت؟! باين عليها شديدة.

كزت "ملك" على أسنانها بغيظ هاتفة بغضب:

_ بقولك إيه ابعدهني ومتكلمنيش تاني، ولا كأنك كنت تعرفني أصلاً.

هبّ من مكانه فجأة ثم تفوه بمكر خبيث:

_ وأنتِ فكرك دخول الحمام زي خروجه يا "ملوكة" ولا إيه؟!!

أغمضت "ملك" عينيها بشك ثم سألته بترقب:

_ يعني؟!!

التوى ثغره بعثت مُجيباً إياها بما كانت تخاف أن يتفوه به:

_ يعني عايز أقابلك، تعارف يعني، يمكن لما نتعرف أكثر وناخد على بعض يبقى فيه بينا شيء رسمي.

رفضت بشدة عرضه وهي تقول بحدة:

_ لأ طبعاً أنا عمري ما أقابل راجل غريب أبداً.

يا طاهرة..

قالها بضحكة عالية ظناً منه أنها تمزح، ثم تشدق بسخرية:
_ يعني أنتِ تكلمي راجل غريب عنك آه، لكن تتقابلوا لآ!!
فتاة ذات مبدأ صحيح.

نفخت بغیظ من تلك الكارثة التي ورطت نفسها بها، وظلت
تفكر لبضعة ثوانٍ، حتى أردفت بجمود:
_ تمام ماشي، هقابلك بكرة بعد الجامعة ونشوف هنوصل
لإيه، يلا غور في داهية.

بينما هو نظر للهاتف بصدمة، لقد سبّته للتو، بل وأغلقت
الهاتف بوجهه، تلك القصيرة سليطة اللسان سيرها غداً،
وهذا ما حدّث به نفسه.

إن كان لديك القوة للتغلب على أحاديث عقلك المريضة؛
فأنت شخص مكافح إذاً، أما إذا كان وسواس عقلك هو من
يُسيطر عليك؛ فأنت في خطر شديد، عادةً ما يكون العقل

ذات تأثير قوي على الفرد، خاصةً إن كان تفاعلك معه بشكل مُستمر ومُكتمل، أو إن كنت في سن المراهقة الخطرة، حينها لديك خياران، إما أن تتجو من تفكيرك المُهلك، أو إنك ستؤذى كما حدث بالجميع.

أمسكت "سهيلة" برواية خاصة بها تقرأها بتمعن شديد، هي من مُحبي القراءة كأغلب الفتيات في عمرها المُراهق، خاصةً روايات الحب والرومانسية، تُشعرها بأنها تُخلق عاليًا بين السحاب، فترسم عالمًا وريديًا خاصًا بها وبشريك أحلامها المجهول، لكن تلك المرة هي تقرأ رواية مُليئة بالغموض والأكشن، وهذا أكثر الأنواع إثارة وحبًا لها.

كانت عيناها تجول بين الكلمات المخفية بألغاز كثيرة عجزت عن حلها، قوة الأفكار وسردها الرائع هو من جذبها لها، غير ذلك أن الرواية لكاتب عظيم هي تعشقه وتعشق جميع أعماله من أولها لآخرها، وذلك لأسلوبه المُتميز في تدوينها، فكان الكتاب يُسمى (سر الغرفة 207) وكم وقعت في عشقه كثيرًا.

استمعت إلى صوت هاتفها يُعلن عن رسالة نصية، أغلقت الكتاب ثم فتحت تطبيق الرسائل الشهير واتساب، فوجدت العديد والعديد من الرسائل في المجموعة المُشتركة بينها

وبين أصدقائها في الجامعة، كانوا مش عُشاق القراءة هُن
الآخريات، لكن ذوقهم يختلف كُلياً عنها.

تحدثت معهم لبضعة دقائق وفتحوا أحاديثاً مُختلفة عِدّة،
لتسألها صديقة لها والتي تُسمى "منه":
_ "فينك يا بنتي مخفية كدا؟"

أجابتها "سهيلة" بمزاح وهي تكتب بابتسامة طفيفة:
_ "عايشة في عالمي الخاص مع اجوازاتي، وقعت في حب
كل أبطال الرواية".

أنهت جملتها ببعض الأشكال الضاحكة لترد عليها صديقة
أخرى والمُسماه بـ "ساندي":
_ "معاك حق، ربنا يوعدنا يارب بناس نضيفه زيهم، أنتِ
بتقراي إيه دلوقتي؟".

سألتها "ساندي" باستفهام، فأجابتها "سهيلة" بحماس
وهي تُرسل لها:

_ "رواية اسمها سر الغرفة 207 للدكتور أحمد خالد توفيق
الله يرحمه، بس جامدة من الآخر يعني".

أرسلت في نهاية حديثها الكثير من القلوب الحمراء التي تدل على شدة حبها لتلك الرواية التي عشقتها للغاية، امتعضت "ساندي" ثم كتبت لها:

_"محبش الروايات بتاعة الكاتب دا، بحسها مُملة أوي، عامةً أصلاً أنا مش بحب الروايات الفصحى".

أجابتها "سهيلة" باستنكار:

_"طب اسكتي اسكتي أنتِ متعرفيش حاجة عن العظمة دي، أنتِ بتقراي إيه دلوقتي؟! ".

تلك المرة أجابت "منه" التي كانت تُتابع حديثهم بصمت:

_"بعنتلي رواية تحفة أوي وجامدة آخر حاجة، اسمها (***** ***) البطل جنتل مان أوي فيها".

تحمست "سهيلة" لقراءتها، لذلك دون أن تعي تفوهت قائلة:-

_"الله اسمها حلو وانتوا كمان حمستوني ليها، هاتوا اللينك عشان أقرأها".

أرسلت لها صديقتها الرابط الخاص بالرواية التي تقرأها،
فكتبت "سهيلة" لها وهي تتأنب بنعاس:

_ تمام أوي هقرأها بكرة وبعدين أقولكم رأيي.

_ تمام يا روعي، يلا تصبحوا على خير عشان ورانا جامعة
الصبح، نبقي نتقابل بكرة بقى.

أغلقت "سهيلة" الهاتف ثم أمسكت الكتاب تقرأ به مُجددًا
ساحبًا أياها بين كلمات السطور الجاذبة.

جاء الصباح، وأشرقت الشمس بنورها لتُغطي ضوء القمر
الطفيف، واستيقظت "أهْلَة" بتأفف عندما صدح رنين
هاتفها بالمنبه لإيقاظها، اعتدت في مكانها ثم أعلقته ببطء،
كادت أن تضع الهاتف مرة أخرى؛ فوجدت رسالة نصية منه
وكان محتواها:

_ "مستنيك النهاردة في كافيهِ *** عايزك في موضوع مهم.

رأت الرسالة ولم تُجيبه، بل وقفت مكانها ثم دلفت للمرحاض
لتغسل وجهها الناعس بالماء جيدًا، مُقررة أن تذهب أولاً
إلى الجريدة؛ لرؤية تأثير الأخبار التي قامت بنشرها أمس،

حارة القناص

بالطبع سيتم إغلاقها بعد أن يتم زج المدير الحقير في السجن، وهذا ما تريده، تريد إشعال كل ما حولها دون أن يرف لها جفن.

جففت وجهها بالمنشفة ثم خرجت لتجد والدتها تبدأ بـ رَص الأطفال جانب بعضها، سددت لها والدتها ابتسامة خفيفة قبل أن تقول بمرح:
_ أهلاً بعروستنا القمر.

ابتسمت "أهّلة" بخفة، وما كادت أن تُجيبها حتى استمعت إلى صوت "ملك" الذي يأتي من خلفهم بحنق:
_ ياما.. مين خد الكنزاية اللي كانت في التلاجة؟!!

حدجتها "أهّلة" باشـمنزاز، كذلك جعدت "نبيلة" وجهها بقرف وهي تردد كلمتها الأولى:
_ ياما؟!؟! أنتِ جاية من الشارع يا بت أنتِ؟!!

تأففت "ملك" بضجر ضاربة بقدمها في الأرض بسخط، قبل أن تهتف حانقة:
_

حارة القناص

ـ يعني أنت يا ماما سايبه الكلام كله ومسكتي في دي؟! أيوا
برضه مفهمتش مين اللي خد الكنزاية بتاعتي!؟

وضعت "نبيلة" طبق السلطة من يدها على السفرة، ثم
التفتت لها ذاهبة تجاهها وهي تخلع نعلها مُسرعة، وقبل أن
تقذفه في وجهها تداركت "ملك" الموقف مُهرولة من
أمامها، لتظهر من خلفها "يمنى" التي خرجت لتوها،
ولسوء حظها احتضن خُف والدتها وجهها بقوة مما أدى
إلى صراخها بألم شديد.

كتمت "أهّلة" ضحكاتها وكذلك "ملك" التي وقفت بجانبها،
فمالت عليها "ملك" مُردفة بغیظ:

ـ قلبي بيقولي إن هي اللي شربت الكنزاية بتاعتي عشان
كدا ربنا جابلي حقي منها.

نكزتها "أهّلة" في جانبها بخفة مُتمتمة بخفوت:

ـ اسكتي لو "يمنى" سمعتك هتخلي وشك شوارع.

بينما وضعت "يمنى" يدها على وجهها بألم وهي تُصيح
بسخط:

ـ في إيه يا ماما على الصبح يالهوي.

حدجتها والدتها بضجر ثم ذهبت من أمامهم وهي تُتمتم
بكلمات لم يستطيعوا تفسير معانيها، اقتربت "ملك" من
شقيقتها المُمددة على الأرض ثم سألتها بترقب:
مين اللي خد الكنزاية اللي في التلاجة يا "يمنى"؟!

رفعت "يمنى" أنظارها إليها وهي تُعدّل من وضع نظارتها
الطبية، ثم أردفت بلامبالاة:
أنا و...

وما كادت أن تُكمل حديثها، حتى استمعت إلى صوت صياح
"ملك" العالي بسوقية:

_جتك أوا في جنابك يا بعيدة، يارب تطفحيه يا شـيخة،
روحي قلبي وربي غضبانين عليك، ربنا يسلط عليك خلقه
وتتسرقي يا بغلة، روعي استحمي يا "يمنى"، أنتِ محتاجة
تستحمي يمكن تبطلي النتانة اللي بتجري في دمك دي._

حدجتها "يمنى" بعدم تصديق من وصلة سبابها التي لم
تنتهي، بينما "أهّلة" انفجرت في الضحك على مشابغتهم
الدائمة، خاصةً "ملك" و"يمنى"، أو "ملك" ووالدتها،

حارة القناص

توقفت عن الضحك ثم جال بعقلها سؤالا لم تكتمه كثيرا
فأردفت تسألها بترقب:

_جيبتي الكانز دا منين يا "ملك" أصلا؟!

أخذت "ملك" نفسا عميقا ثم أجابتها على مهل رغم غضبها
من شقيقتها:

_من الواد "قاسم" خطيبك.

رددتها "أهلة" خلفها بتشنج قائلة:

_الواد "قاسم" خطيبي؟! آه لو سمعك وعهد الله ما
هتاخدي في إيده غلوة.

قالت جملتها الأخيرة بهمس لم يصل لمسامعها، بينما هبت
"يمنى" من مكانها بغضب وهي تُشير بيدها أمام الأخرى:

_يعني شحاتة ومعفنة وكمان جاية بتتخانقي معايا يا أنتن
خلق الله؟!!

وضعت "ملك" يدها على رأسها ضاربة عليها بضربات
خفيفة:

_ أه يا "يمنى"، وطلاق ثلاثة لو مديتي إيدك على حاجة
تخصني تاني هقطعهاك، آمين؟! آمين إن شاء الله.

أنهت حديثها ثم ذهبت من أمامهم دالفة لغرفتها لترتدي
ثيابها مُتجهزة للذهاب إلى جامعتها، وبعدها تذهب لمقابلة
ذلك الحقير كما تُلقبه، لكن! هناك خطة خبيثة في عقلها
وعزمت على تنفيذها لتلقينه درسًا لن ينساه.

_ مش هنقدر نعمل أي حاجة يا "نبيل" من غير ما يكون
فيه دليل، القاضي مش بيقتنع غير بالأدلة، أنا عايزه ياخذ
إعدام يا "نبيل" مش مجرد حُكم بسيط وخلص.

أجابه "نبيل" على الناحية الأخرى من الهاتف مُجيبًا إياه
بهدوء:

_ حاضر "صهيب" بيه تحت أمرك.

أغلق "نبيل" مع "صهيب"، ثم أتى برقمًا آخر وهاتفه
مُنظرًا الإجابة، وبالفعل أتاه الرد بهدوء:

_ ألو.

_ألو يا "مختار" بيه؟!!!!!!

وعلى الجانب الآخر.. حوّل "صهيب" أنظاره حيث "حبيبة" التي هرولت إليه بإبتسامة مُشرقة عكس الحالة التي كانت بها أمس، توقفت أمامه قافزة بسعادة وهي تُمسك بيده:

_أنا جاهزة يا "صهيب".

نظر أولاً لثيابها التي كانت ترتديها، والتي كانت عبارة عن بنطال جينز واسع من اللون الأسود، وتعلوه كنزة شتوية وردية اللون تصل إلى منتصف فخذها، حدجها برضا راسماً على وجهه إبتسامة واسعة تُماثلها، ثم أمسكها من خديها يقرصها بخفة وبطريقة مرحة عكس ما كان به من جمود:

_إيه الحلويات دي بس!!

إحمرّ وجهها حرّجاً وتمتمت بخفوت:

_شكرًا.. مش يلا بينا.

غمز لها مُرددًا على مسامعها:

_ يلا يا ست حلويات.

كتمت ابسامتها بصعوبة بينما تذهب خلفه لتتبعه حيث
سيارته، صعدت للسيارة بينما هو دار للجهة الأخرى ثم
استقل مكانه هو الآخر، أدار المُحرك ثم سألها بتفكير:

_ ها بقى! تختاري تروحي أي محل؟!!

هزت كتفها بجهل مُجيبة إياه:

_ مش عارفة أي حاجة، المهم أجيب لبس شيك وفي نفس
الوقت ميكونش ضيق.

رسم "صهيب" ابتسامة مُفتخرة على ثغره، ثم أردف بفرح:
_ فخور بيك كأنك بنتي، رغم إني مكونتش بطيقتك لا أنتِ ولا
أمك بس يلا حصل خير.

تحول وجه "حبيبة" للسخرية وهي تُجيبه:

_ لأ كتر خيرك والله.

منع ضحكاته ثم انطلق بسيارته بسرعة عالية، وبعد ما
يقرب النصف ساعة وصلوا إلى مكان مليء بالملابس

الكثيرة والتي تخص الرجال والنساء معًا، ظلت أنظارها تبحث عن نوع معين من الملابس التي ترسمه بمخيلتها، حتى وجدته أخيرًا، أشارت لـ "صهيب" وهي تهز يده بخفة:

ـ بص يا "صهيب" إيه رأيك في دا؟!!

نظر حيث تُشير، فوجدها تقصد ذلك الفستان الذي يخص حفلات الزفاف والمناسبات، والذي كان عبارة عن فستان من الحرير اللامع من اللون الفيروزي، وبالمنتصف يُزينه بعض حبات اللؤلؤ التي تشبه الماس في لمعانها، ومن الرقبة مزين بنقوش خفيفة تُشبه تلك الزينة الموجودة بالخصر.

طالعه بإعجاب شديد، خاصةً أنه يُغطي الجسد كاملاً، لذلك أردف بإقتناع وإعجاب بزوقها الرفيع:

ـ حلو أوي.. وهيكون أحلى عليكِ كمان.

ـ بجد؟!!

سألته مُتلهفة لإستماع تأكيده، وحقق لها أمنيته عندما أوما لها يهز رأسه بالإيجاب.

حارة القناص

شقت الإبتسامة وجهها، ثوانٍ ما اختفت عندما لمحت رقم والدتها يُضيء على شاشة هاتفها العريضة، رفعت أنظارها لـ"صهيب" المُتابع لها ثم قالت بإرتباك:

_دي ماما.

مدّ يده لها يحثها على إعطائه للهاتف بعد أن قال بصوت صارم:

_هاتي التليفون.

_ليه؟!!

تسائلت بإرتباك، ليكرر حديثه مرة أخرى لكن بغضب:

_بقولك هاتي التليفون وملكيش دعوة.

أعطت له الهاتف بتوتر وهي تدعو داخلها أن تُمرر والدتها خروجها مع "صهيب" مرور الكرام، بعدما تناول "صهيب" منها الهاتف وفتح المكالمة، ثم أجاب بصوت عملي وجاد للغاية:

_هذا المستخدم لا يريد سماع صوت أهلك مرة أخرى، بالرجاء عدم الإتصال مُجددًا، تيت تيت تيت.

أنهى الإتصال مُغلقًا بوجهها، بينما فتحت "حبيبة" عينيها على وسعها بعدم تصديق، رددت بدهشة وبدون وعي قالت:

__يخربيتك أنت عملت إيه؟!!

أجابها بلامبالاة وهو يُعطي لها الهاتف مرة أخرى:
__يا شيخة بلا هم، احنا ناقصين نكد!! المهم يلا عشان نلحق نشترى هدومك عشان ورايا شغل كمان ساعتين.

أجابته بقلق وهي تسير بجانبه:

__شغل شغل، أنت هتروّح معايا الأول، ما أنا مش هتهزق لوحدي.

أجابها ساخرًا أثناء وقوفه أمام أحد الفساتين الفخمة يتفحصهم:

__وهي تقدر تتكلم معايا أصلًا؟! قال تهزقني قال، يلا ياختي عشان ننجز في يومنا دا.

حارة القناص

إن اجتمع الخير والشر معًا بالطبع سيطبع الشر على الخير فيجعله نفس نسخته أو أكثر، لكن ماذا إن اجتمع الشر مع الشر؟! أو بالأصح ماذا إن اجتمع القاتل مع القاتلة في تخطيطٍ ما؟! سأترك لكم إذا حرية التخيل والإجابة.

جلست "أهّلة" على المقعد المقابل لـ "قاسم" ثم هتفت
بهدوء:

ـ خیر طلبت تشوفني لیه؟!!

تجاهل سؤالها فأردف متسائلًا ببرود:

ـ تشربي إیه؟!!

ـ هاتلي سحلب.

ورغمًا عنه إلتوى ثغره بابتسامة طفيفة، مُناديًا للنادل الذي جاء إليهم مسرعًا، وذهب بعد أن أملاه طلبها وطلب هو قهوته الخاصة، حمحم بهدوء ثم تحدث تلك المرة بجدية شديدة:

ـ إیه الأخبار؟!!

أجابته واثقة:

_ كله تحت السيطرة، لسه جاية من الجريدة وعرفت إن فيه تهديدات بتيجي لرئيس التحرير بس لسه معرفتش مصدرها، بس مسيري هعرف مين هو.

تفوه بما لم تتوقعه حيث قال بهدوء واثق:

_ "صهيب الأرمانى" هو اللي بيبيع.

أجابته مندهشة بمعرفته للأمر قائلة:

_ عرفت إزاي؟!!

_ عرفت إزاي دي بقى يخلصني، واللى يخلصك تكتبي خبر صحفى محترم عن "صهيب الأرمانى".

ضربت بأصابعها على الطاولة تُفكر حتى ينتهي النادل من وضع المشروبات أمامهم ثم ذهب بهدوء مجددًا مثلما جاء، وهُنا تحدثت بثقة وأعين ماكرة:

_ خلى الحكاية دي عليا ومتشلس هم، كله هيجي واحدة واحدة وكله هياخذ جزاته.

طالعه بضحك عندما غمز لها بكلمته المعتادة:

كفاءة.

ظهرت نواجزها المخفية خلف جمودها، وانتبهت لحديثه الذي قال بهمس وخفوت شديد يُنذر بالشر:

عائزك في حاجة أهم ومفيش غيرك اللي هيقدر يساعدني بخبر من بتوعك.

تنبهت حواسها له ثم أردفت بترقب حذر:

خبر إيه اللي عائزني أنشره.

جملة واحدة خرجت من فمه كانت بمثابة الهلاك للجميع:

"مستشفى الأرماني" بتاجر في الأعضاء.

«يُتَبَعُ»

#حارة القناص.

اشروق حسن | 🌸

من سنن الرسول ﷺ:

الصلاة عند رؤية ما يكره في المنام، وترك التحدث به: قال ﷺ: "فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ".

رواه مسلم

«الفصل التاسع»

«حارة القناص»

«ذكريات موجعة»

سيئون! كلمة واحدة بسيطة تُعبر عن مكنونات الصدور، ترى ظاهرها بينما تجهل عن الدواخل المليئة بالبغض، بعض البشر عبارة عن كُتلة من الشر التي تسير لتُسبب الخراب، الإنتشاء الذي يحتلهم عند رؤية عذاب الآخرون

يُشعرك بالقشعريرة، أحياناً على المرء أن يتخذ خليلاً له في رحلته بالحياة، لكن لا تُسَلِّم مفاتيح لسانك لغير قلبك، فليس للصديق عليك تعهيداً.

رُمشت "أهلة" عدة مرات تُحاول إستيعاب الكلمات التي رماها دُفعةً واحدة على مسامعها، أعضاء!! كلمة واحدة لكن معناها كبير للغاية، معنى مُهلك وقابض للقلوب، نظرت إليه بتيهة بينما رددت مُصدمة من ذلك السر الجديد الذي اكتشفته للتو:

أعضاء!! إزاي!!

كان على ثقة بصدمتها، لكن كان يجب عليه إخبارها لتستطيع مساعدته في رحلة إنتقامه، لذلك صعد صوته هادئاً وهو يؤكد لها:

أيوا أعضاء، ومش من أي حد، دي من المرضي بتوع المستشفى.

هزت رأسها بعدم تصديق وتشوش، وكأنها لا تعلم مدى حقارة تلك العائلة المليئة بالقاذورات، هي فقط تنتقم منهم لسبب ما تحتفظ به لنفسها، لكن لم تكن لتتوقع أن تصعد كل تلك الدناءة منهم ويتاجروا في أعضاء مرضاهم، اشتعلت

عينها أكثر وارتفعت رغبة الإنتقام أكثر، ولم تكن نيرانها فقط التي اشتعلت، بل نيرانه أيضاً التي احتضنت عيناه عندما عادت لقطات من الماضي لترقص أمامه وكأنه تُغيظه!

صعد صوتها تسأله باهتزاز:

_ أنت متأكد من الكلام دا؟! الخبر دا لو طلع مش حقيقي الدنيا هتقلب علينا احنا.

أكد لها بجدية كبيرة ومعالك وجهه يُسطرها الجمود:

_ بقولك متأكد هعيد وأزيد في الكلام كتير!؟!

رغمًا عنه صعد صوته حادًا تلك المرة بدون قصد، وكأنه بتلك الطريقة سيستطيع إخماد تلك النيران الناشبة في جسده، قطبت جبينها بضيق من أسلوبه الحاد، لذلك صاحت بحدة مُماثلة له:

_ طيب اتكلم عدل أنا مش عيلة قدامك عشان تزعقلي كدا.

مسح وجهه بنفاذ صبر ولم يرد على حديثها، بل أمسك بقائمة المأكولات ناظرًا لها بضعة ثوانٍ، ثم رفع نظره لها يسألها بهدوء أدهشها:

_ تاكلي إيه؟!!

وبتلقائية و غضب هبت من مكانها ثم أجابته ساخطة:

_ محشي، عارف المحشي؟!!

قالت جملتها ثم تركته وغادرت تاركة إياه ينظر لأثرها
بابتسامة طفيفة تشكلت على ثغره تلقائياً، قطع شروده
صوت النادل الذي تحدث بعملية يسأله:

_ تطلب إيه يا فندم؟!!

أجابه بعث وضحكة طفيفة:

_ محشي.

قطب النادل جبينه بدهشة مُتسائلاً:

_ نعم يا فندم؟!!

وجّه "قاسم" أنظاره إليه ثم أردف ببرود أثناء رفعه لإحدى
حاجبيه:

_ بقولك محشي، إيه معندكوش محشي؟!!

حمم النادل بحرج مُجيبًا إياه بإحترام زائد:

_ لا عندنا يا فندم، حضرتك عايزه إيه؟!!

أرجع ظهره للخلف مُستندًا على المقعد براحة وهناك فكرة
خبیثة تدور بعقله، ثم هتف بمكر:

_ هاتلي كل الأنواع ولفهم لفة حلوة كدا.

أومأ له النادل بإحترام مُدونًا ما طلبه في نوت صغيرة
يمسكها عادةً، تاركًا إياه ينظر من الزجاج المجاور له
مُشاهدًا ابتعادها بسيارتها عن المكان.

قاطع شروده صوت الهاتف الذي على رنينه فجأة، نظر
لشاشته؛ فوجد رقمًا غير مُسجل يتصل به، انتظر يُفكر قليلًا
ثم فتح المكالمة يُجيب بهدوء:

_ ألو مين معايا؟!!

أتاه صوت أنثوي يظهر عليه الضجر:

_ ألو دكتور "قاسم"؟! أنا "ملك" أخت "أهلة" وكنت عايزة
أقول لحضرتك إن صاحبك اللي ما يتسمى "رائد" مش

ساييني في حالي، وهو دلوقتي جاي يقابلني عند الجامعة
بتاعتي بعد نص ساعة بالظبط.

جزّ "قاسم" على أسنانه بغيظ من أفعال صديقه المراهقة،
مطلقاً سباباً عليه وعلى اليوم الذي رآه به، ورغم كل هذا
خرج صوته يُخبرها بهدوء:
طيب أنا جاي.

اختر صديقاً صالح من بين آلاف الطالحين، فوالله لو صادقت
الصالح لربحت الدنيا وما فيها، وإن اخترت الطالح فتيقن
من خسارتك للأخرة قبل دنياك الفانية.

وصلت "سهيلة" لجامعتها التي تدرس بها، واتجهت تلقائياً
لمكان تجمعها هي وأصدقائها، ابتسمت بخفة عندما وجدتهم
يجلسون على الأرض الخضراء العشبية أسفل إحدى
الأشجار الطويلة؛ لتُظللهم، تنهدت وهي تجلس بجانبهم قبل
أن تردف بود:
صباح الخير.

حارة القناص

أجابتها كلاً ممنهن على حدة، وظلوا يتحدثون في أمور عدة،
إلا أن قاطعتهم "منه" مُوجهة حديثها لـ "سهيلة" التي
أولتها إنتباهها:

صحيح يا "سهيلة" قرأتي الرواية ولا لسه؟!!

هزت رأسها بالنفي مُبررة بهدوء أثناء فتحها لهاتفها:

لأ لسه، بس إن شاء الله ناوية أبدأ فيها النهاردة، كدا كدا
مش بفهم حاجة من شرح الدكتور فهدأ أول فصل فيها في
المحاضرة.

حذرتها صديقتها الأخرى والتي تُدعى "ساندي":

لأ لأ دي متقريهاش في المحاضرة، أنتِ تقرايها لما تكوني
لوحداك ومحدث جنبك.

قطبت "سهيلة" جبينها بتعجب وإستغراب ثم سألتها بريية:

ليه يعني هي فيها حاجة مش كويسة!!

نكزت "منه" صديقتها "ساندي" مُردفة بنفي:

حارة القناص

_لأ يا بنتي كلها حاجات عادية يعني، وبعدين مفيهاش حاجة لو عرفنا شوية حاجات كدا، مسيره يجي اليوم اللي نفهم فيه كل حاجة.

لم يصل مقصدهم لعقلها الصغير، فهي دائماً ما كانت تُحاول منع الوسائل الخارجية من السيطرة على عقلها، رغم ضعفها أحياناً وهي لا تُتكر، لكن تلك المفاهيم تحديداً لم تكن لتخطر على خاطرها يوماً.

هزت رأسها بعدم إطمئنان وهي تلاحظ نظراتهم المُتبادلة، وداخلها صوتاً يُخبرها وبإلحاح "لا تفعلي، لقد نفذتي بأعجوبة المرة الماضية من تلك الرواية اللعينة"، حاولت إلهاء نفسها وطمأنة ذاتها وصعدت معهم لمبنى الكلية الخاصة بها.

سبقت أصدقائها وصعدت أمامهم على درجات السلم، وفي تلك الأثناء استغلت "منه" عدم رؤيتها لهم وضربت "ساندي" على ذراعها بخفة وهي تُوبخها:

_يا غبية كنتِ هتبوظيلنا كل حاجة، إزاي كنتِ هتقوليلها إن الرواية تصنيفها +18! ما كدا مش هتقرأها.

لوت "ساندي" شفيتها قائلة بضجر:

_مخدتش بالي يا بنتي، وبعدين أهي هتقرأها وهتبقى في نفس الطريق اللي احنا فيه.

ارتسمت ابتسامة خبيثة على ثغر "منه" مُجيبة إياها بتأكيد:

_معاك حق، وبكدا مش هيكون فيه حد أحسن من الثاني، يكش تبطل دور الخضرة الشريفة اللي هي عملاه دا.

وقفت "سهيلة" عندما لم تلاحظ مُجاورتهم لها، ثم التفتت لهم تحثهم على التقدم وهي تُشير لهم بيدها:

_يلا بسرعة عشان متأخرش والدكتور ميطر دناش.

أسرعوا من خطواتهم قليلاً ثم دلفوا للمُدرج الذي يجمع المئات من الطلاب، وجلسوا على مكان بعيد نسبياً من المُعلم حتى لا يستمع إلى أحاديثهم ويقوم بطردهم، وهنا استغلت "سهيلة" عدم رؤية المُعلم لها وأخرجت هاتفها؛ لتبدأ في قراءة الرواية المُرشحة إليها من قِبل أصدقائها، غافلة عن نظراتهم الماكرة التي يتبادلونها معاً.

كانت "ملك" تجلس في محاضراتها شاردة الذهن وعلى ثغرها يرتسم ابتسامة خبيثة بنجاح خطتها، الآن ستلقن ذلك الوقح درساً لن ينساه بواسطة خطيب شقيقتها، خاصةً أنها علمت من "أهلة" أن لدى "قاسم" الهيبة القوية على أصدقائه، وإن كان يريد "رائد" التحدي فهي جاهزة إذاً.

أجفلت من شعورها بأحدهم يُمسك بكف يدها، لتسحبه لا إرادياً أثناء رؤيتها لمن يجلس بجانبها، ولم يكن سوى رفيقها بالجامعة والذي يُدعى "إسلام"، حدجته بحدة قبل أن تقول بغضب وصوت خافت حتى لا يستمع إليها مُعلم المادة:

_ أنت اتجننت؟! إزاي تمسك إيدي كدا!!!

حدجها "إسلام" ساخطاً وهو يرفع لها حاجبيه، ثم أجابها باستنكار:

_ في إيه يا "ملك" اتظبطي! وبعدين مش بتردي عليا ولا على مكالماتي ليه؟!!

ردت عليه بحق مُتجاهلة النظر لوجهه:

حارة القناص

_قولتك أنا واحدة محترمة وخارجة من بين محترم ومليش
في السكة اللي أنت جاي فيها دي.

لوى شفتيه بتشنج قبل أن يُصيح بإستهجان:

_نعم ياختي!! والمكالمات اللي كانت ما بينا دي تسميها
إيه!!

بررت له وهي تقطب جبينها بضيق منه:

_أنا أخري أتكلم في الفون آه، لكن تمسك إيدي وأمسك إيدك
والحوار دا كله مليش فيه.

حقاً؟! وكأنها كذلك تُبرر لذاتها عن الحماقات التي تفعلها،
فتلك التبريرات تُحيك أنسجتها حول رقبتها ببطئ وذن أن
تشعر، وسيأتي اليوم الذي ستتحمك تلك الأحبال حول رقبتها
حتى تُتهيأ كُلياً، والمقصود بإنهائها ليست بموتها، بل
بإستنزاف طاقتها ومشاعرها كاملة.

تحكم الغضب بـ"إسلام" ثم سألها بترقب يشوبه الوعيد:

_يعني دا آخر كلام عندك يا "ملك".

حارة القناص

أجابته ساخرة وهي تتصنع تركيزها على ما يُشرح أمامها:
_ آه ياخويا آخر كلام، بالسلامة أنت بقى يا "إسلام" يا
حبيبي.

قالتها وهي تُشير له للإبتعاد، وبالفعل ابتعد وترك المُحاضرة
وذهب، لكن بلامح مُتهجمة وعقل يُدبر لها مكيدة لتأتي
إليه كيفما يشاء هو، ليس كما تريد هي، وها قد بدأت
الأشواك تنبت لتُعيق طريقها، وكل ذلك بسبب أفعالها هي.

انتهت المحاضرة أخيرًا وحان موعد خروجهم، لملمت
أشياءها ثم اتجهت للخارج مع صديقاتها اللاتي يتحدثون
وسط جو من المزاح والمرح، لمحت بطرف عينيها "رائد"
وهو يقف مستندًا على السيارة، نفخت بغیظ ثم استأذنت من
أصدقائها وتركتهم وذهبت تجاهه.

قابلها بابتسامة سخيفة _ من وجهة نظرها _ حتى وقفت
قبالته، ربت ساعديها أمام صدرها وهي تقول بغلظة:

_ عايز إيه!!!!

تصنّع الحزن ثم أجابها بتأثر زائف:

حارة القناص

_إخص عليك! بقى دي طريقة تقابلي بيها صاحب خطيب
أختك!! لأ بصراحة كسرتي قلبي، لأ ريلي ريلي تفتت قلبي
من الحزن.

_طب تعالى يا حبيبي وأنا أملك شتات قلبك المتبعتر في كل
حِنة دا.

انتفض على صوت "قاسم" الذي أمسكه من ياقة ملابسه
من الخلف، ثم هزّه بعنف بين يديه:
_إيه اللي جابك هنا يالا!??!!

رمش "رائد" بعينه عدة مرات يستوعب حضوره في هذا
الوقت تحديداً، إلا أن تحدث وهو يُمسك بمقدمة ثيابه متفوهاً
بعدم تصديق:

_يا مصيبتى!!! أنا إيه اللي جابني هنا!!

ثم تصنع الصدمة الشديدة وهو ينظر لـ"ملك" الشامتة به:
_سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم، يا ساتر يارب إيه اللي جابك في
بيتنا!??!!

حارة القناص

تراقصت الإبتسامة على شفيتها مُجيبة إياه بإستهزاء:
_ قلبت قطة بلدي يعني!! جتك داهية في معرفتك الهباب.

اعتدل "رائد" في وقفته ناظرًا إليها بسخط، ثم أجابها حانقًا:
_ لأ بقولك إيه أنا راجل أوي، واتلمي عشان احنا كلامنا لسه
مخلصش، وحسبي الله ونعم الوكيل في الظالم والمفتري.

قال الأخير وهو يكاد يبكي من إتلاف "قاسم" لموعده الذي
كان يُخطط له منذ يومين لتعليم تلك الوقحة درسًا لن تنساه،
بينما من المتضح هي من علمته!.

ادّعت "ملك" الحزن؛ فوقفت بجانب "قاسم" بعد أن امتلأت
عينها بالدموع الزائفة التي عرفها على الفور:
_ شايف يا أبيه بيعاملني إزاي!؟!

_ أبيه!!

نطق بها "قاسم" بتشنج، بينما "رائد" احتلت الشماتة
وجهه بسعادة، رفع نظره لـ "قاسم" الذي يفوقه طولًا بعدة
سنتيمترات قليلة، ثم تشدق بسماجة:

_إزيك يا أبيه "قاسم"؟!!

أنهاها وهو يُقهقه عاليًا بشدة، غافلًا عن الغضب والغیظ
المُرتسم على وجه "قاسم" تجاه كليهما، دفعه "قاسم" بعيدًا
ثم استدار إلى "ملك" المُبتسمة ببلاهة، ثم أردف بحنق:

_أنا غلطان إني عبرتك أصلًا، صدق اللي قال اتلم تنتون
على تنتن، قال أبيه قال!..

فزعت "ملك" من فكرة تركها وحدها مع ذلك الغبي الآخر،
لذلك وقفت أمامه ترجوه:

_أنت هتسيبني لوحدي معاه يا أبيه؟!!

اشتدت ملامحه غضبًا ليُصيح بها بنفاذ صبر:

_بت أنت متترفزنيش، إيه أبيه دي!! قوليلي يا زفت الطين
على دماغك بس متقوليليش أبيه دي خالص.

خضعت مُستسلمة قائلة بخفوت:

_حاضر يا أبي.. قصدي يا "قاسم".

عاد "قاسم" مرة أخرى ساحبًا "رائد" رغمًا عنه وسط صياحه الحائق لتركه، حتى دفعه لداخل السيارة وصعد هو للناحية الأخرى ليذهب بها بعيدًا عنها، رفعت "ملك" أصابعها تشير له بشماتة كادت أن تجعله ينفجر من الغيظ، وها هي قد وجدت نقطة ضعفه وتخلصت منه أخيرًا.

الحديث كان مثل السوط الذي هبط على جسدها ليردعه بقوة دون أن يرأف بها، تهبط الكلمات على أذناها فتسبب لها الصمم عن الأصوات التي تدور حولها، خاصة صوت "قاسم" وصوت ذلك العامل الذي ذهبت إليه لتتأكد من حديث "قاسم" رغم تأكدها منه.

_"عيلة الأرماني يا أستاذة كانت بتاجر في الأعضاء، وخصوصًا العيال الصغيرة الصبايا، العيال كانوا بيدخلوا عميلة بسيطة زي اللوز أو الزايدة يخرجوا لأهلهم ميتين، وعشان يداروا على فضيحتهم يقولوا إن الواد أو البت كان عندهم مرض تاني وهو دا السبب في موتهم، فيه اللي كان بيصدق وفيه اللي مكانش بيصدق ويعمل محضر ضد المستشفى، لكن نعمل إيه حسبي الله ونعم الوكيل، كانوا بيستخدموا سلطتهم ونفوذهم عشان يخرجوا من القضايا

حارة القناص

دي زي الشعرة من العجين، ولحد دلوقتي العمليات الغير شرعية لسه موجودة في المستشفى".

أصيبت بالدوار الشديد من كثرة التفكير في هذا الأمر، تذكرت حينما خرجت واتجهت نحو مشفى "الأرمانى"، لكن بعد أن وضعت ماسك الوجه حتى لا يتم معرفة هويتها، وبما أنها في مشفى خاص لم يتم التعجب من حالتها، أخرجت هاتفها ووضعته على أذنها منتظرة حتى يُجيب الطرف الآخر، وبعد ثوانٍ كان يُجيب بهدوء:

_أيوا يا أستاذة تؤمرى بحاجة.

_اطلع برا يا عمى "رضا" عايزاك ضرورى.

جاءها صوته الهادىء قائلاً:

_حاضر يا بنتى دقيقتين وابقى عندك.

أغلقت "أهله" الهاتف وانتظرت لدقيقتين، كان عقلها يعمل مُسرّعاً دون حتى الرأفة بحالتها المتوترة، وبعدها ظهر أمامها رجلاً يسيطر الشيب على ملامحه المُجعدة، ثم تفوه بقلق:

_خير يا بنتى حصل حاجة؟!!

_ عمي "رضا" عايزة أسألك على حاجة وتجاوبني عليها بكل صراحة.

ورغم حيرته وقلقه من حديثها إلا إنه أجابها بتأكيد:
_ لو أعرف أكيد مش هتأخر عنك، أنتِ بنت حلال وتستاھلي كل خير.

لاح الإمتتان في نظراتها فسألته مُترقبة إجابته على أحر من الجمر:

_ مستشفى "الأرمني" بتاجر في الأعضاء؟!.

فتح عيناه على آخرهما بصدمة وصمت لبعض الوقت، وصمته هذا أقلقها بقوة، لذلك أعادت سؤالها مرارًا على أذنه:

_ هو سؤالي صعب للدرجادي يا عم "رضا"؟! بقولك مستشفى "الأرمني" بتاجر في الأعضاء ولا لأ!!!!

وهنا خرج صوته خافتًا بعد أن تهدلت أكتافه بأسى:

_ أيوا يا بنتي.. أيوا...

فاقت من شرودها على صوت "يمنى" التي دلفت عليها
فوجدتها شاردة كعادتها، لذلك تحدثت بسخرية وصوت
يشوبه الحزن:

هتفضلي سرحانة كدا كثير؟!!!

رفعت "أهلة" أنظارها إليها فوجدتها تتجه نحو المقعد
العريض تتمدد عليه بإنهاك، كادت أن توبخها على تقليلها
من حزنها، ولكنها قطعت حديثها عندما وجدت دموع
"يمنى" تهبط دون صوت.

فزعت "أهلة" من مظهرها فهرولت لها مُسرعة حتى
جلست بجانبها، أدارت وجهها المُمتليء بالدموع تجاهه ثم
سألها بقلق:

مالك يا "يمنى" بتعطي ليه!!!! حد عملك حاجة!!!
طميني عشان خاطري.

لم تُجيبها، ولم تتحدث، بل مالت برأسها تستند على عظمة
كتفها من الأمام ثم ظلت تبكي بصمت، ابتلعت "أهلة" ريقها
بصمت ثم أحاطتها خائفة من أن يكون قد أصابها أي

مكروه، وقبل أن تسألها مرة أخرى، وجدت "يمنى" بصوت
مُتعب وحزين:

_أنا تعبت، تعبت ونفسي دا كله يخلص النهاردة قبل بكرة.

مسدت "أهله" على خصلاتها بحنان، وباليد الأخرى تحيط
بها كتفها لتضمها، ثم أردفت بثقة:

_والله خلاص كل دا هيبقى وهم قريب، أنا كمان تعبت
ونفسي أتعالج وأرجع لحياتي الطبيعية، بس دا مش هيحصل
غير ما أنهى إنتقامي من العيلة اللي دمرتنا أنا وأنتِ
و"ملك"، لو أنتِ مش عايزة تكلمي يا حبيبتى خلاص
متكلميش، بس أهم حاجة مش عايزة أشوفك كدا.

هزت رأسها بالنفي وهي تمسح دموعها بكف يدها:

_لأ هكمل، هكمل بس أنا كنت محتاجة إنى أخرج كل اللي
جوايا، خايفة أخسركوا ووقتها مش هلاقي حاجة أعيش
عشانها.

شدت "أهله" من إحتضان رأسها لها، ثم أجابتها
بمشاكسة:

_كلنا هنبقى كويسين بس بطلي قر بقى، مش فاكرة آخر
مرة عيطي فيها عملتي فينا إيه؟!!

ضحكت "يمنى" بخفة هاتفة بضحك:

_ كان هيتقبض علينا، بس ربنا ستر.

أخرجتها "أهلة" من أحضانها ضاحكة أثناء مسحها للدموع
العالقة بأهدابها، وبعدها أردفت بحنان:

_ مش عايزة أشوفك بتعيطي تاني، وبعدين خليكِ واثقة إن
وراكِ راجل يابت.

ارتاحت "يمنى" بعد الحديث مع شقيقتها، واقتربت مُقبلة
إياها على وجنتها بحب مُردفة بإمتنان:
_ بحبك.

أخفضت "أهلة" رأسها للأسفل قائلة بخجل مصطنع:
_ بؤحرج يابت يوه.

قهقهت "يمنى" عاليًا، وكذلك شاركتها "أهلة" في ذلك،
التي ودت لو تمسح مكان قُبلتها شاعرة بالإشمئزاز، لكن لم
تفعل ذلك حتى لا تحزن شقيقتها منها حتى لو كان مرضها
من يضطرها لذلك.

قاطع تحدثهم دخول "أروى" سكرتيرة "ضياء" دون
إستئذان بملامح وجه مُتهجمة، وما كادت أن تتحدث؛ حتى
قاطعتها "أهلة" مُتحدثة بقسوة لها:

_ اطلعي برا واقفلي الباب وراك، ولو عايزة تدخلي ثاني
خبطي على الباب وادخلي لما أسمحك أنا بدا.

قطبت "أروى" جبينها بغضب ثم صاحت بها بحدة:

_ أنتِ بتقولي إيه أنتِ اتجننتي؟!!!!

ارتسمت الشماتة على وجه "يمنى"، بينما احتلت القسوة
معالم وجه "أهلة" قبل أن تتفوه بصراخ أفزع الأخرى:

_ يمين بالله لو ما نفذتي اللي قولتك عليه لهقوم أجيبك من
شعرك وأفرج عليك الجرنان كله، وبلاش أنتِ بالذات
تتحديني عشان سديهاك كلها معايا يا حلوة.

طالعتها "أروى" بصدمة وبعض التوتر، وفعلت ما طلبته
منها! خوفاً من جنونها أولاً، ومنها هي ثانياً، الجميع يخاف
منها بلا إستثناء حتى رئيس التحرير، قوتها وقسوتها
الدائمة تجعل الكبير قبل الصغير يُعيد حساباته في إغضابها،
ودائماً ما يتجنبونها لذلك.

سحبت "أروى" نفسًا عميقًا لتهداة توترها، ثم رفعت كفها ضاممة أصابعها معًا لتطرق بها على الباب، ثانية واثان ولم تستمع لإذن الدخول، لذلك قررت طرقها مرة أخرى بحدة أكبر، ولكن كانت ما يأتيها هو الهدوء فقط، كزت على أسنانها بحقد من أفعالها والتي تتعمد بها إهانتها عمدًا، ضربت مرة أخرى بيدها على الباب لكن بقوة أكبر ناتجة من غضبها، ودلفت عندما استمعت لصوت "أهله" يأمرها بالدخول، وأكثر ما أعاظها هي تلك البسمة المُتبرمة المُرتسمة على وجهها هي وشقيقتها، ولثاني مرة تتعمد إهانتها عندما أردفت بضيق مصطنع:

_ من الأدب والذوق يا "أروى" يا حبيبتي لما تيجي تخبطي على الباب يبقى تخبطي براحة، متبقيش وقحة وقليلة الأدب كمان!.

ردت عليها "أروى" بغضب جم وهي تُشـيح بيدها أمام وجهها:

_ مش لما البعيدة تسمع الأول!!

حارة القناص

وقفت "أهلة" محلها بهدوء، ثم اقتربت منها بترؤٍ ألقها،
حتى وقفت قبالتها مباشرة أثناء وضعها ليدها في جيب
بنطالها القماشي، لتردف بإستهزاء خافت:

__ ما يمكن البعيدة مش عايزة تشوف خلقتك اللي تسد
النفس!! يا شيخة إن بعض الظن إثم مش كدا!.

وبتلك اللحظة لم تجد "أروى" ما تُجيب به لإرجاع كرامتها،
بل صمتت حاقدة عليها ثم أردفت بصوت غاضب مكتوم:
__ مستر "ضياء" عايزك في مكتبه.

قالتها ثم ذهبت من أمامها بخطوات كادت أن تُحطم الأرض
من أسفلها من شدة الغضب، استدارت "أهلة" لـ "يمنى"
التي ما إن رأتها انفجرت ضاحكة، قائلة بعدم تصديق من
بين ضحكاتهما:

__ يخربيت كدا، دا أنتِ دشملتني اللي خلفوها.

أرجعت "أهلة" خصلاتها للخلف بغرور ثم أجابتها ضاحكة:
__ تستاهل.. واخدة في نفسها مقلب وهي فعلاً مقلب، بس
مقلب زبالة.

قهقهت "يمنى" عاليًا وحقًا آلمتها معدتها من كثرة الضحك،
لم تكن لتتوقع أن شقيقتها بكل تلك الشجاعة ولا عن كيدها،
بل هي تفوقت كيد النساء بكثير.

هدأوا قليلًا فأردفت "أهلة" وهي تستعد للخروج متجهة إلى
مكتب "ضياء":

_هروح أشوف" ضياء" عايز إيه، تقريبًا ندالي عشان
الدنيا مقلوبة على الجريدة الفترة دي بسبب الأخبار اللي
بنزلها، بس أنا محضراه حِتة خبر هتقله الجريدة خالص
بس الصبر.

وضعت "يمنى" قدمًا فوق الأخرى قبل أن تتفوه بخبث
مُماثلًا لها:

_وأنا كمان مجهزة خبر هيخرج من نفوخه، بس مش
النهاردة بكرة.

تبادلًا النظرات الماكرة والأحاديث المخفية والتي تصل
مغزاها بالنظرات، فغمزتها "أهلة" مشجعة ولا تعلم لما
خرجت تلك الكلمة تحديدًا منها:

_كفاءة.

_ يعني أنت ضربتهم كلهم بإيد واحدة؟!!

هتفت "لواظظ" بتلك الكلمات وهي تفتح عيناها بإنبهار شديد، وأمامها "فور" الذي يجلس مُتربِعًا، مؤكدًا على حديثها قائلاً:

_ نعم، بيد واحدة "لواظظ"، أنا قوي ألا ترين عضلاتي الكبيرة؟!!

نظرت "لواظظ" لجسده فوجدته مليء بالعضلات حقًا، لذلك هتفت بإبتسامة واسعة:

_ بقولك إيه ما تتجوزني عشان أخلف عيال بعضلات زيك كدا.

قطب "فور" جبينه ووجهه متشنج بإستنكار، ثم قال برفض:
_ لا أريد أن أتزوجك أيها العجوز، فأنتي تُقاربين إتمام المائة عام وأنا مازلت في ريعان شبابي، كما أن لديك الكثير من الأحفاد و..... آه..

حارة القناص

قاطعته عندما أمسكت بحذائها تقذفه على جسده حتى
اصطدم بجدار معدته بقوة، صارخة عليه بنهيج أثر حركتها
المُباغطة:

_ هي مين دي اللي عجوز يابن المقشفة أنت، عمى لما
يجيلك في عنيك يابن "حليمة".

ترك سبابها دون أن يُعيّره إنتباهه، وتساءل بتعجب أثناء
وضعه لكفه على معدته التي تولمه:

_ من "حليمة" تلك؟! والدتي تُسمى "نالي".

وضعت يدها أسفل ذقنها متسائلة:

_ هو مش أنت الواد "سيد" ابن أم "سيد"؟!!

ضرب "فور" على وجهه بنفاذ صبر مُتحدثًا بعصبية:

_ أعطني الصبر والقوة يا الله، تلك العجوز تُثير أعصابي.

استمع لصوت جانبه فنظر إليها حيث تجلس، فوجدها تضع
يدها داخل جيب عبائها السميقة المزخرشة بالورود الكثيرة،
ثم أخرجت منها حلوى صغيرة مُغلقة تُعطيه إياها، وبعدها
أردفت بود:

حارة القناص

__ خلاص خلاص متزعلش، خُد الشيكولاتة دي ومتعيطش.

مدَّ "فور" يده آخذًا إياها بابتسامة مُتسعة شارعًا في فتحها:
__ شكرًا لك أيتها العجوز، أنتِ لطيفة للغاية.

أنزلت "لواحظ" رأسها في خجل ثم أردفت بابتسامة حرجة:
__ الحاج الله يرحمه قالي إني لطيفة برضه وهو بيديني الشيكولاتة.

كان "فور" يأكل الحلوى بإستمتاع، وازداد استمتاعه أكثر
وهو يتسائل بأعين مُلتمة:

__ حقًا هو من أعطاك تلك الحلوى قبل أن يمُت؟!!!

هزت رأسها مؤكدة فتسائل بتعجب وريبة:

__ متى مات زوجك أيتها العجوز?!!!

فكرت "لواحظ" قليلًا وهي تعد على أصابعها، ثم رفعت
أنظارها إليه تُجيبه بحزن غزا ملامحها:

__ بقاله 20 سنة ميت.

حارة القناص

بصق "فور" الحلوى على الفور، وظل يسعل بشدة حتى يتقيأ ما في جوفه قبل أن يتسمم أو يحدث له شيء سيء، وبغضب صرخ بها أثناء إمساكه بمعدته:

_ ماذا تقولين أيتها العجوز؟!!!! تريدان أن تتسببي في موتي واللعنة!!! تُطعميني حلوى انتهت صلاحيتها منذ عشرين عامًا!!، تبًا لك "لواحظ".

استندت "لواحظ" على الحائط الذي بجانبها لتقف بصعوبة شديدة نظرًا لكبر سنّها، ثم اقتربت منه على بغتة أثناء إمساكها لأحد العصي التي كانت تُجاورها ضاربة إياه على ظهره بقوة مما جعله يصرخ بألم عارم من قوة الضربة، وبعدها صاحت به غاضبة:

_ تبًا لك أنت يا معفن يا أبو ريحة نتنة، والله لهقول لأمك يا ابن "سعاد"، مش أنت ابن "سعاد" برضه!!

فقد "فور" صبره بالإضافة إلى ألام ظهره ومعدته المتسببة بهم تلك العجوز اللعينة كما يُلقبها، لذلك دفعها بخفة ثم هروا للخارج أثناء نظره لها بالخلف:

_ أيتها العجوز أقسم بأن أريك من أنا، سأقتلك وأقطع لحمك إربًا إربًا، فقط انتظري.

اغتاظت "لواحظ" من تهديده وقررت الإنتقام منه، لذلك خرجت للشرفة وانتظرت قليلاً حتى يخرج من البناية، وعندما رأته صاحت بعلو صوتها صارخة:

_الحقونــــي حرامي، سرقتني وسرق فلوسي، يا خرابي.

نظر لها "فور" من الأسفل بفزع، وازداد هلعه عندما رأى سُكَّان المنطقة يُهرولون تجاهه في نية للإمساك به وتلقينه درساً لن ينساه، فتح عيناه على آخرهما بهلع من اقترابهم المُباغت، ثم هرول سريعاً بأقصى ما لديه وكأنه سارق حقاً؟!!!

لطم "فور" على وجهه صارخاً وهو يندب حظه:

_الجحيم لك يا "لواحظ"، خسنتِ.

إن أردت شيئاً وبقوة؛ اسعى خلفه، لا تلتفت لتلك التراهاات التي تُخبرك بأن تتركه وسيعود إليك، وهل يعود إليك شيئاً تركته بإرادتك!! وهي اختارت السعي خلف ما تُريد، اختارت الإنتقام بدلاً من ندب حظها العثر الذي أوقعها في طريق عائلة دمرت حياتها، ومدير استغل مرضها أسوأ إستغلال.

لثُقرر تدميره هي الأخرى، خاصةً بعد أن علمت عن علاقته
المُتعددة مع نساء كبار رجال الأعمال، ولم تكتفي بذلك، بل
قامت بتصوير كل ما رآته عيناها من علاقات قذرة
وتلامسات مُحرمة، لتبدأ في ابتزازه.. كما فعل هو سابقًا.

وصلت "أهلة" إلى مكتب رئيسها فلم تجد "أروى" تنتظرها
بالخارج كعادتها! ارتسمت ابتسامة ساخرة على ثغرها
عندما تيقنت من وجودها بالداخل، بالطبع تشكو له عن
سوء معاملتها له!.

تقدمت طارقة بكعب حذائها على الأرض السيراميكية الصلبة
مُطلقة صوتًا مدويًا، فتحت باب المكتب على بغتةً دون
طرقه، فوجدت "ضياء" وبجانبه تلك الحية "أروى" تقف
مُتهجمة الوجه، انتبهت لصوته الذي صدح بحدة أمرًا إياها
كما فعلت مع سكرتيرته:

أنا قوائتك تدخلي!! اخرجي وهبطي وبعدين ادخلي لما أنا
أسمحك.

حسنًا يُقلد أسلوبها!! لكنها لم تُعطي له أي إهتمام، بل
تقدمت مُطلقة ضحكة عالية ضاربة بأمره عرض الحائط قبل
أن تردف بسخرية:

_مش عيب عليك يا جدع لما تمشي ورا كلام النسوان
برضه!!.

حدجته بانتشاء عندما لاحظت نظراته المُشتعلة، ثم أكملت
حديثها باحتقار عندما جلست على المقعد واضعة قدمًا فوق
الأخرى:

_ولا أنت متعود على كذا؟!!

هَبَّ من مكانه ضاربًا بكلتا يديه على المكتب بقوة، ورغم
ذلك لم تهتز شعرة واحدة منها، بل ظلت هادئة صلبة مُثبتة
أنظارها الهادئة عليه، أرجعت خصلاتها النافرة للخلف
تزامنًا مع قوله الحاد:

_ممكّن أعرف أخرة اللي أنت بتعملية دا إيه؟!!! بسببك
وبسبب أخبارك الجريدة هنتقفل، أنت مُتخيلة إن جالي لحد
دلوقتي إنذارين!!! مُتخيلة إني بقيت متهدد بالقتل بسببك!!.

وقفت ببطء من مكانها وادعت البراءة أثناء قولها المُنصدم:
_بسببي أنا؟! أنت ليه دايمًا ظالمني كذا؟! حسبى الله ونعم
الوكيل في الظالم.

كز "ضياء" على أسنانه بضيق ثم أردف ساخطاً:

_ ما بلاش الشويتين دول يا "أهله"، أنا وأنتِ عارفين اللي فيها كويس أوي.

اقتربت منه خطوتان تاركة مسافة مناسبة بينهما، ثم همست
بشر:

_ وبما إنا عارفين اللي فيها كويس متحاولش تقق في
طريقي يا "ضياء" بيه؛ عشان اللي بيقف في طريقي
بنسفه.

اهتز من طريقتها المهددة، يعلم بأنها تفعل ما تقوله
بحذافيره، ويعلم أيضاً بأنها من الممكن أن تقضي عليه
نهائياً بما تحمله من قضايا تُدينه، لاحظت هي حالته
المُتخبطة؛ فقالت بانتشاء قبل أن تتجه نحو باب الخروج:

_ من رأيي تعيد حساباتك من تاني يا "ضياء" بيه واعرف
أنت بتعلب مع مين.

خطت خطوتين للخارج ثم توقفت مستديرة له فجأة مُراقبة
إياه، لتتحول نظراتها إلى "أروى" التي تُطالعها بكره واضح
وصريح، وهنا فجرت مفاجئتها التي هبطت على مسامعهم
كالطلقات قبل أن تتركهم وتذهب نهائياً تلك المرة:

_ابقي اسأل "أروى" كدا مين اللي سَرَّب المعلومات
لـ"مختار الأرماني"؟!_

عشق.. كلمة مكونة من ثلاثة كلمات، تحمل كل معاني الهيام
والوله تلقائيًا، لم يكن في حسبانها أي يقع عاشقًا هكذا، إلا
أن ظهرت أمامه فجأة، أسرته بهدوءها وشقاوتها التي
تظهر في عيناها عند الحديث، لم يكن مما يهرولون خلف
هذه التفاهات، لكن هي غيرته، لقد وقع أسيرًا لها.

رفع "جون" المكبل على المقعد عيناه لـ"لوسيندا"
المُنهمكة في رص الأدوية الخاصة بوالدة "قاسم"، كان
يُتابعها باستمتاع رغم غضبه، يتشرب ملامحها التي تُسيطر
على فؤاده لترويهِ عشقًا، عشقًا أنهك فؤاد كليهما لكنها
تُعاند، وهو يعلم بأنها تُبادله شغفًا لكن عليه الإنتظار قليلًا.

نفخ بغيظ عندما حاول فك ذاته من تلك الأحبال اللعينة هاتفًا
بضجر:

أبعدي عني تلك الحبال اللعينة "لوسيندا".

حارة القناص

حدجته بطرف عينها ثم عادت لثُرتب الأدوية على الرف،
أغمض عيناه بنفاذ صبر وفتحهما مُجددًا يطلب منها بنبرة
لينة أقل حدة:

_ أرجوكِ "لوسيندا" .. أشعر بتخدر شديد في جسدي.

للحظة أشفقت عليه وكادت أن تتجه إليه لفك تلك الأحبال،
لكنها توقفت عندما رأت تلك النظرة العابثة من عيناه الوقحة
الجرئية، توقفت مكانها بغضب ثم صاحت به بحدة:

_ أنت قليل الأدب، وأنا هقولك لدكتور "قاسم" يتصرف
معاك ويشوف حل في الوقاحة دي ويوقفها عند حدها.

وهنا تحدث بما أسكتها نهائيًا:

_ ووهل سيستطيع "قاسم" إسكات نبضاتي التي تهتف
بإسمك؟! ..

اضطربت حواسها من حديثه اللين والمُحِبب لقلبها، سحبت
مقعدًا ثم وضعت أمام خاصته جالسة عليه بإنهاك، وهنا
صعد صوتها يهتف بيأس:

_ احنا مش هننفع لبعض يا "چون" ...

قاطعها متسائلاً بقلّة حيلة:

_بربك مَن قال ذلك!! لِمَ لا!!

أخرجت تهيدة قوية من جوفها ثم أجابته:

_ثقافتنا مختلفة، يمكن فعلاً نفس الديانة لكن تقاليدنا مش زي بعض، انتوا عالم مُنفتح واحنا هنا بنمشي بالأصول.

رد عليها بصوت خافت يستعطفها:

_أقسِم بأني سأحاول تغيير ذاتي من أجلك، فقد كوني رقيقة بي وبقلبي الذي يتألم في هجرانك.

أخفضت رأسها تُخفي دموعها عنه، هي تحبه لكن تخاف، تخاف من فكرة خيانتته لها كعادة مُعظم الغرب دائماً، تخاف الخذلان والإنهيار، لكن قلبها يعصي ويُقيم الحد عليها، جاعلاً إياها تعشقه أكثر.

كان يُراقب إنفعالاتها وتوتر يدها التي تظهر له، خرج صوته يسألها بحنان:

_أخبريني بما تُفكري به عزيزتي، أخرجي ما يؤرقك وصدقيني سأكون خير عونٍ لكِ.

حارة القناص

رفعت عيناها المليئة بالدموع له وكما آلمته بحق، خرج
صوته ضعيفاً مهزوزاً قائلاً:

_توقفي عن البكاء من أجلي، قلبي لا يتحمل كل هذا الألم
القابع في عينكِ.

خرج صوتها مُرتعشاً وهي تسأله ببكاء:

_مش هيجي يوم وتخوني فيه؟!!!

ظلت مُنتظرة إجابته في ترقب، لم تجد سوى ابتسامة صغيرة
تشكلت لتوها على ثغره مما زاد من ريبها، وبعد ثوانٍ من
الصمت خرج صوته عاشقاً مُحملاً بالمشاعر المُتعطرة:

_كلماتي وأفكاري كُلها مُتصلة بكِ بشكلٍ لا يُمكنك تخيله، هل
بعد الوصول والمجازفة أختار الخيانة والإبتعاد؟!!

كلماته البسيطة وكأنها ضماداً وُضعت على قلبها المجرّوح،
نظرة عيناها وكأنها تُقبّل فؤادها فأحياها، وتلقائياً تشكلت
ابتسامة صغيرة على فاهها، تبعها قولها المُعترف له لأول
مرة:

_ "چون" أنا بحبك، بحبك أوي ويا بختي بيك.

طرب قلبه لإستماعه لذلك الإعتراف مُدغدغًا مشاعره،
فصعد صوته يُجيبها بعاطفة جياشة:
وأنا أُحبك بقدرك أنتِ.

كان "قاسم" يصعد مُكفهر الوجه عابس الملامح بعدما قابل
"صهيب الأرماني" أثناء ذهابه إلى قسم الشرطة!
دلف لشقة والدته واتجه تلقائيًا إلى غرفتها، أغلق الباب
خلفه ثم تقدم من فراشها يجلس عليه بجمود وأعين تطلق
شررًا وكأنها تُقسِم على الهلاك، أمسك بيده كف والدته
بهدوء، وباليَد الأخرى وضع يده بجانب فمه حيث لُكمه
الآخر منذ عدة سويكات قليلة، استعاد ما حديث عند لقائهم
جازرًا على أسنانه بغضب عارم.

عودة

كان "رائد" يُجاور "قاسم" في سيارته بعدما صعد معه، ظل
يُندنن مع كلمات الأغنية الصاخبة دون أن يُعطي إهتمامًا
لـ"قاسم" الذي يُحدجه بسخط، أوقف السيارة على بغتة مما
جعل الآخر يرتد للأمام بحدة، نظر له "رائد" بغضب ثم
صاح به:

إيه يا عم مش تحاسب!؟

حارة القناص

أغلق "قاسم" التسجيل ثم أشار له قائلاً:
_انزل.

_نعم!؟

رددتها "رائد" خلفه مذهولاً، فكررها "قاسم" بجمود أكبر:
_بقولك انزل.

قطب "رائد" جبينه بسخط، وكاد أن يتحدث بإعتراض؛ إلا
أنا "قاسم" قاطعه مُخرجاً سلاحه من درج سيارته الموجود
أمامه هامساً بشر:

_هتزل ولا أفرغه في نفوخك!!!

حمم "رائد" بجدية وهو يُعدل من ياقة قميصه الواهية، ثم
أردف بهدوء:

_طب بالسلامة بقى يا "قاسم" ياخويا عشان ورايا مشوار
مهم.

وبالفعل هبط من السيارة مُغلّقًا بابها، وثوانٍ لا تُعدّ كان
"قاسم" ينطلق بسيارته بسرعة البرق، تاركًا إياه يُتمتم مع
ذاته بسخط:

__بيموت فيا.

انطلق "قاسم" إلى وجهته المُحددة؛ وهي قسم الشرطة؛
لإخراج ابن جارتته الذي زُج للسجن بسبب الديون، فقرّر هو
تولي ديونه لأجله ولأجل والدته فقط، يعلم أن الفقر مؤذي
وهو أشدّ العالمين بذلك، لكم ذاق مرارته وشعر بعلقمه المرّ
في حلقه، ولن يجعل أحد جيرانه يتجرع من نفس الكأس.

دلف للداخل فوجد مأمور السجن جالسًا يرتشف كوب الشاي
الساخن، اقترب منه بعد أن خلع نظارته وبعدها تحدث
بهدهوء:

__بعد ازتك يا شاويش.

انتبه له الآخر فقال بنبرة عادية تخلو من المشاعر:

__أوامر يا أخينا.

أخرج له "قاسم" علبة من السجائر وأعطها له أثناء قوله:

فيه واحد من أسبوع دخل السجن بسبب الديون اسمه
"سيف عبدالله الديب"، أنا جايله وهخلص كل حاجة.

انتشل منه علبة السجائر ثم هز رأسه سعيداً:

من عيننا يا كبير، بس الموضوع هيحتاج شوية إجراءات
كدا.

اعمل اللي تعمله المهم يطلع النهاردة قبل بكرة.

وبعد ما يقرب من الساعتين انتهى "قاسم" من إنهاء كل
الإجراءات ودفع التكاليف اللازمة لأصحاب الديون بعد أن
تمت دعوتهم لأخذ جميع مُستحققاتهم، احتضنه "سيف"
بامتنان شديد وعيناه تلمع بتأثر:

أنا مش عارف أقولك إيه بجد، أنت أنقذتني من بير كنت
هتوسخ بيه ومش هطلع منه أبداً.

ابتعد عنه "قاسم" بابتسامة بسيطة، ثم ربت على كتفه قائلاً
له بتشجيع:

ولا يهملك يا بطل، المهم تبدأ من جديد، واعتبر شغلك
عندي وخلال يومين بالظبط وهتستلمه.

حارة القناص

_ربنا يباركك يارب، عمري ما هنسى معروفك معايا أبدأ،
وأنا في الخدمة وقت ما تحتاجني.

خرجا من قسم الشرطة فصعد صوت "قاسم" يحثه بسعادة
انتقلت إليه:

_يلا روح فرّ والدتك، زمانها مستتيك بفارغ الصبر.

أوما له "سيف" بسعادة، ثم تركه وذهب مُتجهاً لمنزله
ويرى والدته التي اشتاق لها حد اللعنة.

تابعه "قاسم" بابتسامة طفيفة واتجه للناحية الأخرى حيث
سيارته، فقابل أمام وجهه "صهيب" الذي بادلته النظرات
ببرود، التوى ثغر "قاسم" بابتسامة ملتوية ثم ردد
باستفزاز:

_ازيك يا "صهيب".... بيه.

قال الأخير ببطئ أغضب الآخر، ورغم ما به من غيظ يحمله
تجاهه أردف بنقم:

_خليك فاكّر الإسم دا كويس؛ عشان نفس الإسم دا هو اللي
هيدخلك السجن دا..

أشار تجاه قسم الشرطة تبعًا لكلماته الأخيرة، مما جعل "قاسم" يُقهقه عاليًا بإستمتاع، راقبه "صهيب" ببرود صقيعي مُتبلد حتى انتهى من ضحكاته، اعتدل "قاسم" في وقفته ثم أقرب من أذنه هامسًا:
_ صدقني العاركة لو ابتدت هتزعل.

رد عليه ببرود:

_ هنشوف مين اللي هيزعل في الآخر، وهتعرف "صهيب" ابن "مختار الأرماني" هيعمل فيك إيه.

ود "قاسم" إغضابه أكثر، فأردف وهو يُشير للرجل الذي يتبع "قاسم" دائمًا كظله:

_ آه "مختار الأرماني" اللي باعت معاك بوديجارد يحرصك زي العيل الصغير.

إلى هنا ولم يحتمل "صهيب" أكثر، قام بلكمه في وجهه بكل ما يملك من قوة مما أدى إلى اختلال "قاسم" الذي كان أن يقع أرضًا من لكمته المُفاجئة، لكنه تحامل على ذاته وأعاد توازنه، مسح "قاسم" الدماء التي سالت جانب فمه بجمود، ثم اقترب منه مُردفًا بقسوة قبل أن يذهب ويتركه:

_ أنت اللي اخترت، مترجعش تعيط زي العيال بعد كدا.

.Back_

عاد "قاسم" من تذكره وهو يغلي من شدة الغضب، يشعر بنيران تتأرجح داخل صدره لا يجد من يُطفئها، يريد الهرب من كل شيء لكن بعد أن يستطيع الثأر، وها قد عادت تلك الذكرى البشعة تحوم داخل رأسه دون هوادة، يتأكل بنار الفراق والهجر وهو هنا يلتاع وحيداً.. وحيداً مع والدته الغائبة!

:Flash back

جلس "قاسم" على مائدة الطعام وأمامه شقيقه يأكل بنهم هو الآخر، نظر له "قاسم" بحنان مادداً يده بقطعة الدجاج يُعطيها لشقيقه:

_ خُد كُل دي كمان أنت لسه مشبعتش.

رفع الصغير أنظاره إليه بتردد، ثم خرج صوته طفولياً:

_ بس أنت.. مكالتش كويس.

هزَّ "قاسم" رأسه بالنفي مُجيباً إياه بكذب:

_ لأ أنا شبعت الحمد لله، خُد كَمَل أكلك.

حارة القناص

مد الصغير يده بتردد يأخذ منه قطعة الدجاج، ثم أكلها بنهم،
حدجه "قاسم" بحنان وهو يأكل، لا يملك في حياته سوى
هو ووالدته ووالده المسكين الذي يأتي من الحقل مُتعباً بعد
أن ينهكه التعب، وقطعة الدجاج تلك لا يأكلونها سوى مرة
كل شهرين إن توفر المال.

كانت والدتهم تُتابعهم بدموع وفخر بإبنها البكر، جلست
"حياة" بجانبه ثم أحاطته بذراعها مُقبلة خصلاته بحب:
_مش قولتك أنت بطل، وأنا هفضل طول عمري فخورة
بيك.

_بجد يا ماما!؟!

سألها بحماس طفولي تعشقه هي، ثم أجابته بحنان وهي
توماً له:

_بجد يا روح ماما.

صمتت فجأةً واضعة يدها على جانبها بألم شديد ما كان
يشد في الآونة الأخير، لكنها كانت تتجاهلة دائماً، لكن تلك
الفترة أصبح الألم لا يُحتمل، بل وصرخت منه بعلو صوتها.

لا يعلم ماذا حدث، كل ما يتذكره هو دخول والدته للمشفى وتحديدًا غرفة العمليات بعد أن ساءت حالتها، وتلك المشفى كانت مشفى "الأرمني" الخاصة، ورغم تكاليفها العالية إلا أن صديق والده وعدهم بتكفل كل شيء ومصاريف علاجها أيضًا.

احتضن "قاسم" شقيقه الباكي ونظر لوالده الذي جلس بإنهاك شديد ولا يستطيع مساعدة أيًا منهم، وكأي طفل صغير في مثل موقفه بكى، بكى خوفًا من فقدان والدته وهو أكثر من يحتاج إليها في هذا الوقت.

انتفض الجميع عندما خرج الطبيب من غرفة العمليات، والذي تحدث بأسف شديد:

للأسف الكلى مدمرة، ومحتاجة مُتبرع وإلا حالتها هتسوء أكثر وممكن لقدرة الله تتوفى.

انتفض قلب الجميع فزعًا، وهنا تحدث "هادي" بهلع:

طبيب.. طبيب والحل يا دكتور؟! أكيد المتبرع هيطلب فلوس كثير واحنا على قدنا خالص.

استغل الطبيب جهلهم وفقدهم الشديد، فأردف بمكر موجهًا
أنظاره للصغار:

هو فيه حل واحد بس، إن واحد من أولاد المدام يتبرع
ليها، وأكيد الأنسجة هتبقى متشابهة، فلو حضرتك وافقت
هتتمضي على إقرار بمسؤوليتك الكاملة عن الحالة ونبدأ
بنقل الكلى.

لم يكن يفهم الصغار أي شيء مما يُقال سوى أن والدتهم
في خطر، وبسبب جهل "هادي" لم يكن ليفهم حديثه هو
الآخر، نظر بخوف لأولاده ثم أعاد بصره للطبيب مرة أخرى
وهو يسأله باستعطاف:

طيب مينفعش تاخدوا مني أنا؟! بلاش هما دول لسه عيال
صغيرة

أجابه الطبيب بعملية ودناءة:

لأ يا حج مينفعش، لازم من أولاد المدام، وياريت بسرعة
عشان الحالة مش هتستنى كثير.

جلس "هادي" على المقعد بيأس، دافنًا رأسه بين كفيه
ودموعه تهبط بقلة حيلة، ذهب إليه "قاسم" الباكي وبيده

حارة القناص

شقيقه الذي لم يبلغ من العمر السبعة أعوام، واضعاً يده على كتف والده قائلاً ببراعة:

_أنا اللي هتبرع لماما عشان تخف يا بابا.

رفع "هادي" رأسه المليئة بالدموع ينظر لصغيراه، ثم فتح ذراعيه لهما واحتضنهما في حنان، ورغم محاولة "قاسم" للثبات من أجل والده، إلا أن صوته خرج متحسراً يسأله ببيكاء:

_ماما مش هتموت يا بابا صح!!!

شدد "هادي" من احتضانها ولم يجيبه، الوضع أصبح صعباً للغاية، كيف سيفرط في صحة أحد صغيريه؟! رفع رأسه للسماء يُناجي المولى هامساً:

_يارب.

وبعد ثلاث ساعات من التفكير المتواصل، قرر "هادي" فعل الفحوصات اللازمة التي طلبها منه الطبيب، ودخل صغيريه الغرفة أمام عينيه، وهو يقف عاجزاً لا يفعل شيء سوى الدعاء.

خرج له الطبيب بعد عدة دقائق قائلاً بسعادة مخفية:

__الطفل الصغير أنسجته هي اللي متطابقة مع أنسجة والدته، ودلوقتي الممرضات بيجهزوه للعمليات.

ورغم سعادته، إلا أن قلبه انقبض خوفًا على صغيره، أومأ له بهدوء ونظر لأثر الطبيب الذي يختفي تدريجيًا خلف غرفة العمليات، حوّل نظراته نحو الباب الذي انفتح وخرج منه "قاسم" الذي يُمسك يد شقيقه الذي انتهى من ارتداء زي العمليات.

اقترب "هادي" منه ثم انخفض لمستواه جالسًا أمامه على ركبتيه، أحاط برأسه ثم قبلها بحنان وبعدها تحدث قائلاً:

__أنت عارف إنك النهاردة هنتقذ ماما وربنا هيجبك!! عايزك متخافش وتكون شجاع زي أخوك "قاسم"، اتفقنا!!

هز الصغير رأسه ببراعة مُرددًا خلفه بعد أن احتضنه:

__اتفقنا يا بابا، بس أنا خايف شوية صغيرين.

قالها بخوف غريزي ينبع من داخله كطفل، وتلك المرة احتضنه "قاسم" الذي شجعه ببراعة:

__متخافش هتكون كويس، وماما هترجع معانا تاني وهنلعب كلنا سوا.

حارة القناص

اتسعت ابتسامة الصغير وهو يوماً له متحمساً، وبعدها جاءت الممرضة لأخذه، ودلف لغرفة العمليات التي تقبع بها والدته، نظر "هادي" لإبتعاده بدموع وقلبه يُعنفه بالأ يترك صغيره وحده، شعر بأنامل صغيرة تُمسك بيده، تبعه قول "قاسم" الباكي:

بابا أنا خايف

حملة "هادي" على ذراعه متشدقاً بجدية زائفة رغم جهله:
متخافش دي عملية بسيطة وهيخرجوا كويسين الاتنين

مرت ساعة، واثنان، وثلاثة، وأربعة ولم يخرج أحدهم ليُطمأنهم، بدأ القلق يتسرب لقلب كليهما مع مرور الوقت، لقد أُستنزفت طاقتهم بالكامل، يخشون حدوث مكروه لعائلتهم الصغيرة، يخشون الفراق!

خرج الطبيب بعد مرور ساعة أخرى والذي تحدث ببرود وكان شيء لم يحدث:

_الولد الصغير اتوفى والمدام دخلت في غيبوبة....

«يُتَبَع»

#حارة_القناص_

سنة مهجورة:

✨ صلاة ركعتين قبل قيام الليل ✨

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - قال: « إذا قام أحدكم من اللّيل، فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ».

[رواه مسلم]

«الفصل العاشر»

«حارة القناص»

«أخيك الكبير يا مغل»

أبشع صديق للإنسان هو الذكريات، تشعر بأنك داخل متاهة من الآلام التي تقبض على أنفاسك غايتها هلاكك، ذلك الثقل الجاثم يسار صدرك يُنبهك بأنها النهاية، لكنها لم تكن سوى نهاية السعادة وبداية الأوجاع، تتقاذف المشاهد أمام عينك كعدوك اللدود لتزيد من إشعال صدرك بنار الهجر والفراق، فتزداد لوعةً وشوقاً وأنت مُكبّل، عاجز، وحزين!

لا يعلم ما حدث بعد أن أخبرهم الطبيب بتلك الفاجعة التي حلت على رؤسهم، لا يتذكر سوى وقوع والده من الصدمة

فاقدًا للوعي، وبعدها فقدته هو الآخر بذات اليوم! بعد أن
تعرّض لذبحة صدرية أدت إلى وفاته، ليبقى هو شريدًا،
وحيدًا، بلا طعام، وبلا مأوى، فقط جالسًا جانب قبر والده
وشقيقة يبكي بلوعة، احترق قلبه الصغير بالفراق مُتألّمًا،
فبات كالقنيط في دنيا فانية هي من حقه في الأساس!

عاد من شروده شاعرًا بدمعائه الساخنة تهبط على وجهه
الصلب، مضى عدة سنوات ويتذكر ما حدث كأنه حدث
أمس، يشعر بنفس الألم، وبنفس الصدمة، مظهر والده
وشقيقه وأجسادهم تحتضن التراب لا يذهب عن باله،
مظهره وهو يسير بثياب بالية مُشعثة باكيًا في الطريق مُثبّتًا
بذاكرته، كل هذا لم يذهب عنه ولو يومًا واحدًا.

تلك الجملة التي ترددت صداها في أذناه عندما قرر العودة
لوالدته بالمشفى كانت ومازالت تُصيبه بالصدمة، عندما
استمع لصوت الطبيب الذي أبلغهم بالخبر يقول لمدير
المشفى:

_آه يا دكتور اتأكدت إنهم من عائلة فقيرة وملهمش حد،
الولد الصغير كانت صحته أحسن من الكبير فخدنا منه الكلية
اللي في الشمال واستأصلنا جزء من الكبد، عملنا دا مع

والدته بس للأسف مستحمتش ودخلت في غيبوبة عشان
جسمها كان ضعيف.

وضع كفه على صدره يُدلكه عندما شعر بحاجته للهواء،
انحنى على كف والدته ليقبله، لم يبقى له شيء سوى هي،
حتى وإن كانت مريضة لا تسمعه، يكفي وجودها وأنفاسها
التي تُشبه المسك التي تُحيطه.

استند برأسه على كتفها وصوت بكاؤه الصارخ بإسم شقيقه
الأصغر يتردد صداه في أذنه، هل يستحق كل هذا الألم؟! هل
يستحق كل تلك المعاناة؟! كان يرغب بوجود عائلة تحميه
وتؤانسفه فقط، لكن سلبوا منه هذا الحق دون شفقة أيضاً،
والده، والدته، شقيقه، في ليلة واحدة! ليلة قلبت كل
الموازن لتجعله جاحداً قاسياً من صغره.

أخذه صديق أبيه الذي تكفل بمصاريف علاج والدته، علمه،
واعتنى به، وأعطى له الكثير من الإهتمام والحنان، لكن هو
كان فقط جسد بلا روح، يتنفس من أجل العيش ويظل على
قيد الحياة، حينها أخذ عهداً على نفسه ليصبح طبيباً ويُعالج
والدته، ورغم صغره سنه وبرائته؛ إلا أنه أقسم بشر لا ينبع
من طفل صغير أن ينتقم ويقتلهم جميعاً، لكن بعد أن يُذيقهم
من العذاب ألواناً.

وبعد سنوات كثيرة مضت كان هو التحق بكلية الطب كما
تمنى، لكن ليس حبًا بها أو شغفًا تجاهها، بل من أجل
الانتقام والثأر، كان يبذل أقصى ما لديه ليُصبح طبيبًا ذو
سُمعة طيبة، وبالفعل وصل، ومع وصوله تزداد حالة والدته
سوءًا، عندما تستيقظ وتسال عن والده وشقيقه ولا تجدهم
مُتذكرة الحقيقة البشعة، تُصاب بإنهيار عصبي حاد وشديد.

لقد قضت خمس سنوات معه كانت بها مُستيقظة، عقلها
الباطن يُصور لها سفرهم رغم عدم إقتناعها، حتى جاء
اليوم الذي صرخ فيه "قاسم" باكيًا من حالتها التي تزداد
سوءًا وأوصلتها للجنون:

فـوقـي بقـي حـرام عـليـك، هـما مـاتـوا سـمعـانـي!!!
ماتوا ومش هيرجعوا تاني، كفايا عذاب فيا لحد
كدا، كفايا وجع أنا مبقتش قادر أستحمل.

كان مُخطئًا عندما واجهها بالحقيقة، الحقيقة التي تعملها
وتُكذبها من الأساس!

انهارت حينها وظلت تصرخ بإنهيار إلا أن ازدادت حالتها
سوءًا، ودخلت في غيبوبة مدتها ثماني أعوام!

نادرًا ما تستيقظ عندما تستمع لبكاء ابنها وكأنها تُطمئنه
على حالتها وبذات الوقت تروي شوقها منه، ثم تنام مُجددًا،
وتتركه ينكوي بالعذاب الذي كُتب عليه دون محض إرداته.

اعتدل ماسحاً دمعاته الحارقة من على وجهه ناظرًا لمحياها
برجاء شديد، هو طفل ويُرِيدُها، حُرِمَ منها ويبغها، وهو
محروم!

ابتسم بخفة عندما تذكر إلحاحها عليه هي وأبيه للغناء، كان
صوته عذبًا جميلًا في طفولته، والآن صوته أصبح باهتًا
رغم جماله، أغمض عينيه مُرددًا كلمات الأغنية التي زادت
من وجعه وآلامه:

_"فأجبنى بربك أنقذني، تسمعني ولست تُكلمني،"

فأجبنى بربك أنقذني، تسمعني ولست تُكلمني،

يا روحه ما هكذا كنتِ، تشتاقك أروقة البيت، هل سبق وأن
شاق أحدهم لملاكٍ غابٍ ولم يأتي؟! "

انتهى شاهقًا ببكاءٍ حادٍ وكأن تلك الكلمات كانت تشبه
السكاكين التي تُغرز داخل صدره تضرب به بلا رحمة، ظل
يبكي كثيرًا دون الشعور بمن حوله، هو إنسان وطاقته في
التحمل قد نفذت، ذلك الشعور الذي يقبض فوق عنقه يخنقه،
هو مُتألم، ذُبِحَ بسكين تالمة جعلته يعيش كالموتى، وهو لا
يفعل شيئًا سوى المُجازفة.

وكل مرة يبكي بها ويصل لذروته من الحزن؛ شعر بأصابع والدته توضع بوهن على رأسه، وتلك المرة لم يرفع رأسه لينظر لها، لم يقوى على مقابلتها ورؤية تلك النظرة التي تُصيبه في مقتل، وكأنها نظرة عتاب ممزوجة بالألم، وهو ضعيف، هَش للغاية عكس ما يُظهره للآخرين.

سمع همسها الخافت يُناديه بوهن، فابتلع ريقه بصعوبة رافعاً وجهه المُمتليء بالدموع لها، رآها تُحدجه بابتسامة طفيفة فتحدث برجاء باكٍ:

__ خليكِ معايا، متناميش تاني.

هزت رأسها بتعب توميء له بالإيجاب، ففتحت ذراعها له ثم قالت بضعف:

__ تعالى في حضني يا حبيبي.

وهو أشد المُحتاجين لذلك العناق، لذلك دون تفكير ارتمى بجسده عليها يُحيط خصرها بقوة، بينما هي مُحترضة رأسها تُربت عليه بحنان، هو فعل الكثير من أجلها وهي تشهد، وما أعاد لها جزء من صحتها المهدورة هي مُفاجئته لها ليلة أول أمس، حينها شعرت بروحها تعود لها مرة أخرى، شعرت بالإمتنان تجاهه، لذلك قررت مقاومة مرضها، ورغم آلام جانبها التي تشد عليها من الحين للآخر؛ قررت المحاولة مرة أخرى من أجله.

حارة القناص

يكفي هربًا، لقد احتجرت ذاتها داخل قوقعة من الحزن لمدة 15 عامًا، منهم سبعة أعوام كانت تعيش بهم على أوهام كانت ترسمها هي، والأعوام المتبقية دخلت بغيوبة بإرادتها للهرب.

كانت تسأل ذاتها كثيرًا..

ألا يستحق "قاسم" المحاولة!!

ألا يستحق الحنان!!

وهنا أقسمت على التحمل، يكفي هربًا، ستواجه العالم مع أبنائها!

مررت يدها على خصلاته بهدوء شاعرة بإتفاعلات جسده، خرج صوتها مبوحًا أثر صمتها الطويل وهي تسأله:

_ عامل إيه يا حبيبي!؟

انتظرت قليلًا ولم تسمع إجابة منه، خرج صوته بعد قليل يطلب منها برجاء:

_ عايز أنام.

حاولت الاعتدال وأن تُفسح مكانًا له لينام بجانبها، لكنها
تأوهت بخفة عند شعرت بألم يشتد بجانبها الأيسر، انتفض
من مكانه بفرع سائلًا إياها بخوف:

__مالك يا ماما حاسة بآيه؟!!

هزت رأسه بلا شيء تحاول مُقاومة تلك الهالة السوداء
التي تدعوها للنوم مجددًا، خرج صوتها ضعيفًا وهي تدعوه
بحنان شديد:

__تعالى نام جنبي، أنت وحشتني.

ولأول مرة منذ فترة طويلة يبتسم من قلبه، هبط من على
الفراش الصغير مُلتفًا للناحية الأخرى، ثم انحنى قليلًا
للأسفل عدة ثواني، وبعدها اعتدل يجذب الفراش ليصير
أكبر بكثير مما هو عليه، صعد بجانبها ورفع الغطاء واضعًا
إياه فوق جسديهما ثم نام على ذراعها الذي فتحت له تدعوه
للنوم، وشعر بالراحة!!

شعر بالراحة التي كان يفتقدها لمدة طويلة، وهي أيضًا
أحست ببعض الراحة، وتلك المرة استسلمت لغيوبتها
المؤقتة وهو شعر بها، ورغم حزنه إلا أنه سعيد للغاية
بتحسنها الملحوظ، وتلك المرة ذهب كلاهما في نوم عميق،

هي تحتضن رأسه، وهو محتضن خصرها كالطفل الصغير،
مشهد يتكرر قليلاً في زمننا هذا ولكنه مؤثر.

_ جرجوني وقفلوا الأجزخانات.. لا قالولي ازيك ولا
سلامات.. جرحوني في قلباي، آه يا قلباي.

خرج له رجل من النافذة يصرخ به بغضب:

_ يا أستاذ عايزين نتخمد يا أستاذ جك وجع في قلبك هي
ناقصة قرف!!

رفع "رائد" رأسه ينظر له حيث يتحدث، فأشاح بيده بنفاذ
صبر وغضب بما فعله "قاسم" معه وتركه في منقعة
صحراوية لا يسير بها المارة إلا نادراً:

_ ادخل نام يا حج الله يسترك مش عايز وجع دماغ.

ظن أن الرجل سيصمت، لكنه صرخ بعلو صوته به وهو
يسبهه بأبشع الشتائم والألفاظ دون خجل، مما جعل الدماء
تصعد لرأس "رائد" غضباً فصاح به بوقاحة تليق به:

_ تصدق إنك راجل قليل الأدب!! ولو متلمتش أنا هطلع
أعرفك مقامك يا راجل يا كركوبة أنت.

_تعرف مين يا كابتن؟!!!

صوت غليظ أتى من خلفه مما جعله يستدير ليرى المتحدث،
لكن لم يرى سوى صدرًا عريضًا تُخفي الرؤية عن عيناه.
رفع أنظاره للأعلى فوجد رجلًا يفوقه طولًا وجسمًا، لديه
شارب عريض يصل لعيناه تقريبًا، ابتلع "رائد" لعابه بقلق
وازداد عندما قرر الرجل حديثه بغلظة أكبر:

_مردتش على السؤال يعني، هتعرف مين ياض؟!!

قال الأخيرة تزامنًا مع إمساكه من ياقة قميصه يهزه بقوة
شعر من خلالها بالدوار، ابتسم "رائد" ببلاهة ظنًا منه أنه
سيكتسب وده، ثم شكى له بتزعزع:

_يعني يرضيك يشتمني بأمي وبأهلي كلهم يا سيد الرجالة؟!!

أجابه الآخر بغلظة وهو يهزه مرة أخرى:

_آه يرضيني.. حد ليك شوق في حاجة؟!!

توتر "رائد" من هيئته فربت على صدره ببطئ يرضيه
مُبررًا له: _وأنا كمان يرضيني يا معلم، المهم أنت متزعش
نفسك بس.

حارة القناص

دفعه الآخر بعيدًا ماسحًا على شواربه بعنجهية واضحة، ثم أمره بصرامة واضحة وتحذير:

طب غور من هنا يا حيلتها ومتجيش هنا تاني بدل ما أكسرلك رجلك الحلوة دي.

طالعه "رائد" بضجر ثم استدار ليذهب عكس تجاهه، ولكن قبل أن يذهب سدد نظرة نارية للرجل الواقف بشرفته متوعدًا إياه بعينه، وحقًا سيريه.

استمع إلى صوت نبج الكلاب لكنه لم يُبالي، وبعد ثوانٍ وجد هذا الضخم يُهرول خلفه بسرعة مما أصاب "رائد" بالفرع، فتح عيناه بهلع ثم جرى أمامه مُسرعًا وهو يصرخ:

والله ما عملت حاجة أنا كنت ماشي.

وكان الآخر لم يستمع له من الأساس، بل كان يُصيح به أن يتوقف وينتظر، لطم "رائد" على وجهه بفرع وهو يهرول أمامه والآخر يصرخ أيضًا، فكان مظهرهم مُثيرًا للضحك لمن يراه، ومثيرًا للشفقة بالنسبة لـ"رائد".

حارة القناص

وقف "رائد" بنهيج مُتعب رافعاً يده بإستسلام لذلك الضخم الكبير، يبدو أن سيسحقه ولن يرحمه حقاً، أمسكه الرجل من ثيابه يهزه بعنف وهو يُعنفه:

_ هو أنا مش عمّال أقولك استنى يا بأف أنت!!

أوما له "رائد" وهو ينهج قائلاً بتعب:

_ ما أنت قولتلي امشي ومش عايز أشوف وشك، بتناديلي ليه دلوقتي!!

_ تعالى عديني..

_ نعم!!!

قالها "رائد" بوجه مُتشنج بإستنكار، ليوضح له الرجل وهو يُشير بأصابعه الكبيرة للناحية الأخرى:

_ كان فيه كلب واقف هنا وأنا بخاف من الكلاب.

حلت الصدمة على محياه مُرددًا خلفه بتشنج:

_ بتخاف من الكلاب؟!!!! أنت طلعت منهم؟!!!!

حارة القناص

كان الرجل يُتابعه بعينين منتظرتين، وكأنه بلحظة تحول لجرّو صغير يخاف من وحش كبير، بينما هو الضخم الكبير الذي من المُفترض أن تخاف منه الكلاب لا العكس.

رسم "رائد" الغرور والكبرياء على وجهه ناظرًا له باستعلاء، ثم أردف بتكبر ونبرة مُفتخرة ظهرت واضحة في صوته:

__تعالى ورايا وشوف الرجولة على أصولها.

سبّقه "رائد" بعدة خطوات وهو خلفه، ثم توقف محله فجأة مُستديرًا له وهو يسأله بانتباه:

__اسمك إيه يا عسل!!.

__وسام.

وما إن قال اسمه حتى انفجر "رائد" ضاحكًا بعدم تصديق، ردها خلفه مرة أخرى وكأنه لا يُصدق قائلًا:

__وسام!! ويا ترى بقى وسام شرف ولا حاجة تانية!!

حارة القناص

كان "وسام" يُتابعه بضيق وحدة بذاتِ الوقت، انتبه له "رائد" فاعتدل واقفًا متوقفًا عن الضحك، وتحول وجهه إلى الوجوم وهو يُحذره:

__ لا بقولك إيه بُص عدل بدل ما أسيبك للكلاب يا "وسام".

أخفض "وسام" بصره للأسفل جازرًا على أسنانه بغيظ، مما أعطى شعورًا بالانتشاء لـ "رائد" الذي عدل من ياقة قميصه الواهية في غرور.

سار أمامه و"وسام" خلفه عينيه تُتابع تجمع الكلاب على بُعد صغير منهم، تمسك بثياب "رائد" من الخلف فزجره قائلاً:

__ اثبت الله يخربيتك، هنكون عشاهم الليلة بسببك.

انتفض "وسام" فزعًا قائلاً بصوت عالي خائف جذب انتباه الكلاب:

__ يعني هياكلونا!!!

ابتلع "رائد" ريقه بتوتر وهو يُتابع نظرات الكلاب المُوجهة إليهم، ثم أردف هامسًا له:

بقولك إيه!! بتعرف تجري!!

يبدو أن الآخر فهم مقصده، ورغم ذلك سأله مُتمنياً أن يُكذِّب شعوره:

ليه؟!!!

لم يُجيبه "رائد" بلسانه، بل أجابه عندما هرول فزعاً عندما لاحظ وقوف الكلاب جميعاً بنظرات ثابتة عليهم، مما جعله يهرول خوفاً وخلفه "وسام" الذي يصرخ باستتجاد.

أمسكه من ثيابه ليووقفه فصرخ "رائد" بنواح:

سيبني يخربيتك.

لم يتركه "وسام" بل ظل مُلأزماً له و"رائد" يسب ويلعن "قاسم" الذي وضعه بذلك المأزق بسبب تلك الأفعى التي تُدعى "ملك"، وأخيراً وصلاً إلى أحد العمائر واستطاعوا الهرب من حشد الكلاب الذين كادوا أن يأكلوهم أحياء.

استند "رائد" بيده على ركبتيه يتنفس بعنف، غافلاً عن ذلك الذي يُخدجه بغضب جحيمي، رفع "رائد" رأسه بعد ساعة

حارة القناص

من الصمت فوجد "وسام" يُحدجه بنظرات غامضة غاضبة،
ابتلع ريقه بقلق وهو يسأله بريية:

_بتبصلي كدا ليه!! لأ بقولك إيه احنا رجالة أوي وملناش
في الشمال.

أمسكه "وسام" من تلايبه مُردفًا بشر قبل أن يلكمه في
وجهه بقوة:

_أنا هوريك الشمال معايا عامل إزاي.

_آه قدمي، ظهري، ذراعي، مفاصلي، رأسي، كل جزء في
جسدي يؤلمني كالعجوز، أشعر بأني في نهاية عمري.

هتف "فور" بتلك الكلمات وهو يجلس أمام شقيقه "جون"
وبجانبه طبق كبير مليء بالطعام، والذي يحتوي على
حوالي ثلاثون شطيرة، غير تلك الشطيرتان اللتان يمسهما
بكلتا يديه.

حارة القناص

حدجه "چون" الجالس على حاسوبه باستتكار، فخلع نظارته الطبية ثم صاح به بضجر:

_توقف عن تناول الطعام "فور"، ستُصاب بالإختناق يا مغفل كما حدث لك المرة الماضية.

أشاح "فور" بيده بعد أن قطب جبينه ينفي تلك الإتهامات البشعة عن طعامه العزيز:

_تحدث عن طعامي بأدب يا وقح، أنا والطعام بيننا قصة حب لم ولن تنتهي.

نفخ "چون" بغيظ وهو يهز رأسه بيأس، ثم عاد بنظره تجاه الحاسوب بعد أن ارتدى نظارته مرة أخرى، انتهى "فور" من الشطيرتين ثم أخذ اثنان غيرهما وبدأ في إتهامهما، وشطيرة خلف الأخرى انتهى من الثلاثون شطيرة بعد نصف ساعة فقط!!

حدجه "چون" بطرف عينه وجدده مقطب الجبين ويظهر على محياه الضيق، لذلك سأله متعجبًا حالته التي تحولت في ثوانٍ:

_ ما بك تجلس كالأرامل!!؟

حارة القناص

وضع "فور" يده على معدته مُجيبًا إياه وهو يتنهد بيأس:
_ أشعر بالجوع، معدتي مازالت فارغة!.

فتح "جون" فمه ببلاهة مُشيرًا للصحن الفارغ أثناء قوله
المشدوه:

_ هل تقصد بأنك تناولت جميع الشطائر ومازلت جائع؟!!

هزَّ "فور" رأسه بالإيجاب ثم هبَّ من مقعده متجهًا إلى
المطبخ المصنوع على الطراز الأمريكي، ثم أردف بحماس:
_ سأرى إن كان هناك ما أتناوله أم لا، لا أعلم لما لا تأتون
بالكثير من الطعام!! ألا تعلمون إنني مسكينًا وأحتاج إلى
الرعاية!!

صاح عليه أخيه بنفاذ صبر:

_ أقسم بأنك كائن غير آدمي بالمرّة، تبدو كالدُمية المحشوة
بالقطن ولا يظهر عليها ذلك.

التفتت له "فور" يُحدّجه بجمود، ثم رفع إصبعه السبابة
يُحذره بقوله:

_ انتبه على صوتك يا وغد، لا تنسى بأنني شقيقك الأكبر.

صح له "جون" حديثه ضاجراً:

_بدقيقتان... دقيقتان فقط ولا تهذي بذلك الحديث الذي يُثير أعصابي.

أجابه "فور" يغيظه أثناء إخراجهِ لقتينة الحليب:

_الإحترام واجب يا وقح، حتى لو كان بثانية واحدة فقط، عليك إحترام أخيك الكبير.

حدجه "جون" ساخطاً، فعاد بأنظاره لحاسوبه مرة أخرى، يعلم أنه لن يخرج من ذلك الحديث سوى مهزوماً بأقويل أخيه المُعاندة له، لذلك أسلم حل له هو أن يُركّز على ما يفعله، انتبه "فور" لتحديقه بالحاسوب لوقت طويل، لذلك أمسك بكوب الحليب بيده بعد أن ملاه على آخره وذهب للجلوس بجانبه.

لم يفهم أي شيء مما هو معروض أمامه من إشارات ورموز غريبة، لذلك سأله متعجباً:

_ماذا تفعل؟! وما تلك الرموز الغريبة!!

سحب "فور" شهيقًا عميقًا ثم زفره دُفعةً واحدةً وبعدها أجابه بمكر:

_ هذا هو الهلاك يا عزيزي، تلك الرموز والإشارات ما هي إلا بداية لإنفجار عظيم سيدوي في جميع البلدان.

أدار "فور" الحديث داخل عقله قليلًا ليتوصل إلى معناه الخفي، وثوانٍ كان يشهق بقوة وهو يضرب على صدره بحركة شعبية تعلمها من الأفلام العربية التي يُشاهدها مع "رائد":

_ يا مُصيبيتي!! هل تصنع قنبلة نووية لقتلنا!!!

كاد "جون" أن ينفى لكنه أكمل حديثه يُولول كالنساء:

_ حسرتاه على شبابك يا "فور"، سأموت قبل أن أُقْبِل فتاة حتى!!! هل سأموت قبل أن أصنع مجددًا خاص بي!!! اللعنة عليك "جون"، بالتأكيد أنت لست أخي، كنت أعلم أيها الحقير.

أسكته "جون" بلكمة سددها له في وجهه حتى تسنح له الفرصة للحديث، وبعدها هدر صارخًا بغیظ:

_ اللعنة على ذلك الرابط اللعين الذي جمعني بغبي مثلك، أصمت ودعني أتحدث أيها الوغد، لا تكُن مثل الثور هكذا!!

أبعد "فور" يده عنه قائلاً بصراخ:

لقد أوقعت الحليب أيها المتوحش، لا أعلم لِمَ تُعاملون رقيقٌ مثلي بتلك المعاملة القاسية!!

مسح "جون" على وجهه بحدة، رافعاً وجهه للأعلى هامساً
برجاء:

أعطني الصبر والقوة يا الله لأتحمل ذلك المخلوق.

لم يهتم "فور" لحديثه، بل اقترب منه كالأخرق يلتصق به
كالعلكة وهو يقول بسداجة:

حسناً اشرح لي ما تفعل وسأصمت أقسم لك.

تنفس "جون" بعمق أثناء نظره للحاسوب، ثم بدأ بشرح ما
يفعله بكل دقة وخبث:

حسناً... هل ترى تلك الرموز!! هي خاصة بنظام مشفى
"الأرمني" الذي أحاول منذ عدة أيام اختراقه، يتبقى فقط
خطوة واحدة وسأخترق النظام بأكمله.

اتسعت عين "فور" بإبهار ثم ازدادت ابتسامته أثناء
صياحه المُهلل:

هل تقصد بأن جميع الملفات والعمليات الغير شرعية التي
قامت بها المشفى ستكون بين يدينا؟!!

هزّ "چون" رأسه بالإيجاب وإبتسامة خبيثة مُتشكلة على
فاهه، فاحتضنه "فور" على بغتة وهو يُصيح بسعادة:

حقًا أنت رائع، أنت أكثر من رائع، أنا أحبك أخي، فليعيش
"چون" وعقله الذهبي، أود أن أرقص الآن حقًا، سينتهي
كل هذا قريبًا أنا أثق بذلك.

قهقه "چون" عاليًا على ردة فعل شقيقه الساذجة بعض
الشيء، منذ قليل كان يسبه ويتشاجر معه وكأنه عدوه،
والآن يحتضنه بحب حقًا وكأن شيئًا لم يحدث!

ابتعد عنه "فور" سعيدًا بما استمع إليه، فأردف بسعادة بما
جعل "جون" يفتح فمه مُحدثًا إياه ببلاهة شديدة:

سأذهب الآن واشتري الطعام احتفالًا بهذا الخبر السعيد،
سأصنع خمسون شطيرة لي وحدي وأترك لكم أنتم الثلاثة
شطيرة واحدة فقط، إلى اللقاء الآن.

السعادة والحزن يدوران في مدار واحدٍ، أحياناً يكون لك نصيباً من السعادة، وأحياناً أخرى يأتي لك الحزن، وبين هذا وذاك أنت مُشئت، عليك أن تتقبل الوضعين حتى تتعايش في تلك الحياة، لكن ماذا إن كان الحزن والسعادة بيدك أنت؟! حينها أنت فقط ستكون المسوؤل الوحيد على تعاستك، ستُسطرها بخط يدك أنت، ستكتب نقوشاً هي السبب في هلاكك.

تسطحت "سهيلة" على الفراش من خلفها واضعة قدمًا فوق الأخرى تُحدث صديقاتها، وبعد وقت من الأحاديث الإعتيادية قررت الإغلاق معهم، لتبدأ في ممارسة أكثر هواية مفضلة لها وهي القراءة، أمسكت بهاتفها ثم فتحت ذلك التطبيق البرتقالي المُقرب لها، دخلت على تلك الرواية التي رشحتها لها صديقاتها شاعرة بالحماس لقراءتها، بدأت بقراءة أول الفصول وكان كل شيء اعتيادياً كما في العادة.

لكن! هناك شيء خاطيء تشعر به تجاهها، الكلمات بها بعض الإيحاءات الوقحة والتي فهمتها على الفور! وهنا دار الحديث والمشاجرة بين عقلها وقلبها، أتُكمل قرائتها أم تتركها وتقرأ غيرها!! مُداخلات ومُشاحنات أرهقتها كانت نتیجتها بأنها قررت الإكمال، رغم وجود صوت يُحذرُها من الإكمال وخوض تلك التجربة مرة أخرى.

الإنسان بطبيعته ضعيف تجاه الأشياء الممنوعة، وكما يُقال دائماً (الممنوع مرغوب)، لذلك انسأقت خلف ذلك الصوت الذي شجعها على الإكمال، مُبررة لذاتها بأنها ناضجة كفاية لتخطي تلك الإيحاءات الوقحة، لا تعلم بأن تلك السطور اللعينة ما هي إلا تمهيد لذنب قادم الآن، ذنب وقعت به من قبل وتعاهدت مع ذاتها ألا تُكرره، لكن شيطانها حفزها على الإكمال، وهي لبت ذلك النداء وأكملت قرائتها.

وبعد عدة فصول وقعت في فخ الكلمات المُغيبية التي سحبتها للقاء دون شعور منها، وإن كانت المرة الأولى مُنصدمة مما يحدث من تجاوزات ووصف لا يُمكن تخيله؛ فإنّ تلك المرة كانت مُستمتعة بذلك! بل ومستمرة في تخيل العلاقة التي تصفها الكاتبة بين الأبطال، بانية عالماً مُظلماً من الوحل في خيالها تظنه وردياً، وقعت أسيرة في شباك مُتسخة من الإباحية، وإن ظننتم أن الأمر انتهى لهذا فأنتم مُخطئون، فقد كانت الرواية تحوي صوراً غير لائقة أقل ما يُقال عنها بأنها قدرة كالنُفائات، تُدخل الرغبة لعقول المُراهقين من الشباب والإناث، وهم مُنساقون خلفها كالبهائم يُريدون مزيداً من تلك القاذورات، ليُسجنوا داخل بئر مُظلم هو مصدر الهلاك.

استيقظ "قاسم" من نومته الهادئة بتثاؤب، ناظرًا لوالدته النائمة بحنان، رسم ابتسامة خفيفة على فمه مُقربًا شفثيه من جبينها ليُقبله بحب، سعيد بذلك التطور الذي طرأت لو حتى لو كان بسيطًا، يشعر بالانتعاش يجتاحه بعد مدة بكاء دامت لساعات، وها هو حصل على نتيجة مُرضية له.

هبَّ من جانبها بعد أن أحكم الغطاء من حولها جيدًا لتدفئتها، ثم خرج من الغرفة فوجد "لوسيندا" غافية بارهاق على الأريكة، نظر لها بشفقة مُقربًا منها بترو، ثم ناداها بهدوء حتى لا تفرع، انتبهت لصوته القريب نسبيًا ففتحت عينها بقلق وهي تسأله:

_خير يا دكتور "قاسم"؟ مدام "حياة" كويسة؟!

هزَّ رأسه بالإيجاب مُجيبًا إياها بإمتنان:

_هي كويسة متقلقيش، ادخلي أنتِ ريحي جوا شوية وأنا اتطمنت عليها، وكمان شوية هاجي ليها تاني.

مسحت وجهها تُزيل أثر النوم ثم أجابته بهدوء:

_تمام يا دكتور زي ما تحب حضرتك.

حارة القناص

هبط للأسفل بعد أن ودَّعها بلباقة، فوجد "جون وفور"
جالسان جانب بعضهما بهدوء، بهدوء!!!

كلمة كررها مع ذاته مُقطب الجبين من حالتهم الغريبة
والنادرة، دلف للداخل قائلاً بمزاح جذب إنتباههم:

_ لا متقولوش!!! نهاية العالم قربت أكيد صح!! انتوا
قاعدين عادي زي البني آدمين كدا ومش بتتخانقوا!!

أجابه "فور" الذي يتناول الشطائر الذي جلبها منذ قليل:
_ هذا لأنني جائع فقط ولم أكل منذ الصباح، لكن بعد قليل
ستجدني أتشاجر مع الجميع.

نظر له "جون" بإندهاش فاتحاً فمه بعدم تصديق: _ لم تأكل
منذ الصباح حقاً؟!!! أنت تمزح بالتأكيد، إذاً من ذلك الذي
كان يأكل بجانبني منذ ساعة واحدة فقط!!!

هز "فور" كتفه بجهل مُصطنع مُدعيًا البراعة أمام "قاسم":
_ لا أعلم حقًا، أنا لم أراك منذ ليلة أمس من الأساس.

جلس "قاسم" بجانبه ضاحكًا مؤكدًا برأسه:

حارة القناص

_مصدقك يا "فور"، مصدقك يا حبيبي متحلفش بس.

ارتسمت ابتسامة صادقة على شفتي "فور"، فأمسك بشطيرة من شطائرهِ ومدَّ يده بها له وهو يقول بسعادة أضحكته:

_خُذْ تلك الشطيرة لأنك لطيفًا وأنا أُحبك.

قهقه "قاسم" عاليًا وهو يأخذ منه الشطيرة، ثم نظر لمحتوياتها وهو يتسائل:

_ساندوتش إيه دا!!

_شانلون.

أجابه بسهولة ليقطب "قاسم" جبينه بتشنج سائلًا إياه مرة أخرى:

_ساندوتش إيه ياخويا.

وللمرة الثانية يُجيبه "فور" مُعيدًا كلمته الغريبة تلك:

_شانلون، ذاك الرجل هناك هو مَنْ أخبرني بإسمه، لكنه لذيذ للغاية.

حارة القناص

لم يفهم "قاسم" كلمة مما قالها، مما جعله يفتح الشطيرة
ينظر لما داخلها، رفع أنظاره إليه لاويًا شفثيه بسخرية:

_اللانثون بقى شانلون!!! المصريين متبريين منك دنيا
وأخرة يا بعيد.

هنا وهتف "چون" يطلب من أخيه بحماس:

_وأنا أيضًا "فور"، أعطيني شطيرة من الشانلون.

هز "فور" رأسه برفض له قائلًا:

_لا أنت قاسي القلب ولا تحبني.

_لا بل أحبك عزيزي، بربك "فور" أنا أتجور جوعًا يا رجل.

ربت "قاسم" على قدم "فور" متشدقًا بمسكنة مصطنعة:

_خلاص يا "فور" اديله، اعتبره زي ابننا برضه ميضرش.

مط "فور" شفثيه بتفكير، وبعدها أعطى له شطيرة أثناء
تحديثه بضجر:

_ستتهون على شطائري، تبًا لكم يا أوغاد.

جاء بتلك اللحظة "رائد" الذي دخل عليهم بوجه يُزينه كدمة
زرقاء على عينيه وثيابه مُلطخة بالدماء، والذي حياهم
قائلًا:

جود مورنينج يا شباب.

كان الجميع يُحدجونه ببلاهة من مظهره هذا، وبالتالي لم
يُجيبوه، لوى "رائد" ثغره مستنكرًا بعد أن رمى ذاته على
الأريكة بإنهاك:

إيه واكلين سد الحنك دلوقتي!!

خرج صوت "جون" يسأله بصدمة:

أين كنت!! ومن فعل بك هذا!!

أجابه "رائد" ساخرًا وهو على وشك البكاء:

كنت بلعب ملاكمة يا حبيبي.

سأله "فور" مُتحمسًا وكأن الجواب لا يظهر من عنوانه:

وهل فُزت!!!

أشار "رائد" لوجهه بسخرية مُجيبًا إياه بلذاعة:
_طبعًا... هو مش باين عليا ولا إيه؟! دا أنا قطعتَه.

رد عليه "قاسم" شامتًا:
_لأ باين عليك ما شاء الله.

حدجه "رائد" بسخط متشدقًا بغیظ:
_وعهد الله لولا إني مش قادر أقف على رجلي لكنت هشوه
وشك بسببك عملتك المهيبة دي.

أجابهُ "قاسم" ببرود مُرجعًا خصلاته المنسابة للخلف:
_محدثش قالك تعط يا عين أمك والله، وبصراحة بقي كدا
ومن غير لف دوران أنا شمتان.

طالعه بغیظ قائلًا:
_أناومش هرد عليك عشان أنا محترم وابن ناس محترمين.

تأفف "فور" ضاجرًا بقوله:

توقفوا عن الشجار يا فتیان، لا تكونوا كالصغار هكذا!!

نظر له الجميع باستتكار وكأنهم يقولون له حقًا!!! ليقطع كل تلك الأحاديث صوت "جون" الذي تسائل بجديّة:

إذن "قاسم" .. متى ستذهب لتُنهى أمر "صهيب الأرمني"!!!؟

هنا وصعد صوت "قاسم" يهمس بشر، بعد أن تحولت عيناه لكتلة من اللهب المُشتعل:

النهاردة بليل الساعة 2 بالظبط، يعني بعد أربع ساعات من دلوقتي.

وبعد مرور أربع ساعات.. خرج من منزله بخطوات بطيئة يستمع لصوتها بسبب صمت الشوارع من حوله، يُمسك بيده خنجرًا مُدبب حاد الجوانب، شدد من الضغط عليه وهو يتخيل رد فعل "مختار الأرمني" عندما يصل إليه خبر مصرع ابنه الحبيب!!

وعند تلك الفكرة ازدادت ابتسامته سرًا، وعقله يزداد سُمًا، ما يفعله هو نقطة مما فعلوه به، سيجعلهم يتجرعون من كأس الألم الذي ذاقه، هو يكره كل فرد يعيش بعائلة

"الأرمني"، ولو وُضعوا أمامه؛ لقتلهم جميعًا بلا تردد أو شفقة.

وصل إلى أسفل البناية التي يعيش بها، ولسوء حظه جاء اليوم للمبيت بشقته وحده، دون وجود حراسة أو ما يحميه، تأكد من وضع قناعه وتثبيتته على وجهه، عدّل من وضعية القفازات السوداء السميقة التي تشبه ملابسه، وشدد أكثر على سلاحه، تلك الليلة ستكون حزينة على عائلة "الأرمني" وتعهد بذلك، تعهد بالدمار الشامل للجميع.

صعد الدرجات دون الحاجة للمصعد حتى لا يُصدر صوتًا يُزعج السكان، وبعد قليل وصل لشقته ووجهته المطلوبة، طرق جرس الباب بكل لباقة وإحترام وانتظر قليلًا.

فُتح الباب بواسطة "صهيب" الناعس، فاستغل هو ذلك ودفعه للداخل بعد أن أغلق الباب خلفه، مُسدّدًا له لكمة قوية أطاحت بوجهه مما أدى إلى سقوطه للخلف، تبعها قول "قاسم" الحائق بغضب:

دي عشان تبقى تعمل ألف حساب قبل ما تمد إيديك على أخوك الكبير يا حيوان.....!!!!!!!

«يُتبع»

#حارة_القناص.

شروق حسن | 

" اعتزل ما يحدش دينك، ولا تلتفت لأحد.. "

ستحاسب وحدك! 

«الفصل الحادي عشر»

«حارة القناص»

«مريضة كتمان»

_ أه حسبي الله ونعم الوكيل، وشي مش حاسس بيه منك لله.

هتف بها "صهيب" الجالس على الأريكة، وأمامه يجلس "قاسم" المُمسك بقطع الثلج يضع منها على وجهه مكان لكتمته، رد عليه "قاسم" بعبث وهو يضغط على وجهه بالثلج:

_ أحسن تستاهل، محدش قالك تعمل فيها راجل عليا وتضربني يا "هوبا".

حدجه "صهيب" مغتاظًا ثم هتف ساخطًا:

_ ما كان لازم أعمل كدا وأنت عارف إن "مختار الأرماني" مراقبني وشاكك فيك.

ترك "قاسم" الثلج من يده على الطاولة التي أمامه، ثم اتجه ناحية الثلاجة يفتحها بترو، فجذب منها شطيرة كان "صهيب" قد صنعها قبل أن يأتي بدقائق قليلة، وبدأ في أكلها ببرود تحت أنظار "صهيب" المغتاظة.

حارة القناص

كز على أسنانه بسخط ثم تتم مُستكرًا:
بُص أنا بتكلم في إيه وأنت بتطفح!!

تجاهل "قاسم" حديثه ناظرًا للشطيرة بعدم رضا، ثم أردف
بإقتراح:

أنا من رأيي تغيّر نوع الجبنة الرومي دي، مش حلوة

اغتاظ "صهيب" منه، فما كان عليه سوى أن يُمسك بعلبة
المناديل وقذفها في وجهه دون أن يُدرك، رمى له "قاسم"
نظرة نارية ذاهبًا له بغضب، فدفعه للخلف على الأريكة
مستندًا بركبته على الأريكة، ليُصبح فوقه مُباشرةً، أحنى
وجهه له ثم تحدث بهمس مُرعب:

_أنت عارف اللي أنت عملته دا إسمه إيه في قاموس "قاسم
طاحون"!!؟_

تابعه "صهيب" مُستكرًا برودة فعله المُبالغة فيه، ثم سأله
بسخرية:

إسمه إيه إن شاء الله؟!

حارة القناص

دفعه "قاسم" ببرود بعيدًا جالسًا على نفس الأريكة، ثم أردف بمزاح:

_ولا حاجة بس أنا بحب الأكشن.

اعتدل "صهيب" هو الآخر مُتمتمًا مع ذاته:

_قال قناص قال!! دا أنت تافه.

يبدو أن صوت تفكيره كان عاليًا قليلًا، وتأكد من ذلك عندما نكزه "قاسم" بغلظة في ذراعه يزجره:

_اتلم يا حيوان بدل ما أخليك تشوف القناص بجد هيعمل فيك إيه.

تلك المرة قلق "صهيب" من تعابير أخيه التي تحولت للجدية والغضب، فقرر أن ينحاز لأحد المواضيع الأخرى تجنبًا لغضبه، لذلك أردف يسأله بعث:

_عامل إيه مع المزة؟!

_أنت عايز تبات النهاردة في المستشفى بجد صح؟!

حارة القناص

نطق بها "قاسم" مُحذراً، مما جعل صوت ضحكات
"صهيب" تتعالى، تبعه صوته المُشاكس وهو يقول أثناء
إحاطته لكتفه:

_ في إيه يا "قسومتي" مش بتظمن على مستقبل أخويا يا
جدع!!

دفعه "قاسم" بضجر لكن "صهيب" رفض الإبتعاد، لذلك
صاح مُتأففاً:

_ يابني ابعده أنت خنقتني، أنت ناقص تيجي تقعد على رجلي.

رد عليه "صهيب" بدلال أقلقه:

_ الحق عليا إنك واحشني يا قاسي!! هو أنا موحشتكش ولا
إيه!!

ابتلع "قاسم" ريقه بقلق دافعاً إياه ثم سأله بريية:

_ مالك يلا في إيه! اظبط كدا بقولك بدل ما وعهد الله أبلغ
عنك.

قهقه "صهيب" عالياً أثناء ابتعاده عنه، ليجيبه بعث وهو
يُحرك حاجبيه مُشاكساً إياه:

_ هتبلغ الحكومة على الحكومة!!

طالعه "قاسم" بطرف عينه ولم يُجيبه مُركزًا ببصره على التلفاز، ظن أن أخيه سيصمت؛ لكنه استمع إليه يسأله مرة أخرى بمكر:

_ مش هتقولي برضه المزة عاملة معاك إيه؟!!

حدجه "قاسم" بنارية ثم عنفه قائلاً:

_ يابني ما تبطل سفالة أهلك دي!! أنت راضع قلة أدب!!

رد عليه "صهيب" بضحك لم يستطيع إيقافه:

_ خلاص ياعم بهزر معاك والله، بس قولي ناوي تعمل إيه بعد كدا.

سحب "قاسم" نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل، وبعدها أجابه بهدوء وعقله شارداً في نقطة ما:

_ قولت لـ "أهلة" إن مستشفى الأرمني بتاجر في الأعضاء، وهي هتتكفل بالباقي.

فكّر "صهيب" قليلاً ثم سأله بقلق أصبح يُلازمه في الآونة الأخيرة:

_ أنت واثق فيها يا "قاسم"!!؟!! يعني مش هيجي في يوم وتبيحك!!

رد عليه "قاسم" بثقة نافياً حديثه:

_ توء.. "أهله" من الكام مرة اللي اتعاملت معاها فيهم عرفت إنها كفاءة وثقة، دا غير مساعدتها إن هي بتتشر الأخبار بأسلوب يولع الدنيا، وكم ان هدفنا واحد ودا سبب كافي إنني أثق فيها.

هزّ "صهيب" رأسه إقتناعاً لحد ما بحديثه، فسأله مُتعباً:

_ محاولتش تعرف سبب انتقامها من "عيلة الأرماني" إيه!!

نفى "قاسم" برأسه قائلاً:

_ محاولتش ومش عايز أعرف، عيلة "الأرماني" عداوتها كتير، وأكد أذوها بطريقة زبالة عشان كدا بتنتقم، وزي ما هي بتساعدني دلوقتي أنا كمان هساعدها.

حارة القناص

هز "صهيب" رأسه يوميء له يشرد مُفكرًا في حديثه،
فقاطع شروده صوت "قاسم" الخبيث المُتسائل:

أخبارك إيه مع الكتكوتة؟!!!

وفي ثوانٍ تحولت نظرات "صهيب" إلى الهيام مُتخيلاً إياها
أمامه الآن، ليرد بـ وَله تلقائياً:

_كتكوتة إيه بس! قول شيكولاتاية! بسكوتاية! ملابساية!
دي علبة حلويات على بعضها.

ضحك "قاسم" بخفة من حالة الهيام التي تلبسته، ليغمز له
بعدها بمشاكسة:

_والعة معاك ياخويا، بس براحة على البت مش قدك.

رد عليه "صهيب" بحنين وهو يتذكر عفويتها وسعادتها
معه ليلة أمس:

_والله أنا حنينٌ معها يا "قاسم" بس هي اللي دماغها
جذمة، دايماً خايفة من أمها الحربية وبتعيط وأنا ببقى
عاجز مش عارف أعملها حاجة بسبب الزفت اللي اسمه
"مختار" والحراسة اللي حاطتها حواليا دايماً.

ربت "قاسم" على قدمه بحنان مُهونًا عليه حزنه:

_وأهو بقيت تتعامل معاها زي ما أنت عايز من بعد ما أبوها مات، المهم حسسها إنك مهتم بيها وابتعد أمها عنها بأي شكل وبأي طريقة، وأمها دي حسابها معايا بعدين.

أردف بكلماته الأخيرة بتوعد فهمه "صهيب" جيدًا، والذي تحدث بحقد ينبع من أعماقه بشدة:

_والله أنا ببقى شايفها قدامي ببقى نفسي أقتلها بأبشع طريقة، بس بضغط على نفسي وأقول استحمل لسه شوية.

حذره "قاسم" بقوة قائلاً وهو يرفع سبابته أمام وجهه:

_متعملش أي تصرف غلط يا "صهيب" وتبوظلنا الدنيا، وسيب "صوفيا" ليا أنا وهربيها، دي كلبة فلوس وهحسرها على فلوسها قبل ما تحصل جوزها ال***.

وافقه برأسه، فوقف "صهيب" مُتجهًا للمطبخ ثم سأله وهو يعبث بالأواني:

_تشرب إيه!!

تمدد "قاسم" على الأريكة بإنهاك، ثم أجابه بهدوء:

حارة القناص

__ اعمل نسكافيه عشان داخ.

ملاً "صهيب" البراد بالماء البارد ثم وضعه على القاعدة الكهربائية قبل أن يقول لـ "قاسم" وهو يُشير له لأحد الأدرج:

__ هتلاقي برشامة للصداع عندك في الدرّج خُدها على ما أجهّز الأكل.

أخرج صوتًا من فمه يدل على اعتراضه، ثم خرج صوته قائلاً:

__ لأ مش عايز آكل مليش نفس.

__ مش باخد رأيك، أنا طالب الأكل قبل ما تيجي وهسخنه بس وناكل سوا.

__ بدأ العد التنازلي تيك توك.. تيك توك.. تيك توك.

همست بها "يمنى" لذاتها بتحدي، أصابها الأذى هي الأخرى فجاء دورها للانتقام، وانتقامها مُخالفًا لهم، لم يكن

قتل أو فضيحة، بل شيء أبشع من هذا بكثير بالنسبة لهم، وهو المال.

وقفت تدور حول نفسها في غرفتها الخاصة، ثمسك بتلك الأوراق التي قامت بسرقتها من الشركة الخاصة للأغذية بعائلة "الأرمانى" ولم تكن عائلة "الأرمانى" فقط، بل عائلة "حمدان" أيضاً، علاقة وطيدة قدرة تربط بين تلك العائلتين كانت السبب في دمارها، وكما طالها الأذى؛ ستسببه لهم أيضاً.

أمسكت بهاتفها وقامت بمهاتفة شخصاً ما، انتظرت قليلاً حتى جائتها الإجابة، لتقول بجمود دون إعطاء فرصة للآخر بإكمال تحيته لها:

آخر صفقة أغذية تلزمني، ورقها كله يكون قدامي بكرا بالكثير.

جاءها صوت الطرف الآخر هاتفاً بقلق:

بس يا "يمنى" الوضع ميظمنش، الدنيا اتقلبت من آخر مرة لما شركة الأدوية بتاعة عيلة "الأرمانى" انفجرت، وجيتي بعدها سرقتي ورق الصفقة والدنيا مش ساكتة.

كانت تستمع له ببرود حتى سألته مُتحدثة بجمود:
_خَاصَّتْ!!! اللي قولته يتنفذ، سلام.

أغلقت الهاتف بوجهه وهي مُتيقنة بأنه سيجلب لها أوراق
الصفقة دون تأخير، نظرت للخبر الذي كتبت به بأعين شرسية
كنمرٍ ينتظر فريسته للوقوع للنيل منها، تلك السطور التي
كتبتها بكل عناية وتدقيق لإصابة هدفها في مقتل تُشعرها
بالإنتشاء، وغداً ستُصيب أول هدف.

خرجت من غرفتها مُتجهة لغرفة "أهلة" التي وجدتها
مُنهمكة في عملها على الحاسوب، رفعت "أهلة" عينيها لها
ثم سألتها بعد أن خلعت نظارتها الطبية واطعة إياها جانباً:
_ها خلصتي.

اقتربت "يمنى" منها حتى جلست مُتربعة على الفراش، ثم
مدت يدها لها بالأوراق تزامناً مع حديثها الواثق:
_كل حاجة تمام، وكمان كلّمت "يحيي" يجيب لنا ورق
الصفقة الأخيرة.

ابتسمت "أهلة" بتشفي وهي تقرأ ما هو مُدون بالأوراق،
والحقيقة شعرت بالسعادة العارمة لبدأ نجاح أول خطة انتقام

حارة القناص

لهما، رفعت أنظارها لـ "يمنى" المُتابعة لها بترقب، ثم فتحت لها ذراعها قائلة بحماس لم تعهده قبل:

__ بقولك إيه يا بت أنتِ هاتي حُضنِ عشان أنا بحبك.

ابتسمت لها "يمنى" بمرح، ثم اتجهت لها تحتضنها بحب شديد تشاركاً فيه، لتقول بعدها بعث:

__ بعد شهر مش هشوف الأحضان ولا الحب دا كله ها، سي "قاسم" هياخدك مننا يا نوسة.

قالتها بمرح لتتغزها "أهلة" في جانبها بضحك، قبل أن تقول بمكر زائف هي الأخرى:

__ لأ أحضان إيه بقى، الموضوع هيبقى أكبر من كدا بكتير.

وتلك المرة فتحت "يمنى" عينيها بصدمة من وقاحتها، ثم هتفت بعدم تصديق:

__ هي "ملك" خلطت عليكِ ولا إيه!!!

ضحكت "أهلة" بمليء فاهها مُجيبة إياها:

يا شيخة اتيلي خلطت إيه، دا مش بعيد لما يجي يمسك
إيدي أجيب اللي في بطني كله عليه من إحساس القرف اللي
بيجيلي، وقتها هيطلقتني أساسًا.

انمحت ابتسامه "يمنى" تدريجيًا، ثم أمسكت بيدها وهي
تقول لها باستعطاف:

اتعالجي يا "أهله" عشان خاطري، متعمليش في نفسك
كدا، دا أنتِ حتى مش طايقه لمسة حد ليك، زي ما أنا متأكدة
إن أنتِ مش طايقه ماسكة إيدي ليك دلوقتي.

سحبت "أهله" يدها بهدوء من بين كفيها تزامنًا مع تحول
وجهها للوجوم والضيق، اعتدلت مكانها ثم هبطت من على
الفراش لتقف أمام الشرفة العريضة الموجودة بغرفتها،
أرجعت خصلاتها المنسابة على وجهها للخلف ساحبة شهيقًا
عميقًا لكنه مُتألم، ثم زفرته على مهل وكأنها تطرد تلك
الذكريات والجروح التي فُتحت بواسطة "يمنى" دون قصد
منها، راقبتها "يمنى" بحزن عليها عالمة بكل ما يدور
بخلدها الآن، لكن عليها المحاولة للمرة الألف معها حتى
تُشفى من وسواسها المُميت، هبت من مكانها مُتجهة إليها
حتى وقفت بجانبها تُثبت أنظارها على مظهر الأشجار
الخضراء المُعتمة، لا تدري ما تبدأ به لكنها قالت بهدوء
مُنافي لحزنها:

_أنا عارفة إن كلامي زعلك، بس متضايقيش مني أنا خايفة عليك وعايزة مصلحتك، إن تروحي لدكتور نفسي تتعالجي من الوسواس القهري اللي عندك دا مش حاجة وحشة وتعيبك، بالعكس أنت كدا هتساعدني نفسي إنك تعيشي حياة طبيعية أنت تستحقها، هتقدرني تحضنينا من غير ما تبقي مقروفة، هتقدرني تسلمي على صحابك من غير ما حاجة تمنعك، والأهم إنك هتعيشي حياة زوجية سعيدة لو اتعالجتني، مش كفاية إنك مش عايزة تتعالجي من الكتمان اللي عندك!! يعني لا بتعرفني تحضني حبايبك ولا بتعرفني تعيطني لما تكوني زعلانة!!

نعم.. فـ"أهلة" مريضة كتمان مُزمن، لا تستطيع البوح عما بداخلها، لا تستطيع الحديث أو البكاء، منذُ وأن كانت صغيرة كانت تكتم حزنها داخلها كذلك دموعها، فأدى إلى أصابتها بالكتمان المزمن، فأصبح قلبها هو الذي يُمطر دموعًا لا عيناها، مما يجعلها تشعر فيه بألم شديد لا يُحتمل أحيانًا.

ضغفت "أهلة" على شفيتها من تلك الحقائق التي ترميها "يمنى" فوق أذناها بلا رحمة، ورغم صحة حديثها إلا أنها أردفت بجمود:

_قفلي على الموضوع دا يا "يمنى" مش عايزة أسمع كلام فيه تاني.

وتلك المرة هدرت بها الأخرى بنفاذ صبر:

_هو إيه اللي مش عايزة أسمع كلام فيه تاني!!! حرام عليكِ نفسك يا شيخة!.

صرخت بها "أهلة" بالمقابل وهي تُنفض يدها بعيداً عنها:

_حرام عليكِ أنتِ واسكتِ وسبيني في حالي، عايزاني أروح لدكتور نفسي!! عايزاني افكر كل حاجة حصلت معايا!! عايزاني أعيش كل الوجد من تاني!! لو دا حصل أنا ممكن أنتكس من جديد، ممكن أحاول أنتحر تاني، وأنا مش عايزة دا، مش عايزة أتعالج سبيني بقى وامشي.

هبطت دموع "يمنى" على حالتها التي تترك أثراً سلبياً في نفسها، ودون أن تتحدث اقتربت منها تحتضنها بقوة، تريد أن تمحي كل آثار الحزن من داخلها وهي لا تُعطي لها فرصة واحدة، خرج صوتها مبحوحاً مُتألماً وهي تعتذر لها بأسف:

_أنا أسفة والله، حقك عليا بس أنا مش هاين عليا تكوني كدا.

بادلتها "أهلة" العناق أثناء إغماضها لعيناها علها تجد الراحة المسلوقة من داخلها، لكن كل ما تجده هو الخواء الذي يُحيط بها رغم حب أشقائها ووالدتها لها، ابتعدت عنها راسمة ابتسامة خفيفة لم تصل إلى عيناها، وبعدها ردت عليها بهدوء:

_ مش زعلانة منك يا حبيبتي، أنا عارفة إنك كل اللي همك مصلحتي وأنا متأكدة من دا.

في تلك الأثناء انفتح عليهم الباب فجأة ودلفت "ملك" بعاصفة هوجاء كعادتها، توقفت مكانها مُتصنمة مما رآته، ثم وضعت يدها على صدرها مُردفة بصدمة مُفتعلة:

_ أختي وأختي مع بعض!! وفي أوضة واحدة!! وبيتكلموا مع بعض بصوت هادي!! أه قلبي.. ما تلك الخيانة!!

نظرت كلتاهما لها بتشنج من عرضها الدرامي المُبتذل الذي قدمته الآن، رأت "ملك" نظراتهم المُشمززة التي يوجهونها لها فحمحت بخرج بعد أن تقدمت منهم، وقفت أمامهما تُطالعهم بشك ثم أردفت بأعين مُتربصة بتحركاتهم:

_ كنتوا بتتكلّموا في إيه قبل ما آجي!!

حارة القناص

دفعتها "يمنى" بغيظ من كتفها ثم تخطتها وعادت تجلس على الفراش مرة أخرى، ثم تحدثت بسخط لها:

_ يا شيخة اتيلي من وشي بقي، أنتِ عاملة زي عفريت العلبة اللي بيطلع من كل مكان!

تقدمت منها "ملك" ثم نكرتها في ذراعها بخفة عدة مرات تقول بغيظ:

_ أنتِ متمديش إيدك عليا تاني يا بوز الإخص أنتِ.

طالعتها "يمنى" بنظرة نارية وتوقفت على كلتا رُكبتيها جاذبة إياها من خصلاتها وهي تقول غضب:

_ لأ بقولك إيه بقي تعاليلي عشان أنا سكتك كثير.

ارتمت "ملك" بظهرها على الفراش وفوقها "يمنى" تضربها على أنحاء مُتفرقة من جسدها، فحاولت "ملك" مقاومتها ودفعها بعيدًا عنها، وبعد عدة محاولات نجحت في إبعادها وتلك المرة أمسكتها من ثيابها تهزها بعنف، وباليدي الأخرى جذبت خصلاتها مثلما فعلت الأخرى، ثم تشدقت بغضب:

_ والله ما أنا سيباك النهاردة، أنا قرّفت منك ومن سِحنتك.

كل هذا وكانت "أهلة" تُتابعهم بإستمتاع أثناء إرتشافها
لقدح الشاي الذي أعدته لنفسها منذ قليل، صرخت "يمنى"
بألم أثناء مُحاولتها لشن الهجوم عليها مرة أخرى، وبالفعل
عاد الشجار أكثر مما كان عليه.

بعدة عدة دقائق.. كانت كُلاً من "يمنى وملك وأهلة" تجلسان
على الفراش بهدوء، فصعد صوت "يمنى" التي تسأل
"ملك" بدهشة أثناء تناولها للفشار:

_ يعني جوزها ضربها قدام أهله وطردها وهي رجعتله
تاني!!

مضغت "ملك" رقائق الشيبسي بقمها ثم أجابتها وهي تُلوح
بيدها أمام وجهها:

_ آه والله راجل معندوش دم، وهي يا عيني عشان يتيمة
ملقتش اللي يقف معاها ويساعدها في محنتها.

احتل الأسى معالم وجه "يمنى" ثم أردفت بحزن على تلك
الفتاة:

_ ربنا يكون في عونها يارب، أنا مش عارفة الناس بقت
وحشة كدا ليه!!

أصدرت "أهله" صوتًا ساخرًا من فمها وهي تُجيبها
بإستتكار:

والله مش عارفة الناس بقت وحشة كدا ليه؟! صدقي إنك
أنتِ وهي معندكوش دم!!

نظرت كُلاً من "يمنى وملك" لها ببرائة، فيما أكملت "أهله"
تعنيفها لهم:

انتوا مش هتكبروا أبدًا!! مش هتعقلوا يا شوية عيال!!
من شوية كنتوا بتقطعوا في فروة بعض ودلوقتي قاعدين
تمموا على خلق الله!! وقدامي!! وانتوا عارفين إن أنا أكثر
حاجة بكرهاها هي النميمة.

تلك المرة تحدثت "ملك" بضجر وهي تمط شفيتها حانقة:

أنا غلطانة، دا كنت هحكيتك البت "منى" صحبتي عملت
إيه لما اكتشفت إن خطيبها بيخونها.

اهتزت نظرات "أهله" بارتباك لكنها جاهدت أن تظل ثابتة،
لذلك أردفت بلامبالاة مصطنعة:

مش عايزة أعرف حاجة واسكتِ بقى.

غمزتها "ملك" في جانبها وقالت بمشاكسة:

يابت!! يعني مش عايزة تعرفي!!.

هزت "أهله" رأسها بنفي قائلة:

لا مش عايزة أعرف.

_وبعدها ياستي رمته الدبلة في وشه وقامت مشوحة
بأيديها كدا في وشه وقالتله يا صفيق وقامت سايباه
وماشية._

أنهت "ملك" حكايتها أثناء تناولها أخر قطعة من المُسلّيات،
وكلاً من "أهله ويمنى" يُتابعانها بانتباه، غزا الإعجاب وجه
"أهله" ثم أردفت مُفتخرة برده فعلها:

_والله جدعة، أنا لو منها كنت لطشته بالقلم الخاين الواطي
دا._

أشاحت "ملك" بيدها بلامبالاة مُتحدثة بتأثر:

_أصل "منى" طيبة أوي ومتقدرش تمد أيديها على
راجل، بس قبل ما تمشي رمته كلمتين خلت ودانه تصفر
من الصدمة._

سألته "أهله" باهتمام قائلة:

حارة القناص

_قالتله إيه قولي.

اقتربت منها "ملك" بوجهها قليلاً، ثم قالت بصوت خفيض
وصل لمسامعهم:

_قالتله "لولا الملامة أنا كنت مديت إيدي عليك، بس أنا
مش بمد إيدي على نسوان" ومشيت وسابته قاعد مع
السنيرة.

ضحكت "أهله" عاليًا وهي تقول بإعجاب:
_واو.. انبهرت بجد.

شاركتها "يمنى" الضحك وفجأة هبت من مكانها قائلة
بنعاس:

_أنا هروح أنام بقى عشان مش قادرة.
أوما لها كلتاهما، فنظرت "أهله" لـ "ملك" عندما طال
صمتها:

_مش هتمشي أنتِ كمان!!

_أنتِ عايزاني أمشي!!

سألتها "ملك" بلزاجة، فردت عليها "أهلة" بنبرة ساخطة
وصريحة:
_آه.

استندت "ملك" بظهرها على الفراش قائلة بسماجة:
_وأنا مش عايزة أمشي.

لم ترد عليها، بل وقفت من مكانها مُلتفة حول الفراش تقف
بجانبها، ثم أمسكتها من يدها مُتجهة بها ناحية الغرفة،
حاولت "ملك" جذب يدها من خاصتها ولكنها فشلت بسبب
إحكام "أهلة" في إمساكها، فصاحت "ملك" مستنكرة:
_يوه ما تسيبي إيدي يا "أهلة" بقى!.

أوقفتها "أهلة" أمام باب الغرفة واستندت هي عليه، ثم
صاحت بها بابتسامة صفراء:

_تصبحي على خير يا "ملك" يا حبيبتي، ووشك دا
مشفهوش في أوضتي لمدة سنة قدام.

أنهت حديثها ثم أغلقت الباب بوجهها تاركها "ملك" تكز
على أسنانها بغيظ، تبعها قولها الحائق بغضب:

__ عيلة قليلة الذوق، مش مقدرين قيمة الجوهرة اللي في
إيديهم.

قاطع حديثها مع ذاتها صوت هاتفها الذي صدح برنين
خافت، نظرت لشاشته ببرود؛ وفي ثوانٍ تهللت أساريرها
بسعادة وهي تُجيب بحماس:
__ وحشتني يا "أنس".

__ "نادر الأرماني" هينزل مصر بكرا وهو وولاده.

هتف بها "صهيب" الذي يتناول آخر قطعة من طعامه،
ليرفع "قاسم" عيناه له راسمًا على ثغره ابتسامة خبيثة
أثناء قوله الهامس بخطورة:

__ دا يشرف وينور، ومتقلقش هياخد واجبه وبزيادة كمان.

التقط "صهيب" قنينة المياه المُثلجة وهو يُقهقه عاليًا، ثم
أردف بخبث يماثله:

__ معاك يا اخويا، ما هو أنا أكيد مش ههنيه على العيشة في
مصر.

ضرب "قاسم" كفه بخاصته ثم غمز له مشاكسًا:
_ أنت كدا أخويا وحببي.

لوى "صهيب" شففيه بضيق أثناء تذكره لتلك اللزجة التي
تشبه العلكة كما يصفها:
_ المشكلة إنه عنده بنت تقول للغتاة قومي وأنا أقعد مكانك.

أرجع "قاسم" رأسه للخلف يضحك عاليًا بقوة، فأردف من
بين ضحكاته الصاخبة:
_ يا معذبهم.

ضحك "صهيب" بخفة مُشيحًا بوجهه بسخط، ليستمع إلى
صوت أخيه يؤكد له بتشجيع:
_ أهي كلها شهرين ونخلص من القرف دا كله، ونعيش مع
بعض سوا.

تحولت نظرات "صهيب" للحنين عقب استماعه لكلمته
الأخيرة، وازداد أكثر أثناء تذكره لرؤية والدته منذ ثلاثة
أيام، لكم اشتاق لها ولعناق حنون منه! ورغمًا عنه تسالت

حارة القناص

الدموع لعينه، والتي لاحظها "قاسم" سريعًا، ليجذبه له
يُشدّد من إحتضانه، ثم صعد صوته قويا يُخبره:

_اجمد ياض كدا لسه قدامنا الطريق طويل.

بأدله "صهيب" العناق بقوة أكبر ثم تحدث بتحشرج:

_نفسى نرجع أطفال تاني ونكون كلنا سوا مع بعض، أنا
وأنت وماما وبابا الله يرحمه.

ظن "قاسم" أنه لن يتأثر بالحديث، لكنه وجد غشاوة تُغطي
عيناه بحزن، دفعه بعيدًا عنه قائلاً بمزاح وهو يُجفف عينه
من الدموع:

_روح منك لله يا بعيد، متعرفش تشوفنا مرتاحين أبدًا؟!.

ضحك "صهيب" بخفة قائلاً برجاء وهو يمسك يده:

_عايز آجي معاك أشوف ماما تاني.

رسم "قاسم" ابتسامة طفيفة على ثغره ثم أخبره واعدًا
إياه:

حارة القناص

_ أوعدك إني هاخذك في يوم تشوفها بس بلاش دلوقتي،
"مختار الأرماني" حاطك عينه عليك دلوقتي خصوصًا إن
أدوية فقدان الذاكرة مفعولها قرب يخلص.

خرج صوتًا ساخرًا من فم "صهيب"، تبعه حديثه الشامت
بانتشاء:

_ المغفل مفكر إني لسه باخد الأدوية، لأ ولازم كل يوم يبعث
الخدمة بالدوا عشان يتأكد إني باخده.

غمزه "قاسم" مازحًا بقوله:

_ ميعرفش إنك "صهيب طاحون" أخو "قاسم طاحون".

بادلله "صهيب" يغمز له وهو يقول بتأكيد:

_ ومحدثش يقدر يقول غير كدا.

صمت قليلًا ثم هب من مكانه ناظرًا له بمرح:

_ طبعا مش محتاج أقول إن البيت بيتك، وأنا هروح آخذ
شاور عشان حاسس إني معفن.

رددها "قاسم" خلفه بسخرية:

حاسس!! لا أكثر خيرك.

طالعه "صهيب" بغيظ ثم ذهب من أمامه وهو يُتمتم ببعض الكلمات الحانقة، نظر "قاسم" لأثره بابتسامة حنونة وضميرًا مُرتاحًا بعض الشيء، يشعر بالفراشات تُحلّق من فوقه بعد أن شعر أن عائلته على وشك العودة له مُجددًا، خاصةً بعد تحسّن والدته بشكل ملحوظ بعدما رأت "صهيب" حي يُرزق أمام عيناها، أخذته ذاكرته ليوم غير حياته كُليًا، حينما اكتشف أن أخيه على قيد الحياة.

وقتها كان قد مرّ على عمله بمشفى الأرماني عامين تقريبًا، وليسطيع الإنتقام منهم كما يريد عليه الوجود داخلهم، فلم يجد طريقة أنسب من العمل معهم، خرج من العمليات مُنهكًا بعدما أجرى عملية شديدة الخطورة في الدماغ لأحد المرضى، وكان على وشك فقدانه للمريض لولا توفيقه من الله أولًا وبراعته ثانيًا، خلع الماسك الخاص به ثم دلف للمكتب الخاص به بعدما تلقى الدعوات الخالصة من أهل المريض، ولكم ودّ حينها أن يستمع لها من والدته، قبلها بعدة أيام كان قد بدأ برحلة إنتقامه بعدما استحوذ على ثقة عائلة "الأرماني" بمهاراته، فعلم عن صفقة أدوية مُسرطنة قادمة من الخارج فقام بالتبليغ عنها، حينها خسروا الملايين من الأموال الطائلة نتيجة لفعلته.

رسم قناع الأسف على وجهه عندما علم بنجاح الأمر،
وذهب للمكتب الخاص بـ "مختار الأرمني" ليؤاسيه، وذلك
بعد إعلانهم عن خسارتهم لكثير من الأموال بسبب غرق
شحنة الأدوية في البحر، وبالطبع لم يخبروهم السبب
الحقيقي، وقف أمام مكتبه وكاد أن يدق الباب، فاستمع
حينها إلى صوت "رفعت الأرمني" يصرخ بغضب:

ما أنت المفروض مكنتش تحط ثقتك في "صهيب"، لا هو
من لحمك ولا من دمك عشان يصون فلوسك يا "مختار".

توقفت يد "قاسم" في الهواء مُنصدمًا بما سمعه، ليستمع
بعدها إلى صوت "مختار" يهدر بعصبية مفرطة:

إلزم حدودك يا "رفعت" ومتجيش الكلام دا على لسانك
تاني، أنت عارف إن لو حد سمعك هنروح كلنا في ستين
داهية.

رد عليه "رفعت" بسخرية غاضبة:

على أساس إن احنا مروحناش في داهية دلوقتي يعني!!
أنت عارف إن احنا حاطين عشرة مليون في صفقة الأدوية
اللي اتمسكت دي!!! عارف ولا مش عارف!!!

شد "مختار" على خصلاته بحدة لا يعي كم الأموال التي قاموا بخسارتها، شعر بالدوار يُداهمه جراء تلك الكارثة التي حلت على رؤوسهم، حينها انتفض "رفعت" قائلاً بصمت:

_ هي الأدوية بتاعة فقدان الذاكرة "صهيب" لسه بياخذها!!!

أجابه "مختار" باهتزاز وهو يؤكد له:

_ آه لسه بياخذها، بتسأل ليه؟!!

_ مصيبة ليكون بيغفلنا ومبقاش ياخذها وافتكر كل حاجة، وقتها هنكون رُوحنا في داهية بجد، وخصوصاً بعد ما يعرف إنه مش ابنك.

ثقلت أنفاس "قاسم" الذي كان يستمع للحديث يُحاول تكذيبه، لكنه هز رأسه نافيًا:

_ لأ أنا متأكد إنه بياخذ الأدوية، الخدمة بتأكدلي دا كل يوم.

ارتدى "رفعت" بجسده على المقعد بعدما شعر بالصداع الشديد، وبعدها تحدث بسخط من أخيه:

_منك لله يا "مختار"، ياما قولتلك من عشر سنين ما بلاش تجيب الواد دا وتقتله وخلص زي أمه، لكن أنت صممت إنك تتبناه بعد ما خدت منه كليته ومراتك اتعلقت بيه.

قطب "مختار" جبينه بضيق من تذكيره له بتلك الجريمة التي قام بها منذ سنوات، ثم أردف ساخطاً:

_خلص يا "رفعت" مش كل شوية تقطمني!! وبعدين ما أنا استخدمت نفوذي كلها ودخلته الشرطة رغم إنه عايش بكلية واحدة وبيساعدنا في صفقاتنا.

لوى "رفعت" شفتيه ساخرًا وهو يُتمتم بحنق:

_دي الفايذة الوحيدة اللي خدناها منه، غير كدا مش جاي من وراه غير الحوارات والقرف.

كل ذلك وكان "قاسم" في موقف يُحسد عليه، خاصةً وأن فؤاده يُخبره بأن هذا شقيقه، أخذوا منه كليته مثل والدته!! نفس المدة!! ونفس الحادثة!! يأخذ حبوب لنسيان ذاكرته!! كل شيء يؤكد حدثه، حينها عزم على معرفة الأمر كاملاً، وهل بالفعل "صهيب الأرمانى" هو شقيقه أم مجرد صدفة!.

حينها انطلق كالصاروخ إلى مكان عمله، لم يعلم بعواقب ما يفعله لكنه كان يريد المجازفة وعدم الإنتظار، كان قلبه يطرق بقوة وكأن هناك من يضرب فوقه بمطرقة من حديد فتُصيبه بالألم، وبالفعل أخبر "صهيب" عما سمعه، وقتها تحول الحديث إلى شجار وعراك كان صاحبه "صهيب" لعدم تصديقه لما يقول هذا المختل من وجهة نظره، فرمى له "قاسم" بوجهه جملة قاسية لم يستطيع نسيانها حينذاك:

_ ابقى جرب متاخذش العصير اللي الخدمة بتجبهولك كل يوم وأنت تعرف أنا أقصد إيه!!

قال جملة ثم تركه وذهب، فحتى وإن لم يكن أخيه فهو ليس ابنهم، وبالفعل ظل "صهيب" لا يأخذ العصير لمدة أسبوعان كاملان، كان يشعر بهما بدوار شديد وصور مشوشة تظهر وتختفي أمامه فجأة، وبعد مرور شهر تذكر كل شيء!! ولأنه كان صغيرًا جدًا حينها لم يتذكر سوى عائلته فقط، تذكر والده، والدته، وشقيقه!

وبعدما تأكدوا بفعل فحوصات الـ DNA بدأت خطتهم للانتقام من عائلة "الأرمني"، خاصة بعدما علم "صهيب" باستغلالهم لمركزه وعمله في عملهم القذر والغير شرعي، ظل "قاسم" قلق من ناحيته من أن يكون يتلاعب به ويتفق معهم، خاف أن يكون اكتسب صفاتهم السيئة؛ لذلك خبأ أمر

حارة القناص

والدته عنه لمدة عام كامل، وبعد أن وثق به أصبح يأخذه
ليزورها في منزله بعد أن يؤمن المكان جيدًا.

عاد من شروده على صوت "صهيب" الذي يلوح أمام
وجهه بدهشة:

إيه يا بني بقالي ساعة بكلمك.

انتبه له "قاسم" فوجده يرتدي تيشيرت قطني أسود اللون
وشعره مبلل، كاد أن يتحدث ويُخبره بذهابه، لكن قاطع
صوت هاتف "صهيب" الذي انتشله بخفة فوجدها "حبيبة"،
غمز له بمشاكسة راميًا له الهاتف:

الكتكوتة.

اتسعت ابتسامة "صهيب" ببلاهة وبذات الوقت تعجب من
اتصالها به، فتح المكالمة فما كاد أن يتحدث؛ حتى وحدها
تقاطعته بإنهيار:

_إلحقتي يا "صهيب" ماما قافلة عليا الأوضة وحبساني بعد
ما ضربتني._

انتفض جسده بغضب هادرًا بحدة أقلقت هذا الجالس يُتابعه
ويتابع إنفعالاته، فهتف "صهيب" صارخًا وهو يُجيبها:

حارة القناص

_طيب اقلي وأنا جايلك حالاً.

سأله "قاسم" بترقب بعد أن وقف من مضجعه بقلق:

_في إيه!!

أجابه "صهيب" بغضب وهو يكرز على أسنانه بحقد:

_ "صوفيا" شكلها مش هتجيبها لبر، وديني لأوريها.

ربت "قاسم" على ذراعه قائلاً:

_طيب اهدى وحاول تتحكم بأعصابك عشان متعملش أي تصرف متهور، وأنا همشي دلوقتي وهكلمك كمان شوية من على الخط التاني تظمني إيه اللي حصل، تمام؟!

_تمام.

أجابه "صهيب" الذي انتشل ميدالية مفاتيحه ثم هبط معه للأسفل والغل يتأكل بصدره، وقبل أن يصعد لسيارته ويذهب؛ احتضنه "قاسم" قائلاً بحنان:

_هتوحشني لحد ما أشوفك تاني، خلي بالك من نفسك ياض وبلاش تهور، ولو عوزت أي حاجة أخوك موجود.

وكأنه بذلك العناق أخذ جزءً من تلك النيران المُشتعلة
بصدره، فبادلته العناق بحب أخوي شديد حُرِم منه لسنوات،
وأجابهُ مُنصاعاً:

__حاضر.. يلا مع السلامة وخُد بالك من نفسك أنت كمان.

مرّ الليل بهدوء وعاد "قاسم" إلى المنزل وعقله مُنشغل
بأخيه، دخل للمنزل فوجد "چون" جالساً أمام الحاسوب
كعادته، وأمام التلفاز يجلس كلاً من "رائد وفور" الذي
يجلس وأمامه أصنافاً كثيرة من المأكولات، هز "قاسم"
رأسه بيأس ثم تقدم منه قائلاً بعدم تصديق:

__يابني أنت مش بتتهدي!! ما تبطل طفح شوية يخربيتك!!

نظر "فور" للطعام ثم عاد بنظره له قائلاً بضجر:

__يا رجل ما بك تنظر إلى طعامي!! أنا لم أكل منذ الصباح لا
تظلمني هكذا!!

أمسك "رائد" بورقة مطوية موضوعة على الطاولة، ثم مد
يده بها لـ "قاسم" قائلاً ببرائة:

__أنا فاعل خير بس.

انتشل منه "قاسم" الورقة ناظرًا لما بها، فتوسعت عيناه
بصدمة وشهق رغمًا عنه قائلاً بعدم تصديق:
_طالب أكل بـ2000 جنيه يابن المفجوعة!!

اصطنع "فور" التأثر وهو يقول بأسى زائف:
_انظر يا رجل.. لقد أصبحت الأسعار غالية للغاية، تبًا لهم
حقًا.

_يا أخي تبًا لك أنت ومعرفتك، دا أنا لو كنت مصاحب بقرة
كان هيبقى ليها منفعة عنك، على الأقل هنعرف نحلبها.

قهقه "رائد" عاليًا وبقوة من حديثه الذي صعد منه تلقائيًا
نتيجة لصدمة، وكذلك شاركه "چون" الذي استمع للحديث
كاملاً، فحذجه "فور" بسخط وهو يصرخ به:

_ما بك تضحك كالنعجة!! أنا أخيك يا أحق عليك المدافعة
عن كرامتي يا عديم الإنسانية.

نظر له "چون" بإندهاش ثم ردد بتهكم:
_أين كرامتك تلك "فور" أنا لا أراها!!

_ هوب هوب جبهتك يا "فور" يا حبيبي ماشية بتتمغتر
قدا مي أهي.

نطق بها "رائد" ضاحكًا، لينفخ "قاسم" بنفاذ صبر من
شجارهم والذي يبدو أنه سيطول، انتبه له "چون" فترك
العراك جانبًا الآن وتقدم منه يسأله باهتمام:

_ ما بك حزين؟!

حينها انتبه الجميع له مُثبتين أنظارهم عليه يتفحصونه
بقلق، فرد عليه "قاسم" بلامبالاة:

_ لأ مفيش شوية حوارات في الشغل وكدا هي اللي معكنة
عليًا.

ربت "رائد" على كتفه ثم اقترح عليه بثقة:

_ اعمل زيي كل ما تكون متضايق أو زعلان اقعد في أوضة
ضلمة لوحدك وأنت هترتاح.

رد عليه "قاسم" ساخرًا وهو يلوي شفثيه باستنكار:

_ بقعد في الضلمة لوحد دي بلاقي خيبيتي منورة جنبتي.

رد عليه "رائد" مُتمتًا بصوت خفيض:

_ في دي معاك حق، وأنا كمان خيبي بتتور وبتجيب
صحابها يونسوني.

ضحك بخفة ثم هب من مكانه واقفًا وهو يقول بإنهاك:

_ أنا هقوم أنام بقى عشان مبقتش قادر أفتح عيني، تصبحوا
على خير يا أخرة صبري.

ذهب من أمامهم متجهًا لغرفته، وكذلك وقف "رائد" من
مكانه قائلاً بمرح:

_ وأنا هدخل أظمن على نسواني وهنام.

ابتسم له "جون" بخفة تبعها بقوله اللطيف:

_ عمت مساءً عزيزي.

تركهم "رائد" هو الآخر ليبقى الأخوان وحدهم معًا ينظران
لبعضهم بهدوء دون حديث، اقترب "جون" بشدة من أخيه
ثم همس له بريية:

_ ماذا فعلت، هل اتصل اليوم أيضًا!!!

حارة القناص

أجابه "فور" هامسًا هو الآخر وهو يهز رأسه نفيًا:
_ لا لم يُهاتفني منذ أسبوع تقريبًا.

تنفس "چون" الصعداء مُتمتًا بالحمد، وما كاد أن يتحدث حتى وجد الهاتف يصدح بصوت عالي، انتشله "فور" سريعًا ناظرًا لشاشته، فاتسعت عيناه برعب بعد أن رأى اسم المتصل، رمى الهاتف لـ "چون" قائلًا بهلع:
_ ومصيبتهاه!!! وكأنه استمع إلينا.

أمسك "چون" بالهاتف بارتعاش ورماه على "فور" الخائف هو الآخر قائلًا:
_ خذ هذا هاتفك أنت، ليس لي علاقة بك.

رمى له "فور" الهاتف مرة أخرى وهو يصرخ به بهلع:
_ هذا هاتفك أنت يا حقير، لن أُجيب مهما حدث، أتريد قتلي!!

وتلك المرة أمسك "چون" الهاتف بإرتباك وقلبه يطرق بقوة، ولحسن حظه وجد الهاتف قد أُغلق، ليتنفس الصعداء وهو يقول براحة:

حمداً لله، لقد نجونا.

وما كاد أن يحتفلا على نجاتهما حتى وجدا صوت الهاتف
يصدح مرةً أخرى، تلك المرة قرر "چون" الإجابة، فحاول
جعل صوته ثابتاً قدر الإمكان وهو يُجيب بهدوء مصطنع:

_مرحباً أخي!!

أبعد الهاتف عن أذنه من صراخ الآخر الذي صاح فجأةً
بصراخ:

_كل هذا لتُجيب يا أحمق!! أين أنت وأخيك المعتوه هذا!!!!!!

فتح "چون" مكبر الصوت ليستمع له "فور" هو الآخر، ثم
أجابه على مهل:

_لقد أخبرتك يا أخي أننا بنزهة خارج البلاد قليلاً.

وتلك المرة تحولت نبرته للبرود الشديد وهو يسأله بترقب:

_نُزهة شهران!!! شهران وأنتما تتسكعان!!!

تلك المرة تحدث "فور" مُمازحاً إياه ليُخفف من غضبه
الموجود خلف صوته البارد:

_كيف حالك "ستيفن"!!! لقد اشتقت إليك كثيراً يا أخي.

أجابه "ستيفن" بحنق:

_وأنا لم أشتاق لك، أين أنتما يا "فور"!!

ابتلع "فور" ريقه ينظر لـ "جون" بقلق، ثم أجابه بتوتر:

_لقد قال لك "جون" بأننا في نزهة يا أخي لما لا
تصدقني!!؟

أجابه "جون" باختصار شديد وبدون مبالغة:

_لأنك كاذب.

انتشل الهاتف من يد "ستيفن" أخيه الأكبر والذي تحدث
بشر وصوت قادم من الجحيم:

_أقسم لكما إن حدث ما يدور برأسي فلن أتهاون في تقطيع
أجسادكم القذرة وحرقتها دون شفقة.

ارتعش الهاتف بيد "جون" بينما لطم "فور" على وجهه
برعب متممًا مع ذاته بشفقة:

_لقد انتهى أمرك "فور"، حسرةً على شبابي الضائع على
يد أخوتي القاسيين.

حاول "جون" استدراك الامر وأجاب بثبات رغم هلعه:
_ صدقنا "ألبرت" لم نفعل شيء سيء أبدًا، سنأتي بعد
شهران آخرا ونتمتع قليلاً أنا وهذا المسكين.

أجابه "ألبرت" ببرود ونبرة ثابتة وترته رغماً عنه:
_ حسناً انتظر كما.

ثم أغلق الهاتف بوجههم دون إنتظار أي إجابة أخرى،
التفت له "ستيفن" يسأله بإستتكار:
_ أتصدقهما حقاً؟!!

حدجه "ألبرت" بجمود ثم أجابه ساخرًا:
_ أتظني مُغفلاً لتلك الدرجة، أنا فقط أنتظر وسأرى ما
يُرتبان له.

التفتا الإثنان على صوت ضجة مُرتفعة تأتي من الخلف،
فقلب "ألبرت" عيناه بملل من أفعال أشقائه الحمقاء عندما
وجدهم يرتدون ثياباً ملونة!!!

اقترب ثلاثهم منهم ليُشير لهم "ستيفن" باستنكار:

_ اترتدون ثيابًا ملونة!!! هل حدث شيء ما بعقولكم المريضة تلك!! نحن سنذهب لمهمة وليس لنزهة يا حمقى.

تحدث "اندرية" الذي هتف باعتراض:

_ لا أحب تلك الثياب السوداء، تُشعرنى بالكآبة.

وافقه "ليونيد" في الحديث:

_ وأنا أيضًا، كما أنني لا أحب إرتداء تلك السراويل الطويلة، أحب القصيرة أفضل.

وهنا صعد صوت "إيغور" الذي تحدث ببلاهة:

_ وأنا ارتديت مثلهم فقط.

انتفض الجميع بهلع عندما وجدوا "ألبرت" قد أخرج سلاحه من جيب بنطاله، ثم أرفف بجمود وصوت غليظ:

_ سأعد لثلاثة فقط، إن رأيتم أمامي بتلك الثياب سأقتلكم بلا لحظة تردد واحدة.

وقبل أن يبدأ بالعد وجد أشقائه يُهرولون من أمامه بفرع تمكن منهم بعد أن رأوا نظرة التهديد التي تلوح بعينه،

حدجهم "ستيفن" بسخرية ثم التفت لـ "ألبرت" قائلاً بشيء من السخرية والعبث لأخيه "ستيفن" الذي ينظر له بيأس:
_ لا يقتنعون بفكرة أننا رجال شرطة مُجندين، معاتيه.

انقضى الليل بهدوئه، بأرقه، بالأمه، وصرخاته، وصدحت الشمس تشرق من جديد تُدخل البهجة على القلوب.

استيقظ "رائد" على صوت هاتفه فوجد الساعة العاشرة صباحًا، فرك عيناه بنعاس ثم اعتدل قي مضجعة بأرق، وبعدها أجاب على الهاتف بخمول:
_ الو يا بابا.

انتظر قليلاً يستمع له ثم انتفض من مكانه قائلاً بفزع:
_ مش لاقيينها!! يعني إيه خرجت ومش لاقيينها!!..... طيب طيب أنا جاي دلوقتي.

ارتدى ثيابه بإهمال ثم خرج مسرعًا من الغرفة فوجد الشباب جالسين يتناولون طعام الإفطار سويًا، قطب "قاسم" جبينه من حالته الهوجاء تلك ثم سأله مُستفسرًا:

حارة القناص

_مالك كدا على الصبح.

أجابه بإستعجال وهو يرتدي نعله مسرعاً:

_أبويا كلمني وقالي إن ستي خرجت من الصبح ولحد
دلوقتي مجتش ومش لاقيينها.

هب "قاسم" من مكانه وذلك الشباب، ثم قال وهو يذهب
معه:

_إيه!!! طيب يلا أنا جاي معاك.

ذهبوا جميعاً نحو منزل "رائد" والذي دخله مسرعاً يسأل
والدته الباكية:

_ستي جرالها حاجة يا ماما!! لقيتوها!!!

هزت رأسها بنفي فانتقلت أنظاره لوالده الذي يجلس بحزن
يضع رأسه بين كفيه يحاوطها بأسى، فأردف
"قاسم" بعجالة:

_احنا هنروح ندور عليها يا عمي متقلقش وإن شاء الله
نلاقيها.

دعمه "جون" في ذلك مُضيفًا:

_وسنبحث في جميع المشافي أيضًا.

التفت إليهم "رائد" يحدجهم بخوف، ثم تشدق بارتعاشة
ظهرت واضحة في صوته:

_طيب يلا عشان منضيعش وقت.

وما كادوا أن يتجهوا نحو الباب لبدأوا برحلة البحث عن
لواحظ؛ وجدوها تدلف من باب الشقة وهي تُغني وتدور
حولها نفسها بهيام وكأنها فتاة عشرينية وليست كعجوز
أصبح لديها أحفاد على وشك الزواج:

_الدنيا ربيع.. والجو بديع.. قفلي على كل المواضيع.. قفل..
قفل.. قفل قفل...

توقفت عن الغناء عندما لاحظت وجوههم المُتشنجة
باستنكار، وأول من هرع إليها هو "محروس" الذي سألها
بخوف:

_أنتِ كنتِ فين ياما؟!!

أقلت عليهم "لواحظ" نظرة شاملة، ثم تحدثت بحماس
وأعين ملتمة من السعادة:

حارة القناص

_ بما إنكم كلكم موجودين فأنا عايزة أقولكم على حاجة.

قطبت "جيهان" جبينها بتعجب مُتسائلة:

_ حاجة إيه يا حماتي؟!!!!

أخفّضت رأسها بخجل قبل أن تُتمتم بحرج وصوت خفيض:

_ أنا متقدملي عريس.....!!!!!!!

«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 🐦

سنة مهجورة:

🌟 تأخير الصلاة اذا وضع الطعام 🌟

قال رسول الله - ﷺ -: « إذا وُضِعَ عِشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فابْدؤُوا بِالْعِشَاءِ وَلَا يَعْجَلْنَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ ».

[رواه مسلم]

(الفصل الثاني عشر)

(الجاثوم مرةً أخرى)

(حارة القناص)

_في واحد متقدملي.

نطقت "لواحظ" بتلك الكلمات على إستحياء أثناء إخفاضها لرأسها للأسفل، وكأنها صبية شابة لم يمر عليها الزواج من قبل، طال صمتهم فكانوا يُحدجونها ببلاهة وكأنها كائن فضائي من عالم آخر، استفاق "قاسم" قبلهم ثم مال على "رائد" قليلاً يهمس له بتشنج:

_سِتْكِ باينها انحرفت على كبر.

نظر له "رائد" قليلاً ثم سأله بريية وهو يُعيد نظره لها:

_تفتكر!!

هز له "قاسم" رأسه أسفاً مؤكداً له، ثم طالع "لواحظ" التي ترسم الحرج على وجهها هامساً لذاته بشفقة:

حارة القناص

_ يا عيني عليك يا "قاسم" وعلى شبابك، "لواظ" هتجوز قبلك وأنت قاعد عانس من غير جواز.

اقترب منها "محروس" بضعة خطوات ثم سألها بإستتكار:
_ أنتِ بتقولي إيه ياما!! جواز إيه اللي عايزة تتجوزيه وأنتِ في السن دا؟!.

رفعت "لواظ" عيناها له تُحدجه بحدة، وبعدها صاحت بغضب وهي تُشبح بيدها أمام وجهه:

_ ماله سني إن شاء الله!! أنتِ اتجننت يا واد، إزاي تكلم أمك كدا يا قليل الأدب!!

عض "محروس" على شفثيه بغیظ مُحاولاً تهدأة غضبه الذي بدأ يتفاقم تدريجياً من جهة والدته، ثم أردف بهدوء زائف:

_ هتجوزي إزاي بس ياما! أنتِ نسييتي أبويا وحبكوا لبعض!!.

أشاحت بيدها بلامبالاة وها قد عاد لها الزهايمر مرة أخرى:

حارة القناص

_أبوك مين أنا أصلاً مش متجوزة!! أنا جيت على الدنيا دي
لقيت الناس بتقول إنك ابني.

تشنج وجه "محروس" بسخط ثم اقترب منها خطوتين في
نية للتحدث معها بلين، فتراجعت هي مثلهم مُحدجة إياه
بخوف قائلة:

_بتقرب مني كدا ليه يا واد!! أنت عايز تقتلتي!!

لم يُعير "رائد" غضب والده إهتماماً، بل اقترب من جدته
غامزاً إياها بعبث:

_قوليلي يا لولو مين سعيد الحظ اللي عايز ياخد جوهرة
بيتنا الغالية!.

عاد الخجل يكتسي ملامحها مرةً أخرى ثم أجابته على
إستحياء:

_المعلم "عبدالحميد" الفكهاني.

تلك المرة صاح "محروس" واضعاً يده على صدره موضع
قلبه بصدمة، ثم أردف بعدم تصديق:

_آه قلبي! هموت مجلوط يا ناس إلحقوني.

بادرت "لواظ" تلك المرة بالإقتراب، ثم طلبت منه بخرج صبياني مُخالف لعمرها الكبير:

_ وهو قالي إني آخذ معاد منك علشان يجي يتقدملي في أسرع وقت، إيه رأيك يا أبيه؟!.

_ أبيه!!!

رددتها الجميع خلفها باستتكار، لتؤكد لهم وهي توميء برأسها، تقدم "قاسم" منها بعبث ثم أحاطها قائلاً بمشاكسة مُضحكة لها:

_ وقصة الحب دي بقالها قد إيه يا لولو يا مولعة في قلوب العذارى أنتِ.

أبعدت يده عن كتفها ثم وبخته قائلة:

_ متحطش إيدك على كتفي؛ عشان "عبدو" بيغير عليا.

_ "عبدو!!"

ولثاني مرة يُردهه الجميع خلفها بصدمة، لم يُبالي "فور" بهم ولا بحديثهم، بل اقترب من الطعام الذي أعدته "جيهان"

حارة القناص

على الإفطار ثم جلس لتناوله بإستمتاع شديد، انتبهت عليه
"سهيلة" فاقتربت منه قائلة بصوت خفيض لكنه ضاحك:

_يا بني ارحم نفسك هتفرقع مننا.

رفع "فور" نظره عن الطعام مُردفًا بفم مُملتيء:

_لا تخافي "هايلة"، أنا أذهب لصالة الألعاب الرياضية
بإستمرار لأحافظ على لياقتي.

ضحكت بخفة وهي تهز رأسها بيأس من أفعاله، فاستمعت
إلى حديثه المُتسائل وهو يلتقط قطعة من الجُبِن:

_ألن تذهبي لجامعتك اليوم!!.

أجابته أثناء مُشاركتها له للطعام:

_كنت راحة بس ربنا يسامحها تيتا خضتنا عليها.

اقترح بحماس قائلاً:

_ما رأيك أن أقوم بإيصالك اليوم!! سأسرق سيارة "قاسم"
ونذهب سوياً.

نالَت الفكرة إعجابها وكادت أن تصيح بالموافقة لكنها توقفت وهي تسأله بقلق:

_طيب ما كدا "رائد" مش هيوافق، أنت صاحبه آه بس أنت عارف إنه مهما كان راجل وميقبلش إني أخرج معاك حتى لو قريب منه.

فكّر مليًا في حديثها فوجد أن معه كل الحق، همهم بتفكير قائلاً بهمس وصلها:

_معهُ حق يا فتاة، بالرغم أن عاداتنا عكس ذلك؛ إلا إني أشعر بأنني اكتسبت بعض عادات المصريين.

ابتسمت مُتسائلة:

_وايه رأيك في عاداتنا!!

أجابها ببساطة بعد أن ترك الطعام جانبًا لدقائق، ثم أجابها بأعين لامعة:

_لا أنكر بأنها بعضها تُصيبني بالضجر، لكن هناك ما يجعلني سعيدًا للغاية، هنا الفتاة تُحافظ على ذاتها وجسدها من الذناب المنتشرة، ورغم أنني من الغرب؛ إلا أنني أكره رؤية الفتيات كسلع رخيصة يمكن للجميع إستباحة أجسادهن.

حارة القناص

اتسعت ابتسامتها اكثر وهي تقول بهدوء:

_مكنتش أعرف إنك عاقل كدا، كنت مفكراك دايمًا متهور
وطِفس، بس طلعت كيوت._

قطب جبينه بضيق ثم عاد لتناول الطعام مُجددًا قائلًا:

أتسبيني الآن أم تقومي بمدحي؟!.

أجابته بعث بعد أن وقفت حاملة حقيبتها على ذراعها:

_اعتبر الاتنين، يلا سلام بقى همشي أنا وهسيبهم يتخانقوا
براحتهم._

_مع السلامة عزيزتي، إن أردتي شيئًا اتصلي بي سأكون
أمامك سريعًا._

أومات له ثم ذهبت لجامعتها تاركة إياه يأكل بتلذذ وهو ينظر
إلى الشجار الذي لم ينتهي حتى الآن.

ربت "چون" على كتف "محروس" قائلًا:

إهدأ عمي وأرح أعصابك حتى لا تمّت.

حدجه "محروس" بعصبية ثم دفعه بعيداً وهو يصرخ
بالشباب:

_خدوا الواد دا من وشي وغوروا كلكم من هنا أنا مش
ناقصكم.

نظر "قاسم" لـ "رائد" متشدقاً باستنكار:

_أبوك بيتردنا صح؟!.

وما كاد "رائد" أن يُجيبه؛ حتى انطلق صوت "لواحظ"
الصارخ:

_بقولك إيه يا "محروس" أنا هتجوز "عبده" يعني
هتجوزه، أنا لسه صغيرة ومن حقي أتمتع بحياتي.

قالت كلماتها بغضب ثم انطلقت إلى غرفتها دون أن تُعطي
إهتماماً لأياً من الواقفين، حدجها الجميع بتشنج بينما جلس
"محروس" بإنهاك على الأريكة:

_هي أمي إيه اللي جرالها؟! جواز إيه اللي عايزة تتجوزه
دلوقتي!! يا مراري ياني.

حارة القناص

جلست "جيهان" جانبه على الأريكة مُربّطة على قدمه
بحنان، ثم تحدثت بشفقة عليه:

_ خلاص يا حبيبي أكيد حماتي مش قصدها وبتهزر يعني،
أهم حاجة صحتك يا أبو العيال.

تناسى "محروس" إدعائه للمرض ثم حدجها بعبت قائلاً:

_ قلب أبو العيال يا نور عيني أنتِ، بقولك إيه ما تجيبي
حُضن!.

ضربته بخفة على ذراعه مُردفة بخجل:

_ بس بقى بتكسف يا "محروس" الله!!

أحاط بكتفها ثم قربها منه مُقبلاً جبينها وهو يقول بحب
يشوبه العتاب:

_ بتتكسفي بعد العمر دا كله يا "چيجي"! دا أنا قلبي قرب
يدوب من حلاوة حُبك وأنتِ لسه بتتكسفي!

وعلى بُعدٍ آخر كان الشباب يُتابعانهم بتشنج وملامح
وجوههم يرتسم عليها الإشمزاز، وأول من تحدث هو
"جون" الذي أردف بقتوط:

أريد التقيؤ.

أكد عليه "قاسم" قائلاً:

أنا نفسي موعت والله، إيه اللي أبوك بيعمله دا يا "رائد"؟!.

أجابه "رائد" الذي لم يقل صدمة عنه:

صدقني أنا لو أعرف هقولك، دي مش ستي بس اللي اتجننت، لأ دي العيلة كلها.

بينما أمسكت "جيهان" بيد "محروس" لتوقفه، ثم جذبتة معها هاتفة بسعادة:

تعالى يا حبيبي دا أنا مجهزالك فطار هتاكل إيد..... يا مصيبيتي!!!!.

هتفت الأخيرة بجزع أثناء تحديقها للطعام الذي انتهى تقريباً، ومازال "فور" يجلس على السفرة يحتسي الشاي أيضاً!!._

هرولت إليه "جيهان" حتى توقفت أمامه، وبعدها صاحت
بغضب:

دا أنت يومك أسود النهاردة، خلصت الأكل كله ياللي منك
لله!! دا أنت حتى مسبتش لينا حاجة نطفحها يا ابن
المفجوعة!.

رفع "فور" أنظاره لها، فوجدها تكاد تستشيط من الغضب،
ابتلع ريقه برعب وفكر سريعاً في حل أو إجابة ليتمكن بها
الخلاص من بين برائتها، لذلك ادعى الحزن ووقف من على
المقعد بملامح وجه مُنكسرة قائلاً:

لقد أخذت راحتي لأنني أعتبرك من عائلتي، ليس لدي
عائلة لتهتم بي وأنا أعتبركم كذلك.

لاح الحزن على وجه "جيهان" مُحدجة إياه بتأثر وخجل من
ذاتها، رفعت كفها تُربت على ذراعه بخفة وكأنه طفل
صغير، ثم تحدثت بحنان:

خلاص يا حبيبي حقك عليا متزعش مني، كُـل بالهنا
والشفا ولو عايز أكل تاني هجيبك عادي.

طالعه "رائد" بصدمة مُتمتمة مع ذاته بحنق وصوت غير
مسموع:

_يا بن العيبة!! بكلمتين خليتها تنسى وصلة والخناق اللي
كانت هتبدأ فيها!!

بينما هز "فور" رأسه بالنفي قائلاً ببرائة:

_لا أريد المزيد شكراً لكِ خالتي، لو تعلمين أني لم أكل شيئاً
منذ المساء لبكيتِ تأثراً من حالتي المسكينة.

وبالفعل باتت الدموع مُهددة لتتكون داخل حدقتهاها، لذلك
أردفت بصوت مُختق:

_يا حبيبي يا بني!! منهم لله شوية المعيز دول هتلاقيهم
مخلصين أكلك كله، تعالى بليل وأنا هعملك ورق عنب تاكل
صوابك وراهم.

اقترب منها "فور" لإحتضانها، ثم شكرها بسعادة ظهرت
واضحة في نبرة صوته:

_شكراً لكِ خالتي، شكراً لكِ حقاً.

وجد "فور" يداً غليظة تُبعده عنها وكان مصدرها
"محروس" الذي يُحدجه بغضب، هامساً له بشر:

حارة القناص

_ أنت عارف ياض يا مدبلج أنت لو لقيتك حاضنها تاني أنا
هعمل فيك إيه!!!

ابتلع "فور" ريقه سائلًا إياه بترقب:
_ ماذا؟!!

أجابه محروس هامسًا بفحيح:
_ مش هقولك دلوقتي خليها لوقتها.
ثم تركه وذهب بعد أن سحبها معه للداخل بالطبع، بينما
أمسك "قاسم" "فور" من تلابيبه يهزه بعنف:
_ بقى أنت بقالك كام يوم مش بتاكل واحنا بناكل أكلك يا
طِفس؟!!

نفض "فور" يده ثم تحدث حانقًا:
_ ابتعد عن ثيابي يا هذا وإلا ناديتُ لـ "چيچي".

قاطع حديثه صوت هاتف "قاسم" الذي ارتفع صوته يعلن
عن مكالمة هاتفية، نظر لشاشته فوجد لقبها يُزين شاشته،
لذلك أجابها بعث وكأنه يُشاكسها:

_ كفاءة!.

استمع لصوت ضحكتها الخفيفة، لكنها تحدثت بجدية قائلة:
_ عايزة أقابلك في موضوع مهم جدًا يا "قاسم"، ولو حد
عارف باللي احنا بنعمله غيري أنا وأنت ياريت تجيبه معاك،
وأنا هجيب "يمنى" عنوان المكان اللي احنا هنتقابل فيه،
بس خُد بالك وأنت جاي.

ورغم تعجبه الشديد من طلبها هذا، إلا أنه أجابها باختصار:
_ تمام، ابعتيلي اللوكيشن ومسافة السكة وهكون عندك.

القلوب عامرة بالآلام، بالبكاء، بالصرخات، والضجيج
المؤلم، كانت مُتمددة على الفراش هائمة في عالمها المُظلم
البعيد عن حياتها السوداء والمُتسببة بها والدتها، هي
قاسية القلب تعاملها وكأنها نكرة لا تستحق، هي والدتها
لكن لا تستحق ذلك اللقب، أمي!! كلمة معناها كبير والعمل
بها لا يُذكر.

كان "صهيب" جالسًا جانبها يُمسد على خصلاتها الناعمة
بحنان، نامت أخيرًا بعد ليلة طويلة قضتها في البكاء،
انهارت كل حصونها الواهية وتبخرت في الهواء بسبب

والدتها القاسية، هي تكرهها بكل ذرة في وجدانها، أقسم
على النيل منها وإيذاقتها كل أنواع العذاب:

_"صوفيا"..

رددتها بحقد نابع من دواخله، كيف تفعل ذلك بابنتها
الوحيدة!! أليس لديها قلب ولا ذرة شفقة تجاهها!! ألا
تصعب عليها حالتها وهي منهمكة في البكاء طيلة الوقت!!
هبط على جبينها يُقبله بعمق ودخله يُقسم بتعويضها عن
كل الأذى النفسي الذي مرت به، هي عانت ومازالت تُعاني،
وهو مُتكتف الأيدي لا يستطيع مساعدها، لكن كل هذا
سينتهي قريبًا، سيتخلص هو وأخيه من تلك العائلة القذرة
نهائيًا.

بينما هي كانت تُقاوم شيئًا ما بأحلامها، تشعر بأن هناك ثقلًا
يقبع فوق صدرها، وأيدي كبيرة تقوم بتثبيتها فوق الفراش،
تشعر بهمهمات وتربيتات يده الخفيفة فوق رأسها، تشعر
بكل شيء حولها لكنها مُكتفة! لا تستطيع التحدث أو
الحركة، لا تستطيع الصراخ!

قاومت كثيرًا وظلت تحاول أن تُحرك كل إنش بها لكن
محاولاتها بائت بالفشل، وتلك المرة لم ترى مُجرد ظلًا كما
رأت المرة السابقة، لقد رأت شيئًا أبشع بكثير، جسد أسود
اللون من أوله لآخره، عيناه بيضاء تمامًا خالية من بؤبؤ

عينيه، نظراته لها تكاد أن تحرقها، وهي عاجزة، لقد عاد لها الجاثوم مرةً أخرى!!

كانت مُتيقنة بأن الحزن سيهلكها يومًا من الأيام، لكن لم تتخيل بأن الهلاك سيكون بتلك البشاعة، حاولت فتح فمها والصراخ بإسمه عله ينقذها، لكن صوتها اختفى تمامًا، قاومت بأقصى ما لديها، خاصةً عندما لاحظت إقترابه منها، نظراته تُخيفها وبشاعة وجهه تُفزعها، تداخلت بعض الأصوات داخل عقلها، ما بين صراخ وتشوش وحديث، شعرت بالدوار يُدامها، وشعرت بالألم في باطن يدها خاصةً عن وضع ذلك الشيء المجهول يده فوق كف يدها.

انتهت مجازفتها فلم تجد شيئًا يُنقذها، إلا أن استمعت لصوته عندما بدأ بتلاوة بعض الآيات القرآنية فوق مسامعها، صوته بعيد لكن أثره كالبلسم فوق جروحها، هدأت ضربات قلبها قليلًا، وبدأ ذلك الكائن في الإختفاء تدريجيًا، حتى ذلك الثقل بدأ بفك حصاره من حولها، وعادت لحالتها الطبيعية.

فتحت "حبيبة" عيناها وجبينها مُتعرق بغزارة، فوجدته يجلس جانبها يُحدجها بقلق ظهر واضحًا فوق معالمه، وعندما رآته وتأكدت من تمكنها في الحركة انهمرت في البكاء الشديد، وكأنها وجدت مصدرًا لصب كل خيبتها

والأمها به، وضع رأسها على صدره وأحاطها بكلتا ذراعيه
يُشد من احتضانها، بينما هي تشبث به كالتائهة التي
وجدت طريق العودة أخيرًا، في حالتها تلك تبدو كالغريق
الذي تشبث بقشة ضعيفة لإنقاذه، وهو مصدر نجاتها
الوحيد.

مسد "صهيب" على خصلاتها ثم خرج صوته مُهدئًا إياها
بقلق:

__بس بس كفايا عياط، مالك يا حبيبتى حاسة بايه؟!!

ولأنها كانت في وادٍ آخر لم تُركز على كلمته، بل تشبثت به
أكثر عندما حاول إبعادها لرؤية وجهها، وكلمة واحدة هتفت
بها بإنهيار أكثر:
__متسبنيش.

شدد من احتضانها واعدًا إياها بصوت خفيض:
__مقدرش أسيبك، متخافيش.

وهنا تركت العنان لنفسها بالإنهيار أكثر، تشعر بالضعف
يختلج أضلعها، تشعر بأن قوتها الواهية قد نفذت، هي
ضائعة، هائمة، ووحيدة، لم تشعر بذلك المُتالم الذي

حارة القناص

يُجالسها، الأمر بالنسبة له أشبه بسكين حاد يُغرز داخل قلبه دون رحمة، ورغم ذلك يتحمل لأجلها، هو يعشقها وانتهى الأمر.

قبّل جبينها بحرارة وكأنه يسحب منها الأمل التي تتبش بجسدها، ابتعدت عنه ووجهها مُملتيء بمياه عيناها التي كادت أن تنتهي، شهقت رافعة عيناها تُحدجه بألم ثم سألته ببيكاء حاد:

_ هو أنا وحشة؟!!!.

اللعنة على والدتها، اللعنة على كل من تسبب لها بالأذى وجعلها تسأل مثل هذا السؤال بكل هذا الألم، مسح عبراتها بيده ومسد على خصلاتها وهو يهز رأسه بالنفي، رسم ابتسامة مُغتصبة على ثغره ثم سألها بحنان:

_ مين اللي قالك كدا؟!!

اهتز جسدها بإنفعال ثم أجابته بعد أن انتفضت بعصبية صارخة بهياج:

_ أومال ليه الكل بيقولي كدا؟!!! ليه الكل بيكرهني وأنا معملتش ليهم حاجة وحشة؟!!! ليه دايمًا بيأذوني؟!!! ليه أنا دايمًا بكون الضحية؟!!! ليه ليه؟!!!.

قالت الأخيرة بصراخ تزامناً مع إمساكها بزجاجة العطر الخاصة بها وقذفها في المرآة لتتهشم إلي قطع صغيرة، تهشمت كحال قلبها المسكين، وهي مثل قطع الزجاج تلك، لا تجد من يرمم فحواها.

كان يتابعها بقلب يُقطر دمعاً، وكان آلامها انتقلت له من خلال حديثها، انتفض بهلع عندما رأى الأخيرة وهرع إليها مُسرِعاً، جلس جانبها حيث كانت تتكور في أحد جوانب الغرفة كجنين فقد والدته، وياليتها تفقدها!

لا يعلم أیحتضنها ليهدئها، أم يُعنفها لسذاجتها؟! وأخيراً قد توصل لحل يُرضيه ومن الممكن أن يُرضيها، لذلك أوقفها عنوةً رغم ضعفها المُسيطر على جسدها ثم جذبها خلفه خارجاً من الغرفة بأكملها، هبط الدرج بإنفعال وهي تجر أقدامها خلفه وقد جزعت من حالته، وازداد عندما نادى بعلو صوته صارخاً:

"صوفيا".

كانت "صوفيا" حينها تجلس على السفرة تتناول طعامها لتذهب بعدها لمباشرة عملها، حدجته بسخط لصراخه عليها

وحولت أنظارها لإبنتها الباكية خلفه، ورغم ذلك لم تلتفت لحالتها، بل هبت من مكانها مُنتفضة بغضب وهي تنهرها بحدة:

__ أنتِ دا كله لسه مجهزتيش يا حيوانة أنتِ؟!!

لم يأتي الرد من "حبيبة" بل أتى من "صهيب" على هيئة دفعة قوية أجلستها على المقعد مرة أخرى، ثم أحاط بيده رقبتها يضغط بقوة حاقداً عليها، تبعه حديثه الهامس بشر:

__ قسماً برب محمد أنا لو سيبت نفسي عليكِ مش هخلي في خلقة اللي خلفوكِ حتة سليمة.

شهقت بعنف وإحمر وجهها بإختناق كاد أن يقتلها، لم يُبالي لها بل ضغط أكثر يهتف بفحيح:

__ عارفة لو قربتي ليها تاني هعمل فيك إيه؟! هقتك، هقتك يا "صوفيا" وهخفيك من على وش الأرض.

فتحت عيناها على آخرهما وكأنها تلتقط آخر أنفاسها، وتحول وجهها إلى اللون الأزرق من شدة إختناقها، نادى عليه "حبيبة" بهمس باكٍ لكنه لم يلتفت لها، بل كان معمي البصيرة لا يرى سوى أذيتها لوالدته وكذلك حبيبته.

_ "صهيب" أنت اتجننت!!! بتعمل إيه!!!..

صعدت تلك الكلمات من "مختار" الذي هبط لتوه، ليجد ابنه يكاد أن يُنهي حياة زوجة أخيه، هرول إليه مُسرِعاً ثم دفعه بعيداً عنها بصعوبة بعد عدة محاولات، بينما هي شهقت بعنف تأخذ أنفاسها الهاربة بصعوبة، وضعت يدها على رقبتها تُدلكها بفرع، وعيناها تُحدجانه بهلع تملك من حالته المجنونة، طالعهما "صهيب" بكره لم يستطيع مُداراته تلك المرة، لذلك رفع سبابته أمام وجهها يُحذرهما بشر:

_ لو شوفتك قربتي منها تاني قولي على نفسك يا رحمان يا رحيم، ومن النهاردة "حبيبة" مش هتقعد هنا تاني، هاخذها وهتعيش معايا في شقتي، ولآخر مرة هحذرك يا "صوفيا"، "حبيبة" خط أحمر.

عاد خطوتين للخلف ثم أمسك بكف "حبيبة" البارد وسحبها خلفه أمام أعينهما، ناداه "مختار" بعصبية قائلاً:
_ استنى يا "صهيب" واخذها ورايح على فين؟!..

استدار له صارخاً في وجهه لأول مرة:

_ هاخذها وأروح في ستين داهية، تيجي معانا؟!..

نهره "مختار" مهلاً بصياح:

_ولد!!! أنت اتجننت!! إزاي تعلي صوتك على أبوك
بالطريقة البشعة دي؟!.

لاحت السخرية على وجه "صهيب" وود لو يعود له ويقتله
هو الآخر، لقد نفذ صبره من تلك العائلة الحقيرة التي تُسبب
الأذى للجميع دون النظر لحجم الضرر الذي تسببوا به،
خرج صوته جامداً يسأله ببرود ظاهري:

_خير يا "مختار" بيه؟!.

سحب "مختار" نفساً عميقاً زافراً إياه على مهل، ثم اقترب
منه مُتحدثاً بحنان تلك المرة:

_رايح فين يا حبيبي!!.

تحامل "صهيب" على ذاته ثم أجابه على مضض:
_رايح بيتي.

_ما هو دا بيتك يا بني!.

هز "صهيب" رأسه بنفي مُشيرًا بإشمئزاز تجاه "صوفيا"
التي تُتابعهم بغضب حارق:

_ طول ما الست دي موجودة هنا أنا مش هعتب البيت دا
تاني، يلا يا "حبيبة".

ذهب من أمامه نهائيًا ثم اختفى من الأرجاء من حوله بعدما
صعد لسيارته هو و "حبيبة" التي كانت تتبعه كالدمية.

_ هاي عاملين إيه!؟

هتف بها أحد الشباب للفتيات الجالسين بحديقة الجامعة
وكان من ضمنهم "سهيلة" التي أصبحت صديقتهم بقوة في
الفترة الأخيرة، اتبعت نهجهم ونسيت أخلاقها التي تربت
عليها منذ الصغر، ردت عليه "منه" برقة أجادت
إصطناعها:

_ هاي يا "عمور" أخبارك إيه!؟

حارة القناص

حدجها من أعلاها لأسفلها بنظرات ماكرة ثم رد عليها
بعث:

_أنا فل يا قمر، بقولكم إيه أنا زهقان إيه رأيكم نخرج؟!!

وافقته "ساندي" التي هتفت بحماس مُحدجة صديقه الذي
كان يقف بجانبه بنظرات جريئة:

_واو فكرة هائلة، وأنت هتيجي معانا يا "أمجد" صح؟!!

غمزها بوقاحة قائلاً:

_صح الصح يا جميل.

خجلت "سهيلة" من نظراتهم وأحاديثهم تلك، فقالت
مُتحججة بتلعثم:

_لـ.. لأ أنا مش هعرف آجي معاكم عشان ورايا مذاكرة
كثير، خلوها مرة ثانية.

تفوهت بتلك الكلمات لتنجى من حصارهم، فرد عليها تلك
المرّة شاباً يُدعى "زياد" بحديث لم تفهم مغزاه:

_ليه بس يا قمر دا احنا هنخرج ونتبسط كلنا وأهو كله
بتمنه.

نفت قائلة:

_ لا معلى خليها مرة ثانية مش هقدر آجي معاكم.

تأفت "منه" وهي تقول بنفاد صبر:

_ اخلصي يا "سهيلة" بقى مبتقيش قفل كدا!!

أصرت "سهيلة" على رأيها مُلممة أشياءها ثم أردفت قبل أن تذهب من أمامهم:

_ أنا أسفة بس مش هقدر آجي معاكم، عن إنكم.

ذهبت تاركة كلتا صديقاتها تنظران لها بحقد، مهما حاولوا إيقاعها بنفس المُستنع الذي وقعوا به تظل على مبدأها، نعم نجحوا في أخذها لطريق القراءة الغير مرغوبة لكنها مازالت تُصر على الإبتعاد حتى لو قليلاً، لا تعلمان أن "سهيلة" بالفعل سلكت ذلك الطريق منذ فترة!

نظرت "ساندي" لأثر زهابها بغل، فعادت تُحدق بـ "زيد" قائلة بصوت خبيث كالأفعى:

__ سيب الحكاية دي عليا، كلها يومين بالظبط وهخليها زي الخاتم في صباغك، وبكرا تقول "ساندي" قالت.

وصل "صهيب" بـ "حبيبة" إلى شقته الخاصة ودلّفا معًا للداخل، أجلسها على الأريكة فارتمت هي عليها بوجه جامد وتعب نفسي فاق شخصيتها الضعيفة، جلس "صهيب" بجانبها مُربّتًا على جانب وجهها، ثم سألها بحنان:

__ جعانة؟!!

نظرت له بتيهة تهز رأسها بنفي، ثم أجابته بتعب وصوت مبجوح:

__ عايزة أنام.

جذبها إليها، فوضعت رأسها على صدره تستشعر نبضاته، فرد عليها هامسًا بصوت حنون:

__ لأ متهربيش بالنوم، كل حاجة هتتحل ومتقلقيش أنا معاك.

سألته خائفة بإرتعاش:

مش هترهق مني؟!

توْ.

مش هتسييني؟!

توْ.

هترجني لماما؟!

توْ.

رفعت أنظارها تُحدجه ببراءة، ثم طلبت منه بصوت مبجوح:

طب أنا جعانة.

شاكسها مُحركًا حاجبيه معًا:

توْ.

ترقرت الدموع بمقلتهاها فانتفض هو من مكانه مُتجهًا
للمطبخ:

_ خلاص يخربيت نكدك اصبري هجيبك.

ابتسمت "حبّية" بخفة، وبظهر يدها مسحت دموعها التي
هطلت وحدها، راقبته وهو يُخرج الطعام من الثلاجة بترو،
كان كل لحظة يرمي لها نظرة مُطمئنة وكأنه يؤكد لها على
وجوده، ولأول مرة تشرد به وبأفعاله، ظل معها ولم يتركها
في محنتها، لم يكن باردًا كما كان يُظهر، بل هو أحن عليها
حتى من ذاتها، مُمتنة لوجوده وقُربه.

اقترب منها مُمسكًا بالأطباق على يده ثم وضعهم أمامها،
ذهب مرة أخرى ليأتي بالبقية ومازالت هي تُتابعه حتى جاء
حاملاً للصحون مرة أخرى، جلس أمامها على المقعد المقابل
لها بعد أن عدّل من وضعية الطاولة، أمسك بقطعة الخبز ثم
مدّ يده لها قائلاً بتلقائية:

_ كُلّي بالهنا والشفّا يا حبيبتي.

ارتعش جسدها من كلمته، وبتردد واضح أمسكت منه الخبز
وبدأت بتناول الطعام معه، كانت تشعر بالجوع الشديد نتيجة
لعدم تناولها الطعام منذ ليلة أمس، كانت هي تأكل أحيانًا،

حارة القناص

وأحياناً أخرى كان يُطعمها هو بذاته لعلمه بخجلها منه، أراد أن يتحدث أو تفعل أي شيء لذلك أردف بحنق:

_يا بنتي كُلّي بقى دراعي وجعني.

حدجته بضجر ثم قطبت جبينها مُردفة بضيق:

_على فكرة أنا مطلبتش منك تأكلني أنت اللي صممت.

أشار لذاته بعدم تصديق ضارباً على صدره بدهشة:

_يا مصيبتتي؟! أنا اللي صممت!!

أكدت له وهي توميء له ساخطة:

_آه أنت اللي صممت، وكمان كنت بتأكلني بالعافية.

_إخس عليا إخس.. وإيه كمان إحكي لي!!

أشاحت بيدها وهي تشرح له تزامناً مع إلتماع عيناه بعشق يخصصها هي وحدها:

_ولما قولتلك مش عايزة خليتني آكل غصب وأنا أصلاً شبعت.

تصنع الأسي فقطب جبينه ينهر ذاته:

_يالهوي على القسوة اللي فيا!! لأ حقك عليا ياستي، وآدي
راسك أبوسها أهي..

قالها الأخيرة بخبث تزامناً مع إقترابه منها في نية لتقبيل
رأسها؛ فتراجعت هي للخلف مُسرعة بعد أن شهقت بفرع:

_أنت هتعمل إيه؟!..

تحولت نظراته للمكر فقرصها من وجنتها وهو يقول بعبث:

_بظلي تفكيرك القليل الأدب دا يا "بيبة"، دا أنا هبوس
دماغك بس.

تصاعدت الدماء لوجنتيها مما جعلها قابلة للإلتهام، دفعته
بيدها قائلة بتوتر:

_لأ شكراً مش عايزة حاجة.

_يابت فكري هتندمي.

حارة القناص

قالها بطريقة كانت مرحة بالنسبة له، بينما هي نظرت إليه
بصدمة لوقاحته معها، وتلك هي المرة الأولى التي تكتشف
بها هذا الجانب من شخصيته الصارمة التي كان يُظهرها
دائمًا، هبت من مكانها مبتعدة عنه ثم أردفت بحرج:
_لأفكرت ومش هندم.

تصنع الأسى فقال مُتتهداً بيأس:
_براحتك أنا غرضي مصلحتك.

قاطع مشاكسته لها صوت هاتفه الذي ارتفع رنينه، انتشله
من على الطاولة ناظرًا لشاشته؛ فوجده شقيقه هو الذي
يقوم بمهاطفته، لذلك أجابه بعبث:

_عمي وعم الناس والمناطق المجاورة وعهد الله.

جاءه صوت "قاسم" المُتهكم قائلاً:

_طيب يا خفيف سيب اللي في إيدك وعشر دقائق وألاقيك
قدامي.

تخلى "صهيب" عن مرحة متسائلاً بتعجب:
_اشمعنا؟!.

_ اعمل اللي بقولك عليه ياض وانجز، بس بسرعة عشان
منتأخرش.

أجابه "صهيب" باستسلام ناظرًا لـ "حبيبة" التي تُتابعه
باهتمام:

_ تمام عشر دقائق وهكون عندك.

أغلق الهاتف معه، وقبل أن يتحدث وجدها تسأله بريية:
_ أنت هتخرج؟!..

هز رأسه بالإيجاب ثم اقترب منها مُتشدقًا بحنان:
_ آه هخرج بس مش هتأخر.

هزت رأسها وكأنها ترفض طلبه، ثم تقدمت منه طالبة منه
برجاء باك:

_ متسبنيش لوحدي عشان خاطري.

حاول تهدئتها لذلك أردف بصوت حنون بث الطمأنينة في قلبها:

_متقلقيش مش هسيبك، أنا لازم أخرج بس ساعة بالظبط وهاجي، وكمان هخرج من الباب الخلفي عشان لو أمك باعثة حد يراقبنا تعرف إني لسه موجود هنا، اتفقنا؟!!

وبتردد واضح هزت رأسها بالإيجاب، فتقدم منها على بغثة مُقبلاً جبينها بحب، تبعه قوله الهامس بهيام أوضح مدى عشقه لها:

_ابقي فكريني لما آجي نبقى نتفق على ميعاد جوازنا عشان أنا مشاعري دي كدا خطر عليكِ.

ورحل...!!! هكذا فقط!! ألقى قنبلته بوجهها ثم تركها ورحل غالقاً الباب من الخارج، وهي بالداخل تتصارع مشاعرها داخلها كالأمواج الهائجة.

خرج "صهيب" من البوابة الخلفية وانطلق بسيارة أُجرة بعد أن تأكد من عدم متابعة أحدًا له مُخبرًا السائق بالمكان الذي يود الذهاب بعد أن أرسل له "قاسم" الموقع على

حارة القناص

هاتفه، وصل بعد عشرون دقيقة تقريبًا فوجد ذاته يقف أمام
بهو شركة ضخمة السرح، وجد أخيه والشباب يقفون على
بُعد قريب منه، فذهب إليهم مُتسائلًا بتعجب:

__ احنا بنعمل إيه هنا؟! وشركة مين دي؟!!

أحاط "قاسم" بكتفه أثناء دلوفهم للداخل:
__ تعالى وحتعرف دلوقتي كل حاجة.

شعر "صهيب" بضربات خفيفة على كتفه أثناء سيره
بجانب أخيه، فاستظار بنصف رأسه يرى من الفاعل، ليجده
"فور" الذي تحدث بإبتسامة واسعة:
__ كيف حالك يا رجل! لقد اشتقت إليك كثيرًا.

توقف "صهيب" راغمًا "قاسم" على الوقوف أيضًا، ثم
استدار له فاتحًا ذراعه بمرح له:
__ هات حُضن يا ض عشان أنت كمان وحشتني.

عانقه "فور" بحب كذلك بادلّه "صهيب"، ليصعد صوت
"فور" متحدثًا بحماس:
__ أنت لطيف يا رجل حقًا، أكثر من أخيك ذلك القاسي.

صعد صوت "قاسم" ضاجراً:

_ يا أخي خلي عند أهلك دم، أنت اللي طفس.

أشار "فور" لـ "صهيب" يشكو له سوء معاملة "قاسم"
تجاهه:

_ أترى كيف يُعاملني؟! لا يعلم أنني رقيق القلب حسن الخلق
جميل الجوهر.

ربت "صهيب" على ظهره بتأثر قائلاً بنفس لهجته:

_ لا تحزن عزيزي "فور" لكن هو معه حق، أتعلم لماذا؟!!

تحولت معالم "فور" للضييق ثم سابه ساخطاً:

_ لماذا؟!!

غمز له "صهيب" بمشاكسة وهو يُجيبه بفخر:

_ عشان أنا أخويا مبيغلطش، ولو العالم كله قال إن أخويا
مفتري فهيفضل أحسن واحد في الدنيا كلها.

حارة القناص

رمى له "قاسم" قبلة في الهواء تبعها قوله المازح:
_ حبيب هارتي أقسم بالله.

مصمص "رائد" على شفثيه قائلاً بحنق:
_ ما تخذوني وسطكم في وصلة الحب دي، ولا عشان
معنديش أخوات رجالة يعني هبقى وحيد كدا؟!!

نظر له جميع الشباب بهدوء حاد، حتى ابتلع ريقه بخرج
قائلاً:

_ إيه يا شباب عادي بهزر ي...!

وما كاد أن يُكمل جملة حتى وجد أربعتهم يهجمون عليه
يحتضونه بحب شديد، ضربه "قاسم" على ظهره مُعنفًا
إياها:

_ مسمعش الكلمة دي منك تاني، احنا هنا كلنا أخوات مش
أنا و"صهيب" بس، ومن يوم ما اتجمعنا واحنا إيد واحدة
وفي ضهر بعض.

أدمعت عين "رائد" تأثرًا ثم همس لهم جميعًا:
_ بحبكم كلكم والله يا رجالة.

رد عليه "جون" هو الآخر:

_ ونحن نحبك أيضاً عزيزي.

لُجيبه "فور" تلك المرة:

_ وأنا أيضاً أحبك كحبي للطعام تماماً.

رد عليه "رائد" مُمازحاً:

_ لأ أنا كذا اتأكدت إنك بتحبني بجد بقي.

انتفض الجميع عندما استمعوا لصوت يأتي من خلفهم
يضرب على كفيه وهو يقول بحسرة:

_ لا حول ولا قوة إلا بالله، ضاع إسلامنا.

هتف العجوز بتلك الكلمات عندما رأى الشباب بذلك المشهد
البشع _ من وجهة نظره _ ، فلقد رأهم يحتضنون شخصاً
واحدًا وهم أربعة؟! فأكمل حديثه وهو يقول مُتأسراً:

_ شباب زي الورد بيضيعوا بسبب انت والهيء والميء
اللي بيسمعوه.

فتح "صهيب" عيناه بصدمة جاذبًا ملبسه له وكأنه يُغطي بها صدره:

_ يا مصيبتى!!! أنت بتقول إيه يا حج!! أنا "صهيب" آه لكن راجل أوي خلي في علمك.

حدجه العجوز بإشـمئزاز ولم يُجيبه، بل جلس على مدخل الشركة ليحرصها كما أمرته صاحبة المكان، استمعوا لصوت حممة تأتي من خلفهم، فوجدوا رجلًا ضخم البنية يُشير لهم بيده للداخل:

_ اتفضلوا ادخلوا آنسة "أهلة" في إنتظار حضراتكم.

مال "صهيب" على أذن "قاسم" هامسًا له بعبث:

_ خطيبتك دي باين عليها جامدة ومسيطرة.

حدجه "قاسم" بطرف عيناه مُجيبًا إياه بمكر:

_ مش خطيبتي! أكيد هتطلع كاريزما زي.

اتبعوا الحارس للداخل فوجدوا العمال يعملون بكل جد على قدم وساق، نالت الشركة إعجاب "قاسم" كثيرًا لكن مازالت

حارة القناص

الحيرة تُداهمه، هل بالفعل تلك الشركة تعود لها؟! ومنذ متى!! ولما تحتاجها من الأساس!! أسئلة كثيرة دارت بعقله ويحتاج لمعرفة أجوبتها، فعزم على معرفة كل شيء منها لاحقاً.

وصلوا إلى الطابق الرابع بواسطة المصعد، فأشار لهم الحارس إلى غرفة الاجتماعات قائلاً بعملية:
_اتفضلوا يا فندم.

طرق "قاسم" الباب أولاً وانتظر قليلاً حتى فُتح الباب وظهرت من خلفه "ملك" التي صاحت مُهتلة:
_إزيك يا أبيه?!!!

دفع "قاسم" الشباب للخلف قائلاً بضجر:
_يلا نرجع بلاها وجع دماغ.

قهقه "صهيب" عالياً أثناء إمساكه ليد أخيه حتى لا يذهب ونظر لـ"ملك" قصيرة القامة وهو يقول بمشاعبة:
_إزيك يا كتكوتة ناديلي ماما؟!!

حارة القناص

تحول وجه "ملك" للسخط وكادت أن تُعنفه بقسوة، فقاطعها
"رائد" ساخرًا:

_كتكوتة حرباية ولسانها عايز قطعاه والله.

نهرتة "ملك" بغيظ صارخة:

_اخرس يا وجه البرص أنت وملكش دعوة بيا.

جاءت من خلفهم "يمنى" التي تسائلت بتعجب:

_واقفة كدا ليه يا "ملك"؟!!

سددت "ملك" عليها الطريق ثم أردفت بعناد:

_مش هيدخلوا طول ما الكائن اللزج دا معاهم.

صفق "رائد" بيده متحدثًا بردح:

_هو مين دا اللي لزوج يا بت!! لأ بقولك إيه أقفي عوج
واتكلمي عدل يا حبيبتى.

شجعه "چون" متحمسًا:

_ "لواحظ" فخورة بك يا صاح.

رسم "قاسم" ابتسامة صفراء على وجهه ثم تتم بغیظ:
_ممكن يا أستاذة "ملك" ندخل في أم اليوم اللي مش
بيخلص دا؟!!

أفسحت له الطريق قائلة بإبتسامة مُتسعة:
_اتفضل يا أبيه.

تمتم "قاسم" مع ذاته حانقًا:
_جتك بو في جنابك يا شيخة.

وعلى الجانب الآخر كانت "يمنى" منصدمة من وجود
"صهيب" رفقتهم، آلاف الأسئلة كانت تدور برأسها ولم تجد
لها إجابة سوى أنه خائن لأبيه!!

لاحظ نظراتها المصوبة تجاهه فقابلها ببرود صقيعي صلد
قائلًا بإستفزاز قبل أن يتركها ويدلف مع أخيه:
_إزيك يا... "يمون".

حارة القناص

كانت "أهلة" جالسة في صالة الإجتماعات على المقعد الذي يترأ الطاولة وعلى الجانب الأيمن يجلس المدعو "يحيي" والذي يعمل جاسوسًا لهم في شركة "الأرمانى"، وما إن رآته حتى توقفت مُرحبة به بإبتسامة بشوشة:
_ أهلاً يا "قاسم".

وقف "قاسم" على الجانب الآخر المقابل لـ "يحيي" قائلاً ببرود:
_ أهلاً.

تعجبت من ترحبيه بها بتلك الطريقة الفاترة لكنها لم تُبالي، لتستمع إلى سؤاله الذي تلا حديثه:

_ مين الأخ؟!!!

أجابته مُتعجبة:

_ دا "يحيي" شغال في شركة "الأرمانى" لصالحنا.

جاء "صهيب" من خلفه الذي هتف بدهشة عند رؤيته لـ "يحيي" الموظف الأقرب لـ "مختار الأرمانى":

_ "يحيي"?!!!!!

انتفض "يحيي" من مكانه بفرع ثم أردف بخوف من فكرة
كشفه:

_"صهيب" بيه متفهمنيش غلط دول هما اللي خطفوني
وجابوني هنا غصب.

_"يا بن الغدارة؟!!!!!"

هتفت بها "ملك" بتهكم ثم استرسلت حديثها قائلة:

_"دا أنت حتى مضربتش لسه عشان تعترف!"

قاطعتهم "أهلة" بنفاز صبر موجهة حديثها لـ "قاسم" وهي
تُشير للشباب:

_"مين دول يا "قاسم"؟!"

نظر خلفه ثم بدأ بتعريفهم واحدًا تلو الآخر:

_"دا "فور"، ودا أخوه "چون"، ودا "رائد"، ودا
"صهيب"... أخويا.

هتف بها بترٍ ناظرًا لـ "يمنى" بنظراتٍ ساخرة ذات معنى، بينما هي رددت كلمته في سرها بدهشة كبيرة، كيف يُصبح "صهيب الأرماني" شقيق "قاسم طاحون"؟! سؤال تكرر بذهنا وتعجبت منه للغاية، بينما "أهلة" أومأت بصمت وأشارت لأخواتها:

_ ودول أخواتي "يمنى وملك" انتوا عرفتوهم قبل كدا، ودلوقتي خلونا نتكلم في المهم، اتفضلوا.

جلس الجميع على المقاعد الفارغة، بينما "أهلة" بدأت في الحديث قائلة:

_ دلوقتي كلنا عارفين إن عيلة "الأرماني" بتاجر في الأعضاء، لكن اللي أنتوا مش عارفينه إن "شركة الأرماني" للتغذية بتبيع أكل فيه مواد مُسرطنة، ودا سبب حالات وفاة كثير في مصر.

لم يتعجبوا من حديثها، فجميعهم يعلمون بقذارة تلك العائلة بل يتوقعون أسوأ من ذلك منهم، فأكلت "أهلة" حديثها وهي تُمسك بالأوراق التي أمامها تُقدمها لـ "قاسم":

_ ودلوقتي ورق الصفقة الأخيرة وصل لينا بمساعدة "يحيي" طبعًا، ودا هيفيدنا في شغلنا الجاي، تاني حاجة إن الشركة دي بتاعتنا أنا و"يمنى" بدأنا فيها من زمان أوي ومحدث يعرف بعداوتنا مع عيلة "الأرماني"، يعني احنا

منافسين عاديين جدًا، لكن احنا عملنا شركة ثانية محدش يعرف ملاكها الحقيقيين وبنهاجم بيها شركتهم هما وعيلة" مهران".

تحدث "چون" بصدمة جلية على محياه:

_يا إلهي! لم أرى بشر بتلك البشاعة من قبل!

أكملت "أهلة" حديثها بجدية وهي تُشير للأوراق التي بيد "قاسم":

_وطبعًا أنا صحفية وبإسمي المُستعار كتبت خبر هيكسر الدنيا وهيقومها من تاني.

حدق "قاسم" بالأوراق التي بين يديه بتمعن ثم قرأها بعينه والتي كان محتواها:

_ "رجالٌ كالأصنام يُديرون البلدة من أولها كآخرها، والشعب يُنادي أين أطفالنا! أطفالٌ انتزعت منهم برائتهم بطريقة بشعة تسببت بفقدانهم الحياة، مشفى الأرمني التابعة للطبيب المشهور مختار الأرمني يدور حولها الكثير من الشبّهات وأولها تجارة الأعضاء، تساؤلات عديدة تدور في رؤوس المواطنين وخوف من القادم".

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر "قاسم" مُتخيلاً ما سيحدث عندما يُنشر ذلك الخبر في الجرائد والمجلات وعلى محطات التلفاز، رفع أنظاره إليها ثم غمزها قائلاً:

كفاءة.

وعلى الجانب الآخر في النص الثاني من الكرة الأرضية يجلس "ألبرت" أمام العقيد "مايكل" والذي سأله بتعجب:

لا تقل بأنهم لم يخبروك "ألبرت"؟!!

رفع "ألبرت" عيناه الحادة للعقيد يسأله بفحيج:

أين هما شقيقاي سيدي؟!!

أجابه باختصار عندما لاحظ صمته المريب فقال:

لقد سافرا إلى مصر، كلفتهم بمهمة هامة للغاية وهم على وشك تنفيذها.

اللعنة.

حارة القناص

صرخ بها بغضب، لينهره العقيد الذي يتعدى عمره
الخمسون صارخًا:

_ هل جُننت "ألبرت"؟! كيف تُحدثني بتلك الطريقة!!

أجابه "ألبرت" باقتضاب:

_ لم أقصد سيدي، إذا ما هي المهمة التالية؟!!

وبالخارج صدح صوت "إيغور" يتحدث بريية:

_ استمع لصراخ "ألبرت" من هنا، ماذا حدث يا تُرى؟!!

جاءه صوت "اندريه" قائلاً بقلق:

_ يبدو أننا كُشفنا من قبل المافيا و علموا أننا مُجندين.

وضع "ليونيد" يده على صدره شاهقًا بصدمة:

_ أيعقل؟!!

بينما "ستيفن" كان مربعًا ليده أمام صدره يُتابعهم ببرود،
حتى انفتح الباب أخيرًا وظهر من خلفه "ألبرت" بملامح
وجهه المُتهجمة للغاية، سأله "ستيفن" بترقب قائلاً:

ما الجديد "ألبرت"؟!

أجابه "ألبرت" بفحيح:

سنسافر إلى مصر بعد أسبوعان.

«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

شروق حسن | 

«الفصل الثالث عشر»

«حارة_القناص»

«تخطيط بالدمار»

الحرب لم تبدأ بعد لتنتهي، خطط كثيرة ومناغشات على وشك البدء، هم أردوا حرباً؛ إذا فليروا، كلاً منهم يحمل ضغينة داخل قلبه كانت كفيلة لإحراقهم أحياء، الفوز بمثابة الحياة بالنسبة إليهم، وهم سيفعلوا ما بوسعهم للصدارة.

بعد أن قام "قاسم" بقراءة كل التقارير التي بين يديه بتمعن ودقة شديدة؛ رفع نظره إلى "أهله" التي كانت تُراقب ردات فعله بفضول، تُحاول التوصل إلى ما يُفكر به لعلها تتنبأ بما يُخطط، خرج صوته ثابتاً وهو يتحدث بغموض:
_ أنا كدا فهمت كل حاجة.

قطبت جبينها بتعجب وانتظرت ليُعقب لكنه لم يفعل، حوّل "قاسم" أنظاره إلى "صهيب" الذي يُحاول أن يستشف ما خلف ذلك الغموض الذي تغلف به أخيه، ثم أردف بنبرة هادئة:

_ "صهيب" .. الشحنة الجاية ميعاها هيكون إمتي!!

خرج صوت "صهيب" مُجيباً إياه بثبات:

_ المفروض بعد تسع أيام بالظبط زي ما "مختار" قالي.

تسألت "أهلة" مُتعبة وهي تنظر له بشك:
_ ولما أنت عارف مش بتبلغ عنه ليه؟! ولا تكون متفق
معاه!

دافع "قاسم" عن أخيه مُحدجًا "أهلة" ببرود:
_ مينفعش "صهيب" يبلغ عنه وإلا هيشكوا فيه، بما إنك
صحفية المفروض تعرفي ردة الفعل اللي هتترتب على الفعل
الفعل نفسه.

هزت "أهلة" رأسها بتفهم ولم يغيب عنها نظرات "صهيب"
الثاقبة لها، لذلك استدارت له بحدة وهي تسأله ببسالة:
_ في حاجة يا أخ؟!

_ مش مرتاحلك يا اسمك إيه.

ردت عليه "يمنى" بهجوم تلك المرة قائلة:
_ اسمها "أهلة" يا خفيف، ولو صعبة على لسانك كررها
عشر مرات.

حارة القناص

حدجها "صهيب" باستخفاف ثم أشاح بيده بلامبالاة وكأنها
كائن لا قيمة له:

_محدث طلب رأيك يا عسل، أنا بكلم مرات أخويا.

تدخلت "ملك" في الحوار والتي أردفت بابتسامة بالهة وهي
تُحدج "فور" بنظرات هائمة:

_خلاص يا جماعة صلوا على النبي دا شيطان ودخل ما
بينكم، ولا إيه يا عسل أنت!.

أنهت حديثها وهي تأخذ برأي "فور" الذي ابتسم ببلاهة
مُضحكة:

_هل هذا أنا؟!!

أكدت له وهي تبتمس بأتساع:

_وهو فيه عسل غيرك هنا؟!!

نكزتها "أهلة" في جانبها بقوة آلمتها، بينما أخفض "فور"
رأسه بخجل وهو يُجيبها:

_اصمتي يا فتاة أنا أخجل.

كانوا غافلين عن تلك العينين التي تُتابعهم بغضب كاد أن يلتهمهم، وبالطبع كان مصدرها "رائد" الذي كاد على وشك الانفجار، كز على أسنانه بضيق ليُصيح عاليًا بعدها:

__ كفاية لعب عيال بقى احنا جايين هنا نهزر ولا نشتغل!!.

تعجب "قاسم" من حدثه التي لا تظهر كثيرًا ناظرًا له بتمعن، ليلاحظ "رائد" ذلك فتوترت معالمه بدون قصد، وهُنا علم "قاسم" أن صديقه يُخفي شيئًا ما عنه، مُقررًا بداخله بأنه سيعلم كل ما يدور برأسه عند عودتهم للمنزل لاحقًا.

سحب "يحيي" نفسًا عميقًا وزفره على مهل، وتكلم لأول مرة منذ جلستهم قائلًا:

__ يعني أنا كدا دوري خِص ولا لسه في حاجة تاني؟!.

استدار له "صهيب" ثم سأله على بغته:

__ ليه خُونت "مختار الأرماني" يا "يحيي" وأنت كنت إيدته اليمين؟!.

لوى "يحيي" شفتيه ساخرًا، ثم أجابه بدرامية:

_ عشان عيلة "الأرمانى" دي عيلة محترمة جدًا جدًا وأنا واحد خاين.

ابتسم الجميع على حديثه بخفة، ولو هلة شعر "صهيب" بالبلاهة من سؤاله الغبي هذا، لذلك ربت على كتف "يحيى" قائلاً بفخر:

_ جدع يا "يحيى"، كل مرة كنت بشوفك هناك فى الشركة كنت بتصعب عليا وخصوصاً إني كنت عارف إن جواك إنسان مُحترم.

مازحه "جون" مُتسائلاً:

_ كيف علمت أنه إنسان جيد وهو كان يعمل مع تلك العائلة المقبّية؟!!

ابتسم "صهيب" ابتسامة صغيرة لم تصل إلى عيناه، ثم عاد بذاكرته قليلاً أثناء تحدّثه:

_ كنت فى مرة نازل مهمة شغل مهمة وشوفت "يحيى" على الطريق ماشى بست كبيرة، متزعلش منى يا "يحيى" بس أنا فكرت إنك واخدها لـ "مختار" عشان تقتلوها وبعدين نبيعوها أعضاء زي ما متعودين عشان كدا راقبتك، بعدها اكتشفت إنك واخذ الست دي لبيت كبير أوي وعرفت بعدين

إن أنت اللي اشتريته ليها، ومش هي بس.. دا فيه جوه عواجز تاني غيرها، مقدرش أنكر إنني استغربت وكنت عايز أسألك بس ما كنت مازالت شاكك فيك، وبما إنك هنا دلوقتي فأحب أعرف منك السبب في إنك تصرف كل فلوسك تقريبًا عشان بيت يسكن فيه العجائز بس!!.

كان "يحيي" يستمع له بابتسامة كبيرة، وحينما ألقى سؤاله الأخير أجابه ببساطة:

_ميهمنيش أي فلوس يا "صهيب" بيه، أنا اتحرمت من أمي من وأنا عندي عشرين سنة تقريبًا، ورغم إنني مكنتش صغير إلا إنني كنت محتاجها معايا في كل خطوة في حياتي، وبعدها أخويا أستشهد وبقيت في الدنيا لوحدي، لحد ما اشتغلت مع "مختار" بيه بالصدفة في الشركة بتاعته، وبدأت حياتي تسوء لما اشتريت معاه في تزوير التصاريح لأنني كنت شاطر في دا جدًا، لحد ما عرفت إن التصاريح اللي كنت بمضيتها دي بتدمر حياة ناس كتير وبتحرم أولاد كتير من أمهاتها وأنا كنت معمي، واتفقت على الأستاذة "أهله" لما مختار بيه أمرني إنني أعرف الشركة المنافسة لينا، وعرفتها واتفقت معاهها وبقيت جاسوس زي ما بيقولوا، وبعدها قررت إن بكل الفلوس اللي "مختار" بيه بيدهالي دي أعمل حاجة أكفر بيها عن ذنبي القديم وفي نفس الوقت بطني ميدخلهاش لقمة حرام أبدًا، وبنيت بيت كبير جدًا لميت فيه العجائز والمُشردين والغير مُقتردين

حارة القناص

ماليًا، وقُدّام بإذن الله لما نخلص من كل القلق اللي احنا فيه
دا هحولُه دار أيتام بتصاريح من وزارة الداخلية.

كان الجميع يستمع له بإنتباه ونظرات الفخر تحوم في
أعينهم، ربت "قاسم" على كتفه بتشجيع قائلاً بقوة:

أنت راجل يا "يحيي" وصدقني إن ربنا هينجيك زي ما
أنت نجيت ناس كتير من تحت إيد "مختار" واللي زيه.

أكمل "صهيب" حديثه داعماً له:

وليك عليا إني هخلصك التصاريح دي كلها بسهولة كمان.

نظر لهم بإبتسامة صافية وكاد أن يشكرهم؛ لولا صوت
البُكاء الذي قطعه والقادم من جانبه، نظر الجميع للذي يبكي
هذا فوجدوه "فور"!!

جزع "قاسم" خوفاً لذلك سأله بقلق:

مالك يا "فور" في إيه؟!!

مسح "فور" دمعاته وتحولت نظراته للتعجب وهو يُجيبه:

_ "لواحظ" من أخبرتني بذلك، أن أبكي في المشاهد المؤثرة
لأبدو لطيفاً!

سبَّ "قاسم" عليه وعلى "لواحظ" ونظر له بنظرات حارقة
جعل "فور" يُصيح بحنق:
_ لا تنظر لي هكذا يا مغفل.

كور "قاسم" يده فتحدث من بين أسنانه:
_ يا بني هتغابي عليك وعهد الله متختبرش صبري.

رَبَّع "فور" ذراعيه بضجر ناظرًا لـ "قاسم" بحنق من طرف
عينه، ربت "جون" على قدمه بحنان قائلاً:
_ لا تحزن يا أخي، أنت تعلم أن "قاسم" قاسي القلب دائماً.

_ يا حنين!!

نطق بها "صهيب" ساخرًا، فأكمل حديثه مُدافعًا عن أخاه
هو الآخر:

_ اتكلم عن أخويا عدل يا ض أنت وهو بدل ما أقوم أكسر
دماغكم انتوا الاتنين.

صرخ "فور" بوجهه في المقابل:

_ اللعنة عليك وعلى أخيك الأحمق هذا.

نطق بها "فور" مُتسرِعًا، مما جعل "جون" يضرب على جبينه تزامنًا مع همسه الخافت:

_ ضِعنا يا مغفل.

صمت الجميع بعد أن ألقى "فور" جملته ونظر إلى "قاسم" الجامد بترقب، ابتلع ريقه عندما زاد صمته مما جعله يهمس بخوفٍ باكِ:

_ هل.. هل ستتحوّل أم ماذا!؟!

لم يُجيبه أيضًا، بل ارتسمت ابتسامة جانبية على ثغره زادت من هلعهِ، تبعه قوله المُتوعد له وهو يقول بخبث يُغلفه الغضب:

_ تَجَهّز عزيزي "فور" فالمهمة القادمة ستكون لك!.

حارة القناص

انتهى الإجتماع بعد حديث "قاسم" الأخير بساعة تقريبًا، ستون دقيقة كانت بمثابة إتفاق مُدمر لهم، خططوا ورتبوا إلى التجهيزات التي سيفعلوها أمس، الجميع له دور فعال في تلك الخطة، الجميع بلا إستثناء، بدايةً من "قاسم" رأس الأفعى حتى "ملك" المُغفلة.

خرج الجميع من الشركة معًا، مظهرهم كان مُهيب بعض الشيء، الرجال في الأمام ويتوسطهم "قاسم" وفي الخلف الفتيات معًا، وقفوا في الردهة على شكل دائرة، تلاه صوت "قاسم" الجاد:

كدا اتفقنا على كل حاجة مش فاضل غير التنفيذ، ركزوا يا شباب، الغلطة بفورة وهيظير فيها رقاب.

أوما له الجميع بجدية، فأكمل "قاسم" حديثه بعبث:

طريقهم صحراوي انتوا بقى، أنا و"أهلة" هنخرج سوا شوية.

وأنا هاجي معاكم يا أبيه.

تشنج وجه "قاسم" من حديث "ملك"، لذا صاح بحنق منها وهو يُشير بسبابتها أمام وجهها:

حارة القناص

__ بقولك إيه أنا مستحملك بالعافية، كلمة أبيه دي لو قولتها
تاني هقطع لسانك من لغاليغو.

قاطعهُ "فور" مُسائلًا ببراعة:

!_ Kasim "لغاليغو" What does it mean

تأفف "قاسم" قائلاً:

__ خلي "رائد" يفهمك، يلا يا "أهله"؟!!

كانت "أهله" تُتابع الحديث بإبتسامة طفيفة، لتخرج من
شرودها على صوت "قاسم" الذي يحثها على السير معه،
ومن ثمَّ صعدت معه لسيارته وانطلق بها بعيدًا عن أنظارهم.

بينما استدار "فور" لـ "رائد" يسأله بفضول:

__ اشرح لي "رائد" ماذا تعني تلك الكلمة؟!!

انتبه له "رائد" الذي كان يُتابع "ملك" وتصرفاتها الحمقاء
معه تحديدًا، تتحدث مع الجميع وتتجاهله هو كالأخرق! لما
هو تحديدًا؟!! استدار "رائد" لـ "فور" ثم أمره قائلاً:

__ افتح بوقك كدا وطلع لسانك.

ورغم إشمئزاز الجميع مما قاله، إلا أن "فور" رضخ له
وفعل ما أمره به، ليُشير له بإصبعه دون لمس لسانه:
_الغلوغ دا اللي هو نهاية اللسان من عند اللوز كدا.

بدا "فور" كالأبله فأغلق فمه مُتسائلاً:
_اللوز!! ماذا يعني هذا!؟!

جعد "رائد" وجهه ثم دفعه بعيداً وهو يقول بحنق:
_ابقى اسأل "لواحظ" أحسن، يلا بينا يا عيال.

_عيال!؟!

نطقت بها "ملك" بحنق، لم يُصدق أنها تحدثت إليه بعد هذا
التجاهل، ورغم ذلك استمر في مضايقتها متشدداً
باستخفاف:

_يلا يا شاطرة شوفي أنتِ راحة فين.

صاحت به "ملك" بسوقية وهي تصرخ به:

_ بقولك إيه يلا اتكلم عدل بدل ما أوقعك صف سنانك اللي تحت.

وقف "رائد" يتابعها بذهول ثم أشار لنفسه بإصبعه قائلاً بدهشة:

_ أنت بتكلميني أنا كدا؟!!

_ لا بكلم أمك.

أقلت كلماتها ثم هرولت هاربة من أمامه حيث تقف شقيقتها "يمنى" مع "يحيى" في أحد الجوانب، بينما قهقهه "صهيب" عاليًا مُردفًا بضحكات عالية:

_ بتحط نفسك في مواقف بايخة.

قبل قليل... أخذ "يحيى" مكانًا بعيدًا نسبيًا عنه واقفًا أمام "يمنى" التي تعجبت من طلبه العجيب، وما كادت أن تسأله حتى باغتها هو بسؤاله المضطرب:

_ "يمنى" أنت بجد هتعملي اللي دكتور "قاسم" قالك عليه؟!!

قطبت "يمنى" حديثها بتعجب، ثم أجابته وهي تهز كتفها ببساطة:

_أيوا طبعًا هعمله، ليه السؤال دا؟!!

حاول ألا يُظهر قلقه عليها، لكنه بدا واضحًا لها كثيرًا أثناء قوله:

_يعني لو "ضياء" اكتشف اللي أنتِ هتعمليه ممكن يَأذيك بأي شكل من الأشكال، خصوصًا إنك عارفة إن السكرتيرة بتاعته مُختلفية بقالها مُدة مش قليلة.

تهدت "يمنى" بعمق ثم أجابته بهدوء:

_متقلقش يا "يحيي" هو مش هيعرف حاجة، أنا هصور وهكتب الخبر و"أهله" هي اللي هتنشره بالاسم المُستعار بتاعها.

_ "يمنى" عشان خاطري خُدي بالك من نفسك أكثر من كدا وحاولي تبعدي عنهم وعن شرهم.

كان رجاء أكثر من طلب، فعندما استمع إلى خطة "قاسم" بالأعلى انقبض قلبه لاإردايا من فكرة كشفها، خاصة وأن

حارة القناص

مهمتها صعبة للغاية، أعطت له ابتسامة خفيفة وهي تُجيبه
باطمئنان:

متقلّش عليا هبقى كويسة صدقتي.

بادلها إبتسامتها لكن بشيء من الخوف وعدم الراحة، هي
ستدلف لمستتقع الذئاب بقدمها، ولو كُشِف أمرها ستتنتهي
بالتأكيد، التمتع عيناه وهي يُراقبها عن كُثب، لا يُنكر بأنه
يُكّن لها الإعجاب وهي لا تُبالي، هدفها الإنتقام دائمًا، وهي
هدفه كذلك!

جاءت بتلك اللحظة "ملك" التي تحدثت ضاجرة مما حدث
مع "رائد" منذ قليل:

يلا يا "يمنى" مش هنمشي!؟

أومأت لها "يمنى" بالإيجاب، ثم استدارت إلى "يحيي"
مودعة إياه بود:

يلا سلام يا "يحيي".

مع السلامة.

حارة القناص

قالها وهو ينظر لأثرها الذي يبتعد بأعين مُلتمة، متى
ستشعر به إذن؟! هو يتلوى بشوقه منذ ستة أشهر وهي لا
ترى ذلك، حبها نار تُحرقه لهيبه، وهي ساذجة، أو ربما
تدعي ذلك!

تنهد بأسف ليشعر بعدها بذراع تُحيط بعنقه وصوت "رائد"
يخترق مسامعه بعث:

_ عينك ياض و غُض بصرك واتقي الله.

طالعه "يحيي" بمشاكسة ثم أردف بمكر:

_ ما أنت كنت هتاكل "ملك" بعينك فوق ومتكلمتش يا جدع!

حدجه "رائد" بصدمة من فكرة كشف أحد لنظراته، صدحت
ضحكات "صهيب وجون" عاليًا، بينما تسائل "رائد" بخرج
وهو يحك عنقه:

_ كنت مفضوح أوي كدا؟!!

حرك "يحيي" حاجبيه بمزاح قائلاً:

_ جوي جوي يا خال.

حارة القناص

تعالت ضحكات الجميع بمرح، فتسائل "يحيي" بعد أن توقف
عن الضحك:

_أنا نسيت أسمائكم، قولوها تاني عشان أحفظكم.

بدأ "جون" الحديث مُعرفًا عن ذاته:

_أنا "چون" من روسيا.

_وأنا "رائد" من أم الدنيا.

_وطبعًا أنا مش محتاج تعريف!

قالها "صهيب" بمزاح، ليؤكد له "يحيي" ضاحكًا وهو
يقول:

_أكيد يا "صهيب" باشا.

_وأنا "فور" اللطيف.

قالها "فور" والذي كان يلتهم شطيرة من الدجاج مجهولة
المصدر، قطب "رائد" جبينه متسائلًا بتعجب:

_جايب الأكل دا منين؟!!

أجابه "فور" ببساطة وهو يُشير لأحد الأطفال الذين يكون
بشدة:

_ كنت جائع فأخذتها من ذلك الطفل الباكي.

ضرب "صهيب" على رأسه بأسى، بينما صرخ به "جون"
مُعنفاً إياه:

_ كم قُلت لك مرارًا وتكرارًا ألا تسرق يا مُغفل، أنت تهدم
أخلاقنا الشريفة يا أحمق.

_ أدم.

نطق بها "رائد" ساخرًا، ثم استطرد حديثه قائلاً:

_ وبلاش أقولك شريفة دي تبقى مين..

كتم "صهيب" فمه حتى لا يكمل حديثه، ثم أردف وهو يدفع
الثلاث شباب الآخرون أمامه:

_ طيب يلا يا بختي المنيل نمشي من هنا قبل ما أبو الولد
يجي ويعمل في وشنا كلنا خريطة.

حارة القناص

سار "قاسم وأهله" لبعض الوقت بالسيارة، حتى توقفوا
أمام النيل، هبط هو أولاً فتبعته هي متسائلة:

وقفنا هنا ليه؟!

أجابها باختصار قائلاً:

تعالى نتمشى شوية.

نالت الفكرة استحسانها وسارت بجانبه، كان المنظر خاطفًا
للأنفاس، خاصةً وأن الشمس الغاربة كانت وكأنها تحتضن
المياه الزرقاء بحنان، مشهد يُدخل البهجة للنفوس.

وضع "قاسم" يده في جيب بنطاله الأسود بعد أن وقف أمام
السور الحديدي وهي بجانبه، وبعدها تحدث بشرود أثناء
نظره للغروب:

_شايفة الشمس! زي ما هي بتفضل تنطفي لحد ما تغيب
وبعدها تطلع تنور من تاني احنا كمان زيها.

حدجته بتساؤل لم تنطقه، ليوضح لها مقصده متشدقًا
بهدوء:

حارة القناص

_ يعني احنا كمان بننظفي، بس مينفعلش نفضل كدا دايمًا،
عادةً الناس بتدور على اللي يرجعها الأمل والحياة من
جديد، زي الشمس بالظبط، بتلاقي القمر يشحنها بالطاقة
فبترجع تنور من تاني، واحنا كمان.. بندور على اللي ينورنا
من تاني بعد ما ننظفي.

كان حديثه صحيحًا مائة بالمائة، لكن لما يُلقى على مسامعها
ذلك الحديث الآن، وبدون تردد سألته مباشرةً:
_ ليه بتقولي الكلام دا؟!!

أجابها دون مُراوغة:

_ عشان أنا وأنتِ عاملين زي الشمس والقمر بالظبط، لما
حد فينا ينظفي هيجتاج التاني عشان يشحنه بالطاقة اللي
تخليه قادر يكَمَل.

_ القدر عرف يجمعنا ببعض يا "قاسم"، بس ماضينا مليون
شوائب وأظن مش هنعرف نرجع زي ما كُنّا تاني، مش
هنعرف نكون مع بعض دايمًا زي ما أنت مُعتقد.

نفي حديثها قائلًا:

حارة القناص

_مقولتش إن احنا هنفضل مع بعض دايمًا، مسيرنا هنبعد وكل واحد هيشوف حياته بعيدًا عن الثاني، بس على الأقل نقدر نقدم لبعض خدمة منسهاش العمر كله.

كان حديثه غامضًا بعض الشيء لم يصل مغزاه الكامل لها، لذلك ضيقت عيناها قليلًا بشك تسأله بترقب:

_يعني إيه؟!!

استدار لها بكامل جسده مُوجهًا أنظاره إليه، ثم أجابها على بغته:

_يعني أنا وأنتِ محتاجين نتعالج، محتاجين دكتور نفسي يساعدنا إننا نتخطى كل حاجة مرت في حياتنا.

سأله بصدمة يشوبها الغضب:

_أنت بتقول إيه؟! مين أنت عشان تتحكم في حياتي بالطريقة دي؟!!

أجابه بهدوء أمام غضبها الذي كان يتوقعه:

_مُهمتنا في مصر قربت تخلص، وبعدها هنكمل كل حاجة
لما نساافر "روسيا"، وهناك هنتعالج بعيداً عن الناس
والأذى اللي شوفناه هنا.

فقدت أعصابها من هدوءه الذي أخرجها عن شعورها ناهرة
إياه بصوت عالي:

_أنا مش هتعالج، وحياتي الخاصة أنت ملكش دخل بيها،
هنخلص اللي اتفقنا عليه وهنطلق وكل واحد فينا هيروح
لحاله، لكن إني أتعالج ودكتور نفسي والكلام الفاضي دا
مش هيحصل ريح نفسك عشان مش هيحصل.

كان يُتابع إنفعالاتها الغاضبة بجمود، وكأنه استشف ما
تُخبأه خلف قناع البرود والجمود الذي تُظهره دائماً،
وبلامبالاة سألها وهو يُشير لأحد الجوانب:
_تاكلي دُرة.

فتحت فاهها بصدمة تُحدجه وكأنه كائن برأسين، لم تجد ما
تُجيبه به؛ فوجدته يسحب يدها بين كفه قائلاً بعبث:
_ولا أقولك! تعالي ناكل تين شوكي أحسن.

_أنت بجد يعني!؟!

سألته ببلاهة ومازالت معالم الدهشة مُرتسمة بوضوح على
وجهها، ليرد عليها بمشاكسة:
_تو.

وقفنا أمام العربة التي كان يجلس عليها عجوزًا يظهر عليه
تقدم السن بوضوح، ليطلب منه "قاسم" بود:
_قطعلنا خمسة يا راجل يا طيب.

أجابه العجوز ببشاشة:
_من عيوني يا بني.

أمسك بالسكين الحادة وأمسك ثمرة التين بين يديه ليُقطعها
حتى أزال القشور التي تُغطيها، مدَّ يده له وهو يُتمتم بصوت
خفيض:

_يا حلو يا محلي الحبايب، ادعي ربك يرد اللي غايب.

انتشلها "قاسم" منه، ومدَّ يده لها قائلاً بمشاكسة:
_خُد يا... حلو.

قال الأخيرة ببطيء، لتضطرب معالم وجه "أهلة" التي حاولت السيطرة على ثباتها، خاصةً وأنها نشبت مشاجرة حادة بينهما منذ قليل وهو تعامل وكأن شيئاً لم يكن، التقطت منه التين الشوكي بهدوء، ثم أكلته بتلذذ، كم تعشقه وتعشق مذاقه الرائع والفريد، انتهت من خاصتها بسرعة لتجده يمد يده بأخرى فإنتشلتها من على الفور وبدأت في إتهامها أيضاً.

كان يأكل هو الآخر بتلذذ شديد، وكان هذا أول شيء مشترك يجمعهم معاً، حبهم للتين الشوكي!.

وبدون شعور منها وجدت ذاتها قد أكلت سبع قطع دون أن تدري!! حممت بحرج من "قاسم" الذي يُتابعها ضاحكاً، ثم سأله بحرج واضح:
_ هو أنا كلت كثير؟!

هز رأسه نافيًا بضحك، ثم أجابها وهو يدفع المال للعجوز الذي يُتابعهم ببشاشة:
_ لأ مكلتيش كثير ولا حاجة، بالهنا والشفاء.

حارة القناص

كاد أن يذهبا، فاستمع "قاسم" لصوت العجوز يوصيه
ببشاشة:

_خلي بالك من الحلو اللي معاك يا بني.

حدجها "قاسم" بنظرات ثاقبة ثم أجابه:

_في عيوني يا راجل يا طيب.. يلا ربنا يرزقك.

سارت أهلة بجانبه شاعرة بوجهها يكاد أن يحترق من
الحر، رفعت أبصارها للأعلى عندما شعرت ببعض النقاط
التي تسقط فوق رأسها، حسناً السماء غائمة والجو
عاصف، لا بد بأنها ستمطر اليوم، ظنت بأنه سيتجه نحو
السيارة للعودة إلى المنزل، لكنه غيّر مساره لجهة أخرى
متحدثاً بهدوء:

_تعالى نشرب عصير..

_مش بحب القصب.

اعترضت ليقول هو الآخر:

_ولا أنا، بس تعالى نشرب فراولة باللبن أنا بحبها.

تحمست كثيرًا لتوافقه بسعادة:

_أوكي جدًا، وأنا بعشقها.

_يا بختها..

رد عليها عابثًا فتمتع بوجهها المُرْتَبِك والذي يظهر طفوليًا إلى حد كبير، وقف أمام الرجل ليطلب منه طلبه بهدوء، جلسا على المقاعد الخشبية بالخارج فأحاطت جسدها بذراعيها، خاصةً وأن الجو ازداد برْدًا، شعرت بشيء ما يُحيطها فوجدته الجاكيت الثقيل الخاص به، لقد خلعه ليضعه على كتفها حتى يصل لها الشعور بالدفء!

اعترضت قائلة وهي تهم بإبعاده:

_لأ الجو برد وأنت كدا هتمرض.

ثبت المعطف عليها مانعًا إياها من خلعه، ثم أردف بجدية:

_أنا عامل حسابي ولا بس شتوي ثقيل، خليه عليكِ عشان متبرديش.

قاطعهم قدوم الرجل والذي يُمسك بكوبين من العصير المُحِبب لقلوبهم واضعًا الأكواب أمامهم على المنضدة

حارة القناص

الخشبية، سحبت "أهلة" الكأس الخاصة بها بحماس وهي تقول:

__المشروب المفضل ليا بجد.

ارتشف "قاسم" من الكوب الخاص به وأجابها ضاحكًا:

__وأنا زيك، وكمان بحب الشاي بالقرنفل جدًا.

__شاي بالقرنفل؟!!

سألته مُتعبة، ليوكد لها بحماس قائلاً:

__آه لذيذ بشكل... أنتِ مجرّبتهوش قبل كدا؟!!

نفت برأسها، ليغمز لها قائلاً بمزاح:

__وعد لما نتجوز هخليك تجريبه، وأنا واثق إنك هتحبيه.

عاد "رائد" إلى منزله فوجد جميع عائلته تجلس على طاولة الطعام يتناولون العشاء بهدوء، جلس جانبهم بعد أن حياهم واستعد لتناول طعامه معهم، وما كاد أن يدخل الطعام إلى داخل فمه؛ حتى استمع إلى صوت جرس الباب يصدح عاليًا، ليترك الطعام من يده مُتمتمًا بتأفف:

حارة القناص

الواحد مش هياكل في يومه دا ولا إيه؟!

فتح الباب الذي يطرق بقوة صائحًا بنفاذ صبر لمن أمامه:

نعم!!

رتب الرجل الذي أمامه شاربه بعنجهية، ثم سأله بخجل:

ست الكل هنا؟! أنا جاي أتقدم للست "لواحظ"....

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

|شروق حسن|

«الفصل الرابع عشر»

«حارة القناص»

إختطاف

لطالما كان صفاء القلب أنقى ما يُقدمه الإنسان لذاته، تتكاثر
المُفردات وتتواصل المعاني وتظل النهاية عظيمة.

قام "قاسم" بتوصيل "أهله" إلى أسفل منزلها مُودعًا إياها
بود وذلك بعد أن اشترى لها الكثير من الحلوى وكأنها طفلة
صغيرة، صعدت الدرج لتتظر لما بين يديها بإبتسامة مُتذكرة
حديثه عن شقيقتها "ملك":

وُخدي الحاجات دي لأختك أم نُص لسان، وهكون شاكر
ليكِ جدًا لما تخليها تبطل تقولي يا أبيه تاني.

بينما عاد "قاسم" إلى منزله مُجددًا، وأول ما فعله هو
صعوده لوالدته بالطبع كما اعتاد أن يفعل دائمًا، قطب جبينه
بتعجب عندما وجد باب شقتها مُواربًا قليلًا، تسائل داخله
بقلق عن هوية الدخيل! فـ"لوسيندا" أخذت إجازة قصيرة

لظروف خاصة حدثت في منزلها، إذاً من قام بفتح الباب والدلوف لوالدته المريضة؟!!

وضع يده على جيب بنطاله الخلفي ليتأكد من وجود ماديته بها، ثم دلف للداخل على مهل بخطوات بطيئة غير مسموعة بعد أن أغلق الباب خلفه ليُقلل فرصة هروب الآخر، انتفض قلبه من مكانه عندما وجد باب غرفة والده مفتوحاً على مصرعيه! ليهرول إليها سريعاً بقلب يخفق بشدة.

توقف مكانه بصدمة عندما وجد شقيقه "صهيب" يجلس أمام والدته التي تُطالعه بإبتسامة صغيرة، وهو يتحدث معها بحماس دون توقف:

__وبعدين أنا مسكتش، رُوح مشوح بإيدي كدا وقولت كله إلا كرامتي يا شيمياء وقبضت على المجرم السافل المُتحرش، أصل هقولك حاجة يا ماما؛ الناس اللي زي دي مش عايزة غير العين الحمرا والظابط القوي تربية الشوارع.. زي كدا، وبس بقى يا ستي.. اترقيت وبقيت نقيب قد الدنيا بسبب شجاعتِي.

تدخل "قاسم" في الحديث بعد أن تنهد بارتياح:

__ أنت إيه اللي جابك هنا يلا؟!!

طالعه "صهيب" من أعلاه لأسفله بإشمئزاز، ثم تمدد بجانب والدته مُجيباً إياه بغرور:

جاي لمامتي حبيبتى أنت إيه اللي حشرك؟!

تقدم منهم "قاسم" حتى وقف على الناحية الأخرى من والدته هابطاً على جبينها يُقبله بحنان، وبعدها رفع رأسه لشقيقه ثم ضربه على رأسه بقوة وهو ينهره:

ومقولتش إنك جاي ليه يا أتخ خلق الله؟!

مزاجي.

أجابه "صهيب" ببرود أثناء إحاطته لخصر والدته، ليغتاظ "قاسم" منه ومن بروده ثم دفعه عن والدته قائلاً بحنق:

طب ابعده عن أمي بقى وملكش دعوة بيها.

طيب ما هي أمي أنا كمان! ولا أنا ابن البطة السوداء يعني!

قالها "صهيب" بغیظ لتضحك "حياة" بخفة على مشاكسة أطفالها وتمتت بخفوت واهن:

خلاص يا "قاسم" يا حبيبي أنت الكبير.

اتسعت ابتسامة "قاسم" وفعل مثل شقيقه، حيث تمدد على الجانب الآخر لتُصبح والدتهم في المنتصف وهم يُحيطون إياها كالسد المنيع، دفع "قاسم" يد "صهيب" من على خصر والدته، ليتشدد بما أغازه:

_ شيل إيدك دي يا ض دي أمي لو حدي.

نظر "صهيب" لـ "حياة" بحنق مُشيرًا لـ "قاسم" ولأفعاله المضايقة له، ثم أردف بإستتكار وهو يشكو لها كطفل صغير:

_ شايفة يا ماما بيشيل إيدي من عليك إزاي؟!!

_ بس يا ولد اتكلم كويس أنا أخوك الكبير!

نهره "قاسم" بجدية مصطنعة؛ ليضغط "صهيب" على أسنانه بغيظ وهو يُجيبه تزامناً مع إحاطته لخصر والدته مرة أخرى:

_ خليك أنا صابر عليك ومتحمل، يا إما وعهد الله هقوم أركب عليك أفطسك لحد ما تروح فيها.

ضحكت "حياة" بخفة ولسوء الحظ لم تستطيع التحدث بسبب آلام جانبها التي تشدد عليها من الحين والآخر، لذلك

اكتفت بالصمت ومتابعتهم بأعين تلتهم من السعادة، لا تُصدق أن بعد كل تلك المدة الكبيرة قد عادت عائلتها لها من جديد، عدا شريك حياتها ومحبوب روحها الذي توفي لحزنه الشديد عليها وعلى صغيرها، لكن المولى قد عوّض صبرها خيرًا كما عوّض سيدنا "يعقوب" بـ"يوسف".

ساد الصمت قليلًا قبل أن يقطعه "صهيب" ناظرًا لوالدته وهو يستند على ذراعه:

_ماما بتحبي مين فينا أكثر؟! أنا ولا "قاسم"؟!

حدجه "قاسم" بغيظ، ثم استند على ذراعه كما فعل هو قائلاً بضيق واضح:

_بتحبنى أنا طبعًا إيه السؤال دا؟!

رد عليه "صهيب" مُستنكرًا بغيرة واضحة:

_والله؟! على فكرة بتحبنى أنا أكثر، صح يا ماما؟!

قال الأخيرة وهو يسأل والدته التي أغمضت عينيها بيأس، لتفتح عيناها مرة أخرى مُجيبة إياهم بحنان:

حارة القناص

_بحبكم انتوا الاتنين طبعًا، وهي في أم مش بتحب ولادها
كلهم أو تقدر تستغنى عن واحد فيهم!_

مط "صهيب" شفتيه للأمام بإقتناع، وبعدها تشدق قائلاً:
معاك حق يا ماما، بس برضه بتحبيني أنا أكثر.

دا أنت غتت.

كلمة سعدت من فاه "قاسم" المُغتاظ من شقيقه، وما كاد
"صهيب" أن يُجيبه؛ فوجد والدته تُغلق عينيها بنعاس لتعود
إلى غيبوبتها المؤقتة مرة أخرى، أشار "قاسم" لشقيقه
بهدوء ناحية الباب، ليفهم مقصده ويتحرك بعيدًا عن
الفراش قليلاً قبل أن يُقبّل جبين والدته بحنان ويودعها
بنظراته المُشثاقّة.

خرج معه "قاسم" وأغلق الباب بتروٍ حتى لا تستيقظ والدته
وتأخذ قسطًا كافيًا من الراحة، وما هي إلا ثوانٍ وأمسك
بأخيه من ياقة ثيابه يهزه بعنف:

_بقى عايز توقع بيني وبين أمي يا ص!! دا يخربيت الندالة
اللي في دمك._

حارة القناص

أشار "صهيب" لذاته بصدمة مُصنّعة قائلاً بتقطع:

_أنا؟! أنا عايز أعمل كدا؟! حرام عليك يا أخي كفاية ظلم
بقي، كفاية قهر، كفاية ذُل، كفاية إستعباد، كفاية و...

قاطعهُ "قاسم" الذي دفعه بعيداً تزامناً مع قوله الحانق من
تلك الدراما المُبتذلة التي قدمها له:

_خلاص خلاص غور، دا يخربيت اللي يتكلم معاك تاني.

اقترب منه "صهيب" مرة أخرى دافعاً إياه بدلال من كتفه
وهو يتشدق بنبرة أنثوية بحثة:

_وأهون عليك يا قاسي!! دا أنا اللي حبيتك الأول.

طالعه "قاسم" بمقط فأردف باستنكار بعد أن دفعه بعيداً عنه
مرة أخرى:

_لو مبعدتش عني دلوقتي هقتلك أنت كمان وأخلص منك،
ما أنا قتال قُتلة وأعملها.

صمت "صهيب" وتحول وجهه من المزاح إلى القنوط وهو
ينهره بحدة:

متقولش على نفسك كدا يا بني آدم أنت!! هو إيه اللي قتال
قُتلة!! هو أنت بتقتل ناس كانت بتتعبد ليل نهار!! ولا يكونوا
كانوا مقضينها تبرعات وأحنا مش واخدين بالنا!! دول عالم
حقيرة دمرتنا كلنا، فاهم يعني إيه دمرتنا ومنعتنا من أبسط
حقوقنا!!

كان "قاسم" يتابع ردة فعل أخيه المنفعدة لأجله، كلمة
خاطئة في حقه خرجت سهوة من فاهه تسببت في ثورته
بتلك الطريقة، ابتسم "قاسم" بإتساع جاذبًا شقيقه نحوه في
عناق أخوي قوي، عناق حُرِّموا منه لأعوام كثيرة بسبب
أشباه البشر، ولم يُمانع "صهيب" في مُبادلتة لذلك العناق
الدافيء، بل شدد من إحتضانه علَّه يشعر بالأمان.

خرج "صهيب" من أحضان شقيقه قائلاً بنبرة حماسية
وأعين مُلتَمعة:

تعالى معايا بقى عشان تكون شاهد.

قطب "قاسم" جبينه بتعجب أثناء سؤاله:

شاهد على إيه مش فاهم.

ما أنا هتجوز.

نطق بها "صهيب" سريعًا، ليُجيبه "قاسم" بسخرية واضعًا
يده أسفل ذقنه كحركة شعبية مشهورة:

_ يا راجل؟!!

أجابه "صهيب" مُبتسمًا باتساع:

_ وعهد الله.

_ ولا أنت هتستعبط!! هو إيه اللي هتتجوز أنت جرى لمحك
حاجة!!!

علم "صهيب" الآن بأنه على وشك دخول نقاش حاد مع
شقيقه الآن، لذلك سحبه معه إلى الأريكة ثم وضَّح له وجهة
نظره قائلاً:

_ اقعد يا "قاسم" واسمعي، أنا عارف إن من حَقك تضايق
بس كل حاجة حصلت النهاردة أساسًا وانشغلنا في موضوع
الإجتماع عشان كدا ملحقتش أقولك، يعني مخبتش عليك ولا
حاجة.

كان وجه "قاسم" جامدًا مما بثَّ القلق في قلب "صهيب"، وما زاد من خوفه هو حديث شقيقه الذي أمره باختصار: إحكي.

تتهد "صهيب" بعمق، ثم بدأ بقص كل الأحداث التي مرت عليه دون أن يترك تفصيلاً واحدة، بدايةً من شجاره الحاد مع "صوفيا" حتى أخذه لـ "حبيبة" إلى منزله بعيداً عن برائث والدتها التي يُمكن أن تطالها أثناء غيابه، أنهى حديثه موضحاً سبب رغبته في الزواج منها:

بعيداً عن إني بحبها، بس أنا فعلاً عايز أتجوزها في الوقت الحالي عشان عارف إن أمها مش هتسكت وهتقلب الدنيا، خصوصاً إن "حبيبة" بالنسبائها عاملة زي الفرخة اللي بتبيضلها بيضة ذهب، وهي مش هتفرط فيها بسهولة، وبالقانون هتطالب بيها وأنا عارف، عشان كدا عايز أسبقها بخطوة وأتجوزها عشان تكون في بيتي وليا كامل الحرية فيها.

كان "قاسم" يُتابع حديثه بجمود، وبعد أن انتهى "صهيب" من قصه للأحداث، أردف هو بشيء من السخط:

بُص يا "صهيب" أنت أخويا وعارف إني بخاف عليك حتى من نفسي، وأنا عارف إن "حبيبة" ملهاش ذنب في اللي عيلتها عملته واللي لسه بيعملوه، بس في النهاية الدم واحد، الغدر بيمشي في دمهم زي الإدمان، وصدقني أنا لو شكيت فيها في يوم بنسبة 1% إنها معاهم وممكن تأديك؛ أنا مش هتردد لحظة إني أنهيا من على وش الأرض.

اقترب "صهيب" من "قاسم" ثم احتضنه قائلاً:

ربنا يخليك ليا يا "قاسم"، بس صدقتي مفيش داعي لكل دا، "حبيبة" تُعتبر متربية معايا وعارف إن شخصيتها ضعيفة وغيرهم صدقتي والله، وبعدين أنا مش عيل صغير وبعرف أفرق بين الطيب واللي بيدعي الطيبة.

ابتعد عنه "قاسم"، وأخيراً رسم ابتسامة مُحبة على ثغره وهو يُهنئ شقيقه:

إذا كان كدا فألف مبروك يا حبيبي، وأنا هكون أول الشهود على جوازتك دي، وكمان هجيب الشباب عشان يشهدوا مع "حبيبة" لأنها لوحدتها.

احتلت الحماسة وجه "صهيب"، فقفز منه مكانه صائحاً بتهليل:

_ربنا يخليك ليا يا أحلى أخ في الدنيا.

كان الجميع يجلسون على الأرائك ينظرون ببلاهة تجاه ذلك العريس المزعوم والذي أتى لخطبة "لواحظ"!!؟! اعتدل "رائد" في جلسته ثم تحدث بسخرية موجهًا حديثه لـ "عبدالقادر":

_والأفندي معاه مؤهل إيه؟!!

وضع "عبدالقادر" يده على صدره مُتمتمًا بفخر:

_أنا خريج أولى إعدادي يا عمي.

_عمك؟!!

نطق بها "رائد" بإستتكار، فأكد عليه الآخر وهو يقول بإحترام زائد:

_أيوا طبعًا، وكل طلباتكم أوامر من العين دي للعين دي، ولو عايزيني في أي مصلحة حكومية كمان أنا تحت أمركم

خرج صوت "محروس" الذي كان يغلي في مكانه وهو يقول بإستخفاف:

_ودا إزاي بقى إن شاء الله!! هروح للظابط وأنا شايل في إيدي اتنين كيلو جزر!!

كان وجه "عبدالقادر" جادًا للغاية عندما أجابه بثقة:

_أنت مش عارف الاتنين كيلو جزر يعملوا إيه؟! وبعدين أنا مش هجيب جزر أنا هجيب تفاح.

تدخل "رائد" في الحديث مُردفًا بإقتناع زائف:

_لأ طالما تفاح يبقى كدا عداك العيب وأزح.

حوّل "محروس" أنظاره تجاه والدته التي تنظر للأرض على استحياء سائلًا إياها بابتسامة صفراء يشوبها الحنق:

_وأنتِ رأيك إيه يا عروسة!؟

أجابته بصوت خفيض ناتج عن خجلها:

_اللي حضرتك تشوفه يا أبيه.

حارة القناص

مصمص "رائد" على شفثيه أثناء قوله المُتسنكر:
_ "لواحظ" بتقول أبيه؟! الله يرحم.

كان كل هذا و"چيهان وسهيلة" يتابعون المشهد بضحكات
مكتومة، لا يُصدقون ما تراه أذنيهم وتسمعه أعينهم!!
"لواحظ" تريد الزواج في سن الثمانين!!

مالت "سهيلة" على أذن والدتها قائلة بهمس ضاحك:
_ إيه رأيك في اللي بيحصل دا يا ماما؟!!

أجابتها "چيهان" بهمس مُماثل في محاولة ألا تضحك:
_ والله أنا شايفة إن سِتِّك من حقها تتجوز وتشوف
مستقبلها.

_ مستقبل إيه يا ماما؟! تاتا رجليها والقبر أساسًا.

نكزتها والدتها في جانبها وهي تقول بحنق:
_ اسكتي يابت إيش فهمك أنتِ بعد الشر عليها، وبعدين فيها
إيه لما تتجوز وتملى علينا البيت بعيال صغيرة تجري هنا
وهناك؟!!

ابتعدت "سهيلة" عن والدتها قليلاً مُحدجة إياها بريبة، ثم
حوّلت نظراتها لذلك العراك الناشب بين أبيها وأخيها
و"عبدالقادر" وهي تُتمتم بصوت غير مسموع:
_ العيلة كلها باين عليها اتهطلت.

حاول "عبدالقادر" إقناعهم بفكرة زواجه من "لواحظ"، لكن
"محروس" صاح بحدة وهو يهب من مكانه بغضب:
_ لأ يعني لأ يا حج معندناش بنات للجواز، ويلا اتفضل من
غير مطرود.

هَبَّ "عبدالقادر" من مقعده هو الآخر مُتسائلاً بضيق:
_ يعني إيه يا عم "محروس"؟! أنت بتطردني!؟

جاءه صوت "محروس" الغاضب قائلاً:
_ أه بطردك يا حج، ولو سمحت ابعده عن أمي خالص، بنات
الناس مش لعبة.

أصلح له "رائد" حديثه متشدقاً بسخرية:
_ قصدك أمهات الناس مش لعبة يا بابا.

صحح "محروس" مقصده وهو يقول بحنق:
_ أمهات الناس مش لعبة يا حج "عبدالقادر".

ضرب "عبدالقادر" بعصاه على الأرض الصلبة متشدقًا
بغلظة:

_ يعني دا آخر كلام عندكوا؟!!!

تسائل هو، ليؤكد عليه "محروس" قائلاً:
_ آه آخر كلام عندنا، شرفتنا يا حج.

قطب "عبدالقادر" حاجبيه الكثيفين ثم اتجه ناحية الباب
بخطوات غاضبة، نادته "لواحظ" التي أردفت ببكاء:
_ استنى يا "عبد".

التفت إليها "عبدالقادر" والذي تحدث بهدوء يحمل بين
طياته الحزن:

_ حُبنا اتحكم عليه بالموت يا "لواحظ" قبل ما يبدأ، سلام يا
سِت الكُل.

استدار هو ليذهب، بينما هي سقطت دموعها بأسى،
حدجتهم جميعاً بغضب حتى صاحت بهم بغضب:

_ هتجوزه يعني هتجوزه انتوا سامعين!!! محدش ليه كلام
عليا انتوا نسيتموا نفسكم ولا إيه؟! بكرة هسييلكم البيت
وأغور ووقتها هتعرفوا قيمتي.

قالت كلماتها ثم هرولت إلى غرفتها لتستكمل وصلة بكاؤها،
ضرب "محروس" كفه بالآخر مُتمتاً بسخط:
_ لله الأمر من قبل ومن بعد، ربنا يهديك ياما.

اتجه "رائد" نحو الحقائب البلاستيكية التي تحتوي على كل
أنواع الفاكهة التي أتى بها عريس جدته إلى هنا وفتحها
بحماس، ليلتقط منها ثمرة من الموز الطارج أثناء قوله
السعيد:

_ أخيراً طلعنا بمصلحة من ورا الجوازَة الشُوم دي!

قام بتقشير الموزة، وما كاد أن يلتهمها حتى استمع إلى
صوت الباب مُجدداً يطرق بعنف، ذهب ليفتح بضجر مُتمتاً
ببعض الكلمات التي لم تكن واضحة بالنسبة للآخرين، لكن
من تعبيرات وجهه كان يبدو بأنه يسُب الطارق.

فتح الباب ليجد أمامه "عبدالقادر" والذي ما إن رآه حتى هتف بسخط:

_ جرا إيه يا حَج "عبده" ما قولنا معدناش أمهات للجواز!؟!

دفعه "عبدالقادر" عن طريقه ثم دلف للداخل دون أن ينبث بكلمة واحدة، واتجه لحقائب الفاكهة التي أتى بها إلى هنا ثم حملها واتجه للخارج مرة أخرى، وقبل أن يُغلق الباب انتشل ثمرة الموز من يد "رائد" وبعدها هتف ساخطاً:

_ هات دي كمان، حر وناز في جنتكوا.

فتح "رائد" فاهه من الصدمة وهو يتابع أثره الراحل، ثم هتف بحسرة وهو يُنادي عليه:

_ طب هات الموزة طيب!!

لم يُجيبه "عبدالقادر" وأكمل رحيله، ليُغلق "رائد" الباب بحنق مُتمتاً بضيق:

_ حسبي الله ونعم الوكيل، معرفش الناس بقت قلوبها سودة كدا ليه!؟!

حارة القناص

نفخ "محروس" بحنق مُحدجًا ابنه بسخط، فالتفت إلى زوجته مُمسكًا بيدها قائلاً:

_تعالى ندخل جوا يا "چيچي" أصل أنا أعصابى تعبت النهاردة.

أجابته "چيهان" برقة وهي تتجه معه نحو الغرفة:
_تعالى يا حبيبي.

تابعهم "رائد وسهيلة" بتشنج وكاد أن يُعلق؛ لكنه وجد هاتفه يُنير بإسم "قاسم"، لذلك أجابه دون تردد:
_ايه؟!!

جاءه صوت "قاسم" الصارم:
_جتك أوه في جنابك، نص ساعة والأقيك قدامي متتاخرش ورانا مشوار مهم.

لم ينتظر سماع إجابته أو اعتراضه، بل أغلق الهاتف بوجهه دون أن يُعطي له مساحة للرد، تأفف "رائد" بحنق ثم أعاد خصلاته المُشعثة للخلف وذهب للخارج مُتجهًا حيث يوجد أصدقائه.

بينما دلفت "سهيلة" إلى غرفتها وأحكمت إغلاق بابها،
وكالعادة اتجهت نحو فراشها مُمسكة بهاتفها بين يديها لتبدأ
بقراءة رواياتها المُحببة إلى قلبها، لكن ليست كأي روايات
طبيعية، بل إباحية!

بدأت بالقراءة حتى وصلت إلى مشهد مُعين لتتسع عينيها
بحماس طاغي، أصبحت السطور تنتشلها لتُشدد من الضغط
فوق رقبتها وهي لا تشعر بذلك، بل باتت تشعر بالتلذذ
والإستمتاع عند قراءتها لذلك الحديث وتلك الأفعال الخادشة
بلا حياء، ابتلعت ريقها بتوتر عندما أتبعَت الكاتبة المشهد
بصورة مُتحركة كانت أقل ما يُقال عنها أنها قمة في القذارة،
وللعجب لم تخجل أو تُعطي أي ردة فعل سوى أنها ظلت
تُعيدها وتُنظر إليها بتمعن.

لقد ضاعت! ضاع حياؤها وبرائتها بسبب تلك الكلمات
المُخلّة، وهي مُراهقة ذات مشاعر ضعيفة هشة، ساقتها
الحروف والكلمات لتُصبح سكيرة لها، مانعت وحاولت
الإبتعاد في البداية ونجحت، وجاء أصدقائها لِيَسحبونها لذلك
المُستنقع مرة أخرى، وتلك المرة وقعت! وقعت وتسرب كل
عالمها الوردِي من حولها وتُسجن في بحور من الكلمات
المُظلمة، وإن غرقت فلن تجد من يُنجدها.

انتهت من قراءة الرواية كاملة بكل ما بها من ألفاظ بذينة وحروف مُنمقة بسُم مخفي، شعرت بوجهها يشتعل من حرارته عندما تتذكر تلك المشاهد الوقحة والصور المُتحركة التي وُضعت بين الكلمات، وهُنا كانت الصدمة الكُبرى؛ عندما شعرت بنفسها تحثها على مشاهدة فيلم أو مقاطع رومانسية تحمل في طياتها تلك المشاهد، تريد رؤيتها تلك المرة وليست قراءتها فقط!

عُضت على شفيتها تحاول إيجاد حلًا لتلك المُعضلة، تشعر بالذنب لكن في الوقت ذاته الأمر يُشغلها بقوة، أمسكت بهاتفها مرة أخرى ودلفت على المحادثة التي تجمعها مع أصدقائها وكتبت لهم الآتي:

_"عايزة فيلم أجنبي رومانسي يا بنات يكون حلو، حاسة بملل رهيب".

ورغم أن كلماتها كانت بريئة ولا يوجد بها أي شيء يُؤخذ بنية قدرة؛ إلا أنها كانت متأكدة أن صديقاتها سيجلبن لها فيلمًا غير لائق بتاتًا كما اعتادوا المُشاهدة، وكيف لا يُشاهدونها وهم من سحبوها للأعماق!!

انتظرت قليلاً حتى وجدت إشعار للرسائل ففتحت هاتفها سريعاً، لتجد صديقتها "ساندي" قد أرسلت لها أحد الروابط،
تبعها بقولها المُتحمس:

__"الفيلم دا تحفة اتفرجي عليه هيعجبك أوي."__

ابتسمت بانتصار عندما شاهدت غلاف الفيلم، كان سيء، بل سيء للغاية!! ورغم ذلك دلفت على الرابط لتُشاهد مُقدمته والتي كانت في قمة القذارة، نسيت تَعَفُّفها وتربية والديها وبدأت تسير على نهج الشيطان، زين لها الأوساخ لتراه عالمًا عاديًا مليء بالمحرمات، وهي التي كانت تمقط تلك الأفلام!

مرت ساعة ونصف وكان الإدرنالين قد ارتفع في جسدها من قذارة ما تراه، بل كانت تُعيد المشاهد التي تعجبها أيضاً؟! وبعدها أنهته؛ شعرت برغبة عارمة في تجربة كل ما قرأته وشاهدته الآن، تجربة حسيّة ملموسة!!!!!!

تجمع الشباب أسفل العمارة التي يقطن بها "صهيب" ومعهم المأذون بالطبع، لكنهم لم يدلفوا من البوابة

حارة القناص

الرئيسية، بل دلفوا من الباب الخلفي للطواريء حتى يأخذوا احتياطاتهم، صعدوا بالمصعد حتى وصلوا ودلفوا للشقة بعد أن فتح لهم "صهيب" الباب ورحب بهم للجلوس في غرفة المعيشة:

تفضلوا يا جماعة وأنا ثواني هجيب العروسة وجاي.

أومأوا له ودلف هو للداخل، طرق على الباب بهدوء ثم قال بخفوت:

_ "حبيبة" افتحي الباب أنا "صهيب"._

انتفضت "حبيبة" من مكانها فور أن استمعت لصوته قائلة بنبرة مرتعشة دون أن تفتح له:

نـ.. نعم.

افتحي الباب يا "بيبة" عايزك ثواني.

قالها بنبرة حنونة، لتُنفى هي بوجهها وكأنه أمامها ويراهها، ثم أجابته بخوف:

لـ.. لأ.. قول عايز إيه.. من هنا.

استشعر خوفها وحساسيتها تجاهه فأردف بصوت حنون
وصل لها:

_ افتحي بس عايزك في موضوع مهم وأوعدك هخرج على
طول والله.

قضمت أظافرها بتوتر تشعر بأنها على وشك البكاء مُجددًا،
وبتردد بطيء اتجهت ناحية الباب حتى باتت خلفه مُباشرةً،
فتسائلت بإرتعاش ليؤكد لها حديثه:

_ هتخرج على طول صح؟!!

ابتسم بحزن على خوفها الملحوظ مُجيبًا إياها بألم حاول
إخفاؤه عنها قدر الإمكان:

_ آه يا حبيبي هخرج على طول، أنا بس محتاج أتكلم معاكِ
شوية.

شعر بصوت فتح قفل الباب ببطيء فاستعد لقول ما يريد
بلطف حتى لا تهابه، فتحت "حبيبة" الباب على مهل،
فظهرت هي من خلفه ووجهها متورم من البكاء كذلك
عينها أصبحت أشد إحمرارًا مما كانت عليه من قبل، وما
إن رآته حتى انفجرت باكية دون إهتمام بمظرها الذي أصبح

مُشعناً بدرجة كبيرة، انطلق إليها مُمسكاً بذراعها وهو يسألها بقلق:

__إيه اللي حصل يا "حبيبة" مالك؟! حد جه هنا؟!!!

هزت رأسها بالنفي إجابةً على أسئلته، وما كاد أن يسألها مُجدداً؛ حتى وجدها ترتمي بين ذراعيه تُعاتبه ببيكاء ظهر الألم واضحاً بين طياته:

__افتكرتك سيبتني ومشيت، أنت قولتلي هتخرج ساعة وتيجي وأنت بقالك 3 ساعات برا، بحسبك زهقت مني وهتسيبني زيهم.

هددها كالطفلة الصغيرة وكم شعر بالأسى على حالتها، نعم.. هي طفلة وتحتاج إلى الرعاية والاهتمام، تحتاج إلى أن تكون الوجهة الأولى لا المحطة العابرة، تحتاج أن تستعيد ثقتها بنفسها، وهو سيساعدها في كل ذلك، خرج صوته حنوناً وهو يُخبرها:

__ عمري ما هسيبك يا "حبيبة"، عارفة ليه؟!!

خرجت من أحضانها ووجها مُملتيء بالدموع، تنظر له بترقب وكأنها تسأله لماذا؟! ليُكمل هو حديثه متشدقاً بشغف وأعين مُلتمة بالعشق:

_ عشان بحبك.

أردف بها ببطيء مما أدى إلى زيادة ضربات قلبها بعنف،
أكمل حديثه بإبتسامة باهتة مُنتويًا بإخبارها بما أتى لأجله:

_ ودلوقتي أنا عايز أتكلم معاك في موضوع مهم وعايزك
تسمعيني للآخر من غير ما تقاطعين، تمام؟!!

وبالخارج... تأفف "فور" وهو يُصيح بضجر:

_ لما تأخر هكذا؟!!

أجابه "رائد" بعبثه المُعتاد:

_ سيبه ياعم يعيش دنيته متبقاش قطاع أرزاق.

_ يا رفاق أنا جائع.

لا داعي بأن نُخمن من صاحب تلك الجُملة، نظر الجميع
لـ "فور" بإشمئزاز؛ ليبتلع ريقه بقلق قائلاً بنبرة غاضبة:

_ لماذا تُحدقون بي هكذا يا أوغاد!!

رد عليه "چون" ضاجرًا:

_ ما بك يا أخي لقد أكلتُ كثيرًا اليوم!

تحول وجه "فور" للسخن وهو يسأله بصدمة:

_ أنا أكلت كثيراً!!! هل تُمازحني!! أنا لم أكل سوى سبع
مرات عكس الليلة الماضية يا مُغفل.

مطً "قاسم" شفتيه قائلاً باقتناع:

_ لا كدا معاك حق، حتى باين عليك خاسس وهفتان كدا.

قاطعهم صوت المأذون الذي أردف بملل:

_ فلتنادوا للعروسين من فضلكم يا شباب، ورايا شغل.

جاء بتلك اللحظة "صهيب" ومعه "حبيبة" التي بدلت ثيابها
لأخرى مُحتمشة جلبها لها ليلة أمس، جلست على المقعد
البعيد نسبيًا عن الشباب تفرك كلتا يديها بتوتر شديد، تشعر
بالخوف مما هي مُقدمة عليه وبذات الوقت تشعر بالأمان
لوجود "صهيب" إلى جانبها.

بدأ المأذون بإلقاء كلماته المعتادة وكاد أن يبدأ خُطبته
الطويلة التي يُلقبها عادةً؛ فقاطعته "قاسم" الذي أردف
بتملل:

_ خُش في الموضوع على طول يا شيخنا الله يسترِك.

طالعه المأذون بضيق وبدأ في حديثه بعد أن وضع قاسم يده بيد "رائد" الذي قرر أن يكون وكيلًا للعروس، مرت عدة دقائق قليلة حتى أنهى الشيخ حديثه قائلاً:
_ "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير".

استمع الجميع إلى صوت زغرودة عالية كان مصدرها "رائد" بالطبع، ضحك الجميع عاليًا فالتفت "رائد" إلى "حبيبة" الجالسة على مقعدها والتي كانت تُراقبهم بإبتسامة طفيفة فاتحًا ذراعيه لها تبعها بقوله المازح له:
_ بنتي حبيبتي تعالي في حضن بابا.

كاد أن يذهب إليها وهو فاتحًا ذراعيه لها؛ لكنه وجد يد تمنعه تُمسك به من ياقة قميصه تهزه بعنف:
_ رايح فين يا حيوان أنت؟!!!

نظر "رائد" لـ "قاسم" بضجر، وحاول الإفلات من بين يده وهو يقول بصخب:
_ وسع يا عم، مش أنا كنت وكيلها!! يعني في مقام أبوها!!
يعني محرم عليها!!

تشنج وجه "قاسم" وهو يسأله بجهل:

_ أنت اخترعت دين جديد ولا إيه؟! أنت أهبل يبني ولا
دماغك تعبانة ولا "لواحظ" خرطت عليك ولا إيه النظام?!!

_ وسع بس يا عم متبقاش قطاع أرزاق ورخم كدا.

دفعه "قاسم" لـ "صهيب" الذي كان يحدجه بسخط هو
الآخر، وما إن أصبح بين يديه حتى ارتسمت إبتسامة
شريرة على ثغره متشدقًا بخبث:

_ تعالى بقى يا حبيبي وقولي كنت عايز تحضن مين?!

ابتلع "رائد" ريقه بتوتر مُجيبًا إياه بجهل:

_ أحضن إيه يا أخ "صهيب" عيب كدا على فكرة، أنا واحد
محترم ومليش في قلة الأدب دي.

هز "صهيب" رأسه بإقتناع زائف قائلاً:

_ صدقك يا حبيبي، صدقك يا عين أمك.

أنهى حديثه وهو يتركه قائلاً بضجر له:

_روح وصل عم الشيخ لتحت ومش عايز أشوف وشك
الحو دا هنا تاني يا محترم.

رفع "رائد" رأسه بعنجهية مُردفاً بتكبر:

_أنت الخسران على فكرة، يلا تشاو يا بيبي.

ذهب "رائد" لإيصال المأذون للأسفل، بينما ظل الثلاثة
الآخرون قليلاً مُعرفاً إياهم لحببية على أنهم مجرد أصدقائه
بالعمل، فهي بالنهاية لا تعلم بأنه لا ينتمي لعائلتها الحقيرة،
وأخيراً جاء موعد الوداع، فاحتضن "قاسم" أخيه بقوة
هامساً له بحب:

_ألف مبروك يا حبيب أخوك.

أجابه "صهيب" بإبتسامة هادئة:

_الله يبارك فيك يا حبيبي.

ابتعد عنه وودع كلاً من "جون وفور" وبعدها اتجه الجميع
للأسفل حيث ينتظرهم "رائد".

بعد ذهابهم... إلتفت "صهيب" إلى "حبيبة" التي تنكشف على ذاتها بخجل، اقترب منها حتى جلس بجانبها دون حتى أن يتحدث بكلمة واحدة، ظنت بأنه لربما قد تزوجها رَغْمًا بسبب تلك الظروف التي وضعت كلاهما في ذلك المأزق، فتحت فمها في نية للإعتذار منه؛ لكنه باغتها بإحتضانه لها مُشدِّدًا من ضمها، وكأنه يعتذر لها عن قساوة العالم وما مرت به من آلام.

وجدت دموعها تهبط تلقائيًا دون أن تتحدث، ثوانٍ وكان صوت شهقاتها يعلو في الأرجاء، وهو تركها تُخرج تلك الطاقة السلبية التي تُخزنها بداخلها ولم يُمانع، فقط كان مُحتضنًا إياها وهي تبكي، تبكي مرارةً على ما مرت به بسبب والدتها، والدتها التي حولت حياتها لجحيم من أجل الشهرة والمال، كانت تستخدمها كسلعة رخيصة يمكن للجميع التعدي عليها، وهو جاء كالفارس المغوار يقف في وجه الجميع للمدافعة عنها، رغم قسوته معها من البداية لكنه أثبت لها حُسن نيته.

مرت الدقائق وربما الساعات وهما على نفس تلك الوضعية، حتى ابتعدت هي عنه بخجل، أراد أن يُمازحها فنظر إلى قميصه الأزرق المُبتل من دموعها قائلاً بأسى مُصطنع:

_ينفع كدا بوظيتلي القميص!! دا أنا شاريه جديد من 2011
يا شيخة.

كادت أن تعتذر له؛ لكن ما إن استمعت إلى حديثه الأخير
ضحكت بخفة من مزحته، ماسحة لدموعها بكف يدها
بطفولية، تابعها "صهيب" بولهان دون أن يدري، أدركت
إطالته في التحديق بها مما أدى إلى اشتعال وجهها من
الخجل.

هبَّ من مكانه فجأةً وأمسك بيدها ليجذبها معه دون أن
يتحدث بكلمة واحدة، سألته بصوت خفيض مُتحشرج من
أثر البكاء:

_واخذني على فين؟!!

أجابها بحماس وهو ينظر لها:

_تعالى شوفي جبتك حاجة حلوة.

احتلت الحماسة منها وذهبت معه بسرعة، حتى دلفا إلى
غرفة غير تلك التي كانت تقطن بها، وجدت حقائب كبيرة
بلاستيكية مغلقة، فجلست هي على الفراش وهو جلس
بجانبها ثم بدأ بفتح أحد الأكياس بحماس، أخرج من الحقيبة

الأولى الكثير والكثير من الطعام والعُلب المُغلقة وزجاجات من الصودا الغازية، وأمسك بالحقيبة الأخرى والتي كانت تصغرها بكثير وقام بفتحها، لينتشل منها قطع المارشميلو ومربعات الشيكولاتة الفاخرة التي تعشقها هي، وضع كل ذلك على قدمها ثم رفع أنظارها يسألها بترقب وحماس:

__ ها إيه رأيك عجبوكِ.

كانت تشعر بالسعادة تغزوها من أولها لآخرها، لقد جلب لها كل شيء تحبه دون أن يُفوت أي شيء، أكياس البطاطش المُقرمشة، والقهوة والنسكافيه، وقطع الحلوى بالبندق المُفضلة لها، وكذلك بعض التسالي كالب والبوداني وغيرها، صرخت بحماس عندما وجدت ضالتها قائلة بسعادة جلية:

__ الله سحلب؟!!!!

أوما لها بتأكيد وابتسامته تتسع تلقائياً عندما يرى سعادتها من أقل الأشياء، قفزت بحماسة عندما استمعت إلى صوت السماء تصدر صوتاً عالياً، فاستدارت له قائلة بوجه صافي ونقي:

__ الله بجد!! الجو بيمطر، ومعانا سحلب ولب وشيبسي، فاضل بس نتفرج على فيلم رعب وهيكون دا أحسن يوم في حياتي كلها.

وقف "صهيب" من مكانه ثم غمزها قائلاً بمشاكسة:

ومنعملش كدا ليه!! يلا يا حبيبتى روجي اعلمي أنتِ
السحلب وأنا هجيب البطانية وأجهز اللب والشيبسي والفيلم
الرعب اللي أنتِ عايزاه كمان.

أومات له بسعادة ثم انتشلت بودة السحلب من على
الفراش وسارت عدة خطوات إلى المطبخ، لكنها توقفت
واستدارت له ناظرة إليه بعمق، فتح فمه ليسألها عن سبب
توقفها؛ لكنها فاجئته عندما عادت له مُجدداً مُحْتَضِنَةً إياه
بقوة، ثم همست له بامتنان:

شكرًا أوي.. شكرًا بجد.

قالت جملتها ثم ابتعدت عنه وخرجت من الغرفة بخجل
وصدمة مما فعلته، بينما تركته هو بعد أن بعثرت له
مشاعره من ذلك العناق اللطيف، ازدادت ابتسامته وهو
يحتضن كيس المقرمشات قائلاً بـ وَله:

يخرابي عليها وعلى جمالها يا ولاالاد.

حمم بجدية بعد أن انتبه للوضع المضحك الذي وُضِعَ به
الآن، ثم حمل اللحاف بيد وباليد الأخرى أمسك بالمقرمشات

والتسالي وخرج بهم إلى غرفة المعيشة حيث يوجد التلفاز، وضع الحقائب على الطاولة وأفرغهم في أطباق من الزجاج المزخرف، وقام بفرد الفراش على الأريكة الواسعة، وبعدها قام بجذب جهاز التحكم وظل يُقلب في القنوات حتى توقف على أحد الأفلام الأجنبية الممتعة وجلس ينتظرها.

بعد دقائق قليلة.. جاءت إليه وهي تحمل كوبين من مشروب السحلب الساخن، وضعت الصينية على الطاولة ثم جلست جانبه على الأريكة مُتَحاشية النظر إليه، فهي ما تزال تخجل من فكرة وجودها وحدها بجانبه، بل وزوجته أيضاً.

قاطع شرودها عندما جذبها له لتُصبح محاصرة بين أحضانها، ذراعه مُلتف حول كتفها وبعدها وضع اللحاف الثقيل فوق جسدها كليهما ليبتئها بالدفيء، ابتلعت ريقها بخرج شديد واغمضت عيناها تُحاول الحفاظ على ثباتها الواهي الذي يُبعثه هو بثوانٍ، شعرت بأنفاسه الساخنة تلمح بشرة عنقها، تبعه قوله الهامس:

__ افتحي عينيكِ واتفرجي على الفيلم.

فتحت عيناها فوجدته قريب منها حد اللعنة مما زاد من توترها، قرر التخفيف عنها قليلاً فانحنى للإمام منتشلاً

المشروب الساخن ثم أعطاه لها قبل أن يبرد، وبعدها أخذ خاصته وبدأ في إرتشافه هو الآخر.

وانقضت ليلتهم الأولى معاً في جو هاديء مليء بالحب والألفة، مشروب ساخن، تسالي رائعة، فيلماً ممتعاً، وأخيراً غطاءً يحيط بأجسادهم الباردة لمنحهم الدفيء.

انقضى اليوم الآخر بهدوء كذلك، حتى أسدل الليل ستاره، وتجلبت السماء بجلبابٍ كثيفٍ من الظلمة، وجاء اليوم المنتظر.

تجمع الجميع بمكان فارغ أشبه بالصحراء يقفون كدائرة كبيرة، حيث كان يوجد "قاسم، صهيب، رائد، فور، جون، يحيى، أهلة، يمنى، وأخيراً ملك"، الجميع يرتدي ثياباً سوداء تماثل الظلام من حولهم، عدا ذلك الضوء الساطع من مصابيح سياراتهم، هنا وتحدث "قاسم" بجدية موجهة حديثه لـ "أهلة":

ـ "أهلة" نفذتي اللي اتفقنا عليه؟!!

أومات له بنعم مُجيبة إياه بثقة:

حارة القناص

_أيوا.. كلها نُص ساعة بالكثير والخبر هيتتشر والدنيا هتقوم بعدها.

وجّه بعدها حديثه لـ "ملك" متسائلًا بترقب:

_وأنتِ يا "ملك" عرفتِ حاجة؟!!

أجابته بثقة:

_أيوا طبعًا يا أبيه، "أنس الأرماني" وأبوه جايين على طائرة الساعة واحدة النهاردة، يعني كلها ساعة وهيكونوا موجودين في مصر.

في البداية كز "قاسم" على أسنانه بغيظ، لكنه ابتسم بخبث عندما استمع لبقية حديثها مُتمتًا بشر:

_كدا تمام أوي.

تحدث "چون" تلقائيًا مُوجهًا حديثه لـ "قاسم":

_وأنا قُمتُ بتهكير شركة الأرماني للأغذية، كذلك قد كشفتُ عن كل الصفقات الغير مشروعة التي قاموا بها ومعها منها نسخة أصلية.

ربت "قاسم" على كتفه بفخر قائلاً:

_ راجل.

تدخل "يحيى" في الحديث متشدقًا:

_ وأنا هسهل دخولكم لشركة الأرماني وهنيم الأمن
الموجودين فيها عشان يبقى سهل علينا الدخول والخروج.

_ وطبعًا مش محتاج أقولكم إن وجودي مهم بما إني ظابط
هسهل ليكم الموضوع وحافظ الرجالة بتوعي على مسافة
بعيدة من هنا عشان لو فيه أي عوق ولا حاجة.

أردف بها "صهيب" بثقة، وبعدها تمتت "يمنى" بتخطيط:
_ وأنا اللي هدخل لـ "مختار الأرماني" المكتب بتاعه.

_ وأنا جائع يا رفاق!

تأفف الجميع ليقول "قاسم" بنفاد صبر:

_ فيه ساندوتش جبنة في العربية خُده يا "فور" واسكت الله
يكرمك.

بدأ الجميع في تنفيذ الخطة، جلست كلاً من "ملك وأهلة" يراقبون الوضع بكاميرات المراقبة التي قاموا بزرعها، بينما "يمنى" اتجهت نحو مدخل الشركة الرئيسي لمقابلة "مختار" الأرمني في مكتبه الشخصي، وعلى بُعد قريبٍ منهم جلس "چون" داخل سيارته الخاصة وبجانبه "صهيب" يراقبون الوضع بأكمله، و"يحيى" ذهب للأمن ليسهل الطريق على "يمنى" بالدلوف، أعطاهم كوبين من الشاي وهم أخذوه منهم لأنهم يعرفونه حق المعرفة، وبعد دقيقتين وقع الحارسان أرضاً، فدلفت "يمنى" مُهرولة للداخل، وجاء كلاً من "قاسم وفور" وأخذا الحارسان بعيداً عن المكان، بينما "چون" قام بتعطيل كاميرات المراقبة ببراعة.

وفي السيارة.. هاتف "ملك" المدعو "أنس" وبجانباها "أهلة" التي تُحدجها بعدم رضا، لم تهتم "ملك" لها كثيراً، بل أكملت حديثها قائلة برقة:

وحشتني يا "أنس"، كل دا في المطار!

انتظرت قليلاً حتى هتفت بجزع:

_إيه!! وصلت مصر!!... لا.. لا طبعاً فرحانة بس اتصدمت شوية.... مش أنت قولت إن هتيجي هنا على الساعة

حارة القناص

واحدة... آه طبعًا مفاجأة روعة... طب سلام بقى عشان ماما
بتنادي عليا.

بينما وضعت "أهلة" يدها فوق رأسها مُتمتمة مع ذاتها
بصدمة:

_يا نهار أبيض يعني إيه وصل مصر!!

ردت عليها "ملك" بجزع:

_معرفش.. معرفش.. هو قالي إمبراح إنه هيجي الساعة
واحدة.. قالي هينزل على الشركة على طول.

انتفضت "أهلة" من مكانها والتي هتفت بهلع:

_يعني قدامه نص ساعة ويكون موجود هنا صح!؟!

أكدت عليها "ملك" حديثها وهي توميء بنعم وإمارات
الخوف والهلع مُرتسمة على وجهها، بينما وجهت "أهلة"
أبصارها تجاه الشركة الموجودة على مرمى بصرها، وكل
ما يُشغلها هو وجود شقيقتها في الداخل وحدها مع "مختار
الأرمني"!!؟!!

أخرجت "أهلة" هاتفها من جيب بنطالها طالبة رقم "قاسم" على عجلة، لكن لسوء حظها هو لا يُجيب، حاولت جاهدة مرة واثنان وثلاثة لكن كانت تأتيها نفس النتيجة، هو لا يُجيب!!

وبالداخل.. دلف "قاسم" من الباب الخلفي للشركة ومعه "فور"، أخرجوا أسلحتهما والتي يُحيطها مانع الصوت، التفت "قاسم" على بغتة عندما شاهد ظل ثلاثة رجال يأتون نحوهم، لكن تكفل بهم هو و"فور" حيث أطلقوا الرصاصات على رؤسهم، أكملوا البحث عن ضالتهم فوجدوا ذاتهم داخل مكان مظلم يُشبه المُستودع، كاد "فور" أن يتحدث؛ لكن أوقفه "قاسم" الذي نظر حوله هامساً بريية:

ششش.. دا كمين.

سار كلاهما على مهل وبطئ، وأعينهم تدور في كل ذرة في المكان، لمح "فور" طيف يأتي من خلف أحد الجدران، ليُشير لـ"قاسم" دون التحدث، انتبه "قاسم" على ما يقصده وبالفعل وجد ظلين لرجلين ضخمين الجثة، اقتربا على مهل، وهم يرفعان أسلحتهم أمام وجوههم، خرج الآخران من خلف الجدران وكادوا أن يُطلقا، لكن سبقهم كلاً من "قاسم" و"فور" وأطلقا عدة طلقات على صدورهم.

حارة القناص

شعر "قاسم" بَاهْتزاز في جيب بنطاله للمرة العاشرة تقريبًا لكنه لم يُبالي في البداية، ومع تكرار الرنين أجاب بسرعة عندما وجد اسم "أهلة" يُزين شاشة هاتفه:

_ألو!!

جاءه صوت "أهلة" المُرتعب وهي تقول بهلع:

_ "قاسم" أنت مبتردش ليه؟!!! "أنس الأرماني" ربع ساعة بالكثير وهيكون عندكوا.

_ نعم ياختي؟!!!

أجابها بتلقائية، لتؤكد "أهلة" على حديثها قائلة بأنفاس لاهثة:

_ "يمنى" يا "قاسم"، هات "يمنى" وأخرج من الشركة بسرعة، شكله كمين.

حكَّ "قاسم" وجهه بعنف قائلاً باختصار وهو يُغلق معها:
_ تمام.. سلام أنتِ دلوقتي.

حارة القناص

أغلق معها الهاتف وهرول لمدخل الشركة وبالفعل لم يجد أي رجال موجودة غير الأربعة الذين قاموا بقتلهم!! إذاً هناك خطة دنيئة هيكت جيداً عليهم، هناك خائن؟!!!

صعد "قاسم" درج الشركة مُسرِعاً وخلفه "فور" الذي لم يفقه أي شيء حتى الآن، وكل ما كان يشغل عقله الآن هو إنقاذ "يمنى" من براثن "مختار الأرماني" الآن.

وصل إلى الردهة الموجود به مكتبه، فأسرع راکضاً نحو الباب وقام بفتحه، وهنا وقف مُتصنماً، لا وجود لـ "مختار الأرماني" ولا حتى "يمنى"! والمعنى لذلك هو أنهم قاموا باختطافها، لقد تم إختطاف "يمنى"!!!

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

إشروق حسن|

بدأت الحرب والضحايا كثيرة، فهل النهاية ستكون مُرضية للجميع، أم هناك من سيذهب غدرًا!! الأسرار كثيرة والبقايا قادمة.

دعوني أخبركم بأن الحرب لم تبدأ بعد، مازالت النهاية مُبهمة وغامضة.

سنة مهجورة:

★ النافلة بعد صلاة الجمعة ★

قال النبي - ﷺ -: « إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ الجمعة فليصلِّ بعدها أربع ركعات ».

[رواه مسلم]

~ الفصل الخامس عشر ~

~ حارة القناص ~

| عَزَاء |

غارق أنت في وحدتك، تشكو همك لجدران غرفتك الصمّاء،
تتخذ منك خليلاً، تبكي ليلاً وتتصنع الشجاعة نهاراً، لا أحد
يستمع لضجيجك المتألم، وفي النهاية تُصبح أنت الوحش
الغادر وهم الأبرياء المظلومون.

انتفضت "يمنى" من مكانها على يد تُكمم فمها بقوة،
ارتعش جسدها وحاولت الإفلات مُستخدمة مهارتها القتالية
التي تعلمتها هي وشقيقتها في الفترة الأخيرة، لكنها هدأت
عندما استمعت إلى صوت "يحيى" الهامس في أذنها
يُطمئنها بخفوت:

_بس إهدي دا أنا.

_ "يحيى"!!؟!!

همست اسمه بخفوت، ليديرها له بخفة وهو ينظر حوله
يُراقب الوضع بقلق، أمسك بوجهها بين يديه لتتنظر له ثم
أردف على عجالة:

_ اسمعي كلامي دلوقتي ونفذه بالحرف الواحد لو عايزانا
نخرج عايشين من هنا، ماشي!!؟!

هزت رأسها له بنعم وبدأ العرق يتصبب من جبينها
وجسدها كعادتها عندما تخاف أو تتوتر، ليستطرد هو حديثه
وهو يُشير لأحد الحوائط:

_الشباك اللي هناك دا هتفتحيه، هو مش شباك زي باب
سري كدا، هتنطي منه مسافة صغيرة خالص ومتخافيش
مش هتتأذي، هتلاقي نفسك بقيتي ورا الشركة، وأول ما
تخرجي اجري هتلاقي عربية سودة فيها "صهيب باشا
وچون"، أنا عارف إن الخطة اتغيرت بس أنا بعمل كدا
عشان أمانك أنتِ.

أومات له وهي تشعر بأن حلقها قد جَف من الهلع، كادت أن
تذهب؛ لكنها التفتت له تسأله بخوف:

_طيب وأنت؟!!

طمأنها بابتسامة حنونة:

_هاجي وراكِ على طول بس لازم أعمل حاجة كدا الأول.

هزت رأسها بالإيجاب مُهرولة تجاه الشُرفة الموجودة في
نهاية الرواق، فتحتها على مهل ثم صعدت عليها لتقفز
للأسفل مثلما أخبرها، لكن قبل أن تفعل؛ استدارت له

لرؤيته، فوجدته مازال يقف يُحدق بها بابتسامة خفيفة
ونظرات لم تعرف ماهيتها، أهي حزينة! أم.. مُودعة!!

نفضت تلك التراهاات عن رأسها ثم قفزت للأسفل، كانت
المسافة صغيرة بالفعل فلم يُصيبها أي أذى، ظلت تركض
للأمام بسرعة عالية دون أن تنظر خلفها، ظلت هكذا قرابة
العشر دقائق حتى رأت السيارة السوداء تقف على بُعد
صغير منها، أكملت طريقها حتى وجدت باب السيارة يُفتح
ويخرج منه "صهيب" الذي أردف بتعجب شديد:
_ "يمنى؟!!" _

كان يُمسك بسلاحه بيده وهكذا "جون"، عندما لمح كليهما
طيف يهرول تجاههم ظناً منهم بأنه أحد الرجال، لكن تحولت
نظراتهم للتعجب عندما وجدوها أمامهما، اقترب منهم
"يمنى" وصدرها يعلو ويهبط بتعب، ابتلعت ريقها بصعوبة
وبعدها أردفت بأنفاس لاهثة:

_ اتكشفنا.. اتكشفنا _

رددتها مرتين تلقائياً، لتتحول معالم وجه للصدمة، خرج
"جون" من السيارة، والذي كان يُتابع الحديث كاملاً قائلاً
بصراخ:

__اللعنة! كيف كُشفنا!!

هزت رأسها بالنفي دلالة على جهلها، أرجعت خصلات شعرها الملتصقة بجبينها للخلف، ثم أردفت بعدم تصديق:

__أنا مش عارفة إيه اللي حصل، أنا دخلت المكتب لـ"مختار الأرماني" زي ما اتفقنا بس ملقتش حد في المكتب، دخلت وفضلت أدور في الأدراج على حاجة يمكن تفيدنا بس ملقتش، بعدها لقيت رجلين واقفين قدامي وفي أيدهم مسدسات، أنا من الصدمة وقفت مكاني ومعرفتش أعمل إيه، بس "يحيى" جه من وراهم وضربهم على راسهم بعصاية حديد، وجرينا بعد ما سَمعنا صوت جاي من المستودع ومعرفتش الصوت دا مصدره كان إيه.

شدَّ "صهيب" على خصلاته بغضب، لا يعلم أعليه القلق على "يحيى"، أم القلق على شقيقه الذي مازال موجودًا بالداخل!!

استدار "صهيب" لـ"چون" ثم سأله بترقب:

__هل أنت متأكد بأنك قُمت بتعطيل كل كاميرات المراقبة؟!!

أكد له "چون" حديثه قائلًا بثقة شديدة:

__نعم، أنا واثق من ذلك مائة بالمائة أقسم.

شرد "صهيب" قليلاً بتفكير، وبعدها أردف بغموض:
_إذن بيننا خائن.

هدأت ضربات قلب "يمنى" قليلاً بعدما انتظرت عدة دقائق
لترتاح من أثر الركض، وبعدها اقتربت منه قليلاً وهي
تسأله بعدم فهم:

_يعني إيه مش فاهمة!! مستحيل يكون بينا حد خاين، كلنا
بيجمعنا نفس الهدف ونفس الانتقام من "عيلة الأرماني".

هزَّ "صهيب" رأسه بتيهة وللحظة شعر بالخطر يُحاوِطهم
من كل جانب، استفاق على صوت "چون" الذي أردف
بقلق:

_ما زال أخي و"قاسم" بالداخل!! ما تلك المصيبة التي حلت
على رؤسنا؟!

أكملت له "يمنى" جملته مُردفة بخوف:
_و"يحيى" كمان معاهم جوا.

حارة القناص

أخرج "صهيب" هاتفه من جيب بنطاله الخلفي، ثم طلب رقم أخيه وانتظر لثوانٍ مرت عليه أحر من الجمر، فُتِح الخط من الناحية الأخرى حتى أتاه رد أخيه الهامس:

_ حصل حاجة يا "صهيب"؟!_

رد عليه "صهيب" بلهفة:

_ "قاسم" أنت كويس؟! اخرج من الشركة بسرعة.

حك "قاسم" جبينه بحدة ثم أجابه بضيق:

_ "يمنى" مش موجودة وشكلها اتخطفت.

كاد "صهيب" أن يُجيبه؛ لكن أجاب بدلاً عنه "يمنى" التي أجابته بلهفة:

_ أنا موجودة معاهم يا "قاسم"، المهم تـ...

لم تكد أن تكمل حديثها فأغلق الهاتف تلقائيًا، نظر الجميع لبعضهم بقلق، فاستدار "صهيب" للجهة الأخرى من السيارة ثم صعد بها جالسًا أمام المقود أثناء صراخه عليهم:

_ اركبوا بسرعة.

نفذوا حديثه وصعد "چون" جالسًا على المقعد المُجاور له،
و"يمنى" جلست بالخلف، وبعدها انطلقوا للمكان الماكت به
"أهله وملك" مُنفذين الخطة البديلة التي اتفقوا عليها عند
فشل خطتهم تلك.

على الجانب الآخر.. تنهد "قاسم" بإرتياح، ثم استدار
لـ"فور" الذي يُتابعه باهتمام قائلاً براحة:
_ الحمد لله "يمنى" مع "صهيب وچون".

تنفس "فور" الصعداء، لكن ثوانٍ وتساءل بتعجب:
_ وما الذي ذهب بها لهنالك؟!!

هزَّ "قاسم" رأسه بجهل وبعدها شرد بغموض يُفكر في حلٍ
لتلك المُعضلة، رفع أنظاره لـ"فور" الذي يُراقب ردة فعله
الغريبة له، ثم أردف بشر:

_ لو اللي في بالي صح أنا مش هرحم حد، يلا بينا.

سار "قاسم" في الطرقة بخطواتٍ سريعة، وجاوره "فور"
الذي تسائل متعجبًا:

_ ما الذي يدور في خاطرك "قاسم" أخبرني؟!!

طالعه "قاسم" بطرف عينيه مُجيبًا إياه بغموض:
_شوية وهتعرف.

_حسنًا.

تمتم بها "فور" بصوتٍ خفيضٍ وصمتٍ لدقيقةٍ واحدة،
وأثناء هبوطهم للدرج مُسرعين تسائل بقلق:
_وماذا عن "يحيى"؟! أين هو؟!

_هو كان مع "يمنى"، وطالما "يمنى" وصلت لـ "صهيب"
فهو معها.

هزَّ "فور" رأسه باقتناع، وبعدها خرجوا من الشركة نهائيًا
وساروا مسافة ليست بالبعيدة؛ حتى وصلوا إلى السيارة
التي تجلس بها كُلاً من "أهلة وملك"، خرجت "أهلة" من
السيارة مُسرعةً وأول من تسائلت عنها هي شقيقتها لتردف
بجزع:

_فين "يمنى"؟!!

مازحها "فور" قائلاً:

لقد خُطِفَتِ.

تصنمت "أهلة" في مكانها عندما استمعت لحديثه الصادم لها، نكزه "قاسم" بحدة ثم استدار لها مُطمئنًا إياها:
متقلقيش هي دلوقتي مع "صهيب".

لم يكد أن يُنهي جُمَلته، حتى وصلت سيارة "صهيب" لتقف أمامهم مباشرةً، خرجت "يمنى" من السيارة لتطمأن على أخواتها، فجذبتها "أهلة" لأحضانها مُشددة من عناقها، لا يعلم ذلك الأحمق "چون" ما فعله بها عندما مازحها بتلك الطريقة التي جعلتها تفقد تنفسها لثوانٍ، تمتت بالحمد وهي تُغمض عيناها براحة، شعرت بأن روحها قد عادت إليها من جديد عند عودة شقيققتها سالمة، أخرجتها من أحضانها ثم تسائلت بهدوء نسبي:

أنتِ كويسة صح؟!

أومأت لها "يمنى" بالإيجاب، فدارت بعيناها بين الموجودين حتى توقفت على "قاسم" الذي اقترب منها أمرًا إياها
بجمود:

هاتي تليفونك.

نعم؟!

تسألت بها "يمنى" باستتكار، ليأمرها مُجددًا بصوت أمر
حاد:

_بقولك هاتي الزفت اللي معاكِ.

قطبت "أهلة" جبينها بضيق من طريقته بالتعامل مع
شقيقتها، فسألته بسخط:

_في إيه يا "قاسم" بتكلمها كدا ليه.

طالعتها بطرف عينه ثم أردف بحسم:
_اسكتِ أنتِ.

اغتاظت "أهلة" من حديثه الجديد كُليًا عليها، فاستدارت
لـ"يمنى" التي تُحدجه بحقد:

_إديله التليفون يا "يمنى" خلينا نخلص.

شدت "يمنى" على هاتفها صارخة أمام وجهيهم بعناد:

حارة القناص

_مش هديله حاجة احنا مش شغالين عنده، هو بيتعامل
معانا كأننا خدامين وهو بيصرف علينا كدا ليه؟!!!

شهق "صهيب" بردح مُتدخلًا في الحوار قائلاً:
_لأ بقولك إيه يا حبيبتي، اقفي عوج واتكلمي عدل يا
عين أمك وملكيش دعوة بأخويا آه، هو عشان الواد غلبان
وطيب هتيجوا عليه كدا؟!!!

نفخت "ملك" بغيظ وبعدها قالت بعقلانية:
_يا جماعة احنا لو مشيناش دلوقتي هنموت كلنا ونبقى
نتخانق في الآخرة بقى.

_يا عاقل أنت يا عسل.

أردف بها "رائد" بمزاح، لتُنزل "ملك" رأسها للأسفل
بخجل قائلة بخفوت:
_الله يكرمك.

قاطعت "يمنى" حديث الجميع ناظرة حولها بترقب حذر،
وعلى بغتة صاحت بخضة:

_فين "يحيى"؟!!

نظر الجميع حولهم وبالفعل لم يجدوه!! سألتها "قاسم" قاطبًا
لجبينه بشك:

_هو مش كان معاك؟!!

هزت رأسها بالإيجاب ثم بدأت بقص كل ما حدث معها من
جديد له وللجميع وقلبها يتآكل من الخوف عليه، ضرب
"قاسم" على جبينه بضيق ناظرًا للشركة البعيدة عنهم
والتي تقع على مرمى أبصارهم، حوّل نظاره لشقيقه ثم
أردف بحسم وهو يُخرج سلاحه من جيب بنطاله:
_"صهيب" تعالى معايا.

أومأ له "صهيب" بجدية مُخرجًا سلاحه هو الآخر، وسار
معه عدة خطوات لم تتعدى العشرة، وبعدها تصنم الجميع
من صوت الانفجار الذي دوى عاليًا، انفجار هائل حطّم
شركة "الأرمني" من أولها لآخرها، و"يحيى" بالداخل!!!

صرخت "يمنى" بجزع مُنادية على اسمه بصراخ:

_ "يحيى" لأ.

وضعت "أهله" يدها على فمها تكتم صرختها المصدومة،
وكذلك "ملك" التي هبطت دموعها تلقائياً! هرولت "يمنى"
تجاه الانفجار فسد "قاسم" عليها الطريق مانعاً إياها من
إجتيازهم، ثم أرفف بضيق:

_ استني هنا أنتِ اتجننتي ولا إيه!! راحة فين؟!

دفعت جسده الذي يسد عليها الطريق ثم صرخت به بقهر
ودموع تتسابق على وجنتها:

_ سييني.. وسّع بقولك! "يحيى" جوا لو ملحقتهاهوش
هيموت، هو اللي أنقذني مش هسيبه.

أغمض "قاسم" عيناه بضيق ناظرًا لموقع الشركة
المُشتعلة، عكست النيران بعينه ليظهر لهيبها داخلها، يُشبه
تماماً لهيب قلبه الذي يشتعل الآن، نظر "قاسم" لشقيقه
الذي كان جامداً مثله هو الآخر، سدد له "صهيب" نظرة
مُطمئنة لكن لم يهدأ قلقه حتى الآن.

نظر "قاسم" لساعة يده فوجدها مازالت خضراء والهدف لا
يتحرك، استدار لـ "چون" الذي يرتدي نفس ساعة اليد التي
يرتديها الشباب جميعاً متشدقاً بجملة واحدة:

_ لا تقلق.

وجدت "أهلة" الجميع واقفًا كالأصنام، لذلك ذهبت لتقف
أمام "قاسم" مُردفة بحدة:

_ انتوا هتسيبوه كدا؟! خدتوا مصلحتكم منه وبعد كدا
خلاص؟!!!

لم يُجيبها "قاسم"؛ بل ظلت نظراته مُعلقة على النيران، ذلك
الحريق الناشب لم يكونوا هم فاعليه، لكنه أشعره بالانتصار،
وهنا فُكّر قليلاً! من الذي افتعل ذلك الحريق؟!!

شهقت "يمنى" ببكاء وصل إلى مسامعهم جميعًا، فذهبت
إليها "أهلة" ساحبة إياها لأحضانها، ثم مررت كفها على
ظهرها لتُهدأها، مُتمتمة لها بحنان:

_ اهدي بس إن شاء الله هيبقى كويس.

دفنت "يمنى" وجهها بها ثم أجابتها ببكاء:

_ هو مات يا "أهلة"، الشركة كلها ولعت وهو لسه جوا.

لم تجد "أهلة" الكلمات المناسبة لمواسماتها، بل اكتفت بتسديد نظرة نارية تجاه جميع الشباب وبالطبع جميعهم تجاهلوا ببرود، اقتربت "ملك" من شقيقاتها وبعدها أردفت بصوت مبجوح خائف:

_ هو احنا مش هنمشي!؟!

في تلك الأثناء.. ظهر "يحيى" من بعيد بملامح وجه مليئة بالغبار الملوث، ووجه أسود مليء بالدخان، وشعره الأشعث الذي جعله يبدو وكأنه خارج من عراق ما، ناهيك عن قميصه الممزق وبنطاله المقطوع من ناحية وممزق من ناحية أخرى، وبيده حذائه الموروث عن أجداده بالطبع، رفع يده محيياً إياهم بوجه متشنج من الألم وعين منغلقة والأخرى مفتوحة:

_ مساء الخير يا شباب.

صرخت "ملك" بهلع وهي تختبئ خلف شقيقاتها:

_ سلامٌ قولاً من رب رحيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، انصرف انصرف.

نظر إليها "يحيى" متشدقاً باستنكار:

_ وحياة خالتك!! شوفتي عفريت!!

استعادت "ملك" مرة أخرى بصوتٍ عالٍ قائلةً بخوف:
_ لا تأذيني ولا أذيك، انصرف انصرف.

تركتهم "يمنى" بعد أن ابتعدت عن أحضان "أهلة"، ثم
هرولت إليه لتقف أمامه مباشرةً، قائلةً بلهفة وهي تمسح
دموعها:

_ "يحيى"!! أنت كويس يا "يحيى"!!؟!

تحولت معالم وجه "يحيى" من الألم إلى الهيام وهو يُجيبها
بـ وِلّه ودون وعي:

_ أنا كويس يا قلب "يحيى"!!؟!

_ إيه!!؟!

سألته بتعجب، ليُحمم هو قائلاً بجدية:

_ إحم.. قصدي أنا كويس يا أستاذة "يمنى" بس شوية
مشاكل في قلبي وإن شاء الله هتتحل.

حارة القناص

أومأت له بدون فهم بعد أن تنهدت براحة واطمئن قلبها،
ابتعدت قليلاً عندما اقترب منه "قاسم" ثم فتح ذراعاها
مُحتضناً إياه مُتمتاً بفخر:

_عاش يا وَحش، كنت عارف إنك قدها.

تأوه "يحيى" بخفة وهو يقول بمزاح:

_متحضنش بس أوي وحياة والديك أصل أنا مدغدغ.

قهقه "قاسم" عاليًا، ثم ربت على كتفه بقوة أثناء قوله
المُشاكس:

_لأ إجمد كدا لسه اللي جاي دمار.

رسم "يحيى" على وجهه إمارات البكاء ثم تتم بحسرة:

_حسرة عليا وعلى شباب اللي هضيع، حسبي الله ونعم
الوكيل في كل اللي بيأذي بسكوتة زيي.

ضحك "صهيب" عاليًا، وبعدها أردف بعبث:

_طيب يا بسكوتة طريقنا لسه طويل، يلا إركب عشان نمشي
من هنـ...

حارة القناص

صرخ الجميع بهلع عندما استمعوا إلى صوت طلقات النيران تصدح حولهم في الأرجاء، وعلى بُعد كبير منهم نسيبًا لمحوا على مرمى بصرهم سيارات مُدرعة في طريقهم إليهم، صرخ بهم "قاسم" عاليًا يأمرهم بحدة:
_بسرعة اركبوا العربيات.

تفرق الجميع بعشوائية في سيارات مُختلفة، فصعدت "أهلة" جانب "قاسم" الذي اتخذ مقعد السائق، وبالخلف صعد كلاً من "فور ورائد وملك"، أما بالسيارة الأخرى، صعد "صهيب" أولاً للقيادة، وبجانبه "چون" الذي حمل حاسوبه على قدمه، وبالخلف جلست "يمنى" وبجانبها "يحيى" المُحطم تقريبًا، والذي أردف بتحسر على ذاته:
_منكم لله يا بُعدة، كان زماني فاتح عربية فول وطعمية بدل القرف اللي أنا فيه دا.

صرخ به "صهيب" بانفعال وهو يُزيد من سرعة السيارة:
_اسكت الله يخربيتك هنموت كلنا.

وضع "چون" يده على صدره بخضة قائلاً:
_ومُصيبتاه!! لم أتزوج بعد لأموت الآن.

حارة القناص

ضربه "صهيب" بقوة على صدره أثناء انتقاله ببصره على
المرأة:

_ وهو دا وقته أنت كمان!!! انتوا عايزين تشلونى!!
تجلطونى!! تموتونى!!.

سخرت منه "يمنى" قائلة:
_ خلاص يا أوقر.

طالعها "صهيب" بحدة من المرأة الأمامية، ثم تشدق
ساخطاً:

_ أنت بالذات يا بومة يا وش الفقر مش عايز أسمع صوتك،
من ساعة ما عرفتك وأنا مش لاقى في حياتي غير
المصايب.

اعتدل "يحيى" بصعوبة مكانه، وبعدها عاتبه بضيق:

_ لو سمحت يا "صهيب" باشا متكلمهاش كدا، هي طيبة
وغلبانة والله بس لسانها دبش حبتين وعلى قلبي زي
العسل.

حدجته "يمنى" بأعين مُلتمة ثم شكرته بإمتنان:

_ربنا يخليك يا "يحيى" والله، أنا لو عندي أخ مش هيدافع
عني زيك كدا.

_أخ!!!

رددتها "يحيى" باستتكار، فأومات له مؤكدة على حديثها
مما زاد من غيظه أكثر، لذلك عاد بأنظاره تجاه "صهيب"
الذي يكتم ضحكاته على معالم وجهه المُتشنجة، ثم أردف
بسخط:

_بقولك إيه يا "صهيب" بيه! إقلب العربية بينا ونموت كلنا
أحسن بدل المرار الطافح اللي احنا فيه دا.

علت ضحكات كُلاً من "جون وصهيب"، لكنهم ابتلعوا باقي
ضحكاتهم عندما زادت كمية الطلقات والسيارات التي
مازالت تلاحقهم، نظر "صهيب" في المرأة الجانبية مُدققاً
في ملامح صاحب السيارة القريبة منهم، ثم همس بدهشة:

_ "أنس"!!؟

وفي السيارة الأخرى... ولول "فور" واضعاً يده فوق رأسه
أثناء صراخه بلغة غريبة:

_ياللهول.. ياللهول.. ياللهول.

حارة القناص

ورغم الخوف المُسيطر على الجميع، تسائلت "ملك"
بتعجب:

_ هو يقول إيه؟!!

قلده "رائد" لاطمًا على وجهه بصراخ:

_ يالهوري يالهوري يالهوري.

_ هي دي الترجمة؟!!

تسائلت "ملك" ببلاهة، ليوكد لها "رائد" بثقة:

_ آه طبعا أنت مش واثقة فيا ولا إيه!!.

أجابته صراحةً دون مُراوغة:

_ بصراحة لأ.

راقب "قاسم" السيارات التي اقتربت منهم بشدة من المرأة،
ففتح الدُرج الصغير الموجود بالسيارة ثم أخرج من سلاحه
المليء بالطلقات، وبعدها أمر "أهلة" بحسم:

_ انزلي تحت بسرعة.

ليه!!

سألته بغباء غريب عليها، لئُعيد جملته لكن بصراخ تلك المرة عندما بدأت الطلقات تهبط فوقهم بكثرة:

بقولك انزلي بسرعة هو إيه اللي ليه!!

كادت أن تعترض؛ لكنها صرخت عندما أصابت إحدى الطلقات المرأة المُجاورة لها، لذلك هبطت للأسفل دون جدال، بينما كَرَّ "قاسم" فوق أسنانه مُتمتمًا بغیظ:

يا ولاد الباردة العربية لسه جديدة.

أخرج "قاسم" يده المُمسكة بسلاحه خارج نافذة السيارة، ثم أطلق عليهم عدة طلقات مُتتابعة دون أن يرف له جفن، ولحُسن حظه أصاب سيارة من الثلاث سيارات التي تُتابعهم بعدما أطلق الرصاص على عجلاتها لتنفجر وتحرف عن مسارها، جاورته سيارة أخرى وبسرعة شديدة أخرج ماسك وجهه الخاص بالقناص ثم وضعه على وجهه، فلم يراه السائق، والذي كان "أنس الأرماني"، صديق "قاسم" قديمًا والذي قام بإهانتته عدة مرات سابقًا.

اشتعلت عيناه بالحقد على ذلك المتعجرف؛ فنظر إليه بغموض ثم صوّب عليه، وقبل أن يُطلق "أنس" كان هو يُطلق لتستقر الرصاصة بذراع الآخر، كان يود قتله، لكن فكّر في تعذيبه أولاً، يُريد أن يراه مُتחסراً على أملاكه التي سيقوم بهدمها واحدةً تلو الأخرى، وهو فقط سيستمتع بذلك، كما استمتعت عائلته سابقاً، وهو حالياً!!.

لم يستسلم "أنس"، بل أكمل القيادة رغم آلام يده الشديدة، وقام بالتصويب على زجاج السيارة الخلفي، لكن حظه العثر جعل رصاصاته تترد للخلف مُجدداً، فزجاج السيارة مصنوع من الفوم المُقاوم للرصاص، مما جعل الآخر يركز على أسنانه بحقد.

مرت دقيقتان وبدأت السيارات اللاحقة لهم تتكاثر أكثر!! لذلك دون تردد أخرج جميع الشباب كل أسلحتهم ثم قاموا بتعميرها، ليقول "جون" بجدية موجهاً حديثه لـ "صهيب":

ـ افتح زجاج النافذة يا صديقي، لقد حان وقت العبث.

مازحه "صهيب" أثناء ضغطه على أحد الأزرار لتبدأ النافذة بالفتح تدريجياً:

_أوه عزيزي "چون"، لقد اشتقت لتلك الجولات الشيقة
كثيرًا.

غمزه "چون" مُشاكسًا إياه:
_فلنبداً المرح الآن.

كذلك أنزل "رائد" رأس "ملك" لتكون بالأسفل هي الأخرى،
ثم جلس مكانها بجانب النافذة؛ لتُصبح مُحاطة بين "رائد
وفور" اللذان يتبادلان تبادل الطلقات كما يفعل "قاسم"
بالأمام.

صرخت "ملك" بـ"أهلة" صائحة بها:

_منك لله يا بعيدة، مش لاقية غير قتال القتلة دا وتتخطي
ليه؟! الرجالة خلصت خلاص!!!

حدجها "قاسم" بطرف عينه بمقط، ثم أردف بعدها بقنوط:
_أنتِ عارفة لو مقفلتيش بوقك دا!! هفرغ المسدس دا في
دماغك وأخلص من سماجتك.

ابتلعت "ملك" ريقها بقلق، وبعدها قالت بتلعثم:

_مش.. مش قصدي عليك على فكرة.

وعلى ما يبدو أن "قاسم" وصهيب" وكذلك الشباب تخلصوا من السيارات جميعًا، فاضطر "أنس" إلى التوقف هو الآخر بعدما خسر رجاله وخسر قوته بسبب نزفه للدماء، وهكذا استطاعوا النجاة دون خسائر.

وصلوا إلى طريق نائي قريبًا من النيل، ولأن الساعة كانت متأخرة فلم يكن هناك كثيرًا من المارة سوى عددًا محدودًا للغاية، هبط الجميع من السيارات بأنفاس لاهثة من المجهود الذي بُذل، والفتيات من الصراخ.

في تلك الأثناء تثائب "يحيى" بنعاش، ثم فتح عينه قليلًا مُزعجًا من الضوء القادم من عمود الإنارة، وبعدها تشدق بتحشرج من أثار النوم:

_إيه دا احنا لسه موصلناش!!

لوى "رائد" شفتيه باستنكار وأردف ساخرًا:

_صباح الخير ياخويا، نمت واتهنيت يا سيد الناس!!

حارة القناص

ابتسم "يحيى" بتوهان أثناء إيماءته له، ثم تحدث بهيام:
_حِلْمَتِ أَحْلِى حِلْمِ فِى حَيَاتِي، اتجوزت فيه ياض يا "رائد"
عقبال عندك.

هنا تدخلت "ملك" في الحديث قائلة بتلقائية وابتسامة
واسعة ظهرت حمقاء على ما تقوله:
_طالما حِلْمَتِ إِنَّكَ بَتتجوز بيبقى هتموت.

ابتلع "يحيى" ريقه أثناء وضعه ليداه على رقبته، ثم قال
بخوف:

_حَدِّيسَكَّتِ الكائن دا ومشوها من هنا الله يستركم.

استدارت لها "يمنى" قائلة لها بمزاح:
_اسكتي أنتِ كلامك بيعمل مشاكل.

طالعتهم "ملك" بغیظ، فاستدارت لـ "قاسم" الذي يتابع
حديثهم بملل تشكو له بضيق:
_شايف يا أبیه بيكلموني إزاي!!

حارة القناص

تأفق "قاسم" بضيق، ثم أردف بنفاذ صبر:
_مكانوش خطفوك أنتِ وخلصت منك!!

قطبت "ملك" جبينها بضيق ثم سألته:
_قصدك إيه يا أبيه!!

تجاهل "قاسم" حديثها قبل أن يفتك برأسها اليبس هذا، ثم استدار لـ "چون" المنشغل في هاتفه بطريقة مُثيرة للفضول، لذلك سأله بتعجب:
_ ما بك "چون"؟!

رفع "جون" أنظاره له ثم أردف بضيق:
_ "لوسيندا" مُختفية منذ عشرة أيام تقريبًا ولا تُجيب على هاتفها.

_ ما أنا قولتلك إنها واخدة إجازة أسبوعين.

وضّح له "قاسم" سبب اختفائها، ليهز "چون" رأسه بشرود:

_لا.. أشعر بأن هناك شيء سيء يحدث لها، أريد الذهاب إليها والإطمئنان عليها.

او ما له "قاسم" لعلمه بشدة حبه لها، لكنه اقترح بهدوء:

_خلاص ماشي بس روح الصبح، مينفعش تروح لواحدة بيتها بالليل كدا.

وافق "جون" مُستسلماً، لكن قلبه يحثه على الذهاب إليها الآن، وبين صراع قلبه وعقله؛ انتصر عقله بالنهاية وسينتظر حتى الصباح ويُهاتفها مُجدداً، وإن لم تُجيب سيذهب لها دون أدنى شك وليحدث ما يحدث.

_انظر "جون"؟! الحاسوب يعرض شيئاً ما.

هتف بها "فور" سريعاً، ليذهب إلى الحاسوب مُسرِعاً، وحتى يراه الجميع وضعه على مقدمة السيارة فالتف الجميع حوله، وهنا اتضح الخبر الإعلامي الذي يُنقل عن لسان المُذيعه بعدما نشرته "أهلة" في الجريدة، وتبعته باسمها المُستعار والذي كان؛ "المجهولة النارية":

_"هنا وقد اتضح أن "عائلة الأرماني" جميعها مُشتبه بها في تجارة أعضاء المرضى، وذلك بعد أن تم رفع الكثير من الدعوات ضدهم من أهالي الضحايا، كما قام المواطنون بسحب جميع ملفاتهم من المشفى الخاص، مما أدى إلى انخفاض أسهم المشفى بطريقة ملحوظة قد تؤدي إلى إفلاسهم"

كتب ذلك الخبر "المجهولة النارية".

اتسعت ابتسامة الجميع بشماتة ظاهرة للعيان، استدار "قاسم" لـ "أهله" يُطالعها بأعين مُلتمة من السعادة، ثم غمز لها قائلاً بمشاكسة أحببها هي:

كفاءة

وانتقلت الأخبار إلى المذيعة التي تليها والتي بدأت حديثها قائلة:

_"يبدو أن اليوم يحمل خسارة فادحة لعائلة الأرماني الشهيرة، منذ قليل جائتنا أخبارًا عن انفجار تم في مصنع الأغذية الخاصة بهم، ولحسن الحظ بأن المبنى كان يخلو من العمال، يبدو أن المجرم درس الوضع جيدًا قبل تنفيذ خطته".

تسللت الدهشة على أوجه الفتيات، فتسائلت "يمنى" بتعجب
يشوبه الدهشة:

_إيه دا؟! مين اللي عمل كدا كمان!!

أجابها "رائد" بثقة:

_احنا طبعًا، قررنا نضرب عيلة الأرمانى من كل الجهات
بحيث ندمرهم الأول قبل ما نخلص عليهم، دا غير إن مخزن
الأغذية دا كان فاسد أساسًا، وقريب أوي مصنع الأدوية
هيحصله إن شاء الله.

اقتربت منه "أهله" قليلًا حتى باتت قريبة منه، ثم همست
له بعث أنثوي مكر:

_مش أنا لوحدي اللي كفاءة ها؟!!

أجابها بنفس الهمس بمكر أثناء نظره لعيناها مباشرة:

_تو أنت لوحديك اللي كفاءة، لأنك كفاءة فعلاً.

سدت له ابتسامة صغيرة وظلت تنظر لعيناها دون وعي،
وهو كذلك، ثبّت نظره على عيناها، بها شيء غريب يجذبه

تجاهها، عيناها البنية المُمترجة بخيوط من العسل الصافي
ظهرت واضحة عندما تعامد ضوء عمود الإنارة عليها، وهو
فُتِنَ بهما.

لم تمر سوى ثوانٍ ملحوظة وبدأ المذيع الآخر ينقل الخبر
الآخر ببث مباشر، وهو نشوب حريق هائل بالشركة الخاصة
بعائلة الأرماني، ورغم سعادتهم إلا أنهم لا يعلموا حتى الآن
من تسبب بذلك الحريق، وعند تصوير موقع الشركة الذي
بقي رماداً؛ ظهر الشعار، الشعار الذي جعل كُلاً من "جون
وفور" يتصنمون أماكنهم للحظات، هم في كارثة كبيرة حقاً
إن كان ما يروه حقيقة، نظر "جون" لـ "فور" بصدمة لم
تكن متوقعة بتاتاً الآن، أخوتهم هنا.. بمصر!!!

عاد الجميع لمنازلهم، أوصل "قاسم" الفتيات وجلس بجانبه
"يحيى" الذي أصر عليه "قاسم" للمبيت معهم الليلة حتى
تتحسن حالته الهالكة.

راقب "يحيى" أثر "يمنى" بهيام، ثم نظر للسماء الحالكة
يدعو الله برجاء خالص:

يارب لو مش من نصيبي خُدها واجمعي بيها في الآخرة.

نظر له "قاسم" باستنكار ثم أردف أثناء ضغطه على دواسة البنزين:

ـ يخربيت اللي مفهمك إن دي رومانسية، دا أنت لطح.

جعد "يحيى" وقعه بضيق قائلاً بحنق:

ـ أومال عايزني أدعيها ربنا يسعدها مع غيري وأنا اتقهر هنا!! لأ تموت أحسن واتجوزها أنا في الآخرة.

هز "قاسم" رأسه بيأس، ومع ذلك اقتنع بإجابته البلهاء تلك!!!

انقضى الليل سريعاً وأتى الصباح مُهلاً بتلك الأحداث التي حدثت ليلة أمس، بينما كان عقل "جون" مشغولاً على حبيبته، حتى أنه لم يذق طعم النوم طيلة الليل، أمسك بهاتفه وحاول الاتصال عليها لعشر مرات أخرى حتى يأس، وبالمرّة الأخيرة فُتح الخط على بغتة، ليتحدث هو سريعاً دون الإستماع للطرف الآخر:

ـ "لوسيندا" أين أنتِ واللعنة!! لقد قلقت عليك كثيراً.

أنته الإجابة لكن ليست من "لوسيندا" نفسها، بل من شقيقتها التي تبكي بأسى:

_ أنا مش "لوسيندا" أنا أختها "مهرائيل".

قطب "جون" جبينه بقلق وهو يسألها بهلع:

_ وأين هي "لوسيندا"؟!!

أجابته ببكاء:

_ بابا حابسها في أوضتها ومش راضي يطلعها منها، مصمم يجوزها لابن عمي وهي مش راضية عشان بتحبك أنت.

_ ماذا؟!!

صرخ بتساؤل، لتستطرد "مهرائيل" حديثها تبكي نحيب:

_ لو بتحبها فعلاً تعالى واتقدملها، بابا ممكن يوافق لو أنت معاك فلوس أكثر من ابن عمي.

حكَّ "جون" جبينه بغضب، ثم تشدق بعصبية:

_ حسناً اغلقي وأنا قادم الآن.

تثائب "قاسم" على الفراش بضيق، فنظر للهاتف الموضوع
جانبه فوجد أن المتصل هو شقيقه، فتح الخط مجيباً إياه
بتكاسل:

_"صوفيا" ماتت يا "قاسم".

كانت تلك الكلمات تصعد جامدة من فم "صهيب" قبل أن
يُغلق الهاتف نهائياً!

«يُتْبَع»

#حارة_القناص.

|شروق حسن|

كان من دُعاء النبي الكريم ﷺ في سجوده:
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ
وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»
دِقَّةً وَجِلَّةً: صغيره وكبيره، أو قليله وكثيره.

«الفصل السادس عشر»

«حارة القناص»

|كشف الخائن|

"وتطلبها عيني وهي في سوادها، ويشتاقتها قلبي وهي بين
أضلعي".

هرول "چون" خارج المنزل مُسرِعًا قاصدًا منزل "لوسيندا" الذي لا يبعد كثيرًا عن الحارة التي يقطنون بها، لذلك أخذ تلك المسافة وهو يجري سريعًا، وصل إلى منزلها الذي يحفظه عن ظهر قلب صاعدًا للعمارة التي تقطن بها مُهرولًا على الدرج، طرق على الباب بشدة وانتظر قليلًا حتى فُتح الباب بواسطة فتاة لم يُقابلها من قبل، لكن بسبب ذلك التشابه بينها وبين "لوسيندا" علم على الفور بأنها شقيقتها.

مسحت "مهرائيل" وجهها من الدموع ثم تسائلت بصوت خافت:

_ أنت "چون"؟!!

أجابها وصدرة يصعد ويهبط بنهيج قوي:

_ نعم هذا أنا، أين "لوسيندا"؟!!

وللحظة تناست الوضع الذي جمع كلاهما والسبب الذي أتى به إلى هنا وتسائلت ببلاهة:

_ أنت مُدبج!!

قطب جبينه يُحاول عقله ترجمة ما تقوله تلك المُغفلة الآن،
لذلك تسائل بضيق:

_ عفواً؟! أين "لوسيندا"؟!

وضعت يدها على رأسها، وعادت الدموع تتجمع بمقلتيها
وهي تُشير للغرفة المُجاورة لباب الشقة:

_ بابا حابسها في الأوضة اللي جوا ومش مخرجها بقاله
أسبوع.

دلف "چون" للداخل سريعاً بعد أن أفسحت له الطريق،
اقترب من باب الغرفة ثم طرق عليه بقلب يتآكل من الألم:

_ "لوسيندا" هل تسميني!!

وبالداخل.. كانت "لوسيندا" شاردة تنظر للحائط الذي
يُقابلها بألم، لم تتوقع الخذلان من والدها، دموعها تبكي ألماً
وقهراً وقلبها يصرخ يُريد النجاة، تلك الشهقات التي تخرج
من فاهها كان مصدرها نصل من الكلمات الحادة التي غرزت
في فؤادها، وهي ضعيفة لم تتحمل فاستسلمت للصوت الذي
يُحُثها على الصراخ، ووسط تلك الأمواج الهائجة استمعت

حارة القناص

لصوته الذي يُناديها بقلق، مُناداته باسمها كان يُشبه طوق
النجاة الذي التفت حول خصرها وانتشلها من الغرق.

انتفضت هي من على الفراش وجرت أقدامها بصعوبة نحو
باب عُرفتُها المُغلق، وضعت رأسها بضعف على الباب ثم
نادته بتحسّر: **"چون"**.

استمع إلى همسها الخافت باسمه، فقرب وجهه من الباب ثم
تشدق بحنان:

**"كُفي عن البُكاء يا قلب "چون"، لا تخافي عزيزتي لن
تكوني لأحدٍ سواي."**

لم يسمع منها إجابة سوى شهقات بكاؤها التي مزقت نياط
قلبه، عض على شفتيه بحقد من والدها، ورغم الغضب
الذي كان يُسيطر عليه؛ تحدث بصوت حنون لا يظهر سوى
لها:

**"لوسيندا" استمعي إليّ جيّدًا حبيبتي، ابتعدي عن الباب
وأنا سأقوم بكسره."**

حارة القناص

انتظر أن يسمع إجابتها، لكنه استمع إلى صوت شقيقتها
التي كانت تبكي حزناً على شقيقتها، والتي أردفت بإعتراض
بعد أن توقفت عن البكاء:

__ لا الباب لسه جديد متكسر هوش.

طالعها بنظرات نارية وودَّ حقاً لو يذهب ويفتك برأس تلك
العينة، بينما هي ابتلعت ريقها بقلق قائلة بتلثم:

__ خلاص أنا كنت بهزر، كسّر اللي تكسّره وأبويا هيجي
يكسّر دماغ اللي خلفونا.

أغمض عينه بألم مُفكراً في حلٍ للدخول إليها بأي طريقة
دون أن يؤذيها، فاحتمالية أذيتها وهي خلف الباب كبيرة
للغاية، وهو لا يريد ان يمسه بأي ضرر حتى لو كان
صغيراً لا يُذكر، طرقت فكرة في رأسه لذلك استدار لـ
"مهرايل" التي تتابعه بصمت مُقترَباً منها وهو يسألها
بلهفة:

__ هل يوجد أي نافذة بجوار نافذة غرفتها!!

أومأت له بالإيجاب وأشارن للغرفة، لكن قبل أن يذهب
أوقفته مُنادية عليه قائلة:

_ استتى رايح فين!! المسافة كبيرة واحنا في الدور الثالث
ولو وقعت هتوديني في مصيبة.

شدّ خصلاته بغيظ وظل يدور حول نفسه باحثًا عن شيء
مجهول، فتوقف حينما وجدته أخيرًا، فتحت "مهرايل"
عينها بفزع عندما أمسك بالمزهريّة الثقيلة ثم دفعها
ناحيّتها بلا تردد، صرخت هي بهلع مُهرولة بعيدًا،
فاصطدمت المزهريّة بالحائط مما أدى إلى تهشمها، فرغت
فأهها بصدمة جلية ناظرة لأثره برعب، وعادت ناظرة
للمزهريّة المُحطمة مرة أخرى أثناء همسها:

_ يابن المجنونة!! دا مش بيهزر!!

لحقت به عندما استعادت بعض من ثباتها، فوجدته قد فتح
النافذة ووقف على الطرف المُدبب من الحائط، سار عليه
بحذر وانتباه حتى وصل إلى شرفة غرفة "لوسيندا"، لم
يكن الأمر صعبًا عليه بسبب تدريبه المستمر على فعل تلك
الحركات التي باتت روتينية بالنسبة له، جلس على حافة
النافذة الحديدية فوجدها جالسة أرضًا أمام الباب تبكي فقط!!

ناداها بخفوت شاعرًا بقلبه يتمزق لأجلها، بينما هي رفعت
رأسها على بغتة فرأته مُمسكًا بحديد الشرفة من الخارج،
وقفت مكانها أثناء محاولتها لمقاومة صداد رأسها الذي

يفتك بها ثم ذهبت إليه بترنج، وببطئ شديد قامت بفتح قفل الشباك من الداخل، كان هو ينتظر على أحر من الجمر، وما إن نجحت في ذلك حتى دفع الشرفة وقفز هو للداخل، لم تكذ أن تتحدث هي أثناء بكاؤها حتى قام بجذبها لأحضانه يُشدد من عناقها.

لم تتحمل قدامها أن تحملها أكثر فلقد ضعفت بنيتها في الفترة الأخيرة لقلّة طعامها، هبط "چون" معها بركبتيه على الأرض الصلبة ولم يتركها، بل وقعت هي في أحضانها تتشبث به كالطفلة الصغيرة ترجوه بعدم تركها.

دفن رأسها بصدره ويداه تتحرك هبوطاً وصعوداً على ظهرها لتهدأتها، خرج صوته متألماً وهو يقول:
_ كفى بُكاءً صغيرتي أنا هنا معك الآن.

هزت رأسها نفيّاً أثناء تشبثها في ثيابه أكثر، ثم خرج صوتها باكياً مُصاحباً لشهقاتها العالية:

_ متسبنيش يا "چون" أنا خائفة، أنا مش عايزة غيرك.

مسد بيده على خصلاتها البنية التي يختلط بها خصلات شقراء، ثم أردف قائلاً:

فليأخذوا روعي قبل أن يأخذوك من بين يديّ.

حديثه بث الطمأنينة بفؤادها وتوغل الدفيء لجسدها، هدأت قليلاً ومن ثم توقفت عن البكاء، خرجت من أحضانه ووجهها مليء بالدموع، وكأنها تركت العنان لذاتها عندما التقطها بين ذراعيه، رفع أنامله ثم سار بها على وجهها يمسح عبراتها المنهمة مُعاتباً إياها بلطف:

لقد خسرت الكثير من اللأليء.

نظرت له بعدم فهم، ليوضح لها مقصده وهو يُحيط بوجهها بكلتا يديه:

دمعة واحدة منك تُساوي لؤلؤة ثمينة بالنسبة لي، وها أنت قد خسرت الكثير منها يا قاسية القلب!.

ضحكت بخفة على حديثه واللحظات استطاع أن يُنسيها همومها، استند بجبينه على خاصتها ثم أَرَدَف لها بعشق توغل إلى قلبه قبل أن يتوغل دفنه إلى جسده:

أقسِم بأن ضحكاتك تُنسيني همومي، أنت مصدر سعادتي "لوسيندا".

أغمضت عيناها سامحة لأنفاسه الدافئة أن تضرب بشرة
وجهها الباردة، تُريد دفئه وحنانه، هي بأمس الحاجة إليه
الآن دوناً عن السابق، طالعه بنظرات شغوفة ثم خرجت
الكلمات من فؤادها أولاً قبل أن تصعد على لسانها لينطقها:
_ أنا أُحبك "جون".

_ وأنا أهِيمُ بكِ عشقاً.

أجابها بعشق لتتسع إبتسامتها حتى كادت أن تصل إلى كلتا
أذناها، أو شكت على التحدث؛ فقاطعهم صوت الباب الذي
طرق بقوة تبعه صوت "مهرايل" التي تشدقت بقلق:
_ "لوسيندا" بابا جه.

انتفضت "لوسيندا" من مكانها بهلع، ثم التفتت إلى "جون"
قائلة له برجاء:

_ امشي يا "جون" عشان خاطري دلوقتي.

تشنج وجهه باستنكار قبل أن يقول:

_ أنا لست قادم لأذهب، لقد أتيت لهُنا من أجلك ولن أرحل
حتى تُصبحين زوجتي.

_إيه!!

هتفت بها بصدمة، ليلتقط هو يدها بين كفه العريض ساحبًا إياها خلفه تجاه الباب، وقف أمامه قليلًا ثم طرق عليه بقوة بعدما استمع لصوت همهمات رجولية قادمة من الخارج، لم ينتظر كثيرًا حتى فُتح الباب ليظهر من خلفه أباهما الذي حدجهم بنظرات نارية كادت أن تفتك بكليهما، وزَّع نظراته بين ثم هتف بابنته بصوتٍ غاضب:

_مين دا يا بنت الـ***، هو دا اللي رافضة ابن أخويا عشانه وعاملة فيها شريفة!!!

مدَّ يده ليجذبها من خصلاتها، لكن منعه يد "جون" التي لحقت به قبل أن تصل إليها، انكشمت "لوسيندا" على ذاتها مُختبئة خلفه من بطش والدها، بينما ارتفع صوت "جون" والذي تحدث معه بلغة عامية مُتكسرة حاول تعلمها:

_ابعد إيدك عنها أنت اتجننت!!!

دفعه "سمير" بكتفه ثم صاح به:

_هو مين دا اللي اتجنن يلا يابن الـ...

لم يكد أن يكمل حديثه، حتى وجد يد "چون" تدفع يده بغل،
تلاه صياحه الهامس بشر:

_أقسم إن لم تبتعد عن طريقي الآن سأقتلك دون ذرّة شفقة
واحدة.

التوى نُغر "سمير" بسخرية ظناً منه إنه يمزح ثم نادى
على أحدهم بصوت عالٍ تردد صداه في الأرجاء، بعد ثوانٍ
معدودة دخل عليهم ثلاثة رجال اتضح جاءوا معه، منهم
اثنان عجائز وشاب كبير نسبياً يرتدي بذلة سوداء أنيقة،
حينها فقط علم بأنه ذلك العريس المزعوم الذي ستتزوج،
حدجهم "چون" ببرود، وبهدوءٍ قاتل تشدق:

_سأتزوج "لوسيندا" اليوم، شئت أم أبيت فأريك ضعه في
القمامة حيث يوجد أمثالك.

احتدت عيني "سمير" بغضب من إهانته المباشرة له،
وبدون تردد عاد للخلف مُلتقطاً عصي خشبية ضخمة بين
يديه، وأعطى مثلها للواقفين معه ثم صرخ بوجهه بتحذير:

_هتمشي من هنا ولا هتقول على نفسك يا رحمان يا رحيم!!

_كم تريد!!

_إيه!!

تسائل "سمير" بصدمة، ليُعيد "جون" حديثه ببرود قائلاً:

_كم تريد من المال!!

مسح "سمير" على صدره ثم تشدق بتكبر زائف:

_فلوس!! لأ أنا مش عايز فلوس.

_حسنًا، أنت اخترت ذلك.

قالها ببرود ثم دفعه ساحبًا "لوسيندا" المُنهمرة في البكاء خلفه، كاد أن يخرج من المنزل ويتركهم في صدمتهم؛ لكن جاء هذا المُغفل وأمسك بها من يدها الأخرى مُعرضًا خروجه:

_أنت رايح بيها فين!! أنا هتجوزها النهاردة يعني هتجوزها النهاردة، أنا دافع فيها فلوس دي.

وصل الغضب ذروته إلى رأس "جون"، خاصةً عندما رأى ذلك الحقير يُمسك بيدها ويجذبها نحوه! ترك هو يدها فظن الآخر بأنه قد استسلم له، لكن باغته باقترابه منه وتسديد ضربة من جبهته إلى رأس الآخر أدت إلى وقوعه على الأرض من قوتها.

وضعت "مهرايل" يدها على فمها بصدمة، فالوضع مُتأزم للغاية الآن، هي ليست نادمة على مُهازمتها له وإخباره، لكن هي خائفة من ردة فعل والدها عندما يعلم بأنها الفاعلة! بالطبع سيجبرها من الزواج مثلما أُجبر شقيقتها، ابتعدت عن مرمى والدها نهائياً وبتلقائية شديدة وقفت جوار شقيقتها تُمسك بذراعها وكأنها تطلب منها الحماية، في العادة هُنَّ ليست ضعيفتان ويواجهون أصعب المواقف بشراسة طيلة حياتهم، لكن جبروت والدهم يُجبرهم على الخضوع دائماً.

أمسك الرجال بـ "جون" مُكتفين إياه من الناحيتين، وكما يُقال دائماً: "الكثرة تغلب الشجاعة"، وهذا ما حدث عندما قام الأربعة رجال بتقييد حركته وبالمقابل كان يقف "سمير" وبيده العصي الخشبية الكبيرة!.

ارتدى "قاسم" ثيابه سريعاً ثم اتجه إلى منزل أخيه الخاص به هو وزوجته، صعد بالمصعد حتى وصل إلى الدور الثالث الذي يقطن به طارقاً على الباب بخفوت رغم ذلك العراك العنيف الذي يدور برأسه، انتظر قليلاً حتى فُتِحَ له الباب بواسطة "صُهب" الذي يبدو التعب ظاهراً على عيناه، أفسح له "صهب" الطريق دالفاً للداخل دون أن ينبث بكلمة

حارة القناص

واحدة مما زاد القلق داخل قلبه، خاصةً عندما ذهب عقله
لفكرة أنه من قام بقتلها!

ارتقى "صهيب" بجسده على الأريكة الوثيرة مُرجعاً رأسه
للخلف بتعب، أغلق "قاسم" الباب خلفه ثم جلس بجانب
شقيقه يسأله بتعجب من حالته:

_إيه اللي حصل يا "صهيب"؟! و"صوفيا" ماتت إزاي?!!

حكَّ "صهيب" جبينه مُجيباً إياه بإنهاك:

_ "مختار" يقول عملت حادثة وعربيتها ولعت وهي فيها.

أوماً له "قاسم" بشرود، ثم وضع يده على كتف أخيه يسأله
بحنان:

_ طب "صوفيا" وماتت وأنت أكيد مش زعلان عليها، مالك
أنت بقى!!

طالعه "صهيب" بحزن شديد حاول جاهداً ألا يُظهره، لكن
مع أول سؤال من شقيقه ظهر الضعف واضحاً على عيناه،
لم يتحمل "قاسم" رؤية أخيه بكل هذا الضعف والألم وهو
الذي إعتاد عليه قوياً شُجاعاً، لذلك جذبته لعناقاً قوياً وهو
يتسائل بحنان:

_مالك يا "صهيب"؟!!

وبالفعل كان "صهيب" بحاجة إلى مثل هذا العناق، لذلك كان يُشدد من عناقه وهو يُجيبه بقهر:

_ "حبيبة" جالها إنهيار عصبي لما عرفت اللي حصل لأمها، حالتها بقت أسوأ من الأول ودخلت في إكتئاب حاد.

والآن علم "قاسم" سبب حُزن شقيقه، أحياناً يكون الحُب سبباً في السعادة، لكن أحياناً أخرى يُسبب التعاسة، ربت عليه ظهره بهدوء ثم أردف بصوت حاني:

_ هتبقى كويسة صدقتي، وجودك جنبها دلوقتي هيقويها وهيخليها تنسى كُل مُر مرت بيه، أنت قوتها فمتجيش في أكثر وقت هي محتاجاك فيه وتضعف، وأنت مش ضعيف يا "صهيب".

خرج "صهيب" من أحضانه مُجيباً إياه بيأس:

_ هي الحاجة الوحيدة اللي بضعف قدامها، أنا بحبها وحُبها معذبني، مش قادر أشوفها حزينة ومنهارة كدا! قلبي بيوجعني عليها أوي.

حارة القناص

_هتقدر، هتقدر صدقتي وأنا واثق فيك، هي دلوقتي مبقاش
ليها إلا أنت، أنت سندها فتميلش دلوقتي!

فكّر "صهيب" مليًا في حديثه فوجد أن معه كل الحق، لا
يجب أن يضعف في وقت هي بحاجة للقوة، والقوة التي
يملكها هي قوة الحب، أو ما له بإبتسامة صغيرة قائلاً:
_حاضر هعمل كدا.

مازحه "قاسم" ضاممًا قبضته ثم مدَّ يده للأمام:
_الشق.

رد عليه "صهيب" بضحكة مُتقطعة بعد أن ضم قبضته هو
الأخر ضاربًا إياها بقبضة شقيقه:
_الحب.

_رُوح ناديلها بقى عايز أتكلم معاها شوية.

هتف بها "قاسم" له، ليقطب "صهيب" جبينه وهو يسأله
بتعجب:

_عايزها ليه؟!!!

رفع "قاسم" إحدى حاجبيه له باستتكار، فأردف بصوت
ظهر عليه الحزم الزائف:

_ أنت هتدخل في شغلي كمان؟! يلا يا ض انجز روح نادي
لمراتك بدون كلام كثير.

هزَّ "صهيب" رأسه بيأس من عناد شقيقه، ثم هبَّ من
مكانه مُتجهًا نحو عُرفتها ليُنادي زوجته، وبالفعل أخبرها
بأن "قاسم" ما هو إلا صديق بمثابة أخ حتى لا تتعجب من
حديثه، رفضت بالبداية طلبه بمقابلة أحدهم، لكن مع
إصراره خضعت بالنهاية، قبَّل "صهيب" جبينها بحنان ثم
تشدق بحب:

_ أوعدك لو مرتحتيش بالكلام معاه هدخلك جوا تاني، ثقي
فيا.

أومأت له بهدوء ثم سارت معه ببطئٍ وهي تحني رأسها
للأسفل لكي تُخفي آثار الدموع المُتعلقة بأهدابها، أجلسها
"صهيب" على الأريكة المُقابلة لأخيه وجلس هو بجانبها
حتى لا يتركها كما وعداها، حمم "قاسم" بغلظة ثم أردف
موجهًا حديثه لـ "صهيب" الذي يُتابعه بانتباه:

حارة القناص

_ ما تقوم يا "صهيب" يا حبيبي تعملنا حاجة نشربها يا دا
بعد إذنك يعني.

طالعه "صهيب" بغيظ من تغييره لحديثه في المكوث معهما،
ثم أردف بسماجة:
_ معدناش شاي.

رد عليه "قاسم" ببرود":
_ مش عايز شاي، اعملنا عصير.

_ معدناش عصير.

_ اعملنا سم هاري نطفحه لو سمحت.

هتف بها بحدة رغباً عنه، لذلك هبَّ "صهيب" من مكانه
مُغتاظاً بعد أن همس لـ "حبيبة" الخائفة بعدة كلمات أهدئتها
قليلاً ثم تركهم وحدهم وذهب هو لإعداد مشروب ساخن
للجميع، واثق كل الثقة بأخيه بأنه سيُصلح كل شيء كما
اعتاد منه طيلة حياته.

وبالخارج؛ حمم "قاسم" بهدوء حتى يجذب انتباه "حبيبة"، وبالفعل نجح في ذلك عندما حدجته بنظرات حزينة، بدأ حديثه مُعرفاً عن ذاته بإبتسامة هادئة:

_إزيك يا مدام "حبيبة"؟! أنا "قاسم طاحون" صاحب "صهيب" وشغال في مستشفى "الأرمانى" تبع عيلتكم.

وجد منها الاهتمام على حديثه عندما أردفت بصوت مُتحرج:

_ أهلاً بحضرتك.

تشجع في الحديث أكثر، لذلك أردف بصوت هاديء نسبياً مُحاولاً جعل كلماته بسيطة وليست حادة كما يُريد لها أن تصل:

_ أولاً البقاء لله على وفاة والدتك، بس صدقيني وفاتها خير ليها ولينا كلنا.

تجمعت العبرات بعيناها مُجدداً من حدة حديثه، وتحول وجهها لكتلة من الغضب المُشتعل، لم يُعيرها أي انتباه بل أكمل حديثه قائلاً بأطف:

_ أنا كنت شوفتك قبل كدا مع مامتك في المستشفى لما جيتي معاها قبل كدا، مُعاملتها ليك قدام الناس مكنتش كويسة

والكل خَدَ باله من دا، ومعاملتها مع المرضى والدكاترة
كمان كانت سيئة جدًا ومفيهاش أي نوع من أنواع الرقي.

صمت يُراقب ردة فعلها والتي هدأت قليلًا عندما وجدت ان
حديثه صحيحًا بأكمله، معاملة والدتها للجميع لم يكن بها
ذرة واحدة من الإحترام، حتى إنها تتعامل بعجرفة وتعالى
مع الجميع دون استثناء، لذلك أكمل "قاسم" حديثه متشدقًا
بابتسامة صغيرة:

_ صدقيني وفاتها دي رحمة ليها عند ربنا، على الأقل عداد
ذنوبها وقف، وكل اللي يعرف إنها ماتت يدعيها بالرحمة،
حتى أنت؛ رغم كل اللي عملته فيك لسه بتحببها ومستعدة
تعملي أي حاجة عشانها، فليه العياط والحزن دا كله وأنتِ
بإيدك تقديمها حاجة أحسن تشفعها عند ربنا!!

رفعت أنظارها الممتلئة بالدموع مُنظرة حديثه القادم بلهفة،
ليُكمل هو حديثه بحنان أخوي استشعره تجاهها:

_ اتبرعي على روحها بفلوس للناس الغلابة، واختمي ليها
القرآن اللي هيشفعها يوم القيامة، صلي وادعيها بالرحمة
وإن ربنا يغفرلها ذنوبها، وادعي لنفسك كمان معاها.

مسحت دموعها بأطراف دموعها المُرتعشة ثم سألته بصوت
مبحوح:

_إزاي؟!

وضّح له حديثه قائلاً:

_يعني أنتِ في الفترة دي بعيدة عن ربنا، مش يمكن موتها
على فجأة دا يبقى موعظة ليكِ وترجعي لربنا من تاني!!
توبي تاني، وعيشي لنفسك تاني، واتعالجي من الإكتئاب،
وإدي لنفسك ولـ"صهيب" فرصة، تفتكري "صهيب"
ميستاھلش الفرصة دي؟!

حوّلت "حبيبة" أنظارها تجاه المطبخ حيث يقف "صهيب"
مُنهمگًا في فعل كوبين من العصير الطازج وشردت به
للحظات، هو يفعل كل شيء لأجلها حتى تكون سعيدة، وهي
بالمقابل لا تُقدم له سوى البكاء والحزن!! حزنت كثيرًا عليه
وعلى ذاتها، هي بالفعل تحتاج للعلاج من أجل كليهما،
تحتاج أن تعيش حياة طبيعية مثل البقية دون وجود أي
عوائق تمنعها من استكمال حياتها، تُريد أن تُصبح سويّة
نفسياً!.

غيرت موضع أنظارها عندما أعاد "قاسم" سؤاله لها،
لثجيبه بخجل سيطر على ملامحها:

_"صهيب" يستاهل كل حاجة حلوة، بس أنا خايفة أكون
بظلمه معايا.

تظلميه معاك دي لما يكون هو مغصوب عليك، لكن هو
متجوزك بإرادته، فكري في اللي أنا قولتهولك تاني وبلاش
حياتك تقف، واعتبريني أخوك وقت ما تحتاجي حاجة أنا في
الخدمة.

ابتسمت له بإمتنان قائلة:

شكرًا لـك بجد.

جاء بتلك اللحظة "صهيب" حاملاً الأكواب بين يديه ثم
وضعها على الطاولة التي أمامهم قائلاً بمزاح لـ "قاسم":

يكش يطمر فيك بس.

قالها وهو يتناول الكوب ثم أعطاه له، والكوب الآخر حملة
مُعطيًا إياه لـ "حبيبة" وهو يغمزها بمشاكسة:

والكوباية الثانية لبسكوتة قلبي.

أخفت "حبيبة" وجهها بكف يدها الصغير بخرج عندما قهقهه
"قاسم" عاليًا من تواقح أخيه أمامه، تجرع آخر رشفة ثم
وضع الكوب على الصينية مُجددًا، وهبَّ من مكانه قائلاً
بضحك:

_ طيب يا عم النحوح أنا همشي دلوقتي وهقابلك بليل.

قال جملته لأخيه، ثم وجَّه حديثه الآخر لزوجته قائلاً بمزاح:
_ وزي ما قولتلك لو الواد دا عمك حاجة قوليلي وأنا
هظبطهولك، احنا صحاب آه بس أنا الكبير برضه.

مطَّ "صهيب" شفتيه للأمام بضيق، قائلاً وهو ينظر لكليهما
بغیظ:

_ آه انتوا اتفتتوا عليا وأنا مش موجود بقى صح!!

غمزه "قاسم" بمشاكسة:

_ دا سر، يلا مع السلامة.

أوصله "صهيب" لباب المنزل، ولكن قبل أن يذهب الآخر
احتضنه "صهيب" بإمتنان قائلاً:

_ربنا يخليك ليا.

_ياض احنا أخوات، يعني دا واجبي.

ودّعه "صهيب" بحب، ثم أغلق الباب ودلف للداخل مرة أخرى جالسًا بجانب "حبيبة" التي عادت لشرودها، عادت لوعيتها عندما شعرت به يجلس جانبها، فنظرت إليه قائلة بصوت مُرتعش:

_أنا عايزة أتعالج، وعايزة أزور ماما، وعايزة أتبرع لياها،
و...

جذبها لأحضانه مُقاطعًا إياها، ثم همس لها بعشق:

_هعمل ليك كل حاجة أنتِ عايزاها من عيوني، بس قومي نامي وارتاحي شوية عشان أنتِ تعبانة، يلا يا حبيبي.

أومأت له بخجل، فدخلت للغرفة وهو معها ثم تسطحت على الفراش مُغمضة عيناها بتعب، ظنت بأنه سيذهب، لكنها دُهِشت عندما وجدته يتسطح جانبها جاذبًا إياها ليجعلها تنام بين أحضانه، وهنا صعد صوته الخافت يتلو فوق مسامعها آيات قصيرة من القرآن حتى غفت أخيرًا.

صراعاتك الداخلية لا يعلم أحد عنها شيء، أنت مجرد لوحة مُزينة بالإبتسامات وملبئة بالآلام، حياتك عبارة عن دُعاة ثقيلة ألقاها شخص في وجهه بائس؛ فانتحر، هكذا هو حال قلبك، مُحاط بأضلع من المفترض أن تحميه، لكن مازالت سهام الكلمات السامة تُصيبه لتقضي عليه ببراعة.

أفرغت ما في جوفها عندما فشلت لثالث مرة على التوالي في السيطرة على وسواسها القهري، استندت على حوض المرحاض بضعف لتُحاول محاربة دوار رأسها الذي بدأ بالزيادة، صعد صدرها صعودًا وهبوطًا بنهيج قوي بعد أن أغلقت أهدابها الكثيفة لتُهديء من روعها، وعندما استعادت ثباتها قليلًا؛ غسلت وجهها بالماء جيدًا، ثم بدأت بفرك كتلتا يديها معًا بقوة حتى نجحت في جرحهما بأظافرهما الطويلة.

ضربت بيدها على الحائط بقهر ولا تعلم ما عليها فعله، هي حتى لا تستطيع البكاء!! كتمانها المُزمن الذي يُلازمها منذ وأن كانت طفلة في الخامسة عشر يمنعها من التعبير عن بؤس حالتها، كل الظروف تقف ضدها وهي هشة، وجهها وأفعالها ملبئة بالقوة لكن الضعف الداخلي أكثر ما يؤلمها، قامت بغسل يدها ووجهها مرة أخرى قبل أن تخرج من

المرحاض وتتجه إلى غرفتها سريعًا حتى لا تشك بها والدتها، أمسكت المنشفة الخاصة بها ثم جففت بها يدها ووجهها وبعدها ارتمت على الفراش بإنهاك مُصاحبه الضعف.

اعتدلت مرة واحدة على الفراش، وذهبت إلى الدرج الخاص بها مُخرجة لدفتر كتابتها، لا تجد ما تُعبر عنه سوى بالكتابة، الشيء الوحيد الذي تُخرج به كل ما في جبعتها، لذلك صنعت دفترًا خاصًا لها تحفظه في صندوقٍ من المعدن لا يستطيع أحد فتحه سوى ببصمة يدها.

أمسكت قلمها الذي أعطته لها جدتها قديمًا ثم بدأت بكتابة جُملة واحدة كانت كفاية عما تشعر به:

"وها أنا فتاة عبارة عن قصاصات من الورق المحترق تُجبر الجميع على الإبتعاد وكأنني مرض!".

نظرت لدفترها المليء بمعاناتها بضحكة ساخرة مليئة بالألم، ولو كان الجمد يبكي؛ لبكى صارخًا من أجلها.

حارة القناص

وضعت أشياءها مكانها مرة أخرى وارتمت نائمة على ظهرها من جديد، لا تنفك تلك الذكريات من تركها الفترات الاخيرة، خاصةً وأنها أصبحت ترى بها عائلة "الأرمانى" كثيرًا تلك الفترة، شددت من إمساكها بملائتها وهي تهز رأسها بالنفي، وكأنها تُخبر تلك الذكريات بأن تتركها وشأنها، لكن لا فائدة.

.....

_ تعالي يا حبيبتي أقولك حاجة قبل ما حد يجي.

هزت "أهلة" رأسها بالنفي والتي كانت تبلغ حينها ثلاثة عشرة عام، وهي تُشدد من احتضانها لدميتها قائلة بهلع:

_ لأ.. أنت بتعمل حاجات وحشة أنا مش بحبها.

اقترب منها ثم جلس على رُكبتيه مُقبلًا جانب وجهها بحرارة:

_ لأ دي مش حاجات وحشة، دا أنا بعمل كدا عشان بحبك.

ابتعدت "أهلة" عن مرمى يداه وهي تصرخ به:

_ أنا هقول لماما لو عملت كدا تاني، أنت وحش.

اقترب منها مجددًا حاملاً إياها بطريقة مُريبة بالنسبة لطفلة
في مثل سنّها، ثم أردف بشرّ أمام وجهها مُباشرةً مُهدداً
إياها:

_أنا هقطع لسانك لو قولتي حاجة لماما أنتِ فاهمة!! أنا
مش بعمل حاجة غلط، أنا بس بحبك وأي حد بيحب حد
بيعمل معاه كدا.

هزت "أهلة" رأسها ببيكاء تبعه شهقات حادة وهي تُخبره
ببرائة كان هو يقتلها بدمٍ بارد:

_لأ عيب... ماما هي اللي قالتلي مخليش حد يبوسني، أنا
بكرهك.

انتفضت "أهلة" من مكانها بتعرق غزير وصدرها يهبط
ويصعد بنهيج قوي، وضعت يدها على فمها تمنع تقيؤها
وللأسف الشديد لم تستطع، هرولت تجاه المرحاض للمرة
الرابعة ثم أفرغت ما في معدتها رغم أنها كانت فارغة، لكن
اشمئزازها من كل ما حولها يجعلها لا تستطيع المقاومة
أكثر، بعدما أنتهت وغسلت وجهها ويديها للمرة التي لا تعلم
عددها تقريباً، ثم همست بفحيح:

حارة القناص

_ قسماً بالله هخلص منكم كلكم، هعيشكم كل لحظة سودة
عاشتوها ليا ومش هرحمكم.

مسحت فمها ثم خرجت من المرحاض، فرأت والدتها جالسة
بثبات على الأريكة لا تتحرك، ذهبت إليها "أهلة" ثم جلست
جانبها تسألها بتعجب:

_ مالك يا ماما قاعدة ساكتة ليه كدا؟!!!

طالعتها والدتها بثبات ثم أردفت بجمود ونظرات غير
مُطمئنة:

_ مالي يعني!! ما أنا كويسة أهو، أقوم أرقص يعني؟!!

تعجبت "أهلة" من طريقة والدتها الجديدة من الحديث معها،
ثم نفت مستعجبة:

_ لا يا حبيبتي مش قصدي، أنا بس قصدي إنك مبقتيش
تقعدني معانا زي الأول.

نظرت إليها والدتها بصمت جامد وكأنها تقوم بقرائتها، ثم
أجابتها بهدوء قبل أن تتركها وتدخل لغرفتها:

_ مش لما تبقوا انتوا الأول فاضيين ليا؟!!!

نظرت "أهلة" لأثرها بقلق، هل من الممكن أنا والدتها قد
شكت في تصرفاتهم!! وإن كان لا؛ لِمَ إذا حديثها هذا!! هزت
"أهلة" كتفها بعدم فهم، ثم وقفت من مجلسها ودلفت
لغرفتها مرة أخرى لإستكمال عملها.

كُن حذرًا في اختيارك لأصدقائك، فإن أسأت الاختيار؛ فلن
تجد طريقًا للعودة.

أنهت "سهيلة" محاضراتها الساعة الخامسة تقريبًا، ثم
نفخت بضيق وهي تنظر لأصدقائها:
_دماغي صدعت من الدكتوراة دي بجد، بقولكم إيه تعالوا
نروح أي مكان ناكل فيه!

ادعت "منه" البراءة وهي تُجيبها بضيق زائف:
_سوري يا "سو" بس انا و"ساندي" خارجين النهاردة.

قطبت "سهيلة" جبينها بضيق وهي تسألهم:

_ خارجين من غيري؟! !!

تلك المرة أدرفت "ساندي" بخبث:

_ ما أنتِ مش هترضي تخرجي معانا، أصلنا مش هنخرج لوحدنا، "وائل وأمجد وأسامة" خارجين معانا.

_ ما تيجي معانا يا "سو" وفكك من الجو اللي أنتِ عايشة فيه دا!

هتفت بها "منه" برقة، لثُدجها "سهيلة" بتفكير وها قد بدأ الشيطان ينسج لها تخيلات من عقلها الباطن مرة أخرى!! رأت كلتا صديقاتها تأثير حديثهما عليها؛ لذلك سارعوا ببث سمومهم داخلها، ومع إلحاحهم وافقت أخيرًا بالخروج معهم، وسط شلة من الفاسدين الذين سيقضون عليها بالتأكيد.

تجمع الشباب أخيرًا، ونظر "أمجد" لـ "سهيلة" بدهشة قائلاً بعدم تصديق:

_ أوه نو!! "سو" هتيجي معانا!!

حارة القناص

رسمت "سهيلة" ابتسامة رقيقة على شفيتها مُجيبة إياه
برقة وطريقة تعجبوا منها جميعًا:

_ودي حاجة وحشة ولا حلوة يا "ميجو"؟!

حدجها بنظرات شاملة مُجيبًا إياها بإعجاب:

_حاجة قمر يا "سو"، يلا نركب العربيات، و"سهيلة"
هتركب معايا.

_وأنا هركب مع "وائل".

أردفت بها "منه" الهائمة عشقًا به، بينما أردفت "ساندي"
بسعادة:

_وأنا هركب مع "أسامة"، يلا نتقابل هناك.

أومأوا لها جميعًا، وبالفعل صعدت كل فتاة لسيارة شاب
مختلف، كذلك صعدت "سهيلة" بجانب "أمجد" الذي كان
يُطالعها بنظرات شغوفة، لطالما تمنى أن يطالها، لكن دائمًا
ما كانت تصده عنها، لا يعلم ما الذي تغير بها لكن الأمر
يُعجبه وبشدة.

وصل الجميع إلى المكان المقصود، وطيلة الطريق كان "أمجد" يُحاول إمساك يد "سهيلة"، في البداية صدته مرتين، لكن الثالثة سمحت له وكان الأمر أصبح عاديًا بالنسبة لها!!

هبطوا من السيارات فاتضح المكان الذي سيقضون به سهرتهم، وهو «ملهى ليلي»؟! رددتها "سهيلة" بعدم تصديق، لتردف صديقتها "ساندي" التي أخرجت حُمرَة شفاهها قائلة:

دا Night Club يا بيبي متبقيش قفل كدا، وخدي الروج دا حُطي منه هتبقى قمر.

نظرت "سهيلة" للمكان بعدم ارتياح، لتذهب إليها "منه" مُقتربة منها حتى وقفت أمامها بعدما انتشلت حمرة الشفَاة من يد "ساندي"، قائلة وهي تبدأ بتحديد شفتي "سهيلة" به:

بصي حواليك يا "سو" هتلاقي الكل بيعمل كدا، وبعدين دا يوم مش بيتكرر غير مرة واحدة كل فترة، يلا بقى.

خضعت لهم "سهيلة" بالنهاية ودلفت معهم، فوجدت الكثير من الشباب والفتيات يرتدين ثيابًا تكاد تُغطي أجسادهن

يتمائلون كالأفاعي على لحن موسيقى صاخبة سامحين
للجنس الآخر باستباحة أجسادهن الرخيصة، شعرت بكف يد
يُحيط بخصرها فانتفضت مُبتعدة تلقائياً، نظرت لصاحب تلك
اليد فوجدته "أمجد" الذي اقترب مرة أخرى قائلاً بخبث:
_يلا نرقص يا "سو" وخلينا نستمتع باليوم العظيم دا.

في البداية كانت مُتحفزة لأي رد فعل قد يحدث، لكن مع
مرور الوقت تناسجت معهم ناسية دينها وأخلاقها التي
تعلمتهم في يومٍ من الأيام، لقد جعلت ذاتها سلعة رخيصة
سامحة للجميع بروية زينتها وتفاصيل جسدها التي أظهرته
ببراعة أثناء رقصها، والأمر في البداية بدأ من أصدقائها!!

ظلت المقاومة هي عنوانه، لأجلها مُستعد أن يتحول لوحش
مُدمر كي يقضي على مَنْ أحزنها، وهي فقط كانت تقف على
أعتاب الباب تبكي، فكرت في الصراخ لكن والدها منعها
بتهديده بقتله، نظر لها "جون" بطمأنينة لكن عندما هبط
"سمير" بالعصى الخشبية على قدمه صرخ فاقداً مُقاومته،
وهو فقط مُكتف الأيدي من أتباع "سمير"، رفع "سمير"
العصى عالياً وكاد أن يهبط بها فوق رأسه؛ لكن وقوع الباب
الخشبي فجأةً أمام الجميع جعلهم يتصنمون مكانهم.

ابتلع "جون" ريقه بهلع عندما رأى هوية الدخيل، ثم حوّل
أنظاره تجاه "سمير" مُردفًا بـرجاء:

__فلتقتلني أتوسل إليك.

طالعه "سمير" بتعجب، ثم أردف بغضب لذلك الذي يقف
أمامه بجمود واضعًا كلتا يديه في جيبي بنطاله وخلفه اثنان
من رجاله:

__أنت مين يا جدع أنت، وإزاي تدخل بالطريقة دي!! دا أنا
هخلي يوم أبوكوا أسود النهاردة.

اقترب منه الآخر ببطءٍ أهلك أعصابه حتى توقف أمامه، ثم
همس له بفحيح:

__مَعَكَ "ألبرت تشارلي"، مصيرك.

لم يعي "سمير" ما قاله؛ حتى سدد له "ألبرت" ضربة في
منتصف جبهته وقع على أثرها للخلف، ترك الثلاثة رجال
"جون" ثم اتجهوا ناحيته، ليُخرج هو ببرود سلاحه مُوجهًا
إياه أمام وجوههم جاعلاً إياهم يتصنمون أماكنهم كالخراف.

هرولت كلاً من "لوسيندا ومهرائيل" إلى والدهم يسندوه
للجلوس على الأريكة بعدما شعر بالدوار الشديد بعد ضربة

ذلك الغامض له، بينما وقف "جون" من مكانه ذاهبًا لشقيقه
يسأله بقلق:

_متى أتيت أخي!!

أمسكه "ألبرت" من تلايب ثيابه يهزه بعنف، ثم أردف
بشر:

_حسابك معي أنت وأخيك الأحمق، أقسم بأني لن أرحمكما
معًا.

قطب "جون" جبينه بضيق ثم تشدق ساخطًا:

_بربك "ألبرت" لا تكن هكذا، أنا و"فور" لم نعد صغيران،
لقد أتينا إلى مصر لكي نُنهي مُهمتنا ونعود لروسيا مُجددًا.

كز "ألبرت" على أسنانه مُجيبًا إياه بحقد:

_الأمر ليس خاص بالمهمة فقط "جون" وأنت تعلم هذا
جيدًا، الأمر بالنسبة لنا كإنتقام وهذا هو هدفنا منذ أن
تعاهدنا، لم قطع ذلك الوعد الآن؟!!

_لم أقطعه "ألبرت" أقسم لك، أنا أعلم بأنك ستأتي إلي هنا،
لكن لم أكن أتخيل أن الأمر سيكون بكل تلك السرعة.

دفعه "ألبرت" بعيدًا هاتفًا بإشمنزاز:

_ أنت حقير ومغفل، من الآن فصاعدًا ليس لي حديثًا معك
"چون"، أفهمت!!

نفخ "چون" بيأس ثم أردف بلين:
_ أخي أرجوك أن تسمعني أنا...

قاطعه "ألبرت" بصوت بارد:
_ لا أريد سماع شيء منك، هيا لنذهب.

_ سأتزوج "لوسيندا" أولاً.

وصل الغضب به إلى ذروته، لذلك صاح به بصراخ:
_ اللعنة عليك أنت وتلك الفتاة، لم تُحب أن تُثير أعصابي
دائمًا.

_ أنا لم آتي إلى هنا لأذهب دونها أخي، لقد أتيت لها ومن
أجلها، هي لي لا لأحدٍ غيري.

مسح "آلبرت" على وجهه بغضب عارم، فحوّل وجهه إلى "لوسيندا" التي تقف جوار شقيقتها "مهرائيل" الهائمة به، اغتاض "آلبرت" من تحديق الأخرى به بتلك الطريقة الغبية كما وصفها، لذلك صاح بها بغضب:

_ لِمَ تنظرين لي كالجرو هكذا؟!!

تحولت معالم "مهرائيل" للغضب فباتت كقطة شرسة مُستعدة للإنقضاض عليه بأي لحظة، لذلك صاحت به بطريقة سوقية:

_ هي مين دي اللي جرو يابن الجرو أنت!! لأ بقولك إيه اتكلم معايا بطريقة أحسن من كدا بدل ما وديني أعلمك الأدب.

اقترب منها "آلبرت" حتى توقف أمامها هامساً بفحيح مُرعب:

_ هل هذا الكلام لي أنا؟!!

وبغباء أكبر هزت رأسها بالنفي متشدقة بهلع:

_ لأ دا أنا كنت بعمل بروفا عشان أقول كدا للواد اللي بيعاكسني على أول الشارع.

مُغفلة.

كلمة همس بها أثناء ابتعاده عنها، اتجه نحو الباب ثم
استدار لشقيقه مردفاً بجمود:

اجلب من تريد الزواج بها وهيا لنذهب.

اتسعت ابتسامة "جون" بسعادة كبيرة ثم قفز من مكانه
صائحاً بتهليل:

يعيش "ألبرت" يعيش، أنا أحبك أخي.

وأنا أكرهك يا أحمق.

أردف بها "ألبرت" بسخرية ثم هبط للأسفل لينتظره، بينما
نظرت "ميهرانيل" لأثره قائلة بفضافة:

خسارة فيك حلاوة هيريثك روشن دي والله، دا أنت دبش،
قالب طوب وماشي على الأرض... بس قمر.

هتفت الأخيرة ببلاهة، لتطالعها "لوسيندا" بغیظ قبل أن
تردف بسعادة:

_ طيب يلا سيبك من الأوهام دي ويلا عشان تيجي معايا
الكنيسة.

قفزت "مهرايل" بحماس وسعادة من أجل شقيقتها، ثم
هرولت تجاه غرفتها لتبديل ثيابها قبل أن تقول:

_ خمس ثواني هغير هدومي وهاجي معاك يا عسل أنت يا
مسكر.

ضحكت "لوسيندا" بخفة، ثم نظرت إلي "جون" الذي
اقترب منها متحدثًا بهيام:

_ وأخيرًا ستكونين لي!!

_ مش مصدقة بجد يا "جون" إن بعد دا كله هنكون لبعض،
بس مازالت خايفة من فكرة اختلاف ثقافتنا دا، أنت مش
هتفرط فيا صح!!

قالت ما تخافه وما يجيش به صدرها، ليُجيبها هو بوعد:

_ أقسم بأنني سأحتفظ بك بين أضلعي مدى الحياة.

طالعه بنظرات شغوفة مليئة بالحب، وما كادت أن تتحدث؛
فوجدت أبيها بصوت خافت أصابها بالهلع، ليأمرها "جون"
سريعاً:

__ اذهبي لتبديل ملابسك بسرعة حتى نذهب من هنا.

أومأت له سريعاً ثم دلفت إلى غرفتها لتبديل ثيابها، لا
تُصدق بأنها ستصبح ملكة وله للأبد!! حلمها سيصبح حقيقة
أخيراً!!

انقضت ثلاثة ساعات على الجميع حتى هلّ الليل على
الجميع.

وهنا.. حيث ذلك المكان المظلم حالك السواد لا يُسمع به
سوى صوت الرياح العاتية الشديدة، دلف هو ذلك المخزن
بهدوء حاد يُحسد عليه، طرق نعل حذائه بالأرض الأسفلتية
أسفله مما جعله يُصدر صداً خفيفاً في الأرجاء، سار عدة
ممرات صغيرة ثم فتح له الحارس ذلك الباب الحديدي الذي
يقوم بحراسته.

دلف للداخل بخطوات واثقة حتى وقف أمام ذلك الجالس
على المقعد يلتف جسده بأحبال غليظة، رسم على ثغره

حارة القناص

ابتسامة جانبية ساخرة، ثم تشدق بفحيح بعد أن سحب ذلك
القناع الذي يُغطي به وجه الجالس:

مرحبًا بك في الجحيم "صوفيا"؟!

أغمضت "صوفيا" عينيها عدة مرات ثم فتحتهم مرة أخرى
بانزعاج، بدت لها الرؤية مشوشة في البداية، لكن بعدها
اعتادت على الضوء الخفيف القادم من المصباح الذي
فوقها، رفعت أنظارها للذي يقف أمامها ثم سألته بتعجب:

أنت مين!!

استند بقدمه على طرف مقعدها الخشبي المُتسخ، ثم أجابها
بشر قادم من أعماقه:

_ "ألبرت تشارلي"، مصيرك.

ظلت "صوفيا" على حالتها لعدة لحظات تُحاول استيعاب
ذلك الاسم، تشعر بأنها استمعت لذلك الاسم من قبل، وبعد
بُرهة من الصمت فتخت عيناها بصدمة عندما تذكرته، ما
تلك اللعنة التي حلت على رأسها الآن!!

خرج صوت "صوفيا" غاضبًا وهي تُحاول الفكاك من تلك
القيود التي تمنع تحركها:

_ ماذا تريد مني أنت!! أتظن بأنهم سيتركونني هنا دون أن يبحثوا عني "ألبرت"!!؟!! أنت مُخطيء يا صاح.

أطلق "ألبرت" ضحكة عالية رنانة ترددت صداها في الأرجاء، توقف ناظرًا إليها ثم تشدق بصدمة مصطنعة:

_ ألم أقل لك ما حدث!!

انتظرت حديثه بترقب وها قد بدأ القلق يتسرب إلى قلبها رويدًا، ليستكمل حديثه قائلاً بحزن زائف:

_ الجميع يظن ميتة الآن يا مسكينة.

فتحت "صوفيا" عيناها بصدمة وتوقف تنفسها لثوانٍ، صاحت به بعاصفة هوجاء شاتمة إياه بأفزع الألفاظ:

_ أنت **** حقير، أقسم بأنني سأقتلك "ألبرت"، سأخلص منك ومن عائلتك الحقيرة أيها الخائن...

قاطعها بصفعة قوية هبطت منه على وجنتها، فتسبب في نزيفها بغزارة، اقترب منها أكثر مُمسكًا لخصلات شعرها المُشعث بين يديه، ثم تسائل بفحيج غاضب:

_ أين أمي "صوفيا"!!؟!!

توقفت "صوفيا" عن الصراخ راسمة ابتسامة مُختلة على
ثُغرها، قبل أن تُجيبه بخلل:
_ هي الآن تُنفذ اتفاقنا "ألبرت".

_ تمام هما هيخرجوا وأنا هنفذ كل اللي اتفقنا عليه، سلام.

بينما ارتدت "أهلة" ملابسها ثم خرجت من الغرفة لتجد
"ملك" جالسة على الأريكة بجانب والدتها في انتظارها،
نظرت "أهلة" حولها بتعجب ثم تسألت:
_ هي "يمنى" لسه ملبستش!؟

أجابتها والدتها قائلة:

_ بتقول تعبانة ودماعها مصدعة مش قادرة تخرج.

هزت "أهلة" رأسها بالإيجاب، ثم تشدقت وهي تسحب يد
شقيقتها قائلة:

_ خلاص ماشي، أنا هجيلها حاجة للصداع وأنا جاية من
الچيم، يلا مع السلامة يا ماما.

_سلام يا حبيبتي.

ودعتها والدتها، لتخرج كلاً من "أهله وملك" من الغرفة
تاركين والدتهم مع "يمنى" هم فقط من بالمنزل.

عندما تأكدت من خروجهم، هبت من مضجعتها سائرة على
طرف أصابعها دالفة لغرفة "أهله"، أخرجت هاتفها من
جيب بنطالها ثم تشدقت بهمس خافت:

_هنفذ كل اللي اتفقنا عليا دلوقتي محدش في البيت.

انتظرت سماع الطرف الآخر، ثم أجابته بإيجاز قبل أن تُغلق
الهاتف وتبدأ برحلة البحث وسط الأوراق الهامة، ظلت
قراءة الخمس دقائق تقريباً تبحث حتى توقفت أمام دُرج
مُنغلق بأحد الأقفال، وعلى غفلة فُتح الباب مرةً واحدة
لتظهر من خلفه "يمنى" والتي تسألت بتعجب:

_بتعملي إيه هنا يا ماما؟!!!!

انتفضت والدتها من مكانها عندما رأتها تقف أمامها، ثم
أردفت بتلعثم حاولت السيطرة عليه:

_لقيتهم كلهم خرجوا قولت إما أنضف الزبالة اللي على
الأرض دي، أنت عايزة حاجة.

ابتسمت لها "يمنى" بخفوت وهي توضح لها:

_ لآ يا حبيبتي أنا بس قلقت عليكِ لما ملقتكيش قاعدة براء،
على العموم أنا كنت قايمة آخذ أي حاجة للصداع وهدخل
أنام.

أومات لها والدتها بإبتسامة متوترة لم تلاحظها "يمنى"
بسبب ذلك الصداع الذي يفتك بها، ثم خرجت من الغرفة بعد
أن أغلقت الباب مرةً أخرى.

تنفست الصعداء بارتياح وشعرت بوجهها كالحمم البركانية
من شدة تعرقه، لذلك وبدون تردد قامت بخلع ماسك وجهها
الذي تضعه على وجهها لتتقمص شخصية "نبيلة" والدة
الفتيات!!!!

فُتح الباب مرةً أخرى فتشددت "يمنى" بأسى:

_ ماما صح نسيت أسألك فين ال..... أنت مين!!!!

شهقت "يمنى" بصدمة عندما وجدت أن التي أمامها لم تكن
والدتها بالمرّة!! بل امرأة أخرى ترتدي ثيابها!! اقتربت
منها تلك الدخيلة مُسرعة فهرولت "يمنى" للخارج منتوية

حارة القناص

الصراخ، لكن الأخرى منعتها من ذلك عندما منعت حركتها
وكممت فاهها بيدٍ، وأخرجت باليد الأخرى سكين صغيرة
كانت تحتفظ بها في ثيابها احتياطياً إن تم كشفها، ثم طعننها
بها عدة طعنات حتى وقعت "يمنى" صريعة أمام قدمها
غارقة في دمائها.


«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

اشروق حسن | 

جزءٌ من الحقائق قد تم كشفه، لكن الأمر يزداد غموضاً لا
أكثر، القضايا تتوالى فوق بعضها، والضحايا ما زالت غير
معدودة، فهل سيجتمعون بالنهاية أم ستُفرقهم الأقدار؟!

{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . 

#سؤال_وجواب 

هل تجوز الصلاة خلال الأذان؟

ج/ نص المالكية والحنابلة على كراهة ذلك، لأن عبادة الوقت الآن هي التردد خلف المؤذن.

«الفصل السابع عشر»

«حارة القناص»

اكتمان مُزمن وصدمة

أصابتنى سهام الحب وما أنا بجاهلٍ، فسرى سُمّ العشقِ في
الوريدِ ينتشرُ.

ذهبت كُلاً من "أهلةً وملك" إلى صالة الألعاب الرياضية
حيث اعتادوا أن يذهبوا دائماً ومعهم شقيقتهم الثالثة
"يمنى"، لكنهم أهملوها في الفترة الأخيرة بسبب كثرة
الأحداث المتوالية التي هبطت فوق رؤسهم.

وصلوا أخيراً إلى وجهتهم والتي كانت عبارة عن مبنى كبير يحتوي على الكثير من الآلات التدريبية التي تخص الفتيات والشباب معاً من الجنسين، دلفوا إلى غرفة التبديل الملابس وسارعوا إلى ارتداء ثياب التدريب، بنطال مُلتصق بأقدامهم، وقميص ذو حمالات عريضة بالكاد يصل لخصرهم يُحدد نصفهم العلوي، ثم ربطوا خصلاتهم على هيئة ذيل حصان وخرجوا من الغرفة.

أولاً قامت " أهلة " بغسل كِلتا يديها جيداً وبعناية شديدة؛ حتى لا تضطر إلى التقيؤ في منتصف تدريبها مع مُدربها الشخصي الذي اعتاد تعليمها على مهارات القتال الدفاع عن النفس، حتى باتت مُهيئة لدخول أي عراق وهي مُتأكدة من فوزها به.

اتجهت بعدها نحو الكيس الكبير بعد أن ارتدت قفازاتها ثم بدأت بضربه بقوة كبيرة، تُحاول إخراج طاقتها السلبية بما أمامها حتى لا تقضي على ذاتها، بالأصل يكفيها كتمانها المُزمن والذي يمنعها من البكاء، فيضطر قلبها إلى الصراخ مُتألماً يُطالبها بالتنفيس عن آلامها حتى يستطيع النبض بصورة طبيعية، هبطت حبات العرق على جبينها رغم برودة الجو، تلك النيران التي داخلها لا تنفك أن تهدأ أبداً، بل تزداد واحدة تلو الأخرى؛ خاصةً عندما علمت بوصول "نادر الأرمني" إلى مصر ومعه ابنه بعد غياب طويل، بل وغداً

رحلة هبوط أخيهم الرابع والذي يُدعى "صفوت الأرمني" ومعه زوجته وكتلتا بناته، وتلك هي فرصتها للقضاء عليهم مرةً واحدة، ولن تتركها لتضيع من بين يديها، فإن فعلت ستظل تلعن غباؤها طوال حياتها.

ومع تذكرها لانتقامها تعود تلك الهواجس والذكريات تدور بخُلداها مرة أخرى، هزت رأسها بنفي جاززة على أسنانها بحقد قبل أن تبدأ بلكم كيس الملاكمة مرة أخرى، غير واعية بأنها على مقربة من جانب الشباب الذين رأوها أثناء تدريبها القاسي هذا، توقفت بعد خمسة عشر دقيقة تقريبًا حتى تأخذ أنفاسها الهادرة، وأمسكت بمنشفتها القطنية لتُجفف بها عرقها الغزير الذي هبط دون إرادة منها، لمحت عيناها "ملك" التي ترتاح قليلاً بعدما قضت تمرينها في الجري على الآلة الكهربائية، والآن تتحدث بالهاتف، لا بُد بأنها تُهاتف أحد الشباب كعادتها!.

ثبتت "ملك" أنظارها على مكانٍ ما، ثم هبت من مكانها مُسرعة تُهرول نحو جهة مُعينة، قبل أن تردف بحماس:
_إيه دا إزيك يا أبيه!!!.

اقترب منهم "قاسم" قاطبًا لجبينه، والذي رآهم على بُعد ليس بالقرب أثناء إكمالته لتدريبه الذي اعتاد عليه، لكن..

حارة القناص

ما الذي جلبهم إلى هنا!! سؤال ظل يدور بعقله أثناء تقدمه منهم، ولم يبخل على ذاته بالسؤال عندما توقف أمامهم مباشرة:

_جاين هنا تعملوا إيه؟!!!

ورغم تعجب "أهّلة" من وجوده هنا؛ إلا أنها أجابته بهدوء شديد أثناء تجفيفها لوجهها:

_احنا متعودين نيجي هنا دايمًا بس بقالنا شهرين مش بنيجي، أنت بتيجي هنا على طول؟!!

نظر لكتاتهما بجمود ثم أوما لهم دون التحدث، وعينيه تدور على ثيابهم، وثيابها هي تحديدًا!! قطب جبينه بضيق عندما رأى مظهر الثياب البشع والذي يُظهر تفاصيل جسدها كاملاً، لذلك قطب جبينه بغضب وهو يسألها بضيق:

_إيه اللي أنتوا لابسينه دا؟!!

_نعم؟!!!

سؤال صعد منها على هيئة استنكار، ليُحدجها بغضب وهو يكر على أسنانه من الغيظ:

حارة القناص

_ بقولك إيه الزفت اللي انتوا لابسينه دا؟! اللبس دا يتلبس
لما تكونوا في چيم بنات آه، لكن دا مشترك ومينفعش أي
حد يشوفكوا بيه.

تخصرت "أهّلة" مكانها تزامنًا مع إرتفاعه لحاجبيه يُطالعها
باستنكار، بينما هي أردفت ببرود:
_ والله أظن دا شيء يخلصنا لوحدنا، أنت مش هتتحكم في
لبسنا كمان.

_ لفي كدا!!.

تسائل بجمود، فاعتدلت هي في مكانها تُطالعه بصدمة قبل
أن تصرخ به غير مبالية للنظرات التي تُطالعهم باهتمام:
_ أنت بتقول إيه أنت اتجننت!!

اقترب منها أكثر حتى بات على مقربة كبيرة منها، فهمس
أمام وجهها بسخرية:

_ وأنتِ مفكرة اللي هيبصوا عليكِ هيبصوا على إيه؟!
تمرينك الجامد ولا ضربك لكيس الملاكمة القاسي!!

حارة القناص

لم تكذ أن تعي لما يتحدث؛ حتى وجدته يقذف المعطف الخاص به على وجهها والذي كان يوم مله على ذراعه لحين إنتهاء تدريبه، أمرًا إياها بقسوة:

_ خدي استري نفسك وغيري هدومك، أنتِ مش مخطوبة لواحدة صاحبكِ.

رمت ثيابه التي رماها لها دون أي احترام وفتحت فمها لتوبيخه بحدة؛ حتى قاطعها هو بتحذير قوي استشعرت به الخطر:

_ قسماً بالله يا "أهّلة" لو مسمعتيش الكلام لهلبسك الچاكيت بنفسي وأنتِ عارفة إني أعملها.

طالعه بحقد وشيء ما بداخلها أخبرها بأن ترتديه بدلاً من أن يُنفذ تهديده كالأحمق، كادت أن تنحني لتلتقط المعطف من على الأرض؛ فمنعها من ذلك دافعًا إياها للخلف قبل أن يهبط ويلتقطه هو قبل أن يُعطيه إياها مرة أخرى:

_ أنا مش بقولك إلبسي الچاكيت عشان توطي وتجبّيه من على الأرض يا عسل، خُدي يلا وغيري هدومك وأنا مستنيك في العربية.

ترك نظراتها التي كانت تُصوبها نحوه بغضب، وحوّلها نحو "ملك" التي كانت صامتة من بداية الحديث خوفاً من بطش غضبه الذي تراه ولأول مرة، رأت نظراته المُصوبة نحوها فابتسمت ببلاهة مُبررة:

_أنا.. أنا مكنتش عايزة ألبس اللبس دا بس هي اللي أجبرتي يا أبيه.

رفع سبابته أمام وجهها مُحذراً إياها بخفوت خطير:

_وأنتِ كمان لو شوفتك لابسة كدا تاني سواء هنا أو في أي مكان هعمل تصرف مش هيعجبك، طالما أنتِ بتناديني أبيه بقى استحملي وشوفي الغتاة اللي على حق، مستنيكم برا.

قال جُمَلته الأخيرة ناظراً لأهله بطرف عينه والتي كانت قد ارتدت المعطف والذي غطّى نصفها العلوي حتى بعد خصرها بقليل، ذهبت "أهّلة" من أمامه تُدبب في الأرض بغضب وخلفها شقيقتها "ملك" التي حدجتهم بتوتر.

دخلت "أهّلة" إلى غرفة تبديل الملابس ثم صاحت بغضب جَم:

_هو مفكر نفسه مين عشان يتحكم فيا؟! أنا مش سكتاله بعد كدا عشان هو بيسوق فيها، فيها إيه يعني ما أنا طول

حارة القناص

عمري بلبس كدا في التدريب!! ولا هو شاف نفسه عليا
خلاص!!

لم تُبالي "ملك" بغضب شقيقته، بل ظلت تُدندن بخبث
بصوت وصل جيداً إلى "أهّلة":

_ غلطان في غيرتي عارف... علشان عليكِ خايف... وهواك
أقوى مني... وعليكِ أنتِ خايف.

رمت لها "أهّلة" نظرات حارقة، ثم خلعت المعطف من على
جسدها رامية إياه على وجه شقيقته التي ضحكت بمليء
فاهها:

_ أنتِ عيلة حيوانة أقسم بالله، دا أنتِ فعلاً غتة.

أبعدت "ملك" المعطف من على وجهها وهي تُقهقه عاليًا،
وبعدها أردفت بإعجاب قبل أن تُقرب المعطف من أنفها مرة
أخرى:

_ واو... ريحة البرفيوم بتاعته تُحفة بجد.

رفعت "أهّلة" ذراعها تشمه، فوجدت بالفعل عطره قد
التصق بها، تجعد جبينها بإشمزاز تلقائياً ورغبة مُلحة في

حارة القناص

التقيو تُسيطر عليها، فتاة غيرها كانت ستعتبره موقفًا رومانسيًا، لكن للأسف مرضها منعها من ذلك.

سيطرت على ذاتها بصعوبة وذلك بأخذ نفسًا عميقًا زافرة إياه على مهل وبطئ شديد، لاحظت "ملك" فعلتها فاقتربت منها تسألها بقلق:

__مالك يا "أهّلة" أنتِ كويسة صح؟!!

أومأت لها "أهّلة" بالإيجاب بعدما استعادت بعض من ثباتها، ثم بدأت بارتداء ثيابها الأخرى التي أتت بها إلى هنا، أخفت وجهها الشاحب عن أنظار شقيقتها التي انتهت من تبديل ثيابها حتى لا تُقلقها، فبرغم ما تفعله "ملك" من حماقات إلا أنها تظل أرقهم وأحنهم قلبًا، تخاف عليهم بشدة من أي أذى صغير وكأنها يتخسرهم للأبد.

ورغم محاولات "أهّلة" لإخفاء حالتها عن شقيقتها؛ إلا أنها وجدت "ملك" قادمة إليها بأعين مُمتلئة من الدموع كطفلة صغيرة تسألها ب بكاء:

__أنتِ مش كويسة صح؟!!

حارة القناص

زفرت "أهّلة" بيأس بعد أن أغلقت الحقيبة على الثياب ثم
وضعتها أرضاً مُجدداً، لتجذب شقيقتها لأحضانها قاسمة
لها:

_ يا حبيبة قلبي أنا كويسة والله متقلقيش، ليه العياط دا
بس؟!

أجابتها "ملك" بشهقات:

_ عشان أنتِ تعبانة وبتخبي عليا، وأنا بخاف وبكون عايزة
أطمئن عليكِ.

أبعدتها "أهّلة" قليلاً تمسح لها دموعها بحنان، لتردف
بابتسامة صغيرة وحب لصغيرتها:

_ طيب ما أنا كويسة قدامك أهو، يلا يا حبيبتي كفاية عياط
ويلا نمشي عشان "قاسم" مستنينا برا.

أومأت لها "ملك" بهدوء وهي تمسح أهدابها، لتُمازحها
"أهّلة" قارصة إياها من وجنتها المُنتفخة:

_ ياختي بطة أنت بتحسي وبتعيطي زي البني آدمين كدا!!.

ضحكت "ملك" بخفة ضاربة إياها على كتفها، وبعدها اتجهوا للخارج و"ملك" حاملة لمعطف "قاسم" بين يديها، وجدوه واقفاً مُستندًا على السيارة ونظره مُثبتًا على نقطة ما، شاردًا في ملوكته لا يشعر بمن حوله، رفع أنظاره إليهم ببطئ عندما استمع لصوت خطواتهم وتركزت أبصاره على ثياب "أهّلة"، بلوزة تصل إلى ما قبل ركبتها بقليل وبنطال من الجينز ضيق نسبيًا، ليس جيدًا بما فيه الكفاية لكن أفضل مما كانت ترتديه منذ قليل.

وصلا حتى وقفا أمامه، فمدت "ملك" يدها له بالمعطف مُبتسمة باتساع:
_اتفضل يا أبيه.

انتشله منها بابتسامة صغيرة مبتسمًا بيأس، ثم حوّل أنظاره إلى "أهّلة" التي تنظر لمكان آخر وهي مُقطّبة الجبين، تركتهم "ملك" مُبتعدة عنهم قليلًا لتُجيب على هاتفها الذي صدح رنينه يعلو في الأرجاء، فانتهز "قاسم" الفرصة ليقترّب من أذن "أهّلة" هامسًا لها:

_متزعليش مني بس ابقى تعالي بهدوم أوسع مني دي شوية.

حارة القناص

تفاجئت من اقترابه المُباغت وابتعدت عنه قليلاً بتوتر،
فأكمل هو حديثه مُوضحاً:

نظرات الشباب ليكوا فوق مكنتش كويسة، لا ليك ولا
لأختك ولا للبنات اللي كانت موجودة كلها، فحاولي تبعدني
عن جزء الشباب شوية وهدومك تبقى واسعة، اتفقنا!!

عضت على أسنانها بتفكير وتوتر، ثم أومأت له بهدوء
هامسة بخفوت:

اتفقنا.

اتسعت ابتسامته، لتجده يغمز لها هاتفياً بمشاكسة:

كفاءة.

ضحكت بخفة على كلمته المعتادة والتي أحببتها بالفعل،
فقاطعهم وصول "ملك" إليهم بعد أن أنهت مُكالمتها،
ليصدح تلك المرة صوت هاتفه هو، أجاب عليه بهدوء:

آلو.. السلام عليكم؟!.

حارة القناص

_وعليكم السلام، دكتور "قاسم" محتاحينك في عملية جراحة ضرورية لأن دكتور "خالد" واخذ إجازة النهاردة من المستشفى، ودكتور "جميل" في عملية تانية.

قطب "قاسم" جبينه بضيق وهو يحسب المسافة بينه وبين المشفى، ليجد أنها ليست بالبعيدة من هنا، لكن في نفس الوقت لا يستطيع ترك "أهلة وملك" وحدهم هنا، لذلك تحدث بإيجاز للطرف الآخر:

_تمام أنا عشر دقائق وهكون عندك.

أغلق الهاتف، لتقطب "أهلة" جبينها بتعجب وهي تسأله:
_فيه حاجة ولا إيه؟!!

زفر بهدوء ثم أجابها باختصار:

_عملية حرجة محتاجين وجودي فيها.

_خلاص روح أنت المستشفى واحنا هناخذ تاكسي.

حارة القناص

نظر حوله لعدة ثوانٍ حتى لمح سيارة أُجرة تأتي باتجاههم،
أشار لها بيده حتى توقفت أمامهم مباشرةً، ليستدير لهم
قائلًا بهدوء:

لما توصلوا ابقوا رنوا عليا.

أومأت له "أهّلة" بإمتنان، ثم صعدت بالخلف ومعها
شقيقتها دون الحديث، أملى "قاسم" على السائق العنوان ثم
دفع له الأجرة وبعدها انطلق هو بسيارته سريعًا تجاه
المشفى ليقوم بإنقاذ المريض.

ليت الشباب يعود يومًا.

هتف بها "فور" بتعب وهو يرتمي على الأريكة ليأخذ
أنفاسه من السير الذي ساره لمدة نصف ساعة واحدة، نظر
له "رائد" بضحك وهو يُجيبه:

يابني أنت عندك 29 سنة.

اعتدل "فور" من مجلسه مُتسائلًا بصدمة:

_حقًا!! إذا لم أشعر بأني عجوز تعدى الثمانون عامًا!! كل جزء في جسدي يؤلمني يا صاح.

_معلش شدة وهتزل.

قالها "رائد" وهو يمد يده لصحن الطعام الموضوع أمام "فور" ويأكل منه بتلذذ، انتشل "فور" الطبق من أمامه ثم صرخ به ناهراً إياه:

_ماذا تريد أن تفعل يا وقح!! أتريد أكل صغاري!!؟!!

طالعه "رائد" بشر أثناء نظره لطبق الدجاج الذي يأكله وحده، وقف من مضجعه لينظر له "فور" بحذر:

_ماذا ستفعل!!

ضيق "رائد" عينه بتربص، مُجيباً إياه قبل أن ينقض عليه وعلى طبق الطعام:

_هاكل يعني هاكل.

انقض عليه "رائد" يُريد أخذ قطعة من اللحم، ليصرخ به "فور" الذي يُحاول تخبئة الطعام _أو صغاره كما يقول_:

حارة القناص

_ابتعد أيها المتوحش السارق، ابتعد عن دجاجاتي واللعنة،
فليلحقتني أحد يريد قتلي.

صرخ "فور" بالأخيرة مُولولاً كالنساء، لينتفض "رائد" من
عليه كاتمًا لفمه متشدقًا بهمس:
_اخرس يخربيت معرفتك اخرس.

ظنَّ "فور" بأنه يُريد خنقه ليأكل الدجاجات وحده، ليزيد
صراخه أثناء محاولاته لإبعاد ذلك السارق القاتل عنه:
_يااللهول، النجدة يا بشر، أيها المعتدي الحقير ابتعد
عني.

انتفض "رائد" مُبتعدًا عنه لاطمًا على وجهه وهو يردف
بفزع أثناء استماعه لصوت باب المنزل يطرق بعنف:
_الله يخربيتك الجيران شكلم طلبوا البوليس، منك لله يا
بعيد، كشفت شعري ودعيت عليك يابن العبيطة.

طالعه "فور" بشماتة أثناء إتهامه لقطعة من الدجاجة حتى
بات فمه مُمتليء، ثم هبَّ من مكانه وبيده صحن الدجاج
حتى لا يسرقه المُغفل "رائد"، وبعدها فتح الباب لينظر من
الطارق، وما هي إلا ثوانٍ وصرخ يطلب النجدة بصراخ

حارة القناص

عندما وجد أشقائه الأربعة عدا "آلبرت" يقفون أمامه
ببذلتهم السوداء القاتمة يُحدجون إياه بغضب جحيمي:

_النجدة فلينقذني أحد.

وصل إليه "رائد" متعجبًا من صراخه، فرأى حفنة من
الرجال غربيي المظهر يقفون بملامح مُتهجمة ترتسم على
وجوههم، فتسائل باستغراب:

_انتوا مين يا رجاله؟!!!

صعد صوت "ستيقن" الجامد وهو يُشير له بالصمت، ثم
وجّه حديثه لشقيقه هامسًا له بشر:

_ستقتل اليوم يا وغد.

تدخل "رائد" في الحوار صارخًا بوجهه:

_أنا بس اللي أقوله وغد يا حيوان أنت، وبعدين اتكلم معايا
أنا.. أنت مين؟!!

لم يُجيبه "ستيقن" بلسانه، بل أجابه بيده التي قبضت
لتسقط على وجهه بقوة أدت إلى إختلال توازنه ليقع على

حارة القناص

الأرضية الصلبة من أسفله، تأوه "رائد" بقوة وهو يضع يده موضع ضربة الآخر قائلاً أثناء صراخه به:

__ دا أنت ليلة أبوك طين النهاردة.

لم يكذ يستوعب "ستيفن" ما يقول، حتى باغته "رائد" بكلمة قوية تُماثل خاصته مما أدى إلى اصطدام "ستيفن" بالحائط من خلفه، وفي تلك اللحظة لطم "فور" على وجهه باستسلام قائلاً قبل أن يفقد وعيه من الصدمة:

__ قُضي علينا.

قبل ما حدث...

__ "يمنى" أنا بحبك.

قالها "يحيى" مرة واحدة أثناء صعوده لشقه "يمنى" وشقيقاتها حتى توقف أمام باب المنزل، هز رأسه بالنفي مُعنفًا ذاته:

__ لأ مينفعش أجيبها ليها صد رد كدا، لازم مقدمات عشان متموتش مني.

سحب نفسًا عميقًا ناظرًا للباب يتخيله بأنها هي، ثم تشدق بحب وحنان:

_"يمنى" أنتِ غلاوتك من غلاوة أمي، وشعرك أكرت زي المرحومة ستي، ضحكك بتفكرني بجاموستنا، وعنيك لون برسيم غيطنا، فعشان كدا أنا بحبك.

اتسعت ابتسامته بسعادة عندما اقتنع بجملته، بل ورأى بأنها في غاية الرومانسية!! رفع كفه ليطرق على الباب والآن اتضح له بأنه مُواربًا بفتحة صغيرة لاحظها للتو، ظن بأن أهل المنزل نسوه مفتوحًا لذلك طرق عليه بخفة بيد، وباليد الأخرى رفع يده على الجرس، ورغم ذلك لم يجد إجابة.

بدأ القلق يتسلل لفؤاده عندما لم يجد إجابة، وبتردد واضح رفع يده يدفع الباب ليفتحه، وهنا كانت الصدمة! "يمنى" واقعة أمامه على الأرض غارقة في دمانها، بلا روح وبلا نفس واحد!!

تثبتت قدماه مكانه لبرهة من الوقت، يتمنى لو يُغلق عيناه ويفتحهما ليجد ذاته في غرفته ساكنًا على فراشه لم يستيقظ بعد، وبالفعل أغلق عيناه ثم فتحها، لكنه وجد نفس المشهد

ولم يتغير، "يمنى" ساقطة أمامه ولا تتنفس يُحيطها بقعة كبيرة من الدماء، وهُنا تجمعت الدموع بمقلتاه وهو يهز رأسه بنفي لا يُصدق ما يراه، اقترب ببطئ من جسدها ثم هبط مُستندًا بركبتيه بجانب جسدها الهامد.

ابتلع ريقه بصعوبة والذي كان بطعم العلقم من مرارته، ثم مد يده لوجهها يُناديها بصوت مبوح مُنصدم ودموع تنهمر على وجهه دون وعي منه:

.. "يمنى"؟!!

وكأنه كان ينتظر منها رد ولم تُجيبه، أمسك بنصفها العلوي ثم احتضنها مُحرغًا رأسه بنفي وهو يردد اسمها بهستيريا وعدم تصديق، لم يُبالي بثيابه التي تلوّثت من دماؤها، لم يبالي بحالته المُشعبة، كل همه الآن هي، وأخيرًا انتبه للوضع الذي به وبكى!! بكى كطفلٍ صغيرٍ فقد والدته للتو، علت شهقاته بصراخ وهو يدفن وجهه بعنقها يرجوها أن تستقيظ، لكنها لا تستيقظ!! ضرب على وجهها بضربات خفيفة مُرددًا اسمها وهو يبكي:

.. "يمنى"؟!! يمنى عشان خاطري رُدي عليا، يمنى بالله عليك متسبنيش لوحدي... ردي عليا يا يمنى.. لأ.. لأ أكيد مش هتسيبيني.. أكيد.. لأ.. مينفمش.. يمنى!!!

حارة القناص

بضعة كلمات خرجت منه بعشوائية وهو لا يعي للحالة التي بها، كل الذي يراه هو هيئتها الخامدة، وكأن غمامة كبيرة من العمى قد أصابته مانعة إياه من التصرف بطريقة صحيحة، وهو أخذها للمشفى.

قالوا بأن للحب جانب آخر، جانب مليء بالخيبات والألم، حزن يتضاعف مع زيادته بانياً سد منيع من الدموع، فكيف نجد الملتقى والموت للعشق يمنع!! ذاق الحبيب طعم الفراق ففاق الألم فوق الأضلع، هب لي من لدنك طاقةً لأكمل هذا الطريق الواعر.

لا يعلم ما الذي حدث سوى بأنه حملها ووضعها في سيارته مُنطلقاً بها نحو المشفى، صراخه العالي بالأطباء جعلهم يهرولون تجاهه ويحملوها بدلاً عنه، وكان حملٌ كبير وُضع فوق أكتافه عند ابتعادها، يُحدج أثرها بتيهة لا يُصدق ذلك الموقف الجديد كلياً عليه، لم يشعر سوى بدموعه الساخنة تهبط فوق وجنتاه بحرارة، قلبه يتآمر ضده بأن يدلف معها لغرفة العناية حتى لا يتركها، وهو يقف كالعاجز لا يعلم ما عليه فعله.

حارة القناص

شعر بيدٍ توضع على كتفه لا يعلم صاحبها، نظر لذلك
العجوز الذي ينظر له ببشاشة بينما هو وجهه جامد لا يظهر
عليه شيء، صعد صوت العجوز يطلب منه بود:
_روح صلي يا بني وادعي ربنا يرجعها ليك تاني.

_ماتت.

كلمة واحدة ردها بصدمة وهو يُشير للغرفة، لينفي العجوز
بوجهه قائلاً:

_مما تتش، قدامك فرصة تطلب من ربنا ينجيهالك، متبخش
عليها وعلى قلبك بالدعاء واجري واترمي بين إيد ربنا
واشكيله.

هبطت دموع "يحيى" برعب من فكرة فقدانها، لا يتخيل
حياته دونها وهو الذي خسر كل شيء، أبيه، والدته،
وحريته، لا يبقى سواها هي، لذلك وبدون تردد أوما للعجوز
ثم ذهب للمسجد الموجود بجانب المشفى، نظر خلفه لينظر
للعجوز ويشكره لكنه اختفى، اختفى فجأة كما ظهر فجأة!!
وكأنه أتى له على هيئة رسالة من ربه يُبشره بها ويدعوه
بالدعاء.

وها هو يقف على أعتاب المسجد يخلع نعله ومن ثم دلف للداخل، توضاً ثم خرج وصلى ركعتين بكل خشوع وهو يبكي كصغير يخشى فقدان أمه، لكن هو سيفقد نبضه إن فقدتها هي، رفع يديه للأعلى يهمس داعياً ببكاء يعلو شهقاته:

يارب هي اللي باقية ليا متحرمينش منها، هي الحاجة الوحيدة اللي عايش ليها وعشانها نجيا يارب، مش هقدر أعيش من غير روعي والله، مش هقدر مشوفهاش قدامي كل يوم، اللهم بحقك وبعظيم سلطانك احفظها لي وقر عيني بها.

كان الجميع يُطالعونه بشفقة، كان صوت بكائه عاليًا وشهقاته تزداد، أخفض رأسه للأسفل ضامًا كلتا يديه لصدره، ثم همس بكلمة أخيرة برجاء:

يارب.

وعلى الجانب الآخر... وصل "قاسم" للمشفى ثم صعد سريعًا لغرفة التعقيمات مرتديًا زي العمليات الخاص به واتجه مُسرعًا تجاه العناية المُشددة، أحكم من تعديل قفازاته ثم وقف أمام المريضة، وهنا كانت الساعة التي هبطت فوق رأسه، إنها "يمنى"!!!! شقيقة "أهلة"!! نظر

للموجودين بتعجب علّ أحد يُفسر حالتها، وبالفعل أتاه
صوت المُمرض قائلاً:

__ اتطعنت أربع طعنات في منطقة واحدة ونزفت دم كثير
جدًا، حالتها صعبة يا دكتور ومحتاجة سرعة يا إما هتروح
مننا.

سحب "قاسم" نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل، وبعدها بدأ
في العملية الجراحية بكل براعة دون أن يشغل باله بهوية
المريضة، كل ما يُركز عليه هو الجسد، والمشرط، وجهاز
النبضات فقط.

جلس كُلاً من "ستيفن ورائد" على الأريكة بأوجه مُتورمة،
نظر كليهما لبعضهما البعض بحنق وبعدها حوّلَا أنظارهما
تجاه المرأة التي تُناظرهم، تذكر ما حدث منذ عدة دقائق
قضوها هم في تبادل الضربات بينهما، وكُلاً من "آندريه،
ليونيد، وإيغور" يُتابعون العراك باستمتاع، خاصةً وأن
قوتهم الجُسمانية تكاد تكون قريبة من بعضهم.

وضع "رائد" يده على عينه الزرقاء المُتورمة بحسرة،
وبعدها قام بضرب "ستيفن" على ذراعه مُعنفًا إياه:

لقد شوهدت وجهي الوسيم يا أحمق، اللعنة عليك.

رد له "ستيفن" الضربة على صدره بقوة أثناء لمس له لأسفل
فمه النازف بالدماء، ثم أجابه مُتعصبًا:
_ أنت هو الأحمق يا عديم الأدب.

أجابه "رائد" باستفزاز:

لقد نست عائلتي أن تقوم بتربيتي للأسف.

_ إذا أنا من سأربيك الآن.

هتف بها "ستيفن" بتوعد وهو يهجم على رائد مرة أخرى
يُسدد له الضربات، بينما "إيغور" مال على أذن شقيقه
"ليونيد" يهمس له باستمتاع:

_ أحتاج إلى الفشار يا أخي، أشعر بالإستمتاع.

رد عليه "ليونيد" بحسرة:

_ أه لو كان "ألبرت" هنا!! لكانت ستشتعل الأجواء حماسية،
لكن للأسف..

لم يكد ينهي جُمَلته؛ حتى وجد "ألبرت" يدلف من باب
المنزل بوجه جامد ومعه شقيقه "چون" وفتاتين أخرتين،
توقف كُلاً من "ستيفن ورائد" عن الشجار، فوقف "رائد"
أمامهم يهتف بحنق بالغ:

__ لَأ ما هو مش بيت أبوكوا بقى.

وصل "ألبرت" لذروته من الغضب من هؤلاء الحمقى، لذلك
وبدون تفكير أخرح سلاحه يُوجهه بوجه "رائد" متسائلاً
ببرود:

__ ماذا قُلت للتو؟!

ابتلع "رائد" بقلق قبل أن يُجيبه سريعاً:

__ بقول أنا رايح أعمل كوبايتين شاي في الخمسينة أعمك
معايا؟!

رد عليه "ألبرت" بإشمزاز:

__ لا أريد من وجهك القبيح شيء، أُغرب عن وجهي.

حدج "رائد" الجميع باستتكار، قبل أن يتجه للمطبخ ليعد له كوب من الشاي بالنعناع كما يحب ليُحسِّن مزاجه المُتَعَكِر.

وبالداخل.. استيقظ "فور" بعد إغمائته ناظرًا للغرفة التي بها، ثوانٍ وانتفض من مكانه عندما استمع لصوت الرجال في الخارج ليتذكر عودة أشقائه، حمد ربه بأن شقيقه الأكبر "ألبرت" لم يأتي معهم، مما جعله يزفر براحة قليلة، وقف من على الفراش ثم خرج من الغرفة مُحييًّا أخوته بشوق وهو يفتح ذراعيه لهم:

__ لقد اشتقت لكم أيتها الثيران.

جاءه الرد من خلفه، والذي لم يكن سوى "ألبرت" الذي يُشمر عن ساعديه بشر كبير:

__ ونحن أيضًا اشتقتنا إليك عزيزي "فور".

استدار "فور" بفزع، والذي ما إن رأى أخاه الأكبر؛ حتى وضع يده على صدره مُرددًا اسمه بصدمة قبل أن يقع فاقدًا للوعي مرة أخرى من دهشته!.

المواجهة صعبة، والعراك ثابت، وحرب العيون لا تنفك أن تتوقف، دلف "صهيب" إلى فيلا "الأرمني" بعد أن استدعاه

حارة القناص

"مختار" للقدوم، قابل في وجهه "أنس" يجلس واضعاً قدمًا فوق الأخرى فلم يُغيره انتباهه، ذهب إلى عمه "نادر" الذي تقدم من احتضانه قائلاً بترحيب:

_ أهلاً بابن أخويا الغالي.

اغتصب "صهيب" ابتسامة خرجت صفراء رغماً عنه وهو يُجيبه:

_ أهلاً يا عمي، حضرتك عامل إيه؟!!

أجابه "نادر" مُبتسماً:

_ الحمد لله يا حبيبي كويس، بس أنا زعلان منك يا "صهيب"، يعني تعرف إن أنا جاي ومتجيش عشان تاخذ من المطار!!!

_ وأنت اتشليت!!!

_ نعم!!!

رددها "نادر" بصدمة، ليُصحح "صهيب" جملته سريعاً:

حارة القناص

_ بقولك كنت اتشليت، قصدي عليا أنا يعني، أصل يا عمي
عقبال أنس ابنك يارب بقضي شهر العسل مع "حبيبة"
مراتي ومكانش ينفع أسيبها في ظروف زي دي.

هنا وهبّ "أنس" من مضجعه يتسائل بسخط:

_ نعم!!! أنت اتجوزت "حبيبة"!!؟!!

مال "صهيب" برأسه قليلاً مُحدجاً إياه بطرف عيناه وكأنه
نكرة، ثم سأله ببرود يشوبه السخرية:

_ عندك اعتراض ولا إيه يا بشمهندس "أنس"!!؟!

جذبه "مختار" من يده وهو يسأله بعصبية:

_ ملكش دعوة بـ "أنس" وكلمني أنا هنا، أنت فعلاً اتجوزت
"حبيبة"!!؟!!

أكد عليه "صهيب" ببرود يُراقب حالتهم العصبية بانتشاء:

_ آه اتجوزتها، وأهو أنا أولى بلحم عمي، ولا إيه!!؟!!

رمش "مختار" عدة مرات بأهدابه لا يُصدق حديثه، بينما
صاح "أنس" عاليًا بغضب:

حارة القناص

_مينفَعش، أنا كنت جاي عشان اتجوزها أنا مش عشان أنت تتجوزها.

اشتعلت النيران بصدر "صهيب" من كلماته، بضع كلمات فقط استطاعت بنشب حريق هائل من السخرية والغضب، لذلك استدار له ثم اقترب منه حتى وقف على مقربة منه، وبعدها أجابه ببرود وكيد تعلمه من أخيه، خِلافًا عن غضبه الجَم القابع بصدرة:

_معلش، حظ أوفر المرة القادمة بقى يا بن عمي.

ضم "أنس" قبضته مُكورًا إياها بغضب، بينما "صهيب" أكمل حديثه بسخرية:

_عندك عمك "صفوت" جاي بكره إختار واحدة من بناته.

قالها وهو يُربت على كتفه الملفوف بجبيرة كبيرة وكان سبب جُرحه هو أخيه "قاسم" أثناء معركتهم الدامية ليلة أمس.

_ "صهيب"!!

صرخ بها "مختار" بغضب شديد، ليستدير له مُحدجًا إياه ببرود، ولم يكد "مختار" أن يكمل وصلة توبيخه؛ حتى استمع إلى صوت "صهيب" المُعتذر ببرائة زائفة:

_ عن إذْلكم يا جماعة بقى أصلي اتأخرت على مراتي حبيبتى، وانتوا بقى عارفين إننا لسه عرسان جُداد، يلا تشاؤ.

ودعهم مُبتسمًا بخفة، لكن قبل أن يذهب سدد نظرة نارية تجاه "صهيب" والآخر استقبلها بتوعد كبير.

خرج "صهيب" من الفيلا وداخله حقد كبير تجاه تلك العائلة المقيمة ولكل فرد بها، عدا محبوبته بالطبع، اتجه بسيارته نحو منزله، لكن ذهب إلى أحد المتاجر أولاً ليشترى لها بعض الأشياء التي تُحبها، يعتبرها كإبنته وهذا أكثر شيء لطيف قد فعله يومًا، هو يسعى لإسعادها بشتى الطرق ويتمنى أن يمحو لمحة الحزن التي يراها في عيناها دائمًا.

وصل لشقته أخيرًا فاتحًا بابها ثم دلف للداخل ناظرًا حوله في الأرجاء علَّه يلمح طيفها، لكنه لم يجدها، وضع الحقائب أرضًا ثم اتجه نحو المطبخ ولكن لم يجدها أيضًا، لذلك اتجه نحو غرفتهم الخاصة فوجدها متكورة على ذاتها بالفراش وتبكي بصمت.

جزع لهيئتها ولبكاءها لذلك هرول إليها جالسًا جانبها وهو يسألها بلهفة:

مالك يا "حبيبة" بتعطي لي؟!

اعتذلت وهي تمسح دموعها ببطئ، ثم هزت رأسها نافية وهي تهمس بتحشرج:

مفيش أنا كويسة.

طالعها "صهيب" بيأس، فابتعد هو منها على بغتة ثم خرج من الغرفة دون التحدث بكلمة واحدة، نظرت لأثره وعقلها يُخبرها بأنه قد ملَّ منها، وبذلك التفكير انفجرت في البكاء المرير تنعي حظها وضعفها، هي تكره ذاتها، تكره تلك الجدران الصماء التي تشكي لها همها ولا تُجيبها، تكره الجميع، جميعهم شاركوا بأذيتها دون الرأفة بها، وهي مُنكسرة!.

شعرت بذراعين كبيرين يُحيطان بجسدها الذي كان يتشنج ببكاء، رفعت رأسها لترى أمامها "صهيب" الذي بدّل ثيابه لأخرى مريحة، هل ذهب حقًا لتبديل ثيابه ولم يتركها!!

حارة القناص

وجدته يمسح عبراتها بأصابع برقة، ثم اقترب منها مُقبلاً
جبينها بعشق بات يُؤلم قلبه:

_مالك يا "بيبة"؟! احكي لي عشان خاطري.

ارتعشت شفيتها ببكاء أمام نبرته الحنونة، وصوت يصرخ
داخلها ويُحذرهما بالألتساق خلف تلك المشاعر، ستُخذل منه
كما خذلها الجميع من قبل، وهي لن تستطيع تحمل الشعور
بالوحدة مُجدداً، سؤال خرج منها ببكاء وهي تسأله:

_أنت زهقت مني صح؟!!

وجدته قد ابتسم لها ابتسامة خفيفة قبل أن يُجيبها:

_والله أنا هاين عليا أعملك قفص جوا قلبي عشان أحبسك
فيه ومتبعديش عني.

طرق فؤادها بعنف من هول ما وقع فوق مسامعها من كلام
معسول، لتجده يستطرد حديثه قائلاً:

_ "حبيبة" أنا عايز أعرفك حاجة، أنا لما اخترت إنك تكوني
مراتي دا مش شفقة مني عليك بالعكس، أنا كنت عايز
واحدة تحسني بالحب والأمان، والحاجتين دول أنا
محستهمش غير معاك أنت، مش عايزك تحسي إنك قُليلة أو

حارة القناص

يتيمة، لأن أنا اللي يتيم من غيرك وفي بُعدك عني بحس إني
ضعيف.

كان قلبها يطرق فوق أضلعها بشدة من قوة كلماته، هو
حنون وهذا أكثر ما يُهلكها، أغمضت عيناها تحاول السيطرة
على اضطراباتهما النفسية والتي تظهر واضحة على لغة
جسدها، أحاط جانب وجهها الأيسر ثم أمرها بهمس قائلاً
بلطف:

_"حبيبة" افتحي عنيكِ.

وبالفعل خضعت له وقامت بفتح عيناها، لتجده يسألها
بحنان:

__ احكي لي كل اللي مزعلك ومخليك حزينة كدا.

أجابته "حبيبة" وهي تمسح دمعاتها بأسي:

__ مش عايزة أحكي دلوقتي، ممكن؟!!

__ ممكن جداً، أنتِ توأمري بس يا بسكوتاية.

ضحكت بخفة وكم هي مُمتنة للقدر الذي جمعها به، لتصرخ
هي بفرع عندما حملها فجأة وهو يقول:

_تعالى بقى أوريك الحاجات اللي جبتهاك، وأنت زي
الشطورة كدا تعملينا كوبايتين سحلب من إيديك الحلوين
دول ونقعد نسمع فيلم رعب للصبح.

بعد مرور ساعتين ونصف تقريباً.. انتهى "قاسم" من
العملية الجراحية والتي انتهت بالنجاح بعد أن سيطر على
الأمر ببراعته، نظر للممرض أمراً إياه بحزم:

_كل حاجة تتنفذ زي ما قولتلك، عقم الجرح كويس وانقلها
لغرفة مُعقمة غير دي.

أوماً له الممرض باحترام، فخرج "قاسم" من غرفة العناية
بانهاك شديد ليجد كُلاً من "يحيى وملك" يندفعون تجاهه،
تعجب "قاسم" من معرفتهم بالأمر وهو الذي لم يرى فيهم
أحد عند مجيئه للمشفى، ليستمع إلى صوت "يحيى"
المُتسائل برعب:

_ "يمنى" عاملة إيه يا دكتور؟!!

حارة القناص

خلع "قاسم" ماسك الوجه عنه، ليُصدم كليهما من وجوده
وكأنهما نسيا بأنه طبيب من الأساس! بكت "ملك" وهي
تسأله بنشيج:

__ "يمنى" عاملة إيه يا أبيه!؟

طمأنها أثناء وضعه ليدته على كتف "يحيى" الذي كاد أن
يموت رُعبًا وقلقًا عليها، ثم وجّه حديثه لكليهما قائلاً
بهدوء:

__ متقلقوش عليها الحمد لله العملية نجحت، من حُسن حظها
إن الطعنة كانت في تجويف البطن، ودا سبب نزيف كثير
بس الحمد لله لحقناه، ودلوقتي هنتحط تحت الملاحظة 24
ساعة.

زفر كليهما بارتياح، فاستأذن منهما "قاسم" ليرتاح قليلاً
من صداع رأسه، وبالفعل خطى عدة خطوات فاستوقفته
"ملك" تُناديه باختناق:

__ ثانية واحدة يا أبيه.

وقف "قاسم" فذهبت إليه حتى توقفت أمامه طالبة منه
برجاء:

__ متسبش "أهله" لوحدها هي تعبانة.

تسلل القلق له فتسائل مُتعبًا:

_ وهي فين "أهلة" أصلًا مش شايفها، ومالها إيه اللي حصلها؟!!

أشارت بيدها لأحد الأركان ثم تشدقت بنحيب:

_ هي عندها كتمان مزمن ومش بتعرف تعيط، وبسبب كذا مش بتعرف تتنفس وبتتخفق.

أوما لها "قاسم" دون أن يتحدث، ثم هرول مُسرعًا تجاه المكان الذي توجد به، وبالفعل وجدها تقف أمام النافذة الكبيرة المُظلة على الحديقة تُمسك بموضع قلبها وصدرها يعلو ويهبط بسرعة مخيفة.

هرول إليها مُسرعًا حتى توقف أمامها مُمسكًا إياها بكلتا يديه من كتفها يهزها بخفة:

_ "أهلة" مالك؟! حاسة بايه؟!

رفعت رأسها له، فوجد عيناها حمراء كالدماء وهي تهمس له بألم:

_ "يمنى" ..

جاورها ثم ربت على ظهرها بربتات خفيفة ثم أردف بكلمات
يُحاول أن يُهدئها:

_ "يمنى" كويسة صدقيني، أنا اللي عملت ليها العملية
وهتنتقل أوضة عادية بكررا الصبح.

مسح "قاسم" حبات العرق المتجمدة فوق جبينها ثم همست
له بنهيج ضعيف:

_ قلبي بيوجعني أوي.

نظر لها لثوان، ثم جذبها لأحضانه مُحيطاً بها وهو يُربت
على خصلاتها الملساء بحنان هامساً لها:

_ سلامة قلبك من الوجع، حقك عليا أنا والله.

شعر بتنفسها مازال مرتفعاً لذلك أمرها بهدوء أثناء همسه
الحنون لها:

_ اتنفسى براحتك.. مفيش حد هيجي جنبك.. أنا معاك..
المهم اتنفسى.

حارة القناص

اتبعت ارشاداته وبالفعل هدأت قليلاً، لذلك أبعدها مسافة صغيرة عنها وهو يتسائل:

أحسن؟!!

هزت رأسها بنعم، تركها لثوانٍ وبعدها عاد حاملاً بين يديه زجاجة مياه قام بفتحها وساعدها على ارتشافها على مهل، شربت القليل حتى عاد تنفسها طبيعياً كمان كان، وهو مازال يُربت على خصلاتها بحنان حتى تهدأ، لا يعلم لِمَ شعر فذ ذلك الوقت بأنها طفلة شريفة وتحتاج لمن يعتني بها؟! وبرغبة مُلحة تزداد داخله؛ اقترب منها مُقبلاً جبينها ثم ابتعد عنها متشدقاً بحنان وهو يبتسم لها:

سلامتك.

أصوات التكسير والتحطيم والصرخات الغاضبة جعلها تُغمض عينيها برعب، لا تعلم ما الذي أتى بها إلى هنا، آخر ما تتذكره هو إعدادها للطعام حتى يأتي موعد قدوم بناتها وبعدها استمعت لصوت جرس الباب فذهبت لفتحه، ومن بعدها لم تشعر بشيء.

حارة القناص

انتفضت "نبيلة" المُكتفة الجسد والتي تجلس على مقعد خشبي متهالك عندما رأت تلك السيدة المجنونة تتجه نحوها بغضب مُمسكة إياها من خصلاتها تهزها بعنف وهي تصرخ عليها:

_ كل حاجة كانت ماشية صح لولا بنت الحقيرة هي اللي بوظت كل حاجة.

اتسعت عيني "نبيلة" بصدمة عندما ذكرت فتاة من فتياتها، وها قد بدأ الخوف يتآكل داخلها عندما أكملت الأخرى بابتسامة مُخلة عندما رأت بسمتها:

_ هو أنا مقولتكيش إن أنا قتلت بنتك "يمنى"؟! وكمان هحرق قلبك على بنتك الصغيرة "ملك" كمان شوية؟!!!

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

|شروق حسن|

الصلاة هي السبب الرئيسي لِتحكم الإنسان في إنفعالاته قال تعالى:

" إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا إذا مسَّه الشر جزوعًا وإذا مسَّه
الخير منوعًا إلا المصلين". 

«الفصل الثامن عشر»

«حارة القناص»

«عدالة السماء»

"أنا الجندي الذي لم يخضع من قبل وخضع لعينيك".

أرأيت ذلك الشعاع المضيء المُتسلل من أحد الجوانب!!
يوجد مثله تمامًا في قلبك، شعاع النور المضيء بإسم
الحب، فؤادك المليء بالغبار عاد لينتفش مُجددًا، نفخاتٌ
وكلماتٌ صغيرة قادرة على حمل ذلك الثقل الجاثم فوقه،
لتعود مُنيرًا مُقبلًا على الحياة كما كنت مُسبقًا.

أخذها "قاسم" للأسفل بعد أن اطمئنت على شقيقتها
المُوصلة بالأسلاك، مظهرها أشعل فتيل الحقد في قلبها
أكثر، طعنوها في أكثر الأشخاص قُربًا منها، "يمنى" مركز

أسرارها وحصنها المنيع كادوا أن يقتلوها، لكن مهلاً!
فالعجب لم يبدأ بعد.

جلسا على مقاعد الكافتيريا المُجاورة للمشفى، لتستند
"أهّلة" بإرهاق على الطاولة أمامها، تشعر بقلبها يؤلمها
مرة أخرى عندما تُفكر أن هذا من الممكن أن يحدث مُجدداً
معها أو مع أحد شقيقاتها، وتلك المرة لن تتحمل هي
متأكدة، من الممكن أن تُصاب بذبحة صدرية تقضي عليها
تماماً مثل ما كان سيحدث منذ قليل.

شعرت بصوت "قاسم" يُناديها، لترفع عينيها المُرهقة
تجاهه بكل تلقائية، مدّ يده بإبتسامة بشوشة مُمسكاً بكوب
من عصير الليمون قائلاً:

__ خُدي اشربي وهدّي أعصابك لغاية ما الأكل يجي.

هزت رأسها نفياً وهي تبتلع ريقها بصعوبة قائلة:

__ لأ مش عايزة، مش جايلي نفس أكل وأختي محجوزة
فوق.

رد عليها بصرامته المعهودة بعد ما أمسك بكف يدها ووضع
به كوب العصير رغماً عنها قائلاً:

_أنا مش باخد رأيك، أنا بقولك اشربي ولما يجي الأكل
هتاكلي، خلص الكلام.

تأففت وهي تهز رأسها بحدة طفيفة:
_يا "قاسم" خلاص مش عايزة آكل.

قلدها "قاسم" قائلاً بنبرة مشاكسة قليلاً:
_يا "أهّلة" وأنا قلت هتاكلي.

حدجته بياس وضحكة طفيفة تشكّلت رغماً عنها على
ثغرها، لترتشف القليل من العصير الذي أعطاه لها، وللحق
كانت عطشة للغاية، بينما أمسك "قاسم" بهاتفه وظل يعبث
به قليلاً ثم وضعه أمامه مُجدداً.

ارتشفت "أهّلة" العصير كاملاً تحت نظراته المُحذرة التي
كان يرميها لها، لتبادلته النظرات باستخفاف وهي تُثني آخر
كمية في الكوب، وضعته أمامها ثم هتفت بلامبالاة مُصطنعة:
_على فكرة أنا شارباه بمزاجي، متفكرش إنك غصبتني على
حاجة.

حارة القناص

غمزها أثناء قوله المؤكد بعث:

_ عارف.

حلّ الصمت قليلاً عليهم قبل أن يستند بكِلتا ذراعيه على الطاولة وهو يتسائل بهدوء:

_ مقولتليش ليه إن عندك كتمان مُزمن؟!.

انتبعت لحديثه وسؤاله، قبل أن تقطب جبينها بضيق وهي تسأله:

_ وعرفت منين إني عندي كتمان مُزمن؟!.

أخرج صوتًا ساخرًا من فمه ثم أجابها قائلاً بتهكم:

_ لأ أبدًا... أصل فيه واحدة كانت بتموت قدامي من شوية وهيجيلها أزمة قلبية.

غضبت من وقاحته معها فجزت على أسنانها بغيظ قبل أن تُجيبه بوقاحة مُماثلة له:

_ ملكش دعوة، ومتدخلش في اللي ملكش فيه.

كانت نظراته ثابتة غير غاضبة عقب كلماتها، هبت من مقعدها بعنف ثم انتشلت هاتفها من على الطاولة وكادت أن تذهب؛ إلا إن منعها من الذهاب عندما أمسكها من يدها مُجسِّسًا إياها مرة أخرى، لكن تلك المرة جلست على المقعد المُلصق لمقعدة هو، طالعته بغيظ قبل أن تصرخ بعصبيه:

__ سيب إيدي وخليني أمشي متعصبنيش.

تلك المرة أثار استفزاه، لتجده قد اقترب بوجهه منها تزامنًا مع ضغطه الشديد على كفها الذي يُمسكه بين يده، قبل أن يهمس لها بتحذير استشعرت خطورته:

__ قسماً بالله لو صوتك علي عليا تاني لهتشوفي وش عمرك ما شوفتية في حياتك، بلاش أنا عشان متزعليش، واتزعي اطفحي اللي هيجيلك عشان متعيش مني أنا مش فاضي أشيلك كل شوية.

سحبت يدها بعنف من بين يديه مُربعة إياهم أمام صدرها، ثم أشاحت بوجهها للناحية الأخرى دون أن تُجيبه، هي بالأساس لم تطلب مساعدته لكي يُحدثها بتلك الطريقة، وللعجب قد خافت من تهديده، يبدو بأن لديه جانب آخر لم تكتشفه بعد، وذلك الجانب لن يُعجبها على ما تظن، لم تكن تتوقع بأنه كان يُراقبها، كان قاسيًا معها لكنها استفزته

عندما قامت بالصراخ في وجهه، وهذا أكثر ما يزعجه، بل
ويُزعج جميع الرجال تقريبًا.

استفاقت من شرودها وتفكيرها عندما وجدته يقول بصوت
حنون ليّن عكس ما كان به من قبل:
_ يلا كُلي.

فرغت فاهها بصدمة عندما وجدت الحنان يحوم بوجهه، هل
هذا الرجل طبيعي!! سؤال طرأ على ذهنها فجأة ولم تعلم
بأنه علم ما يدور بخلدّها، لتجده يقول بهدوء:
_ مفيش أي راجل هيستحمل إن واحدة ست تعلي صوتها
عليه قدام الناس.

لم تُجيبه، بل مدت يدها ببرود تلتقط الشظيرة التي طلبها لها
ثم أكلتها بهدوء تحت أنظاره، لمحت بطرف عينها طيف
شقيقتها التي تقترب منها حتى باتت أمامها مباشرةً، والتي
تحدثت وهي تُوجه حديثها لـ "قاسم":

_ طلبتني ليه يا أبيه؟!!

أشار "قاسم" للمقعد بعينه أثناء وضعه ليدّه بجيب بنطاله،
ثم تشدق بهدوء:

حارة القناص

_ اقعدني وكلي عشان متدوخيش.

هزت رأسها نافية وهي تقول بصوت مبحوح:

_ لأ مليش نفس مش عايزة أكل.

أغمض "قاسم" عينيه يُحاول ضبط أعصابه قبل أن يفتحهما
مُجددًا أثناء قوله الساخر:

_ هو أنتِ وأخواتك متعرفوش تقولوا حاضر من غير كلام
كثير.

طالعته "أهّلة" بغیظ ولم تُعلق، بينما "ملك" استسلمت ثم
جلست تتناول الشطيرة بهدوء، أراد "قاسم" أن يُخرجها من
حالة الحزن التي حلت عليها، لذلك أردف لها بمزاح:

_ بس مكنتش أعرف إن عندك مشاعر وأحاسيس زينا كدا يا
"ملك"؟!!

ضيقته "ملك" عينها وهي تسأله بشك:

_ قصدك إيه يا أبيه؟!!

جعد "قاسم" جبينه بتشنج عقب كلمتها ليقول:

__جتك بو في جنابك، بقولك إيه خليك مكتومة أحسن.

مطت "ملك" شفيتها بضيق ثم أكملت شطيرتها بصمت،
بينما "أهله" ضحكت بخفوت ثم خبات وجهها بكف يدها
حتى لا تظهر ابتسامتها له، لكنه ولسوء حظها قد رآها، كاد
أن يتكلم؛ لكن هاتفه صدح عن اتصال هام ليُجيب سريعًا،
وبعد الإستماع للطرف الآخر أجاب بهدوء:

__تمام أنا جاي حالًا.

وقف من مكانه مُنتشلاً مفاتيح سيارته ومحفظته من على
الطاولة، قبل أن يُوجه حديثه لهم باستعجال:
__ورايا مشوار مهم هقضيه وهاجي تاني.

أومأوا له بهدوء وكاد أن يذهب، لكنه توقف فجأة عائدًا
لـ"أهله" مُجددًا، ثم انحنى لمستواها هامسًا في أذنها بعث:
__متبقيش تخبي غمازاتك عني تاني ماشي؟!.

قالها ثم ذهب تاركًا إياها مُتجمدة في مكانها، ابتلعت "أهله"
ريقها بشرود عندما سألتها "ملك" بتعجب:

__كان بيقولك إيه؟!.

هزت "أهله" رأسها مُجيبة إياها بصوت مبوح:

ـمـ.. مفيش.. خرينا نطلع لـ"يمنى" يلا.

وافقتها "ملك" على الفور، فأخذوا أشياءهم ثم صعدوا
للمشفى ليظلوا بجانب شقيقتهم النائمة.

هناك الكثير من الإنجازات التي يُقدمها الإنسان لنفسه، لكن
أفضلها هو الثقة.

عاد "قاسم" إلى منزله ليقوم بتبديل ثيابه المُتسخة ثم صعد
إلى والدته للإطمئنان عليها، وحدها نائمة في عالمها فقام
بتقبيل جبينها بحنان شديد وعاطفة جياشة، ثم هبط للأسفل
مُجددًا ليستقل سيارته ثم اتجه إلى وجهته التي وصل إليها
بعد نصف ساعة تقريبًا.

دلف إلى البهو الكبير واضعًا كلتا يديه في جيب بنطاله
الأسود، والذي يعلوه قميصًا من اللون الأبيض، بالإضافة
إلى رائحة عطره المُميز وخصلاته المُهندمة باهتمام.

حارة القناص

صعد إلى الدور الثاني بواسطة المصعد، قبل أن يستقبله رجلاً يرتدي بذلة رسمية وملامح وجهه خالية من أي تعبير تمامًا، والذي تشدق بعملية وإحترام:

__ اتفضل يا "قاسم" بيه جوا، سيادة العميد مستني حضرتك.

أومأ له "قاسم" بملامح وجهه جامدة قبل أن يدخل من ذلك الباب الذي أشار له الحارس منذ قليل، دلف ليجد رجل في نهاية عقده الخمسون تقريبًا جالسًا على مكتبه الوثير، والذي ما إن رآه وقف ببطء ماددًا يده لتحيته، قبل أن يقول بعملية:

__ اتفضل يا "قاسم" اقعد.

بادله "قاسم" التحية قبل أن يقول بشكر:

__ شكرًا يا سيادة العميد، خير إن شاء الله؟!!

أجابته العميد بعد أن جلس مكانه مجددًا:

__ كل خير إن شاء الله، اللي حصل لـ "يمنى" أخت خطيبتك ليك علاقة بيه؟!!

__ مش فاهم حضرتك وضحلي قصدك!!

تسائل "قاسم" ببرود إجابة على سؤال العميد، ليبتسم
العميد "مُغازي" بخفة ثم سأله مُجددًا بنفس الطريقة:
_ اللي حصل لـ "يمنى" ليك علاقة بيه يا "قاسم"؟!!

_ ليه شايفني قتال قُتلة؟!!

أطلق العميد "مُغازي" ضحكة عالية صدحت صداها في
الأرجاء، كذلك تشكلت ابتسامة جانبية على فم "قاسم" عقب
حديثه الأحق بعض الشيء، أردف العميد من بين ضحكاته
قائلًا:

_ لا تصدق أقنعتني!!

اعتدل "قاسم" في جلسته ثم تشدق بجدية قائلًا:

_ أنت عارفة يا سيادة العميد إن مفيش أي عداوة بيني وبين
"يمنى" وإني كنت شاكك فيها بس مش أكثر، لكن للأسف
كانت ضحية واناخذت بين الرجلين.

هز العميد رأسه باقتناع ثم تسائل بنظرات ثاقبة:

_ وأنت معرفتش مين اللي عمل كذا؟!!

سخرية شديدة ظهرت على وجهه وهو ينظر له بصدمة
مُصطنعة أثناء قوله:

_ على أساس إنك معرفتش مين اللي عمل كدا يا سيادة
العميد!!

لوى "مُغازي" شفتيه باستنكار وهو يتسائل بسخط:
_ أنا مش عارف مين العميد فينا، أنا ولا أنت!!

أجابه "قاسم" بعنجهية مُصطنعة:
_ واحد يا باشا.

هز العميد "مُغازي" رأسه بيأس، ثم طالعه بجدية شديدة
وهو يقول بخفوت:

_ عايزك تخلّص كل حاجة النهاردة، مش عايز غلطة واحدة
يا "قاسم"، بالأصل "مختار الأرماني" شاكك فيك، وأنا
هكلف "صهيب" يروح للمكان اللي مخطوفة فيه والده
خطيبتك.

هز "قاسم" رأسه بشرود، قبل أن يتحدث بغموض قائلاً:

__ لأسيب "صهيب" عليا أنا هقوله كل حاجة، بس أم
"أهّلة" لازم تختفي الفترة دي عشان متعرضش لحاجة.

أوما له العميد بهدوء قبل أن يتسائل:

__ هتفد امتي؟!!

استدار له "قاسم" قبل أن يُجيبه بأعين تلتمع بها الوعيد:

__ النهاردة بليل.

__ بالتوفيق يا بطل.

أحنت "نبيلة" ظهرها وشعرت باليأس يتخلل أوردتها،
هبطت دموع "نبيلة" بأسى عندما أخبرتها تلك المجهولة
بمقتل ابنتها ونيّتها لقتل ابنتها الثانية، ظلت تصرخ لكن
صرخاتها كانت مكتومة بسبب ذلك اللاصق، حاولت مرارًا
وتكرارًا الفكاك لكنها تفشل كل مرة، لا تعلم من تلك وماذا
تريد من بناتها، كل همهما أن تظل فتياتها في مأمن بعيدًا
عن تلك المريضة كما أسمتها.

شعرت بخطوات في الخارج فظنت بأنها هي، لكن خاب حدثها عندما وجدت الذي يدلّف هو رجل ضخّم البنية مُلثم الوجه لا يظهر منه سوى عيناها، انكمشت على مقعدها بخوف ودموعها تهبط بجزع، خاصةً عندما اقترب منها أثناء إمساكه لسلاحه بين يده، ابتلعت ريقها برعب ناطقة الشهادة داخلها، ودت لو ترى فتياتها لكن يبدو أن حياتها ستنتهي الآن.

اقترب المُلثم منها ثم هبط لها حتى بات على مسافة قريبة منها وبعدها تحدث هامسًا:

متخافيش أنا جاي أخرجك من هنا.

طالعه بلهفة وانتبهت كل حواسها له بعدما كانت خائفة كهرة صغيرة، رفع أصابعه ليُزيل هذا اللاصق الموضوع على فمها ثم تحدث بخفوت:

هفكك دلوقتي وهنخرج من هنا، بس خليك ورايا وأيا كان اللي هتشوفيه ملكيش دعوة بيه، ماشي؟!!

هزت رأسها بالإيجاب، فجلس هو القرفصاء ثم بدأ بفك الحبال من حولها، انتهى في ثوانٍ معدودة ثم هبّ من مكانه واقفًا أمرًا إياها بسرعة:

يلا ورايا مفيش وقت.

أومات له سريعًا ثم لحقت به فباتت تسير خلفه مباشرةً حتى لا تتعرض للأذى إن اقتحم المكان أحد الرجال، وجّه سلاحه أمامه وبات يُراقب المكان باهتمام وتركيز شديد، خرجا من المبنى المتهاك الذي كانوا به ثم هروا بها تجاه سيارته للنجاة من هنا، لكن ولسوء حظهم استمعوا لصوت الرصاصات تأتي من كل جانب حولهم.

دفعها المُلثم لداخل السيارة بسرعة كبيرة، ثم استدار ليصعد هو من الجهة الأخرى قبل أن يُبادلهم الطلقات هو الآخر لتستقر في رأس أحدهم، انطلق بالسيارة ضاغطًا على سرعتها حتى هروا بدرجة مُخيفة ومازال يُبادلهم الطلقات، انخفضت "نبيلة" للأسفل لتحتمي من بطش الرصاصات التي تتطاير في الأجواء وصراخها يعلو عند زيادة صوت الرصاصات، بعد خمسة دقائق كان قضى على جميع من بالسيارة بسبب مهارته في التصويب، وقام بتضليل السيارة الأخرى حتى هرب من بين أيديهم.

تنفس الصعداء عندما فر منهم أخيرًا، ثم تمت ببضعة كلمات ضاجرة لم تفقه "نبيلة" منها شيء، ابتلعت ريقها برعب ثم اعتدلت تجلس في مقعدها، قبل أن تتسائل بريية:

أنت.. أنت مين؟!!

جاءها رد "صهيب" الحانق وهو يقول:

أنا اللي سيبت شهر عسلي ومراتي عشان أنقذك يا ست أم
"أهله".

قطبت "نبيلة" جبينها بضيق من وقاحته، ثم تسائلت بسخط:
أنت مين يا جدع أنت!! وإيه قلة الذوق اللي فيك دي يا
بني آدم؟!!

أوقف "صهيب" السيارة على بغتة ثم استدار إليها متحدثاً
بتشنج:

تصدقني إني قليل الذوق فعلاً عشان سيبت البسكوتابة
بتاعتي وجيت ليك!!!

أخذ أنفاسه المُغْتَازة ثم انطلق بالسيارة بسرعة عالية تحت
أنظارها المندهشة من وقاحته، بينما هو يتذكر مُكالمة أخيه
منذ قليل يُخبره بالذهاب إلى أحد المناطق النائبة وحده
مُتسلحاً بكل عناية ليستطيع صد أي هجوم سيواجهه، ضغط
على المقود بسخط من أوامر أخيه الصارمة، ثم هتف
مُتحرراً عندما تذكر تركه لزوجته قائلاً:

_ على عيني أسيبك يا بسكوتة والله، بس نعمل إيه! حُكم القوي.

استفاق عندما استمع إلى سؤال "نبيلة" القاطن:
_ أنت واخدني على فين دلوقتي.

أجابها بوقاحة قائلاً:

_ هشوف أي مُكنة أتوايك فيها لحد ما نخلص من المرار الطافح دا.

فتحت فاهها بعدم تصديق ولم تستطيع ما تقوله، لئناظرها بطرف عيناه وهو يسألها بعث:

_ عملتي إيه يا مدام خلوهم يخطفوك!! شكك مش سهلة أنتِ صح!!

كل هذا ولم يكن يعلم بأن تلك المرأة التي تقبع أمامه هي حماة أخيه المُستقبلية، نظرًا لأنه لم يراها من قبل، أغمضت "نبيلة" عينها بغضب من ذلك الكائن الوقح الذي يجلس جانبها، لكن بالنهاية هو أفضل من هؤلاء المجرمين الذين اختطفوها.

مكانٌ صاخب يرتفع فيه صوت الموسيقى والأغاني الصاخبة، وهُنا! حيث تجلس هي بجوار "أمجد" الذي سمحت له بوضع يده على خصره، اقترب "أمجد" من أذنها قائلاً بحماس:

_ ما تيجي نرقص يا "سهيلة" الجو روعة.

تجرعت آخر رشفة من المشروب والذي يحتوي على نسبة كحول ضئيلة للغاية على حسب مطلبها هي، ثم أومات له بالإيجاب قائلة:

_ أوك يا "ميجو"، يلا بينا.

اتسعت ابتسامته بسعادة، ثم جذبها لساحة الرقص يتميل معها بكل وقاحة، فأحياناً يضع يده على خصرها، وأحياناً أخرى يلامس جانب وجهها وهي سعيدة للغاية بذلك، تحولت لشخصٍ آخر تماماً، لم تكن هي كما كانت من قبل، لقد أصبحت فتاة في قمة القذارة، لكن هي لم تُبالي، بل كانت تستمتع لإطراءات كثيرة من زملائها الذين شجعوها على هذا، بل وأصبحت نسخة مثالية منهم.

وعلى بُعدٍ منهم، سحبت "ساندي" من أرجيلتها قائلة وهي تُوجه حديثها لـ "منه" التي كانت تأخذ إحدى جرعاتها:

_شايفة!! بقت مننا وعلينا، وكلها اسبوعين وهتلاقيها
قاعدة جنبك بتضرب زينا بالظبط.

مسحت "منه" أنفها بانتشاء وهي تُرجع رأسها للخلف، ثم
أجابتها بشماتة وأنظارها السامة تُصيب بها "سهيلة":

_أحسن خليها تتربي، بدل ما هي راسمة علينا دور صاحبة
الصون والعفاف، تعبتنا شوية في الأول بس في الآخر مالت
زيها زي غيرها.

ارتسمت ابتسامة جانبية على ثغر "ساندي" قبل أن تردف
بتشفي:

_الخطة اللي بعدها على "أمجد"، يسحبها ليه وياخذ اللي
عايزه، وبعد كدا تشتغل لحسابنا بقي، سواء بقي بمزاجها أو
غصب عنها، كدا كدا هتخاف من الفضيحة.

أطلقت "منه" ضحكة عالية وبعدها أردفت بغل:

_ياما نفسي أشوفها مكسورة ومذلولة قدامي، عايزة أرد
إهانتها ليا وأوريها إن اللي يقف قدامي نهايته سودة.

_متقلقيش، قريب أوي هتشوفها زي ما أنتِ عايزة.

شعرت "سهيلة" بهاتفها يهتز بين يديها، نظرت له فوجدته أباهما، توترت عيناها ولا تعلم كيف ستُجيبه من بين تلك الضوضاء، لذلك أغلقت الخط دون أن تُجيبه، ثم اقتربت من "أمجد" تقول بصوت عالي بالكاد سمعه بسبب الموسيقى:

_ أنا همشي أنا بقى عشان بابا بيرن عليا.

قطب "أمجد" جبينه بضيق مُصطنع، قبل أن يقول بحزن زائف:

_ لسه مسهرناش سوا.

أجابته بتبرير:

_ معلىش بقى، هقابلك بكرة أكيد.

أوما لها وكادت أن تذهب، لكنه باغتها باحتضانها لها واضعاً قبلة شغوفة على خدها قائلاً بوقاحة اعتبرتها هي حبا:

_ هتوحشيني.

إحمر وجهها خجلًا قبل أن تُجيبه بحرج وصوت خفيض لم يسمعه، لكنه علم مغزاه من حركة شفيتها:

ـ وأنت كمان، باي.

قالت جملتها ثم هرولت من أمامها بعد أن التطقت معطفها الذي خلعته عند وصولها إلى هنا، لتظل بثياب تكشف عن ذراعيها كاملين وجزءًا صغيرًا من نصفها العلوي.

علم جميع الشباب ما حدث لـ "يمنى" عن طريق "صهيب" والذي تفاجأ بوجود أخوات كُلاً من "جون وفور"، لكن وللحقيقة لم يعلم بأنهم أخواتهم، بل قام بتأجيل هذا السؤال لحين عودتهم جميعًا وتجمعهم غدًا، ذهبوا جميعًا إلى المشفى بما فيهم "لوسيندا" والتي ذهبت مع "جون"، وذهب "ستيفن، إيغور، ليونيد، أندريه" للتسكع قليلًا، أو بمعنى أصح لعمل مُصيبة كبيرة قد تهتز لها الأرجاء.

بينما "مهرايل" بقيت في غرفة "فور" الذي تكرم وأعطاهما لها هي وشقيقتها لحين حل مشكلتها مع أبيها وبعدها تعود للمنزل، جلست على الفراش تستذكر دروسها، فهي في السنة الأخيرة من كلية الطب كما شقيقتها تمامًا، لطالما

كانت تتمنى أن تعمل في مجال الهندسة لكان أبيها منعها من الإلتحاق بالشعبة المناسبة لها، حتى تُصبح طبيبة كشقيقتها.

شعرت بالصداع يُداهما لذلك هبت من على الفراش وخرجت بكل أريحية من الغرفة لعلمها بعدم وجود شخص واحد في الشقة، اتجهت نحو المطبخ لعمل كوب من النسكافية لِيُساعدَها على التركيز أكثر، لكنها استمعت إلى صوت يأتي من الداخل، ابتلعت ريقها بقلق وهي تقترب ببطء، لتجد "ألبرت" يقف ويتجرع المياه ببرود، وكأنه لا يتعامل بآلية!! هكذا همست لذاتها ولم تعلم بأن همسها وصل إليه.

نظر لها بطرف عينه بلامبالاة ثم أكمل شرابه دون أن يُعيرها أي إهتمام، اقتربت منه قليلاً حتى وقفت جواره ونظرت له بنفس النظرة التي طالعها بها، ليرفع حاجبيه بتعجب وكأنه يقول لها "حقاً؟!"، رفعت رأسها للأعلى فوجدت موضوع الأكواب عالي عن طولها الطبيعي، نظراً لأن جميع الشباب أطوالهم عالية كالأبراج كما سمتهم، نظرت له بترفع قبل أن تُشير له تجاه الأكواب قائلة بغرور: _هاتلي كوباية عايزة أشرب.

طالعها ببرود قبل أن يأخذ الكوب الذي بيده ويتجه به للناحية الأخرى من المطبخ تجاه الطعام، قائلاً بجمود:

حارة القناص

اجلبها بنفسك أيها الجرو الصغير.

استدارت له بعنف قبل أن تتشقق بحدة:

أنت تكلمن.....

قاطعها بفحيح وهو يقترب منها:

أقسم إن ارتفع صوتك سأقطع لك لسانك يا معتوهة.

ابتسمت بتوتر وهي تعود للخلف:

_يسطا ما أنت اللي بتعصبني، يعني حد يكلم بنت بريئة

وعسولة زيي كدا بالطريقة دي؟!_

نظر حوله بتعجب، ثم أردف وهو مُقطب الجبين:

فتاة!! لا يوجد فتيات هنا.

و ببرود أكبر أجابته "مهرايل" في نية لإغاظته لرد

كرامتها:

ولا رجالة وحياتك.

صوت تحطم كبير بجوار قدمها جعلها تنتفض من مكانها
برعب نتيجة لإصطدام الكوب الزجاجي بالأرض التي أسفلها
حتى كادت أن تُصيبها، ازداد هلعها عندما رأتها يقترب منها
بخطوات شرسة ظنت بعدها أنها ستُكتب في عداد الموتى،
لكنها لم تقف هكذا، بل هرولت من أمامه للخارج بسرعة
كبيرة للهروب من براثنه، لكنه لم يصمت وهرول خلفها
صائحًا بصوت هز أرجاء المنزل:

توقفي إن أردتي رؤية الرَّجُل يا حمقاء، أقسم إن
رأيتك أمامي مُجددًا سأفرغ رصاصاتي في عقلك الصغير
الأرعن، هذا إن وُجد من الأصل.

وضعت "مهرايل" يدها موضع قلبها أثناء وقوفها خلف
الأريكة التي تفصل بينهما، ثم صاحت به بصوت خافت لكنه
حائق حتى لا تزيد من غضبه:

ما هو أنت اللي سخيف ومفكرني هسكتك!! دا عند أمك.

توقف جسده عن الحركة وطالعتها بنظرات أشعرتها بأنه
سيحرقها حيّة بأي وقت من الأوقات بسبب بلاهتها
وتلقائيتها في الحديث، وبثوانٍ صحت حديثها سريعًا وهي
تكاد تبكي:

حارة القناص

_قصدي يعني عند مامت حضرتك يا "ألبرت" ياخويا.

لم تعي ما حدث حينما وجدته قد قفز من فوق الأريكة في وقت لم يتعدى الثانية واحدة حتى بات أمامها مباشرةً ويده التفت حول رقبتها يسألها بشر:

_ماذا قُولتي للتو؟!!

انحبست أنفاسها بصدمة من تلك السرعة التي وصل بها إليها، فتركت كل هذا ثم صاحت بإنبهار وهي تفتح فمها بدهشة جلية:

_واو يخربيتك؟!! عملتها إزاي دي!!!

_ما هي!!!

سألها بتعجب، لتشير له من حيث قفز قائلة:

_نطيت المسافة دي كلها إزاي؟!!

دفعها بعيدًا عنه بحنق كأنها حشرة، ثم هتف بسخط صارخًا بها:

حارة القناص

__ اللعنة عليك وعلى معرفتكِ السوداء تلك، من أي مُصيبة
قد أتيتي أنت؟!!!.

شهمت وهي تضع يدها على خصرها مُشيحة بيدها أمام
وجهها:

__ مصيبة!! مصيبة دي إيه يا أخويا!! أنت تلاقي مُصيبة
بالطعام والحلاوة دي!!

__ اللعنة على كل النساء إن كانوا مثلك.

قالها بإشمئزاز وهو يُدجها من أعلى إلى أسفل، قبل أن
يتركها ويذهب وهو يلعن حظه الذي أوقع تلك المُزعجة في
طريقه.

إن ظننت أنك ستنجو من ماضٍ مليءٍ بالغبار بعدما لوثَ
بدماء الأبرياء فأنت مُخطيء، ذنب الجميع مُتعلق في رقبتك
حتى تنقبض روحك وتذهب لعدالة السماء، هذا إن لم تجد
العذاب في الدنيا أولاً.

تحرك هذا القابع أسفل قدمه بهستيريا وهو يعود بجسده
للخلف، يرجو ذلك الواقف أمامه يُطالعه بشر تمكن من

حارة القناص

خلاياه، اشتدت يد القناص حول ماديته بحقد مُقترَبًا من أكثر، حتى بات على مسافة قريبة منه للغاية، لذلك هبط على مُستوى أذنه هامسًا بحقد:

_ أهلاً بيك يا "ياسر".

ابتلع المدعو "ياسر" ريقه برعب وهو يسأله بتلجلج مُرتعب:

_ أنت.. أنت مين؟!!!

عدّل القناص من قناعه الذي يُخفي وجهه بعناية، ثم همس له بفحيح أرعبه:

_ أنا القناص.

ارتعش جسد "ياسر" بهلع واضح وهو يعود بجسده للخلف صارخًا:

_ أنا... أنا معملتش حاجة... معملتش حاجة ارحمني.

رد عليه القناص بهمس خطير وعيناه تشتد قسوة:

_ وانتوا ليه مرحمتوش حد!! ليه حرمتوني من كل حاجة كانت من حقي ها؟!!

وضع "ياسر" يده موضع قلبه وهو يكاد يشعر بأنه على مشارف الموت، خرج صوته مُتذبذبًا خافت طالبًا منه برجاء:

_ أرجوك متقتلنيش... أنا.. أنا كنت بنفذ الأوامر مش أكثر.

أخرج "القناص" سلاحه من بنطاله الخلفي وبسمته تزداد اتساعًا بلا روح:

_ وأنا كمان بنفذ الأوامر، بس مش أوامر حد، أوامر نفسي.

قال الأخيرة تزامنًا مع إطلاقه للرصاصات على قدمه دون شفقة، ليصرخ "ياسر" بألم جبار أثناء رجاؤه:

_ أبوي رجلك ارحمني أنا عندي عيال.

استفزت جملته أعصاب "قاسم" الذي اقترب منه كالأسد الجريح يُمسكه من تلايبه يهزه بعنف وصوتٍ ظهر به الألم أثناء صراخه به:

_ وأمي كان عندها عيال وأخذتوها مني، وأبويا مات بحسرتة، وأخويا خطفتوه وقولولنا إنه مات، وأنا اتربيت في الشارع يتيم، قولي أرحمك ليه!!

هز "ياسر" رأسه بتيهة وهو يُجيبه:

_أنا.. أنا مليش دعوة.

عاد "قاسم" لبروده مُجددًا قبل أن يستغل ضعفه وقلة حيلته
قائلًا:

_وأنا كمان مليش دعوة.

قال جملته مُمسكًا بعنقه مُثبِتًا إياها ثم شقها بجمود دون أن
يرف له جفن، لتتناثر الدماء من حوله ويسقط الآخر صريعًا
دون روح، فقط جُثة هامة لا حياة بها.

نظر القناص لجثته بإشمزاز، قبل أن يبصق عليه وكأنه
حيوان سام لا قيمة له، وبعدها رمى بجانبه الكارت المنقوش
عليه وشم القناص، لتُصبح تلك القضية الثالثة التي يقوم
بها القناص بقتل أحد العاملين بمشفى الأرماني، وما زالت
هويته مجهولة للمعظم حتى الآن.

مرَّ أسبوع كامل لم يحدث به أي جديد، سوى أن "قاسم" يأتي للمنزل لتبديل ثيابه ثم يطمئن على والدته قبل أن يتجه للمشفى مرة أخرى، وحالة "يمنى" تتحسن تدريجيًا التي بدأت باستعادة صحتها لكن تنام معظم الوقت تقريبًا، جلست "أهّلة" على المقعد بإنهاك تستند برأسها على ذراعها الذي اسندته على كتلتا ركبتيها، تشعر بالتيهة والقلق على شقيقتها رغم طمأنة "قاسم" لها على صحتها والذي أخبرها أنها من الممكن أن تستيقظ بأي وقت.

جلس "قاسم" جانبها والذي انتهى لتوه من العمليات التي وُضعت على عاتقه وأنهاها ببراعة دون وجود خسائر، مد يده لها بحقيبة قائلًا بهدوء:
_ خُدي كُلّي.

اعتدلت في جلستها قبل أن ترسم ابتسامة صغيرة على محياها وهي تقول:
_ ماما معملتش كدا معايا والله.

ابتسم بخفة على حديثها ثم أعاد الشطيرة له مرة أخرى وبدأ في إبعاد الورق الذي يُغطيها عنها حتى تأكلها سريعًا، وبعدها أعطاها لها وهو يقول مُمازحًا:

متعوديش على الدلع بس عشان أنا خلقي ضيق.

انتشلت الشطيرة من بين يده تُجيبه بضحك:

بصراحة أنا بتعود وممكن أبقى حمل ثقيل عليك.

نظر لها مُبتسمًا وهو يقول بود:

ارمي حمولك عليا وأنا مش هشتكي يا ستي.

ورغم أن حديثه كان ودودًا بعض الشيء؛ إلا أنها أجابته
بخفوت وهي تأخذ أو قضة من شطيرتها:

الله يسترك دنيا وأخرة والله.

هزَّ رأسه بيأس منها وضحكة صغيرة مُتشكلة على ثغره،
بينما هي مازالت تأكل بنهم، تشعر بأن شهيتها مفتوحة
اليوم ولا تعلم السبب، كل ما تعلمه بأنها سعيدة لسببًا
مجهولًا، بينما هو كان يُراقبها باهتمام، يشعر بها ولا يعلم
لماذا، يبدو بأنها عانت مثلما كان في طفولته عند خسارته
لكل شيء، وحتى الآن لا يعلم سبب عنائها، إذاً ليكون حنونًا
عليها لتعويضها عن جزء من طفولتها المُشردة.

حارة القناص

وجدها قد أنهت طعامها، لذلك أخرج من الحقيبة التي جواره
عُلبَة من العصير فأعطاها لها غامزًا إياها بمزاح:

عصير فراولة باللبن من اللي قلبك يحبه.

اتسعت ابتسامتها حتى باتت تحتل مُعظم وجهها، ثم انتشلتها
منه بسعادة قائلة:

الله شكرًا أوي بجد.

رد عليها "قاسم" بهدوء قائلًا:

مفيش شكر بينا احنا أخوات.

وللحقيقة هي لم تهتم بذلك، ولا هو بالأساس، استمعا
لصوت شجار قادم من آخر الطرقة فوجودهم كالعادة "رائد
وملك"، قلب "قاسم" عيناه بملل من أفعالهم وبدأ الغضب
ينتشر في أوردته بسببهم، فهما طيلة الأسبوع لم يفعلا شيئًا
سوى الشجار، وكأنهم مولودون فوق رؤوس بعضهم
البعض، جز "قاسم" على أسنانه بغيظ ثم استدار لـ "أهْلَة"
سائلًا إياها باهتمام:

عايزة أختك في حاجة؟!

حارة القناص

ابتلعت ما في جوفها ثم أجابته بلامبالاة:
_تو، اتعامل.

طقطق "قاسم" رقبته ثم شمّر عن ساعديه مُتجهًا إليهما
بشر.

بينما على الجانب الآخر، رفعت "ملك" يدها أمام وجه
"رائد" الذي يُطالعها بغضب مُتحدثة بسخط:
_بقولك إيه أنت ملكش دعوة بيا تاني، فاهم ولا لا!!!

أجابه هو بغضب مُماثل وهو يُشبح بيده أمام وجهها وكأنه
يُريد الهجوم عليها:

_لا مش فاهم، وبعدين مين "جابر" اللي أنت بتكلميه دا؟!!!
وبعده بشوية رن عليك واحد اسمه "حسين"، وبعدها
"أنس"، إيه عاملالي جمعية حضرتك!!! ولا مفكرة نفسك
قاعدة في الشؤون الإجتماعية!؟

فتحت "ملك" عيناها بعدم تصديق عندما تفوه بكل تلك
التفاصيل التي حدثت، هل يُراقبها؟!!! سؤالٌ تردد صداه داخل
عقلها ولم تجد له إجابة، لذلك أجابته بحدة:

حارة القناص

_وأنت مالك أنت أكلم مين ومكلمش مين، كنت ولي أمري ولا جوز خالتي!! بقولك إيه ابعده عن خلقتي خلي يومك يعدي.

اغتاظ من برودها في الإجابة وصراخها عليه في الحديث، لذلك أمسك بخصلة كانت تهبط على وجهها جاذبًا إياها بقوة آلامتها وهو يحذرها:

_لأ مش هبعده ويتدخل في كل حاجة تخصك من هنا وجاي، هتقوليلي ليه! هقولك ملكيش فيه.

تأوهت بقوة عندما جذب خصلاتها، فأردفت وهي تُشير لذاتها بخفوت شديد:

_أنت شدتني من شعري صح؟!!

هز رأسه بالإيجاب مُعانداً إياها ولا يعلم ما الذي حدث بعد ذلك، كل الذي شعر به هو إمساكها بخصلات شعره تجذبه منها بقوة، فلم يكن لديه سوى الإمساك بخصلاتها هي الأخرى، ليُصبح المشهد كالتالي:

"ملك" مُمسكة بخصلات "رائد" مُنزلة رأسه للأسفل حتى تتحكم به، و"رائد" مُمسكًا إياها من خصلاتها الطويلة

حارة القناص

وبثيابها من الجانب يتأوه من عُنفها في جذبه، لذلك صرخ
سائبًا إياها:

يا بقرة يا غبية شعري.

ولول بالأخيرة كالنساء، لتقول "ملك" بعناد وألم هي
الأخرى:

سيب شعري الأول.

هز رأسه نافيًا وهو يصرخ بها:

سيبي أنتِ الأول يا بنت الغدارة أنتِ ملكيش أمان.

نفت برأسها وهي تصرخ بألم عندما اشتدت يده حول
خصلاتها:

_لأ والله ما أنا سايبة غير ما تسيب، متخلنيش أتغابي عليك
بقي على المساء._

قاطع شجارهم شعورهم بيدٍ تُمسك بكليهما من ياقة ملابسهم
لثبدهم عن بعضهما البعض، ابتعدا بأجسادهم لكن أيديهم
مازالت مُستقرّة على خصلات الآخر، ليسمعا بعدها إلى
صوت "قاسم" الهامس بفحيح:

_ هعد ثلاثة، قسماً باللي خلقتي وخلقك أنت وهي لو لقيت حد فيكم قدامي؛ هحلق ليكم زلبطة والراجل فيكم اللي يتكلم.

نظرا لبعضهما بفرع بخصلات مُشعثة ووجه يرتسم عليه الفرع من "قاسم"، ليتركهما بعدها وبالفعل بدأ في العد بجمود خطير:

_ واحد...

لم يكد أن يقول اثنان حتى وجدهما يُهرولا من أمامه بسرعة كبيرة ليتجنباً غضبه، نظر "قاسم" لأثرهما بتشفي ونظرات مُستهزأة قبل أن يعود لمكانه بجانب "أهّلة" التي كانت تُراقب الوضع بهدوء شديد أثناء ارتشافها للعصير المُفضل إليها.

عاد للجلوس بجانبها مُجدداً فنظر إليها مُتسائلاً بحنان:

_ شبعتي ولا أجيبك تاكلي تاني؟!

ردت عليه مُبتسمة قائلة بامتنان:

_ لا الحمد لله شِبعت.

_بالهنا والشفا.

قالها بهدوء قبل أن يقوم بإرجاع رأسه للخلف مُستندًا على الحائط بإنهاك، لقد قضى اليوم في عمليات كثيرة قام بفعلها، بالإضافة لمروره على عُرف المرضى للإطمئنان عليهم، ومنذ السادسة صباحًا وهو يعمل، وها قد أصبحت الساعة السادسة مساءً، لقد قضى 12 ساعة يعمل دون أن يرتاح قليلًا وذلك ليُريح المرضى.

انتبهت "أهلة" لحالته فسألته بقلق:

_أنت كويس!!

همهم بهدوء دون أن يعتدل أو ينظر لها لكنها لم تقتنع، بل سألته مُجددًا باهتمام:

_أومال مالك!! أنت تعبان!!

هز رأسه بالنفي مُجيبًا إياها بخفوت:

_لأ بس مُرهق شوية.

_طيب ارتاح.

أجابها بهدوء:

_أنا مرتاح كدا متشغليش بالك.

أومات له بدون إقتناع خوفًا عليه، يظهر عليه الإنهاك لكن يبدو أنه يُعاند، جلست صامتة بجانبه لا تتحدث، تُفكر في حالة والدتها الغريبة والتي يجلبها "قاسم" بنفسه، ويقوم بإعادتها مرة أخرى وكأنه يخشى عليها من شيء لكنها تجهل ما هو، لن تُعير للأمر إهتمامًا طالما الجميع بخير وعلى ما يُرام، والأكثر هو اطمئناتها على "يمنى" واستقرار حالتها.

لم يغيب عنها حالة "يحيى" الأسبوع الماضي، كان الحزن والتعب يظهر على محياه ولم يتركها ولو للحظة واحدة، حتى إنه لم يعود لمنزله، بل يُفضل المبيت بالمسجد المُجاور للمشفى، وعند حلول الصباح يعود مُجددًا قبل أن يعود لشركة "الأرمانى" لتنفيذ أوامر "مختار الأرمانى" ويقوم بنقلها لـ "قاسم" الذي ينقلها للعميد "مُغازي" ليضع خطة مُحبكة للقضاء عليه وعلى عائلته وكل من يعمل معه.

انتفضت من مكانها عندما شعرت برأس "قاسم" تميل على كتفها، طالعتة بدهشة فوجدته قد ذهب في ثبات عميق، يبدو أن الإنهاك قد أتعبه، ابتلعت ريقها بحرج من أن يراها أي شخص في حالتها تلك، أغمضت عينيها بثبات وشعرت برأسه كادت أن تقع من على كتفها فأسندتها مُسرعة قبل أن يستيقظ.

شعرت بالشفقة تجاهه خاصةً وأنه لم يشعر بمن حوله من التعب، ورغم ذلك ظل يعتني بها هي وشقيقتها طوال النهار دون تعب أو ملل، بل ويطمئن على والدتها أيضاً ويهايتها من الحين للآخر، ابتسمت بخفة عندما تذكرت مشاجراتهم الحمقاء كل يوم بسبب عنادها هي وتصميمه هو، وبالنهاية الفوز يكون من نصيبه بالطبع، ورغم هذا فهو حنوناً لدرجة لم تتوقعها، طالما بعيداً عن شخصية القناص التي جعلها تشعر كما لو أنها تقف أمام رجلاً آخر.

يُقال أن أسمى درجات الحب هو الطمأنينة، فإن شعرت بها فأعلم أنك بالمكان الصحيح.

ارتدت "حبيبة" ثيابها والتي اختارها "صهيب" بعناية مُنتبهاً بالأ تكشف جزءاً واحداً من جسدها، دخل عليها "صهيب" الغرفة مُتأففاً وهو يقول بصوت حانق:

_ أنا مش فاهم ما إيه يعني عمي جه من السفر!! ما يولع ولا يروح في داهية هو ولاده احنا ناقصين!!

قالها "صهيب" بحنق بالغ عندما هاتفه "مختار" اليوم ليأتي ويستقبل عمه الذي أتى منذ خمسة أيام وهو لم يُكلف نفسه للذهاب، ولو عليه لقام بتجميعهم في مكان واحد وحرقتهم أحياء ليُطفىء تلك النيران التي تشتعل بصدرة.

استدارت له "حبيبة" بعد أن أحكمت غلق سترتها وترتيب خصلاتها بعناية، ثم أردفت برقة:

_ مش مشكلة بقي يا "صهيب"، هنروح نسلم عليهم ونقعد شوية ونمشي على طول.

بضعة كلمات قليلة منها جعلت وجهه يتحول من العبوس إلى الهيام، ليقترب منها بشدة حتى بات أمامها مباشرةً، ثم أحاط بخصرها مُقرباً إياها منه:

_ والله ما حد مصبرني على العيلة الـ**** دي غير يا بسكوتة.

شهقت "حبيبة" بعدم تصديق من سبته، ثم عاتبته بعبوث:
_ عيب يا "صهيب" مينفعش تقول كدا، دول مهما كان
قرايينا.

احتضنها "صهيب" دافئاً وجهه بعنقها بهيام، ثم هتف
بصوت مليء بالمشاعر أنهكه العشق:
_ أنا لو عليا مش عايز أخرج من هنا وأنتِ تفضلي في
حضني.

عضت "حبيبة" على شففتيها بخجل واحمر وجهها حرجاً
من فعلته، لذلك حاولت إبعاده وهي تقول بتلعثم ظهر
واضحاً:

_ ه.. هنتأخر يا "صهيب".

خرج "صهيب" من أحضانه غامزاً لها بمشاكسة وهو يحني
له ذراعه يحثها على وضع يدها بينه:

_ يلا يا عيون "صهيب".

حارة القناص

قالها ثم خرجا من المنزل مُتجهين إلى قصر الجحيم، حيث توجد تلك العائلة المليئة بالأفاعي والعقارب السامة، لقد ذهبوا إلى مصيرهم!.

مرّ وقتٍ قليلٍ قبل أن تخرج المُمرضة من غرفة "يمنى" مسرعة للخارج، فوجدت "قاسم" نائمًا على كتف "أهّلة"، وهي شاردة تستند بخدها على خصلاته، ذهبت إليهم سريعًا قبل أن تُوجه حديثها لـ "أهّلة" بلهفة:

_ لو سمحتِ يا مدام صحي دكتور "قاسم" ضروري.

قطبت "أهّلة" جبينها بتعجب ثم سألتها أثناء إسنادها لرأس "قاسم" المائلة على كتفها:

_ليه!!

أجابتها المُمرضة بسرعة:

_ المريضة اللي هو مُشرف على حالتها فاقت.

«يُتبع»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 

ما زالت الحرب مُستمرة والأعداء كثيرون، لكن! نبضة قلب
غيرت الخطة كُلياً، فأصبح الفؤاد هو المُتحكم الوحيد بدلاً
من العقل.

خبايا وأسراراً كثيرة ستُكشف لكن لن تمنع انتقام القناص،
لذلك أقول دائماً:

_"فاحذر يا عزيزي؛ فالهالكِ قادم على يدِ القناص."

إشروق حسن |

الصلاة هي السبب الرئيسي لِتحكم الإنسان في إنفعالاته قال
تعالى:

" إن الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا إذا مسَّه الشر جزوعًا وإذا مسَّه
الخير منوعًا إلا المصلين". 

«الفصل الثامن عشر»

«حارة القناص»

«عدالة السماء»

"أنا الجندي الذي لم يخضع من قبل وخضع لعينيك".

أرأيت ذلك الشعاع المضيء المُتسلل من أحد الجوانب!!
يوجد مثله تمامًا في قلبك، شعاع النور المضيء بإسم
الحب، فؤادك المليء بالغبار عاد لينتفش مُجددًا، نفخاتٌ
وكلماتٌ صغيرة قادرة على حمل ذلك الثقل الجاثم فوقه،
لتعود مُنيرًا مُقبلًا على الحياة كما كنت مُسبقًا.

أخذها "قاسم" للأسفل بعد أن اطمئنت على شقيقتها
المُوصلة بالأسلاك، مظهرها أشعل فتيل الحقد في قلبها
أكثر، طعنوها في أكثر الأشخاص قُربًا منها، "يمنى" مركز

أسرارها وحصنها المنيع كادوا أن يقتلوها، لكن مهلاً!
فألعب لم يبدأ بعد.

جلسا على مقاعد الكافتيريا المُجاورة للمشفى، لتستند
"أهّلة" بإرهاق على الطاولة أمامها، تشعر بقلبها يؤلمها
مرة أخرى عندما تُفكر أن هذا من الممكن أن يحدث مُجدداً
معها أو مع أحد شقيقاتها، وتلك المرة لن تتحمل هي
متأكدة، من الممكن أن تُصاب بذبحة صدرية تقضي عليها
تماماً مثل ما كان سيحدث منذ قليل.

شعرت بصوت "قاسم" يُناديها، لترفع عينيها المُرهقة
تجاهه بكل تلقائية، مدّ يده بإبتسامة بشوشة مُمسكاً بكوب
من عصير الليمون قائلاً:

_ خُدي اشربي وهدّي أعصابك لغاية ما الأكل يجي.

هزت رأسها نفيّاً وهي تبتلع ريقها بصعوبة قائلة:

_ لأ مش عايزة، مش جايلي نفس أكل وأختي محجوزة
فوق.

رد عليها بصرامته المعهودة بعد ما أمسك بكف يدها ووضع
به كوب العصير رغماً عنها قائلاً:

_أنا مش باخد رأيك، أنا بقولك اشربي ولما يجي الأكل
هتاكلي، خلص الكلام.

تأففت وهي تهز رأسها بحدة طفيفة:
_يا "قاسم" خلاص مش عايزة آكل.

قلدها "قاسم" قائلاً بنبرة مشاكسة قليلاً:
_يا "أهّلة" وأنا قلت هتاكلي.

حدجته بياس وضحكة طفيفة تشكّلت رغماً عنها على
ثغرها، لترتشف القليل من العصير الذي أعطاه لها، وللحق
كانت عطشة للغاية، بينما أمسك "قاسم" بهاتفه وظل يعبث
به قليلاً ثم وضعه أمامه مُجدداً.

ارتشفت "أهّلة" العصير كاملاً تحت نظراته المُحذرة التي
كان يرميها لها، لتبادلته النظرات باستخفاف وهي تُتهيأ آخر
كمية في الكوب، وضعتَه أمامها ثم هتفت بلامبالاة مُصطنعة:
_على فكرة أنا شارباه بمزاجي، متفكرش إنك غصبتني على
حاجة.

حارة القناص

غمزها أثناء قوله المؤكد بعث:

_ عارف.

حلّ الصمت قليلاً عليهم قبل أن يستند بكِلتا ذراعيه على الطاولة وهو يتسائل بهدوء:

_ مقولتليش ليه إن عندك كتمان مُزمن؟!.

انتبعت لحديثه وسؤاله، قبل أن تقطب جبينها بضيق وهي تسأله:

_ وعرفت منين إني عندي كتمان مُزمن؟!.

أخرج صوتًا ساخرًا من فمه ثم أجابها قائلاً بتهكم:

_ لأ أبدًا... أصل فيه واحدة كانت بتموت قدامي من شوية وهيجيلها أزمة قلبية.

غضبت من وقاحته معها فجزت على أسنانها بغيظ قبل أن تُجيبه بوقاحة مُماثلة له:

_ ملكش دعوة، ومتدخلش في اللي ملكش فيه.

كانت نظراته ثابتة غير غاضبة عقب كلماتها، هبت من مقعدها بعنف ثم انتشلت هاتفها من على الطاولة وكادت أن تذهب؛ إلا إن منعها من الذهاب عندما أمسكها من يدها مُجسِّسًا إياها مرة أخرى، لكن تلك المرة جلست على المقعد المُلصق لمقعدة هو، طالعه بغیظ قبل أن تصرخ بعصبيه:

__ سيب إيدي وخليني أمشي متعصبنيش.

تلك المرة أثار استفزاه، لتجده قد اقترب بوجهه منها تزامنًا مع ضغطه الشديد على كفها الذي يمسكه بين يده، قبل أن يهمس لها بتحذير استشعرت خطورته:

__ قسماً بالله لو صوتك علي عليا تاني لهتشوفي وش عمرك ما شوفتیه في حياتك، بلاش أنا عشان متزعليش، واتزعي اطفحي اللي هيجيلك عشان متعيش مني أنا مش فاضي أشيلك كل شوية.

سحبت يدها بعنف من بين يديه مُربعة إياهم أمام صدرها، ثم أشاحت بوجهها للناحية الأخرى دون أن تُجيبه، هي بالأساس لم تطلب مساعدته لكي يحدثها بتلك الطريقة، وللعجب قد خافت من تهديده، يبدو بأن لديه جانب آخر لم تكتشفه بعد، وذلك الجانب لن يُعجبها على ما تظن، لم تكن تتوقع بأنه كان يُراقبها، كان قاسيًا معها لكنها استفزته

حارة القناص

عندما قامت بالصراخ في وجهه، وهذا أكثر ما يزعجه، بل
ويُزعج جميع الرجال تقريبًا.

استفاقت من شرودها وتفكيرها عندما وجدته يقول بصوت
حنون ليّن عكس ما كان به من قبل:
_ يلا كُلي.

فرغت فاهها بصدمة عندما وجدت الحنان يحوم بوجهه، هل
هذا الرجل طبيعي!! سؤال طرأ على ذهنها فجأة ولم تعلم
بأنه علم ما يدور بخلدتها، لتجده يقول بهدوء:
_ مفيش أي راجل هيستحمل إن واحدة ست تعلي صوتها
عليه قدام الناس.

لم تُجيبه، بل مدت يدها ببرود تلتقط الشطيرة التي طلبها لها
ثم أكلتها بهدوء تحت أنظاره، لمحت بطرف عينها طيف
شقيقتها التي تقترب منها حتى باتت أمامها مباشرةً، والتي
تحدثت وهي تُوجه حديثها لـ "قاسم":

_ طلبتني ليه يا أبيه؟!!

أشار "قاسم" للمقعد بعينه أثناء وضعه ليدته بجيب بنطاله،
ثم تشدق بهدوء:

حارة القناص

_ اقعدني وكُلي عشان متدوخيش.

هزت رأسها نافية وهي تقول بصوت مبحوح:

_ لأ مليش نفس مش عايزة أكل.

أغمض "قاسم" عينيه يُحاول ضبط أعصابه قبل أن يفتحهما
مُجددًا أثناء قوله الساخر:

_ هو أنتِ وأخواتك متعرفوش تقولوا حاضر من غير كلام
كثير.

طالعته "أهْلَّة" بغیظ ولم تُعلق، بينما "ملك" استسلمت ثم
جلست تتناول الشطيرة بهدوء، أراد "قاسم" أن يُخرجها من
حالة الحزن التي حلت عليها، لذلك أردف لها بمزاح:

_ بس مكنتش أعرف إن عندك مشاعر وأحاسيس زينا كدا يا
"ملك"؟!!

ضيقته "ملك" عينها وهي تسأله بشك:

_ قصدك إيه يا أبيه؟!!

جعد "قاسم" جبينه بتشنج عقب كلمتها ليقول:

__جتك بو في جنابك، بقولك إيه خليك مكتومة أحسن.

مطت "ملك" شفيتها بضيق ثم أكملت شطيرتها بصمت،
بينما "أهله" ضحكت بخفوت ثم خبات وجهها بكف يدها
حتى لا تظهر ابتسامتها له، لكنه ولسوء حظها قد رآها، كاد
أن يتكلم؛ لكن هاتفه صدح عن اتصال هام ليُجيب سريعًا،
وبعد الإستماع للطرف الآخر أجاب بهدوء:

__تمام أنا جاي حالًا.

وقف من مكانه مُنتشلاً مفاتيح سيارته ومحفظته من على
الطاولة، قبل أن يُوجه حديثه لهم باستعجال:
__ورايا مشوار مهم هقضيه وهاجي تاني.

أومأوا له بهدوء وكاد أن يذهب، لكنه توقف فجأة عائدًا
لـ"أهله" مُجددًا، ثم انحنى لمستواها هامسًا في أذنها بعث:
__متبقيش تخبي غمازاتك عني تاني ماشي؟!.

قالها ثم ذهب تاركًا إياها مُتجمدة في مكانها، ابتلعت "أهله"
ريقها بشرود عندما سألتها "ملك" بتعجب:

__كان بيقولك إيه؟!.

هزت "أهله" رأسها مُجيبة إياها بصوت مبوح:

ـمـ.. مفيش.. خرينا نطلع لـ"يمينى" يلا.

وافقتها "ملك" على الفور، فأخذوا أشياءهم ثم صعدوا
للمشفى ليظلوا بجانب شقيقتهم النائمة.

هناك الكثير من الإنجازات التي يُقدمها الإنسان لنفسه، لكن
أفضلها هو الثقة.

عاد "قاسم" إلى منزله ليقوم بتبديل ثيابه المُتسخة ثم صعد
إلى والدته للإطمئنان عليها، وحدها نائمة في عالمها فقام
بتقبيل جبينها بحنان شديد وعاطفة جياشة، ثم هبط للأسفل
مُجددًا ليستقل سيارته ثم اتجه إلى وجهته التي وصل إليها
بعد نصف ساعة تقريبًا.

دلف إلى البهو الكبير واضعًا كلتا يديه في جيب بنطاله الأسود، والذي يعلوه قميصًا من اللون الأبيض، بالإضافة إلى رائحة عطره المميز وخصلاته المهنمة باهتمام.

صعد إلى الدور الثاني بواسطة المصعد، قبل أن يستقبله رجلًا يرتدي بذلة رسمية وملامح وجهه خالية من أي تعبير تمامًا، والذي تشدق بعملية وإحترام:

__ اتفضل يا "قاسم" بيه جوا، سيادة العميد مستني حضرتك.

أومأ له "قاسم" بملامح وجهه جامدة قبل أن يدخل من ذلك الباب الذي أشار له الحارس منذ قليل، دلف ليجد رجل في نهاية عقده الخمسون تقريبًا جالسًا على مكتبه الوثير، والذي ما إن رآه وقف ببطء ماددًا يده لتحيته، قبل أن يقول بعملية:

__ اتفضل يا "قاسم" اقعد.

بادلته "قاسم" التحية قبل أن يقول بشكر:

__ شكرًا يا سيادة العميد، خير إن شاء الله!؛

أجابه العميد بعد أن جلس مكانه مجددًا:

_ كل خير إن شاء الله، اللي حصل لـ "يمنى" أخت خطيبتك
ليك علاقة بيه؟!!

_ مش فاهم حضرتك وضحلي قصدك!

تسائل "قاسم" ببرود إجابة على سؤال العميد، ليبتسم
العميد "مُغازي" بخفة ثم سأله مُجددًا بنفس الطريقة:

_ اللي حصل لـ "يمنى" ليك علاقة بيه يا "قاسم"؟!!

_ ليه شايفني قتال قُتلة؟!!

أطلق العميد "مُغازي" ضحكة عالية صدحت صداها في
الأرجاء، كذلك تشكلت ابتسامة جانبية على فم "قاسم" عقب
حديثه الأحمق بعض الشيء، أردف العميد من بين ضحكاته
قائلًا:

_ لا تصدق أقتعتني!!!

اعتدل "قاسم" في جلسته ثم تشدق بجدية قائلًا:

حارة القناص

_ أنت عارفة يا سيادة العميد إن مفيش أي عداوة بيني وبين
"يمنى" وإني كنت شاكك فيها بس مش أكثر، لكن للأسف
كانت ضحية و اتاخذت بين الرجلين.

هز العميد رأسه باقتناع ثم تسائل بنظرات ثاقبة:

_ وأنت معرفتش مين اللي عمل كدا؟!!

سخرية شديدة ظهرت على وجهه وهو ينظر له بصدمة
مُصطنعة أثناء قوله:

_ على أساس إنك معرفتش مين اللي عمل كدا يا سيادة
العميد!!!

لوى "مُغازي" شفتيه باستنكار وهو يتسائل بسخط:

_ أنا مش عارف مين العميد فينا، أنا ولا أنت!!!

أجابه "قاسم" بعنجهية مُصطنعة:

_ واحد يا باشا.

هز العميد "مُغازي" رأسه بيأس، ثم طالعه بجدية شديدة
وهو يقول بخفوت:

حارة القناص

__ عايزك تخلّص كل حاجة النهاردة، مش عايز غلطة واحدة
يا "قاسم"، بالأصل "مختار الأرماني" شاكك فيك، وأنا
هكلف "صهيب" يروح للمكان اللي مخطوفة فيه والده
خطيبتك.

هز "قاسم" رأسه بشرود، قبل أن يتحدث بغموض قائلاً:
__ لأ سيب "صهيب" عليا أنا هقوله كل حاجة، بس أم
"أهّلة" لازم تختفي الفترة دي عشان متعرضش لحاجة.

أوما له العميد بهدوء قبل أن يتسائل:

__ هتفد امتي؟!!

استدار له "قاسم" قبل أن يُجيبه بأعين تلتمع بها الوعيد:

__ النهاردة بليل.

__ بالتوفيق يا بطل.

أحنت "نبيلة" ظهرها وشعرت باليأس يتخلل أوردتها،
هبطت دموع "نبيلة" بأسى عندما أخبرتها تلك المجهولة

بمقتل ابنتها ونيتها لقتل ابنتها الثانية، ظلت تصرخ لكن صرخاتها كانت مكتومة بسبب ذلك اللاصق، حاولت مرارًا وتكرارًا الفكاك لكنها تفشل كل مرة، لا تعلم من تلك وماذا تريد من بناتها، كل همهما أن تظل فتياتها في مأمن بعيدًا عن تلك المريضة كما أسمتها.

شعرت بخطوات في الخارج فظنت بأنها هي، لكن خاب حدثها عندما وجدت الذي يدلف هو رجل ضخم البنية مُلثم الوجه لا يظهر منه سوى عيانه، انكششت على مقعدها بخوف ودموعها تهبط بجزع، خاصةً عندما اقترب منها أثناء إمساكه لسلاحه بين يده، ابتلعت ريقها برعب ناطقة الشهادة داخلها، ودت لو ترى فتياتها لكن يبدو أن حياتها ستنتهي الآن.

اقترب المُلثم منها ثم هبط لها حتى بات على مسافة قريبة منها وبعدها تحدث هامسًا:

متخافيش أنا جاي أخرجك من هنا.

طالعه بلهفة وانتبهت كل حواسها له بعدما كانت خائفة كهرة صغيرة، رفع أصابعه ليُزيل هذا اللاصق الموضوع على فمها ثم تحدث بخفوت:

هفكك دلوقتي وهنخرج من هنا، بس خليك ورايا وأيا كان
اللي هتشوفيه ملكيش دعوة بيه، ماشي؟!!

هزت رأسها بالإيجاب، فجلس هو القرفصاء ثم بدأ بفك
الحبال من حولها، انتهى في ثوانٍ معدودة ثم هبَّ من مكانه
واقفاً أمرًا إياها بسرعة:

يلا ورايا مفيش وقت.

أومات له سريعًا ثم لحقت به فباتت تسير خلفه مباشرةً حتى
لا تتعرض للأذى إن اقتحم المكان أحد الرجال، وجّه سلاحه
أمامه وبات يُراقب المكان باهتمام وتركيز شديد، خرجا من
المبنى المتهاك الذي كانوا به ثم هرول بها تجاه سيارته
للنجاة من هنا، لكن ولسوء حظهم استمعوا لصوت
الرصاصات تأتي من كل جانب حولهم.

دفعها المُلثم لداخل السيارة بسرعة كبيرة، ثم استدار ليصعد
هو من الجهة الأخرى قبل أن يُبادلهم الطلقات هو الآخر
لتستقر في رأس أحدهم، انطلق بالسيارة ضاغطًا على
سرعتها حتى هرولت بدرجة مُخيفة ومازال يُبادلهم
الطلقات، انخفضت "نبيلة" للأسفل لتحتمي من بطش
الرصاصات التي تتطاير في الأجواء وصراخها يعلو عند
زيادة صوت الرصاصات، بعد خمسة دقائق كان قضى على

حارة القناص

جميع من بالسيارة بسبب مهارته في التصويب، وقام بتضليل السيارة الأخرى حتى هرب من بين أيديهم.

تنفس الصعداء عندما فر منهم أخيراً، ثم تمت ببضعة كلمات ضاجرة لم تفقه "نبيلة" منها شيء، ابتلعت ريقها برعب ثم اعتدلت تجلس في مقعدها، قبل أن تتسائل بريية:
_ أنت.. أنت مين؟!!

جاءها رد "صهيب" الحانق وهو يقول:
_ أنا اللي سيبت شهر عسلي ومراتي عشان أنقذك يا ست أم "أهله".

قطبت "نبيلة" جبينها بضيق من وقاحته، ثم تسائلت بسخط:
_ أنت مين يا جدع أنت!! وإيه قلة الذوق اللي فيك دي يا بني آدم؟!!

أوقف "صهيب" السيارة على بغتة ثم استدار إليها متحدثاً بتشنج:

_ تصدقي إني قليل الذوق فعلاً عشان سيبت البسكوتابة بتاعتي وجيت ليك!!

أخذ أنفاسه المُغتازلة ثم انطلق بالسيارة بسرعة عالية تحت أنظارها المندهشة من وقاحته، بينما هو يتذكر مُكالمة أخيه منذ قليل يُخبره بالذهاب إلى أحد المناطق النائبة وحده مُتسلحًا بكل عناية ليستطيع صد أي هجوم سيواجهه، ضغط على المقود بسخّط من أوامر أخيه الصارمة، ثم هتف مُتحررًا عندما تذكر تركه لزوجته قائلاً:

_ على عيني أسيبك يا بسكوتة والله، بس نعمل إيه! حُكم القوي.

استفاق عندما استمع إلى سؤال "نبيلة" القانط:
_ أنت واخدني على فين دلوقتي.

أجابها بوقاحة قائلاً:

_ هشوف أي مُكنة أتوايك فيها لحد ما نخلص من المرار الطافح دا.

فتحت فاهها بعدم تصديق ولم تستطيع ما تقوله، لِيُنَاطِرَها بطرف عيناه وهو يسألها بعث:

_ عملتي يا مدام خلوهم يخطفوك!! شكك مش سهلة أنتِ صح!!

كل هذا ولم يكن يعلم بأن تلك المرأة التي تقبع أمامه هي
حماة أخيه المُستقبلية، نظرًا لأنه لم يراها من قبل، أغمضت
"نبيلة" عيناها بغضب من ذلك الكائن الوقح الذي يجلس
جانبها، لكن بالنهاية هو أفضل من هؤلاء المجرمين الذين
اختطفوها.

مكانٌ صاخب يرتفع فيه صوت الموسيقى والأغاني
الصاخبة، وهُنا! حيث تجلس هي بجوار "أمجد" الذي
سمحت له بوضع يده على خصره، اقترب "أمجد" من أذنها
قائلًا بحماس:

__ ما تيجي نرقص يا "سهيلة" الجو روعة.

تجرعت آخر رشفة من المشروب والذي يحتوي على نسبة
كحول ضئيلة للغاية على حسب مطلبها هي، ثم أومأت له
بالإيجاب قائلة:

__ أوك يا "ميجو"، يلا بينا.

اتسعت ابتسامته بسعادة، ثم جذبها لساحة الرقص يتميل معها بكل وقاحة، فأحياناً يضع يده على خصرها، وأحياناً أخرى يلامس جانب وجهها وهي سعيدة للغاية بذلك، تحولت لشخصٍ آخر تمامًا، لم تكن هي كما كانت من قبل، لقد أصبحت فتاة في قمة القذارة، لكن هي لم تُبالي، بل كانت تستمتع لإطراءات كثيرة من زملائها الذين شجعوها على هذا، بل وأصبحت نسخة مثالية منهم.

وعلى بُعدٍ منهم، سحبت "ساندي" من أرجيلتها قائلة وهي تُوجه حديثها لـ "منه" التي كانت تأخذ إحدى جرعاتها:

شايقة!! بقت مننا وعلينا، وكلها اسبوعين وهتلاقيها قاعدة جنبك بتضرب زينا بالظبط.

مسحت "منه" أنفها بانتشاء وهي تُرجع رأسها للخلف، ثم أجابتها بشماتة وأنظارها السامة تُصيب بها "سهيلة":

أحسن خليها تتربي، بدل ما هي راسمة علينا دور صاحبة الصون والعفاف، تعبتنا شوية في الأول بس في الآخر مالت زيها زي غيرها.

ارتسمت ابتسامة جانبية على ثغر "ساندي" قبل أن تردف بتشفي:

_ الخطة اللي بعدها على "أمجد"، يسحبها ليه وياخذ اللي عايزه، وبعد كدا تشتغل لحسابنا بقى، سواء بقى بمزاجها أو غصب عنها، كدا كدا هتخاف من الفضيحة.

أطلقت "منه" ضحكة عالية وبعدها أردفت بغل:

_ ياما نفسي أشوفها مكسورة ومذلولة قدامي، عايزة أرد إهانتها ليا وأوريها إن اللي يقف قدامي نهايته سودة.

_ متقلقيش، قريب أوي هتشوف فيها زي ما أنتِ عايزة.

شعرت "سهيلة" بهاتفها يهتز بين يديها، نظرت له فوجدته أباهها، توترت عيناها ولا تعلم كيف ستجيبه من بين تلك الضوضاء، لذلك أغلقت الخط دون أن تجيبه، ثم اقتربت من "أمجد" تقول بصوت عالي بالكاد سمعه بسبب الموسيقى:

_ أنا همشي أنا بقى عشان بابا بيرن عليا.

قطب "أمجد" جبينه بضيق مُصطنع، قبل أن يقول بحزن زائف:

_ لسه مسهرناش سوا.

أجابته بتبرير:

معلش بقى، هقابلك بكرا أكيد.

أوماً لها وكادت أن تذهب، لكنه باغتها بإحتضانها لها
واضعاً قبلة شغوفة على خدها قائلاً بوقاحة اعتبرتها هي
حباً:

هتوحشيني.

أحمر وجهها خجلاً قبل أن تُجيبه بحرج وصوت خفيض لم
يسمعه، لكنه علم مغزاه من حركة شفيتها:
وأنت كمان، باي.

قالت جُمَلتها ثم هرولت من أمامها بعد أن التطقت معطفها
الذي خلعته عند وصولها إلى هنا، لتظل بثياب تكشف عن
ذراعيها كاملين وجزءاً صغيراً من نصفها العلوي.

علم جميع الشباب ما حدث لـ "يمنى" عن طريق "صهيب"
والذي تفاجأ بوجود أخوات كُلاً من "جون وفور"، لكن

وللحقيقة لم يعلم بأنهم أخواتهم، بل قام بتأجيل هذا السؤال لحين عودتهم جميعًا وتجمعهم غدًا، ذهبوا جميعًا إلى المشفى بما فيهم "لوسيندا" والتي ذهبت مع "جون"، وذهب "ستيغن، إيغور، ليونيد، أندريه" للتسكع قليلًا، أو بمعنى أصح لعمل مُصيبة كبيرة قد تهتز لها الأرجاء.

بينما "مهرائيل" بقيت في غرفة "فور" الذي تكرم وأعطاهها لها هي وشقيقتها لحين حل مشكلتها مع أبيها وبعدها تعود للمنزل، جلست على الفراش تستذكر دروسها، فهي في السنة الأخيرة من كلية الطب كما شقيقتها تمامًا، لطالما كانت تتمنى أن تعمل في مجال الهندسة لكان أبيها منعها من الإلتحاق بالشعبة المناسبة لها، حتى تُصبح طبيبة كشقيقتها.

شعرت بالصداع يُداهما لذلك هبت من على الفراش وخرجت بكل أريحية من الغرفة لعلمها بعدم وجود شخص واحد في الشقة، اتجهت نحو المطبخ لعمل كوب من النسكافية لئيساعدها على التركيز أكثر، لكنها استمعت إلى صوت يأتي من الداخل، ابتلعت ريقها بقلق وهي تقترب ببطء، لتجد "ألبرت" يقف ويتجرع المياه ببرود، وكأنه لا يتعامل بألية!! هكذا همست لذاتها ولم تعلم بأن همسها وصل إليه.

حارة القناص

نظر لها بطرف عينه بلامبالاة ثم أكمل شرابه دون أن يُعيرها أي إهتمام، اقتربت منه قليلاً حتى وقفت جواره ونظرت له بنفس النظرة التي طالعها بها، ليرفع حاجبيه بتعجب وكأنه يقول لها "حقاً؟!!"، رفعت رأسها للأعلى فوجدت موضوع الأكواب عالي عن طولها الطبيعي، نظراً لأن جميع الشباب أطوالهم عالية كالأبراج كما سمتهم، نظرت له بترفع قبل أن تُشير له تجاه الأكواب قائلة بغرور:
_ هاتلي كوباية عايزة أشرب.

طالعها ببرود قبل أن يأخذ الكوب الذي بيده ويتجه به للناحية الأخرى من المطبخ تجاه الطعام، قائلاً بجمود:
_ اجليها بنفسك أيها الجرو الصغير.

استدارت له بعنف قبل أن تتشقق بحدة:
_ أنت تكلمني.....

قاطعها بفحیح وهو يقترب منها:
_ أقسم إن ارتفع صوتك سأقطع لك لسانك يا معتوهة.

ابتسمت بتوتر وهي تعود للخلف:

يسطا ما أنت اللي بتعصبي، يعني حد يكلم بنت بريئة
وعسولة زيي كدا بالطريقة دي؟!!

نظر حوله بتعجب، ثم أردف وهو مُقطب الجبين:
فتاة!! لا يوجد فتيات هنا.

و ببرود أكبر أجابته "مهرايل" في نية لإغاظته لرد
كرامتها:

ولا رجالة وحياتك.

صوت تحطم كبير بجوار قدمها جعلها تنتفض من مكانها
برعب نتيجة لإصطدام الكوب الزجاجي بالأرض التي أسفلها
حتى كادت أن تُصيبها، ازداد هلعها عندما رأتها يقترب منها
بخطوات شرسة ظنت بعدها أنها ستُكتب في عداد الموتى،
لكنها لم تقف هكذا، بل هرولت من أمامه للخارج بسرعة
كبيرة للهروب من برائته، لكنه لم يصمت وهرول خلفها
صائحًا بصوت هز أرجاء المنزل:

_توقفي إن أردتي رؤية الرجل يا حمقاء، أقسم إن
رأيتك أمامي مُجددًا سأفرغ رصاصاتي في عقلك الصغير
الأرعن، هذا إن وُجد من الأصل_.

وضعت "مهرايل" يدها موضع قلبها أثناء وقوفها خلف الأريكة التي تفصل بينهما، ثم صاحت به بصوت خافت لكنه حانق حتى لا تزيد من غضبه:

ما هو أنت اللي سخيف ومفكرني هسكتلك!! دا عند أمك.

توقف جسده عن الحركة وطالعتها بنظرات أشعرتها بأنه سيحرقها حيّة بأي وقت من الأوقات بسبب بلاقتها وتلقائيتها في الحديث، وبثوانٍ صحت حديثها سريعاً وهي تكاد تبكي:

قصدي يعني عند مامت حضرتك يا "ألبرت" ياخويا.

لم تعي ما حدث حينما وجدته قد قفز من فوق الأريكة في وقت لم يتعدى الثانية واحدة حتى بات أمامها مباشرةً ويده التفت حول رقبتها يسألها بشر:

ماذا قولتي للتو؟!

انحبست أنفاسها بصدمة من تلك السرعة التي وصل بها إليها، فتركت كل هذا ثم صاحت بإنبهار وهي تفتح فمها بدهشة جلية:

واو يخربيتك!!! عملتها إزاي دي!!!

_ ما هي!!!

سألها بتعجب، لتشير له من حيث قفز قائلة:

_ نطيت المسافة دي كلها إزاي؟!!

دفعها بعيدًا عنه بحنق كأنها حشرة، ثم هتف بسخط صارخًا
بها:

_ اللعنة عليك وعلى معرفتكِ السوداء تلك، من أي مُصيبة
قد أتيتي أنت؟!!

شهقت وهي تضع يدها على خصرها مُشيحة بيدها أمام
وجهها:

_ مصيبة!!! مصيبة دي إيه يا أخويا!! أنت تلاقي مُصيبة
بالطعام والحلاوة دي!!

_ اللعنة على كل النساء إن كانوا مثلك.

حارة القناص

قالها بإشمئزاز وهو يُحدجها من أعلى إلى أسفل، قبل أن يتركها ويذهب وهو يلعن حظه الذي أوقع تلك المزعجة في طريقه.

إن ظننت أنك ستتنجو من ماضٍ مليءٍ بالغبار بعدما لوثَ بدماء الأبرياء فأنت مُخطيء، ذنب الجميع مُتعلق في رقبتك حتى تنقبض روحك وتذهب لعدالة السماء، هذا إن لم تجد العذاب في الدنيا أولاً.

تحرك هذا القابع أسفل قدمه بهستيريا وهو يعود بجسده للخلف، يرجو ذلك الواقف أمامه يُطالعه بشر تمكن من خلاياه، اشتدت يد القناص حول ماديته بحقد مُقترَباً من أكثر، حتى بات على مسافة قريبة منه للغاية، لذلك هبط على مُستوى أذنه هامساً بحقد:

ـ أهلاً بيك يا "ياسر".

ابتلع المدعو "ياسر" ريقه برعب وهو يسأله بتلجلج مُرتعب:

ـ أنت.. أنت مين؟!!!

عدّل القناص من قناعه الذي يُخفي وجهه بعناية، ثم همس
له بفحيح أربه:
_ أنا القناص._

ارتعش جسد "ياسر" بهلع واضع وهو يعود بجسده للخلف
صارخًا:
_ أنا... أنا معملتش حاجة... معملتش حاجة ارحمني._

رد عليه القناص بهمس خطير وعيناه تشتد قسوة:
_ وانتوا ليه مرحمتوش حد!! ليه حرمتوني من كل حاجة
كانت من حقي ها؟!!

وضع "ياسر" يده موضع قلبه وهو يكاد يشعر بأنه على
مشارف الموت، خرج صوته مُتذبذبًا خافت طالبًا منه
برجاء:

_ أرجوك متقتلنيش... أنا.. أنا كنت بنفذ الأوامر مش أكثر._

أخرج "القناص" سلاحه من بنطاله الخلفي وبسمته تزداد
اتساعًا بلا روح:

وأنا كمان بنفذ الأوامر، بس مش أوامر حد، أوامر نفسي.

قال الأخيرة تزامنًا مع إطلاقه للرصاصات على قدمه دون شفقة، ليصرخ "ياسر" بألم جبار أثناء رجاؤه:

أبوي رجلك ارحمني أنا عندي عيال.

استفزت جملته أعصاب "قاسم" الذي اقترب منه كالأسد الجريح يُمسكه من تلايبه يهزه بعنف وصوتٍ ظهر به الألم أثناء صراخه به:

_وأمي كان عندها عيال وأخذتوها مني، وأبويا مات بحسرتة، وأخويا خطفوته وقولونا إنه مات، وأنا اتربيت في الشارع يتيم، قولي أرحمك ليه!!

هز "ياسر" رأسه بتيهة وهو يُجيبه:

أنا.. أنا مليش دعوة.

عاد "قاسم" لبروده مُجددًا قبل أن يستغل ضعفه وقلة حيلته قائلاً:

وأنا كمان مليش دعوة.

قال جملته مُمسكًا بعنقه مُثبَّتًا إياها ثم شقها بجمود دون أن يرف له جفن، لتتناثر الدماء من حوله ويسقط الآخر صريعًا دون روح، فقط جُثة هامة لا حياة بها.

نظر القناص لجثته بإشمزاز، قبل أن يبصق عليه وكأنه حيوان سام لا قيمة له، وبعدها رمى بجانبه الكارت المنقوش عليه وشم القناص، لتُصبح تلك القضية الثالثة التي يقوم بها القناص بقتل أحد العاملين بمشفى الأرماني، وما زالت هويته مجهولة للمعظم حتى الآن.

مرَّ أسبوع كامل لم يحدث به أي جديد، سوى أن "قاسم" يأتي للمنزل لتبديل ثيابه ثم يطمئن على والدته قبل أن يتجه للمشفى مرة أخرى، وحالة "يمنى" تتحسن تدريجيًا التي بدأت باستعادة صحتها لكن تنام معظم الوقت تقريبًا، جلست "أهَّلة" على المقعد بإنهاك تستند برأسها على ذراعها الذي اسندته على كتفها ركبتيها، تشعر بالتيهة والقلق على شقيقتها رغم طمأنة "قاسم" لها على صحتها والذي أخبرها أنها من الممكن أن تستيقظ بأي وقت.

جلس "قاسم" جانبها والذي انتهى لتوه من العمليات التي وُضعت على عاتقه وأنهاها ببراعة دون وجود خسائر، مد يده لها بحقيبة قائلًا بهدوء:

خُدي كُلِي.

اعتدلت في جلستها قبل أن ترتسم ابتسامة صغيرة على
محياتها وهي تقول:

ماما معملتش كدا معايا والله.

ابتسم بخفة على حديثها ثم أعاد الشطيرة له مرة أخرى
وبدأ في إبعاد الورق الذي يُغطيها عنها حتى تأكلها سريعًا،
وبعدها أعطاها لها وهو يقول مُمازحًا:

متعوديش على الدلع بس عشان أنا خلقي ضيق.

انتشلت الشطيرة من بين يده تُجيبه بضحك:

بصراحة أنا بتعود وممكن أبقى حمل ثقيل عليك.

نظر لها مُبتسمًا وهو يقول بود:

ارمي حمولك عليا وأنا مش هشتكي يا ستي.

ورغم أن حديثه كان ودودًا بعض الشيء؛ إلا أنها أجابته
بخفوت وهي تأخذ أو قضة من شطيرتها:

الله يسترك دنيا وأخرة والله.

هزَّ رأسه بياس منها وضحكة صغيرة مُتشكلة على ثغره،
بينما هي مازالت تأكل بنهم، تشعر بأن شهيتها مفتوحة
اليوم ولا تعلم السبب، كل ما تعلمه بأنها سعيدة لسببًا
مجهولًا، بينما هو كان يُراقبها باهتمام، يشعر بها ولا يعلم
لمأذا، يبدو بأنها عانت مثلما كان في طفولته عند خسارته
لكل شيء، وحتى الآن لا يعلم سبب عنائها، إذاً ليكون حنونًا
عليها لتعويضها عن جزءٍ من طفولتها المُشردة.

وجدها قد أنهت طعامها، لذلك أخرج من الحقيبة التي جواره
عُلبة من العصير فأعطاها لها غامزًا إياها بمزاح:

__ عصير فراولة باللبن من اللي قلبك يحبه.

اتسعت ابتسامتها حتى باتت تحتل مُعظم وجهها، ثم انتشلتها
منه بسعادة قائلة:

__ الله شكرًا أوي بجد.

رد عليها "قاسم" بهدوء قائلًا:

__ مفيش شكر بينا احنا أخوات.

وللحقيقة هي لم تهتم بذلك، ولا هو بالأساس، استمعا
لصوت شجار قادم من آخر الطرقة فوجودهم كالعادة "رائد

وملك"، قلب "قاسم" عيناه بملل من أفعالهم وبدأ الغضب ينتشر في أوردته بسببهم، فهما طيلة الأسبوع لم يفعلوا شيئاً سوى الشجار، وكأنهم مولودون فوق رؤوس بعضهم البعض، جز "قاسم" على أسنانه بغيظ ثم استدار لـ "أهلة" سائلاً إياها باهتمام:

__ عايزة أختك في حاجة؟!!

ابتلعت ما في جوفها ثم أجابته بلامبالاة:
__ تو، اتعامل.

طقطع "قاسم" رقبته ثم شمّر عن ساعديه مُتجهاً إليهما بشر.

بينما على الجانب الآخر، رفعت "ملك" يدها أمام وجه "رائد" الذي يُطالعها بغضب مُتحدثة بسخط:

__ بقولك إيه أنت ملكش دعوة بيا تاني، فاهم ولا لا!!!

أجابه هو بغضب مُماثل وهو يُشبح بيده أمام وجهها وكأنه يُريد الهجوم عليها:

__ لَأَمْشِ فَاهُمْ، وَبَعْدِينَ مِينَ "جَابِرٌ" الَّتِي أَنْتِ بِتَكْلَمِيهِ دَا؟!!
وَبَعْدَهُ بِشَوِيَّةٍ رَنَّ عَلَيْكَ وَاحِدَ اسْمِهِ "حَسِينٌ"، وَبَعْدَهَا
"أَنْسٌ"، إِيَّاهُ عَامِلَالِي جَمْعِيَّةٍ حَضْرَتِكَ!!! وَلَا مَفْكَرَةَ نَفْسِكَ
قَاعِدَةً فِي الشُّؤُونِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ؟!

فَتَحْتِ "مَلِكٌ" عَيْنَاهَا بَعْدَ تَصَدِيقِ عِنْدَمَا تَفْوَهُ بِكُلِّ تِلْكَ
التَّفَاصِيلِ الَّتِي حَدَثَتْ، هَلْ يُرَاقِبُهَا؟!! سَوَالٌ تَرَدَّدَ صَدَاهُ دَاخِلَ
عَقْلِهَا وَلَمْ تَجِدْ لَهُ إِجَابَةً، لِذَلِكَ أَجَابَتْهُ بِحِدَّةٍ:

__ وَأَنْتِ مَالِكٌ أَنْتِ أَكْلَمُ مِينَ وَمَكْلَمَشُ مِينَ، كُنْتِ وَلِيَّ أَمْرِي
وَلَا جُوزَ خَالَتِي!! بِقَوْلِكَ إِيَّاهُ أَبْعَدُ عَنِ خَلْقَتِي خَلِي يَوْمَكَ
يَعْدِي.

اِغْتَاظَ مِنْ بَرُودِهَا فِي الْإِجَابَةِ وَصَرَاحِهَا عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ،
لِذَلِكَ أَمْسَكَ بِخَصْلَةٍ كَانَتْ تَهْبِطُ عَلَى وَجْهِهَا جَاذِبًا إِيَّاهَا بِقُوَّةِ
الْأَمْتِهَا وَهُوَ يُحْذِرُهَا:

__ لَأَمْشِ هَبْعِدُ وَهَتَدَخَلُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ تَخْصُكَ مِنْ هُنَا وَجَايِ،
هَتَقُولِيلِي لِيهِ! هَقُولُكَ مَلِكِيْشُ فِيهِ.

تَأَوَّهَتْ بِقُوَّةٍ عِنْدَمَا جَذَبَ خَصْلَاتِهَا، فَأَرْدَفَتْ وَهِيَ تُشِيرُ
لذَاتِهَا بِخَفْوَتٍ شَدِيدٍ:

__ أَنْتِ شَدَدْتِنِي مِنْ شَعْرِي صَح؟!

هز رأسه بالإيجاب مُعانداً إياها ولا يعلم ما الذي حدث بعد ذلك، كل الذي شعر به هو إمساكها بخصلات شعره تجذبه منها بقوة، فلم يكن لديه سوى الإمساك بخصلاتها هي الأخرى، ليُصبح المشهد كالتالي:

"ملك" مُمسكة بخصلات "رائد" مُنزلة رأسه للأسفل حتى تتحكم به، و"رائد" مُمسكاً إياها من خصلاتها الطويلة وبثيابها من الجانب يتأوه من عُنْفها في جذبه، لذلك صرخ سائباً إياها:

يا بقرة يا غبية شعري.

ولول بالأخيرة كالنساء، لتقول "ملك" بعناد وألم هي الأخرى:

سيب شعري الأول.

هز رأسه نافياً وهو يصرخ بها:

سيبي أنتِ الأول يا بنت الغدارة أنتِ ملكيش أمان.

نفث برأسها وهي تصرخ بألم عندما اشتدت يده حول
خصلاتها:

_ لا والله ما أنا سايبة غير ما تسيب، متخلنيش أتغابي عليك
بقي على المساء.

قاطع شجارهم شعورهم بيدِ تُمسِكِ بكليهما من ياقة ملابسهم
لثبدهم عن بعضهما البعض، ابتعدا بأجسادهم لكن أيديهم
مازالت مُستقرة على خصلات الآخر، ليسمعا بعدها إلى
صوت "قاسم" الهامس بفحيح:

_ هعد تلاتة، قسماً باللي خلقتي وخلقك أنت وهي لو لقيت
حد فيكم قدامي؛ هحلق ليكم زلبطة والراجل فيكم اللي يتكلم.

نظرا لبعضهما بفرع بخصلات مُشعثة ووجه يرتسم عليه
الفرع من "قاسم"، ليتركهما بعدها وبالفعل بدأ في العد
بجمود خطير:

_ واحد...

لم يكد أن يقول اثنان حتى وجدهما يُهرولا من أمامه بسرعة
كبيرة ليتجنباً غضبه، نظر "قاسم" لأثرهما بتشفي ونظرات
مُستهزأة قبل أن يعود لمكانه بجانب "أهلة" التي كانت

حارة القناص

تُراقب الوضع بهدوء شديد أثناء ارتشافها للعصير المُفضل إليها.

عاد للجلوس بجانبها مُجددًا فنظر إليها مُتسائلًا بحنان:
شبعتي ولا أجيبك تاكلي تاني؟!

ردت عليه مُبتسمة قائلة بامتنان:
_لأ الحمد لله شِبت.

_بالهنا والشفا.

قالها بهدوء قبل أن يقوم بإرجاع رأسه للخلف مُستندًا على الحائط بإنهاك، لقد قضى اليوم في عمليات كثيرة قام بفعلها، بالإضافة لمروره على عُرف المرضى للإطمئنان عليهم، ومنذ السادسة صباحًا وهو يعمل، وها قد أصبحت الساعة السادسة مساءً، لقد قضى 12 ساعة يعمل دون أن يرتاح قليلًا وذلك ليُريح المرضى.

انتبهت "أهلة" لحالته فسألته بقلق:

أنت كويس!!

همهم بهدوء دون أن يعتدل أو ينظر لها لكنها لم تقتنع، بل
سألته مُجددًا باهتمام:

_أومال مالك!! أنت تعبان!!

هز رأسه بالنفي مُجيبًا إياها بخفوت:

_لأ بس مُرهق شوية.

_طيب ارتاح.

أجابها بهدوء:

_أنا مرتاح كدا متشغليش بالك.

أومات له بدون إقتناع خوفًا عليه، يظهر عليه الإنهاك لكن يبدو أنه يُعاند، جلست صامتة بجانبه لا تتحدث، تُفكر في حالة والدتها الغريبة والتي يجلبها "قاسم" بنفسه، ويقوم بإعادتها مرة أخرى وكأنه يخشى عليها من شيء لكنها تجهل ما هو، لن تُعير للأمر إهتمامًا طالما الجميع بخير وعلى ما يُرام، والأكثر هو اطمئنانها على "يمنى" واستقرار حالتها.

لم يغيب عنها حالة "يحيى" الأسبوع الماضي، كان الحزن والتعب يظهر على محياه ولم يتركها ولو للحظة واحدة، حتى إنه لم يعود لمنزله، بل يُفضل المبيت بالمسجد المُجاور للمشفى، وعند حلول الصباح يعود مُجددًا قبل أن يعود لشركة "الأرمني" لتنفيذ أوامر "مختار الأرمني" ويقوم بنقلها لـ "قاسم" الذي ينقلها للعميد "مُغازي" ليضع خطة مُحبِكة للقضاء عليه وعلى عائلته وكل من يعمل معه.

انتفضت من مكانها عندما شعرت برأس "قاسم" تميل على كتفها، طالعتة بدهشة فوجدته قد ذهب في ثباتٍ عميق، يبدو أن الإنهاك قد أتعبه، ابتلعت ريقها بحرج من أن يراها أي شخص في حالتهما تلك، أغضت عينيها بثبات وشعرت برأسه كادت أن تقع من على كتفها فأسندتها مُسرعة قبل أن يستيقظ.

شعرت بالشفقة تجاهه خاصةً وأنه لم يشعر بمن حوله من التعب، ورغم ذلك ظل يعتني بها هي وشقيقتها طوال النهار دون تعب أو ملل، بل ويطمئن على والدتها أيضًا ويُهاتفها من الحين للآخر، ابتسمت بخفة عندما تذكرت مُشاجراتهم الحمقاء كل يوم بسبب عنادها هي وتصميمه هو، وبالنهاية الفوز يكون من نصيبه بالطبع، ورغم هذا فهو حنونًا لدرجة

حارة القناص

لم تتوقعها، طالما بعيدًا عن شخصية القناص التي تجعلها
تشعر كما لو أنها تقف أمام رجلًا آخر.

يُقال أن أسمى درجات الحب هو الطمأنينة، إن شعرت بها
فأعلم أنك بالمكان الصحيح.

ارتدت "حبيبة" ثيابها والتي اختارها "صهيب" بعناية
مُنتبهًا بالأ تكشف جزءًا واحدًا من جسدها، دخل عليها
"صهيب" الغرفة مُتأففًا وهو يقول بصوت حانق:

_ أنا مش فاهم ما إيه يعني عمي جه من السفر!! ما يولع
ولا يروح في داهية هو ولاده احنا ناقصين!!

قالها "صهيب" بحنق بالغ عندما هاتفه "مختار" اليوم
ليأتي ويستقبل عمه الذي أتى منذ خمسة أيام وهو لم يُكلف
نفسه للذهاب، ولو عليه لقام بتجميعهم في مكان واحد
وحرقتهم أحياء ليُطفيء تلك النيران التي تشتعل بصدوره.

استدارت له "حبيبة" بعد أن أحكمت غلق سترتها وترتيب
خصلاتها بعناية، ثم أردفت برقة:

حارة القناص

_مش مشكلة بقي يا "صهيب"، هنروح نسلم عليهم ونقعد
شوية ونمشي على طول.

بضعة كلمات قليلة منها جعلت وجهه يتحول من العبوس
إلى الهيام، ليقترب منها بشدة حتى بات أمامها مباشرةً، ثم
أحاط بخصرها مُقرباً إياها منه:

_والله ما حد مصبرني على العيلة الـ**** دي غير يا
بسكوتة.

شهقت "حبيبة" بعدم تصديق من سبته، ثم عاتبته بعبوث:
_عيب يا "صهيب" مينفعلش تقول كدا، دول مهما كان
قرايينا.

احتضنها "صهيب" دافئاً وجهه بعنقها بهيام، ثم هتف
بصوت مليء بالمشاعر أنهكه العشق:
_أنا لو عليا مش عايز أخرج من هنا وأنتِ تفضلي في
حضني.

عضت "حبيبة" على شففتيها بخجل واحمر وجهها حرجاً
من فعلته، لذلك حاولت إبعاده وهي تقول بتلعثم ظهر
واضحاً:

هـ.. هنتأخر يا "صهيب".

خرج "صهيب" من أحضانه غامزًا لها بمشاكسة وهو يحني له ذراعه يحثها على وضع يدها بينه:

يلا يا عيون "صهيب".

قالها ثم خرجا من المنزل مُتجهين إلى قصر الجحيم، حيث توجد تلك العائلة المليئة بالأفاعي والعقارب السامة، لقد ذهبوا إلى مصيرهم!.

مرّ وقتٍ قليلٍ قبل أن تخرج الممرضة من غرفة "يمنى" مسرعة للخارج، فوجدت "قاسم" نائمًا على كتف "أهّلة"، وهي شاردة تستند بخدها على خصلاته، ذهبت إليهم سريعًا قبل أن تُوجه حديثها لـ "أهّلة" بلهفة:

لو سمحتِ يا مدام صحي دكتور "قاسم" ضروري.

قطبت "أهّلة" جبينها بتعجب ثم سألتها أثناء إسنادها لرأس "قاسم" المائلة على كتفها:

_ليه!!

أجابتها الممرضة بسرعة:

_المريضة اللي هو مُشرف على حالتها فاقت.

«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

اشروق حسن | 

مازالت الحرب مُستمرة والأعداء كثيرون، لكن! نبضة قلب
غيرت الخطة كُلِّياً، فأصبح الفؤاد هو المُتحكم الوحيد بدلاً
من العقل.

خبايا وأسرارًا كثيرة ستُكشف لكن لن تمنع انتقام القناص،
لذلك أقول دائماً:

_ "فاحذري يا عزيزي؛ فالهلاكِ قادم على يدِ القناص.

ثُمَّ تُبْتَلَى وَتُبْتَلَى حَتَّى تَطَّأَ قَدَمَاكَ الْجَنَّةَ..
فَتُغَمَّسُ، فِيهَا غَمْسَةٌ وَتَقُولُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ شَقَاءًا قَطُّ!
[وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا].

«الفصل التاسع عشر»

«حارة القناص»

هدية لطيفة |

"بات طيفك يلاحقتني في كل مكان، بات الليل بعينك
كالنجمتان.

لطالما كانت فكرة الفراق مُفرعة، جرب يوماً أن تتعلق
بشخصٍ حتى يُصبح هو روحك، وبعدها يتركك فجأةً دون
مُبررات، حينها ستشعر بأنك عارٍ في صحراءٍ جرداءٍ يضرب
بجسدك الهواء البارد دون هواده، لن تجد ذاتك مُجدداً، لقد
سُرقت.

هبط "صهيب" من السيارة وكذلك زوجته أمام قصر "عائلة الأرماني"، يُشبهه الحلوى المُغلّفة بغطاء لامع من الخارج، ومن الداخل بشع المذاق والرونق، أمسك "صهيب" بيد "حبيبة" بحماية، ثم نظر لها مُسددًا لها نظرة مُطمئنة يُخبرها بها بأنه سيظل جوارها، بادلته النظرات بأخرى متوترة لكنه احتواها بنظراته المُشجعة التي تُشعرها دائمًا بأنها في أمانٍ بوجوده.

دلفوا إلى الداخل يسـيرون بخُطى رتيبة وهادئة، وأثناء سيرهم همس لها "صهيب" بخفوت:

مش عايزك تتوتري ولا تخافي، أنا هبقى معاك وعيني عليك طول الوقت، مش عايزك تحتك بـ "أنس" بأي شكل من الأشكال، بنات عمك "صفوت" ابعدني عنهم نهائي أنت عارفة إن هما بيغيروا منك ونيتهم مش كويسة ليك، لما تحتاجي حاجة قوليلي أنا وهعملهاك على طول.

كان يُلمي عليها أوامره وكأنها طفلة في السادسة من عمرها وتحتاج للرعاية والاهتمام، وهي بالفعل كانت كذلك، كانت تهز رأسها بالإيجاب توافقه على ما يقوله ولم تعترض على كلمة واحدة، فهي بالأساس لا تحب تلك العائلة ولا ترتاح لأفعالهم.

وصلوا إلى الردهة فوجدوا الجميع جالسًا على الأرائك
يتشاورون في بعض المواضيع الهامة، رأى "مختار" ابنه
"صهيب"؛ فهب من مكانه ذاهبًا إليه ليحتضنه أثناء قوله:
_نورت بيتك يا حبيبي.

اغضب "صهيب" ابتسامة صفراء على ثغره وهو يُجيبه
بود زائف:
_الله يخليك يا بابا.

جاء الدور على "نادر" فتبادلوا السلام والأحضان حتى
توقف على "صفوت"، والذي يُعتبر ذيل الأفعى:
_منور مصر يا عمي والله.

احتضنه "صفوت" والذي تشدق بعتاب قوي:
_واضح يا بن أخويا واضح، بأمارة إني بقالي خمس أيام
جاي من السفر وأنت مكلفتش نفسك تيجي وتزورني مرة
واحدة.

طالعه "صهيب" ببرود لا يهتم لكل حديثه ولو للحظة واحدة، ثم تفوه بجمود يُغلفه الوقاحة وهو يجذب "حبيبة" لتلتصق به أكثر:

_ معلش يا عمي بقي، أصل مش هسيب شغلي وبيتي ومراتي عشان آجي أسلم عليك.

تغضن جبين "صفوت" بانزعاج من برودته ووقاحته في الحديث، وقبل أن يصرخ به؛ تدخل "مختار" مُسرعاً قائلاً وهو يُوجه حديثه لـ"صهيب" بصرامة:

_ عيب يا "صهيب" تكلم عمك بالطريقة دي، وأنت يا "صفوت" اقعد خلاص محصلش حاجة.

جلس "صفوت" مكانه مُجدداً وهو يُحدق الجميع بنظرات حاقدة كارهة، خاصةً "صهيب ومختار" والذين يمتلكون مُعظم أسهم الشركات التي يُديرونها، وبالتالي فالمكسب الأكبر يعود إليهم.

اتخذ الجميع مكاناً مُناسباً لهم، وبالتأكيد جلست "حبيبة" جانب "صهيب" والذي كان يُمسك بيدها بقوة مُقرباً إياها منه حتى كاد أن يُلصقها به، انتبه الجميع لصوت أنثوي

حارة القناص

ساخر يأتي من جانب "صفوت"، والتي لم تكن سوى ابنته اللعوب وهي تقول بنبرة أقرب للتهكم:

_مالك يا "حبيبة" لازقة فيه كدا ليه يا حبيبتى!! أنتِ ما صدقتي بقى جوزك ولا إيه!!

في البداية انتبهت "حبيبة" لحديثها، لكن مع إكمالها لحديثها بتلك الطريقة المُهينة؛ تشكّلت الدموع بعيناها وأخفضت رأسها تُخفي وجهها ولم يُجيبها، بينما جز "صهيب" على أسنانه بحقد وود لو يذهب إلى تلك الحقيرة وتلقينها درسًا لن تنساه، ورغم ذلك أجابها ببرود وهو يُحيط بكُتف "حبيبة" أمام الجميع دون خجل:

_قصّدك أنا اللي ما صدقت إني أتجوزها يا "ريما".

طالعه "ريما" بدون فهم، لتجده يُوضح لها أثناء جذبه لـ"حبيبة" له أكثر:

_أنا اللي اتحايلت عليها إن هي توافق بيا وتتجوزني، والحمد لله إنها وافقت وربنا كرمني بيها، عقبالك أنتِ بقى لما تلاقي واحد يشبهك ويرضى بيك.

اشتعل الغضب بعيني "ريما" من كلماته المُهينة لها، لذلك انتفضت تعتدل في مكانها وهي تسأله بحدة:

_قصدك إيه يا "صهيب"!!?

طالعتها "صهيب" بانتشاء وهو يلاحظ تعابير وجهها
المنفصلة الموجهة تجاهه، لذلك أجابها بكل ذرّة برود في
جسده:

_قصدي ربنا يرزقك بابن الحلال يا بنت عمي أصلك طوّلتني
في قعدتك معانا.

أجابته بتعمد ظناً منها بأنها تهينه:

_وأنت شاغل نفسك بيا ليه؟! وأنا قاعدة فوق دماغك!?

رد عليها "صهيب" باستفزاز:

_تو.. قاعدة فوق دماغ أبوك.

تلك المرة استنزف "صهيب" كل الصبر الموجود داخل
"صفوت"، والذي ازداد من وقاحته كما يقول، هبّ من
مكانه فجأة ثم صاح به بصوت عالٍ أحمر على أثره وجهه
من شدة الغضب:

_أنت قليل الأدب ومتربتش، بناتي خط أحمر يا ابن "مختار"
يا إما هقتلك.

وقف "صهيب" هو الآخر من مضجعه كما فعل الجميع
عندما اشتدت المنافسة، ثم رفع حاجبيه بعدم تصديق قائلاً
بصدمة مُصطنعة ليجلب "مختار" إلى صفه:

_ أنت بتقول هتقلتنى أنا يا عمي!! كل دا عشان بتكلم أنا
وبنت عمي وشدينا مع بعض سوا!! مكنش العشم.. مكنش
العشم والله يا عمي.

ويالفعل نجحت خِطة "صهيب" في استمالة "مختار" له
عندما صاح الآخر بأخيه يهدر به بقوة:

_ أنت بتهدد ابني بالقتل يا "صفوت"!!؟!! وصلت بيك الحقارة
للدرجادي!!

أشار "صفوت" تجاه "صهيب" الذي يُتابعهم بابتسامة
شامته حاول مُداراتها بقدر الإمكان، ثم صاح بحدة:

_ وأنت مش شايف قلة أدب ابنك وطريقة كلامه مع ابني!!!
واضح إنك نسيت تربي يا "مختار".

تدخل معه "نادر" الذي صاح بهم بضيق:

ـ خلاص اهدى يا "مختار"، وأنت يا "صفوت" أقعد وبلاش الكلام اللي يحرق الدم اللي أنت بتقوله دا، الولاد وبيتكلموا مع بعضهم وشدوا سوا، محصلش حاجة يعني.

ارتدى "صفوت" على المقعد مرة أخرى رامياً الجميع بنظرات حاقدة، وكذلك جلس الجميع من بعده وأوجههم مُتغضّة بضيق، عدا "صهيب" الذي يُحيط بكتف "حبيبة" الخائفة مما يحدث حولها، ووضع قدمًا فوق الأخرى بعنجهية وكأن كل ما حدث منذ قليل لم يُؤثر به إطلاقًا.

طالعتهم "ريما" بنظرات مغلولة خاصةً "حبيبة" الذي حدث بسببها هذا الشجار ـ كما تعتقد هي ـ ، ومن داخلها توعدت بالتفريق بينهم ورؤية الكسرة تتشكل على وجوههم.

حلّ الصمت لعدة دقائق وكان الجميع على رؤوسهم الطير، وبالطبع لم يُبالي "صهيب" بكل هذا، شاغله الوحيد هي تلك الحزينة التي تجلس جانبه، رفع كفها مُقبلًا إياه على بغتة وبالفعل نجح في إخبالها، مال على أذنها هامسًا لها بمشاكسة:

ـ بقى فيه بسكوتة بالحلاوة دي تكشر كدا؟! والله أقوم أكسر وش فردة الجذمة اللي زعلتك لو دا يرضيك.

ضحكت بخفة لم تكد أن تتحدث، حتى وجدت "أنس" وابنة عمها الأخرى "ريماس" يذفون للداخل، في البداية ألقى "أنس" التحية على الجميع، لكن توقفت أنظاره على "حبيبة" ليذهب لها بلهفة قائلاً:

__إيه دا "حبيبة"؟! عاملة إيه وحشاني؟!

قال الأخيرة بحنان شديد مادداً يده لها في نية لمصافحتها، وبدلاً من أن تضع يدها؛ وضع "صهيب" يده هو يُبادلته التحية أثناء قوله الحاقداً:

__ما أوحش الله لك قبراً يا عين أمك، و"حبيبة" مراتي مبتسلمش لا على رجالة ولا... ستات.

قال جملة الأخيرة بخبث وصل معناه لـ"أنس" الذي أشعل فتيل غضبه عندما ضغط على يده ليوصل له رسالته المُبهمة، سحب كفه من بين يده بعنف ثم اتجه إلى أحد الأرائك ليجلس عليها، ولم يكن سوى بجانب "ريما"، بينما اتجهت "ريماس" إلى "حبيبة" تحتضنها بود وهي تقول مُبتسمة:

__عاملة إيه يا "حبيبة"؟!

طالعتها "حبيبة" بابتسامة متوترة ثم أجابتها بخفوت قائلة:
_ الحمد لله يا "ريماس" أنا كويسة.

انتقلت "ريماس" بعيناها لـ "صهيب" تسأله بخفوت:
_ وأنت عامل إيه يا "صهيب"؟!

حدجها "صهيب" بهدوء قبل أن يجيبها بود مُشابه لها:
_ الحمد لله يا "ريماس"، حمدالله على السلامة.

_ الله يسلمك.

قالتها بخفوت قبل أن تتجه صوب والدتها التي كانت تُطالعها
باستنكار، فالبرغم من أن "ريماس" هي توأم "ريما"؛ إلا
أنها حنونة وودودة عكسهم تمامًا، لذلك دائمًا ما تُثير حنقهم
بأفعالها الحمقاء تلك.

عاد الهدوء يعم على الجميع مرة أخرى، وبعدها تبادلوا
الأحاديث المعتادة، حتى هبت "ريماس" من مقعدها مُتجهة
صوب "حبيبة" بحماس قائلة:

_تعالى يا "حبىبة" معاىا عاىزة أورىك حاجة اشترىتها من لندن.

نظرت "حبىبة" لـ"صهىب" وكأنها طفلة تنتظر إذن والدتها للذهاب مع صدىقاتها للهو قلىلاً، فربت "صهىب" على ظهرها بحنان قائلاً لها بابتسامة صغيرة:
_لو عاىزة تروحي معاها روىى يا حبىبىتى.

خجلت "حبىبة" من تغزله بها بهذه الطريقة أمام الجمىع، وبالفعل ذهبت مُسرعة مع ابنة عمها للإختباء من نظراتهم التى كادت أن تحرقها حىة، كان "صهىب" يتابع أثرها بابتسامة جانبىة؛ حتى تنغض جبىنه وهو يستمع لصوت "أنس" الكرىهة وهو يسأله:

_عامل إىه فى شغلك يا "صهىب"؟! سمعت إنك متقدم فىك شكاوى كثر من ناس كبرىة أوىى.

استند "صهىب" بظهره على الأرىكة قبل أن يُجىبه باستفزاز:

_الكبرى كبرى على نفسه يا "أنس"، لكن لحد عندى واستوب، أنا عندى استعداد أدوس أى حد وأنسفه بس مش أنا اللى أعمل كدا لأ، عارف لىه!! عشان أنا قلبى طىب.

طالعه الجميع باستنكار عدا "مُختار" الذي كان ينظر إليه
بفخر، اعتدل "صهيب" في جلسته ثم وجّه حديثه لـ "أنس"
المُشتعل طارقًا على الحديد وهو ساخن كما يُقال:
المهم سيبك مني وقولي أنت..

ترك حديثه مُعلقًا ليجذب انتباه الجميع أكثر، وبالفعل نجح
في ذلك، ليستطرد حديثه وهو يتسائل ببراعة مُزيفة:
_سمعت إن شركة من الشركات اللي أنت مُشرف على
بنايتها وقعت واتهموك إن مواد البناء كانت مغشوشة،
الكلام دا صحيح!!_

فتح "أنس" عيناه على آخرهما مُندهشًا من معرفته بالأمر
الذي حاول جاهدًا تخبئته على والده، ليأتي ذلك اللعين
ويُدمر كل مُخططاته ويُنهىها بثوانٍ، ابتلع "أنس" ريقه
بتوتر ولم يقدر على الحديث أو التبرير، خاصةً عندما وجد
نظرات والده مُوجهة إليه وهو يسأله بصدمة:

الـ.. إيه الكلام اللي بيقله ابن عمك دا يا "أنس"!!

حمم "أنس" بحدة مُحاولًا إيجاد أي تبرير لهذا الحديث
الذي وضعه في مازق، ليتشقق بثبات طفيف ظهر مُتوترًا:

حارة القناص

لأيا بابا دي مشكلة بسيطة وأنا قربت أهلها متقلقش،
أصل.. أصل فيه واحد صاحبي بيغير مني وهو اللي لبسني
الثهمة دي وأنا أثبت برائتي.

ادعى "صهيب" الأسف قائلاً بمسكنة وكيد:

طيب خلى بالك من نفسك بعد كدا بقى يا "أنس" أصل
الناس بقت وحشة أوي ومش سايبة حد في حاله.

جز "أنس" على أسنانه بحقد مُبتسمًا بإصفرار:

متقلقش يا "صهيب"، متقلقش يا حبيبي شايلك لوقت
عُوزة.

مش هكون فاضي للأسف.

أجابه "صهيب" بتلك الجملة بنبرة باردة مما جعل الأجواء
تشتعل أكثر، والحد يزداد في قلب كُلاً من "أنس وريما
وكذلك صفوت ومعه زوجته" تجاهه، يبدو أنهم لا ينتوون
له خيرًا إطلاقًا، ونظراتهم أوحى بالكثير والكثير عما يكنوه
داخلهم.

أحس "صهيب" بالإنشاء يتخلله عندما أشعل النيران
بصدورهم ونجح في ذلك، لمح بطرف عينه هاتفه الذي
أضاء برسالة نصية فحمله ينظر إليه بجمود، قبل أن يضعه
في جيب بنطاله ثم هب واقفاً قائلاً ببرود:

_طيب هستاذن أنا بقى عشان عندي مشوار كدا.

قُطب "مختار" جبينه يتسائل:

_شغل إيه دا يا "صهيب" دلوقتي.

_عندي مأمورية يا بابا ولازم أمشي دلوقتي عشان ألحق
أوصل "حبيبة" وأجهز.

أوماً له "مختار" بصمت مُبتسماً له بهدوء، ثم عاد للحديث
الخافت مع أخيه "نادر" مرة أخرى، خرج "صهيب" من
الغرفة ثم اتجه نحو الخارج حتى وقف أسفل السلم منادياً
بصوت عالي نسبياً حتى تسمعه:

_يلا يا "حبيبة" عشان نمشي.

انتظر لثوانٍ معدودة، حتى أتت له "حبيبة" مُهرولة تهبط
الدرج سريعاً بابتسامة أثناء حملها لحقيبة مجهولة، وما
كادت أن تصل إليه؛ حتى تعرفت في نهاية الدرج، انتشلها

حارة القناص

"صهيب" سريعاً قبل أن تصل إلى الأرض قائلاً بمشاكسة
حتى لا يقوم بإحراجها:

_ اسم الله عليك يا بسكوتة براحة مش كدا.

وبدلاً من أن تشعر بالخجل من تهورها؛ شعرت بالخرج من
مُغازلته لها، رفعت يدها بالحقيبة الحمراء التي تُمسكها ثم
أردفت بسعادة طفولية:

_ بَص "ريماس" جابتلي إيه من لندن؟!

نظر للحقيبة التي تُمسكها ثم عاد بنظره لها مرة أخرى،
ليسأله بحنان وهو يُمسد على خصلاتها بحب:

_ يعني أنتِ كنتِ بتجري عشان توريني الحاجات دي؟!

هزت رأسها بحماس وابتسامة واسعة تتشكل على وجهها،
وهو لم يتحمل لطافتها تلك، لذلك انحنى على وجهها يُقبله
بحنوٍ بالغٍ قائلاً:

_ يلا نمشي وهنتفرج على الحاجات كلها لما نروح.

حارة القناص

إحمر وجهها خجلًا كما شعرت أنها كادت أن تنصهر، لذلك
أومأت له بالإيجاب دون التحدث، ظهرت "ريماس" من
خلفها قائلة بضحك وهي تهبط الدرج:

_ إيه يا بنتي السريعة دي!! ما تستنى شوية يا "صهيب"
ملحقتش أقعد معاها.

طالعتها "صهيب" بأسف قبل أن يجيبها بود:

_ معلىش خليها مرة تانية يا "ريماس" عشان ورايا شغل
ضروري.

_ خلاص ولا يهملك، توصلوا بالسلامة.

_ الله يسلمك، يلا باي.

قالها وهو يسحب يد "حبيبة" خلفه، والتي طالعت
"ريماس" بامتنان قبل أن ب معه دون حديث، مُنطلقًا نحو
وجهته غير طريق منزله.

اغتم الفرصة لتظل جانب ألباؤك؁ فلا تعلم متى يحين موعد الفراق؁ حينها ستدرف دماءً بدل الدموع على ندمك.

كانت مغمضة لعيناها وهي تحتضن جسد شقيقتها لها؁ تُعانقها بقوة كما لو تود أن تُدخلها داخل أضلعها للحفاظ عليها؁ شعرت بروحها تعود إليها مرة أخرى عندما استمعت إلى كلمات الطيبة التي أخبرتها باسـيقاظها؁ وها هي الآن تجلس بكامل عافيتها بعد غيبوبة دامت لأسبوع تقريبًا؁ قبّلت "أهّلة" جانب وجه "يمنى" وهي تُتمتم بالحمد وكأنها لا تُصدق أنها تعافت حتى الآن؁ ابتسم "يمنى" بحنين وهي تستشعر خوف شقيقتها عليها وكأنها نامت لأعوام عدة وليسـت فقط لأيام؁ مسدت على ظهرها بحنان ثم صعد صوتها مُتـحـشـرجًا بحنين:

_وحشتيني يا "هولا".

شدت "أهّلة" من ضمها وهي تُردد:

_وأنتِ كمان وحشتيني أوي.

خرجت "يمنى" من أحضان "أهّلة" وعلى وجهها يرتسم الإعياء واضحا للغاية؁ أسندتها "أهّلة" على ظهرها بسرعة

ثم استدارت لـ "قاسم" الذي يُتابعهم بهدوء دون التحدث
لترك مساحة لهم:

__ هي مالها!! باين عليها تعبانة أوي.

أخرج "قاسم" يده من معطفه الطبي ثم اتجه لـ "يمنى"
المتسطة بتعب، أمسك بالكشاف الصغير ثم وجهه إلى
عينها، وبعدها قام بقياس الضغط لها، وأخيرًا قام بقياس
ضربات قلبها، أمسك بالدفتر الخاص بالملاحظات ثم كتب به
لعدة ثوانٍ، ثم مد يده به للممرضة التي تجاوره قائلاً بصوت
جاد عملي للغاية:

__ هاتي الأدوية والتحليل دي وتعالى تاني.

أخذت منه الممرضة الدفتر ثم أومأت له بإحترام وبعدها
ذهبت لجلب ما أمرها به، لانك نظراته وهو يطالع نظرات
"أهلة" المرتعبة ثم تفوه بحنان ممزوجًا بالمزاح:

__ متقلقيش، هي بس ضغطها واطي شوية وبتتدلع علينا.

فتحت "يمنى" عينها قليلًا تُطالعه بطرف عينها وهي تقول
بتحذير:

__ أنا سمعاك على فكرة.

لوى "قاسم" شفّتيه بسخرية قبل أن يقول بتهكم:

__هخاف حاضر، وبعدين اسكتِ بقي عشان أنا مش طايقك
أساسًا.

جعدت "يمنى" جبينها وهي تُحدّجه باستنكار:

__ودا ليه إن شاء الله!!

__أهو كيفي كدا.

كتمت "أهّلة" ضحكاتها بصعوبة عندما لاحظت وجه
"يمنى" المُتهجم والتي يُبادلها "قاسم" بها بنظرات مُستفزة
تُزيد من حنقها، دخلت في تلك "ملك" ومعها "رائد"
وخلفهم "چون وفور وهكذا لوسيندا"، رأتها "ملك" مُستندة
على الوسادة وبكامل صحتها فانفجرت في البكاء.

هرولت إليها "ملك" بخطوات سريعة ثم عانقتها ببكاء
وصوت شهقاتها يعلو بالمكان، طالعها الجميع بتأثر خاصةً
وأن صوت بكائها يعلو شيئًا فشيئًا، و"يمنى" تُحاول بقدر
الإمكان أن تُطمئنّها لكنها لا تهدأ أبدًا، تعجبت "يمنى" من
بكاؤها الحاد فأبعدتها قليلًا قبل أن تتسائل بقلق:

_بس بس إيه العياط دا كله!! مَالِك يا "ملك" أنتِ مش
بتعيطي عشاني صح؟!_

هزت "ملك" رأسها بالنفي قبل أن تُجيبها بشهقات عالية:
أنا و"خالد" فركشنا.

تشنج وجه الجميع يُطالعونها بإستتكار، بينما توقفت يد
"يمنى" عن تهدئتها وكأنها أُصيبت بالشلل، وفي هذا
الصمت صعد صوت "رائد" الصارخ وهو يقول:

_نعم ياختي!!! ومين "خالد" دا كمان!!! وعهد الله
أطربق المُستشفى دي فوق دماغك لو ما نطقتي._

رفع "قاسم" يده أمام وجهه يأمره بالصمت، ثم أردف
بجمود مُخيف وهو يتجه ناحيتها مُمسكًا إياها من ياقة
ملابسها بعنف:

سيب الطلعة دي عليا أنا.

قالها ثم استدار تجاه "ملك" التي توقفت عن البكاء بجزع
عندما رأت ملامح وجهه المُخيفة، ابتلعت ريقها برعب وما
كادت أن تتحدث؛ حتى وجدته يسألها بفحيح:

_مين "خالد" دا؟! وتعرفيه من إمتى؟! وتكلميه ليه
أصلاً!!

نظرت "ملك" لـ "أهّلة" بإستتجاد علّها تُنقذها من براثن
"قاسم" الحادة، لكنّها وجدت نظرات الشّماتة تحوم داخل
عينها وكأنّها سعيدة بما يحدث، علمت في تلك اللحظة أنّها
قد وُضعت في مأزق وعليها الخروج منه في أقرب وقت،
ثبتت نظراتها على "قاسم" الذي يُطالعها بجمود، قبل أن
تبتسم ببلاهة وهي تُجيبه:

_دا... دا... دا البوي فريند بتاعي.

سألها "قاسم" مرة أخرى بخفوت خطير وكأنه لم يسمعها:
_قولتي مين!!

ارتعشت أوصال "ملك" من نبرة "قاسم" الأخيرة، فقالت
وهي تدعي البكاء:

_الخاين كان بيكلم بنات عليا يا أبيه تخيل!!

هز "قاسم" رأسه نفيًا مُجيبًا إياها بقسوة:

_لأ أنا مش هتخيل، أنا هخليك أنت تتخيلي هعمل فيك إيه.

ابتسمت باهتزاز وهي تسأله:

أكيد بتهزر صح يا أبيه.

هاتي تليفونك.

قالها ببرود، وفي المقابل ضمت هي الهاتف لصدرها تحميه
منه:

لأ.. لأ كله إلا تليفوني.. دا عليه مستقبلي كله.

هزها بين يديه صارخًا بها بحدة:

بقولك هاتي تليفونك.

مطت شفيتها للأمام وهي تكاد تبكي حسرةً، ثم مدت يدها
باهتزاز له لتعطيه الهاتف، وهو انتشله منها بحدة مُسدداً
لها نظرة نارية تكاد أن تحرقها، وبعدها أعطى الهاتف
لـ"أهله" ليحافظ على خصوصية الأخرى أمرًا إياها
بصرامة:

_خُدي التليفون وامسحي كل أرقام الشباب اللي على
الموبايل._

حارة القناص

أخذت "أهلة" الهاتف منه بابتسامة مُتسعة، لتصرخ "ملك"
بها وهي تحاول منعها:

_لأ، كله إلا تلفونني لأ.

هلل "رائد" بسعادة وهو يرقص مكانه:

_ظهر الحق.. ظهر الحق.

ترك "قاسم" تلك المُتَحسرة مكانها ثم اتجه إليه أمرًا إياه
وهو يمد يده له ببرود، لم يفقه "رائد" ما يريد، لذلك وبكل
بلاهة مد يده ليُصافحه ثم احتضنه قائلاً:

_وأنت كمان واحشني والله.

_تليفونك.

نطق بها "قاسم" ببرود، ليفتح "رائد" عيناه بصدمة
شاهقًا:

_إيه!!!

_تليفونك.

نطق بها "قاسم" ببطئ ليهز "رائد" رأسه بالنفي قائلاً
برفض:

_ على جثتي.

الحياة تُعطينا إشارات للعيش في سلام، وأنت المُغفل الذي
تظن أنها مجرد حظوظ، مُعاندتك الفطرية تُنتج الكوارث،
وتعود يا عزيزي لتبكي كالأحمق.

تجهزت "سهيلة" على أجمل وجه للذهاب إلى جامعته وقد
ارتدت أجمل الثياب وأفضلها، فـ "أمجد" قد وعداها عندما
حدثته ليلة أمس بأنه سيأخذها ليربها شقتهم المُستقبلية،
وهي بكل سعادة وحمق قد صدقته، بل ورقص قلبها طرباً
وسعادة أيضاً، وضعت مُلمع الشفافة ونظرت لذاتها برضا
وبثقة شديدة.

اتجهت للخارج فلم تجد والديها، فوالدها قد استلم عملاً
جديداً منذ أسبوع ولا يعود إلا ليلاً ليطمئن عليهم ثم يأكل
وينام للإستيقاظ مُبكراً، اتجهت نحو بهو الجامعة بعد ساعة
كاملة ضيعتها في مواصلاتها اللعينة، ووقفت في المكان
المُتفق عليه لكنها لم تجد أيّاً منهم، أخرجت هاتفها من
حقيبتها ثم قامت بالإتصال على رقم صديقتها "ساندي"
وانتظرت قليلاً حتى أتاها الرد:

_ألو يا "ساندي" انتوا فين؟!!

جاءها صوت "ساندي" مُجيبة إياها بتأفف:

_احنا جايين أهو يا "سهيلة" بس المواصلات زحمة أوي النهاردة.

أومات سهيلة بصمت ثم ودعتها بإيجاز ووقفت تنتظرهم بالخارج بتملل، كانت شاردة الذهن في حياتها، فلقد تغير مائة وثمانون درجة فعليًا وهي حتى لم تلحظ هذا، وكان الشيطان قد أعمى بصيرتها وجعلها غافلة عن كل هذا، انتفضت عندما وجدت سيارة تسير بسرعة عالية ومتوجهة تجاه فتاة ما حتى كادت أن تدهسها، لكنها توقفت في اللحظة الأخيرة وللأسف أصيبت قدمها.

هرولت إليها مُسرعة لمُساندتها حيث كانت هي الأقرب لها، استندت الفتاة على ذراعها بألم وهُنا استمعت إلى تأوها المُنخفض، لربما هي تبكي!! لكنها لم تلحظ دموعها بسبب ذلك النقاب الذي يُغطي وجهها، اسندتها "سهيلة" بكل قوتها ثم تسألت بخوف:

_أنتِ كويسة!!

أومأت لها الفتاة بنعم لكن مازال صوت تأوها يعلو، خاصةً عندما حاولت الوقوف والإستناد على قدمها، هبط السائق من السيارة وظل يعتذر كثيرًا طالبًا مسامحتها، وبالفعل وافقت الفتاة قائلة بإبتسامة خفيفة لم تظهر بسبب نقابها وعيناها بعيدة عنه:

_ولا يهم حضرتك حصل خير.

شكرها بإمتنان حقيقي واقترح عليها أن يذهب بها للمشفى لكنها رفضت بإحترام مُبررة بأنه مجرد إلتواء بسيط في قدمها، اسندتها "سهيلة" حتى وصلت بها إلى أحد الجوانب فقالت بغلظة:

_ليه مبلغتيش عنه دا بني آدم قليل الذوق وكان هيموتك.

يبدو بأنها لم تكن ثيابها فقط هي التي تغيرت؛ بل أخلاقها أيضًا!! ابتسمت الفتاة برقة وهي تقول:

_طالما في إيدي إني مأديش غيري هعمل كدا، وبعدين هو قال إن مراته في المستشفى عشان كدا كان سايق بسرعة يعني معاه عذره.

مطت "سهيلة" شفيتها بعدم إقتناع، فاستمعت لصوت الفتاة تُحمم بجرج:

حارة القناص

ممكن بعد إندك لو مش هعطك توصليني لمسجد
الجامعة؟!!!

نظرت "سهيلة" في ساعة يدها وبعدها رفعت أنظارها لها
مبتسمة بود:

عيوني حاضر.

شكرتها بامتنان، فأسندتها وسارت معها لعدة دقائق قليلة
حتى وصلت إلى باب المسجد، وهنا صدح صوت المؤذن
يؤذن عاليًا تكبيرًا وتعظيمًا لله، أوقفتها "سهيلة" أمام
المسجد ثم سألتها مبتسمة:

همشي أنا بقى عايزة حاجة؟!!

مش هتدخلي تصلي؟! العصر أدن.

سألتها الفتاة بهدوء عجيب، ليرتجس جسدها "سهيلة" تلقائيًا
وهي تقول:

ل.. لأ.. هصلي في البيت.

حارة القناص

كان تبريرًا لذاتها الملوثة قبل أن تُبرر للتي اتسعت
ابتسامتها وظهر هذا واضحًا على ضيق عينها، مدت الفتاة
يدها لها ثمسك بكفها بخفة، وبعدها عاتبها برقة قائلة:

_وهتردي نداء ربنا ليك!!

_إيه!!

_الأذان دا علشان ربنا يجمع بيه عباده ليه، هتردي نداء
ربنا ليك وأنت واقفة قدام بيته!!

كلماتها تُشبه كلمات جدها العزيز الراحل، وتلقائيًا تجمعت
الدموع بعيناها وهي تستشعر قساوة كلماتها التي هبطت
فوق أذناها كسوطٍ قاسٍ هبط فوق جسدها بقوة:
_مش.. مش عايزة دلوقتي.

قالتها وهي تهرب من كلماتها التي عرتها أمام ذاتها،
لتستمع إلى ما جعلها تتصنم مكانها كالجماد:

_وأنت ضامنة تعيشي لبعدين!! مش يمكن بعد الشر يحصلك
زي ما كان يحصلي من شوية!!

هبطت دموعها وحدها وكأنها قد تلقت صفة شديدة أعادتها لوعيتها، شعرت بالبرودة تسري بأوصالها رغم ما ترتديه من معطف ثقيل، شعرت بيد ناعمة ثربت على كتفها؛ لتستدير ببطئ وتجد تلك الفتاة تمد يدها لها برقة:

أنا أختك عائشة، يلا نصلي.

هزت "سهيلة" رأسها بالرفض أثناء ابتلاعها لريقها بصعوبة شديدة، ثم أردفت بخوف لا تعلم مصدره:

مش.. مش عايزة دلوقتي.. مش جاهزة.. لأ مش هقدر.

تفوهت بحديثها وهي تُغمض عيناها بقوة تُحاول السيطرة على إنفعالاتها التي لا تجد لها أي مُبرر، وكيف تجد مُبرراً وهي قبل أن تأتي استمعت لفيلاً كاملاً مُحطماً لكل معاني الحياء والدين والأخلاق!!، مُخالفًا لكل أخلاقها وتعاليمها الإسلامية!! هي من وضعت نفسها في ذلك الطريق المليء بالأشواك، وها هي تجد صعوبة بالغة في العودة لصوابها مُجددًا، كيف لها أن تقف بين يدي خالقها وهي من فعلت ذنبًا من الكبائر قبل أن تأتي مباشرة!! كيف لها بالتوبة بتلك الثياب التي ترتديها أسفل معطفها الطويل والتي كانت تنتوي أن تخلعه بمجرد وجودها مع شاب غريب عنها!! هي في القاع، بل أسفل من ذلك إن أردتم الحقيقة.

أمسكت "عائشة" بيدها عنوة وهي تسحبها خلفها قائلة
بتصميم:

_تعالى معايا صدقيني مش هتندمي، أنا عارفة أنت بتفكري
في إيه، احنا بشر كلنا بنغلط مش ملايكة، تعالى صلي
وارمي همومك لربنا وهو مش هيردك ولا هيرد دعائك أبدًا.

هبطت دموع "سهيلة" بأسى ثم أجابتها بحزن بالغ:
_بس.. بس هدومي.

قاطعتها "عائشة" قائلة:

_فيه لبس للمحجبات جوا في المسجد الأبله "مريم" جايباه
لينا إحتياطي.

طالعتها "سهيلة" بتردد كبير، لتتشدق "عائشة" بعتاب
زائف وهي تستند عليها:

_إخس عليكِ سيباني واقفة كدا وأنا رجلي بتوجعني!!،
مكنش العشم ولا حتى عملتي حساب للعيش والملح اللي ما
بيننا.

ابتسمت "سهيلة" باهتزاز من بين دموعها، ثم أسندتها
وقررت الدخول معها للداخل، وليحدث ما يحدث وليحترق
العالم كما يُريد، ستسير خلف قلبها وعقلها اللذان اتفقا
ولأول مرة على شيء، وستترك أمرها للمولى، ولتنتظر
النتيجة.

جلس "رائد" بحسرة على الأريكة الموجودة بالغرفة
القابعون بها بعدما قام "قاسم" بمسح كل أرقام الهواتف
الخاصة بالفتيات، وعلى طرف الأريكة الآخر جلست "ملك"
التي كادت أن تبكي من شدة الحزن لخسارتها لرجالها، هي
بالأصل حزينة لأنها أنهت علاقتها مع المدعو "خالد"،
ليأتي "قاسم" ويزيد عليها حزنها!.

_ يا رفاق أنا جائع.

هتف "فور" بتلك الكلمات بضجر شديد وهو يتحسس معدته
التي تصدر أصواتًا كثيرة دلالة على حاجتها للطعام، طالعه
"چون" بضجر ثم ردد قائلاً:

_ ألم تأكل منذ قليل يا بُني؟! رفقًا بمعدتك يا أخي أتوسل
إليك.

حارة القناص

دفعه "فور" بعيدًا أثناء قوله المُغْتَاط:

_ لا تتدخل أيها الأحمق ولا شأن لك بي، لقد أهملتني منذ أن تزوجت بتلك الفتاة وتركتني أنا أعاني ويلات الوحدة.

فتح "چون" عيناه بعدم تصديق قائلاً بدهشة:

_ أتغار من "لوسيندا"؟! حقًا يا رجل!!

مط "فور" شفتيه بضيق متشدقًا بخفوت:

_ ولم أگار!! بالنهاية تلك هي حياتك والأخرى زوجتك، لا شأن لي بأي شيء يخصك.

ترك "چون" يد "لوسيندا" برفق مُعتذرًا منها بعينه، قبل أن يستدير لشقيقه الذي يظهر عليه الضيق واضحًا:

_ يا فتى هي زوجتي وأنت شقيقي التوأم، ليس لدي أعلى منكما.

صرخ به "فور" وكأنه يُداري حزنه بصوته العالي:

_ أنا أكبر منك بثلاث دقائق يا وقح، إلزم حدودك.

حارة القناص

ابتسمت "جون" ابتسامة صغيرة، ثم اقترب منه مُحْتَضِنًا
إياه بحب:

_حسناً لا تغضب، أنت أخي الأكبر والأقرب إليّ وإلى قلبي.

_وزوجتك!!

سأله "فور" بريية طفل صغير، ليُقهقه هو عاليًا وهو يُشدّد
من احتضانه:

_زوجتي هي زوجتي، لكن ستظل أنت قبل أي شيء لا
تقلق.

_حسناً أنا جائع.

قالها "فور" وهو يحاول السيطرة على مشاعر الغيرة التي
ظهرت واضحة للجميع، ابتعد عنه "جون" والذي أرفض
بحنان:

_سأهبط للأسفل وأجلب لك ما تريد، المهم ألا تحزن يا
عزيزي.

_أنا لستُ حزين من الأساس، مَنْ قال لك هذا؟!!

حارة القناص

ضحك "چون" بخفة قائلاً له بمُسايرة:

_حسناً أنا أعلم، فلتأتي معي "لوسيندا".

طالعه "فور" بضجر، ليُبرر له "چون" بصوت خافت:

_لا تُحزنها يا "فور" لأجلي، هي وحدها هنا ولا تلعم شيء،
اعتبرها شقيقتك لا زوجتي.

أوماً له "فور" بالإيجاب وهو يبتسم بخفة:

_حسناً، هيا اذهب واجلب لي الطعام فأنا لم آكل منذ ساعة
وهذا عقاب قاسٍ على معدتي.

غمز له "چون" بمشاكسة قبل أن يقول له مُمازحاً إياه:

_سمعاً وطاعة أخى الكبير.

قالها بضحك ثم أمسك بيد "لوسيندا" وخرج من الغرفة،
بينما الجميع كان يُتابع حديث الإثنان باستنكار شديد، ليصعد
صوت "ملك" التي أردفت بريية:

_الاتنين دول مش مضبوطين.

حارة القناص

أيدها "رائد" الذي تحدث بنفس الريبة:
_ معاك حق، أصل مفيش اتنين أخوات بيحبوا بعض كدا.

أكدت "ملك" على حديثه والتي تشدقت بجدية:
_ مفيش أخوات بتحب بعض أصلاً.

كاد "رائد" أن يجيبها مرة أخرى؛ لكنه انتبه على تحدثه
إليها دون قصد، وبوقاحة أبعدها بكف يده وهو يردف
بإشمزاز:

_ يا ساتر يا رب!! ابعدى خلقتك عني جتك بلوة.
أبعدت "ملك" يدها بعنف ضاربة إياه على ذراعه بقوة
صارخة به:

_ ابعدي إيدك عني يا بغل أنت، يخربيت العته.

إلتف إليها "رائد" وكاد أن يوبخها؛ لكنهم صمتوا عندما
استمعوا لصوت "قاسم" المحذر بجمود مخيف:
_ الراجل فيكم اللي يتكلم كلمة كمان.

ابتلع كليهما الحديث ولم يتفوها بحرفاً واحداً، ليستدير
"قاسم" لـ "يمنى" مُتسائلاً بهدوء:

حارة القناص

_ها؟! إيه اللي حصل معاك بقي.

أجابته "يمنى" بخفوت وإنهاك:

_مش.. مش فاكرة.. مش فاكرة أي حاجة.

في تلك اللحظة دلف "يحيى" مُهرولاً بدموع مُتجربة في عيناه، والذي ما إن رآها بكامل عافيتها حتى صاح داعياً عليها:

_روحي يا شيخة منك لله، لازم تخضيني عليك كدا وأنت أصلاً صحتك زي الشامبانزي!! أدعي عليك بإيه وأنت فيك كل العبر يا بعيدة!!

تشنج وجه "يمنى" باستنكار قبل أن تقول ساخطة على حديثه:

_هي دي حمدالله على السلامة اللي أنت جاي تقولهالي!!!

أشاح بيده أمام وجهه قائلاً:

_يا شيخة اتلهي بقي دا أنت صحتك أحسن مني.

حارة القناص

فتحت "يمنى" كِلتا عيناها بصدمة من حديثه الوقح، لتستمع بعدها إلى صوت "قاسم" الساخط:

_ سيبك من المُتخلف دا وقوليلي يعني إيه مش فاكرة حاجة!!

ولثاني مرة يُقاطع "يحيى" حديثه الذي فهمه بطريقة خاطئة وظن بأنها فقدت ذاكرتها، ليتشدد بعدم تصديق:

_ هي مش فاكرة حاجة؟!!!

ظن "قاسم" بأنه يتحدث عن الحادثة فأوماً له بالإيجاب، لتتشكل ابتسامة بلهاء على ثغر "يحيى" وهو يفتح ذراعيه لها مُقترَبًا منها في نية لإحتضانها:

_ أختي.. حبيبتي.. قلب أخوك.. تعالي في حضني يا غالية يا بنت الغاليين.

انكمشت "يمنى" على ذاتها، بينما أوقفه "قاسم" في اللحظة الأخير وهو يجذبه بعيدًا عنها:

_ رايح فين أنت يا أهطل يابن الهاطلين!!

طالعه "يحيى" بضجر أثناء مُحاولته للفرار منه قائلاً بحنق:

_ سيبنى يا عم أحضنها.

نهره "قاسم" مُعنفًا إياه:

_ تحضن مين يا متخلف أنت؟! أنت بتكذب الكدبة وتصدقها!!

تدخل "فور" في الحديث قائلاً بحماس:

_ اتركه يحتضنها "قاسم" ولنرى ما سيحدث.

_ اسكت يا بني الله يخربيتك بوظت أخلاق العيال.

تأفف "يحيى" بضيق من عدم تركه يفعل ما يحلو له، لكنه صُدم عندما أكمل "قاسم" حديثه قائلاً:

_ هي مش فاكرة حاجة عن الحادثة، مش فاكرة الذاكرة يا أهطل.

حوّل "يحيى" نظراته لـ "يمنى" مُسرّعًا وهو يسألها بعدم تصديق:

_ الكلام اللي بيقوله دا حقيقي يا بت يا "يمنى"!!?

تشنج وجه "يمنى" بغيظ، ورغم ذلك أجابته ساخرة:

_ آه ياخويا صح، على الله تتلم بقى، مش عارفة إيه قلة
الأدب اللي حلت عليكم فجأة دي!!

ترك "قاسم" "يحى" المصدوم بطريقة مُضحكة، ثم عاد
بنظره لـ "يمنى" والتي ما إن رأت أن نظراته مصوبة عليها
وكاد أن يفتح فمه ليسألها مرة أخرى؛ حتى ادعت التعب
والشعور بالدوار، طالعها "قاسم" بشك قبل أن يردف بهدوء
زائف:

_ يلا نخرج ونسيبها ترتاح لبكرة عشان منضغطش عليها
أكثر من كدا.

أوما له الجميع بهدوء، وقبل أن يتحركوا للخارج اتجهن كُلاً
من "أهلة وملك" إلى شقيقتهم "يمنى" يُضمونها بحنان
شديد، وكذلك هي بادلتهن العماق بلطف أشد، مسحت
"أهلة" على وجهها قبل أن تقول لها بحنان:

_ ارتاحي ونامي وأنا شوية وهاجي ليك تاني.

أومات لها "يمنى" بحب، قبل أن تُعيد رأسها للخلف تحاول
الذهاب في نوم عميق.

حارة القناص

خرج الجميع من الغرفة، وكالعادة بدأ "رائد وملك" في الشجار بالأطفال، تجاهلهم "قاسم" بتأفف ذاهباً نحو "فور" الممتعض على غير عادته، ليسأله بتعجب:

__مالك يا "فور"؟! متضايق ليه بقالك كام يوم؟!

أجابه "فور" بضيق بعد أن توقف الطفلان الكبيران عن الشجار والإستماع إلى حديثه:

__أشعر بأني حياتي لا قيمة لها، مُخرَبة من جميع الجهات بسبب هؤلاء البشر.

وضع "قاسم" يده على كتفه وهو يقول بدهاء:

__متخليش حد يلعب بحياتك ويوظها، بوظها أنت بس يبقى بمزاجك.

استمع لتصفيق حاد قادم من جانبه، ليجد أنه "رائد" يُحييه:
__وعهد الله أنت برنس ومنك نتعلم.

لم يُعيره "قاسم" انتباه واستدار مُكملاً حديثه لـ "فور":

حارة القناص

_ معنى كلامي إن أنت متسيبش فرصة لحد يتدخل في حياتك
ويبوظها، اعمل اللي أنت عايزه وبوظ حياتك زي ما أنت
عايز بس تفضل رايق.

هز "فور" رأسه بالإيجاب ثم أردف مُمازحًا إياه:
_ يا رجل وكأنك حكيم حقًا!!

عدّل "قاسم" من ياقته الوهمية قائلاً بغرور:
_ وهو أنا اي حد؟! دا أنا "قاسم طاحون".

هُوَاة المصائب، عاشقين للدماء، يعيشون النزاعات،
ويتجرعون الشجار كالإدمان، إنهم هم "المقاتلين
الأبرياء"؟!

_ يا رجل لقد حاولت تشتيتي لقضاء عملي، إنك أناني حقًا!!

هتف بها "إيغور" لشقيقه "ستيقن" الذي يُراقب الجُثث
بإبتسامة مُنتشية وكأنه فاز بأحد الجوائز الذهبية، رفع

حارة القناص

"ستيئن" أنظاره لـ "إيغور" الذي يُحدجه بضيق، ثم أردف ببرائة:

_ الأسرع هو الفائز يا أخي، وأنا قد فُزت.

جذب "إيغور" خصلاته بسخط قبل أن يُوجه حديثه لـ "آندريه" الذي يُركز على شاشة هاتفه بدقة:

_ وأنت يا فتى... تمرينك اليوم لم يُعجبني إطلاقًا، أنت فقط قتلت ثلاثة أشخاص!! حقًا!!.

رفع "آندريه" رأسه عن الهاتف بصعوبة ليُجيبه قائلاً بسخط:

_ أنا بالأمس قتلت عشرة، لا تكن ناكراً للجميل هكذا.

قفز بينهم "ليونيد" والذي تشدق بحماس شديد وهو يصرخ:

_ يا رفاق! انظروا لتلك العجوز الراقصة، إنها جميلة حقًا.

دفعه "ستيئن" من بينهم مُستنكرًا لحديثه:

_حَقًّا!!! وهل تركت جميع نساء العالم لتأتي وتُشاهد عجوز
لم يتبقى لها الكثير لتموت وهي ترقص!! اللعنة على أخلاقك
التي انحدرت يا مُغفل.

قطب "ليونيد" جبينه بانزعاج ثم قال مُبررًا:
_يا أخي أنت لا تفهم، للعجائز سحر خاص يجذبك تجاههم
صدقني.

_لأ أريد أن أُصدق مُغفلًا مثلًا، كفوا عن تلك التفاهات وهيا
لنخرج ونُدمر المبنى.

قالها "ستيفن" ببرود ثم سار للخارج، وسار خلفه أشقائه
المُتحمسين لتلك الخطوة الأكثر إمتاعًا، ابتعدوا مسافة لا
بأس بها قبل أن يضغط "آندريه" على زر مُحدد، أدى بعدها
إلى إنفجار المخزن بأكمله، راقبوا النيران التي انعكست
لهيبها داخل أعينهم بانتشاء، وكانت تلك هي الخطوة الثانية
المُدمرة لـ "عائلة الأرماني"، وقريبًا سيصلون إلى تلك
الخائنة التي تُدعى والدتهم.

وعلى الجانب الآخر؛ استمع "ألبرت" إلى صوت الإنفجار
عبر الهاتف المُتصل بهاتف "إيغور"، والذي هاتفه خصيصًا

حارة القناص

حتى لا تفوت عليه تلك المُتعة، ارتسمت ابتسامة سامة على
ثغره، قبل أن يهمس بغموض:
لقد اقتربت النهاية.

خرج "قاسم" مع "أهلة" لخارج المشفى بعد أن طلب منها
الذهاب معه ليُريها شيئاً خاصاً بها، وبرغم تعجبها ذهبت
معه دون الحديث، وصلوا إلى الكورنيش المُطل على النيل
بمظهر آثر وجميل للغاية، ثم جلسا على المقاعد الموجودة
بالمكان ويتوسطها طاولة صغيرة بعض الشيء.

ورغم الراحة النفسية التي بثها المكان داخل قلبها، إلا أنها
تسائلت بتعجب:

جايبني هنا ليه؟!

ابتسم "قاسم" نصف ابتسامة قبل أن يقول ببعض التردد:
_بصي أنا متعودتش على الرومانسية والكلام دا بس أنا
جايبك هدية أول ما شوفتها افكرتك على طول.

لا تعلم لِمَ ابتسمت، لكنها وجدت ذاتها تسأله بحماس:
بجد!!! طب وريهالي.

أخرج "قاسم" أربع عُلب مُغلّفة كُلٍ منهم يحمل شكلاً مُختلفاً، فأمسك بالعلبة الأولى وقام بفتحها، والتي كانت تحتوي على حُلي رقيقة للغاية مُزينة بهلال صغير يتوسطها، وكم كان جذاباً بطريقة مُلفتة للانتباه.

شهقت بخفة وهي ترى جمالها ورقتها، طالعتها بعدم تصديق وهي تمد يدها لتأخذها منه، وبعدها تحدثت بسعادة بالغة:

_يا ربي على الجمال!!! شكلها تُحفة أوي أوي بجد!!

ابتسم سعيداً لسعادتها، ثم أمسك بالعلبة الثانية والتي كانت تصغر الأخرى بالحجم، وبعدها قام بفتحها؛ ليظهر داخلها خاتمان أسودان اللون، واحدٌ منهم منقوش عليه هلال باللون الفضي، والآخر منقوش عليه نجمة بنفس اللون الذي نُقش به الهلال، طالعتهم "أهلة" بصدمة من جمالهم، فرفعت أنظارها لـ "قاسم" الذي كان يُطالعها بحنوٍ بالغ وهو يسألها:

_عجبوكِ؟!!

هزت رأسها بالإيجاب ولا تعلم بما تشكره أو بما حتى تُجيبه، ليُخرج هو خاتماً منهم والذي نُقش به شكل الهلال

حارة القناص

ثم أمسك بكف يدها يُدخله بها، وبعدها أكمل حديثه أثناء نظره إليها:

__ أنتِ هتلبسي اللي عليه الهلال، وأنا هلبس اللي عليه النجمة.

كانت تود توضيحًا منه على قوله، وبالفعل بدأ بالشرح قائلاً بشجن:

__ قولتك قبل كدا إن أنا وأنتِ عاملين زي الشمس والقمر، وإن احنا بنكمل بعض، لما شوفت الخاتمين دول حسيت إن علاقتهم زي علاقتنا بالظبط، بيكملوا بعض، علشان كدا جبتهم، ورغم إني مش بحب ألبس الخواتم؛ إلا إني هلبسه علشان خاطرِك.

__ "قاسم" .. "قاسم" أنا مش عارفة أقولك إيه بجد!!

قالتها بتلعثم وشعور السعادة والفرحة يغمرها، نادرًا ما تشعر بفرحة كتلك، منذ زمن بعيد لم تتحمس لتلك الدرجة، واليوم شعرت بهذا، بسببه هو!

أجابها مُبتسمًا بهدوء وهو يُمسك بالعلبة الثالثة ليفتحها:

__ مش عايزك تقولي حاجة، أنا عايزك تفرحي بس.

فتح العلبة الثالثة ليظهر أنا ما بداخلها لم يكن سوى
إسوارتان، واحدة مُعلق بها هلال، والأخرى نجمة! أخرجهما
"قاسم" ثم رفعهما أمام وجهها قائلاً بابتسامة سعيدة:

__ ودول نفس النظام، بس المرة دي هاخذ أنا الهلال وأنتِ
هتاخدي النجمة عشان نكمل بعض، ورغم إني برضه مش
بحب ألبس الحاجات دي إلا إني هلبسها عشان خاطر
عيونك.

ارتدى "قاسم" خاصته، ثم أمسك بكفها وألبسها خاصتها
وكم كانوا رائعين بحق، خرج صوت "أهْلَّة" هامساً بشكر:
__ والله دا كتير أوي عليا.

أجابها "قاسم" مُعاتباً إياها بخفة:

__ مفيش حاجة كتير عليك، أنتِ تستاهلي كل حاجة حلوة في
الدنيا ومش بجمال، جبت الهدايا كلها على شكل هلال تقديساً
لإسمك.. "أهْلَّة" واللي مفردها هلال.

وأخيراً جاء عند العلبة الرابعة وقام بفتحها والتي كانت
أكبرهم طولاً، فتحها ليظهر من خلفها سلسال من الفضة
على ثلاث طبقات ومُعلق بها هلال كبير من الفضة أيضاً
لكنه كان قابضاً للأنفاس، وقف هو أولاً ثم أوقفها هي

الأخرى وذهب بها بعيدًا قليلًا، حتى وقف أمام سُور النيل الحديدي، رفع السلسال أمام وجهها وهو يسألها بابتسامة جذابة:

__ إيه رأيك؟!

وضعت "أهّلة" يدها على وجهها بخجل شديد، لقد بعثر بها مشاعرها التي جاهدت لدفنها من قبل، وهو بحديثه العفوي واللطيف، خرج صوتها خافتًا قائلةً بمزاح:

__ الحمد لله إني مش بعيط وإلا كنت بهدلت الدنيا دلوقتي.

أدارها ثم أحاط برقبتها وبعدها بدأ بالباسها السلسال بكل هدوء، انتهى وابتعد عنها قليلًا، لكن قبل أن تبتعد هي قرّبها منه مُمسكًا إياها من ذراعيها وهو يقول بلُطف:

__ مش دايماً هعرف أداويك، لكن هفضل معاكٍ لحد ما تتعافي.

إتمعت عيني "أهّلة" بشيء من الإمتنان والشكر، لا تعلم كيف تُعبر له عن سعادتها الشديدة، فهذا تقريبًا أسعد يوم لها على الإطلاق منذ عدة سنوات، لقد عانت وهو جاء كدواءٍ لها، يُرمم شروخها ويُعيد بناء هيئتها من جديد.

حارة القناص

لم تجد من الكلمات ما تكفيه لشُكره، بل اكتفت بالإبتسام
وتسديد النظرات الممتنة له، وهو كان أكثر من مُرحب بها،
رفعت يديها أمام وجهه تسأله بإبتسامة سعيدة:

_إيه رأيك حلوين!!

اقترب منها بغتةً هامساً لها بعد أن غمزها بمشاكسة:
_كفاءة.

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

اشروق حسن | 

دقات قلب جديدة بدأت تتداخل دون حُسبان، مشاعرهم
تتجرف خلف تيار مجهول يصعب مُقاومته، وهُنا أقول لكم
بكل الحب "إنها فقط البداية".

من آثار الذنوب على العبد: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه
لأمر إلا يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه.

-صلوا على رسول الأمة!- ♥

«الفصل الواحد والعشرون»

«حارة القناص»

ازواج|

وكأنها بكلماتها سكبت الوقود على النار لتشتعل، وكأن
النيران تلبست عيناه والغضب سيطر على جسده، وبلحظة
واحدة كان يقف أمامها يُحيط برقبته بكفه العريض ضاغطاً
عليه بقوة، و"ألبرت" فقط يُراقب بإستمتاع، تلون وجه
"صوفيا" بالحمرة الشديدة، وكادت عينها أن تخرجا من
محجرهما من شدة ضغطه على عروقه النابضة، اقترب
"قاسم" من أذنها هامساً لها بفحيح جاعلاً إياها تستشعر
خطورة ذلك المائل أمامها:

_قولتي مين!!

فتحت "صوفيا" فمها تحاول إتقاط أنفاسها التي يحتبسها بين قبضتيه، لكن محاولتها بائت بالفشل، حتى شعرت بأن روحها كادت أن تُزهق، لم يُعيرها "قاسم" أي إهتمام؛ بل شدد من ضغطه عليها وهو يستطرد حديثه قائلاً:

قسماً برب محمد عينك لو جت بالصدفة على أخويا لهتشوفي عذاب عمرك ما شوفتيه في حياتك، ومش هقتلك لأ، هقطعك حتت يا "صوفيا" ومش هتلاقي اللي يلمك.

رضخت له "صوفيا" توميء له بهستيريا شديدة، لكن غضبه لم يقل، وكأنها بجُملة واحدة منها استطاعت إخراج الوحش الذي بداخله، لا يُشفق على مَنْ يمس أخيه بنظرةٍ واحدة لا تعجبه، بإمكانه قتلها الآن وقتل جميع أفراد عائلتها إن أراد هو ذلك، لكن دورهم لم يحن حتى الآن.

شعر "قاسم" بيدٍ تجذبه بقوة، وصوت "ألبرت" يصدح قائلاً ببرود:

ليس الآن "قاسم"، فلننتهي مما نريد وبعدها سأتركها لك لتقتلها أنت.

حارة القناص

انتبه "قاسم" لوجه "صوفيا" الذي تحول للزُرقة، فدفعها عنه بعيدًا بإشمنزاز وكأنها حشرة قدرة لا قيمة لها، رفع إبهامه لها يحذرها بقسوة قائلاً:

_ ما بلاش تتحديني أنا، صدقيني أنا لدغتي والقبر وهحول حياتك لجحيم.

تنفسدت "صوفيا" الصعداء بعدما تركها، لكن هذا الدوار الشديد الذي داهمها فجأة جعل المكان يدور بها بقوة شديدة فمالت على جسدها فاقدة للوعي.

كان الإثنان يُراقبانها ببرود صقيعي، حتى استدار "ألبرت" لـ "قاسم" يسأله بهدوء وكأنها كائن مُشرد:

_ هل ماتت؟!

نفى "قاسم" برأسه لاويًا شفثيه بإمتعاض:

_ لا، من المؤكد أنها قد فقدت وعيها، اللعنة عليها لييتها تموت.

اقترب "ألبرت" منه قليلاً ضارباً إياه على صدره بربتات خفيفة، ثم أردف بعتاب مصطنع:

يا رجل أنت قاسٍ حقًا، لبيتك طيب القلب مثلي هكذا.

رفع "قاسم" حاجبيه وهو يُطالعه بإستتكار، ثم أردف أثناء خروجهم من هذا المخزن المُتهالك:

يا لك من رقيق القلب عزيزي "ألبرت"؟! أخشى أن تكون تأذى نظرك مما شاهدت.

غمز له "ألبرت" بمشاكسة وهو يقول:

هذا ما حدث بالفعل، والآن دعني أذهب لأبحث عن مُتعتي.

قال الأخيرة بخبث وهو يصعد لسيارته، وكذلك فعل "قاسم" المثل ضاحكًا بسخرية، وبعدها انطلق كلاهما بسيارتهما ولكل منهم وجهة مختلفة عن الآخر، عاد "قاسم" بذاكرته عندما علم بأن "جون وفور" لديهم أخوة، بل وهم يعملون لدى القوات الخاصة ببلدهم، أو بمعنى أصح مُجندين.

**

ارتفع صدى رنين هاتف "فور" الذي كان نائمًا على الأريكة في المنزل بعدما قضى ليلته يستمع إلى أحد الأفلام المرعبة

والتي يُفضلها كثيرًا، في ذلك الوقت خرج "قاسم" من المرحاض بعدما استيقظ مؤديًا حاجته، ثم توضأ ليُصلي فريضته، لكن استوقفه صوت هاتف "فور" الذي ارتفع بإلحاح مرة أخرى، طالع "قاسم" ذلك النائِم بامتعاض، والذي يحتضن الوسادة مُقبلًا إياها من الحين للآخر.

هز "قاسم" رأسه بياس من أفعال صديقه الحمقاء ثم انتشل هاتفه من على الطاولة ينظر به، ليجد رقمًا دوليًا يظهر على شاشته، تعجب في بداية الأمر، لكن تعجبه لم يطول عندما أجاب على المتصل بهدوء:

ألو؟!

جاءه الصوت الصارخ من على الناحية الأخرى، والذي لم يكن سوى "ستيفن" الذي صرخ ظنًا منه بأن المُجيب شقيقه:

أيها الأحمق اللعين، أقسم لك بأن أقطع جسدك أنت والغبي شقيقك عند رؤيتك، تقول لي بأنك في نزهة وأنت بالأساس في مصر!! أظننا مغفلين يا هذا؟!!!

تعجب "قاسم" بشدة من صراخ الطرف الآخر بتلك الطريقة، والذي أثار تعجبه أكثر أن كلاً من "جون وفور" ليس لديهم

حارة القناص

عائلة وينتقمون لوالدهم من عائلة الأرماني، إذا مَن هذا؟!
وكانه نطق ما فكر به سائلًا المتصل عن هويته، ليقطب
"ستيفن" جبينه بتعجب وهو يتسائل:

_ مَن معي!!

أجابه "قاسم" ببرود قائلاً:

_ أنا مَن سألتك أولاً، مَن معي!!

تشنج وجه "ستيفن" باستنكار، وما كاد أن يُجيبه؛ حتى
انتشل "ألبرت" الهاتف من يده مُتحدثًا ببرود شابه الأخير:

_ أعطي هذا الهاتف للمغفل إذا أمكنك هذا.

غضب "قاسم" من نعت ذلك الدخيل لـ "فور" بالمغفل، لذلك
صاح هادرًا به بغضب:

_ أنت أيها الحقير مَن أنت لتسببه؟! أنا فقط من أنعته
بالمغفل.

_ أنا وللأسف الشديد شقيقه، والآن هلاً أعطيته الهاتف إذا
تكرمت!!

نظر "قاسم" للهاتف بغباء، ثم حوّل أنظاره لـ "فور" النائم بغباء أشد، وعاد يُطالع الهاتف مرة أخرى، فكان مظهره في تلك اللحظة مُضحكًا للغاية، انتبه لشروده عندما استمع لصوت حشرجة "ألبرت" تأتيه من الناحية الأخرى، لذلك تحدث بثقة وهو ينفي:

من الممكن بأنك أخطأت الرقم يا سيد، هذا المُستخدم ليس لديه أشقاء.

أنته سخريّة "ألبرت" من الناحية الأخرى وهو يتحدث بلذاعة:

هل قاما هذان الأحمقان بخداك أنت الآخر!!

ابتعد "قاسم" عن "فور" قليلًا حتى تسنح له الفرصة بمعرفة هوية "جون" وفور الحقيقية، وبعد ما يقرب من الساعة الكاملة في الحديث، ومعرفته بأن لـ "جون وفور" خمسة أشقاء غيرهم، لكن بالطبع لم يخبره "ألبرت" بتلك اللحظة بأنهم مُجندين، بل اكتفى بتعريفه عن نفسه وكذلك فعل "قاسم" معه هو الآخر، وبعد تبادل أرقام الهواتف واستمرارهم للحديث لعدة أيام، اتفقوا على أن يأتوا لمصر و"قاسم" سيُجهز لهم كل ما يحتاجونه، لكن عليه تأديب هاذان الأحمقان أولًا، لكن ما كاد أن يُحاسبهم على كذبهم

وتخبئتهم لأمرٍ هامٍ كهذا؛ حتى أتت الفاجعة التي تخص
"يمنى" وانشغل الجميع بالأمر.

وصل "قاسم" إلى الحارة التي يقطن بها، ثم دلف إلى
المنزل صاعدًا لوالدته مباشرةً، فتح الباب بهدوء ثم أغلقه
مُجددًا وأقدامه تأخذه بشوقٍ إلى غرفتها، فتح الباب ببطئٍ
ثم اقترب من الفراش الخاص بها فوجد نائمة وجسدها
مُوصل بعدة أسلاكٍ عديدة، كلما يراها بهذا المظهر يئن قلبه
بألم على حالتها.

جلس على ركبتيه أمام الفراش، ثم أمسك بكف يدها البارد
مُقبلًا يدها بحنانٍ شديد، أغمض عيناه يتنهد بتعب وكان كل
ما يحدث يؤلم قلبه حتى صاح بأنه لا يتحمل أكثر من هذا،
ذلك العبء القابع فوق صدره يجعل منه عجوزًا انحنى
ظهره من هول ما رأى في حياته، ابتسم بحنين عندما جال
بخاطره ذكرى قديمة له وهو وعائلته حينما كان صغيرًا لا
يحمل بقلبه ضغينة، تزامنًا مع هبوط دمعة حارقة على
وجهه وكأنها تنعیه على تلك الأيام التي مضى زمانها.

**

Flash Back:

حارة القناص

كانت "حياة" جالسة على الفراش تستند بظهرها عليه، وعلى صدرها الأيسر يستند "صهيب" ببرائة، ومن الناحية الأخرى ينام "قاسم" هو الآخر، وأبيهم يجلس مُراقبًا إياهم بإبتسامة شغوفة، ورغم فقرهم إلا أن حياتهم كانت هادئة خالية من القلق.

مسدت "حياة" على خصلاتهما بحنان وهي تروي لهم حكاية أقل ما يُقال عنها بأنها خيالية، وبسمة صغيرة ترتسم على شفثيها تزامنًا مع إلتماع عينيها بحب وهي تُطالع زوجها الذي يُبادلها بنفس النظرات:

وبعد ما الأميرة حبت الحارس الفقير جه اتقدملها، لكن أهلها رفضوا وكانوا عايزين يجوزوها واحد غني، هي مكنش همها الفلوس، هي كانت عايزة تعيش مع الحارس الفقير بس.

رفع "صهيب" نظراته لوالدته يسألها ببراعة:

الحارس دا كان عسول يا ماما؟!!

ابتسمت "حياة" بخفة وهي تُقبل وجنته المُكتنزة بقوة، ثم أردفت بضحك:

_ آه كان عسول زيك كدا.

اتسعت ابتساماة "صهيب" أكثر وهو يُحيط بخصرها، بينما أكملت "حياة" قصتها العظيمة كما تقول:

_ وبعد ما اتحايلت على أهلها كثير إنها تتجوزه رفضوا تاني، فضلت الأميرة تعيط لأيام كثيرة، وامتنعت عن الأكل لفترة كبيرة، وبقي وشها دبلان من قلة أكلها، وبعد ما أهلها لاحظوا دا وافقوا أخيرًا، لكن بشرط؛ إنهم مش هيدوها حقها من الورث الكبير بتاعهم، وهي من غير ما تفكر وافقت على طول، عارفين ليه؟!!!

تلك المرة أجاب "قاسم" ببرائة:

_ عشان هي بتحب الحارس الفقير، صح يا ماما؟!!

فعلت "حياة" المثل معه وقبلته بحب شديد وهي تؤكد على حديثه:

_ صح يا قلب ماما، الأميرة كانت بتحب الحارس أكثر من كنوز الدنيا بحالها، واتجوزوا الحارس والأميرة، وعاشوا في تبات ونبات، وخلفوا ولدين زي القمر.

وقف "هادي" من مجلسه مُقترَبًا منهم، حتى جلس أمام ثلاثتهم، وعلى بغتة أمسك برأس "حياة" مُكوبًا وجهها بين يديه، ثم قربها من شفثيه مُقبلًا جبينها بعشق لم يقل عبر الزمن، مُنهيًا فعلته بجملة واحدة ظلت مُتعلقة بذهن "قاسم" حتى الآن:

_"خليك عارفة إن الأميرة هي قلب الحارس، وإنه من غيرها هو ميسواش أي حاجة، الحارس من غير الأميرة زي الإنسان اللي من غير روح بالظبط".

هبطت دمعاته على كف والدته أثناء تذكره لتلك الأيام الجميلة التي جمعته بعائلته، قبل أن تأتي تلك الأمواج الهائجة وتُشتتهم جميعًا، فبات هو شريدًا بلا مأوى يُعاني ويلات الوحدة واليتم.

شعر بيد والدته تربت على رأسه بحنان، وبسرعة فتح عيناه ليُبصر والدته التي كان ترمقه بحب، وبعدها صعد صوتها المُعاتب له:

_"كفايا بكي يا "قاسم"، سلم أمرك لله يا حبيبي وهو هيجيبك حقك".

ارتعشت شفتي "قاسم" ببياء ودموعه تُهدد بالهطول، قبل أن يرتمي على صدرها يبكي قهراً على ما آلت إليها الظروف، قبّلت "حياة" رأسه بوهن أثناء إغماضها لعينها حُزناً على فلذة كبدها، كانت تستمع لشكاؤه لها ليلاً، ناهيك عن بُكاؤه والذي يرتفع أحياناً لشهقات أثناء ترحيه لها بأن تستيقظ، وكلما حاولت فتح عينيها لطمأننته؛ تشعر بشيء يُقاوم حركتها ويثبتها في مضجعها.

مرت رُبُع ساعة تقريباً وهم على نفس الوضع، حتى اعتدل "قاسم" من على صدر والدته حتى لا يتسبب في إزعاجها أكثر، مدت يدها تمسح دموعه مُرددة بشفقة:

كفايا يا نور عيني، أهو أنت شايف إني بقيت كويسة وأحسن من الأول، ليه غاوي تتعب نفسك!!

أمسك بكفها مُقبلاً باطنه، قبل أن يُردد بقهر:

محدث بيكون غاوي التعب يا أمي، بس كل الظروف بتقاومني ومش عايزاني أفرح.

وربنا راح فين من دا كله؟! إوعى تكون بعدت عن ربنا يا "قاسم"؟! إوعى الدنيا تكون نستك اللي خلقك، احنا يابني منسواش أي حاجة لولا نعم ربنا علينا وستره لينا، مهما تمر بظروف وحشة ومهما تقول خلاص مش قادر أكمل إوعاك تبخل على ربنا بالعبادة.

اقترب منها "قاسم" مُقبلاً جبينها، ثم أردف بإبتسامة خفيفة بعدما هداً قليلاً:

_متخافيش يا ماما، أنا لسه محافظ على كل حاجة أنتِ علمتيها ليا وأنا صغير، منستش ربنا ومحافظ على صلاتي وبصوم رمضان وبطلع زكاة كمان.

كوبت "حياة" وجهه بيدها قبل أن تردف بفخر:

_ربنا يريح قلبك يا نور عيني ويخلي في كل خطوة سلامة ليك يارب.

أغمض "قاسم" عينه بإستمتاع وهو يُردد بتبجيل:

_يااه يا أمي، هو دا اللي كنت محتاج أسمعك منك يا ست الكل.

تمدد "قاسم" بجانبها بتروٍ حتى لا يؤذيها، ونام على كتفها مُستمتعاً بدفئها وحنانها التي لا تبخل بإغداقه بها، وكذلك هي سحبتها غفوتها للأعماق، ولكن قبل أن تذهب كُلياً سألت عن "صهيب"، ليُطمئنها "قاسم" بأنه بخير وسيأتي لها غداً حتى يراها.

العشق لعنة تضرب الأفئدة، والقلب يهوى من الحبيب أن
يقترّب، وإذ به الحبيب لا يشعر بالفؤاد، فإذ به القلب ينساق
خلف العقل.

انقضى الليل بكل صرخاته المتألّمة، وسطعت الشمس بنور
جديد مليء بالأمل، دلف "يحيى" للغرفة التي تقبع بها
"يمنى" ببطيءٍ شديد، رامياً نظرة عابرة على "أهله" التي
تستند على الأريكة برأسها تنام بعدم راحة، وقف أمام
فراشها وبعدها جذب المقعد بحذر وجلس عليه حتى بات لا
يفصل بينهما سوى القليل.

ابتسم "يحيى" بحنان وهو يُراقب تعابيرها الشاحبة، مرّ ما
يقرب أسبوع كامل على مكوثها بالمشفى، واليوم هو موعد
خروجها، كم يرقص قلبه طرباً وسعادةً بتلك الأخبار التي
تُبهره، مدّ يده ليُبعد خُصلة شاردة على عيناها، يتشرب
ملاح وجهها ليوشمها بقلبه، هو كان حبيباً، والآن أصبح
عاشقاً ولهاناً لها، رفع جسده قليلاً مُقترّباً منها ثم قبل
جبينها بحنان، تبعه بقوله المُشتاق بهمس قائلاً:

معرفة إن غلاوتك في قلبي كبيرة كذا غير لما شوفتك
سايحة في دمك، ساعتها حسيت بقلبي بيتكسر وأنا واقف
متصنم مش عارف أعمل إيه.

تنهد بقوة ثم رفع كفها لغمه يُقبله بحنان:

_سلامتك يا روح قلبي، إن شالله تيجي فيا وأنتِ لأ،
ميهمنيش غير إنك تكوني بخير.

وقف من مضجعه ثم ربت على خصلاتها بعشق، وما كاد أن
يهبط ليُقبل جبينها؛ حتى شعر بيد تجذبه بعيداً عنها وصوت
يصرخ به:

_أنت بتعمل إيه هنا يا حيوان؟!

انتفض "يحيى" بفرع صارخاً برعب، ثم استدار ليجد
"قاسم" واقفاً يُحدجه بنظراته الحارقة، ابتلع "يحيى" ريقه
بتوتر ثم نظر حوله قائلاً بدهشة غبية بعض الشيء:

_يا ساتر يارب!! أنا إيه اللي جابني هنا؟!

أمسكه "قاسم" من ياقة ملابسه وهو يُردد خلفه بسخرية:

_وحياة خالتك؟! مش عارف إيه اللي جابك هنا؟! يعني
أنت مش جاي تشوف "يمنى"؟!

هزَّ "يحيى" رأسه ينفي بقوة تلك التُّهمة البشعة التي يُلفقها إليه هذا الظالم:

__ لأ طبعًا إيه الكلام اللي أنت بتقوله دا؟! أنا خير اللهم اجعله خير كنت نايم في الجامع اللي تحت، صحيت لقيت نفسي هنا.

انزعجت "أهّلة" من الصوت العالي الذي يرتفع بالغرفة، فتحت عيناها ببطء لتعتاد على الإضاءة، ثم حدجتهم بتعجب مُتسائلة بضيق:

__ في إيه بتخانقوا على الصبح ليه؟!!

نظر لها "قاسم" فوجدها تُحاول أن تفتح عيناها بصعوبة، لذلك تشدق بلين:

__ متشغليش بالك أنتِ ونامي، وأنا هاخذ المُهزق دا ونطلع برا.

أمسك "يحيى" بيد "يمنى" صارخًا:

__ لأ! مش هسيبها، أنا ما صدقت استغل الفرصة وهي نائمة.

استمع "يحيى" لشهقة تأتي من خلفه، لذلك استدار فوجد
"يمنى" تفتح عينها بصدمة مما سمعته للتو، وقد خيل لها
عقلها ما فعله بها أثناء نومها وهي لا تشعر بشيء، رسم
"يحيى" ابتسامة بلهاء على ثغره، ثم رفع يده مُشيرًا لها
بأصابعه:

_ هاي يا بيبي!

شعر "يحيى" بشيء صلب يُقذف بوجهه، تبعه صراخ
"يمنى" الحاد:

_ استغلّيت الفرصة وأنا نائمة إزاي يا قليل الأدب!!

نفض "يحيى" يد "قاسم" عنه، ثم استند بيده على خصره
قائلًا بتشنج:

_ هو مين دا اللي قليل الأدب يابت!! وبعدين مش تحمدي
ربنا هو كان حد معبرك من أصله! دا أنا اللي هنتشلك من
حياة العزوبية البائسة اللي أنت عايشة فيها، ناس قليلة
الأصل صحيح.

قال الأخيرة بسخط، قبل أن يذهب رامقًا إياها بقرف وكأنها
هي المُخطئة وليس هو، فغرت "يمنى" فمها بصدمة وكأنها

لا تُصدق ما تفوه به الآن، لتستمع بعدها إلى صوت "قاسم"
الحانق:

_ سيبك منه دا عيل أهطل.

استفاقت "أهّلة" قليلاً مم نعاسها، ثم وقفت مُقتربة منهم
لتجلس بجانب "يمنى" التي مازالت تنظر للباب ببلاهة،
بينما هي نظرت لـ "قاسم" وما كادت أن تتحدث عن سبب
وجوده؛ حتى وجدته يغمز لها بمشاكسة:

_ صباحك فلُ يابا.

نظرت له "أهّلة" بدهشة من طريقته الغريبة والتي تغيرت
معها كُلياً، ثم أجابته بضحك:

_ صباح النور يا عم.

طالعتهم "يمنى" باشـمنزاز أثناء إعتدالها في مكانها، ثم
علقت على حديثهم ساخرة:

_ صباح التكاتك والعربيات الكارو.

طالعتها "قاسم" بطرف عينه بلامبالاة، قبل أن يُمازحها
بطريقة جادة قليلاً:

حارة القناص

_بس يا عسولة وخليك في حالك، مش كفاية مجررانا
وراك بقالك أسبوعين وملكمناش!!

أجابته "يمنى" بتعنت:

_محدث قالك والله أقعد معايا.

رد عليها بسخط قائلاً:

_ما هو للأسف الشديد أنا اللي عاملك العملية، وللأسف
الشديد تاني إنك أخت خطيبي، وللأسف الشديد تالت إنني
مخلصتش عليك واحنا في العناية.

رفعت "يمنى" حاجبيها بغيظ، قبل أن تنظر لـ "أهلة" مشيرة
لها بإصبعها تجاه "قاسم":

_شايقة المُعاملة؟! عشان متجيش بس تقولي عليه إنه
طيب وكتكوت و...

قاطعتها "أهلة" وهي تسعل بقوة، في نفس الوقت الذي رفع
فيه "قاسم" حاجبيه بعدم تصديق مما يُقال خلف ظهره، فتح
فمه ليتحدث؛ فوجد ذاته يُطالع "أهلة" بتشنج قائلاً:

حارة القناص

_طيب وكتكوت!! بقى أنا في الراحة والجاية عمال أقولك
كفاءة وأنت تقولي عليا كتكوت!!

مطت "أهّلة" شفتيها بحنق وهي تُجيبه:
_وماله الكتكوت يعني ما هو حلو وخلص!!

رد عليها بعناد:
_لأ مش حلو.

عاندته هي الأخرى بقوة:
_حلو.

_لأ مش حلو.

_حلو.

_لأ مش حلو.

_حلو.

طب وأنا؟!

حلو

تنستري

قالها بعث شديد، وبعدها أطلق ضحكات عالية على ملامح
وجهها المنصدمة من عبثه الخبيث معها، لتُحاول هي
مُداراة ما قالت به حماقتها مُصححة حديثها:

على فكرة أنت خدعتني وأنا لا أسمح

لأحقك عليا يا غالية تعالي وأنا أصالحك

قالها الأخيرة بمكر فاتحًا كلتا يديه يُمثل باحتضانها، لتبتعد
هي بهلع عائدة بخطواتها للخلف وهي تسأله:

أنت هتعمل إيه؟!

تهدل ذراعيه بيأس مصطنع وهو يُجيبها:

حارة القناص

_مش أنت ز علانة مني؟! يبقى واجب عليا إني أصالحك.

نفت بسرعة وهي تقول:

_لأ لأ مش ز علانة.. مين قال إني ز علانة.

نفخ بقلّة حيلة قائلاً ببراءة:

_براحتك، أنا كان غرضي مصلحتك.

طالعه "أهله" بشك وهو يُراقبها بعيون ذئب بريء،
و"يمنى" تُطالعهم ببلاهة شديدة على ما يفعلونه، ليقاطع
حرب النظرات تلك هو فتح الباب فجأةً، تبعه دخول "يحيى"
المفاجيء والذي هلل بصياح:

_هلا والله.. اشتقتولي ص.. آاه.

قاطع حديثه إحتضان إحدى المزهريات البلاستيكية لوجهه،
تبعه صياح "قاسم" به:

_برا يا حيوان.

طالعه "يحيى" بغیظ، قبل أن يُمسك المزهريّة ويُعيدها له
بنفس القوة، لكن ولحسن حظه بأنها اصطدمت بذراعه لا

بوجهه، نظر "قاسم" لـ "يحيى" بغضب شديد، قبل أن يتجه له بغضب و"يحيى" هرول أمامه للخارج بفرع، لكن "قاسم" لم يتوقف عند هذا، بل استكمل ركضه خلفه فبات الإثنان يُهرولان خلف بعضهما البعض في ممرات المشفى، تاركين ضحكات الفتيات تصدح خلفهم من مشاكساتهم اللطيفة والتي تحدث عادةً.

__ أقسم بأني لم أفكر في خيانتك ولو لمرة واحدة.

قالها "چون" برجاء لـ "لوسيندا" لتفتح الباب الذي تُغلقه منذ أن عادت من الخارج، لتصرخ به "لوسيندا" ببكاء مزقه:

__ أومال مين "جوليا" دي يا خاين!!

__ آه.. أومال مين "جوليا" دي يا خاين!؟!

رددتها "مهرائيل" التي كانت تجلس على الأريكة تُمسك إصبعًا من الموز تتناوله وهي تتطلع إليهم.

حارة القناص

لم يُعيروها إنتباه، بينما أكملت "لوسيندا" حديثها قائلة
ببكاء:

_طلقتي يا "جون"، طلقتي يا خاين.

ومرة أخرى تُردد "مهرايل" الحديث خلفها:

_آه.. طلقها يا "جون"، طلقها يا خاين.

استدار لها "جون" يُطالعها بغضب حارق، لتبتلع هي ما
بفمها قائلة بتبرير:

_خـ.. خلاص متطلقهاش هي في الآخر مراتك.

_اللعنة عليك، اصمتي علّ يتوقف الطعام بحلقك ونتخلص
منك.

صاح بها بغضب عندما نفذ صبره منها، ليستمع بعدها إلى
صوت "لوسيندا" الباكي من خلف الباب:

_وكمان بتزق لأختي وبتستغل طيبتها!! للدرجادي مش
طايقتنا!!

مسح "چون" على وجهه بغضب، ثم استدار جهة الباب مرة أخرى، وكاد أن يُصالحها؛ لكن قاطعته "مهرائيل" التي تشدقت بكاء:

_ تعالي شوفي يا "لوسي" جوزك بيعمل فيا إيه؟! دا شوية شوية ويطردني من البيت.

في تلك اللحظة دخل "ألبرت" ومعه إخوته، والذي ما إن رآها ورأى قشور الموز المُرتمية على الأرضية المُتسخة؛ حتى صاح باستنكار مُوجهًا حديثه لها:

_ ما هذا يا فتاة؟! تُشبهين أنثى القرد في موسم التزاوج.

تشنج وجه "مهرائيل" من حديثه، وتلك المرة وقف الطعام بحلقها مما أدى إلى سُعالها الشديد، لم يُعيرها أيًا منهم أي إنتباه، بل دلف الثلاث شباب إلى الغرفة التي تجمعهم، بينما اتجه "ألبرت" نحو الأريكة يرتمي عليها بإنهاك قائلاً بسعادة:

_ عسى أن تزهب روحك وتصعد إلى السماء.

حارة القناص

طالعه "مهرائيل" بنظرات حارقة ظنت بأنه مُخيفة، لكن بالنسبة له كانت مُضحكة وللغاية، خاصةً وأن فيها كان مُملتيء بالطعام ووجهها أحمر من شدة سعالها.

وعلى الجانب الآخر، تودد "جون" إلى "لوسيندا" التي قامت بفتح الباب، وبعد خمس دقائق فقط انتهى من مصالحتها، قَبْلَ "جون" جبينها وهو يسألها بعتاب صعد على أنه غزل:

_قولي لي كيف أنظر للظلام وأنا أملك القمر! فوالله لا يحلو يومي إلا وأنا أنظر لمحياكِ.

أخفضت "لوسيندا" رأسها بحزن، ثم تشدقت بغيرة شديدة لكن بصوتٍ لَيِّن:

_أومال مين "چوليا" دي؟!!

زفر "جون" بضجر وهو يروي لها علاقته بالمدعوة "چوليا":

_تلك الـ "چوليا" ما هي سيدة تبلغ الخمسون عامًا وقد وقعت بحبي.

فرغت "لوسيندا" فاهها بصدمة قائلة بعدم تصديق:
_بتتكلم بجد؟!

أوما لها "جون" يؤكد على حديثه، لتهمس وهي تنظر إليه
بخجل:

_يعني كل النكد دا عشان ست عجوزة عندها خمسين سنة!!

ومرة أخرى يومئذ لها "جون" بالإيجاب، لتشعر بالخجل
من ذاتها، فاقتربت منه على بغتة ثم احتضنته قائلة بإعتذار:
_خلاص أنا أسفة متزعلش مني، بس أنا الغيرة عممتي
وأنت عارف إني بحبك.

أحاطها بها بقوة مُقرباً إياها من قلبه أكثر:

_لا أريد اعتذارات، أريدك فقط جوار قلبي حتى يطمئن
بوجودك.

شدت "لوسيندا" من عناقه، وما كادت أن تتحدث؛ حتى
استمعت إلى صوت شقيقتها الصارخ بغضب:

_سامحتيه يا عديمة الكرامة!!! متبقيش تيجي تعيطي
بعد كذا بقى.

ابتعد "چون" عن "لوسيندا" قليلاً ناظرًا لـ "مهرائيل" بغيظ، فجذب يد زوجته خلفه ثم خرج من المنزل وهو يُتمتم ببضعة كلمات لم يفهم أحد مغزاها، بينما هبّ "ألبرت" من مضجعه، راميًا نظرة عابرة لـ "مهرائيل" قائلاً بامتعاض:
_جرؤ عديم الأدب.

يُقال أن الأمانى حُلْم يصعب تحقيقه، وها هو الحُلْم يتحقق الآن، حينما اجتمع القناص والقاتلة المجهولة تحت مُسمى شرعي لم يكن بالحسبان، لا يوجد اسم واضح لعلاقتهم الغريبة، لكن ما يتضجج هو أننا سنعيش رحلة جديدة كُليًا على جميع الأطراف:

_ "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير".

والآن باتت زوجته قانونيًا، ها هم اتحدوا ليُصبحوا بقوة أشد، هناك إصاّرُ قادم، إصاّرُ سيُحطم الجميع بلا إستثناء، غايتهم واحدة، وهدفهم مُحدد، أعينهم تنطق بالثأر، وبسمتهم تنم على الشر، ووسط كل ذلك سنبدأ رحلة

حارة القناص

علاج جديدة مع الطرفين، ستكون مُختلفة بشكلها الخاص،
شكل يليق بـ"القناص والمجهولة النارية".

«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 🐦

" قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا "

مادام أن الله كتب، فإن القلب قد ثبت، ومادام أن القدر جارٍ
فإن النفس مطمئنة، ومادام أن الأمر كله بيد الله، فلا خوف
ولا حزن باقٍ، إن الله لا يترك أحدًا في الفراغ، فلا تُتعب
نفسك.

«الفصل الثاني والعشرون»

«حارة القناص»

رحلة علاج|

دائمًا ما يُرسلنا الله لبعضنا كهدايا، نتداوى بمن نُحب،
نتراضى بكلماتٍ كالبلسم، نشتاق لمن يغترب، نحزن لبكاء
أحدهم، وأخيرًا نحتضن من نعشق!.

بضعة كلماتٍ قليلةٍ قيلت بعد أن دوّن كل واحدٍ منهم اسمه
بجانب الآخر، تبعها صوت الزغاريد العالية من فاه "يمنى"
سعادة بشقيقتها، ليشرد "يحيى" بها قائلاً بهيام:

كروان بيز غرط يخواتي؟!.

نكزه "رائد" في معدته بقوة موبخًا إياه:

_يابني أمها لو سمعتك هتطين الليلة فوق دماغك ودماغنا
كلنا، و"قاسم" محذرننا كلنا قبل ما نيجي، فخاف على عمرك
بقي._

جدد "يحيى" وجهه بحنق متشدقًا بسخط:

_حسبي الله ونعم الوكيل في الظالم والمفتري، حتى البت
مش عارف أعاكسها بضمير.

بينما على الجانب الآخر.. كان "صهيب" يُحاول أن يتلاشى
"نبيلة" التي فوجئت بوجوده، ورغم أنها لم تتحدث إلى أنها
كانت تُسد له نظرات نارية بسبب آخر لقاء حدث بينهم،
ذهب "صهيب" إلى شقيقه مُسرعاً ليحتضنه بقوة، ثم ربت
على ظهره بخفة قائلاً بحب:

_ألف مبروك يا حبيبي.

شدد "قاسم" من عناقه وهو يُجيبه:

_الله يبارك فيك يا حبيب أخوك.

شعر "صهيب" بمن يدفعه بقوة عنه، نظر بحدة لمن دفعه
بتلك الطريقة، لكن نظراته لانت قليلاً عندما لمح "نبيلة"
بمعالم وجهها المُتشنجة وهي تُبعده بسخط:

_ما توسع بقى خليني أحضن جوز بنتي.

وباحترام غير معهود ابتعد عنها "صهيب" ليُفسح الطريق
لها، رفع "قاسم" حاجبه بعدم تصديق وهو يرى أخلاق
شقيقه الرفيعة، لكن قاطع سخريته هو احتضان "نبيلة" له
مُوصية إياه بمشاعر أمومية جياشة:

حارة القناص

_"أهّلة" في عنيك يا "قاسم" يابني، هي يمكن تكون دبش
حبتين تلاتة بس طيبة وعلى نياتها والله.

ضحك بخفة أثناء تقبيله لجبينها، ثم تشدق بطمأنينة لها:
_متقلقيش، دي هتبقى في عيوني.

ابتعدت عنه نبيلة براحة بعدما رأت الصدق في عيناه، ولكن
قبل أم تذهب كلياً من أمامه، نظرت لـ"صهيب" المتابع
لحديثهم بإشمزاز وهي تقول مُوجهة حديثها لـ"قاسم":
_نصيحة مني ليك يابني، ابقى اختار صحاب مُحترمين زيك
مش أي حد والسلام.

رمت كلماتها ثم رحلت من أمامهم دون أن تُضيف كلمة
أخرى، نظر "صهيب" لأثرها بغيظ مُتسائلاً بحنق:
_قصدها إيه الولية دي؟! والله أروح أفرتك المسدس في
نفوخها.

أمسكه "قاسم" من ياقة ثيابه مُقرباً وجهه منه وهو يتسائل
بشر:

_أنت عملت إيه!!!

حارة القناص

أشار "صهيب" لذاته بصدمة مُردداً بعدم تصديق:

_أنا؟! أنا معملتش حاجة طبعًا، دا أنا طول عمري محترم
وطيب وفي حالي و...

قاطع "قاسم" حديثه مُتسائلاً مرة أخرى بتحذير:

_ "صهيب" .. بقولك أنت عملت إيه؟!!!

رَبَّع "صهيب" ذراعيه بحنق أثناء إمساك "قاسم" له من
ياقة ملابسه، ثم اعترف له بتردد:

_ اليوم اللي أنت بعنتي فيه ليها بعد ما قطعت ليا شهر
العسل أنا هبّلت معاها في الكلام، كنت مفكر إنك بتقولي إنها
أم خطيبتك عشان أروح أنقذها بالعافية.

جز "قاسم" على أسنانه بغيظ وهو يتحدث له مُعاتبًا:

_ يعني ينفع كدا؟! تقول عليك متربتش ومش محترم بعد
عملتك دي؟!!

أجابه "صهيب" ببساطة وهو يهز كتفه بلامبالاة:

_ ما أنا فعلاً متربتش ومش محترم.

فكّر "قاسم" في حديثه لثوانٍ، ثم تحدث بابتسامة واسعة:

_تصدق يا ض معاك حق وأقنعتني! ولأجل صراحتك دي؛
هات حضن أخوي بري ٤.

قهقه "صهيب" عاليًا أثناء احتضانه لأخيه بحب شديد،
فمهما فعل سيظل هو مثله الأعلى وقدوته في تلك الحياة
البائسة، يحمل بين طيات قلبه الحب والإمتنان له، هو
بإختصار لن يُعوّض مهما اقتحم الكثيرين حياته.

وعلى الجانب الآخر، كانت "أهلة" تجلس مع شقيقاتها
و"لوسيندا" وكذلك "مهرايل" التي أتت مع شقيقتها،
وبجانب "حبيبة" التي أتت برفقة "صهيب" كانت تجلس
"سهيلة" هي الأخرى، وعلى عكسهم تمامًا كانت "حبيبة"
تجلس صامتة، حتى أنها لم تتحدث ولو بكلمة واحدة.

لاحظتها "أهلة" فابتسمت لها بخفوت وهو تتسائل بود:

_مش بتتكلمي معانا ليه يا "حبيبة"؟!!

توترت "حبيبة" من سؤالها المفاجيء، فأمسكت بكفيها معًا
تضغط عليه بتوتر، ثم أجابتها بخفوت:

_ع.. عادي.. مفيش حاجة أقولها.

هبت "ملك" من مجلسها والتي لاحظت هي الأخرى توحدتها بعيداً عنهم، وبمرح جذبتها رغماً عنها لتجلس بجانبها على الأريكة الأخرى، ثم تشدقت بمزاح:

_ياختي مالك قاعدة لوحدك كدا؟! أوعي تكوني خايفة مننا!!
دا احنا بنات في قمة الأدب والأخلاق والإحترام والله.

ابتسمت "حبيبة" بخفوت على حديثها المازح المُغلف بالود، لكن رغماً عنها لا تستطيع إخراج ذاتها من القوقعة التي وضعتها بها والدتها دون رحمة، حتى باتت تخاف التعامل مع الجميع، ليس رهاباً منهم؛ لكن خوفاً من تلقي الخذلان مرة أخرى.

أمسكت "ملك" بقطعة من المُعجنات (الكحك) ثم وضعتها بفمها تُطعمها بعدما رفضت تناولها بنفسها، ثم تشدقت بمزح:

_يا بنتي كُلّي دا أنتِ رُفِيعَة خالص.

ابتلعت "حبيبة" ما بفمها ونظرت لها بحزن ظناً منها بأنها تتنمر عليها؛ مثلما كانت تفعل معها والدتها من قبل، لكن بخلاف أن والدتها كانت تقول لها بأنها أصبحت سمينية، رغم أنها كانت تظل لأيام عدة دون تناول أي شيء حتى

حارة القناص

تنال رضاها، تكونت طبقة شفافة من الدموع داخل حدقتها،
مما أثار ريبة "ملك" التي طالعتها بدهشة وهي تسألها:

_ أنتِ زعلتي مني؟!!

ومع سؤالها ارتعشت شفتيّ "حبيبة" ببيكاء حاد، مما جعل
"ملك" تسحبها لأحضانها مُرددة بإعتذار:

_ طب خلاص والله أنا أسفة، أنا اللي عجلة وتخينة عشان
كدا شايفاك رفيعة.

ضحكت "حبيبة" من وسط بكائها، فظنت "ملك" بأنها تبكي
أكثر، لذلك أردفت بحزن:

_ طب والله مش قصدي أزعلك، أنا كنت عايزاك تتكلمي
معانا بدل ما أنت ساكتة بس مش أكثر، والله أنت سكر وزي
القمر مترعليش مني.

تدخلت معها "مهرايل" التي تقدمت منهما هي الأخرى، ثم
جلست بجانب "حبيبة" تُربت على ظهرها بحنان أثناء
قولها:

_ خلاص يا "حبيبة" كفاية عياط، رغم إني متعرفة على
"ملك" بقالي أسبوعين بس هي طيبة والله ومش قصدها

حاجة، هي بس عاملة زي الطروبش بترمي أي كلام
وخلص.

دفعت "ملك" يد "مهرايل" بعيدًا وهي تقول بغیظ:
_طب غوري بقى يا بت أنت، مبقاش غيرك اللي يتكلم عن
الدبش!! مسم.. عجایب والله.

تلك المرة هبت "سهيلة" من مضجعتها ساحبة "حبيبة" لها
بعيدًا عن "ملك ومهرايل" ثم تشدقت بمسكنة:
_يا عيني عليك يا بنتي! إيه اللي جابك ووقعك مع العيلة
دي بس؟! وبعدين ملقيتيش غير "صهيب" وتتجوزيه!!
عيني عليك وعلى حظك الهباب.

وكزتها "حبيبة" بخفة وهي تمسح دمعاتها المتعلقة
بأهدابها، ثم أردفت بحنق وصوت مبجوح:
_متشتمهوش.

كانت "أهلة" تُراقبهم وهي صامتة، يبدو بأنها ليست
الوحيدة التي تُعاني، الجميع يُعاني ويخوضون حربًا عاصفة
مع أمواج الحياة الهائجة، لا علينا سوى أن نكون أكثر لطفًا
مما نحن عليه.

وقفت "أهلة" من مكانها تُعدّل ما وضعية فستانها الحريري
الأسود الذي ارتدته رغم اعتراض الجميع، ثم اقتربت منهما
مُتشدقة بإبتسامة هادئة لـ "حبيبة":

_متزعليش يا "حبيبة" احنا كلنا هنا جنبك وفي مقام
إخواتك، وقت ما تكوني زعلانة وفيه حاجة مضيقاك تعالي
إحكيلنا وإحنا هنبقى معاك دائماً.

طالعتها "حبيبة" بإمتنان بعد أن هدأت كُلياً:

_شكرًا أوي بجد، وأنا كمان ارتحت ليكم بس مش متعودة
على الأجواء دي مش أكثر، أغلب الوقت بكون لوحدي
ومليش صحاب فعشان كذا باخد وقت على ما أتعرف على
اللي حواليا.

أحاطت "لوسيندا" بكتفها قائلة بإبتسامة واسعة:

_وأديك اتعرفت علينا ياستي، وهنعمل أحلى شلة بنات على
مر التاريخ.

في تلك اللحظة هرولت إليهم "يمنى" مُسرعة وهي تُمسك
بهاثفها، ثم فتحت كاميرته قائلة بحماس:

_بالمناسبة السعيدة دي.. يلا ناخذ صورة مع بعض للذكرى.

نالت الفكرة إعجابهم، فارتصت جميع الفتيات حول "أهلة" التي جعلوها في المنتصف وهم يلتفون حولها، وبالأمام يُمْنى تُمسك بالهاتف تُوجه كاميرته الأمامية على الجميع وهي من ضمنهم، أُلْتَقَطَت الصورة بجودة عالية، وتلك كانت أول صورة تجمعهم معًا، يبدو أن هناك علاقة وطيدة قاربت على التشكل، ليكونوا هم رباط صعب فكاكه.

نظر الجميع لبعضهم بسعادة، فصدفة جمعتهم دون حُساب، وقد كانت صداقتهم غريبة بعض الشيء، كثرتهم سر قوتهم، وهدفهم واحد على الأغلب،

"أهلة، يمْنى، ملك، سهيلة، حبيبة، لوسيندا، مهراييل" هكذا هم كانوا، سُبَاعِي المغامرات.

دخل في تلك اللحظة "قاسم" ومعه الجميع، ليُلاحظ الصورة التي جمعت الفتيات بهاتف "يمْنى"، لذلك وجّه حديثه لهم بعتاب:

__ يعني اتصورتوا من غيرنا؟!!

اقترب "رائد" من شقيقته ضاربًا إياها على رأسه بخفة، ثم وبخها قائلاً:

بتتبري مني وبتتصوري من غيري؟! إخس عليك إخس.

وضعت "سهيلة" يدها مكان ضربته بألم طفيف، ثم غمزته
بمشاكسة:

ومالو.. نتصور كلنا تاني.

ذهبت لـ "يمنى" ثم أخذت الهاتف منها بعد أن استأذنتها،
وبعدها ذهبت لـ "نبيلة" التي كانت تقف بجانب "جيهان"
والدة "رائد" تتابعهم بابتسامة طفيفة طالبة منها باحترام:

ممكّن يا طنط تصورينا بعد إذّك؟!

أخذت منها "نبيلة" الهاتف بصدّر رحب، قائلة بسعادة:

بس كدا؟! دا أنا عيوني ليكم.

ولكن قبل أي شيء، نادى "قاسم" على "ألبرت" الذي كان
يُنجز مكالمة بالخارج، وبعد أن أتى بدأت الجميع بالوقوف
محلهم.

ارتصت الفتيات في الأمام تتوسطهم "أهلة" بفسّتانها
الأسود الحريري، وبالخلف ارتص الشباب كذلك، نظرًا لأنهم

حارة القناص

الأكثر طولاً منهم، ويتوسطهم "قاسم" الذي كان يرتدي قميصاً أسود مع بنطال من نفس اللون، وعلى جانبيه الشباب الذين يبتسمون بسعادة.

التقطت "نبيلة" الصورة لهم وكم كان مظهرهم مُهيب بحق، ورغم جمال الصورة؛ إلا أن روح الإتحاد كانت واضحة للعيان.

تفرق الجميع من موضعه، بينما ذهب "قاسم" تجاه "أهّلة" متشدقاً بابتسامة طفيفة:

__مُبارك علينا.

أجابته "أهّلة" بخفوت وهي تبتسم له:
__الله يبارك فيك.

__إيه رأيك نخرج شوية؟!!

هكذا تسائل "قاسم"، لتظهر "ملك" من اللاشيء تهتف بحماسة:

__الله هنخرج!! يلا يا ولاد أبيه "قاسم" هيخرجنا نتفسح.

صاحت بالأخيرة بصوت عالي وهي تُهلل، بينما عض "قاسم" على شفثيه بغيظ وضحكات "أهّلة" تتعالى في المكان، استدار "قاسم" استعدادًا لتوبيخ تلك اللعينة "ملك"، لكنه وجد الجميع يُطالعونه بابتسامة بلهاء ينتظرون خروجه التي قالت عليها "ملك"، أثاروا غيظه وحنقه فصاح بهم بعصبية:

_ على جنثي إن حد يخرج معانا.

بعد نصف ساعة تقريبًا.. جلس الجميع على رمال الشاطيء ينظرون لمشهد الغروب الرائع، وهم يلتفون حول بعضهم على شكل دائرة واسعة، طالعهم "قاسم" بحنق، خاصةً تلك المُتسببة في كل تلك الفوضى التي حدثت منذ قليل، عندما اعترض الجميع على رأيه المُستبد فرضخ في النهاية إلى أخذهم معهم.

عدا "جيهان ومحروس" الذين فضلوا العودة للمنزل حيث
"لواحظ"، و"نبيلة" التي فضلت المكوث في المنزل وتركهم
يستمتعون وحدهم قليلاً.

كان بجانبهم وسائد وثيرة استأجروها يستندون عليها،
أعدلت "أهلة" الثوب الواسع المتكوم أسفل قدمها، لكنها
شهقت بخفة عندما شعرت بـ"قاسم" يقترب منها ببطئ غير
ملحوظ هامساً لها في أذنها بمشاكسة:

_ الفستان سُكر يا سُكر.

صُدمت "أهلة" من قُربه ومغازلته لها بتلك الصراحة،
خاصةً بأنه تبع حديثه بغمزة من عيناه التي ينبعث منها
الوقاحة والعبث، وللحقيقة خجلت كثيراً لعدم اعتيادها على
مثل تلك المُعاكسات من الجنس الآخر، وأخيراً صعد صوتها
خافتاً بخرج:

_ تسلم ربنا يخليك.

كتم "قاسم" ضحكاته على انفعالات جسدها الواضحة لها،
فأكمل عبثه وهو يتسائل ببرائة:

_ اتعلمتي الرقص؟!!

حارة القناص

ولثاني مرة تُصدم من جرأته، لذلك سألته تلقائياً دون
مُراوغة:

_"قاسم" هو أنت بقيت قليل الأدب كدا فجأة ولا أنت كنت
كدا أصلاً؟!!"

فكّر قليلاً، وبعدها هز كتفه بجهل وهو يُجيبها:
_والله معرفش، أديني بكتشف نفسي معاكِ.

ابتعدت بجسدها قليلاً عنه بسبب اقترابه الشديد، وبعدها
تشدقت مُحذرة بأعين حادة:

_"طيب ابعده شوية بقى بدل ما أجيب اللي في بطني وأبوظلكم
الليلة كلها."

تشنّج وجهه باستنكار وهو يبتعد عنها عائداً لمكانه مرة
أخرى، ثم حدجها بطرف عينه وكأنه يتوعد لها أثناء تمتته
الحانقة:

_"بت فصيلة ملكيش في الدلع والهشكة."

استمع الجميع لصوت تصفيق عالي يأتي من جهة "يحيى"
التي أردف بصوتٍ عالٍ:

حارة القناص

_ سيداتي سادتي برجاء الإنتباه قليلاً.

انتبه إليه الجميع بالفعل، عدا ذلك الصامت الذي يلتهم قدرًا كبيرًا من الطعام الذي قام بإبتياعه عند القدوم معهم، طالعه "يحيى" بحنق فجذب من أمامه الطبق الكبير المملوء بالمأكولات فجأة، رفع "فور" عينه بحدة تزامنًا مع صرخته العالية التي أفرعتهم:

_ اللعنة عليك يا وغد، اجلب لي طعامي أيها السارق.

حذق به "يحيى" بعناد وهو يهز رأسه بنفي:

_ لأ.. أنت بقالك ساعة بتاكل، وكمان كلت هناك في بيت البنات، إيه مشبعتش؟!!

_ لم أكل من مال أبيك أيها اللعين، أريد طعامي.

صرخ به "فور"، ليظل "يحيى" على موقفه صائحًا بعناد أمامه:

_ قولت لأ يعني لأ، واسمع بقى الكلمتين اللي عايز أقولهم.

كاد "فور" أن يذهب إليه ويُلقنه درسًا، لكنه توقف عندما تحدثت إليه "سهيلة" بلطف:

_ خلاص يا "فور" هنشوف عايز إيه وبعد كدا كُـل براحتك.

عاد "فور" لمجلسه مرة أخرى، رامياً بعض النظرات الحارقة إلى "يحيى" المُعاند له، ثم تشدق بهدوءٍ زائف:

_ حسنًا.. لأجلك فقط، لكن أقسم أن أبرحه ضربًا بعد أن ينتهي من كل تلك التراهاات التي تُبعدي عن طعامه العزيز.

ابتسمت له "سهيلة" بخفة وداخلها يُخبرها بأن تبتعد عن طريق "فور"، هو لا يصلح لها بأي شكل من الأشكال، لكن هذا المُغفل الذي ينبض أقصى يسارها لا يهमे لا العادات ولا التقاليد، فقد بدأت تشعر بمشاعر تنمو تجاهه لتُحاول قتلها قبل أن تثبت أكثر.

حمم "يحيى" ليجذب الإنتباه، ثم هتف بحماس كبير أثناء انتقاله على أوجه الجميع المُنتظرة حديثه بحماس:

_ إيه رأيكم نلعب لعبة بما إننا اتجمعنا كلنا أخيرًا؟!..

حارة القناص

طالعه الجميع بتعجب لا يفقهون أي شيء من حديثه، فأكمل هو حديثه مُوضِحًا لهم أثناء إمساكه بأحد الوسائد التي كانت موضوعة بجانبه:

_ يعني مثلًا هنحط المخدة دي على وش واحد فينا لمدة دقيقة، واللي هيموت قبل ما الوقت يخلص هو اللي خسران.

فرغ الجميع فاههم ببلاهة من حديثه، بينما هو اتسعت ابتسامته أكثر وهو يُمسك بالوسادة جيدًا موجهاً إياها نحو وجه "يمنى" وهو يقول بحماس:

_ ودلوقتي هبدأ بـ"يمنى".

انتفضت "يمنى" من مكانها مُبتعدة عنه وهي تصرخ به بعدم تصديق:

_ أنت اتجننت يا "يحيى" ولا فيه حاجة في دماغك؟!!

طالعتها "يحيى" بضيق واقفًا هو الآخر، ومازال مُمسكًا بالوسادة بين يديه:

_ تعالي بقى ومتبقيش رخمة كدا، متبوظيش اللعبة.

عادت بظهرها للخلف وهو مازال يقترب منها قائلاً بعصبية:
_ ما هو احنا هنلعب يعني هنلعب، واتفضلي تعالي يلا عشان
نكمل لعب.

هرولت "يمنى" وهي تصرخ به:
_ يا بني آدم أنت غبي!!

هرول خلفها "يحيى" دون توقف مُنادياً إياها:
_ يا "يمنى" ... استني يا "يمنى".

ابتعدوا عن مجلس الشباب تاركين الجميع يكادوا أن
ينفجروا من كثرة الضحك، "يحيى" مُثيراً للضحك حقاً،
خاصةً مع تصرفاته المجنونة مع "يمنى"، أدمعت عين
"أهلة" من كثرة الضحك وهي تُراقب أثر شقيقتها التي
تُهرول بعيداً عن هذا المجنون.

لاحظ "قاسم" انشغال الجميع بـجنون "يحيى ويمنى"،
فاستغل فرصته ووقف ساحباً خلفه "أهلة" التي صُدمت من
جذبه لها في الخفاء، بينما "ألبرت" غمز لـ "قاسم"
بمشاكسة والذي كان جالساً بجانبه يُراقب ما يحدث بصمت،

اتسعت ابتسامة "قاسم" بمشاكسة له، وأكمل جذبه ليد
"أهله" التي تشدقت مُستعجبة:

_ في إيه يا "قاسم" ما كنا قاعدين معاهم!!

أجابها "قاسم" وهو مستمر في السير:

_ مع مين!! دول منهم لله دول.

ضحكت بخفة وهو شاركها في ذلك، وبعد عدة دقائق قليلة
وصلوا إلى الواجهة المقصودة، مكان مليء بالأنوار البيضاء
يتخللها إضاءات حمراء، بالون كبير للغاية منقوش عليه
اسمه، والكثير والكثير من الزينة اللامعة، مقعدين
موضوعين أمام البحر مباشرة يتوسطهما طاولة صغيرة
مُزينة بالشموع الحمراء، وأخيرًا كعكة كبيرة موضوع
عليها صورتها ومُزينة ببعض الفاكهة، وكل هذا يُحاط
بستائر بيضاء شفافة رائعة.

نظرت "أهله" للمظهر بإبهار حقيقي، لم تكن تتخيل ولو
بخيالها أن "قاسم" سيفعل هذا من أجلها، وما جعل المشهد
أكثر جمالاً؛ هو تدلُّ الشمس البرتقالية في نية للغروب،
وضعت كفها على قلبها وهي تضحك بعدم تصديق، وبترو

شديد اقتربت من الطاولة، لتجد أن تاريخ ميلادها مُزين على الكعكة الكبيرة، استدارت "أهلة" لـ "قاسم" الذي يُراقب سعادتها بسعادة مُضاعفة، لتسأله بعدم تصديق:

دا علشاني أنا؟!!

أوما لها بالإيجاب وهو يقترب منها، حتى توقف جانبها مُباشرةً، وبتلقائية لف ذراعه حول كتفها مُشيرًا تجاه الطاولة:

عرفت من "ملك" إن عيد ميلادك هيبقى النهاردة، عشان كدا صممت إن كتب كتابنا يكون مع يوم ميلادك، عجبتك الهدية؟!!

سألها وهو ينظر لعيناها البنية التي اختلطت مع أشعة الشمس الغاربة بتدل، لتكون عيناها هي أكثر لوحة فنية جميلة مُميزة رآها في حياته، خاصةً بعد أن أُحيطت بكحل عيناها الذي جعلها أكثر رونقًا وجاذبية.

لم تستطع "أهلة" إجابته، بل شعرت بقلبها يكاد أن ينفجر في محله، وضعت يدها عليه تضغط على موضعه، لا تعلم أهو يضخ بألم أم بسعادة!! لم تُجرب ذلك الإحساس من قبل

طيلة حياتها، هي لم تتذوق سوى الخوف! وهو أعطاهما
السعادة.

كان مازال يُحيط كتفها بذراعه، وبدون وعي استند بجبينه
على خاصتها متأوهاً بخفة:
_خربيت عينيكِ.

ارتعش جسدها بمشاعر هوجاء أصابت فؤادها، وللعجب لم
تشمئز من قُربه! بل فاز وجدانها تلك المرة وألهاها عن
إقترابه المُبالغ فيه، أغمضت عيناها هي الأخرى، لا تعلم ما
بها؟! لم يكن هذا اتفاقهم منذ البداية، تلك الأشياء لم تكن
بالحُسبان، هي تخاف أن تُخذل بعد الإعتياد، وهو يخاف
الإبتعاد بعد الإنتهاء، وبين هذا وذاك؛ يوجد فؤادهم الذي
يصرخ بإنهاك.

حاول السيطرة على ذاته مُتذكرًا أمر الطبيب النفسي الذي
قام بمهاتفته بمساعدة "ألبرت"، والذي أخبره بأن أول
خطوة لنجاح العلاج النفسي يكون بموافقة المريض لا
بإجباره، وهو سيفعل أي شيء حتى تُسلمه مفاتيح أمانها،
ويبدو أن السحر سينقلب على الساحر، ليس بسببها هي؛
لكن بسبب عيناها، هاتان البلورتان اللاتي تُقسمان على
جذبه، وهو يسير خلفها كالمُغيب.

ابتعد عنها بعدما أجبر ذاته على الإبتعاد، ثم سحب لها
المقعد الأبيض لتجلس هي عليه أثناء تنفسها العنيف، وهو
الآخر جلس أمامها مُستندًا بذراعه على الطاولة، قائلاً
بإبتسامة خلابية:

كل سنة وأنتِ طيبة يا "هولا".

إن قالت أنها تود البُكاء لن تكذب، ولولا كتمانها الذي يمنعها
كن ذلك؛ لكانت انفجرت باكية، فذلك اليوم هو من أفضل
الأيام التي مرت عليها منذ 13 عام، ظلت طيلة حياتها
تُعاني، وهو ببضعة كلمات ضمد جروح فؤادها، بل وأدخل
مشاعر جديدة به، رفعت أنظارها له تُطالعه بنظرات مُلتمة،
وبعدها خرج صوتها المُتحشرج:

أنا.. أنا مش عارفة أقولك إيه يا "قاسم"، أنت بتحاول
تعمل أكثر حاجة تسعدني، وأنا والله ما عارفة أردلك اللي
أنت بتعمله دا إزاي.

وها هي أول الخطوط تُرمى في ملعبه، وبهدوء مد يده
ليُمسك بكفها الصغير قائلاً:

_أنا مش عايز منك أي حاجة يا "أهلة"، كل اللي أنا عايزه إنك تتعالجي وترجعي تمارسي حياتك طبيعية من تاني.

ظن أنها ستتور كما حدث المرة الماضية، لكنها أجابته بضعف ولأول مرة تُظهره أمامه:

_مش عايزة.. مش عايزة أتعالج دلوقتي.. علاجي صعب ولو بدأتاه قبل ما أخلص انتقامي هتلهي فيه ومش هركز في حاجة.. أنا أكثر واحدة عايزة أتعالج بس مش وقته.

شدد من ضغطه حول يدها وهو ينصحها قائلاً:

_لو فضلنا ساجنين نفسنا في دايرة الماضي ممكن نموت بقهرتنا.

تشكل القهر داخل عيناها وهي تُجيبه بسخرية:

_وأنا مموتش!! دا أنا بموت في اليوم 100 مرة وأنا مش عارفة أمارس أبسط حقوقي، مش عارفة أحضن أخواتي عشان بتعرف منهم ومن لمستهم، مش عارفة أحضن أمي وأنام في حضنها، حتى مش بعرف أعيط على حياتي المتدمرة، أنا فعلاً اتسجنت بس مش في دايرة الماضي، أنا اتسجنت في قوقعة مش هعرف أخرج منها أبدًا، أنا كل يوم

حارة القناص

وكل ساعة وكل ثانية بعاني ومحدث حاسس بيا، بس
بتحمل وبقول لازم أكمل.

أنهت حديثها وهي تضغط على جفنيها بقوة، تُحاول أن تبعد
تلك المشاهد التي تتراقص أمامها الآن عن عيناها، لاحظ
"قاسم" إنفعالاتها العنيفة، فوقف وسحبها له ضاممًا إياها
لصدره بقوة، أخفض شفتيه لأذنها هامسًا لها بخفوت:

_ هعمل كل حاجة عشان أخفف جرحك، حتى لو الألم هينتقل
لجسمي أنا.

بينما هي كانت في عالم آخر، سحابة سوداء مُعبقة بالمآسي
والآلام، وأصوات مُتداخلة يتكرر صداها داخل أذنها، وبدون
وعي كانت تُشدد من إمساكها بقميصه من الخلف، تُقربه
منها وكأنها تستنجد به لإنقاذها من غمامتها.

_ "متخافيش مني وتعالى معايا هجيبك شيكولاتة.

_ "تعالى نطلع فوق أوريك حاجة حلوة".

_"مالك خايفة مني ليه مش أنت بتحبيني زي ما أنا
بحبك؟!!"

_"هاتي بوسة واحدة لعمو وبعدين هسيبك تمشي"

والكثير والكثير من المشاهد التي ركضت داخل ذهنها وهي كانت تهز رأسها بعنف أثناء إحتضانها له، تعجب "قاسم" في البداية من مبادلتها العناق لكنه لم يُعقب، لكن حينما شددت أكثر من إحاطتها له بطريقة مُخيفة؛ تسأل القلق لفؤاده، حاول إبعادها عنه لكنها لم تكن تستجيب، مما زاد من جرعة الهلع داخل فؤاده، أبعدها رغماً عنها ثم ضرب على وجهها بضربات خفيفة وهو يُناديها بإسمها، كان جسدها يرتعش بطريقة مُرعبة، وأظافرها تُغرز بقوة داخل لحم كفها.

ومن بين ذكرياتها استمعت لصوته يُنادي عليها بخفوت، لتُحاول التشبث بمصدر الصوت وتسير خلفه علّها تنجو، وبالفعل بعد محاولات عديدة استفاقت وهي تشهق بعنف، تلاه تقيؤها القوي على الأرض الرملية الكثيفة، لقد عاد لها وسواسها القهري وبقوة مع تذكرها لماضيها، كان هو يقف جانبها ينحني بجسده قليلاً لرؤية وجهها، وهي كانت تُحاول إبعاده حتى لا يراها بهذا المظهر المُثير للإشمزاز، لكنه لم

يُفكر في الإبتعاد ولو لثانية واحدة، حتى إنه كان يجذب أطراف فستانها حتى لا يتلوث، وباليَد الأخرى يُربت على ظهرها بربتات خفيفة لتهدأتها.

وأخيراً انتهت وهي تتنفس بعنف، وبخفة جذبها بعيداً قليلاً عن مصدر تقيؤها، سارت بضعة خطوات ولم تتحمل قدمها حملها أكثر، لترتمي على الرمال بانهاك وهو أسندها جالساً بجانبها، شعرت بالدوار يعصف برأسها، وظهر هذا واضحاً على حركة عينها العنيفة، لذلك سحب رأسها لأحضانها لتستند عليه، وأخرج منديلاً من جيب بنطاله لينظف به فمها، وهي كانت مُستسلمة تماماً، اليوم شهد على مُعاناتها التي تُخفيها خلف قناع قوتها الواهية، رمى المنديل بعيداً وبعدها مسد على جانب وجهها بيده، ومن الحين للآخر كان يُقبّل جبينها عندما يشعر بأنها على وشك الإنفعال مجدداً.

استمع لهمسة خافتة منها وهي تقول بشروود:

__أنا أسفة.

شدد من تقريبها له هامساً لها:

__فداك.. فداك أي حاجة بس أنتِ تكوني كويسة.

حارة القناص

ابتلعت ريقها بصعوبة مُغمصة عينها بإرهاق، وبعد عشر دقائق أخرى من الصمت والسكون تسائل:

__بقيتي أحسن؟!!

ابتعدت عنه ناظرة لها، ثم أومأت له مُبتسمة:

__آه الحمد لله.

تحدث بسعادة بعد أن غمز لها بمشاكسة:

__حيث كدا بقي نكمل سـهـرتنا وناكل تورنتنا وتبقى ليلة متتنسـيش العمر كله.

اتسعت ابتسامتها أكثر، فوقف هو أولاً وأسندها لتقف معه، ثم اتجه معها ناحية الطاولة مرة أخرى، وتلك المرة بعد أن حلَّ الليل ولم يتبقى سوى إضاءة الأنوار التي قام بتجهيزها فقط لأجلها!

__أهو أنت اللي جرو وستين جرو.

هتفت بها "مهرائيل" التي كانت تقف خلف "فور" عندما
لكمه "آلبرت" بعنف على وجهه، لطم "فور" على وجهه
وهو يُحاول إبعادها عنه:

_ اللعنة عليكِ سيقتلني إن لم تبتعدي عني.

تشبثت "مهرائيل" أكثر في ثيابه من الخلف، وهي تصرخ
به:

_ أومال عايزه يقتلني أنا؟! على الأقل أنت أخوه ومش
هيعملك حاجة.

وما إن انتهت من حديثها؛ حتى صرخ كليهما عندما مرت
الرصاصات من جانبهما مباشرةً، مما أدى إلى صراخ "فور"
بها أكثر:

_ مَنْ اللعين الذي قال لكِ هذا؟! فلتبتعدي عني أيتها الجرو.

دفعته "مهرائيل" عنها بعنف، مما أدى إلى وقوعه بين
أحضان "آلبرت" الذي نظر إليه بغل، ابتسم "فور" ببلاهة
وهو يسأله بغباء:

_ كيف حالك يا أخي!؟!

أمسكه "ألبرت" من تلايبيه يهزه بعنف وهو يصرخ به:
_أقسم أن أجعلك تبكي دمًا على فعلته "فور" فلتنتظر قليلًا
فقط.

قالها ثم ذهب خلف تلك الحمقاء التي أثارت عصبيته
بأحاديثها المُتسببة بإنفعاله، أقسم بأن يُريها تلك الحمقاء.

وقريبًا منهم.. كان "رائد" يضع الوسادة فوق وجه "ملك"
حتى كاد أن يخنقها بالفعل، دفعته بقدمها عنه بقوة آلامته،
ثم استندت بركبتيها بجانب جسده المُتمدد على الرمال جاذبة
لخصلاته بحقد، مما جعل صراخه يعلو في الأرجاء.

وعلى بُعدٍ قريبٍ منهم.. تقف "يمنى" التي تُوبخ "يحيى"
على أفعاله الحمقاء التي كادت أن تقتلها.

وبجانبيهم "جون" الذي يُحاول مُصالحة "لوسيندا" بعدما
رمت "سهيلة" بعض الكلمات عن ماضي "جون" قبل
معرفتها، حينها ثارت ثورتها وأعلنت الحرب عليه وعلى
خيانته، وكالعادة تسالت "سهيلة" من بينهم بريية بعدما
ظنت بأنها قالت ما لا يُحمد عُقباها!

وبعيدًا قليلًا، كان "صهيب" جالسًا على الرمال وبجانبه
"حبيبة" التي تتكوم داخل أحضانها كما اعتادت الفترة
الأخيرة، تسائل "صهيب" مرة أخرى بالحاح:
برضه مش عايزة تقولي كنت معيطة ليه؟!

بررت له وهي تتحدث بخفوت:
والله كان سوء تفاهم مش أكثر.

رد عليها بعناد:

وأنا عايز أعرف سوء التفاهم دا يا بسكوتة.

تتهدت بإنهاك ويأس من عناده، ثم بدأت بقص كل ما حدث
معها وسبب بكاؤها حين جلوسها مع الفتيات، بينما هو كان
يستمع بإنصات وإهتمام حتى انتهت تمامًا، انتظرت حديثه
أو حتى تعقيبته على حديثها لكنه لم يفعل، حتى لم يهز رأسه
ولو لثانية واحدة!!

دسّها أكثر داخل أحضانها وكأنه يحميها من برودة الجو،
وبعدها سألها بهدوء:

وَأنتِ حسيّتي بآيه مع البنات؟!!

مطت شفّتيها قليلاً بتفكير، وبعد ثوانٍ معدودة أجابته بهدوء:
_بصراحة هما لُطاف وأنا حبيبتهم، بس أخاف أقرب منهم
يخذلونني زي ما بيحصل معايا دايمًا.

قَبْل "صهيب" خصلاتها الملساء قائلاً بعاطفة جياشة:
_حتى لو الكل استغنى عنك وبعدوا، أنا لا يمكن أعمل كدا،
خليك متأكدة إنك روعي يا "حبيبة"، ومحدثش بيقدر يعيش
من غير روجه.

رفعت "حبيبة" أنظارها له تُطالعه بإمتنان، وكعادتها لم تجد
ما تقوله سوى أنها دفنت في وجهها في عنقه تتمسح به
كالهرة التي وجدت مأواها، ابتسم "صهيب" على حركتها
العفوية وشدّد من إحاطتها أثناء إغماضه لعينه بأمان في
حضرتها، وكل ما يجول بخاطره الآن أنه لم يتبقى سوى
بضعة أيام قليلة ليبدأ في رحلة علاجها عند وصولهم
لروسيا.

_يا "يمنى" استني يا "يمنى"! يابت متبقيش قماصة كدا؟

لم تُجيبه بل أكملت سيرها بعيدًا عنه بغضب، هرول حتى قطع عليها الطريق مما جعلها تصرخ في وجهه بنفاذ صبر:
_يا "يحيى" ابعد عني ومتعصبينيش أكثر من كدا.

كاد أن يُبرر لها بأنها كان يمزح؛ لكنها قاطعت حديثه قائلة
بغضب ممزوج بالقسوة:

_بلاش الحركات دي عشان تجذب انتباهي، أنا مش ليك
وعمري ما فكرت فيك بالطريقة اللي أنت عايزني أكون
معاك بيها.

تصنم محله ناظرًا لها بدهشة وعدم تصديق، فأكملت هي
بقسوة أشد:

_طول الوقت بتفضل تعمل تصرفات زي العيال الصغيرة ودا
مش بيخليني غير إني أتقفل منك أكثر، أنا مش بحبك ومش
هحبك، مش شايقة نفسي معاك، متحاولش تجبرني أحس
تجاهك بمشاعر أنا مش عايزاها.

قالت كل حديثها دفعةً واحدة قبل أن تصمت وهي تتنفس
بعنف، لقد قالت كل ما خطر على بالها دون أن تعي ما فعلته

به، لقد حطمت فؤادته إلى فُتاتٍ صغيرة، داست على قلبه بكل جحود ولم تُعطي له ولا لمشاعره أي إهتمام، ابتلع ريقه بصعوبة شعر به وكأنه يبتلع جمرات من قسوتها، حاول تمالك أعصابه المُنتهكة وأجابها بإبتسامة مهزوزة:

_ للدرجادي شايفاني بالبشاعة دي!! وبعدين مين قالك إني بعمل كدا عشان ألفت إنتباهك؟! أنا كنت شايفك صديقة عزيزة عليا مش أكثر، ودلوقتي اعتبري نفسك بالنسبالي ولا حاجة، عن إذتك.

والتفت تاركًا روحه تتعلق بفؤادها، تصرخ به بالأ يتركها، يكفيه بأني تُنادي اسمه لتعتذر عما قالتة دون قصد، حينها سيعود ويسحقها بين أحضانه، هو يعشقها وليس بإرادته، لكنها حطمت كل أحلامه فوق رأسه بكلماتها السامة تلك، وكأنه حقًا كان دُمية يتعلق بها!! حسنًا "يحيى" .. أنت وحيد وستظل وحيدًا للأبد، حتى الفتاة التي أحببتها قد رفضتك للتو!.

طالعت "يمنى" أثره بنظرات جامدة، ثوانٍ وهببت دموعها بعنف كما لم تهبط من قبل، تريد الهرولة له والإرتماء بين أحضانه، لا تعلم كيف تسلل حبه لقلبها دون أن تشعر، كل ما تعلمه بأنها وقعت في فخه، قلبها الذي يصرخ بها الآن

أن تذهب خلفه، وعقلها يمنعها من ذلك لإستكمال خطتها التي بدأت بها.

هرولت خلفه عدة خطوات، لكنها توقفت فجأة، ليست مُستعدة بخسارته، هي الآن ستخطُ بيدها خطوتها القادمة والأكثر خطورة، إن علم بها شيئاً لن يتركها وهي ليست على إستعداد بخسارته.

ومع الصراع الصاخب بين قلبها وعقلها رضخت بالنهاية لقلبها، فاستكلمت ركضها خلفه حتى وصلت إليه، تصنم هو محله عندما شعر بها تحتضنه من الخلف، تُحيط بخصره وتكتم شهقاتها العنيفة بظهره، ارتعش جسده كاملاً وهو يشعر بها تبكي، أغمض عينه بألم وهبطت دمعاته التي كانت يحبسها داخل مقلته بصعوبة، حررها بعدما شعر بها جوار قلبه.

مشهداً يظهر للبعيد بأنه رومانسيًا جميلًا، لا يعلمون شيئاً عن ذلك الصخب الصامت الدائر بين فؤاديهما، استدار لها "يحيى" وبدون أي حديث أو عتاب سحبها لأحضانه، بكت وبكى معها، وكان شهقاتها العنيفة تُخبره بأسفها، وهو يدفن وجهه في عنقها يُعاتبها بصمت استشعرته في بكائه.

وهنا ضرب إنذار الخطر في عقلها، لتبتعد عنه فجأة كما لو أنها لدغت من أفعى سامة، هزت رأسها عدة مرات قائلة بخوف ومازالت تعود بظهرها للخلف:

مينفعش.. مينفعش..

كان "يحيى" يُطالعها بغرابة، كما لو أنه شعر بأن ما حدث منذ قليل لم يكن سوى حلم، وتلك المرة هرولت "يمنى" بعيداً عنه، هرولت دون حتى أن تنظر خلفها حتى لا تضعف مُجدداً، وهو تركها.. تركها ونظر لأثرها بصمت ولم يُوقفها، بل طالع ذهابها بشرود.

عاد الجميع لمنزله، حيث ودّع الفتيات شقيقاتهم ببكاء، بعدما اقتصر الزواج على عقد قرانهم فقط طلباً وإحاحاً من "أهله" على الجميع، احتضنتها "ملك" بقوة وهي تُغمض عينيها لتكتم دموعها، لكن رغماً عنها هبطت بعدما وعت بأنها ستستيقظ وشقيقتها ليست بالمنزل!

هددهتها "أهله" عدة دقائق، تحملت بكاءها داخل أحضانها، وكم ستشعر بالخواء بعيدٍ عن شقيقاتها!! هدأت "ملك"

وجاء دور "يمنى" التي احتضنتها هي الأخرى بعنف، لكنها لم تبكي، لقد اكتفت اليوم.

كان جميع الشباب قد دلفوا للداخل، و"رائد" ذهب لمنزله للإطمئنان على شقيقته ووالديه وجدته، بينما كان "يحيى" هو الواقف الوحيد بجانب "قاسم"، بعدما ودَّعهم "صهيب" بعد أن اطمئن على والدته النائمة واحتضانه لشقيقه مُودعاً إياه، كان "يحيى" يقف جامداً لا يظهر على وجهه شيء على عكس عاداته، ليقترب منه "قاسم" قليلاً يسأله بريية وصوت خفيض:

_ أنت كويس؟!

نظر له "يحيى" مُومناً بصمت، وبعد أن أنهى الفتيات فقرتهم الوداعية، صعدوا للسيارة مع "يحيى" حتى يوصلهم للمنزل، وطوال الطريق لم ينطق أيًا منهم بكلمة واحدة.

دلف "رائد" لمنزله بعدما سبقته "سهيلة" أولاً لترتاح قليلاً، فوجد الجميع يجلسون بالصالون وعلى وجههم يرتسم الخوف والقلق، قطب "رائد" جبينه بتعجب مُتسائلاً:

_ مالكم قاعدين كذا ليه؟!

هب "محروس" من مكانه متشدقاً بهلع:

_ستك طفشت وسابت البيت عشان مش موافقين على العريس.

صُدم "رائد" من حديثه وظن بأنها تمزح، لكن دمعات والدته وشقيقته أكدت له صحة حديث والده، لذلك تشدق بهدوء نسبي وهو يُسرع للخارج:

_أنا هروح هدور عليها ومش راجع غير بيها.

_استنى هاجي معاك.

أوقفه "رائد" على عجالة قائلاً:

_لأ خليك أنت يا بابا أنت تعبان.

أسرع "رائد" بخطواته للخارج، ثم انطلق مُهرولاً لسيارته ليُسرع بها على الطريق باحثاً عن جدته المُراهقة.

مرت نصف ساعة ونفس النتيجة لم يجد شيء، وبعد بحثه عنها على الطرقات لمدة ساعة أخرى، لمح شيء ما على بُعدٍ منه، ابتلع ريقه بقلق من تحقق نبوءته، ورغم ريبته إلا

أنه قام بركن السيارة على جانب الطريق ثم انطلق سيرًا إلى وجهته.

توقف "رائد" أمام هذا المبنى المليء بالألوان الكثيرة والألوان المختلفة، إنه ملهى ليلي!

همس "رائد" لذاته بريبة هامسًا بتمنى:

إن شاء الله يكون كل اللي شوفته تهيوات مش أكثر.

دلف للداخل بخُطى رتيبة مُقرِّراً مع نفسه بأنه سيبحث عن جدته وسيرحل فورًا، هو أتى هنا فقط عندما لمح ظلها بمظهر غريب، من المؤكد بأنها ليست هي، هي...

قطع تفكيره وهو يشهق بعنف ضاربًا على صدره بصدمة، وذلك عندما وجد جدته ترقص على المسرح أمام الجميع وهي تُردد بحزن خلف المُغني:

سألت كل المجروحين... إيه اللي جرحكم كدا... قالولي طيبة قلبنا...

حارة القناص

لطم "رائد" على وجهه وهو يكاد يبكي، فهمس لذاته بعدم تصديق:

_يا سوادي على شرفك يابويا اللي اتمرغ في التراب!!!

قال جملته ثم هرول تجاهها بعدما سحب أحد المفارش التي تُغطي الطاولات، صاعدًا للمسرح مُغطيًا ذراعيها المُجعدين اللذان يظهران أسفل بدلة رقصها المُحتشمة.. قليلًا.

سحبها خلفه بدون حديث وشياطين الجن والإنس تتراقص أمام عينيه الآن، لكنه شعر بشيء يعوقه حركته، نظر خلفه فوجد مُنظم المكان يُمسك بيد "لواحظ" وهو يتسائل بتعجب:
_راحة فين يا "لولو"؟!

_ "لولو"؟!!!

رددتها "رائد" بتشنج، ولم ينتظر لثانية واحدة أخرى فسددها لكمة قوية تجاه ذلك الواقف أمامه، ثم سحب جدته خلفه للسيارة.

حارة القناص

الساعة تدق الثانية عشر ليلاً، وها هي تخطو داخل مقر عمل عائلة "مهران"، تلك العائلة التي أقسمت على تدميرها مثلما دمروها ودمروا طفولتها الجميلة مع أبيها، دلفت "يمنى" للداخل بحذر، وهدفها في الإنتقام يكبر أكثر فأكثر، حتى توقفت أمام مكتب ذلك اللعين.

سحبت نفساً عميقاً وبيبطن فتحت باب مكتبه حتى لا تصدر أي ضجيج، لكن فوهة المسدس التي وُجّهت لرأسها جعلتها تتصنم في محلها....!!

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | ✨

النهاردة إتقالتلي جملة أنا محتاجة أشوفها كل شوية.

حارة القناص

"لو هتعصي ربنا عشان تنبسطي أو تفكي أو تفرحي أو
ترضي حد فمش هتلاقي الإحساس دا.

الإحساس دا بييجي من عند ربنا، فمش هتاخديه وأنتِ
بتدوري عليه بمعصية.."

-افتكرت وقتها جملتين بحبهم جدا :

" 1- ما بُني علي باطل ف هو باطل.

" 2- وما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

«الفصل الثالث والعشرون»

«حارة القناص»

أسوأ كوابيسها

"الحبُّ في الأرواحِ يسكن دائماً، من قال أن الحب يسكنُ في
الجسدِ؟".

بين ليلةٍ وضحاها باتت أسيرة لرجالٍ كثيرةٍ أحاطت بها،
أوقعت نفسها في مأزق؟! نعم.. أغمضت عيناها برعب

عندما شعرت بفوهة السلاح تقترب من رأسها أكثر، وصوت مقيت دائماً ما كانت تشمئز عند سماعه يهتف بفحيح:

_والله زمان يا بنت "شاهين"؟! دا أنا فضلت أدور عليك كثير بس ملقتكيش، وكان الارض انشقت وبلعتك!! بس شوفي سخرية القدر؟! أنت اللي جيتلي لحد عندي.

ظنها ستخاف وتكتمش على نفسها، كان يستعد بأن يرى نظرات الدعر والهلع مُرتسمة على عينيها، لكن ما قابله هو البرود والقسوة، ضحكة ساخرة تشكلت على ثغر "يمنى"، تبعها ضحكاتها العالية التي رنت صداها في أرجاء الشركة الصامتة بسكون مُخيف، سيطرت على ذاتها قليلاً، وبقوة معهودة نبتت تدريجياً منذ الصغر أردفت بقسوة:

_جياك بمزاجي يا "صادق"، بس المرادي مش جاية لوحدي، أنا جايبة معايا إعصار هيدمرك أنت وأمثالك، ورحمة أبويا أنا اللي هخليك تبكي بدل الدموع دم، هخليك تتحسر على الأوبهة اللي أنت عايش فيها دي هشوفك وأنت بتترجاني زي الكلب ومش هشفق عليك حتى لو مُت قدامي، هتكون كلب ذليل حقير مش لاقى اللي ينقذك من الدمار اللي جايباه معايا.

احتدت عينيّ "صاّدق" بغضب شديد مُرعب، وعلى بغتة أنزل سلاحه واقترب منها مُمسكًا إياها من خصلاتها لتقوم بإرجاع رأسها للخلف تلقائيًا بألم، شعرت بشفتيه تلمس شحمة أذنها، تبعه صوته الهامس بفحيح:
_ أبوكِ كان زيك كدا بالظبط... قبل ما نقتله.

قال الأخيرة ببطئٍ تلذذ به وهو يُتابع معالم وجهها التي تتحول للحقد، ورغم الخطر المُحيط بها من كل جانب؛ تحدثت بقوة نابعة من دواخلها:
_ عارف يا "صاّدق"؟! حتى الموت مش هخليك تتهنى بيه.

ألقت بحديثها في وجهه مُحدجة إياه بشماتة، لتجد أن حديثها قد جاء بمنفعة عندما اشتدت قبضته بالضغط على خصلاتها بغل، كانت تتألم وتشعر بأن رأسها يكاد أن يُخلع من محله، لكن لذة الإنتصار تفوقت على آلامها وهي تراه بهذا المظهر المُثير للشفقة.

فتح فمه في نية للحديث، لكن قاطعهم ذلك الصوت العالي القادم من آخر الرواق، دفعها "صاّدق" لرجاله ليكتفون حركتها بينما هو استدار لمصدر الصوت، ليجد بأن رجاله

حارة القناص

مُمسكين بدخيل حاول الدخول إلى الشركة في الخفاء، فتحت
"يمنى" عيناها بصاعقة وعدم تصديق وهي تُردد اسمه:

_ "يحيى"!!؟!!!

كان "يحيى" يُقاوم الرجال بكل قوته، لكن ما إن رآها
واستمع لندائها؛ حتى ابتسم ببلاهة رافعًا كفه لتحياتها:

_ هاي يا بيبي.

_ أنت إيه اللي جابك هنا يا "يحيى"!!؟!!

تسألت "يمنى" بصدمة، ليُجيبها "يحيى" بهيام وكأنه لم
يُقسم منذ عدة سويعات قليلة على تركها:

_ قلبي يا بت هو اللي جابني هنا.

تشنّج وجه الجميع باستنكار وتلقائيًا استدار "صادق"
لـ "يمنى" مُتحدثًا لها باستنكار:

_ أنتِ جايبة معاكِ واحد أهطل عشان يحب فيك؟!!

طالعه "يمنى" حاقدة عليه، ثم حوّلت أنظارها لـ "يحيى"
مُتشدقة بغیظ:

عاجبك كدا شمتت فينا اللي يسوى واللي ميسواش؟!.

سدد لها "صادق" نظرة نارية تكاد أن تحرقها حية،
وكالعادة هي لم تُبالي، وزّع نظراته على رجاله قبل أن
يأمرهم بصرامة يشوبها الغضب:

خدوا الإثنين دول على المخزن ومش عايز شوشرة.

اعترض "يحيى" بعصبية أثناء مُحاولته للفاك من بين يديّ
الرجال:

لأ أنا محدش ياخدني على المخزن.

قطب الجميع جبينهم بتعجب ساخر، ليُكمل "يحيى" حديثه
الأبله قائلاً بغرور:

أنا اللي هروح لوحدى.

انتفض من مكانه عندما استمع لصوت صراخ "يمنى" التي
كادت أن تُشَل من برودته:

يا "يحيى" أقسم بالله هتموتني مشلولة، أنت
بتقــــــــــــــــول إيه بالله عليك؟!!! أنت عايز تجلطني! قول
متكسفش!

جعد "يحيى" جبينه بضيق من صراخها عليه بتلك الطريقة،
ثم تشدق مُعاتبًا إياها:

على فكرة أنتِ كائن مش سالك عشان كدا ربنا مش
مباركك في حياتك، يعني أنقذتك مرتين وأنتِ معنديش دم
ولا بتحسي؟! دا بدل ما تقوليلي شكرًا يا راجلي وتاج
راسي؟!

لم يتحمل "صاـدق" مشاجراتهم التي أصابته بالصداع، لذلك
صرخ بحراسه الذين يتابعون حديثهم باستمتاع:
انتوا واقفين كدا ليه؟!! بقولكم خدوهم على المخزن.

خضع الحُراس لحديث رئيسهم، فسحبوهم أثناء تكتيفهم
وأدخلوهم قِصرًا للمخزن الكبير المُجاور للشركة، والذي
يضعون به كل الأدوية، وبخبرة واضحة أبعادوا بعض
الصناديق الكرتونية المُتراسة بانتظام ثم انحنى واحدًا منهم
يفتح الباب الذي أسفلها بعد أن أبعاد عنه الغبار، دلف نصف

الخراس وكلًا من "يحيى ويمنى" خلفهم، وتبعهم النصف الآخر ليمنعوا هربهم.

أجلسوهم أرضًا بعنف مما جعل الغضب يتشكل بحدقتاهم، وبعدها أسندوا ظهورهم ببعضهما البعض وبدأوا بربطهم بالحبال الغليظة، قاوم "يحيى" في البداية لكنه خاف أن يمس "يمنى" أي سوء بسبب تهوره، لذلك صمت وسيلجأ فيما بعد للخطة البديلة.

انتهوا من ربطهم ثم ساروا للخارج صاعدين للدرجات التي تؤدي إلى الأعلى عائدين مثلما جاءوا، اغلقوا الباب بإحكام من الخارج ولم يتبقى سوا صوت تنفسهم العالي، تحركت "يمنى" في مكانها بعنف تُحاول الفكاك من أسرها لكن لم تستطيع، استمعت لصوت تأفف "يحيى" والذي لم يتحدث بأي كلمة على عكس عادته منذ أن رحل الرجال، لذلك سألته بحذر:

ـ فيه حاجة يا "يحيى"؟!!

أجابها "يحيى" بما جعلها تتصنم في مكانها من صدمتها:
ـ مش كانوا ربطونا في وش بعض أحسن؟! لازم يربطونا من ضهرنا يعني?!!

صرخ بألم عندما نكزته "يمنى" بعظمة كوعها بعنف في جانبه، وبعدها صاحت به بصراخ:

_يا قليل الأدب يا مش محترم، والله أنا كنت مخدوعة فيك وفكراك طيب وعلى نياتك، دا أنا طلعت بالنسبالك ملاك.

إلتوى ثغره بسخرية بعدما تحولت نبرته للجدية وبعض من الألم حاول مُداراته:

_آه ملاك فعلاً، أنتِ اللي زيك ميعرفش حاجة عن الوجع ولا كسر الخواطر يا ملاك يا بريء.

استشعرت "يمنى" الحزن في نبرته، لكنها لم تُعقب، بل شردت بحديثه وهي تبتسم بألم وسخرية من القدر، هي بالفعل لم ترى الألم، هي رأت والدها يُقتل أمام عيناها فقط ليس إلا، وتلقائياً تسَلَّت الدمعات إلى عيناها، وبدأ الألم يتشكل على محياها، هي مُتألّمة، مشاعرها قد استنزفت قديماً ولا تستطيع المُخاطرة به، "يحيى" بالنسبة لها هو الجزء اللطيف في يومها، إن أقحمته في حياتها سيكون بخطرٍ ومن المؤكد بأنها ستخسره في رحلة انتقامها، وهذا أبعد ما يكون عن تفكيرها.

حارة القناص

أسندت رأسها على ظهره وأغمضت عيناها بإنهاك، شعر بها جواره، اطمئن قلبه بوجودها لكنه لا يستطيع نسيان ما قالت، حسناً "يحيى" لا تكن غيباً، فلولا حديثها الغريب وتصرفاتها المتناقضة لما راقبتها طيلة الليل شكاً وخوفاً من تهورها، فمنذ احتضانها له على الشاطيء وهو شعر بشيء غريب بها، وكأنها تُودعه أو ما شابه، لذلك قرر المكوث داخل سيارته أمام منزلها، وبعد مرور أكثر من ساعتين وجدها تهبط من المنزل وهي تتلفت حولها تتأكد من عدم متابعة أحدهم لها، ولحسن حظها قد رآها هو وتبعها لهذا.

أرجع رأسه للخلف مُستنداً على رأسها أثناء همسه بجُملة واحدة مُتألّمة وصلت لمسامعها:
_ربنا يسامحك على وجع القلب دا.

_ورقة وقلم يا ست الكل وسجلي طريقة عمل البيض بالسطرمة على طريقة الشيف "قاسم طاحون".

قهقهت "أهله" عالياً على طريقة تحدثه، فقد بدأوا منذ عدة دقائق بعمل طعامٍ لهما بعدما بدّلا ثيابهما لأخرى مُريحة،

حارة القناص

ارجعت خُصلاتها المُناسبة خلف أذنها ووقفت جانبه تُراقب
طهيه للطعام، استنشقت الرائحة بتلذذ قبل أن تقول بإعجاب:
_واو ريحة الأكل تُحفة.

رفع رأسه عن الطعام ثم غمز لها قائلاً:
_ولسه لما تدوقي طعمه، حكاية.

اتسعت ابتسامتها تدريجياً، فاستغلت هي الوقت وهي تسأله
باهتمام:

_هو أنت بتعرف تطبخ؟!!

أوما لها بالإيجاب وهو يُقلب البيض واضعاً عليه قطع من
البسطرمة بعد أن قطعها بعناية، وبعد تشدق مؤكداً:

_بعرف أعمل أي حاجة تتخليها، بيض بالبسطرمة تلاقي،
مكرونه بشاميل تلاقي، رقاق باللحمة تلاقي، محشي ورق
عنب وبتتجان شغال، بقولك يا بنتي اللي معاك دا شيف
وأنت مش مصدقاني.

فتحت عيناها بإنبهار وهي تسأله بحماس:

_إيه دا بتعرف تعمل محشي ورق عنب؟!!

أوما لها مُوكداً حديثها، تبعها بضحكات خفيفة صعدت من فمه جِراء دهشتها التي أثارت ضحكاته، انتهى من طهي الطعام ثم نقله لصحنٍ آخر بارد، وبعدها جلب خبز ووضعهم على الطاولة التي تتوسط المطبخ، جلس كلاهما على المقاعد، فتناول "قاسم" رغيفاً من الخبز ثم قدمه لها قائلاً:
_ خُدي دوقي بقي وقوليلي رأيك.

نظرت للخبز الذي بين يده بتردد واضح، وبجرج تشدقت قائلة:

_ بَص متزعش مني، بس أنا مش بحب آخذ أكل من إيد حد.

وبنفس الإبتسامة الهادئة سحب يده بالخبز مُجدداً وكان شيئاً لم يكن، هو يُقدّر ويحترم مرضها كثيراً ويعلم عواقبه وأعراضه أيضاً، لذلك أردف بهدوء:
_ ولا يهملك، خُدي أنتِ بإيدك وقوليلي رأيك.

بادلته ابتسامته بأخرى مُمتنة، هي لا تستطيع صنْع طعامها بذاتها، لذلك كانت والدتها من تصنع الطعام للجميع، وبالطبع كانت تُجبرها بإرتداء قُفازٍ في يدها عند صنْعها للطعام

وجودها بالمنزل، أما أثناء عدم تواجدها فهي تفعل ما تشاء دون الحاجة للقفزات، طالما هي لم تراها تطهيه أمامها، مثلما فعل "قاسم" منذ قليل! عندما أخبرته بأن يرتدي قفازًا من البلاستيك ويبدأ بطهي الطعام، ورغم تعجبه رضخ لطلبها بالأخير.

بدأت بتذوق الطعام وهو يُطالعها بترقب مُنتظرًا رأيها، أغمضت عيناها بتلذذ من مذاقه، خاصةً بأنه يضع عليه الكثير من الكاتشب والمايونيز كما تُحبه تمامًا! ابتلعت ما بقمها ثم تشدقت بحماس:
_طعمه جامد وتحفة أوي بجد.

تنفس الصعداء وكأن أنفاسه كانت مُتوقفة على رأيها، تشكلت ابتسامة واسعة على ثغره ثم أردف بغرور وهو يُعدّل من وضعية ثيابه:
_دي أقل حاجة عندي على فكرة.

وبعث اكتسبته منه مؤخرًا، غمزت له بمشاكسة قائلة:
_كفاءة.

حارة القناص

انطلقت ضحكاته تملو في الأرجاء وهي شاركته في الضحكات، لكن ورغم ذلك أردف بضجر بعد أن توقف والتقط أنفاسه الهاربة:

_ هو شكرًا ليكَ وكل حاجة.. بس متقوليش الكلمة دي تاني عشان بتاعتي.

قهقهت بخفة وهي تَلوك قطعة من الطعام داخل فمها، ثم أجابته بتريث:

_ هفكر بس موعدكش.

طالعها بحنق لسرقتها للقبه العزيز، وبعدها استمع لها وهي تُعاتبه بضيق:

_ وبعدين أنت مبقتش تقولها ليا ليه؟!!

تحولت نظراته للخبث وهو يتسائل:

_ وهو أنتِ بتحبيني أقولها لك؟!!

أجابته بصراحة:

_ آه جدًا، بحس بجرعة إنيرجي غريبة كدا.

_ خلاص هقولهاك على طول يا.. يا كفاءة.

قال جُمَلته مُنهيًا إياه بغمزة من عيناه العابثة، لتتسع هي ابتسامتها بسعادة غير معلومة! وكان بحدِيثها معه تنسى هويتها الحقيقية مع ماضيها، وتُصبح هي "أهْلَة" الطفلة الناضجة التي لا يعوقها أرق ولا ألم.

ظلا يتسامران لبعض الوقت في مواضيع عِدَة، وأخيرًا انتهى من طعامهم بعد فترة قصيرة، حملت "أهْلَة" الأطباق ووضعها بالحوض، وساعدها "قاسم" في حمل البقية كذلك، غسل يده بعناية، كذلك هي دلفت للمرحاض وغابت به لفترة حتى تسنح لها الفرصة لغسل يديها بقوة، ثم خرجت له وهي تُجفف كفيها بالمناديل الورقية الجافة، توقفت فجأة وهي تستمع لصوته المُتسائل بهدوء:

_ متوضية؟!!

طالعه بتعجب وبعدها أجابته بتردد:

_ لأ.. ليه؟!!

خرجت ضحكة طفيفة من فمه وهو يُجيبها مُمازحًا:

_عشان لما نموت؛ نموت على وضوء.. أكيد عشان نصلي يا "أهلة" يعني.

حممت بخفوت وهي تُرجع خصلاتها للخلف كحركة تلقائية عند توترها، ثم أجابته بخفوت:

_أصل.. أصل يعني بقالي كتير بقطّع في الصلاة ومش منتظمة.

_ليه؟!!

سألها بتعجب، لتتظر له بإستنكار وكأنها تقول له "حقاً؟!!" فهم نظراتها فتهد بعمق قبل أن يتجه نحوها، ثم أمسك بكفها ساحباً إياها نحو غرفة المعيشة (الصالون)، ليجلس هو ثم أجلسها بجانبه ومازال يُحافظ على كفها يُحيطه بيده، ضغط عليه بخفة قبل أن يبدأ حديثه قائلاً بإبتسامة طفيفة:

_ماما ربنا يشفيها دائماً كانت تقولي مهما عملت من ذنوب وكبائر؛ سيب بينك وبين ربنا باب مفتوح عشان تعرف ترجع ليه من تاني، وأنا على قد ما أقدر حاولت أحافظ على الباب دا، ومن حظي اخترت أهم باب وهو باب الصلاة، أنا إنسان، يعني طبيعي هغلط وهعمل ذنوب وهتوب، وعارف

إني بعمل ذنوب كبيرة، هل دا معناه إني أنسى صلاتي وأنسى حق ربنا عليا؟! دا الفرق بين المسلم والكافر هي الصلاة يعني مينفعش أسيبها بأي شكل من الأشكال، حتى لو كنت إنسان سيء وبعمل كل حاجة وحشة في الدنيا، بحاول وبجاهد نفسي وبعاقر شيطاني إني أرجع لربنا من تاني.

_ مهما كانت ذنوبي؟!!

_ مهما كانت ذنوبك وخطاياك، مهما كانت درجة جهادك ومُعاقرتك، مهما كانت قوتك وضعفك، اقفي قدام ربنا وصلي وادعيه إنك تبطلي الذنب اللي أنتِ كارهاه، وصدقيني ربنا مش هيرد إيدك فاضية، ربنا بيقول في كتابه العزيز «ادعوني أستجب لكم»، قوليله يارب أنا مش عارفة أبطل الذنب الفلاني كرهني فيه، ومع إلحاحك وثقتك في إستجابة ربنا لدعائك؛ هتلاقي إن أمنيتهك تلقائيًا بتتحقق، المهم متسيبش صلاتك، مهما كانت ذنوبك كثيرة وكبيرة.

عضت "أهله" على شفيتها تُفكر في كل كلمة في حديثه، هي بالفعل ابتعدت كثيرًا عن خالقها، حتى أنها لم تُصلي أو تركع ركعة واحدة منذ أمدٍ بعيد، وتحديدًا بعد قتلها لـ"رفعت الأرماني"، حينها وسوسها شيطانها وانقبض قلبها عندما توصلت إلى فكرة أن صلاتها لن تُقبل منها مهما فعلت، لذلك

لجأت إلى أبسط الحلول وتوقفت عن أداء فريضتها، تسلمت
القشعريرة لجسدها، كما أنها أحست بأن أنفاسها على وشك
الإنقطاع، وحديث "قاسم" يتردد في أذنها دون إنقطاع.

كان "قاسم" يُراقب إنفعالاتها، وبسبب عدم مقدرتها على
البكاء فردات فعلها تظهر واضحة على جسدها، أغمضت
"أهله" عينها بخوف، خوف من حديثه وضالتها هي! لقد
وقعت في فخ ذنبها، والآن جاء "قاسم" لتتوير بصيرتها،
شعرت بكفه يمر ببطئ صعوداً وهبوطاً على جانب وجهها،
تلاه همسه الخافت بحنان:

_مش بقولك كدا عشان تخافي، أنا كلامي ليك عشان تتعطي
وتفوقي، فوقي يا "أهله" قبل فوات الأوان، الدنيا دي مش
دايمة لينا، احنا كلنا هنا ضيوف وهنمشي تاني، مش
عايزين نمشي قبل ما نتوب ونندم في الآخرة.

فتحت عيناها وحولت أنظارها إليه قائلة بتيهة:

_أنا.. أنا خايفة.

لم يتردد لحظة واحدة في جذبها لأحضانه، وهي انصاعت
خلف شعورها بالراحة، حيث يستوطن رأسها أحضانه

حارة القناص

وتشعر بدفئ جسده يُحيطها، وللعجب هي لم تشمئز منه
مثلما كانت تفعل من قبل؟! وكأنه بحديثه الهاديء يُربت
على قلبها بحنان! حنانٌ يُنسيها مَنْ هي أو ماذا كانت، هو
مُختلف، وهي تُحب إختلافه.

مسد على خصلاتها بحنان، ثم أخرج من فمه بضعة كلماتٍ
كانت كالبلم على جروحها:

_أنا مش عايزك تحسي إنك تايهة، أنا يمكن أكون مش
إنسان مثالي بس هحاول أخليك أحسن مني، أنت تستاهلي
تكوني بخير، تستاهلي تكوني أحسن من كدا وتعيشي حياتك
طبيعية، وأنا هساعدك في دا، عايز بس ثقتك فيا ومش عايز
حاجة تاني غيرها.

خرجت من أحضانه ناظرة له بتوتر، ثم تشدقت بتوتر:
_أنا واثقة فيك.

اتسعت ابتسامته بسعادة، وازدادت أكثر عندما لاحظ إحمرار
بشرتها بخجل واضح، ليُمسك هو خديها قارصاً إياهم بمرح:
_ياختي سُكر بتتكسفي؟!!

حارة القناص

نفضت يده بضيق زائف ظهر على وجهها، ثم هبت من مكانها متشدقة بكلمات جعلت السعادة تغزو قلب كليهما ثم فرت من أمامه هاربة مُتجهة للمرحاض:

_إيه التصرفات دي أنت شايفني طفلة قدامك؟! وسّع بقى عشان هروح أتوضى.

راقب أثرها بإبتسامة طفيفة، قبل أن يهمس لذاته بدون وعي:

_طفلة غبية بس لطيفة.

_ادخلي يا طاهرة.. ادخلي يا ربة الصون والعفاف.. ادخلي يا شريفة.

تلك الكلمات صعدت من فم "رائد" الذي كان يصرخ وهو يضرب على وجنته بضربات خفيفة أثر عدم تصديقه مما حدث منذ قليل، اقترب منه "لواحظ" عدة خطوات؛ ثم ضربته على وجنته بكف يدها المُجدد وهي تصرخ به:

_صوتك ميعلاش عليا يا قليل الأدب.

أغلق "رائد" باب المنزل بقوة حتى لا يستمع الجيران
لوصلة الرده التي سيبدأها للتو:

_بتضربيني يا "لواظ"؟! بتضربيني يا ستي؟! إيش حال
ما كنت جايك من الكباريه!!!

استمع كلاهما لصوت مُنصدم يأتي من جانبهم وهو يُردد
كلمته الأخيرة:

_كباريه؟!!!

هرول "رائد" لوالده واضعاً يده فوق كفه قائلاً بنواح:

_تعالى شوف أمك يابويا.. هتجيبنا العار وهي خلاص
رجليها والقبر.. لقيتها بترقص في الكباريه يابا.. يا شرفك
اللي ضاع يا "رائد".. ستك هتقفل ملف جوازك يا "رائد"..
هقول للناس إيه بعد كذا؟!!! هقولهم ستي رقاصة؟!!!

صمت قليلاً يستجمع شتات نفسه، ثم نظر جانبه ليجد والدته
وشقيقته يُطالعهانه بإستتكار لما يفعل، لم يُعير لِنظراتهما أي
إهتمام، بل أكمل سخطه على أفعال جدته:

_طيب مش مهم أنا.. طب والبت الغلبانة دي؟! لما حد يجي
يتقدم لها ويسأل عن أصلها وفصلها!! هيلاقوا ستها

حارة القناص

رقاصة!! أختي هتبور يا ناس!! أختي أنا هتبقى عانس!!
يختاي يختي يختي يختي... آاااه.

قطع حديثه أثناء وضعه ليدته على رقبتة بألم، استدار للخلف
ليجد والده يصرخ به بنفاذ صبر و غضب:
_ يخربيت اللي جابك اترزع بقى قرفتني.

أنهى صراخه على ابنه العاق كما يقول، ثم استدار لوالدته
سائلاً إياها بدهشة وعدم تصديق:
_ الكلام اللي حيوان دا بيقله ياما صحيح!؟

تشنج وجه رائد بإستتكار لسببه دون أن يفعل شيء، فتح
فمه للتحدث ثم صاح به بولولة:

_ يابا بقولك جايبها من على المسرح، كانت بترقص على
أغنية سألت كل المجروحين، دي حتى مش بتستنصف في
الأغاني، حسبي الله ونعم الوكيل فيكوا، وقففتوا حالي
ووقففتوا زهرة شبابي.

لم يستطيع "محروس" التحمل، فصاح به بصراخ وهو
يدفعه مُجسماً إياه على الأريكة بعنف:

حارة القناص

_يا أخي ربنا يوقف نموك يا بعيد إخرس بقى.

ولثاني مرة يستدير "محروس" لوالدته التي تُطالع الجميع
بإستتكار وكأنها المجني عليها وليست الجانية، ثم سألها
بنفاد صبر:

_ياما الله يكرمك رُدي عليا.. بقى دي تصرفات...

قاطعه "رائد" مرة أخرى والذي وقف مُقترِبًا منهم وهو
يُصيح بهم:
_يابا بقولك....

أمسكه "محروس" من ياقة ثيابه يهزه بعنف وقد أعمى
الغضب عيناه:

_عليا الطلاق يا ابن الـ*** لو ما خرس خالص ما أنت
بايت فيها الليلة دي يا تربية نتنة.

عاد "رائد" للخلف مُحدجًا الجميع بنظرات حانقة، ثم ربّع
ذراعيه مُقررًا مُراقبة الواع بصمت وبكل هدوء وإحترام.

حارة القناص

استدار "محروس" لوالدته للمرة التي لا يعلم عددها، ثم
تحدث بعصبية مُفرطة:

_ ما تتكلمي ياما ساكتة ليه؟!!

صاحت به "لواحظ" بغضب مُماثل له وبصوتٍ عالٍ يظهر
به السخط واضحا:

_ اتكلم معايا عدل يا تربية ديرتي!!!

تشنّج وجه الجميع باستنكار، لتتسائل "سهيلة" بصدمة:

_ ديرتي!! اتعلمتيها منين دي يا ستي؟!!

أجابتها "لواحظ" وهي تلف خُصلة من شعرها حول
إصبعها:

_ من واحدة صحبتي في الكباريه.

لطم "محروس" على صدره وهو يُردد خلفه بعدم تصديق:

_ صحبتك وكباريه!!!

حارة القناص

وقف أمامه "رائد" واضعاً يد فوق رأسه، وباليد الأخرى يضرب على يده المُستقرة فوق رأسه، تزامناً مع هبوطه وصعوده بحركات باتت بهلوانية إلى حدٍ كبير، وكأنه قرداً حصل للتو على ثمرة الموز خاصته!

كتمت "سهيلة" ضحكتها بكف يدها بصعوبة، فـ"رائد" كان مظهره مُضحكاً للغاية، وكل ذلك كان يفعله بصمت ودون التحدث حتى لا يتسبب في طلاق والدتهم، بينما "لواحظ" صاحت بـ"محروس" مُستنكرة:

ـ آه صحبتي، واعمل حسابك أنا مش هتجوز عشان طالبين شغل في الكباريه لآنسات غير متزوجات، وأنا قدمت واتقبلت.

اقترب منها "محروس" قائلاً بلهفة يرجوها:

ـ ياما أنت زعلتي مني ولا إيه؟! دا أنا كنت بدور عليك عشان أقولك إني موافق على الحاج عبدالقادر الفكاني، اتجوزي أبوس إيدك.

نفضت "لواحظ" يده عن خاصتها ثم صاحت به مُستنكرة:

ـ أتجوز دا إيه؟! أنت عايزني أضيع مُستقبلي الفني.

هز "رائد" كتفيه بدلال كحركة تدل على الرقص، ورفع كل يد على حدة يضرب إبهامه بسبابته (صاجات)، وكل هذا كان صامتًا أيضًا، وكأنه يقوم بشرح الحديث لأناس لا يفقهون ما يدور حولهم، طالعه والده بغضب جامح، ليحمم هو ويعود لحالة الهدوء مرة أخرى.

اقترب "محروس" أكثر من والدته يُحاول إرجاعها عن قرارها:

_ ياما أنتِ بتقولي إيه بس؟! عايزة تشتغلي رقاصة على آخر الزمن؟! عايزة الناس تاكل وشنا؟!!

أجابته "لواحظ" ببرود وهي تتفخ في طلاء أظافرها الغير موجود من الأساس بتكبر زائف:

_ أنا قولت كلامي ومش هكرره تاني يا "مُسعد"، تشاوا يا بيبى.

أردفت بحديثها ثم تركتهم ينظرون لأثرها ببلاهة وعدم فهم، وضع "محروس" يده على قلبه مُرددًا حديثها بألم:

_ "مُسعد"؟! وتشاوا؟! وبيبى؟! آاه قلبي.

هرعت إليه "جيهان" بهلع تسنده قبل الوقوع، لتسأله فزعاً
من حالته:

_يالهوي الراجل بيפטس مني، مالك يا "محروس"؟

أجابها "محروس" بصوتٍ واهن:

_أمي عايزة تشتغل رقاصة يا "جيهان"، يا جواز يا رقص
يا "جيهان".

ربتت "جيهان" على كتفه مُرددة بمواساة:

_متخافش ياخويا.. تلاقىها بتقول أي كلام زي عاداتها
وهتسأه مسافة ما تنام وتصحى.

_خُديني على جوا بعيد عن العاق ابن الـ*** اللي شايفني
بموت قدامه وهو قاعد يطفح ولا همه.

حُشِر الطعام بقم "رائد" وهو ينظر لـ"محروس" بوجه
مُملتيء أثر الطعام المحشور داخل فمه، طالعه "محروس"
باشمئزاز ثم دلف للداخل مع "جيهان" الذي طالعت ابنها
بقرف لإحزانه لزوجها، وما إن دلفا للداخل وأغلقا الباب
خلفهما؛ حتى أطلقت "سهيلة" لضحكاتها العنان تنطلق في
الأرجاء.

اقتربت من السفرة التي يجلس عليها أخيها، ثم جلست على
النقعد الذي أمامه تتحدث بحالمية:

_ تخيل يا "رائد" إن ستك تشتغل رقاصة فعلاً!

توقف "رائد" عن تناول الطعام وابتسامة بلهاء تتشكل على
تُغره، وبعدها تحدث قائلاً:

_ ياه.. وأنت تبقي الفتّاحة وأنا الطّبّال وهنكسب ذهب.

صفت "سهيلة" بيدها بحماس، ثم اردفت بعين تلتمع
بالشغف:

_ خلاص.. من بكر الصُبح نقتع بابا أنا وأنت.

عادةً ما يحتاج المرء إلى السكون، الراحة، والإطمئنان، إن
امتلك ثلاثتهم فكأنما امتلك الدنيا وما فيها من خيرات، ذلك
الشعور الذي يتسلل بخبث إلى الفؤاد ما هو إلا نتيجة لصبرٍ
وجهد جاء بعد عناء، أتى بعد شقاءٍ أرهق الوجدان والفؤاد،

أحياناً يحتاج المرء إلى البوح بما يضيق به صدره، ولن نجد الشخص المناسب سوى المولى عز وجل.

كانت "أهلة" تطلق العنان لقلبها بالدُعاء، اليوم وبعد أيام كثيرة ها هي تجلس بين يدي خالقها تشكو له عن ويلات ما رأت، قلبها يرتعش رهبةً، ويديها ترتجف خوفاً، وجسدها يحثها على الإستكمال.

"سمع الله لمن حمده".

جُملة خرجت فاه "قاسم" الذي يأخذ دور إمامها، لتُصبح هي خلفها تنطق هامسة بكل ما تدعوه.

"ربنا لك الحمد والشكر".

قالتها هي، وكم شعرت بالإحتقار لذاتها، هي تركت نفسها لوسوسة شيطانها، أرادت الدنيا الفانية ونسيّت الآخرة الدائمة، أغمضت عيناها بألم وداخلها يتسائل بإرتعاش.. هل المولى سيغفر لها خطاياها؟!!!

"الله أكبر".

وكان جوابها حضر في الحال، عندما ارتفع صوت "قاسم" يُذكرها بقدرة المولى عز وجل، رددتها خلفه براحة ورغبة عارمة تدعوها للبكاء، وكالعادة لا تستطيع، وتلك المرة سجدت وأغمضت عيناها تدعو ربها بصوت هامس مُرتعش، ظلت تدعوه كثيرًا، وكأنها وجدت ملاذها بعد تيهتها، كانت الراحة تقبع بين يديها وخصيصًا داخل قلبها، ولكم أرادت أن تظل هكذا مدى الحياة!!.

مر الوقت وهُم على الحال ذاته، هو أمامها وهي خلفه تستغيث بقلبها، حتى انتهوا من صلاتهم، استدار لها مُتربعا ثم سألها بابتسامة خافتة:

__حاسة بآيه؟!!

ضغطت كفيها ببعضهما، ثم أجابته شاردة:

__مرتاحة.

__ربنا يديم الراحة على قلبك دايماً.

حارة القناص

رفعت أنظارها إليه وظلت تُطالعه لبعض الوقت ولم تتحدث،
دخل حياتها وجلب معه الراحة والإطمئنان، يفعل ما بوسعه
لجعلها سعيدة، تسلل شعور غريب يُدغدغ قلبها عند وجوده،
فباتت مُحتررة، أكمل طريقها الواعر ثم تبدأ بخطوة العلاج،
أم تكمل انتقامها وتبدأ بعلاجها معًا!!

تفتكري أول طفل لنا هيبقى ولد ولا بنت؟!!

فتحت عيناها على آخرهما وهي تسعل بشدة، بينما هو
صعدت ضحكاته عاليًا من ردة فعلها المُبالغ بها بعض
الشيء، ظل هكذا لعدة ثوانٍ يضحك بلا توقف، ملامحها
المُذهلة تجعله يفشل في إيقاف ضحكاته، وبعد محاولات
عديدة نجح أخيرًا، فتحدث هو بأنفاس مُنقطعة ببراعة:

مالك تنحتي كدا ليه؟! دا أنا حتى كنت بهزر معاك.

نظرت له بتشنج وتلقائيًا صاحت به باستنكار:

وحياة أمك؟! احنا هنستعبط يا "قاسم"؟!!

وتلك المرة كانت الصدمة من نصيبه هو، فتح فمه ببلاهة ثم
كرر كلماتها بتعجب:

وحياة أمي!! وأستعبط!! ويا "قاسم"؟!!

طالعه بتحدي وملامح مُتشنجة، فما كان عليه سوى أن يقف على رُكبتيه مُقترباً منها حتى بات أمامها مُباشرةً، ثم أمسكها من مقدمة ثيابها يهزها:

__ أنتِ قد الكلام اللي أنتِ قولتيه من شوية دا؟!!

أزاحت يده بعناد ثم أجابت بسوقية:

__ أيوا قده، ولو عايز تسمع زيه قولي وأنا أسمعك.

دفعها من كتفها بخفة لكنها وقعت للخلف على أثرها:

__ طب متزوقيش عشان مزعلكيش.

احتدت عيناها بغضب من فعلته الغير مقصودة، وبحركة غير متوقعة اعتدلت فجأة ثم قفزت فوقه غارزة أسنانه داخل كتفه جعلته يصرخ بها بألم:

__ آاه يا بنت العضاضة يا خمامة، وربنا ما أنا سايبك النهاردة.

قالها وهو ينقض عليها هو الآخر حاملاً إياها من خصرها، ثم دفعها بقوة على الأرض وهو فوقها، وبالطبع قوته

حارة القناص

الجُسمانية فاقتها بمراحل، تنفس كلاهما بعنف وخاصةً هي،
حاولت التحرك لكنه يُكبّل حركة يدها بيده، وجسدها بقدميه،
اقترب منها هامسًا لها بشر:

_ عارفة عقاب اللي أنتِ عملتيه دلوقتي دا إيه؟!_

أجابته بشجاعة وأعين تلتمع بها الإنتصار لرؤية أثر
أسنانها على ثيابه الفاتحة:

_ لأ مش عارفة، أحب أعرف._

تحولت عيناه من الشر إلى الخُبث الشديد وهو يُجيبها:

_ بوسة من الخد دا، وبوسة من الخد الثاني عشان
ميز علش._

_ يا مصيبيتي!!_

قالتها بعدم تصديق وصدمة، ثم حاولت الفكاك من أسره
حتى صرخت بغضب عندما بانّت جميع محاولاتها بالفشل،
كتم "قاسم" ضحكاته التي كادت أن تتطلق رغمًا عنه، ثم
تشدق بجدية شديدة:

_متحاوليش يا آنسة "أهلة"، أنتِ غلطي ولكل غلط عقاب،
سيبيني أشوف شغلي.

تحركت بعنف وهي تصرخ به:

_شغل إيه يا "قاسم" بقولك سيبني، والله هرجع عليك لو
قربت مني أنا مش ضامنة نفسي.

نظر إليها قليلاً مُفكراً، قبل أن يتحدث قائلاً:

_هسيبك بس بشرط.

ضيق عيناها وهي تسأله بترقب:

_شرط إيه؟!!

وبعبث غمز لها وهو يقول بمزاح:

_تديني حب أكثر، أديك شوق يا سُكر.

عضت على شفيتها لكتم ضحكاتهما التي كادت أن تنفلت، ثم
أومات قائلة بخفوت:

_حاضر هديك اللي أنت عايزه بس ابعده عني.

وبالفعل ابتعد عنها "قاسم" جالسًا بجانبها بعد أن اعتدلت في جلستها، نظرت له بغيظ من طرف عينها ثم تشدقت بحنق:

_ على فكرة أنت بتستقوى عليا ودا ظلم مش عدل.

شهق بصدمة مُشيرًا لذاته بصدمة:

_ قصدك إن أنا ظالم!!?

ردت عليه بنفس الصدمة:

_ معاذ الله... مين قال كدا بس!!!

نظر إليه قليلًا ثم ضحك بخفة، وهي ابتسمت تهز رأسها بيأس من أفعالهم الطفولية، لم تكن لتتخيل بأنها ستعيش يومًا كتلك الأيام التي تعيشها الآن، لكن كل شيء تغير فجأة بين ليلةٍ وضحاها، تغير بشكل يُثير... السعادة!..

جاء يومًا جديدًا بأحداثًا جديدة وربما بمصائبٍ جديدة!

_ "بيبة" .. يا "بيبة" .. بسكوتة اصحي بقى عايزة أوريك
حاجة في غاية الخطورة.

كان "صهيب" يُدلل "حبيبة" النائمة بعمق مُلتمسًا جانب
وجهها بخفة أزعتها، جعدت جبينها بضيق ثم أردفت
بصوت ناعس:

_ يا "صهيب" سيبنى أنام شوية بقى.

سحب "صهيب" الغطاء من على جسدها ثم تحدث بعناد:
_ قومي بس محضرك مفاجأة حلوة.

فتحت عين واحدة من عينيها ثم تسائلت بترقب:
_ بجد؟!!

قهقهه بخفة أثناء اقترابه منها ليطلع قُبلة خفيفة على وجنتها
وهو يؤكد لها حديثه قائلاً:

_ آه بجد يا روعي .. يلا قومي بقى لحد ما آخذ شاور وبعد
كدا هوريك المفاجأة.

حارة القناص

اعتدلت "حبيبة" من مضجعتها وهي تفرك عينيها بنعاس،
ثم أردفت بصوت متحشرج:

_حاضر صحيت أهو.

اقترب منها "صهيب" مُحْتَضِنًا إياها، يهتف لها بحب وكأنها
طفلته:

_أشطر وأجمل بسكوتة.

أغمضت عينيها براحة من وجوده ولم تتردد للحظة واحدة
في مُبادلتِه لهذا العناق اللطيف، ابتعد عنها "صهيب"
قارصًا إياها من وجنتها بخفة وهو يقول:

_يلا قومي بقي وبطلي كسل، وأنا خمس دقائق هاخذ شاور
وألبس وجايلك.

أومأت له بأعين مُلتمعة مُحدجة بأثره الراحل، ثم وقفت من
مضجعتها مُرتبة الفراش بعناية وكذلك رتبت الغرفة بنظام،
استمعت إلى صوت جرس الباب وتلقائيًا اتجهت لفتحه بعد
أن تأكدت من إحكامها لروبها الطويل حول خصرها، فتحت
الباب لتتصنم محلها عندما وجدت أمامها يقف اثنان من
أسوأ كوابيسها... "أنس وريماس"!!؟

«يُثَبِّعُ»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | ✨

لما تحس إن الصلاة بقت ثقيلة عليك، وبقيت تأخرها،
وساعات السُنن تسيبها وبتتمني شغفك للصلاة يرجع زي
الأول، ادعي دايمًا بالدعوات دي:

" رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعائنا "

" اللهم أعني على ذكرك و شكرك وحُسن عبادتك "

" اللهم يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك "

وصدقتي هترجع تصلي بشغف وبحماس بس أهم حاجة
تخلص النية لله.

«الفصل الرابع والعشرون»

«حارة القناص»

«لقد قُتِلت»

تظن نفسك سعيداً وتأتي جُدران عُرفتكَ لتجلدك بسوْطِ الحقيقة البشعة التي تُحاول إخفاؤها، كيف تكون سعيداً وأنت وحيد؟! ألا تتذكر تلك الليالي التي بكيت فيها قهراً؟! ألا تعلم شيء عن الظلام الذي يملأ داخلك؟! ذلك الشعور بالقهر لا يُذكرك بمعاناتك؟! تُحاول الفرار مراراً وتكراراً لكن النتيجة تظل واحدة، المُطاردة!.

تصنمت "حبيبة" محلها عندما أبصرت كابوساً من أسوأ كوابيسها، "أنس" ومعه "ريماس"، ازدرفت ريقها برعب عندما أبصرت "ريما" أو إن صحَّ القول فهي "ريمانا" تأتي من خلف "ريماس"، تلك الحقودة البشعة التي جعلتها تبكي ليالي كثيرة بسبب حقدِها، ابتسمت "ريماس" بود ثم اقتربت من "حبيبة" مُحْتَضِنة إياها وهي تقول:

_ عاملة إيه يا "حبيبة" واحشاني!!

ابتلعت "حبيبة" ريقها تُحاول الإبتسام بصعوبة، ثم احتضنتها وعيناها مُثبتتان على زوج العيون المُتابعان لها، حاولت التحدث ليخرج صوتها مُتوتراً ظهر عليه الخوف:

__الـ الحمد لله يا "ريماس" أنا كويسة.

ارتسمت ابتسامة جانبية على نُغر "ريمانا"، ثم تحدثت بسخرية وهي تقترب منها بخطوات بطيئة تُشبه الأفعى:

__مالك يا "حبيبة" خايفة كدا ليه إحنا هناكلك؟!!

وكالعادة لجأت "حبيبة" إلى الصمت في مثل تلك اللحظات، شبكت أصابعها ببعضهم البعض وظلت تضغط عليهم بقوة علها تُهديء من توترها، ثم أخفضت رأسها للأسفل مُتحاشية النظر إليهم عادت خطوتين للخلف تحفزاً لأي خطوة قادمة، مما جعل نظرات الشماتة ترسم بوضوح على وجه "ريمانا" التي تُطالع حالتها المزعومة بانتشاء غريب، اقتربت منها خطوتين مُجدداً حتى باتت تقف أمامها مباشرةً، رفعت "حبيبة" رأسها بسرعة عندما وجدت أقدام "ريمانا" تستقر أمام أنظارها، وما كادت أن تأخذ أي ردة فعل؛ حتى وجدت أصابع "ريمانا" تنتشل خُصلة من خصلاتها وتلفها حول إصبعها ببطئ تتلذذ برؤية مُعاناتها، كما كانت تفعل قديماً!.

صرخت "حبيبة" بألم عندما شددت "ريمانا" خصلاتها تجاهها بقوة، ثم همست جوار أذنها بفحيح:

_واحشاني يا "حبيبة".

هرولت إليهم "ريماس" التي كانت مُنشغلة بالتطلع إلى
"أنس" الذي لا يُبالي بها، ثم دفعت شقيقتها بعيداً ناهرة
إياها بعنف:

_إيه اللي أنتِ بتعمليه دا يا "ريمانا" أنتِ اتجننتي؟!!

طالعتها "ريمانا" بنظرات نارية ثم جزت على أسنانها
مُتشدقة بغیظ:

_إطلي منها يا بت أنتِ وملكيش دعوة.

طالعت "ريماس" شقيقتها بعدم تصديق من طريقها الوقحة
معها، وما كادت أن تتحدث؛ حتى وجدت "أنس" يتدخل في
الحديث قائلاً بعتاب طفيف لـ "ريمانا":

_عيب اللي أنتِ عملتیه دا يا "ريمو"، مهما كان فـ "حبيبة"
بنت عمنا برضه ومن دمنّا.

ارتعشت أوصال "حبيبة" من نظراته التي تخترقها، تشعر
بأنها عارية أمامه رغم أنها لا تُظهر شيئاً من جسدها،
ابتلعت ريقها بتوتر ولم يُسعفها لسانها على التحدث، لقد
تحكم بها خوفها وتأثر به جسدها، والآن هي في ذروة

ضعفها! ابتعدت تلقائياً عندما شعرت بيد "أنس" تمر بلطف على وجنتها، لا تعلم متى وصل لها ليلتصق بها بتلك الطريقة!! طالعها "أنس" بسخرية، وبنظرات شاملة دارت في المنزل لم يجد أثراً لـ"صهيب"، لذلك تقدم منها بجرأة ثم احتضنها غصباً بإشتياق شديد، هامساً في أذنها بحب:

__وحشتيني يا "حبيبة"، وحشتيني أوي.

__وأنت هتوحشنا كلنا يا حبيبي.

صعدت تلك الجملة من فاه "صهيب" الذي أبعد "أنس" عن جسد "حبيبة"، مُسدداً له لكمة أطاحت بوجهه للخلف مما أدى إلى اصطدام رأسه بالباب بقوة شديدة ألمته، لم يكتفي "صهيب" بذلك؛ بل أوقعه على الأرض السيراميكية بلكمة أشد أطاحت بجسده بالكامل، اعتلاه "صهيب" حاقداً عليه وتلك المرة لم يكتفي بلكمه في وجهه فقط، بل أيضاً حصل جسده على جرعة كبيرة من الألم نتيجة لضربات الشديدة، وكل هذا حدث في ثوانٍ فقط، حتى "أنس" لم يستطيع الدفاع عن نفسه لإستخدام "صهيب" عنصر المفاجأة في هجومه العنيف، امتلأ وجه "أنس" بالدماء وجسده بالكدمات، استفاق على صوت "ريماس" التي تجذبه من فوق جسد "أنس" الهامد والفاقد للوعي بصراخٍ وخوفٍ عليه، كذلك

"ريمانا" التي شحب وجهها خوفاً من رؤية "صهيب" لفلعلها مع "حبببة".

ابللعد "صهيب" عن جسده وانللع لباب شقلته يفللحه على آخره، ثم عاد مُجلداً لجسد "أنس" المُللمد بسكون، دافعاً "ريماس" اللل التي الللضن رأسه ببكاء مرير على حالته، ثم جلبله من قللمه كاللحوانات وأخرجه من الشقله نهائياً، دفل جسده بعبداً عنه ناظراً إليه بلقل ازلداد أكثر عندما لعلل حدوده مع زوجته الللعلفة واستغل غلبه، عاد بلخطواته للللل ونظراته مازالت حادة مُلقلفة، فاصطلم جسده بلجسد "ريماس" اللل الللقت به لرؤية "أنس"، طالعا بسخرية ولفل للمنزل، لبلل "ريمانا" لقل كالفرخ المبلل بوجه شاحب، وبلقسوة لم يعهلوها منه من قبل؛ أمسك بلذراعها بلقسوة ساحباً إلباها لقله حتى دفلها هي الأخرى بلعنف بعبداً عن شقلته، وبعلها صعل صوته يهلر بلعنف:

ـ مش عابز أشوف خلقة أي حل فلكم فل بلللي، والللب دا لو علب هنا لاني أنا هلقله.

قال جملته ثم أعلق الباب بوجه ثلاثهم واستلار لـ "حبببة" اللل كانت لرتعلش بلرب من حالته اللل لراها ولأول مرة!.

اقترب منها بخطوات سريعة وبعروق تنتفض من الغضب
أمسك بكتفيها يهزها بعنف:

_مقاومتيش ليه؟! متدافعتيش عن نفسك ليه؟! لامتى
هتفضلي ضعيفة؟! هتفضلي طول عمرك كدا!! غيبة
وضعيفة وخوافة.

قال كلماته القاسية ثم دفعها بعيداً عنه ناظرًا إليها بغضب
شديد قبل أن يتركها ويدلف للغرفة التي أغلق بابها خلفه
بعنف دون أن يستدير لها ويرى حالتها.

أما هي كانت في عالم آخر، لقد انتشلتها الظلمة مرة أخرى
وعادت لها وساوسها، لقد ملّ منها وغادر! شعرت "حبيبة"
بضربات قلبها تتعالى تدريجيًا، وبكف يدها كتمت فاهها
لتمنع من إرتفاع شهقاتها خوفًا منه! سيعود إليها ويؤبخها
من جديد إن استمع لبكاؤها.

جلست على الأريكة بجسد واهن ونفس منكسرة، ثم رفعت
أقدامها تضمها لصدرها، عالمها الوردي دُمّر بلحظة،
ارتفعت شهقاتها رغمًا عنها قهرةً على حالتها المسكينة،
وببكاء طفل صغير مُشرد انكشيت على ذاتها في وضع
الجنين، هي خائفة وهو مصدر أمانها، لكنه أصبح تخويفًا

لها، لقد خُذِلت منه كما خذَلها الجميع من قبل، وهذا أكثر شيء كانت تخافه.

وبالداخل.. كان يدور حول نفسه كالثور الهائج يزرع الغرفة ذهابًا وإيابًا، رؤيته لذلك المقيت يضمها لصدره وهي مُستسلمة إليه بضعف؛ جعل النيران تشتعل في صدره دون إرادةٍ منه، جذب خصلات شعره بغضب شديد حتى كاد أن يقتلعه، وبغضب جامح كانت يده تطول ما في الغرفة لتدميره، غضبه لا يهدأ، ونيرانه لا تهدم، وعشقه يُسيطر عليه، وبين كل هذا وبَّخه فؤاده على ما فعله بتلك المسكينة، ليتوقف عن تدمير الغرفة بصدرٍ يعلو ويهبط بنهيجٍ حادٍ.

جلس على الفراش بيأس واستند برأسه على كلتا يديه، وبعده عدة دقائق من الصمت المُخيف هبَّ من مكانه مُتجهًا للخارج بهدوء، وكأنه لم يفتعل عاصفة هوجاء منذ قليل!

توقف محله مُتصنمًا عندما وجدها تدفن وجهها بين قدميها التي تضمها إلى صدرها، وكأنها تختبئ من العالم بذاتها! تألم فؤاده لرؤيتها بذلك الشكل المُهلك لقلبه، خاصةً عندما استمع لصوت شهقاتها الواهنة، يُقسِم بأنه لم يقصد القسوة، بل غضبه هو ما أعماه وأعمى بصيرته، هو يعشقها بكل إنش به ولا يُريد حُزنها.

اقترب منها ببطئ حتى جلس جانبها مُلتصقًا بها، مدَّ يده
مُمسداً على رأسها وهو يُنادي عليها بصوتٍ واهن:
_ "حبيبة"! "

انكشيت "حبيبة" على ذاتها أكثر برعب تُحاول الإبتعاد عن
مرمى يده وهي ترجوه ببكاء:
_ أنا آسفة والله ما هعمل كدا تاني.

تخشب جسده من الصدمة، حتى أن يده قد تصنمت من هؤل
ما قيل، يكاد يُقسِم بأنه استمع لصوت إنشطار قلبه لقسوة
حديثها، ابتلع ريقه بصعوبة بالغة، وبألم وصوتٍ مُتحشرج
سألها بعدم تصديق:
_ أنتِ.. أنتِ خايفة مني يا "حبيبة"! "

لم تُجيبه بل ظلت على حالتها المُنكمشة تلك تهتز بخفة في
مكانها، وتلقائياً تسالت الدمعات لعين "صهيب" يسألها
بوهن:

_ "حبيبة" بجد أنتِ خايفة مني! "

ازدادت وتيرة بكاؤها عندما استمعت لصوته المُتَحَشِّرِجِ الباكي، وبخوف عليه رفعت وجهها المُمتليء بالدموع لتراه، فوجدت بالفعل عيناه مليئة بدموع الأسى وعدم التصديق، شهقات مُرتفعة خرجت منها وهي تؤكد لها سؤاله برأسها، نعم هي خائفة منه وبشدة لكنها.. تُحبه!

لم يجعلها تتحدث بكلمة واحدة بعد إمانتها تلك التي دمرت أعصابه، بل جذبها لأحضانه دافئاً إياها بين ضلوعه ووجهه يستقر بين حنايا عنقها يعتذر لها بألم:

_ أنا أسف والله، حقك عليا مقصدش إني أزعلك... عشان خاطري سامحيني أنا أسف.

كتمت "حبيبة" شهقاتها العنيفة بثيابه، ثم لفت يدها حول خصره تضمه بقوة وكأنها تهرب منه إليه! وهو يُشدد من ضمها وكأنها ملاذه الوحيد والأوحد، خرج صوته مُتهدجاً وهو يمسح على خصلاتها:

_ حقك على راسي أنا أسف.

ومع مرور الكثير من الوقت وهم على حالتهم تلك، صعد صوته سابياً ذاته لإحزانها:

حارة القناص

_طيب أنا طور مبفهمش، وجاموسة، وحمار، وغبي، بس
متزعلش مني يا بسكوتة.

تشكلت إبتسامة طفيفة على ثغر "حبيبة" لكنه لم يراها،
لذلك استكمل حديثه قائلاً:

_والله أنا مكنش قصدي أطلع عصبيتي عليك، أنت محستيش
بالنار اللي كانت قايدة جوايا لما شوفته حاضنك وأنت واقفة
بتترعشي بين إيديه.

قال كلماته ثم أبعدها عنه قليلاً ماسحاً دمعاتها بإبهامه، ثم
استطرد حديثه المغلول:

_محستش بنفسي وقتها وكل اللي كنت بفكر فيه؛ إيه اللي
كان ممكن يحصلك لو أنا مش موجود وأنت معاهم لوحدك؟!!

كانت في تلك الأثناء توقفت عن البكاء، لم تكذب عندما قالت
بأنه مصدر أمانها وإحتوائها، هو الوحيد القادر على
إسعادها بعد إحزانها، وبرغم عصبيته المفرطة عليها منذ
قليل؛ إلا أنها لجأت إليه! هربت منه لتختبيء به! وبعد خطأه
جاء ليعتذر بقوة عما صدر منه، ألا ينبغي عليها مُسامحته؟!!

_أنا مش زعلانة، بس أنا كنت خايفة منك.

ولو ظنت بأن حديثها ذلك أراح قلبه فهي مُخطئة، لقد تألم فؤاده أضعافاً مما كان عليه، اعترافها بالخوف منه كان صادمًا، يعلم بأنها ضعيفة وهشة وهو قاسي أحيانًا، لكنه معها غير الجميع، اقترب منها مُقبلًا جبينها بقُبلة مُطولة ثم أَرَدَفَ بعدها معترًا:

__حَقِّكَ عَلَيَا أَنَا مَشْ قَصْدِي أَخُوفُكَ، أَنْتِ رُوحِي يَا "حَبِيبَةَ"
ومحدثش بيعرف يقسى على روحه.

وكأنه ببضعة كلمات أخرجها من فمه أعاد الحيوية لجسدها، اتسعت ابتسامتها تدريجيًا ثم أَرَدَفَتْ بكلماتٍ جعلته يقع في عشقها أكثر مما هو عليه:

__وَأَنَا وَاثِقَةٌ فِيكَ يَا "صَهِيْبٌ"، وَعَارِفَةٌ إِنَّكَ مَشْ هَتَّخَذْتَنِي
زِي مَا نَاسْ كَثِيرْ خَذَلْتَنِي وَاتَّخَلَّتْ عَنِي، عَشَانْ أَنْتِ غَيْرَهُمْ
وَهُمَا مَشْ أَنْتِ.

جذبها لأحضاناه بعنف مُقبلًا جانب وجهها أثناء قوله
العاشق:

__يَا رُوحَ قَلْبِ "صَهِيْبٍ" وَحَيَاتِهِ كُلِّهَا.

حارة القناص

تلك الأجراس التي تدق طرباً بين الأضلعِ كان سببها بضعة
كلماتٍ قليلةٍ مِمَّنْ نُحِب، نحن نعشق والعشق خالٍ، شوائبه
ثُمحي بنارٍ، ونُحلق في السماءِ كطائرٍ، نال حُرَيْته المُطلقةِ.

بت يا "يمنى" .. أنتِ يا هبابة!! اصحي يامًا احنا مش في
دريم بارك.

هتف "يحيى" تلك الكلمات يُناديها بحنق، وللحقيقة هو لم
يُناديها للبحث عن خطة للهروب، بل فقط لأنه شعر بالحنق
من جلوسه وحيداً!.

نفخ "يحيى" بسخط عند عدم استجابتها له، لتتشكل ابتسامة
خبِيثة على فمه قبل أن تمتد أصابعه لجانبها يقرصها بقوة
صرخت على أثرها بألم بعد أن استيقظت هاتفية بفرع:
اقتلوه هو وسيبوني عايشة.

آه يا بنت الغدارين، بتسلميني حتى وأنتِ نائمة؟!!

حارة القناص

تأوهت "يمنى" بضيق بسبب ألم جانبها، ثم نكرته بغضب
بذراعها تصرخ به بقوة:

_يا بني أنت غبي!! فيه بني آدم طبيعي يصحي حد كدا؟!!

ابتسم ابتسامة مُستفزة لم تراها، ثم تشدق بمكر لإغابتها:

_آه أنا، ولو سمحتِ متكلميش معايا تاني عشان أنا
مخاصمك ومبكلمكيش.

أغمضت عيناها تُحاول الثبات أمام أفعاله الطفولية التي تُثير
غضبها أحياناً، وحنقها أحياناً أخرى، وتُحرك من حبها له
بكثرة! تشككت ابتسامة طفيفة على ثغر "يمنى" ولحسن
حظها لم يراها، وعكس ما توقع تحدثت "يمنى" بهدوء
تسأله بلُطف:

_أنت عايز إيه مني يا "يحيى"؟!!

لم يتوقع أن تسأله ذلك السؤال بتلك الطريقة المُباشرة وفي
تلك الأثناء تحديداً، استمعت لزفرته التي تدل على ضيقه
الشديد، وبالفعل كان هكذا، لقد ضاق صدره وهو يتذكر كل
ما قالته ليلة أمس على الشاطيء، لقد تألم قلبه بقوة وشعر
حينها باليتم، أراد عناقاً من والدته وقتها، لكنه وللأسف
الشديد لم يجدها!

صعد صوت "يحيى" مُتألماً سائلاً إياها بصوتٍ يشوبه
الحزن:

_الكلام اللي قولتيه إمبراح كنتِ تقصديه؟! كان من قلبك
فعلًا وأنتِ مش طيقاني ووجودي ثقيل عليكِ!!

ابتسمت "يمنى" بحنان خاصةً بعد أن استمعت إلى صوته
الخائف عند سؤاله، أرجعت رأسها للخلف تستند على ظهره
قائلةً بود:

_لأ مكنتش أقصد أي حاجة من اللي قولتها، أنا كنت خايفة
إن إعجابك بيا يتحول لحب، وأنا كنت مقررة اليوم دا إني
أجي شركة "مهران" لوحدي ومكنتش عارفة هعيش ولا
هموت ولا أنا إيه نظامي، قولتك الكلام دا عشان أكرهك فيا
وقلبي كان بيوجعني قبلك.

تسللت الدمعات لعيناها قبل أن تُكمل بصوت مُرتعش باكٍ
ممزوج بالحب:

_أنتِ وجودك أخف عليا من قلبي يا "يحيى".

وما أن أنهت حديثها؛ وجدت العقدة المربوطة بيد كليهما
تُفك بعد أن استغل "يحيى" حديثها وقام بإخراج قطعة

معدنية حادة من ثيابه وظل يحُكها مع الحبال الملفوفة حول جسديهما، لم تكد "يمنى" أن تستوعب ابتعاده عنها وفك العُقدة من حولها؛ حتى وجدت جسدها يُجذب بقوة بواسطته وهو يحتضنها مُشدداً من جذبه إليها، هامساً في أذنها بعشق وقد قرر الاعتراف لها أخيراً:

_ أنا بحبك يا "يمنى"، بحبك أوي حقيقي.

تصنم جسدها محله حتى أنها لم تتنفس! هل اعترف بحبه للتو! هل قالها حقاً وهو يكن لها حباً ليس إعجاباً؟! ارتعش جسدها عند شعورها بمياه دافئة تهبط على عنقها، وهُنا وصلها الشعور بأنه يبكي؟! وتلقائياً تسالت الدموع لعيناها تأثراً بحالته، بل ورفعت ذراعها لتلفها حول عنقه تجذبه تجاهها، دفن وجهه في عنقها وعقله يُخبره بأن ما يفعله صحيحاً، لقد عانى كثيراً وحده في ظُلمة الأيام، وتغير كل هذا بعد أن رآها وشعر بالإنجذاب لها، لا يستطيع أن يُضيعها من بين يديه، لا يستطيع إبعادها عنه.

_ أنا أسفة يا "يحيى"، أسفة والله بس أنا مش هقدر أحبك دلوقتي، مش هقدر صدقتي.

شعرت بتصنم جسده، ابتعد عنها قليلاً وقد رأت وجهه
المليء بالدموع، ولكم ألمها رؤيته بتلك الطريقة! وسؤالٌ
واحد خرج من فمه:

ليه؟!!

أجابته بيأس قبل أن تقف على قدميها وهو يقف مُوازياً لها:
عشان أنا حياتي مش بإيدي، أنا لسه رحلتي طويلة
وإنتقامي لسه في بدايته، ولو إديتك الحُب اللي أنت عايزه
مش بعيد أخسرك أنت كمان، وأنا مش عايزة أخسرك يا
"يحيى"، مش عايزة أخسرك بعد ما بقيت غالي عليا.

اقترب منها خطوتان مُمسكاً بها من ذراعيها ليُقرّبها منه،
ثم تشدق لها بحنان:

وأنا مش عايزك تحبيني غصب عنك يا "يمنى"، كفاية
إني غالي عندك زي ما بتقولي، كل اللي عايزه منك تقولي
إنك عايزاني معاك في حياتك، بعدها أقسمك بالله هحارب
معاك لآخر نفس، حتى لو هموت فأنا هفديك بروحي.

وعند ذكره للموت ثارت ثائرتها وهاجت فيه ببكاء أثناء
ضربها لصدره بعنف:

_وأنت لما تموت هعيش أنا لمين؟!!! رُد عليا؟!!! ليه
مكتوب عليا أخسر كل اللي بحبهم؟!!! ليه مُصّرّين تخلوني
أعيش لوحدي؟!!! ليه؟!!!

طالعها بحزن واقترّب منها لإحتضانها، لكنها رفضت يده
بعيداً صارخة باهتياج:

_كلكم بتقولوا عليا أنانية وغبية ومش بحب غير نفسي، كل
دا عشان برفض كل الحب اللي بيجيلي، بحاول أخلي نفسي
قاسية وأنا من جوايا ضعيفة، كلكم مفكرني مبسوش
ومحدث حاسس بيا، كلكم عايشين في خانة المظلومين
ومفيش حد مظلوم غيري، أنا أبويا مات واتقتل قدام عيني،
عايزة أجيله حقه من غير ما حد يتدخل عشان محدش
يتأذي، عندي إستعداد أنا اللي أموت في سبيل إنكم تعيشوا
مبسوطين، مفيش غير "أهلة" هي اللي بتحتويني، و"ملك"
بتخفف عني، ورغم برودي معاهم محدش ملّ مني أو زهق،
محدث شاف اللي أنا شوفته، أنا فيه جوايا نار يا "يحيى"،
نار الخوف من خسارة اللي بحبهم، أنا مش وحشة والله
العظيم، مش وحشة يا "يحيى".

يبدو بأن هناك أحدهم يعيش نفس مُعاناته! هكذا همس
"يحيى" لذاته، لكنه لم يكن مجرد أحدهم، بل كان الأقرب
إلى فؤاده، ارتفع صوت بكاء "يمنى" بأسى وخبأت وجهها

بين كفيها، لم تعتاد أن تظهر ضعيفة، هي دائماً ما كانت قوية وستظل كذلك حتى ولو بالكذب! شعرت بيد تجذب كفيها عن وجهها، وبضعفٍ شديدٍ أبعدت أنظارها عنه حتى لا تجد نظرات الشفقة ترتسم على عيناها، أمسك "يحيى" وجهها بقوة جاعلاً إياها تنظر إليه رغباً عنها، ثم تحدث بصراحة:

أنتِ مش وحشة يا "يمنى"، مش وحشة وعمرك ما هتكوني ضعيفة، أنا عرفتك "يمنى" الشجاعة القوية اللي بتدافع عن نفسها وعن إخوانها بكل قوتها، عمري في حياتي ما شوفتك أنانية، أنا شوفتك بقلبي عشان كدا حبيتك وبقيت حافظك، قولتهاك وهقولهاك تاني، قوليلي بس إنك عايزة تكوني معايا وأنا هحارب الدنيا كلها معاك وهبقى في ضهرك.

شهقت بعنف وعقلها يُجبرها بأن توافق، هو طوق النجاة الوحيد في بحرٍ مليءٍ بالأسماك المُفترسة، لا تستطيع إضاعته بعد أن وجدته، لذلك أومأت بوجهها قائلة بصوتٍ باكٍ:

موافقة أبقى معاك يا "يحيى".

اتسعت ابتسامته بعدم تصديق قائلاً بسعادة بالغة:

_وحياة أمك؟! إحلفي بالله كدا!!! يا بركة دُعاكِ يامًا، يا بركة دُعاكِ يا غالية، زغرطي يا بت عشان مش بعرف.

قهقت "يمنى" عاليًا وهي تمسح دمعاتها الكثيفة التي تهبط على وجنتها، ثم تحدثت بصوت مُتحشرج ضاحك:
_إحنا مخطوفين والمفروض نهرب لو مش واخذ بالك.

شهق بعنف بعد أن انتفض بعيدًا عنها:

_يخربيتك صحيح... روعي منك لله يا بعيدة... جرجرتيني لحد هنا بسبب الجذمة اللي موجودة في دماغك... ما كنت قولاتيلي الكلمتين دول على الشط إمبراح بدل ما أتخطف معاك واتبهدل!!

فتحت "يمنى" فاهها ببلاهة من انفصامه، كان منذ قليل يُخبرها بأنه سيفديها بروحه إن أرادت، والآن يحقد عليها لأنها تسببت في خطفه معها؟! وبحنق دفعته بعيدًا بعنف متشدقة بحنق:

_تصدق إنك غدار؟! وأنا اللي غلطانة إني صدقتك يا خاين.

أشاح بيده بلامبالاة مُتجاهلاً إياها ناظرًا حوله في الأرجاء للبحث عن مخرج:

يا شيخة اتيلي بقى دا أنتِ قبله نكد موقوتة، وأنا
بصراحة راجل فرفوش مليش غير في الضحك والفرفشة.

تخصرت مكانها ناظرة لأثره بغضب، وكادت أن تتحدث لولا
سماعهم لصوت الطلقات والصرخات الآتية من الخارج.

يميل الإنسان إلى شخصٍ حنونٍ بارعٍ في الإعطاء دون
مُقابلٍ.

استيقظت "أهّلة" من نومتها بكسل، فتحت عيناها ببطئٍ
لتعتاد على إضاءة الغرفة، ثم وبهدوءٍ اعتدلت في مكانها
مُتمطعة في مكانها بكسل، نظرت بجانبها وانتقلت بأنظارها
في أنحاء الغرفة ولم تجد لـ "قاسم" أي أثر، قطبت جبينها
بتعجب من عدم وجوده، خاصةً وأن الوقت مازال مُبكراً ولم
يتعدى حتى الآن الثامنة صباحاً!

اعتدلت في مضجعها ثم هبطت من على الفراش مُتجهة
للخارج للبحث عنه، وللعجب لم تجده أيضاً، لكن لفت
انتباهها باب الغرفة المُنفّتح والتي كانت مُغلقة بالمُفتاح ليلة

أمس، تعجبت من ذلك، وبتروِ وحذرِ اقتربت من العُرفة حتى
وقفت على أعتابها.

في تلك الأثناء كان "قاسم" يُعطي لوالدته المُستيقظة
دوائها، ثم اعتدل مُمسكًا بالإبرة (حُقنة) دافعًا إياها في
المحلول المُعلق في يدها أثناء غناؤه الرائع لوالدته، بل...
الأكثر من رائع بصوته الشجن العميق:

_أنا العاشق لعينيك... بربِ العشقِ فارحمني،
وخذ بي بينَ يديك... نبضُ القلبِ أسمعني،
وضمِّدِ جرحيَ الدامي.. مني إليك فأخذني،
وشافي مرَّ علقمك... حيثُ الشؤمُ يحمُلي،

ورغم عدم معرفة "أهلة" لهوية تلك النائمة؛ إلا أنها
انبهرت بصوته الذي سرق لُبَّها من الوهلة الأولى، صوته
يجمع بين مشاعر الحب والعشق والعتاب والرجاء والخيبة!

طالعت "قاسم" الذي يعود بظهره للخلف تجاهها، لذلك
قررت الذهاب وتركهم وحدهم وبعدها ستسأله عن هوية تلك
المرأة دون أن تقطع لحظتهم، وما كادت أن تفعل؛ حتى
شهقت بفرع عندما وجدته يُمسك بيدها يمنعها من الذهاب!

حارة القناص

وبعدها جذبها للداخل ثم أحاط بخصرها راقصًا معها ببطئ
على كلمات أغنيته التي يُردها بلسانه أثناء نظره لعيناها:

"أنا العاشق لعينيك... بربِ العشقِ فارحمني،
وخذ بي بينَ يديك... نبضُ القلبِ أسمعني،
وضمِّدْ جُرْحِي الدامي.. مني إليك فأخذني،
وشافي مرَّ علقمِكَ... حيثُ الشؤمُ يحمُّلني،
وداويني ببعضِ الحب... طمئني وصبرني،
وخذ مني يا روحَ القلبِ.. صدِّقْ ليسَ يشغُّلني،
أو حتى فخذْ بالروح... حطِّمني وأخبرني،
بأن القلبَ منك ملكٌ... لغيرِ عنك أبعدي.

قال غناؤه الأخير وهو يلُفها حول ذاتها عدة مرات، وكل هذا
وهي كانت مُنصدمة، قلبها يطرق بشدة، وجسدها يعمل
بعنفوان، عقلها لا يستوعب، وعيناها تُطالعه بدهشة، وبين
هذا وذاك فإن نبض القلب يفوز.

توقف "قاسم" عن الغناء وتمتع بالنظر إلى عيناها، ورغم
أنها كان عيناها بُنيتان عاديتان للغاية؛ إلا أن هناك شيئًا
يُجذبه تجاهها، استمع كلاهما إلى صوت ضحكة خافتة تأتي

حارة القناص

من جهة الفراش، لتخرج "أهلة" من شرودها على صوت تلك الدخيلة، ابتعدت عنه بخجل واضح، خاصةً عندما استمعت إلى صوت المرأة تقول بضحك:

_يا بني مش كدا خضيتها.

استدار "قاسم" لوالدته مُبتسمًا لها، ثم اقترب منها مُجددًا حتى جلس جانبها مُقبلًا جبينها، قبل أن يتشدد بعبث:

_هي اللي قلبها رُهيف يا ماما.

طالعه "أهلة" بتعجب، فتحدث هو بحنان قائلاً:

_تعالى قربي واقفة عندك ليه؟!!

اقتربت "أهلة" ببطئ وعيناها لا تُرفع من على وجه تلك المرأة، تشعر بأنها قد رأتها من قبل لكن لا تتذكر، وقف "قاسم" أمامها ثم أردف وهو يُشير لوالدته:

_دي بقى يا ستي تبقى أمي.

_أمك؟!!

ضحك "قاسم" بخفة، ثم أكد لها مؤمناً لها بالإيجاب، قبل أن يقول:

_أيوا، بس مجتش فرصة قبل كدا عشان أعرفك عليها.

هزت "أهله" رأسها ولم تعلم بما تُجيبه، رفعت أنظارها تُطالع "حياة" والدة "قاسم" بهدوء، فاستمعت لصوتها يحثها بهدوء:

_تعالى اقعدى جنبى يا حبيبتي.

اقتربت منها "أهله" واستدارت لتجلس على الجهة الأخرى من الفراش، ثم جلست جانبها كما طلبت، طالعها "حياة" بلين قبل أن تردف بحنان:

_ "قاسم" حكالى عنك كذا مرة، بس أنا متخيلتش إنك تكونى جميلة أوى كدا.

تسالت الإبتسامة لثغر "أهله" تلقائياً، فردت عليها قائلة بإمتنان:

_تسلميلي يا طنط أنتِ اللي زي القمر.

ضحكت "حياة" بخفة وهي تُجيبها بمزاح:

يا بكاشة... شكك زيه بالظبط.

قهقه "قاسم" بخفة هابطاً على جبين والدته ليُقبله بحنان،
قبل أن يقول بضحك:

والله ما كدبت، أنتِ فعلاً زي القمر يا ماما.

بس يا ولا اسكت بقى خليني أتكلم مع العسلية دي.

قالتها "حياة" ببعض من الحزم، ليصمت "قاسم" على
الفور مُتصنعاً الخوف وهو يُجيبها:

حاضر يا ست الكل أديني هسكت أهو.

كانت "أهلة" تُتابعهم بإبتسامة شغوفة، فلأول مرة ترى
علاقة "قاسم" بوالدته، وللحقيقة فعلاقتهم مليئة بالحب
والمودة والدفء، ذلك الدفء الذي توغل لقلبها عند
رؤيتهم معاً.

استفاقت من شرودها بعد أن أعدل "قاسم" وضعية والدته
فجعلها تستند على ظهرها وخلفها وسادة ناعمة حتى لا
تشعر بالتعب، مدت "حياة" يدها ببطئ لثمسك بيد "أهلة"

الموضوعة على قدمها، نظرت "أهلة" ليدها الممسكة
بخاصتها، ورغم أنها شعرت بالإشمئزاز؛ إلا إنها تحاملت
على ذاتها حتى لا تتسبب في إحراجها وإحزان "قاسم"
الذي لا يتهاون في إسعادها.

كان "قاسم" يُراقب ردادات فعلها بعدما أمسكت والدته بيدها،
ورغم علمه بشعورها بالإشمئزاز الآن؛ إلا أنه سعد كثيرًا
بفعلتها وعدم سحبها لكفها من يد والدته، وكم زادت مقامًا
في نظره!

بدأت "حياة" الحديث مُوجهة حديثها لـ "أهلة" قائلة:

_ أنا مبسوطة إن ابني إختارك وفرحانة إنك بقيتي مرات
إبني، يمكن دي أول مرة أتعامل معاك فيها بس أنا ارتحتك
من كلام "قاسم" عنك، وارتحت أكثر لما شوفتك، وشك فيه
قبول ودخلتي قلبي بسرعة، ودي صفة نادرة ربنا بيحطها
في عباده اللي بيحبهم، أنا زي ما أنت شايقة كدا تعبانة
ومريضة ومش عارفة قدرني هينتهي إمتي...

قاطعها "قاسم" بضيق قائلاً وهو يُحاول إخفاء تلك الغصة
المؤلمة التي تشكلت بفؤاده:

_ أنت بتقولي إيه بس يا ماما بعد الشر عليكِ.

استدارت له "حياة" قائلة بحدة مصطنعة:

_متقاطعنيش يا ولد واسمع وأنت ساكت.

خضع "قاسم" لها وصمت، لكن معالم الضيق مازالت واضحة على وجهه بسبب حديثها الذي أشعل صدره، عادت "حياة" بأنظارها لـ"أهله" مُجددًا ثم استكملت حديثها قائلة:

_ "قاسم" ابني أوقات بيكون عصبي، وأوقات بيكون عنيد، وأوقات كثير جدًا مش هتفهميه ولا هتفهمي دماغه، لكن صدقيني مفيش في حنانه ولا في طيبة قلبه، بيرضى بأقل حاجة وعقله عقل طفل صغير، ممكن في يوم من الأيام يزعلك بس هيجي بعدها ويراضيك، عمره ما هينيمك وأنت زعلانة منه، اعتبريه أول وآخر طلب أطلبه منك، بس خلي "قاسم" في عينيك.

كانت "أهله" تستمع إليها باهتمام، ذلك الإهتمام والحب والخوف النابع من خوفها وقلقها على فلذة كبدها؛ أحيًا بها الكثير من المشاعر التي دُفنت قديمًا، ابتسمت "أهله" ابتسامة طفيفة قبل أن تعدها قائلة:

حارة القناص

_ عيوني ليك هعمل اللي حضرتك عايزاه، وبكرا هتقومي
بالسلامة وهتبقي وسطنا ومعانا.

ربتت "حياة" على كفها بخفة رامية إياها بإبتسامة طفيفة،
بينما "قاسم" اقترب من والدته يحتضنها بحب، بعد أن
إنزاح الضيق من على معالمه عندما استمع لحديث والدته،
شدد من احتضانها قائلاً بحب:

_ ربنا يديمك ليا يا ماما، أنا بجد مش عارف من غيرك كنت
هعمل إيه؟!!

ربتت "حياة" على ظهره أثناء تقبيلها لجانب وجهه، ثم
تحدثت بوهن:

_ ويديمك ليا يا نور عيني، خلي بالك منها وامتزعلهاش يا
"قاسم".

رفع "قاسم" أنظاره يُطالع "أهلة" التي تُراقبهم بأعين
مُلتمة، ثم أردف بوعدٍ قاطع:

_ في عيوني.

تلاشت "أهلة" النظر لعيناه التي تُربكها، بينما ابتعد "قاسم"
عن والدته وإبتسامة عابثة تُزين ثُغره، لكنها انمحت بحزن

عندما أدرك أن والدته ذهبت في غيبوبتها المؤقتة مُجددًا على غفلة، قَبَّلَ جبينها بحنان وداخله يدعو المولى عز وجل أن يُشفيها له، هو لا يستطيع العيش دونها ولو للحظة واحدة، يعيش لأجلها ولا يستطيع أن يتخيل فكرة فراقها.

هي.. هي نامت بسرعة ليه؟!

أعدل "قاسم" من وضعية نوم والدته ببطئ شديد، ثم أجابها وهو يُغطي جسدها:

_هي تعبانة، ومش بتصحى في اليوم أكثر من ساعة بس.

طالعتها "أهلة" بحزن ثم تمت بصوتٍ خافت:

_ربنا يشفيها يارب، متقلقش هتكون كويسة.

رفع أنظاره إليها راسمًا على ثغره إبتسامة ساخرة:

_بقالي 15 سنة مش بتمنى غير إنها تكون كويسة، أملي في ربنا كبير وواثق إنه مش هيجرمني منها، بس في نفس الوقت خايف، وخصوصًا إن السبب الرئيسي اللي مخليني أسافر روسيا هو علاجها.

حارة القناص

وقفت "أهلة" من مكانها ثم استدارت له لتقف بجانبه، ثم وضعت يدها على كتفه قائلة بتشجيع:

_ صدقتي هتكون بخير أنا واثقة من دا.

نظر "قاسم" لكفها المُستقر فوق كتفه، ثم انتقل ببصره نحوها ليجدها ترسم على شفثيها ابتسامة طفيفة أطفأت من لهيب فؤاده، وتلقائياً ابتسم مثلها تماماً، وكأن ابتسامتها عدوى أصابته!

حممت "أهلة" بخجل فابتعدت عنه قائلة باندفاع:

_ أنا هروح الحمام ثواني وهاجي.

أوما لها وداخله يعلم لما تريد الذهاب لكنه لم يُعقب بل تركها تذهب، لكن قبل أن تخرج من الغرفة تماماً أردف بصوت عالٍ حتى يصل إليها:

_ ومتسيش تتوضي أنتِ مصلتيش الصبح.

أومات له ثم هرولت للمرحاض لتختفي عن عيناه، وما إن رحلت واطمئن على والدته؛ حتى أخرج هاتفه وظل يعبث به قليلاً ثم انتفض من مكانه ناظراً لشاشته بصدمة، قبل أن يهمس بغضب:

_الله يخربيتك يا "يحيى" على بيت "يمنى" على بيت
"صادق" على بيت أبوكوا كلكوا.

مسح على وجهه بغيظ، قبل أن يعبت بالهاتف قليلاً ووضع
على أذنه حتى أتاه الرد من الجهة الأخرى، ليتشدد "قاسم"
مُسرعاً:

_معلش يا "ألبرت" كنت عايزك في خدمة كدا.... هبعثك
لو كيشن مكان دلوقتي أي حد يقابلك فيه اقتله عشان أنا
قرفت.... آه أي حد أي حد.... ماشي تسلم يا "ألبرت".

أغلق "قاسم" الهاتف نافخاً بغيظ، قبل أن يهمس بصوتٍ
حانق:

_واحد مُتخلف رايح يحب واحدة غبية وأنا اللي بلبس في
الآخر من ورا مصاييهم.

ارتدت "سهيلة" ثيابها على عجلة ثم انطلقت مُهرولة
للخارج بعد أن ألقَت التحية على عائلتها لتأخرها على
مُحاضرتها، وبالطبع لم تجلس "لواحظ" معهم لغضبها
واستيائها الشديد منهم.

وصلت "سهيلة" إلى الجامعة ثم دلفت إلى محاضراتها، لكن
ولسوء حظها لم تأتي مُعلمة المادة، نفخت بضجر وسخط،
لكن ليس لغياب المُعلمة، بل لأنها ستضطر إلى الجلوس
وحيدة، حيث قطعت جميع علاقاتها مع أصدقائها القدامى
ووضعتهم في القائمة السوداء كما يجب أن يكونوا.

جال بعقلها فكرة سارعت بتنفيذها، حيث قامت بإخراج
هاتفها وقامت بمُهاذفة شخصٍ ما، ثوانٍ وأتاها الرد فأجابت
"سهيلة" بحماس:

"عائشة" إزيك وحشتيني!"

أتاها الرد من "عائشة" على الناحية الأخرى وهي تُجيبها
بـ:

_"حبيبة قلبي يا "سهيلة" وحشاني أكثر يا جميلتي."

تحدثت "سهيلة" بعتاب:

_"وحشتك برضه؟! مش أنتِ قولتيلي هتكلميني كثير؟! أديك
من ساعة ما اتقابلنا آخر وأنتِ معبرتنيش."

أجابتها "عائشة" باعتذار:

_حَقِّكَ عَلَيَا وَاللَّهِ مَتَزَعْلِيْش مَنِي، أَنَا بَس كُنْتُ خَائِفَةً أَبْقَى
تَقِيلَةً عَلَيْكَ وَمَش حَابَةٌ وَجُودِي.

ردت عليها "سهيلة" بعتاب:

_إِخْس عَلَيْكَ يَا "عَائِشَةَ" لِيَه بِتَقُولِي كَدَا؟! لِأَ بَجْد أَنَا حَبِيْبَتِكَ
أُوِي وَاعْتَبَرْتِكَ أَكْثَرَ مِنْ أُخْتٍ، أَنْتِ كُنْتِ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ
إِنِّي أَرْجِعُ لِرَبِّنَا تَانِي.

ابتسمت "عائشة" بسعادة وهي تُجيبها:

_وَاللَّهِ إِنَّكَ فَرِحْتِيْنِي أُوِي يَا "سَهِيْلَةَ" بِكَلَامِكَ الْجَمِيْلِ دَا،
مَكْنَتَشْ مَتَوَقَّعَةٌ إِنِّي أَكُونُ سَبَبٌ فِي هِدَايَةِ حَد.

أجابتها "سهيلة" مُبتسمة:

_حَقِيْقِي الَّذِي زِيكَ بَقُوَا قَلِيْلِيْنِ أُوِي يَا "عَائِشَةَ"، رَبِّنَا
يَجَازِيكَ كُلَّ خَيْرٍ وَيَجْعَلُهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِكَ.

آمنت "عائشة" على دعائها قائلة:

_اللَّهُمَّ آمِينَ يَا حَبِيْبَتِي وَإِيَّاكَ.

حارة القناص

تسألت "سهيلة" بلهفة بعد أن هبطت من مبني الجامعة:
_ أنتِ فين دلوقتي؟!!

أجابتها "عائشة" وهي تتحدث بمرح:
_ حذري فذري أنا فين؟! أنا في نفس المكان اللي اتقابلنا
فيه المرة اللي فاتت.

قفزت "سهيلة" محلها بحماس قائلة:
_ بجد؟! طيب أنا جاياك دلوقتي حالاً.

_ تمام هتلاقيني وصلت للمسجد تعالي على هناك بقى.

_ حاضر، يلا سلام.

أغلقت "سهيلة" معها الهاتف ثم تحركت نحو المسجد
المُلق بالجامعة، وبعد خمس دقائق وصلت، لتجد
"عائشة" تقف بالخارج مُنتظرة إياها، ركضت "سهيلة"
نحوها ثم عانقتها بقوة أثناء هتافها السعيد:

_ بجد بجد وحشاني أوي، هل مرة واحدة اللي اتقابلنا فيها
بس حبيتك جداً.

بادلتها "عائشة" العناق مُجيبة إياها بضحك:

_حبيبتي والله يا "سهيلة" وأنتِ وحشاني أكثر.

ابتعدا عن بعضهما فنظرت "عائشة" لثيابها فوجدتها ثيابًا واسعة بكثير عن المرة المُقبلة، ولكم سعدت من التطور الواضح على شخصيتها، جذبتها "عائشة" خلفها وهي تردف قائلة:

_يلا ندخل عشان الأبله "مريم" كلها شوية وهتبدأ الدرس.

وافقتها "سهيلة" تلك المرة بصدرٍ رحب وإشتياق للحديث الذي يدفعها للراحة والطمأنينة، أعطتها "عائشة" ثيابًا واسعة (إسدال) لترديها فوق ثيابها التي لا تنفع في المكان التي تقف به، واتجهتا معًا صوب جميع الفتيات اللواتي ينتظرن مُعلمتهن الجليلة "مريم".

جلستا على مقربة كن تجمهر الفتيات حتى تأتي "مريم"، فبدأت "سهيلة" حديثها بتوتر وهي تضغط على كفيها بتوتر:

_ "عائشة" أنا كنت عايزة أسألك على حاجة كدا.

انتبهت لها حواس عائشة بانتباه، ثم أردفت مُتعبة:
_إسألني براحتك وأنا سمعكِ.

ضغطت "سهيلة" على شفيتها بتوتر ولا تعلم كيف تبدأ حديثها، لكنها رضخت بالأخير أن تُعبر عن مكنوناتها وتتسائل من أجل أن تهدأ ولو قليلاً:

_بُصي أنا الحمد لله إلى حدٍ ما بقيت مُلتزمة في الصلاة شوية، بس بصراحة بقطع فيها، بس المشكلة إني لما آجي أصلي عقلي بيفضل يصورلي حاجات وحشة ومش حلوة، تخيلات فعلاً أنا أنكسف أفكرها وأنا بصلي، وبجد والله مش بكون قصدي، بحس إني مش خاشعة في صلاتي وإنها مش مقبولة مني، هل كدا ربنا مش راضي عني؟!!

كانت "عائشة" تستمع إليها بانتباه، وعند سؤالها الأخير ابتسمت بخفة وامتدت يدها لثمسك بيد "سهيلة" وهي تسألها:

_أنتِ بتكوني عايزة تخشعي في صلاتك؟!!

أجابتها "سهيلة" مؤكدة:

_أيوا أكيد.

فأكملت "عائشة" حديثها وهي تقول مُبتسمة:

_يبقى صلاتك مقبولة منك، خليك عارفة ومتأكدة إن الشيطان مش هيسيبك في حالك، وسوسته هتفضل معاك حتى وأنت بتصلي، هتحسي إن قلبك مش خاشع وإن صلاتك مش مقبولة بس دي في الحقيقة مجرد هلوسة ووسوسة من الشيطان، الأفكار الوحشة اللي بتجيك وأنت بتصلي مش بتخليها بمزاجك، بل شيطانك بيوزك ليها عشان مرة ورا الثانية تزهقي وتقولي خلاص أنا ربنا مش راضي عني، لكن ربنا بيكون مبسوط وفرحان بيك عشان بتجاهدي وبتحاربي نفسك الضعيفة، هقولها لك تاني وتالت وعاشر ومش هزهق، مهما عملتي من ذنوب أوعي تسيبي صلاتك، إحنا من غير الصلاة منسواش، إحنا من غير ربنا ولا حاجة، وأكد إحنا مش هنخسر دُنيتنا وأخرتنا بسبب شيطان ضعيف.

_ضعيف!؟

رددتها "سهيلة" بتعجب، لتؤكد لها "عائشة" بقوة قائلة:

_أه ضعيف، الشيطان طول عمره ضعيف طول ما أنت قريبة من ربنا، هيحاول معاك من جميع النواحي بس أنت محصنة نفسك، هل كدا هيعرف يوصل لعقلك؟! لأ طبعًا، أنت عارفة

حارة القناص

عاملة زي إيه؟! زي مجموعة من الناس راحة تهاجم قصر كبير وضخم مليون بحراس وأسلحة وجنود وأسوار وحديد وهما ماسكين عُصيان خشب، مين اللي هيكسب؟! اللي ماسكين عُصيان خشب ولا القصر اللي متحصن من جميع النواحي؟!!

أجابتها "سهيلة" مؤكدة:

__ أكيد القصر اللي متحصن من جميع النواحي.

__ أهو الشيطان كدا بالظبط، ضعيف زي الناس دي، والإنسان قوي بصلاته، وزكاته، وأذكاره، ودعائه، طول ما أنت محافظة على الحاجات دي فالشيطان ما هو إلا حشرة صغيرة قدامك مش هتتاثيري بيها.

فكرت "سهيلة" في حديثها بعمق، وبالطبع هي معها كل الحق، نظرت لها بتوتر أكبر فعلمت "عائشة" بأنها تُريد سؤالها مرة أخرى، لذلك أردفت بضحك:

__ عايزة تسألني إيه تاني؟!!

حممت "سهيلة" بخجل قائلة بإبتسامة بلهاء وهي تلتمس بشرة وجهها التي احمرت بشدة:

_ هو باين عليا أوي كدا؟!!

ضحكت "عائشة" بخفة وهي تهز رأسها بالإيجاب، ثم أردفت:

_ بصراحة باين جدًا، ها قولي عايزة تسأليني في إيه؟!!

سحبت "سهيلة" نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل قبل أن تتحدث بسرعة وكأنها ترمي عن كاهلها حملًا ثقيلًا:

_ بصراحة بقي أنا بحب واحد مسيحي.

ضربت "عائشة" على صدرها مُرددة بحسرة:

_ يا مراري؟!!

اختبأت "يمنى" خلف "يحيى" وهي تتسائل بخوف:

_ إيه صوت الصوت اللي جاي من برا دأ؟! هما بيحتلونا ولا إيه؟!!

ابتلع "يحيى" ريقه بفرع قائلًا:

_مش عارف، وبعدين أنتِ مستخبية ورايا ليه أنا عايز اللي
يخبيني.

ضربته "يمنى" على ظهره بعنف وهي تُقلده ساخرة:

_مالك يا راجلي وتاج راسي كشيت على نفسك ليه؟!!

ابتلع لعابه مُحاولًا التحلي بالقوة، قبل أن يقول بصوت قوي:

_كشيت؟! لأ طبعًا، دا أنا بقيس مهاراتك وقوتك النفسية.

عقب حديثه؛ صرخ بفزع عندما كُسر الباب الخشبي ووقع
أمامهم مُتكسرًا إلا أشلاء، أغمض عيناه بهلع وعاد للخلف
تلقائيًا قبل أن يصرخ عاليًا:
_اقتلوها هي أنا مليش دعوة.

تشنج وجه "يمنى" بإستتكار، وحقًا ودت لو تقفز فوقه
لثقلته درسًا لن ينساه لغدره، هذا إن خرجا أحياء من هنا.

_الأوامر تقول بأننا سنقتل الجميع بلا إستثناء يا مُغفل.

صعدت تلك الكلمات من فم "ألبرت" الذي طالع "يحيى"
بسخرية، بينما شعر "يحيى" بأن هذا الصوت مألوفًا إليه

لحد كبير، لذلك فتح عين واحدة ليتأكد من شكه، وبالفعل كان ظنه صحيحًا عندما أبصر "ألبرت" يقف ومعه أخواته الأربعة الآخرون، تشكلت إبتسامة بلهاء على ثغر "يحيى" قبل أن يُهرول له ويحتضنه قائلاً بسعادة:

يا عايشين. هنا عايشين. كنت عارف إننا هنخرج من هنا عايشين.

وما إن أنهى حديثه؛ حتى وجد رجال "صديق" الذين ظهروا من اللامكان يلتفون حولهم بطريقة مُثيرة للربح وأسلحتهم تُوجه نحو رؤوسهم.

استدار "ألبرت" تجاه "يحيى" قائلاً بوجه جامد مُتخشب:
إن استمعت إليك تتحدث مرة أخرى سأقطع لك لسانك أيها اللعين.

مط "يحيى" شفثيه بحنق وهو يتسائل:

دا نصيب ربنا، إيه هتعرض؟!!

حارة القناص

خلع "ألبرت" جاكيت بذلته الجديد استعدادًا للمعركة التي
على وشك البدء، ثم أعطاه إليه مُحذِرًا إياه بسبابته بصوتٍ
جاد لكن سعد مُضحكًا بعض الشيء:

__ هذا آخر ذكري من حبيبتي السابقة التي قُتلت، إن حدث له
شيء ستلحق بها.

و على الجانب الآخر... أمسك "قاسم" بالهاتف قائلاً:
__ أيوا بعمل كل حاجة تأهل نفسييتها إنها تتحسن عشان
تتقبل العلاج.

أتاه صوت الطبيب مُتسائلًا:
__ طيب دا كويس أوي، وأنت بتعمل إيه بقى عشان تحسّن
نفسيتها؟!

أجابه "قاسم" ببلاهة شديدة:
__ بغنيها.

_يا وكستي عليا.

كان رد فعل طبيعي من "مايكل" الطبيب المصري الذي يعيش بروسيا، لیتسائل "قاسم" بتعجب:
_هو فيه أكثر من كدا؟!!

جاءه صوت "مايكل" الحائق والذي أردف بسخرية:
_لأ طبعًا يا جدع تف من بوقك أنت كدا ماشي في السليم.

وبإقتناع شديد أجابه "قاسم" قبل أن يُغلق الهاتف:
_طب كويس، سلام بقى مش فاضيلك يا "مايكل" يخربيت
رغيك.

وبنفس الوقت.. صدح هاتف "أهلة" يعلو في الأرجاء،
لتمسكه "أهلة" وتنظر لإسم المتصل والذي لم يكن سوى
شقيقتها "ملك"، ارتسمت ابتسامة واسعة على شفيتها
وهي تُجيبها بسعادة:
_وحشتيني يا ملوكة.

جائها صوت "ملك" المُفزع وهي تصرخ بها:

حارة القناص

اسكتِ دلوقتي مش وقته سلامات، فيه مُصيبة.

هبت "أهله" من على مقعدها متسائلة بقلق:

مُصيبة؟! في إيه يا "ملك" قلقتيني؟!

أجابتها "ملك" بسرعة وقلبها يعلو ويهبط من هول ما سمعته:

"أروى" سكرتيرة "ضياء" رئيس الجريدة اللي أنتِ شغالة فيها اتقتلت.

«يُتَبَعُ»

#حارة_القناص.

إشروق حسن | 

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا ولا غمًا إلا فرّجته،
ولا مريضًا إلا شفيته، ولا ميتًا إلا رحمته، ولا مفقودًا إلا
رددته، ولا منكسرًا إلا جبرته، ولا عاصيًا إلا هديته

ولا خائفًا إلا أمّنته، ولا عاريًا إلا كسوته، ولا جائعًا إلا
أطعمته، ولا فقيرًا إلا أغنيته، ولا عقيمًا محرومًا إلا وهبته،
ولا أيّمًا إلا زوجته، ولا أسيرًا إلا حرّته، ولا أسيرًا إلا
حرّته، ولا أسيرًا إلا حرّته، إنك وليّ ذلك والقادر

عليه.  

«حارة القناص»

«كفاءة»

أنا معك حينما تضيق الطُرق وتقسو الشوارع، أحضاني
تتسع لضمكِ عزيزتي..

إن كنت تظن أنك نجوت؛ فأنت مُخطيء، عقلك لن يتركك
تستريح، سيبدأ بشن هجومه الشنيع على أنسجتك الهادئة،
ليُصبح جسدك بأكمله يقف ضد فؤادك الضعيف، فتضطر إلى
الرضوخ والقسوة لتُصبح مثلهم في النهاية، بلا رحمة!

أغلقت "أهلة" الهاتف مع "ملك" بعدما استمعت إلى
تصريحها بشأن قتل "أروى" مساعدة "ضياء" والذراع
الأيمن له، وضعت الهاتف ببرود على الطاولة مُجدداً ثم
عادت إلى مقعدها تجلس عليه بجسد يابس هاديء وكان
شيئاً لم يكن! أرجعت رأسها للخلف وابتسامة طفيفة قد
تشكلت على ثغرها، يبدو بأنها ابتسامة شماتة! يبدو أن
"ضياء" تأكد من صحة حديثها حول خيانة "أروى" له،
نعم.. هي المُتسببة بمقتل "أروى" لكن بطريقة غير
مباشرة!.

_ولسه.

همسة خفيفة خرجت من بين شفثيها قد تبدو هادئة لكل من يستمع إليها، لكن في الحقيقة هي تحمل بين طياتها خبث ومكر يُشبه الأفعى.

كل ذلك وكانت غافلة عن ذلك الذي يُتابعها أثناء وقوفه مُستندًا على الباب بذراعه، ضيق "قاسم" عيناه مُتعبًا من حالتها وفرحتها بعد معرفتها بمقتل الفتاة، لقد استمع للحديث بأكمله عندما كاد أن يدلف لها ليتحدث معها قليلًا، لكن استوقفه رنين الهاتف وإجابتها عليه ثم صراخ "ملك" المُصدمة من الخبر، و"أهلة" قابلته بكل برود وبلامبالاة!

اقترب "قاسم" منها وعيناه لا تتطع سوى على وجهها، جلس على المقعد الذي أمامها ثم تحدث مُخرجًا إياها من هُذنتها:

_شايك مبسوطة!.

اعتدلت "أهلة" في جلساتها ثم ربت عن ذراعيها مُجيبة إياه بصوت جامد يخلو من المشاعر:

_ "أروى" سكرتيرة "ضياء" ماتت.

_ودا شيء يخليك مبسوطة أوي كدا؟!!

سألها بتعجب، لثُجيبه وهي تهز كتفها بلامبالاة:
_مش مبسوطة على قد ما أنا مصدومة إن الموضوع حصل
بسرعة.

ضيِّق عيناه بريبة وهو يتسائل بحذر:
_يعني!

ابتسامة جانبية تشكلت على ثغرها أثناء قولها الحاقد:
_يعني أنا اللي قايلة لـ "ضياء" عن خيانة "أروى" ليه،
وهو اتصرف بغباء وقتلها، يعني مش ذنبي.

وفي تلك الأثناء تأكد "قاسم" بأن "أهلة" تُعاني من
إضطرابات داخلية بسبب أفعالها المُريبة بعض الشيء، مما
يعني وجود مرض نفسي ثالث لديها!

أغمض "قاسم" عيناه بقوة يُحاول تنظيم أفعاله كما طلب
منه الطبيب "مايكل" حتى تثق به، لذلك وقف من مكانه ثم
اقترب منها جاذبًا إياها من ذراعها مُقربًا إياها منه، وباليَد
الأخرى أبعد خصلاتها عن وجهها وهو يسألها بهمس:

__حاسة بايه دلوقتي يا "أهله"؟!!

اضطرب جسدها من إقترابه المفاجيء، كذلك انقطعت أنفاسها بغتةً من سرعته، حاولت الابتعاد إلا أنه أصرَّ على موقفه وشدد من الإمساك بها، ليستمع إلى صوتها المختنق وهي تطلب منه:

__سيبني يا "قاسم" لو سمحت.

كانت عيناها تنظر لكل رُكن بالغرفة إلا وجهه، لذلك رفع يده وأمسك بها من وجهها ليثبتته، وبحنانٍ بالغ أعاد سؤاها مرة أخرى:

__جاوبيتي يا "أهله" .. حاسة بايه دلوقتي؟!!

لن تكذب إن قالت بأنه الوحيد الذي يرى ضعفها وتستريح في وجوده، حنانه يُسحرها، وإهتمامه يُؤسرهما، وهي تخاف أن تخضع فتُخذل فتنتكس مُجددًا!

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم خرج صوتها مُتحشرجًا وهي تُجيبه:

حارة القناص

_أنا مش عارفة أنا حاسة بايه، كل اللي حاسة بيه هو
الدمار الموجود جوايا وأنا عاجزة عن فعل أي حاجة
تسعدني.

أخفّضت رأسها تزامناً مع قولها الأخير، لتشعر به يرفع
رأسها مُجدداً بسبابته ثم تشدق قائلاً:
_هصلح الخراب الموجود جواك، هرّم قلبك من أول
وجديد.

هزت رأسها بنفي وهي تبتسم بألم:
_صعب.

أصرّ بقوله عليها:

_بس مش مستحيل، "أهلة" أنا عارف إن جوازنا فترة
مؤقتة، وزى ما أنت بتساعدني في مشواري أنا كمان
هساعدك ومش هسيبك غير وأنت "أهلة" الإنسانة اللي
بتحس وبتعيظ وبتضحك وبتتبسط، صدقيني أنا مش هسيبك
غير وأنت كاملة.

زفرت "أهلة" بقلة حيلة وهي تقول بأسى:

_مش هتسيبني إزاي وأنا اللي نفسي سابتني من زمان؟! أنا كل ما بقول هرجع بلاقي مية حاجة بترجعني لنقطة الصفر تاني.

اقترب منها مُغمضاً عيناه أثناء إستناده بجبينه على جبينها،
ثم أردف لها بحنان:

_اعتبريني أنا نقطة الصفر وهوصلك لخط النهاية.

ارتجف قلب "أهلة" من قُربه، بل ومن حديثه، وهمسه، ومشاعره، وصوته، كل شيء به يُزيد الرجفة بجسدها، كأنه ساحر وهي الضحية! أغمضت عينها بدورها هي الأخرى لتستلذ بوجوده، وعند تلك النُقطة ضرب بعقلها إنذارٍ بأن تبتعد على الفور، وبالفعل فعلت وعادت بقدمها إلى الخلف، ما تفعله خطأ وهي تعلم، لكنه يفرض عليها حصونه وبقوة.

نظر لها "قاسم" بهدوء عقب إبتعادها ولم يُعقب، هو بالأساس يعلم ما يدور بعقلها، وكيف لا وهو يشعر بما تشعر به تمامًا، وبعفوية تسائل حتى لا يُزيد من حرجها:

_مش جعانة؟!!

رفعت أنظارها إليه لتُطالعه، لتجد إبتسامة هادئة تُزين ثغره،
عضت على شفيتها تُفكر في حديثه، وبمرحٍ اكتسبته منه
أومات له بالإيجاب قائلة:

__جعانة جدًا.

غمزها أثناء قوله المرح:

__يبقى يلا بينا على المطبخ.

قالها بضحك لتُشاركه هي الأخرى في ذلك وسارت بجانبه
نحو المطبخ ليبدأوا بإعداد الطعام معًا كما اعتادوا في الأونة
الأخيرة، هو يُجهز الطعام وهي تقف بجانبه لتتعلم منه، حتى
وإن بانت جميع محاولاتها بالفشل تجد منه تشجيعًا غريبًا
يُشعرها بالإنشاء.

اختر صُحبتك فالأصدقاء طريق.

كانت "سهيلة" تُطالع "عائشة" بحذر وكأنها طفلة مُذنبه
تستعد للتوبيخ من والدتها، رفعت أظافرها تعض عليهم

حارة القناص

بتوتر تنتظر حديثها عقب تفجيرها لقتيلتها التي جعلت الأخرى تتصنم محلها لعدة دقائق، وبحذرٍ بالغ نادى "سهيلة" عليها بخفوت:

_سكتي ليه يا "عائشة"؟

رفعت "عائشة" أنظارها إليها وهي تبتسم إبتسامة صفراء أثناء قولها الصريح:

_لأ ولا حاجة يا حبيبتي، بفكر في حل للمصيبة دي.

جعدت "سهيلة" وجهها بسخط وهي تقول:

_مصيبة ليه إن شاء الله؟! وبعدين يعني ما هو أكيد فيه حل.

طالعتها "عائشة" بطرف عينيها قائلة بسخرية:

_هي حلها واحد يا حبيبتي، إن هو يأسلم وتتجوزوا، غير كدا يبقى فركش.

_لأ دوريلي على حل تاني دا صعب.

كزت "عائشة" على أسنانها بغيظ وهي تُوبخها:

_يا بنتي ركزي معايا الله يهديك، دي ملهاش حلول تانية، يا إما هو يأسلم وبعد يجي يتقدملك بطريقة شرعية، يا إما كل واحد يروح لحاله وملكيش دعوة بيه نهائي.

عضت "سهيلة" على شفيتها بتفكير قائلة بصوتٍ باكٍ:

_طيب وأنا هعمل إيه دلوقتي؟! صدقيني يا "عائشة" أنا حاولت بأكثر من طريقة إني أبعد عنه ومعلقش نفسي بيه، بس لقيتني بكون مبسوفة وفرحانة لما يكون موجود، وهو لطيف وطيب أوي بس مس..

شهقت برعب عندما وجدت يد "عائشة" تجذبها من ثيابها وهي تسألها بفحيح:

_أنتِ قولتي إيه؟! طيب ولطيف؟! يعني أنتِ بتتكلمي معاه عادي كدا؟! يعني سامحة لنفسك تعملي حاجة حرام وتكلميه ومش عايزة حياتك تكون بايظة؟!!

ابتلعت "سهيلة" ريقها بتوتر وهي تُجيبها:

_يا بنتي هو أنتِ بتتحولي ليه طيب؟! ما إحنا كنا ماشيين كويس من شوية والدنيا كانت فل.

لم تهتم "عائشة" لحديثها، بل أردفت بقولها:

_ ملكيش دعوة بيا وجاوبي على سؤالي.

_ بصراحة هو صاحب أخويا وبشوفه كثير، أوقات بنتكلم
سوا، بس والله كل كلامنا يا إما بيقولي عايز أكل، يا إما
بيعزمني على أكل، يا إما مبيكونش فاضي عشان بياكل.

أردفت بجملتها الأولى بهدوء، وبعدها تشدقت بباقي حديثها
بسرعة عندما وجدت عيني عائشة تحتد بغضب، تركتها
"عائشة" وعادت للخلف مُجدداً وهي تقول بتفكير:

_ بصي إحنا نركن الموضوع دا على جنب دلوقتي لحد ما
أفكر في حل يرضي الطرفين، بس اللي عايزاك تعمله إنك
تبعدي عن طريق الولد دا خالص ولا حتى تكلميه عشان
حرام، خليك غالية وإعملي لنفسك قيمة وابعدي عن سكتة
نهائي، هنتضايقي شوية وشيطانك هيبدا يوسوسك بحاجات
ملهاش لازمة بس هتكسبي آخرتك.

أومأت لها "سهيلة" بتفكير أثناء زفرتها الحزينة لوقوعها
في مثل تلك المُشكلات، لُخرجها "عائشة" من ضيقها
بقولها الممازح تخفيفاً لحزنها:

ما شاء الله عليك يا "سهيلة"، كل شوية في مصيبة ولا أجمل.

لوت "سهيلة" شفتيها بسخط قائلة بنبرة مُضحكة:
تحسيني مغناطيس للمصاب.

قهقهت "عائشة" عاليًا، لكنها سيطرت على ذاتها بسرعة حتى لا تُزعج أحد من الجالسين وخاصةً بأنهم في المسجد، وضعت يدها على فمها قائلة بصوتٍ مُختق ضاحك:
طيب يلا قومي عشان الأبله "مريم" جت وهبدأ الدرس.

هزت "سهيلة" رأسها بضحك ثم وقفت معها لتتجه حيث تجلس مُعلمتهم الجليلة "مريم"، وكم كانوا مُتحمسون لمعرفة موضوع الدرس الذي ستبدأ بالحديث عنه.

المكان مليءً بالأسلحة، والأعين تنطق بالتحدي، والجسد يتأهب للقتال، ومن بين كل هذا كان "يحيى" يختبئ خلف أحد الأعمدة وبجانبه "يمنى" التي تُراقبه بتشنج.

دفعته "يمنى" بعيداً وهي تُوبخه بصوتٍ خافتٍ حتى لا
يستمع إليهم أحد:

_ ما تروح تتخانق معاهم يا "يحيى"!

حوّل "يحيى" نظراته من على الرجال ليثبتها عليها، ليرى
نظراتها المُمتعضة له، دفعها من وجهها بعيداً عنه وهو
يردف بتشنج:

_ ابعدي عن وشي يا بومة يا وش المصايب أنت، يعني مش
كفاية إن أنتِ السبب في اللي إحنا فيه دا؟ لأ كمان بتتعصبي
عليا ولا كأي شغال عندك، بجاحة.

قطبت حاجبها بمقط، ثم اقتربت لتختبئ بجانبه حتى لا
تطولها إحدى الرصاصات الطائشة، وبخبتٍ شديدٍ أردفت:
_ كنت مفكراك راجل شجاع وبتاع، طلعت....

تركت جملتها الأخيرة مُعلقة بحبال من الكلمات الواهية،
لتجده قد هبّ من مكانه قائلاً بنبرة سوقية مُتشنجة:

_ لأ حوشي يا بت الشجاعة اللي بتتقط منك، وبعدين يا غبية
أنا قاعد جنبك علشان أحملك منهم مش علشان خايف.

رفعت جانب شفيتها بإستنكار وهي تقول بمسكنة مُصطنعة:

_ شوف إزاي؟! وأنا اللي كنت ظالمك!!

نفضَ "يحيى" الغبار المُلتصق بثيابه بتكبر أثناء إمساكه للمعطف الخاص بـ "ألبرت"، ثم وبشجاعة عالية أردف بقوة:

_ شوفيني بقى وأنا بقتلهم وهما بيترجونى عشان أسيبهم.

قال جُمَلته ثم خرج من خلف العمود المُختبىء به ليتجه إليهم ويُقاتل، لكن ما إن خرج من مخبأه؛ حتى استمع إلى صوت الرصاصات التي بدأت تنهال على رؤوس الجميع، ليصرخ بفزع ويُولول كالنساء قبل أن يعود لمكانه مُجددًا بجانب "يمنى" التي لم تمنع نفسها من الضحك الهستيري على مظهره المُثير للشفقة، خاصةً عند تعرقه بأحد الأحجار أثناء عودته لها ليقع على وجهه في حينها، ومن فزعه وقف مرة أخرى على ركبتيه واختصر الطريق سيرًا عليهما بدلًا من الوقوف على أقدامه.

أسندته "يمنى" عندما وصل إليها بضحكات عالية اختفى أثرها بسبب صوت الطلقات العالية، بينما هو كان العرق

يتصيب من جبينه بفرع عندما أوشكت إحدى الرصاصات أن تستقر في رأسه، وضع يده على قلبه ليشعر بمضخات تطرق أسفلها، فتح فمه ليتحدث؛ لكنه توقف عن الحديث عندما وجدها مُندمجة في الضحك، حتى أن عيناها قد أدمعت ومشهد سقوطه أمام عيناها لا يذهب عن بالها.

تشنج وجهه بسخط وبغضب دفعها للخلف لتجلس مكانها، نظر "يحيى" حوله يُحاول الوصول إلى مخرج قبل أن ينالوا مصرعهم وهم جالسون هنا، لكن كل هذا تبدد عندما تذكر المعطف الخاص بـ"ألبرت" والذي أسقطه حين هرولتة!

ابتلع ريقه برعب وهو يهمس لذاته ببكاء:

يا مصيبيتي عليك يا "يحيى"!!؟! يعني كذا ميت وكذا ميت،
حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا "يمنى" وعلى معرفتك
الهاب.

أنهى تمتته ثم تسلل بتحفظ وبعدها انتشل المعطف الذي تلوث بالتراب بأكمله من على الأرضية المليئة بالغبار وعاد لمكانه بسرعة مرة أخرى، رفع المعطف أمام عيناها ليجد به بقعة كبيرة مُلطخة بالشحم الموجود بالمخزن، لذلك لطم على وجهه بفرع قائلاً:

وقعت في إيد اللي مبيرحمش يا "يحيى".

كتمت "يمنى" ضحكاتها التي كادت أن تلعو مُجددًا، ثم اقتربت منه واطعته يدها فوق كتفه تقول بمواساة مُصطنعة:

ـ خلاص متزعلش نفسك يا "يحيى"، أهي علقة تفوت ولا حد يموت، صح ولا إيه؟!!

استدار لها بحدة ثم رفع سبابته أمام وجهها وهو يقول لها بتحذير:

ـ بقولك إيه يا بت أنتِ، أنا آه بحبك وبموت فيكٍ وعندي إستعداد أحارب العالم كله عشانك، لكن وشي العسل الوسيم لو جراه حاجة أنا هروح فيكٍ في داهية.

تجاهلت بقية حديثه وركزت مع جملته الأولى، وبأعين مُلتمة أردفت بحب وهي تتسائل بتمني:

ـ بجد يا "يحيى" عندك إستعداد تحارب عشاني؟!!

وإن كان يشعر بالغضب منذ قليل، فحديثها اللين ونبرتها المُتأثرة بددت كل هذا في ثانية وأقل، هو يعشق مُشاكستها ويعشقها هي شخصيًا، أمسك بكف يدها يضغط عليه بقوة وكأنه يستمد قوته منها:

وأحارب نفسي كمان يا "يمنى" بس أنتِ تكوني مبسوطة.

اتسعت ابتسامتها على آخرها من جمال حديثه ولطافته، وإن كان يوجد ما يستحق المحاربة والإكمال؛ فهو الوحيد الذي يستحق، مع شقيقاتها بالطبع.

ومن بين تلك المشاعر الدافئة المتبادلة بينهما، نسوا الشيء الأهم، نسوا العادات والتقاليد، نسوا الدين والآخرة، وجعلوا الشيطان يتحكم في مصيرهم، هم لم يفعلوا كبيرةً، تلك الملامسات الكثيرة التي تحدث بينهم دون وجود أي رابط شرعي يجمعهم ذنبها كبير وآثامها عظيمة، وإن نسوا واجبهم نحو خالقهم، فالمولى لن ينسى!

وعلى الجانب الآخر... توقفت الطلقات وعمّ الصمت المكان، قطب كلاهما جبينهما بتعجب، وبحذر شديد مدّ "يحيى" رأسه ليرى الوضع الصامت، ليجد رجال "صادق" متمددين على الأرض وتُحيطهم الدماء من كل جانب، وكأنهم وقعوا في بركة مليئة بالأسماء المُفترسة التي نهشت لحومهم أحياءً، وأمامهم يقف "ألبرت" وأشقائه خلفه في مظهر مُهيب قابض للأنفُس، و"صادق" يجلس على رُكبتيه يُطالعهم برعبٍ تملك من أوردته.

خرج كُلاً من "يحيى ويمنى" من مخبأهم وذهبوا إليهم،
اقترب "يحيى" من "ألبرت" يحتضنه بسعادة بالغة وهو
يُردد:

تسلم إيدك وعهد الله، على فكرة أنا كنت هخرج أحارب
معاكم بس هي اللي منعتني، بس تتعوض بقى.

أبعده "ألبرت" عن جسده بحنق ثم مدَّ يده إليه قائلاً بسخط
وهو يُنفض الغبار عن ثيابه:
أعطني معطفي.

تبيس جسد "يحيى" عندما استمع لطلبه الطبيعي للغاية،
مبتعداً عنه أثناء إبتلاعه لريقه بتوتر، وبحذر بالغ مدَّ يده
بالمعطف على الجهة النظيفة حتى لا يراه، لكن "ألبرت"
استشف خوفه من ردات فعله الحمقاء، لذلك نفذ عن ثيابه
ناظراً للمعطف بترقب، ولسوء حظ الآخر التقطت عيناه تلك
البقعة الملوثة على معطفه الجديد.

احتدت عيني "ألبرت" بغضب وما هي إلا وثوانٍ وكان
يرمي المعطف على الأرض بحدة، تلاه إمساكه بـ "يحيى"
من تلايبه بعنف، ثم سدده له لكمة قوية استقرت على وجهه
تبعه صراخه الغاضب به قائلاً:

حارة القناص

ـ أيها الأرعن قلت لك حافظ عليه وإلا قتلتكـ

وضع "يحيى" يده على وجهه، وبغضبٍ مُماثل له دفعه بعيداً ثم سدد له لكمة عنيفة تُماثل خاصته!

وعقب تهوره وإنفعاله، استمع إلى شهقات مُنصدمة كان مصدرها أخوات "ألبرت" الذين يُطالعونه بعدم تصديق، ليصعد صوت "ليونيد" القائل بشفقة:

ـ ذلك الشاب كان مسكيناً، سأشتاق له حقاًـ

أكد "آندريه" على حديثه والذي أُردف بتعاطف وهو يُشير لـ"يمنى" الهائمة:

ـ وتلك الفتاة ستخسر حبيبها قبل أن تتزوجه، يالا سوء حظهاـ

بينما ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر "ستيفن" الذي تدخل في الحديث قائلاً بعبث:

ـ سأتولى أنا أمر الفتاة لا تخافـ

بينما "ألبرت" كانت عيناه تسوّد بغضب جامح عقب لكمة "يحيى" الغير مُتوقعة له، وعلى حين غرة ارتمست ابتسامة عابثة على شفثيه قبل أن يهمس بشر:

__نهايتك على يدي يا حقير.

وبعدها أخرج سلاحه من جيب بنطاله الخلفي ثم وجهه على رأسه قبل أن يقول ببرود صقيعي:

__تمنى أمنية أخيرة قبل رحيلك.

ارتسمت ابتسامة متوترة على ثغر "يحيى" والذي أدرك المأزق الذي رمى نفسه فيه، لذلك ابتسم ببلاهة قائلاً:

__هـ.. في إيه يا أبو نسب دا أنا كنت بهزر معاك!.

ابتسامة مخيفة تشكلت على ثغر "ألبرت" قبل أن يسحب بجمود زناد سلاحه، لكن ما حدث بعد ذلك كان غير متوقعًا بالمرّة، حيث تحركت "يمنى" من مكانها واتجهت نحو "ليونيد" الذي يقف على مسافة قريبة منها نسبيًا، لتنتشل سلاحه بسرعة ثم ابتعدت عنه مُجددًا ووجهته نحو رأس "صادق" الذي يرتعش من الخوف، مُطالعة إياه بأعين حاقدة ونفسٍ تُصر على الإنتقام!.

حارة القناص

اعترض "ليونيد" بصراخ ينهرها:

_ هيايبي يا فتاة اعطيني سلاحى ايتها السارقة، لقد كان هدية من حبيبتى السابقة.

سخر "آندريه" قائلاً:

_ أتقصد حبيبتك التى ماتت فى ليلة زفافكما؟! تلك العجوز التى تبلغ من العمر التسعون عاماً تُسميها حبيبتك؟!!

ضربه "ليونيد" فى جانبه بقسوة صائحاً به بغضب:

_ لا تتحدث عنها بتلك الطريقة البشعة أيها القاسى.

شدت "يمنى" بأمساکها على السلاح وبداخل صدرها النيران تشتعل أكثر، وكأن الزمان يدور لتُصبح هى الجانية وهو المجنى عليه! استمعت بعدها إلى صوت "يحيى" المُنصدم وهو يتسائل بعدم تصديق:

_ بتعملى إيه يا "يمنى"؟! إيه الجنان دا هاتى الزفت دا من إيدك متوديش نفسك فى داهية.

امتلات عينيّ "يمنى" بالدموع الكثيفة وهى تُطالعه بسخرية، ثم تشدقت بقسوة عندما لاحظت تقدمه منها:

_ خليك عندك يا "يحيى" أحسنك، أنا مش همشي من هنا النهاردة غير لما أجيب حق أبويا اللي في نايم في ثُربته.

تبيست قدم "يحيى" مكانها عندما رأى إصرارها على قتل "صادق" الذي يرتعش أسفل أقدامهم، وذلك بعد أن أصابته طلقة طائشة في قدمه من سلاح "ألبرت" عند محاولته للهرب، رفع "يحيى" يديه دلالة على الإستسلام، وبعدها تشدق بخوف قائلاً:

_ طيب إهدي واسمعيني، أنتِ كدا هتدمري حياتك بإيدك بسبب واحد ميستاهاش.

هزت رأسها بعنف وأنظارها مُثبتة بحقد فوق "صادق"، فصاحت صارخة وهي تُشير بالسلاح تجاهه:

_ على أساس إن حياتي متدمرتش قبل كدا وأنا بشوف أبويا بيتقتل قدام عنيا؟! اتيتمت واتعذبت وأنا لسه طفلة مكملتش الـ 14 سنة بسبب واحد حقير زي دا؟! ذنبه إيه أبويا يتقتل علشان رفض يشارك في وساختهم؟! كان عايزة يربينا وهما قتلوه بدم بارد وصوته وهو بيترجاهم يسبوه مبيروحش عن بالي، أنا اتدمرت نفسيًا وجسدًا ولسه متعافتش من العذاب، طول عمري مستتية اللحظة اللي آخذ

حق أبويا بإيدي، مش بعد ما جاتلي الفرصة هسيبها تروح
مني كدا.

كانت تصرخ به ودموعها تهبط بعنف على وجهها، هي
تُشبه الطائر الجريح، وهُم من جرحوها واستنزفوا قواها
وطاقتها، كان فؤاد "يحيى" يتألم قبلها، يُطالع حُزنها وكأنه
يقبع بقلبه هو ليس بها، خرج صوته وهو يسألها بتألم
قائلًا:

__ وأنتِ لما تقتليه هتفرقي عنه في إيه؟!!!

رفعت أنظارها إليه عقب سؤاله، لتُجيبه بصوتٍ مُتَحَشِّرَج
تقول:

__ هكون أنا صاحبة الحق، الحق اللي القانون رفض ياخده
عشان البيه عنده ضرر يتحامى بيه، وإحنا الغلابة بيتداس
علينا بالجذم وحقنا ممنوع إننا نطلبه.

صمت "يحيى" ولم يتحدث بكلمة واحدة، يبدو أن حديثها
أصاب نقطة سوداء في أعماقه كان يُحاول دفنها سابقًا! لكن
مع تصريحها قامت بري زرعة ذلك الجانب المُظلم مُتسببة
في نموه مُجددًا!.

مسحت "يمنى" أهدابها بعدما سحبت نفسًا عميقًا من داخلها، وتلك المرة لم يتحدث "يحيى"، بل "آلبرت" هو من قام بدوره عندما لاحظ صمته الغريب عليه قائلاً بهدوء ظاهري:

حسناً فلتقتليه الآن لِمَ تنتظري!؟!

هقتله.

قالتها "يمنى" بإصرار وبعدها أطلقت عليه بالفعل!.

ولحسن حظها قام "ستيغن" بالتسلل من خلفها ورفع يدها المُمسكة بالسلاح، لكن أصابت كتف "صادق"، صرخت "يمنى" بهستيرياً تُحاول الفكاك من بين يديه، فتقدم "ليونيد" من أخيه لِيُساعدَه في إنْتِشال مسدسه من يد "يمنى" حتى لا يُصاب أحد نتيجة لجنونها.

هرول إليها "يحيى" بعدما استفاق من غيبوبته المؤقتة، ثم حاول الإمساك بها وهي التي تصرخ بين أيديهم تُحاول الفكاك منهم لقتل "صادق"، هذا الحقيير الذي تسبب في كل ما وصلت إليه وما أصاب عائلتها، كتفها من الخلف وظل يُردد بأذنها كلمات مُهدئة لها، احتضنها من الخلف فجلست

وهي تصرخ بإنهيار بأن يتركوها، لكن بالطبع لن يتركها لتودي بحياتها.

قام "آندريه" بجذب "صادق" الذي يصرخ بين يديه من الألم، بينما كُلاً من "ستيفن وليونيد" قاموا بجذب الجُثث بعيداً ليُخرجوها عن مرمى بصر "يمنى"، و"ألبرت" استدار لـ"يحيى" وأردف بهدوء:
_سأنتظرك بالخارج لحين تنتهي.

أوماً له "يحيى" بإمتنان، وظل هو يُهدد "يمنى" كالطفلة الصغيرة، بكلماته اللطيفة وحديثه المُبهم، وكأنه يُربت على وجعها وآلامها، وبعد ما يقرب النصف ساعة؛ هدأت "يمنى" كلياً لكنها شعرت بالدوار الشديد يجتاح رأسها، لذلك وقف "يحيى" ثم أوقفها معه بصعوبة بالغة، لذلك قام بحملها واتجه بها نحو الخارج، وصل إلى سيارة "ألبرت" التي تنتظره على بُعد مناسب من الشركة، ثم وضعها بداخلها دون أن يتحدث.

أغلق باب السيارة عليها، ثم استدار للجهة الأخرى حتى يصعد بجانبها، لكن قبل أن يستقل للسيارة وضع يده على جيب بنطاله من الخارج، وبعدها ضرب على رأسه بتذكر قائلاً بإمتعاض:

_ ياربي التليفون وقع مني جوا.

قالها بهمس، فاستدار لـ "ألبرت" يقول له على عجلة:

_ معلىش يا "ألبرت" خمس دقائق هدخل أجيب التليفون من جوا وهاجي على طول.

أوما له "ألبرت" بالإيجاب، فأسرع "يحيى" بخطواته نحو الداخل، وبمكرٍ أخرج هاتفه من جيب بنطاله ثم طلب أحد الأرقام وانتظر قليلاً حتى أتاه الرد من على الجانب الآخر، وبهدوء شديد أردف:

_ أيوا يا "مختار" بيه؟! نفذت كل اللي حضرتك طلبته مني بالحرف الواحد.

_ يا بنتي لفي المحشي زي الناس إيه العك دا؟!!!

صاح "قاسم" بسخط وهو يرى "أهلة" تقوم بلف (المحشي) بطريقة مُعاقبة كما يقول، زفرت "أهلة" بنفاذ صبر، ثم نظرت إليه برجاء قائلة:

حارة القناص

_طيب بُص.. إعمل قُدامي كمان واحدة وأنا أوعدك إني هعملها حلو المرادي.

_إما نشوف.

قالها ثم بدأ بوضع ورقة من الملفوف على يده، وباليدين الأخرى أمسك بالقليل من الأرز، ثم وبكلتا يديه قام بلف ورق العنب بمهارة أتقنها منذ عدة سنوات.

بينما كانت "أهلة" تتابعه بغمٍ مفتوح لتركز أكثر على حركات يديه، وكأنها بتلك الطريقة تُولي إهتمامًا زائدًا له! أنهى "قاسم" لف ورقة الملفوف صم وضعها بالطنجرة ليرصها بجانب الأخریات، وبعدها نظر لـ "أهلة" يسألها بترقب:

_ها اتعلمتي؟!

خرجت "أهلة" من انتباهها الزائد وهي تُحمم بقلق أثناء إجابته:

_طبعا اتعلمت وهعرف أعملها حالاً.

حارة القناص

قالتها ببعض التوتر، فمد "قاسم" يده بورقة من الملفوف
قائلًا بسماجة:

_طب وريني يا سُكر.

رفعت "أهلة" حاجبها عندما استشعرت السخرية في نبرته،
فصاحت به مُستنكرة:

_لأ بقولك إيه أنا مبحبش حد يتريق على شُغلي.

أشار "قاسم" لنفسه بصدمة مُصطنعة قائلًا:

_أنا يا بنتي بتريق عليك؟! والله عيب قلة الثقة اللي ما بينا
دي.

انتشلت "أهلة" ورقة الملفوف من بين يديه، ثم بدأت
بتقليده كما فعل مُسبقًا، لكن النتيجة النهائية كانت محسومة
بالفشل! نكزها "قاسم" في ذراعها وهو يكرز على شفتيه
بغیظ:

_يا حبيبتي ركزي الله يسترك، أنتِ ليه مخلية ورقة العنب
مُعاقة كدا؟!!

حارة القناص

رمت "أهلة" ورقة الملفوف على الطاولة بحنق، ثم دفعته
من كتفه كما فعل معها أثناء قولها الحائق:
_طيب متزوقش.

دفعها هو الآخر بضجر:
_تمديش إيدك أنتِ كمان.

ضربت "أهلة" كف يده وهي تصرخ به:
_متزوقش بقولك بدل ما أتغابي عليك!.

أمسك "قاسم" بيدها التي ضربته بها ثم دفعها بعيداً حتى
كادت "أهلة" أن تقع من على مقعد الطاولة قائلاً:
_تتغابي على مين يا بت أنتِ!!! أنتِ نسييتي نفسك ولا إيه!!

اغتاظت "أهلة" من تطاوله عليها فوقفت من مكانها وعلى
حين غرة كانت تُمسك برأسه لتُجذب خصلاته، لكنه أدرك
الوضع وأمسك بيدها قبل أن تطاله، ولسوء حظهم إختال
توازنهم ووقع كلاهما على الأرض وبجانبهم وقع الأرز
بعدما اصطدمت به يد "أهلة".

حارة القناص

شهق "قاسم" بفرع عندما رأى حُبيبات الأرز مُتناثرة أمام
عيناه، فصرخ قائلاً بحسرة:

_عجبك كدا يا اللي منك لله!!

هبت "أهله" من مكانها وهي تجذبه من ثيابه تلك المرة:

_لأ بقولك إيه أنا سكتك كتير النهاردة، تعالالي بقى.

أنهت حديثها ثم انقضت عليه تُحاول إلحاق الأذى بوجهه،
بينما هو تمكن منها وذلك بسبب بنيته القوية وثبتها فوقه
مُردفاً بنهيج:

_أنتِ بني آدمة خمامة على فكرة وهتتعيني معاكِ.

كان صدرها يعلو ويهبط من هول المجهود الذي فعلته أثناء
هجومها عليه، حاولت القيام من فوقه لكنه كان يُثبت
جسدها حتى لا تتحرك، لذلك ردت عليه بغیظ:

_أنتِ اللي رخم ومش بتعرف تعلمني حاجة.

سألها ساخرًا أثناء إمساكه بيدها:

_عشان مش عشان أنتِ غبية؟!!

نفت قائلة:

_ لا عشان أنت اللي مش عارف تعلمني.

قلب الوضع الذي كانا به، فأصبح هو فوقها وهي أسفله
وسألها بخبت:

_ طيب هناكل إيه دلوقتي!! الرز ووقع على الأرض، وورق
العنب وحضرتك بوظتيه، يبقى هناكل إيه!؟

هزت كتفها بلامبالاة وهي تتلوى بين يديه:

_ وأنا مالي ما تسأل نفسك، مش أنت السبب!!

فرغ فاهه بصدمة وهو يتسائل بعدم تصديق:

_ مين السبب معلى!!

ظلت على رأيها وهي تُجيبه:

_ أنت السبب يا عنيا أنا مليش دعوة، ولو سمحت سيبنى
بقى خلىني أقوم.

قرّب وجهه منها وبمكر تسائل:

حارة القناص

_ طيب بدمتك ينفع أسيبك تقومي عادي كدا؟!!

قطبت جبينها بتعجب وهي تقول:

_ مش فاهمة!.

اقترب أكثر حتى بات وجهه مُلتصقًا بخدها، وبخفة قام بتقبيل وجنتها المُنتفخة بقُبلة رقيقة صنمتها مكانها، تبعه قوله الهامس:

_ يعني مثلاً بوسة من هنا... وبوسة من الناحية الثانية.

والجُملة الأخرى أنهاها وهو يطبع قُبلة ثانية على الخد الآخر، لم يُعير لحالتها المُنصهرة أي إهتمام، بل أكمل حديثه بإبتسامة ساحرة:

_ ومع كل أكلة هتبوظيها هيبقى عليها بوستين.

دفعته "أهلة" بعيداً عنها، ثم توقفت من مكانها وعادت بقدمها حتى التصقت بحائط المطبخ، واضعة كلتا يديها على خديها وهي تقول بصدمة:

_ آه يا سافل يا قليل الأدب يا مُستغل!

حارة القناص

أدار "قاسم" وجهه للناحية الأخرى وكأنه يحك عنقه حتى لا ترى ابتسامته الواسعة التي كادت أن تتحول لضحكات عالية بسبب ردة فعلها البلهاء بالنسبة له، وعندما تحكم بذاته أدار وجهه مرة أخرى لها ليتحدث بجدية واهية:

كُل دا عشان بوستك بوستين!! دا أنتِ قلبك قاسي أوي يا "هولا".

انتفض فزعاً عندما صرخت به فجأة قائلة:
_"قاسم" أنت قليل الأدب.

قالتها ثم هرعت من أمامه مُهرولة من الخجل، بينما هو وضع يده موضع قلبه بفزع قائلاً بصدمة غريبة:
_إخص! بقى أنا قليل الأدب!

هل لي من مناجي يُناديني يوم الحَشْرِ للجنة؟! هل لي من شافع يُدرك طريقي ومقصدي؟! أتيتُك يا خالقي باكيًا لأشكو، من ضيق الدنيا وأطلب حُسن الخاتمة.

تجمعت الفتيات حول "مريم" كعادتهم، وكالعادة وجهت "مريم" للجميع ابتسامة خفيفة، وببشاشة بدأت حديثها قائلة بصوتٍ متأثر:

_ النهاردة موضوع الدرس هيبقى جميل أوي، هنتكلم النهاردة عن «التوبة».

ابتسم الجميع بإتساع خاصة "سهيلة" التي كانت شغوفة للإستماع، وبتلك المرة كانت تُنصت لها بقلبها لا بأذنها، بدأت "مريم" حديثها بقولها لكتاب الله العزيز:

_ ربنا بيقول في كتابه العزيز، بسم الله الرحمن الرحيم " ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " .

لما تعمل الذنب وتستغفر وتتوب، تأكد مليون في المية إن ربنا سبحانه وتعالى تقبل توبتك، لأن ربنا هو اللي ألهمك للتوبة، أوقات كثير بنحس إن لأ ربنا مغفرش ليا ذنبي، لأ أنا ذنبي عظيم ومش سهل ربنا يتقبل دُعائي، لأ أنا كذا مُناقق مينفعش أصلي وربنا غضبان عليا، بس دي مش بتكون سوى وساوس من الشيطان، الشيطان بيتشكل ليك

على هيئة أفكار وصراعات بتحصل جوا عقلك، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً، يعني ربنا يقول استغفري أعفرك، ملكش دعوة بأي حاجة تيجي في دماغك بعد كدا، ما عليك سوى التوبة لله عز وجل.

صممت "مريم" قليلاً تلتقط أنفاسها، فقاطعتها "سهيلة" وهي تسألها بتوتر:

حتى لو كان الذنب اللي عملته من الكبائر!! ربنا فعلاً هيتقبل مني توبتي ولا هيرزقني بمصايب وابتلاءات عشان أكفر عن ذنبي؟!!

نال سؤالها استحسان "مريم"، لذلك أجابتها مُبتسمة:

خلينا متفقين إن الإبتلاءات دي بتكون رزق من عند ربنا، الإنسان بيكافأ على حسب صبره على الشدائد والإبتلاءات، المولى عز وجل بيختبر عباده الصالحين وبيشوف مدى تحملهم وصبرهم على المصائب، فيه ناس ربنا بيبتليها عشان ترجعه من تاني، عشان لما تفكر ترجع للذنب من تاني تفكر في عواقبه والنتائج المترتبة عليه، فيه جملة جميلة جداً بتقول «لو رأيتم الغيب لأخترتم الواقع»، والجملة دي أنا مُقتنعة بيها جداً، لأن ربنا مش بيختار لعباده غير الصواب، خلي الدنيا دايمًا آخر همك، انشغلي بمصحفك،

حارة القناص

بصلاتك، بأذكارك، بعبادتك، حسّني علاقتك بربنا، خليك
مُستعدة لأي وقت روحك هتقبض فيه، توبي وإرجعي، إحنا
جاين هنا ضيوف وهنمشي تاني، هنمشي للأبد لمكان
أحسن بكتير، والمكان دا أنتِ اللي هتحدديه بإيدك، إختاري
صح وسيبي الباقي على ربنا.

كانت "سهيلة" تستمع إليها بإنصات شديد، حتى أن عيناها
أدمعت من فرط الجمال الذي تسمعه، هناك الكثير من
الأشياء يجب عليها تغييرها بشخصيتها، ومن هنا قررت
البدء بأول خطوة ستُغير حياتها للأفضل، وهي إرتدائها
للحجاب.

انتهى الدرس بعد أن قضوا به نصف ساعة تقريبًا، لتخرج
"سهيلة" ومعها "عائشة" التي احتضنتها بود قبل أن تقول
بأسفٍ:

_ هتوحشيني يا "سهيلة" أوي، هضطر أمشي بقى عشان
محاضراتي هتبدأ بعد خمس دقائق.

بادلتها "سهيلة" العناق ثم أردفت بحب:

_ ولا يهملك يا حبيبتي، تتعوض إن شاء الله ونتقابل يوم
السبت تاني.

إن شاء الله.

قالتها "عائشة" بإبتسامة لطيفة، قبل أن تتركها وتذهب مُسرعة نحو مُحاضرتها حتى لا تتأخر، في تلك الأثناء كانت الساعة الحادية عشر تقريبًا؛ وهو موعد المحاضرة الثالثة لديها، لذلك قررت الذهاب إليها لتحضرها.

كانت تُمسك بحقيبتها ترتديها على كتفها، استمعت لصوت رنين هاتفها فأخرجته لتجد اسم المتصل يُزين شاشة هاتفها، والذي لم يكن سوى "فور"؟! شردت "سهيلة" قليلًا تُفكر في الإجابة عليه أم تجاهله! وبعد وقت من التفكير قررت إغلاق هاتفها حتى لا تقع بالذنب مرة أخرى.

شهقت بفزع عندما شعرت بأجسادٍ ضخمة تقطع طريقها، رفعت عينها لتجد أن الذي أمامها لم يكن سوى "ماجد" وأصدقائه، وبالطبع يُرافقونهم كلاً من "ساندي ومنه"، تلك الأفعتان اللتان سبحوها لمستنقع مليء بالأوساخ، تنغض جبينها بضيق عندما رأتهم يقفون أمامها، وبقوة غير معهودة تسألت بحدة:

أفندم؟! عايزين إيه؟!!

حارة القناص

حاولت "منه" أن تتصنع خوفها عليها وهي تقترب منها
لإحتضانها أثناء قولها:

_فينك يا "سو" مختفية فين!! وحشتينا أوي.

دفعتها "سهيلة" بعيدًا عنها بإشمزاز وهي تنهرها بحدة:
_وحشك قطر يا حبيبتي، اعتبروا علاقتي بيكم لحد هنا
وخلص خلصت، بَح.

صعد صوت "أمجد يسألها بعدم فهم:

_يعني إيه خلاص!!

تخصرت "سهيلة" في مكانها وبحقد واضح على نبرتها
أردفت بسخط:

_يعني اللي فهمته يا عين أمك، ووشوشكم العكرة دي مش
عايزة أشوفها في أي مكان أنا فيه تاني، علشان بعيد عنكم
بقيت بقرف من الزفارة.

رمت كلماتها المهينة لهم، ثم استدارت وخطت عدة خطوات
مُبتعدة عنهم، لكنها شهقت بفرع عندما شعرت بيد صلبة

حارة القناص

تُمسك بها من كفها تمنعها من إستكمال طريقها، تلاه صوت
"أمجد" الخبيث قائلاً:

_ على فين يا حلوة!! وأنتِ مفكرة دخول الحمام زي خروجه
ولا إيه!!

انقبض قلب "سهيلة" من نبرته الخبيثة، فحاولت سحب
يدها من بين كفه لكنها لم تستطيع، لذلك صرخت به وهي
تدفعه من كتفه بقوة:

_ أنتِ اتجننت!! سيب إيدي يا حيوان.

وما إن أنهت سببها؛ وجدت كفه يلتطم بوجهها بقوة أدت
إلى تخديله، استغل ضعفها وسحبها خلفه، لكنها قاومت بكل
قوتها وحاولت سحب كفها منه مما أشعل فتيل الغضب
بفؤاده، رفع كفه مرة أخرى في نية لضربها، لكنه وجد يد
غليظة تمنعه من ذلك، تبعه همسه بفحيح:

_ فلتُقيم الأفراح، يدك ستُقطع اليوم.

وما إن انتهى "فور" من جملته؛ حتى قام بثني ذراع
"أمجد" ثم ضربها بركبتيه ليستمع الجميع بعدها لصوت
تكسير عظام ذراع "أمجد" الذي يُولول كالنساء!.

_ "هولا" .. "هلاهيلو" .. "لولي" .. بت يا "أهلة" افتحي الباب دا.

هكذا أردف "قاسم" الذي يطرق على باب الغرفة التي أغلقتها "أهلة" خلفها بعدما هرولت من أمامه غاضبة، استمع بعدها لصوت "أهلة" الحائق بغضب وهي تصرخ به:

_ لأ مش فاتحة يعني مش فاتحة، وحدودك أنا هعرفهاك كويس يا قليل الأدب.

مطَّ "قاسم" شفتيه بسخط وهو يرد عليها حانقًا:

_ وهو أنا يعني عملت حاجة غلط ولا حرام؟! يا بت دا أنتِ مراتي، مش بدل ما أخرج أنحرف برا؟!!!

أتاه صوت "أهلة" تهدر بغضب:

_ ما تبص ياخويا وهو حد قالك لأ؟!!!

ردد "قاسم" جملتها بتعجب، وبعدها أردف يهمس ببلاهة:

_ أبص؟! دا أنتِ لُقطة.

حمم بجدية قائلًا وهو يطرق على الباب بإلحاح قائلًا:
_طيب افتحي والله عايز أقولك حاجة مهمة.

ظلت "أهلة" على رأيها مُجيبة إياه بعناد:
_مش فاتحة برضه ها.

تأفف "قاسم" بنفاد صبر:

_يا بنتي والله عايز منك حاجة مهمة وبعد كدا اقللي على
نفسك للصبح.

استشعرت "أهلة" الجدية في صوته، لذلك وقفت من على
الفراش مُتجهة ناحية الباب، ثم أخذت نفسًا عميقًا لضبط
توترها والتخفيف من خجلها، وبعدها فتحت الباب بترو
لتجده يستند على إطاره من الخارج مُردفًا وهو يغمز لها
بمزاح:

_إيه يا عم التريل هنفضل مستنينك كتير!؟!

قطبت "أهلة" جبينها وهي تُشير إليه بحنق:

_شوفت!!

اعتدل "قاسم" في وقفته ثم حمم بجدية مُزيحًا إياها من طريقه بوقاحة، ليردد بعدها قائلاً بعدما جلس على الفراش الذي كانت تجلس عليه منذ قليل:

__إزيك يا أستاذة "أهلة" إيه الأخبار؟!!

ربت "أهلة" عن ذراعيها وهي تنظر له بحاجبين معقودين وكأنها تقول له «حقاً؟»، ليضحك "قاسم" ضحكة عالية وهو يُشير لها بالتقدم قائلاً:

__خلاص خلاص تعالي متبقيش قموصة كدا.

اقتربت منه "أهلة" حتى جلست بعيداً عنه على حافة الفراش، ليبدأ هو بالتحدث بصوتٍ جادٍ للغاية:

__طبعًا إحنا كلها يومين وهنساfer روسيا، بس قبل ما نساfer عايز أدبي الضربة القاضية لعيلة "الأرمانى"، وبما إنك لسه مقدمتيش استقالتك في الجريدة عايز منك تظبطيلي الخبر على المقاس المظبوط بالملي، مش عايز حد يشك في حاجة وإن اللي هيحصل بفعل فاعل.

تسألت "أهلة" بحذر وأعين ضيقة:

__وايه اللي هيحصل.

تفجير شركات الأرماني للسياحة.

قالها بتلذذ وبطئ شديد، لتتعجب "أهلة" من خطته تلك والتي لا قيمة لها من الأساس، بالنسبة إليها، قرأ "قاسم" علامات التعجب الواضحة على وجهها ليقول بابتسامة جانبية:

إلا هو أنا مقولتكيش!!

سخرت "أهلة" قائلة:

لأ للأسف محصليش الشرف لسه.

ليأتيها جواب "قاسم" الصادم بقوله:

مش عيلة الأرماني طلعت بتتاجر في الأثار كمان! لأ وعندها شركة وهمية بإسم مُستعار علشان ميتكشفوش، لأ وخدي الكبيرة بقى، "يحيى" خاين وببشتغل لصالح "مختار الأرماني" ومغلنا كلنا.

فتحت "أهلة" فاهها بصدمة قائلة بعدم تصديق:

إيه!!! "يحيى" خاين؟! مستحيل الكلام دا.

زفر "قاسم" بضيق ثم أردف قائلاً:

_ بصي هو موضوع كبير عرفته وهبقي أفهمهوك بعدين،
بس المهم عايزك تكتبيلي خبر كويس.

أومات له بشرود ثم صمتت، ظلوا صامتين لدقيقة تقريباً؛
لتستمع "أهلة" إلى صوت "قاسم" الحانق:
_ بقولك عايزك تكتبيلي خبر كويس دلوقتي.

نفخت "أهلة" بسخط وهي تقول:

_ طيب ما تتفضل تطلع برا علشان مش بعرف أكتب وحد
موجود معايا في الأوضة.

وقف "قاسم" من مكانه ثم اتجه نحو الخارج قبل أن يردف
ساخرًا:

_ وإيه لازمتهما حضرتك بقى، على العموم أنا خارج.

نظرت "أهلة" لأثره بإبتسامة طفيفة، ثم اتجهت إلى أحد
الأدراج الخاصة بها وأخرجت دفتر مذكراتها الخاص بها،
والذي يُفتح ببصمة إصبعها هي فقط!

أمسكت بقلمها المُميز، ثم ظلت تُدون بعض الكلمات لمدة
كان مداها نصف ساعة تقريبًا، وذلك بعد التفكير والتحضير
وكتابة جُمَل متناسقة تتماشى مع الخبر الذي سيكون بمثابة
قُنْبلة ستُفجر الجميع.

أنهت أخيرًا كتابة الخبر، ثم أمسكت بدفترها واتجهت نحو
الخارج فلم تجده، استمعت لصوت جَلْبَة يأتي من المطبخ
فعلّمت بأنه بالداخل، لذلك قررت الدلوف إليه، وما كادت أن
تفعل؛ حتى وجدته يخرج منه ويحمل بين يديه كوبين من
العصير المُفضل لقلبها، لذلك ارتسمت ابتسامة واسعة على
شفتيها تلقائيًا، واتسعت أكثر عندما وجدته يردف لها
بمشاكسة:

_كوبايتين فراولة باللبن، واحدة ليا وواحدة ليك يا عسل.

ذهبت خلفه كالطفلة الصغيرة، ثم جلست بجانبه على الأريكة
مع الحفاظ على مسافة مميزة، فأعطاها هي كوب من
العصير لترتشفه، وهو أخذ منها دفتر مُذكراتها يقرأ ما
دونت به بصوتٍ خافت نسبيًا:

_"والآن وبعد التقارير التي وصلت إلينا وتم كشفها، توصلنا بأن عائلة "الأرمني" ما هي إلا محطة تخريب تصل للجميع، عائلة تتحد مع كبار رجال الأعمال والمُستثمرين الذين يرتدون ثوب البراعة والطهارة، وفي الحقيقة هم عبارة عن عباءة مُتسخة مليئة بالأوساخ، وذلك بعد الكشف عن تجارتهم الغير مشروعة في الآثار وتهريبها، كما كُشف من قبل عن أعمالهم الغير شرعية في تجارة الأعضاء وتهريب الأدوية الفاسدة والأغذية مُنتهية الصلاحية، وهُنا يظل السؤال الذي يدور في عقول المواطنين؛ لِمَ لم يتم القبض على "عائلة الأرمني" حتى الآن؟! أيعقل أن تكون للحكومة يد في تلك التهمة البشعة؟! أم أن هناك لغزٌ يُخفى عن الجميع حتى الآن؟! ".

أنهى "قاسم" قراءة المقال ببسمة واسعة، فرفع عيناه لها ليجدها تنظر إليها تنتظر آرائه، ليغمز لها بمشاكسة هاتفاً بتمجيد:

كفاءة.

«يُتَبَعُ»

#حارة_القناص.

اشروق حسن | ✨

أَتَيْنَاكَ نَرْجُو حُسْنَ الْخِتَامِ
إِلَهِي فَلَسْنَا عَلَى مَا يُرَامِ
عَلَى بَابِ عَفْوِكَ نَحْنُ الْيَتَامَى
وَأَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ.

#قيام_الليل_شرف_المؤمن_وزاد_الأخرة.

«الفصل السادس والعشرون»

«حارة القناص»

«أَكَرَهُكَ أُمِّي»

ظَنَنْتُ بِأَنِّي بَيْنْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَلْبِي حَصُونًا مَنِيعَةً، فَمَا بِأَلِهَا
أَصْبَحَتْ جِبَالًا ضَعِيفَةً؟! عَلِمْتُ حِينَهَا بِأَنَّ الْفُؤَادَ هَاجَ ثَائِرًا،

عند رؤيته لمحياك أصبح تائهاً، يا من ملكت القلب أناديك
راجياً، رفقا بعد مسكين بات عاشقا.

لم يرى أمامه من شدة إنفعاله، الغضب أعماه وجسده عمل
بعنفوان عند رؤيته لذلك الحقير يطبع يده بقسوة على
وجهها الرقيق، إنهال "فور" فوق "أمجد" باللكمات
العنيفة، لم يمنعه هؤلاء الذين أتوا مُسرعين لفض الإشتباك
بينهم، لكنهم فشلوا بعد محاولات عديدة، وكأنه تحول من
إنسان وديع إلى وحشٍ ثائر.

عادت "سهيلة" للخلف واضعة يدها على فاهها بعدم
تصديق ودموعها تنهمر بقوة، أغضت عيناها تُحاول
التحكم بذاتها وبشهقاتها المرتفعة من الألم، لم يكن فقط ألم
جسدي؛ بل أيضاً ألم نفسي بسبب ذاتها التي تجلدها بسوطِ
الحقيقة البشعة وأنها السبب في كل ما يحدث الآن بسبب
غباؤها وتهورها.

تجمع الكثير من الشباب حول "فور" وبصعوبة بالغة أبعده
عن "أمجد" الذي كان فاقداً للوعي تقريباً!!، حاول "فور"
الإفلات منهم ثم صاح باهتياج وصوتٍ صارح بلكنة عامية
تعلمها من أصدقائه:

_لو قربتلها تاني يا حقير يا ابن الـ*** مش هخلي في جتة
اللي خلفوك جتة سليمة.

صعد صدره صعودًا وهبوطًا بغضب، ثم وبقوة دفع الشباب
بعيدًا عنه واتجه نحو تلك الباكية وسحب يدها خلفه
بخطواتٍ سريعة للغاية كادت أن تُسقطها أرضًا، لكنها
تحاملت على نفسها وسيطرت على توازنها.

خرج "فور" من الجامعة بتاتًا مُتجهًا نحو سيارته السوداء
التي تستقر بجانب المبنى ثم وقف ليلتقط أنفاسه اللاهثة،
وهنا أدركت "سهيلة" ذلك الوحش الذي يختبئ خلف تلك
الشخصية الوديدة المُسالمة، لا تعلم بأنه يقتل بدمٍ بارد من
الأساس!

فتح "فور" فمه ليتحدث، وتلك المرة تحدث باللغة العربية
الفصحى كما إعتاد تاركًا العامية التي تحدث بها منذ قليل،
وللعجب بأنه تحدث بصوتٍ هاديءٍ للغاية يشوبه الحنان
عكس ما حدث منذ قليل قائلًا:

_فلتصدي للسيارة عزيزتي سأجلب لك شيئًا لتأكله وبعدها
سنرحل.

أومأت له "سهيلة" بصمت باكِ وما زالت دموعها تنهمر
بصمت على وجنتيها، زفر "فور" بضيق من بكائها؛
فسحب منديلٍ ورقيًا ثم أعطاه له وهو يردف بحنان:

حسنًا كفى بكاءً أنا أعتذر لكِ حقًا.

وكأنه بحديثه الحنون أشعل نار الحزن والألم بوجودانها
مُجددًا، لتنفجر باكية أثناء وضعها لكفيها على وجهها
لتُخفيه، لن تنسى طيلة حياتها تلك الإهانة التي تعرضت لها
أمام جميع أصدقائها في الجامعة، بل ولم يجرؤ أحد على
التدخل حتى لا يقحم ذاته بالمشاكل، بينما "فور" يقف
عاجزًا عن فعل شيء لأجلها، يُريد احتضانها لكنه لا يُريد
خيانة صديقه المُحِب، لذلك وبعد وقتٍ قصير قضاه في
التفكير؛ وضع يده على خصلاتها ليُربت عليه بحنان، تبعه
قوله الحزين وهو يسألها:

حسنًا.. ماذا أفعل لكِ حتى تتوقفين عن البكاء؟! أقسم إن
أردتي سأعود إليه وأقتله لأجلك فقط.

أبعدت "سهيلة" يدها عن وجهها ثم انتشلت المنديل من يده
لتُجفف به وجهها الذي أمثليء بالدموع، وبعدها مسحت
أهدابها المُبللة بكفِ يدها وصممت! وهذا أكثر ما ألمه،

حارة القناص

جلس القرفصاء أمام باب السيارة ولم يلتفت لأحد، ثم أمسك بكفها مُحدثًا بحنان:

_ أرجوكِ لا تحزني، لا أتحمل رؤية ذلك الحزن يقبع داخل عيناكِ، أعتذر منكِ عمّا بدر من الجميع وأحزنوكِ به.

أغمضت عينها بيأس من حنانه المُفرط، كيف عليها الإبتعاد وهو بكل ذلك الحنان المُفرط؟! وأخيرًا ابتسمت ابتسامة شاحبة أثناء قولها بصوتٍ متحشرج:

_ خلاص يا "فور" أنا هديت ومش زعلانة.

ضيّق عيناه وهو يسألها بشك:
_ حقًا؟!

أكدت له مؤكدة بإبتسامة طفيفة:

_ أيوا متقلّش عليا أنا بقيت كويسة.

هَبَّ من مكانه واقفًا ثم أردف بإبتسامة واسعة:

_ حسنًا سأجلب لكِ الطعام ونأكله سويًا!.

كادت الدموع أن تتجمع بمقلتها مُجددًا لكنها ضحكت بخفة
عندما استمعت لجملته الأخيرة والتي نطقها بعفوية، لذلك
أرادت مُمازحته وأردفت:

مش أنت لسه واكل من شوية؟!!

أوما لها مُبتسمًا لنجاحه في أن يُنسيها حُزنها، ثم تشدق
بحالمية:

لكني أشعر بالجوع أكثر عندما أراكِ.

قضبت جبينها بتعجب ويدها مازالت تمسح دموعها:

اشمعنا؟!!

هز كتفيه بجهل قائلاً:

لا أعلم، ولكني أشعر بهذا فقط، لذلك كُفي عن الحديث
واتركيني لأذهب وأجلب الطعام لكلينا.

قال جملته الأخيرة بعجالة قبل أن يُغلق عليها السيارة من
الخارج، وانطلق مُهرولاً لشراء الطعام الساخن والشهي في
وجودها، بينما هي طالعت أثره بإبتسامة مُحبة، لكنها زفرت
بضيق عندما تذكرت حديث "عائشة" عن ماهية العلاقة

بينهما، أستندت برأسها على المقعد من الخلف ثم أغمضت
عينها هامسة بتمني:

يارب ساعدني وقويني.

أكادُ من فرط الحنان أن أنسى آلامي، لك خالص الشكر
والتقدير يا صاحب الأمان، وجودك كان دافئاً يُرَبِّت على
فؤادي، وابتعادك كطعنة تُضرب في جميع أنحائي، أُحِبُّ
الشعور والهدوء والمسكن، في وجودك أطمئن وأنسى
مأساتي.

كانت "حبيبة" قد انتهت من ارتداء ثيابها كاملة، والتي
كانت تتمثل في بنطال من الجينز الغامق ويعلوه بلوزة من
اللون الأبيض تُغطي بمعطف طويل يصل لركبتيها أسود
اللون، أمسكت بفرشاتها لثرتب خصلاتها التي قررت أن
تتركها مُناسبة خلف ظهرها، ثم حملت بين يديها سلسالاً
على شكل قلب قد أهداه لها "صهيب" ليلة أمس لمُصالحتها.

ابتسمت بحنان عندما تذكرت مُحاولاته الكثيرة لجعلها تنسى
قسوته وغضبه عليها في لحظة مُتهورة أعمته، لكنه لم

يعلم بأنها قد سامحته منذ أن احتضنها وأبدى أسفه فقط!
شعرت بأصابع غليظة تمتد لثُمسك السلسال من بين يديها،
لتنظر للمرأة تلقائياً فوجدته يبتسم لها ابتسامة ساحرة أثناء
إغلاقه لقفل السلسال بسهولة، لكن لم يتركها، بل أحاط
بخصرها من الخلف ضامماً إياها لصدره، ثم دفن وجهه بين
خصلاتها أثناء إغماضه لعينيه براحة، تبعه قوله الهامس
بشجن:

_براحة على قلبي المسكين مش كدا!

أغمضت "حبيبة" عينها براحة إطمئناناً بوجوده وإبتسامة
صغيرة تتشكل على ثغرها، ثم رفعت كفيها لثُمسك بيديه
التي تستقر عند خصرها هاتفة بهمسٍ خافت:

_هنتأخر يا "صهيب".

هز رأسه نفيّاً ثم أردف قائلاً:

_مش هنتأخر يا عيون "صهيب".

ابتسمت بخفة وبعد وقتٍ قليل كانا كليهما يصعدان للسيارة
مُتجهون نحو وجهتهم التي حددوها قبل أن يهبطا، وبالفعل
بعد نصف ساعة؛ كانت السيارة تصطف على جانب الطريق

أمام المنزل، هبط "صهيب" أولاً، وبعده هبطت "حبيبة"
من الناحية الأخرى والتي تسائلت بتعجب وهي تشير للمنزل
الذي تقف أمامه:

__ بيت مين دا؟!!

أجابها "صهيب" بهدوء وثبات وكأنه لن يكذب الآن:

__ دا بيت صاحبي "قاسم" أنتِ عارفاه، ووالدته تعبانة شوية
فإحنا جاينين نزوها وبعد كدا هنروح المكان اللي اتفقنا
عليه، تمام؟!!

هزت رأسها بالإيجاب راسمة على ثغرها ابتسامة طفيفة:
__ اتفقنا.

ذهب إليها ثم أمسك بكفها مُحيطاً إياه بقوة وكأنها طفلته، ثم
اتجه بها نحو المنزل الذي ما إن دخلوه حتى صعدوا أدراجهم
مُتجاهلين أصوات الصياح والصراخ التي تأتي من الطابق
الأول، مُكملين صعودهم نحو الطابق الثاني والذي يتميز
بالهدوء كثيراً عن المزعج الذي بالأسفل.

أشارت "حبيبة" للمنزل الأول وهي تتسائل بتعجب:

_إيه صوت الصوت اللي تحت دا؟!!

أجابها "صهيب" بتهكم وهو ينظر لها:

_أصل "قاسم" مربى تيران هنا في البيت فتلاقي دايماً صوت الدوشة دا.

لم تفهم "حبيبة" شيئاً مما قاله، ورغم ذلك هزت كتفها بعدم إهتمام ثم أكملت صعودها معه نحو الأعلى، وصلوا أخيراً، وطرق "صهيب" الباب ثم انتظر قليلاً حتى فُتح وظهر من خلفه أخيه الذي ما إن رآه؛ حتى تشكلت إبتسامة واسعة على فاهه، تبعه تقدمه منه وإحتضانه له أثناء قوله المازح:
_وحشتني يا حيوان.

ترك "صهيب" يد "حبيبة" ثم تقدم من أخيه مُبادلاً إياه العناق بقوة، ثم أجابه وهو يضربه على ظهره من الخلف:
_أنا برضه اللي حيوان يا حيوان وأنت قافل تليفونك من إمبراح؟!!

ابتعد عنه "قاسم" مُقهقاً بمرح، ثم غمز له قائلاً بعبث:

حارة القناص

_يا جدع عريس جديد بقى وعائز أرتاح، إلا ما لقيتك داخل
عليا بجوز حمام ولا دكر بط أرم بيهم عضمي يا معفن!!

دفعه "صهيب" جانبًا حتى تسنح له الفرصة للولوج، ثم
سحب "حببية" التي تشعر بالخرج من وجودها بينهما، ثم
أردف بسخرية:

_يا جدع محسنى إنك كنت بتحرر سينا ولا بتحارب في تل
أبيب، هتلاقك قاعد زي خيبتها بلا وكسة.

قطب "قاسم" جبينه بتعجب وهو يسأله:

_إيه دا عرفت إزاي؟!!

نظر له "صهيب" بإندهاش، وفي ثوانٍ كانت ضحكاته
تنطلق في الأرجاء بعدم تصديق، هو في الأساس كان يمزح،
والمُغفل شقيقه ظنّ بأنه يتحدث بحدية، جعد "قاسم" جبينه
ناظرًا إليه بسخط، ثم تشدق قائلاً:

_ما تخرس يلا بقى متقرفناش.

طالع "قاسم" شقيقه بإشمزاز، لكن نظراته تحولت للين
وهو يُطالع "حببية" بود قائلاً بإبتسامة طفيفة:

إزيك يا "حبيبة" عاملة إيه؟!!

شدت "حبيبة" من إمساكها بكف "صهيب" الذي هزلها رأسه بإطمئنان، ثم أجابته بصوتٍ خافتٍ مُتلعثم:
_الـ الحمد لله.

ردد "قاسم" جملتها بإبتسامةٍ طفيفة، ثم أردف بصوت هاديءٍ قائلاً:

_عايزك ترتاحي هنا في البيت واعتبريه بيتك، وأنا هروح أنادي "أهّلة" علشان تيجي تقعد معاكِ شوية.

أرجعت خصلاتها الشاردة خلف أذنها ثم هزت رأسها بتوتر، لم تعتاد أن يتحدث معها أي شخص بكل هذا الود عدا "صهيب" فقط، حتى والدتها دائماً ما كانت تُعاملها بقسوة منذ صغرها، لذلك أصبحت كائنٌ مُتوحد لا يُحب الإختلاط حتى لا تُخذل مُجدداً.

غاب "قاسم" في الداخل، وفي تلك الأثناء استغل "صهيب" فراغ المكان ثم مال على "حبيبة" مُقبلاً وجنتها بحب قبل أن يقول:

حارة القناص

مش عايزك تتوتري يا بسكوتة، أنا هسيبك مع مرات
"قاسم" شوية صغيرين وأنا وهو هنقعد نتكلم لوحدنا
شوية، اتفقنا؟!!

عضت على شفيتها بتوتر وهي تنظر إليه برجاء صامت أن
يظل معها، ليُربت على خصلاتها بحنوٍ بالغ قبل أن يردف
لها بإطمئنان:

لو مرتحتيش ناديلي وصدقيني هتلاقيني قدامك على طول،
و"أهّلة" هادية زيك بالظبط يعني مش هتحسي بالخوف
معاها.

هزت رأسها بيأس ثم أردفت بخفوت:
_ماشي.

بعد لحظات.. أتى "قاسم" وخلفه "أهّلة" التي ما إن رأت
"حبيبة"؛ حتى اقتربت منها بإبتسامة واسعة قائلة بود:
_إزيك يا "بيبو" عاملة إيه وحشتيني.

أجابتها "حبيبة" مُبتسمة:
_وانتِ كمان يا "أهّلة" وحشتيني.

استدار "قاسم" لكليهما ثم أردف أثناء سحبه لأخيه لخارج
الغرفة:

طيب هنسيبكم مع بعض سوا بقى واحنا هنقعد جوا في
الأوضة.

أومات كلتاهما له بهدوء، ثم ذهب بعدها كلاً من "قاسم
وصهيب" إلى غرفة نوم "حياة"، لتسرح الفرصة
لـ"صهيب" في الإطمئنان على والدته العزيزة والتي اشتاق
لها حد اللعنة.

بينما اتجهت الفتاتان إلى الأريكة ليجلسا عليها، فجلست
"حبيبة" أولاً بعد أن أشارت لها "أهلة" بالجلوس، وعلى
بُعدٍ مناسب منها جلست "أهلة" مع الحفاظ على مسافة
مُناسبة بينهما، بدأت "أهلة" الحديث بعد وقتٍ من الصمت
قائلة بمزاح:

مالِك حساك خايفة مني ليه؟!!

أمسكت "حبيبة" بكفيها تُشبك أصابعها معاً لتستمد منهم
بالقوة، ثم أردفت بتلعثم:

حارة القناص

_لـ.. لأ أبدأ مفيش حاجة.. أنا.. أنا بس مش متعودة أتكلم مع حد غريب.

قطبت "أهلة" جبينها بتعجب وهي تسألها:
_بس إحنا اتقابلنا قبل كدا مش أول مرة نتقابل.

أكدت لها "حبيبة" حديثها بقولها:
_أيوا عارفة.. بس برضه معرفكيش كويس.. أو يمكن
عشان مش عندي صحاب فمش متعودة على الكلام معاك.

أثار توترها وتلعثمها في الحديث شفقة "أهلة"، والتي
بدورها قامت بسؤالها صراحة دون تجميل حديثها:
_هو أنتِ عندك توحدا!.

شدت "حبيبة" من الضغط على أصابعها وشعورها بالخرج
كاد أن يُصيبها بالبكاء، وبهدوء وتوتر قامت بهز رأسها
بالإيجاب تؤكد حديثها، لتضحك "أهلة" ساخرة أثناء قولها
المُستكر:

_اتلم المتعوس على خايب الرجا.

ظنت "حبيبة" بأن "أهله" تسخر منها ومن مرضها،
ولحساسيتها الشديدة تسالت الدموع بكثافة في عينيها، مما
أدى إلى فزع "أهله" التي صحت حديثها بسرعة قائلة:
_والله مش بتريق عليك، أنا بتريق على نفسي.

رفعت "حبيبة" أنظارها تُطالعها بتعجب، لتتسائل بصوت
متحرج:

_إزاي يعني؟!

لتُجيبها "أهله" ساخرة:

_أنا كمان عندي وسواس قهري، عشان كدا تلاقيني بتقرف
أسلم على أي حد وبسلم من بعيد لبعيد من غير تلامس.

أثار حديثها انتباه "حبيبة" التي تحمست قائلة بفضول:

_بجد؟! ودا وراثه يعني أنت مولودة بيها ولا بسبب حد؟!!

مطت "أهله" شفيتها بضيق وهي تُجيبها:

_بسبب ناس كدا منهم لله، بس أنا علشان طيبة وغلبانة
سلّمت أمري لربنا.

حارة القناص

أشفت عليها "حبيبة" ظناً منها بأنها تتحدث بجدية، لذلك
تشدقت بحزن وبكلماتٍ داعمة:

__متزعليش أكيد ربنا هيعوضك ومش هيسيب حقك.

نظرت إليها "أهلة" بصمت لعدة ثوانٍ، وبعدها انفجرت
ضاحكة على بلاهتها وطيبتها الزائدة، طالعها "حبيبة"
بعدم فهم ثم سألتها بتعجب قائلة:

__هو أنا قُوت حاجة غلط؟!!

هزت "أهلة" رأسها بالنفي ثم أردفت بعدم أن تمكنت من
السيطرة على ضحكاتهما:

__لأ طبعًا.. بس أنتِ طيبة زيادة عن اللزوم حبتين تلاتة
أربعة عشرة.

__بجد؟!!

نظقت بها "حبيبة" بضجر، لتؤكد "أهلة" على حديثها
بضحك مرة أخرى أثناء قولها المُمزح:

__أه يا بنتي بجد، دا أنتِ داخلة العيلة دي غلط أساسًا.

جعدت "حبيبة" جبينها حانقة وبعدها صمتت لبعض الوقت،
لكن فجأة رفعت أنظارها لـ "أهلة" طالبة منها بحسم ظهر
مُضحكًا بعض الشيء:

_ طيب أنا مش عايزة أكون طيبة، علميني أكون شريرة.

طالعتها "أهلة" ببلاهة، قبل أن تتسع ابتسامتها تدريجيًا
بخبت، وبعدها هبت من مضجعتها قائلة:

_ طيب تعالي ورايا.

وبالداخل.. مال "صهيب" على جبين والدته النائمة يُقبله
بحنان وشوقٍ أهلكه، ثم اعتدل ونظر لـ "قاسم" سائلًا إياه
بحزن:

_ أخبرها إيه دلوقتي يا "قاسم"؟! فيه تحسن في صحتها؟!!

اقترب منه "قاسم" مُربتًا على كتفه بحنان، ثم أومأ له
بالإيجاب مُضيفًا:

_ أيوا الحمد لله، العلاج بدأ يحسّن من حالة جسمها
والأجهزة الحيوية عندها جاهزة تمامًا تستقبل عضو جديد
في جسمها، ودا كله اتحسن بعد ما حالتها النفسية اتحسن
الحمد لله.

اقترب منه "صهيب" ليحتضنه، ثم أردف بصوتٍ متحشرج
نادم:

أنا كل ما أفكر إني كنت في يوم من الأيام هأذيك بكره
نفسي أوي، لو كان حصلك حاجة لقدر الله كان ماما هيبقى
إيه وضعها دلوقتي!!

بادله "قاسم" العناق وهو يقول بصوتٍ حنون:

متفكرش في اللي فات، كل حاجة حصلت ربنا كان مرتب
ليها ومهياً الأسباب والأحداث اللي هتحصل كلها علشان
نعرف الحقيقة ونتقابل.

الحمد لله.

جُملة صغيرة تتمها "صهيب" في سره لكن كان أثرها
الماضي والقادم كبير للغاية، شُكر الله على الإبتلاءات
والمصائب يرفع العبد درجةً عند خالقه، إيمانه وثقته
بالمولى يجعل هديته عظيمة وشعوره بالإنتمار قريب.

ابتعد كلاهما عن بعضهما بفزع عندما استمعا إلى صوت
الطلقات يأتي من الخارج، ليُخرج "صهيب" سلاحه من
جيب بنطاله والذي تشدق بريية:

إيه صوت الرصاص اللي ظهر فجأة دا؟!!

هز "قاسم" كتفه بجهل قبل أن يقول مُسرِعًا:
_مش عارف... تعالى معايا نشوف إيه الحوار.

خرج كلاهما من العُرفة وأغلق "قاسم" الباب خلفه حتى لا تتأذى والدته، لكنهما توقفا بصدمة وتيبس عندما وجدا باب الغرفة الخاص بـ "قاسم" مفتوحًا على مصرعيه وبداخله تظهر "أهلة" و "حببية" التي تُمسك بالسلاح تُجاورها بسعادة عارمة وكأنها حصلت على إحدى الجوائز الكبرى للثو!.

اقترب منهم "صهيب" حتى وقف على أعتاب العُرفة صائحًا
بصدمة:

_يالهي! بتعملي إيه يا "حببية"؟!!

استدارت له "حببية" موجهة السلاح لوجهه وهي تُهلل
بفرحة شديدة:

_بُص يا "صهيب" بقيت شريرة إزاي!

حارة القناص

رفع "صهيب" كِلتا يديه للأعلى ناطقًا الشهادة، وبعدها لطم
على وجهه قائلاً بفرع:

يالهوي يالهوي... نزلي المسدس دا من إيدك.

اقتربت منه "حبيبة" ومازالت تمد يدها بالسلاح أمامها،
مما جعل "صهيب" يهرع من أمامها وهي تركض خلفه
لثريه كم أصبحت شريرة ويُعتمد عليها!!

صرخ "صهيب" هلعًا وهو يختبئ خلف الأريكة العريضة:
إلحقوني يا ناس هتموتتي.

لم تُعطي "حبيبة" لصرخاته بالأ ولا أي إهتمام، ثم توقفت
محلها قائلة وهي تسحب الزناد لثريه كيف تعلمت عليه:
_بُص كمان.. بسحب دي لورا كدا ولما بسحبها كمان مرة
بتضرب مرة كمان._

أنهت حديثها تزامنًا مع خروج طلقة أخرى من المسدس
الذي تُمسكه، ومعه خرج صراخ "صهيب" الذي يطلب
النجدة!

اقترب منها "قاسم" من الخلف، وعلى غفلة قام بسحب السلاح من بين يديها مما جعلها تستدير ووجهها مليء بالغضب، استمعت إلى صوت "قاسم" المتسائل وصوته بعض من الحدة مما حدث للتو:

مين اللي إداك الزفت دا؟!

خرج "صهيب" من خلف الأريكة عندما اطمئن أن السلاح بين يديّ شقيقه، وكاد أن يتحدث؛ لكنه وجد الدموع تتسلل بكثافة داخل مقلتيّ "حبيبة" بسبب حدة شقيقه معها دون قصد، زفر بضيق ثم ذهب إليها وأمسك بيدها ساحبًا إياها لأحضانها، لتتحرر دموعها بغزارة تبعها صوت الشهقات الحادة الممزوجة بالحزن الشديد.

شدد "صهيب" من احتضانها، بينما "قاسم" زفر بضيق بسبب صراخه عليها والذي أوصلها لتلك المرحلة، اقترب منهما ثم تحدث موجهاً حديثه لـ "حبيبة" باعتذار:

متز عيش مني يا "حبيبة" إني زعقتك، بس أنتِ بعملتك دي كان ممكن إيدك تضغط على المسدس غصب عنك وتيجي في "صهيب".

حارة القناص

هدأ بكاء "حبيبة" قليلاً لكنها لم تُجبه، مما جعل الشعور بالذنب في قلب "قاسم" يزداد أكثر، يُقسِم بأنه لم يقصد الصراخ عليها، لكن خوفه على شقيقه أعمى بصيرته ونسى مع مَنْ يتحدث، ربت "صهيب" على خصلات "حبيبة" سائلاً إياها بعتاب:

__ ينفع اللي أنتِ عملتية دا يا بسكوتة؟!!

كفّت "حبيبة" عن البكاء كلياً، ثم خرجت من أحضانه وهي تُجفف دموعها، ثم أردفت بصوتٍ باكٍ وكأنها تشكو له:

__ كنت عايزة أبقي شريرة و"أهلة" هي اللي قالتلي أعمل كدا.

نظر ثلاثتهم لـ "أهلة" التي بدورها ابتسمت لهم ببلاهة، ليذهب إليها "قاسم" حتى بات على مقربة منها مُتمتماً بضيق:

__ أنتِ اتجننتي يا "أهلة"؟! دي حاجة تعلميها ليها؟!!

وعلى عكس "حبيبة" تماماً، رفعت "أهلة" حاجبيها تُطالعه بتشنج ثم أردفت بنبرة مُحذرة:

حارة القناص

_كلمني عدل بعد إذتك يا "قاسم"، وبعدين فيها إيه يعني لما
أعلمها تمسك المسدس!! مش بدل ما هي ضعيفة كدا
وبتعيط من أقل حاجة؟!!

كاد "قاسم" أن يُجيبها؛ لكن سبقه "صهيب" الذي تشدق
بإستتكار صارخ:

_ياختي وأنت مالك ياختي!! حد اشتكالك!! بقولك إيه يا
آنسة أنت سببي مراتي في حالها لو سمحت أنا مش عايز
حد يخذش خجلها.

رفعت "أهلة" حاجبها بإستتكار ثم أردفت بنبرة سوقية
وهي تُشبح بيدها أمام وجهها:

_جتك ملة إما تشعوطك، اتكلم معايا بطريقة أحسن من كدا
عشان متزعلش يا كتكوت، ومراتك هي اللي جاتلي وقالتي
أنا عايزة أبقي شريرة، فمش ذنبي بقى.

صرخ "صهيب" بعدم تصديق قائلاً:

_عايزة تبقى شريرة تقومي ممسكاها مسدس!!!

ابتعدت عنه "حبيبة" وقامت بالوقوف بجانب "أهلة" ثم
أردفت بضيق:

حارة القناص

_ لو سمحت يا "صهيب" متزعقلهاش كدا، "أهلة" بقت
صحبتى ومينفعش تتكلم بالطريقة دي معاها.

فرغ "صهيب" فاهه بصدمة وكذلك فعل "قاسم"، بينما
اتسعت ابتسامة "أهلة" التي اقتربت منها وقامت بلف
ذراعها حول كتفها قائلة بفخر:

_ مش خسارة فيك التعليم اللي أنا علمتهولك والله.

مال "صهيب" على "قاسم" يُحدثه بهمس:

_ مراتك اتحدت مع مراتى وباينها هتبقى أيام عنب.

طالعه "قاسم" بريية قائلاً:

_ تفتكر؟!

هز "صهيب" رأسه بحسرة، ليُبادله "قاسم" بأخرى مثلها
وهو يهمس لذاته قائلاً:

_ ربنا يستر.

حارة القناص

استمع الجميع إلى صوت طرقات حادة على الباب، فذهبت
"أهلة" أولاً لفتحه، وما إن فتحته؛ حتى وجدت "مهرائيل"
تطل برأسها وهي تهتف بسعادة:

_إيه صوت ضرب النار دا، قتلتني "قاسم"؟!!

تشنج وجه "قاسم" بسخط، والذي بدوره هتف حانقًا:

_أنا مش عارف بينكم وبينني إيه مخلينكوا عايزين تخلصوا
مني كدا؟!!

فزعت "مهرائيل" من وجوده، والتي ما إن رآته حتى هتفت
بسخافة:

_إ.. إزيك يا "قاسم" ياخويا كنت لسه بسأل عن صحتك من
شوية!.

التوى ثغر "قاسم" بابتسامة جانبية ساخرة مُردفًا:

_أه ما أنا سمعتك.

دفع "ألبرت" تلك المزعجة "مهرائيل" جانبًا، ثم تشدق
بإستتكار عندما أصبح جوارها تمامًا:

_جرؤ مزعج.

طالعت "مهرايل" ظهره بغيظ لكنها لم تُعقب، يكفي هذا الشجار الذي افتعلته معه بالأسفل منذ قليل، توقف "ألبرت" أمام كُلاً من "قاسم وصهيب" ثم تسائل مُستفهماً:
_ ما سبب تلك الطلقات التي صدحت منذ قليل!؟

أجابه "صهيب" ببلاهة:

_ لا تقلق عزيزي "ألبرت"، الفتيات فقط كان يمزحن مزاحاً ثقيلاً بعض الشيء.

رفع "ألبرت" حاجبيه بسخرية مُضيفاً:
_ حقاً!؟

أكد "قاسم" حديث أخيه قائلاً:
_ نعم يا صديقي، أنت تعلم مزاح الفتيات يُصبح غيباً أحياناً.

قاطع "رائد" ذلك الحديث الهاديء الدائر بين الجميع بقوله الساخط وعلامات الحنق والضجر واضحة بقوة على معالمه:

طيب بما إنكم كلكم متجمعين كذا حابب أقولكم عقبالكم كذا
يا شباب وشبكة ستي يوم الجمعة بعد الصلاة إن شاء الله.

أنهى حديثه وانتظر كلمات الدعم والمواساة من أصدقائه،
لكن صوت الضحكات التي صعدت من فاه الجميع قد صمّت
أذانه، لم يتحمل شخصٌ منهم ذلك العبث الذي تفعله
"لواحظ" لتُسيطر عليهم نوبة من الضحك الصعب توقفه.

طالعهم "رائد" بنظرات جامدة، قبل أن يُشاركهم في الضحك
هو الآخر، لم يتخيل في حياته أن يدعو أصدقائه لحضور
حفل زفاف جدته المراهقة العجوز، فبعد أن أقنعوها بصعوبة
أن تترك العمل كراقصة، أصرّت على رأيها بالزواج من
"عبدالقادر" الفكهاني، وبالفعل وافقوا بسرعة حتى لا تُغير
رأيها وتتجه نحو طريق الإنحراف والرقص.

كان أول من توقف عن الضحك هو "قاسم"، والذي طالعهم
بإبتسامة واسعة قبل أن يهتف:

بما إننا كلنا متجمعين فأنا عازمكم كلكم على الغدا.

هلل الجميع بسعادة خاصةً "فور" الذي جاء للتو واستمع
إلى حديث "قاسم" الأخير، فعقب عليه بسرور:

حارة القناص

_يا رجل أنا أُحِبُّكَ حقًا، لم آكل منذ زمنٍ بعيدٍ وأشعر بأن
معدتي تضور جوعًا.

فتحت "سهيلة" فاهها بعدم تصديق من كذبه، لذلك صاحت
به بصراخ:

_يا كذاب أنت لسه واكل اكلتي من شوية ياللي منك لله.

طالعتها "فور" بحنق قائلاً:

_اصمتي يا فتاة وكُفي عن الكذب، لقد أكلتِ كُلِّ طعامي وأنا
لم أتحدث رفقةً بكِ.

أشارت "سهيلة" لذاتها بصدمة قبل أن تقول ساخطةً:

_أنا اللي كَلتِ أكلك!! يا بني آدم دا أنا خدت نص ساندوتش
وعلى ما مديت إيدي آخذ النص الثاني لقيته في بوقك.

رد عليها "فور" بسخط:

_حسنًا يا فتاة فلتصمتي الآن، لم آكل ذراعك حتى تُصيحي
بتلك الطريقة.

حارة القناص

كادت "سهيلة" أن ترد عليه هي الأخرى؛ لكن قاطعتهم
"مهرائيل" التي صاحت بصوت عالٍ:

_ خلاص يا جماعة مش كدا صلوا على النبي.

_ عليه أفضل الصلاة والسلام...

قطعت "سهيلة" جملتها التي أكملتها في سرها، ثم تفوهت
بتعجب:

_ "مهرائيل" صلي على النبي أنت... أنت مسيحية أصلاً.

أجابتها "مهرائيل" بإبتسامة واسعة وهي تضحك:

_ وحدة وطنية بقى وكدا هي جت عليا!.

توقف الجميع عن التحدث عند إمساك "رائد" لشقيقته من
ياقة ملابسها متسائلاً بفحيج:

_ وأنتِ و"فور" كنتوا مع بعض بتعملوا إيه؟!!

طالعت "سهيلة" معالم وجه "أخيها التي تحولت للغضب
والحدة، فنظرت تجاه "فور" حتى ينقذها من تأزم الموقف،
والذي بدوره فسّر له قائلاً:

حارة القناص

_ أنت تعلم "رائد" أن عملي بالقرب من جامعتها، وفي طريقي وجدتُها أمام بوابة الجامعة من الداخل تتشاجر مع بعض الفتيات وبعدها أتى شابان وقاما بمضايقتها، صفعها واحدٌ منهم لكنني كسرت يده وأضلّاعه حتى فقد الوعي كُلياً، أعتذر حقاً يا صديقي، لم يكن بمقدوري تركها وحدها دون التدخل.

تدخل "قاسم" في الحديث مُتسائلاً بحدة:

_ ضربها؟! مين الحيوان دا وإزاي يمد إيدِه عليها؟!!

هز "فور" كتفه بجهل، ليستمع الجميع إلى صوت "رائد" الغاضب وهو يهتف بعصبية:

_ وقسمًا بالله ما هسيبه، وهندمه على اليوم اللي فكر يمد فيه إيدِه على أختي.

اعترض "فور" قائلاً بخبث:

_ انتظر حتى امتثاله للشفاء وبعدها سنلُقنه جميعاً درساً لن ينساه هذا الوغد.

حارة القناص

ارتسم الخبث والمكر على فاه جميع الشباب، خاصةً "رائد"
الذي أقسم على رد اعتبار شقيقته، قَرَّبها منه ثم احتضنها
قائلًا بحب:

__حَقك عليا وأنا اللي هجيبك حقك منه.

أغمضت "سهيلة" عيناها بإرتياح مُشددة من عناقه وهي
تقول:

__خلاص يا "رائد" ما بلاش مشاكل علشان متتأديش،
"فور" طحنه بالمعنى الحرفي.

ضربها "رائد" على مؤخرة رأسها مردفًا بمزاح:

__بس يا بت أنا مش باخد رأيك، أنا بقولك على اللي هيحصل
بس.

سمع الجميع إلى صوت شهقات خافتة تأتي من الجانب،
ليستديروا إلى مصدر الصوت ويجدوا "ملك" التي تجفف
دموعها بكم بلوزتها السوداء، تقدمت منها "أهلة" والتي
تسألت بقلق:

__مالك يا "ملك" بتعيطي ليه؟!!

حارة القناص

أجابتها "ملك" بتحسرج:

_ طول عمري كان نفسي يكون عندي أخ ولد علشان يدافع
عني لما أتخانق.

اتسعت ابتسامه "رائد" الذي ترك شقيقته بعد أن دفعها، ثم
فتح ذراعيه على آخرهما أثناء إقترابه منها قائلاً:
_ تعالي في حضني يا حبيبة أخوك وأنا هعوضك.

تسلحت "أهلة" واستعدت للهجوم عليه إن اقترب خطوة
واحدة أخرى من شقيقته، بينما "قاسم" أمسكه من قميصه
متفوهاً بحنق:

_ يا أخي بقى قرففتي، أنا هفضل ألمك من كل مكان شوية؟!!

أضاف "ليونيد" على حديث "قاسم" قائلاً بسخط:

_ عيبٌ عليك يا رجل، أنت وقح حقاً.

ليتدخل "آندريه" بدوره هاتفاً:

_ لا أعلم لِمَ لا يتخلى الجميع بالأخلاق مثلنا، عارٌ عليك يا
أحمق.

حارة القناص

دعم "ستيفن" أشقائه بقوله:

_ لا يوجد مثلنا يا فتيان، نحن رمزًا للإحترام والحب والتواضع.

أكمل "جون" المُمسك بيد "لوسيندا" التي تُتابع حديث الجميع بحماس:

_ لا أعلم كيف ينامون هؤلاء الوقحون حقًا.

أردف "فور" بمسكنة يرد على شقيقه:

_ هم أشخاص بلا ضمير يا أخي، أَدعو أن يأخذهم الله ونستريح من وقاحتهم.

نظر "ألبرت" لأخواته بتهكم رافعًا لحاجبيه وكأنه تأثر خشيةً من حديثهم الأحمق مثلهم، يتحدثون عن الوقاحة وهم لم يروا للتربية شكلاً من الأساس، وكأن أبيهم قد نسى أن يُربيهم هؤلاء الأوغاد، وإن جننا للحق؛ فهو معهم أيضًا!.

في تلك الأثناء أتت "يمنى" من الخارج بعد أن ذهبت للمنزل وبدلت ثيابها ثم أتت إلى هنا بعد أن هاتفها "ملك" للقدوم، دلفت للداخل ناظرة لتجمهرهم الكبير بتعجب قائلة:

_السلام عليكم.

رد عليها الجميع بهدوء، وبعدها صفق "قاسم" بكفيه قائلاً:
_يلا يا حبيبي أنت وهي اطلعوا برا لحد ما نغير هدومنا
وبعدين نخرج نتغدى برا.

امتثل الجميع لطلبه وخرجوا من المنزل هابطين لينتظروا
بالأسفل، وبعدها دخل كلاً من "قاسم وأهله" للغرفة لتبديل
ثيابهم، وبعد ما يقرب من الخمسة عشرة دقيقة انتهوا من
ارتداء ثيابهم ثم هبطا معاً للأسفل، وأثناء هبوطهم مال
"قاسم" على أذن "أهله" قائلاً:

_اللي عملتية فوق مع "حبيبة" لسه متحاسببتيش عليه
ها؟!!

طالعه بطرف عينها قائلة بلامبالاة:

_ولا يهمني.

حدق بها بتوعد ثم أكمل هبوطه معها وعقله يفكر في طريقة
مناسبة لمعاقبتها، عقاب يليق بـ "أهله" الطفلة وليست
"أهله" الناضجة العنيدة تلك.

تجمع الجميع بالسيارات الخاصة بهم، فصعدت "أهلة" في سيارة "قاسم"، ومعهم كُلاً من "صهيب وحبيبة" يجلسون بالخلف، وأعطى "صهيب" سيارته لـ "رائد وفور" والذي صعد معه كُلاً من "سهيلة وملك ويمنى"، وبعدها صعد "چون" لسيارته ومع زوجته "لوسيندا ومهرائيل"، وأخيراً صعد "ألبرت" ومع أخواته "ستيفن وليونيد وأندرية".

بعد نصف ساعة تقريباً، وصل الجميع إلى الوجهة المطلوبة للمطعم، هبطوا من السيارات في نفس الوقت فبدوا كعائلة متماسكة واحدة، العلاقة التي تجمعهم ليست علاقة دم، بل رابط الصداقة المنسوج من الحب هي أقوى علاقة جمعهم جميعاً، رابط قوي من الصعب فكاكه.

قاموا بحجز طاولة كبيرة تتكون من عَشرون مقعد، وكلّ اختار شريكته في جلسته، أحاط "صهيب" بكتف "حبيبة" أثناء جلوسه دون خجل هاتفاً بعتاب:

بقي بتتفقي عليا مع مرات "قاسم" يا بسكوتة؟! إخص مكنش العشم.

حارة القناص

رفعت "حبيبة" أنظارها له لتُطالع وجهه، ورغم نبرة العتاب التي تحدثت بها، إلا أنها تحدثت بسعادة بالغة وهي تُمسك بكفه قائلة:

_ أصل بصراحة أول مرة يكون عندي صحاب، ومبسوطة أوي إن "أهله" قالتلي اعتبريني صحبتك، علشات كدا مكنتش عايزة أزعلها، بس أكيد أنت مش هتزعل مني صح؟!

انتقلت إليه سعادتها من صوتها فقط، نسي كل العتاب الذي جهزه لها ما إن رأى فرحتها التي أدخلت السرور على قلب اليتيم إذا خرج! تفوه قائلاً بعشق:

_ عمري ما أزعل منك يا حبيبة قلبي، كفاية فرحتك عندي بالدنيا كلها.

التمعت السعادة بعيني "حبيبة" وكالعادة لم تجد الكلمات المناسبة لقولها، بل اكتفت بتسديد نظرات الإمتنان التي استقبلها بصدرٍ رحب.

جاء النادل إليهم ليكتب طلباتهم في دفتر ملاحظات صغير للغاية، فبدأ الجميع بإملائه ما يُريد، حتى أتى دور "فور" الذي أملى طلباته قائلاً:

حارة القناص

_أريد دجاجة مشوية كبيرة، وبعض الأرز، والمشويات
الفحمية، والكثير والكثير من المقبلات، وعصيرًا من الموز.

فتح النادل فاهه ببلاهة، قبل أن يُحمم بجدية:

_تمام يا فندم، أي أوامر تانية يا بشوات؟!!

هز الجميع رأسه بالنفي، لكن "قاسم" تحدث قائلاً:

_هات معاك كوبايتين فراولة باللبن.

_تمام يا فندم تحت أمرك.

رحل النادل من أمامهم، لتتنهد "مهرايل" بقوة والتي فتحت
ذراعها براحة قائلة:

_ياها.. الإنسان بقاله زمان مخرجش خروجة حلوة زي
دي.

طالعتها "لوسيندا" بابتسامة قبل أن تؤيدها في الرأي قائلة:

_معاك حق، الجامعة كانت واحدة كل وقتنا وملحقناش
ننيسط.

رفع "چون" يد "لوسيندا" ليُقبلها قائلاً بحنان:

_ اعتبري أن القادم سيكون جميلاً فقط عزيزتي، سأعوضك
عن كل شيء سيء سيء رأيته سابقاً في حياتك.

طالعه "لوسيندا" بحب ضاغطة على كفه بيدها المُمسكة
بخاصته، قبل أن تقول بهمس عاشق:

_ ربنا يخليك ليا يا "چون".

_ وأنتِ يا قلب "چون".

_ طيب نقوم نمشي إحنا طيب ولا نعمل إيه؟! راعوا إن إحنا
سناجل يا جدعان مينفعش كدا.

هتفت "ملك" بتلك الكلمات ضاجرة من حالة الحب والهيام
المُسيطرة على جميع الموجودين، لتستمع إلى صوت
"رائد" الذي أردف بعبت:

_ طب ما تيجي نرتبط وأهو تلاقي حد يعبرك و..

حارة القناص

لم يكد يكمل جملته؛ حتى وجد عُلبة المناديل الخشبية ترتطم
بوجهه بقوة، تبعه صوت "يمنى" الغاضب قائلة:

_ملكش دعوة بأختي وخليك في حالك، وبعدين مين دا اللي
ترتبط بيه يا ذكر النعام أنت! مش شايف نفسك ولا إيه؟!.

وضع "رائد" كفه على وجهه بألم أثناء نظره بغضب
لـ"يمنى"، هبّ من مكانه بحدة هاتفاً بردح وهي يُشبح بيده
أمام وجهه:

_أنتِ اتجننتي ولا إيه يا بت أنتِ؟! لتكوني فاكرة نفسك
نرمين مورلو يا أنثى البط، مش عاجبك شكلي ياختي!! ما
هقول إيه على الأعمى لما يحاول يعمل نفسه ذكي وهو
أعور.

وبثبات شديد ردت عليه "يمنى" بسخرية لاذعة:

_فرقت إيه أنت عن نسوان شارعنا بقي؟! مفيش غير الدقن
تقريبًا.

مدت "أهلة" يدها لتضغط به على ذراع "يمنى" مانعة إياها
من إستكمال حديثها، بينما "رائد" طالعها بحقد بعد أن عاد
لمقعده مرة أخرى وهو يُتمتم بسخط:

_بت باردة يخربيت التناحة.

عمّ الصمت الجلسة مرة أخرى إلا من بعض الهمهمات التي تأتي من الحين للآخر، حتى قطعتة "مهرائيل" بقولها المفاجيء:

_ على فكرة أنا هرجع البيت النهاردة.

طالعتها الجميع بتعجب، لتعتدل "لوسيندا" في جلستها مُردفة بقلق:

_ نعم؟! لا طبعًا انسي مفيش رجوع، إحنا مش ضامين بابا ممكن يعمل إيه معاك بعد ما ترجعي.

هزت "مهرائيل" رأسها بالنفي وهي تبتسم لها بهدوء حتى تُقلل من خوفها:

_ لا يا ستي متقلقيش، وبعدين في الأول وفي الآخر دا أبونا يعني مش هيعمل حاجة تأذيني.

رفضت "لوسيندا" حديثها رفضًا قاطعًا وهي تقول بقلق شديد:

_ لا.. لا يا "مهرائيل" بلاش ترجعي، بابا قسوته عامية عينيه ومش بيشوف قدامه وقت غضبه.

ابتلعت "مهرايل" ريقها بصعوبة قبل أن تقول بإختناق:

_بس أنا مش عايزة أفضل في بيت جوزك، حاسة إني ثقيلة عليكم وأنتِ عارفة إني بكره الإحساس دا.

نظرت "لوسيندا" لـ "چون" برجاء كي يُساعدها في إقناعها، ليتدخل "چون" على الفور قائلاً بمزاح يشوبه الود:

_يا فتاة إن ذهبتي فَمَن الذي سيستمر في مضايقتي إذا؟! نحن لسنا منزعجين من وجودك ص...!

_أنا مُنزعج.

هتف بها "ألبرت" ببرود، لتتجه الأعين تجاه تلقائياً وكأنها تُعاتبه بقسوة! هز كتفيه بلامبالاة قائلاً:

_لِمَ تنظرون إليّ هكذا؟! أنا فقط أقول الحقيقة.

أتى له صوت "مهرايل" الحائق وهي تُخبره ساخطة على وقاحته:

حارة القناص

_هسيبهاك مخدرة ياخويا يكش تتهد وتسكت بقى، قال
يعني أنا اللي هموت وأفضل معاك، إلا ما شوفت يوم عدل
من ساعة ما شوفت خلقتك دي.

ارتشف "ألبرت" من كأس المياه الذي أمامه، ثم ابتسم
بسماعة قائلاً:
_شكرًا لكِ.

تدخل "قاسم" في الحوار هاتفًا برزانة:
_اعملي اللي يريحك يا "مهرايل" وataكدي وقت ما تحتاجي
حد هتلاقينا كلنا رجالة في ضهرك، إحنا كلنا هنا إخوانك
ومتكسفيش تطلبي حاجة من حد فينا.

_عدى أنا.
وللمرة الأخرى يهتف بها "ألبرت" ببرود.

دفع "قاسم" قدمه من أسفل الطاولة ثم نظر إليه بتحذير
قائلاً أثناء نظره لـ"مهرايل" التي تُطالع "ألبرت" بغيظ:

حارة القناص

_ سيبك منه يا "مهرائيل" وخليك معايا أنا، زي ما قولتلك
إحنا كلنا هنا أخواتك، حتى البنات كلهم وقت ما تعوزيهم
ابقي كلميهم يجوا ليك.

أومات له "مهرائيل" بإمتنان قبل أن تُمصص على شفيتها
قائلة بسخطٍ وهي تُطالع "آلبرت" بطرف عينها:
_ والله أنت راجل زوق مش زي ناس كدا أعرفهم مشافوش
ريحة الدم.

_ عملت إيه يا "يحيى" في اللي قولتلك عليه؟!!

هتف بها "مختار" الذي يجلس على مقعده الوثير بغرفة
مكتبه الكبيرة للغاية، ليُجيبه "يحيى" على الفور متشدقًا
بنقّة:

_ كل اللي حضرتك طلبته مني يا "مختار" بيه اتنفذ،
"صادق" دلوقتي بقى في أيديهم وتقدر تقول عليه يا رحمان
يا رحيم.

حارة القناص

ضرب "مختار" بأصابعه على المكتب هاتفاً بتفكير:
_ متعرفش مين العيال دي يا "يحيى"؟!!

هز "يحيى" رأسه بجهل قائلاً:

_ دول عيال أجانب بس لسه معرفتش حوارهم ولا نظامهم
إيه، هحاول أخليهم يثقوا فيا أكثر وهاجي أقول لحضرتك
على طول.

وقف "مختار" من مكانه ثم استدار له حتى وقف أمامه
مباشرةً، وبعدها ربت على كتفه بقوة وهو يهتف بفخر:
_ جدع يا "يحيى" عرفت تلعبها وتحبها صح زي ما أنا
عايز.

وضع "يحيى" يده على صدره متشدقاً بخبث وابتسامة
هادئة:

_ تلميذك يا "مختار" بيه ومتعلم تحت إيدك.

هز "مختار" رأسه بثقة أثناء إخراجهِ لِحِفنة كبيرة من
النقود من جاكيت بذلته، ثم أردف بثقة:

حارة القناص

_ودا العشم برضه، خُد الفلوس دي يا "يحيى" تقديرًا ليك
على تعبك وأمانتك معايا في الشغل.

أخذ "يحيى" الأموال منه بأعين لامعة، ثم أردف بسعادة
بالغة وهو يرى كم النقود الهائلة التي تظهر أمامه:

_تسلم إيدك يا باشا، وأنا من إيدك دي لإيدك دي في أي
وقت أنت عايزه، عن إذن سيادتك.

أشار له "مختار" سامحًا له بالذهاب، وبالفعل سار "يحيى"
عدة خطوات قبل أن يقف ويهتف بتذكر:

_آه يا باشا صحيح نسيت أقولك على حاجة مهمة.

انتبهت حواس "مختار" الذي تسائل بتعجب:

_حاجة إيه دي؟!!

اقترب منه "يحيى" مُجددًا ثم هتف قائلاً:

_إمبارح عرفت إن فيه جاسوس ما بينا وبيوصل كل
المعلومات الخاصة بينا للجماعة الأجانب، علشان كذا أنا
اتحفظت عليه وخلال ساعة بالكثير هخلص من حوار.

قطب "مختار" جبينه بتحفز قائلاً:

_ومين دا يا "يحيى".

_واد اتعين حراسة جديد يا باشا بس طلع مزقوق علينا وأنا قفشته.

احتدت عيني "مختار" بقسوة قبل أن يأمره بشر:

_الواد دا يتخلص عليه يا "يحيى" النهاردة قبل بكرة.

أوما له "يحيى" خاضعاً:

_تحت أمرك يا باشا، عن إذنك.

رحل "يحيى" من أمام "مختار" بخطوات ثابتة سريعة، ثم ارتدى نظارته الشمسية التي تخفي مكرًا وخبثًا لم يظهر مُسبقًا! لم يتوقع أحد أن يكون "يحيى" هو جاسوسًا تابعًا لـ"مختار" للتصنت على الأخبار بأقذر وأبشع الطرق، وتلك المسكينة "يمنى" التي وقعت بفخه! ابتسم ساخرًا عندما تذكر إتقانه لدور الأبله أمام الجميع، يظنونه أحمقًا وهو في الحقيقة أفعى سامة استطاعت السيطرة على عقول الجميع دون لفت الأنظار إليه، نظر جانبه لمساعدته الشخصي فسأله بجمود قائلاً:

فين الواد؟!

تحدث مُساعده والذي يُدعى "حاتم" قائلاً بسرعة:

_في العربية متكثف ومتثبت يا "يحيى" بيه.

وقف "يحيى" أمام باب سيارته ثم استدار له أمرًا إياه بقوة:

_طيب ورايا.

قالها ثم صعد لسيارته وانطلق بها في سرعة هائلة، ومن خلفه انطلقت سيارة الحرس والتي تحتوي على ثلاثة منهم، وذلك المسكين الذي يقبع في صندوق السيارة مُكتفًا الأيدي والأرجل.

بعد نصف ساعة تقريبًا؛ وصلت السيارتان إلى منطقة صحراوية فارغة تمامًا، لا يُسمع بها سوى صوت فحيح الرمال المُتحركة بسبب الهواء، أشار "يحيى" لرجالة بجلب الرجل، وبالفعل أتوا به بأقذر طريقة من الممكن أن يُعامل بها أي كائن بشري، أجلسوه على ركبتيه أمام ذلك الذي يقف بشموخ واضعًا كفيه داخل جيب بنطاله بتكبر، والذي أُردف ساخرًا:

يارب تكون الضيافة عجبتك يا "راضي"؟!

صعد صدر المدعو "راضي" صعودًا وهبوطًا بخوفٍ شديد وهو يهز رأسه بالنفي، ناهيك عن وجهه وجسده المملوء بالدماء جراء العنف الذي تعرض له قبل جلبه إلى هنا، وبالطبع لن يستطيع التحدث بسبب قطعة القماش العفنة التي توضع داخل فاهه لمنع من التحدث، تصنع "يحيى" النسيان وهو يقول بتأسف زائف:

__ يوه نسيت إنك مش هتعرف تتكلم، بس مش مشكلة بقى تتعوض في... الآخرة.

قال كلمته الأخيرة ببرودٍ شديد وابتسامة مُستفزة تُزين ثغره، قبل أن يُخرج سلاحه من جيب بنطاله الخلفي ويوجهه تجاه رأسه، وفي ثوانٍ كانت الصحراء الصامتة تُشغل بأصوات الطلقات العالية، تزامنًا مع سقوط جسد "راضي" جثةً على وجهه بعد أن سدد له "يحيى" عدة طلقات سريعة استقرت داخل رأسه مباشرةً.

نفخ "يحيى" في فوهة مسدسه بانتصار عقب قوله الهامس بتلذذ:

__ كلب وراح.

كان الجميع يجلس بسعادة يتبادلون الحديث بينهم بكل مرح وحب، انتهى الجميع من تناول الطعام عدا "فور" بالطبع الذي ظل يأكل طيلة الجلسة، ضربه "ستيفن" على ظهره بغیظ قائلاً:

كُف عن الطعام أو شكت على الموت إختناقاً به.

طالعه "فور" بغمٍ مُملتيء والحنق يتشكل على معالمه، فقام بإبتلاع كل ما بغمه ثم رد عليه ناهراً إياه:

يا وقح ألا تعلم شيئاً عن أداب الطعام؟! اللعنة عليك وعلى أخلاقك المنحدرة تلك.

سخر "صهيب" هاتفاً:

هو برضه اللي أخلاقه مُنحدرة؟! يا جدع أسكت ما بلاش نتكلم على الفرخة اللي أنت سرقتها أول إمبراح من عند الجب....

سعل "فور" بقوة حتى يمنعه من استرسال حديثه، لكن الألوان قد فات عندما هتف "قاسم" بغضب شديد:

سرق فرخة؟!!!

هز "فور" رأسه مُسرِّعًا بنفي قائلاً:

_ لا يا صاح أخيك يمزح ليس إلا... أليس كذلك عزيزي
"صهيب"؟!!

قهقهه "صهيب" عاليًا ثم أومأ له بأنفاس مُنقطعة، لينظر
"فور" تجاه "قاسم" هاتفًا بإثبات:

_ رأيته؟! هو يمزح فقط.

رفع "قاسم" سبابته أمام وجهه ثم أردف بتحذير:

_ قسماً بالله يا "فور" لو اللي سمعته دا حصل فعلاً
لهطفحك الأكل دا كله.

هز "فور" رأسه بضجر، وكاد أن يُكمل طعامه؛ لكن قاطعه
صوت الرسالة التي أتت على هاتفه، أمسكه بعدم إهتمام ثم
فتحها بملل، لكن تصنم محله عندما قرأ مغذّي الرسالة
المبعوثة له، ترك الطعام وترك كل شيء حوله ثم هبّ من
مكانه هاتفًا بصوت جامد قبل أن يرحل من أمامهم ويتركهم
ينظرون لأثره بتعجب شديد:

_ لقد أتى لي عمل هام، عليّ الذهاب الآن.

كانت فقط تلك الجملة التي قالها ثم هرول من أمامهم سريعاً،
صعد فور للسيارة ثم انطلق بها بسرعة هائلة كادت أن
تُصيبه بالكثير والكثير من الحوادث والكوارث الهائلة، وبعد
ما يقرب العشرون دقيقة؛ وصلت السيارة إلى مكان منأي
عن السُكان لا يُسمع فيه أي أصواتٍ، اقترب قليلاً من تلك
السيارة السوداء وتحديداً من تلك الفاتنة التي تستند بظهرها
على صفيح السيارة القوي.

اقتربت منه لتراه عن قُرب، لتتشكل إبتسامة واسعة على
وجهها قبل أن تهتف بخبثٍ مكرر:
_أوه عزيزي "فور" .. لقد اشتاقت لك والدتك كثيراً.

وعلى بغتةٍ وبحركة غير متوقعة سحب "فور" سلاحه من
جيب بنطاله الخلفي ثم وجَّهه إلى رأسها، وبعدها أردف
بحقدٍ نابع من أعماقه المُحترقة بقصاصات الماضي المؤلمة:
_أكرهك أُمي.

«يُتْبَعُ»

#حارة_القناص.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

« ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، فجلأؤه بذكر الله، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، فإذا ترك صدئ، فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلأؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.»

الفصل السابع والعشرون.

#حارة القناص.

#قُنْبلة_موقوتة.

نُسَجَنُ داخل ذكرياتٍ مليئةً بالخيباتِ تفوح منها رائحة القهر
والندمِ، أفدتنا تُعاني وتطلب تحريرها من قفصِ الأحرانِ،
وعقولنا تهتف بالنجدةِ للنسيانِ، فيتحول ربيعِ قلوبنا الزاهر
إلى واحةٍ فارغةٍ تُملأ بالأشواكِ، لتكون النتيجة هي إنسان
يفقد كل معاني الحبِ والحنانِ.

رفع "فور" سلاحه بعد أن سحبه من جيب بنطاله الخلفي
بأعين حمراء تدل على شحنة من الغضب الهوجاء التي
بدأت بالازدياد داخله، لكن تلك البقعة المضئية في داخله
جعلت الدمعات تتسلسل تدريجياً لحدقتها، لتُصبح عيناه
حمراوتان مُزينة ببعض من عبرات الحزن والقهرة، وبعدها
نطق لسانه بكلِ حقدٍ يحمله تجاهها:
_أَكْرَهُكَ أُمِي.

ابتسامة جانبية ساخرة تزينت على شفاه الأخرى وكان
دموعه وحزنه لا تهمها، اعتدلت في وقفها أثناء إرجاعها
لخصلاتها الشقراء للخلف، ثم اقتربت منه بخطى رتيبة
بجسدها الممشوق المميز حتى وقفت قبالة مباشرة، ناظرة
إليه بعينيها الخضراء العُشبية التي تُشبهه تمامًا مُردفة
بلكنتها الروسية:

__أوه عزيزي "فور"؟! لقد أصبحت قاسياً للغاية صغيري.

قالتها وهي تقترب أكثر ويدها تمر على وجهه بلطفٍ زائد عن الحد، لطفٌ تمنى لو يدوم ويكون حقيقياً لا ساخرًا، أراد أن يتمتع بأمومتها التي كانت تغدقه به هو وأخواته مُسبقًا، لكنه ذهب في مهبِ الرياح بين ليلةٍ وضحاها، لذلك وبكل قسوة نزع يدها عن وجهه ثم ضغط عليها بعنفٍ شديد متشدقًا بكُرهه:

__وأقسى مما تتصورين أيتها الخائنة، حتى أنني أستطيع قتلكِ الآن دون الشعور بذرةٍ ندمٍ واحدة.

سحبت يدها من بين كفه بعنف، وبعدها ضربته على صدره عدة ضربات خفيفة بإصبع سبابتها قائلة بتحدي:

__أنت أضعف من هذا بكثير عزيزي "فور"، أنا والدتك وأعلمك حتى أكثر من ذاتك.

احتدت عينيّ "فور" بقسوة وهو يراها أمامه تتحدث براحة دون وجود أي علامات للندم يرتسم داخل مقلتها، ابتلع تلك الغصة التي تشكلت داخل حلقة ثم تسائل بصوتٍ حاد يخفي وراءه ألامًا عظيمة لا ترى:

لَمْ فَعَلْتِ بِي هَكَذَا؟! أَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّكَ كُنْتِ تُمَثِّلِينَ لِي الْعَالَمَ
بِأَكْمَلِهِ، لَمْ تَرَكَتِي نِي وَذَهَبْتِ هَكَذَا؟!!

رَفَعْتَ رَأْسَهَا تُطَالِعُ عَيْنَاهُ الْحَادَةَ، كَانَتْ مَزِيجًا بَيْنَ الْحُزْنِ
وَالغَضَبِ، غَضَبٌ إِنْ ظَهَرَ سَيَقْتَلِعُ مَعَهُ كُلَّ الذِّكْرِيَّاتِ الْجَمِيلَةِ
وَالسَّيِّئَةِ مَعًا، لِتُجِيبَهُ هِيَ بِكُلِّ بَرُودَةِ أَعْصَابٍ:

وَالدَّكُّ هُوَ السَّبَبُ.

وَهُنَا نَفَذَ كُلَّ صَبْرِهِ وَمَعَهُ إِحْتِرَامُهُ بِالْكَامِلِ، لِيُدْفِعَهَا بَعِيدًا
بِقَسْوَةِ غَرِيبَةٍ عَلَى شَخْصٍ مِثْلِ "فُورٍ"، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَقْبِلَهَا
الرَّمَالُ كَانَتْ ذِرَاعَهُ تُمَسِّكُ بِهَا مِنْ خَصْرِهَا وَيَدُهُ الْأُخْرَى
يَضْغُطُ بِهَا بِقُوَّةٍ عَلَى عِرْقِ رَقَبَتِهَا النَّابِضِ، تَلَاهُ فَحِيحُهُ
الْمُرِيبُ:

إِنْ ذَكَرْتِي أَبِي بِسُوءِ سَتْرَيْنِ وَجْهًا لَنْ تُحْبِي رُؤْيَتَهُ
"إِيلِينَا".

فَتَحَتْ "إِيلِينَا" عَيْنَاهَا بِصَدْمَةٍ مِنْ فَعْلَتِهِ الْمُفَاجِئَةِ، وَبِيَدِهَا
حَاطَتْ دَفْعَ يَدِهِ بِصَعُوبَةٍ بِالْغَةِ لَكِنَّا لَمْ تَسْتَطِيعِ، حَتَّى إِذَا
غَرَزَتْ أَظْفَارَهَا الطَّوِيلَةَ الْمَطْلِيَّةَ بِطَلَاءِ أَظْفَارِهَا الْأَحْمَرَ
عَسَى أَنْ يَتْرَكَهَا لَكِنَّهُ كَانَ يُزِيدُ مِنْ ضَغْطِهِ فَوْقَ رَقَبَتِهَا أَكْثَرَ،
فَتَحَتْ فَاهَا بِصَعُوبَةٍ تُحَاوِلُ التَّنَفُّسَ لَكِنِ أَنْفَاسُهَا كَانَتْ
تَخْرُجُ بِصَعُوبَةٍ، حَتَّى أَوْشَكَتْ عَلَى إِخْرَاجِ أَنْفَاسِهَا الْأَخِيرَةِ!.

ابتسم "فور" ابتسامة مُخيفة، قبل أن يتركها فجأة لتقع على ظهرها بقوة شديدة غير متوقعة، تمددت "إيلينا" على الرمال وهي تشهق بعنف تُحاول التقاط أنفاسها المحبوسة داخل رئتيها، ظلت تسعل لدقيقة كاملة تقريبًا و"فور" يقف مُراقبًا إياها بجمود غريب، رفعت عيناها اللامعة بالدموع تُطالعه بكُره قبل أن تتشقق بصوتٍ غاضبٍ حاد:
_ ستندم على فعلتك تلك صدقتي، سأقتلك يا حقير.

ابتسامة جانبية ساخرة تشكلت على ثغر "فور"، والذي بدوره جلس القرفصاء بجانبها حتى بات وجهه على مقربة منها، وبعدها تحدث ساخرًا:

_ بل أنتِ من ستندمين "إيلينا"، أقسم بأن أجعلك تبكين دمًا من قهرتك وأنتِ تنظرين لحلمك يتبخر أمام عينيكِ الوقيتين تلك.

لم تهابه "إيلينا" أو تخاف، بل اقتربت أكثر من وجهه مُتحدثة بفحیح:

_ سنرى مَنْ سيبيكي بالنهاية عزيزي "فور"، مهما حاولت أن تُظهر لي فبالنهاية أنا أعلمك جيدًا.

هز "فور" رأسه بالنفي أثناء قوله الضاحك المُخيب لأمالها:
_الذي أمامك ليس كما "فور" السابق، الآن أنا أقتل بدمٍ
بارد دون الشعور بالرجفة.

طالعه "إيلينا" بقسوة كما لو لم تكن والدته أو ما شابهه،
وهذا أكثر ما ألم فؤاده الذي يصرخ به للرحيل بعد قتلها،
ليُكمل هو حديثه بقوله المُتألم:

_أتذكرين أول مرة أمسكت بها سلاحٍ عندما إلتحقت
بالشرطة؟! أتذكرين تلك الرجفة التي سرت بجسدي جراء
ذلك؟! كنتِ أول الداعمين لي، كنتِ أكثر من يحبني، كنتِ
أقرب لي من والدي وأخواتي وأصدقائي، كنتِ خير عونٍ
لي، كنتِ.. كنتِ حياتي بأكملها "إيلينا"، والدتي.. صديقتي..
شقيقتي.. حبيبتي.. روعي.. وقلبي.. لم فعلتِ بي هكذا
وهجرتيني لأعاني ظلامٍ أحاط بفؤادي؟! لم هربتِ مع عدو
أبي اللدود وتوقفتي ضدنا نحن.. أولادك!

تحولت معالم "إيلينا" من القسوة إلى الثبات، ليُكمل "فور"
بنبرة ساخرة تحمل بين طياتها حُزن عميق لن يُدواى
بسهولة:

أتعلمين ماذا حدث لنا عندما اختفيت؟! ظننا أنه لربما أصابك مكروه، أبي كان يموت في اليوم مئة مرة خوفًا عليك، "ألبرت" الصلب بكى لأجلك، "ستيفن" المتعصب دخل في حالة من الصدمة، "جون" الذي كان بمثابة رفيقك فقد النطق لأسبوع كامل، "آندريه" المرح كان يصرخ يطلب وجودك، و"ليونيد" المشاغب حبس ذاته في غرفته ليبكي ليلاً وحده ظنًا من أن لا أحد يسمع بكائه، بينما أنا كنت كالمجنون أبحث عنك في الطرقات، بكيت كثيرًا وصرخت أكثر لتعودي لكنك لم تعودي، ثماني رجال هُزموا وبكوا وصرخوا وفقدوا قوتهم لمدة شهرٍ أثناء غيابك، ثماني مجندين ضعفوا لأجلك، وأنت ماذا فعلت "إيلينا"؟! تركتينا واتحدتي مع عدونا اللدود لأنك وقعتي في عشقه؟! اتحدتي معه لقتل أبي الذي كان يهيم بكِ عشقًا؟! حطمتي أفدنتنا جميعًا لأجل أنانيتك، هل نستحق كل هذا؟!

ورغم قسمها بعدم ميلها له مجددًا؛ قد مالت! الواقع لن يُزيل أثر الماضي بقطراته، والماضي لن يُمحي بدموع القهر والأسى، ابتلعت ريقها بصعوبة وذكرياتها الجميلة مع أبنائها بدأت بالمرور سريعًا أمام عيناها، "فور" لم يكذب بكلمة واحدة مما قيلت، هو كان يُمثل حياتها تقريبًا، وأشقائه كانوا تزيق الحياة التي تعيش به.

بينما والدهم كانت تُحبه في البداية، لكن كثرة إنشغاله بعمله ورحلاته الحربية التي لا تنتهي جعلها تشعر بالضجر والوحدة، حينها تعرفت على شخص يُدعى "ميلانو شيفت"، أحبته ووقعت في عشقه حتى باتت مُغرمة به وبإهتمامه الذي كان يُغدقها به، وقعت في إثم الخيانة وأقامت علاقة معه أثناء غياب زوجها وأبنائها، أحيانًا تذهب لمنزله وأحيانًا أخرى يذهب هو لمنزلها عندما يكون فارغ من السُكان.

حينها اقترح عليها ترك المنزل بحجة عشقهم الممنوع المُتبادل بينهم، ولهوسها به قامت بترك كل شيء لأجله، تركت أبنائها وزوجها ينكثون بنار الهجر والفرار، واستطاع الآخر زرع نبتة الكره داخلها تجاههم، مُدعيًا بمحاولتهم لقتله وتدمير حياتهم الجميلة، حتى باتت تكره الجميع وذهبت لقتل زوجها المُسبق، لبدأ الصراع بينها وبين أبنائها.

تستحقون، صدقتي "فور" تستحقون كل ذلك وأكثر، لقد حاولتم أكثر من مرة قتل زوجي "مي..".

ضرب "فور" بقسوة على صفيح السيارة التي تُجاور رأسها وهو يصرخ أمام وجهها بعنف مُقاطعًا إياها:

__ اللعنة عليك وعلى رأسك الغبي هذا، أي زوج هذا تتحدثين عنه؟! أتقصدين ذلك القدر الذي يعرضك للرجال لجلب المعلومات؟ ذلك العفن الذي يجعلك تتأمين مع رجل غيره مُقابل صفقة تافهة؟! ذلك الحقير الذي ينام في أحضان النساء والخمر كل ليلة؟! أبعتي أبنائك وخنتِ أبنينا لأجل هذا النكرة؟!!

توقف بنهيج وصدرة يعلو ويهبط بعنف، وبقسوة مدّ يده ليُمسك بها من وجهها ضاغظاً عليه بأصابعه بقوة قائلاً:
__ أقسم أن أقتله أمام عينك الوقحة، سأرى حسرتك ترتسم على عينيك وأقتلك بعدها "إيلينا".

تألّمت "إيلينا" أسفل يده وبعدها دفعته بقوة وهي تُصيح به باهتياج:

__ أقسم إن مسّه خدشٍ واحد سأقتلك أنت وجميع أخواتك "فور"، لو لم يهملني أباك لما قد وصلنا لتلك الحالة، هو المُتسبب الأول والوحيد فيما نحن به الآن.

ابتسم "فور" ابتسامة مُختلة قبل أن يهمس لها بفحيح:
__ سنرى من المُتسبب بكل هذا عندما نجلب ذلك الوغد إلى هنا.

احتدت عيني "إيلينا" بكُره، وعلى حين غفلة سحبت سلاح
"فور" من بين يديه فجأة ووقفت مُبتعدة عنه مُصوبة فوهة
المسدس تجاه صدره قائلة بشر:

__ أنت من اضطررتني لفعل ذلك "فور"، تمنى أمنية أخيرة
فتلك آخر لحظاتك بتلك الحياة.

وعلى الجانب الآخر... تسلل "يحيى" المُلثم خفية نحو أحد
المخازن المليئة بالخُرذة والنُفايات، وبمهارة عالية وخِفة
قام بالولوج نحو الداخل دون أن يراه أحد من الحرس،
ابتسم ابتسامة مقيتة عندما نجح في الدخول بسهولة، لكن
ابتسامته لم تدم؛ عندما وجد سلاح أحد رجال "قاسم" يُوجه
نحو رأسه، تبعه سؤاله الحاد قائلاً:

__ أنت مين وإيه اللي دخلك هنا؟!!

ارتسم المكر على وجه "يحيى" قبل أن يُجيبه عابثاً:

__ أنا "يحيى الديب".

أنهى تعريفه لنفسه تبعه إخراجهُ لسلاحه مُسرِعاً من ثيابه،
ثم أطلق عدة طلقات على صدره لم تُسمع بسبب كاتم

الصوت الموجود بسلاحه، والآخِر سقط صريعًا على الأرض
المُتسخة من أسفله، تشكلت ابتسامة ساخرة على ثغره قبل
أن يُكرر جُمَلته الشهيرة التي يقولها دائمًا عند قتله لأحد
الأشخاص:

_كلب وراح.

أكمل سيره للداخل بحذر بعد أن أخفى جُثّة الرجل في أحد
الجوانب، رأى بعينه مصدر خافت للضوء على بُعد قريب
منه، ليُجهز سلاحه مُسرعًا، ويبطئ مدروس اقترب رويدًا
منه، ليرى "صوفيا" مُكبلة على كُرسي مُتهالك بعض
الشيء، وجهها شاحب وشعرها مُشعث، أنزل سلاحه ثم
اقترب منها مُسرعًا يضرب على وجهها بضربات خفيفة
حتى تستفيق، وبالفعل استفاقت بفرع ليرفع "يحيى" يديه
مُهدنًا إياها وهو يقول:

_متخافيش.. أنا جاي أهربك من هنا.

نظرت له "صوفيا" بتشوش وحالة من النُكران ترتسم على
وجهها، لذلك تسائلت بعدم تصديق:

_تهربني؟! أنت مين اللي بعتك!؟!

أجابها "يحيى" وهو يفق الحبال الغليظة من حول جسدها:

__ "مختار" بيه.

دلكت "صوفيا" معصمها الذي آلمها من إلتفاف الحبال من حوله، ثم رددت مُتعبة بدهشة:

__ "مختار"؟! بس هو ميعرفش إن أنا عايشة زي ما "قاسم" قالي!.

أجابها "يحيى" باختصار ولامبالاة:

__ أنا قولتله.

لم يتركها "يحيى" لتسأل أي سؤالٍ آخر، بل أمسك بمعصمها ثم سحبها خلفه بعد أن ترك على المقعد رسالة مُلحقة من "مختار الأرماني"، ثم خرج وهي معها بنفس الطريقة التي دلف بها لهُنا.

بعد ساعة تقريبًا.. وصل كلاهما إلى منطقة نائية بعيدة عن المدينة كُليًا، ثم صعدا إلى إحدى الشُقق السكنية التي قام "يحيى" بتأجيرها مُسبقًا وأدخلها للداخل، جلست "صوفيا" على الأريكة ومعالم الأرق والإنهاك كانت ترسم بوضوح على محياها، لذلك أعطى إليها "يحيى" كوبٍ من الماء قد جلبه لها ثم جلس جانبها، أخذت "صوفيا" كوب الماء من

حارة القناص

بين يديه بعطش ثم ارتشفتة كاملاً عدا بعض القطرات،
وبعدها سكت القليل منه على يدها لتقوم بغسل وجهها
المليء بالغبار، سحبت عدة مناديل ورقية ثم مسحت بها
وجهها أثناء قولها المتعجل لـ "يحيى":

_ أنا محتاجة أكلم "مختار" ضروري، محتاجة أقوله على
حاجة مهمة.

فكّ "يحيى" زرين من أزرار قميصه ثم أرجع رأسه للخلف
وهو يجيبها:

_ هيجيلك بكرة هو مأكدي.

حممت "صوفيا" بتوتر واضح وهي تقول له:

_ طيب.. طيب كنت عايزة شوية هدوم بدل الهدوم المقطعة
اللي أنا لابساها دي.

أعدل "يحيى" رأسه بانتباه ثم نظر لثيابها العارية للغاية
بخبتٍ شديد، مرر أنظاره عليها بداية من فستانها ذو فتحة
الصدر الواسعة، حتى إلى قدميها البيضاء التي تظهر بسخاء
بسبب قصر الفستان عليها كما اعتادت أن ترتدي مُسبقاً.

حارة القناص

اقترب منها بخبث ثم وضع يده على قدمها العارية بوقاحة،
قبل أن يردف بمكر:

__ تعالي جوا هتلاقي كل اللي نفسك فيه.

رفعت "صوفيا" حاجبها بإستتكار مُرددة على مسامعه
بتحذير:

__ ومش خايف أقول لـ "مختار"؟!!

أجابها "يحيى" ببراعة:

__ ليه وهو أنا بعمل حاجة غلط؟!!

أطلقت "صوفيا" ضحكة عالية رقيقة زادت من خبث ذلك
الجالس بجانبها، وبمفاجأة انتفض "يحيى" من مكانه ثم
سحبها خلفه حتى دلف كليهما إلى أحد الغرف الموجودة في
الشقة مُحيطاً إياها من خصرها بعنف ليُقرّبها منه أكثر،
وبعدها همس لها بوقاحة:

__ "يحيى" هينسيكِ الكام يوم اللي فاتوا.

بدأ العد التنازلي لإنخفاض مُعدل ضربات القلب داخل الضلوع، العين تبكي والجسد يشكو والدموع تصيح، ارتسمت معالم على القهرة على وجه "فور" عندما أبصر والدته تُصوب السلاح تجاه صدره من أجل عشيقها المُخادع، استطاع بكل سهولة أن ينسج خيوطه ويوقعها في شبابه، حتى أصبحت تُحارب العالم بأسره من أجله هو.

سحبت "إيلينا" تلك القطعة الحديدية الموجودة في الزناد لتعميره، ثم أردفت بشر وأعين مُتوعة:
_ أراك لاحقًا عزيزي "فور".

أغمض "فور" عينه بيأس وتلك المرة لم يمنع دموعه من الهطول، لربما كانت تلك أكبر خيبة أمل قد يتعرض لها المرء طيلة حياته! وصعدت الطلقات لتستقر بموضعها الأساسي، لكن ليست في صدر "فور"، وإنما في قدم "إيلينا" التي صرخت بقوة ارتجت لأجلها الصحراء من شدة الألم.

فتح "فور" عيناه بفرع عندما استمع لصرختها التي صمّت أذنيه، ليجد "ألبرت" يقف في المنتصف ويرتص ثلاثة من أخواته على كل جانب أثناء تصويبهم لأسلحتهم تجاه "إيلينا" التي ترتمي على الأرض تصرخ من الألم، مظهرهم

حارة القناص

كان مُهيبًا للأنفُسِ، نظراتهم كانت تُوحى بالكثير، دمارٌ هائل سيُصيبها قبل أن يُصيب الجميع، فعلتها شنيعة وذنبا أكبر، والدتهم هي قاتلة أبيهم ومصدر خيانتهم الأول.

اقترب "ألبرت" منها حتى أصبح أمامها مُباشرةً، لم يُكلف ذاته عناء الجلوس بجانبها، بل ظل واقفًا وكأنه يزلها وبالفعل شعرت بالإهانة حيال فعلته تلك، وأخيرًا خرج صوته هادئًا مُحملاً بالعواصف:

_ أهلاً بكِ في أرضِ مصرِ "إيلينا"، أتمنى أن تكون الرحلة قد نالت إعجابك عزيزتي.

جزت على أسنانها من الألم الشديد الذي يجتاح قدمها، وبعدها رفعت أنظارها له تُطالعه بِكُره قبل أن تصرخ به باهتياج:

_ "ألبرت" أيها الـ...

قاطعها "ألبرت" قائلاً بدهشة مُصطنعة:

_ أوه انظروا يا رفاق؟! "إيلينا" تتذكر اسمي حقًا؟!!

قد تظهر للبعض أن تلك الكلمات ساخرة بلهاء، لكنها في الحقيقة ما هي إلا كوميديا سوداء حلت على رؤوس الإخوة

حارة القناص

السبعة الواقفون أمام والدتهم العزيزة التي قامت بقتل والدهم والهروب بعدها.

اقترب منهم "ستيفن" هو الآخر ثم انحنى بظهره قليلاً ليجعلها ترفع أعينها للنظر إليه عن كُثب، خرجت الكلمات من فم "ستيفن" الذي سألها بتفكير:

_ كم من الأعوامِ مرت ونحن لم نراكِ "إيلينا"؟!

أجابه "جون" الذي وقف خلفه تمامًا لأثناء قوله الساخر:
_ أظن سبعة أعوام يا أخي.

_ سبعة أعوام.. وشهران.. وأربعة أيام.

نطقها "آندريه" التي لم يُبعد أنظاره عن وجه والدته منذ أن أتى وراها تُصوب تجاه صدر أخيه، وكأنه يحفر تلك الذكريات في رأسه حتى لا يلين قلبه تجاهها مُجددًا!

اقترب "ليونيد" هو الآخر من أخواته، والذي كان قريبًا منها للحد الذي جعله كان أن يُصاب بالجنون عند اختفاؤها، ثم جلس بجانبها مباشرةً يستند على رُكبتيه ليصل إليها، وعلى حين غفلة قَرَّبها منه أثناء أمساکها من خصلاتها بحقد جاعلاً إياها تصرخ بألم شديد، تلاه همسه المغلول:

حارة القناص

_مرحبًا بك في الجحيم "إيلينا".

دعمه "ألبرت" بقوله المُصاحب لإبتسامة مُحملة بالقسوة:

_ستتمنين الموت ولن تجديه.

أكد "ستيفن" على حديث أشقائه مُردفًا:

_سنُعذبك وزوجك الحقير ستجلبيه.

سار "آندريه" على وجهها بإصبع إبهامه ثم تشدق بهمس:

_قلبه اللعين ستوقفيه.

ليُشارك "جون" في الحديث قائلاً:

_وبيدك أنت ستقتليه.

كان "فور" يُراقب الجميع بوجه جامد خالي من المشاعر، وكان قلبه توقف عن النبض ومنع إياه من التحرك، لكنه سار أخيرًا من مكانه ثم اقترب منهم مُسرعًا مُتحدثًا بفحیح أثناء إمساكه بك "إيلينا" يضغط عليه بغلٍ حاقد:

_أنت الآن في مواجهة نيران "عائلة تشارلي" عزيزتي "إيلينا".

أنهى الجميع قولهم لكن مازالت مشاعرهم مُتخبطة تجاههم،
ووسط كل هذا الضغط الهائل؛ مالت رأس "إيلينا" على
الجانب فاقدة لوعيها، مما جعل "ألبرت" يقف من مكانه
أمراً كلاً من "آندريه، ليونيد، وستيفن" بأخذها للمكان الذي
اتفقوا عليه من قبل، وبالفعل حملها "آندريه" الذي نظر لها
بألم، ثم وضعها بداخل السيارة التي انطلق بها "ستيفن"
يأكل الطرقات بغضبٍ جامح، وبجانبه يجلس "ليونيد" الهائم
في دُنياه الخاصة به.

بينما وعقب ذهابهم بوالدتهم؛ سقط "فور" أرضاً يبكي
بشهقاتٍ عالية، لا يعلم أي ذنبٍ قد فعله هو وأخواته ليُعاقبوا
هكذا، هبّطت الدموع على وجهه بغزارة وصوت بكاؤه يُمزق
نياط القلب، ابتلع "جون" ريقه بصعوبة ثم اقترب منه
ليحتضنه مُخففاً عن ألمه، رمى "فور" برأسه على صدره
ولم يتحدث بكلمة واحدة، مشاعره الهوجاء تعمل بعنفوان،
تلك الخائنة والدته كادت أن تقتله لولا وصول أخواته في
الوقت المناسب، كادت أن تُتَهي حياته من أجل عشيقها
الحقير!

ابتعد "جون" عن "فور" عقب سحب "ألبرت" لأخيه من
على الأرض الرملية الباردة، وبعدها قام بجذبه لأحضاناه

يُشدد من ضمه بقوة، أحاط به "فور" وبكاؤه لم يهدأ بعد، لا يُصدق أن والدته فعلت بهم هكذا، ليثها ماتت أو قُتلت كما كانوا يظنون، لكن رجوعها كعدوة لهم؛ كانت كالقشّة التي قسمت ظهر البعير، خرج صوت "فور" الباكي بحدة وهو يسأل "ألبرت" الذي يُعانقه بألم:

لِمَ فعلت بنا هكذا يا أخي؟! أنا كنت أحبها كثيرًا أقسم لك، أنا.. أنا أكرهها.. أكرهها كثيرًا.. لقد اشتقت إليها يا أخي.

كانت مشاعره مُتضاربة، حتى نطق الأخيرة بيأس أثناء بكائه بعنفوان أبكى "جون" الذي استدار على الفور حتى لا يروا دموعه البائسة، وإن جاء للحق؛ فهو الآخر اشتاق لها حد اللعنة، حتى أنه فكّر في مُسامحتها قبل أن يرى عُنفها وكُرّها لهم الذي ظهر واضحًا في حديثها.

ابتلع "ألبرت" تلك الغصة التي تشكلت في حلقه بصعوبة بالغة، كان يظن أن الأمر سهلًا، لكن كان أقسى مما توقع، فالجميع اشتاق لها، الجميع مازال يُحبها، حالة من النكران مازالت تُسيطر على الجميع من حالتها، فكيف تكون تلك القاسية البشعة الآن هي الحنونة الجميلة مُبسقًا؟! ابتسامة مقهورة خرجت من فم "ألبرت" عندما توصل إلى الإجابة اللعينة، إنها لعنة الحب، الحُب هو ما دمر حياته وحياة

حارة القناص

أشقائه، حُبها لحقيرِ خائن جعلها تُقدِّم على قتل زوجها
ومحاولاتها لقتل أبنائها أيضًا.

خفتت شهقات "فور" لكن دموعه مازالت تهبط بغزارة،
وهذا كان واضحًا على اهتزاز جسده الذي أعلمه ببيكائه
بصوتٍ صامت، شدد "ألبرت" من مُعانقته أكثر أثناء همسه
الدافئ له:

لقد انتهى كل شيء أخي، انتهى الأمر عزيزي كفى بُكاءً
أرجوك.

إلتمس "فور" نبرة أخيه الحزينة وبالفعل هداً بكأوه بنسبة
كبيرة، ليُشير بعدها "ألبرت" لشقيقه "چون" الذي يُعطيهم
ظهره أثناء إستناده على السيارة:

"چون" يبكي يا "فور"، علينا دعمه عزيزي.

التفت "فور" لرؤية "چون" الذي يختار دائمًا الوحدة ملاذًا
لأحزانه، لذلك سار جانب أخيه "ألبرت" حتى وصلوا إليه،
أحاط "ألبرت" بكتفه ثم أردف مُمازحًا إياه:

ماذا تفعل هنا وحدك أيها الحقير؟!!

حارة القناص

تصنع "فور" الدهشة وهو يفتح عيناه على آخرهما مُتشدقًا
بعدم تصديق:

_يا إلهي! أنت تبكي كالنساءِ "چون"؟! أتريدُ وضع رؤوسنا
بالوحد يا هذا؟!

أكد "ألبرت" على حديثه أثناء قوله المُتحسر:

_قُلْ له عزيزي "فور" .. ماذا سيحدث لنا إن علم أحد
أعدائنا أن أبناء "عائلة تشارلي" تبكي كالأطفال هكذا؟!
حسرةً علينا وعلى مُستقبلنا المليء بالوكسات.

قال جميع كلماته بلغته الروسية المُتقنة، وجاء عند كلمته
الأخيرة ونطقها بالفصحى، قطب "فور" جبينه بتعجب
ضاحك وهو يتسائل:

_من أين تعلمت تلك الكلمة أخي؟!

جعد "ألبرت" وجهه بتشنج وهو يتذكر تلك الفتاة الغبية:
_من تلك الغبية التي تُدعى "مهرائيل".

تحولت نظرات وجه "فور" إلى الخبث الشديد، مما جعل
"ألبرت" يُطالعه بغضب وهو يتسائل بحدة:

_ ما بكِ أيها الأحمق تنظر لي كالغزاة هكذا؟!!

قهقهه "فور" ضاحكًا بصوتٍ عالٍ ولم يُريد التحدث حتى لا يُغضب شقيقه أكثر، وكل هذا كان "چون" يقف جامدًا لا يتحدث، أو بمعنى أصح يكتم ضحكاته حياء حديث أشقائه الغبي.

أحاطه "فور" من عنقه عندما لاحظ سكونه المريب هذا، ثم تسائل بريبة وهو يُوجه حديثه لـ "ألبرت":

_ ما به أخيك "ألبرت"؟! لم لا يتحدث؟! أيعقل أن قد تصنم مكانه؟!!

رفع "چون" حاجبيه باستنكار وهو ينظر له بطرف عينيه، ليبتسم "فور" ببلاهة عقب قوله، وبعدها تصنع الجدية الشديدة والحدة وهو يصفعه على وجهه قائلاً له بتحذير:

_ انظر لي بطريقة أفضل من هذه أيها الحقير، أنا أكبرك بخمس دقائق و عليك إحترامي.

احتدمت عيني "جون" بغضب، ليبتعد عنه "فور" مُهرولاً، كاد أن يتحدث لكن قاطعه صراخ "چون" الذي ركض خلفه صارخاً به:

__أيها الحقير سأقتلك.

صرخ "فور" وهو يُهرول من أمامه قائلاً:

__أمزح معك يا أحمق، آاه توقف عن رمي الرمال على رأسي أيها الحقير.

طالعهم "ألبرت" بابتسامة طفيفة، قبل أن يهز رأسه بيأس على أفعالهم الطفولية تلك، وبداخله يشكر الظروف على منحه هؤلاء الإخوة اللذين يُساعدونه على اجتياز المخاطر مهما كانت صعوبتها، قهقهه ضاحكًا عندما رأى "چون" قد تمكن الإمساك بـ "فور"، ثم رماه على الأرض الرملية واضعًا الرمال فوق رأسه، والآخر يصرخ به بعنف ليتركه، ليهمس "ألبرت" بقلة حيلة:

__حمقى مُغفلين.

«سنشدد عُضدك بأخيك» جُملة في محلها تمامًا، ما الأخ إلا سنذا تُشدد به أزرِك وتعلو به مواساتك، يُساندك في صعوباتك وتجتاز به آلامك.

وقف "قاسم" بجانب "صهيب" يُملي عليه وصاياه العشرة
بتحذير:

مش هعيد وهزيد في الكلام كثير، لو حسيت بأي خطر
أخرج من جوا، أنا معنديش إستعداد أخسرك بسبب مهمة
تافهة زي دي.

تشنج وجه "صهيب" وهو يُردد حديثه مُستنكرًا:
_تافهة؟! أنت عارف إحنا مستتئين الخطوة دي بقالنا قد
إيه؟!

رد عليه "قاسم" بحسم مُقاطعًا حديثه القادم بصرامة:
_تغور أي مهمة فداك أنت، "صهيب" علشان خاطري
متعرضش حياتك للخطر، أنا لو عليا فعاليز أخذك دلوقتي
ونمشي وأبقى آجي أنا أعمل المهمة دي لوحدي.

ابتسم "صهيب" بلُطف إلى أخيه، ثم اقترب منه مُحتضنًا
إياه:

_متخافش يا "قاسم" بإذن الله مهمتنا هتبقى سهلة
وهتجح، ربنا يخليك ليا يا حبيبي.

شدد "قاسم" من احتضانه وكأنه لا يريد تركه، يخشى الإمساك به من قبل رجال "مختار"، يخشى خسارة أخرى لن يحتملها لا هو ولا فواده، لذلك أردف بحب:

ربنا معاك، ووقت ما تحس إن فيه حاجة مش مضبوطة أخرج على طول من غير ما تفكر، ماشي؟!!

أوما له "صهيب" بثبات ثم تركه وغادر متجهًا لشركة "الأرمني العالمية للسياحة"، سيقوم بزرع القنابل النووية بها وتفجيرها ليلاً بزر صغير سيكون معهم، وتلك الضربة ستكون القاضية بالنسبة لـ "مختار الأرمني" وأخواته، فمصدر ربحهم الأول هو تلك الشركة، حيث يقومون من أسفلها بالعديد والعديد من الأعمال الغير مشروعة تحت بند «من يصل أولاً يربح لاكثر»، وهم لا ينفكوا عن البحث عن تلك الآثار، وأمام الجميع هم شركة عالمية لدعم السياحة في مصر لا أكثر.

تابع "قاسم" رحيل شقيقه بأعين مترقبة، فأتى من خلفه "رائد" الذي يحمل العديد من المسليات، ثم صعد للسيارة بجانبه فاتحًا لحقيبة منهم، ثم أخرج منها كيس من المقرمشات وأعطاه له، والكيس الآخر أخذه هو، طالعه

حارة القناص

"قاسم" ببلاهة، ليبتسم إليه "رائد" ابتسامة واسعة مُبرراً له:

_هنفضل قاعدين ساعتين قولت إما نسلي نفسنا شوية.

ضربه "قاسم" على عنقه من الخلف وهو يُصيح بإستنكار:

_طالعين مُهمة تفجير وأنت رايح تجيلي شيبسي ولب؟! أنت خطوبة ستك قصرت على عقلك يا بني!؟

فتح "رائد" الكيس الخاص به بس أردف مُتحرراً:

_متفكرنيش يا "قاسم" الله يسترک، ستي خطوبتها بكرة وأنا قاعد مش لاقى اللي يلمني.

أجابه "قاسم" ساخرًا:

_مش لما تلم نفسك الأول تبقى تلاقي اللي يلّمك!؟

وضع "رائد" كمية كبيرة من المقرمشات داخل فمه صم تسائل حانقًا:

_يعني أعمل إيه يعني؟! ما أنا بطلت أكلم بنات وأنت عارف.

حارة القناص

فتح "قاسم" الكيس الخاص به هو الآخر ثم أردف بدهاء:
_ يعني أنت باين عليك إنك بتحب "ملك" وواقع لشوشتك
أوي.

حك "رائد" مؤخرة عنقه متسائلًا:

_ باين عليا أوي كدا؟!!

أكد عليه "قاسم" ضاحكًا، فتسائل بغيظ:

_ طب أعمل إيه معاها طيب، البت حلوفة ومش حاسة بيا.

رد عليه "قاسم" ساخرًا:

_ والله انتوا الاتنين حلايف زي بعض، وسبحان الله زي ما
بيقولوا كدا حلة ولقت غطاها، تنحين بالفطرة.

ضرب "رائد" على صدره بضرباتٍ خفيفةٍ وكأنه يمدحه، ثم
أردف مُتفاخرًا:

_ حبيبي تسلم والله.. المهم قولي أعمل إيه بقى علشان ألفت
نظرها؟!!

حارة القناص

فَكَرَّ "قاسم" قليلاً بترٍ وبعدها صاح هاتفاً:
_ أول حاجة تبطلوا خناق مع بعض.. ت..

قاطعهُ "رائد" بشهقة مُفرعة وهو يضرب على صدره
بصدمة:

_ يا مصيبيتي؟! أنت عايزنا نبطل خناق؟! أنت عارف اللي
بتطلبه دا عامل زي إيه؟! زي ما تكون بتطلب مني أقف من
غير هدومي في الشتا.

طالع "قاسم" وجهه تشنج، ثم سأله مُستكراً:
_ يعني "ملك" بتمثلك هدومك اللي متقدرش تستغنى عنها
في الشتا؟!!

أكد "رائد" على حديثه هاتفاً بموايدة:
_ طبعاً.. مش شرفي و عرضي.

إلتوى نُغر "قاسم" ساخرًا مُجيبًا إياه:
_ رومانسيك أخرجتني يا جدع والله، حيث كدا بقى أنت مش
محتاج لنصايحي، أنت كدا فل الفل.

حارة القناص

اتسعت ابتسامة "رائد" وهو يسأله بسعادة:

_ بجد؟! يعني اللي بعمله صح؟!

أوما له "قاسم" أثناء كتمانہ لضحكاته بصعوبة متشدقا
بجدية مصطنعة:

_ طبعا يابني صح، وصح الصح كمان

وضع "رائد" المقرمشات بفمه سعيدا، ثم تتم مع ذاته
بفخر:

_ الله عليك يا واد يا "رائد" وعلى دماغك التمام.

عم الصمت المكان عدا صوت المقرمشات في أفواههم،
فابتلع "رائد" ما في جوفه وهو يتسائل بتعجب:

_ صحيح البنات راحوا فين؟!

أجابه "قاسم" أثناء شروده في "شركة الأرماني":

_ هيكونوا راحوا فين يعني.. اتجمعوا كلهم في البيت
كالعادة.

مين وصلهم؟!

هما راحوا لوحدهم.

كانت إجابة مُختصرة من "قاسم" والذي تمت بعدها بصوتٍ خفيض خوفاً على جنون الفتيات:

وربنا يستر ومروحش ألاقي "أهلة" موقفاهم على الحدود.

وعلى الجانب الآخر.. كانت جميع الفتيات يجلسن على الأرض مُتجمعين على شكل دائرة كبيرة لكثرة عددهم، فكانوا كالأتي (أهلة، يمى، ملك، لوسيندا، مهرايل، سهيلة، وحببية).

تنهدت "أهلة" بصوتٍ عالٍ أثناء تحديقها بضجر تجاه الفتيات، لذلك أردفت بصوتٍ مرتفع عندما طال صمتهم:

وحدوه.

لا إله إلا الله.

نطقها معظمهم، لتعرض "مهرائيل" بحنق:

نقوم نمشي إحنا طيب؟! مش واكل معاك إنا مسيحين
مثلاً؟!!

ارتفعت ضحكات "أهلة" مع الفتيات، لتقول بمشاكسة:

ما أنت كنت من شوية بتقولي صلوا على النبي، جت على
دي يعني؟!!

خرجت ضحكات مُتقطعة من فاه "مهرائيل" قبل أن تردف
ببلاهة:

صدقي معاك حق! يلا أهو كله بثوابه.

تهدت "سهيلة" بثقل قبل أن تردف بحالمية:

ياما نفسي حد بعينه كدا يأسلم، يا سلام يا ولاد هيكون
المستحيل اتحقق.

نكزتها "لوسيندا" قبل أن تجذب يدها لتقربها منها، ثم
تسألت بفضول:

_مين.. وفين.. وإزاي.. انطقي.

لم تكذ "سهيلة" أن تفتح فاهها للتحدث؛ حتى وجدت
"يمنى" تجذبها تجاهها من الناحية الأخرى:
_سيبك منها واحكي لي أنا.. متخافيش سرك في بير.

طالعتها "سهيلة" بسخرية وللمرة الثانية فتحت فمها كي
تتحدث؛ فوجدت "ملك" تجذبها عندها هي الأخرى والتي
أردفت بحماس:

_دول عيال كدابة سيبك منهم، قوليلي يا قلبي دا أنا البير
كله.

دفعت "سهيلة" ثلاثهم ثم صرخت بهم بنفاد صبرِ قائلة:
_جرا إيه يا بت أنتِ وهي!! وهي "سهيلة" مبتحلاش غير
لما تكونوا عايزين تعرفوا عنها حاجة!؟

استنكرت "يمنى" حديثها وهي تتشوق ببعض المسكنة:
_لأ يا "سهيلة" لأ متقوليش كدا، إحنا مش زي ما أنتِ
فاكرة طبعا.

حارة القناص

رفعت طرف شفيتها بسخط، ليستمع بعدها الجميع إلى صوت "حبيبة" التي تقول برقة:

_براحة يا بنات عليها وسيبوها براحتها.

مصممت "أهلة" على شفيتها بحسرة أثناء حديثها الموجه لـ "حبيبة":

_مسم.. عيني عليك وعلى رقتك يا بنتي، لأ أنت كدا في خطر ومحتاجة حد كفاءة زي يعلمك أصول التعامل مع الأوباش اللي زي دول.

طالعتها جميع الفتيات بغضب، لتبادلهم النظرات بلامبالاة قبل أن تجذب "حبيبة" من ذراعها تقربها منها، ثم أردفت بصوت هاديء بعد أن أخفضت رأسها للأسفل كي لا يستمع إليها الفتيات:

_بقولك إيه ابقى تعاليلي كل يوم نص ساعة علشان أعلمك كيفية الدفاع عن النفس أصلك أنت على نياتك خالص.

اتسعت ابتسامه "حبيبة" والتي أردفت بصوت هامس سعيد:
_بجد؟! هتعلميني إزاي أكون شريرة تاني؟!!

حارة القناص

أومات لها "أهّلة" بتأكيد، فعادت لوضعها المعتدل مرة أخرى؛ لتجد جميع الفتيات يُقربون أذانهم منهم ليستمعوا إلى الحديث الدائر بين كليهما، ابتعدت الفتيات على الفور ليستمعوا بعدها إلى صوت "أهّلة" الغاضب تصرخ بهم:
_ انتوا بتتصنتوا علينا؟!!

نفت "مهرائيل" برأسها على الفور وهي تقول بصدمة:
_ نتصنت؟! لا يا ستي استغفر الله أنتِ بتقولي إيه بس؟!!

أكدت "لوسيندا" على حديثها وهي تقول بموايدة:
_ طبعًا "مهرائيل" بتقول الحقيقة احنا عمرنا ما نتصنت على حد، بس استسمحك يا "أهّلة" ياختي تعلميني كيفية الدفاع عن النفس مع البت "حبيبة".

تشنج وجه "أهّلة" باستنكار وهي تتسائل بسخرية:
_ متأكدة يا "لوسيندا" إنكم مسمعتوش أنا قولت إيه؟!!

هزت "لوسيندا" رأسها بالنفي وهي تقول بصرامة:
_ لا طبعًا مسمعنش... هي بس طراطيش كلام لا أكثر ولا أقل.

صفت "يمنى" بكف يديها لتقول بصوت عالي نسبيًا حتى
تجذب انتباههم:

_يا بنات انتوا مسكتوا في حاجة تافهة وسيبنا موضوع
"سهيلة" مع حبيبها المسيحي؟! اسكتوا بقى عايزين نسمع
الحكاية.

نكرتها "سهيلة" في جانبها بقوة ثم صرخت بها قائلة
بسخط:

_روحي يا شيخة منك لله، كانوا نسيوا ياللي تتشكي في
جناحك.

داكت "يمنى" جانبها بألم، ثم دفعتها بعيدًا وهي تقول
بسخط:

_بت أنتِ هتلكي وتخلصينا ولا نعرف الموضوع بمعرفتنا؟!
هشغل روح ظابط المخابرات اللي جوايا وهوصل يعني
هوصل.

أيدت "مهرايل" حديثها قائلة بتأكيد لتدعمها:

_وأنا معاك يا بت يا "يمنى"، ووقتها هخلي كل اللي ما يشتري يتفرج عليك، وأنت عارفاني كتومة مش بحب أحكي لحد حاجة عن حياتي.

ابتلعت "سهيلة" ريقها برعب قبل أن تهمس بحسرة:

_يا سوادى؟! إيہ المصيبة اللي أنا حظيت نفسي فيها دي!

لم يبالي الجميع لولولتها أو لحسرتها أدنى إهتمام، بل وجهوا أنظارهم إليها بانتباه مُنتظرين ما ستقول، حممت "سهيلة" بتوتر قبل أن تقول بتحذير:

_أنا هحكي بس كلامنا دا ميطلعش لحد.

أوما لها الجميع مُسرعين، بينما أردفت هي قائلة أثناء إخفاضها لأنظارها للأسفل:

_أنا.. أنا بحب "فور".

ثانية.. ثانيتان.. ثلاثة.. وانتظرت أن يتحدث أحد أو يُعقب على حديثها؛ لكن لم تجد سوى الصمت يُحيط بها، رفعت أنظارها تُطالعهم؛ لتجد نظرات البلاهة والتعجب مُرسمة على أوجههم جميعًا، وكان أول من تخرج من صمتها هي "أهله" التي تسألت ببلاهة:

حارة القناص

_"فور"؟! "فور" بتاعنا؟!.

ابتلعت "سهيلة" ريقها بصمت وهي توميء لها برأسها
تؤكد حديثها، انتفض الجميع من مكانه عندما استمعوا إلى
صراخ "ملك" المُستنكر وهي تصرخ بها:

_نعم ياختي!! وملقتيش غير "فور" الحليوة أبو عيون
خضرا؟!!

فتحت "سهيلة" فاهها بصدمة وهي تسألها بقلبٍ ينبض
برعب:

_نعم؟! أنتِ بتحبيه؟!!

هزت "ملك" رأسها بالنفي أثناء قولها المُتحسر:

_لأ مش بحبه بس بكراش عليه.

جذبتها "يمنى" من خصلاتها وهي تجز على أسنانها
بغضب:

_هو أنا مش قولت تبطلي قلة أدب؟! أرقام الرجالة اللي
كنتِ بتكلمهم واتمسحت، نعمل إيه فيك تاني علشان تتلمي
يا بت أنتِ؟!!

تأوهت "ملك" بألم أثناء إمساكها بيد "يمنى" التي تقبض على خصلاتها، ثم بررت قائلة:

_والله أنا توبت وربنا يشهد عليا، بس الواد حلاوته تجزع وكتكوت في نفسه كدا، والأهم إنه بيحب الأكل زيي.

دفعتها "يمنى" بغیظ، لتلتقطها "أهلة" التي أمسكتها من خصلاتها هي الأخرى تهزها بيأس:

_يابت نوأدك ونخلص من قلة أدبك ولا نعمل معاك إيه؟! إحنا عيلتنا كلها مُحترمة وأنتِ العنصر الشاذ اللي ما بينا.

أطلقت "ملك" ضحكة رقيقة أثناء قولها الساخر:

_هيهي محترمة؟! سلامات يا محترمة.

حممت "أهلة" بجدية ثم أعادت تكوين جملتها قائلة:

_مش محترمة أوي يعني.

تدخلت "حبيبة" في الحوار مُعاتبية "أهلة" بخفوت:

_براحة عليها يا "أهلة" حرام عليك.

وبالفعل تركتها "أهلة" بغیظ ثم عادت لموضـعها دون أن تتحدث، بينما أردفت "لوسیندا" قائلة وهي تُوجه حديثها لـ "حبیبة":

يا بنتي أنتِ كنتِ بترضعي لبن زينا كدا ولا كانوا بيرضعوكِ أخلاق؟!

أجابتها "حبیبة" بهدوء وهي تبتسم بركة:
لأ كانوا بيرضعونني لبن عادي.

يا جماعة.. يا جماعة انتوا سيبتوا موضوعي أنا والواد ومسكتوا في نوع اللبن اللي كانت بتشربه البسكوتة!!

صفت "مهرائیل" الصامتة مرة واحدة قبل أن تردف قائلة:
هي ملهاش غير حل واحد.

انتبهت حواس "سهيلة" لحديثها وكذلك انتبه الجميع، فتسائلت بصوت متحمس:
حل إيه قولي بسرعة؟!

إن هو يأسلم.

قالتها بثقة كبيرة، وكان هذا الحل لم يأتي أو يمر بخاطرها من قبل.

نظرت "مهرائيل" لهم مُستعدة للإستماع إلى تقديرٍ وهتافٍ عن مدى ذكائها، لكنها لم تجد سوى معالم التشنج مُرتسمة على أوجه الجميع، ابتسمت بغباء وهي تتسائل:

إيه؟! هو أنا قولت حاجة غلط لسبح الله؟! أو.. أو أنتِ اللي تدخلني المسيحية.

هتفت "أهلة" بُنكران زائف وهي تقول بصدمة:

لأ استغفر الله يا شيخة متقوليش كدا، غلط؟! ومنك أنت؟! وبعدين أنتِ تنقطينا بسُكاتك الله يكرمك علشان أنتِ اللي هتعملي فتنة طائفية ما بينا دلوقتي.

علمت "مهرائيل" من تهويلها لنفسيها عن سخريتها منها، لتردف بسخط وهي تُشبح بيدها أمام وجهها:

تصدقوا أنا ذكائي خسارة فيكم!

ربتت "لوسيندا" على قدمها قائلة:

_ احنا مقدرين ذكائك وتعبك في التفكير، بس متفكريش تاني
لو سمحتِ.

نظرت "مهرايل" لشقيقتها بإستتكار صارخة بوجهها:
_ حتى أنتِ كمان يا "لوسيندا"؟! تصدقوا بالله؟! أنا ذات
نفسي خسارة فيكم أساسًا.

أشاحت "أهلة" بيدها بلامبالاة أثناء تمتتها الساخطة:
_ ياختي اتيلي واسكتِ بقى، المهم يا بنات قوموا يلا كل
واحدة بيتك بيتك وأنا هاخذ البت "حببية" وهنطع فوق.

تشنج وجه "يمنى" التي تسائلت بسخط:
_ أنتِ بتطردينا يا "أهلة"؟!!

_ آه.

قالتها بإختصار، ثم صعدت لشقتها ومعها "حببية" التي
تبعتها بعد أن أشارت لهم جميعًا لتودعهم بود.

أشارت "ملك" لأثر "أهلة" الذي اختفى من أمامها ثم
أردفت بإستتكار:

حارة القناص

__ شايفة أُختِك؟! بالله ما اتربت ولا شمت ريحة التريبة.

أحاطت "يمنى" بعنق شقيقتها ثم اتجهوا للخارج أثناء قولها الضاحك:

__ والله يا "ملوكة" إحنا كلنا متربناش.

ضحكت "ملك" ثم أيدتها قائلة:

__ على رأيك.. ملناش غير "بلبله" تعالي نشوفها عاملة لينا أكل إيه.

وبالداخل... نظرت كُلاً من "لوسيندا ومهرائيل وسهيلة" لبعضهم البعض بصمت، قبل أن تردف "سهيلة" وهي تُلملم أشياءها:

__ استأذن أنا بقى علشان أروح أصلي العصر، سلام يا مُرز.

__ سلام يا عسلية.

قالتها "مهرائيل" مُودعة إياها بمرح، لتضحك "سهيلة" بخفة قبل أن تتركهم وتذهب من المنزل بأكمله.

أرجعت "مهرائيل" خصلاتها للخلف قبل أن تعض على شفتيها قائلة بصوتٍ خافت:

ـ وأنا كمان همشي يا "لوسيندا".

طالعت "لوسيندا" شقيقتها بقلق، قبل أن تقترب منها وتحيط بذراعيها مُتحدثة بخوف:

ـ متأكدة من اللي أنتِ عايزاه دا يا "مهرائيل"؟! أنا خايفة عليكِ ومش عايزة بابا يأذيكِ بأي شكل.

ابتسمت "مهرائيل" ابتسامة طفيفة لشقيقتها، قبل أن تقترب منها وتقوم بإحتضانها وهي تهمس لها:

ـ متخافيش عليا هبقى كويسة صدقيني، وبعدين ما أنا هاجي بكرة شبكة تاتا "لواحظ" وهنقلك الأخبار.

قهقهت "لوسيندا" عاليًا وبعدها ابتعدت عنها لتقول بصوتٍ حاني:

ـ طيب يا حبيبتني، ووقت ما تحتاجيني هتلاقيني معاكِ دايمًا.

أومأت لها "مهرائيل" بحب، ثم حملت حقيبتها التي جهزتها صباحًا وبعدها ذهبت من المنزل تاركة شقيقتها تنظر لأثرها

بخوف من القادم، فهي لا تضمن ردة فعل والدها معها، لكن حاولت بث الطمأنينة في فؤادها بقدر الإمكان.

دلف "صهيب" لبهو الشركة بكل ثباتٍ وهدوء، وجد الجميع يُرحب به بقوة وإحترام، وكيف لا وهو ابن "مختار الأرماني"؟! من وجهة نظرهم، وضع "صهيب" نظارته الشمسية على عينيه وكفوف يديه مخفيان داخل جيب بنطاله الأسود، وقف أمام رجال الأمن ثم أمرهم بكل ثباتٍ وهدوء:

فيهِ رجالة هيجوا دلوقتي علشان يعملوا صيانة في الشركة دول تبعي، أول ما يجوا دخلوهم على طول.

أوما له الحرس بإحترام وأردف واحدًا منهم:

تحت أمرك يا "صهيب" بيه، أي أوامر تانية؟!!

هز "صهيب" رأسه بالنفي، ثم دلف للداخل وظل يدور في أنحاء الشركة مُدعيًا رؤية تصميماتها وأروقتها التي صُممت على أحدث طراز، طالعها بحسرة مُصطنعة قبل أن يهمس لذاته:

مش خسارة الحلاوة دي كلها تتفجر؟! بس مش خسارة
في "مختار الأرماني"، بالهنا والشفا.

بعد نصف ساعة تقريبًا.. وصل الرجال الذي قال عنهم
"صهيب" يرتدون ثيابًا موحدة من اللون الأزرق، فسمح
لهم الحرس بالولوج سريعًا، أشار إليهم "صهيب" بعينيه
وهم أومأوا له بطمأنينة، وبدأوا بذراعه القنابل الموقوتة
في جميع أنحاء الشركة، بل كانوا أيضًا يختارون المناطق
الخالية من العاملين بكل ذكاء حتى لا يُثيروا الشكوك
حولهم.

مرت نصف ساعة أخرى وهم يُحاولون إنجاز عملهم بكل
سرعة قبل أن يأتي فردًا آخر من عائلة "الأرماني"، نظر
"صهيب" في ساعة معصمه بترقب والقلق بدأ ينهش قلبه،
لقد اقترب موعد قدوم "نادر الأرماني"، وإن رأى هؤلاء
الرجال لن يُمرر الأمر مرور الكرام حتى يعرف ما ورائهم،
هو بالأساس لا يرتاح لوجوده وإن حفر خلفه سيُدمر كل
مُخطاهم هو وأخيه، وهذا آخر شيء يُريد حدوثه.

ولحسن حظه لم يمر خمس دقائق أخرى وكان الرجال
ينتهون من عملهم، ليقترّب واحدًا منهم من "صهيب" قائلاً:

_"صهيب" بيه كل حاجة خلصت زي ما حضرتك أمرت
بالظبط، أي أوامر تانية؟! "

ابتسم له "صهيب" بامتنان قبل أن يُربت على كتفه مُتشدقًا
بفخر:

_"عاش ليكم والله يا رجالة، دلوقتي لازم نطلع من هنا في
أسرع وقت."

لملم الرجال حقائبهم ثم خرجوا مع "صهيب" بهدوء وثبات
كما أتوا مُسبقًا، وتلك المرة ارتسمت ابتسامة إنتصار على
ثغر "صهيب"، فودّع الرجال قبل أن يركض لأخيه حتى
يبلغه تلك الأخبار السعيدة ونجاح خطتهم المؤقتة.

وصل مُسرعًا إلى السيارة، ليخرج "قاسم" ليستقبله بلهفة،
وضع "قاسم" يده على صدره يتنفس براحة، وكأن حملًا
ثقيلًا قد أُزيح من فوقه، تحدث "صهيب" بسعادة كبيرة وهو
يضرب كفه بكف شقيقه الذي استقبله بسعادة قائلاً:

_"الخطة مشيت تمام يا "قاسم".." فاضل التنفيذ على بليل
بس وكدا دي تبقى الضربة القاضية لعيلة" الأرماني."

ابتسم "قاسم" بسعادة، ثم اقترب منه ليحتضنه بسعادة بالغة
أثناء قوله المرح:

_ راجل يا ض.

_ يا ولاد احضنوني معاكم.

كانت تلك الكلمات تخرج من فاه "رائد" ناطقًا إياها بضجر،
ليستقبله كُلاً من "قاسم وصهيب" مُحْتَضِنِينَ إِيَّاهُ بِحُبِّ هُو
الآخر، وتلك المرة تحديداً شعر "رائد" بفوزه بأصقاء بمثابة
أشقاء لن يُعوضهم الزمان مهما مر عليهم.

الخوف ينبش في جدران القلب يهتف خائفاً، والعقل يشكو
للذهاب هارِعاً، ومن بين صراعاتها الداخلية أكملت
"مهرايل" تقدمها نحو منزلها، ومع إقترابها أكثر؛ كانت
تسمع لصوتٍ يهتف داخلها يأمرها بالتوقف وعدم
الإستكمال، لكنها هزت رأسها بقوة ثم وقفت أمام باب
منزلهم تسحب نفساً عميقاً من داخلها لتزفره على مهل،
تُحاول الثبات وإقناع ذاتها أن الذي بالداخل هو والدها
بالنهاية ولن يُقدم على أذيتها.

أخرجت مفتاح الشقة من حقيبتها، ثم أدخلته على مهل وقلبها ينبض بقوة، وبعدها فتحته أخيراً، ليستقبلها السكون المريب الذي يعم الأرجاء، لتتأكد من عدم وجود والدها بالداخل وتطمئن قليلاً، تقدمت خطوتان للداخل وما كادت أن تتقدم الثالثة؛ حتى وجدت يد والدها الغليظة تهجم على خصلاتها حتى كادت أن تقتلعها، صرخت "مهرايل" برعب لتردف بصراخ مُتألم:

_ آااه يا بابا سيب شعري.

أغلق "سمير" باب الشقة أثناء إمساكه به، وبعدها إنهال عليها بالضربات والسباب اللعين، لقد فارت الدماء في جسده عندما رآها تأتي وهي تجر حقيبتها خلفها عند وقوفه بالشرفة، ليقرر إعطائها الأمان بعدم وجوده أولاً، ثم يهجم عليها لتلقينها درساً لن تنساه طيلة حياتها.

جذب "سمير" خصلاتها أكثر بين يده، وباليد الأخرى كان يهبط بها بأقصى ما يملك فوق وجنتها الحمراء مُتسبباً في صُراخها أكثر، هبطت دموعها بقهر وهي تشعر بحجم الذل والمهانة التي تتعرض لها على يد والدها، وازداد رُعبها عندما أبصرته يبتعد عنها ليجلب المقص وعيناه تلتمع بوميضٍ مُرعب.

عادت "مهرائيل" للخلف بقدمائها وهي تهز رأسها بهستيريا، ثم صرخت ترجوه ببيكاء:

_لأ يا بابا لأ علشان خاطري... أبوس إيديك متعملش فيا كدا أنا أسفة.

فتح "سمير" المقص وأغلقه عدة مرات، ثم أردف بنبرة متوعدة وسباب لاذع:

_مش شوية عيال و**** زيك أنت وأختك اللي تحطوا راسي في التراب قدام اللي يسوى واللي ميسواش، ودلوقتي أنا هربيك وهعرفك إن الله حق.

ابتلعت "مهرائيل" ريقها بصعوبة، وبمحاولة بائسة منها حاولت الاعتدال والوقوف على قدميها لتستطيع الهروب، لكن والدها قد تمكّن منها وهبط على وجهها بصفعة قوية أدت إلى إصابتها بالدوار الشديد، استندت على الحائط من خلفها بينما "سمير" اقترب منها أكثر وبدأ بقص خصلاتها التي تحبها للغاية، ومع سقوطها أمام عينيها كانت دموعها تبهط بغزارة، فباتت مُستسلمة لما يفعله دون حتى إيقافه عما يفعل.

حارة القناص

انتهى "سمير" من تخريبه لخصلات شعرها ناظرًا إليها
بشماتة، ثم انحنى عليها هاتفًا بفحيح من بين أسنانه
الصفراء:

_ اعملي حسابك العريس اللي أختك رفضته هتجوزيه أنتِ
ورجلك فوق رقبتك.

طالعه "مهرايل" بنظرات خاوية، قبل أن تصعد الكلمات
من فاهها بصعوبة قائلة:
_ على جُنتي.

إتمعت عينيّ "سمير" بالشر، قبل أن يردف هامسًا:
_ هيبقى على جنتك فعلاً.

قالها ثم سحبها من خصلاتها المتبقية كالحيوانات وهي
تصرخ تطلب النجدة بكل قهرٍ موجود داخلها، لكن لم يُبالي
بها ولا بصرخاتها المُستغيثة، بل أكمل سحبه لها حتى
أدخلها لغرفتها، رامياً إياها على الأرض السيراميكية
الصلبة، وبعدها صعد صوته مُتوعدًا:

_ خليك مرمية هنا زي الكلاب من غير لا أكل ولا شُرب،
وأنا هكسرك وأكسر مناخيرك قُريب يا بنت أمك.

ورغم حالة الذل المُسيطرَة عليها، قررت رد اعتبارها قائلة
بنهيج ووجهها ينزف الدماء من كل مكان:

_ على الأقل مش بنت أمك أنتِ.

فقد "سمير" أعصابه مرة أخرى، وبكل غلٍ موجود بداخله
إنهال عليها بالضربات والركلات مُجددًا، ظل يضرب بها
وكانه أصبح حيوانًا لا يعلم هوية تلك المُستلقية أمامه،
وكانها ليست ابنته من دمه ليفعل بها كل هذا، وبعد فترة
ابتعد عنها بعدما أنهى شحنة غضبه تاركًا إياها فاقدة للوعي
لا تشعر بالحياة ولا بما حولها.

عاد الرجال إلى المنزل جميعًا ليجدوه فارغًا يعم بالصمت
على غير العادة، نظر "ألبرت" حوله مُتحدثًا بتعجب:

_ عساه خير؟! ما هذا الصمت الغريب الذي يعم أرجاء
المنزل!؟

أجابه "ستيفن" بسخرية:

_ أخشى أن تكون الفتيات قد قتلن بعضهن أو ما شابه.

ارتقى "ألبرت" على الأريكة بإنهاك قائلاً بتمني:
_ سيكون هذا عظيم حقاً.

تصنع "فور" التعب ثم استأذن من أخواته قائلاً:
_ سأدخل لأرتاح قليلاً، رأسي يكاد أن ينفجر.

أوماً له إخوته، فضربه "آندريه" على كتفه بخفة أثناء قوله
الداعم له:

_ تُصبح على خير أخي، إن أردت شيئاً ناديني فقط.

أوماً له "فور" بامتنان، ثم ذهب تاركاً أخواته ينظرون له
بشفقة، تتهد "ستيفن" بتعب أثناء قوله الحزين:

_ "فور" لم ينسى ولن ينسى، هو أكثر المتضررين بيننا.

نفخ "ليونيد" بضيق أثناء قوله المُختق:

_ كان قريباً من "إيلينا" للحد الذي يجعله حزيناً العمر
بأكمله.

ابتلع الشباب تلك الغصة التي تشكلت بحلقهم مُتهددين بضيق، يبدو بأن تلك الليلة ستكون الأصعب على سبعتهم، الجميع يُعاني ويُخفون مُعاناتهم خلف قناع البرود والقسوة.

وبالداخل.. بمجرد أن أغلق "فور" الباب خلفه حتى شعر بعبراته الساخنة تهطل بغزارة على وجهه، خلع معطفه وبعدها حذائه ثم تمدد على الفراش علّه يستريح قليلاً وينسى ما مرّ به، لكن ما حدث منذ عدة سويكات قليلة يمر أمام ناظريه بلا شفقة، والدته التي أنجبتة كادت أن تقتله! كادت أن تُنهي جميع الذكريات القديمة مع إطلاقها لرصاصة واحدة لتستقر في صدره، وبتلك اللحظة تحديداً تمنى لو أنها أصابته حتى لا يشعر بكل ذلك الحُزن الذي يشعر به الآن.

أنفاسه كادت أن تُزهق، وروحه تتخلع من الألم، ومن بين موجة ذكرياته الحزينة أمسك بالوسادة ليضعها على وجهه حتى لا يستمع له أحد، وبعدها انفجر في البكاء المرير، آلام قلبه كادت أن تقتله، وماضيه يُعذبه، وحاضره يكاد أن يقضي عليه، حتى شعر بأن تلك الليلة ستكون الأخيرة له من شدة حُزنه.

فُتِحَ الباب فجأة ليطل من خلفه "قاسم" الذي دخل ليُبلغه بالأخبار السعيدة، لكن رؤيته له بكل ذلك الإنهيار جعل فؤاده ينبض برعب قبل أن يركض إليه وهو يسأله بفرع:

__ "فور" مالك إيه اللي حصل؟!!

جلس "قاسم" جانبه، ليرتمي "فور" داخل أحضانه أثناء محاولته بقدر الإمكان للسيطرة على شهقاته التي تخرج عالية رغماً عنه، وبصوتٍ مُتقطع تحدث بصعوبة:

__ لقد رأيتها... أمي.. كادت أن تقتلني.. أنا أكرهها "قاسم"..
أنا أكرهها حقاً.. ل..

منعه "قاسم" من استرسال حديثه الذي يُقَطِّع نياط القلب قائلاً:

__ ششش.. خلاص.. انسى.. انسى يا "فور" علشان تعرف تعيش..

هز "فور" رأسه بالنفي وبكاؤه يتزايد بشكل مُخيف، حتى أيقن "قاسم" بأنه سيُصاب بذبحة صدرية لا محالة من شدة الحزن إن لم يتوقف عن البكاء!

وبتيهة شديدة ابتعد "قاسم" عنه ليرتمي "فور" على الفراش من خلفه، ولم يصمت أو يقل بكائه أيضاً، ورغم أن الحل الذي وجده "قاسم" سيُصيب استنكار مَنْ يراه؛ إلا أن هذا هو الحل الوحيد الذي يلجأ إليه حين تضيق به الطرق وتقسو عليه الحياة، ألا وهو «القرآن الكريم».

أمسك "قاسم" بجهاز الراديو الصغير، ثم قام بتوصيله ليبدأ القاريء بتلاوة سورة البقرة بصوتٍ عذبٍ مُريحٍ للأنفُس، ثم جذبته قليلاً وبعدها جذب "فور" لأحضانه يُربت على ظهره ليُهديء من روعه، وبالفعل بعد مرور عشر دقائق تقريباً كانت شهقات "فور" قد هدأت تدريجياً، لكن أحياناً جسده كان يشنّج تشنجات خفيفة أثار طول فترة بكاؤه، حينها كان "قاسم" يرفع من صوت جهاز الراديو لتتغلغل الآيات بين ثنايا قلبه لتُربت على فؤاده المُنهك والباكي.

بعد مرور نصف ساعة أخرى.. كان "فور" قد ذهب في ثباتٍ عميق، ليبتسم له "قاسم" بحنوٍ بالغٍ ثم مدده على الفراش من خلفه وبعدها سحب عليه الغطاء الثقيل ليُغطي جسده من برودة الأجواء، وقف مُعتدلاً جانبه لكنه انحنى قليلاً مُقبلاً جبينه بحزنٍ على حالته وبعدها ذهب، وترك صوت القرآن بجانب أذنه ليُصاب بالراحة والسكينة.

عادت "سهيلة" إلى المنزل ثم أبدلت ثيابها وهزت رأسها بملل، نظرت للساعة فوجدتها الرابعة والنصف عصرًا، وهي حتى الآن لم تُودي فريضة! نفخت بتعب ثم همست لذاتها بإنهاك:

يا ربي المغرب قَرَّب يأذن وأنا مكسلة أصلي أوي.

شعرت بعيناها تنغلق تدريجيًا فقررت أن ترتاح قليلًا على الفراش وبعدها ستُصلي، ظلت خمس دقائق على وضعيتها تلك تعبت بهاتفها دون فعل أي شيء، لكن قاطعها رنين هاتفها وظهور اسم "عائشة" يُزين شاشته.

ابتسمت "سهيلة" بسعادة ثم اعتدلت وهي تُجيبها:

_ "عائشة" وحشاني أوي._

أجابتها "عائشة" من الناحية الأخرى وهي تُجيبها بود:

وأنتِ كمان وحشتيني يا قلبي، أخبرك إيه طمني عنك؟!

ردت عليها "سهيلة" بنبرة عادية:

حارة القناص

__ الحمد لله أنا كويسة، وأنتِ أخبارك إيه؟!!

جائها رد "عائشة" بقولها:

__ بخير الحمد لله في فضل ونعمة.

__ الحمد لله.

رددتها "سهيلة" بخفوت، قبل أن تُحمم بتوتر وقد قررت الإفصاح عما يُورقها ويورق تفكيرها، لذلك تحدثت بتلعثم:

__ "عائشة" أنا كنت عايزة أقولك حاجة.

استمعت إليها "عائشة" بانتباه قائلة:

__ اسألني اللي أنتِ عايزاه أنا معاك.

بدأت "سهيلة" الحديث وهي تشكو لها عن حالتها بصوتٍ
بأس:

__ بُصي أنتِ عارفة إني بحاول أجاهد نفسي بصعوبة، وإني
بحاول على قدر الإمكان إني أحافظ على صلاتي، بس بيجي
عليا أوقات بكسل أوي، بكسل بطريقة غريبة فلأسف
بضطر إني مصليش.

كانت "عائشة" تستمع إليها حتى تحدثت هي مُعاتباً إياها:

طيب ليه تأثري في صلاتك وأنت معاك حصن منيع يحميك في يومك، هقولك على حاجة، دايمًا افكري إن ممكن صلاتك تكون هي آخر حاجة سالحة في الدنيا أنت ممكن تعملها، يعني مثلاً متخرجيش مع صحابك وتأجلي صلاتك، متقعديش مع قرابيك وتأجلي صلاتك، متجهزيش الأكل وتأجلي صلاتك، هل أنت عارفة قدرك ونصيبك فين؟! عارفة هتموتي إمتى؟! مش يمكن لقدر الله لو خرجتي مع صحابك وأجلتي صلاتك لحين العودة ممكن مترجعيش البيت وأنت صاحية؟! ممكن بسهولة تفقدي حياتك وتفقدي روحك وأنت مش مادية فرض ربنا، وقتها هتقولي لربنا إيه؟! يارب أصل صحابي كانوا مستعجلين؟! يارب قرابي كانوا عندنا في البيت ومعرفتش أسيبهم خمس دقائق أصلي فيهم!؟

سقطت دموع "سهيلة" بندم، فأكملت "عائشة" بقولها:

ما بلاش دا كله، أنت هتكوني مُستعدة لسؤال القبر؟! هتقولي إيه للملكين اللي هيسألوك عن فرض الصلاة؟! هتحملي وجوههم البشعة اللي هيظهرولك بيها لو عملك سيء؟! هتحملي لفة التعبان حول جسمك وضغطه بسبب نسيانك لصلاتك؟! هتحملي تشوفي نار الآخرة؟! ولو الإجابة على كل الأسئلة دي لأ؛ فأنت محتاجة تراجع حساباتك، محتاجة تفوق عشان يوم القيامة لما نتوه من بعض وأسأل ربنا عنك الأليق في الجنة ونتجمع سوا.

ارتعشت شفتي "سهيلة" وعيناها تُنزل دموعًا كثيفة، ثم
أردفت بصوتٍ باكٍ مُتأثر:

_أنا بحبك أوي يا "عائشة"، بحبك أوي بجد.

ابتسمت "عائشة" بدموع وهي تُجيبها:

_وأنا كمان بحبك أوي يا "سهيلة"، ويشهد ربنا إني من
وقت ما شوفتك وأنا معتبرك أختي.

مسحت "سهيلة" دموعها وهي تبتسم بسعادة، ثم أردفت
بصوتٍ مازح مُتحشرج:

_ربنا يديمك ليا... كفاية لك بقي أنا راحة أصلي.

ضحكت "عائشة" بسرور، ثم أردفت قبل أن تُغلق الهاتف
معها:

_اذكريني في دعائك اوعي تنسي.

أجابتها "سهيلة" بحب:

_من غير ما تقولي والله، سلام.

في يوم الجمعة.. يوم خطبة "لواظ":.....

«يُتَبَع»

#حارة_القناص.

ألا يخشى المسلم المتكاسل في الصلاة، المستثقل لها،
المستعجل دومًا في أدائها، أن يكون طيلة حياته إنما كان
يمارس "صلاة المنافق"!

كم ستكون صدمة فاجعة إذا رأى صلاته عند لقاء الله
محسوبة عليه من "صلاة المنافقين"، فتكون وبالاً عليه
وهو يظنها النجاة؟!!

الشيخ إبراهيم السكران

#الفصل_الثامن_والعشرون.

#حارة_القناص.

#الخائن_يُقتل.

عينك بلائي وإبتلائي وأنا المُتيم المُبتلي.

صعد "قاسم" لشقته وهو يزفر بضيق حُزنًا على صديقه، فتح باب الشقة فوجد الصمت يعم المكان، يبدو بأن "صهيب" قد أخذ زوجته ثم ذهب مثلما قال له منذ قليل، دخل أولاً إلى المرحاض ليغسل يده ووجهه، نظر للمرأة فضحك ساخرًا على فعلته تلك، فمذ أن انتقلت "أهلة" للعيش معه باتت تلك هي عادته أيضًا.

انتهى من اغتساله ثم جفف يديه ووجهه في المنشفة القطنية المعلقة، وبعدها اتجه إلى غرفتها المضاعة، دخل

ليجد "أهلة" تُدندن مع كلمات الأغنية التي تصدح بصوتٍ
منخفض أثناء طيها للملابس:

_ياما عيون شغلوني..

ارتسمت ابتسامة طفيفة على ثغر "قاسم" أثناء اقترابه منها
رويدًا حتى بات خلفها مُباشرةً، لينحني بظهره قليلًا أثناء
سؤاله العابث لها:

_وعيون مين اللي شغلوك يا "هولا"؟!!

انتفضت "أهلة" في مضجعتها بفرع لتتنظر خلفها بأعينٍ
مُتسعة من الخوف، لكنها هدأت قليلًا عندما وجدت "قاسم"
بإبتسامته الهادئة، زفرت براحة قبل أن تضع يدها على
صدرها مُردفة بعتاب:

_حرام عليك يا "قاسم" قطعتلي الخلف.

اقترب منها "قاسم" ضاحكًا، ثم أمسكها من كفها يسحبها
خلفه لتجلس على الفراش مُجددًا وهو جلس أمامها كذلك،
لم يترك يدها أو يُبعدها، بل ألح على سؤاله بنفس العبث
قائلًا:

_مقولتليش برضه.. عيون مين اللي شغلوك؟!!

حارة القناص

أرجعت خصلاتها للخلف بثبات، ثم أمسكت بقطعة أخيرة من
الثياب وبدأت في طيها أثناء إجابته:

_مش عيون حد، أنا بحب الأغنية مش أكثر.

غمزها مُشاكساً إياها أثناء قوله الماكر:

_يا بختها.

_هي مين؟!!

تسألت بتعجب، ليُجيبها هو على الفور:

_الأغنية.

ابتسمت بإتساع وهي تُحاول تلاشي النظر إلى عينيه
المُربكة، ثم هبت من مكانها حاملة صف من الثياب لتقوم
برصّه داخل خزانة الملابس.

وما إن وقفت وأُتيحت له الفرصة لرؤيتها كاملة؛ حتى فتح
عيناه بصدمة وهو يُشير للثياب التي ترتديها مُتسائلاً
بإندهاش:

_هو مش دا السويت شيرت بتاعي?!!

حارة القناص

وضعت "أهّلة" الثياب داخل الخزانة ثم استدارت له بعد أن ابتسمت بإتساع، لتوميء له بالإيجاب أثناء فتحها لذراعيها لتثريه الملابس:

_أيوا، عجبني أوي فقررت ألبسه ولما عجبني مقلعتهوش.

وقف "قاسم" من مكانه مُتخصراً أثناء قوله الحائق:

_والله؟! ومين سمحك تلبسيه بقى إن شاء الله؟! وبعدين أنا ملبستش الطقم دا غير مرة واحدة.

عدّلت "أهّلة" من وضع القُبعة المُلحقة بالتيشرت، ثم رفعتَه لتضعه فوق خصلاتها أثناء قولها المُتكبر:

_فدايا يا أخ "قاسم"، وبعدين بما إننا اتجوزنا فهدومك هي هدومي يا جدع.

رفع "قاسم" إحدى حاجبيه بإستنكار مُتشدقاً بحنق:

_ودا بحكم مين دا إن شاء الله!!

رفعت "أهّلة" وجهها بترفع مُجيبة إياه:

_حُكمي أنا.

فتح "قاسم" فاهه ليتحدث؛ لكن قاطعه أصوات الرعد التي صدحت عاليًا في الأرجاء، تلاها صوت الأمطار الغزير يسقط على بلاط الشُرْفَة مُصدرًا صوتًا قويًا بعض الشيء، نظر "قاسم" لـ "أهلة" قائلاً بإبتسامة واسعة مُتناسيًا حنقه منها: ادعي دعوة بتمنيها من قلبك، أبواب السما كلها مفتوحة دلوقتي.

نظرت له "أهلة" بتردد لاحظته، لتجده يقترب منها ثم سحبها خلفه حتى وقف أمام زُجاج الشُرْفَة التي تعكس مظهر السماء والقمر الذي يختفي بتدل أسفل الغيوم الرمادية وكأنه يخشى الظهور خجلًا! ارتعش جسد "أهلة" عندما وجدت "قاسم" يهمس في أذنها ببحة رجولية جذابة:

متفكريش في أي حاجة دلوقتي وادعي بكل اللي نفسك فيه.

أومات له "أهلة" بصمت، لينظر هو بدوره إلي السماء وشفتيه تتحرك بما لا يُسمع، أعطى دعواته للخالق عز وجل وهو سينتظر منه الإجابة بثقة عاجلاً أو آجلاً، وبعد أن أنهى قول ما في جبعته، همس بدعاءٍ أخير قائلاً:

_ واجعلها لي نعيمًا وجنةً أشفى بها عند حاجتي، وتقبل منها
يا الله دعاؤها ولا تُخيب ظنون عبدٍ أتاكَ ركوضًا.

فتح عيناه ليجدها تُغلق عينها ويدها تستقر عند موضع
قلبها، ناهيك عن تلك الإبتسامة التي تُزين ثغرها، بعد وقتٍ
من الصمت؛ فتحت عينها هي الاخرى لتجده مُستندًا على
حافة الشُرُفة بكتفه يُطالعها بحنان أثناء تربيعة لذراعيه أمام
صدره، لم تعرف بما تتحدث لتجده يقول بمزاح:

_ لأجل الجو الجميل دا هسامحك علشان أخذتي السويت
شيرت بتاعي.

ردت عليه ساخرة:

_ وهيهون عليك؟!!

_ كل حاجة تهون قُصاد عيونك.

قالها دون أن يعي لتلك الكلمات التي خرجت من فاهه، لكنه
أراد قولها ولا يعلم لماذا! ابتلعت ريقها بتوتر عقب حديثه
ثم أردفت بخجل:

_ هروح أعمل لينا حاجة سُخنة علشان تدفينا.

هربت من أمامه مُسرعة تاركة إياه ينظر لأثرها بضحكات خفيفة، وعندما اختفى أثرها؛ عاد هو بأبصاره نحو الخارج ليشرد بقطرات المياه التي تشكلت بكثافة من الخارج، الحاضر مُبهم بالنسبة إليه، وهذا أكثر ما يؤرقه.

اتجه "قاسم" لأحد الأدراج الخاصة به، ثم انتشل من داخله جهازًا غريب الشكل يتوسطه زرًا أحمر اللون بشكل مُميز، لتتشكل ابتسامة خبيثة على ثغر "قاسم" ثم ضغط عليه ببرود، تبعه همسه القائل بتسفي:

__بالهنا والشفاء.

يُقال أن الشمس تصدح راقصة صباحًا في الأرجاء لتعم البهجة على سكان العالم، لكن ولوجها لغرفة تلك البائسة كانت بمثابة إنذارًا لألم تشكل بقوة داخل عظامها، تأوهت "مهراييل" بعنف أثناء إعتدالها من على الأرضية السيراميكية الباردة، نظرت حولها بتعجب؛ لتضرب ذكريات الليلة الماضية رأسها مُرغمة إياها على التذكر، تشكلت الدموع بأعين "مهراييل" ثم تحولت لشهقاتٍ عنيفة عقب

تذكرها، وبحسرة واضحة وضعت يدها على خُصلاتها
فوجدتها مُشعثة للغاية، بل وقصيرة أيضًا!

حاولت الإعتدال في مكانها لكن آلام جسدها القوية منعتها
من ذلك، لكنها لم تضعف أو تستسلم، بل حاولت عدة مرات
حتى نجحت في الوقوف على قدميها مُجددًا، اتجهت نحو
مرآة عُرفتها لتجد أن حالتها أصبحت بائسة للغاية، لتُغمض
عينها التي تُحاط بكدمة زرقاء كبيرة قبل أن تنفجر في بكاءٍ
عنيف، هزت رأسها بيأس عندما ظنت مُجرد الظن بأن
والدها سيُشفق عليها ويشتاق لوجودها هي وشقيقتها، لكن
غيابهم لم يُزيده إلا قسوة وتوعد لكلتيهما.

تحاملت على ذاتها ثم اتجهت نحو خزانها لتتنقي ثيابًا غير
تلك المليئة بالدماء التي ترتديها، وبالفعل اختارت ثيابًا
سوداء تُلائم حالتها ومعيشتها المليئة بالخيبات، وبنفس
البطئ والثبات اتجهت نحو الكومود لتلتقط من عليه كوب
الماء الكبير الذي يُوضع دائمًا بغرفتها هي وشقيقتها، ثم
سكبت منه على كفها لتغسل به وجهها المليء بالكدمات،
تأوهت بخفة عندما لامست المياه وجهها، وبألم مسدت
بيدها على وجهها بخفة أشد حتى لا تلتهب جروحه.

وضعت المياه مكانها ثم أمسكت بعدة مناديل ورقية لتُجفف به وجهها بخفة شديدة، وبعدها اتجهت نحو المرأة مرة أخرى لترى إنعكاسها من جديد، ثيابها تغيرت لكن البؤس مازال مُرتسمًا ببراعة على محياها، ابتلعت ريقها بقهرة ثم أمسكت بفرشاة شعرها لترتب خصلاتها الهوجاء التي باتت قصيرة كثيرًا، مما زاد من حسرتها وارتعاش شفيتها مُهددة إياها بهطول الدموع مُجددًا.

حاولت السيطرة على أنفاسها الهاربة، لتسحب نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل لتُهديء من روعها، وبعدها اتجهت نحو غرفة سُرفتها لتلمح الشوارع والطُرقات المليئة بالمياه، يبدو أن السماء بكت بؤسًا على حالتها ليلة أمس، ابتسمت ساخرة عندما لمحت والدها يخرج من باب المنزل، لتتجه مُسرعة نحو باب غرفتها لتفتحه بسرعة وتهرب قبل أن يأتي مُجددًا، لكن خابت أمالها عندما وجدته مُغلقًا بالمفتاح من الخارج.

ضربت على الباب بصراخ ثم صاحت بهستيريا:

ربنا ينتقم منك... أنا بكرهك.. بكرهك..

قالت الأخيرة بصراخ يتخلله الضعف الشديد، لتجلس على الأرض وتتكوم على نفسها في جلستها تبكي بخيبة على

حالتها التي وصلت إليها بسبب ذلك المُتجبر المدعو بأبيها، لكن توقف بكاؤها فجأةً عندما تذكرت أمرًا هامًا للغاية، وقفت من مضجعتها ثم هرولت إلى خزانة شقيقتها تفتحها بسرعة، وظلت تُبعثر بها حتى مرت عدة ثواني ليست بالكثيرة، وأخيرًا انفرجت شفتاها بسعادة عندما وصلت إلى مفتاح باب غرفتها.

التمعت عيناها بالدموع ثم اتجهت مُسرعة نحو الباب وقامت بفتحه، وجدت المكان مُبعثر بالخارج مما حدث بها ليلة أمس، لتبتلع تلك الغصة المولمة التي بحلقها قبل أن يأتي والدها وينهال عليها بالضربات الموجهة مرة أخرى، ثم هربت من المنزل بأكمله بعد أن جففت دموعها، هربت لمصيرها ومستقبلها الذي ستعيشه بعيدًا عن والدها المُستبد، كانت تتمنى أن تعيش معه مرحها وحبها ومُراهقتها، لكن دائمًا ما كان يُقابل كل هذا بالسخرية اللاذعة التي تُحبطها.

لذلك قررت البدء من جديد، هي تستحق حياة أفضل من تلك ومستقبل مليء بالشغف والحب، ستستكمل دراستها وتعمل، ستواجه الجميع من أجلها هي، ستعمل على ذاتها حتى تُثبت للجميع بأنها الأفضل، وأن تلك هي نقطة البداية فقط ليس إلا!

ستظل عالق في تلك الغمامة التي حصرت ذاتك بداخلها، إن
قُلْتَ بأنك منبوذٍ غير محبوب؛ ستجد مئاتٍ من الألسنة
ينفون حديثك، لكن لن تجد مَنْ يُساندك، المُساندة أفعالٌ لا
أقوال، ذلك المُستنقع الذي تجمع به جميع أحزانك لن يُفيدك
بشيءٍ سوى إحزانك أكثر من اللازم، ذلك الخواء الذي
يُسيطر على فؤادك ما هو إلا تدمير ذاتي بطيء، أتحب
حالتك؟! أم تنتظر مَنْ ينتشك من مقتلك!؟

القلوب فارغة تحفر عن مشاعر، والمشاعر لم تزوره منذ
عدة سنوات، منذ ذلك اليوم الذي شعر به باليتم، عَلِمَ بأنه
أبله، أو ربما ساذج! فقدَ مشاعره وإحساسه، فقدَ الكثيرُ
والكثير، تقدم ببطئٍ من مجلسها، لتتشكل ابتسامة شامخة
على ثغره عندما رآها بتلك الحالة التي أشعلت صدره
سعادة، اقترب "إيغور" أكثر من مقعد "إيلينا" ثم تحدث
بابتسامة ساخرة:

__ مرحباً بكِ أيتها الخائنة! لم تسنح لي الفرصة بمقابلتك ليلة
أمس.

رفعت "إيلينا" أنظارها الغائمة إليه قبل أن تهمس بحقد:

مرحبًا بك أيها ال****.

انطلقت ضحكات "إيغور" العالية تصدح في الأرجاء عدة ثواني، قبل أن يتوقف فجأة عن الضحك وتتحول ملامحه للقسوة الشديدة، اقترب منها على بغتة مُسرّعًا لتجده قد أمسك بخصلاتها يهزها بعنف وهو يهمس بفحيح:

ذلك ال**** سيُريك الآن يا حقيرة، أقسم بأن أرسُم الحسرة داخل عينك.

ورغم الألم المُتمك منها أجابته بتبجح:

لن تستطيع "إيغور"، أنا "إيلينا ميشيل" من الصعب كسري.

حقًا؟!

تسائل بإستخفاف لتُبادلته بأخرى مُتحدية، لذلك أخرج هاتفه من جيب بنطاله الرسمي ثم فتحه بترٍ وظل يعبث به لدقائق، قبل أن تتوقف يداها عن التحرك، وبعدها أدار لها الهاتف ليربها أحد المشاهد المجهولة، كانت السعادة تتسلل إلى حدقاته عند رؤية معالم الصدمة مُرتسمة على محياها، ليسمعها بعدها تصرخ باهتياج وهستيريا:

حارة القناص

_أيها الحقيقي—ر.. أقسم بأن أقتلك أيها الوغد.. انتظر فقط
سأدمر حياتك أيها الـ****..

قاطع وصلة سبابها وهو يُعاتبها بضيق زائف:

_توتوتو "إيلينا"، لقد انحدرت أخلاقك يا امرأة! يبدو أن
مُعاشرتك لحفنة من الخنازير جعلتك مثلهم.

_أنا سأريك.

همست بها بنهيج وعلامات الصدمة مازالت مُرتسمة
بوضوح على معالمها، ليجيبها "إيغور" بإبتسامة جانبية
مُتحدية:

_وأنا أريد أن أرى.

_أنا هوديك في ستين داهية من اللي عملته في البنت دا.

أشاح بيده أمام وجهها بلامبالاة وهو يُجيبها بسخرية:

_وأنا عملت إيه يعني!؟

ثارت ثورتها وأجابته باهتياج وهي تُشير نحو الفتاة التي
تجلس بإحدى زوايا الغرفة:

حارة القناص

_بقي بتتشطر على بنت من جيل أولادك؟! عايز تعدي عليها؟! قسماً بالله لهجيب حق بنتي وأندمك على عملتك دي.

ضحكة ساخرة خرجت من بين شفثيه الغليظتين قبل أن يقول:

_لو عندك دليل اثبتي.

أجابته المرأة بدموع أثناء تحديقها بطفاتها الشاردة:
_أنا هرفع عليك قضية و"أهلة" هي اللي هتشهد ضدك.

_من حق الكلام دا يا "لولو"؟!!

سألها بترقب، لتتجه إليه أنظار "أهلة" التي كانت في عمرها الثالث عشر حينها، ليتحول وجهها إلى الإرتعاد، ناهيك عن جسدها الذي ارتعش على بغتة وهي تنفي حديثه بهلع نابع من قلب طفلة ذاقت المرار على يديّ ذئب لم يعرف للرحمة طريق:

_لأ.. لأ والله ما هقول حاجة لأ.. لأ..

اتجهت والدتها إليها تتحني أمام جسدها ثم أردفت ببكاء:

حارة القناص

__ "أهلة" حبيبتى متخافيش منه أنا هحميكِ.

هزت "أهلة" رأسها برعب ثم انتفضت مُبتعدة عن يديها
واتجهت تلتصق بباب الغرفة التي شهدت مُعاناتها:
__ لأ.. لأ.. أنت كدابة.. أنا بكرهك.. وبكرهه.. انتوا.. أنا..

ولم تكذ أن تُكمل حديثها حتى شعرت بعالم مُظلم يسحبها له،
ارتفعت ضربات قلبها بخوف كذلك ازداد الإدرنالين بدمائها،
تبعها توقف أنفاسها عن الصعود ثم صراخ والدتها بها التي
هرولت بها إلى المشفى، استقبلوها الأطباء مُسرعين وظلوا
بالداخل حتى استمع الجميع إلى صوت صافرة توقف جهاز
القلب عن العمل كُلياً!

انتفضت "أهلة" من نومتها تشهق بحدة ثم وضعت كفها
على صدرها نُقلل من الألمه، نظرت حولها برعب لتجد
ذاتها جالسة بغرفة "قاسم" والذي يجلس جانبها مُحاولاً
إيقاظها بشتى الطرق عندما استمع لهممتها أثناء نومها.

اقترب منها "قاسم" بقلق مُبعداً خصلاتها عن جبينها
المُتعرق، ثم تسائل بخوف:

__ مالكِ يا "أهلة"؟!!

لم تُجيبه، بل وضعت يدها على فاهها لتمنع تقيؤها، لكن محاولاتها بائت بالفشل عندما نهضت من مضجعتها بسرعة ثم اتجهت نحو المرحاض راكضة لتُخرج ما في جوفها، أحلامها وذكرياتها باتوا يشكلون لها قلقًا وبلاء جديد لم يكن بالحُسبان، تلك اللمسات، والهمسات، والنظرات، التي كان يُوجهها رجل بالغ لطفلة مثلها لم تستطع مواجهتها أو محوها من عقلها بتاتًا، بل دائمًا ما كانت العقبة الصعبة في طريقها.

شعرت بأصابع "قاسم" تُربت على ظهرها، وبعدها همسه القلق لها بأن تهدأ، وكالعادة عقب تقيؤها في كل مرةٍ تشعر بالدوار يُصيب رأسها، لتُحاول الجلوس على الأرض الصلبة بهدوء، لكن قبل أن يصل جسدها ويلامس الأرضية الباردة؛ كان "قاسم" قد أمسك بها جيدًا ثم حمل جسدها الصغير ليتجه به نحو الخارج.

لم تستطع المقاومة والحديث، بل استسلمت واضعة رأسها على صدره موضع فؤاده لتستمع إلى نبضاته:
_ "قاسم"!

حارة القناص

نادته بصوتٍ مُنْهَكٍ لكنه لم يسمعه، بل أكمل طريقه نحو
الغرفة حتى وصل إليها ودلف لها ليضعها على الفراش
بـرقة وكأنها ماسة يخشى كسرها، جلب من جانبه عدة
مناديل ورقية ثم جفف به فمها المُلوث دون أن يشعر
بالإشـمئزاز منها أو يدَّعي ذلك، وبعدها ألقاه في سلة
المُهملات واستدار لها، نادته مرة أخرى بضعف قليلاً ما
تُظهره له:

_"قاسم"!.

انتبه لها ولهمسها الذي ألم وجدانه، ليُعيد خصلاتها بحنان
مُربتاً عليها أثناء رده على مُنادته:

_"أنا معاك".

_"أنا أسفة".

تسائل بحنان:

_"على إيه؟!".

لا تعلم على ماذا تعتذر، لكنها أرادت الاعتذار له عن تحمله
لها وهو ليس مُرغم على ذلك، لذلك أجابته بإنهاك:

_ على تعبك معايا وو..

قاطع حديثها وهو يجذبها لأحضانها مُقبلاً رأسها بحنان، ثم أجابها أثناء إحاطته لخصرها لتسبح له الفرصة لتقريبها منه:

_ لو كل التعب زي تعبك فأنا هبقى مبسوط.

مريضة وسواس قهري كيف لها بالإبتعاد والإشمزاز منه إن كان مُلمماً لألامها!!، عطوفاً، حنوناً، ومُحبباً لمرضها! هل بعد ذلك تبتعد وتشمز منه؟! وإجابةً على ذلك السؤال فلقد أحاطت به هي الأخرى لتستشعر وجوده ودفئه.

تشكلت ابتسامة لطيفة على ثغر "قاسم" من فعلتها التي أشعرته بثقتها العمياء به، وبمداعبة؛ قام بقرص وجنتها قائلاً لها بضحك ومشاكسة:

_ لأ إحنا اتطورنا خالص وبصراحة كدا أنا راجل وبتكسف.

رفعت أنظارها له ببلاهة ثم سألته بعدم فهم:

_ بتتكسف من إيه مش فاهمة؟!!

وهنا تاه في عينيها المُخدرَة لأعصابه، لِيُجيبها بهمس:
_ عِينِكِ .. بتكسف من جمال عِينِكِ.

أحمرت وجنتي "أهلة" بخجل شديد، ثم أجابته هامسة:
_ الله يباركلك.

وتلك المرة دفعها بحنق متشدقًا:
_ ولسانك .. لسانك بيجلطني من ردوده.

قهقهت عاليًا أثناء إعتدالها في جلستها، ثم أردفت
بمشاكسة:

_ مالك قموصة كدا يا "قاسم"؟!

_ ياختي سُكر! قولي "قاسم" كدا ثاني؟!

أردف بها بعث، لتهز رأسها بالنفي وهي ترفع رأسها
بغرور:

_ لأ طبعًا، أنا بقولها وقت ما يكون عايزة.

هز كتفه بلامبالاة أثناء قوله الخبيث والمُرَبِّك:

_ ماشي يا ستي، بكرة الجميل يميل.

حممت بجدية لثداري به خجلها، لتقول بعدها بهدوء:

_ أنا هروح أعمل الفطار.

نفى برأسه أثناء إتهاهه إليه، حتى وقف قبالتها مُمسكًا بكف

يدها يضغط عليه بقوة ليحتويه، قبل أن يتشقق قائلاً:

_ لأ مش دلوقتي، تعالي أوريك حاجة هتبسطك.

طالعه بانتباه وهي تتسائل بفضول:

_ حاجة إيه ها! ها! ها! ما تقول بقي.

قهقه ضاحكًا ثم سحبها معه حتى جلسوا على الأريكة أمام

الطاولة الموضوع عليها الحاسوب الخاص بـ "قاسم"،

ليُجيبها أثناء فتحه له وتشغيله لأحد الفيديوهات:

_ عايزك بقي تسمعي وتتمزجي كدا.

اتجهت أنظار "أهلة" نحو شاشة الحاسوب التي عرضت حريقًا هائلًا لأحد الأماكن التي لا تعلم هويتها حتى الآن، تبعه صوت المذيعة التي يُحيطها الفوضى والأصوات المُتداخلة تحدث بصوتٍ عملي وجاد للغاية:

_"وتلك آخر الأخبار التي وصلتنا عن نشوب حريقٍ هائل بـ"شركة الأرماني للسياحة"، يبدو أن تلك العائلة مُستهدفة من إحدى الجماعات الإرهابية التي لا تتفك عن تركهم وترك أموالهم، وخسارة عائلة الأرماني لتلك الشركة تعني خسارة طائلة في ثروتهم العريقة، والتي بدأت تتخفّض تدريجيًا عقب الأزمات التي يمرون بها، فهذا ثالث حريق ينشأ في ممتلكاتهم، مما أدى إلى إصابة رجل الأعمال المشهور "صفوت الأرماني" بأزمة قلبية حادة أُنتقل على أثرها إلى المشفى الخاصة بعائلته".

أغلق "قاسم" حاسوبه بعدها ونظر إلى "أهلة" لينظر إلى ردة فعلها، ليجد ابتسامة واسعة ترتسم على محياها، ناهيك عن لمعة عينيها التي تظهر واضحة الدالة على سعادتها الشديدة، التفتت إليه "أهلة" تُطالعه بنظرات فرحة أثناء قولها:

_"أنت.. أنت اللي عملت كذا؟!!"

انتقلت إليه سعادتها تدريجياً ولم يتردد ثانية واحدة في الإيماء لها، وعلى بغتة وجدها تنطلق إلى أحضانها تُعانقه بقوة، وكأنها بذلك العناق اللطيف تستطيع التعبير عن سعادتها الشديدة بفضله، وتبع ذلك العناق قولها الهامس بإمتنان شديد وشكر:

_شكراً بجد، أنا مش عارفة أقولك إيه غير.. غير ربنا يخليك ليا.

أغمض عيناه براحة مُتلذذاً من قربها، ولا إرادياً أحاط بخصرها ليُقربها منه أكثر، تبعه قوله الهامس بتهيدة أتت من أعمق نقطة موجودة بفؤاده:

_ويخليك ليا يارب.

ظلت على حالتها تلك عدة دقائق، تُعانقه ولا تُريد الإبتعاد، وكأنها وجدت ملاذاً بعد ضالتها، مأمناً بعد خوفها، طريقها بعد تيهتها، وشعوراً بعد جمادها، لكن هو كان يُمثل لحياتها أكثر من ذلك، هو مصدر بهجة لم تدخل لحياتها من قبل، أتى هو على هيئة إنتقام سخي، وتدرجياً بدأ يتحول لشيء أكبر من ذلك، شيء لا يعلمون هويته سوى أنه شعور لذيذ يُدغدغ أفئدتهم التي أنهكت بفتاتٍ من الماضي.

ابتعدت عنه قليلاً حتى باتت عيناها قريبة من خاصته، ليرفع شفتاه مُقبلاً عيناها بشغف، تبعه صوته المُعاتب بقسوة:

والله العظيم حرام اللي عينيك بتعمله فيا دا.

وهنا ضرب إنذار الخطر بعقلها، "أهلة" يجب عليك الإبتعاد قبل الشعور بالإشمزاز، إقترابه مُبالغ به ومشاعره كبيرة على تحملها، وهي لن تستطيع المُجازفة، وإن اقتربت إنشأ آخر سنتقياً، لذلك ابتعدت مُسرعة قائلة بارتباك:

الـ.. الفطار.. هـ.. قصدي هروح أجهز الفطار.

أوما له ضاحكاً وفؤاده يسبها على ابتعادها المُفاجيء هذا، تابع اختفاؤها بإبتسامة طفيفة، وبعدها همس لذاته بسخرية:

_قال فترة مؤقتة قال، دا أنا شكلي وقعت على بوزي ومحدث سمى عليا!

سحب نفساً عميقاً من داخل صدره زافراً إياه على مهل، ثم أردف مُتمتماً بصوت هامس:

يخربيتك يا "أهلة" على بيت عينيك، هتوديني في داهية اللي يروح منها مبيرجيش.

يملاً القلب بالقسوة فيُصبح مُتجراً قاسي، القسوة لا تأتي مرةً واحدة، بل تأتي نتائج لأفعال صغيرة بدأت تزداد تدريجياً، وهذا ما حدث معه تماماً، بدأت قسوته وخذاعه بحبه للمال، وبعدها سيطر عليه الجشع ليتحول من "يحيى" ذو القلب اللين، إلى آخر إن وقف أمام مرآته؛ لن يعلم مَنْ هو.

جلس "يحيى" أمام "مختار" الأرماني الذي كان يحمل فوق كاهله هموم العالم بأكمله، وذلك عقب انفجار المصدر الرئيسي لعمله السيء المزخرف بأعمال شريفة ليُبعد عنه الشبهات، تحدث "يحيى" بصوتٍ جاد للغاية:

متقلقش يا "مختار" بيه هنوصل للي عمل كدا في أقرب وقت، وصدقني وقتها أنا مش هرحمهم.

رفع "مختار" عيناه له بحدة قائلاً بغضب:

لأ يا "يحيى" لأ، أنا عايز اللي عمل كدا حي، عايز أعذبه وأشرب من دمه قبل ما أنهيه من على وش الأرض.

أوما له "يحيى" بخضوع قائلاً:

حارة القناص

_ أوامرك يا "مختار" بيه، وعلى بكرة بالكثير هكون وصلت
للي عمل كدا.

أغمض "يحيى" عيناه بإنهاك، قبل أن ينظر إليه بتمعن
ويتسائل بحذر:

_ طيب وهعمل إيه في "صوفيا"؟!!

أشاح "مختار" بيده بلامبالاة وهو يُجيبه:

_ خليها عندك يومين أنا مش طايق أشوف وش حد.

ارتسم الخبث على معالم "يحيى" ثم عاد بظهره للخلف وهو
يهمس لذاته:

_ شكلها هتحلو أوي معاك يا "يحيى".

اعتدل في جلسته عندما استمع لصوت "مختار" الذي
يتسائل بترقب:

_ طيب و"صديق"؟! عرفت أي معلومات عنه؟!!

ابتسم "يحيى" بغرور وهو يوميء له بالإيجاب، ثم أجابه
بنقّة:

حارة القناص

_أيوا طبعًا وصلته، والنهاردة هتسمع خبره.

ابتسم له "مختار" بامتنان قبل أن يردف له بشكر:

_تسلم يا "يحيى"، مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه!.

وضع "يحيى" يده على صدره وهو يرد عليه بإحترام:

_ولا أي حاجة يا "مختار" بيه، دا أنا لحم كتافي من خيرك!.

_ودا العشم برضه.

قالها "مختار" أثناء إخراجها لرزمة من الأموال الهائلة من درج مكتبه، ثم دفعها لـ "يحيى" الذي نظر إليها بإنبهار، والذي بدوره التقطها مُسرعًا أثناء سؤالها المشدوه:

_دول كلهم ليا يا "مختار" بيه؟!.

أوما له "مختار" بالإيجاب قائلاً:

_آه يا "يحيى"، وكل ما تثبت نفسك أكثر؛ كل ما هتلاقي قدهم مرتين تلاتة.

أمسك "يحيى" بالأموال ثم هبَّ من مكانه متشدقًا بابتسامة سعيدة:

تحت أمرك يا باشا، عن إيدك بقى أنفذ اللي حضرتك طلبته مني.

أشار له "مختار" بالذهاب، لينطلق "يحيى" مُتجهًا نحو الخارج بقلب يرقص من السعادة، رسم علامات الجدية ببراعة على وجهه أثناء إرتدائه لنظارته الشمسية السوداء، وصعد مُنطلقًا بسيارته نحو وجهته، وبالطبع قام بتجهيز سلاحه المليء بالطلقات ووجهه يتحول إلى القسوة مُجددًا، رغم أن رحلته لم تبدأ بعد!.

بعد نصف ساعة وصل إلى وجهته، حيث مكان يُشبه الغابة إلى حدٍ كبير ومليء بالأشجار الكثيفة التي تُغطي مظهر السماء الغائم، نفث "يحيى" دخان سيجارته ببطئ يتلذذ بها، وبعيناه الحادتان دار بهما على أرجاء المكان، وبعده مدة قليلة رمى عُقب سيجاره بعد أن أطفأه هابطًا من سيارته بملامح حادة تُظهر سوء أعماله.

جهَّز سلاحه الموجود بجيب بنطاله الخلفي، وكذلك سكينه الموضوعه بحزام بنطاله الأسود، وبشر سار نحو ذلك المنزل المُتهالك الذي وصل إليه بعد خمسة عشر دقيقة من

السير، وجد ثلاثة رجال يقفون على أعتاب المنزل أقوياء البنية، لذلك فكّر في حيلة لإبعادهم، وبالفعل توصل إلى فكرة خبيثة ستتمكن من إدخاله بسهولة، أخرج من جيب بنطاله عود ثقاب ثم أشعله في بعض أوراق الشجر المُتجمعة على الأرض، وانتظر قليلاً حتى انتبه أحدهم إلى الحريق، ليتجه إثنان منهم نحو مصدر الإشعال ووقف واحداً منهم ليحرس المنزل، مما سهّل عليه مهمته ولو قليلاً.

دار "يحيى" من خلف الرجل الذي كان ينظر لأثر أصدقائه بقلق، وبحركة مُباغته قام بتسديد ضربة من ظهر مسدسه على رأسه ليسقط فاقداً لوعيه على الفور، سحبه بعيداً ثم وضعه بأحد الأركان المُظلمة حتى لا يتم كشفه، ثم وبسلاسة قام بالولوج لداخل المنزل بسهولة وخفة، ليجد "صادق" مُكبلاً بالأحبال الغليظة وعلى وجهه يظهر معالم العنف والقسوة من خلال العلامات المتروكة عليه.

شعر "صادق" بصوت أقدام ليعتقد أنه "قاسم" أو "ألبرت" اللذان لا ينقطعان عن زيارته، وبالطبع تكون زيارة ودية لا يوجد بها أي أنواع من العنف أو الضرب، وهذا ما يظهر جلياً على وجهه!

تشكلت إبتسامة ساخرة على ثُغر "يحيى" الذي تحدث
بصوتٍ خافتٍ مُتهكم:

_وأنا اللي كنت جاي وناوي أضرب؟! أتاريك يا عين أمك
خلصان ومفيش فيك حِنة سليمة.

قطب "صادق" جبينه بتعجب والإنهاك يرتسم بوضوح على
عيناه، وقبل أن يُدرك الوضع؛ وجد "يحيى" يُخرج سلاحه
من جيب بنطاله وابتسامة خبيثة ترتسم على ثُغره، قبل أن
يردف بحسرة مُزيفة:

_ "مختار" بيه حبيبيك ببيعتك السلامات وبيقولك مع
السلامة يا "صادق" بيه.

أنهى حديثه تزامناً مع إطلاقه على رأسه مُباشرة، ليميل
رأس "صادق" على جسده فاقداً الحياة، نفخ "يحيى" على
فوهة مسدسه قبل أن يهمس مُتشفياً بحقد:

_كلب وراح!.

انتهى "قاسم وأهله" من طعام الإفطار، ليقف "قاسم" أولاً
من أمام الطاولة قائلاً وهو يمسح فمه بالمناديل الموضوعه
عليها:

_أنا هقوم ألبس بقى علشان متأخرش على "رائد" في محنته.

ضحكت "أهلة" بخفة ثم أومأت له وهي تُكمل تناول طعامها:

_وأنا هخلص أكل وهقوم ألبس أنا كمان.

أوما لها "قاسم" بإبتسامة طفيفة قبل أن يذهب من أمام ناظرها ليبدأ بإرتداء ثيابه، لكن وقبل أي شيء اتجه نحو غرفة والدته ليراهما، دلف إلى الغرفة ثم أغلقها خلفه بهدوء، وبعدها اتجه نحو فراش والدته الذي جلس بجانبها مُمسكًا بيدها، قبل أن ينحني على كفها ليُقبله بحنان، وبعدها همس لها قائلاً بشوق:

_كلها ساعات يا روح قلبي وهتعلمي العملية، وأنا واثق إنك هترجعي أحسن من الأول.

لم يجد ردًا منها، ليتهاهد بثقل قبل أن ينحني على جبينها ويُقبله بشجن، وبعدها خرج من الغرفة مُتوجهًا نحو خاصته ليبدأ في تبديل ثيابه.

وبعد ربع ساعة تقريبًا؛ كان "قاسم" قد انتهى من إرتداء ثيابه والتي كانت عبارة عن بنطال من اللون الأبيض ويعلوه

حارة القناص

قميصًا من اللون الأسود ذو الماركة العالية، صنف خصلاته
بعناية وكاد أن يضع عطره المُفضل؛ لكنه توقف على آخر
لحظة ولم يضعه عند تذكره لإشـمـزاز "أهـلة" من تلك
العطور التي تُسبب لها التقيؤ.

خرج من الغرفة ليجد "أهـلة" هي الأخرى قد خرجت من
المرحاض وهي مُرتدية ثيابها كاملة، لكن لحظة! ذراعيها
مكشوفان، رُكبتها تظهران، وشعرها يتطاير خلف ظهرها
بحرية هكذا؟! اللعنة.

وقفت "أهـلة" مكانها بتعجب وابتلعت حديثها الذي كادت أن
تُخرجه من فاهها عند رؤيته لنظراته المُثبتة عليها، قطبت
جبينها دون الحراك، لتجده قد اقترب منها مُطالعًا ثيابها
بنظرة شاملة وكأنه يُقيّمها! شبَّك ذراعيه خلف ظهره، ثم
دار حولها بخطوات ثابتة وهو يمط شفـتـيه بتقييم، وأخيرًا
خرج صوته القائل بتفكير:

_اممم.. هايل.

لم تفقه ما يتحدث عنه فكادت أن تتكلم حتى وجدته يدور
حولها من الجهة المُعاكسة وبعدها تشدق بنفس النبـرة:

_اممم.. لأ فظيع.

حارة القناص

وللمرة الثالثة على التوالي يقف مكانه على بغتة، ثم يدور
على الجهة المُعاكسة وبعدها قال:

_رائع.. رائع جدًا.

نُفذ صبرها من تصرفاته البلهاء تلك من وجهة نظرها، ثم
صاحت به بعصبية:

_فيه إيه يا "قاسم" ما تقف وتكلمني زي الناس!

توقف "قاسم" أمامها مباشرةً ثم تحدث بسخرية:

_يعني غلطانة وبجحة كمان! أنا مشوفتش في بجاحتك.

تأففت متسائلة بنفاد صبر:

_غلطانة! يا جدع أنت بتتخاقق مع دبان وشك؟!!

جدع "قاسم" وجهه بتشنج ثم دفعها من كتفها عدة دفعات
خفيفة:

_يلا يا بت روعي غيري البتاع اللي أنت لابساه دا واستري
نفسك.

حارة القناص

نظرت "أهلة" لثيابها بغمٍ مفتوح، ثم تسائلت بسخط:
_ومالها هدومي إن شاء الله!!

أشار "قاسم" لقدمها الظاهرة من أسفل الفُستان قائلاً
بسخط:

_يعني مش شايفة كوارعك اللي باينة دي؟!!

لم تكذ "أهلة" أن تُجيبه بعصبية من وقاحتها المُفرطة معها؛
حتى أكمل حديثه وهو يُشير بيده بذراعيها الظاهران:

_ولا ذراعاتك اللي فرحانة بيهم دول، إيه ناوية تطيري
بيهم؟! وبعدين يا قادرة لو مش خايفة على منظرِك خافي
من السقعة، مش بتسقي زي البني آدمين!

شدت "أهلة" على خصلاتها ثم قاطعته بصراخ عندما
أوشك على بدأ حديث آخر:

_يا بني ارحم اللي خلفوني، أنا طبعًا مش هخرج كدا، أنا
لسه هلبس بالطو طويل بطولي كله علشان الجو برد.

جعد "قاسم" جبينه بضيق ثم عاتبها برقة قائلاً:
_إخص عليكِ ومقولتليش ليه!

تشنج وجه "أهلة" بسخط ولم تجد داعي لإجابته، بل اتجهت نحو الأريكة تنتشل من عليها معطفها الطويل ذو اللون الأسود لترتيديه فوق ثيابها بغضب ظهر على محياها، ذهب إليها "قاسم" ليثبتها في مكانها، وهي قاومته والحدة ترتسم بوضوح فوق حدقتها، أكمل تعديل ثيابها وأخرج خصلاتها العالقة بالمعطف وبعدها وضع فوق رأسها القُبعة الخاصة بالمعطف ليتم تدفئتها بالكامل.

قرصها من وجنتها بلطف قبل أن يُشاكسها قائلاً:
_ "هولا" زعلانة مني؟! وبما إن الإجابة آه فهاتي حُزن أخوي بريء أصالحك بيه.

ابتعدت خطوة للخلف لكنه لم يجعلها تبتعد أخرى عندما جذبها لأحضانها قائلاً بعبث:
_ حُزن المُصالحة دا لذيد أوي، دا غير إنك عاملة زي الدبدوب فالإحساس سُكر يا سُكر.

ابتسمت باتساع؛ لكنها محت ابتسامتها بسرعة لتدعي الضيق والغضب، أخرجها من أحضانه ثم أحاط بذراعيها مُتحدثاً بلطف:

حارة القناص

_ على فكرة أنا مش قصدي أضايقك، وأخذت بالي من
الچاكييت اللي كان موجود على الرُكنة، بس أنا حبيت ألفت
نظرك لحاجة.

ابتلعت ريقها بترٍ ثم تسائلت مُتعبة:

_ حاجة إيه؟!!

أجابها بإحباط زائف:

_ يعني أنتِ مثلاً عمرك ما لبستي فستان زي دا وأنتِ قاعدة
معايا، دايمًا محسساني إني عايش في الحقول بسبب
الضفدع اللي أنتِ لابساهولي على طول دا.

فتحت "أهلة" عيناها بصدمة أثناء سؤالها الأبله:

_ وأنتِ عايزني ألبس فستان زي دا وأنا قاعدة معاك ليه؟!!

تحول وجهه للسخط وهو يُجيبها مُستكرًا:

_ عشان نلعب صلح ياختي.

ابتعد عنها ثم اتجه نحو باب المنزل أمرًا إياها بسخط:

_يلا يا عنيا علشان متأخرش، قال مش فاضل غير
"لواحظ" اللي نحضرلها خطوبة.

كتمت "أهله" ضحكاتها بصعوبة بالغة، ثم تبعته وخرجت
من الشقة وهو معها، ومن الحين للآخر كان يُطالعها
بنظرات ساخطة تُقابلها هي بعدم فهم زائف، ذلك الماكر
يُريدها أن ترتدي له فساتين قصيرة؟! تبا له ولنيته الخبيثة
التي تُشبه تمامًا نظراته المُبعثرة لكيانها.

_ياللي عالترة حود عالماح... وسطي بيوجعني من ليلة
إمبارح...

_وسطي بيوجعني من ليلة إمبارح.

كان هذا غناء "رائد" والذي يجلس وسط حفنة من العجائز
يُصفق بكاتا يديه، وهم يُرددون خلفه بكل حماس غافلين
عن علامات الحسرة المُتشكلة على وجهه بسبب إجبارهم
له بالرقص والغناء معهم.

_وسطي بيوجعني.

حارة القناص

قالها بصدمة مُصطنعة، لیتسائلوا هُم بنفس الدهشة:

_ من إيه!

فأكمل هو غنائه لاطمًا على وجهه:

_ وسطي بيوجعني من رقص إمبرح.

_ ياللي عالترعة حوّد عالمالح.

حاول "رائد" الهرب من بين أيديهم، لكن جدته كانت تجلس على الأريكة تُصفف خصلاتها بعناية وكأنها بالفعل عروس لم يسبق لها الزواج، بينما الكثير والكثير من العجائز يُحاوطونه من كل جانب حتى لا يتمكن من الهرب مُجددًا، لتتشكل معالم الحسرة والإحباط على محياه وهو يُردد باكيًا:

_ وياللي عالترعة أطم يا غالي.. شرفي بيتباع وسط العجايز.

تأوه بعنف عندما نال ضربة من عُكاز إحداهن وهي تصرخ به لتُعنفه:

_ إيه يا واد اللي أنت بتقوله دا؟! الأغنية مش كدا يا بأف أنت.

حارة القناص

نقد صبر "رائد" فانتفض من مكانه يصرخ به غاضباً:
_بقولك إيه يا ولية أنتِ وهي! يمين بالله دا أنا أروح فيكم
في ستين داهية.

ولم يكديستوعب ما حدث؛ حتى وجد عكاز آخر يهبط فوق
رأسه وأخرى تُعنفه بصوتٍ مُرتعشٍ مُهتز:
_أنت قليل الأدب ومش متربي يا واد أنت، ما تشوفي الخدام
بتاعكم يا "لواحظ"؟!!

استدار لها "رائد" بعنف فوجدها عجوز يحتل الشيب كل
خصلاتها التي تظهر من أسفل حجابها الشفاف قليلاً،
والتجاعيد تملأ كل جسدها، حتى أنه اعتقد بأنها قد هربت
من إحدى المقابر كي تأتي لحضور خطبة جدته فقط، تشنج
وجه "رائد" باستنكار فتخصر في مكانه وهو يشهق بردح
ليرد على حديثها الأخير:

_نعم نعم يا دلعي—اي؟!!! هو مين دا اللي خدام يا ولية
أنتِ وهي، يا عواجيز يا قُرع، دا انتوا ناقص تتحنطوا مع
أبو الهول يا شوية عجايز.

حارة القناص

انتهى من حديثه وهو يتنفس بغضب، لكن غضبه تحول للقلق عندما لاحظ نظراتهم النارية التي يُطالعونه بها، ابتلع ريقه بصعوبة عندما وجدهم يُجهزون عكازهم الخشبية، ثم أردف ضاحكًا بتوتر:

_ انتوا زعلتوا ولا إيه يا نسوان دا أنا بهزر معاكم!._

_ هجـومـ.

كلمة خرجت من فاه "لواحظ" لتأمرهم بالهجوم عليه بسبب وقاحته وتطاوله في الحديث معهم، ليصرخ "رائد" بعلو صوته أثناء هربه الصعب منهم:

_ يالهُـويـ.. إلحقتي يابا بيعتدوا عليا.. إلحق شرف ابنك يا حاجـ.

ووسط كل هذا كانت تطاله الضربات من كل جانب حتى استطاع أخيرًا دفعهم للخلف والنجاح في الهروب من براثنهم.

خرج من معركته بثياب مُشعثة بقوة، وخصلات شعر غير مُرتبة، ناهيك عن سرقة إحداهن لحذائه العزيز الذي ابتاعه

حارة القناص

مؤخرًا، ليردف بحسرة أثناء نظره لجوربيه المُختلفين
واللذان كان يختفيا أسفل الحذاء:

يا فضيحتك يا "رائد" وسط الخلق! منك لله يا ستي،
حسبي الله فيك يا "عبدالقادر" أنت وعينتك كلها.

كل هذا كان أمام أعين أصدقائه اللذين وصلوا منذ عدة
دقائق، حينها كانوا يُحاولون كتم ضحكاتهم بصعوبة، لكن
عندما رفع أنظاره لهم وحدجهم بمعالم مُقتضبة؛ انفجروا
ضاحكين أخيرًا، ضرب "قاسم" بيد أخيه "صهيب" الذي لم
يتمالك ذاته أيضًا، وبجوارهم كان يقف "أهلة، حبيبة، ملك،
يمنى، لوسيندا، سهيلة"، الجميع يضحك بلا إستثناء، وما
أثار ضحكاتهم أكثر هو صراخ "رائد" المُغتاظ بهم:

مالك ياختي أنتِ وهو!! اتعدلوا أحسنلكلوا بدل ما يمين
بالله ألم هدومي وأطفش من وشكم.

تمالك "قاسم" ضحكاته بصعوبة ثم اقترب منه مُحيطًا بكتفه
وهو يردف بقهقهات عالية:

مالك بس يا "رائد" يا حبيبي؟! مش بدل ما تفرح إنك
قريب هيكون عندك عم جديد!؟

حارة القناص

كان "رائد" ينتظر كلماته الداعمة، لكن عندما استمع لحديثه تشنج وجهه من الغيظ فدفعه بعيداً أثناء صياحه الصارخ بهم:

__ انتوا إيه اللي جابكم أصلاً؟! أنا معزمتش حد.

أجابه "چون" بإبتسامة واسعة بدت بلهاء بشكلٍ ما:
__ نحن أتينا من أنفسنا، لا نحتاج لأن تُخبرنا عزيزي.

نفخ "رائد" بنفاذ صبر وهو يُطالع جميع الأوجه التي تكتم ضحكاتها بصعوبة، حتى رفع إصبع سبابته أثناء تحذيره الصارم لهم:

__ لو شُوفت حد فيكم بيضحك هرميه لـ "لواحظ" وأصحابها وهما يتصرفوا معاها.

تلك المرة تحدثت "ملك" وهي تُصفق بيديها بحماس:
__ طيب أنا عايزة أغني معاهم وأرقص.

طالعها "رائد" بنظرات مُشمئزة أثناء ترديده لكلماتها الأخيرة:

حارة القناص

_ترقصي معايم؟! دول لو عضمة زيادة اتحركت من مكانها
قولي عليهم يا رحمان يا رحيم.

اقترب منه "صهيب" مادداً يداه بعُلبة من الحلوى أثناء
كتمه لضحكاته:

_اتفضل يا صحبي، دي نُقطة ستك لزوم الخطوبة.

سدد له "رائد" نظرات حارقة، لتضع "حبيبة" يدها على
ثغرها حتى لا تصعد ضحكاتها على الموقف بأكمله، حممت
بجدية لتجد "أهلة" قد مالت عليها وهي تسألها بصوت
خافت:

_عملتي اللي قولتلك عليه إمبراح؟!!

طالعتها "حبيبة" بتوتر قبل أن تنفي برأسها قائلة:
_بصراحة لأ.

جزت "أهلة" على أسنانها وهي تسألها بغیظ:
_ليه؟!!

حممت "حبيبة" بخجل قبل أن تُجيبها بتلعثم:

__اتكسفت.

تشنج وجه "أهلة" بسخط أثناء قولها الحانق:

__ياربي هتشليني! اتكسفتي من إيه يا بنتي! أنتِ عارفة أنا
لو قُوت كدا لـ "ملك" أو "يمنى"؟! كان زمانهم نفذوا اللي
طلبتهم منهم وأكثر كمان.

ابتلعت "حبيبة" ريقها بخجل وهي تُفكر فيما عليها فعله،
فأجابتها برقة وهي تعض على أظافرها بتوتر:

__طيب هحاول أعمل دا النهاردة، بس أنا مكسوفة أوي.

نكزتها "أهلة" من جانبها مُحاولة تخفيف خجلها:

__مكسوفة من إيه يا بنتي دا جوزك، وبعدين عادي يعني لو
الدنيا اتأزمت أوي اعلمي نفسك مُغى عليك.

أومات لها "حبيبة" بتفكير قائلة:

__حاضر.. ربنا يستر.

__بتتوشوشوا في إيه؟!!

قالتها "لوسيندا" على بغتة، لتنتفض الفتاتين بخضة من ظهورها المفاجيء، ضربتها "يمنى" على معصمها بغيظ وهي تُعنفها قائلة:

_ قاطعتيهم ليه يا باردة كنا عايزين نعرف بيتكلموا قي إيه؟!.

تشنج وجه "أهلة" بإستتكار وهي تُجيب كلتيهما:

_ هنتكلم عن إيه ياختي أنتِ وهي يعني؟! الموكوسة منفدتش اللي إحنا اتفقنا عليه إمبارح.

جاءت "ملك" مُسرعة من بعيد وهي تتسائل بفضول:

_ مين الموكوسة؟! هو فيه هنا حد موكوس غيري؟!.

أجابتها "لوسيندا" وهي تلوي شفيتها بسخط:

_ آه ياختي كلنا مواكيس أساسًا، فينك يا "مهرايل" يا أختي! كانت علمتنا أصول الوكسة والخيبة من كُتر ما هي متخزوقة من اللي حواليتها.

أجابتها "أهلة" ضاحكة:

_كلنا "مهرائل".

تدخلت "حبيبة" في الحوار مُقاطعة إياهم بركة:
_ ما بلاش نتكلم عليها في غيابها يا بنات علشان متزعش
لما تعرف.

أحاطت "يمنى" بكتف "حبيبة" ثم تمت بحسرة:
_ عيني عليك وعلى قلبك الأبيض ياختي.

أشارت "ملك" تجاه "حبيبة" قائلة:
_ يا جماعة خسارة وجود البسكوتة دي معانا، دي ممكن
تبوظ منا وتتحرف.

وعلى ذكر سيرة «البسكوتة»، أتى "صهيب" في تلك
الأثناء ساحبًا زوجته لأحضانها أثناء نظراته المُتهمة
المُوجهة حيث الفتيات:

_ انتوا ملمومين حوالين مراتي كدا ليه؟! عايزين منها إيه
يا شوية أوباش!

مصممت "ملك" على شفيتها وهي تُجيبه مُستكرة:

حارة القناص

_مراتك عندك أهي ياخويا، لا فيها خدش ولا خرم ولا حتى متلوثة، يعني بالصلاة على النبي أنت مستلم مراتك صاغ سليم.

أتى "قاسم" ليقف جوار أخيه من الناحية الأخرى، وبعدها تحدث قائلاً وهو يُشير إليهم بالهدوء:
_بالراحة عليها يا بنات لتفطس منكم.

أرجعت "أهله" خصلاتها للخلف وهي تُجيبه بعتاب زائف:
_الحق علينا عايزين نعلمها حاجة للزمن!

ضرب "صهيب" على صدره أثناء شهقته المُنصدمة، ثم صاح متشدقاً بحسرة وهو يُمسك بوجه "حبيبة" الضاجرة:
_يا مصيبيتي؟! تعلموها حاجة للزمن؟! شربوك سجاير ولا لسه يا بسكوتة؟!!

أجابته "حبيبة" مُبتسمة بإتساع:
_لأ لسه، بس "ملك" قالتلي...

حارة القناص

قاطعها سُعال "ملك" وجميع الفتيات، مما زاد الشك بقلب
"صهيب" الذي صاح مُستكراً:

_يالهوي يالهوري يالهوري... قولي حاحا كذا؟!!

تعالت ضحكات "قاسم" عاليًا وبجانبه "چون" والذي اقترب
من "لوسيندا" أمام الجميع ليُقبلها من وجنتها دون خجل،
ثم تحدث لها بلين:

_رفقًا بها "لوسي"، وابتعدي عن هؤلاء الحمقى حتى لا
يُصيبنك بالإنحراف.

أومات له "لوسيندا" بالإيجاب أثناء قولها الهامس:

_حاضر يا حبيبي، ولو عايزني أقطع علاقتي بيهم كلهم
كمان قولي.

بصقت "يمنى" بزيف قبل أن تردف بوجه مُتجدد:

_صُحبة غدارة إسفوخس.

استدار لها "چون" مُطالعًا إياها بضيق أثناء قوله الساخط:

_ما بكِ يا فتاة تُحدثين زوجتي الرقيقة هكذا؟!!

حارة القناص

أنزلت "لوسيندا" رأسها للأسفل وهي تتصنع الأسى:
_ قولها يا حبيبي قولها، الناس بقت وحشة أوي.

طالعتها "چون" بنظرات حنونة عاشقة، ثم ربت على كفها
القابع بين يده قائلاً:

_ لا تلتفتي لهم عزيزتي، فأنت الأجمل على الإطلاق من
بينهم جميعاً.

نفخت "سهيلة" بغیظ مُصْفقة بأيديها لتُفرق ذلك الجمع
الهائل:

_ يلا يا إخوانا من هنا علشان دي قاعدة ستات بس.

أمسك "صهيب" بيد "حبيبة" قائلاً برفض:

_ لأ "حبيبة" مش هتقعد معاكم لوحدها أبداً.

أمسكتها "أهلة" من اليد الأخرى وهي تقول بسخط:

_ لأ طبعاً "حبيبة" هتفضل معانا وأنت اللي هتتكل على الله.

حارة القناص

اغتاظ منها "صهيب" ف جذبها له مرة أخرى أثناء تحذيره
لـ "أهلة" الغاضبة:

أنتِ بالذات متتكلميش وإبعدي عن مراتي أحسنك، أنا
عارف إنك مش هتتهدي غير لما تبوظيها.

غضبت "أهلة" منه بقوة ف جذبت "حبيبة" عنوة ودفعت بها
نحو الفتيات اللواتي كانوا على أشد الإستعداد للهجوم على
"صهيب":

بقولك إيه! اصطحب وقول يا صبح بدل ما أخلي اللي ما
يشترى يتفرج عليك، مراتك هتفضل معانا سواء كان
برضاك أو غصب عنك.

احتدت عيني "صهيب" بغضب حارق، فإستدار نحو "قاسم"
يصرخ بغضب:

ما تشوف مراتك يا "قاسم" وخليها تسيب مراتي في
حالتها!

طالع "قاسم" زوجته الغاضبة بعبت، ثم غمزها مٌحيياً إياها
على قوتها وثباتها:
كفاءة.

حارة القناص

تحول وجه "أهلة" من الوجوم إلى الضحك، ثم طالعت "صهيب" المنصدم بإبتسامة شامتة أشعلت من غضبه، وبعدها أخذت "حبيبة" واتجهت هي والفتيات نحو الغرفة الخاصة بـ"سهيلة" للتجمع بها.

بعد ذهابهم... استدار "صهيب" لـ"قاسم" الذي يُطالع أثر "أهلة" بإبتسامة طفيفة، ثم صاح به بحنق:

__وحياة خالتك يلا؟! بتفضل مراتك عليا يا حيوان!!

اقترب منه "قاسم" حتى أمسكه من تلايبيه يهزه بقوة:

__أنا أخوك الكبير يا بغل أنت، يعني لما تيجي تتكلم معايا اتكلم بإحترام يا ديرتي.

تأفف "صهيب" بضيق ثم أشار نحو الغرفة التي دخل إليها الفتيات منذ قليل قائلاً:

__أنت عارف الباب دا؟! مخبي وراه بلاوي سودة، ومراتك هتكون هي السبب في كل البلاوي دي، ومش بعيد تعلم البسكوته اللي حيلتي كيفية صُنع فُنبله نووية في خمس دقائق.

حارة القناص

قهقهه "قاسم" عاليًا وسط إغتيال "صهيب" منه ومن زوجته، ليُجيبه "قاسم" ببراعة:

_حرام سوء الظن دا يا "صهيب" ياخويا، دي "أهلة" دي ملاك ونازل الأرض بالغلط.

تشنج وجه "صهيب" باستنكار وكاد أن يُجيبه؛ لكن قاطعهم صوت "چون" الذي أتى من خلفهم وأردف بضحك:

_يا شباب، "راند" يُلول كالنساء في الخارج.

ضحك "قاسم" عاليًا أثناء قوله المُمازح:

_خطوبة سيئه أثرت على عقله باين، تعالوا نشوف ماله بدل ما نلاقيه انتحر بعد شوية.

رمتني الرياح بشوقٍ مرير، أُصبتُ حينها بعشقي فريد.

نظر "ألبرت" في ساعة معصمه بتأفف ينتظر مرور الثواني حتى تتحول الإشارة إلى اللون الأخضر، لتمر دقيقة كاملة وهو بنفس تلك الحالة من الإنتظار، وعند الإنتهاء انطلق

حارة القناص

مُسرعًا بسرعة عالية، لكنه توقف بغتةً عندما ظهرت من أمامه فتاة ذات خصلات قصيرة تُغطي وجهها خوفًا من دعسها، ليضغط "ألبرت" على أسنانه هامسًا بسخط:
اللعنة.

قالها ثم هبط متوجهًا إليها وهو يسألها بترقب:
هل أصابك أذى يا آنسة؟!

أبعدت "مهرايل" يدها عن وجهها بسرعة عندما استمعت لصوته الذي يُثير حنقها دائمًا، ليهمس "ألبرت" بتعجب من هينتها المُختلفة كليًا عليه:
أنتِ أيها الجرو الصغير؟!

وما إن اطمئنت "مهرايل" على صحتها، حتى انفجرت باكية وهي تُصيح به ببكاءٍ غاضب:
يا حيوان يا حقير روح ربنا ينتقم منك.

فتح "ألبرت" فاهه بصدمة، وازدادت صدمته أكثر عندما تركته تلك القزمة واتجهت نحو سيارته لتفتح بابها، ثم صعدت بها لتجلس على المقعد المُجاور له!

أغض "ألبرت" عيناه بقوة حتى يتحكم في أعصابه
الثائرة، ثم همس لذاته يضغط عليها:

_حسناً "ألبرت" اهدأ قليلاً، ستضعها في أقرب مكب للقمامة
لكن ليس الآن.

ردد تلك الكلمات على مسامعه ثم فتح عيناه مُجدداً واتجه
نحو سيارته ليصعد إلى مقعده، وما إن جلس وأغلق الباب؛
حتى وجد صوت "مهرايل" الباكي يصعد أثناء تنظيفها
لأنفها بالمناديل الورقية، ورميها لقمامتها داخل السيارة!
صرخ بها "ألبرت" بغضب حارق لم يستطيع التحكم به:
_أيها الجرو العفن اللعنة عليك وعلى معرفتك السوداء.

جفت "مهرايل" عينها الحمراء من البكاء، وبعدها أجابته
بصوتٍ غاضبٍ متحشرج:

_أنت بني آدم معندكش دم، دا بدل ما تخفف عني ولا
تحضني علشان تهديني؟! فين الرجولة؟! فين المروءة؟!
فين الـ اه..

صمتت عن الحديث عندما قاطعها بإنطلاقه بالسيارة بسرعة
عالية للغاية أثناء صُراخها به:

حارة القناص

الله يخربيت أهلك هنموت؟! رجعوني لأبويا آخذ
العلة التمام وأنام، أنا أسفة يابا.

لم يهتم "ألبرت" لها ولا لصرخاتها، بل بمجرد ما تأتي
عيناه على كومة القمامة تلك يزداد غضبه ومعها تزداد
سرعته وصرخاتها:

يالهي همت، يابني يخربيت معرفتك يا
بغل أنت.

قالت كلماتها بنهيج ودوار، خاصةً وأنها لم تأكل شيء منذ
ليلة أمس، وضعت يدها على رأسها فأنتبه لها "ألبرت"
الذي توقف بجانب الطريق وهو يسألها بترقب:

ما بك يا فتاة؟! هل ستموتين؟!

ابتلعت "مهرايل" ريقها بتعب وهي تُطالعه بدوار، ثم
أرجعت رأسها للخلف تستند على المقعد أثناء قولها:

إلحقتي بنص فرخة مشوية واتنين كيلو كباب وكفتة
بسرة، هفطس منك.

لحظة صمت أتت من جهة "ألبرت" الذي طالعها بتشنج
أثناء قوله الحانق:

أنت فتاة حمقاء، ستأكلين عندما نصل للفتيات، لا أعلم كيف يتحملون غيبة مثلك.

سددت له "مهرائيل" نظرة نارية من طرف عينها، ثم أغمضت عيناها مرة أخرى عن انطلاقه بالسيارة مُجدداً نحو منزل "محروس"، لتهمس في سرها بغیظ:
روح يا بعيد منك لله، قليل الذوق والنظر.

خرجت "يمنى" من غرفة الفتيات وهي تضحك بخفة، لم تستطيع مشاركتهم المرح بسبب غياب "يحيى" عنهم منذ ليلة البارحة، أثار الأمر تعجبها وفضولها خاصةً وأنه لا يُجيب على اتصالاتها الحوحة عليه، لذلك قررت الذهاب نحو "قاسم" وسؤاله عليه حتى يطمئن قلبها.

اتجهت نحو الصالون فلم تجدهم، لكنها لمحت "فور" يهبط من الأعلى وهو يُندن بكلمات أغنية من لغة غريبة على مسامعها، لكنها تجاهلت كل هذا واتجهت نحوه مُسرعة لتسأله:

__ "فور" متعرفش "قاسم" فين؟!!

أجابها "فور" بابتسامة هادئة أثناء إشارته بإصبعه نحو الأعلى:

ـ يجلس بالأعلى مع الشباب، أتريدين شيئاً؟!!

هزت رأسها بالنفي قائلة بامتنان:

ـ لأ تسلم ربنا يخليك، أنا هسأله على حاجة بس.

أوماً بهدوء ثم تركها وأكمل هبوطه نحو الأسفل وهي صعدت للأعلى، وجدت الشباب جميعاً يتجمعون وكانوا (قاسم، صهيب، رائد، جون، ستيفن، ليونيد، أندريه، إيغور)، وما كادت أن تُنادي "قاسم" حتى استمعت إلى سؤال "أندريه" الهاديء:

ـ ماذا قررت أن تفعل بالمدعو "يحيى"؟!!

توقفت أنفاس "يمنى" عن الصعود وانتظرت لإستماع الحديث الدائر حول "يحيى"، زفر "قاسم" بضيق قبل أن يُجيبه قائلاً:

ـ مش عارف لسه، "يحيى" خدعنا كلنا وطلع أوسخ مما توقعنا كلنا، عرف يضحك علينا وفهمنا إنه معانا وهو بينقل

أخبارنا كلها لـ "مختار" الأرماني، بس صبره عليا، ليه فوقة.

شَهقت "يمنى" بعدم تصديق ثم اختبأت خلف الحائط حتى لا يُلاحظها أحد، وبدون إرادة ووعي منها هبّطت دموعها بكثافة، هبّطت للأسفل مرة أخرى بأقدام مُرتعشة، ثم دلفت نحو المطبخ حتى لا يراها أحد، استمعت إلى صوت صفير بأذنيها وحديث "قاسم" يتردد بقسوة داخل ذكرياتها ليجلدها بعنف على ثقتها بـ "يحيى".

"يحيى"؟! "يحيى" خائن؟! ظلت تتسائل بعدم تصديق بينها وبين ذاتها وهي تُحاول أن تُكذّب الحديث الذي استمعت إليه للتو، لكن.. لِمَ سيكذب "قاسم" في أمر كهذا؟!

أمسكت هاتفها وأعدّته ثم طلبت رقم "يحيى"، مرة واثان وثلاثة لم تمل من مهاتفته والاتصال به، وأخيراً جاءها صوت "يحيى" الهاديء:

_ألو يا "يمنى"؟!

حاولت "يمنى" بقدر الإمكان أن تجعل صوتها هادئاً وهي تسأله:

حارة القناص

__ أنت.. أنت فين يا "يحيى" بتصل عليك من إمبراح؟!!

نظر "يحيى" لـ "صوفيا" المُستلقية على الفراش بجانبه، ثم
أردف بزييف:

__ كان ورايا شغل ضروري يا "يمنى" ومكنتش فاضي، فيه
حاجة ولا إيه؟!!

ابتلعت "يمنى" ريقها بصعوبة شاعرة برغبة عارمة في
البكاء، ثم أجابته بصوتٍ خرج مُتحرّجًا باكٍ رغماً عنها:
__ أنا عايزة أشوفك دلوقتي يا "يحيى".

اعتدل "يحيى" في جلسته ثم هبط من على الفراش ليتجه
مُسرّعًا نحو الخارج، ثم أجابها بقلق:
__ مالك يا "يمنى" في حاجة حصلت؟!!

هزت "يمنى" رأسها بالنفي وكأنه يراها، وبعدها قالت
بخفوت:

__ متضايقة وعايزة أشوفك يا "يحيى"، ينفع ولا مش
فاضي؟

زفر "يحيى" بتفكير، وبعد ثوانٍ من الصمت أردف موافقًا:
_ تمام يا "يمنى" نتقابل فين؟!!

أخبرته "يمنى" بالمكان المُتفق عليه، ثم أغلقت معه بمعالم
وجه لا تتم على الخير أبدًا، مسحت دموعها بظهر يدها
هامسة بصوتٍ مبحوح باكي:
_ أنت حيوان يا "يحيى" .. حيوان.

رددتها مع ذاتها عدة مرات بقهر، وبعدها استدارت نحو أحد
الادراج حتى التقطت سكينًا تأكدت من كونه حادًا ثم وضعتَه
داخل ثيابها حتى لا يلفت الإنتباه.

خرجت من المنزل ثم هبطت الدرج مُسرعة وقلبها يُنهيها
عن فعلتها التي تُفكر بها، لكن عقلها يأبى الرضوخ
والإنسياق خلف عاطفتها مُذكرًا إياها بأنه خدعها وأوهمها
بالحب ليحصل على مُرادِه، أخبرته مرارًا وتكرارًا بأنها
تخشى الخذلان وتخافه، وهو جاء ليُخذلها ذابحًا إياها بسكينٍ
تالم نحر عُنقها بلا رحمة بعد أن رفعها عاليًا في السحاب
جاعلاً إياها تُحلّق كطائرٍ حصل على حُرَيْته.

وأخيراً وصلت إلى المكان المُتفق عليه، مكان يُشبه التل في ارتفاعه يمكن من خلاله رؤية مناظر المدينة الخلابة خالٍ من المارة والزائرين، هبطت من سيارتها لتجده يقف مولياً إياها ظهره، لتبتلع تلك الغصة التي بحلقها وتركت خصلاتها تطير بحرية بفعل الهواء البارد، اقتربت منه حتى أصبحت خلفه مُباشرةً ليستدير لها مُسدداً إليها ابتسامة حنونة عادةً ما كانت تجعل فؤادها ينبض سعيداً، لكن الآن فؤادها ينبض فزعاً وخوفاً من القادم!

تحدث "يحيى" مُتعباً من حالة الصمت التي تلبستها فجأة قائلاً:

_مالك يا "يمنى" بقالي ساعة بكلمك مبرديش ليه؟!

خرجت "يمنى" من شرودها وهي تسأله فجأة:

_قولي يا "يحيى"! أنت فعلاً بتحبني؟!

ورغم تعجب "يحيى" من سؤالها؛ إلا أنه أوماً دون تردد:

_محبش في الدنيا قدك يا "يمنى"، صدقيني أنت الشيء الحلو الموجود في حياتي.

حارة القناص

يا الله! كيف لبشرٍ أن يكذب بكل تلك البراعة؟! سقطت
دموعها رغماً عنها وهي ترد عليه بيأس:
_وأنا كمان بحبك.. بحبك أوي للأسف.

اقترب منها "يحيى" بقلق مُحيطاً بوجهها بكلتا يديه، ثم
سألها بقلق يخفق فزعاً:
_"يمنى" احكي لي متقلقيش عليك؟!

لم تُعطي لسؤاله أي إهتمام؛ بل أكملت هذيانها مُكملة بدموع
لم تتوقف:

_بس.. بس مهما كانت درجة حُبي ليك فأنا عندي استعداد
أدوس على قلبي لو فكرت مُجرد التفكير إنك تخوني أو
تضحك عليا.

وعقب انتهائها شعرت بسيلٍ من الدماء الدافئة تُلطخ كف
يدها المُمسكة بالسكين الموجود داخل معدته!

أخرجت السكين ثم أدخلته مرة، واثنان، وثلاثة، وبعدها
ابتعدت عنه مُطلقة العنان لشهقاتها الحادة بالصعود، وهو
وضع يده على معدته أثناء فتحه لعيناه بصدمة، ثم سقط
على رُكبتيه ومعها سقطت هي لتسقط على الأرض الرملية

تبكي بقهرة، سدد لها نظرة مُعاتبَة أو هكذا ظنت قبل أن يقع
على جانبه الأيسر فاقداً لكل معاني الحياة.

#يُتْبَعُ.

#حارة_القناص.

إشروق حسن | ✨

كُنْ على يقين بأن أعمالك ستُرد إليك ولو بعد حين، مهما
طال الوقت، وكثُر الإنتظار؛ ستُسقى بنفس الكأس الذي
سقيت به غيرك.

إلى اللقاء في الفصل القادم

السلام عليكم

قبل وضعك لـ صور صديقاتك على حالة الواتساب تذكري
أن محارمك ليسوا محارمهنّ فلا يجوز لأبيك ولا لأخيك ولا
لعمك ولا لخالك ولا لزوجك رؤية صورهنّ ولا يوجد شيء
اسمه مثل أبي ولا أخي!

وحتى لو كنّ يرضعن صورهنّ على العام، فهذا لا يُحلل لك
وضعها أيضاً!
والسلام.

#الفصل_التاسع_والعشرون.

#رواية_حارة_القناص.

#إلى_أين؟!.

إذا أتتك الفرصة للفرار عليك التمسك بها بكل قوتك، الفرار
من ماضيك، حاضرِك، ومستقبلِك، وإن استطعت الفرار من
البشر فافعلها.

اقتربت "يمنى" تدريجياً من "يحيى" المنقطع الأنفاس،
وكلما اقتربت؛ يزداد صوت بكاؤها أكثر، مسددت على
وجهه بخفة ثم أردف بصوتٍ مبجوحٍ باكٍ:

_بحبك.. بحبك بس أنت متسـتاهلش حُبي.. أنا بكرهك يا
"يحيى.. بكرهك سامعني! بكرهك يا حيوان.

قالت الأخيرة بصراخ هستيري وهي تضربه على صدره بعنف، هو من اضطرها لفعل ذلك، هو السبب في كل ما حدث، وضعت يدها على صدرها تذك ذلك موضع قلبها لتثقل من ألمه، وبعدها أطلقت صرخة عالية تُعبر عن مكنونات فؤادها، صرخة حملت كل معاني الألم والبؤس الموجودان في دواخلها، وبعدها تسائلت باهتياج:

_ليه يا "يحيى" ليه؟! ليه تعمل فيا كدا حرام عليك؟! ليه تعذبني وتوجع قلبي وأنت أكثر واحد عارف اللي مریت بيه؟! آااه يا رب.. يا رب خفف الوجع من قلبي يا رب.

قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر إلى السماء تُناجي المولى، وبعدها عادت تنظر لجثته بنظرات شاردة، وبعد عدة ثواني من الصمت؛ أردفت بضعف:

_أنت كسرتني وكسرت قلبي وأنا مش مسمحاك، دا أقل عقاب ممكن أقدمه ليك، حُبك كان لعنة صابنتي وصابنتك قبلي.

تنفست بنهيج وثنانٍ كانت تشهق برعب عندما شعرت بمن يُمسك بيدها من الخلف ويوقفها من جلستها، ثم صاح بعصبية:

__ اللعنة! ماذا فعلتي بحق الله؟! __

طالعت "يمنى" "ليونيد" والذي جاء خلفها بأمرٍ من "ألبرت" الذي رآها تُهرول نحو سيارتها بسرعة، ليأمر أخاه على الفور بملاحقتها، أشارت إليه "يمنى" بتيهة والذي تشدقت بصدمة وكأنها لا تعي ما فعلته:

__ أنا قتلته.. قتلته..

جز "ليونيد" على أسنانه بغضب ثم ابتعد عنها مُسرِعًا ليتهاجه نحو "يحيى" ليقبس نبضات عرقه النابض في رقبته، ارتسمت معالم الإحباط على وجه "ليونيد" والذي بدوره رفع أنظاره لها قائلاً:

__ لقد مات..

كلمتان فقط كانت بمثابة خنجر سام أصاب قلبها الهاتف بعشقه رغم خيانتته، هبطت الدموع بكثرة من عيناها، وبعدها غام الكون من حولها لتلتقطها سحابة سوداء ابتلعتها بداخلها، لحقها "ليونيد" قبل أن يحتضن جسدها الرمال ثم حملها على ذراعيه مُتوجهاً بها نحو سيارته التي جاء بها.

مرت دقيقتان قبل أن يعود لجسد "يحيى" يُطالعه بجمود، ثم أخرج هاتفه طالباً أحد الأرقام وانتظر قليلاً حتى أتاه الرد، ليردف بعدها ببرود:

_تعالوا.

قالها ثم أغلق الهاتف دون أن يستمع للطرف الآخر، لم تمر فترة كبيرة حتى ظهرت له سيارة الحرس الخاصة به وبأشقائه، ليهبط رئيس الحرس مُسرّعاً مُخفضاً رأسه قليلاً أثناء قوله:

_أوامرك سيد "ليونيد"؟!!

أشار "ليونيد" لجنّة "يحيى" أمراً إياه بجمود:

_أريد أن تختفي جثته تماماً، لا أريد لأحد أن يعثر عليها، أفهمت؟!!

أوما له رئيس الحرس بالإيجاب مؤكداً على حديثه:

_حسناً سيدي لا تقلق.

اقترب منه "ليونيد" أكثر حتى بات على مقربة من أذنه، ليهمس له بفحيح:

__ ليس أنا من عليه القلق؛ بل أنت.

ابتلع الآخر ريقه بتوتر ثم أوما له دون حتى أن يرفع أنظاره إليه، ليذهب بعدها "ليونيد" متوجهاً نحو سيارته التي بها "يمنى" وصعد بها، نظر لها؛ ليجد دموعها تهبط حتى في غفوتها، ليهمس بيأس:

__ بربك! ما الذي فعلتية بذاتك "يمنى"؟!!

هز رأسه بقلّة حيلة أثناء إدارته لمحرك السيارة، تبعه انطلاقه السريع بها، وبالطبع غفل الجميع عن ذلك الذي أخرج هاتفه من جيب بنطاله بفرع، ثم أتى بأحد الأرقام وانتظر قليلاً حتى هتف جازعاً:

__ إلحق يا "مختار" بيه! "يحيى" اتقتل.

منذ يومان وهو مُتسطح على فراشه هكذا، وجهه مليء بالكدمات وذراعه قد كُسر بسبب ضرب "صهيب" العنيف له، جلست "ريمانا" بجانبه بعد أن وضعت قطعة من الثلج على كدماته ثم أردفت ساخرة:

حارة القناص

فضلت تقول أنا مخطط ومرتب لكل حاجة أديك طلعت من
المولد بلا حمص، لأ ومتكسر كمان.

طالعتها "أنس" بغضب ثم دفع يدها الموضوعه على وجهه
قائلًا بحدة:

قسماً بالله لهندمه طول عمره، يصبر عليا بس وأنا
هخطله حيلة تطلع من نافوخه، وفي الآخر "حبيبة" هتبقى
ليا برضه.

تشنج وجه "ريمانا" غيظًا أثناء قولها الساخط:

أنا مش عارفة البت دي شغلاك دماغك أوي كدا ليه؟! مع
إنها مش حلوة أوي يعني.

التوى ثغر "أنس" بإبتسامة ماكرة قبل أن يجيبها بخبث:

علشان عاجباني، ولما حاجة تعجبنى بحب أجربها.

طالعته "ريمانا" ساخرة ثم ابتعدت عنه وعن إلتصاقها به
عقب استماعها لطرق باب الغرفة، سمح "أنس" للطارق
بالولوج؛ فولجت بعدها "ريماس" التي طالعت "أنس"
بنظرات خجولة عقب قولها:

_ عامل إيه دلوقتي يا "أنس"؟!!

قالت جُمَلتها بحياء أثناء إقترابها أكثر حتى باتت على مقربة شديدة منهم، طالعاها كُلاً من " أنس وريمانا" بصمت، وبعدها انفجر ثلاثهم في الضحك!

الخبث يتشكل على محياهم، ضحكاتهم وكأنها قادمة من الجحيم، وعقولهم تُشبه عقل إبليس في خطئه، أرجعت "ريمانا" خصلاتها للخلف قبل أن تتشدد بمكر:

_ لأ براقويا "ريماس"، عرفتني ترسمي وتحبكي الدور صح ودخل عليهم موضوع إنك طيبة والكلام دا.

إتمعت عيني "ريماس" بالمكر عقب قولها، ثم أجابت شقيقتها بخبث:

_ عيب عليك يا "ريما" دا أنا "ريماس الأرماني"، وواحدة واحدة و"حبيبة" دي هتبقى زي الخاتم في صباعي.

أضافت "ريمانا" قائلة بضحك:

_ مش عارفة إزاي واحدة زي "حبيبة" بالسذاجة والغباء دا! مجرد ما اتكلمتي معاها وقولتيلها كلمتين حلوين أمنت ليك وبقت بتحبك!.

لوت "ريماس" شفّتيه المطلية بالأحمر ثم أجابتها قائلة:
_صبرها عليا بس، هخليها تثق فيا أكثر وبعد كدا أنفذ
خطتنا.

رفع "أنس" سبابته يُحذرُها بصرامة:
_من غير ما تأذيها يا "ريماس" ها؟! من غير ما تأذيها
علشان متزعليش مني.

اشتعل الحقد في قلب "ريماس" أكثر عقب تحذير "أنس"
الصارم لها، وعلى عكس العاصفة الهوجاء التي حدثت
داخل صدرها؛ إلا أنها أجابته ببرود ظاهري:
_ميفرقش معايا أذيتها قد ما يفرق معايا ورثها.

رد عليها "أنس" بشرود خبيث:
_كدا كدا الورث هيبقى في إيدينا متقلقيش.

استأذنت "ريمانا" للخروج أثناء لملمتها لأشياءها قائلة:
_طيب همشي أنا بقى علشان هروح أسهر مع صحابي،
تشاو.

_تساو يا بيبي.

قالتها "ريماس" بهدوء مودعة شقيقتها، وعقب خروجها مباشرةً؛ اتجهت "ريماس" نحو فراش "أنس" ثم جلست على مقربة منه حد الإلتصاق، لاحظ "أنس" اقترابها المبالغ به فسألها بخبثٍ ماكر:

_في إيه يا "ريماس"؟!!

اقتربت "ريماس" أكثر دون خجل، ثم وضعت كفها على وجهه مُتحدثة بعشق:

_في إني بحبك يا "أنس" وأنت مش حاسس بيا.

تصنع "أنس" الإحباط وهو يُجيبها بيأس مصطنع:

_ما أنتِ عارفة يا "ريماس" إن عمي "صفوت" مش بيطيقتني!

لم يكن خبر دخول "صفوت" للمشفى قد وصل لأحدٍ منهم لأنزالهم بمنزل منفصل عن القصر الذي يعيشون فيه، حتى لا ينتبه أحد لتلك الجروح التي تُزين وجه "أنس" المشوه، وبلهفة شديدة ردت عليه "ريماس" قائلة:

سـيب بابا عليا خالص وأنا هقتعه، المهم إني بحبك وأنت
تكون بتحبني.

حاول "أنس" إخفاء نظرات المكر من عيناه بقدر الإمكان،
فأجابها حين إقترا به المُبالغ به:
أنا بموت فيك يا "ريماس".

وعقب حديثه استباح حُرمة منزله وعرض عمه، ليبدأ
الشيطان بنسج طريق مليء بالأشواك والحُفرات التي
ستُعيق طريقهما فيما بعد، أُعميت بصيرتهم وغاب عقلهم
وتركوا مشاعرهم تجرفهم نحو طريق الذهاب بلا عودة!

بالعودة إلى منزل محروس

كان الشباب مُتجمعون حول "محروس" الذي يُراقب هذا
العبث بعيون مُتَحسرة حانقة، ربت "قاسم" على كتفه قائلاً
بضحكة مكتومة:

حارة القناص

_ خلاص يا عم "محروس" بقى متتكدش على نفسك أكثر من كدا، وبعدين مش يمكن يجيلك أخ تاني!

طالعه "محروس" بأعين غاضبة، ليؤكد "صهيب" على حديث شقيقه قائلاً:

_ "قاسم" معاه حق يا عم "محروس"، ويا خوفي بقى لو طلع ولد، هتضطر تقدم في الخدمة تاني.

لم يستطيع "قاسم" كتم ضحكاته أكثر من ذلك؛ لينفجر ضاحكاً عقب حديث "صهيب" الذي صعد جدياً بعض الشيء، وما زاد من غضب "محروس"؛ هو حديث "فور" الساذج الذي طلب منه بإبتسامة واسعة:

_ إن كان صبي فأسميه "فور" رجاءً عمي "محروس".

وضع "قاسم" يده على فاهه ليمنع صعود ضحكاته، بينما "صهيب" يختبئ خلفه ليخفي بسمته عن "محروس" الذي كاد أن ينفجر في وجه الجميع غضباً وسخطاً مما يحدث، تدّخل "چون" ينهر أخيه بعنف:

_ ما بك "فور"؟! بَم تهذي يا هذا؟! بالطبع سيُسميه على اسمي أنا.

حارة القناص

وصل "محروس" إلى ذروته من الغضب، ليصرخ بهم بنفاد
صبر طارداً إياهم:

_ اطلع برا يا حيوان أنت وهو من هنا، يلا ياض اخرج
برا بيتي.

كان "محروس" يردف بجملته أثناعه دفعه للجميع، وهُنا
تركوا العنان لضحكاتهم بالصعود، انفجر الجميع في الضحك
حتى أنهم دخلوا في حالة هستيريا غريبة عليهم، وقبل أن
يدفع "محروس" "قاسم" للخارج مع الشباب؛ نادى بصوتٍ
عالٍ على "لواظ" التي كانت مُنهمكة في الرقص مع
أصدقائها:

_ يا "لولو" .. ألف مبروك يا قمر وعقبال البكاري إن
شاء الله.

أشارت له "لواظ" بيدها وهي تُصيح بصوتٍ عالي:

_ واد يا "قاسم" تعالى ارقص معايا يا ولا.

وبصعوبة بالغة استطاع "قاسم" الهروب من يد "محروس"
الذي يُجبره على الخروج ثم دلف للداخل مُسرِعاً، ليهبط إلى

حارة القناص

ساحة الرقص مُحيطًا بكتفي "لواحظ" بذراعٍ واحدة، ثم بدأ
بالغناء مع كلمات الأغنية بسعادة:

_حَطَّ إيدِه يا.. على إيدي يا.. قالي بتحبيني رُحت صارخة
وقائلة آه.. بيقولي هاتي بوسة، يا مصيبتَه ويادي الحوسة،
الواد فاكرها كوسة، أديله ولا إيه؟! أديله ولا إيه?!

وصل الجميع له بعدما استغلوا ضعف قوة "محروس"
الواهية مُنضمين إلى "قاسم" الذي يرقص ويُغني بسعادة
مع "لواحظ"، لتتحول الخُطبة من خُطبة مليئة بالعجائز، إلى
خُطبة مليئة بالشباب الوسيمين.

وقبل قليل بالداخل

أحاطت "لوسيندا" الداعمة بكتفي شقيقتها المنهمرة في
البكاء تحتضنها بقوة، ومن حولها تتجمع الفتيات بمعالم
حزينة لما قد وصلت إليه "مهرائيل" فجأةً بين ليلة
وضحاها.

ربتت "أهله" على كتفي "مهرائيل" قائلة بكلماتٍ داعمة:
_خلاص اهدي يا "مهرائيل" وأكد حقك هيجي.

أكدت "ملك" على حديث شقيقتها وهي تُردف بحزن:

_"أهلة" معاها حق، روعي اعلمي بلاغ في القسم وخُدي
حقك، يا إما قولي للرجالة وهما يقوموا بالواجب.

خرجت "مهرائيل" من أحضان "لوسيندا" مُتشدقة بشهقات
حادة وهي تبكي بعنف:

انتوا ليه مش عايزين تفهموني! أنا مينفعش أعمل حاجة
فيه، هو في الأول وفي الآخر أبويا ومش هيرضيني أبهدله
في المحاكم والأقسام مهما عمل فيا.

تدخلت "سهيلة" قائلة بتردد:

أنا مقدره دا والله وعارفة اللي أنت حاسة بيه، بس على
الأقل عرفيه لو حتى بالتهديد إن وراك رجالة وحد يدافع
عنك لو فكر يقرب منك تاني.

مسحت "مهرائيل" دموعها المُنهمرة بكثافة بظهر يدها، ثم
سألته بصوتٍ مبحوح ضعيف:

يعني أعمل إيه يعني!؟

يعني اعلمي زي ما "ملك" قالتك وخلي الشباب يروحوا
ليه ويتكلموا معاه، هما أكيد مش هياذوه بس على الأقل
هيهددوه ميقربش منك تاني.

كان التردد مرسومًا بوضوح على وجه "مهرائيل"، لتدعمها
"أهلة" بقولها:

هما معاهم حق يا "مهرائيل"، بصراحة أبوكِ راجل مفتري
وبهدلك خالص، ولازم حد يوقفه عند حده علشان ميتطاولش
عليك تاني أكثر من كدا.

هبطت دموع "مهرائيل" بأسى أثناء قولها الباكي:

كان نفسي يكون عندي أب بيحبني وبيخاف عليا زي ما
كل الأبهاات بتعمل مع ولادها.

ابتلعت "لوسيندا" تلك الغصة المؤلمة التي تشكلت في
حلقها وظلت تتابع حديثهم بصمت دون التدخل، فهي مُتأكدة
إن فتحت فاهها للتحديث؛ ستتفجر باكية لا محالة، بالأساس
هذا الأمر يورقها بشيءٍ أو بآخر، لذلك فضّلت الصمت حتى
لا تفتح جرحًا جديدًا بداخلها لن يلتئم إلا بصعوبة.

وجدت "لوسيندا" أحضان دافئة تضم جسدها بحنان، رفعت أنظارها لتجدها بأنها "حبيبة" التي أردفت بحزن، ناهيك عن كتلة الدموع تلك المُتجمعة داخل مقلتها:

_متزعليش يا "لوسيندا"، أنا والبنت بنحبك أنتِ و"مهرايل" وأكيد ربنا هيعوضكوا.

انتبه "الفتيات" لفعلة "حبيبة" الحنونة لتتشكل ابتسامة صغيرة دافئة على ثغرم جميعًا، بينما أحاطت "لوسيندا" بخصر "حبيبة" لتبادلها العناق، وخلال ثواني كانت تُخرج ما جبعثها من دموع، وبالطبع لم تتركها "حبيبة" وحدها؛ بل بكت معها لشعورها بالحزن الشديد تجاهها، وانضمت معهم "مهرايل" التي آلمها حُزن شقيقتها لتحتضنها "ملك" بدورها والتي طالعت ثلاثتهم بحزنٍ بالغ.

بعد فترة من الصمت والكآبة التي عمت الأجواء، نظرت "أهله" لكف يدها بإشـمئزاز لا داعي له، اليوم كان الثالث للإستماع إلى حديث طبيبها النفسي السابق الذي كان يُخبرها بمحاولاتها لتجنب مصدر الإشمئزاز والتقويُّ وانتظارها المزيد من الوقت دون غسل يدها، وبدلاً من كَوْنها كانت تغسل يديها مئة مرة في اليوم؛ قلّ الأمر وأصبح سبعون! قد يظهر بأنه مازال عددًا كبير؛ لكن بالنسبة إليها هي في تحسن ملحوظ ورائع.

وقفت "أهلة" من مضجعتها ثم طالعت جميع الفتيات بنظرة
شمولية قبل أن تردف بهدوء مُتسائلة:
أومال فين "يمنى"؟!

أجابتها "سهيلة" وهي تهز كتفيها بجهل:
_مش عارفة، هي قالت هتعمل مكالمة بس مش عارفة
اتأخرت أوي كدا ليه!_

أومأت لها "أهلة" بشرود قبل أن تقول:
طيب أنا هروح الحمام وهاجيلكم تاني

أوما إليها الفتيات، لتتركهن هي ثم فتحت الباب وخرجت من
الغرفة لتتفاجأ من صوت الأغاني والصخب الموجود
بالخارج، فلأسفهم الشديد كانت غرفة "سهيلة" تبتعد عن
الصالون بمسافة كبيرة بعض الشيء، لذلك الصوت لم
يصلهم جيداً.

ابتسمت "أهلة" بخفة ثم اتجهت نحو المرحاض أولاً، وقف
أمام المرأة الموجودة بها فوجدت ذاتها قد تحسنت كثيراً،

ليش شكلاً؛ وإنما جوهرًا، والفضل يكون بالتأكيد لـ "قاسم" الذي لم يتهاون في جعلها سعيدة، وهُنا صدح صوت يُخبرها بأنها محظوظة لحصولها على رجلٍ مثل هذا.

بدأت في غسل يديها بقوة بصابون الإستحمام وهي تتذكر جميع لمساتها مع الفتيات، لم تكن بالكثيرة لكن مازال هناك بصيصًا من الأمل في شفائها، لن تُنكر بأن تلك هي المرة الخامسة التي غسلت بها يدها منذ أن أتت؛ لكن هي تشعر بتحسنها وثقتها في العلاج، نعم! تريد العلاج.

انتهت ثم جففت يدها بالمناديل الورقية بدلًا من المنشفة، والأمر واضحًا بالطبع، خرجت لتجد أن الصخب مازال موجودًا، لتتقدم منهم ببطئٍ وعلى شفيتها ترسم ابتسامة صغيرة بدأت بالتزايد تدريجيًا عن لمحت "قاسم" يرقص هو و"لواحظ" في المنتصف والشباب يدورون من حوله يهللون بصخبٍ أعلى.

كانت الضحكات تملأ أجواء المرح التي تُدخِل البهجة للقلوب رغم العبث المُحيط من حولهم، لمحها "قاسم" بناظريه فغمزها بمشاكسة؛ مما زاد من ابتسامتها وشغفها أكثر.

حارة القناص

جاء ببال "أهلة" فكرة سريعة لإخراج الفتيات من حزنهم،
لتعود إليهم سريعاً ثم فتحت الباب على بغتة قائلة بصوتٍ
عالٍ أثار فزعهم:

_ انتوا قاعدين هنا ومش عارفين إيه اللي بيحصل برا؟! يلا
معايا يا هانم أنتِ وهي بدل ما انتوا قاعدين زي المُطلقين
كدا.

قطبت "ملك" جبينها بتعجب وهي تسألها:
_ في إيه يا "أهلة"؟!

أجابتها "أهلة" أثناء انطلاقها مُسرعة نحو الخارج:
_ تعالي ورايا وأنتِ تعرفي.

نظر الفتيات لبعضهم البعض بتعجب، وبعدها قاموا من
مضجعهم ولحقوها كما طلبت بالفعل، وما إن خرجوا من
الغرفة؛ حتى استمعوا إلى صوت الأغاني والتهليل يصدح
عاليًا، اقتربوا أكثر من مصدر الصوت فوجدوا الشباب
يغنون هاتفين:

_ وداع يا دنيا وداع أنا اللي باع ومكملشي، الحياة لو بيك
أو من غيرك دي هتمشي.. سلام يا حبي سلام معدش غرام

حارة القناص

مفيش راحة.. لو عايزين تشوفوني اتفضلوا في استراحة..
لو عايزين تشوفوني اتفضلوا في استراحة.

ذهب "قاسم" إلى "أهلة" يسحبها نحو ساحة الرقص،
رفضت في البداية لكنه أصّر عليها وسحبها رغماً عنها إلى
المنتصف مبتعداً عن مُحيط الشباب بأكمله واتجه بها نحو
محيط السيدات أو العجائز إن صحّ القول، وبعدها فعل
الجميع المثل مع الثنائي الخاص به مُقررين ترك الأحران
قليلاً والإستمتاع بتلك اللحظات التي تحفر ذكريات أخرى
داخل عقولهم.

أدار "قاسم" تلك التي ترفض الرقص حول نفسها عدة
مرات ثم أكمل مُغنياً:

_ بَص بَص بَص.. بَص بَص بَص... بَص بَص بَص.

الفرعة.. والعة، الفرعة الوالعة

فرعة جامدة طحن انا فاصل منها شحن

حلاوتك زائدة حتة أكلك منين يا بطة

عليكي خدود لُذاذ خلتي جبت جاز

لو تسمحي لي أطلب.. إيديك للجواز!

ومع جنونه وعبثه اندمجت "أهلة" مع رقصه وهي تهز
جسدها بحركات عشوائية غير منتظمة، وهو لم ينظر لكل
هذا؛ بل نظر لتلك الإبتسامة الواسعة التي تُزين ثغرها
وضحكاتهما التي تعلو بصخب عقب إدارته لها حول ذاتها،
لفَّ يده حول كتفها عندما تكررت الأغنية الأقرب مكرًا
لفؤاده وهو يُردها بخبث:

_حَطَّ إيده يا.. على إيدي يا.. قالي بتحبيني رُحت صارخة
وقايلة آه.. حَطَّ إيده يا.. على شعر يا..

بيقولي هاتي بوسة، يا مصيبتى ويادي الحوسة، الواد
فاكرها كوسة، أديله ولا إيه؟! أديله ولا إيه?!

أنهى غناؤه غامزًا بمكر لم يُزيدها إلا خجلًا، مما زاد من
ضحكاته المرححة فاقترب منها هامسًا في أذنيها ببراءة:
_على فكرة دا مش كلامي دا كلام الأغنية.

أومأت له "أهلة" ساخرة وهي تضحك:

_آه طبعًا أنا عارفة متحلفش بس.

وعلى الجانب الآخر.. فعل "صهيب" هذا مع زوجته
"حبيبة" التي كادت أن تطير فرحًا وسعادةً بتلك الأجواء

حارة القناص

العائلية الدافئة التي كانت تفتقد لها طوال حياتها، كانت ترقص بلامبالاة وعشوائية لتجاربه، وهو يضحك بصخب على جنونها الذي يظهر ولأول مرة، انكشف الستار عن شخصية "حبيبة" الطفلة في بضعة دقائق قليلة، فأقسم من داخله بأن يجعل حياتها نعيمًا من بعد الآن ليرى ضحكتها السعيدة تلك.

أمسك بخصرها بعيدًا عن تجمهر الرجال ثم غنى مع كلمات الأغنية التي صدحت بصوت عالٍ:
_طيب وسطك وسطك وسط بلاستيك.. لما يشد الحبل
يأستك.. اللي شافك لو ما سمى..

نظر "صهيب" حوله بعد أن توقف عن الرقص لترتاح "حبيبة" قليلًا، ثم أردف بغیظ:
_الله يخربيتك يا "رائد" على بيت زوقك المعفن في الأغاني.

ارتدى "قاسم" على الأريكة بجانبه وهو يجفف عرقه الغزير، ثم تشدق ضاحكًا:
_ومالها الأغاني يا فضيل، هذا هو زوقي.

حارة القناص

طالعه "صهيب" من طرف عينه بإشمئزاز، قبل أن يهتف
قائلًا:

__بيئة.

التوى تُغر "قاسم" بإبتسامة جانبية ساخرة مُطالعًا إياه
بسخط، قبل أن يردف هامسًا:
__الله يرحم.. ولا بلاش.

كانت "أهلة" في ذلك الوقت تُحاول دفع ذراع "قاسم" من
حول كتفها لكنه لم يكن ليتركها حتى يأست وصاحت
ساخطة:

__يا "قاسم" وسّع إيدك بقى مينفعش كدا.

أجابها قائلًا:

__وإيه اللي منفعوش يا "هولا"؟! يا بت دا أنتِ مراتي يا
بت!

ردت عليه مُعاندة:

__ولو برضه.. هذا لا يجوز.

رد عليها ضاحكًا:

معلش خليه ينفع المرادي علشان خاطري.

ضحكت بخفة ثم هزت رأسها بياس من إصراره وعناده،
وبعدها حاولت معه مرة أخرى هاتفة وهي تنظر حولها
خشية من أن يراها أحد:

_يا "قاسم" بجد مش هينفع، افرض اتقفشنا؟!!

احتل السخط تعابير وجه "قاسم" ثم أجابها بتشنج:

_اتقفشنا؟! هو أنا واخدك من تحت الكوبري؟! بقولك إيه يا
"أهلة" اسكتي الله يكرمك._

وعلى الجانب الآخر.. كانت "سهيلة" ترقص مع جدتها
بمرح أثناء غنائها مع كلمات الأغنية التي تصدح عاليًا،
لكنها وبعد فترة طويلة من الرقص شعرت بالتعب والعطش
معًا، لذلك قررت الذهاب نحو المطبخ لإرتشاف القليل من
الماء، دلفت للداخل ثم أمسكت كوبًا من المياه وارتشفته
بعطش شديد، يبدو أن رقصها مع جدتها أتى معها بنتيجة
عكسية.

حارة القناص

استدارت للخروج؛ لكنها توقفت فجأة عندما وجدت "فور" يقف خلفها مباشرةً بإبتسامة متوترة، قطبت جبينها بتعجب من وجوده ثم تسألت:

__مالك يا "فور" واقف كدا ليه؟!!

ذلك "فور" رقبته بتوتر ثم سألها سؤال أبله لا يُلائم الوضع:

__كيف حالك يا فتاة؟!!

نظرت "سهيلة" حولها بضحك ثم أجابته مُستغربة:

__داخل ورايا المطبخ علشان تسألني عاملة إيه؟!!

توترت ملامح "فور" أثناء إجابته المُتلعثة:

__ها؟! لا.. أقصد أنه.. أريد أن أعطيك شيئاً ما..

أخفت "سهيلة" بسمتها على ملامح وجهه اللطيفة أثناء تلعثمه، وبعدها سألته بفضول:

__عايز تديني إيه؟!!

أخرج "فور" يده التي كان يُخفيها خلف ظهره؛ ليُخرج زهرة بيضاء خلابة قابضة للأنفاس ماسكًا إياها بين كفه الذي يمدده لها، ثم ختم المشهد بقوله:

رَأَيْتُكَ بَيْنَ الْوَرُودِ كَنَجْمَةٍ، فَحَسَبْتُكَ مِنْ جَمَالِهَا لَوْلَوْ
مَنْثُورٍ.

طالعه "سهيلة" بعدم تصديق أثناء ابتلاعها لريقها بصعوبة شديدة، إلتمعت الدموع داخل حدقتها من الصدمة والدهشة، وبات سؤالاً يورق تفكيرها؛ هل "فور" يُبادلها نفس المشاعر بالفعل كما يظهر بعيناه المُلتمة كخاصتها، أم أنها تتوهم حبه فقط؟!!

ووسط كل ذلك التفكير استمتعته يُكمل حديثه بابتسامة واسعة وهو يحثها على أخذ الزهرة:

شعرت بها وكأنها تُشبهك؛ لذلك اشتريتها لكِ على الفور،
تفضلي "هايلة".

مدت "سهيلة" يدها بتوتر لتلتقط الزهرة من بين يديه،
تزامنًا مع ازدياد تلك الطبول التي تفرع داخل فؤادها فرحًا

حارة القناص

وسعادةً، رفعت أنظارها تُطالعه بعشق ثم أردفت بصوتٍ
حاني:

_شكرًا يا "فور"، تسلم إيدك بجد.

رسم ابتسامه عريضة على شفثيه أثناء سؤاله المُترقب:
_هل أعجبتك؟!!

شدت "سهيلة" من ضمها للزهرة وهي تُجيبه سعيدة:
_عجبتني أوي أوي بجد.

_حسنًا.. توقي عن التحديق بي هكذا، أنا أخجل.

قال جُمَلته الأخيرة بخرج حقيقي عندما لاحظ نظرات
الإمتان التي تحوم داخل عيناها، لثُحمم هي بتوتر وضيق
من ذاتها لأنها انسأقت مُجددًا خلف مشاعرها، لذلك قررت
الذهاب من أمامه فأردفت:

_ا.. ط.. طيب عن إذنك بقى هخرج ليهم.

أفسح لها الطريق جاعلاً إياها تمر مُهرولة من أمامه وهو لاحقها بنظراته، وعقب رحيلها؛ زفر بضيق أثناء همسه لذاته بياس:

ما الذي فعلته بذاتك "فور"؟! ألا يكفيك ألمًا!

أردف بحديثه ثم اتجه نحو الخارج مُنضمًا للشباب ليرقص معهم، كان ينظر لهم بانتباه لعدة دقائق حتى تعلم بعض من حركاتهم المُبهرة بالنسبة له وبدأ في تقليدهم.

بينما "مهرائيل" تركت ذلك الجمع بعد أن حاولت إلهاء نفسها بالرقص والمرح لكن كل هذا لم يُساعدَها في نسيان ما مرت به، انسحبت من بينهم بهدوء ثم اتجعت نحو سطح المنزل لتتمتع بجلسة هادئة تُعيد بها تصفية ذهنها.

ضرب الهواء البارد وجهها مما جعلها تُغمض عيناها بإستمتاع، وبدون إرادة منها؛ وجدت دموعها تنهمر تلقائياً من مقلتاها ألمٍ وحسرةٍ على ما مرت به من أحداثٍ بشعة ومواقف سيئة من أبيها أُضيفت مُجدداً نحو القائمة السوداء في ملفه، جلست على المقعد الموضوع بجانب السور ثم شردت في السماء الغائمة، غائمة كحال قلبها الذي يُزهر أشواكاً بدلاً من الورود، هي كحال كثير من الأبناء كانت تنتظر أمًا حنونة وأب عطوف، لكن والدتها قد توفت وظلت

حارة القناص

تُعاني مرارة قسوة والدها، وهُنا تيقنت بأنها حُرمت من حقها الطبيعي، لذلك وبدون تفكير انفجرت في البكاء.

كانت شهقاتها حادة تُعكس مدى قوة آلامها الداخلية، لقد انطلقت من الخارج وتُحاول إضاءة الجميع بمرحها المُحبب للقلوب، لكن هي أيضًا تحتاج لمن يُضيئها، تحتاج لشخصٍ حنون يحتويها بكل ما بها، شخصٌ يتقبل مُميزاتها وإن كانت عيوبًا، وعلى الأغلب لن تجد ذلك الشخص بسهولة.

شعرت بمن يجلس على المقعد الذي جوارها بصمتٍ وهدوءٍ تام، نظر جانبها لتجد بأنه "ألبرت" الذي يشرد في السماء الغائمة مثلما كانت تفعل هي منذ قليل، لذلك سارعت بمسح دموعها حتى لا يراها، طالعها بطرف عينيه بسخرية ثم حوّل أنظاره للأعلى مُجددًا، لكن تلك المرة لم يصمت؛ بل تحدث قائلاً بابتسامة هادئة:

__بالمناسبة خصلتك القصيرة جميلة للغاية.

انتبهت له بكل حواسها، وبتلقائية شديدة قامت بوضع يدها على خصلتها التي تكاد أن تتلمس كتفها، ثم تسائلت بحزن:

__بجد ولا بتقولي كدا مُجاملة؟!!

أتاها رد "ألبرت" الهاديء متشدقًا:

_لست مُجبرًا على مجاملتك.

أومات له بهدوء أثناء اعتدالها في جلستها وعادت كما كانت مرةً أخرى، مرت حوالي خمس دقائق قبل أن يتسائل "ألبرت" بهدوء:

_مَن فعل بكِ هكذا؟!!

ابتلعت "مهرايل" تلك الغصة التي تشكلت في حلقها عقب سؤاله، لترد عليه بحشجة وصوتٍ ظهر به الكذب:
_مـ.. مفيش حد.. أنا كنت زهقانة فقصيت شعري.

التوى تُغر "ألبرت" بسخرية وهو يُجيبها:

_وهل الملل يجعلك تسددين اللكمات أيضًا لوجهك؟! هل تظنينني أبلها أم ماذا؟!!

لم تستطيع السيطرة على ذاتها، وكأنه بحديثه قام بالضغط على جرحها الذي لم يمر عليه سوى بضعة سويغات قليلة، هبطت دموعها بكثافة على وجهها الذي تحول إلى كُتلة

حارة القناص

حمراء، لتتحول هذه الدموع الصامته إلى شهقات ضعيفة،
غطت وجهها بكف يدها ثم بدأت في البكاء تنعي حظها الذي
رزقها أبًا كهذا، فأجابته بأسى دون التوقف عن البكاء:

_ كان نفسي يبقى ليا أب بيحبي.

طالعها "ألبرت" ببعض من اللين والشفقة، لذلك مدَّ يده
بتردد ثم وضعها على كتفها ليُربت عليها، وبعدها تشدق
بشroud:

_ أنا أيضًا كنت أتمنى أن تحبني والدتي.

توقفت "مهرايل" عن البكاء أثناء إبعادها لكفها عن
وجهها، وبعدها طالعته بنظرات حزينة قبل أن تردف
بمواساة:

_ متزعلش، أكيد الخير مستخبي لينا، أوقات الخير بيجي
على هيئة أشخاص بيعوضونا عن كل الوحش اللي مرينا
بيه.

ابتسم "ألبرت" بخفة عند سؤاله لها:

_ إذا لم كنت تبكين؟!!

زفرت "مهرايل" الهواء الذي سحبتة ثم أجابته بإحباط:

_ علشان أنا نفسييتي تعبت من كُتر التفكير، ولو مكنتش عيطت مكنتش هرتاح، أوقات بنكون عايزين نخرج اللي جوانا، واللي جوانا دا مش بيخرج غير بالعياط، علشان كدا متتكشفش إنك تعيط أو تعبر عن وجعك قدام حد.

شرد "ألبرت" في حديثها ولم ينفي أي كلمة مما قالتها، البكاء يُريح القلب بالفعل، لكن إظهاره ضعف، وهُنا حاول التذكر في آخر مرة بكى بها! وللسخرية لم يجد إجابة، فلقد أقسم على جعل نفسه فولادًا قويًا لا ينكسر لحماية أخواته، كان هو كبيرهم وهم صغاره، بعد هرب والدته ومقتل والده لم يكن لديهم أحد سواه، لذلك أصرَّ على التحمل.

زفر بضيق لتذكره لمثل تلك الأشياء الآن، فصاح بها مُستكرًا:

_ يا فتاة أنتِ مُزعجة حقًا لذلك توقفي عن الحديث.

طالعه "مهرايل" بأعين مُغتاظة وهي تُجيبه:

_ مش أنت اللي جاي ورايا ولا هو رمي جيت وخلص!؟

حارة القناص

هبَّ "ألبرت" من مجلسه أثناء هتافه الحائق:

_ها أنا سأذهب الآن قبل أن تبتلعني موجة أحزانك الغبية
تلك.

أدرف بحديثه؛ ثم ولأها ظهره وغادر تاركًا إياها تنظر لأثره
بغیظ، قبل أن تردف بإشمنزاز:

_إنسان قليل الذوق ومعدوش دم.

انتهى الحفل أخيرًا وعاد الجميع لمنازله، أنزل "قاسم"
زوجته أمام باب المنزل ثم أردف بوجوم:

_معلش يا "أهلة" اطلعي أنتِ وأنا ورايا شُغل وجايلك.

قطبت "أهلة" جبينها بتعجب وهي تسأله:

_شغل إيه في الوقت دا يا "قاسم"؟!!

رد عليها بهدوء عكس العاصفة التي تدور داخله:

_شغل في المستشفى، انزلي أنتِ واطلعي علشان متاخذيش
برد.

لم تريد الضغط عليه أكثر رغم أن الكذب يظهر بوضوح على
محياءه، فتركته على راحته خاصةً وأن الوجوم يُسيطر على

حالته، لذلك هبطت من السيارة ثم صعدت للأعلى كما طلبها، ورغم أنها صعد للطابق الثاني؛ إلا أنها استمعت إلى صوت احتكاك عجلات سيارته بالطريق، وبعدها انطلق بسرعة البرق إلى وجهته المقصودة.

وبعد عشرون دقيقة تقريبًا.. كان قد وصل إلى المكان الذي يُريده، والذي كان عبارة عن منزل صغير بطابق واحد لكنه مُجهز بأساس عالي، دلف إلى الداخل ليجد أن جميع الشباب ينتظرونه بالداخل بما فيهم "ألبرت" وأخواته، وعلى الأريكة العريضة تجلس "يمنى" التي كانت نظراتها تائهة كالغريق.

وما إن أبصرها "قاسم" حتى هرول إليها مُمسكًا إياها من تلابيبها يصرخ بها بشر وقد أعمى الغضب بصيرته:

_ أنتِ بني آدمة غبية ومبتفهميش، فهميني إزاي تعملي كدا؟! إزاي تتصرفي من دماغك كدا وتروحي بكل برود وتقتليه؟! أنتِ عارفة بعملتك دي عملتي فينا إيه؟! أنتِ بوظتيننا كل حاجة إحنا كنا مخططين ليها.

رفعت "يمنى" أنظارها التائهة إليها ثم تمتعت بعدم تصديق وصدمة مازالت تؤثر على عقلها:

_ كان مفهمني إنه بيحبني وهو كان بيستغفني.. أنا.. أنا
مستاهلتش منه كدا يا "قاسم".. مستاهلش كدا لا منه ولا
من غيره، هو.. هو ضحك عليا واستغفني.

_ تقومي تقتليه؟!!!

صرخ بها باهتياج، لثجيبه بنفس الشدة والغضب
والهستيريا:

_ وأشرب من دمه، أنت مش عارف أنا اتأذيت
أزاي.. مش عارف أنا مریت بايه علشان تتكلم كدا، "يحيى"
كان أول واحدة أظهرله ضعفي، ورغم كدا استغفني.. بس
أنا مسكتش.. أنا مش ندمانة.. سامعني!! مش ندمانة.

ذهب "صهيب" مُسرِعًا نحو "قاسم" ليُبعده عن "يمنى"
قبل أن يفقد زمام الأمور ويُقدم على فعل مُتهور يندم عليه
لبقية حياته، لذلك سحبه خلفه بصعوبة أثناء قوله الحازم:

_ خلاص تعالى معايا يا "قاسم" وهدّي نفسك.

ابتعد "قاسم" عنها بعد أن دفعها، ليُمسك بشيءٍ مُزخرف
ويقذفه بقوة على الحائط لينفث عن غضبه بدلًا من أن
يقذفها في رأسها هي ويُنتهي على حياتها بسبب تهورها
وغباؤها الغير مسبوق.

عمّ الصمت في المكان لدقائق، قبل أن يقطعه "ألبرت"
بقوله الهاديء:

__ حدث ما حدث "قاسم"، علينا الآن أخذ الخطوة الثالثة.

استدار له "قاسم" بملامح وجه مُقتضبة، ثم أردف بوجوم:
__ مش فايق دلوقتي أفكر في أي حاجة.

أنهى كلماته ثم إلتف نحو "يمنى" أمرًا إياها بحدة:
__ وأنتِ قومي فزي معايا.

طالعه "يمنى" بمعالم خاوية قبل أن تقف من مكانها وتذهب
خلفه للحاق بخطواته السريعة، وطيلة الطريق لم يتحدث أي
منهم بأي كلمة، بل كان الجو السائد هو الصمت.

مر الليل الطويل الحزين الكئيب على الجميع، وصدحت
الشمس التي غطاها السحاب وكأنها تنعي أصحاب القلوب
الحزينة عن رسم بهجتها اليوم تعازيًا لأفئدتهم المنكسرة.

تقلبت "أهلة" في نومتها بأرق وبعدها فتحت عيناها بنعاث واضح، لم تجد "قاسم" بجانبها رغم أن الساعة لم تتعدى حتى الآن الثامنة صباحًا، لذلك وقفت من مضجعتها بتكاسل ثم خرجت من الغرفة للبحث عنه في جميع الغرف، وللعجب لم تجد له أي أثر.

تعجبت في البداية من ذهابه دون أن يُخبرها لكنها هزت كتفها بلامبالاة ثم دلفت إلى المرحاض لتغتسل، وبعدها عادت لغرفتها مُجددًا لتبدأ في تبديل ثيابها من ملابس بيتية إلى ملابس أخرى تليق بخروجها.

تجهزت "أهلة" على أتم الاستعداد ثم هبطت للأسفل بعد أن أرسلت رسالة لـ "قاسم" تُعلمه فيها بخروجها، وبعدها اتجهت بسيارتها نحو وجهتها، والوجهة المقصودة هي الجريدة.

هبطت من سيارتها ببطئ وهدوء خاص بها، لم يستطيع أحد حتى الآن بمواكبة غرورها أو تكبرها، وهي لم تنفك عن إظهار هذا للجميع، وضعت نظارتها الشمسية على عيناها ثم دلفت إلى البهو أثناء طرقها بكعب حذاءها على الأرض

السيراميكية اللامعة، وبعدها صعدت للأعلى حيث الطابق الذي تريد.

وصلت "أهلة" إلى الطابق الموجود به مكتبها أولاً ثم اتجهت نحو "رضا" والمسؤول عن طبع ونشر الأخبار، دلفت إلى مكتبها ولم تدعه يُرحب بوصولها؛ حتى أخرجت الخبر المكتوب من حقيبتها ثم أعطته له قائلة ببرود:

الخبر يتطبع ويتنشر على بكرة الصباح ومش عايزة غلطة.

أنهت حديثها ثم خرجت تاركة الآخر يبتلع ريقه ببرعب مما هو قادم، والآن ستتجه نحو جهتها الأخرى، وهي مكتب "ضياء"! سارت بممر مكتبه حتى وصلت إليه وكالعادة لم تُتعب ذاتها بطرق باب المكتب قبل الولوج، لذلك دلفت دون الإستئذان.

انتفض "ضياء" من مضجعه عقب فعلتها تلك، لتتحدث هي بعدها بسخرية:

توتوتو مالك بس يا "ضياء" بيه؟!!

ارتسم الإنفعال على وجه "ضياء" الذي صاح غاضباً وهو يلتفت حول مكتبه للوقوف أمامها:

حارة القناص

ـ أنتِ اتجننتي؟! إزاي تدخلني بالطريقة دي؟!!

لم تعير لحديثه أي إهتمام، بل استرسلت حديثها قائلة بمكر:
ـ كنت جاية بس أعزيك في "أروى" السكرتيرة بتاعتك، إلا
قولي يا "ضياء"؟! هما لسه موصلوش للحيوان اللي عمل
كدا؟!!

احتدت عينيّ "ضياء" بغضب هائل من النادر ظهوره،
ورغم ذلك لم يُحرك بـ "أهله" أي ذرّة من الخوف أوي
القلق، أرجعت خصلاتها للخلف ثم تشدقت بنبرة ساخرة
بعدما استطاعت تنفيذ ما تُريد وإشعال غضبه:

ـ استأذن أنا بقى أصل ورايا حاجات أهم منك.

وبالفعل استدارت وسارت عدة خطوات نحو الخارج، لكنها
توقفت صارخة بفرع عندما هجم عليها من الخلف بمفاجأة
ماسكًا إياها من خصلات شعرها من الخلف، ثم اقترب من
أذنها هامسًا بفحيح:

ـ أنتِ راحة فين يا حلوة؟! وأنتِ مفكرة دخول الحمام زي
خروجه؟!!

#يُتْبَع.

#حارة_القناص

يومياً بيزداد إيماني بمقولة (إنما المرءُ بقلبه!)
لونك، شكك، لبسك، تعليمك، فكرك، إنجازاتك العلمية
والأكاديمية، حاصل جمعها صفر لو اجتمعت بقلبٍ قبيح
ونوايا رديئة.
(إلا من أتى الله بقلبٍ سليم).. "فإن سَلِمَ القلب؛ سَلِمَت
الصدور والنوايا، وصلاح سائر الجسد كله".

#الفصل_الثلاثون.

#حارة_القناص.

#أريدها.

يوجد هنا؛ حيث أقصى يسار صدرك مُضغّة تشعر بانفعالات
جسدك، جزءٌ ينبض لأجل الحياة، شيءٌ يجعلك تُقاوم
الضرر، لكن أحياناً تكون تلك المُضغّة فارغة جافة، أحياناً
تشعر وأحياناً أخرى تكون صلبة جامدة، أحياناً تُزهر
وأخرى تذبذب، تُشبه الفصول الأربعة وتتغير حالتها حسب
الأجواء المُحيطة بها، لذلك عليك البقاء دائماً في المكان
الذي يُزهر به فؤادك، فإن لفؤادك عليك بحق.

تلك الليلة التي مضت كانت من أسوء الليالي التي مرت
عليها في حياتها، فالأولى عندما رأت مقتل والدها بعينيها،

والثانية عند قتلها لأول من نبض القلب لأجله، انزوت
"يمنى" على فراشها تضم ركبتيها لصدرها وهي تهتز
بحركات خفيفة بطيئة، تزامناً مع هبوط دمعاتها الحارقة بلا
هوادة، تشعر بعبراتها كنيران تهبط على فؤادها لتلتهمه
بقسوة، وكأنها تُعاتبها على فعلتها الشنيعة التي أقدمت على
فعلها، اعتدلت في جلستها مُتربعة ثم نظرت لكفيها
الممدودتان أمامها، طالعتهما بنظرات فارغة وكان عقلها
الصغير لا يستوعب حتى الآن ما فعلته! أغلقت جفناها بقوة
لتحبس الدموع داخل مقلتها لكنها لم تستطيع كتم شهقاتها،
وتلك المرة تركت زمام الأمور لتسير وحدها، حيث ارتفع
صوت بكاؤها عالياً لتصرخ بقهرة تمكنت من أوردتها، ظلت
تضرب على فؤادها الصارخ بعشقه رغم خيانتته، لتُصيبها
حالة من الهستيريا الغريبة التي لم تأتي لها سوى مرة
واحدة، وكأنها بفعلتها الحمقاء تلك ستُجبر فؤادها على
إخراجه ونسيانه.

فُتح باب الغرفة لتدلف منه "ملك" التي ما إن استمعت
لصوت صُراخها حتى هرولت إليها، وبعدها دلفت والدتها
"نبيلة" التي فزعت من صُراخ ابنتها بهذا الشكل، وما
أصابها بالشلل المؤقت هي حالتها المُهتاجة التي تصرخ بها
وضربها على صدرها بتلك الطريقة المُفرعة.

جلست "ملك" أمام شقيقتها التي كانت مُستمرّة في الصراخ بهستيريا، وكأن هذا الحدث كان كالقشة التي قسمت ظهر البعير المُتماسك، لكن هي كُسِرت بقسوة، جُرِحَتْ وجُرِحها لن يلتئم بسهولة، بل ومن الممكن ألا يلتئم مُطلقاً!

بكت "ملك" على حالة شقيقتها التي تدفعها كلما حاولت الإقتراب منها، لتقترب مرة أخرى لكن تلك المرة قد فرضت سيطرتها عليها مُستغلة ضعفها بسبب الصرخات ثم احتضنها بقوة، استسلمت "يمنى" لأحضانها لكن صراخها لم يقل، مما أدى انفجار "ملك" في البكاء والتي حاولت بشتى الطرق تهدأتها، لكن الأخرى لا تستجيب لها وكأنها لا تسمعها من الأساس!.

استدارت "ملك" نحو والدتها التي تُطالع حالة ابنتها بصدمة جلية على معالمها، ثم استجدت بها قائلة بصراخ:
_كلمي "أهله" بسرعة يا ماما.

استفاقت "نبيلة" من دهشتها ثم هزت رأسها عدة مرات وهي توميء لها بالإيجاب، ثم هرولت نحو الخارج للبحث عن هاتفها والإتصال بابنتها الأخرى، بينما احتضنت "ملك" شقيقتها بكل قوتها وهي تهزها في محاولة منها لإفاقتها، أثناء انهيارها الباكي على حالتها:

حارة القناص

_مالك يا "يمنى" فوقى، فوقى علشان خاطري ومتخوفنيش
عليك.

بينما "يمنى" كانت في عالمها الآخر، حيث هي وهو فقط،
تتذكر كل مزاحه، ضحكاته، حديثه، وإعترافه بعشقه، وكل
الذكريات الجميلة التي وُشِمت بفؤادها تُعرض أمامها
كشريط سينمائي لا يُزيدها سوى ألمًا وصراخًا:

"أنا بحبك يا "يمنى"، بحبك أوي"

"أنتِ الحاجة الوحيدة الحلوة في حياتي"

"أنتِ تستحقي كل الحلو اللي في الدنيا يا "يمنى"."

"هنلعب دلوقتي لعبة.. هنحط المخدة دي على وش واحد
فينا لمدة دقيقة، واللي هيموت هيبقى هو الخسران،
ودلوقتي هنبدا بـ"يمنى"."

"إيه دا أنتِ عينيكَ عسلي؟! أصل العيون العسلي دي
بيتنال فيها شعر راقى ونضيف".

"أنا بحبك".

"_بتحبني يا "يحيى"؟!!

_بحبك أكثر من أي حاجة، حتى أكثر من نفسي"

وكان هذا آخر حديث يدور بينهم قبل أن تقوم بطعنه ثلاث طعنات بكل غل في معدته.

وعند تلك النقطة؛ انهارت باكياً أكثر وهي تصرخ بهستيرياً ودون وعي:

_ليه!! ليه يحصل فيا كدا ليه!! يارب..
يارب خُذني يارب.. آاااه.

تعالت شهقات "ملك" أكثر التي صرخت بإنهيار:

_بسرعة يا ماما... فوقي يا "يمنى" علشان
خاطري فوقي.

لكنها لم تستجيب لها أيضاً، بل حاولت التملص من بين يديها للوقوف، وبالطبع لم تسمح لها "ملك" حتى لا تقوم بأي فعل متهور تؤذي به حياتها، وبعد عدة محاولات من

الأخرى؛ سقط جسدها هامداً على جسد "ملك" التي صاحت
بصراخ:

_"يمني"!!!"

خوف.. كلمة مكونة من ثلاث حروفٍ اجتمعت لتُشكّل صفة
ليست موجودة بقاموس "أهلة حرم قاسم طاحون".

أغمضت "أهلة" عيناها تجز على أسنانها بألم عقب هجوم
"ضياء" المُباغت عليها من الخلف ليُمسكها من خصلاتها،
احتدمت عيناها بغضب عقب فعلته وبالطبع لم تشعر ولو
بذرة واحدة من الخوف، استمعت إلى أنفاسه القريبة من
أذنها، والذي بدوره أردف بحقد:

_"حسابك معايا بيتقل كل يوم أكثر من اللي قبله، والنهاردة
أنت جيبتي أخرك معايا."

سيطر الإشمزاز على محياها من قُربه المقرف لها، وهو
تمتع بروئيتها تتعذب من اقترابه، لطالما تعمد عن قصد
لمسها حتى يرى نظرات الإشمزاز والضيق على وجهها،
وها قد جاءت فرصته الآن على طبق من ذهب، اقترب أكثر

حارة القناص

ليلفح بأنفاسه الساخنة بشرة وجهها ثم همس مُتسائلاً
بشماتة:

إيه؟! قرفانة!

_أه قرفانة، وأهو قرف بقرف مش هخلي في اللي خلفك
حتة سليمة_

قالت جُمَلتها ثم أمسكت بيده المُمشددة على خصلاتها ثم
لوتها بحركة بارعة جاعلة إياه يصرخ من الألم، ليُصبح
الوضع معكوساً الآن، "ضياء" هو مَنْ يصرخ أسفل يد
"أهلة" التي تضغط على ذراعه حتى كاد أن ينكسر، وبحقد
قامت بضربه بركبتها في قدمه من الخلف أدت إلى سقوطه
راكعاً أمامها، وبعدها همست قائلة بفحيح:

مش أنا اللي يتلوي دراعي من كلب زيك

قالتها ثم وقفت أمامه ضاربة بركبتها عظمة أنفه من الأمام
مما أدى إلى صراخه الهستيري بسبب الألم، طالعتة
بإستحقار ثم انحنت قليلاً أمام وجهه مُردفة بشر:

_فكرك لما تضربني أنا هسكتك؟! مفكرني "أهلة" بتاعة
زمان اللي بتخاف منك؟!_

وفي تلك اللحظة كان "قاسم" يقف أمام باب المكتب يكاد أن يطرقه، لكن توقفت يده في الهواء عندما استمع إلى حديث "أهلة" في الداخل، اشتعلت عيناه بالغضب مما يسمع الآن، وعلى بغتة قام بفتح الباب بهمجية دون أن يطرق، ليجد وجه المدعو "ضياء" ينزف من أنفه ويجلس كالذليل أمام زوجته البريئة.

رفعت "أهلة" رأسها وكذلك استدار "ضياء" بألم، لتتحدث "أهلة" بدهشة شديدة قبل أن تهمس اسمه بصدمة:
_ "قاسم"؟!!

اقترب "قاسم" من كليهما بجمود وعيناه لا تُرفع من على وجه "ضياء" المقيت، ووبرود شديد سألها:
_ خلصتي وخذتي حسابك منه؟!!

ابتلعت "أهلة" ريقها بريئة، ثم وبيبطن أومات له بالإيجاب، ليلين وجهه لها قبل أن يقترب منها وينحني على وجهها ليُقبله بحنان شديد، وبعدها اعتدل مُخرجًا من جيب بنطاله مفاتيح سيارته قائلاً بود:

_ حيث كذا بقي خُدي مفتاح العربية واستتيني فيها لحد ما أتناقش مع الأستاذ "ضياء" بكل هدوء ورُقي.

طالعه "أهلة" بقلق من أفعاله الجنونية التي من الممكن أن تتسبب في مقتل الآخر، لذلك فتحت فمها للإعتراض؛ فوجدته يدفعها للخارج بهدوء قائلاً:

_يلا بسرعة بقي متعطّنينش، وهتلاقي في صندوق العربية شيكولاتة اتسلي فيها لحد ما أتسلي أنا كمان.

تفوه بجملته ثم أغلق الباب بوجهها أثناء ابتسامته الهادئة لها، وبعدها استدار لـ "ضياء" الذي كاد أن يذوب من الخوف والفرع، ليُشمر "قاسم" عن ساعديه أثناء ابتسامته المُختلة:

_ودلوقتي أنا وأنت هناخد ونِدي بشكل وِدي مع بعض.

بينما اتجهت "أهلة" نحو الأسفل بالفعل، لكن توجهت أولاً إلى المرحاض! وقفت أمام المراة العريضة تُحاول ضبط أنفاسها السريعة، أمسكت بسائل الإستحمام ثم سكبت منه كمية كبيرة على يديها، ظلت تفركهما بقوة وعقلها يُعيد لها مشاهد لمس "ضياء" لها بالأعلى، ووسط تلك التداخلات تقيأت ما في جوفها بالكامل، حاولت مرارًا وتكرارًا أن تتحمل لكن رغماً عنها كان اشمنزازها يُسيطر عليها.

بعد عدة ثواني أخرى؛ استندت على الحوض وهي تنهج بقوة، فقامت بغسل يديها مُجددًا وكذلك وجهها، ثم التقطت عدة مناديل ورقية لتُجفف بها يدها ووجهها المُبلان.

انتظرت ثواني أخرى حتى تضبط انفعالاتها، ثم وبترفع خرجت من المرحاض تطرق بكل ثقة على الأرض السيراميكة اللامعة بكعب حذاءها العالي، وتلك هي عاداتها منذ الصغر، تُظهر القوة والغرور للجميع وهي بالأساس ضعيفة هشة تحتاج لمن يُداويها.

وأثناء هبوطها؛ وجدت الموظفين بالشركة يُهرولون نحو الأعلى بسبب استماعهم لصوت صراخ مديرهم الحقير في الأعلى، لتتشكل ابتسامة واسعة على ثغرها وهي تتخيل ما فعله "قاسم" به، وبعدها همست بضحك:

كفاءة.

الحب ينتج عن الإحتواء، الإحترام، التقدير، والحنان، وهو لم يتوانى لثانية واحدة عن تقديم كل هذا لها، كانت ضعيفة مُنكسرة وهو ضد جروحها، تعامله معها وكأنها صغيرته كان يزرع من الحب بذور صغيرة بدأت بالنمو تدريجيًا نتيجة لأفعاله، والآن هي مُطالبة برد هذا الجميل له.

حارة القناص

جلست "حبيبة" على الفراش تقضم أظافرها بتوتر وهي
تتذكر كل وصايا "أهلة" وتعليماتها، نظرت لـ "صهيب"
النائم بخجل وداخلها يُخبرها على الإقدام، نفخت "حبيبة"
بغیظ وهي تهمس داخلها:

_حرام عليك يا "أهلة"، إيه اللي أنتِ عايزاني أعمله دا
بس!_

سحبت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل وهي تهمس لذاتها
بتشجيع:

يلا يا "حبيبة" أنتِ قدها

وفي ثوانٍ كانت تتراجع أثناء همسها الباكي:

لأ أنا مش قدها

وكل هذا كان "صهيب" يُتابعها أثناء إدّعائه للنوم، ومن
داخله يتوق شوقًا لمعرفة ما علمته تلك الشيطانة المدعوة
بـ "أهلة" لزوجته البريئة.

حممت "حبيبة" بشجاعة زائفة، ثم اقتربت بركبتها حتى
وصلت إلى جواره مباشرةً، وبيبطي ملحوظ انحنت "حبيبة"

حارة القناص

على وجهه ثم قبلته قبلة رقيقة على وجنته وبعدها ابتعدت
مُسرة عنه وعن الفراش بأكمله!

وقفت "حبيبة" بعيدًا وتحديدًا بجانب باب الغرفة! حتى أنها
وضعت يدها على شفثيها وكأنها مصدومة مما فعلته للتو!
وبصدمة خرجت من الغرفة نهائيًا وهي تبكي أثناء تعنيفها
العنيف لذاتها:

_يالهوي يالهوي يا فضيحتي إيه اللي أنا عملته دا؟! هيقول
عليا إيه دلوقتي لو كان حَس بيا!؟

جلست على الأريكة تدفن وجهها الصغير داخل كفها، ثم
همست بصوت مسموع نسبيًا:

_ياربي! حرام عليك يا "أهلة"، ربنا يسامحك أنتِ اللي
وزتيني.

_و"أهلة" وزتك على إيه يا بسكوتة!؟

انتفضت "حبيبة" بصراخ مُبتعدة إلى آخر الأريكة، بينما
نظر "صهيب" لها ببراءة وهو يتسائل:

_مالك يا بسكوتة اتخضيتي ليه!؟

حارة القناص

تسألت "حبيبة" بفرع قائلة:

_ أنت.. أنت كنت صاحي من إمتي؟!!

أجابها "صهيب" مُتصنَعًا التثاؤب:

_ لسه صاحي دلوقتي.. مش هتقوليلي برضه "أهله" وَزَتَك
على إيه؟!!

اعتدلت "حبيبة" في جلستها ثم شبكت كفيها معًا، لُتُجيبه
بتوتر قائلة:

_ ها.. لأ.. لأ أنا مقولتش حاجة.

كتم "صهيب" ضحكته بصعوبة بالغة على توترها، وبعدها
أردف بحالمية زائفة:

_ ياه يا بسكوتة، أما أنا حلمت حلم!

ابتلعت "حبيبة" ريقها بتلعثم وهي تسأله بريية:

_ حلمت بايه؟!!

طالعها "صهيب" بنظرات شغوفة أثناء اقترابه منها أكثر:

حارة القناص

__حلمت إنك بوستيني من وشي.

هبت "حببية" من مكانها برعب أثناء نفيها لما قاله بسرعة
شديدة وكأنها فعلت كبيرة لا يمكن غفرها:

__يالهوري! لأ طبعًا لأ.. مش أنا اللي أعمل كدا.. لأ.. قصدي..
أكيد يعني كنت بتحلم.. آه صح أنت كنت بتحلم.

عض "صهيب" على شفثيه حتى لا تنفلت منه ابتسامه
رغمًا عنه، وبعدها أردف بتعجب:

__أيوا ما أنا عارف إنه حلم يا بسكوتة مالك اتوترتي كدا
ليه؟!!

استفاقت "حببية" لذاتها؛ فهولت تجلس على الأريكة وهي
تتصنع الجدية، ثم أردفت بتلعثم:

__ها!! لأ متوترتش ولا حاجة.. أنا.. أنا هقوم أعمل أكل بقى
علشان نفطر.

قالت جملتها ثم هولت من أمامه ركوضًا، وبعد أن سارت
عدة خطوات وصلها صوت "صهيب" العابث:

__بس أنتِ مش بتعرفي تطبخي يا بسكوتة!

حارة القناص

أغمضت "حبيبة" عيناها بتذكر، ثم جرت على أسنانها بغيظ
من بلاهتها، وبعدها استدارت له مُتحدثة ببلاهة:
_ ما.. ما أنا كنت هجرب يا "صهيب".

أوما لها "صهيب" مُتصنعا اللامبالاة، ثم تشدق بحماس:
_ وأنا هستنى أدوق أكلك يا قلب "صهيب"، يلا انطقي.

فرغت "حبيبة" فاهها ببلاهة من المأزق الذي وضعت ذاتها
به، وعندما طال وقوفها؛ استمعت إلى صوت "صهيب"
المتسائل بتعجب:

_ مالك يا بسكوتة واقفة كدا ليه؟! يلا روجي اعلمي الأكل
علشان أنا جعان.

ابتلعت "حبيبة" ريقها بريبة، وبتوتر واضح أومأت له
بالإيجاب قبل أن تدلف إلى المطبخ وهي تكاد أن تصفع ذاتها
على غبائها الذي أوقعها في فخ هي فاعلته.

وبالخارج.. جلس "صهيب" براحة على الأريكة أثناء نظره
للتلفاز، وبهيام واضح وضعت يده على وجنته التي قبلتها
"حبيبة"، ثم تشدق بحالمية:

_بركاتك يا شيخة "أهلة".

كانت "أهلة" تجلس داخل السيارة الخاصة بـ"قاسم"
وأمامها الصندوق المليء بالحلوى تأكل منه بتلذذ، تزامناً
مع صدوح صوت المُسجل الذي يصدر بإحدى الأغاني
الرومانسية وهي تُندن معه بغناء:

_دائماً دمـوع دمـوع دمـوع... آااه دائماً
دمـوع دمـوع...

قاطع غناؤها "قاسم" الذي صعد بجانبها، وصوته المُستنكر
يصعد بتهكم:

_خدتي عزايا ولا لسه؟!!

ضحكت أثناء تناولها لقطعة أخرى من الحلوى ثم أجابته
نافية:

_لأ لسه بعيد الشر عليك، بس أنا بحب أسمع أغاني
رومانسية وأنا قاعدة لوحدي.

_أغاني رو.. إيه ياختي?!!

حارة القناص

سألها بتشنج، لتتعالى ضحكاتهما داخل السيارة بصخب،
انتقلت له ضحكاتهما ليبتسم تلقائياً أثناء انطلاقه بالسيارة،
سيطرت على ذاتها بعد ثوانٍ ثم أجابته مُفسرة:

_ أصل بجد الأغنية دي بحبها أوي وبعتبرها من الأغاني
الرومانسية، مش عارفة ليه الناس بياخدوها على أساس
إن هي حزينة!

التوى ثغره بسخرية وهو يُجيبها:

_ مش يمكن علشان بيّفهموا مثلاً؟!

جعدت وجهها وها قد بدا الضيق يُسيطر على محياها، ثم
سألته بحنق أثناء وضعها لقطعة كبيرة أخرى من الحلوى
داخل فمها:

_ والله؟! تقصد إيه بقى إن شاء الله؟!

نظر إليها مشدوهاً تارةً، وتارةً أخرى ينظر إلى صندوق
السيارة الذي كان مملوئاً بالحلوى، ولسوء الحظ أنه كان!
فتح "قاسم" فمه مُتحدثاً بصدمة أثناء إشارته بسبابته نحو
الصندوق الفارغ نسبياً:

_ فين الشيكولاتة اللي كانت هنا؟!

حارة القناص

ابتلعت "أهلة" ما في جوفها، ثم رسمت على وجهها
ابتسامة بلهاء وهي تُجيبه بجهل أحق:

_مش عارفة.

_مش عارفة؟!!

رددتها "قاسم" بإستنكار تزامناً مع إحتكاك إطارات السيارة
بالأرض الأسفلتية ليتوقف على الفور، صرخت "أهلة"
بفزع لقرب اصطدام رأسها بالزجاج الذي أمامها، فاستدارت
له موبخة إياه:

_إيه الجنان دا يا "قاسم"?!!

لم يُعير "قاسم" لصراخها أي إهتمام، بل أمسك بها من
وجهها ليُقربها منه أكثر، ثم ضغط بإصبعي سبابته وإبهامه
على فكها جاعلاً إياها تفتح فمها رغماً عنها، تأوهت
"أهلة" بحدة بينما هو تسائل وهو ينظر في الداخل:

_كلتي الشيكولاتة كلها يا طفسة يا مفجوعة؟! هيجيك
السكر وتهبطي مني ومش هعرف الحقك ياللي منك لله!

حارة القناص

غرزت "أهلة" أظافرها في كفه لتجعله يخف من ضغطه قليلاً، ثم أمسكت به من يده لتغرز أسنانها بها مما جعله يصرخ مُتأوها بصراخ أثناء إمساكه لها من خصلاتها:

_ ورب محمد لو ما سييتي دلوقتي هخلع شعرك في أيدي.

ابتعدت عنه "أهلة" بعد ما دفعته بوجه محمر من الغضب، ثم صاحت به بضيق:

_ متكلمنيش تاني لو سمحت يا "قاسم" علشان أنت هزارك بيقلب بغباء.

طالعتها "قاسم" بسخط قبل أن يأمرها بصرامة:

_ انزلي رجعي كل اللي أنتِ كلتيه يا "أهلة".

رمشت "أهلة" عدة مرات بصدمة قبل أن تتسائل باندعاش:

_ نعم؟! أنت بتقول إيه؟! للدرجادي مستخسر فيا الشيكولاتة اللي أنا كلتها!؟

ضرب "قاسم" على المقود بغضب قبل أن يتشدد قائلاً بحدة:

__ مستخسر إيه يا بنتي أنت بتفكري إزاي؟! أنتِ واكله كيلو
ونص شيكولاتة في تلت ساعة وتقولي مستخسر فيك؟! أنتِ
ممكن في أي لحظة تدخل في غيبوبة سكر بسبب غبائك دا.

رَبعت "أهلة" عن ذراعيها واحتل الضيق معالمها ولم
تُجيبه، زفر "قاسم" بغيظ من عنادها وحاول الهدوء والثبات
قليلاً، وبعد عدة دقائق من الصمت المُتبادل بين الاثنين؛
خرج "قاسم" عن صمته أمرًا إياها مرة أخرى بصرامة
أشد:

__ مش هكرر كلامي تاني يا "أهلة" اخلصي.

كانت "أهلة" قد بدأت تشعر بالدوار بالفعل بسبب كمية
السُكريات التي دخلت جسدها دُفعة واحدةً، لذلك هبطت من
السيارة بهدوء دون أن تُجادله أكثر مما جعل "قاسم" يتيقن
بإصابتها بالدوار وهبوط في الدورة الدموية، انزوت "أهلة"
في أحد الأركان ثم أخرجت كل ما في جوفها، والذي كان
عبارة عن حلوى بُنية اللون فقط، ابتعدت قليلاً واستندت
على أحد الحوائط بعدما انتهت من تقيؤها، لتشعر بيد
"قاسم" تجذبها له، وباليدين الأخرى يُمسك بالمناديل الورقية
ليمسح به فمها، وبعدها تحدث مُعاتبًا إياها:

__ ما أنتِ لو تسمعي كلامي من غير جدال وخناق هيجراك
حاجة أنا عارف.

ضربته على معدته بحنق ثم تحدثت بتحشرج:
__ متكلمش معايا قولتلك علشان أنت مستفز.

ضحك بخفة قائلاً:

__ حاضر.. يلا علشان نمشي بقى.

سارت معه حتى وصلا إلى السيارة، لتصعد "أهلة" أولاً،
وبعدها استدار "قاسم" وصعد بالمقعد الذي يجاورها،
نظرت له بترفع من طرف عينها ثم حوّلت أنظارها إلى
الجهة الأخرى عندمابادلها النظرات بأخرى ضاحكة،
وبعدها انطلقوا بالسيارة إلى منزلهم.

ظلوا فترة طويلة صامتين لكن قاطع صمتهم صوت هاتف
"قاسم" الذي ارتفع يرن صداه في الأرجاء، نظر "قاسم"
لشاشته فوجد اسم "ملك" يُزين شاشته، ليقطب جبينه
بتعجب قبل أن يُجيب بهدوء:

__ ألو يا "ملك"!

انتبهت "أهله" على ذكر اسم شقيقتها؛ لتعتدل في جلستها
ناظرة إلى وجه "قاسم" الذي يتحول من الهدوء إلى الوجود
تدرجياً، وأخيراً تحدث قائلاً:

_ طيب تمام إهدى وأنا جاي حالاً، قوليلي العنوان بس.

استمع لها "قاسم" لثوانٍ، ثم أغلق بعدها الهاتف وهو يزفر
بضيق، لذلك تسائلت "أهله" بقلق:

_ مالها "ملك" يا "قاسم" بتتصل بيك ليه؟!!

أجابها "قاسم" بسرعة ودون مراوغة:

_ "يمنى" أختك تعبت ومحجوزة في المستشفى.

تم نقل "يمنى" إلى إحدى المشفيات الحكومية لكن حديثة
بعض الشيء، تم حقنها بمُهديء فقدت على أثره قوتها لكن
مازالت في حالة وعيها، كانت شاردة في السقف ولا تشعر
بما يدور حولها من أحداث، لا تسمع سوى صوت همهمات
خفيفة وبدأت بالإختفاء تدرجياً، وإلى هنا لم يتركها عقلها

لتستريح ولو لثانية، بل ظل يُعيد لها ذكرياتها مع معشوقها
الخائن الذي وهبته ثقته، وهو جاء بكل براعة وحطم
روحها المُتعلقة به.

اعتدلت بوهن على الفراش ثم ضمت ركبتيها لصدرها أثناء
دفنها لوجهها بين قدميها، فعلت ذلك وكأنها تختفي عن
العالم وتذهب بعالمها الخاص، لكنها شعرت بيد دافئة توضع
على كتفها، ويبطئ شديد وقلب خافق قامت برفع وجهها
لترى صاحب تلك اليد، وما إن رفعت حدقتها؛ وجدته هو
بإبتسامته المُشاكسة الشغوفة التي أوقعها في عشقه،
لتهمس اسمه بصدمة:

_"يحيى"؟!"

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغرها ثم اعتدلت في مضجعتها
بسرعة، وما كادت أن ترتمي في أحضانه؛ حتى وجدت طيفه
يتلاشى شيئاً فشيئاً من أمامها، ومعه تلاشت ابتسامتها
السعيدة واحتل الألم وجهها مُجدداً!

وهنا صدحت صوت كلمات أغنية مجهولة المصدر زادت من
وجعها أضعافاً:

حارة القناص

_مش هنساك علشان خلّيتني.. أعشق نارك وأنت فايتني..
بعد الحب دا كله تقولي.. هو دا قلبي وهو قراره!

ارتعشت شفّتها مُهددة إياها ببكاء جديد، وبالفعل ما هي إلا
ثواني ودخلت في موجة من البكاء العنيف، وكأن البكاء
أصبح الصديق الصدوق لها في فترتها الأخيرة! ووسط كل
هذا الحزن والألم استمعت إلى صوت رجولي يأتي من
جانبها يسألها:

_مالك يا آنسة أنا متدغدغ مش قادر أقوم.

توقفت "يمنى" عن البكاء، ثم وجهت أنظارها لمصدر
الصوت لتجد رجل يتمدد على فراش آخر بجانبها يده وقدمه
اليسرى مكسورتان، تعجبت "يمنى" كثيرًا من وجوده،
لتجده يتسائل بمسكنة:

_كنت بتعيطي ليه؟! أكونشي اتقفشتي وأنت بتسرقني بط
"أم عزت" زيي؟!!

قطبت جبينها بعدم فهم وهي تُردد جملته بصوتٍ مبحوح:

_بط "أم عزت"؟!!

أكد لها وهو يشرح بيده السليمة الأخرى:

_ آه البط، أصل أنا بعيد عنك رُحت أشتري بطة لقيتها بشيء وشويات، وأنا مكنش معايا غير أربعين جنيه بس، قُمت أنا إيه بقى! نطيت من على السور بتاعنا لسَطح الولية "أم عزت" جارتنا، عندها شوية بط تقوليش عليهم أراب يا اسمك إيه؟! كنت هعمله مع الملوخية بس للأسف قفشتني ونزلت عليا ضرب هي وشوية الأوباش ولادها، مش عارف نفوس الناس بقت وِحشة كدا ليه ياختي!

كانت "يمنى" تُطالعه ببلاهة رامشة بأهدابها بعدم تصديق، لقد روى لها قصة حياته دون حتى السؤال أو الحديث! كانت تستمع عن هؤلاء، لكن لأول مرة تراهم أمام أعينها، أخرجها من شرودها وهو يسألها بابتسامة:

_ ألا الحلوة اسمها إيه؟! معاكِ محسوبك "وليد فريد سعيد"، أكيد استغربتي اسمي صح؟! أنا هحكيلك، أصل جدي الله يرحمه كان...

اننتفض من مكانه بفزع عندما استمع لصراخها الباكي:

_ اُخرس خالص أنت مبتهدش!؟!

طالعتها "وليد" بضجر أثناء اعتداله في مكانه، ثم أردف بسخط:

_أنا غلطان إني بونسك، أبقى راجل عِرة لو اتكلمت معاكِ
تاني.

لم تُعيره "يمنى" أي اهتمام، بل تكومت على ذاتها مرة
أخرى وأخذت تبكي في صمت، وبعد عدة دقائق مرت،
استمعت إلى صوته يُناديها:

_بس بس! بقولك إيه يا آنسة! معاكيش لبانة تشيكلس!

جزت "يمنى" على أسنانها بحقد، ثم رفعت عيناها الحمراء
التي تُشبه الدماء من كثرة بكاؤها، لتهمس له بفحيح
أرعبه:

_أنت عارف لو متكتمتش هعمل فيك إيه؟! هخلص عليكِ
عشان أنا جبت أخري منك.

ابتلع "وليد" ريقه بتوتر قائلاً بضحكة خائفة:

_يوه دا أنا برددش معاكِ يا عسل!

قاطع حديثهم انفتاح الباب فجأةً ودخول "أهلة" بوجهٍ
شاحب خوفًا على شقيقتها، وما إن رأتها "يمنى" أمام
ناظريها حتى انفجرت في البكاء مُجددًا، تبكي للمرة التي لا
تعلم عددها، وكأنها لم تبكي من قبل! احتضنتها "أهلة"

بقوة وبادلتها الأخرى العناق بقوة أشد، انهمرت دموع
"يمنى" بلا هوادة وشفقة على حالتها، و"أهلة" تكاد أن
تصاب بذبحة صدرية أثر خوفها على شقيقتها.

وقف خلفهم "قاسم" مُحافظًا على صمته، وبجانبه "ملك"
التي تبكي بإنهيار على ما مرت به منذ عدة دقائق،
وبالخارج تجلس "نبيلة" التي فقدت قواها بسبب حالة
"يمنى" التي كانت تسوء أكثر، وها هي "يمنى" الآن تُخرج
ما في جبعثها بالبكاء، ضمتها "أهلة" من الخلف بقوة
وكأنها تسحب كل الطاقة السلبية التي بجسدها، وبعد فترة
من البكاء الذي بدأ يخفت تدريجيًا، خرجت "يمنى" من
أحضان "أهلة" التي تسألت بقلق:

_مالك يا حبيبتي؟! إيه اللي حصل احكي لي ومتخافيش أنا
معاك!

_سرفت بطة "أم عزت".

أردف بها "وليد" بجدية، لتتحول جميع الأنظار له بتعجب،
جزت "يمنى" على أسنانها بغيظ ثم أردفت بصوتٍ مبجوح:

_أنا عايزة أمشي من هنا بعيد عن الكائن المزعج دا.

حارة القناص

التوى ثغر "وليد" بسخط وهو يرد عليها شاهقًا:

_ أنا برضه اللي مُزعج؟! إيش حال يا بت من ساعة ما أنتِ جيتي وأنتِ نازلة عويل وبكاء على الأطلال وأنا متكلمتش.

ترك "قاسم" الفتيات ثم ذهب للناحية الأخرى من الغرفة حيث يمكث هذا الأحمق، وقف أمامه مباشرة ثم وضع يده على كتفه وهو يسأله بصرامة:

_ مين القمور؟!!

ابتسم "وليد" ابتسامة واسعة ثم أجابه:

_ معاك "وليد فريد سعيد".

سخر "قاسم" قائلاً:

_ ودا اسمك ولا دوا كُحة!

لوى "وليد" شفتيه بإستكار أثناء قوله:

_ ربنا يسامحك، أنا مش هرد عليك علشان أنا راجل محترم.

حارة القناص

مسحت "ملك" دموعها، ثم مالت على شقيقتها تسألها
بتعجب:

_مين الأهل دا؟!!

هزت "يمنى" كتفها بجهل ثم أجابتها بحنق:

_معرفش، بس من ساعة ما شوفته وهو حكالي قصة حياته
كلها ومش مبطل لك.

ضحكت "أهلة" بخفة ثم أردفت بخفوت:

_بس باين عليه غلبان.

سخرت منها "يمنى" مُتهكمة:

_آه أوي أنت هتقوليلي!

وعلى الجانب الآخر.. وصل النقاش بين "قاسم ووليد" إلى
حنق "قاسم" من ذلك المُستفز المُحب للحديث كثيرًا، حتى
تركه "قاسم" وحده وذهب للفتيات متحدثًا لـ "يمنى":

_هتعرفي تمشي معانا ولا تفضلي هنا يوم كمان?!!

حارة القناص

هزت "يمنى" رأسها بالنفي قائلة:
_ لَأ همشي أنا بقيت كويسة.

أوما لها "قاسم" بالإيجاب، ثم اتجه نحو الخارج ليقوم بدفع حساب المشفى قبل الخروج، لكن قبل ذلك قام بالجلوس بجانب "نبيلة" الشاردة، وضع كفه على خاصتها ثم أردف بإبتسامة هادئة:

_ متقلقيش يا طنط "يمنى" بقت كويسة.

انتبهت له "نبيلة" ولحديثه، لترد عليه بإمتنان وهي تُربت على كفه بيدها الأخرى:
_ تسلم يا بني تعبناك معانا.

_ ولا تعب ولا حاجة انتوا خلاص بقيتوا في مقام عيلتي الثانية، ولا إيه رأيك؟!!

أجابته مُبتسمة بإتساع:

_ طبعًا يا حبيبي من غير ما تقول.

ابتسم لها "قاسم" ابتسامة هادئة، ثم هبّ من مكانه قائلاً:

حارة القناص

__ هستأذنك أروح أدفع حساب المستشفى وتقدري دلوقتي
تدخلي لـ "يمنى" هي بقت كويسة.

أومات له "نبيلة" بهدوء، بينما توجه "قاسم" نحو الأسفل
ليقوم بالدفع والذهاب من هنا قبل أن تفقد "يمنى" صوابها
من ذلك الأحمق الذي يمكث معها بنفس الغرفة.

تجمع الشباب معًا جميعًا وكان معهم كلاً من "لوسيندا
ومهرائيل"، جلس "ليونيد" على الأريكة ثم تنهد قائلاً
بصوتٍ عاليٍ نسبيًا:

__ لقد كان هناك الكثير من العجائز الجميلات ليلة أمس.

نطقها "ليونيد" بحالمية وهو يرتمي على الأريكة التي
خلفه، ليرد عليه "فور" والذي كان أمامه كمية كبيرة من
الطعام تكفي لعائلة كاملة:

__ هنا بمصر يوجد الكثير من العجائز الجميلات مثل
"لواحظ".

حارة القناص

نكزه "رائد" في جانبه بضجر وهو ينهره:

_ ما تحسّن ملافظك يا بغل أنت، أنت بتعاكس ستي قدامي!

جعد "فور" وجهه بحنق أثناء وضعه لقطعة كبيرة من
الدجاج داخل فمه:

_ تبا لك يا وغد جانبي يؤلمني.

رد عليه "رائد" بسخط:

_ جتك وجع في فخادك، اتم يا "فور" أحسنك كله إلا
"لواحظ"، دي شرف العيلة.

تسألت "لوسيندا" بتعجب:

_ مش المفروض "سهيلة" هي اللي تبقى شرف العيلة؟!

لوى "رائد" شفثيه يميناً وشمالاً كحركة شعبية سائدة، ثم
أجابها بحسرة:

_ "سهيلة"؟! لأ دي راحت عليها يا عين أمها ومش هتلاقي
اللي يلماها.

حارة القناص

اعتدل "فور" مُتسائلاً بإبتسامة واسعة بلهاء:

_ هل يمكنني الزواج بها؟!!

تشنج وجه "رائد" بإستنكار لما تفوه به، ثم أجابه بسخط:

_ ودي هتعملها إزاي إن شاء الله؟! هتدعو لدين جديد أنت وهي ولا إيه أنا مش فاهم؟!!

انزعج "فور" من ذلك الحديث الذي يورقه دائماً، ثم توقف عن تناول الطعام وهو يُتمتم بضيق:

_ اللعنة عليك "رائد" وعلى شقيقتك التي آرقت نومي.

استمعت "مهراييل" لكلماته ففتحت عيناها بإنبهار مما سمعته، هل يُعقل بأن "فور" يبادل "سهيلة" نفس المشاعر؟! هل يحبها أيضاً مثلما تحبه؟! وبخبث شديد مالت عليه قليلاً قائلة بإتهام:

_ اعترف يا خاين أنا سمعتك، أنت بتحب "سهيلة" صح؟!!

فزع "فور" من حديثها، حتى أن الطعام توقف بحلقه من صدمته، طالعه الجميع سعاله الشديد بتعجب فتسائل "ألبرت" بشك:

__ ما بك "فور"؟! ماذا قالت لك تلك الحمقاء؟!

غضبت "مهرائيل" من وقاحته فصاحت به غاضبة:

__ بقولك إيه يا وجه البرص أنت! اتكلم عدل بدل ما أفضحك
وألم عليك أمة لا إله إلا الله، أنا روعي في مناخيري ومش
طايقاك ولا طايقة نفسي.

احتدت عيني "ألبرت" بغضب من صراخها، لذلك انتفض
من مكانه على بغتة ثم اقترب خطوتان حتى أصبح قبالتها
فجأة، كادت أن تهرب من أمامه لكن الوقت لم يُسعفها،
فأمسكها "ألبرت" من ياقة ثيابها يهزها بعنف:

__ اسمعي أيها الجرو الصغير.. أقسم إن ارتفع صوتك مُجددًا
سأقطع لك لسانك ولن أُشفق عليك، أسمعتِ؟!

تأففت "مهرائيل" بضيق ثم صاحت بصوتٍ خافت:

__ ما هو أنت اللي بتضايقتي وأنا علشان إنسانة بريئة
ومحترمة مش عايزة أقل منك.

قربها منه "ألبرت" بعنف حتى جز على أسنانه بغيظ أمام
وجهها:

حارة القناص

_لسانك السليط هذا ساقطه، انتظري فقط لبعض الوقت
وسترين أيتها الوقحة السليطة._

شهقت "مهرايل" بسوقية ثم ضربت كلتا يديها ببعضهما
البعض أثناء قولها الرادح:

_حوش حوش يا واد الوسامة اللي بتنقط منك، دا يخربيت
الغتاة اللي بتجري في دمك._

رد عليها "ألبرت" مُعانداً إياها:

ستظلين جرواً صغيراً سليطاً في نظري.

لم تجد "مهرايل" ما يُجدي نفعاً معه، لذلك تشدقت بكبرياء
أثناء دفعها ليدِه عن ثيابها:

صدق اللي قال.. ياما ناس شكلها حلو بس جليلة الرباية.

رفع حاجبيه بإستنكار، لتستطرد حديثها قائلة بترفع:

وأنت ما شاء الله التربية معدتش على باب بيتكم.

أكد "ألبرت" على حديثها بالفعل ثم أردف أثناء اشارته
لذاته ولجميع أخواته:

حارة القناص

نعم معك حق بالفعل، أتريني أنا وهؤلاء الأوغاد! لم نجد
من يُربينا.

تجد وجه "إيغور" الذي همس بسخط:

تلك الفتاة لا تجلب لنا سوى الشتائم، غيبة حمقاء.

أيده شقيقه "آندريه" هامسًا:

معك حق، لكنها تليق بأخي كثيرًا.

انتبه له "إيغور" أكثر ليتسائل بصوت هامس مُدهش أثناء
اعتداله في جلسته:

ماذا تقول؟! هل جُننت؟!

نفى "آندريه" برأسه وهو يقول بخبث:

"آلبرت" يحتاج لمن يروي ظمأ قلبه ويُحييه، وأظن أن
تلك الفتاة بكل مصائبها تستطيع إحياء فواده.

كان "ستيفن" يستمع لحديثهم دون التدخل، لكنه قرر
مشاركتهم بقوله الساخر:

حارة القناص

_ جميعنا نحتاج لمن يُحيي أفئدتنا، لكن متى يا تُرى!؟

تتهد "ليونيد" بيأس وهو يُجيبهم بحالمية:

_ أريد زوجة وسيمة تُشبه العجوز "لواحظ".

أبعده "إيغور" من وجهه بعنف أثناء قوله الحائق:

_ ابتعد من هنا أيها المُغفل، أنت بالطبع لست أخينا.

مصمص "ليونيد" على شفثيه قائلاً:

_ أنت هو المُغفل أيها المنيل.

_ منيل!!

رددها أشقائه بتعجب، لتتسع ابتسامة "ليونيد" الذي اعتدل
شارحاً لهم بحماس:

_ نعم منيل، لقد تعلمتها من "لواحظ"، تلك العجوز رائعة
حقاً.

انتبه له شقيقه "آندريه" مُتسائلاً بفضول:

حارة القناص

هل تعلمت كلمات أخرى لأقولها لأصدقائي؟!

أوما له "ليونيد" بغرور شديد قبل أن يعد على أصابعه
قائلًا:

يا منيل، يا موكوس، يالهوي، داهية، بوس الواوا.

قال الأخيرة ببعض من الخجل، ليسأله "ستيفن" بتعجب:
_ بوس الواوا؟! ماذا تعني تلك؟!

رد عليه "ليونيد" شارحًا له بجدية شديدة:

_ إذا جُرحت تأتي فتاة وتُقْبَلُ مكان جُرْحِك.

لوى "إيغور" شفّتيه بإشمنزاز قائلًا:

_ ما هذا القرف؟! المصريون مقرفون للغاية.

ضربه "ليونيد" على صدره بكف يده بقوة وهو ينهره
بعنف:

_ اصمت أيها القذر، أنا أحب المصريون للغاية.

بعد ضرب "ليونيد" لشقيقه، اغتاز الآخر للغاية فهب عليه من مضجعه ثم لكمه بقوة، احتدت عيني "ليونيد" بغضب فكور يده ودفعها في نية لـ لكم "ليونيد"؛ لكن الآخر ابتعد لتأتي على وجه "آندريه"، سبهم "آندريه" جميعاً ثم قام من مجلسه ولكمهم معاً، لكن لسوء حظه؛ دفعه "إيغور" للخلف ليسقط على قدم "ستيفن" الذي كان يُراقبهم بمقط، أغمض "ستيفن" عيناه بغضب أثناء دفعه لشقيقه من على قدمه ليقع أرضاً، مما أعاظ "آندريه" أكثر فضربه على صدره هو الآخر، وهنا اشتعلت الأجواء بلكمات وضربات ذكورية قوية، ومعهم تصعد صرخات أنثوية كان مصدرها "مهرايل" بالطبع، والتي كانت بدورها تُمسك ذراع "ألبرت" بأسنانها عندما طال استفزازه لها، وهو يُمسك بخصلاتها القصيرة يسبها ويسب معرفتها السوداء كما يقول.

بينما كانت "لوسيندا" تستند على ذراع "چون" ويُشاهدان التلفاز بإستمتاع بعيداً عن حفة الثيران تلك، و"فور" يتشاجر مع دجاجاته التي ترفض الدخول إلى فمه مرة واحدة، ورغم أنهم ببداية اليوم؛ إلا أنه قد أكل سبع مرات حتى الآن، ترى ماذا سيحدث بقية اليوم؟!

منذ ساعتان وهو يجلس بتلك الحالة يضع كفه أسفل ذقنه ينتظر الطعام الأسطوري التي ستُحضره الـ«بسكوتة» خاصته، تأفف "صهيب" الذي نظر لساعة الحائط بضجر، ثم هبّ من مكانه مُقررًا الذهاب لها ورؤية الطعام الذي يستحق كل هذا الإنتظار.

كاد أن يتحدث؛ لكنه صمت فاتحًا فمه ببلاهة عندما رأى كمّ الأطباق المحروقة الموجودة أمامه، ورغم ذلك هي لم تياس ولم تمل، بل وقفت أمام النيران لتقوم بطبخ طبقٍ من البيض بالطماطم والفلفل للمرة المائة والواحد، وبعد ثوانٍ من الصمت تحدث "صهيب" وهو يقترب أكثر منها:

يا نهار أحمر! دي كلها أطباق اتحرقت ودا كله بيض هيترمي؟! أنت عارفة البيضة بكام دلوقتي!؟

تعجبت "حبيبة" من وجوده، فاستدارت له تشكو بحزن:
_باين كدا البيض كله بايظ.

تشنج وجه "صهيب" الذي سألها باستنكار:
_البيض هو اللي بايظ!؟

أكدت له وهي توميء له بالإيجاب، ثم أردفت قائلة:
_ أه.. ابقى غير الراجل اللي أنت بتجيب من عنده بقى.

أوما لها ضاحكًا، ثم نظر لعدد الأطباق الكثيرة الموجودة
أثناء قوله المُتحرر:

_ يا مراك يا "صهيب"؟! هعيش طول عمري على البيض
المحروق!

استدار مرة أخرى جهة "حبيبة" فوجدها تُعطيه ظهرها
وتُقلب في محتويات الصحن الموجود أمامها، فتحدث قائلاً:
_ خلاص يا "بيبو" سيبى اللي في إيدك وأنا هنطلب أكل من
برا.

لم يجد منها ردًا، فاقترب منها مُتعببًا ليديرها؛ فوجد
دموعها تهبط بصمت وعلى محياها يرتسم الحزن والألم،
أغلق "صهيب" النيران ثم أمسك بيديها مُتسائلًا بقلق:

_ مالك يا "حبيبة" بتعطي ليه؟!!!

حارة القناص

اشتد بكاء "حبيبة" أكثر وظهر الضعف على محياها ولم تتحدث، ليجذها "صهيب" إلى أحضانه بقوة أثناء قوله الخائف:

_ خلاص إهدي يا حبيبتى محصلش حاجة.

مرت دقائق قليلة و"حبيبة" تبكي فقط، تذكرت حديث تلك الحقيرة المُسماه بـ"ريمانا" منذ قليل عندما هاتفتها مُخبرة إياها بتشفي:

_ "وأنتِ مفكرة إن صهيب هيستحمل واحدة زيك فاشلة ونكدية؟! ابقي قابليني، هو هيتسلى يومين تلاتة وهيرميك زي اللي قبلك، سلام يا... يا "حبيبة".

ومع تذكرها يزداد بكاؤها أكثر، تُحاول بشتى الطرق أن تصمت حتى لا يمل منها "صهيب" كما أخبرتها "ريمانا" صباحًا، لكن مُجرد التفكير يُزيد من هاجس الفرع داخلها، شددت من احتضان خصره، ثم سألته بشهقاتٍ حادة باكية:

_ أنت.. أنت هتسيبني عشان أنا فاشلة يا "صهيب"؟

تعجب "صهيب" من سؤالها، وبنفي هز رأسه رافضًا حديثها بقوة:

حارة القناص

_لأ طبعًا عُمري في حياتي ما فكرت إني أبعد عنك، أنتِ
روحي يا "حبيبة" وأنا لا يمكن أبعد عنك.

خرجت من أحضانه ناظرة إليه بحذر، ثم سألته بترقب:
_بجد؟!!

أحاط بوجهها أثناء استناده بجبهته على خاصتها، ثم أردف
بصوتٍ أنهكه العشق:

_لو اللي باقي من عمري ثانية؛ فأنا هقضيها بين إيديك.

ابتسمت "حبيبة" بخفة، وأخيرًا قررت الإعراف، قررت
الشجاعة ونُطق ما تشعر به، قررت المُجازفة وقول:
_أنا بحبك.

توقف "صهيب" عن هدهدتها وتصلب جسده صدمةً مما
سمع، يخشى أن يكون كل هذا مجرد حُلماً جميل وسيستيقظ
منه مؤخرًا، لكن ابتسامه "حبيبة" وتلك النظرة المُلتمة
التي تخصه وحده أكدت له واقعه الرائع! رمش "صهيب"
عدة مرات قبل أن يتسائل مُجددًا:

_أنتِ.. أنتِ قولتي إيه؟!!

عضت "حبيبة" على شفثيها بخجل أثناء قولها الخافت:
_أنا.. أنا بحبك يا "صهيب".

ولم تكد أن تكمل حديثها؛ حتى وجدت جسدها يُسحب
بواسطته ليسحقها بين أحضانه، أحاط خصرها ودفن وجهه
في خصلاتها، ثم أردف بعشق:

_وأنا بموت فيك، أنا مبقتش أقادر أتخيل حياتي من غيرك،
لإنك ببساطة بقيتي كل حياتي.

روى ذلك الحديث ظماً قلبها الذي جف من ظلم الآخرين لها،
وبخجل شديد؛ قامت بلف ذراعيها حول عنقه لمباداته
العناق بقوة شديدة، ابتسم "صهيب" بسعادة على تحسنها
وتطورها الواضح، وبعفوية قام بتقبيل وجنتها أثناء قوله
الشجن:

_ربنا يديمك ليا يا بسكوتة.

أخرجهما من جوهما الشاعر ي صوت هاتف "صهيب" الذي
ارتفع رنينه يعلو في الأرجاء، ابتعد عنها "صهيب" بسخط
وهو يتمتم حانقاً:

حارة القناص

_مفيش لحظة ليا بتكمل وكأني شاقطك أو عايشين مع بعض لمواخدة.

عاتبته "حبيبة" برقة بقولها:

_عيب يا "صهيب" الكلام دا.

ضحك "صهيب" بخفة وهو يهز رأسه بيأس على طيبة زوجته الزائدة، ثم أجاب هو على هاتفه بهدوء مُردفًا بغیظ:

_عايز إيه يا فصيل؟!!

استمع إلى صوت شقيقه الضاحك والذي تشدق بتشفي:

_هو أنا جيت في وقت غير مش مناسب ولا إيه؟!!

_تخیل!! انجز قول عايز إيه؟!!

ردد "قاسم" كلمته بتشنج، وبعدها صاح مُحذراً إياه بحدة:

_بقولك إيه يلا اظبط بدل ما أظبطك، تعالى عايزك وهات

"حبيبة" معاك تقعد مع البنات لحد ما نخلص مشوارنا.

حارة القناص

انتبه "صهيب" لحديثه فتسائل قائلاً:

_مشوار إيه دا؟!!

_هقولك لما تيجي.

قالها "قاسم" ثم أغلق الهاتف بوجهه قبل أن يُعطي الفرصة للآخر بأن يتحدث.

بينما نظر "صهيب" للهاتف بغیظ قائلاً:

_آه يابن الـ... ولا بلاش، أبويا الغلبان ملوش ذنب، ذنبه الوحيد إنه خلفنا.

البصيرة تُعمى بالحقد، والبغض يُنشئ بالكُره، والقلب يسوّد من الأفعال، ووسط كل هذا أتى غروره لينفي كل أفعاله، جلس "ضياء" على كُرسیه الوثير بوجهٍ متورم من الضربات التي أخذها من يد "قاسم" الغليظة، تذكر رجاؤه له وقسمه بالأ يظهر في طريق زوجته مُجدداً، لكن الآخر كان معمي البصيرة عندما سدد له اللكمات والضربات الموجهة في كل أنحاء جسده، وبعدها أنهى أفعاله بهمسسه المُتبحر:

حارة القناص

_لما تحب تلعب؛ إلب مع الرجالة، كُتر لعبك مع النسوان
خلاك زيهم.

سار "قاسم" عدة خطوات للأمام، ثم توقف فجأة ليستدير
له، وبعدها تشدق بتحذير صارم:

_لو جيت ناحية "أهلة حرم قاسم طاحون" إعرف إنك
بتحفر قبرك بإيدك.

وبعدها سار مُتجهاً نحو باب المكتب ليفتحة، وجد الكثير من
الموظفين مُرتصين أمام المكتب، ليصدح صوته قائلاً بصوتٍ
عالٍ نسبياً:

_مالكم قلقانين كدا يا شباب! أنا و"ضياء" كُنا بنتكلم
بطريقة سلمية مش أكثر.

عاد "ضياء" من شروده على جلوس مُساعده الشخصي
أمام عيناه، والذي ما إن رآه حتى هتف قائلاً بفحيح:
_اسمع كل اللي هقولهوك ونفذه بالحرف الواحد.

احرس دائماً على اختيارك لصديقٍ صالحٍ يُسهّل عليك
مصاعبك ويُزيل من على كاهلك مصاعبك، لتتجو؛ عليك
المُجازفة والإبتعاد، الإبتعاد عن الشر الذي يمكث في قلوب

من تظنهم أصدقائك، وهم بالأصل ثعابين سامة تنتظر الفرصة للدغك، ينتظرون سقوطك لتكون فريستهم، وإن وقعت ستنتهي.

تمددت "سهيلة" على فراشها بابتسامة حاملة مُتسعة وهي تتذكر كلمات "فور" لها، ذلك الخبيث الذي تسلل لفؤادها رويدًا ليفرض سيطرة حبه على قلبها العذري المسكين، أمسكت بالزهرة التي أعطاها لها ثم ضمتها إلى صدرها بشغف، تُحبه وحبه مُحرمٌ عليها، ولا تعلم كيف تجد السبيل للنجاة!.

اعتدلت مُتربعة في فراشها ثم أمسكت بهاتفها الذي لم تُمسكه منذ فترة كبيرة للغاية، منذ معرفتها بـ "عائشة" و"مريم" التي اتضحت أنها صديقة مُقربة للأولى؛ وهي قد مسحت أرقام زملائها القدامى، أزالت حِفنة الأوغاد اللذين كادوا أن ينهوها وينهوا مُستقبلها، ولولا وضع الله لـ "عائشة" في طريقها؛ لكانت قد انتهت منذ مدة.

فتحت إحدى تطبيقات التواصل الإجتماعي، فوجدت رقم غير مُسجل قد أرسل لها عدة رسائل، والتي كان محتوياتها:

"سهيلة إزيك أنا البنت اللي قابلتك في الجامعة يوم التلات وأنتِ وقتها مكنتيش في وقت يسمح إني أكلمك، بصراحة

حارة القناص

أنا عايزة أسمعك حاجة بالصدفة سمعتها، ودا ممكن يفيدك، هبعثك الريكوردات دلوقتي".

قرأت "سهيلة" محتوى الرسالة بتعجب وتذكرت ذلك اليوم عندما انهارت في البكاء عند علمها لكبر ذنبها وخطيئتها، لتأتي إليها فتاة بمعالم قلقة أرادت الحديث معها، لكن حالتها كانت سيئة للغاية لم تسمح لها بالحديث أو الإستماع لأحد، وبقلق شديد قامت بفتح التسجيل الصوتي المرسل وبدأت بالإستماع إلى ما يحتويه:

_"يعني هتعمل إيه يا "أمجد"؟!"

_"ولا أي حاجة يا حياتي، "سهيلة" دلوقتي بقت تحت إيدنا وسيطرتنا، وواحدة واحدة هتبقى مننا وعلينا ومش هتقدر تفتح بوقها بكلمة واحدة وهتخاف على نفسها من الفضيحة".

_"لأ برافو عليك يا "ميجو"، عرفت توقعها صح وتخليها تحت طوعك".

__ "طبعًا يا "مَنّون" أنتِ بتكلمي "أمجد الصاوي"، المهم قوليلي اسمها كامل علشان أكتبه في قائمة الضحايا الجديدة".

__ "سهيلة محروس الجعان".

سخر "أمجد" قائلاً بضحكة عالية:

__ جعان ولا عطشان!؟!

انتهت "سهيلة" من الإستماع إلى التسجيلات ودموعها تهبط بقوة، كانت تعلم بأنهم قدرون، لكنها لم تكن تتوقع بأن يكونوا بكل تلك الحقارة، وضعت كفيها على وجهها ثم شهقت ببكاء حاد أثناء تمتها بالحمد، تحمد المولى عز وجل على نجاتها من بين برائن تلك الذئاب، هي محظوظة، والآن علمت أن كل هذا تدابير من خالقها، وكل ما حدث وما سيحدث هي موقنة ووثيقة في الإجابة.

أمسكت بهاتفها مرة أخرى، ثم أتت برقم "عائشة" لثُرْسِل لها رسالة كان محتواها:

حارة القناص

_ للمرة المليون أنا مش هقدر أوفيكِ حقك، جاية أقولك إني
محظوظة بوجودك معايا وفخورة بإنك صحبتي، ربنا يديمك
ليا ويديم المَحبة ما بينا.

وصل "قاسم" بالفتيات إلى منزله بعد أن أوصل "نبيلة" إلى
منزلها أولاً لشعورها بالإنهاك، هبطت الفتيات واحدة تلو
الأخرى حتى جاء دور "يمنى"، ليصعد صوت "قاسم"
يأمرها بهدوء:

_ خليكِ أنتِ يا "يمنى".

قطبت "أهلة" جبينها بتعجب ثم سألته بإندهاش:

_ عايز "يمنى" في إيه يا "قاسم"؟!!

أجابها "قاسم" بوجه جامد:

_ محتاجها.

قال كلمته المُبهمة ثم انطلق بسيارته سريعاً دون ترك
فرصة لذاته للإستماع إلى أي حديث منهم، وبجانبه "يمنى"
التي دخلت في حالة ريبة من طلبه هذا.

#يُتبع.

#حارة_القناص.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

#الفصل_الواحد_والثلاثون

#رواية_حارة_القناص

#سينيوريتا_أهلة

"ألا ليت الخِصام يبتعد تارةً، ويعود حُبك في الوريد لينتشر!"

حارة القناص

سار "قاسم" بسيارته بسرعة عالية للغاية جعلت التي بجانبه تنكمش على ذاتها بخبث، أمسكت "يمنى" جيداً في باب السيارة ثم أردفت بفزع من سرعته المبالغ فيها:
براحة شوية يا "قاسم" هنعمل حادثة

ظل "قاسم" على نفس سرعته ولم تهدأ ولو قليلاً، طالعها ساخرًا بطرف عينيه قبل أن يتشدد بغموض:
إيه خايفة تموتي؟!

ابتلعت ريقه بريبة من غرابته، لتعتدل في جلستها أثناء نظرها للطريق الذي أمامها، وبعدها تسائلت بالحاح:
إحنا رايعين فين؟! ليه صممت تاخدي معاك؟!

أجابها "قاسم" بغموض أخافها:
دلوقتي هتعرفي.

صممت أثناء مُطالعه بقلبٍ يخفق من الخوف، تعلم بأنه لن يُؤذيها؛ لكن هناك شيء يُخيفها في الأمر، وهذا ما يُقلقها!.

بعد عشر دقائق أخرى من القيادة توقف "قاسم" أمام المكان المقصود، ارتعش جسد "يمنى" وهي تنظر حولها ثم سأله بأعين باكية خوفاً من الإجابة:

ـ أنت جاييني المقابر ليه؟!!

ـ إنزلي.

كلمة واحدة ردها "قاسم" بصرامة قبل أن يهبط أولاً من سيارته، تاركاً إياها ترتعش خوفاً من القادم، وبيبطي شديد هبطت هي الأخرى لتلحق به وبخطواته التي بدأ يخطوها للداخل، ظلت "يمنى" تلتف حولها برعب، تخاف! بل تموت فزعاً، وجودها هنا حيث الموتى يُدخِل الرهبة داخل وجدانها، يُدخِل القلق من فكرة قدومها يوماً إلى هنا، لكن ليست كذائرة، بل كمقيمة!

توقفت أقدامها عن السير، تصنم جسدها محله، امتنعت أنفاسها عن الخروج والدخول بطريقة طبيعية، بل وشعرت أيضاً أن الدماء بدأت تتجمد داخل جسدها، وكل هذا حدث عندما رأت لوحة القبر مُدَوّن عليها بخط كبير وعريض «المرحوم: يحيى مراد الديب"!.

رفعت أنظارها لـ "قاسم" الذي يقف أمام قبره يرفع يده أمام وجهه ويقرأ له الفاتحة بصوت هامس يكاد لا يُسمع، انتهى بعد ثوانٍ ثم التفت لها ليجد وجهها شاحبًا كالأموات تقريبًا، اقترب منها خطوتان ثم تشدق بصوتٍ مُتسائل بارد:

_ مش هتقرأيله الفاتحة!؟

طالعه بأعين فارغة وكأنه كائن فضائي غير طبيعي، لتجده يبتسم بسخرية أثناء إكماله لحديثه المُهلك لفؤادها:

_ رغم إنه خدعنا كلنا بس مفيش في إيدنا غير إننا ندعيه بالرحمة، كان خاين آه.. بس مقدرش أنسى إنه كان في يوم من الأيام صاحب لينا، حتى لو بالخداع.

وبدون شعور منها وجدت دموعها تهبط بكثافة، تنزل عبراتها على وجهها كالنيران لتحرقها بذنبها، رفعت يدها التي ترتعش بشكلٍ ملحوظ ثم أشارت بسبابتها تجاه قبره:

_ ضحك عليا وفهمني إنه بيحبني، كان بيضحك عليا!

_ تقومي تقتليه!؟!!

صرخ بها بإنفعال بعدما أزيح ستار البرود الذي كان يرتديه، لتجيبه بصوتٍ مُنفلج باكٍ:

قولته إني أكثر حاجة بكرها الخيانة يا "يحيى"، قولته أنا خايفة أحبك يا "يحيى"، قولته أنا بخاف أتخذل من اللي حواليا يا "يحيى"، قولته أنا هثق فيك علشان أنت طلبت يا "يحيى"، وفي الآخر "يحيى" عمل فيا إيه! استغني ودبحني بسكينة تلمة نحررتي، قالي أنا بحبك يا "يمنى"، هكون ضهرك وقوتك يا "يمنى"، عايزك تثقي في يا "يمنى"، وفي الآخر فعلاً وثقت فيه، وثقت فيه وحببته، كنت مستعدة أضحي بحياتي علشاناه، وبعد دا كله طلع يلعب بيا، لعب بيا واستغني يا "قاسم"، سامعني! لعب بيا واستغني.

كان "قاسم" ثابتاً ينظر إليها بنظرات جامدة لم تستطع تحديدها، تجاهلته هي ومن ثم اقتربت من القبر المدون عليه اسم "يحيى"، ذلك الخائن الذي عشقته بكل ذرة في وجدانها، استندت برأسها على اسمه ثم همست بصوتٍ مبجوح وهي تضرب بقبضتها على جداره:

ليه يا "يحيى" ليه؟! حرام عليك قلبي اللي وثق فيك، أنا بكرهك علشان مش عارفة أكرهك حتى بعد ما قتلتك بإيدي.

وضع "قاسم" كفيه في جيب بنطاله ثم أردف بهدوء:

وأنت إيه اللي خلاك مُتأكدة إن هو فعلاً خاين؟! روحتي وقتلتيه على أساس الكلام اللي أنت سمعته منا بس!

هبطت دموع "يمنى" التي كانت مازالت تستند برأسها على
جُدران قلبه، ثم أجابته بصوتٍ هامس:
_ سمعت التسجيلات اللي في عربيتك.

قطب "قاسم" جبينه وهو يسألها بحذر:
_ أي تسجيلات!؟

اعتدلت "يمنى" في وقفها لكن قدماها لم تقدران على
الوقوف والثبات، وكأنها فقدت قوتها ومعها فقدت قلبها،
وضعت كفيها على وجهها تخفيه عن "قاسم" الذي طالعها
بحزن دفين لحالتها، ظلت تبكي على حالتها وعلى قلبها
الذابل من العشق، ذهب إليها "قاسم" ثم جلس بجانبها مع
الحفاظ على مسافة مناسبة بينهما، ليتشدد بهدوء يحثها
على الإكمال:

_ احكي يا "يمنى" أنا سامعك.

هدأت "يمنى" قليلاً ثم أردفت أثناء رفعها لوجهها تُطالعه
بمعالم مُنتهكة:

_أنا.. أنا نزلت لعربيتك علشان افكرت إنك وقتها كنت حاطط أجهزة ترقب في عربية كل واحد فينا لما كنا رايعين لشركة الأرماني، وأنا بدور عليه لقيت التسجيلات، شغلتها وقتها لقيت صوت "يحيى" وهو بيتفق مع "مختار الأرماني"، عرفت إنه قتل "صادق" عشان يحمي "مختار"، خدعنا كلنا وخدعني قبلكم وفهمني إنه بيحبني وهو كان عايز يوصل لهدفه، عايز يوصل لهدفه على حسابي أنا! طيب ليه؟!!

زفر "قاسم" بضيق من حالتها التي تزداد سوءاً، ليسمعها تستكمل حديثها وهي تردف بصوتٍ مُنهارٍ مُتعب:

_روحته علشان أتأكد منه، بس هو كان لسه بيكذب عليا، كان لسه بيقولني إنه بيحبني، محسستش بنفسي غير ودمه على إيدي، بكرهه وبكره نفسي وبكره قلبي اللي حبه، قولي أعمل إيه يا "قاسم" علشان أنساه؟! قلبي من الوجد حساه هيقف وبعد دا كله لسه بحبه.

شرد "قاسم" في نقطة بعيدة ثم أجابها:

_لو على النسيان فكلنا عايزين ننسى، بس القلب مبينساش.

حارة القناص

طالعه "يمنى" بياس، وبألم شديد وضعت جبهتها على
ركبتها شاعرة بتلك الغصة التي تحرقها من الداخل، وبقلب
مكلوم أردفت بشهقات خفيفة:

الحب ضعف وعذابه مش هين.

هز "قاسم" رأسه بياس من حالتها التي تزداد سوءاً، فهب
من مكانه ثم أردف بصوت هاديء رхим:

يلا عشان نمشي.

رفعت عيناها الحمراتان له ثم هزت رأسها بالنفي رافضة
طلبه:

لا.. خليني معاه شوية عشان خاطري.

ردد جملته مرة أخرى بصرامة لكن أشد:

بقولك يلا يا "يمنى" نمشي من هنا.

نظرت "يمنى" لقبر "يحيى" للمرة الأخيرة، وبيبطئ شديد
وقفت من مكانها بعد عدة محاولات للثبات، ثم سارت بجانب
"قاسم" تاركة فؤادها متعلق حيثما كانت جالسة، وتحديداً
جوار قبره!

عند مُجتمع الفتيات.. جلس الجميع حول "حبيبة" مُنتظرين ما ستقوله، خاصةً "أهلة" التي انتبهت لها بكل حواسها، والتي أدرفت بحماس:

_ اخلصي يا "حبيبة" عملي إيه بعد كدا؟!!

أجابتها "حبيبة" بثقة:

_ قولتله أنت أكيد بتحلم أنا لا يمكن أعمل حاجة زي كدا.

انتظرت "حبيبة" ردة فعل "أهلة" عندما تلاشت النظر إلى وجهها حتى تتجنب نوبة غضبها، لكن صمتها قد طال! ولم يمكن صمتها هي فقط؛ بل صمت جميع الفتيات الأخريات، وبتردد واضح حوّلت أنظارها إليهم؛ لتجدهم ينظرون إليها بنظرات جامدة وأوجه ساكنة، لتتسائل بتوتر بالغ:

_ م.. مالكم!! بتبصولي كدا ليه؟!!

وأول مَنْ خرجت عن صمتها هي "أهلة" التي أردفت ببرود أثناء توجيهها لحديثها لجميع الفتيات:

حارة القناص

_إحنا هنقطع علاقتنا بالبت دي، شكلها مش هتنفع معنا.

دعمتها "مهرايل" والتي أردفت بتأييد:

_معاك حق، هو إيه اللي كان بيحلم!! وبعدين لو أمه اللي بتبوسه مش هتبقى كدا!

ضحكت "سهيلة" بمليء فاهها أثناء قولها العابث:

_ما تتهدي يا بت أنتِ وهي وسيبوها تعمل اللي هي عايزاه،
وواحدة واحدة تزيد محبة.

تدخلت "ملك" تدعم قول شقيقتها قائلة باستنكار:

_دي فضلت تلف حوالين نفسها علشان باسته من وشه، أنا
من رأيي "حبيبة" مش هتنفع معنا لأ.

كل ذلك الحديث تحت أنظار "حبيبة" التي امتلأت حدقتهاها
بالدموع، هم لا يريدونها بينهم وهذا أكثر شيء كانت تخاف
حدوثه، وهو نبذهم لها، لذلك وعلى بغتة انفجرت في البكاء
الشديد!

نظرت الفتيات لبعضهما البعض بجهل، لتتهد "أهلة" بيأس
قبل أن تقترب من "حبيبة" لتضع كفها على كتفها وهي
تتسائل بحذر:

متقوليش إن أنت زعلتي من كلامنا!

أخفضت "حبيبة" أنظارها للأسفل وظلت دموعها تنهمر
بصمت، مازالت تورقها فكرة ابتعاد الجميع عنها بلا سبب،
ولهشاشتها ورقتها ظنت أن حديثهم جاد ليس مزاحًا،
سيبتعدون بعد أن وضعت ثقتها العمياء بهم، قد يظهر
للبعض بأنه تصرف مُبالغ به لكن لا يشعر به إلا من ذاق
طعم الوحدة وقهرتها.

نظر الفتيات لبعضهم بعتاب، فاقتربت "أهلة" منها أكثر،
وبتردد واضح قامت بجذبها لأحضانها والتربيت على ظهرها
بحنان، أحاطتها "حبيبة" هي الأخرى ثم سألتها بصوتٍ باكٍ
وشهقات خافتة:

انتوا بجد هتبعدوا عني!؟!

شعرت "أهلة" في تلك الأثناء أن "حبيبة" ما هي إلا طفلة
تحتاج إلى الحنان والاحتواء، طفلة عانت من آثار الوحدة

حارة القناص

والبُكاء، لذلك هزت "أهلة" رأسها بالنفي وهي تُشدد من احتضانتها ثم أجابتها بحنان:

_لأ يا حبيبي مش هنبعد عنك إحنا بنهزر بس.

توقفت "حبيبة" عن البكاء ثم ابتعدت عنها تسألها بحذر:

_بجد ولا بتضحكي عليا؟!

تلك المرة جائتها الإجابة من "لوسيندا" التي أمسكت بكف "حبيبة" تُشدد على ضغطها عليه، ثم أجابتها بمزاح:

_لأ طبعًا بنتكلم بجد، وبعدين جهزي نفسك للخطة اللي جاية.

ابتلعت "حبيبة" ريقها بتوتر أثناء تجفيفها لوجهها المليء بالدموع، ثم تسائلت بصوتٍ مُتحشرج:

_لأ.. خِطة إيه! أنا مش هعمل حاجة تاني.

تدخلت "مهرايل" متحدثة بسوقية:

_مفيش الكلام دا، الخِطة هتمشي زي ما إحنا عايزين آمين؟! آمين إن شاء الله، فركزي وصححي معانا كدا

حارة القناص

عشان يمين بالله لو جيتي المرة الجاية بنفس حالتك دي
عشان بوسة هرزك علكة تجيب أجلك.

نظرت "حبيبة" لـ "أهله" الضاحكة باستجداد، فهمت لها
بصوت رقيق خافت:

ـ خلى "مهرائيل" تتكلم بطريقة كويسة عشان أنا بخاف
منها.

تشنج وجه "مهرائيل" باستنكار لتُقهقه "أهله" عاليًا ثم
أومأت لـ "حبيبة" التي تُطالع الأخرى ببعض من الخوف
قائلة:

ـ براحه يا "مهرائيل" على البسكوتة اللي حيلتنا.

ـ يعني أنتِ مش سامعة كلامها يا ست كُخة!

هتفت بها "مهرائيل" بحنق، لترد عليها "أهله" بضحكات
مُتقطعة:

ـ معلىش عيلة وغلطت خليك أنت الكبيرة، مش يمكن يجي
يوم من الأيام ونحتاجها!

سخرت "مهرائيل" بقولها:

_ نحتاجها في إيه إن شاء الله؟! بقولك إيه يا "أهلة" تعرفي
تتوكسي أنتِ كمان!

ولم تكذ "مهرائيل" أن تُكمل حديثها؛ حتى وجدت زجاجة
المياه تصطدم في وجهها بعنف، تبعه حديث "أهلة" المُحذر
بصرامة:

_ اتلمي بدل ما أقوملك، أنا مش طيبة ولا غلبانة زي
"حبيبة" هقولك حاضر وأسكت، لأ دا أنا هقوم أجيبك من
شعرك ومحدثش هيعرف يخلصك مني.

وعقب حديثها؛ توترت معالم وجه "مهرائيل" التي تشدقت
بصوت خافت وابتسامة بلهاء:

_ مالك قفوشة كدا ليه يا "أهلة" يوه! دا أنا بهزر معاك!

طالعتها "أهلة" بسخرية ثم استدارت لـ "حبيبة" قائلة لها
بإبتسامة حنونة:

_ خلاص متزعليش مننا يا "بيبو" وأديكِ عرفتي إننا كنا
بنهزر معاك، طول الوقت هتلاقي هزارنا كدا بس حاولي
متزعليش مننا، ماشي؟!!

حارة القناص

أقلت إليها "حبيبة" ابتساماً لطيفة قبل أن تُوميء برأسها
قائلة:

حاضر.

تحدثت الفتيات قليلاً ما عدا "ملك" التي كانت تلتزم الصمت
بطريقة غريبة على غير عاداتها، لذلك سألتها "سهيلة"
بتعجب واضح:

مالك يا "ملك" قاعدة سرحانة النهاردة ليه؟!!

استفاقت "ملك" من شرودها ثم أردفت بتهيدة ثقيلة:

خايفة على "يمنى" أوي، اللي حصل معاها النهاردة قلقتني
وأول مرة أشوفها بالحالة دي.

قطبت "لوسيندا" جبينها بتعجب وهي تنظر لشقيقتها
المتعجبة أيضاً:

وهو إيه اللي حصل لـ "يمنى"؟!!

ضربت "أهله" على رأسها بتذكر قائلة:

ياربي نسينا نقولكم! "يمنى" تعبت وجالها إنهيار عصبي
واتنقلت للمستشفى.

انتفضت جميع الفتيات بخضة من مضجعهن، فسبقتهم
"سهيلة" التي تسألت بفرع:

_مستشفى إيه وإنهيار عصبى إيه؟! هي فين "يمنى"
وإزاي انتوا سايبينها كدا؟!!

ردت عليها "ملك" بتعب وهي تزفر بضيق:

_هي دلوقتي بقت كويسة وخرجت من المستشفى بعدها
بكام ساعة، بس مش عارفة راحت فين مع "قاسم".

استدارت "لوسيندا" لـ "أهلة" تسألها بشك:

_أنتِ عارفة جوزك خد "يمنى" وراح على فين يا "أهلة"؟!!

زفرت "أهلة" بضيق وحالة من الإختناق تتلبسها كلما تتذكر
أمر شقيقتها المريب، ثم هزت رأسها بالنفي وهي تُجيبها
بصدق:

_لأ والله أبدأ، و"قاسم" كمان مقلّيش هما رايعين فين، لما
يرجع هبقى أفهم منه.

أوما لها الفتيات بقلق ثم عادوا لمواضعهم من جديد،
لنتسائل "حبيبة" بحزن مُوجهة حديثها لـ "أهلة":

_طيب عايزين نشوفها ونظمن عليها!

أومات لها "أهلة" بإبتسامة طفيفة ثم أجابتها بود:

_هي شوية وهتيجي مع "قاسم" ونظمن عليها كلنا.

لوت "حبيبة" شفيتها بحزن ثم هزت رأسها بصمت وهي
تفكر بقلق في حالة صديقتها، فمنذ أن دخلن هؤلاء الفتيات
في حياتها التعيسة؛ أصبحوا يُمثلون لها العائلة والأصدقاء
والرفاق، وهذا ما كان ينقصها، الشعور بالحب والألفة
والإنتماء، وهم لم يتهاونوا ولو دقيقة في حُبهم وتعاطفهم
معها، حتى أصبحوا هم الحياة بأكملها.

مرت الدقائق القليلة حتى تحجبت "أهلة" بتذكر زائف:

_طيب أنا هطلع أعمل حاجة فوق وهنزلكم تاني.

هز الفتيات رأسهم بالإيجاب، بينما نظرت "ملك" إلى
شقيقتها بشك حاولت "أهلة" تجاهلة بقدر الإمكان.

أنا المُتألم الصامت، الناظر الضاحك، الوحيد الصديق، أنا
كل هؤلاء وأظهر ما يراه الناس، أظهر الضحكات، السعادة،
السرور، وأخفي وجعاً يبكي الصخر من شدته.

كانت "يمنى" مستندة على زجاج سيارة "قاسم" شاردة
فيما أمامها، لا ترى شيئاً ولا تستمع لأحد، تائهة فقط في
ملكوتها الخاص ودموعها تنهمر بصمت متألم، استفاقت
على صوت "قاسم" الذي وقف بسيارته أمام أحد المنازل
المجهولة والذي تشدق بهدوء:
_إنزلي.

مسحت "يمنى" دموعها ثم نظرت حولها بتعجب متسائلة
بصوتٍ مبجوح:
_إيه المكان دا؟!!

وللمرة الثانية يُكرر حديثه بجمود قائلاً:
_قولتك إنزلي.

خضعت "يمنى" لحديثه ثم هبطت من السيارة، وما كادت أن تفتح فاهها للتحدث؛ حتى وجدته يتجه إلى المنزل بخطى واثقة وهي سارت خلفه بتردد، سارت خلفه بعد أن فتح بابَه بهدوء ثم دخلت معه في طُرقة ضيقة لكنها طويلة، وأخيرًا وصلت إلى غُرفة واسعة بها العديد من الأرائك والشباب يجلسون عليها و.. و.. هو!

_الولية المعفنة مفكراني هقرب منها وهي كانت ريحتها جاز أساسًا، إديتها كوباية الماية وحطيت فيها المنوم وبعد كدا هي اتكلت على الله، كان يوم ما يعلم بيه إلا ربنا بسبب أخوك الظالم والمفتري، وأنا كان مالي ومال الهم دا ياربي! مش كنت اتجوزت البت اللي منها لله وهربت أحسن!

كل ذلك الحديث كان تحت أنظار تلك المُتصنمة، هو يجلس مع الشباب ويتحدث بأريحية شديدة، ليس به جُرْح ولا دماء، وإلى تلك النقطة أوصلها عقلها بأنه طيف كسابقه، لكن تلك المرة قررت إغتنام فرصتها والإقتراب منه قبل أن يذهب كالمرّة الماضية، وببكاء شديد همست اسمه بإشتياق شديد قائلة:

_ "يحيى"؟!!

كان "يحيى" في تلك الأثناء يتجرع المياه براحة، وعندما استمع إلى صوتها يُناديه توقفت المياه بحلقه وقذفها في وجه "فور" الذي صاح سايبًا:
_تبا لك أيها الوغد الحقير.

ننظر "يحيى" لـ "يمنى" بصدمة، وكذلك نظر لها الشباب بتعجب من تواجدها هنا، تسائل "ألبرت" موجهًا حديثه لـ "قاسم":
_لم جلبتها؟!

أجابه "قاسم" بهدوء وهو يقترب منهم:
_هتعرف دلوقتي.

بينما "يمنى" كانت في عالمها الخاص، تقترب منه ببطئ ولا تدري بأن قلبها من يقودها، وقفت أمامه تُحدج كل إنش بوجهه لتوشمه بفؤادها حتى تُشبعه، تخاف أن تلمسه خوفًا من أن يختفي طيفه، تخاف عليه كجوهرة ثمينة يصعب الحصول عليها، لكن شوقها لم يمنعها من التقدم أكثر، وبصوتٍ مبحوح ودموع كثيفة كررت اسمه ببكاء:
_ "يحيى"؟!

تسائلت ولا تعلم كيف انطلقت إلى أحضانه، ضمته بقوة
وكان العالم سيُزال وينتهي إن ابتعدت عن أحضانه، ظلت
تهذي ببعض الكلمات الغير مفهومة وهي تُشدد من عناقه،
تُعاتبه وتسببه بذات الوقت، وهو لا يقدر على رفع يده
ليضمها، فعلتها كانت كبيرة بالنسبة إليه، غدرها أهلكه حزناً
بعدها، وتألّمها الآن يكويه وجعاً، باختصار هي مصدر
عذابه الجميل.

دفت رأسها بصدرة وهي تُعاتبه بصوت منهك:

_ليه يا "يحيى" ليه؟! أنا.. أنا عملتك إيه علشان تعمل فيا
كدا؟! أنا بحبك وبكره نفسي عشان حبيتك، أنا.. أنا مش
عارفة أنساك.. أنا أسفة.. متبعدهش عني أنا مش قصدي
أقتلك والله العظيم.

وفي تلك اللحظة علم الجميع بأنها ليست في وعيها، رفع
"يحيى" أنظاره لـ "قاسم" مُنتظراً تفسيراً لحالتها، ليتشدد
"قاسم" بشفقة واضحة:

_كانت في المستشفى وحصلها إنهيان عصبى حاد.

أغمض "يحيى" عيناه بتألم، وبدون تردد رفع ذراعيه
ليحيط بخصرها ووجهه يدفنه في خصلاتها، ظلوا على تلك

حارة القناص

الحال ربع ساعة تقريبًا، هي تهذي وتتأسف عما فعلته وهو يُربت على ظهرها يُهددها كالأطفال، وأخيرًا قرر التحدث والنطق بإسمها، قائلاً بهمس مُتألم:

_"يمنى"!

زاد بكاء "يمنى" وانهارها داخل أحضانه وهي تهز رأسها بالنفي، يبدو أن ما حد يُعاد داخل ذاكرتها مُجددًا، وقد أيقن من ذلك عندما ظلت تُردد بصوتٍ متألم:

_"أنا أسفة.. مش قصدي والله.. أنا بحبك مش قصدي.."

ابتلع ريقه بألم ثم تحدث وهو يُربت على خصلاتها بعشق:

_"يمنى" أنا "يحيى"، أنا عايش مش ميت.."

شهقات حادة كانت تخرج من فاهها كانت بمثابة سكين تالم يُغرز في فواده دون شفقة، لعن تلك المؤامرة وعائلة الأرماني وخطتهم المُبتذلة بسبب ما سببوه لها، هي الأهم لديه ولا يعلم كيف يُهديء من روعها، وبيأس شديد شمّر عن ساعديها ثم ثبتهما لتسبح الفرصة لـ"قاسم" بإدخال تلك الإبرة إلى ذراعها ويحقتها بمُهديء قوي المفعول عندما ازداد انهيارها.

سقطت "يمنى" بين ذراعي "يحيى" فاقدة للوعي تمامًا، لكنها مازالت تُمسك في ملابسه بقوة وكأنها تمنعه من الذهاب، حملها "يحيى" مُتجهًا بها نحو الأريكة ليضعها عليها، ثم انحنى عليها جبينها يُقبله بعشقٍ مُنْهك هامسًا بوعيد:

كل حاجة قربت تخلص وحقك هيرجع يا عيوني، حقك عليا أنا.

صعدت "أهله" للأعلى مُسرعة ودخلت إلى شقتها، وتلقائيًا اتجهت إلى المرحاض لتُفرغ ما في جوفها!

استندت على الحوض الرخامي العريض، ثم تقيأت بعنف دون إرادة منها، لقد تلامست مع "قاسم" في السيارة واقترب هو منها عن الحد المطلوب، ثم جاءت لهُنا واحتضنت "حبيبة" في موجة حُزنها وتحاملت على ذاتها بقدر الإمكان، لكن تحملها لم يزيد وشعرت بأنها على وشك التقيؤ أمام الجميع عند شعورها بالإشمئزاز.

حارة القناص

ظل صدرها يعلو ويهبط بنهيج عقب انتقاؤها، وبأيدي مُرتعشة استندت على الحوض وبوادر الدوار قد بدأت تظهر على وجهها بوضوح، فتحت الصنبور ببطي شديد ثم غسلت يديها بقوة وكذلك وجهها، لكن ولسوء حظها قامت أظافرها بجرح باطن يدها من حدة احتكاكها بها، لم تُعير لجرحها الضئيل أي إهتمام، بل أمسكت بمنشفتها وجففت يداها ووجهها بحذر شديد، وحين انتهائها خرجت من المرحاض تُحاول جعل ذاتها ثابتة بقدر الإمكان.

اتجهت نحو باب الشقة مُقررة الهبوط للأسفل مجددًا، لكنها توقفت عندما استمعت إلى همهمات خافتة للغاية تكاد لا تُسمع، لكن سكون المنزل وصمته جعلها تسمعها، استدارت بتعجب عندما أيقنت بأن الصوت قادم من ناحية والدة "قاسم"، ويحذر شديد اتجهت نحو باب غرفتها المفتوح بضئالة.

نظرت من تلك الفتحة الصغيرة؛ فوجدت "حياة" تُنادي بصوتٍ خافت على "قاسم"، لكنها صممت عندما علمت بأنه غير موجود في ذلك الوقت، ابتلعت "أهله" ريقها وبتردد واضح قامت بفتح باب الغرفة لتراها الأخرى، وعندما أبصرتها "حياة" ابتسمت بخفة ثم تشدقت بصوتٍ واهن:

تعالى يا "أهله" واقفة عندك ليه؟!!

رسمت "أهلة" ابتسامة صغيرة على ثغرها ثم تقدمت منها
بهدوء قائلة بعد أن وصلت لفراشها:

أخبارك إيه يا طنط؟!

هزت "حياة" رأسها بإبتسامة طفيفة ثم أجابتها قائلة:

_الحمد لله يا حبيبتي بخير، أنتِ عاملة إيه و"قاسم" عامل
معاك إيه؟!_

جلست "أهلة" أمامها على الفراش ثم أجابتها مُبتسمة:

الحمد لله شغال.

ضحكت "حياة" ضحكة مُرتفعة بعد الشيء، لينتج عن ذلك
آلام جانبها بوخزة شديدة نسيبًا، وضعت يدها على جانبها
ثم أردفت بضحك:

_الله يسامحك يا "أهلة"، هو إيه اللي شغال! أنا بسألك على
عربية؟_

قهقهت "أهلة" عاليًا ثم أجابتها ضاحكة:

_ لآ مش قصدي كدا، بس هو تمام معايا يعني، بيستغبي ساعات بس كله تحت السيطرة.

ابتسمت "حياة" بحنين أثناء قولها المُشتاق:

_ "قاسم" دا مفيش أطيب ولا أحن منه، ومش بقول كدا علشان هو ابني لآ، بس والله "قاسم" ابني لسه جواه روح عيل صغير اتحبست من صُغره.

التمعت عينيّ "أهله" بشغف وهي تستمع إلى حديثها،
عضت على شفثيها ثم تسائلت بصوتٍ مُطالبٍ بخجل:
_ لو مفيهاش إحراج يعني ممكن تحكي لي عن طفولته وهو صغير.

أومات لها "حياة" ضاحكة، فمدت كفها له تطلب منها:
_ دا أنا هحكيتك لحد ما تزهقي، بس ساعديني براحة أسند ضهري على السرير.

هبت من مضجعتها ثم اتجهت إليها تُمسك بيدها حتى تُساعدتها في النهوض ببطئ شديد كي لا يتم أذيتها، وبعد عدة محاولات صعبة نجحت أخيراً في إجلاسها ووضع وسادة من القطن الناعم خلف ظهرها حتى تجلس براحة

دون الشعور بالألم، وبحماسة شديدة تربعت "أهلة" على
الفراش أمامها ثم تشدقت بفضول:

_ يلا بقى احكيلى.

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر "حياة" ثم أجابتها بشرود
وحنين للماضي:

_ "قاسم" كان طفل بريء جدًا وبيحبنا جدًا جدًا، لدرجة إنه
كان بيستيبنا وبيروح يقعد مع الفراخ بتاعتنا وياكل معاهم
لما يبقى غضبان أو زعلان من حاجة.

طالعتها "أهلة" بعدم تصديق وهي تفتح فاهها بدهشة من
حديثها، لتتسائل بصدمة:

_ بياكل مع الفراخ؟!!

أومأت لها "حياة" ضاحكة ثم أكدت حديثها بقولها:

_ آه والله زي ما بقولك كدا، وكمان كان بيروح للكلب
الموجود في الشارع بتاعنا ويركب عليه على أساس إنه
حمار، لحد ما الكلب زهق منه وطفش من الشارع كله
بسببه.

تعالت ضحكات "أهلة" بقوة عقب الإنتهاء من حديث الأخرى، وكذلك شاركتها "حياة" في الضحك لكن بخفة شديدة حفاظاً على صحتها، وفي تلك الأثناء أتى "قاسم" بعد أن أتى واستمع لصوت ضحكاتهم الواضح يصل له في الخارج.

دخل "قاسم" مُقطب الجبين بتعجب، ثواني ما انفكت عقده عندما رأى والدته تجلس أمامه بكامل صحتها وأمامها "أهلة" كذلك، ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغره ثم اتجه إليها بشوقٍ مُهلك ليحتضنها بحنان شديد وشغف أشد، أحاطت "حياة" بظهره تضمه لصدرها بقدر الإمكان لتتشبع من وجوده، قَبَّل "قاسم" جبينها وكذلك وجهها وهو يتسائل بسعادة:

__ عاملة إيه يا ماما وحشتيني أوي؟!!

قَبَّلته "حياة" هي الأخرى مُجيبة إياه بصوتٍ مُتحشرج مُشتاق:

__ وأنت كمان وحشتني يا نور عيني.

حارة القناص

ابتعد عنها "قاسم" قليلاً ثم أمسك بكفها مُقبلاً إياه قبل أن
يتسائل بفرحة عارمة:

_صحيتي إمتي؟!!

أجابته "حياة" براحة وهي تنظر لـ "أهلة" المُبتسمة:

_صحيت من شوية و"أهلة" جت وقعدت معايا شوية.

استدار لها "قاسم" يُطالعها بنظرات مُمتنة قابلتها هي
بصدرٍ رحب، لكن سعادته لم تدوم عندما استمع لصوت
"أهلة" تُجيبه بنبرة حماسية:

_كانت بتحكي لي عن طفولتك.

ضرب "قاسم" على صدره وهو يشهق بعنف مصدوماً:

_يا مصيبتتي!!!

ابتسمت "أهلة" ببلاهة ثم دفعته جانباً مُولية إهتمامها
الكامل لـ "حياة" التي تضحك بخفة، ثم أردفت قائلة:

_كملي يا طنط وسيبك منه أنا سمعك.

حارة القناص

تشنج وجه "قاسم" بإستتكار ثم دفعها للخلف من وجهها
مما أدى إلى سقوطها على ظهرها، ثم استدار لوالدته
مُتشدقًا بسخط:

_بتسيحيلي يامًا؟!!

اعتذلت "أهلة" في جلستها ثم تحدثت ساخطة:

_ أنت مالك وبعدين إيه اللي جابك دلوقتي؟! جاي تقررنا ليه
يا جدع أنت!

جدع "قاسم" أنفه بقرف، ثم أشاح بوجهه بعيدًا وهو
يُجيبها:

_روحي العبي بعيد يا بت أنتِ وابعدي عن أمي، وأنتِ يا
ماما استهدي بالله كدا وبلاش فضايح، دي صحفية وممكن
تلاقي صورة ابنك وطفولته العرة متشردين في الجرايد.

التمعت عيني "أهلة" بالخبت قبل أن تتشدد هامسة:
_تصدق فكرة!

أبعدت "حياة" ابنها المتذمر عنها، ثم قالت بصوتٍ صارم
مصطنع:

حارة القناص

_ ابعدي يا ولد عني ومتدخلش في كلامنا، وياريت يعني
تسيبنا لوحدنا.

هز "قاسم" رأسه بالنفي الشديد مُعترضًا:
_ يمين بالله ما يحصل، أنتِ عايزة تفضحيني!!

سددت له "حياة" نظرة نارية تُشبهه تمامًا، فابتعد عنها
ليجلس جانبًا بعد أن أدرك أن فضيحته آتية لا محالة، لذلك
عاد قليلًا إلى الخلف ليجلس بجانب "أهله" بعد أن دفعها
بضجر:

_ ابعدي شوية يا وش الفضايح أنتِ.

ابتعدت "أهله" قليلًا عنه وهي تكتم ضحكاتها التي كادت أن
تصعد بصعوبة بالغة، ليُطالعها هو بنارية ثم إلتفت بوجهه
بعيدًا عنها ساخطًا على هذا الوضع الذي وُضِعَ به بسبب
والدته.

بدأت "حياة" بقص طفولة "قاسم"، أو بمعنى أصح _ قامت
بفضحه _ ، لتبدأ حديثها بقولها الضاحك:

_زي ما قولتلك "قاسم" ابني دا كان بريء في طفولته،
والكل يشهد بكدا.

قالتها، ليجز "قاسم" على أسنانه بغيظ عند علمه بسخريتها
منه، فأكملت والدته حديثها قائلة:

_ "هادي" الله يرحمه كان لسه مستلم شغل جديد في مزرعة
قريبة من بيتنا، كُنا وقتها عايشين في بيت من طين بس كنا
مرتاحين نفسيًا، المهم إنه في يوم من الأيام والده خده معاه
المزرعة لأنني كنت تعبانة شوية، راح يشوف صاحب الشغل
علشان يمضي لحضوره وساب "قاسم" واقف قدام باب
الخيول بيتفرج عليهم، يسكت هو!! لأ طبعًا.. قام فاتح باب
الخيول وخلاهم يجروا من مكانهم، لأ وكمان من خوفه فك
حبل الكلب علشان يجري ورا الخيول ويدخلهم جوا زي ما
كان مفكر، والكلب طبعًا زود من خوف الخيول وخلاهم
يجروا بعيد، والحمد لله اليوم دا "هادي" اترفد من الشغل
بسبب ابنه النبيه الذكي ما شاء الله عليه.

وعقب انتهاء "حياة" من قص جزء من طفولة "قاسم"؛
انفجرت "أهلة" ضاحكة على ما عايشه من طفولة بريئة!
لم يمنع "قاسم" ذاته من الضحك هو الآخر بل شاركها
الضحك وكذلك معه والدته، مالت "أهلة" للأمام تضحك

عاليًا بينما الآخر طالعها بضجر بعد أن استمرت وصلة
ضحكاتها لخمس دقائق تقريبًا!

هز "قاسم" رأسه بيأس ثم تمتم متحسرًا:
_ربنا يسامحك يا ماما.

انقضى المزيد من الوقت يتحدثون حول مواضيع مختلفة،
وكما يحدث عادةً؛ ذهبت "حياة" في سبات عميق أثناء
مكوثها معهم، ليُطالِعها "قاسم" بحنان قبل أن يقف من
مجلسه ويذهب تجاهها حتى يقوم بإعداد نومتها، طالعت
"أهلة" تلك المرأة بحزن شديد ثم رفعت أنظارها تجاه
"قاسم" لتسأله:

_هي كويسة صح؟!!

أوما لها "قاسم" قبل أن يهبط على جبين والدته النائمة
يُقبله بحنان، وبعدها اتجه مع "أهلة" نحو الخارج، أغلق
باب الغرفة جيدًا ثم استدار للأخرى قائلاً بإبتسامة هادئة:

_استعدي عشان هنسافر بكرة.

لم يستوعب عقل "أهلة" ما قاله رغم أنها كانت تعلم من
قبل، وببلاهة شديدة تسألت:

حارة القناص

هنسافر فين مش فاهمة.

اقترب منها حتى بات على مسافة قريبة منها، ثم أردف
بلكنة روسية مُتقنة:

سنسافر إلى روسيا سينيوريتا "أهلة".

#يُتبع.

#حارة القناص.

(شروق حسن)

"واحدة من أفضل الجمل التي سمعتها على الإطلاق كانت على لسان الشيخ الشعراوي رحمه الله "لن تحصل أبدًا على شيءٍ كامل، ستحصل على أشياء ناقصة تكتمل برضاك"..
فاللهم الرضا الذي يجعل قلوبنا هادية، وهمونا عابرة، ومصائبنا هيّنة، اللهم الرضا الذي ينتهي بأبواب جنتك."

#الفصل_الثاني_والثلاثون.

#حارة_القناص.

(خطة غادرة)

تسللتِ بدلالٍ لتتربعي داخل قلبي، كان هجومك مفاجئًا على فؤادِ بني حصونه من أصفادٍ حديدية يصعبُ اختراقها، لكنكِ جنّتي وعلى عكس الجميع واخرقتي جميع تلك الحصون بعينيكِ الخادعة، وآه من عينيكِ! تلك التي تُشبه عيون المها في لمعتها، أهدابكِ الطويلة تُشبه الحائل الزجاجي يُحيط بها لتمنع من خدشها، وأنا المجني عليه الذي وقع بهما.

كانت تلك بضعة كلمات دَوّنها "قاسم" في دفتره الخاص به، وبابتسامة طفيفة دَوّن آخر كلماته حاكياً:

_ لذلك أقول وبكل الحب:

"عينك آيتان وأنا بهما مُتيمٌ!".

أنهى "قاسم" كلماته ثم أغلق دفتره، وبابتسامة هادئة أمسك بمصحفه واضعاً إياه على مكتبه مُجدداً بعد أن أنهى قراءة ورده اليومي، وبعدها وقف من مجلسه ثم أمسك بسجادة الصلاة ووضعها في موضعها الأصلي واتجه للخارج.

خرج من الغرفة فلم يجد أثراً لـ "أهلة" في المكان، فعلم بأنها لربما هبطت إلى الأسفل لتجلس مع الفتيات، لذلك عدل من ثيابه ثم اتجه نحو الأسفل بعد أن أغلق جميع أبواب المنزل واطمئن على والدته الحبيبة.

بالأسفل؛ كانت الفتيات يتجمعن على أريكتين والشباب يجلسون على المقاعد الأخرى، تأففت "مهرايل" وهي تدفع "سهيلة" الملتصقة بها قائلة بضجر:

_ يا ستي ابعدني عني بقى مبحبش حد يلزق فيا كدا!

طالعتها "سهيلة" بسخط ثم دفعتها تزامناً مع قولها الحانق:

حارة القناص

وَأنا هَلزق فيكَ بتاع إيه يا حبيبتى! اتتيلي واسكتي يا بت أنتِ.

نفخت "لوسيندا" التي كانت تُجاورهم بنفاذ صبر، لذلك صرخت بغضب:

والله لو ما اتهديتوا لهقوم أجيبك من شعرك أنتِ وهي.

بينما "ملك" التي كانت تجلس على طرف الأريكة طالعتهم بتأفف لكنها لم تُشارك في الحديث، بل ظلت مكانها شاردة بملامح قلقة على شقيقتها التي لم تأتي حتى الآن.

وعلى الأريكة الأخرى، كان يجلس كلاً من "أهلة وحبيبة" فقط! واحترمت الفتيات مرض "أهلة" واشمئزازها ولم يُضايقونها بالتصاقهن بها، بل اكتفت "حبيبة" بالجلوس على بُعدٍ مناسب منها في نفس الوقت الذي كانت تنتظر به "صهيب" الذي لم يأتي مع الشباب حتى الآن!

لاحظ "رائد" شرود "ملك" وحُزنها، وقُرب مقعده منها جعله يضع يده على خصلاتها القصيرة وهو يسألها بحنان:

مالك يا "ملك" زعلانة ليه؟!!

نظرت إليه "ملك" بتيهة وفكرت في سؤاله على شقيقتها،
وما كادت أن تفتح فاهها للحديث؛ حتى استمعت إلى تأوه
"رائد" العنيف الذي صاح بتألم عندما احتضنت الزجاجاة
البلاستيكية المملوءة بالمياه وجهه، تبعه صوت "أهلة"
الغاضب قائلة:

_ شيل إيدك من على أختي يا نحنوح، ولو لقيتك حاطط إيدك
عليها تاني هقطعهاك.

طالعتها "رائد" بغیظ ثم صاح بها بحدة:

_ أنتِ اتجننتي يا بت أنتِ ولا تعبانة في دماغك؟!!

احتدت عيني "أهلة" بغضب، فهبت من مضجعتها ثم ذهبت
إليه بخطوات سريعة حتى وقفت أمامه مباشرةً بأعين يلتمع
بها التحدي، ثم رفعت سبابتها أمام وجهه تُحذره بشر:

_ لو شوفتك قريب منها تاني ردة فعلي مش هتعجبك
صدقني، اللهم بلغت.

حدجها "رائد" بنظراتٍ حاقدة، ثم أردف بنبرة مُثيرة
للإستفزاز:

_ لعلمك بقى أختك اللي أنتِ فرحانة بيها دي هتبقى مراتي.

حارة القناص

تحدثت "أهلة" بصدمة:

_إيه؟!!!

ورددتها "سهيلة" خلفها:

_إيه؟!!!

كذلك أردفت "مهرائيل" بدهشة:

_إيه؟!!!

تبعها قول شقيقتها "لوسيندا":

_إيه؟!!!

حتى جاء دور "ملك" التي شهقت بعدم تصديق:

_إيه؟!!!

دخل في تلك الأثناء "قاسم" الذي استمع لحديثهم الأخير
فتسائل مُتعبًا:

_إيه؟!!!

حارة القناص

رمش الجميع ببلاهة مما استمعوا إليه للتو، بينما تعجب "قاسم" من حالتهم ولا يعلم ما الذي حلَّ بهم، حتى تبرع "ألبرت" بشرح ما يحدث ببرود والذي يجلس على المقعد غير مُباليًا بالجميع:

قال "رائد" بأن تلك البلهاء "ملك" ستكون زوجته مُستقبلاً.

حوّلت "ملك" أنظارها له، والآن علمت بأنها استمعت بشكل صحيح إلى ما تفوه به "رائد" وليس مجرد تخيلات! عادت بأنظارها له ثم تسائلت بعدم تصديق:

أنت.. أنت قولت إيه؟!!

تجاهل "رائد" نظرات الجميع ثم انتبه لها بكامل حواسه، ارتسمت ابتسامة واسعة تلقائية على ثغره ثم تشدق بحماس:

قُولت إني هعطف عليكِ وهتجوزك يا معنسة.

تشنج وجه "ملك" باستنكار من وقاحته، لذلك فتحت فاهها ثم أجابته برفض حائق:

حارة القناص

_طب إيه رأيك بقى إن أنا مش موافقة؟! وكمان أنت إنسان
وقح ودي مش طريقة تتكلم بيها مع كائن لطيف زيي يا
عديم المشاعر والأحاسيس.

_بتحبي الجاتوه بالكريمة ولا بالشيكولاتة.

سألها غير مُبالياً بغضبها، فأجابته هي بتلقائية شديدة:
_بالشيكولاتة طبعًا، واللي بيكون عليها كيوي من فوق كدا
بتبقى خطيرة.

اتسعت ابتسامة "رائد" ثم غمزها بعث:
_أنت توُمر يا قمر أنت يا جميل.

_إيه الهبل دا؟! أنا أختي مستحيل تتجوز كائن زي دا، أنت
اتهبلتي يا "ملك" ولا إيه؟!!

أردفت "أهله" بتلك الكلمات، لتؤكد "مهرايل" على حديثها
بقولها:

_آه أنتِ اتجننتي يا "ملك" ولا إيه?!!

حارة القناص

تشنج وجه "رائد" من كليهما، فصاح بهم مُستكراً:
_ اطلعي من دماغي يا بت أنتِ وهي أنا مش ناقصكم،
وبالعند فيكم هتجوزها يعني هتجوزها.

اعترضت "ملك" قائلة:

_ إيه دا لأ طبعاً أنا مش موافقة، أنا لا يمكن أتجوز لواحد
كان بيكلم بنات قبلي.

وعند تلك اللحظة لم تتحدث "أهله" ولو بكلمة واحدة، بل
حاولت جاهدة أن تُظهر الثبات وكتم ضحكاتهما بقدر الإمكان،
تلك المُتبجحة الصغيرة ترفضه لأجل هذا فقط؟! أهي
الشريفة التي لم تُحادث المئات من الرجال من قبل؟! لذلك
وبكل هدوء التزمت الصمت وفضّلت المراقبة بصمت حتى
ترى أين سيقف النقاش وما نتيجته.

بينما تخر "رائد" محله عقب قولها، ثم أردف بطريقة
سوقية:

_ لأ حوشي يا بت الاحترام اللي بيعع منك، لأ والنبي حاسبي
أصلي هتزلق من احترامك اللي مالي الأرض! إيش حال ما
كنتِ مفكرة نفسك قاعدة في الشئون الإجتماعية وفتحاها
جمعية!

تربعت "ملك" وهي ترمي له نظرات نارية، ثم أردفت
بوقاحة صدمته:

روح شوف سِتِك؟!

نهرها "رائد" صارخًا:

إخرسي!! ستي دي أشرف من الشرف.

وضعت "سهيلة" يدها على شفيتها لتكتم ابتسامتها التي
كادت أن تظهر، أخاها يُدافع عن جدتها الشريفة الراقصة
بكل عنفوان، وأمامه "ملك" تُطالعه بغضب وبعدها تحدثت
بحدة:

بلاها سِتِك خالص، أنت ذات نفسك قليل الأدب.

قطب "رائد" جبينه بتعجب ثم سألها بإستغراب:

_وأنتِ عرفتِ إزاي إني قليل الأدب، لو على البنات فأنا
الحمد لله توبت إلى الله ومبقتش أكلهم، وكم ان بقيت
بصلي، فعايزة إيه تاني بقي؟!_

حارة القناص

توقفت "ملك" عن التحدث بعصبية، ثم سألته بحذر:
_ بجد مبعثش تكلم بنات؟!!

أوما لها مُجيبًا إياها بصدقٍ ونظراتٍ مُلتمة:
_ والله قطعت علاقتي بكل البنات ومبعثش أطيقيهم خالص.

ردت عليه "ملك" بريية:
_ طب إحلف كدا!

ابتسم قائلاً بصدق:
_ والله العظيم قطعت علاقتي بكل البنات اللي كنت أعرفهم
قبل كدا.

اعتدلت "ملك" في مكانها ثم أجابته بصرامة ووجهٍ مرفوع
بترف:
_ لأ مش مصداك.

نفذ صبر "رائد" فأجابها بعصبية وهو يُشيح بيده أمام
وجهها:

حارة القناص

إن شاء الله عنك ما صدقتيني دا أنت عيلة باردة، بقولك
إيه أنا هروح أطلبك من أمك وهجيب علبة الجاتوه وسستي
وأبويا وأمي معايا.

تسألتي "سهيلة" بتعجب:

طب وأنا؟!

رد عليها "رائد" حانقًا:

اسكتي يا بت، أنت لا أختي ولا اعرفك أساسًا.

دخل عليهم في تلك الأثناء "صهيب" الذي طالعهم بتعجب
لتجمعهم ووقوفهم بتلك الطريقة المُحتشدة، رآته "حبيبة"
فتحركت من مكانها تلقائيًا وذهبت إليه بابتسامة مُتسعة،
وكانها طفلة جذبها طيف أبيها لتهرول خلفه مُباشرةً، بادلها
"صهيب" الإبتسامة ثم أحاط بكتفها عند وصلها إليه، ليميل
قليلاً مُقبلًا إياها على وجنتها بخفة، وأعقب فعلته بقوله
الحنون:

وحشتيني.

زين تُغرها ابتسامة خجولة وهي تُجيبه برقة:

_شكرًا.

ضحك بخفة على جوابها، وبعدها أخذها ثم وقف بجانب
"قاسم" قائلاً بمزاح:
_واحشني يا عسل.

استدار له "قاسم" برأسه قائلاً بجدية مُزيفة:
_والله وحشتك؟! ما أنت مراتك نستك أخوك ومبقتش تسأل
عليًا.

ضيق "صهيب" عينيه بشك، ليميل على أذن "حبيبة" التي
كانت تُتابع صراع الفتيات مع "رائد"، ثم اردف بهدوء:
_روحي اقعدي أنتِ هناك يا "بيبة" على ما أتكلم مع
"قاسم" شوية.

أومأت له "حبيبة" بابتسامة هادئة ثم اتجهت نحو الأريكة
لتجلس عليها، بينما استدار "صهيب" إلى شقيقه مُتسائلاً
بجدية:

_مالك بقي في إيه؟!!

حارة القناص

تقدم منهم "ألبرت" في تلك اللحظة مُتحدثًا بضجر:
_ هؤلاء الفتيات يُثيرون حنقي حقًا.

أوقفه "صهيب" عن الحديث بقوله:

_ استنى بس يا "ألبرت" نشوف الأستاذ زعلان ليه وبعد
كدا نشوف حنقك.

قطب "ألبرت" جبينه بتعجب وهو يُحوّل أنظاره نحو
"قاسم" الهاديء:

_ لِمَ أنت حزين "قاسم"؟!!

رد عليه "قاسم" مُربعًا عن ساعديه وهو يُشير لشقيقه:

_ البيه من ساعة ما اتجوز ومراته واخدة كل وقته، مبقاش
يسأل فيا ولا حتى يعبرني، الله يرحم أيام ما كان بيتسحب
زي الحرامية علشان يجي يشوفني، بس نقول إيه بقى! مَن
لقى احبابه نسي صحابه.

فرغ "صهيب" فاهه من حديث أخيه، ثم تسأل مُنصدمًا:

_ أنا مبقتش أعبرك؟! أنت بتغير من "حبيبة" يا "قاسم"؟!!

حارة القناص

التفت إليه "قاسم" برأسه قائلاً بسخط:

ـ والله؟! وأنا هغير من مراتك ليه يعني إن شاء الله!؟!

مط "ألبرت" شفتيه بتفكير وهو يُطالع كليهما، ثم نظر لـ"صهيب" قائلاً:

ـ أخاك يغار يا صاح، من الواضح بأنه يُحبك للغاية.

وعقب حديثه شعر "ألبرت" بضربة قوية على صدره من "قاسم" تبعه قوله الغاضب:

ـ اصمت أيها المُغفل أنا لا أغار على أحد.

كاد "ألبرت" أن يرد له الضربة مُغتاظاً منه، لكن منعه احتضان جسد "صهيب" لجسد أخيه بقوة، وبعدها تحدث له قائلاً بحب:

ـ والله يا "قاسم" ويشهد ربنا على اللي بقوله إن حياتي من غيرك ملهاش طعم ولا قيمة، أنت مش مجرد أخويا؛ أنت نصي الثاني وضهري اللي بتسند عليه وقت ضعفي.

حارة القناص

تبيس جسد "قاسم" عقب حديثه المُهديء لأعصابه، لذلك وبدون تردد قام بمبادلته العناق بقوة أشد، ثم خرج صوته داعماً ومُشجعاً لحديثه:

_ربنا يخليك ليا يا "صهيب"، هفضل في ضهرك دائماً حتى لو الدنيا كلها وقفت ضدك، اتأكد إن أنت أعلى حاجة عند أخوك وأخوك من غيرك ميسواش.

ضرب "صهيب" على ظهره بربطات خفيفة داعمة، وكأنه يُخبره بأن مكانه لا يتجرأ أحد على أخذه، فأخيه فوق الجميع وفوق العالم بأكمله، لكن حديث "قاسم" الذي تفوه به بعد ذلك جعل ضحكاته تتعالى دون إرادة منه، عندما تحدث "قاسم" بحنق:

_بس برضه مراتك شاغلة كل وقتك ومبقتش تعبرني زي الأول، عايزني أنحرف؟!!

خرج "صهيب" من أحضانه ثم قرصه من وجنته كطفلٍ صغير:

_ياختي بطة بتغيري؟! وعلى العموم يا سيدي احنا مسافرين بكرة وهنبقى مع بعض في نفس الفندق.

أوما له "قاسم" بضحك وما كاد أن يتحدث ويُشاركه؛ حتى وجد "مهرائيل" تركض نحوهم وهي تستنجد به:

إلحق يا "قاسم" .. "رائد وملك" بيتخانقوا وماسكين في شعور بعض.

وعقب انتهائها من الحديث؛ ركض "قاسم وصهيب" ليروا هذا العراك الأسطوري، بينما تبعمهم "ألبرت" الذي رمى نظرة عابرة نحو "مهرائيل" المُتعبجة من بروده، وأنهى أفعاله بقوله اللامبالي:

جرؤ جالب للمصائب دائماً.

طالعت "مهرائيل" أثره ببلاهة، ثم جزت على أسنانها بغيظ وهي تهمس غاضبة:

والله ما فيه جرو غيرك، بني آدم قليل الذوق.

أنهت سبها ثم دلفت خلفهم، لتجد "قاسم" يُحاول فك خصلات "رائد" من بين يديّ "ملك" التي تصرخ بألم بسبب إمساك "رائد" لأصابعها ولويها للجهة المُعاكسة، حتى شعرت بأناملها كادت أن تتكسر، نفخ "قاسم" بغيظ من مشاغبتهم المُستمرة وعند استمرارهم بالعراك؛ ابتعد عنهم صارخاً بصوت عالٍ صنم الجميع في مكانه:

_ لو مسيبتهاش يا "رائد" دلوقتي مش هتتجوزها.

وعقب إنهاء كلماته مباشرة؛ وجد "رائد" قد ابتعد عن "ملك" كلياً، كذلك "ملك" دفعته بعيداً ثم دلت أصابعها بألم وهي ترميه بنظراتٍ حارقة غضباً منه، بينما "رائد" لم يهتم بكل هذا، بل تحدث بابتسامة واسعة أثناء ترتيبه لخصلاته المشعسة:

_ سيبتها أهو.. هتجوزها إمتى بقى؟!

صرخت "أهله" به بعدم تصديق:

_ أنت يابني فيه حاجة في دماغك؟! بعد دا كله وعائز تتجوزها برضه؟! دا انتوا كان ناقص تضربوا بعض بالشباشب.

طالعتها "رائد" بطرف عينه ثم أجابها ببرود:

_ اسكتي أنتِ عشان طلعتي خبيثة وعكس ما كنت متوقع، صدق اللي قال ياما تحت السواهي دواهي.

حارة القناص

شعر "رائد" بعدها بيد "قاسم" تستقر على كتفه، وبعدها
صعد صوته مُتحدثًا بتحذير:

__لسانك بدل ما أسيب "ملك" عليك تاني.

تشنج وجه "ملك" والتي أردفت بإستنكار:

__إيه أسيب عليك "ملك" دي؟ شايفني كلب!!

نفخ "قاسم" بغيظ، فدفع "رائد" ليسقط على الأريكة، كذلك
دفع "ملك" هي الأخرى لتسقط بجانبه، ثم أتبعهم الفتيات
وجلسوا على الأرائك وحلّ الصمت بينهم، وهنا صعد صوت
"فور" من أحد الأركان والذي كان يتحدث أثناء تناوله
لقطعة من الشطيرة:

__حقًا؟! وماذا حدث بعد ذلك؟!

تناولت منه "سهيلة" نصف الشطيرة التي قرر أن يُعطيها
لها، ثم قضمت منها قطعة صغير حتى تسنح لها الفرصة
للحديث:

حارة القناص

وبعد كذا أنا مسكتش طبعًا، جيبتها من شعرها وقولت لها لأ
فوقــــي يا حبيبتي دا أنا "سهيلة الجعان"، يعني تقفي
عِوج وتتكلمي عدل، طبعًا البت مسكتتش فنزلت فوقها
ضرب علشان تتربي.

فتح "فور" عيناه بإنبهار أثناء قوله المُشجع:
_أوه يا فتاة أنت شجاعة حقًا، أنا فخورٌ بكِ للغاية.

اتسعت ابتسامتها وهي تُجيبه بسعادة:
_بجد؟!!

أوما لها مؤكّدًا بابتسامة واسعة، فنظر ليدها فوجدها قد
أنهت شطيرتها، لذلك سألها بترقب:
_أمازلتِ جائعة؟!!

هزت "سهيلة" رأسها بالإيجاب ثم أجابته بحرج:
_بصراحة آه، بس مش مشكلة ماما عاملة أكل ولما أروح
هـ..

حارة القناص

قاطع حديثها المُتواصل بقوله الساخط وهو يمد يده لها
بشطيرة أخرى:

_اصمتي يا فتاة ما الذي تقولينه، خُذي هذا أنا معي الكثير
من الشطائر.

اتسعت ابتسامتها ثم مدت يدها لتلقط منه الشطيرة وبدأت
في تناولها، وبعدها عقببت قائلة بحنو:
_أنت طيب أوي.

رد عليها "فور" بخجل:

_أنت الوحيدة التي أسمح لها بتناول الطعام معي.

احتل الفضول معالمها، لذلك سألته باهتمام:
_ليه؟!

لم يعلم "فور" بما يُجيبها، هي مُسئته عن الجميع لذلك
يتقاسم معها طعامه العزيز، وبعد ثواني من الصمت أجابها
بخفوت:

_لأن مثابتك بمثابة الطعام لدي.

كل ذلك كان تحت أنظار الجميع الذين يُطالعونهم بتعجب،
وإزداد استغرابهم أكثر عند تفوه "فور" بتلك الكلمات التي
أثارت تحفظهم، خاصةً أخواته!

انتفض الجميع بفزع عندما استمعوا إلى صوت "رائد"
المُستنكر:

__منابتها بمثابة الطعام؟! ليه شايف أختي فرخة يلا؟!!

قال كلماته بغضب ثم ذهب إليهم وانتشل شقيقته من على
المقعد المجاور لمقعد "فور"، وبعبسية شديدة أردف قائلاً:
__على البيت.

توترت "سهيلة" من عصبية أخيها التي تظهر نادرًا، فتحت
فاهها للتحدث لكنه صرخ بها مُجددًا بغضبٍ أشد وأعين
حادة:

__بقولك على البيت ومتجيش هنا تاني من غير إذني.

أدمعت عينيّ "سهيلة" بقوة من إحراجها لها بتلك الطريقة
المُهينة أمام الجميع، لذلك أمسكت بحقيبتها ثم خرجت من
المنزل مُهرولة، وهنا أطلقت لشهقاتها ودموعها بالهطول،
مما أدى إلى انزعاج "فور" لأجله، لذلك استدار لـ "رائد"

وكاد أن يفتح فاهه للتحدث؛ فوجد لكمة قوية من "رائد"
استقرت على وجهه جعلته يقع على المقعد، تبعه قوله
الصارخ بعنف:

_ لو شوفتك قريب من أختي تاني يا "فور" هنسى إن إحنا
كنا صحاب في يوم من الأيام.

هَبَّ أخوات "فور" من مضجعهم بأعين حادة غاضبة،
وأولهم كان "ألبرت" الذي سدد نظرة نارية له وذهب تجاه
"رائد" في نية لتلقيه درسًا لن ينساه لضربه لشقيقه، لكن
"قاسم" هو مَنْ أوقفه مُمسكًا إياه من ذراعه قائلاً بخفوت:
_ سيبيه يا "ألبرت" هو معاه حق.

استدار له "ألبرت" بعنف ثم أردف بصوتٍ حادٍ غاضب:
_ هذا الحقير ضرب أخي وأنا لن أصمت عن حقه.

نظر "قاسم" لـ "رائد" وغضبه، ثم ذهب بنظراته لـ "فور"
الذي يُطالعه بنظرات باردة تُزيد من إشعال غضب الآخر،
وبعدها عاد إلى "ألبرت" الذي كاد أن يحرق الجميع من
أجل أخيه، وأخواته ينتظرون إشارة شقيقهم الأكبر لتلقي
"رائد" درسًا لن ينساه هم أيضًا!

مال "قاسم" قليلاً على أذن "ألبرت" ثم همس له:

__ثقافتنا مُختلفة عن ثقافتكم يا صديقي، ما فعله "فور" خطأ وهو يعلم عواقب ذلك جيداً، ورغم ذلك أقدم على فعله، وبالنهاية هو رجل، الخوف كله على تلك المسكينة التي ستواجه غضب أخيها إن لم يهدأ "رائد" قبل ذهابه من هنا.

نفخ "ألبرت" بغضب، فغمزه "قاسم" بمشاكسة ثم أردف قبل ذهابه جهة "رائد وفور":

__اهدأ عزيزي وانظر كيف تتعامل بحيادية في تلك المواقف.

تشكلت ابتسامة جانبية على ثغر "ألبرت" والذي راقبه بالفعل ليرى ما سيفعل، بينما "قاسم" اقترب من "رائد" ثم أمسك به من ذراعه ليجذبه بعيداً عن الآخر الذي يُطالعه بثبات، أجلس "قاسم" صديقه على المقعد قائلاً:

__خلاص اهدى يا "رائد" وكل حاجة هتتحل بالهدوء.

دفعه "رائد" من يده ثم تشدق بحدة:

__سيبني يا "قاسم" أنا ماشي، أنا لا عايز حل ولا غيره.

حارة القناص

وقف "رائد" من مكانه، ليدفعه "قاسم" من صدره ليجلس مجدداً مما دفع الغضب في عيني "رائد" أكثر الذي صرخ باهتياج:

__يوه قولتك خلاص يا "قاسم" أنا مروّح.

لم يتركه "قاسم" غاضباً بل جلس جانبه مُربتاً على فخذه بهدوء وبعدها تحدث قائلاً:

__مش هتروح وأنت متعصب وزعلان مننا، وبعدين يا جدع دا إحنا مسافرين بكرة والله أعلم هنرجع إمتى، يرضيك نساfer ونسيبك زعلان مننا.

وهذا ما ينقصه أيضاً، تذكيره بذهابهم وتركه هنا وحده دون أصدقاء يُجاورونه أو دعم يحتاجه، نفخ "رائد" بنفاذ صبر فأتى "صهيب" ليجلس بجانبه على الناحية الأخرى، والذي تشدق بمزاح ليخفف من حدة الأجواء:

__تصدق يا "رائد" إن شكك كيوت وأنت متعصب؟!!

طالعه "رائد" بإستتكار من طرف عينيه، ليؤكد "قاسم" على حديثه ضاحكاً:

__تحسه راجل بحق وحقيقي كدا!

حارة القناص

تشنج وجه "رائد" بسخط ليصح "قاسم" حديثه مُسرِعًا
بقوله:

_ قصدي إنك كنت راجل فرفوش، دلوقتي راجل بجد.

نكزه "صهيب" في قدمه قائلاً بغيظ:

_ اسكت يا "قاسم" الله يكرمك أنت بتعكها!!

نفخ "قاسم" مُغتاظًا ثم تحدث بحنق لـ "رائد":

_ ما خلاص يا عم الخطير بقى متزعلش، أنت عارف إن
"فور" مش قصده حاجة من اللي حصلت وإن تصرفاته
كلها عفوية ومش مقصودة.

زاد الغضب على وجه "رائد" فتحدث بعصبية ودون وعي
لما يقوله من حديثٍ أحمق:

_ دا بيعزمها على الأكل أنت متخيل!!!

وتلك المرة تدخلت "أهله" صائحة به بإستنكار:

_ وأنت عامل المشكلة دي كلها علشان عزمها على الأكل؟!
زعقت للبت الغلبانة وخرجتها قدامنا كلنا علشان أكل؟! دا
يخربيت النتانة يا جدع.

سدد لها "قاسم" نظرات نارية فاستدار "رائد" إلى "قاسم"
هاتفًا بحدة:

_خَلِي مراتك تسكت يا "قاسم" أنا مش ناقص.

هز "قاسم" كتفه بلامبالاة ثم أكد على حديثها قائلاً:

_ما هي بصراحة معاها حق، أنت نتن ومعفن وجيت على
أختك ومشيتها معيطة، مع إن رد فعلها هي كمان كان
عفوي وأكيد متقصدش حاجة من اللي جت في دماغك.

شدّ "رائد" على خصلاته بعنف وبدأ ضميره في أخذ دوره
الفعال وهو إيلامه على فعلته، لكن هو يخاف عليها ولا
يحب أن يقترب منها أحد، حتى ولو كانوا أصدقائه، هبّ
"رائد" من مكانه ثم أردف بوجوم:

_حصل خير، أنا ماشي.

أوقفه "قاسم" قائلاً بتحذير:

_ما بلاش تعمل حاجة لـ "سهيلة" يا "رائد"، عايز تعاتبها
عاتبها بينك وبينها، متكسررش ثقة أختك فيك علشان
متندمش العمر كله.

طالعه "رائد" بوجوم، وبهدوء شديد اتجه نحو الخارج ليذهب إلى منزله، لكن قبل الخروج سدد نظرة عابرة لـ "فور" الذي كان يُراقب الوضع ببرود حقيقي، وكان الموقف بأكلمه وضّح له الطريق الواعر الذي سيخوضه حتى يصل إليها! وكيف سيصل إليها وكل الطرق مُغلقة بينهما! هي وُلدت في بيئة وهو في بيئة مختلفة تمامًا، كل الظروف ضدهم وحتى ديانتهم.

نفخ "فور" بإختناق، وبضيق شديد قام بالخروج والصعود نحو سطح المنزل حتى يأخذ أنفاسه، وبالطبع لم يتركه الشباب، بل سعد الجميع خلفه وخاصةً "قاسم وآلبرت" صدوا خلفه مُهرولين.

عاد "صهيب" إلى "حبيبة" التي كانت تتابع الموقف بصمتٍ حاد كجميع الفتيات، ثم أمسك بكفها متحدثًا بحنان:

_حبيبتي أنا طلبتك عربية علشان توصلك البيت لاني للأسف مش هرجع دلوقتي، وأنتِ شايفة التوتر هنا عامل إزاي فمش عايز أتقل عليكِ.

أومأت له "حبيبة" بهدوء موافقة على حديثه، ثم ودعت الفتيات بود وصعدت إلى السيارة التي طلبها السائق لأجلها لتعود إلى المنزل، الأجواء متوترة للغاية وهو لا يريد التأثير على نفسيته أكثر من ذلك.

بُلِيْتُ بفؤادٍ يهوى رغم تحطُّمه، فصرتُ أهوى الحِطامِ رغم تَألمي، فهل لي بهُدنةٍ لأمحو الكسورِ، أم أن فؤادك بات بالعشقِ مكسورٍ؟!

كانت الساعة مازالت الثانية ظهراً، و"يحيى" مازال جالساً بجانب "يمنى" النائمة بهدوء، استند بظهره على الحائط ثم زفر باختناق شديد كاد أن يهلكه، لا يستطيع نسيان فعلتها، لقد آلمت قلبه كما لو غرزت به السكين حقاً! تلك الليلة ظل يبكي حسرةً، فمن عشقها الفؤاد حاولت قتله!

عادت بذاكرته لذلك اليوم الذي هاتفه به "يمنى"، عندما كان يقف حينها أمام "مختار الأرماني" الذي يُمليه أوامره، والحقيقة بأن "مختار" كان يسير خلف خطتهم هم! فلقد جعله "يحيى" يطمئن من جهة "صهيب" بتاتاً، عندما شك

"مختار" بتصرفاته العجيبة وأرسل خلفه أحد الرجال لمراقبته، ولسوء حظه لم يكن الرجل سوى "وليد فريد سعيد"! والذي كان يعمل معهم هو الآخر والذي ترك "صهيب" يذهب كيفما يشاء، وفي نهاية اليوم يذهب إليه ليُخبره بذهابه للعمل فقط، والمغفل كان يصدق.

أعطى "مختار" لـ"صهيب" عندما اطمئن تجاهه، كذلك أبعده "يحيى" الشكوك عن "قاسم" بتاتاً ولم يشك به ولو لثانية واحدة، بل وضع "ألبرت" وأخواته أمام المدفع كما اتفقوا سابقاً، وما جعل "مختار" يُصدق حديثه هو عداوته المُسبقة معهم وعمل "إيلينا" مع منظمتهم الإرهابية، كل شيء كان مُرتب ومُنظم كما هو المُتفق ويسير حسب خطتهم تماماً.

في ذلك اليوم ظل هاتف "يحيى" يرن كثيراً وهو يُغلق لا يُجيب، مما أثار شكوك "مختار" الذي تسائل بحذر:
_مين اللي بيرن عليك يا "يحيى"؟!!

ابتلع "يحيى" ريقه بتوتر، ثم أجابه بثبات زائف:
_لأ.. لأ مفيش يا "مختار" بيه دا واحد من الحُراس، اتفضل حضرتك عندك أي أوامر تانية؟!!

طالعه "مختار" بنظراتٍ ثاقبة، وبجمود هز رأسه بالنفي
زمازال الشك يُداهمه:

_ لأ مفيش حاجة تاني، اتفضل أنت روح شوف شغلك.

أوماً له "يحيى" بالإيجاب ومن داخله يتيقن بأن حيلته لم
تتظلي عليه، وما إن خرج خرج حتى انطلق إلى منزله
وصعد للأعلى مُسرِعاً حتى يرى "صوفيا" التي من
المفترض أن تكون نائمة بسبب مفعول المنوم الذي يضعه
لها، جلس على الفراش بجانبها بإنهاك وظل يُفكر لبعض
الوقت في معضلته، ليقاطعه صوت رنين الهاتف مرة أخرى
باسم "يمنى"، لذلك أجابها بهدوء:

_ أيوا يا "يمنى" في إيه؟! ..

....

_ متضايقه مالك يعني؟ ..

....

_ طيب تمام أنا جاي حالاً.

أنهى حديثه معها ثم دلف إلى المراض ليغسل وجهه
ويستفيق قليلاً، وعند خروجه استمع إلى صوت هاتفه

حارة القناص

اللحوح؛ ليزفر بضيق من كم الإتصالات التي تهبط فوق رأسه اليوم، لذلك تمتم بحنق:

_روحوا ربنا يبتليكم بمصيبة أنا قرفت منكم.

أمسك هاتفه ليجد أن المتصل هو "قاسم"، لتتشكل ابتسامة ساخرة على ثغره ثم همس لذاته قائلاً:

_وانتوا ناقصين مصايب؟! استغفر الله العظيم، متقبلش مني دعوتي يارب دول عيال غلبانة.

أجاب عليه "يحيى" بمزاح قائلاً:

_عمي وعم عيالي، واحشني يا غالي.

تجاهل "قاسم" حديثه ثم تحدث بصوتٍ جاد للغاية وهو ينظر لـ"ألبرت وفور" بقلق:

_ "يحيى" أنت فين؟!!

أجابه "يحيى" بتعجب:

_ في البيت، بتسأل ليه؟!!

حارة القناص

تسائل "قاسم" دون مراوغة:
_ "يمنى" طلبت إنها تقابلك!!

قطب "يحيى" جبينه بتعجب شديد ثم رد عليه باستغراب:
_ آه.. أنت عرفت إزاي؟!!

تحدث "قاسم" بجدية شديدة وهو يجز على أسنانه بضيق:
_ ألبس واقى يا "يحيى" وأنت رايح تقابلها.

ردد "يحيى" حديثه بصدمة هامسًا:
_ ألبس واقى؟! في إيه يا "قاسم" ما ترسيني على الحوار؟!!

نفخ "قاسم" بعصبية وهو يُجيبها:
_ "يمنى" سمعتنا وإحنا بنتكلم ومفكرة إنك خاين بجد،
ومحدثش متوقع ردة فعلها وقت عصبيتها بس "ألبرت"
شافها وهي طالعة بتجري من البيت وكانت بتعيط، خلاصة
الكلام إحمي نفسك وخذ حذرك منها.

حارة القناص

ابتلع "يحيى" ريقه مُنصدمًا مما يسمعه، وبصوتٍ خافت
أردف وهي يهز رأسه بالنفي:

_لأ "يمنى" مستحيل تعمل كدا.

حينها صرخ به "قاسم" بغضب خوفًا من أن يُصيبه أي
سوء:

_يابني اسمع اللي بقولك عليه وافهم، "يمنى" دلوقتي مش
في وعيها وممكن تعمل أي تصرف متهور، خُد احتياطاتك
مش هتخسر حاجة.

هز "يحيى" رأسه بالإيجاب وكأنه أمامه ويراه، نظراته
شاردة وقلبه يخفق بخوف من أن تفعلها "يمنى" حقًا
وتأذيه! وبالفعل ارتدى واق واهتم بوضع أكياس تحتوي
سائل أحمر حتى تتجح الخطة، وبعدها ترك "صوفيا" نائمة
وهبط من المنزل ذاهبًا إلى المكان المكان المُتفق عليه
معها.

بعد ربع ساعة وصل إلى المكان فلم يجدها، لذلك فضّل
الوقوف والنظر أمامه على المناظر الطبيعية التي تُريح
القلوب، لم يمر الكثير من الوقت حتى تصل، بل استمع إلى
صوتها يُناديه بصوتٍ مُتشرج فشلت في إخفائه، أغمض

عينه بألم خوفًا من تلك الفكرة التي دلفت إلى عقله، وبثباتٍ يُحسد عليه استدار لها راسمًا على نُغره ابتسامه عاشقة،
اقترب منها متشدقًا بحب:

_وحشتيني يا "يمنى".

اقتربت منه "يمنى" أكثر ثم سألته بنبرة باكية:

_بتحبنى يا "يحيى"؟!!

أحاط "يحيى" بوجهها ثم أجابها بعشق:

_بحبك يا "يمنى"، أنتِ الحاجة الوحيدة الحلوة في حياتي.

لم تجد بُدًا من قتله، وكان شيطانها سيطر على أفعالها
جاعلاً إياها تتخيل كم هو كاذب ومُخادع، حينها لم تشعر
بذاته سوى وهي تُخرج السكين من ثيابها، وبغل أدخلتها
في معدته عدة مرات متتالية، مما جعل "يحيى" يفتح عيناه
مُحدجًا إياها بصدمة وعدم تصديق! وبادلها بأخرى مُعاتبه!

استفاق من ذكرياته على تمللمها وهمسها الباكي بإسمه،
ليجلس بجانبه على الأرض مُستندًا بركبتيه حتى يصل
لمستواها، ظلت "يمنى" تُحرك رأسها بعنف وكأنها تُقاوم
شيئًا ما! مما جعله يرفع كفه ليُمسد على خصلاتها بحنان

حارة القناص

شديد حتى فتحت عيناها قليلاً ورأته أمامها حيٌّ يُرزق،
رددت "يمنى" صوته بصوت مبجوح باكي:

_"يحيى"!!

ربت "يحيى" على خصلاتها مُردفاً بحب:

_"أنا معاك يا عيوني."

رددت اسمه مرة أخرى لكن تلك المرة ببيكاء شديد:

_"يحيى".

أغمض "يحيى" عيناه بألم وصوت بكاؤها يخترق حصون
فؤاده، تملك أعصابه بصعوبة ثم فتح عينه مرة أخرى
متشدقاً بحسم:

_"لأ ما أنا مش هحضنك، الشيخ قالي حرام."

اعتدلت في جلستها ببطئ شديد وظلت تنظر إليه وكأنها
تحفر ملامحه داخل عقلها المتيم بعشقه، وضعت كلتا كفيها
على وجهها ثم همست له بإعتذار:

_"أنا أسفة.. والله أنا أسفة مش قصدي."

حارة القناص

وقف "يحيى" من مكانه ثم جلس جانبها مع الحفاظ على مسافة بينهما، وبعدها أردف بحنانٍ بالغ:

_علشان خاطري كفاية بُكى، أنا مش حمل وجع دموعك.

استدارت له "يمنى" بجسدها ثم تحدثت ببكاء ألم فواده:

_والله أنا محيتش بنفسي، أنا بحبك أقسم بالله.. أنت مش متخيل أنا حصلي إيه بعد ما عملت كدا، والله أنا شيطاني كان عاميني سامحني علشان خاطري يا "يحيى".

أجابها "يحيى" بضعف:

_خاطرك غالي على قلبي أوي يا "يمنى"، لدرجة إني مزعلتش لما طعنتيني وكنت بحطك أعذار واهية وصدقته.

وضعت "يمنى" يدها موضع قلبها أثناء محاولتها لتهدأ، وبعد ثواني سألته بصوتٍ مبجوح:

_يعني... يعني أنت مش زعلان مني؟!!

نفى "يحيى" بقوله المُستنكر:

_لأ طبعًا زعلان منك وعاييز أكسر دماغك، دا غير إني يومها فضلت أدعي عليك بس للأسف بحبك.

تسالت الدموع مرة أخرى لعيناها، ولم تمر ثوانٍ وانفجرت
في البكاء المرير مرة أخرى!

لطم "يحيى" على وجهه قائلاً بصراخ:

__ بهزر.. والله بهزر متبقيش قماصة كدا.

استمرت "يمنى" في البكاء وروحها مازالت تؤنبها على
فعلتها، ليسألها "يحيى" بغیظ لتكف عن الصمت:

__ طيب أنت عايزة إيه وتسكتي؟!!

تسائل لترفع أنظارها له على الفور، ثم تشدقت قائلة:

__ تتجوزني يا "يحيى"؟!!

تصنم جسد "يحيى" مكانه وحل الاستنكار على معالم وجهه
المُتشنج، ليخرج صوته أخيراً وهو يسألها بشهقة:

__ وحياة أمك يابت؟! لا بقولك إيه هتبوظيلي دوري في
الحياة كراجل هبوظلك معالم وشك ك ست.

حارة القناص

ارتعشت شفتي "يمنى" مُجددًا تُهدد بالبكاء، فاعتدل
"يحيى" في جلسته قائلاً بنفاذ صبر:

___يوه خلاص موافق.

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر "يمنى" التي وقفت في
محلها تسأله بعدم تصديق:

___قول أقسم بالله.

وقف "يحيى" أمامها مُومناً بضحك، لتقفز هي مكانها
بسعادة بالغة، ثم أردفت وهي تُجفف وجهها المُبتل والمليء
بالدموع:

___أنا بحبك أوي أوي أوي بجد.

احتلت الراحة صدر "يحيى" عند رؤيتها سعيدة، وبحنان
شديد اقترب منها خطوتان ثم أردف بعشق:

___أنا اللي عايز أسألك دلوقتي.. تتجوزيني يا "يمنى"؟!
موافقة تكلمي بقيت حياتك معايا في بيتي وفي حضني؟

وبسعادة وفرحة عارمة أومأت له "يمنى" بالإيجاب قائلة:

حارة القناص

__ موافقة أفضل معاك العمر كله بس أكون جنبك.

اتسعت ابتسامته وغمز لها بعبت:

__ حيث كدا بقى خلينا نمشي وأروح أطلبك من والدتك على طول.

مرّ اليوم على الجميع هادئاً، حتى حلّ الليل يسدل ستاره على الجميع، عاد "صهيب" إلى منزله فلم يجد لـ "حبيبة" أثر في غرفة الصالون، قطب جبينه بتعجب ودخل إلى غرفة نومه ولم يجدها كذلك، مما زاد القلق والريبة في فؤاده.

إلتف حوله عله يجدها في المطبخ لكنه لم يجدها، فدخل إلى الغرفة الثالثة والتي من المفترض أنها خاصة بالأطفال، لذلك لا يذلف إليها أحد، لكن ولدهشته الشديدة وجدها بها تقف بجوار الشُرْفة وتتحدث في الهاتف بصوتٍ خفيض غير مسموع! قطب "صهيب" جبينه بدهشة والذي ناداها متعجباً:

__ "حبيبة"؟!!

انتفضت "حبيبة" في مكانها بخضة، وبسرعة شديدة قامت بإغلاق الهاتف وخبأته خلف ظهرها ظناً منها بأنه لم يراه، اقترب منها "صهيب" أكثر حتى وقف قبالتها، ثم سألها مستغرباً حالتها:

_ واقفة عندك بتعملي إيه؟! وكنت بتكلمي مين؟!

توترت "حبيبة" بقوة عقب حديثها، وبتلعثم شديد أجابته:

_ ها.. لأ.. لأ مكنتش بكلم حد.. دا..

لم يتركها "صهيب" تُكمل حديثها، فانحنى قليلاً عليها ثم أخذ منها الهاتف ليرى إن قام أحد بمضايقتها وهي تخفي عليه بسبب توترها، فتح سجل المكالمات ليجد أن المكالمة الأخيرة كانت من "ريماس"، والتي كانت مدتها عشر دقائق تقريباً، رفع "صهيب" أنظاره لها ثم سألها متعجباً:

_ "ريماس" كانت بتتصل عليكِ ليه؟!

ابتلعت "حبيبة" ريقها بريبة، ثم أجابته بصوتٍ جعلته ثابتاً قدر الإمكان:

_ كانت بتقولني إنها هتيجي كمان ساعة عشان تقعد معايا شوية قبل ما نساfer بكره.

حارة القناص

نظر لها "صهيب" قليلاً بثبات، ليرسم ابتسامة طفيفة على
ثغره قبل أن يميل على وجنتها يُقبلها برقة، ثم أردف بحب:
_ ماشي يا حبيبي مفيش مشكلة، أنا هدخل آخذ شاور
دلوقتي وأنا جايب أكل جاهز حطيه لحد ما أخلص.

أومات له مُبتسمة له، تابعت أثره وهو يتحرك بعيداً عنها ثم
وضعت يدها على صدرها هامسة براحة:
_ الحمد لله كنت هتكشف.

الغضب والضيق هما عنواناً له الآن، نفخ "رائد" بغيظ من
حالته وغضبه هذا، فمنذ أن جاء إلى المنزل وهو يجلس
بغرفته يحاول أن يتلاشى الحديث مع شقيقته حتى لا يصل
الحديث معها إلى أمر سيندم عليه فيما بعد.

استمع إلى صوت جرس الباب فذهب ليرى من الطارق،
تنغضت ملامحه عندما وجد "فور" أمامه بملامح يظهر
عليها الضيق، ربّع "رائد" ساعديه أمام صدره ثم تسائل
ببرود:

_ نعم؟!!

حارة القناص

مط "فور" شفتيه بضيق ثم أجابه بحزن وهو يزفر:

حسناً لا تحزن، أنت تعلم بأنني لم أقصد مضايقتك بشقيقتك أو الإقتراب منها، أنت بمثابة شقيقي وأنا لا أريد أن أسافر غداً وأنت حزين مني.

لأنت ملامح "رائد" قليلاً عندما رأى الندم يطفو على وجهه، لكنه لن يتهاون في إظهار الضيق له، لذلك أردف بعتاب:

أنت عارف كويس يا "فور" إنك صحتي وأخويا، بس أختي لأ، وحطت تحت لأ دي مليون خط، أنت لا من طينتها ولا هي من طينتك، فملهوش لازمة الحوار اللي يدخل الزعل ما بينا دا.

احتل الضيق صدر "فور" بما قاله، مشاعره تنجرف نحو طيار غير مناسب له، عليه التضحية بشيء واحد، إما ديانتته أو خسارتها! وللحقيقة هو مُذبذب للغاية.

تقدم "فور" من "رائد" ثم احتضنه قائلاً بحب:

حسناً أنا آسف، أرجوك لا تغضب مني فأنا أحبك.

تلاشى البرود من "رائد" وحل محله الحنين، لذلك بادلته العناق ثم أردف يقول بود:

حارة القناص

_وأنا كمان بحبك.. ربنا يديم محبتنا ويخلينا سند لبعض
دائمًا.

أنهت "حبيبة" رص أطباق الطعام على السفرة، نظرت تجاه
المرحاض فوجدت الباب مازال مُغلقًا و"صهيب" بالداخل،
لذلك أخرجت هاتفها من جيب بيجامتها ثم طلبت أحد رقم
"أهلة" وانتظرت قليلًا، والتي ما إن أجابتها حتى هتفت
بتوتر:

_كنت هتكشف يا "أهلة" و"صهيب" كان هيعرف إني
بكلمك أنتِ والبنات وهيكشف خطتنا.

انتبهت "أهلة" لحديثها قائلة:

_طب وعملي إيه؟! عرف حاجة؟!!

نفت "حبيبة" بقولها:

_لأ معرفش حاجة، هو دخل على مكالمات الفون بس
مشافش الواتس، والحمد لله إن "ريماس" اتصلت بعدك
على طول.

حارة القناص

قطبت "أهلة" جبينها بتعجب ثم سألتها بريبة:
_و"ريماس" بنت عمك كانت بتكلمك ليه؟!!

أجابتها "حبيبة" بلامبالاة وحُسن نية:
_كانت بتقولي إنها هتيجي تقعد معايا شوية كمان نص
ساعة كدا.

أومأت "أهلة" بتفكير، ثم أجابتها:
_اممم.. طيب تمام خلي بالك من نفسك أهم حاجة واعملي
اللي قولتلك عليه ها؟!!

أجابتها "حبيبة" بخجل:
_حاضر.. يلا سلام.

خرج "صهيب" من المرحاض فوجدها قد قامت برص
الاطباق، فصاح مُحيياً إياها:
_أجمل واحدة في حياتي ترُص أطباق يا ناس!

حارة القناص

ابتسمت "حبيبة" بآتساع ثم أجابته وهي آجلس على الطاولة:

_يلا بقى علشان ناكل بسرعة، "ريماس" زمانها على وصول.

آجلس "صهيب" لتناول طعامه ثم أآابها على مضض:

_ما آيجي يا بني هو إحنا بنسرق، وبعدين أنا عايزك تخلصي الأكل دا كله علشان تتخني.

أومات له "حبيبة" قائلة بضحك:

_آاضر.

بعد القليل من الوقت تناولوا به الطعام، اسآمع كلاهما إلى صوت آرس الباب، فذهب "صهيب" ليفآحه وذهبت "حبيبة" آلفه لاسآقبال "ريماس"، وبالآعل كانت هي "ريماس" الطارقة التي ما إن رأآ "صهيب"، آآى ابتسمت بود زائف قائلة:

_آريك يا "صهيب"؟!!

أآابها "صهيب" بآبتسامة طفيفة:

حارة القناص

_ الحمد لله يا "ريماس"، أخبارك أنتِ ايه؟!!

_ الحمد لله بخير.

الاستدار "صهيب" لزوجته ثم أردف قائلاً بحنو:

_ طيب يا حبيبتى أنا هنزل أجيبلكم حاجة تشربوها وهسيبكم
تتكلّموا شوية على راحتكم.

أومأت له "حبيبة" وبالفعل ذهب "صهيب" لشراء
المشترريات وظلت الفتاتان وحدهما في المنزل، جلست
"حبيبة" بجانب ابنة عمها بعد أن احتضنتها بود، وظلتا
تتسامران قليلاً حتى هبت "حبيبة" من مقعدها قائلة:

_ هروح أجيبك عصير ونشربه أنا وأنتِ لحد ما صهيب
يجيب الحاجة السقعة.

أومأت لها "ريماس" قائلة:

_ براحتك يا بيبة.

ذهبت "حبيبة" من أمامها بينما ظلت "ريماس" تنظر في
أرجاء الشقة ثم همست لذاتها بحقد:

أنا هحول حياتك لجحيم بس الصبر.

تصنعت الابتسامة مرة أخرى عندما لمحت "حبيبة" تأتي
تحمل كوبين من العصير، جلست بجانبها ثم مدت يدها
بالكوب الخاص بها، لتلتطقه "ريماس" بابتسامة متكلفة
أثناء قولها المُعتذر:

_أسفة يا "حبيبة"، بس ممكن تجيبيلي كوباية مائة معلى!

هزت "حبيبة" رأسها بالإيجاب على الفور ثم ذهبت لتجلب
لها ما قامت بطلبه، لتستغل "ريماس" تلك الفرصة وتقوم
بإخراج أحد الأقراص من دواء مجهول المصدر ووضعها في
الكوب الخاص بـ"حبيبة".

#يُتبع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن

رَبِّي..

إني تائه

مُبْعَثٌ،

مُتَعَبٌ،

حَزِينٌ،

فتولني! وامنحني صبرًا يليق بالدرب الطويل
فالكلُ غافلٌ عني إلا أنتَ يَا رَبُّ رَحِيمٌ.

#الفصل_الثالث_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#الثُلث_لقلبي.

الشرُّ يُهْلِكُ ابنَ آدمَ ويضعه على طريقِ الدمارِ، سَلَّ مَنْ
أهلكته نفسه بسببِ أفعاله، سَلَّ مَنْ كانَ في قلبه مثقالُ ذرةٍ
من حقدِ إلامِ توصل، هل إستلذ بنصره! أم أن سعادة الخاسر
أنسته لذته؟!!

حارة القناص

جاءت "حبيبة" مُبتسمة لـ "ريماس" أثناء حملها لكوب المياه الذي طلبته الأخرى، وضعت أمامها على الطاولة ثم سألتها برقة:

_ عايزة حاجة تاني أجيبها لك؟!_

كتمت "ريماس" غيظها من رقتها المُصطنعة _ كما تظن _ ، لتبتسم ابتسامة صفراء رأتها "حبيبة" ودودة ثم تشدقت قائلة:

_ لا يا حبيبتى تسلميلى.

جلست "حبيبة" جانبها ثم تحدثت متسائلة:

_ عاملة إيه؟! بقالى كتير مشوفتكيش من آخر مرة.

قالت جُمَلتها الأخيرة ببعضٍ من الحرج عندما تذكرت ذلك اليوم الذي طردهم به "صهيب" من شدة غضبه، لتُعلق "ريماس" على حديثها ساخرة:

_ قصدك اليوم اللي طردنا في جوزك؟!_

ابتلعت "حبيبة" ريقها بحرج ثم ردت عليها بتوتر:

_ متزعليش يا "ريماس"، بس أنتِ عارفة إن "صهيب" مش بيحب "أنس وريمانا".

قضبت "ريماس" جبينها بضيق وهي تُجيبها بسخط مُستغلةً
طيبتها:

_لاحظي يا "حبيبة" إن أنتِ بتتكلمي عن أختي، و"أنس"
كمان يبقى ابن عمك، وتصرف "صهيب" مكنش ليه أي
داعي وأوفر كمان.

غضبت "حبيبة" من طريققتها في التحدث عن زوجها، لذلك
ردت عليها ببعض من القوة التي تعلمتها مؤخرًا من الفتيات
بسبب كثرة جلوسها معهم:

_وأنتِ شايفة إن تصرف أختك وابن عمك كان صح؟! مش
فاهمة وجهة نظرك الحقيقة.

دُهشت "ريماس" قليلًا من قوتها التي لا تعلم من أين أتتها،
ومع ذلك ردت عليها بحدة غير مقصودة:

_وماله تصرف أختي وابن عمي؟! وبعدين أنتِ أكثر واحدة
عارفة إن "أنس" بيحبك وأنتِ روحتي اتجوزتي "صهيب".

احتل الغضبُ وجه "حبيبة" تلقائيًا، فأجابتها قائلة
بإمتعاض:

_وأنا مبحبوش، معنديش أي استعداد أضيع نفسي تاني زي
زمان، أنا كنت عايشة تحت رحمة الكل ومحدث حاسس بيا

ولا أنا كان شعوري إيه، "صهيب" هو الوحيد اللي حبني
زي ما أنا، و"أنس" ميحيش فيه حاجة، لإن "صهيب"
ميتقارنش بحد.

زفرت "ريماس" على مهل وتحكمت في أعصابها بصعوبة
شديدة، تريد أن تقف وتقتلها حتى تتخلص منها ومن
برودها لكن الخطة التي وضعوها ستفشل إن قامت بفعلتها
تلك، لذلك رسمت على فاهها ابتسامة زائفة ثم ردت عليها
ببأس مصطنع:

_متزعليش مني يا "حبيبة"، بس أنا معنديش غير أختي
"ريمانا" حتى لو كانت وحشة، وبزعل لما حد يجيب
سيرتها بحاجة وحشة.

نظرت إليها "حبيبة" بضيق وكم ألمها حُزنها، اقتربت منها
قليلاً ثم ربتت على كفها قائلة بإعتذار:

_متزعليش مني أنا أسفة، مكنتش أقصد أضايقك.

هزت "ريماس" رأسها بنفي وهي تتشدد بؤد زائف:

_لأ ولا يهملك مش زعلانة، أنت معاك حق وأنا زودتها
حبتين.

حارة القناص

تحدثت "حبيبة" بحذر:

_ يعني أنتِ مش زعلانة مني؟!!

نفت "ريماس" قائلة:

_ لأ مش زعلانة يا "بيبة"، يا دوب بقى أشرب العصير
وأمشي قبل ما الجو يتأخر.

قالت جُمَلتها ثم امسكت بكأس العصير الذي وضعت فيه
الدواء وأعطته لها قائلة بإبتسامة واسعة:

_ خُدي اشربي وهعتبر إن إحنا اتصالحنا من بعدها.

ضحكت "حبيبة" بخفة ثم أخذت من بين يدها الكأس، وكذلك
أمسكت "ريماس" بالكأس الآخر لترتشف منه القليل ببطئٍ
وتلذذ وهي تُتابع الكأس الموجود بين يدي "حبيبة" مُنتظرة
ارتشافها منه على أحر من الجمر.

رفعت "حبيبة" الكأس على فاهها وكادت أن تتجرعه؛ لكن
صوت جرس الباب قد منعها من الإكمال، انزلت كفها ثم
نظرت لـ "ريماس" التي كادت أن تغلي من الغضب، قائلة
بإبتسامة لطيفة:

_ ثواني هروح أشوف مين اللي بيخبط.

أومات لها "ريماس" التي أغمضت عيناها بغضب بعد
ذهابها، ثم جرت على أسنانها حاقدة على الطارق وعلى حظ
الأخرى الذي أنقذها في آخر لحظة!

اتجهت "حبيبة" نحو الباب لتفتحه، لترسم الدهشة جلية
على معالم وجهها بعد أن رأت الفتيات يرتصن أمامها وعلى
رأسهم "أهلة" التي دفعتها جانبًا لتدلف للداخل وعلى
وجهها يرتسم إمارات الغضب بوضوح، لكنها حاولت قدر
الإمكان حتى لا تشك "حبيبة" في أي شيء ويعود إليها
الشعور بالنبذ مرة أخرى.

حدجتها "حبيبة" باستغراب، ثم استدارت إلى الفتيات
تسألهم بدهشة:

_ ما هو مش معقول أكون وحشتكم بالسرعة دي علشان
تيجوا كلكم كدا.

اقتربت منها "ملك" ثم لفت يدها حول كتفها آخذة إياها
لتدخل خلف "أهلة"، ثم أردفت بمرح:

_ عيب يا جدع متقولش كدا، دا أنت بتوحشينا وأنتِ معانا.

ورغم أن كلمات "ملك" كانت مازحة؛ إلا إنها أدخلت
السرور على فؤاد تلك المسكينة التي ابتسمت لها وبسعادة
وحرمان!

تخطتهم "مهرائيل" التي أسرعت خلف "أهله" متشدقة
بدرامية وهي تضرب على رأسها:

_ استر يارب، "أهله" هتاكل البت اللي قاعدة جوا.

هرولت خلفهم "لوسيندا" وكذلك "يمنى" التي أردفت
بسخرية:

_ لحم الكلاب مُر يا ضنايا، ودي عيلة **** متعاشرش.

تنفض جبين "حبيبة" ببعضٍ من الضيق بسبب ما قالتها،
لتغمزها "يمنى" قائلة بمرح:

_ من عدا أنتَ يا جميل يا عسل.

إحمرت وجنتي "حبيبة" بخجل ثم أردفت برقة:

_ يوه بقى بتكسف بجد!

اقتربت منها "لوسيندا" تُقبلها على وجنتها بقوة أثناء قولها
المُحب لتلك الشخصية الطاهرة:

_يخربيت العسل يا شيخة بجد بقي، دا إحنا بنعتبرك بنتنا
مش صاحبتنا لأ.

ضحكن على حديثها وفعلتها العفوية، ثم دلفن إلى الداخل
ليروا المعركة الناشبة بين "أهلة" و "ريماس"، لكن ليست
معركة بالأيدي! بل بالنظرات.

انحنت "أهلة" قليلاً لترتشف من كوب العصير الذي كان
موضوعاً أمامها، ونظرات التحدي والعنف كانت مُرتسمة
بوضوح على عيناها، وبعد فترة من الصمت خرج صوتها
مُتسائلاً بشماتة خفية:

_و"صفوت" بيه حالته إيه دلوقتي يا "ريماس" ياختي؟!

ابتلعت "ريماس" ريقها بريبة أثناء مُتابعها لكأس العصير
الماكت بين يدي "أهلة"، وفي تلك اللحظة سببت وسببت
قدومها وتخريبها لخطتها التي كانت على وشك النجاح،
لولاها هي وتلك الغيبة الأخرى التي تجلس بجانبها، انتبهت

حارة القناص

بعدها إلى صوت "مهرائيل" التي تسألها بنبرة هجومية
بحثة:

_ هي البعيدة مبتسمعش ولا إيه؟! ما تردي يابت وقولينا
أبوك عامل إيه؟! مات ولا لسه؟!

احمرت عيني "ريماس" بغضب عقب حديثها المهين
بالنسبة لها، وما كادت أن تُجيبها حتى استمعت إلى صوت
"أهلة" التي نظرت إلى "مهرائيل" معاتبة إياها:

_ توتو يا "مهاميهو" دي مش أخلاقنا، إحنا بنتعامل بكل
احترام ورُقي مع الناس مش كدا.

جاءت في تلك الأثناء الفتيات ليجلسن على الأرائك هنَّ
الأخريات، جلست "حبيبة" بجانب "أهلة" من الناحية
الأخرى، و"لوسيندا" جلست بجانب "ريماس" التي تُطالع
الجميع بإشمئزاز، وجاورتها "ملك"، وعلى النقعد المنفصل
جلست "يمنى"، فأصبحت "ريماس" مُحاطة من جميع
الإتجاهات!

قطع الصمت صوت "أهلة" التي رفعت كوب العصير
لـ "حبيبة" تسألها بترقب:

حارة القناص

__ حد شرب من الكوباية دي قبلي يا "بيبو"؟!!

هزت "حبيبة" رأسها بالنفي وهي تُجيبها برقة:

__ لأ يا "هولا" محدش لمسها، اشربها أنتِ وأنا هقوم أعمل للبنات.

أوقفتها "حبيبة" وأجلستها مكانها مُجددًا، ثم أجابتها وهي تُكمل ارتشاف العصير:

__ لأ سيبك منهم ومتعبيش نفسك، اقعدى معانا دا أنتِ وحشتينا جدًا.

ابتسمت لها "حبيبة" بامتنان، غافلة عن نظرات الحقد التي انبعثت من عيني الأخرى التي كادت أن تحرقها حية، وبالطبع لم تغفل "يمنى" عن نظراتها تلك والتي بينت لها خُبثها ليس كما تظهر، وبمكرٍ شديد تسائلت وهي تعبت بخصلات شعرها:

__ ألا قوليلي يا "ريماس"، أنتِ جاية لوحدك ولا حد جاي معاك؟!!

توقف العصير في حلقها مما أدى إلى سعالها واحمرار
وجهها بقوة نتيجة لحبس أنفاسها، انتفضت "حبيبة" على
الفور ثم ناولتها المياه لتشرب منها، بينما "لوسيندا"
استغلت قُربها منها وضربت على ظهرها بضربات قوية
وهي تقول بهلع مصطنع:

يا ساتر يارب!! خُدي نفسك.. خُدي نفسك لتفطسي مننا.

دفعت "ريماس" يدها بقوة وهي تلعنها في داخلها، بينما
"ملك" مدت يدها من الخلف ثم أمسكت بخصلة من
خصلاتها وجذبتها للأسفل بقوة شديدة، مما أدى إلى سقوط
المياه على ثيابها أثناء ارتشافها منها، ثم صراخها المتألم
الذي ارتفع نتيجة لجذب شعرها المفاجيء.

طالعت "حبيبة" الفتيات بتيهة وحتى الآن لا تجد مُبرر
لعنفهنّ معها، فتحت فاهها للتحدث؛ فوجدت يد "أهله"
تجذبها من ذراعها وهي تقول بجدية:

سيبي البنات يشوفوا شغلهم وتعالى عايزاك.

نظرت "حبيبة" للوضع بقلق، وبتردد شديد ذهبت معها نحو
الشرفة أثناء نظرها للحالة الهجومية التي تلبست جميع
الفتيات بلا استثناء!

وبالجهة الأخرى.. دفعت "ريماس" يد "لوسيندا" بعنف،
لتصطدم يدها بالطاولة التي تجاورها، احتدمت عيني
"مهرايل" بشراسة وهبت من مضجعا ذاهبة إليها بسرعة
مُرعبة أثناء قولها الغاضب:

_ أنت بتضربي أختي؟! دا أنت ليلة أمك سودة النهاردة.

قالت جُمَلتها ثم هجمت عليها تجذبها من خصلاتها بعنف،
وبالطبع لم تكن وحدها، بل تجمعت حولها الفتيات كذلك
وأخذوا حق رفيقتهم التي جُرحت جرح صغير للغاية!

أما "أهلة".. فقد أوقفت "حبيبة" أمام الشرفة المُحاطة
بسور حديدي فخم، ثم أشارت على أحد السيارات قائلة:

_ بُصي وركزي على العربية اللي هناك دي كدا!

نظرت "حبيبة" حيث تُشير، فوجدت زجاج السيارة مفتوح
نصفه فقط ويوجد بالداخل شخص يتحرك حركات خفيفة
لكنها لم ترى وجهه، قطبت "حبيبة" جبينها بتعجب ثم
تسألت بجهل:

_ مين دا مش فاهمة؟!!

حارة القناص

استتدت "أهلة" بظهرها على السور من خلفها، ثم ربت
عن ساعديها قائلة دون مراوغة:

_دا "أنس" ابن عمك.

صُدمت "حبيبة" من قولها فتسائلت بدهشة وكأنها لم
تسمعها من الأساس:

_مين؟!

رددت "أهلة" حديثها بجمود:

_دا "أنس" ابن عمك.. جاي مع "ريماس" والله أعلم
غرضهم كان إيه، أنا مرتحتش لما قولتيلي إنها جاية علشان
كدا جبت البنات وجيت.

أحست "حبيبة" بتلك الغصة المؤلمة التي تشكلت بحلقها،
وبدون إرادة منها هبطت دموعها وهي تقول بصوتٍ
ضعيف:

_بس.. بس "ريماس" مش زيهم... مستحيل تكون بتكذب
عليا كل دا!

طالعت "أهلة" حالتها الحزينة بشفقة، لتفك عن ساعديها ثم اقتربت منها ببطئ قائلة بأسف:

_ لآ يا "حبببة" بتكذب عليكِ، "ريماس" زيها زي "ريمانا" زي "أنس"، كلهم نفس الفصييلة ونفس الشر، الفرق بس إن هي دخلتلك من الحتة اللي بتوجعك، عملت نفسها صحبتك علشان تعرف تسيطر عليكِ وتنفذي كلامها.

حاولت "حبببة" التحكم بذاتها ومنع عيناها من ذرف الدموع لكنها لم تستطع، لذلك وضعت يدها على فاهها تمنع شهقاتها الخافتة التي صعدت منها، ثم أردفت بصوتٍ واهن تزامناً مع عودة شعورها بالمقط من من حولها:

_ هما ليه بيكرهوني أنا معملتش ليهم حاجة وحشة.

حزنت "أهلة" عليها فاقتربت منها بدون تردد ثم أحاطت بها من كتفها تضمها إليها بحنان، رفعت كفها تُربت على خصلاتها بود ثم أردفت قائلة:

_ أنتِ مش وحشة يا "حبببة"، أنتِ مكانك بين العيلة دي هو اللي غلط، ولو جيتي للحق فأنا مكنتش برتاح ليك في الأول.

حارة القناص

رفعت "حبيبة" أنظارها إليها تسألها بأعين دامعة:
ليه؟!

أجابتها "أهلة" بشرود:
_عشان أنتِ من دمهم، والعيلة دي بالذات أنا مش بحبها.

ليه هما أدوك؟!
تسألت "حبيبة" لتُجيبها الأخرى بسخرية:
_أذوني؟! دا أنا كنت ملطشة ليهم.

طالعتها "حبيبة" بحزن ثم شددت من احتضانها قائلة
بصوتٍ مُرتعش خافت يشوبه البكاء:
_أنا أسفة.

ابتسمت لها "أهلة" بحنان ثم أجابتها وهي تنظر للسيارة
بأعين غامضة حادة:
_أنتِ ملكيش ذنب، سيبيني أنا آخذ حقي منهم بمعرفتي
وعلى الطريقة اللي بمزاجي.

صمتت "حبيبة" قليلاً ولم تُجيبها، بل شردت في تلك
الجالسة في الخارج والتي أتت لمنزلها لخداعها، وهي
المُغفلة التي ظنتها لا تشبه هؤلاء الوحوش الذين قضوا
على شخصيتها! حمقاء أنتِ يا "حبيبة" لتظني هكذا في
هؤلاء حمقى!

خرجت من أحضان "أهلة" ثم مسحت أهدابها المُبتلة بدموع
الأسى الحارقة، وبعدها هتفت بصوتٍ مبجوح أثناء نظرها
للسيارة التي يمكث بها "أنس":
طيب وهعمل إيه دلوقتي؟!

هنعمل.. اسمها هنعمل مش هتعملي.

قالتها "أهلة" بقوة لتؤكد على وجودها دائماً بجانبها ثم
أردفت بخبثٍ ماكر:
ودلوقتي تعالي بقى اتفرجي وعايذكِ تتمزجي.

لم تفقه "حبيبة" حديثها بشكل مباشر، بل لاحقتها للداخل
حتى ترى ما تنتوي فعله في الأخرى، اتجهوا حيث تتجمع
الفتيات حول "ريماس" ونظرات الغضب والشراسة تحوم
داخل حدقتي "مهرايل" التي كادت أن تقتلها، استدارت

"ريماس" بغضب نحو "حبيبة" ثم وبختها بعنف قائلة
بصراخ:

_إيه قلة الأدب والقذارة دي يا "حبيبة"! من إمتى وأنتِ
بتتعرفي على أشكال زي دي!؟

أتاها الجواب على الفور.. لكن ليس من "حبيبة"، بل من
"أهله" التي أجابتها بصفعة مدوية هبطت على وجنتها
لتترك أثراً واضحاً على خدها الأبيض، ومن قوتها شعرت
الأخرى بالدوار يعصف برأسها لعدة ثواني!

شهقت "حبيبة" بخفة أثناء وضعها ليدها على فاهها لتكتم
صدمتها، أمسكت بها "لوسيندا" من يدها لتطمئننها
بوجودها وتخفف من حدة الأجواء لديها، بل ولتكتسب الثقة
في وجودهن أيضاً.

بينما "أهله" اقتربت منها ببطئ مُتدلل كأفعى سامية على
وشك الهجوم على فريستها، ثم همست أمام وجهها بفحيح:
_لو شوفتك قريبة من "حبيبة" تاني أنا هحول حياتك
لجحيم.

كانت "ريماس" حينها تنظر لها بعدم تصديق، وحتى الآن مصدومة من فعلتها التي فاجبتها بها على غفلة، احتدمت عيناها بحقدٍ بالغ عندما رأت نظرات الشماتة تحوم داخل مقلتيها، لذلك رفعت كفها في نية لرد ضربتها لكن أوقفها يد "أهلة" التي لوت ذراعها للخلف تضغط عليه بعنف، وبمكرٍ خبيث تشدقت قائلة:

_ ما قولتك بلاش أنا! صدقيني هتندمي.

أرادت "أهلة" إذلالها أكثر لكن أوقفها شعورها بالإشمزاز الذي داهمها فجأة نتيجة لقربها من الكثير من الأشخاص اليوم، لذلك أخفت ما تشعر به وارتدت قناع الثبات وهي تدفعها للأمام بعنف حتى كادت أن توقعها، وبإصبع سبابتها أشارت نحو الباب قائلة بجمود:

_ الباب عندك أهو تطلعي منه ومشوفش وشك العكر هنا تاني.

ابتلعت "ريماس" اهانتها عندما كادت أن ترد عليها بوقاحة، لكن كان يرتص على يمينها "أهلة، حبيبة، يمى"، وعلى يسارها "مهرائيل، لوسيندا، ملك"، وجميعهم يُسدون إليها نظراتٍ كادت أن تحرقها حية، لذلك أخذت حقيبتها ثم ذهبت من أمامهم قبل أن ينقضوا عليها.

حارة القناص

كانت نظرات "حبيبة" تُتابعها بأعين مُتَحَسِّرة تكون فيهما
الدمعُ حُزناً، رأتها "يمنى" فجذبتها إليها مُحتضنة إياها
بحنان أثناء قولها:

_متز عليش يا "بيبة" علشان خاطري، ولو خايفة ياستي
فإحنا كلنا جنبك ومش هنسيبك أبداً.

أكدت "أهله" على حديثها قائلة:

_ "يمنى" معاها حق يا "حبيبة"، وبعدين أنتِ هتلاقي فين
بنات بالحلاوة والجمال والإحترام والهدوء دا؟!!

اهتز جسد "حبيبة" بضحك على دُعابتها، فأردفت "يمنى"
بحماس قائلة بصراخ أفرعهم:

_ نسييت أقولكم حاجة مهمة.

ابتعدت عنها "حبيبة" بريبة من صراخها، لتجذبها
"لوسيندا" لها بقهقهات عالية أثناء قولها الضاحك:

_ تعالي يا بسكوتة جنبي أصلها بتتحول.

تجاهلت "يمنى" حديثها، ثم أردفت بصوتٍ مليء بالسعادة:

_ "يحيى" راح طلب إيدي من ماما وهنتجوز.

حارة القناص

صاحت "ملك" بسعادة وهي تسألها بدهشة:

_إيه دا بجد طلب إيدك؟!!!

نفت "يمنى" على الفور قائلة ببلاهة:

_لأ أنا اتقدمتله وهو وافق.

تشنج وجه الفتيات بإستنكار، لتسائل "مهرايل" بغباء:

_ودي عملتيها إزاي لمأخدة؟!

شبكت "يمنى" أصابعها أمام صدرها ثم تحدثت بنظرات هائمة:

_قولتله يا "يحيى" تقبل تتجوزني وتكون شريك لحياتي؟!

في تلك الأثناء.. شعرت بمن يُمسكها من ياقة ثيابها وتسألها بشر:

_سمعيني كدا مين اللي اتقدم للتاني؟!

حارة القناص

نظرت "يمنى" لـ "أهلة" برعب، لتبتلع ريقها بصعوبة
راسمة على وجهها ابتسامة بلهاء أثناء قولها المُتناقض:

_ أنتِ صدقتي ولا إيه يا "أهلة" يا حبيبتي؟! طبعًا هو اللي
اتقدملي وفضل يتحايل عليا عشان أنا كنت رافضة أصلًا،
وفي الآخر وافقت بيه بقى، وأهو "يحيى" أحسن من
"عبدالله".

سألته "حبيبة" برقة:

_ "عبدالله" مين دا؟!!

طالعتها "يمنى" بابتسامة بلهاء وهي تُجيبها:

_ لأ دا مثل شعبي قديم مش هتفهمه واحدة بنت ناس زيك
كدا.

تركتها "أهلة" مُتمتمة في سرها:

_ ناس ولاد ***.

بدأ الدوار يُداهم رأس "أهلة" تدريجيًا فاستئذنت من
"حبيبة" قائلة بهدوء زائف:

_ "حبيبة" معلى عايزة أدخل الحمام.

أشارت لها "حبيبة" بإبتسامة هادئة، فدلفت "أهله" للداخل مُسرعة ثم غسلت كلتا يديها جيداً، وكالعادة حاولت السيطرة على تقيؤها ولحُسن حظها نجحت في ذلك، سحبت نفساً عميقاً من رئتيها ثم زفرته على مهل، وبصعوبة بالغة تحكمت في الدوار الفتاك الذي يعصف برأسها ثم خرجت إلى الفتيات.

قُضي الوقت وذهب الفتيات جميعاً من المنزل بعد أن اطمئنوا على الحالة النفسية لـصديقتهم ثم اتجهت كل واحدة منهم نحو منزلها بعد يومٍ شاق وعناء طويل.

كُتِبَ عليّ الحُزن في حظوظ حياتي، وباتت طُرقاتي مفعمة بظلام الشيطان، يرسم لي خطواتي لأتبع مساراته، وأنا أجاهد للخلاص من الهلاك، فهب لي يا الله طاقةً، لأُكمل طريقي وأعدو النجاح.

استمعت "سهيلة" إلى صوت طرقات الباب فمسحت دموعها بسرعة خوفاً من أن يراها أحد، سيطرت على ذاتها ثم سمحت للطارق بالدخول، ليدخل بعدها "رائد" بملامح هادئة مُستكينة عكس غضبه منذ قليل.

حارة القناص

رأته "سهيلة" فتنفض جبينها بانزعاج ثم سألته بضيق:
_ عايز إيه؟!

رد عليها ساخرًا وهو يُغلق الباب خلفه:
_ عايز محشي يا روح خالتك، عندك؟!

أجابته بنبرة هجومية غير مُتناسية إهانتها لها أمام الجميع
منذ قليل:

_ لأ معنديش، وبعدين أنت جاي ليه؟! جاي تكمل تهزيقك ليا
اللي مكملتهوش قدامهم؟!

اقترب منها ومعالم الإستنكار ترتسم بوضوح على محياه،
ثم أجابها حانقًا:

_ أنت ليك عين تتكلمي بعد اللي عملتيه؟! "سهيلة" أنتِ
علاقتك أنتِ و"فور" من الأول مش مريحاني، وأنا مش
عايز الموضوع يتطور بينكم أكثر من كدا.

اشتدت الضيق بفؤادها فأجابته بدون وعي وغضب غير
مُبرر:

حارة القناص

ما أنت كمان علاقتك أنت و"ملك" متطورة ومحدث كلمك
ولا قالك أنت بتعمل إيه.

ضرب على رأسها بقوة خفيفة رامياً إياها بكلماتٍ قاسية
آلمتها رغم علمها وتيقننها بصحتها:

أنا و"ملك" مسلمين زي بعض، وهروح أتقدم لها زي ما
قولت، لكن أنت و"فور" متنفعوش نهائي، متنفعوش بأي
شكل من الأشكال حتى لو أنت كنت بتحببته.

توترت معالم "سهيلة" بقوة عقب حديثه الأخير، ثم نفت
برأسها قائلة بتلعم:

ها!! بحبه!! لأ طبعاً محبوبوش أنت بتقول إيه!

رد عليها "رائد" بصرامة وجدية شديدة:

أنا مش عيل بريالة علشان معرفش أختي بتفكر إزاي ولا
حاسة بإيه، أنا عارف إنك بتحبي "فور"، وهو كمان باين
عليه بيحبك بس مينفعش.

ضغطت "سهيلة" على كفها بقوة وأغمضت جفنيها لتمنع
من هطول دموعها التي تشكلت داخل مقلتاها، نظر إليها
"رائد" بحزن ثم جلس أمامها على الفراش وجذبها بحنان

حارة القناص

لأحضانها، كلماته كانت قاسية لكن لأبد منها، عليها أن تفهم أن علاقتهما من الصعب عليها أن تكتمل لإختلاف أديانهم، لذلك كان عليه مواجهة بالحقيقة التي تعلمها وتتجاهلها بإرادتها.

وهنا أطلقت العنان لشهقاتها بالهطول تزامناً مع خروج شهقات بكاء ضعيفة من فاهها، شدد "رائد" من احتضانها ثم ربت على ظهرها يُهددها بصوتٍ حاني كالأطفال، غضبه منها تلاشى فور رؤيته لحُزنها، لذلك لم يمنع ذاته من اسكاتها.

ظلت على حالتها تلك عدة دقائق فقرر "رائد" مشاكستها بقوله:

__وبعدين بتحبي فيه إيه دا؟! دا حتى مفجوع وطفس ومخلص على أكل الدولة.

ضحكت "سهيلة" بخفة قبل أن تبتعد عنه ببطئ أثناء حديثها المُحب:

__ملكش دعوة.. على قلبي زي العسل.

تنغض جبين "رائد" بإستنكار فصاح حانقاً:

_يابت أنت مبتفهميش!! يخربيت الغباء الوراثي اللي عندك
دا.

قالها دون وعي لتضحك "سهيلة" على حديثه العفوي، قبل
أن تتحول باسمتها لأخرى حزينة قبل اعترافها لأخيها على
بغته:

_بحبه يا "رائد" ومش هعرف أطلعه من دماغي.

كاد أن يعترض فأوقفته مُسرعة بنبرة صوتها المُرتعشة
بحزن:

_أنت بتحب "ملك" ومش بتقدر تتنفس في وجودها، بتبقى
قاعد مش على بعضك وبيبقى باين عليك جدًا، أنا كمان قلبي
مش أنا اللي بتحكم فيه وحببته غصب عني، أنا مش هعرف
أنساه يا "رائد" صدقني.

أغمض "رائد" عيناه بضيق وحيرة ولا يعلم كيف يحل
الأمر، لكن ما أقلق شقيقته هي تلك البسمة الخبيثة التي
ارتسمت على فاهه فجأة بعد وقت من الصمت والتفكير،
لتجده يتسائل بحذر:

_قولتي لي أنت بتحبيه ومش هتقدري تعيشي من غيره!؟

حارة القناص

وبريبة أومأت له "سهيلة" ببطئ، لتجده يهتف بإبتسامة
مُتسعة بعد أن توصلَ إلى الحل:

يبقى نقتله.

تشنج وجه "سهيلة" بإستنكار واضح، ثم دفعته إلى الخلف
بقوة أدت إلى سقوطه على الأرض الصلبة، تبعه قولها
الساخط قائلة:

_أنت أهبل يلا؟! هو إيه اللي نقتله؟! دا أنا أقتلك أنت وهو
لأ، اللي زي "فور" دا أحافظ عليه في حباب عنيا مش في
قلبي بس._

اعتدل "رائد" من على الأرض، ثم بصق عليها بصقة واهية
باشمنزاز قبل أن يُجيبها قائلاً:

_اتفو على دي تربية، بقولك إيه يا بت أنتِ أنا مش عايز
اعرفك تاني، يا عاق._

قال كلمته الأخيرة بعصبية، ليجدها تُجيبه بتشنج:

_اسم الله عليك يا حبيبي أنت اللي متربي أوي، بقولك إيه
لو معندكش حل لو سمحت أخرج برا وسيبني أبكي على
حالي الحزين._

حارة القناص

نفض "رائد" ثيابه وهو يُجيبها بحنق:

_عندي حل ياختي بس على الله يطمر في جتتك يا معفنة.

اتسعت ابتسامة "سهيلة" وهي تسأله بسعادة جلية:

_بجد!!! حل إيه دا؟!!

فتح "رائد" فاهه وكاد أن يُجيبها، لكنه توقف على صوت
جلبة طفيفة تأتي من الخارج، قطبت "سهيلة" جبينها
بتعجب ثم تسألت مُستفهمة:

_هو فيه ضيوف برا ولا إيه؟!!

احتل السخظ وجه "رائد" وهو يُجيبها:

_آه ياختي، خطيب ستك جاي يزوها جايب ليها ورد
ودباديب وهدايا.

مصممت "سهيلة" على شفيتها أثناء قولها المُتحسر:

_عيني علينا وعلى حظنا المهبب، أما لو لينا نص حظ
"لواحظ"! كان زمانا في مكان تاني دلوقتي.

حارة القناص

أكد "رائد" على حديثها قائلاً بتهيدة ثقيلة:
_ معاكِ حق يا بنتي والله، بس نقول إيه! أهو النصيب.

أومات له "سهيلة" بخفة، فوجدته قد دفعها من وجهها
بغیظ لتقع نائمة على ظهرها بعد أن اصطدمت بالفراش
بعنف، ثم صدح صوته ساخطاً:
_ وبعدين ما تتخمني بقي جتك البلا.

قال كلماته ثم تركها وذهب وتركها تنظر لأثره بدهشة،
وبداخلها تشكر القدر الذي رزقها بشقيقٍ كـ "رائد" مُتفهماً
بأقصى حد ممكن.

عادت "أهلة" إلى المنزل بخطواتٍ غير مُتزنة بعد أن تركت
الفتيات وصعدت وحدها، تشعر بأن عقلها سابح في الفضاء،
وجسدها لا تقدر على حمله وحدها، لتتعثر خطواتها أثناء
صعودها للدرج، وقفت أمام باب المنزل المُغلق بتيهة،
لتتشكل ابتسامة بلهاء على ثغرها أثناء قولها الضاحك بدون
وعي:

حارة القناص

_ هو إيه اللي جاب باب المتحف المصري عندنا هنا؟!_

ضحكت عدة ضحكات مُتقطعة وباتت أشبه بالسُكاري إلى درجة كبيرة، وقفت مُتخصرة محلها وهي تُمعن النظر بباب الشقة، انحنت بجسدها قليلاً ثم اقتربت من الباب ببطئ شديد قائلة بهمس وكأنها تُحدثه:

قولي الحقيقة.. "قاسم" بيتاجر في الآثار صح؟!

انتظرت لثوانٍ وكأنها تسمع الإجابة، ثم صفت بيدها وكأنها حازت على سرٍ خطير الآن أثناء قولها غير مُتزن:
كنت واثقة... استنى بقى أبلِّغ عنه البوليس.

قالت كلماتها الأخير ثم أخرجت الهاتف من جيب بنطالها الكُحلي لتتصل بالشرطة، رفعت الهاتف أمام وجهها ثم ادّعت الجدية والصرامة أثناء قولها الساكر:
اتصلي بالبوليس يا تليفوني.

انتظرت لثوانٍ لكن ليس هناك أي ردة فعل من الهاتف، طالعه باستغراب وظلت تُقلب به يميناً ويساراً ثم أردفت بسخط:

حارة القناص

شكله بايظ، مش مشكلة.. هشحنه وبعد كدا أبلغ عنه
البوليس بكرة الصبح.

قالت كلماتها ثم اقتربت من الباب ووضعت رأسها عليه أثناء
طرقها عليه بتيهة:

"قاسم"... واد يا "قاسم" افتح الباب... يا حرامي
الجزر ههه.

ختمتها بضحكة تُشبه المُدمنين أو السُّكاري، وبعدها لم
تشعر بأي شيء سوى انفتاح الباب فجأة وسقوطها بين
ذراعي "قاسم" الذي التقطها على بغتة قبل أن تحتضنها
الأرض قائلاً بقلق بالغ:

"أهله!! مالك يا "أهله!!"

تسائل بها بهلع ظناً منه بأنها قد أصابها مكروه، لكنها
حاولت الإلتزان والوقوف بخُطى غير ثابتة، ثم اقتربت منه
أكثر قائلة بعبث لم يشهده منها من قبل:

أنت قمر كدا طبيعي ولا دا نفخ؟!!

حارة القناص

كتم "قاسم" أنفاسه من قُربها المُهلك، فأثار انتباهه حديثها
الغير مُهَندَم، كذلك وقفتها الغير ثابتة على الإطلاق، فتح
عيناه بعدم تصديق ثم تسائل بدهشة:

_ أنتِ سكرانة يا "أهلة"؟!!!!!

رسمت "أهلة" ابتسامة واسعة على ثغرها قبل أن تُجيبه
على الفور:

_ سكرانة من حلاوتك يا جميل.

_ لأ دا كدا الموضوع كبير!

همس بها "قاسم" لذاته قبل أن يسألها بشك:

_ أنتِ متأكدة إنك كنتِ عند "حببية"؟!!

كان جفنيّ "أهلة" مُنغلقان للغاية وكأنها لم تنام منذ عدة
أعوام، فاقتربت منه تضع رأسها على صدره قائلة بصوتٍ
ناعس:

_ أنا عايزة أنام.

حارة القناص

علم "قاسم" بأنه لم يحصل منها على شيء يُريحه بتلك اللحظة، لذلك أمسك بيدها بهدوء في نية لسحبها خلفه أثناء قوله اليائس:

_تعالِي.

أوقفته حانقة ثم دفعت يده فاردة لذراعيها وهي تقول بضجر:

_لأ شيلني.

احتل الخبث على محياه وهو يسألها بمكر:

_متأكدة عايزاني أشيلك!؟

ابتسمت له "أهلة" وهي توميء له بالإيجاب، فذهب إليها مُنحنياً قليلاً ثم حملها على ذراعيه، لتُحيط هي بعنقه أثناء وضعها لوجهها بين حنايا عنقه تتمسح بها كهرة صغيرة وجدت والدتها، ابتسم "قاسم" بحنان على فعلتها وهو يضعها على الفراش لتنام قليلاً.

كاد أن يبتعد عنها ويهبط لسؤال الفتيات، ليجدها قد أمسكت به من يده قائلة باحتياج:

_ خليك معايا متسبنيش.

كان صوتها مُتألماً عكس ما كان منذ قليل، ليجلس بجانبها
مُربتاً على خصلاتها بحنان، ثم سألها مُترقبًا:

_ مالك يا "هولا" ز علانة من إيه؟!!

تشبثت "أهلة" بكفه بكل قوتها لتضمها إلى صدرها، ثم
أجابته بنبرة ضعيفة واهنة:

_ أنا ز علانة من الدنيا كلها ومش لاقية اللي يراضيني.

اقترب مُقبلًا جبينها بحنان أثناء سؤاله المُعاتب لها:

_ وأنا روحت فين؟!!

رفعت أنظارها له ثم طالعت بهيام:

_ أنت.. أنت غيرهم كلهم..

ابتسم لها ابتسامة خفيفة ثم ابتعد قليلًا وهو يقول:

_ طيب أنت ز علانة من إيه دلوقتي؟! "هولا" السُكر ز علانة

من حاجة وأنا معرفهاش؟!!

هزت رأسها بالإيماء وحتى الآن لا تعي لمن حولها، ليسألها
هو بترقب:

_"هولا" زعلانة من إيه بقى!?"

طالعه بنظرات زائغة ثم أجابته بألم:
_مكنش عندي أب بيخاف عليا ولا بيحبني.

احتار "قاسم" في مقصدها فتسائل بحذر:
_إزاي يعني!

توقفت عن الحديث قليلاً ثم أجابته بنعاس شديد لكن مازال
الألم يظهر واضحاً عليها:
_كان.. كان بيسيبي لصاحبه.. و.. و...

توقفت عند شعورها ببوادر التقيؤ على وشك القدوم، بينما
هو تصنم محله ناظرًا إليها وعقله يعمل في جميع
الاتجاهات، اقترب منها أكثر مُتسائلاً بانتباه:

_كان بيسيبك لصاحبه ليه يا "أهلة"؟! احكي لي مش هقول
لحد.

حاول أخذها على حسب استيعابها العقلي، لتهز هي رأسها
بالنفي قائلة بإزعاج:

_لأ.. لأ مش هحكىك.. مش هحكى لحد.. أنا بقرف..

_وبتتقرفي مني؟!!

تسائل، لتهز رأسها مسرعة، فلم يجد بُداً من فتح ذراعيه
إليها ثم أردف بحنان رغم الألم الذي تشكل داخل فؤاده من
أجلها:

_طيب تعالي في حضني.

وعقب انتهائه من جملته، وجدها قد اعتدلت وارتمت داخل
أحضانها تُحيط به بقوة، لا تريد تركه وإن تركته ستهلك، هو
بمثابة طوق النجاة بالنسبة لها، والآخر اتخذها مسكناً له
ولآلمه، هي رُكنه اللطيف الهادي.

قَبْلَ خصلاتها بحنان ثم دفن وجهه بين خصلاتها يستنشق
عبيرها بهيام، لتتمسح به بأنفها بطفولية بالغة، وبعد ثوانٍ
ذهبت هي في ثُبَاتٍ عميق، وهو لأول مرة يُجاورها وينام
بكل ذلك القُرب المُهلك لقلبه!

حارة القناص

هرول الوقت مُسرِعًا وجاء الصباح، خاصةً وتحديدًا داخل
المطار!

صعد "صهيب" مع والدته في الطائرة الخاصة بعد عدة
مُحاولات عديدة في إقناعه، رفض "قاسم" في البداية ترك
والدته وحدها، لكن الحزن الذي ظهر على وجه أخيه حيال
رفضه جعله يتراجع في قراره ويسمح له بالصعود معها،
بينما هو سيظل مع الفتيات في الطائرة الأخرى التي تجمعهم
بالكامل.

احتضن "رائد" صديقه "قاسم" بقوة، ثم تشدق بصوتٍ
متحشرج أثر حُزنه:

__ يعني خلاص كلكم هتسيبونى لوحدي وتسافروا؟!!

شدد "قاسم" من عناقه ثم أردف بوعده:

__ مش هنتأخر والله، هو شهر واحد بالكثير هنعمل عملية
ماما ونظمن عليها وبعد كدا هنيجي تاني.

ابتعد عنه "رائد" كاتمًا حزنه داخله، ثم اقترب من "ألبرت"
مُحتضنًا إياه هو الآخر قائلاً:

__ وأنت كمان هتوحشني يا بغل أنت، رغم إنك مقضتس مدة
كبيرة معانا بس كنت طيب.

_طيب آه.

قالتها "مهرايل" ساخرة، ليُطالِعها "ألبرت" بحاجب مرفوع أثناء مُبادلتِه العناق للآخر، ليخرج صوته ودودًا نادرًا ما يخرج:

_وأنا أيضًا سَأشْتاق إليك كثيرًا، احرص على ذاتك وإن أردت شيئًا هاتفني ستجدني في الخدمة دائمًا.

تخفي "يحيى" أسفل قبعة كبيرة تُخفي معظم وجهه تقريبًا وذهب لتوديع "قاسم" بقوة قائلاً:

_ابقى طمني عليك يا صاحبي، ومنتأخرش بقى عشان عايز أتجوز البت.

ضحك "قاسم" بخفة أثناء ضربه على ظهره بمشاكسة أثناء قوله:

_على أساس ياض إنك مش ممكن تغدر بينا وتكتب الكتاب قبل كا نيحي؟!!

فكّر "يحيى" قليلًا ثم أردف بصدق:

حارة القناص

_بصراحة ممكن، بس انتوا وحظكوا بقى.

أبعده "قاسم" عنه بإشمنزاز ثم أردف حانقًا:

_غور يلا من هنا مش عايز أشوف وشك.

وعلى الجانب الآخر..

وقف "فور" أمام "سهيلة" التي تُحاول تلاشي النظر إليه
حتى تمنع ذاتها من البكاء:

_سأشتاق لك كثيرًا "هايلة".

عضت "سهيلة" على شفيتها بقوة، ثم ردت عليه بصوتٍ
ضعيف واهن:

_خَلِي بالك من نفسك يا "فور".

نظر لها "فور" لعدة ثواني بصمت، ثم اقترب منها يلف يده
حول خصرها مُحْتَضِنًا إياها بقوة، أراد إدخالها داخل أضلعه
وهي كانت مُتصنمة مكانها، ليصعد صوته بعدها هامسًا لها
بعشق:

_أنا أُحِبُّكَ "هايلة".

حارة القناص

كل ذلك وكانت "سهيلة" تكتم أنفاسها وعيونها جاحظة بعدم تصديق، حتى أنها لم تقدر على رفع يديها ودفعه، بل شعرت بأن قوتها قد خارت تمامًا!

شعر "فور" بمن يجذبه بعنف والذي لم يكن سوى "قاسم" لحسن حظه، سدد "قاسم" لـ "سهيلة" نظرة نارية قبل أن يأخذ "فور" بعيدًا هامسًا له بغضب:

ـ أنت عارف "رائد" لو شافك كان هيعمل فيك إيه؟! أنت يا بني آدم مبتفهمش؟! "سهيلة" متتفعلش ليك، بطل تعذبها بقربك وتعذب نفسك.

أجابه "فور" بوهن:

ـ وماذا عن قلبي؟!

نظر له "قاسم" بحسم وبعدها هتف بصرامة:

ـ ابعد عن "سهيلة" يا "فور" عشان متخسرش "رائد".

حارة القناص

هتف بها ثم ابتعد عنه تاركًا إياه يُعيد حساباته الخاصة بها،
اللجنة على هذا الحظ الذي أوقع به في طريق مليء
بالعثرات.

وفي نفس الأثناء، كانت كلاً من "ملك ويمنى" يبكون حُزناً
على فراق شقيقتهم لهم، احتضنتهم "أهلة" قائلة بيأس:
_ خلاص بقى علشان خاطري، دا هو شهر واحد اللي
هجيبه.

حاولن السيطرة على ذاتهن، فمسحت "ملك" أنفها بكم
ملابسها قائلة تحشرج:
_ ابقى هاتيلي معاك إسدال جديد وأنتِ جاية.

ضحكت "أهلة" متسائلة:

_ هو أنا راحة الحج؟! دا أنا راحة روسيا، يعني بلد معظم
اللي عايشين فيها كُفار.

بكت "ملك" أكثر وهي تجيبها:

_ مليش دعوة جيبيلي إسدال.

حارة القناص

كانت تلك محاولة فاشلة لكتم دموعها، لكن عادةً ما تفشل بكتم مشاعرهما أمام شقيقاتها، احتضنتها "أهلة" مرةً أخرى بحنان، وظلوا هكذا عدة دقائق إضافية.

جاء في تلك الأثناء "قاسم" الذي ودّعهم بود، ثم نظر لـ "أهلة، لوسيندا، مهرانيل" قائلاً:
_يلا علشان نكمل باقي الإجراءات.

أومأوا له بالإيجاب، لتعرض "مهرانيل" قائلة بتعب:
_لأ أنا بجد رجلي وجعتني من الوقفة فهستنى هنا.

لم يُبدي "قاسم" أي اعتراض تاركًا إياها على راحتها، ثم أخذ كلاً من "أهلة ولوسيندا" لترتيب الحقائق، والباقيون قد ذهبوا من المطار بعد أن ودعوهم بكلمات حارة.

عادت "مهرانيل" إلى المقعد، وفي طريقها قابلت "ألبرت" الذي نظر لها ببرود شديد، قابلت نظراته بجمود يُشبهه وقررت استكمال طريقها بعيداً عن هذا المُغفل الذي يزيد من حنقها، تخطته بخطوتان؛ لكنها توقفت الثالثة عندما رأت أبيها يقف مع عمها وابن عمها على بُعد أمتار قليلة منها!

حارة القناص

عادت جميع الذكريات تتقاذف داخل عقلها مُجددًا، لتُصيبها نوبة من الهلع عندما أوصلها عقلها لفكرة رؤيته لها! عادت إلى "ألبرت" مُهرولة حتى وقفت أمامه مُباشرة لتختبيء خلف جسده العريض، ثم همست بصوتٍ باكي:

_بابا.

لم يفهم ما تقوله، لتهمس خائفة برعب:

_بابا هنا.

ارتعشت يديها التي تُمسك بقميصه لتثبته وبدأت الدموع بالتسلل إلى دموعها تدريجيًا، ظلت واقفة هكذا لبعض الوقت ثم مدت رأسها لترى أبيها لتجده مازال واقفًا، بل ويضحك بملئ فاهه مع عمها أيضًا!

أثار تعجبها تلك الكدمات الغريبة التي تُزين وجهه لكنها لم تُعلق، وببطئٍ شديد همست بضعف بعد أن خبأت رأسها مُجددًا:

_أنا خائفة.

ما مرت به كان قاسيًا للحد الذي يجعلها خائفة من أبيها طوال عمرها، أغمضت عيناها تُحاول التحكم بنبضات قلبها

التي زادت بطريقة مُخيفة، لتشعر بعدها بيد غليظة تُحيط بها من ظهرها، ويد أخرى تُربت على خصلاتها بحنان شديد، ليصعد بعدها صوت "ألبرت" الهاديء بعد أن جذب رأسها لتستقر على صدره:

_ لا تخافي.. أنا هنا معك جروي الصغير.

دُهشَت "مهرايل" من فعلته لكنها تركت نفسها بعد أن شعرت بالأمان يُداهم جسدها!

_ على السادة المُسافرين ربط الأحزمة.

كان ذلك صوت المُضيفة أردفت بتلك الكلمات عندما جلس الجميع بأماكنهم في الطائرة، كانت "أهلة" متوترة بعض الشيء وهي تجلس بجوار "قاسم"، فرحلتها معًا على وشك البدء الآن!

نظرت بجانبها فوجدت الفتيات يجلسن على المقاعد المُخصصة لهن، تُسدد لهن ابتسامات واسعة سعيدة لوجودهن معها، مال "قاسم" عليها قليلًا ثم همس قائلاً:

_ ما بلاش الابتسامات دي كلها؟!

حارة القناص

اختفت ابتسامة "أهله" التي طالعتَه باستغراب، ثم تسائلت
بتعجب:

ليه اشمعنى!؟

رد عليها "قاسم" بعث وهو يغمزها:

فلتتركي التلث لقلبي.

#يُتْبَع.

عَنْ سَعْدِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَعْوَةُ ذِي النُّونِ - إِذْ دَعَا، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ - : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ "

#الفصل_الرابع_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#مؤامرة_مضحكة.

أتيت عوضًا لقلبي وكنت دواءً لفؤادي، أنت أيتها الدخيلة
جعلتيني أسيرًا لعيناك.

أرجع "قاسم" رأسه للخلف مُستندًا على مقعد الطائرة أثناء إغماضه لعينيه، تشكلت ابتسامة صغيرة على ثغره عندما تذكر الحديث الذي دار بينه وبين أحد أحبائه منذ زمن، رجلٌ كان داعمًا له منذ الصغر، ظل كالسد المنيع وعاونه على تخطي الصعاب والأزمات، هو من تكلف بمصاريف حياته ودراسته عندما كان صغيرًا، وبفضله وصل إلى ما تمنى.

عاد بذاكرته عندما هاتفه ليلة أمس بعد إنقطاع طويل عن الحديث بسبب إتهائه بأمور الحياة، ليقرر مُهاتفته والإطمئنان عليه بعد غياب طويل:

_حبيبي والله واحشني يا حاج "سلطان".

هتف بها "قاسم" بسعادة عندما أجابه الطرف الآخر، ليُجيبه الرجل بعتاب صارم:

_ولسه فاكروني يا واد وعندك رقمي؟!!

حكَّ "قاسم" عنقه بحرج وهو يُجيبه مُعتذرًا عن تقصيره:

_حقك عليا والله أنا عارف إني مقصر في حقك وقليل أوي لما بسأل عليك.

حارة القناص

جاءه الرد من الجهة الأخرى والذي أجابه بغضب يظهر
واضحًا في نبرته:

_ طيب كويس إنك عارف، اخلص قول عايز إيه!

شعر "قاسم" بالضيق والحرص، فتحدث مُعتذرًا:

_ خلاص بقى يا حج قلبك أبيض، والله أنا انشغلت جامد
وأنت أكثر واحد عارف.

تصنع "سلطان" الغضب ورد عليه بضيق زائف:

_ هي دي حجة الخايب ياخويا، المهم طمني عليك!؟!

اتسعت ابتسامة "قاسم" عقب علمه بمسامحته له فصاح
سعيدًا قائلاً:

_ طالما سألت عليا يبقى سامحتني يا حجوج يا غسل.

قهقه "سلطان" عاليًا مُجيبًا إياه بضحك:

_ كُلت بعقلي حلاوة يا بكاش، طول عمرك بتسرح بيا بس
على قلبي زي العسل.

حارة القناص

ضحك "قاسم" عاليًا ثم أردف بحنين:

_ربنا يخليك ليا يا حَج، وحشتني والله ووحشتني القاعدة
معاك.

رد عليه "سلطان" بشوق وحنين الذكريات ينتابه مُجددًا:

_تسلم يا حبيبي، ياما نفسي الأيام دي ترجع تاني وأشوفك
عيل صغير بتلعب قدامي من جديد.

تهد "قاسم" بقوة ثم اتجه نحو الفراش مُستندًا بظهره
عليه، وبعدها تحدث قائلاً:

_يُعتبر أنت اللي مربيني يا حَج وفضلك عليا كبير، بس رغم
كدا مش عايز الأيام دي ترجع وأحس فيها إن أنا وحيد من
تاني.

ابتسم "سلطان" بخفة على حديثه الموجوع قائلاً:

_ودلوقتي!

_دلوقتي إيه!

تسائل "قاسم" بعدم فهم، ليرد عليه "سلطان" قائلاً:

حارة القناص

_ دلوقتي لقيت اللي يملئ فراغك ويخلي لحياتك معنى!؟

إتمعت عيني "قاسم" بشغف قبل أن يهز رأسه بالإيجاب
وكان الآخر يراه، ثم أردف بهيام:

_ لقيت يا حج "سلطان" وهجيك فُريب علشان تشوفها.

ابتسم "سلطان" بسعادة وهو يُجيبه ضاحكًا:

_ تصدق يا واد إنك متربتش فعلاً! بقي تخبي عليا حاجة زي
دي يا قليل الرباية!

قهقه "قاسم" ضاحكًا أثناء قوله المازح:

_ خلاص بقي يا حج ما قولنا قلبك أبيض!

_ ماشي يا بكاش ماشي، المهم عايز أعزمك على فرح ابني
الشهر الجاي، وهتيجي يعني هتيجي ومحدث غيرك هيغني
في الفرح دا.

أجابه "قاسم" فرحًا وهو يقول بسعادة:

_ إيه دا "مجاهد" هيتجوز أخيراً!؟

رد عليه "سلطان" ضاحكًا:

_ أه شوفت يا سيدي! ولادي كلهم بيتجوزوا وأنا بعجز وما
باليدي حيلة.

مازحه الآخر بقوله العابث:

_ عجوز مين يا راجل! دا إحنا ندورك على عروسة بقي
تملي فراغك بدل ما تبص برا وتفضحنا على كبر.

وانتظر لثوانٍ حتى استمع صوت صراخ وسباب "سلطان"
عليه بعدم تربيته وانحرافه ووقاحته التي ظهرت فجأة،
ليضحك "قاسم" عاليًا أثناء استماعه لحديثه الصارم، سيطر
على ذاته بصعوبة ثم أردف بضحك قائلاً:

_ يوه يا حج متبقاش قموصة كدا!

رد عليه "سلطان" بصرامة أثناء ضربه لعكازه في الأرض:
_ بقولك إيه يا ولا اقفل بدل ما أفتحك دماغك، وهستناك بعد
شهر تيجي فرح الموكوس الثاني ما انتوا مواكيس زي
بعض، يلا غور وخلي بالك من نفسك.

حارة القناص

سيطر "قاسم" على ضحكاته بصعوبة ثم ودعه قائلاً بحب:
_حاضر يا حَج، في رعاية الله.

أغلق معه ثم اعتدل في جلسته والسعادة تملأ وجهه، فالحاج
"سلطان" فعل من أجله الكثير وقام بتربيته بعد وفاة والده
وحجز والدته في المشفى، انتشله من ظُلمة من المؤكد بأنها
كانت ستقضي عليه، لذلك هو مُمتن له طيلة حياته ولن يمل
من شكره أبداً.

خرج من شروده على ضربات خفيفة في ذراعه، فتح عيناه
ليجد "أهلة" تنطق بضجر:
_ "قاسم" أنا زهقت هنوصل إمتى؟!!

اعتدل "قاسم" في جلسته ثم أردف مُتعباً:
_ لحقتي تزهقي؟! دا إحنا لسه مكملناش ساعة.

حكى "أهلة" وجهها بسخط قبل أن تقول بضيق وقد أهلكها
الكتمان:

_ طيب أنا مقروفة وعايزة أروح الحمام.

حارة القناص

فهم "قاسم" إلى ما ترمي إليه عن رغبتها في التقوى،
ليسألها بإهتمام أثناء إمساكه بكفها بأطف:

_ مقروفة من إيه! حد عمك حاجة ولا اتقرفتي لوحدك!

خجلت "أهلة" من إخباره عن السبب الحقيقي، لتجيبه بثبات
فشلت في تصنعه:

_ لأ لوحدى.

لم يُصدقها "قاسم" وعلم أن هناك ما تخفيه، لكن لم يريد
إجبارها على التحدث، نادى للمضيفة بكفه لتأتي بعدها على
الفور، أشار "قاسم" لـ "أهلة" ثم أردف بهدوء:

_ زوجتي تريد الذهاب إلى المرحاض أوصلها رجاءً.

أومات له المضيفة بإحترام ثم أشارت لـ "أهلة" قائلة
بإبتسامة عملية:

_ تفضلي معي مدام سأوصلك.

ابتلعت "أهلة" ريقها بإشمزاز شديد أثناء فكها لحزام
الأمان من على خصرها ثم اتبعتها لتذهب إلى المرحاض،
نظر "قاسم" لأثرها ثم تنهد بثقل قائلاً:

هانت يا "هولا".

أدار وجهه حوله ليرى أصدقائه بجانبه، لكن لفت انتباهه
مشهداً لرجل وفتاة في وضع غير لائق ومُقرز، والآن علم
سبب اشمئزاز "أهلة" المفاجيء وشعورها بالقرف والتقوي،
عاد "قاسم" بظهره إلى الخلف ثم أردف ساخطاً:

الله يحرقكم قرفتولي البت اللي حيلتي.

وعلى الجانب الآخر؛ جلست "مهرائيل" بجانب "ألبرت"
بعد أن أصرّت بقوة على الجلوس بجانبه، مُعللة بأنها يجب
رد جميله بحمايتها من والدها وإخفاؤها عنه، نفخ "ألبرت"
بحنق وفي سره يلعن تلك الساعة التي رأى بها تلك
المزعجة، فمنذ أن جلست وهي لم تكف عن الحديث ولو
لثانية واحدة! تلك الحمقاء لا تمل أو تتعب من الحديث حقاً!

أصيب رأسه بالصداع الشديد أثناء استماعه لقصة حياتها
الغير مهمة بالمرّة، لذلك أرجع رأسه للخلف ثم استند بها
على المقعد ليُريح أعصابه قليلاً، بينما لم تهتم "مهرائيل"
لحالته بل أكملت حديثها بقولها المُتحمس:

و"مجدي" دا كان عايز يتجوزني وأنا رفضت علشان مش
بستلطفه بصراحة، أصل هو ابن أمه وعامل زي العيال
الصغيرة، تقوله يمين يجي يمين، تقوله شمال يجي شمال،
وأنا بصراحة عايزة اللي يشكمني ويرزني بالقلم وقت
عصبيته، بس أهم حاجة يصالحني تاني، آه أنا مش جارية
ولا عبدة، تاني عريس بقى كان الواد س... مممم.

صمتت بفزع عندما هبَّ "ألبرت" مُعتدلاً في جلسته ليُكمم
فأهها بكف يده ليُجبرها على الصمت، طالعت بهلع فوجدته
يتحدث أمام وجهها بفحاح مُرعب:

أقسِم إن لم تصمتي سأقطع لسانك أو سأرميك من تلك
الطائرة اللعينة.

لم تُجيبه بل فتحت عيناها على آخرهما بانبهار تعجب له،
تشنّج وجهه لبلاقتها فابتعد عنها مُعتدلاً في جلسته،
ليسمعها تردف بحماس وهي تصفق بيدها بعدم تصديق:

وااا!!! أنت عينك لون عيني بالظبط!! ياربي على
الصدفة العسل!! أصل أنا طول عمري بدور على حد تكون
عينه لون عيني بالمللي وأنا مش بلاقي، بس أنت عينك
نسخة من عيني واو بجد،

جز "ألبرت" على أسنانه هامسًا بغیظ:
_ أسأل الله أن تنامي طيلة الرحلة.

صمتت "مهرائیل" فأرجع "ألبرت" ظهره للخلف براحة،
لكن بعد دقيقتين تقريبًا استمع إلى صوت همهمات ضعيفة
تأتي من جانبه، قطب جبينه بتعجب أثناء إعداله لرأسه حتى
يراهها، فوجدها تبكي ودموعها تهبط بصمت مُحاولَة بقدر
الإمكان كتم شهقاتها حتى لا يستمع إليها!

نظر لها "ألبرت" ببلاهة ثم سألها مُتشنجًا:
_ لِمَ تبكين الآن؟!!

ورغم بكاؤها وهشاشتها؛ أجابته بعنف:
_ لو سمحت يا أخ "ألبرت" أنا مبحش حد يتدخل في
خصوصياتي؟!!

_ خصوصياتك التي تفضحينا أنتِ بنفسك؟!!

تسائل ببرود، لثجيبه وهي تُجفف وجهها من الدموع:
_ خصوصياتي أفضحها بمزاجي آه، لكن حد يتدخل فيها لأ.

هز رأسه بإقتناع تام ثم سألها مُتجاهلاً حديثها:

__ إذا لِمَ كنتِ تبكين؟!!

أجابته "مهرائيل" بقوة أثناء مُحاولاتها الحثيثة لمنع نفسها
من البُكاء:

__ ملكش دعوة.

ابتسم "ألبرت" بجانبية وعلم طريقة الوصول إليها، لذلك
أمسك بكف يدها بحنان يُحيطه بيده ثم تشدق بحنان:

__ هل أنتِ حزينة؟!!

ارتعشت شفتيّ "مهرائيل" ببكاء، ورغم ذلك كانت إجابتها
مُنافية لحالتها عند هزها لرأسها بالنفي، مرر "ألبرت"
إصبعه على كفها بحنان متسائلاً:

__ إذا لِمَ تبكين؟!!

أصرت "مهرائيل" على عدم فضح ضعفها أمامه، فأجابته
ودموعها تهبط بصمت:

__ مبعيطش.

علم "آلبرت" بأنها لن تقص له شيئاً الآن، لذلك تركها على راحتها وقرر عدم الضغط على جرحها والذي لم يُشفى حتى الآن، مدَّ أصابعه نحو وجهها مُجففاً دموعها بهدوءٍ وتروٍ، ثم تحدث قائلاً بصوتٍ حنون:

__حسناً أنتِ لا تبكين، هيا أريحي رأسك للخلف ونامي.

ابتلعت "مهرائيل" تلك الغصة المؤلمة المُتشكلة في حلقها، لتُجيبه بنفي:

__مش عايزة أنام.

__إذا ماذا تريدِين؟!

لم يمل منها أو يغضب، بل سألها بهدوءٍ يُزيد من حدة بكائها، أغمضت "مهرائيل" عيناها بقوة لتمدح من هطول عبراتها، لكن من كثافتها هبطت من بين جفنيها المُنغلقتان بقوة، لم يجد "آلبرت" حلاً سوى جذبها لصدره ومُعانقتها، وهي دفنت وجهها في صدره وانفجرت في البكاء العنيف رغماً عنها، لم تُسعفها ذاتها في إخفاء مشاعرها أكثر من هذا، فوادها مُتألم ولا تستطيع كتم هذا الألم أكثر من ذلك.

حارة القناص

رفعت كفها تكتم به شهقاتها داخل أحضانه حتى لا تسمعها شقيقتها التي تجلس بالمقعد الخلفي مع زوجها، ورغم ذلك لم يتركها عقلها لتتحرر، بل صوّر لها مشاهدتها مع أبيها وقسوته وعنفه معها، الشخص الذي من المفترض أن تُهرول له للاختباء، اختبأت منه اليوم خوفًا منه! لم تكن للتخيل أن الأمور ستصل إلى هنا، ظنت بأنه سيتغير يومًا ما لكن لا شيء يتغير سوى أن قسوته تزداد سوءًا.

مرت الدقائق وهي تبكي و"ألبرت" يُهداها كطفلٍ صغير يبكي من جرح يده المؤلم، وبالفعل كانت مجروحة، وبالأخص فؤادها التي أنتهك من الأقرب إليها، ظلت على حالتها تلك حتى استمعت إلى صوت "ألبرت" الممازح قائلاً:

__ هل أنتِ مُزعجة دائماً هكذا؟!!

احتل الإستنكار وجه "مهرايل" التي فاقت إلى وضعهما، ثم ابتعدت عنه دافعة إياها قائلة بغضب وصوتٍ متحشرج:

__ أهو أنت اللي مُزعج، ووسع كدا بقى أنت ما صدقت لقيت لحمة تحضن فيها؟! هتروحوا من ربنا فين بس!

ضيق "ألبرت" عيناه بتعجب وهو يسألها:

__ لحمة!! ما الذي أتى بسيرتها الآن!

مسحت "مهرايل" وجهها بكم ملابسها ثم أجابته أثناء
مُحاولتها للعودة إلى الثبات مُجددًا:

_دا موضوع كبير يطول شرحه مش فاضية أقولها لك
دلوقتي.

هز رأسه بيأس منها ثم أردف ضاحكًا:

_حسنًا، فلتصمتي الآن ونامي بقية الرحلة، لا أود سماع
صوتك المزعج مُجددًا.

_ذكريات كدابة... والأشواق كدابة..

غنت "سهيلة" تلك الكلمات بيبكاء وهي تدور حول نفسها
في غرفتها تنعي حظها وفراق محبوبها!

دلف في تلك الأثناء "رائد" الذي طالعها بغيظ، ثم ذهب إلى
جهاز الأغاني يُغلقه حانقًا وهو يستدير لشقيقته صارخًا بها
بإستكار:

حارة القناص

_ ما خلاص يابت بقى!! دا أنت أبوك وأمك لما سافروا
معيطيش كدا!! أنتِ كلتي دماغ أمي.

اقتربت منه "سهيلة" مُهرولة دافعة إياه بحقد ثم صرخت
به مُغتاظة وقد توقف بكاؤها تمامًا وكأنها لم تكن تبكي منذ
قليل:

_ يا عم وسّع بقى مبعرفش أعيط غير لما الأغاني تكون
شغالة.

تشنج وجه "رائد" مُجيبًا إياها:

_ لأ وأنتِ يابت ما شاء الله عليكِ مُرهفة الحس والمشاعر
أوي!

جلست "سهيلة" على الفراش تنفخ بضجر أثناء قولها
الغاضب:

_ عاجبك كدا! أهو التسجيل مش راضي يشتغل، هعيط أنا
إزاي دلوقتي!!

جذب "رائد" خصلاتها بعد أن تقدم منها قائلًا بغیظ:

حارة القناص

_ بقولك إيه يابت أنت، مش معنى إني عرفت إنك بتحبي
"فور" وقولتك هساعدك تبقي بجحة كدا!! وحياة أمك أنا
لو شوفتك بتكلميه من غيري إذني أنا هطلع عينك أنت
وهو، وبعدين عاملة المناحة دي علشانه؟!!

نفخت بغيظ دافعة يده عن خصلاتها، ثم أجابته غاضبة:

_ آه كل دا علشانه، محدش بيفتكرني في الأكل وهو الوحيد
اللي كان بياكلني، حسبي الله ونعم الوكيل فيكم يا عالم يا
ظالمة.

أشاح "رائد" بيده قائلاً بإستتكار:

_ دا على أساس إنك مش واكله 3 مرات من ساعة ما جيتي
من المطار!!

طالعه "سهيلة" بغضب فأمسكت بحقيبتها ثم اتجهت نحو
الخارج أثناء صراخها المُغتاض:

_ تصدق بالله! أنا كنت ناوية مروحش الجامعة النهاردة،
لكن والله هروح وهطفش من وشكم ومش هقعدلكم فيها
النهاردة.

صاح "رائد" مُهلاً بسماجة:

_في ستين داهية يا حبيبة أخوك، الداهية اللي تودي.

وعلى الجهة الأخرى.. كان "يحيى" جالسًا في الشرفة وأمامه "يمنى"، وعلى بُعد قريب منهم كانت "نبيلة" تجلس حتى لا تتركهم وحدهم، وطيلة الجلسة كان "يحيى" يتحدث وهو يحاول قدر الإمكان تلاشي النظر نحوها، لتتسائل "يمنى" بضيق:

_ "يحيى" هو أنت مش بتبصلي ليه؟!!

ضغط "يحيى" على المسبحة الإلكترونية عدة مرات يستغفر ربه، ثم أجابها بصوتٍ خاشع:

_إنها الفطرة يا أخت "يمنى"، لا يجب للرجل النظر إلى وجه المرأة حتى وإن كانت خطيبته، وأنتِ بصراحة عسلية وهتجريني للرزيلة.

تشكلت ابتسامة صغيرة على ثغر "يمنى" التي تسائلت بإستغراب:

_واشمعنى دلوقتي يعني؟!!

أجابها "يحيى" بنفس الوضع:

_لأن الشيخ هو مَنْ قال لي هذا، وأرجوكِ لا تسأليني عن شيءٍ آخر.

ضحكت "يمنى" بخفة وهي تنظر له بحب، ثم هبت من مكانها قائلة بحماس:

_هقوم أعمك عصير مانجا من إيدي.

_سلمت يداكِ أخت "يمنى".

هزت "يمنى" رأسها بقلّة حيلة ثم ذهبت من أمامه مُتجهة نحو المطبخ لتحضير العصير لكليهما، لينظر "يحيى" جهة الشرفة مُردداً على مسامعه بحسم:

_اثبت يا "يحيى" واتقي الله عشان ربنا يبارك في حُبك.

هكذا تتمم وذاكرته تأخذه لذلك اليوم المقيت بالنسبة له، عندما طعنته "يمنى" عدة طعنات في معدته دون أن تعي لعواقب فعلتها، ظل مُنصدمًا بعدما أخذه رجال "ليونيد" ليضعوه في السيارة أمامها، كان جسده هامدًا بحق ليس تمثيلًا أو عرض هزلي، وكان فعلتها أصابت جسده بالشلل!

تذكر حينها عندما بكى صدمةً وقهرةً، فعلتها لم تكن بالهينة
على قلبه وهو الذي كان يعتبرها كل حياته بعد موت عائلته،
سار في الشوارع بتيهة وتعمد الدخول إلى أماكن لا يعرفها
حتى لا يراه رجال "مختار" صُدفةً، لم يخجل بالتعبير عن
حُزنه بالبكاء، لم يهتم لنظرات السائرون المُتعبة له، مَنْ
يراه يظن بأنه قد تعرض لفاجرة كبيرة وخسائر فادحة، وقد
كان قلبه!

أوقفه أحد الأشخاص مُربتًا على كتفه، ثم تحدث بإبتسامة
هادئة تحمل الراحة بين طياتها:

_ هَمَّك كبير وربك واحد ياخويا، تعالى اشكيله._

نظر له "يحيى" بجهل فوجده شابًا يُماثل عُمره تقريبًا، نظر
حوله ليجد مسجدًا يقع على مسافة ضئيلة منه، خجل
"يحيى" من الرفض وخاصةً بأنه مُقصر في صلاته بطريقة
كبيرة، ليصعد صوته مُترددًا:

بس.. بس أنا..

قاطعته الشاب بإصرار: _مفيش نقاش.. تعالى معايا أنا داخل
أصلي وقول كل اللي واجعك لربنا، وربنا حنين هيطبب
على قلبك وهيخلصك من حزنك._

حارة القناص

هبطت دموع "يحيى" بأسى ف جذبته الشاب نحو المسجد ثم دخلوا بعد أن خلعوا نعالهم بالخارج، توجهوا إلى مرحاض المسجد ثم توضأوا بأريحية وبطئ، ومع كل قطرة ماء تهبط على وجه "يحيى" يشعر بعدها بالراحة، وكان ماء الوضوء يُطهره من أحزانه!

انتهوا من الوضوء فأعطاه الآخر منشفة جافة قائلاً
بإبتسامة واسعة:

متخافش نضيفة ومستعملتهاش.

ابتسم له "يحيى" بخفة ثم أردف بخفوت:
واحد ياخويا.

جفف "يحيى" وجهه وذراعيه ثم أعطاها له، ليتسائل بعدها
قائلاً:

أنت اسمك إيه؟!

أجابه الآخر بإبتسامة هادئة:

"بأدر هارون".

حارة القناص

أوما له "يحيى" بهدوء ثم تحدث مُعرفاً عن نفسه:
_وأنا "يحيى الديب".

رد عليه "بادر" قائلاً وهو يُربت على كتفه بود:
_عاشت الأسامي.

_حبيبي تسلم، يلا بقى نروح نصلي الظهر وبعد كدا نتكلم
زي ما إحنا عايزين.

نطق بها "بادر"، ليوميء له "يحيى" بالإيجاب ويتبعه حيث
موضع الصلاة، ولمفاجئته وجدده هو الإمام الذي سيُصلي
بهم جميعاً!

تعجب في باديء الأمر لكنه بدأ صلاته وفؤاده يخجل من
مُلاقة مولاه، لقد أتى له عندما شعر بأنه بحاجة ماسة إليه،
هو منافق، كاذب، ومُخادع، هكذا وسوس له شيطانه أثناء
صلاته مما أشعره بالضيق الشديد من ذاته، ورغم ضيقه
شعر بالراحة الشديدة تتغلغل إلى أوردته رويداً وتُهديء من
لهيب ضيقه وحزنه، سجد للمولى عز وجل وهُنا سقطت
دموعه بكثرة وهو يشكو له همه، فؤاده يضيق وباب الخالق
كبير يتسع لجميع عبادته، وهو كان من الضالين فاهتدى.

انتهى "بادر" من الصلاة وسلّم في الجهتين وكم كان صوته خاشعًا يبيت الراحة في القلوب! هو مختلف عن معظم الشباب في مثل عمره قد ألهمهم دنياهم ونسوا آخرتهم، لكنه وضع آخرته أمامه ويتمنى أن تكون الجنة هي الملتقى.

ذهب "بادر" نحو "يحيى" ليجلس أمامه مباشرة فوجده شاردًا تائهاً في عالمه، حاول إخراجَه من حُزنه فتحدث مازحًا:

_إيه ياعم الحُزن دا الدنيا مش مستاهلة والله، مش يمكن نموت بكرة!؟

رفع "يحيى" أنظاره إليه ثم تحدث بثقل:

_تفتكر ربنا هيقبل مني!؟

حاول "بادر" تبسيط الأمر له حتى لا يُظهره مُعقدًا:

_إن شاء الله هيقبل ياعم، وهو أنت ابن البطة السوداء!

جعد "يحيى" جبينه بسخط وقد نجح "بادر" في إخراجَه من حُزنه بالفعل، ثم أردف حانقًا:

حارة القناص

_ الملائف سعد يا شيخ "بدر".

_ شيخ إيه بس أنا لسه صغير ومسمسم ولسه قدامي العمر
طويل.

قالها "بدر" بغرور زائف، ليضحك "يحيى" بخفة وهو يهز
رأسه بيأس، ورغم ذلك ظهر الحزن واضحًا داخل مقلته،
ليسأله "بدر" بود:

_ لو متضايق وعايز تحكي حاجة فأنا سامعك.

لم ينتظر "يحيى" أن يُكرر عرضه فأردف مُسرعًا وكأنه
يرمي حملًا ثقيلًا عن كاهله:

_ بحب واحدة..

تربع "بدر" بانتباه قبل أن يُكمل باقي حديثه، ثم تشدق
قائلًا:

_ آاه.. يعني الموضوع فيه واحدة! إحكي يا بني إحكي، دا
إحنا غلابة والله.

حارة القناص

ضحك "يحيى" بخفة ومن ثم بدأ بقص كل شيء له وعلاقته مع "يمنى" وحبهم الذي بدأ يزداد تدريجياً مع الوقت حتى فاضت مشاعرهم، وبالطبع لم يتطرق إلى ذلك اليوم الذي طعنته به، بل استبدلها بقص شجار عنيف دار بينهم سيؤدي إلى انفصالهم إن لم يتوصلوا إلى حل مناسب.

كان "بادر" يستمع إلى حديثه باهتمام شديد، وبعد أن أنهى "يحيى" قص حكايته وسبب ألمه؛ سأله "بادر" دون مراوغة:

_ انتوا علاقتكم كان فيها أي حاجة غير شرعية؟!

قطب "يحيى" جبينه بعدم فهم وقد أخذه عقله إلى منحني آخر:

_ إزاي مش فاهم؟!

فسر له الآخر حديثه بقوله الهاديء:

_ يعني مسكت إيديها، بتبصلها كثير، بتبص للبسها أو ليها بطريقة مش حلوة، حصل بينكم أي تجاوزات؟!

طالعه "يحيى" بتوتر قبل أن يُجيبه بصوت متوتر:

بـ.. بصراحة آه، يعني هي لما تكون زعلانة كنت بمسك
إيديها أو بحضنها.. مش بيهون عليا حُزنها فبحاول أخفف
عنها بأي طريقة.. بس والله مش بعمل أكثر من كدا.

لوى "بَادِر" شفتيه ساخرًا:

وَأنت عايز تعمل إيه أكثر من كدا؟! ما أنت عملت كل
حاجة يا عنيا.

مش فاهم.. هو أنا كدا عملت حاجة غلط؟!!

تسائل "يحيى" بتعجب، لِيُجيبه "بَادِر" على الفور:

طبعًا غلط، علاقتكم كلها غلط، في جُملة بتقول «ما بُني
على باطل فهو باطل»، وانتوا علاقتكم باطلة ولمساتكم
وكلامكم مع بعض بدون أي رابط شرعي باطل، والقصد
بالرابط الشرعي مش الخطوبة أو قراءة الفاتحة، بل القصد
بيه كتب الكتاب، لِإن ناس كثير بياخدوا معنى الرابط
الشرعي على أساس الخطوبة ويستبيحوا لأنفسهم ما حرمه
الله، أنت محافظتش على قلبك وأهدرت مشاعرك مع واحدة
مش مكتوبة على اسمك ولا مراتك، مستني ربنا يحافظ على
علاقتكم إزاي وأنت بتحضن فيها وبتمسك إيديها من غير
أي وجه حق؟ ما طبيعي تلاقي مشاكل وخلافات، ربنا عمره

ما بيبارك في حاجة حرام، علشان أنت محافظتش على نفسك ولا حافظت عليها.

صمت "بادر" قليلاً ناظرًا له بتمعن، ثم رفع يده مُربتًا على قدمه أثناء قوله النصوح:

حافظ عليها كأنها أختك وربنا هيحفظ قلبك يا "يحيى"، كلنا بشر ومش معصومين من الغلط، بس العبد الناصح هو اللي يعمل الذنب ويتوب منه، مش اللي يكمل في نفس طريق الغلط، وقتها محدش هيخسر غيره هو، والأهم من دا كله حافظ على صلاتك، إحنا بنتشعلق في حبل الرحمة ومن غير ربنا منساويش.

فكّر "يحيى" في كل كلمة قالها واستمع بها بقلبه لا أذنه، هو معه كل الحق ولن يُنكر، لقد تخطي كل الحدود مع "يمنى" بحجة أنه يحبها دون النظر إلى الجهة الدينية، لذلك يجب عليه إصلاح علاقته مع خالقه أولاً قبل أن يصلحها معها.

عاد من شروده وذكرياته على قدومها، وضعت "يمنى" أكواب العصير أمامه على الطاولة، ثم أردفت بإبتسامة واسعة:

دوق وقولي رأيك.

أوما لها "يحيى" ضاحكًا ثم انتشل كوب من العصير
وارتشفه على مهل، كانت تُتابعه بانتباه تنتظر منه إطرأً
على عملها العظيم، وبالفعل تحدث قائلاً بامتنان:

طعمه حلو أوي تسلم إيدك.

شبتت كفيها معًا ثم أجابته بإبتسامة سعيدة:

الله يكرمك ويسترك ما يفضحك قادر يا كريم.

قهقه "يحيى" عاليًا ثم تحدث بإبتسامة شغوفة:

_بقولك إيه يا "يمنى"! ما تحاولي تقنعي مامتك نكتب
الكتاب بسرعة عشان بصراحة أنا مش متعود أكون هادي
ومحترم معاك كدا!

قطبت "يمنى" جبينها بتعجب مُتسائلة بإستغراب:

_وأنت إيه اللي مانعك، ما أنت كنت بتتعامل معايا عادي
بس الفترة الأخيرة دي أنت متغير، "يحيى" هو أنت لسه
زعلان مني؟!_

هز رأسه بالنفي وهو يُجيبها بهدوء:

__لأ، أنا مش متغير ولا زعلان منك، كل اللي حصل إني فوقت قبل فوات الأوان، علاقتنا وتعاملنا ببساطة وأريحية مع بعض مكاتش صح، لازم نحط بينا حدود وفواصل لحد ما نتجوز عشان لذة جوازنا واجتماعنا في بيت واحد متروحش.

فهمت "يمنى" جزء من حديثه لكنها لم تفهم الجزء الأخير، لذلك تسألت بعدم فهم وانتباه:

__يعني إيه لذة جوازنا واجتماعنا في بيت واحد متروحش؟!!

شرح لها بهدوء بعد أن ارتشف قليلاً من العصير:

__يعني مينفعش أحضنك أو أمسك إيدك أو أبصلك بتمعن قبل ما نتجوز، لو عملت دا كله هبقى سيبت إيه لبعد الجواز؟! دا غير إن ربنا مش هيبارك في علاقتنا وممكن نتفرق قبل ما نتجوز، ولو اتجوزنا ممكن يكون فيه مشاكل كتير جداً بينا، وأنا الحقيقي مش عايز دا، أنا عايز أعيش معاك بهدوء زي أي زوج وزوجة يحبوا بعض وياخدوا إيد بعض للجنة، مش عايز أخسرك وعايزك تكوني زوجة صالحة ليا ولأولادي في المستقبل.

حارة القناص

كانت "يمنى" تستمع له بأعين لامعة، كانت مُنزعجة من طريقته الرسمية وتعامله الجاد معها لكنها علمت سببه الآن، هي سعيدة وفؤادها يرقص طرباً مما يسمعه، هو يُريدها زوجة وحببية في كل الأوقات، وهو خير زوج في كل الأماكن، ابتسمت له "يمنى" بحب ثم أومأت له قائلة:

_فهمت كلامك يا "يحيى" ومبسوطة بيه، وفعلاً معاك حق إحنا تصرفاتنا مكنتش لايقة ومتنفعش، علشان كذا أنا هحاول أقنع ماما إننا نكتب الكتاب في أقرب وقت وهقولك.

نظر لها مُبتسماً بسعادة أثناء قوله:

_ربنا يباركلي فيك.

استمعوا إلى صوت جرس الباب لكنهم لم ينشغلوا به، بل قامت "ملك" التي كانت تجلس جانب والدتها لترى الطارق، وما إن فتحتة حتى وجدت "رائد" يُقابلها في وجهها وبعدها أردف بقوله الماكر:

_اللي واحشني!

استمعت "نبيلة" إلى حديثه فهبت من مكانها ذاهبة تجاهه بغضب، ثم أردفت بحدة:

حارة القناص

_وحشك قطر يا بعيد! هو انتوا هتطولي كل واحد شوية
وأنا المفروض أستحمل!! شوية أنت وشوية الأهل اللي
قاعد جوا دا!! بقولك إيه يا ولا، خُد أغراضك وامشي من
هنا!!

_إيه دا يعني آخذ "ملك" معايا؟!

نطق بها بإنبهار مُتجاهلاً بقية الحديث، لترد عليه "نبيلة"
حانقة:

_ومين جاب سيرة "ملك" دلوقتي؟!

فسرّ لها "رائد" الحديث ببساطة قائلاً:

_مش أنت قولتي خُد أغراضك وامشي من هنا!!

وضعت "نبيلة" يدها موضع قلبها ثم أردفت بوهن:

_يارب يا تهديه يا تهده يا تاخده عشان أنا قلبي مش
مستحمل.

تجاهلها "رائد" مُتحدثاً بإبتسامة مُتسعة:

_بقولك إيه يا طنط!! أنا عايز أتجوز بنتك.

اعتدلت "نبيلة" في وقفها رامية له نظرة نارية قبل أن تقول بنفي:

_طلبك مرفوض، شرفتنا.

قالتها ثم أغلقت الباب في وجهه تاركة إياه يقف مُفرغًا فمه ببلاهة، رمش عدة مرات بعدم تصديق قبل أن يطرق على الباب صائحًا بصوتٍ عالٍ:

_هتجوزها.. وحياة ستي لهتجوزها وهنجيب عيال صغيرة يتنططوا حواليكِ ويقولوك يا تيتا يا شريرة.

وصلت الطائرة إلى روسيا فهبط الجميع منها للإستعداد إلى الذهاب إلى وجهتهم، مال "قاسم" على "أهلة" هامسًا بمشاكسة:

_مرحبًا بك في أراضي روسيا سينيوريتا "أهلة".

رفعت "أهلة" أنظارها إليه ثم أردفت بإبتسامة واسعة:

_مرحبًا بك أخي "قاسم".

__ لسانك دا لو اتكلم تاني هقطعوك.

نطق بها بسـخـط وهو يبتعد عنها، لتثقهه عاليًا ثم ذهبت خلفه وهي تـمـسـك بكف "حبيبة" التائهة وكأنها صغيرتها، ثم أردفت بصوتٍ عالٍ حتى يسمعها:
__ خُد بس بهزر معاك متبقاش قماص كدا.

وقف "قاسم" أمام "ألبرت" قائلاً بنبرة خرجت رغبًا عنه مُغتاظة:

__ رجاءً أوصول الفتيات إلى المنزل "ألبرت"، وأنا سألحق بأخي إلى المشفى للإطمئنان على أمي.

أوما له "ألبرت" بهدوء، ثم أردف وهو يربت على كتفه بود:

__ لا تقلق أنا سأعتني بهم جميعًا.

نظر له "قاسم" بإمتنان ثم استدار إلى "أهله وحبيبة" اللتان تتابعان الحديث منذ بدايته، وقبل أن يفتح فاهه للتحدث؛ قاطعته "أهله" برفض:

حارة القناص

مش ماشية أنا جاية معاك.

أيدتها "حبيبة" بقولها الخافت:

وأنا كمان جاية معاك.

ابتسم لهم "قاسم" ابتسامة صفراء قبل أن يستدير
لـ"ألبرت" قائلاً بقلّة حيلة:

خُذ الباقيين عزيزي "ألبرت" وأنا سأخذ هاتان لأقتلهم.

ضحك "ألبرت" عاليًا ثم أردف له أثناء ذهابه من أمامهم:

تعازي لك من الآن عزيزي.

أوقف "قاسم" سيارة أجرة ثم استدار للفتاتين قائلاً بغیظ
وهو يُشير نحو السيارة:

اتفضلوا يا هوانم.

رفعت "أهلة" رأسها بتكبر زائف ثم صعدت إلى السيارة
وخلفها "حبيبة"، هز "قاسم" رأسه بيأس ثم صعد بجانب
السائق لينطلق بهم إلى وجهتهم، وصلوا بعد نصف ساعة
تقريبًا إلى المشفى، ليهبط "قاسم" من السيارة دالفاً بسرعة

حارة القناص

لداخل بعد أن قام بمحاسبة السائق وإعطائه للأموال، وكذلك سارت الفتاتان من خلفه بسرعة كبيرة ليلاحقوا به.

ظل يسير بين الأروقة عدة دقائق حتى لمح شقيقه "صهيب" واقفًا أمام إحدى الغرف ويظهر على وجهه القلق الشديد، وصل إليه "قاسم" مُتسائلًا بنهيج أثر هروولته:
_ ها يا "صهيب" عملت إيه؟!!

رفع "صهيب" أنظاره لشقيقه وأردف قائلاً برهبة:
_ الدكتور قال العملية هتعمل بكرة؟!!

أصاب التوتر جسد "قاسم" فحاول الثبات وبث الراحة لشقيقه عبر حديثه المُطمئن:
_ متخافش أنا اللي هتابع معاها وهفضل معاها خطوة بخطوة.

تنهد "صهيب" بثقل ثم نظر لأخيه مُتحدثًا برجاء:
_ اعمل اللي تقدر عليه يا "قاسم" بالله عليك.

اقترب منه "قاسم" مُحتضنًا إياها بحنان، ثم أردف قائلاً:

حارة القناص

_ صدقتي لو طلبت روعي هديهالها من غير ما أفكر، أنا
معنديش أعلى منك أنت وماما ومستعد أعمل أي حاجة
علشانكم.

في تلك اللحظة أتت كُلاً من "حبيبة وأهلة" تهجان بنفس
مُنقطع، لتتحدث "أهلة" ساخطة:

_ والله؟! هو أنت سايبنا وبتجري كدا عادي ولا كائنا شحاتين
بنجري وراك؟!

تركته "حبيبة" ثم هرولت بسعادة تجاه "صهيب" تحتضنه
بحب، ليستقبلها هو بإبتسامة حنونة يتبعها بقول الشغوف:
_ وحشتيني الشوية دول يا بسكوتة.

أشار لهم "قاسم" بتشنج ثم أردق حانقاً:

_ شايفة الناس اللي بتفهم؟! أنا دايمًا كدا حظي هباب.

تخصرت "أهلة" محلها مُتسائلة بحاجب مرفوع:

_ قصدك إيه إن شاء الله!! والله أنت ما هتلاقي زيي لا في
أدب ولا أخلاق ولا إحترام ولا هدوء.

حارة القناص

نظر لها "قاسم" لثواني بصمت، ثم أردف بإتبهار مصطنع:
_طبعًا طبعًا.. دا أنت الشّيخة "أهلة"، يعني من البيت
للجامع ومن الجامع للبيت.

سخر "صهيب" ضاحكًا وهو يُحيط بكتفيّ "حبيبة":
_أجيبك طيلة ياخويا؟!!!

طالعتهم "أهلة" بنظرات حادة نارية ثم صاحت بسخط:
_صدقوا إن أنا غلطانة إني جيت هنا! أنا ماشية.

قالتها ثم ذهبت من أمامهم بخطوات سريعة غاضبة، لينظر
"صهيب" إلى أخيه مُردفًا بشفقة:
_الله يكون في عونك يا حبيب أخوك، النكد ليك هيبقى
للركب النهاردة.

ضحك "قاسم" عاليًا قبل أن يغمز له قائلاً بعث:
_عيب عليك يا ض أخوك كفاءة ومسيطر.

حارة القناص

قالها وذهب مُهرولاً خلف "أهلة" الغاضبة، تاركًا إياه
يضحك هو وزوجته على تلك المُشاكسة اللطيفة، قَبْلَ
"صهيب" وجه "حبيبة" بقوة ثم تحدث قائلاً:
_وحشتيني يا بسكوتة.

أخفضت "حبيبة" رأسها للأسفل بتوتر أثناء ردها الخجل
عليه:
_وأنت كمان.

أحاط بكتفها ثم سار في ممر المشفى الطويل قائلاً بحماس:
_تعالى عازمك على الغدا بمناسبة الأجواء الشتوية الجميلة
دي.

اتسعت ابتسامة "حبيبة" بقوة ثم أردفت بسعادة:
_يلا بينا.

وعلى الناحية الأخرى، لحق "قاسم" بـ "أهلة" التي تقطب
جبينها بضيق ثم أحاط بها من كتفها قائلاً بدهشة مُصطنعة:
_ياه يا "هولا" يـاه؟!!! مكنتش أعرف إنك بتتقمصي
للدرجادي.

حاولت "أهلة" إبعاد ذراعاه عن كتفها بحنق، وبعد محاولات عديدة بائت بالفشل؛ صاحت به بسخط:

_ ما هو أنت اللي واقف تتريق عليا وكأني مش عاجباك، وأنا بتضايق لما حد يتريق عليا.

خرجوا من المشفى نهائيًا، فرفع كفه الآخر يُبعثر خصلات شعرها الكثيف ثم أردف مُعتذرًا:

_ يا باشا أنت تعجب التخين، وهو فيه حد يتريق على الحلاوة والجمال دا؟!!!

حممت "أهلة" بتوتر أثناء مُحاولتها للثبات أمام كلماته المعسولة، لكنه لم يراف بها ولا بتوترها، بل أكمل غزله بها قائلاً:

_ في شاعر كان بيغازل حبيبته بجملة تنطبق عليك طبق الأصل، وكان بيقول:

"أنت كهلل لامع في السماء سرق أنظار الجميع، لكنه سرق قلبي".

حارة القناص

اهتز فؤادها فرحًا مما تسمعه، فأردفت بتساؤل وتعجب:

مين الشاعر دا؟!

غمزها بمشاكسة قبل أن يُجيبها:

_ "قاسم طاحون"._

هي من القلة القليلة التي لا يهمهم الشعر أو الغزل العاطفي،
لكن كانت لكلماته أثرًا على فؤادها المسكين المحروم من
الحنان، ابتلعت ريقها بصعوبة ثم أردفت بصوتٍ خافت
متوتر:

_ يـ.. يلا نمشي عـ.. علشان ميقلقوش علينا._

كتم "قاسم" ضحكاته على توترها الواضح، فقرر الرأفة بها
وأوما لها موافقًا بقوله العابث:

_ يلا يا روعي._

أغمضت عيناها لتسيطر على ضربات قلبها الحمقاء التي
تفضحها، وبأقدامٍ مرتعشة سارت بجانبه حتى صعدت
لسيارة الأجرة الذي أوقفها، لتصعد هي أولاً وبعدها يصعد
هو ليتبعها.

منذ قليل...

دلفت "لوسيندا" إلى منزل "جون" والذي كان عبارة عن قصر كبير خاص بأبناء عائلة تشارلي"، هرولت نحو الداخل بخطواتٍ مُسرعةٍ غاضبة وخلفها جون الذي يُناديها بضجر:

_ انتظري "لوسيندا"، ما هذا الجنون بحق الله؟!!

استدارت له "لوسيندا" بأعين نارية غاضبة، ثم صرخت بوجهه دون وعي لفلتها:

_ أنا المجنونة؟!؟! أنت مكنتش شاييف الزفتة دي كانت بتبصلك إزاي!! لأ وكمان أنت بتبسملها ومبسوط، ما أنا لو مش عاجبة سيادتك قولي.

تسلل الغضب لأوردته عقب صراخها بوجهه بتلك الطريقة المُهينة، وخاصةً أمام كل من بالمنزل والذي يتضمن إخواته والخدم أيضاً، لذلك صرخ بها بحدة ناهراً إياها بعنف:

حارة القناص

_"لوسيندا" إلزمي حدودك!!! أنا لست خادمك لتصرخي
في وجهي بتلك الطريقة، إن نسييتي فأنا زوجك وواجب
عليك إحترامي يا سيدة.

تنفست "لوسيندا" بعنف، لكن تحول غضبها إلى ضيق
عندما رآته يصعد الدرج بخطوات غاضبة دون أن يلتفت لها
أو ينظر لها ولو نظرة واحدة، نفخت بسخط جاذبة لخصلات
شعرها بضيق، لتستمع بعدها لقول "آلبرت" البارد:
_لو كنت منه لقتلتك على الفور.

أكد "ستيفن" على حديثه ساخرًا:
_فلتصلي لله بأنه لم يصفعك.

ابتلعت "لوسيندا" تلك الغصة المؤلمة التي تشكلت داخل
حلقها، وبيبطي تسالت الدموع داخل مقلتها، طالعت
"مهرايل" الجميع بضجر أثناء اقترابها من شقيقتها، ثم
احتضنتها مُربّبة على ظهرها بحنان عقب قولها الساخط
للشباب:

_انتوا معندكوش دم ولا إحساس؟! عايزين إيه من أختي
الغلابة يا شوية أوباش.

حارة القناص

طالعتها "ليونيد" بسخرية قائلاً:

_ أنتِ يا فتاة مُزعجة للغاية حقًا، "لواحظ" أجمل منك بكثير.

شهقت "مهرايل" بعنف أثناء قولها السوقي:

_ "لواحظ" مين دي اللي أجمل مني يا عديم النظر! وأنت هتشوف إزاي بالنضارة اللي أنت لابستها دي؟! "

اغتاظ "ليونيد" منها ثم خلع نظارته رامياً إياها على الطاولة أثناء قوله الحانق:

_ هذه نظارة أستخدمها للزينة يا حمقاء.

جذبه "آندريه" ثم أجلسه بجانبه وهو يُربت على قدمه ببراءة، ليتحدث بعدها قائلاً عند نظره لشاشة حاسوبه الكبيرة:

_ تجاهلها يا أخي وتعال انظر إلى هؤلاء الفتيات الجميلات.

نظر "ليونيد" لشاشة الهاتف بانتباه، ليجد الكثير من الفتيات الجميلات ذات القوام الممشوق والجسد الرائع، لكنه ورغم ذلك جعد جبينه بإشمزاز ثم تحدث قائلاً:

_ ما هذا القُبْح، لا أحب مثل تلك الفتيات، أحب العجائز أكثر.

حارة القناص

حمل "آندريه" عيناه من على شاشة الحاسوب ثم نظر له
باشمئزاز، دفعه بعيدًا عنه عقب قوله الساخط:

_ابتعد من هنا يا أحمق، زوقك بشع للغاية يُشبهك تمامًا.

خرجت "لوسيندا" من أحضان "مهرائيل" تُجفف دموعها
ببطئ ثم نظرت لـ"فور" الصامت عكس عادته قائلة:

_لو سمحت يا "فور" ممكن توصلني لأوضة "چون"!

انتبه لها "فور" ثم أومأ لها بإبتسامة هادئة قائلاً:

_بالطبع يا زوجة أخي، تعالٍ معي فغرفته بالأعلى.

ذهبت "لوسيندا" خلفه صاعدة الدرج ثم سارت في ممر
طويل نسبيًا، وأخيرًا وصلت إلى غرفة "چون" الذي أشار
لها "فور" متحدثًا بهدوء:

_هذه هي غرفة أخي، ولا تحزني منه.. هو فقط غاضب
لأنك صرختي في وجهه، بالنهاية هو يحبك وسيُسامحك
بالتأكيد.

أومأت له "لوسيندا" بإمتنان ثم شكرته، وبعد ذهابه تنفست
بعمق ثم طرقت الباب بهدوء، لم يأتيها رد "چون" فقررت

فتح باب الغرفة، وعقب فتحه وجدت "جون" جالسًا على فراشه بوجهٍ مُمتعض وجسدٍ مُتشنج من الغضب.

توترت معالمها بحرج ثم اقتربت منه ببطئٍ حتى وقفت بجانبه مباشرة، شبكت كفيها معًا ولا تعلم بما تبدأ أو ماذا ستقول، هي امرأة والغيرة من طبعها، لكن تلك المرة كانت غيرتها عمياء وأقحمتها بالمشكلات، عضت "لوسيندا" على شفيتها بتوتر ثم جلست بجانبه دون أن تفتح فاهها بكلمة واحدة، وبهدوء شديد أبعدت ذراعيه عن صدره وأحاطت بخصره بقوة شديدة، وبعدها تشدقت بإعتذارٍ باكي:

_ أنا أسفة والله مش قصدي أزعلك او أعلي صوتي عليك، أنا غيرتي عممتي ومبقتش عارفة أتحكم في نفسي ولا في أعصابي، أنا بحبك يا "جون" ومعنديش استعداد أشوف حد يببصك بنظرة إعجاب واحدة وأنا أقف ساكتة، حقك عليا والله متزعش مني علشان خاطري.

ومع جُملتها الأخيرة هبطت دموعها بصمت وظهر بكاؤها على صوتها الذي ارتعش في نهاية الحديث، نفخ "جون" بضيق وحاول بقدر الإمكان عدم الإنسياق خلف مشاعره واحتضانها، لكن ليس له سُلطة على فؤاده الذي يغرق بعشقها، لذلك رفع ذراعيه وبادلها العناق بقوة أشد وأردف:

_ لا تبكي يا قلب "چون"، أنا فقط مُزعج لأنكِ صرختي في وجهي وهذا أكثر ما أكرهه في حياتي.

_ أنا أسفة.. مش هعمل كدا تاني.

همست بها بوهن، لِيُقبل خصلاتها بحنان ثم أردف بحب:

_ لا عليكِ صغيرتي، المُهم في الأمر بأنكِ اعترفتي بخطأك، وسواء اعترفتي به أو لا فقلبي الأحمق يُحبك في نهاية المطاف.

دفنت "لوسيندا" رأسها أكثر داخل صدره ثم همست بعشق:
_ أنا أُحبك "چون".

رد عليها "جون" هامسًا:

_ وأنا مُتيم بكِ عشقًا يا قلب "جون".

حارة القناص

دلف كُلَّ من " قاسم وأهله " إلى القصر الكبير بعد أن أصر
"ألبرت" على العيش معهم طيلة فترة مكوثهم هنا، وجدوا
الأغلبية مُتجمعون في الأسفل، فتحدث "قاسم" مُمازحًا:
متجمعين عن النبي إن شاء الله يا رجالة.

طالعه الجميع ببلاهة، لتدخل "مهرايل" التي كانت تجلس
بمحل على الأريكة:

إحنا مسيحين يا "قاسم" ياخويا.

رمش "قاسم" بتذكر ثم تحدث ضاحكًا:

معلش الذاكرة بعافية حبتين.

تقدم منه "ألبرت" واضعًا كفه الأيمن داخل جيب بنطاله
الأسود، ثم تحدث بابتسامة هادئة:

_عُرفتكَ أنت وزوجتك جاهزة، سأنادي واحدًا من الخدم
ليُساعدوا في نقل الحقائب._

ربت "قاسم" على ذراعه بإمتنان قائلاً بشكر:

شكرًا لك "ألبرت" على استضافتك لنا هنا.

قطب "آلبرت" جبينه متشدقًا بضيق:

_ ما هذا يا رجل لِمَ تشكرني؟! على العموم اصعد أنت لثاني
غرفة على ذراعك الأيمن، هي مُخصصة لك ولزوجتك.

أومأ له "قاسم" بشكر، ثم أمسك بكف "أهلة" وصعدا
للغرفة التي أشار إليها "آلبرت"، كانت الغرفة واسعة
بدرجة كبيرة وبها كل ما سيحتاجونه طوال فترة إقامتهم،
فراش كبير يتوسط الغرفة، وعلى الجانب الأيمن خزانة
للملابس تأخذ شكل الحائط من اللون البني الغامق، وعلى
الجانب الأيسر يوجد مرآة كبيرة بعض الشيء وعليها كل
مُستلزماتها، كذلك يوجد في الأمام مدفئة كبيرة مُشتملة
لحمايتهم من برد الشتاء القارص، وأمام تلك المدفئة يوجد
أريكة عريضة من اللون الأسود وعليها وسادتين من اللون
الأبيض المزخرف، كذلك يوجد على الجانبين ثلاث مقاعد
أخرى وثيرة ومُريحة، وإضاءة الغرفة مُريحة للعين مع ذلك
النجف الذي يُعطي مظهرًا جذابًا مع لون حوائط الغرفة
الكريمية.

نظر "قاسم" للغرفة بإعجاب ثم تحدث مُبدئيًا إياه:

_ الأوضة شكلها تحفة.

حارة القناص

أكدت "أهلة" على حديثه قائلة بإبتسامة هادئة:
_فعلاً شكلها جميل جداً.

استدار لها "قاسم" مُقترحاً:
_إيه رأيك نعمل بيت كبير زي دا؟!

ظن أن اقتراحه سينال إعجابها، لكن تفاجأ بها تهز رأسها
بالنفي وهي تقول:

_لأ البيت اللي إحنا عايشين فيه أحسن، مش بحب القصور
الكبيرة بحس إني عايشة في صحرا وتايهة جواه، البساطة
أجمل، والبيت اللي مليون حب وحنان يكسب.

إتمعت عيناه بشغف من حديثها العقلاني، فإقترب منها
قارصاً وجنتيها بخفة أثناء قوله المُشاكس:

_ياختي سُكر يا ولاد! أحبك يا جميل وأنت عاقل ورزين كدا.

ضحكت "أهلة" بخفة وحاولت تخفيف توترها منه، لتقول
بهدوء وهي تبتعد عنه:

_هدخل آخذ شاور علشان أريح أعصابي من تعب المشوار.

أوما لها قائلًا:

__ ماشي، لا إله إلا الله.

قهقهت بخفة ثم أخذت ثيابها ودخلت للمرحاض بعد أن
أجابته بضحك:

__ محمد رسول الله.

جلست "حبيبة" أمام "صهيب" على الطاولة في أحد
المطاعم، ثم أمسكت بقائمة المأكولات مُتسائلة بحيرة:

__ بتحب البييتزا ولا الشاورما؟!!

وضع "صهيب" كفه وهو يُجيبها بهيام:

__ أنا بحبك أنتِ.

نظرت له "حبيبة" بمُفاجأة على اجابته التي لم تكن متوقعة
بالمرة، وبعد تحدثت بتوتر وخجل:

__ شـ.. شكرًا.

ابتسم "صهيب" بإتساع مُستمتعًا بخجلها، ثم تحدث قائلاً
بحب:

_ هاكل بيتزا، وأنتِ هتاكلي إيه؟!!

_ هاكل زيك.

أجابته على استحياء وهي تُحاول تلاشي النظر إلى عيناه
الهائمة به، ورغم خجلها وتوترها إلا إنها تُحب اهتمامه بها
واعترافه بحبه ليل نهار، وهي تحتاج لمن يغدقها بالحنان
والحب دائماً، ولحُسن حظها هو موجود دائماً.

أسدل الليل ستاره، وجاء في تلك الأثناء "قاسم" حاملاً
لكوبين من مشروب الشيكولاتة الساخنة، أعطى واحداً
لـ "أهلة" التي شكرته بامتنان والآخر أحاط به بكفيه حتى
يحصل على التدفئة.

حارة القناص

في تلك الأثناء كان كليهما واقفان أمام شرفة الغرفة يُتابعان هطول الثلوج في مشهد يبث الراحة في الأنفس خاصةً لمُحبي الشتاء، نظر إليها "قاسم" لثوانٍ ثم انتقل بأبصاره نحو الثلوج الراقصة والتي تسقط بتدلل، وهنا استمع إلى صوت "أهله" المُتسائل قائلة:

__إيه أكثر حاجة بتبسّطك؟!!

فكّر "قاسم" قليلاً لبضعة ثواني، ثم أجابها بإبتسامة لطيفة يشوبها العبت:

__شيكولاتة سُخنة، مطر، تلج، جو هادي، وأنتِ، هتبسّط أكثر من كدا!!

وتلقائياً وعقب حديثه وجد الابتسامة تُزين نُغرها دون التحكم في ذاتها، لتتشدق بياس قائلة:

__على فكرة أنت بكاش.

ضحك عاليًا، فأمسك بكوبه في يد، وبالذراع الأخرى قام بلفها حول كتفها آخذًا إياها نحو الأريكة المُقابلة للمدفة، ثم جلسا عليها وهي مازالت تقبع داخل أحضانه، وهنا استمعت لحديثه المُهلك لأعصابها:

_ أنا كنت دائماً مش بآمن بجمال العيون، بس لما شـوفت
عينيكِ غيرت رأيي.

رفعت أنظارها إليه تُطالعها بعينيها التي يعشقها، ثم تحدث
أثناء استناده بجبينه على خاصتها:

_ عينيكِ زي الرعد اللي ضرب قلبي؛ فمبقتش قادر أسيطر
على دقاته!.

لم تستطيع "أهلة" أن تُسيطر على نبضاتها المُتسارعة
وكانها في سباقٍ ما، لذلك ابتعد عنه أثناء وضعها لكفها
على قلبها قائلة بـرجاء:

_ كفاية يا "قاسم" عشان خاطري.

هز "قاسم" رأسه موافقاً، لكنه فتح ذراعه لها قائلاً:

_ هسكت بس تعالي في حضني.

هزت "أهلة" رأسها بياس وهي تضحك، ثم اقتربت منه
واضعة رأسها موضع قلبه لتستمع إلى دقاته العنيفة،

حارة القناص

وبعدها أحاط هو بخصرها ليُقرّبها منه أكثر، وأمامهما المدفئة تبت أجسادهم الحرارة وشاشة التلفاز التي تعرض أحد أفلام الكرتون الشهيرة.

الساعة تعدت الثانية صباحًا والجميع نيام، إلا هذا الذي ينتظر الوقت المناسب لتنفيذ خطته على أحر من الجمر، وقف "قاسم" بحذر من مضجعه وسار ببطئ نحو الخزانة حتى لا يوقظ "أهله" النائمة، الآن حان دور القناص ليتقمص شخصيته الودودة.

ارتدى "قاسم" ثيابه والتي كانت عبارة عن بنطال أسود وقميصًا يُماثله في اللون، وبالطبع تأكد من وضع سلاحه في جيب بنطاله الخلفي، عيناه حادتان قاسيتان والسبب هم، سيُدمرهم رويدًا رويدًا حتى يتلذذ بتعذيبهم، والخطوة الأولى التي سيفعلها هي تدمير كل أملاك "عائلة الأرماني" في روسيا أيضًا.

حارة القناص

استدار ببطئ ليفزع من وجود "أهلة" أمامه بإبتسامة
واسعة وثياب سوداء أيضاً! قطب جبينه بدهشة ثم تسائل
بتعجب:

_ أنتِ قايمة ليه دلوقتي؟!!

أجابته "أهلة" بحماس:

_ جاية معاك.

تشنج وجه "قاسم" وهو يسألها بعدم فهم:

_ جاية معايا فين؟!!

ردت عليه "أهلة" بضجر:

_ أنا سمعتك وأنت بتتكلم في التليفون وبتقول إن هتفجر
شركة الأغذية لعيلة "الأرمانى" النهاردة، وبصراحة أنا
مش هفوت لحظة زي دي.

ابتسم "قاسم" ابتسامة صفراء قائلاً وهو يُربت على كتفها
كطفلة صغيرة:

_ روعي نامي يا حبيبتي الله يهديك وهجيبك حاجة حلوة
وأنا جاي.

رَبعت "أهلة" زراعيها بضيق ثم أجابته بحنق:
_ لا مليش دعوة أنا هاجي معاك.

زفر "قاسم" بحنق خاصةً أنها عنيدة ومن الممكن أن تأتي خلفه إن رفض أخذها معه، وفي تلك الحالة سيكون مُعدل أذيتها أكبر بكثير، لذلك أوما لها بيأس قائلاً وهو يسير أمامها:

_ أمري لله وحسبي الله ونعم الوكيل، تعالي يا أخرة صبري.

سارت خلفه بإبتسامة سعيدة وهبطت خلفه بمهل حتى لا يشعر بهم أحد، وبتروٍ شديدٍ صعّدوا إلى سيارة "ألبرت" الذي أعطاهما له ليستعيروها ثم انطلقوا مُسرعين إلى وجهتهم، وطوال الطريق كان "قاسم" يُلقي على مسامعها وصاياها العشرة وكأنها طفلة صغيرة يخاف من أذيتها ولو بخدشٍ بسيط:

_ الكلمة اللي أقولها تتنفذ، هتفضلي قاعدة في العربية لحد ما أخلص، عندك شيكولاتة في صندوق العربية اشتريتها لك مخصص وأنا جاي كُلّي منها بس متخلصيهاش كلها، اتفرجي من بعيد وملكيش دعوة بأي حاجة تسمعها،

حارة القناص

متفحيش العربية لأي حد، تحافظي على هدوءك ثم هدوءك
ثم هدوءك، لو كلامي متنفذش يا "أهلة" هساوي وشك
بالأسفلت ومحدث هيحوشك من تحت إيدي.

أومات "أهلة" له ببراءة زادت من ريبته، وبعد دقائق قليلة
وصلوا إلى منطقة مظلمة بعيدة، وما كاد "قاسم" أن يفتح
الباب؛ حتى وجد الكثير والكثير من الأسلحة التي توجه نحو
رؤوسهم من رجال مُلثمين!

حوّل "قاسم" نظره لـ "أهلة" التي تُراقب الوضع ببرود، ثم
أردف بعبت:

__ عارفة كل الكلام اللي أنا قولتهولك من شوية دا؟!!

أومات له "أهلة"، ليُكمل "قاسم" حديثه قائلاً:
__ انسيه.

لم تفهم إلى ما يرمي إليه حتى أخرج من جيب بنطاله
سلاحين، أخذ واحدً ورمى لها الآخر، ثم ألقى لها قبلة عابثة
في الهواء أثناء حديثه الماكر:
__ اللي يقابلك شوطيه.

#يُتَّبَع.

#حارة القناص.

#شروق_حسن.

السلامُ عليكِ يَا صَاحِبِي.

جاهدِ الأَيُّشْتَكِيكَ أَحَدًا إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اشْتِكَاكَكَ وَكَانَ لَهُ مَظْلَمَةٌ،
تَيَقَّنُ بِأَنَّكَ هُلَكْتَ 😊

#الفصل_الخامس_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#توفاهَا_الله.

أحيانًا أسألُ الفؤادَ ما الذي أصابهُ، لِيُجِيبَنِي بِأَنَّ العَشِقَ قَدْ
اخْتَرَقَ أَبْوابَهُ.

_الكلمة اللي أقولها تتنفذ، هتفضلي قاعدة في العربية لحد ما أخلص، عندك شيكولاتة في صندوق العربية اشتريتها لك مخصص وأنا جاي كُلي منها بس متخلصيهاش كلها، اتفرجي من بعيد وملكيش دعوة بأي حاجة تسمعها، متفتحيش العربية لأي حد، تحافظي على هدوءك ثم هدوءك ثم هدوءك، لو كلامي متنفذش يا "أهلة" هساوي وشك بالأسفلت ومحدثس هيحوشك من تحت إيدي.

أومات "أهلة" له ببراءة زادت من ريبته، وبعد دقائق قليلة وصلوا إلى منطقة مُظلمة بعيدة، وما كاد "قاسم" أن يفتح الباب؛ حتى وجد الكثير والكثير من الأسلحة التي تُوجه نحو رؤوسهم من رجال مُلثمين!

حوّل "قاسم" نظره لـ "أهلة" التي تُراقب الوضع ببرود، ثم أردف بعبث:

_عارفة كل الكلام اللي أنا قولتهولك من شوية دا؟!!

أومات له "أهلة"، ليُكمل "قاسم" حديثه قائلاً:
_انسيه.

حارة القناص

لم تفهم إلى ما يرمي إليه حتى أخرج من جيب بنطاله
سلاحين، أخذ واحدًا ورمى لها الآخر، ثم ألقى لها قبلة عابثة
في الهواء أثناء حديثه الماكر:

_ اللي يقابلك شوطيه.

تحولت نظراتها من التعجب إلى الخبث وهي تلتقط السلاح
بين يديها، ثم تحدثت بقولها المُشاكس:

.That's my type_

ارتسمت ابتسامة خبيثة على ثغر "قاسم" ثم أردف بجدية
أثناء وضعه ليدِه على مقبض السيارة:

_ ههد لتلاتة ونفتح الباب سوا، عايز كل حاجة تتم بهدوء.

أومأت له بثقة، وبالفعل بدأ العد حتى أتى عند ثلاثة وفتح
باب السيارة رافعًا يده المُمسكة بالسلاح أمام الرجال
المُلثمين وهي فعلت المثل، وما كادا أن يطلقا؛ حتى وجدا
"صهيب وألبرت وجميع أخواته" قادمون خلف المُلثمين ثم
قاموا بلوي رقبتهم في آنٍ واحد حتى وقعوا جميعًا صرعى
على الأرض.

إلتوى ثغر "قاسم" بسخط ثم نظر لهم قائلًا بتشنج:

حارة القناص

__ مسيبتوش ليا واحد ليه؟!!

اقترب منه "صهيب" ضاحكًا ثم غمز له بخبث قائلاً:

__ يوجد أماننا الكثير بالداخل أخي العزيز.

كاد "قاسم" أن يرد عليه، لكنه توقف عندما استمع إلى

صوت "ألبرت" المُتسائل بتعجب شديد:

__ لِمَ جلبت زوجتك معك إلى هنا؟!!

وكان الجميع انتبه إلى "أهله" الآن والتي كانت تُتابع الجثث

ببرود يشوبه الإشمئزاز، لم يظهر عليها الخوف أو التردد،

بل كانت جامدة إلى أقصى حد وكأنها مُعتادة على مثل تلك

الأشياء من قبل!

هز "قاسم" كتفيه بياس ثم أجابه بتهيدة:

__ هي اللي شبطت فيا.

تشنّج وجه "صهيب" من تدليله لها بتلك الطريقة المُبالغ

بها، ليتحدث ضاحراً:

__ شبطت فيك تقوم جايبها هنا؟! أنت بتهزري يا "قاسم"؟!!

طالع "قاسم" جميع الأوجه الغاضبة الموجهة إليه ببرود،
وببرودٍ أشد عاد خطوتان إلى "أهلة" الصامتة ليحيط بها
من كتفيها قائلاً بتدليل أكثر لها:

_ لأمش بهزر، هي طلبت مني وأنا مش بحب أزعلها، صح
يا "هولا"؟!!

انصهر الجليد الذي كان على وجهها منذ قليل لتجيبه
بابتسامة واسعة:
_ صح يا كبير.

جعد "چون" وجهه بضيق ثم تحدث قائلاً:
_ أنا أيضاً كنت أريد جلب "لوسيندا" إلى هنا.

رفع "ألبرت" حاجبيه باستتكار والياس يتملكه، ليتحدث
بعدها قائلاً:
_ حسناً فلندلف للداخل جميعنا الآن.

أوماً له الجميع وكُلُّ متأهباً للقتال، ليسير "ألبرت" على
رأسهم بخطى بطيئة وغير مسموعة وتبعه الجميع عدا

"صهيب" الذي وقف لإنتظار شقيقه، بينما "قاسم" ابتعد عن "أهله" قليلاً ثم رفع ملابسه وقام بخلع واقي الرصاص الذي كان يرتديه حتى يُعطيه لها، اقترب منها للغاية وأحاط بها من خصرها ثم ألبسها إياه فوق ملابسهَا نظراً لضيق الوقت، وبعدها أحاط بوجهها بكلتا كفيه هامساً:

متسبينيش وخليك ورايا ماسكة في هدومي على طول.

استشعرت "أهله" القلق في نبرته لكنها أماعت له بالإيجاب بوجه ثابت حتى لا تُقلقه، لكن قلقة لم يقل بل يزداد تدريجياً، فأمسك بها من كفها بكل قوته ثم سار بها وهي خلفه وأمامهما "صهيب" الذي جهز سلاحه هو الآخر.

دلف الجميع إلى مكان مُظلم أشبه بسرح عملاق لامع، رفعوا أنظارهم ليروا مبنى الشركة الضخم العالي، وأمام الشركة يقبع ثلاثة حراس بأجساد ضخمة يقومون بحراستها، غير الموجودين في الداخل بالطبع! أشار "ألبرت" لـ "ستيفن" بعينه ليفهم الآخر اشارته على الفور ويقوم بإتباعه، بينما وقف الباكون خلف حائط سميك يختفي عن الأنظار.

تسلل "ألبرت" بسرعة رهيبة مُلتصقًا بالحائط الذي يُجاوره، و"ستيفن" استغل سرعة ركوضه ودار حول الشركة ليقف بجانب الحائط من الناحية الأخرى، نظر "ألبرت" لساعته التي أنارت بضوء أحمر طفيف ليعلم أن شقيقه قد وصل للجهة المُقابلة كما اتفقا مُسبقًا، تشكلت ابتسامة خبيثة على تُغره قبل أن يقوم بضغط الضوء الأخضر لتصل الإشارة للآخر على الفور، وقبل الثانية التي تليها كانا قد هجما معًا على الحراس يطلقون على رؤوسهم بأسلحتهم الكاتمة للصوت، قبل أن يسقطوا صرعى فاقدين للحياة بأكملها.

ضرب "ألبرت" كفه بكف "ستيفن" قبل أن يهتف بإطراء:
_أحسنت صنعًا يا فتى.

رد عليه "ستيفن" بثقة:
_تعلمته منك يا أخي.

سدد له "ألبرت" نظرة فخورة وكأنه ابنه، قبل أن يرفع ساعده ويضغط على الزر الأصفر والذي وصل لجميع الشباب الذي اعتبروه إشارة للأمان كما اتفقوا من قبل، تقدم الجميع براحة وأمان، لكن "أهله" كانت قد التقطت بعينها خيالًا يأتي من خلف أحد الأشجار المزروعة، قطبت جبينها

حارة القناص

بتعجب ودققت النظر لكن لم تستطع رؤية شيء يظهر
بوضوح، لذلك مالت على أذن "قاسم" هامسة له بهدوء:

__ "قاسم" شايف الشجرة اللي على شمالك دي؟!!

كاد "قاسم" أن يستدير بوجهه بأكمله؛ لكن "أهلة" أوقفته
بإمساكها لوجهه فجأة هامسة بتحذير:

__ بُص بعينك بس.

هام "قاسم" في عينيها ليردف بشرود وحالمية:

__ لأ أنا هبُص لعينك أنتِ.

ضحكت "أهلة" بخفة ثم تحدثت بصوتٍ جاد يشوبه الخجل
من مغالته لها:

__ يا بني بتكلم بجد والله، أنا لمحت خيال بيتحرك وبيستخبى
ورا الشجرة دي.

استشف "قاسم" من صوتها القلق حتى وإن كان متواري
خلف صوتها الجاد، ليفعل كما طلبت منه وينظر بعيناه ناحية
الشجرة التي أشارت لها، لم يرى شيئاً لكن حركة أوراق

حارة القناص

الشجر العنيفة أوحى له بوجود شخصٍ ما بالفعل خلفها،
عاد بأنظاره لها ثم همس قائلاً:

تعالى ورايا وهنتعامل كأننا مشوفناش حاجة.

أومأت له "أهلة" موافقة ثم رفع ساعة معصمه وضغط بها
على زر الإنذار الأبيض والذي وصل للجميع، كانوا قد
سبقوه بمسافة كبيرة نسبياً، ليرفع الساعة إلى فمه ويهمس
لهم بالروسية:

يوجد دخيل يا رفاق خلف أحد الأشجار، أكملوا طريقكم
وأنا سألحق بكم لاحقاً.

نظر الجميع لبعضهم البعض بتردد، ليتحدث "ألبرت"
بصوتٍ خبيثٍ ماكر:

تعهدنا على السير معاً يا فتیان، لذلك لن نتركه وحده
بالطبع.

نظر الجميع لبعضهم البعض بمكرٍ شديد، ليتحرك "صهيب"
أولاً تجاه شقيقه أثناء فحیحه الغاضب:

أقسم إن مسّه أي ضرر لن أتهاون في إحراق العالم
بأكمله.

حارة القناص

في تلك الأثناء.. كان "قاسم" قد أخذ "أهلة" خلف أحد الأشجار مُستندًا بذراعيه على جانبي وجهها، فزعت "أهلة" من حركته المفاجئة لتردف بخضة:

_إيه اللي أنت بتعمله دا يا "قاسم" أنت اتجنتت!!

غمزها "قاسم" بمشاكسة قائلاً:

_اتجنتت من جمالك يا جميل.

فرغت "أهلة" من ردة فعله في هذا الموقف، وما كادت أن تفتح فاهها للتحديث حتى وجدته يقول بهمس خافت للغاية بالكاد سمعته:

_خليك واقفة هنا ومتعمليش أي حركة، وأنا هلفله من الناحية الثانية.

ابتلعت "أهلة" ريقها بتوتر ثم هزت رأسها بالإيجاب، وبالفعل استدار "قاسم" من جهة غير مرئية خالغاً لنعليه، ثم تسلل من خلف الرجل ببطئ شديد حتى وصل إليه، في تلك الأثناء كان الآخر يبحث ليأتي بأحد الأرقام حتى وجده أخيراً، وبالفعل ضغط على زر الإتصال لكن لسوء حظه لم تكتمل خطته بسبب ظهور "قاسم" المفاجيء والذي تشدق بخبث:

مفاجأة.

قال كلمته ثم رفع كفيه مُحيطاً برأسه لاويًا إياها على بغتة،
ليقع الآخر صريعًا على الفور فاقداً للحياة، انحنى "قاسم"
بجذعه قليلًا ليلتقط هاتفه عله يجد شيئًا يُفيده ولم ينتبه إلى
ذلك الشخص الآخر الذي يبتعد عنه بأمتار كثيرة بعض
الشيء!

رأت "أهلة" ذلك الرجل المُلثم والذي يأتي من جهتها ذاهبًا
ناحية "قاسم"، لتتسع عيناها برعب قبل أن تهول له حتى
تمنعه من الوصول إليه!

توقفت "أهلة" أمامه بإبتسامة واسعة قبل أن تُحييه بعث
وهي تُحرك أصابعها قائلة بمكر:
هاي!

طالعتها الرجل بنظرات نارية قبل أن يرفع ذراعه على آخرها
في نية لضربها على وجهها، لكن أوقفته لكمة "أهلة" له
على وجهه بقوة مما أدى إلى رجوعه للخلف بعنف، وتبعها
قولها الساخر:

اعلم مع مَنْ تلعب أيها الخنزير قبل أن تُجازف.

قالت جُمَلتها ثم دارت حول نفسها رافعة قدمها لتضربه في معدته بقوة أدت إلى سقوطه أرضًا بعنف، وقع على ظهره ولم يكد يعتدل للأخذ بثأره؛ حتى وجد كعب حذائها يضغط على وجهه بعنف وكأنه حشرة حقيرة، مما أدى إلى صراخه بقوة أتى على أثرها "قاسم" فزَعًا ظنًا منه بأنها قد أصابها أي مكروه.

_"أهلة" حصلك حاجة؟!"

تسائل بقلق لتستدير له مُرجعة خصلاتها للخلف بغرور اكتسبته منه ثم أجابته قائلة:

_"كله تحت السيطرة لا تقلق."

حوّل "قاسم" أنظاره إلى الرجل فوحده قد فقد وعيه بسبب ضربها له بحذائها على رأسه، التوى تُغرّه بإبتسامة عابثة قبل أن يغمز لها قائلاً:

_"كفاءة."

حارة القناص

اتسعت ابتسامتها بقوة من تلك الكلمة التي أصبحت تُمثل لها
طاقة كامنة داخلها وكأنها باتت أسيرة لكلمة واحدة!
استداروا على صوت الشباب الذين أتوا من خلفهم، لیتسائل
"صهيب" مُسرِعًا:

_حصلك حاجة يا "قاسم"؟!

هز "قاسم" رأسه بالنفي ثم أجابه قائلاً:

_لأ الحمد لله محصلش حاجة، المهم عايزين الراجل دا
عايش معانا، أظن هيفيدنا.

قال الأخيرة مُشيرًا إلى ذلك المُتسطح أرضًا بجروح عديدة
في وجهه، تجعد وجه "إيغور" الذي تسائل بشفقة على هذا
المسكين:

_أوه يا رجل ما تلك القسوة التي حلت بك؟! لم ضربته بتلك
الطريقة البشعة؟!

أيد "آندريه" قول شقيقه بقوله الحزين:

_كان عليك قتله لا ضربه، العنف آخر همنّا.

_يا رفاق أنا جائع.

ولا داعي لذكر صاحب تلك الجملة التي كادت أن تُصيب
جميع الموجودين بذبحة صدرية، نظر "فور" إلى نظراتهم
المُتشنجة بإبتسامة متوترة ثم أردف بمزاح:
_.. لِمَ تنظرون إليّ هكذا؟! أنا فقط أمزح.

دفعه "ألبرت" أمامه بغيظ ثم أردف قائلاً بنفاذ صبر:
_ هيا لنقضي تلك المهمة اللعينة، لن نظل هنا طوال الليل.

أمسك "قاسم" بكف "أهلة" وسار بجانبه من الناحية
الأخرى أخيه "صهيب" الواجم، ليتحدث بلطف أثناء سيره
وكانهم أطفاله:

_ خليكم مؤدبين يا ولاد ومش عايز دوشة، لو حسيتوا بأي
حاجة قولولي وأنا هتعامل وأحلها.

نظر له "صهيب" ضاحكاً أثناء مُشابغته له بقوله العابث:
_ خليك في اللي معاك وأنا هاخذ بالي من نفسي ياخويا.

كتم "قاسم" ضحكاته حتى لا ينكشف أمره فأردف ضاحكاً:
_ اسمع الكلام وأنت ساكت يا ولد ومتعبنيش.

هز "صهيب" رأسه بيأس وهو يضحك، فتركه "قاسم" ثم
مال على أذن "أهلة" هامسًا:

_خلي بالك من نفسك يا عسلية وخليك هادية، هداريك في
مكان مش متشاف وأنا هروح أكمل معاهم المهمة.

كان يُملئها أوامره كأنه يُحدث طفلة صغيرة، لكنها وكالعادة
عاندته وقامت بهز رأسها بالنفي أثناء قولها الضاجر:
_لأ مليش دعوة أنا هاجي معاك، أنا بعرف أدافع عن نفسي
كويس.

_اسمعي الكلام يا "أهلة" الحاجات دي مفيهاش هزار،
وبعدين أنا أصلًا غلطان إني سمعت كلامك وجبتك معايا،
المكان هنا خطر عليك واحتمال كبير يحصل اشتباك وحد
فيينا يتصاب.

نفخت بسخط وبدعم اقتناع قامت بهز رأسها بالإيجاب، مما
أشعره بالراحة ولو قليلًا.

دخلوا من الخلف في مكان أشبه بالمخزن الكبير مليء
بالصناديق الكرتونية والمعدنية المليئة بالبضائع والأدوية

حارة القناص

الغير مشروعة ومنتهية الصلاحية، أوقف "قاسم" زوجته أمامه ثم أردف بنبرة جادة للغاية:

__هتفضلي هنا متتحركيش من مكانك ها! متتحركيش من مكانك يا "أهلة" عشان نخرج كلنا بسرعة.

أومات له ببرود شديد صقيعي أثار تعجبه، قطب جبينه بتعجب لكن لم يكن هناك وقتًا لسؤالها، لذلك أخذها إلى أحد الأركان المليئة بالصناديق المتراسة فوق بعضها البعض وأجلسها خلفها، وقبل أن يذهب انحنى عليها مُقبلًا إياها من جبينها بشغف وبذرة من القلق بدأت تنبت داخله من تركه لها وحدها.

شعر بمن يجذب ذراعه فاستدار ليجد "ألبرت" يهمس له بصوتٍ خافت:

__هيا بنا "قاسم" علينا الإنتهاء بسرعة قبل أن يُكشف أمرنا.

نظر "قاسم" لـ "أهلة" بتردد ويعز عليه قلبه بتركها هنا وحدها، استشفت "أهلة" قلقه فاصطنعت على ثغرها ابتسامة طفيفة قائلة:

_روح يا "قاسم" متقلّش عليا أنا خبقي كويسة.

زفر "قاسم" بضيق أثناء إيمائه لها، ثم رحل مع "ألبرت"
تاركًا "أهله" تنظر لأثرهم بشرود هاديء، لكن عيناها
تعكس نيرانًا ستقوم بإحراق العالم بأكمله بسبب ما تنتوي
فعله!

ذلك الليل الهاديء كاذب، فكم من قلوبٍ أعلنت استسلامها
به! وكم من روح فضّلت انتحارها فيه! كأنه عبارة عن
أمواج هادئة تُغريك بسكونها، وعلى بغتة تتحول تلك
الأمواج إلى أعاصير هائلة ترتطم بالأحجار مُسببة تناثرها،
والمقصود بالأحجار هنا هو فؤادك المسكين!.

تقلبت "يمنى" بانزعاج على جانبها تشعر بالأرق والقلق
الشديد! لا تعلم ماهية ذلك الشعور المُفاجيء، لكن ما تتيقن
منه بأنه شعور مُزعج!

انتفضت من مكانها عندما استمعت إلى صوت جرس الباب
يصدح في تلك الأثناء، قطبت جبينها بتعجب وهي تنظر

حارة القناص

لساعة الحائط لتجد الساعة قد تعدت الثانية والنصف
منتصف الليل! من ذلك المُغفل الذي أتى بتلك الأثناء الآن!

خرجت من الغرفة تزامناً مع خروج والدتها من غرفتها هي
الأخرى، لتتسائل "نبيلة" بقلق أثناء وضعها لحجابها على
رأسها لتُخفي به خصلاتها:

مين اللي جاي في الوقت دا؟!

هزت "يمنى" كتفيها بجهل ثم أردفت وهي تتجه نحو الباب:
معرفةش يا ماما، استني هشوف مين دا.

سبقتها "نبيلة" للباب ثم أوقفها خلفها وكأنها تحميها من
الطارق أثناء قولها القلق:
لأ خليك ورايا أنا اللي هفتح.

أومأت لها "يمنى" وبالفعل وقفت خلفها لتفتح "نبيلة"
الباب وترى الطارق، وهنا كانت الصدمة عندما رأت
"يمنى" المدعو "وليد سعيد فريد" يقف أمامها بإبتسامة
بلهاء، بل وبدأ حديثه بغباء شديد بقوله:

صباح الخير يا جماعة صحوا النوم.

تشنج وجه "نبيلة" وبدون وعي صاحت به غاضبة:

_ نامت عليك حيطة يا عديم الإحساس، أنت مين يا بني آدم
أنت!!

تحول وجه "وليد" إلى الإمتعاض أثناء قوله الساخط:

_ مالك يا خالتي بس ليه الغلط دا؟!!

تلك المرة أخذت "يمنى" مهمة الرد عليه فتسائلت بضجر
قائلة:

_ أنت جاي في الوقت دا بتعمل إيه؟!!

أخرج "وليد" من جيب بنطاله مظروف مُغلف ثم أجابها
بإمتعاض:

_ "قاسم" بيه هو اللي بعنتي وبيقولك خُدي يمكن يطمر في
أهلك.

فرغت "يمنى" فاهها بصدمة وهي تتسائل:

_ هو قالك تقولي يمكن يطمر في أهلك؟!!

هز رأسه نفيًا مُجيبًا إياها ببساطة وكأنه لم يسبها منذ ثواني
قليلة:

_ لَأ هو بيقولك خُدي الظرف دا، يمكن يطمر في أهلك من
عندي أنا.

كزت "نبيلة" على أسنانها بغيظ ثم تشدقت بحدة:

_ أنت بني آدم مش محترم وقليل الذوق، وأنا هقول
لـ"قاسم" يشوفلنا حل معاك.

ضرب "وليد" على صدره بربتات خفيفة ثم رد عليها
بسماجة:

_ الله يخليك يا خالتي، بالإذن أنا بقى.

قال جملته ثم تركهم يقفون يُحدقون بأثره يطمر بغيظ شديد،
وما زاد الطين بلة هو دندنته بأغنية باتت حمقاء بالنسبة
إليهم ومزاجه الرائق على عكس مزاجهم المُتَعَكِر تمامًا،
وكانه لم يتسبب في إيقاظهم وإزعاجهم مثلًا!

حارة القناص

أغلقت "نبيلة" باب المنزل بحدة وهي تنفخ بغيظ، ثم تمتمت بغضب وهي ترمي حجابها على الأريكة:

_ يارب ارحمنا من الكائنات اللي تحرق الدم دي.

لم تهتم "يمنى" بحديثها، بل فتحت الظرف المُغلف الذي بيت يديها أثناء حديثها الخافت لوالدتها:

_ استني يا ماما تعالي نشوف "قاسم" بعطنا إيه!

توقفت والدتها عن الندب والصراخ ثم اتجهت إليها لرؤية محتوى الظرف المجهول، قطبت "يمنى" جبينها بتعجب مما هو مكتوب فرفعت أنظارها لوالدتها قائلة بتعجب:

_ تمليك مطعم؟! أنا مش فاهمة حاجة.

طالعتها والدتها بعدم فهم ثم تسائلت بجهل:

_ مطعم إيه دا؟!!

هزت "يمنى" كتفيها بعدم فهم ثم أردفت قائلة:

_ مش عارفة يا ماما.

حارة القناص

فركت "نبيلة" جبينها بصداع ثم تحدثت يائسة:

_ خلاص الصباح رباح وبكرة نبقي نتصل بـ "قاسم" ونسأله
إيه دا.

أومأت لها "يمنى" بنعاس وهي تتثائب أثناء قولها الحنون
وهي تُربت على كتف والدتها:

_ ماشي يا ماما، ادخلي يا حبيبتى أنتِ ارتاحي دلوقتي
علشان متتعيش أكثر.

وبالفعل دخلت "نبيلة" لترتاح قليلاً و"يمنى" اتجهت نحو
غرفتها واطاعة المظروف داخل دُرجها الخاص، تمددت على
الفراش بإنهاك أثناء إغماضها لعيناها براحة، لكن فتحتها
مُجدداً عندما استمعت إلى صوت هاتفها يهتز في مكانه
مُعلنًا عن اتصال ما، اعتدلت في مكانها بضيق بوجهٍ ساخط
وهي تُمسك بهاتفها، لكن ثوانٍ ما احتلت البسمة وجهها
عندما لمحت اسم "يحيى" يُنير بشاشته، لذلك أجابته على
الفور ناطقة بإسمه:

_ "يحيى"؟!!

_ افتحي الشباك.

كانت تلك أول جُملة يقولها، لتنتفض من مضجعتها وتُسرع ناحية شباك عُرفتها لفتحها، وجدته يقف بهيئته الخاطفة لفؤادها مُستندًا على صفيح سيارته أثناء وضعه ليدته في جيب بنطاله الأسود، واليد الأخرى يُمسك بها الهاتف، وكان أول حديث يصعد من فمه أثناء رؤيتها هو سؤاله الشغوف عنها:

_ كيف حالك يا قُرة عيني ولُب فؤادي!؟

أدمعت أعين "يمنى" حُبًا له ولمكانته التي تزداد رُقياً يوماً عن الآخر في قلبها، وبعدها أجابته بصوتٍ عاشقٍ:

_ الحمد لله بخير، وحشتني.

استغفر في سره ثم أجابها بإحترام:

_ استوحشتك الجنة وخالقها عزيزتي.

نفخت "يمنى" بغیظ من رده ثم أجابته بإنفعال:

_ "يحيى" أنت بتدعي عليا!؟

قطب "يحيى" جبينه بتعجب مُتسائلاً:

_ احلفي؟! هو أنا كذا بدعي عليك؟!_

مطت "يمنى" فاهها بتفكير وهي تُجيبه بغباء:

_ تصدق مش عارفة!

قهقهه "يحيى" عاليًا حتى أنها سمعت صوت ضحكاته في الأعلى، وبعدها تسائل بصوتٍ حنون:

_ صليتي النهاردة؟!_

احتل الحماس وجهها ثم هزت رأسها بالإيجاب أثناء قولها السعيد:

_ أيوا صليت كل الفروض ومفوتش حاجة.

هَلْ فؤاده طربًا وسعادة مما سمعه، ظن بأنها ستتكاسل مثلما فعل هو أول مرة أو ربما تتجاهل حديثه ونُصحها لها لكنها لك تفعل هذا، أخبرها بأنه يُريدها شريكًا في جنته قبل دُنياه وهي فعلت بنصيحته، وكأنها كانت تنتظر مُحفزًا للمضي قدمًا في طريق الصواب!

حارة القناص

وهنا جال بباله "بادر" وأقوله ونصائح التي أهداها له
لمدة شهر تقريباً، وكان الله أرسله كمصباح الهداية له، أنار
بصيرته وأزال الغمامة التي تخفي عنه حقيقة وجودنا، نحن
خُلِقنا لتعبد ولا شيء غير هذا.

استفاق من شروده على صوت "يمنى" التي تحدثت
بتعجب:

_ سكت ليه؟!!

أجابها بانتباه وهو يهز رأسه نفيًا، ثم تحدث قائلاً:

_ "وليد" بعتك الظرف؟!!

تعجبت "يمنى" من معرفته بالأمر فتسائلت باستغراب:

_ أنت كنت عارف إنه جاي؟!!

هزَّ "يحيى" رأسه ضاحكًا مُتحدثًا بمشاكسة:

_ اوعي تقولي إنكم كنتوا نايمين وإحنا أز عجاكم!

ابتسامة جانبية ساخرة تشكلت على ثغر "يمنى" وهي
تُجيبه ساخطة:

حارة القناص

_ لا يا جدع استغفر ربنا ومتقولش كدا!

ضحك "يحيى" بخفة وبعدها عاد لجديته وهو يسألها
بانتباه:

_ وأنتِ إيه رأيك؟!

_ أنا أساسًا مش فاهمة حاجة، مطعم إيه وتمليك مين!!

سحب "يحيى" نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل مُجيبًا إياها
بهدوء:

_ بُصي.. أنا و"قاسم" والشباب اشتركنا كلنا مع بعض
وعملنا مطعم كبير جدًا وراقي يكون نُقمة عيش بالحلال لينا
كُلنا، وفي الوقت الحالي أنا وأنتِ و"رائد وملك" المشرفين
عليه لحد ما هُما ما يرجعوا بالسلامة، والمطعم دا مكتوب
باسمنا كُلنا.

دُهشت "يمنى" للغاية من الأمر بأكمله، فتسائلت بصدمة:

_ وليه التعب دا كله؟! ما كل واحد فينا عنده شُغله الخاص.

أجابها "يحيى" موضحًا:

أولاً بعد ما تخلص المهمة أنا هسيب شغلي مع "مختار الأرماني"، وأكيد أنا مش هفضل آخذ مُرتبي الحلال من "قاسم" على شُغلي، تاني حاجة "رائد" هسيب شُغله اللي في المطعم اللي شغال فيه وهيجي يشتغل معانا، تالت حاجة أنتِ هتسيبي شغلك و...

قاطعته شاهقة بصدمة:

شُغل إيه دا اللي هسيبه؟!

لوى شفتيه مُستنكرًا من صدمتها، ثم تخلص في مكانه رافعًا أنظاره لها في الأعلى قائلاً:

شُغلك أنتِ يا عين أمك، ما هو أنا مش هسيبك بين شغالة بين المُجرمين وقتالين القُتلة وأنا واقف أطبخ في المطعم! وبعدين أنا الراجل وأنتِ الست يعني أنتِ ملزومة مني، ومش معنى كدا إن أنتِ هتقеди في البيت لأ، أنتِ هتيجي تشتغلي معايا في المطعم ونطبخ وناكل مع بعض يا عسل.

كادت أن تُعنفه وترفض ما قاله، لكن استماعها لحديثه الأخير جعل قلبها يميل ويقتنع بما قاله، خاصةً بأنها ستظل معه أكبر وقتٍ ممكن لتروي عطش فؤادها اللاهث بعشقه، لذلك خرج صوتها خافتًا خجولاً:

_ خلاص اللي تشوفه يا سي "يحيى".

هامت نظرات "يحيى" بحالمية عقب استماعه لنبرتها
الخاطفة، وبدون وعي قام بإحتضان الهاتف أثناء قوله
الشغوف:

_ يا خرابي على جمالها ورقتها يا ناس!

قهقهت ضاحكة ثم تسائلت أثناء ضحكها:

_ طيب وهنبدأ الشغل دا من إمتي؟!!

اعتدل في وقفته في تصنع الصرامة والجدية فأردف:

_ من بكرة يا أخت "يمنى"، أرجو منك عدم التأخير أنت
وشقيقتك، والسلام.

قال كلمته الأخيرة ثم غمزها بعث قبل أن يفتح باب سيارته
ويصعد بها، وقبل أن يغلق معها الهاتف نظر للأعلى من
نافذة سيارته بعدما فتح زجاجها، ثم تشدق بحب:

_ تصبحي من أهلي يا كل ناسي وأهلي.

حارة القناص

لم تجد "يمنى" ما تُجيبه بها سوى كلمة واحدة صعّدت من
فأها تلقائياً:

__بحبك.

أجابها والإبتسامة تُزين تُغره:

__كدا اجابتك وصلتي، سلام عليكم.

__وعليكم السلام.

ردت عليه بهمس ثم أغلقت الهاتف وعيناها تُتابع سيارته
التي بدأت بالتحرك بعيداً عن منزلها، ظلت أنظارها مُتعلقة
به حتى اختفى من أمامها تماماً، لترفع عيناها للسماء تدعو
بنبرة راجية:

__يارب اجعله من نصيبي واجمعي أنا وهو في بيت واحد
بالحلال يارب.

ذلك الشر المُنبعث من الداخل لم يكن سوى نتيجة لأفعالهم،
لن أنسى تلك الليلة التي استمعت بها إلى صوت تحطم

فؤادي، حينها تملكني الإرهاق والإستسلام، تطلعت إلى روعي المُنعكسة فرأيتها شبح من الماضي، رمادٌ من روح بريئة نالت مصرعها على أيدي الذئاب، ذلك السواد المُحيط بحدقتاي كان نابغًا من التراكمات اليافعة، وشحوب وجهي كان خير دليل على مُعاناتي، ورغم مرور الشهور والسنين لم أستطيع النسيان أو الإقدام، اقتحم الشر أبوابي وأنا لم أقاوم، فإن قاومت فالنتيجة تظل ثابتة ومعروفة، وكالعادة سأهزم.

اتجهت "أهلة" نحو الخارج على عكس ما أمرها "قاسم"، وببرود شديد وخطى رتيبة اتجهت نحو أحد الأكواخ الموجودة في الجزء الخلفي من مبني الشركة رآته أثناء قدومها من هنا، اقتربت حتى توقفت أمام هذا الكوخ فوجدته قديمًا مليء بالغبار مُخالفًا لبقية الشركة، اتجهت أنظارها نحو الأصفاد الحديدية فوجدته مُغلقًا بأقفال قديمة بعض الشيء، لذلك انحنت مُمسكة بإحدى الأحجار القوية وقامت بالضرب عليها عدة مرات، لكن ولأسفها الشديد بائت مُحاولاتها بالفشل، اعتدلت تنهج في مكانها ثم أرجعت خصلاتها للخلف أثناء انحنائها لتلتقط عصي حديدية كانت مُلقاه على أحد الجوانب، وبعدها ظلت تضرب بها على القفل الحديدي حتى انفتح أخيرًا!!.

ارتعشت أطرافها عندما خطت الخطوة الأولى للداخل، المكان مليء بالغبار ويظهر عليه القَدَم وهذا ما كانت تبحث عنه، أخرجت هاتفها من جيب بنطالها ثم أنارت مصباحه ليوضح لها المكان أكثر، اقتربت بأقدامها فرأت الكثير من الصناديق الكرتونية المُتهالكة مرمية بكل مكان، وكثيرًا من الأوراق المجهولة بالنسبة لها موضوعة على كومود غابر لكنها لم تُلقي لهم بالاً.

ظلت تبحث عن شيء معين في بالها لبعض الوقت لما ما يقرب العشر دقائق حتى اتسخت ثيابها بالغبار، نفخت بيأس من إيجاد ضالتها وهي تُنفذ ثيابها المُتسخة، لكن جذب أنظارها ذلك المظروف المخفي أسفل أحد الصناديق، اقتربت بترقب ثم انحنت تلتقطه بتوتر حقيقي تلك المرة، وبعدها قامت بفتحه، وياليتها لم تفتحه!

ما إن رأت محتويات ذلك المظروف احتضنت عيناها الجحيم واشتعل الغضب بفؤادها يحرقها بلهب الإنتقام والحدق المُتزايد يومًا عن الآخر، أمسكت بأحد الأوراق ضاغطة عليها بقوة حاقدة، قبل أن تهمس بفحيح:
_نهايتكم قربت.. قربت أوي بس الصبر.

نظرت خلفها بسرعة عندما شعرت بحركة مجهولة تدور حولها في المكان، لتقوم بدس المظروف داخل ثيابها قبل أن تُهرول نحو الخارج وتتجه إلى مكانها الذي من المُفترض أن تختبئ به قبل أن يعود "قاسم" ومَن معه.

جلست بنهيج واضعة يدها على وجهها تُخفي بهما معالمها، وبعد ما يقرب من الخمس دقائق خرج "قاسم" والشباب مُسرعين من الداخل، وما كادت أن تفتح فاهها وتحدث حتى أمسك بها من كفها وهرول بها مع الجميع إلى الخارج.

ظلوا يركضون بعض الوقت حتى وصلوا إلى سيارتهم التي تبعد بمسافة لا بأس بها عن موقع الشركة، وقفوا كصفٍ واحد يُطالعون الشركة بأعين غاضبة، ولم تمر سوى ثوانٍ معدودة حتى انفجرت الشركة بأكملها وانتشرت شظاياها المُحترقة في الأنحاء، لينعكس لهيبها في أعينهم الشامته ويبرد غضب فؤادهم المُحترق قليلاً!

انقضى الليل على الجميع بهدوءٍ نسبيٍّ_ وصدق النهار بيومٍ جديد مليء بالصدمات والآلام!

ارتدت "سهيلة" ثيابها مُسرعة ثم اتجهت إلى جامعتهَا،
وصلت بعد نصف ساعة تقريبًا فوجدت كُلاً من "عائشة"
ومريم" تقفان على ناصية الطريق في انتظارها، اتسعت
ابتسامته بسعادة عند رؤيتهن ثم اتجهت إليهن مُحضنة
إياهم كُلاً منهما على حدة أثناء قولها المُشْتاق:
_وحشتوني أوي أوي بجد.

عانقتها "عائشة" بقولها الودود:

_وأنت أكثر والله يا "سهيلة"، طميني عنك أخبارك إيه؟!

تمتت "سهيلة" بالحمد مُردفة:

_الحمد لله أنا بخير يا حبيبتى، وأنتِ أخبارك إيه يا
"مريومة"؟!

أجابتها "مريم" بابتسامة ودودة:

_الحمد لله يا "سـو"، تعالوا بقى نقعد في مكان هادي
علشان أنا دماغي صدعت النهاردة.

قطبت "سهيلة" جبينها وهي تتسائل بتعجب:

حارة القناص

إيه دا مش هناخد الدرس النهاردة؟!

نفت "مريم" ضاحكة:

_لأ للأسف أنا اعتذرت النهاردة، لكن أوعدك بكرة بمحاضرة
طويلة بإذن الله._

صفتت "سهيلة" سعيدة ثم تشدقت ببسمة فرحة:

الله حلو أوي بجد، يلا بينا نقعد في أي مكان.

اتجه الثلاث فتيات إلى منطقة نائية مليئة بالأشجار في
الجامعة ليختفوا عن أعين الطلاب ويجلسوا براحة أكثر،
تربعت "عائشة" على الأرض العُشبية ثم تسائلت باهتمام:

_ها بقي احكي لي! كنت متضايقة ومخنوقة وأنا بكلمك ليه
إمبارح._

تحول وجه "سهيلة" إلى التردد ثم حممت بجدية شديدة
لكن الكلمات لم تُسعفها للخروج، ضيقت "مريم" عينها
بشك ثم تسائلت بفحيح:

أنت عارفة لو اللي في بالي صح هعمل فيك إيه؟!

حارة القناص

ردت عليها "عائشة" قائلة بنفس النبرة المرعبة:
_ لأ سيبيلي الطلعة دي يا "مريم" وأنا هتصرف.

نفخت "سهيلة" بيأس ثم صاحت بهم بنفاذ صبر:
_ أيوا بسبب "فور" ها.

تراجعت "عائشة" في جلستها ثم صاحت بها ضاجرة:
_ تاني يا "سهيلة"؟! برضه مش عايزة تسمعي الكلام؟!!

أدمعت عيني "سهيلة" بأسى وهي تُجيبها بحزن:
_ أعمل إيه يعني يا "عائشة"؟! الحب مش بإيدي ومش
عارفة أطلعاه من قلبي، أعمل إيه علشان يكون ليا بس
بالحلال.

تدخلت "مريم" في الحديث قائلة بصوتٍ ودود:
_ مش أنتِ اللي تعملي يا "سهيلة"، الحل في إيدِه هو، يا
إما يأسلم وتتجوزوا، يا إما انتوا الاتنين مش هتتفعوا
لبعض.

انحنت "سهيلة" مُستندة بوجهها على كُلهَا لتُخفيه ودموعها تهبط في صمت شديد، حديثهم صحيح وقد يأسوا من إقناعها وإرجاعها عما برأسها، لكن فؤادها السليط دائماً ما يُعاندها ويُعانِد ظروفها.

طالعته "عائشة" بحزن، فقامت بجذب رأسها لها تحتضنها بحنان وبعدها أرذفت قائلة:

__ عليكِ وعلى قيام الليل، ادعي لاربنا يهديك للصواب ويهديه للإسلام، ولو كان خير ليك هيبقى من نصيبك رغم أنف الجميع.

بكت "سهيلة" بشهقات خفيفة وهي ترد عليها بحزن:

__ أنا خائفة يكون مش من نصيبي ويكون لحد تاني ويسيب قلبي متعلق بيه بالطريقة دي!

ربتت "مريم" على قدمها بحنان أثناء قولها الداعم:

__ «لو اطلعتم على الغيب، لإخترتم الواقع»، ربنا عمره ما هياذي عباده الصالحين أبداً، وأنتِ نضيفة وجواكِ نضيف يا "سهيلة"، ادعي ربنا يرزقك بالزوج الصالح وسيبي نتيجة استجابة الدعوة على ربنا.

حارة القناص

ابتلعت "سهيلة" ريقها ببطئ ثم اعتدلت من أعضان
"عائشة" تقول بترقب:

_ يعني بجد ربنا ممكن يقبل دعائي في حاجة زي كدا؟!!

أجابتها "مريم" بإبتسامة واثقة:

_ ممكن جدًا، بس أنتِ خلي ثقتك في ربنا كبيرة.

مسحت "سهيلة" دموعها المُتعلقة بأهدابها وفي داخلها بدأ
ينمو أمل جديد وثقة جديدة في المولى عز وجل، سر الإجابة
في اليقين، وسر التقبل هو الدعاء، لذلك هي ستلتزم الدعاء
بكثرة تلك الفترة تحديدًا.

شهقت بفزع أثناء شعورها بـ "عائشة" تهجم عليها من
ثيابها وهي تُقربها له، ثم أدرفت بأعين ضيقة:

_ مش أنتِ قولتي إنك هتتجبي يابتِ أنتِ؟!!

أومأت "سهيلة" بترؤ قائلة:

_ والله الموضوع لسه في دماغي بس خايفة أوي من
الخطوة دي.

ردت عليها "عائشة" بإصرار:

_إبسيه يا "سهيلة" صدقيني هتحسي براحة كبيرة وإنك
جوهرة من جواهر الدنيا، هتحافظي على نفسك من عيون
الرجال أولاً، وهتعلي في عيون نفسك دا ثانياً، والأهم إنك
بترضي ربنا، مش عايزة ترضي ربنا يا "سهيلة"؟!!

أجابتها "سهيلة" مُسرعة:

_عايزة أرضيه والله بس مترددة شوية، بس والله أنا كنت
هروح بكرة علشان أشترى كام طرحة كدا وأجربهم في
البيت وأتشجع أكثر معاكم.

أمسكت "مريم" بكفها تضغط عليه قائلة بإبتسامة طفيفة:

_ربنا يهديك ويثبتك، وخليك واثقة إن أنا و"عائشة"
هنفضل جنبك طول الوقت بإذن الله لو احتاجتينا.

طالعتهم "سهيلة" بإمتنان، وبنبرة شاكرة أردفت:

_ربنا يديمكم ليا والله.

القلب يشكو تألماً يا روح الفؤاد، فهل لي بعناقٍ يُداوي جرح
قلبي المُلتاع!

ركضتُ إلى أحضانك أُشدُّ، لأزيل أثر الماضي المتردِّد.
كُن لي حامياً أكن لك أميرة، فوالله قلبي المسكين يسجنني
كالأسيرة.

تقلبت "أهلة" على الفراش لتجد يد غليظة تُحيط بخصرها
تمنعها من التحرك، لا تعلم متى أتت وكيف أتت إلى عُرفتها،
كل ما تتذكره بأنها استندت برأسها على زجاج السيارة ليلة
أمس وبعدها تشوشت الرؤية من حولها.

استغلت الفرصة ودارت بأنظارها على معالمه الرجولية
الخلابة، بدايةً من بشرته الخمرية المائلة للإسمرار، وذقنه
النابئة بتهذيب، كذلك تفاحة آدم الموجودة على عنقه،
ملامح رجولية شرقية عادية للغاية، لكنها باتت مُهلكة
بالنسبة إليها!

رفعت كفها بتردد واضح إلى أعلى، وبيبطي شديد قامت
بتمريرها على وجهه وكأنها تحفظه أو ما شابه، صعدت
يدها صعوداً وهبوطاً على ذقنه النابئة بإستمتاع، ثم ارتفعت

حارة القناص

تدرجياً إلى خصلاته تُبعثرها بمشاكسة وكأنها طفلة تكتشف
معالم وجه أبيها للمرة الأولى.

انتفضت بضجر عندما أمسك بكفها بقوة وكأنه ثبتها بالجُرم
المشهود، فتحت عيناها بفرع أمام سؤاله العابث:

_ كنتِ بتعملي إيه يا "هولا" يا قليلة الأدب؟!!

وبغباء شديد وبدون وعي أجابته:

_ كنتِ .. كنتِ بفليكِ.

تشنج وجهه سخطاً وهو يُردد كلمتها:

_ كنتِ بتعملي إيه؟!!

توترت معالمها بقوة فردت عليه بتلغثم:

_ مـ .. مكنتش بعمل حاجة.

ابتسم بحنان على توترها فقربها منه أكثر دافئاً وجهه داخل
عنقها يستنشقه براحة، سرت القشعريرة داخل جسدها
بعنف وقررت الإبتعاد، لكن ما إن دفعته قليلاً حتى استمعت
إلى صوته الخافت يهمس بحزن:

_ النهاردة هعمل العملية لماما.

لان جسدها وتوقفت عن دفعه شاعرة بالحزن لأجله، خاصةً
عندما أكمل حديثه بخوف قائلاً:

_ أنا بكرة هعمل العملية لأهم شخص في حياتي، أنا لو
فشلت فيها روعي هتسحب مني بالبطين ومش هستحمل.

مدت كفها واضعة إياه خلف رأسه ثربت على خصلاتها
بحنان، ثم صعد صوتها ودودًا داعمًا:

_ أنت بقالك أكثر من خمسة وعشرين بتدرس وتتعلم علشان
توصل للحظة اللي أنت فيها دي، متخليش لحظة خوف أو
توتر تدمر أحلامك، أنا واثقة فيك يا "قاسم" وواثقة كمان
إن قدها.

رفع أنظاره إليها يسألها بتيهة:

_ بجد؟!!

أومات له بإبتسامة صغيرة مُشجعة إياه:

_ أيوا بجد، ويلا قوم علشان نلبس ونروح لمامتك من
الصبح علشان نبات معاها ومنسيبهاش لوحدها.

اتسعت ابتسامته بسعادة من دعمها ومُساندتها له، ثم هب
من مكانه مُقبلاً رأسها على بغتة هامساً:
_ربنا يخليك ليا.

وعلى غير العادة مر اليوم سريعاً دون أي أحداث تُذكر!

المهم في الأمر أن صراعات "ألبرت ومهرائيل" لم تقل ولو
بنسبة ضئيلة على الإطلاق!

"فور" كان يأكل بنهم لينسى همه وحزنه بسبب مُعذبة
روحه وحبه المحرم.

بينما "قاسم" كان يجلس أمام والدته مُمسكاً بكفها مُستنداً
به على وجهه ودموعه تهبط خوفاً بصمت!

وخلفه تقف "أهله" التي تضغط على كتفه لتقويه وتقف بجانبه في محنته، كانت "حياة" في تلك اللحظة مُستيقظة لتري خوف أولادها عليها، ابتسمت لهم بحنان ثم تشدقت بصوتٍ واهن:

_"قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" .. متخافوش يا حبايبي كل حاجة ربنا كاتبها واحنا أكيد مش هنعترض.

هبطت دموع "قاسم" أكثر أثناء محاولته لقتل تلك الغصة المؤلمة المُتشكلة في حلقه، بينما اقترب منها "صهيب" ثم جلس على الفراش متحدثًا بتحشرج:

_"هتقومي لينا وتبقي وسطنا من تاني، بس علشان خاطري حاولي وقاومي علشاني أنا و"قاسم"."

جاء في تلك اللحظة الطبيب مُتحدثًا بلباقة:

_"لقد تم تجهيز غرفة العمليات دكتور "قاسم"."

سيطر "قاسم" على نفسه بصعوبة ماسحًا وجهه من الدموع بعنف، ثم أردف بنبرة حاول جاهدًا جعلها ثابتة:

__حسناً أنا سأجلبها وآتي على الفور.

أوماً له الطبيب بعملية ثم تركهم وغادر، بينما جلب "قاسم" السرير المُنتقل وقام بحمل والدته على مهل وبيبطين شديداً ثم وضعها عليه، وللمرة التي لا يعلم عددها انحني يُقبل جبينها بخوف وفزع شديدين.

اقترب منه "صهيب" مُردفاً برجاء:

__ماما يا "قاسم"!

أوماً له "قاسم" بصمت ثم دفع الفراش واتجه نحو الخارج حيث مصيره ومصير شقيقه ووالدته!

كل ذلك وكانت "حبيبة" تتابع خوف زوجها الغريب بتعجب شديد، يتحدث عنها وكأنها والدته بالفعل، وفي تلك اللحظة أتى لها رسالة نصية من رقم مجهول مُدون بها كلمات هبّطت عليها كالصاعقة:

__"صهيب جوزك اللي أنتِ فرحانة بيه دا ميبقاش ابن عمك يا حلوة، دا لعبة عاملها عليكِ علشان يلهف بيها فلوسك وثروتك، وأنتِ اللي زي المُغفلة صدقتيه".

وعلى صعيدٍ آخر..

كان "جون" يسير بسيارته على الطريق بعد أن قضى المهمة الذي أخبره بها القائد، لكن ما أثار حفيظته هي تلك السيارات التي تلاحقه بطريقة مُريبة، حاول الإسراع لكنهم حاصروه من كل الإتجاهات، وما كاد أن يُوجه إليهم سلاحه؛ حتى شعر برصاصة تستقر داخل صدره بقوة!

انتهت "سهيلة" من محاضراتها كالعادة واتجهت نحو المسجد الذي تذهب إليه هي و"عائشة" دائماً، وصلت إلى هناك وأخرجت هاتفها ثم أتت برقم "عائشة" لمُهافتها، لكن ولسوء حظها وجدته مُغلقاً، نفخت بضيق وقررت الدخول لحين أن تأتي هي كما تفعل دائماً، وانتظرت قليلاً حتى اجتمع الفتيات وبعدها أتت "مريم" ولكن حتى الآن لم تأتي "عائشة"، مما سبب الضيق والإختناق لها، جلست "مريم" في مكانها المُعتاد ثم قامت برفع نقابها، وللعجب

حارة القناص

الشديد ظهر أثر البكاء جلياً على وجهها، أثار ذلك انتباه الجميع وخاصةً "سهيلة"، وما كادت إحداهن بسؤالها عن حالتها، حتى تحدثت هي بصوتٍ مبحوح واهن أثر البكاء:

_يوسفني قول هذا لكن! صديقتنا الغالية "عائشة" توفاهها الله ليلة أمس.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

عارف يعني ايه " وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا "

يعني في علاقات وفي ناس مينفعلش معاهم القرب بأشكاله
وأصنافه، الهجر الجميل هو أنسب وضع، والفرق بين
الهجر الجميل والعادي إن الهجر الجميل مفيهوش غل،
مفيهوش أذية، مفيهوش خصام، يعني لو قابلته هتسلم، لو
احتاجك هتسعه..

ربنا اوجدلنا قوانين لكل التفاصيل اللي تخليك تعيش سوي،
مطمئن، فيصرف عنك مشتتات الدنيا اللي تشغلك عن
رسالتك وتستنفذ طاقتك وقدراتك في غير محلها.

#الفصل_السادس_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#ليلة_هادئة.

تُمطر السماء دموعًا وقهرةً، يضرب البرق السماء
بانتنفاضة، والرعد يصم الأذان صارخًا، كما أن الكلمات تهبط
كالصاعقة، والقلب ينفر الحديث نافيًا!

رُمشت "سهيلة" بأهدابها عدة مرات أثناء مُحاولتها
لإستيعاب الكلمات التيهبطت على مسامعها للتو، ظنت بأنها

لتكون مزحة سخيفة من "مريم" لخداعها، لكن صوت "مريم" الذي صعد باكيًا رغمًا عنها بعد ذلك:

_ اتوفت "عائشة" بعد مصارعتها مع الورم الخبيث لمدة سنتين.

بكت الجميع الفتيات تأثرًا بحديث "مريم" خاصة بأن "عائشة" كانت ذات سيرة طيبة نقية بين الجميع، وجودها كان خفيًا كالمسك وحديثها مُشبع بالتقوى والإيمان، بينما معالم "سهيلة" كانت مازالت مُتخشبة ومُتصنمة محلها، الكلمات لا تُريد الإستقرار بعقلها الذي يرفض الحقيقة البشعة.

تابعت بحدقتها خروج الفتيات من المسجد بعد أن قامت "مريم" بإلغاء درس اليوم، لتنتقل بأبصارها نحو "مريم" التي كانت تقترب منها حتى جلست أمامها، وهُنا كانت أول دمعاتها تهبط ببطئ شديد على وجهها وكأنها تجلدها بسوط الحقيقة المرة، ليخرج بعدها صوت "مريم" الهامس ببكاء مبجوح:

_ "عائشة" ماتت يا "سهيلة".

هزت "سهيلة" رأسها عدة مرات تنفي حديثها، وبعد فترة من الصمت خرج صوتها مصدومًا:

_ لأ.. أكيد لأ.. "عائشة" كانت كويسة إمبارح يا "مريم"..
مُستحيل تموت بالسهولة دي!

أغمضت "مريم" جفنيها ب بكاء ثم تحدثت قائلة:

_ "عائشة" كان عندها كانسر وقربت تخف منه، كانت في مرحلة شفائها الأخيرة بس دخلوا عليها إمبارح لقوها ميتة وهي ساجدة.. كانت بتصلي القيام وتوفت.

وهنا صدقت "سهيلة" كل ما يدور حولها، "عائشة" ماتت! الوحيدة التي انتشلتها من ضياعها وطريق فسادها قد ذهبت عن دُنْيَاهُمْ! في ذلك الوقت هبطت دموع "سهيلة" بكثافة أثناء رفعها لكفها لكتف شهقاتها المُنصدمة، حاولت ابتلاع تلك الغصة التي في حلقها لكن مُحاولاتها بائت بالفشل، الغصة المؤلمة تزداد ألمًا وفؤادها يطرق بعدم تصديق، تشعر بأنها في كابوسٍ ما وستستفيق منه لاحقًا.

شعرت بيدِ "مريم" تُمسِكُ بخاصتها وبعدها تحدثت قائلة
بوهن:

_ كانت بتحبك أوي يا "سهيلة"، كانت مُستبشرة فيك خير
ومعتبراك أختها الصُغيرة.

كان وجه "سهيلة" يشحب تدريجيًا وحتى الآن عقلها
يرفض التصديق، لذلك خرج صوتها مُتقطعًا قائلة بدون
وعي:

_ أنتِ.. أنتِ بتكدي عليا.. "عائشة".. "عائشة" ممانتش
لأ.. مُستحيل.. هي.. هي..

توقفت عن استكمال حديثها ثم انفجرت في البكاء المرير،
تشعر بأنها قد فقدت عزيزًا على قلبها وقد كان! اقتربت
منها "مريم" ثم جذبتها لأحضانها بقوة، وظلوا يبكون بكاءً
مريرًا لخسارتهم صديقة صالحة كانت بمثابة شقيقة لهم،
كانت "مريم" مُتماسكة قليلًا لعلمها بما حدث فجراً، لكن
الصدمة الحقيقية كانت من نصيب "سهيلة" التي ظنت بأن
"عائشة" ستظل رفيقة دربها مدى الحياة، لكن كان للقدر
رأي آخر والحياة تُمانع وتُخالف ظنونها كما المُعتاد.

ظلت "فترة" لا بأس بها تبكي في أحضان "مريم" التي تُربت
على ظهرها بخفة، لا تعلم أهي ساعة، أم اثنتان، أم ثلاث!!
كل ما تعلمه هو اختناقها الشديد وشعورها بالخسارة
الفادحة!

مرّ الكثير من الوقت ومازالت "سهيلة" تقبع بين أحضان صديقتها تبكي بصوتٍ مقهور، وبين بكاؤها الشديد كانت تُتمتم بكلمات لم تفقه الأخرى معناها سوى بأنها كانت جريحة، قبّلت "مريم" جانب وجهها بعد أن توقفت عن البكاء ثم أردفت بصوتٍ خافت:

أنا هفضل جنبك دائماً، محدش هياخد مكان "عائشة" في قلبك بس اعتبريني صديقتك وهتلاقيني معاكِ على طول.

خرجت "سهيلة" من أحضانها بوجهٍ مُنتفخ شديد الإحمرار نتيجة لبكاؤها الشديد، حاولت الحديث لكن صوتها لم يُسمعها لذلك حممت عدة مرات لتُجبر صوتها على الخروج:

أنا.. أنا عايزة أشوفها يا "مريم".

طالعتها "مريم" بتردد قائلة:

ما بلاش يا "سهيلة" مش هتستحملي.

أمسكت "سهيلة" كفيها برجاء قائلة:

عشان خاطري يا "مريم" عايزة أشوفها لآخر مرة.

تجمعت الدموع بحدقتي "مريم" وهي تُجيبها ببيكاء لم
تستطيع منعه:

_هي.. هي المفروض تتغسل قبل الظهر وتتدفن بعد الصلاة
والساعة دلوقتي عشرة ونص.

ورغم أن هذا الأمر طبيعي مع المُتوفي؛ إلا أن وقع الكلمات
كان حادًا لازعًا على كليهما، سيطرت "سهيلة" بصعوبة
على انفجارها باكية واكتفت دموعها بالهطول في صمت،
وبعدها تشدقت قائلة بتألم:

_طيب.. طيب يلا علشان منتأخرش عليها.. بسرعة يا
"مريم" عشان خاطري عايزة أشوفها لآخر مرة في حياتي.

وافقت "مريم" بياس على طلبها ثم وقفت من مكانها
واتجهوا للخارج، وبعدها أوقفوا سيارة أجرة وانطلقوا بها
نحو منزل "عائشة" لرؤيتها للمرة الأخيرة بقية حياتهم!.

دائمًا ما كان يُطلق عليه بالطبيب الماهر، سعى كثيرًا وعمل
جاهدًا حتى يحصل على هذا اللقب، كانوا يستدعونه لأصعب

المهامات لعلمهم بكفاءته وبراعته، لكن تلك الحالة خصيصًا فريدة من نوعها، فالقابعة أمامه ليست مجرد مريضة وحسب، بل إنها والدته!

أغمض عيناه ليستجمع قواه المتناثرة ويُخفف من خوفه ولو قليلاً، وقبل أن يبدأ بعمليته انحنى على رأسها أمام جميع الأطباء ثم قبلها بعمق، وبعدها همس في أذنها راجياً:
قاومي علشان خاطري ومتسبنيش.

قال جُمَلته ثم اعتدل في مكانه مُجدداً وبدأ في إجراء عملية والدته، والتي تُعتبر من أخطر العمليات التي مرت في حياته مُسبقاً، فالجسد يحتاج إلى الكثير من الوقت لتقبل عضو آخر داخله، لكن ما يُطمئنه قليلاً هو أن جميع الأنسجة من عضو المُتبرع تُماثل أنسجة والدته، مما يسهل من نجاح العملية
إلى حدٍ ما.

كانت عينيّ "قاسم" تُركز بقوة على كل حركة تصدر من يده، فارتعاشة يده من الممكن أن يتسبب في خسارته لوالدته إلى الأبد، لذلك وضع بينه وبينها ساتراً لإخفاء وجهها وبدأ بإجراء الجراحة على إنها مريض عادي، ورغم ذلك وأثناء عمله؛ عادت ذاكرته إلى لحظة من لحظات طفولته تجمعته بوالدته وأبيه..

كان "قاسم" الصغير يهرب من والدته التي تُهرول خلفه أثناء إمساكها بالطعام بين يديها ثم وقف خلف الأريكة هاتفاً بمشاكسة:

_ لو مسكتيني هاكل الأكل كله وهديكِ بوسة كبيرة.

توقفت "حياة" في مكانها ثم تخلصت في مكانها قائلة بحزنٍ زائف:

_ إيه دا! يعني لو ممسكتكش مش هتبوسني خالص!

وضع الصغير يده على شفثيه يُفكر بطفولية، ثم نظر إليها بتردد وهو يُلاحظ حُزنها الذي صدقه، ليردف بعدها مُغيراً حديثه:

_ لأ خالص يا ماما متزعليش، هبوسك بس بوسة صغيرة خالص.

قطبت "حياة" جبينها بضيق ثم اتجهت نحو الأريكة القديمة للجلوس عليها قائلة بنفي:

_ لأ خالص مش عايزة منك حاجة، أنا زعلانة منك.

طالعتها "قاسم" بتردد ثم خرج من خلف الأريكة ناظرًا إليها بترقب، وبعدها اقترب منها حتى وقف قبالتها:

_بصي خلاص أنا هبوسك بوسة كبيرة علشان مش بحبك
تكوني زعلانة.

لم تستطيع "حياة" تصنع الحزن أكثر أمام طفوليته وبرائه المهلكة لفوادها كأم، خاصةً بخديه المنتفخين بشكلٍ لذيذ وعيناه السوداء الواسعة، لتجذبه لها على بغتةٍ تُدغدغه بقوة تزامنًا مع انطلاق صرخاته الضاحكة وأعينه التي أدمعت من كثرة الضحك.

وتلك كانت من اللحظات الجميلة المحفورة داخل عقله وتجمعه مع والدته الحبيبة، لحظات لو دفع عمره بأكمله لن يستطيع تعويضها أو حتى نسيانها، دائمًا ما يُرسخ الحب الصادق داخل أفئدتنا، وكأنه يُوشم بمزيجٍ من نيران الحب ولهيب الضحكات.

وبالخارج..

كان الجميع يجلس على أعصابه خوفًا من تلك العملية التي أخذت تقريبًا أربع ساعات ومازالت مُستمرة! جلس

"صهيب" وبجانبه "فور" يدعمه بكلماته، وبجانب "أهله" جلست كلاً من "لوسيندا ومهرائيل" التي أتوا مؤخرًا، بينما "حبيبة" كانت مُنزوية بأحد الأركان كطفلة شريدو تائهة، أطرافها ترتعش بردًا وخوفًا من صحة الرسالة التي أتت لها منذ قليل، كانت دموعها تهبط بصمتٍ وشيء ما بداخلها يُخبرها بأن ما قرأته صحيح، والدليل على ذلك هو خوف "صهيب" الغير مُبرر على تلك المرأة التي بالداخل، والتي من المُفترض بأنها والدة صديقه لا والدته هو!

وبتلك اللحظة أتى على بالها حديث الشباب عندما كانوا يذكرون بأن "صهيب" أخ لـ "قاسم"، كانت تظنه تمييزًا لصداقتهم القوية فأصبح كلاهما شقيقان بالروح، لكن من المُتضح بأنهما شقيقان بالفعل!

كانت دموعها تهبط بصمتٍ وشفقتها ترتعش ببكاء، العالم بأجمعه يقف ضدها، وإن كان للحديث بقية وتم إثبات بأن "صهيب" يطمع بها ستتدمر كليًا وستنتكس بقوة، رأتها "مهرائيل" بتلك الحالة فقطبت جبينها بتعجب من حالتها، لذلك وقفت من مكانها واتجهت نحوها حتى وقفت قبالتها، وبعدها تحدثت باستغراب وقلق:

ـ مالك يا "حبيبة" واقفة كذا ليه؟!!

حارة القناص

استمع "صهيب" لحديث "مهرائيل" عن زوجته التي انشغل عنها رغماً عنه، فرفع عيناه مُسرِعاً ليراها بحالة مُزرية للغاية، بينما مسحت "حبيبة" دموعها قائلة بصوت مُرتعش باك:

_م.. مفيش أنا كويسة..

أتى "صهيب" على حديثها ليُحيط بها من وجهها قائلاً بقلق:

_ "حبيبة" مالك بتعطي ليه؟!!

رفعت "حبيبة" أنظارها له تُطالعه بعتاب تعجب له، فأبعدت يده عن وجهها ثم ابتعدت هي الأخرى عنه بجسدها قائلة:

_مفيش حاجة..

طالع "صهيب" فعلتها بحاجبين مقطوبين وتعجب شديد، ليتسائل مشدوهاً:

_ في إيه يا "حبيبة"؟!!

تجاهلت "حبيبة" سؤاله مُبتلعة تلك الغصة المؤلمة التي بحلقها ثم أخفضت رأسها للأسفل تُخفي وجهها عن الجميع، وبالأصح فهي تخفي روحها النازفة بدماء برائتها!

كانت "أهلة" وبجانبها "لوسيندا" تُتابعان الحديث الدائر بصمت، وعندما وجدت "أهلة" تتلك الحالة من التوتر تُسيطر على الجميع تحركت من مكانها نحوهم ثم وجهت حديثها لـ "حبيبة" تتسائل بتعجب:

__ حصل إيه يا "بيبة" مخليك ز علانة كدا؟!!

كانت "حبيبة" مازالت تُخفض رأسها للأسفل ويديها مُتشابكين ببعضهما البعض، ليصعد بعدها صوتها مبحوحًا:

__ مش ز علانة ومحصلش حاجة.

كالعادة تهرب إلى النفي وكتم حزنها بداخلها، الجميع كان يرى حُزنها لكن الوحيدة التي شعرت بها هي "أهلة" لأنها مرت بنفس ظروفها من الكتمان، لذلك اقتربت منها أكثر ثم أحاطت بها من كتفها مُحترضة إياها برقة ثم تسائلت بحنان:

__ مالك يا "حبيبة"؟!!

ضعفت قوة "حببية" الواهية والتي كانت تتصنعها أثناء ضم الأخرى لها، لتتهدم في البكاء المرير وكأن "أهلة" قد أعطت لها الإذن بالبكاء بعد عناقها الحنون لها، كانت "أهلة" تعلم بأن هذا ما سيحدث، هي كانت تحتاج قديمًا لمن يضمها هكذا حتى تُخرج ما في جبعها من حُزن عن طريق البكاء، لكنها وللأسف الشديد لم تجد مُنقذًا لها ومُخففًا لآلامها فأصيبت بالكتمان المُزمن.

كان "صهيب" يُتابع حالة "حببية" بصدمة جلية على معالمة، ماذا حدث لها ليُوصلها لتلك الحالة ويتسبب في انهيارها بتلك الطريقة! والأدهى بأنها تنفره أيضًا، شعر بألم في فؤاده بسبب فعلتها الأخيرة ودفعها له دون مُبرر، لذلك عاد خطوتين للخلف واستند بظهره على أحد الحوائط يُتابعها بدهشة.

شعرت "حببية" بفداحة فعلتها وأنها قد ظنت به سوءً دون أن تتأكد، لذلك خرجت من أحضان "أهلة" بصمت واتجهت لأحضانها هو لتُعانقه دون حديث! وكأنها كانت تائهة ووجدت ملاذها داخل أحضانها هو!

والآن تيقن "صهيب" بإصابتها بشيء ما لكن لم يود سؤالها الآن أمام الجميع، لذلك وبصمت قام بإحاطتها مُشددًا

حارة القناص

من ضمها، بينما هي دموعها كانت تهطل بصمت شديد وعيناها شاردة، تركهم الجميع وخدمهم وذهبوا للجلوس أمام المقاعد التي أمام غرفة الجراحة حتى يتركوهم على راحتهم.

أخرجها "صهيب" من أحضانه ثم تسائل بحنان قائلاً:
_ عايزة تحكي مالك دلوقتي؟!_

طالعه بتردد وبعد فكرة من التفكير هزت رأسها بالنفي، أماء برأسه بإبتسامة هادئة ثم تحرك بها نحو أحد المقاعد واستندت برأسه على صدره أثناء جلوسهم.

مرت ساعة أخرى فبدأ القلق يأكل بصدر "صهيب أكثر من تأخرهم المبالغ به، أراد الدخول والوقوف مع شقيقه للإطمئنان على والدته لكن لن يستطيع بالتأكيد، لذلك فضّل الجلوس والدعاء لها علّ خالقه يتقبل دعائه.

بعد نصف ساعة فُتِحَت باب غرفة الجراحة وخرج منها جميع الممرضين لكن دون الحديث أو حتى الإنتظار لسماع أسئلتهم القلقة، وما زاد من ريبهم هو تأخر "قاسم" بالداخل!

كادت أن أنفاس "صهيب" أن تقف من شدة الخوف، حتى أنه شعر بقدمه لم تعد تستطيع أن تحمله، طرق فؤاده بعنف عندما وجد "قاسم" يخرج من الغرفة فاتجه نحوه مُسرِعاً حتى وقف قبالته، وما كاد أن يفتح فمه للتحدث؛ حتى وجد "قاسم" يحتضنه بقوة ودموعه تهبط بعنف لكن دون صوت.

ثقل جسد "صهيب" خوفاً والذي تسائل بإرتعاش:
_ مـ.. ماما يا "قاسم" .. إيه .. إيه اللي حصل.

أجابه "قاسم" بسعادة مُفرطة وهو يُشدد من احتضانه قائلاً
بصوت مسموع:
_ العملية نجحت يا "صهيب".

أدمعت عيني "صهيب" بعدم تصديق ثم تسائل بصراخ:
_ إحلف بالله؟! لا لأ بجد ولا بتهزر؟! اوعى تكون بتهزر
والله ما هحك.

حارة القناص

اهتز جسد "قاسم" بضحكات مُمتزجة بالدموع ثم تشدق بصوتٍ سعيد:

والله ما بهزر العملية نجحت وبعد 24 ساعة ماما هتفوق وهتبقى وسطنا على طول.

هبطت دموع "صهيب" بعنف تزامناً مع ارتفاع ضحكاته بسعادة عارمة ثم تتم هامساً بكاءً:

الحمد لله يارب.. الحمد لله.. ألف حمد وشكر ليك يارب.

ابتعد "قاسم" عن أخيه بعد أن جفف دموعه جيداً حتى لا يراها أحد، ثم اتجه نحو "أهلة" التي كانت تُتابعه بسعادة عارمة لفرحته، وبعدها احتضنها بقوة هامساً لها بشغف:

يا وش السعد عليا.

التمعت عيني "أهلة" بسعادة لفرحته، بل وطرق الفؤاد فرحاً مع جملته الأخيرة، لذلك بادلتها العناق تضمه إليه بشدة أثناء حديثها السعيد:

حمدالله على سلامتها.

حارة القناص

تنهد "قاسم" بإرتياح شديد دافئاً وجهه في عنقها يستنشق
عبير خصلاتها، ثم أردف قائلاً:

_ آاه لو تعرفي أنا ارتحت قد إيه؟! كانه جبل هموم وانزاح
عن قلبي.

صعدت يدها صعوداً وهبوطاً على ظهرها تُربت عليه بحنان
أثناء قولها الهامس:

_ ألف مبروك.

يعلم بأن هذا ليس الوقت المناسب، لكن سعادته كانت بالغة
فقال بشغف:

_ مبروك عليا أنتِ والله.

توقفت "أهلة" عن التربيت على ظهره وانتظرت سماع
باقي كلماته والتي انتفض بسببها قلبها:

_ من يوم ما دخلتي حياتي وهي بتتغير للأحسن، ربنا بعتك
ليا عشان تواسيني، وبعنتي ليك عشان أطبب على قلبك،
ويا فرحة قلبي بيك.

__إيه؟!!

رددتها مصدومة فوجدته يُكمل بإبتسامة هادئة وباللغة
الروسية:

__جئت لتكوني انتصارًا عظيمًا تُوج به قلبي.

__"قاسم"!

رددتها بهمس أثناء اغماضها لعيناها بسبب عدم تحملها
لمثل تلك الكلمات المعثولة، ابتعد برأسه قليلاً ثم مال على
جبينها يُقبله بحنان وبعدها أرفف قائلاً:

__رحلة علاجك هتبدأ من النهاردة.

فتحت عيناها على آخرهما بهلع وهي تهز رأسها بالنفي،
استشعر خوفها وفزعها من انتفاضة جسدها القوية ليُحيط
بوجهها قائلاً بحنان:

__هكون معاك خطوة بخطوة لحد ما تكوني بخير ومش
هسيبك.

ابتلعت ريقها بصعوبها وخرج صوتها حادًا بعض الشيء:

__أنا مش جاهزة النهاردة.

نظر لها بصمت لثوانٍ معدودة قبل أن يتحدث بصوتٍ خالي
من المشاعر عكس ما كان عليه قليلاً:
_هنشوف الحوار دا بعدين.

قالها ثم ابتعد عنها ثم أمسك بكف يدها أثناء وقوفه بجانب
شقيقه والذي يحتضنه "فور" بسعادة بالغة.

كان "صهيب" في تلك الأثناء يطير فرحاً وسعادة وكأنه
داخل أحد الأحلام الجميلة، خرج من أحضان "فور" ثم اتجه
نحو "حبيبة" الصامته بشكلٍ مخيف قائلاً بدون وعي:
_ماما بقت كويسة يا "حبيبة".

_ماما؟!!!!

رددتها بصدمة شديدة ليتصنم جسد "صهيب" فجأة من ذلة
لسانه الغير مقصودة، هز "قاسم" رأسه بيأس من غباء
شقيقه ثم اقترب منهما قائلاً بتصحيح:

_هو يقصد يا "حبيبة" إنه بيعتبر أمي زي والدته مش
أكثر.

رفعت "حبيبة" أنظارها تُتطالعه بنظرات غاضبة كانت غريبة عليها كُليًا، ورغم ذلك أومأت لهم بهدوء وقررت الصمت حتى تتأكد تمامًا، وبعدها تحدثت بهدوء:
_أنا عايزة أمشي.

نظر لها "صهيب" بنظرات غاضبة وهو يجز على أسنانه، ثم أمسك بكف يدها بعنف ساحبًا إياها خلفه، منعه "قاسم" قبل أن يذهب ثم تشدق بغموض قائلاً:
_براحة ها!

كانت ملامح "صهيب" واجمة فأوما له دون الحديث ثم أكمل طريقه لخارج المشفى ومنها إلى سيارته التي انطلق بها بسرعة هائلة نحو المنزل.

تابعت الفتيات ذهاب "حبيبة" مع "صهيب" بقلق خاصة وأن تعاملها كان غريبًا للغاية، استدارت "لوسيندا" نحو "قاسم" تُهنئه بود قائلة:

_ألف مبروك يا قاسم حمدالله على سلامتها.

رد عليها بإبتسامة هادئة:

الله يسلمك.

صمت قليلاً ثم وجه حديثه إلى "فور" قائلاً:

خُذ الفتيات إلى المنزل "فور"، لدي بعض الأعمال التي لم أنهيتها بعد.

أوماً له "فور" بهدوء وما كاد أن يتحدث؛ حتى وجد صوت طبيب آخر يُهرول نحوهم قائلاً:

دكتور "قاسم" هناك حالة خطيرة على وشك الدخول إلى غرفة الجراحة.

انتبهت حواس "قاسم" ثم أشار للغرفة الأخرى المجاورة لغرفة والدته قائلاً بجدية:

الغرفة فارغة اجلبوه بسرعة وأنا جاهز.

أوماً له الطبيب على عجلة ثم هرول مُسرّعاً لجلب المُصاب، بينما أشار لـ "فور" مُتحدثاً بصرامة:

هيا "فور" عليك أخذ الفتيات الآن.

حارة القناص

حسناً أخي لا تقلق، هيا بنا يا فتيات

قالها "فور" للفتيات ليوموا له، بينما نظرت "أهله" له نظرة عابرة لتجده يُعطي لها قُبلة عابثة في الهواء خجلت على أثرها.

_ "چون"؟؟!!

قالتها "لوسيندا" بهلع عندما رأت المُتسطح على العربية المُتحركة ثم هرولت تجاهه، حوّل الجميع أنظارهم إلى حيث تذهب فوجدوه هو.. "چون" غارقاً في دماؤه.

فزِع "فور" من مظهر أخيه فصاح صارخاً برعب:

_أخي؟؟!! "چون" ما بك؟؟!!

صاحت "لوسيندا" بالأطباء بصراخ وهي تبكي:

_ ما الذي حدث له؟؟!!

رد عليها أحد المُمرضين بعملية:

أُصِيبَ بِطَلْقِ نَارِي.

تصنم "فور" مكانه قائلاً بغضب هائج:

اللَّعْنَةُ عَلَى الْجَمِيعِ.

كان "قاسم" في انتظار تلك الحالة التي قال عليها الأطباء، لكن ما أثار تعجبه هو رؤيته للجميع يعودون مرة أخرى لكن مع تلك العربة المُتحرّكة وهم يبكون!! هرول إليهم راکضاً بسرعة واتسعت عيناه بصدمة عندما رأى أن المُصاب ما هو إلا "جون" رفيقه.

لم يترك فرصة لأحد للحديث، بل دفع العربة مع المُمرضين ثم دخل به إلى داخل غرفة الجراحة، انطلقت إليه "لوسيندا" تُمسك بيده برجاء أثناء هتافها الباكي:

انقذ "جون" يا "قاسم" عشان خاطري، اعمل اللي تقدر عليه.

أجابها "قاسم" بسرعة شديدة ليُطمئنها:

متقلقيش هيبقى كويس إن شاء الله.

قالها ثم أغلق باب العمليات وحتى الآن لا يُصدق ذلك الحدث السريع والصادم التي أتى لهم على بغتة، وكفعلته السابقة وضع ستارًا بينه وبين وجه "جون" حتى يلهي نفسه عن هوية المريض وكونه صديقه حتى لا ينشغل باله، وبعدها بدأ بالجراحة الصعبة وإخراج الطلقة التي كانت مُستقرة داخل صدره بالتحديد!!.

وصل كُلاً من "صهيب وحبيبة" إلى القصر التابع لعائلة "شارلي"، هبط "صهيب" أولاً من السيارة ثم دار ليفتح باب السيارة من الناحية الأخرى، أمسك بكف "حبيبة" بعنف ثم سار بها نحو الداخل بخطوات غاضبة، كادت "حبيبة" أن تتعثر في خطواتها لكن لم يلتف لها، عقله يكاد أن ينفجر بسبب معاملتها الغريبة وعنفها الغير مُبرر، أدخلها للغرفة ثم أغلق الباب بحدة جعلتها تنكمش على ذاتها ودموعها تتسلل إلى حدقتها بصمت.

استدار لها "صهيب" ثم تشدق بغضب وهو يجز على أسنانه:

ممكن أعرف في إيه بقى؟! إيه اللي حصل وغيرك فجأة فهميني?!!!

قال الأخيرة بغضب شديد جعلها تقف في إحدى زوايا الغرفة
وذكرى صُراخ والدتها وضربها لها عادت لها مُجددًا،
انكشيت "حببية" على ذاتها بخوف ظنًا منها بأنه سيقوم
بتوبيخها وضربها الآن كما كان يحدث من والدتها سابقًا.

احتل الغضب وجه "صهيب" أكثر وأعمى الغضب عيناه،
وما كاد أن يفتح فاهه حتى يتحدث؛ فوجد صوت هاتفه
يصدح برنين عالي قاطعه، أخرج هاتفه من جيب بنطاله
فوجد أن المتصل "أهلة"، فأجابها مُسرعًا ظنًا منه بأن
والدته قد أصابها مكروه

_آلو!!

انزوت "أهلة" بعيدًا عن الجميع ثم تحدثت قائلة بتحذير
صارم:

_أنت عارف أنا لو جيت لقيت البت معيطة أو منكد عليها أنا
هعمل إيه؟! قسمًا بالله ما هتشوفها لمدة أسبوع وهتبات
معايا في الأوضة.

رد عليها بإستكار ناظرًا لـ "حببية" بصدمة:

حارة القناص

_ نعم ياختي؟! أنتِ متصلة بيا عشان تهدديني!!

أجابته "أهله" ببرود:

_ اعتبره زي ما تحب، لو جيت لقيت "حبيبة" زعلانة أنت
حُر.

تشنج وجه "صهيب" باستنكار حتى أن لسانه قد انعقد عن
الرد، تلك السليطة تُهدده حقًا؟! كان يظنها هادئة مُسالمة
واللعنة على تفكيره، فهو بالنسبة إليها ملاك هادي ء وهي
شيطانة ماكرة.

كادت الأخرى أن تغلق الهاتف لكنها أردفت بتذكر:

_ وآه صحيح "چون" متصاب في المستشفى و"قاسم" معاه
في العمليات، سلام يا.. يا كبير.

قالت كلماتها ثم أغلقت الهاتف دون الإستماع إلى رده عليه،
عادة اكتسبتها مؤخرًا من "قاسم" وأصبحت من المفضلين
لها.

بينما "صهيب" صُدِم بقوة من حديثها حول إصابة "چون"، لذلك قرر إنهاء حديثه مع "حبيبة" ثم العودة إلى المشفى مرة أخرى.

هدأ "صهيب" قليلاً عقب حديثه زوجة أخيه معه ثم نظر لـ "حبيبة" بهدوء مُنافي لحالته منذ قليل، رأى حالتها المذعورة التي كان غافلاً عنها أثناء ذروة غضبه ثم اقترب منها بهدوء حتى توقف أمامها مُباشرةً، انكشفت "حبيبة" أكثر على ذاتها وصوت شهقاتها بدأ يعلو تدريجياً رَغماً عنها، ضمها "صهيب" لصدره مُحيطاً لرأسها بذراعيه ثم تحدث يائساً:

اعمل إيه بس عشان تبطلي خوف وتحكيلي كل اللي مزعلك يا "حبيبة"؟!!

انهمرت "حبيبة" في البكاء عقب استماعها لصوته المُعاتب وظلت تُهمهم ببعض الكلمات التي لم يفهمها لكن استشف منها اعتذارها، ضمّها أكثر لصدره مُربتاً على خُصلاتها بحنان وبعدها أَرَدَفَ بألم:

حُزنك الحاجة الوحيدة اللي بتعذبني؛ فمتبكيش.

حارة القناص

رفعت ذراعيها تُحيط به من خصره أثناء قولها الراجي:
_متسبنيش يا "صهيب" والله أنا مليش غيرك، متضحكش
عليا وتمشي مش ناقصة وجع.

فرغ "صهيب" فاهه مُردداً حديثها بصدمة:
_أضحك عليك!! "حبيبة" انطقي إيه اللي أنتِ مخبياه
عني!؟

ابتعدت ببطئ عن أحضانه مُمسكة بكلتا كفيها تُشبههما معاً،
ثم أردفا بريية:
_ه.. هقولك بس متر عقليش.

أغمض عينيه بيأس من خوفها منه وعدم ثقتها في ذاتها ثم
هز رأسه مُومئاً لها بالإيجاب، ابتعدت عنه ثم اتجهت نحو
الفراش تلتقط من عليه هاتفها وبعدها فتحت تطبيق الرسائل
التأتي بالرسالة المبعوثة إليها، عادت إليه ببطئ ثم مدت
يدها له بقلق أثناء قولها الخافت:

_الرسالة دي جتلي النهاردة.

حارة القناص

تعجب في البداية ثم مد يده ليلتقط الهاتف من بين يديها
وبعدها بدأ في قراءتها بصوتٍ غير مسموع، كانت معالم
وجهه مُتجمدة لا يظهر عليها شيء، وبعد فترة من الصمت
رفع رأسه لها يسألها بترقب:

__ وأنتِ صدقتي الكلام دا؟!!

هزت رأسها بالنفي وهي تُجيبه:

__مش.. مش كله.. بس لما شوفت خوفك على مامت
"قاسم" حسيت إنك فعلاً ابنها.

__طب ما أنا فعلاً ابنها.

قالها ببساطة لثطالعه بصدمة مُرددة:

__إيه؟!!

اقترب منها "صهيب" مُمسكاً بكفيها بحنان، ثم أردف
بهدوء قائلاً:

__"حبيبة" فيه حاجات كتير أنتِ مش عارفاها ولازم نتكلم
فيها، بس للأسف مش دلوقتي.

_وليه مش دلوقتي؟

تسألني ليجيبها بثقل:

_علشان "جون" في المستشفى ولازم أروحله دلوقتي.

دُهِشت من حديثه فأومأت له بهدوء قبل أن تقترب منه
مُتحدثة برجاء:

_طيب أنت مش بتضحك عليا صح؟! بُص أنا ممكن أكتبك
كل فلوسي بس متضحكش عليا.

تشنج وجهه بغضب أثناء دفعه إليها مُتسائلاً بحدة:

_بتقولي إيه أنتِ اتجننتي؟! شايفاني بالقذارة دي؟!!!
أنا مش قدر زي عيلتك وآخر همي الفلوس.

فتحت فاهها للتحدث فوجدته يقول بصراخ:

_ أنتِ يا "حبيبة" مريضة ومحتاجة تتعالجي إزاي تثقي في
نفسك وتبطلي شك في اللي حواليا.

رمى لها كلماته الجارحة في حقها وحق ذاتها ثم تركها
وغادر من المنزل بأكمله.

حِفة من الأغباء مُتجمعون حول طاولة صغيرة يضعون
جميع الأوراق أمامهم، يظنون أنفسهم أذكىاء لكن في
الحقيقة الغباء صُنِعَ خصيصًا لهم، والمقصود بالأغباء هُم
"يحيى، رائد، ملك، يمى".

وضعت "ملك" الورقة الأولى أمامها وهي تُصيح بتهليل:
_طب والله أنا قمر ومفيش زي.

غمزها "رائد" بمشاكسة قائلاً:
_دا كدا كدا يا جميل واللي يقول غير كدا أعمى مبيفهمش.

أخفضت "ملك" رأسها أرضاً بخجل أثناء قولها الخافت:
_يوه بس بقى بتكسف.

تشنج وجه "يحيى" الذي تحدث مُعترضاً:
_اتقوا الله يا أخوتي فما تفعلونه حرام شرعاً.

أكدت "يمنى" قوله بحديثها المؤيد:

_أيوا حرام شرعاً ولو متلمتيش يا "ملك" هقوم أجيبك من شعركِ.

نظرت لها "ملك" بضجر قائلة بسخط:

_وأنا مالي ما هو اللي عمال يعاكسني وأنا قاعدة محترمة أهو.

جعد "رائد" جبينه حانقاً ثم أردف بغیظ:

_تصدقي إنك عيلة بياعة!!

أشارت "ملك" لذاتها بصدمة مُرددة حديثه خلفه:

_أنا عيلة؟!!

سخر منها "يحيى" قائلاً:

_وبالنسبة لبياعة دي مش جاية معاكِ.

أشاحت "ملك" بيدها له بلامبالاة:

حارة القناص

_ اصمت أنت الآن يا أخ "يحيى".

أشار "يحيى" لذاته بحذر قائلاً:

_ أنت بتقوليلي أنا اصمت؟!!

أومأت له "ملك" بالإيجاب ولمحة من الغرور والكبرياء
مُتشكلان على وجهها ثم أردفت:

_ آه بقولك أنت.. ولو سمحت خلصوا يلا بسرعة علشان أنا
عليا مذاكرة وامتحاناتي قربت بعد العيد.

اتسعت ابتسامة "يمنى" التي صفقت بيدها بحماس:

_ رمضان فاضل عليه عشرين يوم وبجد فرحانة أوي.

شاركتها "ملك" السعادة والتي أردفت ببلاهة:

_ وأنا كمان أوي، بحب أَلعب مع العيال وأولع سلك وأضرب
صواريخ معاهم.

رد عليها "رائد" بمشاكسة:

طب ما تسيبك من العيال ونتجوز وتيجي نولع صواريخ
في بيتنا.

استدارت له "ملك" قائلة بأعين ملتمة:

بجد هتشتري لي صواريخ؟!!

أوما لها مؤكداً بقوله العاشق:

والله دا أنا أقلبك صاروخ علشان خاطر ضحكك دي.

ابتسمت "ملك" تلقائياً شاعرة بضربات تضرب بين أضلعها،
أطالت النظر داخل حدقاته وهو فعل المثل، محياها يُجذبه
وعفويتها أوقعته بها لذا لا مجال للفرار، حمم "يحيى"
بصوتٍ عالي قائلاً ببعض الضيق:

اتقوا الله ويلا نكمل خطتنا العبقرية علشان ننفذها بكرة.

انتبه له الجميع فوضع "يحيى" الأوراق على الطاولة
شارحاً لهم:

المطعم ما شاء الله كبير وفيه أكثر من 100 ترابيزة
وزيادة متقسم لجزئين، جزء ظاهر بيطل على النيل والجزء
التاني مخفي شوية عن الأنظار، مهمة "وليد" إنه هيقول

حارة القناص

لـ"مختار الأرماني" عن المطعم بتاعنا، وبما إنه جديد ولسه مش معروف فهو هيفضل يعمل جميع صفقاته ويتفق على الشُحنات فيه بعيدًا عن أي مطعم مشهور ودا بعد ما "وليد" يقنعه بـدا، أول ما "مختار" واللي معاه يبدأوا يقعد هنبعت ليهم جرسون واللي هيبقى أنت يا "رائد" وتعمل نفسك بتاخذ طلباتهم، في حين إن أنت هتخط ليهم جهاز تصنت علشان نسمع جميع الصفقات والشُحنات اللي هيتفقوا علينا، وطبعًا أنا مش هينفع أظهر قدام "مختار الأرماني" عشان أنا في نظره ميت دلوقتي، و"رائد" برضه مش هتظهر بوسك وهتكون لا كمامة عشان لو لقدر الله اتكشفنا تكون مجهول بالنسبة ليهم.

كان ثلاثهم يستمعون إليه بانتباه شديد حتى استدار "يحيى" تجاه "ملك" قائلاً:

ـوأنتِ يا "ملك" اللي هتجيبني "أنس الأرماني" للمطعم برضه.

تشنج وجه "رائد" صائحًا بسوقية:

ـنعم يا روح أمك؟! "ملك" مين دي يلا اللي هتجيب زفت الطين؟! اظبط يا "يحيى" بدل ما أفشفشك دماغك.

طالعه "يحيى" ببرود حتى انتهى، ثم أردف موضحًا:

_ أول حاجة يا بهيم أنا اخترت "ملك" عشان هي كانت بتكلمه قبل كدا وهو عارفها، تاني حاجة أصلًا "أنس الأرماني" لسه طالع من المستشفى إمبرح بعد ما طلع عليه واحد كله علقه محترمة، يعني إيداه مش هيعرف يمدها عشان يمسكها أصلًا.

تسأللت "يمنى" مُتعجبة:

_ دخل المستشفى تاني؟! هو مش المرة الأولى دخلها بسبب "صهيب"؟! المرة الثانية ليه بقى!؟

أرجع "يحيى" ظهره للخلف قائلاً بتفكير عميق وذكاء:

_ من وجهة نظري المتواضعة والذكية للغاية، اعتقد برضه إن "صهيب" حَب يمسي عليه قبل ما يسافر فعمل معاه الصح.

ردت عليه "يمنى" بشماتة:

_ مش خسارة في جتته.

حارة القناص

كان وجه "رائد" واجم فاستدار نحو "ملك" يهتف بها
غاضبًا:

_ بقولك إيه ملكيش دعوة بكلام المُتخلف دا، و قعود مع
الزفت التاني مش هيحصل إلا على جُثتي.

طالعه "ملك" بطرف عينها مُتحدثة بتشنج:
_ أنت بتزعقلي!؟

رد عليها "رائد" غاضبًا:

_ آه بز عقلك وكلامي هو اللي هيمشي ويتنفذ.

تجاهلت "ملك" بقية حديثه ثم تسألت مُجددًا بعد أن اعتدلت
بغضب:

_ أنت بتزعقلي!؟

ظل "رائد" على موقفه مؤكدًا بعناد:

_ آه بز عقلك و..

_ طب تعالالي بقى.

لم تدعه يُكْمِل حديثه ثم هجمت عليه تُمَسِك به من خصلاتها
تجذبها بغيظ، بينما هو كان يصرخ من هجومها المُفاجيء
والذي لم يكن يضعه في الحسبان، لكن وبعد ثواني تملك
منها وأمسك بيدها يعضها بكل قوته مُغْتَظًا، صرخت "ملك"
بصوتٍ مدوٍ هاتفةً بألم:

يا ابن العضاضة يا حيوان، وديني لأوريك.

قالتها هاجمة عليه أكثر فأمسكت خصلاته بيد وباليد الأخرى
قامت برفعها وإمساك ذراعه لتثبته ثم غرزت أسنانها به.

كانت صرخات الاثنان تعلو بألم مما أدى إلى ضجر "يحيى"
الذي أشار لـ "يمنى" للخروج، وبالفعل وافقته فهبت من
مقعدها ثم وقفت جواره، ليُعدل "يحيى" من وضعية ثيابه
أثناء قوله الهاديء:

يبقى كذا اتفقنا على الخطة يا شـباب، هنخرج نقعد مع
"لواحظ" في البلكونة بقى.

قالها فاعتدل الآخران بعد أن توقفا عن العراك بثياب مُشعثة
وخصلات مُخيفة، نظرا لبعضهما البعض ليُصيح "رائد"
مُغْتَظًا:

على جُنتي إن الكلام دا يحصل.

تجاهله "يحيى" الذي خرج وخلفه "يمنى" وذهبا للجلوس
في الشُرْفَة لِيُتَابِعَانَ الأَمْطَارَ التي تهبط بخفة، لكن قبل أن
يجلس استدار لـ "جيهان" طالبًا منها بمشاكسة:

بعد إذنك يا "چيچي" يا قمر ممكن كوبايتين شاي
بالنعناع؟!!

طالعه "جيهان" بابتسامة واسعة قائلة وهي تهب من
مضجها:

بس كدا؟! دا أنا عيني ليك.

تسلم عينيك يارب.

قالها بود ثم استدار لـ "يمنى" في جلسته مُتَسَائِلًا بفضول:

ها قولتي لمامتك إننا عايزين نكتب الكتاب ولا لسه؟!!

أومات له "يمنى" بالإيجاب لكنها تحدثت بياس:

قولتلها ورفضت.

ليه؟!!

تسائل بضيق لتُجيبه:

_قالتلي لما "أهلة" أختي ترجع هي وجوزها من برا،
وبصراحة هي معاها حق، أنا نفسي أخواتي الاتنين يكونوا
معايا في لحظة زي دي، هكون مبسوفة وفرحانة أكثر.

ارتسمت ابتسامة هادئة على ثغره ثم أردف بحب:

_خلاص اللي يفرح ست "يمنى" هو اللي هيمشي، وأنا
عندي كام "يمنى" أصلاً؟!!

تشكلت ابتسامة واسعة على شفيتها مُطالعة إياه بأعين
مُلتمة وحب شغوف، وهو حاول جاهداً ألا ينساق خلف
رغبته في إطالة النظر إليها ويغض بصره عنها، ولحسن
حظه قاطعهم مجيء "چيهان" التي وضعت قدحي الشاي
بالنعناع أمامهم على الطاولة، ليُتمتم "يحيى" بشكر:

_تسلم إيدك يا "چيچي" تعبتك معايا.

_ولا تعب ولا حاجة يا حبيبي بالهنا والشفاء.

قالتها بود ثم تركتهم وذهبت لينالوا راحتهم ولو قليلاً.

حارة القناص

أمسكت "يمنى" بقدح الشاي وما كادت أن تضعه على
شفتيها حتى استمعت إلى صوت "يحيى" يصرخ بها:
_لأا استتي.

فزعت "يمنى" من صراخه فتسائلت برعب:
_إيه في إيه؟!!!

أخرج "يحيى" هاتفه من جيب بنطاله ثم رفع كوب الشاي
أمام وجهه في السماء، وبعدها أرفد بعد فتحه لكاميرا
الهاتف:

_تعالى نعمل Us ونصور الشاي مع بعض.

طالعه "يمنى" بغيظ ثم تحدث بسخط أثناء رفعها لقدح
الشاي في الأعلى هي الأخرى:

_لولا إن الفكرة عجبتي أنا كنت حميتك بكوباية الشاي دي.

جدد "يحيى" وجهه بإشمزاز هاتفاً:
_بيئة.

وبالفعل رفع الاثنان الأكواب للأعلى حيث أصبحت مُقابلة
للسماء الغائمة والأمطار الخفيفة، ثم التقطها "يحيى" من
المنتصف فكانت رائعة ودافئة بكل ما تعنيه الكلمة.

ارتص الستة أشقاء أمام غرفة العمليات مُنتظرين خروج
شقيقهم وتعافيه، أعينهم توحى بالدماء ووجوههم غير
مُبشرة بالخير إطلاقًا، الشفقة من نصيب الفاعل سيتذوق
عذابًا لم يره من قبل، لن يكتفوا بقتله فقط، بل سيُقطعون كل
إنش بجسده حتى يتلذذوا بالإستماع إلى صراخه وتعويضهم
عن كل لحظة رعب شعروا بها خوفًا على أخيهم.

مرت ساعة تقريبًا وفتِح الباب ليخرج من خلفه "قاسم"
الذي خلع ماسك وجهه، هرولت إليه "لوسيندا" أولًا والتي
صاحت ببيكاء عنيف:

_طمني على "جون" يا "قاسم" أبوس إيدك.

رد عليها "قاسم" بهدوء قائلاً:

حارة القناص

متقلقيش هو الحمد لله كويس والرصاصه جت في الجنب
اليمين من صدره، اصابتة مش سهلة بس مش خطيرة
برضه.

هل لنا أخذه الآن؟!

نطق بها "ألبرت" بهدوء مُريب يخفي وراءه عاصفة قوية،
ليُطالعه "قاسم" بخبت قبل أن يوميء له بالإيجاب موافقاً:
ينفع.

طالعتهم "لوسيندا" بصدمة صائحة بهم بعدم تصديق:
هو إيه اللي ينفع؟! إزاي هيخرج وهو في الحالة دي؟!

رد عليها "ألبرت" بقوله:

إن أردتي أن يُقتل فسنتركه، الفاعل لن يتركه قبل القضاء
عليه.

ارتجف جسد "لوسيندا" خوفاً على زوجها من قساوة ما
تسمع، فذهبت إليها "مهرائيل" لتحتضنها بحنان بعد بكاء
الأخرى، ثم استدارت لـ "ألبرت" صائحة به بغیظ:

حارة القناص

_ ما تنقي كلامك يا جدع أنت، إيه اللي أنت بتقوله دا؟!!

رد عليها "ألبرت" ببرود:

_ اصمتِ أيها الجرو الصغير، لا أريد سماع صوتك المزعج مُجددًا.

طالعته "مهرائيل" بحنق مُتجاهلة إياه ثم ربتت على ظهر شقيقتها الباكية بضيق قائلة:

_ خلاص يا حبيبتي كفاية عياط هو بقى كويس، سيبك من كلام الكائن دا وجوزك هينام في حضنك النهاردة.

نظر "قاسم" لزوجته الصامته طيلة الجلسة، فنظر لكفيها وجدهما مُبتلان، يبدو بأنها قد غسلتهما اشمنزرا للتوا!

انتبهت "أهلة" لتحديقه بها فاقترب منها هامسًا:

_ خُدي البنات بعيد شوية عايز الشباب في كلمتين كدا.

أومات له "أهلة" بهدوء دون مُجادلة ثم ذهبت نحو "لوسيندا" مُتحدثة بحنان:

_ تعالي يا "لوسيندا" اقدي أنتِ من الصبح وأنتِ واقفة.

حارة القناص

نفت "لوسيندا" بتعب قائلة بصوتٍ مبجوح:
_ لآ مش عايزة.. أنا عايزة أشوف "جون".

حاولت "أهلة" اقناعها بقولها المصمم:

_ "قاسم" قال إنهم بيجهزوه علشان يتنقل لأوضة عادية
وبعد كدا هيبداوا في اجراءات الخروج علشان يخرج من
هنا، وأنت أكيد مش هتفضلي واقفة دا كله لحد ما يغمى
عليك.

اقتنعت "مهرائيل" بحديثها فحاولت اقناع شقيقتها بقولها
الهاديء:

_ "أهلة" معاها حق يا حبيبتي، وبعدين لازم تاكلي حاجة
علشان تهتمي بجوزك لما يفوق وتكون مصححة كدا،
مش هتكوني أنتِ وهو تعبانين كدا.

أومات لهم "لوسيندا" فأسندتها "أهلة" ومعها "مهرائيل"
حتى جلست على المقعد الحديدي، مسدت "مهرائيل" على
رأس شقيقتها قائلة بحنان:

_ هنزل أجيبك أي حاجة تشربها من تحت عشان
متدوخيش.

حارة القناص

أومات له شقيقتها بصمت، فجلست بجانبها "أهلة" تُربت على ظهرها بحنان، ومن الحين للآخر تهمس لها بأن زوجها سيكون بحالة جيدة عن قريب حتى تُطمئنها.

نظر "قاسم" نحو الرجال ثم تشدق بغموض:

_إذا ما هي الخطوة القادمة؟!

رد عليه "آلبرت" بنفس النبرة:

_ماذا تظن أنت؟!

تشكلت ابتسامة خبيثة على ثغر "قاسم" أثناء فحجه المليء بالشر:

_الجحيم!

وعقب كلمته تشكلت ابتسامة مُخيفة على ثغر الجميع، مَنْ يراهم يُقسِم باختلالهم وعدم آدميتهم، ماذا إن رأوا نواياهم المُدمرة وخطتهم المُهلكة التي ينتوون تنفيذها!

حارة القناص

وبدون أي تفاصيلٍ تُذكرُ عادت "سهيلة" إلى المنزل بملامح جامدة واتجهت نحو عُرفتها تنام على فراشها بصمت دون الحديث أو حتى البكاء!

دخل "قاسم" إلى والدته للمرة الأخيرة حتى يطمئن عليها فوجد أن جميع مؤشراتها الحيوية جيدة وتُبشر بالخير، ليهبط على جبينها مُقبلًا إياه بعمق أثناء قوله الهامس بحب: حمدالله على سلامتك يا روح قلبي.

اعتدل في وقفته ثم اتجه خارج غرفة العمليات ليجد شقيقه جالسًا مهمومًا ومعالمه يظهر عليها الوجوم والضيق، نفخ "قاسم" بثقل قبل أن يجلس بجانبه ويردف يائسًا: يا بني هتفضل قاعد ومكشر؟! فُك شوية مش كدا!

رد عليه "قاسم" بضيق:

سيبني في حالي دلوقتي يا "قاسم" عشان أنا دمي محروق خِلقة.

سحب "قاسم" نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل قبل أن يردف
بهدهوء قائلاً برزانة:

_بص يا "صهيب" أنت عارف إن "حبيبة" مراتك ملهاش
غيرك، مش هقولك إن مش من حقك تزعل منها بس على
الأقل متفساش عليها، أنا لو مكانها هفكر نفس تفكيرها،
هي اتخذت من أقرب الناس ليها واللي كانوا أمها وولاد
عمها، وأنت كمان قولتلها إن أنت أخويا فطبيعي يكون دا
تفكيرها وتصدق الرسالة اللي جت ليها، دورك إنك تحتويها
في الوقت دا وتحاول تخليها تثق فيك أكثر من الأول علشان
لم تحكيلها الحقيقة متتصدمش فيك.

كان "قاسم" مُحق في كل كلمة قالها، أرجع "صهيب" رأسه
للخلف ثم تشدق بألم:

_أنت مش متخيل وجعي كان عامل إزاي وهي بتقولي خُد
كُل فلوسي بس متسبنيش!

ربت "قاسم" على فخذة قائلاً بمؤاندة:

_مراتك محتاجالك فمتسببهاش في الحالة دي، لا تكن
حلوفًا.

ضحك "صهيب" بخفة ثم اعتدل واقفًا وهو يقول:

حارة القناص

_طيب أنا هرجع بقى علشان مسيبهاش لوحدها في البيت
أكثر من كدا، وابقى قول لمراتك وحياة أمك متهددنيش
أصلي بخاف منها.

قال جملته الأخيرة بسخرية جعلت الآخر يُقهقه عاليًا قبل أن
يقول بعبث:
_براحتها.

رد عليه "صهيب" بغيظ قبل أن يبتعد عنه:
_والله ما فيه غيرك اللي مدلعتها.

ليتحدث "قاسم" بهمس بعد أن ابتعد شقيقه عن أنظاره:
_أعيش وأدلعتها.

تم إنهاء جميع الإجراءات وإخراج "جون" من المشفى بعد
أن وفروا له جميع أجهزة العناية المناسبة له حتى يكون
بمأمن بعيدًا عن المتربصين به، وعاد الجميع للقصر بهدوء
وكان لم يحدث شيء طيلة اليوم!

حارة القناص

دخل "قاسم" العُرفة بإرهاق شديد وخلفه "أهلة" التي
تثأبت بتعب شديد، حكّ "قاسم" عنقه ثم تحدث لها قائلاً:
_ استني متتاميش هدخل آخذ شاور وهعمل أكل عشان ناكل
سوا.

أومأت له "أهلة" بهدوء ليدخل هو للإستحمام ويُريح
أعصابه المُنهكة من تعب اليوم، بينما هي اتجهت نحو
الخزانة وقامت بإختيار ملابس مناسبة مريحة لإرتدائها.

وبعد ربع ساعة خرج "قاسم" من المرحاض بعد أن استحم
وبدل ثيابه، اتجه نحو "أهلة" ثم أردف بإبتسامة هادئة:
_ تعالي يلا ننزل نعمل أكل.

قطبت "أهلة" جبينها مُردفة بتعجب:
_ بس دا الساعة 12!!

غمزها بمشاكسة قائلاً:
_ ومالو.. تعالي نعيش اللحظة.

حارة القناص

قالها ثم أمسك بيدها ساحبًا إياها خلفه، هبطوا السلالم ثم اتجهوا نحو المطبخ ليقول "قاسم" بتفكير:

_ أعمل إيه.. أعمل إيه!!

نظر لـ"أهلة" ثم تسائل حائرًا:

_ أعمل إيه؟!!

هزت كتفيهل بجهل أثناء قولها:

_ مش عارفة، بس تعالى نعمل مكرونة مثلاً؟!!

استحسن فكرتها فأردف بإبتسامة مُتسعة:

_ هعمل مكرونة بالصوص الأبيض والفراخ البانيه.

اتسعت ابتسامتها قائلة بحماس:

_ الله موافقة جدًا.

اتجه "قاسم" نحو أدراج المطبخ يبحث داخلها عن المكونات لبعض الوقت، و"أهلة" اتجهت إلى الثلاجة لإخراج قطع

حارة القناص

الدجاج التي من المُفترض طهيها، وبعد وقتٍ قليل وجدوا جميع الأشياء التي يحتاجونها.

جذب "قاسم" يد "أهلة" حتى تقف بجانبه، ثم أردف بصرامة مُصطنعة:

_ركزي في كل اللي هعمله عشان أنتِ اللي هتعملها المرة الجاية.

أومات له "أهلة" بحماس جعل "قاسم" يضحك بخفة على ردة فعلها، وبعدها بدأ يصنع الطعام بكل حب وهي تُتابعه بشغف وإهتمام.

كان "قاسم" يظهو وهو يقوم بشرح ما يفعله لها وكأنها طفلة:

_هنسلق المكرونة لوحدها الأول، وبعد كدا هنعمل الصوص هو شبه صوص البشاميل شوية، هتغطي معلقتين سمنة عليهم معلقتين دقيق وتقليبهم لحد ما التدقيق يستوي وريحته تبقى حلوة، وبعد كدا ننزل فوقه بشوية لبن لحد ما يكون خليط مُتماسك، وقبل دا كله تكوني مجهزة بصلة متوسطة تكوني عاملاها في زيت مع فلفلالية صغيرة وقالب شوربة كبير وتقليبي كويس، وبعد ما خليط اللبن والدقيق

حارة القناص

يغلي نازل فوقهم بالبصل والفلفل المتشوحين كويس
وعليهم عودين شبت وبقدونس وشوية كُزبرة ناشفة، وبعد
دا كله ما يتقل مع بعضه تصفي المكرونة كويس بعد ما
تستوي وتحطي فوقها الصوص وتقليبها كويس.

أنهى عمل الطعام ثم صبهم في أطباق زجاجية بيضاء
وزينهم بقطع الدجاج المُحمرة فباتت وجبة لذيذة وعالمية،
أدار "قاسم" الطبق حول نفسه ثم التف إلى "أهلة" غامزًا
إياها بعث أثناء قوله:

__وبألف هنا وشفا على قلب الكفاءة القمر.

اتسعت ابتسامة "أهلة" بعفوية ثم أردفت بإمتنان:

__تسلم إيدك بجد.

بادلها "قاسم" الابتسامة ثم اتجه نحو الثلاجة مُخرجًا منها
مشروب غازي قام بصبه في كأسين كبيرين، وبعدها قام
برص تلك الأشياء على صينية صغيرة الحجم حتى يحملها،
لكن "أهلة" اعترضت بكبرياء قائلة:

__بما إني الست هنا فأنا اللي هشيل الصينية.

جعلها "قاسم" تحمل الصينية بالفعل ثم انحنى قليلاً مُشيرًا
بذراعه نحو الخارج أثناء قوله:

_تفضلي أميرتي.

سارت "أهلة" ضاحكة وهي تحمل الطعام بين يديها ثم
صعدا معًا لغرفتهم مُجددًا، وضعت "أهلة" الطعام على
الطاولة التي أمام المدفئة وشاشة التلفاز، فجلس "قاسم"
مُرتاحًا على الأريكة التي تُقابلهم ثم أمسك بجهاز التحكم
جالبًا إحدى أفلام الرعب التي قرروا مشاهدتها اليوم.

جلست "أهلة" بجانبه مُعطية إياه طبق المعكرونة خاصته،
ثم أخذت خاصتها وبدأت بتناوله بتلذذ شديد وكذلك هو،
أمسكا كأس المشروب الخاص بهما ثم ضربا الكأسان
ببعضهما البعض وهم يضحكان، وانتهت ليلتهم الجميلة
هكذا، طعامٌ جميل مُشترك، مشروب غازي رائع، وفيلم
رعب مُفضل لهما، وفي نهاية الجلسة جذبها "قاسم"
لأحضانها لإستكمال فيلمهم.

#يُتبع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

"مجاهدتك على ترك ما تُحِبُّه

لأجل ما يُحِبُّه اللهُ

ثقيلة على قلبك

ولكنها أثقل في ميزانك!"

#الفصل_السابع_والثلاثون_.

#حارة_القناص_.

#اختطاف_.

أنا التائهة بين شوارع الظلّمة، أتيتك هروباً واتخذتك ملجئاً؛
فخذلتني.

كانت "حبيبة" متكومة على ذاتها على الفراش تضم رُكبتها
لصدرها ودموعها تهبط بقوة تزامناً مع صعود شهقاتها
المُتألّمة، حديثه نحر فؤادها بسكينٍ تالم وهي التي كانت
تختبيء من ظلم العالم داخله!

كان "صهيب" جالساً على طرف الفراش ينظر لها بيأس
بعد أن فشلت جميع محاولاته في مُصالحتها، لكنه تحدث
قائلاً باعتذار شديد:

_طيب حقك عليا والله متر علس مني، أقسمك بالله مكنش
قصدي أقول كدا بس أنا عصبيتي عمتني.

لم تُجيبه "حبيبة" بل ظلت جالسة كما هي تحتضن ذاتها أكثر وكأنها تُواسيها! وقف "صهيب" من مكانه ثم اقترب منها جالسًا أمامها مُستندًا برُكبتيه على الأرض، وبعدها تشدق بحزن:

_والله ما قصدي أزعلك أنا أسف، عشان خاطري سامحيني.

قال جُمَلته الأخير ثم أمسك بكف يدها فوجده باردًا للغاية، اشتد الحُزن داخل عيناه عندما سحبت كفها على بغتة ثم انتفضت من مكانها مُبتعدة عنه حتى توقفت بعيدًا عن الفراش.

ابتلع "صهيب" ريقه بصعوبة وقد علم الآن أن مُهمة مُصالحتها الا صعبة للغاية، هو قسى عليها في الحديث لكن رغماً عنه، يحبها لكن يكره ضعفها، اعتدل في وقفته ثم اقترب منها مُتحدثًا بصوتٍ هاديء:

_ "حبيبة" اسمعيني عشان خاطري، أنا عارف إنني غلطت في حقك أوي وجرحتك بكلامي بس مش قصدي ليك أي إهانة والله، أنا حبيتك وأنتِ كدا ولسه بحبك، بس أنا فعلاً عايزك تتعالجي عشان خاطر نفسك مش عشانني، أنتِ من حقك تحبي نفسك وتتقي فيها وتتقي في اللي حواليكِ.

لم تسمع لأي كلمة مما قالها سوى بعض الكلمات القليلة التي وصلت لعقلها المشوش، وكان إحدى نوباتها السابقة بدأت تُسيطر عليها من جديد، تتذكر الجزء المولم من الحديث دون النظر إلى معناه، شعرت بأصابع "صهيب" تضمها من كتفها فانتفضت مُبتعدة عنه تزامناً مع صراخها به:

_ ابعد عني وملكش دعوة بيا بقى.

صُدم "صهيب" من حالتها المُهتاجة التي تلبستها فجأة ثم تحدث بقلق مشدوهاً:

_ في إيه يا "حبيبة" مالك؟!!

احتل الضعف جسد "حبيبة" وذكريات كُره الجميع لها تلوح أمام ناظرها، منبوذة، مكروهة، بشعة، ومريضة!

هبطت دموعها حسرةً وهو كان يُتابعها بقهر، يود أن يصفع نفسه آلاف المرات لإيصالها لتلك الحالة، لكن يُقسِم أن عرضه صالحاً ليس كما فهمته، تحركت "حبيبة" من مكانها ثم اتجهت نحو باب الغرفة لتفتحه، هرول إليها "صهيب" مُمسكاً بيديها الموضوععة على مقبض الباب أثناء سؤاله المُنصدم:

_ راحة فين في الوقت دا يا "حبيبة"؟!!

رفعت أنظارها له تُطالعه بأعين مُمتلئة بالدموع وكأنها
تُوجه له عتابًا، وبعدها تحدثت بضعف وهي تدفع يده بعيدًا:
_ مش عايزة أقعد معاك أنا همشي.

قالتها ثم فتحت الباب وخرجت تاركة إياه ينظر لأثرها
بصدمة بعد أن تصنم في مكانه بسبب حديثها الطاعن
لفؤادها، استفاق على ابتعادها عنه عدة خطوات فهول
إليها مُسرعًا حتى توقف أمامها يمنعها من الإستكمال
مُتحدثًا بآلم:

_ هتمشي تروحي فين؟! هتبعدي عني؟! ههون عليك؟!!

وتلك المرة لم تتحمل مقدار الألم القابع فوق صدرها والذي
كاد أن يفتك بأنفاسها، لذلك صرخت به بآلم وهي تدفعه من
صدره:

_ طب ما أنا هونت عليك، ليه أنا أهون عليك وأنت متهونش
عليها ها؟!!! أنت زيك زيهم بترمي الكلمة وبترجع تعتذر
وكإني آلة مش من حقي أزعل، محدش حاسس بيا ولا حد
عاش اللي أنا عيشته، أنا مش عايزة أعيش معاك يا
"صهيب"، مش عايزة أعيش معاك ولا مع أي حد، عايزة

أبعد عن الناس كلها عشان هما مصدر الأذى اللي في حياتي.

قالت جُمَلتها الأخيرة بألم شديد ثم انفجرت في البكاء، هي رقيقة كطائرٍ يسعى للسلام، لكن البشر لم يتركوها تنعم بعيشتها السالمة وتفننوا في اصطیادها لأذيتها، وهو جاء كفارسها المغوار أخرج سيفه وحارب الجميع من أجلها، لكن جروحها لم تلتئم بعد فأتى هو وتحدث بكلماتٍ غير مقصودة نغصت معيشتها.

عادت للخلف مُلتصقة بالحائط الذي خلفها واضعة كفيها على وجهها لتُخفيه عن نظراته المصدومة، كان حديثها بمثابة الفأس الذي هبط فوق رأسه ضاربًا إياه بقوة فعجز عن الرد والدفاع، ظل صامتًا ينظر إليها بصمت وجسده مُتنصم مكانه، ليخرج من صدمته مُقتربًا منها حتى توقف قبالتها مباشرة هامسًا برجاء:

_"حبيبة".." حبيبة" بُصيلي عشان خاطري.

زادت "حبيبة" في البكاء عند استماعها لنبرة صوته الضعيفة، مما جعله يمد يده مُمسكًا بخاصتها باعدًا إياهم عن وجهها المُمتليء بالدموع ثم تشدق بألم:

وغلوتك عندي ما قصدي أزعلك ولا أوصلك للمرحلة
دي، أنا عمري في حياتي ما كنت زي باقي الناس وعائز
أأذك أو أخلي دموعك تنزل، أنا همي الوحيد إني أخليك
مبسوطة والضحكة منورة وشك عشان أنت الوحيدة اللي
بتخليني فرحان، أنا أسف والله حقك على قلبي.

أنهى حديثه ثم رفع كفيها مُعًا مُقبلًا إياهم بعشق شديد، وهي
كانت تشهق بخفة أثر البكاء العنيف لفترة طويلة، نظراتها
المُعاتبَة قاتلة، ودمعاتها الحزينة تُهلكه، لكن ماذا عساه أن
يفعل؟! لقد أعماه غضبه وانفجر بها دون قصد.

كادت "حبيبة" أن تفتح فاهها للرد؛ لكن قاطعها فتح باب
الغرفة المُجاورة لخاصتهم وخروج كُلاً من "قاسم وأهله"
منها بعد أن استمعا لصوت بُكاء وهمهمات تأتي من
الخارج، فخرجا خشيةً من أن يكون أحد قد أُصيب بمكروه
ما.

احتدت عيني "أهله" بغضب عندما رأت وجه "حبيبة"
الأحمر ودموعها التي تُغرق وجهها، وما إن رأتها "حبيبة"
حتى ابتعدت عن "صهيب" تاركة يده وانطلقت إليها
تحتضنها ببكاءٍ شديد.

حارة القناص

اقترب "قاسم" من أخيه ثم تحدث بضيق بعد أن رأى حالة زوجته:

_ هو دا اللي عاملها براحة يا "صهيب"!!؟!

دافع "صهيب" عن ذاته قائلاً بيأس وهو يصرخ به:

_ وأقسم بالله عمّال أصالح فيها من ساعة ما جيت وهي مش راضية تسمعي، أعمل إيه تاني يعني؟!!

_ متعملش يا عسل أنا اللي هعمل.

قالتها "أهلة" بقسوة ثم سحبت يد "حبيبة" خلفها لتدلف إلى غرفتها هي و"قاسم" ثم أغلقت الباب بعنف في وجه كليهما تاركة إياهم يفرغون فاههم بصدمة من فعلتها!.

نظر "صهيب" لـ"قاسم" متسائلاً بعدم تصديق:

_ هي عملت إيه؟!!

رمش "قاسم" بأهدابه عدة مرات حتى استطاع الإستيعاب أخيراً، وبعدها اتجه نحو الغرفة يضرب على باب مُنادياً بسخط:

_ افتحي الباب يا "أهلة" إيه الجنان دا؟!!

حارة القناص

أجابته "أهلة" من الجهة الأخرى بعناد:

_ لأمش فاتحة و"حببية" هتبات معايا النهاردة، أنا حذرتة إنه ميز علهاش وهو مهمهوش.

رد عليها "قاسم" غاضبًا:

_ ملكيش دعوة يا "أهلة" وخليهم يتصافوا مع بعض.

صرخت "أهلة" بالمقابل:

_ يعني مش شايف عمايل أخوك!؟!

نظر "قاسم" لأخيه وما كاد أن يفتح فمه حتى يتحدث، فسبقه "صهيب" صارخًا بغضب:

_ شايف عمايل مراتك!؟!

شدّ "قاسم" ثيابه ثم أردف صارخًا بهم:

_ مش شايف ف.. مش شايف حسبى الله ونعم الوكيل أنا طهقت.

حارة القناص

صرخ بها بنبرة أقرب ما تكون لصراخ النساء مما جعل
الطرفين يصمتان ولو لثوانٍ، وبعدها تحرك من مكانه
بخطوات غاضبة بعد أن تحدث حانقًا بغضب:

_ ماشي يا "أهلة" حسابك معايا بعدين.

سار خلفه "صهيب" يلومه بسخرية تُشبه سخريته عليه
عندما كان صغيرًا، فأردف مُستنكرًا وهو يُقلده:

_ براحتها.. أعيش وأدلعها.. أديها ادتنا على قفانا إحنا
الاتنين ياخويا.

توقف "قاسم" عن السير ثم استدار له رافعًا إصبع سبابته
أمام وجهه مُحذرًا إياه:

_ أنت عارف لو فتحت بوقك تاني أنا هعمل فيك إيه؟!!

استنكر "صهيب" طريقة تحدثه معه، فرفع رأسه للأعلى
بغرور وكبرياء مُتحدثًا بعنجهية:

_ صوتك ميعلاش عليا ياض، أنت دلوقتي مطرود من
أوضتك ومش فاضلك غيري، يعني إلترم هدوءك وإحترامك
بدل ما تنام على الكنية.

حارة القناص

رفع "قاسم" إحدى حاجبيه مُتسائلاً بشر:
_بتقول لمين الكلام دا؟!!

كاد "صهيب" أن يعيد حديثه لكنه صمت فجأة عندما تذكر
مشهد مُقارب لهذا وقام بتهديده أيضاً، ليقوم الآخر بطرده
دون أي ذرة شفقة، لذلك تحدث بابتسامة غبية بعض
الشيء:

_بقولك تعالى نام معايا ياخويا على الأقل هتونسني.

طالعه "قاسم" بإشمئزاز ثم استدار مُبتعداً عنه وهو يُتمتم
في سره بحنق:
_منك لله أنت ومراتك ومراتي.

أحياناً يأتي على الإنسان موعداً يشعر فيه بأنه على مشارف
الموت، الحزن يُهلك صاحبه ويُنيه، والبكاء يُنهِك القلب
ويُلْهيه، الدموع تحرق الوجه ف تُحيي تلك المشاعر الكامنة
بين أضعك لتسترضيه.

كانت "سهيلة" تهرب من واقعها المرير والمليء بالوحشة بواسطة النوم، ولسوء حظها لاحقها الواقع حتى في وقت راحتها، أعاد لها ذكرى زيارتها لـ "عائشة" للمرة الأخيرة، حينما خطت الخطوة الأولى داخل منزلها ليتغلغل أنفها رائحة المسك الفواحة التي تملأ المكان!

أمسكت "مريم" بكفها المرتعش والتي كانت تكتم بكأؤها بصعوبة هي الأخرى، فطالعتها "سهيلة" بشروءٍ ومعالم وجهها حتى الآن مازالت مصدومة! دلفوا للداخل معًا فوجدوا صوت القرآن يملأ أركان المنزل، وهمهمات باكية تصدر من النساء، اقتربا أكثر فوجدوا والدتها تجلس على الأريكة وسط النساء وبجانبها ابنتها البكرية تُحاول كتم دموعها بصعوبة، اقتربت منها "مريم" أولاً ثم احتضنتها قائلة بيبكاء رغماً عنها:

__البقاء لله يا طنط.

بادلتها الأخرى العناق قائلة بصوتٍ مبجوح:
__ونعم بالله يا حبيبتي اتفضلي.

ابتعد عنها "مريم" ثم جلست على أحد المقاعد وجاء دور "سهيلة" التي كانت تضغط على أصابعها بقوة حتى كادت

أن تكسرهما، اقتربت منها ببطئ أثناء كتمها لبكاؤها
بصعوبة، وبعدها احتضنتها هامسة لها:

البقاء لله.

قالتها ورغماً عنها خانتها الدموع وهببت مُعلنة عصيانها،
ربت والدة "عائشة" على ظهرها بحنان ثم واستها بتماسك
قائلة بصوتٍ حنون:

إهدي يا حبيبتي دا قدر ربنا.

شدت "سهيلة" من عناقها وشهقاتها تعلو تدريجياً دون
إرادتها، كانت جميع النساء ينظرن إليها بشفقة وفي الحقيقة
هي لم تهتم لهن أو تشعر بالخرج، بل ظلت تبكي في أحضان
والدة صديقتها التي كانت تستقبل أمر وفاة ابنتها بصدور
رحب وكأنها كانت تتوقع رحيلها عنها يوماً ما، وبعد دقائق
من البكاء والعيول خرجت "سهيلة" من أحضانها هاتفة
برجاء وصوت بكائها يُقطع نياط القلوب:

_عايزة أشوفها لآخر مرة عشان خاطري، آخر مرة بس في
حياتي._

تكونت دموع الأسى في عين الأخرى وكأنها كانت تضع
حاجزاً واهياً لثباتها، ففي النهاية هي قد فقدت ابنتها وفلذة

كبدها وجوهرتها الثمينة، ابتلعت غصتها بصعوبة ثم أومأت لها مُمسكة بكفها لتتجه بعدها نحو غرفة "عائشة" وخلفهما "مريم" التي كانت تبكي بصمت.

اتجه الجميع نحو الغرفة بخطواتٍ مُرتعشة وأوصالهم ترتجف من بشاعة الحقيقة المرة، فتحت لهم والدتها باب الغرفة ثم أشارت لهم بكفها للدخول، وبعد أن دلفت كلتاهما أغلقت الباب خلفهما واتجهت للجلوس مع النساء مرة أخرى بقلبٍ يكتوي بنار الفراق الحارقة.

رائحة الغرفة كالمسك الطيب يُشريح القلوب، السكون الهاديء يعم المكان ويبث الراحة لأفئدتهم رغم بشاعة الموقف! أمسكت "مريم" بكف "سهيلة" تضغط عليه بقوة ثم اتجهوا نحو فراش "عائشة"، كانت مُغطاه بشُرشف أبيض من أولها لآخرها، ومع اقترابهم منها تزداد رائحة المسك العطرة، مدت "سهيلة" كفها لتزريح الحاجز من على وجهها، وبعدها شهقت مصدومة عندما رأتها أمامها، كانت تعلم أن الأمر سيكون صعبًا للغاية، لكنها لم تكن لتتوقع بأنه سيكون بكل ذلك الألم! صديقتها مُتمددة على الفراش جثة هامدة لا حياة ولا روح فيها، وجهها مُمتليء ومضيء كوجه القمر، ابتسامتها! وآه من ابتسامتها الجميلة التي تتشكل على ثغرها لتضفي نورًا وجمالًا لوجهها، خاتمتها كانت رائعة لها ومؤلّمة لهم، ما حصدته في الدنيا من عملٍ

صالح وصومٍ وزكاة ماتت عليه لثُقال به رب كريم، نهايتها جميلة ووجهها أجمل، الشيء الوحيد البشع هو ابتعادها.

سحبت "سهيلة" المقعد ثم وضعته بجانب فراشها وجلست عليه، مالت على جبينها تُقبله ببكاء وبعدها أردفت ببكاء عنيف:

_ليه يا "عائشة" تمشي وتسيبيني دلوقتي؟! أنا كنت لسه محتاجالك، كنت عايزاك تكلمي المشوار معايا ومتسبنيش، كنت عايزاك تكوني أول واحدة تشوفني وأنا مُحجبة، كنت عايزة أشوف فرحتك، كنت عايزة أقولك إن أنت أجمل حد أشوفه في حياتي، أنا كنت عايزاك معايا ليه تمشي وتسيبيني دلوقتي!؟

انهمرت دموعها بقوة تزامناً مع ارتفاع صوت شهقاتها التي امتزجت بشهقات "مريم" التي لم تستطيع التحمل أكثر من هذا، اقتربت منها "مريم" حتى وقفت من الناحية الأخرى ثم مالت على جبين "عائشة" تُقبله بحنان أثناء همسها الخافت:

_إن لله وإنا إليه راجعون، ربنا يرحمك يا حبيبتى ويصبرنا على فراقك.

قالت جملتها ثم اتجهت نحو "سهيلة" تجذبها نحو أحضانها، بكت "سهيلة" على صدرها بعنف وهي تُطالع صديقتهم الثالثة والتي سعدت روحها إلى السماء تاركة إياهم يلتوون بنار الهجر، وبعدها مر الوقت ولم يشعروا بشيء سوى أن اليوم مر سريعاً واحتضن جسد صديقتهم الثراب بعد أن ودعوها وداعاً أبدياً تنزف له الأرواح.

شهقت "سهيلة" بعنف بعد أن تذكرت كل ما مرت عليه ليلة أمس أثناء نومها، طالعها "رائد" برعب والذي كان يهزها بخفة ليحثها على الإستيقاظ بعد أن لاحظ ملامحها المُتشنجة ودموعها التي تهبط من بين أهدابها المُبتلة.

رفعت "سهيلة" أنظارها لشقيقها الذي لم ينفك عن سؤالها عن سبب حالتها تلك، لترتمي داخل أحضانه شاهقة ببكاءٍ عنيف يُقَطِّع الأنياب، احتضنها "رائد" برعب فأردف بفزع وهو يُرَبِّت على ظهرها:

__مالك يا "سهيلة"؟! مالك يا حبيبتي بتعيطي ليه؟!!

كانت "سهيلة" لا تستمع إليه ولا حتى لسؤاله، فقط كان صوت بكاؤها يصم آذانها وفؤادها يصرخ من الألم حتى صمَّ أذنها، كاد "رائد" أن يُصاب بالجنون لظنه بأنها قد أصابها

حارة القناص

مكروهاً، ورغم ذلك انتظر قليلاً لبضعة دقائق حتى هدأت قليلاً ثم سألتها بحنان:

مالك يا حبيبتي حدّ عملك حاجة؟!

هزت "سهيلة" رأسها بالنفي، ليقوم بسؤالها مرة أخرى دون أن يشعر بالكلل أو بالملل:

طيب زعلانة ليه؟!

خرجت "سهيلة" من أحضانه ثم أجابته بارتعاش والقهرة تظهر بوضوح على صوتها:

_ع.. "عائشة" صحبتي ماتت إمبرح.

ضيق "رائد" جبينه قليلاً يُحاول تذكر ذلك الإسم الذي سمعه من قبل، لتمر ثواني حتى أردف بتذكر مُتسائلاً:

صحبتك اللي كانت معاك في الجامعة؟!

أومات له "سهيلة" ببكاء، ليحتضنها مرة أخرى هامساً بحزن:

_لا إله إلا الله.. ربنا يرحمها يارب.. مش هقدر أقولك مترعليش بس ادعيها بالرحمة وقومي صلي ركعتين لله

حارة القناص

اطلبي فيهم من ربنا إنه يكون رحيم بيها ويسكنها فسيح
جناته، هي دلوقتي مش عايزة منك غير كدا.

ردت عليه "سهيلة" هامسة:

_ ماتت وهي بتصلي القيام.

أغمض "رائد" عيناه مُتألماً وتسالت الدموع لعيناه
مدهوشاً:

_ يا الله على جمال خاتمتها؟! ربنا يرزقنا كلنا حُسن الخاتمة،
هاجي معاك النهاردة تروحي تزوريها في المقابر.

خرجت "سهيلة" من أحضانه مُتحدثة بلهفة:

_ بجد يا "رائد"؟!!

أوما لها "رائد" مُبتسماً:

_ بجد يا قلب أخوك، المهم قومي اغسلي وشك يلا ونامي
شوية وأنا هنام جنبك النهاردة، وبكرة الصبح هنروح
نزورها سوا.

ارتمت "سهيلة" داخل احضانه قائلة بصوتٍ باكٍ:

حارة القناص

__ربنا يخليك ليا يا "رائد" وميحرمنيش منك يارب.

وبالعودة إلى "أهلة وحببية".

جلست "أهلة" على الأريكة وبجانبها "حببية" التي مازالت تبكي، انحنت "أهلة" بجسدها قليلاً ثم التقطت كوب المياه ثم اعطته لـ "حببية" تزامناً مع قولها الحنون:
__خُدي يا "بيبة" اشربي واهدي.

تناولت منها "حببية" كوب ثم ارتشفته على مهل، وبعدها أعطته للأخرى مجدداً أثناء مسحها لوجهها المبتل بالدموع بكف يدها، وضعت "أهلة" الكوب محله مجدداً ثم استدارت لها مُتحدثة بانتباه:

__ها إيه اللي حصل بقي؟!!

عادت الدموع تتجمع بحدقتي "حببية" مجدداً، لتُبهها "أهلة" بتحذير هاديء:

__من غير عياط، احكي من غير عياط.

حاولت "حبيبة" التحكم بذاتها وهي تُوميء لها بالإيجاب،
وبعدها بدأت بقص كل ما حدث بينها هي و"صهيب" منذ أن
أخذها من المشفى والغضب يعميه حتى وصلوا إلى المنزل
وصراخهم وشجارهم العنيف، وكذلك روت لها حديثها
المُغفل معه ورده عليها بأنها مريضة نفسية، ومع حديثها
الأخير انفجرت في البكاء المرير وحديثه مازال يتردد داخل
أذناها.

جزت "أهلة" على أسنانها بغيظ ثم اقتربت منها وجذبتها
لأحضانها تُربت على ظهرها بحنان، ظلا هكذا لبضعة دقائق
تُهددها برقعة، وبعدها أخرجتها من أحضانها مُتسائلة
بحذر:

__ يعني هو قالك أنتِ مريضة ومحتاجة تتعالجي بس ولا قال
حاجة تاني؟!!

ابتلعت "حبيبة" ريقها ثم أجابتها بصوتٍ مبحوح:
__ قالي أنتِ مريضة ومحتاجة تتعالجي تثقي في نفسك تاني.

زفرت "أهلة" براحة قائلة:

__ يا شيخة خضتيني بحسب قالك كدا بس.

طالعتها "حبيبة" بتعجب ثم أردفت بحزن:

_ وهو هيقول إيه أكثر من كدا؟!!

اعتدلت "أهلة" في جلستها ثم أمسكت كفها تُشدد عليه بقوة، ثم وضحت لها بحنان قائلة:

_ بصي هو فيه حاجة بيني وبين جوزك لله مخلياني عايزة أتخاق معاه على طول ومش طيقاه بس...

قاطعت "حبيبة" حديثها بحنق وهي تنغزها في جانبها قائلة:

_ متتكلميش عليه كدا.

لوت "أهلة" شفيتها بضجر شاهقة بسوقية:

_ لأ بقولك إيه أنا اتكلم زي ما أنا عايزة، واسمعيني للآخر بقى بدل ما أطلقك منه وأكون سبب في خراب بيتك.

طالعتها "حبيبة" بضيق ثم لزمت الصمت، لتسحب "أهلة" نفسها عميقًا وبعدها أدرفت قائلة:

_ بُصي يا ستي، أنتِ كلامك كان غلط ودا مفيش خلاف عليه، مفيش واحدة ست تقول لجوزها متسببنيش وأنا

هكتبك كل فلوسي، مفيش راجل بيقبل دا على نفسه، ورد
"صهيب" عليك مكنش زي ما أنت فاهمة، هو قالك أنت
محتاجة تتعالجي عشان تثقي في نفسك وبصراحة هو معاه
حق، أنت دايماً بتقللي من نفسك عشان خاطر غيرك
وبتخطي خاطرك آخر همك، محتاجة تروحي لدكتور نفسي
يتابع معاك عشان خاطر نفسك أنت، هو ممكن يكون قصده
كدا بس هو حمار والتعبير خانه شويتين.

كانت "حبيبة" قد فكرت في صحة حديثها وأنها لربما
أخطأت الفهم وهو أخطأ التعبير، ومع اكمالها لحديثها
اقتنعت بالفعل، لكن مع حديثها الأخير تلوى ثغرها بضجر ثم
أردفت بحنق:

__ يوه بقى يا "أهلة" متشتمهوش.

__ طيب ياختي مش هشتمه، المهم بقى أنا عايزاك ناصحة
وتسمعي كلامي في كل كلمة أقولها لك عشان يبقى ياخده
باله من ملافظه بعد كدا.

تسألت "حبيبة" باستغراب:

__ يعني هعمل إيه؟!!

ارتسم الخبث على وجه "أهلة" أثناء قولها الماكر:
هقولك

حينما ينمو الأمل ينمو معه الشغف للحياة، صعدت الشمس تتراقص بأشعة خفيفة لكن بلا حرارة، فالجو بارد والغيوم كثيرة إلا من بعض البقاع القليلة، مسدت "لوسيندا" على خصلات "چون" ومن الحين للآخر كانت تُقبل جبينه بحنان وهي تبكي خوفًا.

نظرت لجميع الأجهزة المُوصلة لجسده العاري المُغطى بحزنٍ شديد، لا تعلم مقدار الألم الجسدي الذي يشعر به، لكن آلامها النفسية تُؤلمها وبقوة، تشعر بقلبها يُعلن عصيانه وتمرده، مالت برأسها تُقبّل موضع جرح صدره ودموعها تهبط بصمت، تخاف أن تمر الأيام دون أن ترى عيناه، هي تعشقه ولا تستطيع العيش بدونه، استندت برأسها على الوسادة المُجاورة له ثم أردفت بصوتٍ مبجوح باك:

حارة القناص

__ هيا استيقظ "چون" لا أستطيع العيش بدونك، "لوسيندا"
تَشعر بالوحدة والألم دونك "چون".

هبطت دموعها على جانب وجهها وهي تميل برأسها، ثم
رفعت أصابعها لتَمُر على معالم وجهه، وبعدها تحدثت
بضحكٍ متقطع:

__ سأجعلك تُغازل تلك الفتاة الشقراء ولن أغار، لكن بعدها
سأقتلها.

حاولت التحكم بدموعها وتلك الغصة المؤلمة التي تُسيطر
على حلقها، ثم أكملت حديثها ببكاء:

__ اشتقت إليك أيها القاتل المُختل، قاتل لكنك حنوناً.

دفنت رأسها في كتفه ويدها مُتمسكة بقوة في يده، وبعدها
انفجرت في البكاء المرير وهي تقول بصوت مقهور:

__ هيا استيقظ أرجوك.. أرجوك!

ظلت تترجاه بصوتٍ خافت وبكاءٍ شديد حتى تعبت ونامت
بجانبه، لقد أنهكها البكاء لكن هو يستحق!

استيقظ "قاسم" من نومته فوجد أخيه يُحيط بخصره بشدة
وهو قريب منه!

انتفض "قاسم" من نومته ناظرًا لـ "صهيب" بريية، وبعدها
دفعه بإشمنزاز هاتفًا بسخط:
_ يا أخي ابعء بقى أنا مش مراتك.

شدد "صهيب" من احتضان خصره أكثر وهو يُهمهم ببعض
الكلمات الغير مفهومة، مما جعل "قاسم" يرفع يده عاليًا ثم
هبط بها على وجهه وهو يصرخ بهلع:
_ فوق يا حيوان يا قليل الأدب أنا أخوك.

انتفض "صهيب" بشهقة وعاد بجسده للخلف على بغتة مما
جعله يقع بقوة على ظهره أثناء صراخه المفزوع:
_ هجوم حلق عليهم.

نظر إليه "قاسم" ببلاهة لعدة لحظات قبل أن يعي للوضع
وينفجر ضاحكًا بقوة، حكَّ "صهيب" مؤخرة ظهره بألم وهو

حارة القناص

يُطالعه بسخط واضح على معالم وجهه، لذلك حمل الوسادة الثقيلة ثم رماها على شقيقه دون أن يلحظ هذا، توقف "قاسم" عن الضحك عندما شعر باصطدام شديد على وجهه، لتحتد عيناه بغضب قبل أن يهب من مكانه ويتسائل بشر:

__ أنت قد اللي أنت عملته دا؟!!

وقف "صهيب" واعتدل ثم أجابه بكبرياء:

__ قده ونص والي عندك اعمل.. آلااه...

قال جُمَلته لكن صرخ مُتألماً عندما قفز "قاسم" عليه مُسدداً إليه لكمة عنيفة أوقعته أرضاً مُجدداً، اعتدل "صهيب" في جلسته صارخاً به باهتياج:

__ وعهد الله ما هحك يا "قاسم".

نطق به ثم اعتدل واقفاً وهرول خلف أخيه الذي ركض مُسرِعاً نحو المرحاض وأغلق على ذاته من الداخل وهو يُقهقه بصوتٍ عالي، بينما "صهيب" طرق على الباب بقوة أثناء هتافه الغاضب:

__ افتح الباب يلا بدل ما أكسره فوق دماغك.

حارة القناص

كان "قاسم" قد بدأ بخلع ثيابه للإستحمام، ثم أجابه
بإستخاف:

_روح شوف أنت رايح فين يلا وأنا هستحمي وأجيلك، وكدا
كدا أنت معفن مش بتستحمي فروح غير هدومك على
الناشف لحد ما أخلص.

رفع "صهيب" يده ليشم جسده جيداً أثناء همسه الخافت:
_أنا معفن يا نتن!

قالها بتشنج ثم تحرك من مكانه واتجه نحو خزانته ليُخرج
ثياباً نظيفة لإرتدائها، وبعدها سار حتى توقف أمام مرآته
العريضة وقام بتهذيب خصلات شعره وكذلك ذقنه الطويلة
نسبياً بشكلٍ جذاب، مرت الدقائق وخرج "قاسم" من
المرحاض وهو يُدندن بعض الكلمات بغناء أثناء تجفيفه
لخصلات شعره المُبتلة بالمنشفة، فتح "صهيب" فاهه
للتحدث لكنه صمت فجأة وهو يُطالع هيئته، لكنه تحدث
بعدها قائلاً بحنق:

_هو مش دا القميص بتاعي.

قذف "قاسم" المنشفة على الأريكة وثم عدل من ياقة
القميص الذي يرتديه قبل أن يقول بعنجهية:

حارة القناص

_ اعتبره بقى قميصي بقى عشان عجبني.

اعترض "صهيب" بسخط:

_ بس أنا ملبستهوش غير مرة واحدة.

_ بركة، هاخده يعني هاخده.

لوى "صهيب" شفتيه بضيق قائلاً:

_ حسبي الله ونعم الوكيل في الظالم وفيك وفي مراتك
المُفترية.

اتجه إليه "قاسم" يُحيط به من كتفه، ثم أردف بضحكات
عالية:

_ على قلبي زي العسل.

مصمص "صهيب" على شفتيه أثناء اتجاهه هو وأخيه نحو
الخارج فأردف:

_ ومين يشهد للعروسة؟!!

غمزه "قاسم" بمشاكسة:

_جوزها.

هز "صهيب" رأسه بيأس ضاحكًا، وبعدها استمع إلى صوت "قاسم" الذي أردف بجدية:

_طبعًا أنت عارف إحنا هنعمل إيه صح؟!!

ارتدى "صهيب" قناع الجدية الزائفة وأكد عليه بقوله:

_طبعًا، لازم نعرفهم إن اللي حصل غلط وهنصدرلهم الوش الخشب.

كانا حينها يهبطان على الدرج، وما إن رأوا كلاً من "أهلة وحبيبة" جالستان على الأريكة بجانب بعضهما البعض؛ حتى اتسعت ابتسامتهما تلقائياً دون أن يستطيعا السيطرة عليها!

نظرت "حبيبة" لـ "أهلة" بقلق، فطمئننها الأخرى بنظراتها الصامتة، وما إن اقترب منهما "قاسم وصهيب" حتى ارتفع صوت "أهلة" تُحدث "حبيبة" وكأنها لم تراهم:

_وأنتِ ناوية على إيه بعد كدا يا "حبيبة"؟!!

ردت عليها "حبيبة" بخفوت:

_هطلب الطلاق، أنا معنديش استعداد أعيش مع واحد كل ما يشوفني يقولي أنت محتاجة تتعالجي.

تصنعت "أهلة" المسكنة بقولها:

_يا بنتي فكري تاني حرام عليك هتضيعي نفسك علشان راجل؟!!

كان "صهيب" يتابع الحديث بتشنج، وبنهاية الحديث اقترب منهما بخطوات غاضبة حتى وقف أمام "حبيبة" مباشرة وهو يتسائل بسخط:

_أنت قولتي إيه يا "حبيبة"؟! طلاق إيه دا اللي تطلبينه؟!!

حاولت "حبيبة" بقدر الإمكان السير حسب خطة "أهلة" ثم أجابته بهدوء مُفتعل:

_اللي سمعته يا "صهيب"، أنا مش هقدر أعيش معاك بعد كدا.

حارة القناص

انحنى "صهيب" عليها ثم أمسك بها من كفها يسحبها خلفه
بغضب دون الحديث، حاولت "حبيبة" سحب يدها منه وهي
تُحدثه برقة وعتاب:

__يا "صهيب" سيب إيدي بتوجعني.

وهنا صعدت الشرارة من عين "أهلة" عندما استمعت إلى
نبرتها الرقيقة فهبت من مكانها على نية للحاق بهم وجذبها
من خصلاتها، تلك الغبية ستُفسد كل ما خطت له بسبب
رقتها، لكن وجدت جسدها عالق على ذراع "قاسم" الذي
سدّ عليها الطريق به، حاولت دفعه وهي تصرخ به بغضب:

__سيبني يا "قاسم" أروح أجيبها من شعرها، هتبوظلي كل
اللي خططته يخربيت الغباء.

أرجعها "قاسم" للخلف ثم أمسك بها من ياقة ثيابها يهزها
بعنف:

__أنتِ يوم أهلك مش معدي النهاردة، أنا لسه محاسبتكيش
على اللي عملتية إمبراح.

توقفت "أهلة" عن الحركة ثم تسائلت ببراعة:

__وهو أنا عملت إيه يعني!؟

حارة القناص

رفع "قاسم" يده ثم أمسك بها من أذنها يقرصها منها بقوة
أثناء تأنيبه العنيف:

__ يعني فيه واحدة مُحترمة ومؤدبة تحبس جوزها برا
الأوضة هو وأخوه كدا؟!!

أجابته "أهلة" بتلقائية وهي تُشيع بيدها أمام وجهه:
__ ما أخوك هو اللي مش متربي.

فتح "قاسم" عيناه على آخرهما صارخاً:
__ نهارك أحمر أنتِ هيلة يا بت أنتِ؟!!! أخويا مين دا اللي
مش متربي؟! دا مثال للشرف والأخلاق الحميدة.

تأوهت "أهلة" من ضغطه فوق أذنها فأمسكت بكفه قائلة
برجاء:

__ آه يا "قاسم" بقى سيب ودني، وبعدين أنت زعلت ولا
إيه؟!!

دفعها "قاسم" مُعتاضاً دون أن يُجيبها ثم اتجه نحو الأريكة
يجلس عليها بوجهٍ مُمتعض، ضيقت "أهلة" عينها بشك
فتسائلت مرة أخرى بصوتٍ خافت:

__ "قاسم" أنت زعلت بجد؟!!

رفع "قاسم" أنظاره إليها ثم أجابها ساخرًا:

__ وهزعل ليه لسمح الله؟! دا أنا واحد حيا لله مراته طردته
برا الأوضة ومعملتش حساب ليه ولا احترمته.

مطت شفيتها مُفكرة في حديثه بجدية فوجدت أن معه كل
الحق، وأن تلك الفعلة ما هي إلا قلة إحترام له وفي حق
ذاتها كذلك، لذلك اقتربت منه بتروٍ ثم جلست على مقربة
منه قائلة بصوتٍ خافت بعد أن حممت بخجل:

__ امم.. خلاص متزعلش مني.

لم يُجيبها بل تصنع انشغاله بالهاتف مما زاد الضيق داخل
صدرها أكثر، والشيء الأكثر صعوبة إليها هو أنها لم تعتاد
يومًا على مُصالحة أحد، بل كانت تترك من يحزن منها حتى
يشتعل مكانه، لكن في حالته فالأمر مُختلف تمامًا، فهو
مُسْتثنى عن الجميع!

حممت مرة أخرى ثم اقتربت منه قليلًا فابتعد هو في
المُقابل، رفعت حاجبها بإستتكار ثم اقتربت مُجددًا؛ لتجده

حارة القناص

يبتعد أيضاً عنها، نفخت بغیظ فاقتربت منه على بغتة مُمسكة
به من ذراعه قائلة بالحاح:

_ خلاص يا "قاسم" بقى متزعلش مني يوه! أنا قولتلك
خلاص أنا غلطانة وأوعدك إني مش هعمل كدا تاني.

طالعها "قاسم" بطرف عينه مُتحدثًا بتساؤل وتحذير:
_ وعد؟!!

استشفت "أهلة" اللين في نبرة صوته فأجابته بإبتسامة
مُتسعة:
_ وعد جدًا.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغر "قاسم" وما كاد أن يرد
عليها حتى انمحت ابتسامته فجأة وهو يُشير إلى ثيابها التي
ترتديها بحنق:

_ مش دا السويت شيرت بتاعي?!!

هزت "أهلة" رأسها بالنفي مُصححة حديثه:
_ بتاعنا.

نظر إليها "قاسم" بعدم رضا، فوقف من جلسته ثم أوقفها معه ناظرًا لثيابها بتقييم، تعجبت "أهلة" من فعلته تلك فتسائلت بتعجب:

__ في إيه؟!!

أجابها "قاسم" بإبتسامة مُتسعة:

__ عاجبني لبسك اليومين دول شوية، يعني بقيتي تلبسي بلوزات وبناطيل واسعة عكس اللي كنتِ بتلبسيهم.

نظرت "أهلة" لثيابها والتي كانت عبارة عن سويت شيرت بُني اللون خاص بقاسم لكنه طويل عليها وواسع أيضًا، وأسفله بنطال واسع من اللون الأسود أيضًا وخذاء من اللون الأبيض، رفعت أنظارها إليه فوجدته يُكْمِل حديثه وهو يُشير نحو خصلاتها:

__ عقبال ما تداري شعرك خالص وتلبسي الحجاب.

__ وأنت عايزني ألبس الحجاب ليه؟!!

تسائلت بإستكار، لُجيبها بتشنج:

حارة القناص

_ يمكن عشان ربنا أمر بكدا مثلاً وأنا جوزك وهتاسب
عليك!

أرجعت "أهلة" خصلاتها للخلف وهي تُجيبه بغرور:
_ كدا كدا هنتطلق فهتبقى مش مسئول عني.

_ جتك طلقة في جنابك.

همس بها ساخطاً ثم أكمل في سره:
_ قال طلاق قال، دا لما تشوفي صرصور ودنك.

رسم على نُغره ابتسامة صفراء وهو يُجيبها:
_ أنا جوزك دلوقتي ومن حقي أتحمم فيك وفي لبسك بس أنا
مش عايز أجبرك على دا بالذات علشان تبقي مُقتنعة بيه.

سخرت "أهلة" قائلة:

_ والله جوزي؟! فين دا!

حارة القناص

إتبع المكر بحدقتي "قاسم" والذي اقترب منها فجأة ثم
سحبها إليه على بغتة حتى بات وجهها مُقابلاً لوجهه
مباشرةً، ابتلعت "أهله" ريقها بصدمة على اقتراب "قاسم"
والذي تحدث هامساً:

_ هقولك أنا فين جوزك.

أنهى حديثه ثم مال على وجنتها اليمنى يُقبلها بعمق، ثم
ابتعد قليلاً واقترب من وجنتها اليسرى مُقبلاً إياها هي
الأخرى، وبعدها أرفف بخبث:

_ اقتنعتي ولا أزود في الدلائل والبراهين!؟

ظهرت في تلك الأثناء "مهرايل" من العدم والتي صاحت
بـ "ألبرت" الذي كان يهبط من على الدرج:

_ تعال وانظري يا "ألبرت" ياخويا، إنهم يفعلون الفاحشة.

طالعتها "ألبرت" ساخطاً قبل أن يقول باستنكار:

_ لا توجد فاحشة هنا سواك.

احتل السخظ وجه "مهرايل" فتقدمت منه هاتفة بحنق:

حارة القناص

_ على فكرة مينفعش طريقة كلامك معايا دي، لازم تاخذ بالك
إني بنوتة رقيقة.

استغل "قاسم" انشغال الاثنين عنهما فقام بسحب يد "أهلة"
ثم اتجها نحو الخارج، حاولت "أهلة" سحب كفها أثناء
هتافها الحانق:

_ عاجبك كدا! أهو فضحتنا.

تجاهل "قاسم" حديثها فأردف بحماس:

_ عاملك مفاجأة هتخليك طيارة من الفرحة.

نست "أهلة" حنقها منه فتسائلت بحماس مُماثل له:

_ بجد مفاجأة إيه دي!؟

نظر لها "قاسم" أثناء اتجاههم نحو السيارة ثم غمزها
بمشاكسة:

_ هتعرفي لما نوصل.

حارة القناص

صعدت معه "أهلة" للسيارة واستدار هو وجلس بالمقعد
المُجاور لها وبعدها اتجه نحو وجهته المقصودة والغامضة
بعض الشيء.

وبالداخل، حيث يقبع "ألبرت" وجروه..

وقف "ألبرت" من مكانه بعد أن أنهى كوب قهوته الخاصة
وبعدها سار عدة خطوات نحو الخارج، لاحقته "مهرائيل"
والتي تسائلت بحنق وضيق:

_ طيب أنت رايح فين وساييني؟! أنا بجد زهقت من القاعدة
لوحدى.

رد عليها "ألبرت" بهدوء وهو يُغلق زر بذلته السوداء:
_ لديّ أعمال عليّ إنهاؤها.

سبقته "مهرائيل" بعدة خطوات حتى توقفت أمامه تقطع
طريقه، وبعدها أردفت برجاء:

حارة القناص

_طيب خُذني معاك عشان خاطري، والله زهقت من القاعدة
بجد.

فكّر "ألبرت" قليلاً حتى ارتسم على ثغره ابتسامة خبيثة قبل
أن يهتف مُوافقاً:

_حسناً، فلتصعدي إلى السيارة.

ورغم عدم راحة الأخرى لإبتسامته تلك، تشكلت ابتسامة
مُتحمسة على ثغره قبل أن تصعد بسرعة إلى السيارة،
وبعدها صعد هو بجوارها مُطلقاً بسرعة مُخيفة أدت إلى
فزع الأخرى وصراخها!

استدار لها "ألبرت" قائلاً بمقط:

_إن استمعت لصراخك مُجدداً ستهبطين عنوة من السيارة.

ابتلعت "مهرايل" ريقها بصعوبة، ثم رسمت على ثغرها
ابتسامة متوترة وهي تُجيبه:

_دا.. دا أنا بصرخ من الفرحة، مش شايف الفرحة؟!!

حارة القناص

كتم "ألبرت" ضحكته وأكمل القيادة بنفس السرعة بعد أن همس بيأس:

_جرؤ غبي لكنه.. رائع!

بعد نصف ساعة وصل "ألبرت" إلى إحدى المناطق الصحراوية المُخيفة، طالعه "مهرائيل" بهلع ثم تسائلت بصوتٍ خافت:

_أنت.. أنت هتقتلني ولا إيه؟!!

خلع نظارته الشمسية ثم رد عليها بنبرة غريبة عليها كُلياً:
_لا أستطيع فعلها.

توترت من نظارته التي أشعرتها بأنها عارية بعض الشيء ثم أومأت له بشرود وهي تنظر إلى عيناه، غزا الاحمرار وجهها عندما غمزها قائلاً بعبث:

_هيا أيتها الحمقاء لدينا كثير من الأعمال.

حممت "مهرائيل" بحنق ثم هبطت من السيارة وسارت معه لبعض الوقت حتى وصلا إلى أحد البيوت المهجورة

حارة القناص

بعض الشيء، احتلت الحسرة وجه "مهرايل" والتي أردفت
بنبرة باكية:

_يا مراك الأزرق يا "مهرايل"! على آخر الزمن
هتموتني ملبوسة!_

نفخ "ألبرت" بغيظ أن استدار وعاد إليها مُمسكًا بكف يدها
بقوة ثم سحبها معه نحو الداخل، ومع اقترابه كان يُبطيء
من حركة أقدامه، خاصةً عندما استمع إلى صوت حركات
بالداخل، أخرج سلاحه من جيب بنطاله ثم تقدم بروية
و"مهرايل" تفتح عينيها بفزع، لقد جلبها معه إلى ساحة
عراك حقًا؟! هل يريد قتلها!_

صرخت بفزع عندما انطلقت الرصاصات من سلاح
"ألبرت"، اشتد هلعها أكثر عند تبادل الطلقات من كلا
الطرفين، اقتربت منه بقوة ثم أحاطت بخصره من الخلف
هامسة له بخوف:

_ "ألبرت" أنا خائفة.

اختبأ "ألبرت" بها خلف أحد الحوائط ثم طمئننها مُرجعًا
خصلاتها بحنان:

_ لا تخافي جروي الصغير، أنا هنا معك.

ابتلعت "مهرايل" ريقها بخوف أثناء قولها الخافت:
_ أنا عايزة أرجع البيت.

ابتسم بجاذبية عند اطلاقه على أحد الأشخاص وقتله، ثم
تحدث بصوتٍ حنون:
_ لا يمكن الآن للأسف، علينا إكمال ما بدأناه سويًا.

قال جُمَلته ثم استدار وخرج من خلف الجدار مُطلقًا على
الجميع بلا آدمية واختلال، فهمست لذاتها بحسرة:
_ أنا عرفت دلوقتي ليه وافق ياخدني معاه، عايز يقتلني
ويقول قتل خاطيء الخاين الحقير.

كان الصمت يعم بين "قاسم وأهله" بعد أن أنهيا جميع
الحديث المُشترك بينهما، ليصعد صوت "قاسم" فجأة يُغني
بدندنة وصوتٍ جذابٍ للغاية وهو يضرب بأصابعه على مقود
السيارة:

حارة القناص

_ معاكِ الشوق.. أخذني لفوق..

وكنت بضيع.. لقيتني بفوق..

رجع وياك.. زماني يروق ويحلالي.

أنهى غنائه ومع كلمته الأخيرة نظر لها غامزًا إياها
بمشاكسة خجلت على أثرها مما جعل ضحكاته تملو بتسلية
أكبر، حاولت "أهلة" حمل الحرج عنها فأردفت بإبتسامة
جذابة وأعين مُلتمة:

_ "قاسم" .. رمضان قَرَّب.

أوماً برأسه وابتسامة عريضة تتشكل على ثغره هو الآخر،
ثم أجابها قائلاً:

_ أيوا عارف، علشان كدا عايزين نرجع مصر قبل رمضان
بيومين.

قطبت "أهلة" جبينها ثم تسائلت بتعجب:

_ اشمعنى قبلها بيومين!؟

نظر أمامه للطريق قائلاً بحالمية:

_ أول حاجة علشان بيتنا هيبقى جهز.

_بيتنا؟!!!

تسألنت بتعجب شديد، ليوكد على حديثه مُضيفًا:

_آه بيتنا.. هيبقى فوق الشقة اللي إحنا كنا قاعدين فيها
علشان دي بتاعة ماما، إنما بتاعتنا هتبقى جديدة وأنتِ
هتكوني أول واحدة تدخلها زيك زي أي عروسة، والحمد
لله كلمت الراجل إمبراح قالي فاضل فيها أسبوع وهنتشطب
من كله، وكمان "يحيى ورائد" متابعين معاه هناك، استايلها
مُختلف شويتين عن النظام اللي تحت عشان متحسّيش
بالزهق أو إنك قعدتي فيها قبل كدا، وفيها أربع أوض كُبار
وصالتين واسعين عشان أنا ضميت الشقتين على بعض
علشان تبقى كبيرة أوي ونرتاح فيها أكثر، حتى العفش
جاهز وأنا اللي مختاره بنفسي، وكمان جددت شقة ماما
تحت علشان هي كمان ليها حق عليا وأكثر مني كمان.

كانت "أهله" تستمع إليه بعدم تصديق، لتتسائل بدهشة
كبيرة:

_طب وليه دا كله ما أنا كنت مرتاحة في الشقة اللي تحت!

هز رأسه نافيًا:

_حتى ولو، أنتِ مراتي ومن حقك تعيشي في بيت لوحدك.

ردت عليه "أهله" بضيق:

_بس أنا مش هسيب مامتك تقعد في الشقة لوحدها.

التمعت عيني "قاسم" بشغف وسعادة عارمة عقب حديثها،
وبعدها أجابها قائلاً:

_طبعاً أنا مش هسيب ماما لوحدها ويمكن نبات معاها
كمان، بس أنا حابب كدا واعتبري يا ستي الشقة للظروف.

أومات له بهدوء فمال عليها على بغتة مُقبلاً وجنتها برقة،
ثم أردف قائلاً بسعادة:
_ربنا يخليك ليا.

كان هذا ردة فعل طبيعية عقب حديثها الذي أسعد فؤاده
وأدخل الفرحة به، بينما هي كادت أن تنصهر من الخجل
رغم أنها لا تخجل في العادة، وكعادتها قامت بإلهائه عن
فعلته وتساءلت بتلعثم:

_م.. مقولتليش ليه لازم نرجع قبل رمضان بأسبوعين!

أجابها بإبتسامة واسعة:

حارة القناص

__ علشان نعلق زينة رمضان سوا ونزين بيتنا، وكما هجيبك
بوكس رمضان كهدية بس وقتها هتعملي نفسك متفاجئة
عشان أنا حرقتك الهدية ماشي؟!!

قهقت ضاحكة وهي تُوميء له قائلة:

__ من الناحية دي متقلقش، أنا أصلاً معرفش حاجة.

شاركها الضحك وتبادلا الأحاديث معًا حتى وصلا أخيرًا إلى
وجهتهما، أو بالأصح وجهة "قاسم" وحده!

هبطت "أهلة" من السيارة ناظرة للبناية التي توقف أمامها،
ثم قرأت اللافتة المعلقة عليها بصوتٍ مسموع:

__ الطبيب النفسي "مايكل روي"!!!!!!

هل هذا يعني بأنها ستبدأ رحلة علاجها من الآن؟!!!

وبالعودة إلى "ألبرت ومهرائيل"...

خبأها "ألبرت" خلف أحد الحوائط الغير مرئية ثم اتجه نحو الداخل ليُكمل ما جاء لأجله، أنهى على جميع الرجال بالخارج ثم تقدم نحو الداخل وقام بكسر الباب بقدمه بعد أن ضربه عدة مرات بعنف، أمسك بسلاحه معاً وكان يطلق تلقائياً وبطريقة فوضاوية بوجه كل مَنْ يُقابله، حتى قضى عليهم جميعاً تقريباً، دخل العُرفة المُراد تواجدها ثم تقدم من المكتب وقام بأخذ الحاسوب معه بأكلمه، رغم أن القائد أخبره بجلب الشريحة فقط، ارتسمت ابتسامة جانبية على ثغر "ألبرت" الذي همس قائلاً:

الحاسوب بأكمله لن يضر.

وبعد أخذه اتجه نحو الخارج، كان يشعر بالإنشاء عند رؤيته لمظهر الجُثث المُرتمية أمامه وحولهم الكثير من الدماء، اقترب من الحائط المُخبئ خلفه "مهرايل" لكنه ولأسفه الشديد لم يجدها، بل وجد بقعاً صغيرة من الدماء وورقة صغيرة مُدون عليها بالروسية:

إن أردتها فاجلب ما أخذته.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

قال ابن القيم رحمه الله:
أربعة تجلب الرزق:

قيام الليل وكثرة الاستغفار بالأسحار وتعاهد الصدقة والذكر
أول النهار وآخره.

#الفصل_الثامن_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#اللعنة.

أنتِ الوحيدة التي يُسَمَح لها بإختراق قواني، أيتها السارقة
لقد حطمتي حواجز.

_إن أردتها فاجلب ما أخذته.

جُملة مُدونة على ورقة بالية قديمة تُزينها بعض الدماء
وكانها وشمٌ يدل على صحة تهديدهم، ارتسمت ابتسامة
جانبية على ثغر "ألبرت" كانت تعكس ذلك الجحيم الذي
يحتضن عيناه، كور يده ضاغطاً الورقة بحقد خطير، وبعدها
صد صوت هامساً بغل:

_أنتم من بدأتُم أيها الأوغاد.

حارة القناص

وكأنه هو الذي لم يبدأ مثلاً! لا بأس، فبطل حكايتنا لا يُخطيء أبداً.

أنهى "ألبرت" همسه فوجد هاتفه يهتز مُعلنًا عن مُكالمة هاتفية، أخرج هاتفه فوجد رقمًا مجهولًا غير مُسجل يُزين شاشة هاتفه، شخصٌ غيره كان سيُجيب بلهفة، لكن قام بالضغط على زر الإغلاق ببرودٍ شديد وكان ليس هناك فتاة مخطوفة بسببه!

رمى الورقة على الأرض ثم اتجه نحو سيارته دون حتى أن يلتفت، صعد بها واضعًا نظارته الشمسية على عينه وما كاد أن ينطلق بها؛ حتى استمع إلى صوت رنين هاتفه يصدح مرة أخرى بالحاح، زفر بضيق ثم قام بفتح الهاتف ثم أردف بنفاذ صبر:

ماذا؟!!

قطب الطرف الآخر جبينه بتعجب ثم تسائل باستغراب:

السيد "ألبرت" تشارلي معي؟!!

رد عليه "ألبرت" ساخطًا:

نعم هذا أنا، هل هاتفتي للتعرف علي؟!!

تعجب الآخر من بروده فحاول الثبات وأردف بنبرة جامدة
تحمل بين طياتها تهديداً لم يؤثر بالآخر بتاتاً:
_ إن أردت تلك الفتاة فتعال وخذها، لكن اجلب لنا ما أخذته
وإلا سأقتلها.

رد عليه "ألبرت" ببرود قبل أن يُغلق الهاتف في وجهه:
_ حسناً اقتلها.

قالها ثم وضع الهاتف بجيب بنطاله وسار حاملاً الحاسوب
بين يديه وهو يُصفر باستمتاع، وبعدها صعد إلى سيارته
وانطلق بها بسرعة شديدة إلى منزله وتُغره مُزين بابتسامة
غريبة بعض الشيء!

الفؤاد يهوى والعقل يعشق لكن الحقيقة مُرعبة!

التفتت "أهلة" بسرعة نحو "قاسم" تُطالعه بعدم تصديق،
هل أتى بها لهذا حتى يبدأ معها رحلة علاجها دون معرفتها!

حاولت ابتلاع تلك الغصّة الخائفة التي تكونت داخل حلقها
ثم تسائلت بخفوت:

_ أنت.. أنت جاييني هنا ليه؟!!

شعر "قاسم" بحالة الرُعب التي تلبستها فمد يده ليُمسك
بكفها مُربّتًا عليه بحنان ثم تشدق بصوتٍ حاني:

_ جايبك هنا علشان نبدأ بداية جديدة مع بعض يا "أهله"،
عايزك تتصرفي بطبيعتك ومتتقرفيش لما حد يجي يسلم
عليك.

هزت رأسها بالنفي مُستكرة حديثه، ثم أردفت بعصبية وهي
تجذب كفها من بين يديه:

_ لأ.. لأ أنا مش عايزة أتعالج دلوقتي.. مش جاهزة.. لأ.. لأ
مش عايزة.

ثبتها "قاسم" على المقعد ثم أجبرها بالنظر داخل حدقاته
التي تُطالعها بشغف، عيناه مُلتمة تُوحى بالحب لأجلها
فقط، الشيء الوحيد الذي جعلها تهدأ هو احتوائه لها بقوله
الحنون أثناء إحاطته لوجهها بكفه:

_ حبيبتي اسمعيني أنا مش عايزك تخافي، أنا موجود معاك
دائمًا، مش هسيبك لحظة واحدة وهفضل في ضهرك على

طول، هتلاقيني أول واحد ساندك لما تقعي وهحتوي وجعك،
هشاركك حُزنك وهداوي جروحك يا "أهلة"، خليكِ واثقة فيا
حتى لو مرة واحدة في حياتك، صدقيني وجعك هيخف لو
اتشاركته معايا.

شعرت بالخذلان يسري بين أوردتها وفؤادها بدأ يطرق بين
جنبات صدرها بألمٍ غير مُحتمل، فأجابته بضعفٍ وصوتٍ
واهن:

_خائفة.. خائفة يا "قاسم"، أنا هرجع أفكر أسوأ فترة في
حياتي من جديد، هعيشها بكل تفاصيلها تاني، أنا ممكن
أموت من الوجع.

جذبها لأحضانه مُحيطًا بها بقوة شديدة ثم همس في أذنها
بألم:

_بعد الشر عليك من الوجع.

شدت هي من احتضانه وكأنه الملاذ الوحيد لها، لم تكن
للتخيل بأنها ستستطيع احتضان أحدهم يومًا ما دون الشعور
بالإشمئزاز أو القرف، لكن هو مُستثنى عن الجميع، هو
نورها وسط الظلام وحياتها الوردية الجميلة، صمتت تدفن
نفسها بين أحضانه أكثر وهو يُشدد من عناقها حتى كاد أن

حارة القناص

يُدخلها بين أضلعه لحمايتها من العالم وشره، أنهى "قاسم"
الصمت بقوله الحنون هامساً لها في أذنها:

_ اديني فرصة واحدة يا "هولا" أعرف أدائك فيها، خليني
أساعدك تتخطي كل صعب في حياتك وفي الآخر أنا وأنتِ
هنحتفل بشفاك، عشان خاطري.

ظلت صامته تُفكر بحيرة لا تعلم، تريد العلاج لكنها تخاف ما
ستمر به، ابتعد عنه قليلاً ثم طالعتة بوهن قائلة:

_ هتفضل معايا؟!!

أكد لها مُسرّعاً بابتسامة هادئة:

_ ومش هسيبك أبداً، هنعدي كل الصعب مع بعض وإيدك
مش هسيبها إلا بطلوع روعي.

وأمام اصراره وخوفها هزت رأسها بياس قائلة:

_ موافقة.

تهللت أساريره على بغتة فاحتضنها هامساً بحب:

_أوعدك إن كل حاجة هتعدى زي ما إحنا عايزين، صدقيني يا "هولا" هفضل معاكِ وهنتخطى كل دا سوا.

اغمضت عينها براحة حامدة المولى على رزقها زوج كهذا، لكن خوفها الوحيد والأوحد هي ردة فعله عند علمه بحقيقتها وماضيها! ماذا سيفعل حينها! هل سيتركها! ينبذها! يمقتها! يكرهها! ماذا ستكون ردة فعله يا ترى!؟!

خرجت من أحضانه ترسم على ثغرها ابتسامة خفيفة للغاية، وهو بادلها بأخرى واسعة تدل على حماسته، هبطا من السيارة فاستدار لها مُمسكًا بكفها ثم اتجها نحو البناية المُدون عليها اسم الطبيب "مايكل روي".

رحلة جديدة وعالم جديد سيبدأ الآن، أسرارٌ ستُكشف وألغازٌ ستُحل، ومع كل جولة ستأخذها ستظهر معها حقيقة مُرة وحقائق مُخيفة، رحلتها تُشبه برحلة عاتية إلى الأدغال، وسط الوحوش المُفترسة والحيوانات المُهاجمة، لذا عزيزي المُشاهد عليك ربط الأحزمة وانتظار ما سيحدث، فالقادم ليس بالهين والانتقام سيزداد.

حارة القناص

صعدا كُلاً من "قاسم وأهله" للطابق الثاني مُتجهين نحو الداخل، المكان فارغ لكن فؤداها مليء بالضجيج، شددت من امساکها بكف يده ليضغط هو عليه بالمُقابل لطمئننتها، قابلتهم الممرضة التي أردفت بابتسامة هادئة:

تفضلاً فالطبيب ينتظركما.

كان الطبيب على علم بقدوم "قاسم" وزوجته، وبالطبع لم يُخبرها "قاسم" بمعرفته الشخصية بالطبيب حتى تأخذ راحتها معه في الحديث، دلفا للداخل ليستقبلهما الطبيب بابتسامة بشوشة مُردداً:

مرحباً بكما، تفضلاً للجلوس.

جلس الاثنان على المقعد المُقابل لمكتبه، فشبك الطبيب عن كفيه قائلاً ببشاشة:

أعرفكما بنفسِي، أنا الطبيب "مايكل روي" مُختص بالحالات النفسية، كيف أستطيع مُساعدتكما؟!

بدأ "قاسم" بالحديث وهو يُشير لـ "أهله" الصامته بجمود:

حارة القناص

_زوجتي تُعاني من بعض المشاكل النفسية نود حلها،
كـ"الوسواس القهري، والكتمان المُزمن" والأمر بدأ معها
منذ زمنٍ بعيد.

هز "مايكل" رأسه عدة مرات بخفة ثم وجّه حديثه لـ"أهلة"
مُتسائلاً بهدوء:

_منذ متى وأنتِ تُعانين من الكتمان المُزمن مدام!

رفعت "أهلة" أنظارها له تُطالعه بجمود استعجبه، وبعد
فترة من الصمت أجابته بهدوء مُعاكس لحالة التوتر التي
تلبستها بالأسفل منذ قليل:

_منذ وأن كان عمري ثلاثة عشر عامًا.

قطب "مايكل" جبينه بتعجب شديد مُتسائلاً:
_وكم عمركِ الآن؟!

ردت عليه بنفس الهدوء قائلة:

_ثمانية وعشرون عامًا.

حارة القناص

حالتها صعبة وللغاية والحل ليس بالسهل! هكذا همس
لنفسه فرفع أنظاره يُطالع كليهما قائلاً:

__ سنبدأ أولاً بعلاج الكتمان، لو بدأنا بعلاج الوسواس أولاً
من الممكن أن تتسبب في مشاكل صحية كثيرة بسبب عدم
قدرتها على البكاء وإظهار مشاعرها.

أوماً له "قاسم" بهدوء ثم وافقه بقوله:

__ حسناً افعل ما تراه صحيحاً

وقف "مايكل" من مكانه ثم نظر لـ "قاسم" يطلب منه
بهدوء:

__ من فضلك سيد "قاسم" هلاً انتظرتني بالخارج قليلاً حتى
ننتهي؟!!

وقف "قاسم" من مكانه في نية للخروج؛ فانتفضت "أهلة"
من مكانها مُمسكة بيده تضغط عليها لتمنعه من الخروج،
وبعدها تحدثت برفض:

__ لا.. سأشعر بالإطمئنان أكثر عند وجوده.

__ بس مينفعش.

قالها "مايكل" دون أن يعي لهجته العربية التي صدرت فجأة، ليفتح عيناه على وسعهما بصدمة عندما لاحظ نظراتها المصوبة إليه، حمم بجدية مُحاولًا إصلاح موقفه فأردف بإبتسامة متوترة:

_ نسيت أقولكم إني مصري ولما لقيتكم مصريين اتحمست أكثر واتكلمت بلغتكم.

طالعه "قاسم" بنظراتٍ حارقة وهو يلعن غبائه، بينما "أهله" تخطت الأمر بأكمله من الأساس واتخذته صُدفة لا أكثر، كل ما يَهمها هو عدم خروج "قاسم" من الغرفة وحسب، لذلك فتحت فاهها للتحدث قائلة:

_ أنا.. أنا مش عايزاه يخرج، عايزاه يفضل معايا هكون متطمنة أكثر.

تنهد "مايكل" براحة لعدم كشفها لخطتهم، بينما "قاسم" كان في وادٍ آخر، يُطالعها بنظراتٍ شغوفة وأعين تنطق بمشاعر هوجاء كثيرة، فواده يرقص طربًا لما يسمعه، ورغم أن حديثها كان عفويًا إلا أنه كان يُمثل له الكثير، أمسك بكفها بين راحتيه بحنوٍ بالغ ثم اتجه نحو المقعد

العريض (شازلونج) جاعلاً إياها تتمدد عليه براحة وهو جاورها جالساً على المقعد الذي يجاور خاصتها، بينما "مايكل" أمسك بدفتر ملاحظاته وجلس أمامها تاركاً مسافة مناسبة بين كرسيهما، ثم تسائل بعد أن ارتدى نظارته الطبية:

__ اتفضلي يا مدام "أهلة" ابدأي باللي يريحك.

طالعه "أهلة" بتوتر شديد أثناء اغماضها لعيناها لضبط أنفاسها، فوجدت يد "قاسم" تضغط فوق خاصتها وكأنها تشحنها بالقوة اللازمة، سحبت نفساً عميقاً من رئتيها ثم زفرته على مهل أثناء قصها لحكايتها المشؤومة:

__ أنا كان عندي 12 سنة، كنت في أولى إعدادي تقريباً، أوقات كثير كنت بتعرض للعنف من أبويا في غياب والدتي عن البيت، كان.. كان بيضربني جامد أوي.. لما كان بيطلب مني حاجة وأنسى أعملها كان بيضربني بالحزام وأوقات بالعصاية.. هو كان بيكرهني.. مش عارفة ليه رغم إني كنت بحبه.. ولما كنت بصرخ وبصوت من الوجد كان بيضربني.. بيضربتي أكثر.. مكنش عايزني أعيط أو أصرخ.. أنا.. أنا كنت بحط إيدي على بوقي وأكتم نفسي علشان لما يجي يضرمني مصوتش عشان ميضربنيش أكثر.. و.. و..

كانت تروي كل هذا دون شعورها بأظافرها التي كانت تغرزها بكف "قاسم" مُسببة له الألم، لكن ذلك الألم لم يكن مذكورًا أمام ألم فواده وصدمته الشديدة مما يسمعه الآن! ما هذا! ما الذي تروييه بحق الله!

رأى "مايكل" بأن حالتها ستزداد سوءً إن لم يُوقفها عن الحديث، خاصةً بأنها أمسكت موضع قلبها مما يدل على آلامها، لذلك خب من مقعدة مُتجهًا نحو مكتبه مُسرعًا ثم أخذ من عليه كوب المياه مُعطيًا إياه لـ "قاسم" الذي كان يُراقب وضعها بقلق، ثم تحدث قائلاً:

ـ خُد شربها الماية دي بسرعة عشان تفوق.

تناول "قاسم" منه كوب المياه ثم أعدلها رغبًا عنها في جلستها مُناديًا إياها:

ـ "أهلة" .. "أهلة" خلاص فوقي.

وضع كوب المياه على فاهها فارتشفت منه القليل وبعدها أعطى الكوب لـ "مايكل" الذي كان يُراقب الوضع بانتباه شديد، ظل "قاسم" يُربت على رأس "أهلة" بحنان شديد وباليد الأخرى يُحيط بخصرها ليضمها إليه، وهي كانت

تستند برأسها على صدره تُحاول تحمّل آلام قلبها التي تتزايد كلما قصت عن ماضيها المُتعفن، مرت الدقائق وهم على تلك الحالة، "قاسم" يُحاول تهدئة "أهلة"، و"مايكل" يُدون كل ما يراه ويلحظه.

وأخيرًا اعتدلت "أهلة" في مكانها بملامح باهتة ووجهٍ شاحب بعد أن هدأت ضربات قلبها عن الضغط فوق صدرها، أمسك "قاسم" بها ثم أسندتها مُجسّسًا إياها على مقعد المكتب وجلس بجانبها "قاسم"، جلس "مايكل" أمامهم خالغًا نظارته الطبية ثم بدأ حديثه بهدوء قائلاً:

للأسف زي ما توقعت فحالة مدام "أهلة" متأخرة جدًّا، ودا هياخد وقت معانا في العلاج، كنت متوقع ولو بنسبة قليلة إن هي تقدر تعيط أو تخرج اللي جواها لما تحكي جزء عن طفولتها اللي مكانتش سهلة أبدًا، لكن دا اتعكس على وجع داخل صدرها وأكد شعرت بالدوخة أو الصداع زي حالات كثيرة جت ليا قبل كدا.

كانت "أهلة" تستمع إليه بوجهٍ ثابت لكن هي تشعر بالقهرة مما تسمعه، لقد تدمرت حياتها كليًا، حتى أبسط حقوقها في البكاء حُرمت منها، شعر بها "قاسم" بسبب برودة كفها

الذي تزايد فجأة لكن لم يتحدث، بس استمع إلى حديث
الطبيب الذي أكمل بعملية شديدة:

_الموضوع هيبقى صعب وهحاول بكل الطرق إني أخرج
الكبت اللي جواها، هنمر بمراحل علاجية كتير ولو لقدر الله
مجبش نتيجة هنضطر نتعامل مع آخر حل أتمنى
منستخدمهوش.

تسرب القلق إلى جسد "قاسم" والذي تسائل بريبة:
_حل إيه؟!

_بلاش نسبق الأحداث لعل وعسى العلاج يجيب نفع،
هكتبك شوية أدوية هي مُهدئة ومفيش منها أي ضرر،
وحاول تتكلم معاها وقت ما تكونوا قاعدين سوا وخليها
تفضفضاك لو هي حبت دا، أنا مش هطول في الجلسة دي
عشان أول جلسة وحضرتك شوفت نتيجتها، بس المرة
الجاية هتضطر أطولها أكثر من كدا.

أوما له "قاسم" بصمت ثم وقف من مكانه ووقفت خلفه
"أهلة" ثم اتجها نحو الخارج بعد أن استأذن "قاسم" من
الطبيب وهبطا للأسفل، كانت "أهلة" شاردة، صامته،

وحزينة، لقد قصّت جزءً ضئيلاً للغاية من قصتها، ماذا إن روت البقية!

أدخلها "قاسم" السيارة على مهل ثم استدار وجلس محله بجانبها، ظلا صامتين لبضعة دقائق وانتظر أن تتحدث أو تقول كلمة واحدة، لكنها كانت تُوجه أنظارها نحو الخارج وعيناها حادثان كالأفعى، وكأنها مُفصّمة وبشخصيتين مُختلفتين!

أمسك "قاسم" بيدها ليجعلها تنتبه له، وبالفعل استدارت له تُطالعه بنظرات جامدة، لكنه كان يشعر بتلك النيران المُشتعلة داخلها، تشعر بالضعف والهوان وهو يعلم، لذلك فتح ذراعيه لها يحثها على القدوم إليه والتمتع بدفئ أحضانه.

طالعت "أهلة" ذراعيه بصمتٍ لثوانٍ حتى ظن بأنها سترفض طلبه، لكنها باغتته بانطلاقها نحو أحضانه لتدس نفسها داخلها، دفنت وجهها داخل عنقه تحاول نسيان ما مرت به، وهو أحاط بخصرها يُقربها منه، أغمض "أهلة" عيناها بوهن ثم تشدقت بألم:

متسبنيش يا "قاسم" أنا محتاجالك.

شدد "قاسم" من ضمها مُتحدثًا بوعد:

_مش هسيبك يا قلب "قاسم"، أنا عيني وروحي ليك يا
"أهله".

وفي تلك اللحظة تحديدًا ودت لو تتفجر في البُكاء، تود أن
تُخرج تلك الطاقة السلبية الكامنة بين جنباتها ولا تعلم كيف،
كيف لإنسانٍ ضعيف أن يُواجه تلك الضغوطات وحده دون
التألم؟! أهو آلة أم ماكينة كهربائية؟!

ربت "قاسم" على خُصلاتها وهو يسألها:

_تحبي نرجع البيت ولا نخرج نغير جو؟!

أجابته بضعف أثناء ابتعادها عنه:

_أنا أرجع البيت.

أوما لها وهو يمد يده للمقعد الذي تجلس عليه ثم ضغط بيده
على أحد الأزرار ليعود المقعد للخلف تلقائيًا، وفي تلك
اللحظة سنحت لها الفرصة للنوم، انحنى "قاسم" عليها
قليلاً ثم قبّل جبينها هامسًا لها:

_نامي وارتاحي لحد ما نوصل، وأنا هفضل جنبك ومعاكِ.

أغمضت عيناها بانهاك تاركة "قاسم" ينظر لها بنظرات شاردة، لم يكن يهمه أمرها من قبل، لكن الآن يتوق لمعرفة ماضيها وما سبب الحالة التي أوصلتها لهذا، لقد روت جزءاً ضئيلاً للغاية وسبب له الألم، إذاً ماذا عنها هي؟!!

أدار سيارته ثم انطلق بها بسرعة هائلة وعيناها تشتدان حدة، يريد نقل الألم منها له، لا يعلم ما الذي أصابه لكن كل ما يعرفه هو أنه يحب الوجود بجانبها دائماً والإطمئنان عليها فقط.

أحياناً نعيش لنحب، لكن في حالتها هي هي تُحب لتعيش!

سحب "صهيب" تلك الضاحرة خلفه ثم أجلسها على المقعد الكبير الموجود في الحديقة الواسعة وجلس هو بجانبها، حاولت بقدر الإمكان تنفيذ خطة "أهلة" وتصنع الغضب، وهذا ما فعلته بالفعل عندما ربت عن ذراعيها أمام صدرها

حارة القناص

وجدت وجهها بضيق، زفر "صهيب" بسخط ثم تحدث
حانقًا:

_ أنا مكنتش أعرف إن قلبك قاسي كدا يا بسكوتة؟!_

أجابته "حبيبة" بضيق:

_ أنت السبب مش أنا.

_ طيب حقك عليا.

_ اعتذارك مرفوض.

طالعه "صهيب" بسخط واحتدت عيناه غضبًا فلم يشعر
بذاته إلا وهو يصرخ بها:

_ طيب أعمل إيه تاني معاك يا شيخة عشان تصدقي إنه مش
قصدي، أنا عارف مين اللي نشف دماغك، مفيش غير اللي
اسمها "أهلة" دي هي اللي مقوياك عليا.

هبت "حبيبة" من مضجعتها ثم صرخت به بشجاعة جديدة
عليها كُليًا:

حارة القناص

_ لو سمحت متشتمش صاحبتى عشان كدا عيب، وبعدين هي طيبة ومقتليش حاجة.

وقف "صهيب" من مكانه مشدوهاً، ثم أردف وهو يُشير لنفسه بدهشة قائلاً:

_ أنتِ بتزعقلي يا "حبيبة"؟!!

توترت "حبيبة" للحظات وكادت أن تعتذر منه لكنها تراجعَت على الفور خوفاً من ردة فعل "أهلة" إن علمت بسذاجتها، لذلك أكدت على حديثه قائلة:

_ آه بز عقلك، وخلي في علمك بقى أنا مش هبات معاك النهاردة كمان، أنا هبات مع "أهلة" صاحبتى اللي بتخاف عليا وعلى مشاعري، مش زيك كل ما تكون متعصب تقوم هابب فيا زي البوتوجاز ولا كائي شغالة عندك! أنا ماشية.

قالت كلمتها الأخيرة وهي تُشير بيدها في الهواء أمام وجهه ثم استدارت مُغادرة تاركة إياه يفتح فاهه بصدمة جلية من حديثها معه! وقبل أن تذهب من أمامه كُلياً؛ استفاق، ونادى عليها وهو يهرول خلفها هاتفاً بصياح:

_ خُدي يا بت أنتِ بتشوحى لمين!! خُدي بقولك دا أنا مش هسيب في خِلقتك حتة سليمة النهاردة.

كان يُهرول خلفها بينما هي ركضت للأعلى وبالتحديد نحو
غرفة "أهلة" ثم أغلقت الباب خلفها بالمفتاح حتى تمنع
دخوله أو وصوله إليها، اشتد الغضب بعيني "صهيب"
عندما لم يلحقها، فصاح مُهتاجًا بغضب:

_ وكتاب الله ما هديها لك يا "حبيبة"، هو أنا عشان غلبان
جاين عليا؟!!!!

هب "ألبرت" من مكانه أمام العميد بعد أن أعطاه الحاسوب
وتحدثوا حول أشياء أخرى تخص عملهم والذي تحدث
مُحذرًا إياه:

_ اذهب واجلب تلك الفتاة التي أخذتها معك "ألبرت".

طالعه "ألبرت" بصمت قبل أن يقول بنبرة غامضة:
_ حسنًا سيدي لا تقلق من ذلك.

قالها ثم استدار راسمًا على نُغره ابتسامه خبيثة وبالفعل قرر الذهاب لها وانقاذها، لكن سيذهب وحده ويُنقذها بطريقته الخاصة!

هبط من المبني ثم صعد لسيارته حديثة الطراز مُنطلقًا بها بسرعة عالية للغاية، وبعد فترة زمينة قصيرة وصل إلى مكان خالي يُشبهه الجبل مليء بالثلوج، ويوجد خلال أفق عيناه كوخ خشبي كبير إلى حد ما من المتوقع أنهم بداخله، أغلق سيارته ثم عدل من ثيابه بكل عنهجية وكأنه ذاهب لمقابلة رسمية وليس للقتال، وجهاز بين يديه سلاحه ليكون مُجهزًا ومستعدًا في أي وقتٍ من الأوقات.

اقترب بهدوء وتروٍ من المبني ثم استدار من الخلف ليجد شباك خشبي صغير ينتصف الحائط، فتحه "ألبرت" على مهل ولحسن حظه كان قفله حرًا، قفز ببراعة نحو الداخل فوجد عدة حُجر، لكن جذب انتباهه مهمات خفيضة تأتي من داخل عُرفة معينة، اتجه نحوها ببطي شديد ثم مدّ رأسه لرؤية من بداخلها، فوجدها "مهرايل" جالسة مُكتفة على أحد المقاعد وأمامها الرجل يُطالعها بسخط شديد!

استغل "ألبرت" انشغالهم وتسلل عدة خطوات للداخل، لكن لسوء حظه كانت "مهرايل" قد رأتها، أشار "ألبرت"

حارة القناص

بسبابته على فمه دلالة للصمت، لكنها كالبهاء صاحت
بتهليل:

_"ألبرت"؟!!!!

انتبه له الرجل فوجه السلاح على رأسها تلقائيًا لتهديده،
ليصرخ "ألبرت" بها بغضب جحيمي:
_العنة على من رباك.

#يُتبع.

#حارة_القناص.

#شروق حسن.

{وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٥﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}.

#الفصل_التاسع_والثلاثون.

#حارة_القناص.

#تم_كشفهم.

دائمًا ما يُقال أن المصائب تأتي على هيئة أفعال، لكن بالنسبة له كانت هي المُصيبة الأكبر في حياته، كان قد بدأ يشعر بأن فواده بدأ يميل لها، لكن بعد فعلتها تلك؛ سبَّها وسبَّ أباهما وتلك الصدفة التي جمعتهم معًا.

حارة القناص

طالعتها "ألبرت" بنظرات حارقة بثت الشعور بالخوف داخل جسدها، ورغم ذلك لم تصمت، بل تحدثت قائلة بخوف:
_الحقني يا "ألبرت" عايز يقتلني.

صعدت الكلمات من فم "ألبرت" بفحيح أثناء قوله:
_إن لم يقتلك هو سأقطع أنا رأسك الغبية وأفصلها عن جسدي الحقيق.

ابتلعت "مهرايل" ريقها بصعوبة أثناء محاولتها بقدر الإمكان في كتم دموع خوفها، لذلك أردفت بإرتعاشة ظهرت واضحة على نبرتها:
_وأنا عملت إيه يعني!؟

طالعتها "ألبرت" بسخط ثم حوّل أنظاره للرجل الآخر دون أن يجيبها مُتحدثًا بجمود أمرًا إياه:
_اتركها.

حدجه الآخر بإستنكار ساخرًا:
_بكل تلك السهولة؟! أعطني ما أخذت وسأتركها لك.

حارة القناص

ارتسمت ابتسامة جانبية مُتهكمة على ثُغر "ألبرت" وهو ينظر حوله ببرود، وبعدها عاد ببصره نحو ذلك الواقف ويُوجه سلاحه نحو رأس الأخرى، ليهتف ساخرًا:

_ لا أرى أصدقائك في الأرجاء، يبدو بأنهم لم يتوقعوا بأنني سأصل بتلك السرعة، صحيح!؟

كان الآخر يكاد أن ينصهر من شدة الخوف، خاصةً وهو يعلم بقوة خصمه المُقابل له وبعدم رحمته بالمرّة، استغل "ألبرت" توتره ببراعة فرفع سلاحه بسرعة البرق مُطلقًا به على ذراعه، ارتفعت صرخات الآخر والذي ترك سلاحه ليقع منه وبعدها هرولت "مهرايل" إلى "ألبرت" راكضة لأحضانها وهي على مشارف البكاء.

التقطها "ألبرت" بين ذراعه وبالذراع الآخر رفع سلاحه وقام بالتصويب على جسد الآخر مُطلقًا عليه عدة طلقات ليقع صريعًا في الحال، طالعه "ألبرت" بإشمئزاز هامسًا بسخط:

_ تجبرونني على فعل أشياء لا أحبها.

قالها وهو ينظر لجثته بشرود، لطالما كان يكره القتل والدماء، لكن عمله أجبره على ذلك، كونه مُجنّدًا يعمل

حارة القناص

لصالح وطنه يُتيح له القتال مُعظم الأوقات، وتلك المرة كان الأمر مُتعلقًا بها، وبالطبع لن يصمت!

استمع إلى صوت همهمات كانت هي مصدرها، فنظر إليها ليجدها تمسح أنفها في ثيابه، كذلك فعلت الأمر ذاته مع دموعها، جزَّ "ألبرت" على أسنانه بغيظ شديد فأبعدها عنه مُمسكًا إياها من ياقة ثيابها من الخلف، وبعدها تحدث ساخطًا:

قولي لي ماذا أفعل بكِ ها؟! هل أقتلكِ وأتخلص من غبائك، أم أترككِ لهم ليقتلونكِ هُم؟!

مسحت "مهرائيل" بقية دموعها في ثيابها وبعدها أجابته ساخطة:

متزعقليش، وبعدين ما اللي حصلني دا كله بسببكِ.

تشنح وجه "ألبرت" باستنكار صارخًا:

بسببي أنا؟!!!!

أكدت على حديثه مُكملة بحدة:

حارة القناص

_ أه بسبب أنت يا بريء، مش أنت اللي خدتي معاك؟!!

صرخ بها بعدم تصديق:

_ ألم تستعطيني لتأتي معي؟!!

تخصرت في مكانها قائلة:

_ وهو أنا أي حاجة أقولك عليها تنفذها؟! وبعدين يا بني آدم
أنا كنت هموت أنت مُتخيل؟! حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا
"ألبرت"، معرفتك هباب زي وشك.

_ وجهي؟!!

قالها بتعجب ثم دفعها أثناء تحسُّسه على وجهه، طالعه هي
ببلاهة وبعدها وجدته يتحدث مُغتاظًا:

_ وجهي وسيم أيتها العمياء، فلتنظري لأنفك الكبير.

جعدت "مهرائيل" وجهها وهي تُتمتم بحنق:

_ لو سمحت ملكش دعوة بأنفي وخليك في أنفك، الناس كلها
بتورث مناخير أهلها وأنا أهلى مشهورين بمناخيرهم.

ظل "ألبرت" يُطالعها عدة ثواني بصمت تعجبت له، وما زاد
تعجبها هو خجلها منه! حممت بحرج فوجدته قد خرج عن
صمته بقوله الوقح:

_ لن أكذب عندما قُلت عنك فاحشة، لذلك سأغير لقبك من
جروٍ أحرق إلى فاحشة مُزعجة.

فتحت "مهرايل" فاهها بعدم تصديق ثم تحدثت باعتراض:
_ هي مين دي اللي فاحشة، لأ خلاص خرينا في الجرو أنا
مش زعلانة.

طالعها بلامبالاة ثم استدار مُوليًا لها ظهره أثناء قوله
البارد:
_ هيا أيتها الفاحشة لنذهب.

ضربت "مهرايل" قدميها بالأرض مُغتاظة، فاتبعته صائحة
باعتراض:
_ يوه بقى! لأ أنا مش بحب الاسم دا غيرَه.

حارة القناص

لم يُجيبها "ألبرت" بل خرج من المنزل ناظرًا في كل الإتجاهات حتى يُؤمّن طريقهم، وبالفعل لم يجد أحدًا، لكن لسوء حظه التقطت عيناه مشهدًا لأربع سيارات مُصفحة كبيرة قادمة باتجاههم ويبعد بينهم مسافة كبيرة بعض الشيء، لذلك عاد مُهرولاً إليها ثم أمسك بكفها وبعدها تحدث بفحيح أروعها:

_أقسم إن استمعت إلى صوتك سأقتلك "مهرائيل"، هل سمعتِ.

اتسعت ابتسامة "مهرائيل" بهيام ثم أردفت قائلة بسعادة:
_أول مرة تنطق اسمي.

جز "ألبرت" على أسنانه بغيظ فأخذها ساحبًا إياها خلفه ثم هرول بها من الجهة المُعاكسة للسيارات في نية للذهاب إلى سيارته قبل اكتشافهم لهروبها، حينها سيقعون في مأزق كبير بالفعل، خاصةً وأن عددهم كبير للغاية.

هرولت معه "مهرائيل" والتي تحدثت بفرع:
_في إيه بتجري كدا ليه؟!!!

حارة القناص

لم يُجيبها "ألبرت" بل ظل يُسرع في خطواته حتى ابتعدوا مسافة لا بأس بها من الكوخ الجليدي، وهي بصعوبة بالغة تُحاول مسايرة خطواته السريعة، وأخيرًا وصلوا إلى سيارة "ألبرت"، فتح باب سيارته ثم دفعها للداخل وبعدها استدار هو وصعد بجانبها، وما إن سار بها حتى استمع إلى صوت الطلقات تصدح في الأرجاء.

صرخت "مهرايل" بفرع وهي تسد أذنيها، بينما هو أخرج سلاحه من صندوق السيارة واستعد لمقاتلتهم، لمح "ألبرت" في المرآة الأمامية سيارة واحدة من أصل أربعة تتبعه، لتتشكل ابتسامة خبيثة على ثغره هامسًا لذاته:

حقًا؟! قيمتي بقيمة سيارة واحدة يقبع داخلها أربعة من الأوغاد!

ابتلعت "مهرايل" برعب وزادت ضربات قلبها بهلع، اقتربت منه ثم أمسكت بكفه الموضوع على المقبض قائلة بارتعاش:

أنا.. أنا خيفة.

حوّل أنظاره إليها واستشف خوفها من نبرتها، فترك المقود لثوانٍ ثم جذبها لأحضانه حتى باتت رأسها مُستقرة على

صدره، صُدمت من فعلته فرفعت أنظارها إليه لتجده يغمز لها بمشاكسة عقب قوله:

_ لا تخافي عزيزتي، أريدك أن تستمتعي فقط.

أنهى حديثه فوجد السيارة قد باتت على مقربة شديدة منه وبعدها استمعوا إلى صوت الطلقات تهبط فوق رؤوسهم، أخرج "ألبرت" يده من نافذة السيارة ثم أطلق عليهم هو الآخر، كانت المواجهة غير عادلة، فأربعة مُقابل واحد كثيرون، لكن خصمهم ليس بالسهل، بل كان "ألبرت تشارلي".

استطاع "ألبرت" خلال ثلاث دقائق أنا يُصيب أحدهم في رأسه بعد أن أخرج جزئه العلوي من نافذة السيارة كي يستطيع الوصول إليه، وبعدها قام بإصابة السائق في ذراعه مما أدى إلى تعثرهم في السير، وأخيرًا خرج "ألبرت" من المنطقة الجليدية ووصل إلى الأرض الأسفلتية، مما ساعده على زيادة سرعة سيارته أكثر وهروبهم من بين أيديهم.

ارتسمت ابتسامة انتصار جلية على ثغره وهو يرى اصطدام السيارة الأخرى في أحد الأشجار، ليهمس لذاته بفخر:

فعلتها مُجدداً "ألبرت"، تبقى خطوتان واجب التنفيذ.

أخفض رأسه قليلاً ظناً منه بأن "مهرايل" قد تكون خائفة
أو تشعر بالهلع، لكن فاجئته مرة أخرى عندما وجدها ذاهبة
في ثبات عميق!

طالعها بدهشة ثم هز رأسه بيأس هامساً:

جرؤ أحمق وفاحشة كبيرة.

أصبح الفؤاد يهوى اقترابك وينبذ الابتعاد، وكان حلقات من
الشوق دارت حول وجداني حتى جعلته مُحْتَجِزاً بين ثناياك،
نُسِجَ الشعور من الشوق والحرمان حتى أصبح يسكن
بداخلي، سار اشتياقك داخل دماء أوردتي الجارية، ووشم
اسمك على جذران جسدي العاشقة، أي سحرٍ قد فعلت به بي!
وأي تعويذة قد رميتها عليّ! أظن بأنها تعويذة العشق،
فكيف لعينين أن تكونا سبباً في هزيمتي، وكيف لضحكاتٍ أن
تورق سكينتي!

كان "قاسم" ينظر لـ "أهله من الحين والآخر بترقب، كان يتلهف لشفاها، لكنه الآن يخاف من انهيارها، المواجهة مطلوبة لكن النتيجة مُقلقة، قام بركن سيارته على جانب الطريق واقفاً أمام إحدى البحيرات العذبة، منظرها يبث الراحة والسكينة في النفوس، لكن رؤيته لمحياها تُشعل فؤاده أكثر من أي مظهر جذاب قد رآه في حياته، هل يُعقل بأنه قد وقع صريعاً بها، أم أنه مجرد تعلق؟!!

ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغره مُتذكراً مشاكستها الدائمة معه، كان في البداية يظنها قاسية القلب كما كانت تُظهر للجميع، لكنها في الحقيقة رقيقة هشة كالأطفال، يُؤلمه وجعها وسيحاول سحبه من داخل جسدها، حتى لو تسرب الألم إلى جسده هو!

مال عليها قليلاً مُمسداً بكفه على خصلاتها السوداء التي تُشبه عيناها، فلم يشعر بذاته سوى وهو يهبط على وجنتها مُقبلاً إياها برقعة، وفي تلك اللحظة شعر بمضخات عنيفة تضرب داخل صدره، ما الذي تفعله به بحق الله؟! هكذا همس لذاته وهو يستند برأسه على خاصتها مُغمضاً عينيه براحة، وإن جننا للحق؛ فُقرّبها يُسكره.

ظل جالسًا هكذا لبضعة دقائق وربما لساعات! تجلس بأحضانهِ وعيناه ترى البحيرة والثليج، لا يُوجد شيئًا رائعًا مثل هذا، اعتدل مُسرعًا في جلسته ثم مد يده ليُخرج من صندوق السيارة دفترَ الذي لا يتحرك بدونه، وبهدوءٍ شديد قام بفتحه وبدأ بتدوين ما يأتي على باله:

_"عبرتُ كل العوائق والحواجز القاتلة، كنتُ كطفلٍ يهفو لمُلاقة جائزة وصوله واحتساب صبره، لكنني ألم أجد شيئًا، فوجدتكِ وميضًا يُنير ظلمات حياتي، ووجدت بسماتك تشفي من جراح فؤادي، حتى أن عينك كانت كالنجوم تهديني إلى صراطي".

_"رقيقة تتركين أثرًا طيبًا على النفس، لكن لم يحدث الخراب في نفسي وأنا العاشق لعينيك!?"

_"حتى الآن لم أجد مخبئًا منكِ سواكِ".

ثلاثة جُمَل عادية وبسيطة لكنها جمعت شمل فؤاده المُشتت، هذا ما فعلته به تلك الدخيلة بقلبه، أغلق الدفتر مُجددًا ثم وضعه داخل الصندوق وأغلق عليه جيدًا، اعتدل في جلسته وما كاد أن ينطلق بالسيارة حتى وجد صوت هاتف "أهلة"

حارة القناص

يصبح عاليًا، انتشله سريعًا من جيب بلوزتها ثم كتم صوته
تزامنًا مع نظره لشاشته، قطب جبينه بتعجب عندما وجد أن
المُتصل لم يكن سوى "حبيبة"، لذلك رد عليها بهدوءٍ
وصوتٍ خافت:

ألو؟!

أتاه صوت "حبيبة" المُتحشرج قائلة:

لو سمحت يا "قاسم" عايزة أكلم "أهله".

نظر "قاسم" جانبه لزوجته النائمة بحيرة، ثم أجابها بيأس:

مش هينفع دلوقتي يا "حبيبة"، "أهله" نايمة.

تجمعت الدموع بحدقتي "حبيبة" وبعدها أردفت ببكاء:

مليش دعوة صحيها أنا عايزة أكلمها.

فرغ "قاسم" فاهه من بكائها فتسائل باستغراب:

هو فين جوزك؟!

صحي "أهله" أنا عايزة أكلمها.

قالتها مُتجاهلة حديثه، ليتها هو بيأس ثم مال على "أهله"
قليلاً يهزها برقة وهو يُناديها:
_ "أهله"!!.. "هولا" اصحي.. "أهله".

تحركت "أهله" بضيق في مكانها فاستغل "قاسم" تململها
ثم فتح مُكبر الصوت قائلاً:
_ خُدي يا "حبيبة" هي معاكِ أهي.

أنهى حديثه ثم وضع الهاتف بالقرب من أذن "أهله" ليصله
بعد ذلك حديث "حبيبة" الباكي:
_ آلو يا "أهله".

أجابتها "أهله" بتحشرج وعدم استيعاب:
_ في إيه يا "حبيبة" مالك؟!!

أتاها صوت "حبيبة" تبكي بصوتٍ منخفض ثم أجابتها
بحزن:

_ أنا.. أنا عملت كل اللي قولتيلي عليه، بس هو واحشني
أوي وعازية أقعد معاه أعمل إيه؟!!

ردت عليها "أهلة" ببعضٍ من الحدة بعدما اعتذرت في مكانها:

_لو قربتيله يا "حبيبة" هَشُقْكَ، خليكِ ثابتة على موقفك وعرفيه إنك ثقيلة وإن زعلك من بالساهل.

لوت "حبيبة" شفيتها ببكاء مُجيبة إياها:

_طيب أنتِ هتيجي إمتي؟! محدش موجود هنا وحاسة إني لوحدني من تاني.

ردت عليها "أهلة" بحنان:

_أنا جاية في الطريق يا "حبيبتني"، نُص ساعة بالظبط وهكون عندك متخافيش، بس المهم ملكيش دعوة باللي اسمه "صهيب" دا.

ابتسمت "حبيبة" بحنان ثم أومأت برأسها مُجيبة إياها برقة:

_ماشي هستناك، سلام يا "هولا".

حارة القناص

كل هذا وكان "قاسم" يستمع للحديث بصدمة وهو يسير
بالسيارة، طالعها بدهشة ثم عاد بأنظاره للطريق مُجددًا قائلاً
بعدم تصديق:

_نهارك أحمر—ر!! أنتِ بتتفقي على أخويا قُدامي كدا
عادي؟! عايزة تخربي بيته يا اللي منك لله؟!!!

فركت "أهلة" عيناها ثم أجابته بسخط:

_أخوك هو اللي باديء وجاي على البت الغلبانة، خليه يتعلم
الأدب شوية.

هز "قاسم" رأسه بياس ثم تحدث هامسًا:
_ربنا يهديك يا "أهلة".

نظرت له "أهلة" بعدم فهم مُتسائلة:
_بتقول حاجة؟!!

وعلى بغة جذبها له مُحيطًا إياها من خصرها بذراعه
اليمنى، ثم قَبَّلَ أعلى رأسها وهو يُجيبها بعد أن تنهد مُطولًا:
_بقولك نامي يا حبيبتي لحد ما نوصل وارتاحي.

ابتسمت "أهلة" بخفة على حركته اللطيفة والتي باتت تُفضّلها، ثم رفعت ذراعها تُحيط به من خصره أثناء اغماضها لعينيها براحة واستسلام.

إلى عزيزتي المفقودة..

اليوم الثالث لفقدانك أشعر بالفراغ، بعد أن احتضن جسدك الغبار وانقطعت بيننا الأخبار ظللتُ أبكي قهرة لخسارتك، كنتِ خير عونٍ لي ومصدر بهجة في حياتي، كيف أتعايش مع فكرة فُقدانك! كُنتِ أخشى العزلة، الآن بثُ اشتاقها لأتذكر أيامنا الجميلة معًا، لقد انتقلت روحك إلى السماء مُهلهة بحُسن خاتمتها، ورغم سعادتي بك؛ إلا أن غصة البكاء دائمة ما تنتابني، أتذكر وعودنا معًا، نصائحك الغالية، خوفك عليّ من عمل أي فعل متهور، كل تلك الذكريات محفورة داخل ثنايا عقلي وحنايا فؤادي، حديثك موشومٌ داخل وجداني، إلى مَنْ سأهرب عند حُزني وحاجتي! إلى مَنْ سأبكي ومَنْ سيُريحني! صديقتي الغالية لن أنساكِ أبدًا، سأظل أدعو لكِ ليل نهار حتى يأتي موعد لقائنا معًا، اسأل الله أن يرزقني خاتمتك يا رفيقة دربي.

في تلك الأثناء كانت "سهيلة" تجلس على سجادة الصلاة
تقرأ وردها اليومي الذي باتت مُداومة عليه باستمرار،
أخذها الوقت وقامت بقراءة ثلاثون جزءاً كاملاً على روح
صديقتها الراحلة، دموعها تهبط قهراً على رحيلها لكن ما
باليد حيلة، كانت ونعم الصديقة والرفيقة، لطالما تمنّت أن
تحصل على شخصٍ يُشبهها منذ زمن، وعندما جاءت إليها
رحلت مُسرعة تاركة معها حُبها وشغفها، أغلقت كتاب الله
ثم وضعت جانبا رافعة كفيها إلى السماء تدعو برجاءٍ
وموعها تهبط مُتسابقة على وجهها:

_"اللَّهُمَّ إِنَّهَا فِي نَمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ فَفْتَنَةِ الْقَبْرِ
وَعَذَابِ النَّارِ أَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهَا
وَارْحَمِهَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ".

"اللَّهُمَّ شَقَّعْ فِيهَا نَبِيَّتَا وَمِصْطَفَاكَ، وَاحْشِرْهَا تَحْتَ لَوَائِهِ،
وَاسْقِهَا مِنْ يَدِهِ الشَّرِيفَةَ شَرِبَةً هَنِيئَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا".

"اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ مُصَلِيَةً لَكَ، فَثَبَّتْهَا عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ
الْأَقْدَامُ، اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ صَائِمَةً لَكَ فَأَدْخِلْهَا الْجَنَّةَ مِنْ بَابِ
الرِّيَانِ".

"اللهم ارزقها بكلّ حرفٍ في القرآن حلاوةً، وبكلّ كلمة كرامةً، وبكلّ آية سعادةً، وبكلّ سورة سلامةً، وبكلّ جزءٍ جزاءً".

انتهت ثم أخفضت كفيها تُمسد بهما على وجهها لتمسح دموعها، ثم همست بتحشرج قائلة:

_ اللهم تقبل مني يارب العالمين، ربنا يرحمك يا "عائشة" ويرزقك أعلى المنازل.

دخل في تلك الأثناء "رائد" عليها ليجدها على حالتها تلك، ورغم سعادته بقربها من الله إلا أنه حزين عليها، رسم على ثغره ابتسامة صغيرة ثم اقترب منها جالساً بجوارها، رفعت أنظارها الدامعة إليه فوجدته يسحبها لأحضانه مُربتاً على ظهرها دون أن يتحدث، وكأن هذه كانت نقطة الانفجار بالنسبة لها، ظلت تبكي كثيراً مُتمنية وجود صديقتها وتتمتم ببعض الكلمات التي لم يفهمها، لكن علم مقصدها من الحديث، كان يحدثها من الحين والآخر ويُطمئنها بقبلاته أعلى جبينها، وهي تستمع إليه بشهقات قلت تدريجياً عقب حديثه المُفعم بالاحتواء.

ربنا سبحانه وتعالى يقول "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٢﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ"،

ربنا يببشر عباده الصابرين على الإبتلاء، دول هما أهل الاهتداء، وأهل الصلوات، وأهل الرحمة، كل دا ربنا جعله لأهل الصبر. وربنا اختارك إنك تكوني من الصابرين والأعلى منزلة، منقدرش نغير أقدارنا بس نقدر ندعو لربنا إنه يكون رحيم بقلوبنا.

طالعه "سهيلة" بدموع ثم تحدثت بتحشرح:

بس الابتلاء المرادي صعب عليا أوي يا "رائد".

جفف "رائد" دموعها بأصابعه، ثم تحدث بصوت حاني:

الابتلاء كبير على قلبك وأجرك أكبر، كُنا جايين الدنيا زيارة صغيرة وهنمشي تاني، الابتلاء دا رغم إنه صعب بس غيرك للأحسن، بقيتي مواظبة على صلاتك، بقيتي محافظة على قراءة القرآن، لبسك بقي مُحتمش أكثر، أسلوبك بقي مُختلف، الابتلاء دا غيرني أنا كمان للأحسن، لما أشوف أختي الصغيرة قدامي بقت تصلي بقيت أخجل من نفسي وأقوم أصلي كمان، كنت مهمل في حق ربنا وبعصيه دايمًا،

حارة القناص

كنت بكلم بنات كثير بس ربنا هداني، كنت بعمل الذنب من غير ما أندم عليه، ورغم كذا ربنا رحيم بينا، مموتناش قبل ما نتوب، مقابلناش ربنا واحنا مليونين ذنوب ومعاصي، اللي عايز أقولها لك إن على حسب درجة الإبتلاء بيكون التغير، واحنا الحمد لله اتغيرنا للأحسن.

كانت "سهيلة" تستمع إليه بانتباه شديد، أراحها حديث شقيقها رغم أنه لم يتحدث بتلك الطريقة النصوحة من قبل، لكن تغييره يظهر أمام عيناها، أنهى "رائد" حديثه فوجد "سهيلة" قد اعتدلت مُستندة بركبتيها على الأرض ثم ارتمت داخل أحضانه مُتمسكة به بقوة، وبعدها خرج صوتها هامساً بامتنان:

_ربنا يديم وجودك معايا يا "رائد"، أنا محظوظة إن عندي أخ زيك.

قبّلها "رائد" من وجنتها قائلاً:

_ويديمك ليا يا حبيبة أخوك.

رسمت "سهيلة" ابتسامة خفيفة على ثغرها، بينما انتفض "رائد" من مكانه قائلاً بهلع:

_يا نهار أحمر عليا وعلى سنيني!

فزعت "سهيلة" والتي تحدثت مُتسائلة بقلق:

_ في إيه؟!!

أجابها "رائد" قبل أن يهرول من الغرفة راکضًا للخارج:

_ البنات برا كانوا جايين يشوفوك وقاعدين على سُفرة الأكل، زمانهم خلصوها ولاد المفاجيع.

طالعت "سهيلة" أخيها بيأس وهي تضحك بخفة ثم خرجت خلفه لرؤية الفتيات اللواتي اشتاقت لهن.

دائمًا الحب ما يتغلب على رغبة العناد والتفكير، وهذا ما حدث معها، شعرت "حبيبة" أنها بحاجة ماسة إلى دعم "صهيب" واحتوائه، تشعر بأنها فارغة بدونه وأن ذنبه ليس بالكبير لمقاطعته، عضت على أظفرها تُفكر في حديث "أهلة" جيدًا، ماذا إن علمت بما تريد أن تفعله! بالطبع ستلتهما أو تقتلها أيهما أقرب.

نفخت بضجر من كثرة التفكير ثم سحبت نفسًا عميقًا من رئتيها ثم زفرته على مهل وقررت الخروج والتمتع بحنان زوجها لها، لذلك اتجهت نحو باب الغرفة ثم قامت بفتحه والخروج من الغرفة ثم هبطت إلى الأسفل واتجهت إلى غرفة الصالون التي من المفترض أن يجلس بها الآن، تقدمت بخطى بطيئة نحو الداخل فوجدته يتحدث في الهاتف بانتباه شديد حتى أنه لم يراها:

_تمام يا فندم، المهمة هتبدأ من بكرة الصبح وكل اللي حضرتك طلبته هيتنفذ بالحرف الواحد، مش هسيب مكان واحد غير ما أدور فيه وبإذن الله هنوصل للي عايزينه... تمام سلام يا فندم.

أنهى حديثه مُغلقًا الهاتف ثم استدار ليجد "حبيبة" تقف على أعتاب الغرفة بخجلٍ واضح، رفع حاجبيه ساخطًا من أفعالها الطفولية التي من المفترض ألا تليق بعمرها لكنها راقت لها كثيرًا، ابتلعت "حبيبة" ريقها بخجل ثم اقتربت منه على استحياء مُخفضة رأسها للأسفل حتى وقفت قبالة مباشرةً، وبعدها تحدثت بصوتٍ خفيض وهي تعبت بأظافرها قائلة:

_بُص أنا عارفة إنك غلطان وأنا لسه مسامحتكش بس أنت وحشتني.

ضحك بعدم تصديق أثناء قوله الساخط:

_يا بنتي بقى ركزي يا بنتي، أنا برضه اللي غلطان؟!!

أومات له مؤكدة على ما قاله وهي مازالت تُخفِض رأسها أرضاً، وبعدها قالت برقة:

_أيوا أنت غلطان وأنا هسامحك شوية وبعد كدا مش هكلمك تاني.

أنهت حديثها ثم اقتربت منه واقفة على أصابع قدميها ثم ضمت ذاتها إليه مُحْتَضنة إياه بإشتياق شديد، كان مُنزعجاً منها ومُقررًا معاقبتها على فعلتها، لكن قلبه لم يُطاوعه على فعلها، بل وجد نفسه تلقائياً يُحيط بها من خصرها مُقرباً إياها منه بعشقٍ شديد، دفنت "حببية" ذاتها أكثر داخل أحضانه وبشجاعة جديدة كُلياً عليها همست له بحب:

_بحبك يا "صهيب".

رد عليها "صهيب" بصوت أجش مليء بالمشاعر:

حارة القناص

__وأنا بعشقتك يا حبيبة قلب "صهيب".

عاتبته برقة قائلة:

__بحبك بس لسه زعلانة منك.

لُجيبها باعتذار نابع من قلبه:

__حقك على عيوني والله يا "حبيبة"، يشهد ربنا إنك
الجوهرة الغالية في حياتك ومقدرش على زعلك، سامحيني
عشان خاطري.

ردت عليه قائلة بحب:

__مسمحاك من لما حاولت إنك تصالحنى بس أنا قلبي كان
واجعني أوي، كنت خايفة يكون كل دا وهم وعاششة فيه
وأنت مبتحبنيش، بس محاولتك معايا ومصالحتك ليا خلنتي
أرمي أي زعل ورا ضهري وأجيك.

مسح على خصلاتها بحنان وهو يُجيبها بعشق:

__خليك مُتأكدة إنك دائماً الحاجة الوحيدة اللي في حياتي
وإني لا يمكن أفرط فيك أبداً، أنا بقيت بهرب من تعبي ليك
وبرمي حمولي أول ما أشوف ضحكك.

ابتسمت "حبيبة" بشغف شديد أثناء اغماضها لعينيها
براحة، لتستمع بعدها إلى صوت "صهيب" المُشاكس لها:
_بس بقينا نعرف نتكلم ونزعل ونزعل كمان أهو.

ابتعدت عنه "حبيبة" ثم أردفت بحماس وهي تُصفق بيدها:
_بس إيه رأيك فيا! "أهلة" هي اللي معلماني ولما تيجي
هقولها عشان تفرح بيا.

جدد "صهيب" وجهه ساخطاً ثم تحدث بحنق:
_بقولك إيه يا بسكوتة أنتِ عاجباني وأنتِ كدا، متخليش
ست "أهلة" تبوظك برائتك.

جددت "حبيبة" وجهها بضيق ثم تشدقت بقولها:
_لأ "أهلة" صحبتي وبحبها وهي بتعلمني حاجات حلوة.

_حاجات حلوة إيه دي هي اللي مبوظاك.

حارة القناص

قالها "صهيب" باغتيال، ليأتي في تلك اللحظة "قاسم"
وخلفه "أهلة" التي تحدثت بسخط:

_جرا إيه ياخويا هي أي مصيبة تحصل معاك تيجي تقول
"أهلة"؟! بقولك إيه ابعده عني ومتخلنيش أحطك في دماغي
عشان مش هسيبك بعدها.

فتح "صهيب" فاهه بصدمة وهو يُشير تجاه نفسه قائلاً:
_ أنتِ بتهدديني؟!

أومات له "أهلة" بالإيجاب وأكدت له بقوة قائلة:

_ آه بهددك واعتبره زي ما تعتبره، مراتك كل يوم هعلمها
إزاي تثق في نفسها وتدافع عن نفسها عشان تعرف تتعامل
معاك.

رد عليها "صهيب" باهتياج:

_ وهو أنا كنت معلقها المشنقة ولا ماسكلها الحزام؟! ما
تشوف مراتك يا "قاسم"!

لم تهتم "أهلة" بصراخه بل اقتربت منه خطوتين حتى
توقفت على مقربة منه، وبعدها صاحت مُحذرة:

حارة القناص

_ أول حاجة صوتك ميعلاش عليا وأنا واقفة قدامك، تاني
حاجة مراتك صحبتي وزى أختي وهعلمها اللي أنا عايزاه
طالما في مصلحتها ومش بيضرها، تالت حاجة لو مش
عاجبك عندك القصر مليون حيطان اختار اللي تعجبك فيهم
واخبط راسك فيها، رابع حاجة أنا لحد دلوقتي محترماك
عشان أخو "قاسم" مش أكثر، لكن قسمًا بالله لو كنت واحد
غريب أنا مكنتش هخلي فيك حنة سليمة.

فرغ "صهيب" فاهه فاستدار ناظرًا نحو أخيه الذي جلس
بمئل على الأريكة مُتتاولاً بين يديه ثمرة من الموز ليأكلها
دون أن يبالي بشجارهم المُعتاد، اغتاظ "صهيب" فصرخ
حانقًا:

_ ما تتكلم ما عم أنت أنا زهقت منك ومن مراتك ومش عايز
أتكلم عشان هي واحدة ست بس.

طالعه "أهله" بتشنج، ثم أمسكت بيد "حبيبة" ثم جلست
على الأريكة بجانب "قاسم" مُربعة صدرها أمام صدرها
بعناد، طالعها "قاسم" بضحك وهي يهز رأسه بيأس على
مُعانديتها مع أخيه وكأنهم وُلدوا فوق رؤوس بعضهم
البعض.

حارة القناص

في تلك الأثناء رن هاتف "قاسم" بمكالمة فيديو مرئية وكان المتصل هو "يحيى" اتسعت ابتسامته ثم هب من مكانه فجأة وسط أنظار الجميع المتعجبة ثم قام بتوصيل هاتفه على شاشة التلفاز الكبيرة الموجودة أمامهم وفتح الهاتف، ظهر أمامه "رائد ويحيى" ومن خلفهم كان يقف الفتيات "يمنى، ملك، سهيلة"، اتسعت ابتسامته "أهله" باشتياق والتي هبت من مضجعتها لتقف أمام شاشة التلفاز قائلة باشتياق:

_"ملك" .. "يمنى" .. "سهيلة" وحشتوني أوي أوي.

أدمعت أعين "ملك" بقوة لرؤيتها لشقيققتها بعد غياب أسبوع كامل قضته مُغتربة في بلدٍ بعيدة، لذلك تحدثت باشتياق وصوت مبجوح:

_وأنتِ كمان يا "أهله" وحشتيني أوي ووحشتني القعدة معاكِ.

ظهر التأثر على وجه "أهله" والتي بدورها أردفت بحنو:
_ خلاص يا حبيبتي قربنا نرجع صدقيني، ماما عاملة إيه!
وحشتني هي كمان أوي.

تتلك المرة ردت عليها "يمنى" بحنين:

حارة القناص

_كلنا بخير يا "أهلة"، فاضل أنتِ بس تكوني موجودة بينا.

قاطع "رائد" ذلك الحديث مُغتاظًا:

_ما خلاص بقى إحنا متصلين بيهم عشان نعيظ!! خلونا نتكلم مع الرجالة بقى.

ضحك "قاسم" قائلًا:

_عامل إيه يا "رائد" وحشتي يا جدع.

رد عليه "رائد" بقول يعكس اشتياقه الشديد له:

_وأنت موحشتنيش ومش عايزكم ترجعوا على طول أنا كدا مرتاح.

وعقب حديثه شعر بنكزة قوية على كتفه كان مصدرها "ملك" التي تحدثت حانقة:

_وأنت مالك محدش طلب رأيك.

استدار لها "رائد" برأسه ثم تحدث مُحذرًا إياها:

_إيدك لو اتمدت تاني هجيبك من شعرك.

تدخلت "يمنى" قائلة بقوة:

_لو جدع اعملها وربنا أنت حر.

طالعتهم "أهله" بفخر ثم ربتت على صدرها بخفة قائلة
بتأثر:

_تربيتي.

في تلك الأثناء دخلت "مهرايل" ومعها "ألبرت" والتي ما
إن رأت الفتيات يظهرن على الشاشة حتى هرولت لتقف
أمامها وهي تقول بسعادة:

_وحشتوني أوي.

ردت عليها "يمنى" بسعادة هي الأخرى:

_وأنت كمان وحشتينا أوي يا "مهاميهو"، أومال فين
"لوسيند"؟!!

تحول وجه "لوسيندا" بحزن وهي تُجيبها:

_قاعدة جنب "چون" مش بتسيبه.

تتهد "يحيى" بضيق ثم تسائل بحزن:

_ هو حالته عاملة إيه دلوقتي يا "قاسم"؟!!

أجابه "قاسم" بهدوء:

_ الحمد لله كويس،، حالته بتتغير للأحسن بس محتاج وقت مش أكثر.

بالطبع كان الجميع على علم بما حدث لصديقهم "چون"، فقد أخبرهم "قاسم" بما حدث بأكمله وطمأنهم على حالته أيضاً.

دخل عليهم "فور" حينها حاملاً لطبق من الشطائر يلتهمها دون رحمة، لكنه توقف عن مضغ الطعام داخل حلقه عندما رأى صورتها تزين شاشة التلفاز، وأول شيء كان قد نطقه هو:

_ "هايلة"؟!!

إلتف الجميع إليه يُطالعونه بتعجب، بينما طرق فواد "سهيلة" يطرق بقوة بين جنبات صدرها، لقد اشتاقته حد

حارة القناص

اللعنة لكنه مُحَرَّم عليها، لذلك ستُحاول بشتى الطرق أن تنساه وتعتبره مثل أخيها لا أكثر، أخفضت "سهيلة" أنظارها تغض بصرها عنه ثم تحدثت بخفوت قائلة:

_.. ازيك يا "فور" عامل إيه؟!!

أجابها "فور" بسعادة عارمة:

_ أنا بخير كثيرًا الآن.

تدخل "رائد" في الحوار بقوله الهاديء:

_ واحشني يا "فور"، عامل إيه يا صحبي؟!!

رد عليه "فور" باشتياق شديد:

_ وأنا أيضًا اشتقت إليك يا صديقي واشتقت لتناول الطعام معك، بْتُ لا أحب أن أكل وحدي.

ضحك "رائد" بخفة قائلاً بسخرية أثناء نظره لطبق الطعام الذي بين يديه:

_ لا واضح يا حبيبي متحلفش بس.

حارة القناص

لمحت "أهلة" حزن "سهيلة" الواضح فتسائلت بريبة:

مالك يا "سهيلة" حاساك زعلانة ليه؟!

ابتلعت "سهيلة" ريقها بصعوبة وهي تحاول بقدر الإمكان ألا تبكي أمامهم، لذلك أجابتها بصوتٍ خرج مهزوزًا رغمًا عنها:

م.. مفيش حاجة.. هو بس من ضغط المذاكرة مش أكثر..

لم يقتنع أيًا منهم بأجابتها تلك، فقررت "أهلة" الإتصال بها عندما تكون وحدها حتى تعلم ما بها، نظر "قاسم" لـ"يحيى" قائلاً بترقب:

هتنفذ اللي اتفقنا عليه إمتى يا "يحيى"؟!

رد عليه "يحيى" بهدوء:

هننقل معاكم وهنروح ننفذ على طول، "وليد" عرف يجيب "مختار الأرماني" لحد عندنا ويعرفه طريق المطعم الجديد..

أوما له "قاسم" بشرود وظل يفكر مليًا في الخطوة القادمة، صعبة لكنها مهمة وللغاية، وبعدها ظل الجميع يتحدثون

حارة القناص

لبعض الوقت حتى جاء موعد تنفيذ الخطة وسيضطرون
للإغلاق، وقبل أن يغلقوا الهاتف تحدث "رائد" بتذكر:
_ آه يا "قاسم" قبل ما أنسى صحيح.. ابقى اتصل كل يوم
بـ"يحيى" واتطمئن عليه.

تعجب الجميع من طلبه فتسائل "قاسم" بريية:
_ ليه مش فاهم؟!!

جائه رد "رائد" المُشاكس بقوله:
_ أصله خير اللهم اجعله خير بقاله كام يوم محترم.

تجدد وجه "قاسم" بقلق والذي رد عليه بدهشة:
_ يا ساتر يارب! "يحيى" محترم؟!!

أوما له "رائد" بحسرة، ليستمع بعدها إلى صوت "يحيى"
المتشنج يصيح بهم:
_ جرا إيه يا خفيف أنت وهو، يلا يا ض عشان نمشي من
هنا بدل ما أقل منك.

قال جملته الأخيرة إلى "رائد" الذي انهمك في الضحك ثم أغلق الهاتف بوجه الجميع بغيظ تاركًا إياهم يضحكون على غيظه.

وبعدها اتجه كلاً من "رائد ويحيى ويمنى وملك" إلى المطعم الخاص بهم لتنفيذ خطتهم القادمة.

وصل الشباب ومعهم الفتيات إلى المطعم قبل وصول "مختار الأرماني" بنصف ساعة، وبالطبع لن يظهر "يحيى" أمامه لأنه ميت في نظره، قاموا بالاتفاق على كل شيء وكيف سيضعون الجهاز أسفل طاولتهم للتصنت عليهم، فـ"رائد" هو من سيخرج مُرتدياً زي النادل ويضع على فمه ماسك يخفي نصف وجهه حتى لا يتم كشفه.

وبالفعل وصل "مختار الأرماني" ومعه "وليد" وجلسوا على أحد الطاولات، وبعد دقائق قليلة خرج إليهم "رائد" بملامح وجه غير ظاهرة قائلاً بعملية:

__ حضرتك تطلب إيه يا فندم؟! __

أملاه "مختار" ما يريد فإستغل هو ذلك وقام بالصاق جهاز التصنت في ظهر الطاولة من الأسفل، وأما له "وليد" في الخفاء وأملاه طلبه، ليذهب "رائد" من أمامهم مُسرِعًا قبل أن يُكشف.

دخل "رائد" إلى غرفة المكتب مسرعًا، فوجد "يحيى" جالسًا على مقعد المكتب وتقف بجانبه "يمنى وملك"، قام بتفعيل الجهاز فوقف بجانبه "رائد" يستمع إلى حديث "وليد" والذي تسائل بهدوء:

__وحضرتك شاكك في إيه يا "مختار" بيه؟!!

نظر "مختار" أمامه بغموضٍ مُخيف ثم همس قائلاً بشر:
__"قاسم طاحون" متفق مع "صهيب".

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا نَسْمَةَ التَّرَاوِيحِ وَعَبْقَ التَّرَاتِيلِ وَلَذَّةَ السَّمَاعِ،
اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ. 🌙🕋

#الفصل_الأربعون.

#حارة_القناص.

#قلبي_المُغفل.

إن كنت تبحث عن مهربٍ للخروج؛ عليك تنظيف القمامة
التي خلفك أولاً، ابحث عن جهازٍ يُزيل جميع الفوضى دون
أن تُلوث يداك بنفاياتهم القذرة، ابعِد معصمك عن قيدهم
المُتسخ واهرب بعيداً إن لم تُقاوم، وإن قاومت؛ احرص على
الابتعاد عن محورهم لتظل نظيفاً.

__ "قاسم طاحون" متفق مع "صهيب".

كلماتٌ صعدت من فاه "مختار" بشرودٍ غامضٍ أدت إلى توتر الأجواء، نظر "يحيى" لـ "رائد" بأعينٍ مُتسعةٍ مصدومةٍ من هولٍ ما استمعوا إليه، هل يُعقل بأنهم كُشفوا؟! سؤالٌ ظل مُتعلقًا في عقول الجميع ولم يجدوا له إجابة حتى الآن، ويا ويلهم إن كانت الإجابة نعم!

حاول "وليد" التحكم في ثباته بقدرِ الإمكان والذي تسائل بهدوءٍ رغم ذلك الضحيح الذي يحدث داخله:

__ إيه الكلام دا يا "مختار" بيه؟! مش أنا مطمئن حضرتك إن العلاقة بين "صهيب" ابن حضرتك و"قاسم طاحون" مجرد علاقة صداقة عادية؟!!

رفع "مختار" عيناه يُطالعه بأنظارٍ ثابتةٍ وظل صامتًا وكأنه يحاول سبر أغواره، تشكّل القلق بفؤادٍ "وليد" خوفًا من أنه قد كُشف هو الآخر، ولم يطيل تفكيره حتى خرج "مختار" عن صمته قائلاً بنبرةٍ غامضة:

__ أصلٍ ليه يتم تفجير شركة من شركات عيلة "الأرمانى" وقت وجودهم هناك تحديدًا؟! "قاسم" وطلع بعثة تبع

المستشفى ودا أنا على علم بيه، إنما حوار إن "صهيب" يطلعه مأمورية كدا فجأة مش مريحاني، والعميد "مغازي" يكلمني يقولي إن مكان المأمورية في روسيا مكان ما موجود فيه "قاسم طاحون"! الموضوع فيه إن وأنا هوصله.

حاول "وليد" رده عن تفكيره فأردف بثبات:

أنا لما راقبتهم لقيت إن "صهيب" بيه كان شاكك في "قاسم طاحون"، ولما لقاها ماشي في السليم وملهوش علاقة بأي حاجة حصلت كَوْن صحوية معاه وبقوا مع بعض دايماً.

هز "مختار" رأسه عدة مرات بخفة وهو يفكر ملياً فيما استمع إليه، حديث "وليد" لم يقنعه مئة بالمئة، لكن وجودهم هناك سويًا في نفس الوقت الذي تم فيه تخريب إحدى شركاته يُثير شكوكه وريبته بقوة، وبالجهة المُقابلة كان القلق قد بدأ يتسرب لفؤاد "وليد" عندما لاحظ عدم اقتناعه بحديثه، لذا عليه تقديم الأدلة والبراهين التي تُثبت عكس شكوكه الأيام المُقبلة.

بينما على الطرف الآخر؛ ضرب "يحيى" كفيه ببعضهما البعض أثناء حديثه المُهتاج:

حارة القناص

_ كدا الزفت "مختار" بدأ يشك فينا، لو عرف حاجة كل اللي عملناه هيروح في ثانية.

أيد "رائد" حديثه بقوله الحاقد:

_ أنا مش عارف انتوا ساكتين عليه لحد دلوقتي ليه؟! ما تقتلوه أو يقبضوا عليه وخلص.

تلك المرة ردت عليه "يمنى" بمعالم وجه ساخطة منذ أن استمعت لحديث الحقيير الآخر:

_ مفيش أي أدلة تدينه، كل الورق والشحنات باسم "صهيب"، ولو الورق دا اتمسك "صهيب" هيروح في ستين داهية ومش بعيد يتعدم كمان.

شد "رائد" على خصلاته غيظًا، فاستمع بعدها إلى صوت "ملك" المتسائل بقلق:

_ طب و"صهيب" ماله بالحوار دا؟! مش "مختار" هو صاحب العمليات دي كلها؟!!

زفر "يحيى" بسخط ثم رد عليها قائلاً:

__ "مختار" كان مستغل "صهيب" وبمضيه على ورق الشُحُنات من غير ما يأخذ باله، ودا مش كان صعب على واحد دماغه سيم زي "مختار"، ومعظم الصفقات اللي تمت كانت بتوقيع "صهيب"، وطبعًا هو مكانش مخونه لإن "مختار" كان في نظره أبوه اللي ميقدرش يأذيه.

طالعت "ملك" شقيقتها بقلقٍ بالغ خوفًا على شقيقتهم الثالثة، والتي تُعتبر وسط مجموعة من الذئاب التي لا ترحم، فإن تم كشفها سينهشوا لحم جسدها وهي حية دون الشعور بالشفقة، لذلك لم تترك "ملك" ما يورقها دون أن تتسائل بتردد:

__ طيب.. طيب وموقف "أهلة" إيه دلوقتي؟! أنا خايفة يحصلها حاجة، خصوصًا إن هي متهورة في الحوار دا بالذات.

استدار لها "رائد" برأسه ثم تحدث مطمئنًا إياها بحنان:

__ متقلقيش على "أهلة" هي في أمان مع "قاسم"، "قاسم" مستحيل يخلي حد يأذيها أبدًا.

حارة القناص

أومات له "ملك" بقلق لم يقل مُماثل لقلق "يمنى" التي
طالعتها بعدم راحة، لاحظ "يحيى" حالة الأجواء المتوترة
بينهما فأردف بنبرة مُمازحة كانت غبية بعض الشيء:

_ خلاص متقلقوش يا جماعة، مش يمكن إحنا اللي نموت
الأول!

طالعه "يمنى" بتشنج فتحدثت ساخطة:

_ طب نقطنا بسكاتك يا "يحيى".

رفع "يحيى" حاجبيه باستنكار ثم أردف قائلاً:

_ اتكلمي كويس يا أخت "يمنى" عشان مقطّش فروتك بين
إيديا.

فرغت "يمنى" فاهها بعدم تصديق وهي تُشير لذاتها
بدهشة:

_ أنت.. أنت بتكلمني أنا كدا؟!!

أشاح "يحيى" بيده أمام وجهها وهو يتخصر في مكانه:

حارة القناص

_أومال بكلم أُمي؟! لأ بقولك إيه مش معنى إن أنا كنت هادي اليومين اللي فاتوا دول يبقى "يحيى" القديم مات، لأ فوقى وصححي كدا "يحيى" مبيتغيرش.

قطبت "يمنى" جبينها بضيق ثم ردت عليه بنبرة حادة:

_إن شالله عنك ما اتغيرت أنت بتتكلم كدا ليه؟ متخلينيش أقلب عليك يا "يحيى" عشان أنا قلبتي وحشة.

_قولي كدا "يحيى" تاني؟!!

ترك الحديث بأكمله وقالها بهيام بعد أن نطقت اسمه بكل وضوح أثناء غضبها، ليقع في حُب ذاته للمرة المائة بعد الألف.

كانت "يمنى" تُحدجه بعدم تصديق لتحوله المفاجيء، لتتدخل "ملك" في الحديث قائلة بسماجة:
_ اتقي الله يا أخ "يحيى" وغض بصرك.

فاق "يحيى" من حالته الهائمة ثم حمم قائلاً بجدية وهو يُعدل من ياقة ثيابه:

حارة القناص

معك حق شقيقتي في الله، وأنتِ يا أخت "يمنى" أرجو
عدم الحديث معي مُجددًا حتى تُصباحي زوجتي وأفعل ما
أشاء.

كتم "رائد" ضحكته بصعوبة أثناء قوله المُتسائل:

هتفعل ما تشاء إزاي يعني؟!

رمى له "يحيى" نظرات نارية فأردف حانقًا:

ملكش دعوة ياض وخلينا نركز بقى في اللي إحنا جايين
عشانه.

وبالفعل انتبه الجميع لشاشة الحاسوب الذي يعرض لهم
المطعم بأكمله، خاصةً هؤلاء الرجال المُتميزون بحلتهم
السوداء والذين أتوا للتو، قطب "رائد" جبينه بتعجب عندما
وجدهم قد جلسوا أمام الطاولة التي يجلس عليها كلاً من
"مختار ووليد"، وبعدها تسائل بريية:

هُما مين دول؟!

هزّ "يحيى" كتفيه بجهل قائلاً أثناء تعليق أنظاره على أوجه
هؤلاء:

مش عارف، أو مش فاكِر، أنا حاسس إنى شوفتهم قبل
كدا وناسي.

وعلى الجانب الآخر، جلس مجموعة من الرجال كان عددهم
أربعة تقريباً على الطاولة الخاصة بـ "مختار الأرماني"،
قطب "وليد" جبينه بشكٍ خاصةً وأن "مختار" لم يُعلمه
بقدوم هؤلاء، يبدو أن موقفه يزداد صعوبةً وتعقيداً وسيكون
هو المتضرر الوحيد بتلك الجلسة.

اعتدل "وليد" في جلسته يرسم الثبات واللامبالاة على
وجهه وكم برع في ذلك! حتى من يراه يظنه شخصاً صعباً
من وجوم وجهه وجديته الظاهرة، استدار "مختار" له ثم
أشار للرجال عليه مُعرفاً به بقوله باللكنة الروسية:

هذا "وليد سعيد" مدير أعمالى وذراعى الأيمن.

خلع الرجل نظارته السوداء من على عيناه التي تُماثل لون
نظارته، ثم طالع "وليد" بنظرات مُتمعنة وكأنه يُحاول سبر
أغواره، وكذلك بادلته "وليد" النظرات، يشعر بعدم الراحة
إليه خاصةً وأن مظهره غريب بعض الشيء، بشواربه
الكثيفة وذقنه النامية بكثرة، اغتصب "وليد" ابتسامة طفيفة
على ثغره فرحب به قائلاً:

حارة القناص

_ تشرفت بمعرفتك يا سيد.

أجابه الآخر ببرود وهو يهز رأسه بخفة:
_ أعلم.

تشنج وجه "وليد" باستنكار من قلة زوقه وانعدام احترامه،
فاستمع بعدها إلى صوت الرجل الذي يُجالسه والذي كان
أصلعًا يقول بود تخفيًا من توتر الأجواء:
_ أخي يحب المزاح لا أكثر، المهم نحن تشرفنا بك أكثر سيد
"وليد".

ورغم سخط "وليد" على الموقف بأكمله وكُرهه لمن
يجلسون أمامه جميعًا، هز رأسه بهدوء قائلاً:
_ أهلاً بك.

تدخل "مختار" في الحديث قائلاً وهو يُشير تجاه الرجال
يُعرّف بهم:
_ هذا "ميشيل"، وذلك "راي"، والذي يُجاوره "فيران"،
وبعده "چاك".

حارة القناص

هز الجميع رأسهم بترحيب فبدأ "مختار" أن يُوجه حديثه
لـ"ميشيل" قائلاً بجدية مُفرطة:

ـ حسناً سيد "ميشيل"، لقد أخبرتني أن هناك ما تُريد اخباره
لي.

هز "ميشيل" رأسه بالإيجاب ثم تقدم منه قائلاً بنبرة
غامضة بعض الشيء:

ـ أظن أن هناك خائن سيد "مختار".

ابتلع "مختار" ريقه بريبة فتسائل بشك:

ـ وكيف علمت ذلك؟

شبَّك "ميشيل" أصابعه معاً ثم بدأ بقول ما استنتجه بلمحة
من الغضب:

ـ أولاً تتدمر جميع مُمتلكات عائلتك بمصر ولم يبق لك شيئاً
هنا، هناك قاتل ما يسطاد عائلتك تحديداً لقتلهم، اشترك
زوجة أخيك في هذا العمل وموتها بعد ذلك، وأخيراً تبدأ
مُمتلكاتك بروسيا بأن تفنى مثل سابقيها، ماذا عن كل ذلك!

حارة القناص

ومع كل فعل مشين يذكره "ميشيل" له يزداد غضب
"مختار" أكثر حتى صعدت الدماء لرأسه، حاول "مختار"
الثبات والتحكم في أعصابه بقوله الهاديء نسبيًا:
_ سأصل إلى الفاعل في أقرب وقت، أعدك بذلك.

تلك المرة تدخل "فيران" مُتحدثًا بقوله المُتعصب:

_ متى ستصل سيد "مختار"؟! هل عندما تتدمر جميع
الشركات المُشتركة بيننا مثلما حدث معك هنا بمصر؟! عذرًا
يا سيد، فنحن لن ننتظر حتى نُعلن افلاسنا أيضًا.

ضيّق "مختار" عينه برؤية وهو يتسائل بفرع داخلي:
_ ماذا تقصد بحديثك هذا؟!

أجابه "راي" بلامبالاة أثناء التقاطه لكأس المياه من على
الطاولة:

_ يعني أننا سنفض شراكتنا تلك إن لم تصل للفاعل في أقرب
وقت، وصدقني سيد "مختار"؛ إن تدمرت إحدى شركائنا
ستدمر معها أنت أيضًا.

حارة القناص

غزا العرق جبين "مختار" خوفًا، فحياته الآن بين يدي مَنْ لا يوجد بقلوبهم الرحمة، فرغم علاقاتهم المُشتركة معًا؛ إلا أنهم لا يُسامحون أبدًا، وإن سامحوا؛ فالقتل هو المُقابل!

أخرج منديلًا ورقيًا من جيب بذلته ثم جفف به عرق وجهه أثناء قوله المُتوتر والذي لم ينجح تلك المرة في إخفاءه:
_حسنا أعدك بأنني سأصل للفاعل قريبًا، لكن أريد مساعدة صغيرة منكم؛ فلتبحثوا معي.

تشكّلت ابتسامة خبيثة على وجه "ميشيل" والذي نظر مباشرةً لكاميرا المراقبة التي تُواجهه، ثم تحدث بخبث:
_نحن نبحث بالفعل واقتربنا من الوصول.

وعلى الجانب الآخر، اتسعت حدقتي الجميع بفزع أثر نظر "ميشيل" على كاميرا المراقبة وكأنه يعلم بوجودهم! لطم "يحيى" على وجهه بفزع صارخًا:

_يا لهوي، يا مراري، يا حزني، يختاي!!!

ابتلع "رائد" ريقه وهو على مشارف البكاء قائلاً برعب:

حارة القناص

_هو.. هو قصده إيه بالكلام الماسخ دا؟! أكيد مش عارف
بوجودنا يعني، ولا إيه؟! ما تنطق يا "يحيى"؟!!

ولول "يحيى" قائلًا بحسرة:

_سيب "يحيى" في حاله بقى، مش كان زمانى شغال على
عربية فول ولا كبدة وسجق؟! أنا إيه اللي جابني هنا بس!
حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا "يمنى".

تشنج وجه "يمنى" بسخط فتحدثت باغتيال:

_وزفتة الطين عملت فيك إيه دلوقتي؟!!

استدار لها قائلًا بصوتٍ مقهور:

_مش كنت قتلتيني أحسن بدل ما هما اللي يتقلوني؟! يا
ترى هيرموا لحمي لكلب هاكسي ولا بلدي؟!!

حزنت "يمنى" من تذكيره لها لأسوأ فترة في حياتها لكنها
أخفت حزنها بسرعة واستدارت لتطالع شاشة الحاسوب
دون أن تُجيبه، بينما "ملك" طالعت كُلاً من "رائد ويحيى"
باشمئزاز أثناء قولها الساخر:

حارة القناص

صدق اللي قال الرجال ماتوا في الحرب، ما تنشف ياض أنت وهو.

حدجها "رائد" ساخطاً أثناء قوله المُغْتَاط:

ما هو اللي إيده في المايه الباردة مش زي اللي إيده في النار، اتفرجي واسمعي ياختي يكش تتهدي وتسمعي كلامي وترضي تتجوزيني قبل ما أموت.

طالعه "ملك" بعنجهية ثم حوّلت أنظارها تجاه الشاشة التي تعرض أمامهم الرجال، فوجدوا كُلاً من "مختار ووليد" يقفان من على الطاولة ويتجهون نحو الخارج، بينما الأربعة رجال مازالوا يجلسون على الطاولة لبضعة دقائق، وللعجب أنهم صامتون! حتى أنهم لم يتحدثوا ولو بكلمة واحدة، فقد ينظرون لبعضهم البعض بصمت وكأن بينهم تواصل بصري لا يستطيع أي شخص فهمه سواهم!

قطبت "يمنى" جبينها بتعجب وهي تتسائل باستغراب:

هُما مالهم؟!!

وما إن أنهت سؤالها حتى وجدت الرجال ينتفضون من أماكنهم ثم أسرعوا إلى أحد الأركان بسرعة هائلة! لم يكذب

أن يستوعبوا ما حدث؛ حتى وجدوا الأربعة رجال يقتحمون
الغرفة بعنف ثم رفعوا أسلحتهم على رؤوسهم بملامح وجه
مُخيفة بعض الشيء! وتبعه حديث "ميشيل" الذي تحدث
بفحيح:

_مرحبًا يا أوغادا!

أيا قلبٍ عاهدت على عدم الميل ومِلت، ورفضت الأسباب
واستنتجت، وعزمت على التخطي وتخطيت، وأقسمت على
الأُحِبِّ وأحببت؛ متى ستجتاز!

صعد "قاسم" مع "أهلة" إلى غرفتهم الخاصة بعد أن تركوا
الجميع بالأسفل مع "مهرايل" التي تقص لهم مُغامرات
خطفها وكأنها كانت بعرض سينمائي ليس إلا! اتجه
"قاسم" إلى الخزانة ثم أخرج منها ثيابًا أخرى ليرتديها،
بينما "أهلة" ارتمت على الفراش من خلفها مُتتهدة بعمق
وهي تُغمض مقلتها بإرهاق، استدار لها "قاسم" ثم سألها
بهدوء:

_مش هتغيري هدومك؟!

حارة القناص

أجابته وهي على نفس وضعها:
_هقوم أهو.

أوما لها بهدوء ثم اتجه نحو المرحاض ليُبدل ثيابه، وعقب رحيله شددت بكفيها على الفراش تُحاول نسيان ما روته اليوم علّه يخرج من داخل عقلها المريض بهواجس الخوف والقلق، ولكن رغماً عنها عادت ذاكرتها ليومٍ من الأيام المشؤومة التي عايشتها، يومٌ أقل ما يُقال عنه بأنه بشع.

.....
_أنا.. أنا أسفة والله مش.. مش كان قصدي.

هتفت بها "أهله" الصغيرة وهي تختبئ خلف إحدى الأرائك الوثيرة خوفاً من ذلك الوحش الذي كاد أن يلتهمها، خرج صوت الآخر غاضباً وهو يصرخ بها بعنف:

_أنا هخليك تتمني الموت النهاردة، هعلمك الأدب من أول جديد.

بكت الصغيرة بصوتٍ مسموع وهي ترتعش مكانها، فاستمعت إلى صوته المُهتاج يصرخ بها:

هو أنا مش قولتك مش عايز أسمع صوت؟!
متعيطيش!!

مسحت وجهها من الدموع بسرعة رهيبة وهي تهز رأسها بهسيريا لتجنب غضبه، وبعد أن انتهت وضعت كفها الصغير على فاهها تكتمه حتى لا يخونها صوتها ويخرج لإغضابه مُجددًا، لكن الصغيرة لم تكن تعي بما يُخطط له، لقد جعلها تلتهي بمسح وجهها فاقترب منها على بغتة ثم قام بجذب خصلاتها القصيرة بين يديه حتى باتت قريبة منه للغاية، وبعدها تحدث بفحيحٍ أروعها:

لو سمعت صوتك هقتك، سامعة؟

أنهى حديثه تزامنًا مع اتساع حدقتها برعبٍ عندما رآته يخلع حزام بنطاله ويلفه حول يده عدة مرات مُتتالية، اقترب منها ببطيٍ وهي تعود للخلف على كلتا يديها وقدميها بهلع، فلم يُزيده هذا إلا انتشاءً، خرج صوته هامسًا بشر أمرًا إياها:

اكتمي بوقك، ولو سمعتك بتصوتي هزود في الضرب.

وما كان عليها سوى أن تدفن وجهها بين قدميها وكفها موضوعًا على فاهها كما اعتادت أن تفعل دائمًا حتى توازي

ساديته وأفعاله، كان يهبط على جسدها بقوة ولا يُسمع منها سوى صوتٍ مكتوم ودموعٍ تهبط بصمت، وحين انتهى تركها هامة تتنفس بصعوبة بالغة وكأنها ستلتقط أنفاسها الأخيرة من تآلم فؤادها الذي تحمل فوق مقداره من الكتمان.

في تلك الأثناء، كان "قاسم" يخرج من المرحاض مُجففاً خصلاته بالمنشفة التي تقبع بين يديه، انقبض قلبه رُعباً عندما شاهدها مُتمددة على الفراش ويظهر على وجهها التشنج والفرع، لذلك هرول إليها دون أن يُفكر، رمى المنشفة أرضاً ثم جلس جانبها رافعاً جسدها بين ذراعيه حتى استقرت رأسها على صدره، لكنها لم تترك الفراش من أسفلها، بل ظلت مُتمسكة به تضغط عليه بقوة وكأنه آخر أمل لها للنجاة! رفع "قاسم" كفه ثم ضرب بأصابعه على وجهها يُناديها برعب وقلبٍ خافق بفرع:

_"أهلة" .. "أهلة" فوقي.. أنا معاكِ.. "أهلة"!..

كانت "أهلة" تستمع إلى صوته أثناء غيبوبتها القصيرة، وكان هناك موجة من الذكريات انتشلتها لتسجنها بين مياهها المُتسخة بمرارة الواقع، هزت رأسها بهستيريا تُحاول تتبع مصدر الصوت والتشبث به، فكرر "قاسم" ندائه بقلق أشد وبنبرة مُرتعشة:

__ "أهلة" عشان خاطري اصحي.. فوقي عشان خاطري أنا
أسف.

ذلك المشهد ذكّره بما حدث معه قديمًا، عندما كانت والدته
مكانها وهو يترجاها بأن تستيقظ لأجله ولا تتركه وحيدًا،
وها هي الذكريات تعود مرة أخرى لثأجمه، لتتشكل طبقة
رقيقة من الدموع داخل حدقاته وهو يُناديها بـرجاءٍ واضح:

__ "أهلة" فوقي عشاني.

وتلك المرة استجابت لنداؤه، وكأن تلك الغصة التي ناداها
بها أيقظت جزءً من عقلها جاعلة إياها تشفق بعنف وكأنها
كانت كالغريق الذي ينتظر موعد انقاضه، ارتفع صدر
"أهلة" صعودًا وهبوطًا بنهيجٍ عنيف ومقلتها مُتسعان
للغاية، نظرت حولها فوجدت "قاسم" يجلس جانبها بدموع
مكتومة استطاعت رؤيتها بسهولة لقربه منه، وبدون أن
تُفكر انطلقت لأحضانهُ تُعانقه بقوة، وهو لف ذراعيه حول
خصرها يُشدد من احتضانها حتى كاد أن يدخلها داخل
صدره، شعر بكفها يضرب على ظهره بعنف أثناء صراخها
المُهاج:

__ أنا تعبت.. أقسم بالله أنا تعبت ومش قادرة استحمل
الوجع.

عض على شفثيه بقوة ليمنع خروج صوته، بينما هي كتمت
وجهها داخل صدره قائلة بصوتٍ مكتوم حتى لا يستمع أحد
إلى صراخها:

أنا تعبت من حياتي ومن الدنيا كلها، مبقتش عايزة
أعيش وأجازف أكثر من كدا، أنا بكره الناس، هما اللي
وصلوني لكدا، أنا بكره الكُل وبكرهك أنت كمان،
سامعني يا "قاسم" بكرهك.

وكأنها تقول حديثها هذا من ضعفها وقلة حيلتها، فمع
حديثها الأخير كانت تُشدد من احتضانه والضغط فوق
صدره، فوأدها مكلوم بجرحٍ لا تعلم كيف تداويه، كل شيء
من حولها يدعو إلى الانهيار، وحتى حقها في الانهيار مُنعت
منه بأبشع الطرق، دفن "قاسم" وجهه بين ثنايا عنقها
وسمح لأول دمعة مَقهورة بالهطول، مقهورٌ على حالتها،
على صحتها، على ألمها، على حُزنها، مقهورٌ على روحها
التي أنتهكت منذ الصغر، طبع قُبلة رقيقة مكان عرقها
النابض في رقبتها، ثم تحدث بتحشرج:

عيطي يا "أهلة" وأنا معاك، حاولي وأنا هساندك، والله
مش هسيبك بس كفاية كتم في وجعك، لو ليا خاطر عندك
حاولي ولو محاولة واحدة بس.

أنتَ الوحيد اللي ليك خاطر في قلبي يا "قاسم".

في تلك اللحظة كان مقدار ألم فؤادها لا يُحتمل، فعضت على ثيابه بأسنانها بقوة مهولة حتى تُجازف، تشعر بأن حياتها على المحك الآن وأن قلبها لن يتحمل معها مُجددًا بسبب قوة الألم، تشبثت في ثيابه من الخلف وكتمت أنفاسها، أصابها الدوار، التقيؤ، الصداع، والألم، وحين تجمعت كل تلك الأمراض بجسدها في آنٍ واحد صرخت بقهرٍ لم تعد تتحمله، صرخت بظلمٍ تمك من أوردتها، صرخة كانت عبارة عن شكوةٍ من العالم بأكلمه، صرخة تُوضح بها مقدار مُعاناتها وسوء حياتها، وإن كان الحجر يبكي؛ لبكى.

كانت صرخة واحدة لكن بلا دموع أو بكاء، لكن هو بكى وهببت دموعه بدلًا منها، وكأن هناك رابط جمع بين روجيهما جعله يشعر بالأمها، بينما هي استندت بجبينها على صدره تتنفس بنهيجٍ وكأنها تُحارب، اعتدل هو جالسًا على الفراش، ثم جذبها إليه لتجلس على قدميه ثم أمال رأسها للخلف لتنام على ذراعه، وكأنها طفلة صغيرة تنام على قدم أبيها ليحميها من البشر، أحاطت هي خصره وأمسكت بثيابه بحماية، وهو جذب رأسه إليه ودفن رأسه داخل خصلاتها وبدأ بقراءة آياتٍ من القرآن بصوتٍ خفيضٍ

حارة القناص

بتَّ الراحة والطمأنينة لفؤادها، حتى ذهبت في ثباتٍ عميق
بعد وقتٍ طويلٍ من الأرق.

اعتزل ما يؤذيك وابتعد عن البشر.

فزع الجميع من الدخول المفاجيء للرجال فرفع "يحيى"
ذراعيه للأعلى مُتحدثًا بهلع:
_خدوهم هُما أنا مليش دعوة.

طالعه "رائد" بغیظ والذي تسلل بروية للوقوف خلفه، ثم
تحدث بصوتٍ خفيضٍ حائق:
_أنت صاحب مش جدع، ولو طلعا عايشين من هنا مش
عايز أشوف وشك تاني.

لطم "يحيى" على وجهه صارخًا:

_مش لما نعيش، يا مـراري مش هتجوز البت
حتى!

حارة القناص

ابتلعت "يمنى" ريقها بريبة ثم تحدثت بصوتٍ خائف:
_أنا مش عايزة أتجوزك يا "يحيى"، أنا عايزة أعيش يا
اللي منكم لله.

جاورتها "ملك" التي أمسكت يدها بخوف وهي تردف
بصوت خائف:

_وأنا عايزة أتجوز، بقولك إيه يا "رائد" أنا موافقة إني
أتجوزك.

أخرج "رائد" رأسه من خلف جسد "يحيى" وعلى وجهه
ترتسم ابتسامة بالغة فقال بتهليل:

_قولي أقسم بالله كدا؟! ليك عليا لو عيشنا هعملك حنة
فرح؟! هاأكلك فيه فسيخ ورنجة.

كادت "ملك" أن ترد عليه لكن استمعوا إلى صوت طلقة
طائشة تخطت من جانبهم، ابتلع الجميع ريقهم برعب من
معالم الإجرام المرتسمة على وجوههم، فاستجمع "يحيى"
شجاعته الهاربة ثم تسائل بجديّة:

_انتوا مين وعايزين إيه؟!!

حارة القناص

رد عليه "ميشيل" بفحيح:

_روحك.. نحتاج روحك أنت وهؤلاء الحمقى.

ضيق "يحيى" وجهه بتفكير من تلك النبوة التي استمع لها
مُسبِقًا، لذلك تحدث بشك:

_انت مين؟! أنا حاسس إن أنا عارفك.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على ثغر الآخر أثناء اخفاضه
لسلاحه للأسفل، ثم مدَّ يده لجذب لحيته وشاربه لإبعادهم
عن وجهه، وبعدها تحدث بسخرية لاذعة:

_لا أعلم كيف يثق "قاسم" في حِفنة من الأغبياء مثلكم!

فتح "رائد" فاهه بعدم تصديق ناطقًا اسمه بدهشة جليّة:

_ "ستيفن"؟!!

رد عليه "ستيفن" بنبرة جامدة:

_ نعم هذا أنا يا مُغفل، ماذا كنت تظن بحق الله؟ ألم يخبراكم

" قاسم وألبرت" بالأمر؟!!

حارة القناص

هزوا رأسهم بالنفي، ليتحدث "آندريه" ضاحكًا:
_إذن حلالٌ عليكم فزعكم هذا.

خرج "رائد" من خلف جسد "يحيى" المُتشنج، ثم تحدث
بدهشة:

_يعني إيه مش فاهم!

أجابه "إيغور" بصوتٍ هاديٍ ء:

_يعني أن كل هذا مُتفقٌ عليه، ومن المُفترض أن تكونوا
على علمٍ به.

تحدث "يحيى" مشدوهاً:

_برضه مش فاهم! إزاي متفقين عليه؟! هو انتوا شغالين
مع "مختار الأرماني"؟!!

جائه الرد تلك المرة من "ليونيد" الذي شرح له بعد أن
ارتقى يجلس على الأريكة من خلفه:

_لسنا نعمل معه، بل هي خطة تمويهية لضبطه مُتهدماً
بالأوراق والدلائل دون أن يُصاب "صُهب" بأي ضرر،
ولحين يحدث هذا فإننا نعمل معه بطريقة غير مُباشرة.

تدخلت "يمنى" مُتسائلة بتعجب:

_وهيحصل دا إمتى؟!!

أجابها "ستيفن" بهدوءٍ قائلاً:

_حين نصل لجميع الأوراق التي وقَّع عليها "صهيب"
وتدميرها تمامًا.

أوما لهم الجميع بفهمِ الآن، ليتحدث "يحيى" مُغتاظًا:

_بس برضه كان لازم نفهم بالإتفاق دا، يعني عاجبكم اللي
حصل دا! البنات كانوا مخضوضين جدًّا.

أيد "رائد" حديثه بقوله المُعاتب:

_أيوا فعلاً البنات كانوا خايفين، بس يلا ربنا يسامحك طالما
غرضكم كان خير.

تشنج وجه الفتاتان باستتكار من حديثهما، لتتحدث "ملك"
بسخط:

_إحنا برضه اللي كُنا خايفين؟! صحيح اللي اختشوا ماتوا
والباقي مبقاش عندهم دم.

أمسكت "يمنى" بيد شقيقتها ثم تحدثت بغیظ قبل أن يذہبا:
_يلاً يا "ملك" نمشي من هنا أصلها مش ناقصة فقع
مرارة.

قالتها ثم سحبت يد "ملك" ومعها ثم خرجتا من المطعم
بأكمله تاركين كلاً من "يحيى ورائد" ينظرون لأثرهم بسخط
وكانهم ليسوا المخطئون مثلاً!

إن الحقد والبغض يملؤ القلوب؛ فتأكد أن البشرية بأكملها
ستهلك دون أن تجد يد العون، تلك البذرة الحاقدة التي تنمو
تدريجياً داخل فؤادك ستأذى بها ولن تتعايش، تغييرك لن
يأتي بالنفع على أحد، لكن سيكون بالنسبة إليك انتصاراً
عظيماً.

خرجت "ريماس" من المرحاض وهي تلطم على وجهها
عدة مرات برعب، ابتلعت ريقها بفرع تدور حول نفسها
بالغرفة أثناء امساكها لاختبار الحمل بين يديها والذي كانت
نتيجته إيجابية!

اتجهت نحو الفراش لتجلس على طرفه ثم مدت يدها المُرْتَعِشَةَ لِلإِمْسَاكِ بِكُوبِ المِيَاهِ بِصُعُوبَةٍ، وَجَدَتْ صُعُوبَةً بِالْغَةِ فِي حَمَلِهِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ فَرَفَعَتْ الأُخْرَى وَأَمْسَكَتْ بِهِ بِكِلْتَيْهِمَا، وَبَعْدَهَا ارْتَشَفَتْ عِدَّةَ قَطْرَاتٍ لِثُبُلٍ جَوْفِهَا الخَالِي مِنْ المِيَاهِ، أَعَادَتْ الكُوبَ مَكَانَهُ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ نَظَرَتْ مُجَدِّدًا لِلإِخْتِبَارِ بِصَدْمَةِ هَائِلَةٍ، وَضَعْتَهُ جَانِبًا ثُمَّ وَضَعَتْ كَفِيهَا عَلَى وَجْهِهَا لِتُخْفِيهِ مُتَحَدِّثَةً بِهَمْسٍ مُصْدُومٍ:

يا نهار أسود هعمل إيه دلوقتي!! يا دي المصيبة السوداء
أنا كدا هروح في داهية.

حاولت "ريماس" جمع شتاتها والثبات قليلاً حتى تجد حلاً لتلك المصيبة التي وقعت فوق رأسها، لذلك انتظرت قليلاً لتهدأ، وبعدها ارتدت ثياباً مناسبة ثم أمسكت باختبار حملها واتجهت صوب غرفة "أنس" التي اعتادت أن تذهب إليها ليلاً.

طرقت الباب أولاً ثم فتحته على فجأة، لتجده جالساً على الفراش يحمل بين يديه هاتفه وعلى ثغره ترتسم ابتسامة واسعة أثارت شكها، رفع "أنس" أنظاره يطالعها بهدوء، ثم أخفض رأسه للهاتف مجدداً متسائلاً بنبرة باردة:

_خير يا "ريمو" إيه اللي جابك دلوقتي؟ مش أنت بتجيلي
بالليل؟!

اقتربت منه "ريماس" بعد أن أغلقت الباب خلفها، ثم
تحدثت بهمس باك:
_أنا حامل يا "أنس".

لم تتغير ملامح "أنس" الذي أجابها بنفس النبوة الباردة:
_إيه دا بجد؟! يعني أنا هبقى عم قريب؟

رددت "ريماس" كلمته الأخيرة بصدمة واضحة:
_عم؟ بقولك أنا حامل منك.

هَبَّ "أنس" من مكانه مُنتفضًا، ثم تحدث باستنكار:
_نعم ياختي مني أنا؟ ودا حصل إمتي إن شاء الله؟!

تجمدت أطراف "ريماس" ببرودة قارصة من صدمتها به،
فاستجمعت قوتها الواهية ثم توقفت أمامه قائلة بصوتٍ
مرتعش خائف:

حارة القناص

__ يعني إيه إمتي؟! محدش غيرك قَرَّب مني.

رد عليها "أنس" بوقاحة وتبجح:

__ محصلش، روعي شوفي الواد دا ابن مين وابعدي عن
سِكتي أنا مش ناقصك.

قالها ثم اتجه عدة خطوات نحو الشُرفة، فهرولت خلفه
مُمسكة ذراعه بعنف:

__ أنت اتجننت يا "أنس"؟! بتبيعي وتخلي بيا بعد ما سلمتك
نفسي؟!!

دفعها "أنس" جانبًا بقوة ثم واجهها بحقيقتها القذرة بقوله
القاسي:

__ كُلّه كان بمزاجك ومغصبتكيش على حاجة، فأنت زي
الشاطرة كدا تبعدي عني وتروحي تشوفي مين أبو الواد بدل
ما أذك.

كانت "ريماس" تستمع إليه باندهاش مُعَبق بكراهية بدأت
بالنمو، ابتلعت ريقها بصعوبة ثم خرج صوتها مبحوحًا
تقول:

يعني.. يعني إيه يا "أنس"؟!

طالعها "أنس" بلامبالاة ثم أخرج لفافة تبغ من جيب بنطاله
وقام بإشعالها ببرودٍ تام قبل أن يُجيبها ببرود:

_يعني حلي عن دماغي يا "ريماس" مش ناقصك، والكام
يوم اللي قضيناهم سوا انسيهم وامسحيهم من دماغك
خالص، إحنا كُنا بنتسلى بس مش أكثر، ولو خايقة أوي كدا
روحي نزلي اللي في بطنك ومتقرفيناش.

الصدمة كانت سيّدة الموقف، لم تكن ترى خداعه الأيام
المُسبقة، حديثه المعسول أعمى بصيرتها عن مكره المُلازم
له، حبها له أخفى بشاعته عنها ولم تستشف حقارته إلا
الآن، وهُنا خرج صوتها مُتألماً تسأله بيبكاء:

_يعني.. يعني أنت مش بتحبني زي ما قولتلي.

سحب "أنس" نفساً عميقاً من عُقب سيجارته ثم زفر دخانه
على مهل قبل أن يُجيبها بالنفي:

_تو.. مش بحبك.. أنا מבحبش غير واحدة بس.. وهي
"حبيبة".

التمعت عيني "ريماس" بنيران الحقد عقب استماعها
لاسما يخرج بكل تلذذ من بين شفثيه، ليزداد كرها لها
دون أن تفعل المسكينة الأخرى أي فعل مشين لأي منهم،
وببطي وتوعد أو مات له "ريماس" بجمودٍ مخيف ثم مسحت
وجهها بهدوءٍ شديد من الدموع التي أغرقتة، وبعدها
اتجهت نحو الخارج بصمتٍ دون أن تضيف كلمة واحدة
أخرى.

أحتاج لمُعجزةٍ يا الله لأقاوم، ألهمني الصبر والتأن في
التصرف، تلك الأيام تُشعرنني بأني عجوزٍ لم يعد قادرًا على
التحمل، انحنى ظهري من حزني، وشاب وجهي من تألمي،
ولم يعد بوسعي التخطي، متى ستأتي أيام جبري؟ متى
سيحين موعد سعادتني؟ إلى أين سأصل وحتى ماذا سأخطو؟
أرجو تحقيق أمنياتي بعد أن خطوت آلاف الأميال وأنا
أحارب، أرجو انتصارًا يُرفرف به فؤادي.

انتهت "سهيلة" من حفظ وريدها اليومي التي بدأت به منذ
عدة أيام قليلة، الأيام تُهرول، والعمر يفني، ولا تعلم متى
ستموت، لذلك عليها أن تُجهز لآخرتها، ستذهب إلى خالقها
وكتابها مليء بما يدخلها أعلى الدرجات والمنازل.

وقفت من مكانها ثم طبقت سجادة صلاتها ووضعها جانباً،
اتجهت بخطى ثابتة صوب المرأة ووقفت أمامها تنظر
لذاتها، كانت ترتدي إسدالها والذي يغطي جميع جسدها عدا
كفيها ووجهها، كم كانت بريئة ومحياها يغلبه الرقة،
مظهرها جذاب وهي مُحترمة وروحها مُفعمة بالراحة
والطمأنينة، ابتسمت لذاتها برضا وقررت لأول مرة أن
تجتاز خطوة كبيرة ستُغير حياتها للأفضل، سترتدي الحجاب
وتستر جسدها وخصلاتها عن أعين الجنس الآخر، ستُحافظ
على جوهرها النقي وتخفي كل فتنها، وها هي قررت
وقضي الأمر.

استمعت إلى صوت جرس المنزل يصدح وطرق على الباب
بطرقات مُتجانسة، قطبت جبينها بتعجب فخرجت من غرفتها
لتجد "عبدالقادر" جالساً على الأريكة أمام "لواظ"
والأخرى تخفض وجهها أرضاً بخجل، يبدو أن "عبدالقادر"
يُسمعها من الغزل أطناناً ليتحول وجهها إلى قطعة حمراء
من الحرج، طالعتهم "سهيلة" بسخرية ثم تحدثت بصوت
عالٍ لتجذب انتباههم:

_ اتقي الله يا أخت "لواظ" واعلمي لأخرتك يا ستي، قومي
صليتك ركعتين يمكن تقابلي بعدهم رب كريم.

ولم تشعر "سهيلة" بعدها بأي شيء سوى أن حذاء
"لواحظ" يرتطم بوجهها بعنف، تبعه صوتها الغاضب وهي
تقول:

_روحي شوفي نفسك يا بايرة يا قليلة الأدب، هو أنتِ
شايفاني عجوزة للدرجادي؟!_

حكّت "سهيلة" وجهها بألم وهي تُجيبها بتشنج:

حاشا لله يا ضنايا، عجوزة إيه بس قولي كلام غير كدا.

قالتها ثم اتجهت نحو الباب الذي مازال يطرق بطريقة
مزعجة لفتحته، فوجدت أمامها كُلاً من "يمنى وملك"
يبتسمان لها بطريقة غبية بعض الشيء، وقبل أن تعي لما
يحدث؛ دفعتها "ملك" للداخل بضجر وهي تقول:

ياختي ابعدى عن خِلقتي بقى هتفضلي واقفة كدا!

تلتها "يمنى" تدلف خلفها بملامح حانقة و"سهيلة"
تُطالعهم بغباء من وجودهم، لكنها رفضت كل تلك الأفكار
عن رأسها ثم تبعتهم للداخل لترى أنهما واقفتان بعيداً قليلاً
عن "عبدالقادر ولواحظ"، والذي يتحدث قائلاً بحنان:

_خلاص يا "لولي" بقى متزعليش، دي عيلة حقودة
ومتغاظة منك يا ست البنات._

حارة القناص

أخفّضت "لواحظ" رأسها للأسفل مُتتهدة بياس وهي تقول:
_ربنا يسامحها نكدت عليا، أنا مش عارفة قلوب الناس بقت
وحشة كدا ليه!

رد عليها "عبدالقادر" بقوله الحنون:
_لا عاش ولا كان اللي يزعلك يا "لولي"، ويلا بقي فُكي
التكشيرة دي ووريني ضحكك الجميلة.

ورغمًا عنها؛ ارتسمت ابتسامة واسعة على فم "لواحظ"
وهي تُطالعه بحب، بينما الثلاث فتيات يُطالعهنهم بتشنج
واضح، وما زاد سخطهم هو إخراج "عبدالقادر" صندوق
كبير مُزين من خلف ظهره ثم أعطاه لها وهو يقول بود:
_كل سنة وأنتِ طيبة يا ست البنات.

رمقت "لواحظ" الصندوق بتعجب وهي تتسائل:
_إيه دا يا "عبدو"؟!

رد عليها "عبدالقادر" بمشاكسة:
_افتحي وأنتِ تشوفي إيه اللي فيه.

حارة القناص

تناولت منه "لواحظ" الصندوق الكبير ثم فتحته على مهل
وبترو شديد، حتى تهلت أساريرها وهي تتفوه بسعادة
بالغة:

_فانوس رمضان؟!!!

أوما لها "عبدالقادر" بالإيجاب وهو يقول مُبتسمًا:
_أول رمضان وأنتِ معايا فحبيت أجيبك حاجة مُميزة
شبهك.

ردت عليه "لواحظ" بنظراتٍ مُلتمة شاكرة:
_تسلملي يا "عبدو"، تعيش وتجيبي ياخويا.

_عبث.

نطقت بها "سهيلة" باستنكار، بينما هزت "يمنى" رأسها
بحسرة وهي تقول:
_منك لله يا "يحيى"، إلا ما دخل عليا بسجارتين حشيش
حتى!

أيدتها "ملك" في القول بسخطها:

حارة القناص

_ عيني عليا وعلى زهرة شبابي اللي بقت جرجير.

هزت "سهيلة" رأسها بيأس ثم سبقتهم لغرفتها ولم تتحدث،
فهي تعلم كل العلم أنهم سيتبعونها دون أن تآذن لهم وكأنه
بيت أباهم أو ما شابه!

وبالفعل لم تمر الثواني ووجدتهم يدخلون خلفها بل ويُغلقون
الباب أيضاً، اتجهت "ملك" نحو الفراش مُتددة عليه وكذلك
جاورتها "يمنى" بإنهاك، أمسكت "سهيلة" بالمصحف ثم
وضعت على الكومود جانباً، حتى تسنح لها الفرصة
بالجلوس أمامهم والتساؤل بتعجب:

_ نسيت أسألكم صحيح، كنتوا جاينين ليه؟!

ردت عليها "ملك" وهي تغمزها بمشاكسة:
_ جاينين عشانك يا جميل.

قطبت "سهيلة" جبينها بتعجب وهي تقول:
_ عشاني أنا؟!

أومات لها "يمنى" بتأكيد قائلة:

حارة القناص

_أيوا عشانك، بقالك كام يوم متغيرة وزعلانة كدا وإحنا
سايبينك براحتك عشان منضغطش عليك، لكن زعلك طوّل يا
بنت "محروس" ومش مريحانا.

مسحت "سهيلة" على وجهها بخفة أثناء زفرتها الضائقة،
ثم ردت عليهم بفتور قائلة:
_ولا حاجة متشغلوش بالكم بيا، أنا كويسة وزى الفل أهو.

اعتدلت "ملك" في جلستها ثم سارت بركبتها على الفراش
حتى جاورتها مُحيطَة بها من كتفيها بذراعها أثناء قولها
المُشاكس:

_ياض احكي لنا إحنا أصحاب، ومتقلقيش سرك في بير غويط
ملهوش آخر.

قهقهت "يمنى" بخفة والتي جاورت "سهيلة" من الناحية
الأخرى، ثم أكدت حديث شقيقتها قائلة بمزاح:
_"ملوكة" معاها حق يا "سو"، مالك يا حياتي زعلانة
ليه؟!!

أردفت جملتها الأخيرة بحنان وهي تُربت على ظهرها،
لتدمع عيني "سهيلة" بحزنٍ كانت تُحاول إخفاؤه قدر

حارة القناص

الإمكان لكنها فشلت في ذلك، نظرت "ملك" لـ "يمنى" بقلق،
فاقتربت من "سهيلة" تسألها بريية:

_ مالك يا "سهيلة" يا حبيبتي بتعطي ليهِ؟!!

ابتلعت "سهيلة" ريقها بألم قبل أن تهتف بصوتٍ مُرتعشٍ لم
تستطيع التحكم به:

_ ع.. "عائشة" صحبتي ماتت.

طالعونها بحزنٍ بالغٍ ونظرت كلتاهما لبعضٍ بعجزٍ، فلم يكن
أمام "يمنى" سوى جذبها لها واحتضانها بمواساةٍ وهي
تقول بحزن:

_ لا إله إلا الله، البقاء لله يا حبيبتي ربنا يصبرك.

مالت "سهيلة" مُستندة على كتفها ثم أردفت بتحسّر:

_ كنت بحبها أوي، ودلوقتي هي وحشاني أوي أوي ومش
عارفة أتخطي فكرة موتها.

ربتت "ملك" على ظهرها بألمٍ على حالتها أثناء قولها
الداعم:

_حبيبتى ربنا يرحمها يارب، وأنتِ لو عوزتِ أي حاجة
إحنا معاكِ أكثر من أخوات وأكيد مش هنسيبك لوحدكِ.

خرجت "سهيلة" من أحضان "يمنى" قائلة بإمتنان:
_ربنا يخليكم ليا، انتوا اللي مهونين عليا كتير.

ضربتها "ملك" من كتفها قائلة بمزاح:
_في الخدمة دايماً يا صاحبي، يكش نقبض على جبر
الخواطر اللي ماشيين نوزعه على الكل دا.

ضحكت "سهيلة" عاليًا أثناء تجفيفها لدموعها التي علقت
على أهدابها، وكذلك شاركتها "يمنى" الضحك وهي تهز
رأسها بيأس من جنون شقيقتها، وبعد وقتٍ من الحديث
المرح استطاعوا بالفعل إخراج صديقتهم من قوقعة حُزنها
التي دُفنت بها لأيامٍ عديدة.

وما الصديقُ للصديقِ إلا روحٍ يستند عليها وقت شدته
وحاجته، وما كتفه إلا حائطٍ منيع يرمي عليه تعبهُ عند
ضيقتِهِ.

كيف لقلبٍ أن يُخيِّط مشاعري فيجعل خاصتي مُلَازمًا
لخاصتك؟ سؤال يُورق منامي ويتعدى حدود عقلي وتفكيري،
كما تعديت أنتِ أسوار قلبي وحطمتيها، سارقةً أنتِ وأنا
الذي أحببتُ السرقة بعدما كنت أنبذها، سلبتِ مني منامي
وشغلتني فؤادي ووجداني، فيا محبوبية الروح رفقا بقلبي
المسكين.

أستندت "حبيبة" بظهرها على كتف "صهيب" أثناء
جلوسهم أمام المدفأة الموجودة في غرفة نومهم الخاصة،
كان "صهيب" يُداعب خصلاتها الملساء برقة، ومن الحين
يُقبلها وكأنه يعتذر عن إحزانه لها دون قصدٍ، فؤاده معها
لكن عقله شارد، كان يظن بأنها ستسأله الكثير والكثير من
الأسئلة عند انفرادهم معًا، لكنها خالفت توقعاته عندما
التزمت الصمت واكتفت بإغداقه بحنانها الذي يُهلكه، وتلك
المرّة قرر هو سؤالها عما يُورقه وتحرير عقله من أصفاد
التفكير المُهلك، حمم "صهيب" بهدوءٍ قبل أن يقول
بصوتٍ هاديء:

_"بيبة" .. كنت عايز أسألك عن حاجة.

حارة القناص

رفعت "حبيبة" حدقتها المشتعلة بنيران الذهب الصاعدة
أمامهم، ثم أومأت له مُحدثة برقة:

_ اسأل يا حبيبي.

ارتسمت ابتسامة لإرادية على ثُغر "صهيب" عقب كلمتها
المُميزة التي أشعرته بالانتشاء ونسى ما كان يود سؤاله،
بل انتهز فرصته في النظر والتطلع إلى محياها الذي سلب
لُبه بامتياز.

ازداد صمته وشروده بها مما أشعرها بالخجل، لذلك أفاقته
بحديثها الهاديء:

_ "صهيب"! كنت عايز تسأل عن إيه؟!!

رد عليها "صهيب" بهيام:

_ كنت عايز اسأل إزاي عيونك سحبتني وراها زي البهيمة
كدا؟!!

أطلقت "حبيبة" ضحكات عالية وهي تعتدل في مكانها عقب
قوله، ليستفيق على حديثه مُتمتمًا بحرج:

_ قصدي.. قصدي كنت عايز أسألك على حاجة مهمة أوي.

ردت عليه "حبيبة" من بين ضحكاتها:

_اسأل براحتك.

تلك المرة حمم "صهيب" بجدية قبل أن يقول باجتياز:

_يعني أنتِ مسألتيش أي حاجة عن نسبي ولا عن عيلتي
ولا علاقتي بـ "قاسم" وإزاي هو أخويا، يعني كنت متوقع
منك أسئلة كثيرة وزعل أكثر، بس أنتِ معملتيش أي حاجة
من دي.

ابتسمت "حبيبة" بخفة ثم اقتربت منه لتستوطن صدره
مُجددًا قبل أن تقول بركة:

_كل دا فكرت فيه بس بيني وبين نفسي، ووصلت إني مش
فارق معايا أنت ابن مين ولا تقربلي إيه، أنا حياتي قبلك يا
"صهيب" مكانش ليها لا طعم ولا معنى، أنت الوحيد اللي
خَرَّجت روح "حبيبة" من جواها، "حبيبة" الإنسانة اللي
بتعرف تتكلم وتضحك وتهزر وتدافع عن نفسها، سواء كنت
ابن عمي ولا لأ فدا مش فارق معايا، كل اللي فارق معايا
لحد اللحظة دي إنك تكون بتحبني بجد ومن قلبك من غير
كذب أو نفاق، أنا عانيت كتير من العيلة دي وأنت اللي

أنقذتني منهم ومن جشعهم وطمعهم فيا، فبعد دا كله أبعد
عنك علشان أنت مش ابن عمي؟

كان "صهيب" يستمع إليها بفؤادٍ يطرق طربًا وتهليلًا مما
هبط فوق آذانه، شعرت هي بمضخاتٍ أسفل رأسها فعلمت
تأثير حديثها البسيط على وجدان مسكينٍ مثله، لا تعلم بأن
نُطقها لإسمه فقط يفعل به الأفاعيل، فكيف لحديثٍ كهذا أن
يكون؟!!

لم تجد منه ردًا سوى أنه اعتدل في مكانه ثم قرَّبها منه
يضمها لصدره أكثر، وهُنا صعد صوته يقول بعشقٍ شديدٍ
تملك من جسده:

_خليك عارفة إني هكون موجود معاك على طول، وخليك
عارفة كمان إنك أغلى وأجمل حاجة دخلت في حياتي،
"صهيب" من غير "حبيبة" مش بيكون ولا هيكون إلا بيك
أنت، وعين "صهيب" لو مشافتش "حبيبة" مش هتشوف
غيرك، ويا بخت عيني بيك.

حارة القناص

قالوا أن الطلقات تتطاير من الأسلحة فقط، ولم يروا تلك
الطلقات التي تنطلق من شرار عينيه التي تُطالعها بحقدٍ
وغضب، وقف "ألبرت" أمام والدته "إيلينا" بوجهٍ مُقتضبٍ
غاضبٍ، لكن عيناه تُحاكي ذلك البرود الذي يُظهره دائماً،
ارتسمت ابتسامة ساخرة على ثغر "إيلينا" التي كانت مُكبلة
بأصفادٍ حديدية بعد أن تم القبض عليها بواسطة الحكومة
الروسية وهي تقول:

_ ما بكِ عزيزي "ألبرت"؟! هل جئتِ إلى هنا خصيصاً
للتطلع إليّ؟!

احتل ثغر "ألبرت" ابتسامة جانبية حاقدة أثناء قوله
المُتصنع:
_ أشفق عليكِ "إيلينا".

ردت عليه الأخرى ببرود:

_ دَعني وشأني واهتم لذاتك، يجب أن تُشفق على حالك
وليس عليّ.

مط "ألبرت" شفّتيه باهتمام ثم سار عدة خطوات باردة مُستديرًا حول المقعد، حتى جلس عليه بطريقة مُعاكسة قائلًا وهو يُخرج الهاتف من جيب بنطاله:

حسنًا.. لنرى مَنْ سيُشفق على الآخر بعد رؤية ذلك التسجيل.

قال جُمَلته ثم أدار شاشة الهاتف لها لتري محتوى التسجيل الذي يتحدث عنه، والذي كان عبارة عن شركة ضخمة يعلوها لافتة كبيرة مُدون عليها بالروسية «شركة شيفت للتصدير» والتي تخص عشيقها "ميلانو شيفت"، وما إن انقضت عدة ثواني؛ حتى انفجر ذلك المبنى مُتناثرًا إلى قطع صغيرة بعد أن التهمت أسنة اللهب المُشتعلة.

جَن جنون "إيلينا" عندما انعكس الاشتعال على عينيها الزرقاء الصافية، واحمرت بشرة وجهها البيضاء غضبًا ومقتًا، تابع "ألبرت" سبابها وحقدًا بتشفٍ واضح خاصةً بعد أن نجح في هياجها، لكن هناك مكان ما بداخله يتألم لحقدًا وكرهها له ولأخواته، مكانٌ مُظلم يخص طفولته وضحكاته معها منذ الصغر، أحس بأن مشاعره ستتغلب على محياه فانتفض من مكانه ثم انطلق نحو الخارج بوجه واجم وفؤادٍ يأن بتألم.

سار عدة أمتار وكان مازال يستمع إلى صراخها وقولها
المُتوعد بحقد:

_سأقضي عليكم "ألبرت"، أقسم أن أحيل حياتكم لجحيم.

ابتسامة مُتألّمة ارتسمت على ثغر "ألبرت" والذي همس
لذاته ساخرًا:

_على أساس لم تفعلي!

هبط "ألبرت" من المبنى بأكمله ثم صعد إلى سيارته يقودها
بسرعة عالية للغاية ظنًا منه بأنه سُيفتت ألامه وغضبه،
لكن الهواء كان يصطدم بوجهه مُسببًا اشتعاله أكثر دون أن
يدري حتى وصل إلى منزله في وقتٍ قياسي، هبط من
سيارته في تمام الساعة العاشرة مساءً تقريبًا، عمّ الليل
والهدوء على المكان لذلك فضّل الجلوس على المقعد
الموجود بالحديقة.

ارتدى عليه مُرجعًا رأسه للخلف بإنهاك، وعيناه تُحدقان في
نجوم السماء المُنيرة، فدائمًا ما ينبعث الضوء من الظلام،
وبعد الألم يأتي الارتياح، لكن متى سيأتي موعد راحته؟ لقد
طال تعبته كثيرًا وملّ من الانتظار، لكنه رغم ذلك لم ييأس
وأضحى ينتظر سعادته المُخبئة أن تأتي مُهرولة إليه،

حارة القناص

أغمض عينيه باستمتاع من نسيمات الهواء العليل التي
تضرب بشرة وجهه برقة، مما بثّ الراحة داخل فؤاده.

لكن هدوءه لم يدوم طويلاً بالطبع، خاصةً في وجود تلك
المُصيبة المُدعوة بـ "مهرائيل"، والتي جلست جانبه قائلة
بابتسامة واسعة:

__ "ألبرت" كنت مستتيك، عايزة أحكيك حاجة ضرورية.

رد عليها "ألبرت" بهدوءٍ وهو مازال على نفس جلسته:
__ ليس الآن أيها الجرو الصغير.

استشعرت "مهرائيل" مزاجه الغير رائق فاقتربت منه قليلاً
حتى أصبحت مُجاورة لجسده، ثم أردفت بصوتٍ قَلِقٍ:
__ مالك، حصل معاك حاجة ولا إيه!؟!

لم يُجيبها والتزم حالة الصمت التي تلبسته، لتُنادي عليه
مرة أخرى بقلقٍ أشد لا تعلم ما مصدره:
__ "ألبرت"!؟!

حارة القناص

فتح "ألبرت" عيناه ثم اعتدل في جلسته ومال برأسه عليها
مُستندًا على كتفها، وبيديه الأخرتين أحاط بها من خصرها
ثم همس مُتألمًا:

__ أنا مُتعب "مهرايل"، أشعر بأن قلبي يكتوي ألمًا.

تصنم جسد "مهرايل" بصدمة من فعلته التي باغتها بها،
رفعت يدها لتدفعه بعيدًا عنها، لكن وجدت ذاتها تُحيط به
تلقائيًا مُربّطة على ظهره بخفة، ثم سألته بحنانٍ قائلة:

__ ماذا بك "ألبرت"؟! شاركني ما يُؤلمك علّ ألمك يهدأ ولو
قليلاً.

ابتلع "ألبرت" ريقه بصعوبة شاعرًا بتلك الغصة التي تحته
على البكاء عالقة في جوفه، ورغم ذلك لم يتحدث أو يفتح
فاهه ولو بكلمة واحدة، لزم الصمت كما اعتاد سابقًا، ورغم
وجودها وحنانها إلا أن هذا ذكره بالحنان المحروم منه،
أغمض عيناه يُحاول اخراج تلك الذكريات من عقله بقدر
المُستطاع، ومع كل ذكرى تمر أمامه يُشدد من احتضانه لها
وكانه بذلك سينسى مثلًا!

حارة القناص

كل ذلك وتلك المسكينة تكاد تنصهر أسفل يديه، لم تعهد ذلك
القرب المهلك لقلبها من قبل، مهلاً! هل قالت مهلك! ابتلعت
ريقها بترٍ ثم نادته بصوتٍ مبحوحٍ مُحمّلٍ بالمشاعر:
_ "ألبرت"!

همهم بصوت خافت لكنها لم تسمعه، لذلك نادته مرة أخرى
بتوتر أشد ظناً من أنه قد نام على كتفها، ليأتيها الرد منه
بخفوتٍ شديد:
_ ماذا؟

ابتلعت ريقها تُجيبه بحرج:
_ أنا جعانة.

شعرت بتصلب جسد "ألبرت" أسفل كفيها، لتجده قد اعتدل
بوجهه بعد عدة ثواني مرت يُطالعها عن قرب، ثم اقترب
أكثر طابعاً قُبلة رقيقة على وجنتها أثناء همسه المُغتاض من
بين أسنانه:

_ فلتذهبي إلى الجحيم أيها الجرو المزعج.

يتهادى القلب بتدليلٍ أثناء رؤيته لمحياك، رغبة الفؤاد
بالقربِ تزداد يا كُلُّ سُكّاني، احتلتِ الوجدان كـمُحتلٍ سلب
أوطاني، فوَقعت أسيراً يخضع تحت خَدَرَ عيناكِ.

كان "قاسم" يجلس على سجادة صلّاته بعد أن قام بتأدية
فرض العِشاء، وبالنسبة لتوقيت مصر فإنه أدى فرضه في
موعدهِ الأصلي دون تأخر، تربّع مُمسكاً بمصحفه ثم ظل
يقرأ فيه كثيراً لمدة نصف ساعة تقريباً، غافلاً عن تلك التي
استيقظت تستمع لصوته الشجن وهو يتلو آياته التي تُغدق
قلبها راحةً وسكينة:

﴿” أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ
اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ”﴾.

حارة القناص

كان صوته خاشعًا متصدعًا هاديء يروي قلبها تعطشًا، صدق "قاسم" في قراءته ثم قرر الهبوط لصنع طعام العشاء لـ "أهلة" نظرًا لأنها لم تتناول الطعام منذ الصباح، اتجه أولاً نحو فراشها فتصنعت هي النوم مُسرعة، مسد على خصلاتها بحنانٍ شديد ثم انحنى بجزعه على رأسها يُقبلها بحنوٍ بالغ، وكأنها جوهرة ثمينة يخشى خدشها أو أذيتها، وهي بالفعل كذلك!

اعتدل في وقفته ثم عدل الفراش مُحيطًا إياه حول جسدها ليُبثها بالدفيء، ثم خرج من الغرفة وهبط الدرج بهدوء، كان المنزل صامتًا كعادته في الفترة الأخيرة، فالساعة قد تعدت الثانية عشر منتصف الليل ومن المفترض ألا يكون من مُستيقظ، اتجه "قاسم" نحو المطبخ فلمح ظلًا قادم نحوه، قطب جبينه بتعجب واقترب أكثر؛ ليلمح "فور" يُمسك بوعاءٍ كبيرٍ من الطعام مليء على آخره وعلى وجهه يرتسم الوجوم واضحًا.

تحول وجه "قاسم" إلى الجمود عندما رأى "فور" أمامه، ليُطالعه "فور" بحذر أثناء تساؤله الخافت:

__هل.. هل تريد شيئًا "قاسم"؟!

تخطاه "قاسم" ثم تحدث ببرود:

_مش عايز منك حاجة، روح شوف كنت رايح فين.

سار "فور" خلفه حتى وصل إلى المنطقة المُنيرة في المطبخ واضعًا طعامه على الطاولة وهو يقول:

_أعترفت بخطأي، لِمَ أنت مُزعج مني إذن؟!

رفع "قاسم" أنظاره له يُعاتبه بقسوة:

_لإن دي مش أول مرة يا "فور"، حذرتك بدل المرة ألف وقولتك ابعده عن "سهيلة" لا هي من طينتك ولا أنت من طينتها، ورغم كذا بتنفذ اللي في دماغك وبتحاول معاها.

تذكر "فور" المُشادة الكلامية التي حدثت بينهم بعد أن انتهوا من الحديث مع الموجودين بمصر، حينما لاحظ "قاسم" نظراته المُتلهفة تجاه "سهيلة"؛ قام بتوبيخه وعَنّفه بعد أن أنهى "فور" جميع فُرصه معه، تهدلت أكتاف "فور" بيأس والذي اعترف أخيرًا بحزن:
_أنا أحبها "قاسم".

زفر "قاسم" بضيق مما كان يخشاه، فترك ما بيده ثم اقترب منه واضعًا يده على كتفه يُربت عليه بود، لكن صوته كان مُحذرًا بقوله:

__ عايزها يبقى يا إما تأسلم، يا إما تسيبها تشوف حياتها
وأنت كمان تشوف حياتك، ولو حصل وأسلمت يبقى مش
علشانها، يكون عشان ربنا أولاً واقتناعك بالدين الإسلامي
ثانياً وعشانها آخر حاجة خالص.

قال كلماته ثم تركه وأخرج الطعام من جهاز تسخين الطعام
السريع «الميكرويف» واتجه لخارج المطبخ عدة خطوات،
تبعه "فور" مُسرِعاً بعد أن شرد في حديثه قليلاً ثم وقف
أمامه يقطع عليه طريقه قائلاً بإعتذار:

__ حسناً سأفعل ما قُلت، لكن.. لا تحزن مني أرجوك.

طالع "قاسم" نظراته المُترجبة ببرودٍ في البداية، لكن
نظراته لانت عندما رأت حُزنه الواضح مُرتسماً داخل حدقاته
الخضراء، رسم "قاسم" ابتسامة بشوشة على وجهه ثم
أردف بود:

__ مش زعلان يا "فور"، في الأول وفي الآخر أنت زي أخويا
ومش بقدر أزعل منك.

احتضنه "فور" من كتفه بسعادة مُبتعداً عن الطعام، ثم
أردف براحة وهو يتحسس صدره بسكينة:

__ آه لو تعلم بأنني لم أذق الطعام اليوم بأكمله بسبب حزني.

تشنج وجه "قاسم" وهو ينظر لوعاء الطعام المُمتليء على
آخره، فأردف بسخرية قبل أن يتركه ويذهب:
_مصدقك يا ضنايا متحلفش بس.

قالها ثم تركه وهو يبتسم بيأس ثم صعد للأعلى حيث تنام
تلك المجهولة بالنسبة إليه!

وضع "قاسم" صينية الطعام على الطاولة التي تتوسط
الغرفة، ثم اتجه نحو "أهلة" جالسًا على طرف فراشها
مُسدًا على خصلاتها وهو يُنادي عليها بحنو:
_ "أهلة" .. "هولا" اصحي يا حبيبي.

قال كلمته الأخيرة دون أن يعي لما صعد من فمه، بينما هي
طرق فؤادها يُهلل طربًا، تمللت في نومتها المزيفة عندما
ألح عليها بندائه، فاعتدلت جالسة على الفراش بلامح
ناعسة، رسم "قاسم" ابتسامة طفيفة على ثغره وهو
يُشاكسها بقوله:

_ مساء القمر يا قمر.

حارة القناص

بادلته "أهلة" الابتسامة الخفيفة، فوجدته يسحبها من على الفراش وهو يقول:

_ يلا كفاية كسل وقومي كُلّي عشان تصلي، بقينا نكسل في صلاتنا يا هانم ها!

قال جُمَلته الأخيرة بصرامة مُصطنعة، ليغزو الخجل وجهها وهي ترد عليه بصوتٍ خفيض:

_ غصب عني والله النهاردة.

أجلسها على المقعد ثم مال عليها مُقبلاً جبينها بحنان ثم قال ببشاشة:

_ ولا يهملك يا عم، كُلّي وخلصي أكلك وقومي اتوضي وصلي المغرب والعشا.

أومات له بهدوءٍ وبنظراتٍ مُمتنة، ثم بدأت بتناول طعامها تحت مُشاكساته الدائمة لها والتي تُتسيها همها وحُزنها حتى ولو لبعض الوقت.

انتهت من تناول طعامها ثم دلفت إلى المرحاض للوضوء وخرجت لتأدية صلاتها الفاتئة بكلِ خشوعٍ كما علمها "قاسم" من قبل.

نحتاج في الحياة لشريكٍ صالح يأخذ بأيدينا إلى الجنة، فيكن زوجًا صالحًا في الدنيا، وشريكًا في الآخرة.

قضت "أهلة" جميع فروضها ثم وقفت من موضع صلاتها، وعندما استدارت وجدت "قاسم" يرتدي كامل ثيابه ويعطوها معطفًا ثقيلًا ليحميه من البرد، قطبت "أهلة" جبينها بتعجب وهي تتسائل:

_ أنت رايح فين في الوقت دا؟!!

غمزها "قاسم" بمشاكسة وهو يُناولها المعطف الخاص بها:

_ هنخرج.

فرغت "أهلة" فاهها بدهشة قائلة بعدم تصديق:

_ هنخرج في الوقت دا؟!!

اقترب منها يُساعدها في ارتداء المعطف وهو يقول بعث:

_ دلوقتي وفي كل الأوقات يا بيبي.

ضحكت "أهلة" بيأس على جنونه ثم أغلقت أزرار معطفها
وخرجت معه من المنزل بأكمله، ساروا معاً وسط الثلوج
والأمطار وهو يُحيط بيدها يمسكها بحماية حتى وصلوا إلى
منطقة تُشبه التل، لكن لفت نظرها تلك الأضواء الموضوعة
على حوائط التل من الخلف مُزينة بفروع على شكل هلالٍ
مُضيءٍ لامع، الأمر أشبه بأجواء رمضانٍ لكن في روسيا!.

اتسعت ابتسامة "أهلة" فاستدارت تسأله بشغف:

__إيه دا؟!!

رفع كفه البارد يُحيط وجهها بحنان، ثم أردف بأعين مُلتمة
مُحبة:

__مهانش عليا حُزنك فقولت أفرحك.

طالعه بصمتٍ لتجده يُكمل بسعادة تظهر واضحة داخل
صوته:

__رمضان بيهل علينا وبيجيب معاه الفرحة والأمان، محبتش
أحرمك من الأجواء الجميلة دي، فاضل سبع أيام بس
رمضان السنة دي هيبقى غير، هيبقى مُميز بوجودك معايا.

حارة القناص

رفعت "أهلة" أنظارها إلى السماء وهي تتنهد بقلّة حيلة،
ذلك الرجل يُصمم دائماً على أخذ قطعة غالية من قلبها،
أخفضت رأسها مرة أخرى تُطالعه بنظرات عبرت عن كل ما
تشعر به دون حاجتها إلى الحديث، لم يعطف على
حالتها، بل أكمل حديثه بقوله:

_أنا لما كنت بعاند وبقول مش هحب، جيت قدام عيونك
ووقعت من غير ما أحس.

لم يظهر الحديث واضحاً إلى حدٍ كبير، كانت عاجزة أمام
كلماته التي صنمت جسدها وأوقفته، أمسك بكفها ثم أجلسها
على أحد الصخور وجلس هو بجانبها مُحيطاً بها من كتفها،
عجزها كان واضحاً له فتحدث بحنان:

_قولي كل اللي في نفسك يا "أهلة" وأنا هجاوبك.

سحبت "أهلة" نفساً عميقاً ثم زفرته بثقل فعلم أن هناك
شيئاً تخفيه، لم يرد الضغط عليها أكثر وتركها صامتة كما
تشاء، وبعد دقائق قليلة من الصمت خرجت عن صمتها
قائلة:

_بحس إني مش مرغوبة.

_ غريبة، مع إن قلبي راغبك!

طالعه بنظراتٍ راجية وهي تتسائل بريبة:

_ هتبعد؟!

_ كان على عيني، بس قلبي المغفل حبك.

#يُتْبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

تأهبوا لرمضان من الآن، فإنه يحب الفرحين به.
كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يستقبل رمضان
بقوله:

_ «مرحبًا بمطهر ذنوبنا!».

الفصل_ الواحد_ والأربعون.

#حارة_القناص.

#صاعقة_مُميتة.

تلك المشاعر المُنبثقة بصدقٍ من الفؤاد ما هي إلا رياحٍ من
الحب تُذبذب الجسد، شخصٌ يعدّ ويفي بوعوده، والرجال هم
من يفوا بالعهود، أحياناً تأتي مرحلة بالغة في الخطورة
تُسمى تبجيل الحُب، وإن لم يكن الحب مُبجلاً صادقاً؛ فلا
نريده، الأمر أشبه بنسماتٍ من الهواء العليل الذي يلفح
أنسجة وجهك ليُعيده للحياة، وما تسير الحياة إلا بشريكٍ
يُدعى شريك الروح.

_بحس إنني مش مرغوبة.

_غريبة، مع إن قلبي راغبك!

هتبعد؟!

_ كان على عيني، بس قلبي المغفل حبكِ.

صُعقت مما استمعت إليه في ذروة حُزنها، ورغم آلامها التي
تطفو على محياها شعرت بشروخٍ داخلها تُرمم تلقائياً،
بضعة كلماتٍ كان لها أثراً كالبلسم يُربت على جروحها
بحنانٍ لتلتئم، ومع ذلك، ابتلعت ريقها بصدمة مُرددة:

_ إيه؟!!

ولم يصدر منه سوى ابتسامة صغيرة زينت محياه عقب
رؤيته لردة فعلها، ليقترب منها خطوتان بعد أن وقفت
بصدمة وابتعدت عنه حتى بات يقف أمامها مباشرةً، فقام
برفع كفيه ليحاوط به وجهها بحنان أثناء همسه العاشق لها
بكلمةٍ واحدة أكدت لها حدسها:

_ بحبكِ.

سرت القشعريرة في أنحاء جسدها خيفةً من أن يكون ما
استمعت إليه خيال من عقلها الباطن، لكنه لم يرأف بحالتها
المسكينة تلك، بل أكمل حديثه بأعين مُلتمة لم يستطيع
مُداراتها:

_أنا كنت بخاف من الحبّ وحُزنه وجرحه، ودلوقتي أنا
مستعد أدوق وجع الحب بس يكون معاك أنتِ.

_ "قاسم"!

همسة خافتة خرجت منها بآلم، ليستند على جبينها وهو
يُجيبها بعاطفة جياشة:

_حياته كلها.

ردت عليه بنبرة أشبه إلى البكاء ولكنها لم تبكي:
_مش هينفع.

قطب جبينه بتعجب فابتعد قليلاً برأسه وهو يقول باستغراب:
_هو إيه اللي مش هينفع!؟

تلك المرة بادرت هي بالابتعاد عن مُحيط جسده، فوقفت
أمامه مُتحدثة برفضٍ وملامح الضعف مُرتسمة ببراعة على
وجهها:

مش هينفع تحبني، أنا نار بتحرق كل اللي حواليا، مش عايزة ناري تطولك.

آلمه وجعها وكم يعز عليه حُزنها! تحول وجهه للحنان ثم اقترب منها على بغتة ليُحاصرها بين ذراعيه مُدخلاً إياها على بغتة بين أحضانه، ثم همس لها قائلاً أثناء تشديده من عناقها:

لو حُبك نار هتحرقتي، فأهلاً بجحيم حُزنك.

تلك الجُملة كان قد سمعها من أحد الشعراء، وتلك الجملة تحديداً هي ما علقت بذهنه، لم يكن ليتوقع أن يتفوه بها بيومٍ من الأيام، بل لم يكن يتوقع من الأساس أن يركع فؤاده للحب، لكن كل شيء خرج من تحت سيطرته، حتى فؤاده ثار وهاج وأحبها رغم أنف الجميع.

كان يتوقع منها نبذاً أو سخطاً، لكنه وجدها تلف ذراعيها حول خصره تدفن جسدها داخل خاصته، تطلب منه بطريقة غير مباشرة أن يخفيها عن العالم بأكمله، أن يرفق بقلبها ولا يقوم بأذيته كيفما فعل الجميع، هي من الخارج فتاة قوية شامخة، لكن ها هي تلك! فتاة هشة ضعيفة تخاف الفراق والوحدة، تخاف الانعزال والبكاء، وعلى ذكر سيرة البكاء فهي من الأساس لا تبكي.

دفن رأسه داخل خصلاتها المُللممة لبعض قطرات الندى
أثناء قوله المُحب:

_قوليلي حاسة بآيه دلوقتي يا "أهله"؟

هزت رأسها بالنفي وهي تُجيبه:

_مش عارفة، حاسة إني تايهة.

_وآيه اللي متوهك؟ آيه اللي شاغل بالك؟ احكي لي وارمي
همك على كتفي أنا، شوفي إذا كنت هعرف أخفف عنك ولا
لا.

قالها بعد أن أنهكه تعبها ووجعها، ذلك الضعف الذي يحتل
صوتها يُهلك من روحه ويُعذبها، لا يعلم متى وقع بها، لا
يعلم متى عشقها، لا يعلم متى تخللت لأوردته لتحتل كيانه
بأكمله، كل ما يعلمه هو أنه أصبح سجيناً لها، أسيراً
لعيناها، وخاضعاً لمحياتها.

وهنا صعدت الإجابة منها بعد برهة من الصمت:

حارة القناص

_مش عايزة أحكي دلوقتي، مش جاهزة صدقني وقلبي مش هيستحمل.

قَبْلَ رأسها من الأعلى قائلاً جُملة باتت مُلازمة له دائماً:
_سلامة قلبك.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثُغرها لكن لسوء حظه لم يراها، ليقول بعدها بنبرة حانية مُشاكسة بعض الشيء وهو يبتعد عنها بضعة خطوات وهو يفتح ذراعيه بمرح:

_عرض مش هيتكرر تاني يا "هولا"، شُبُيك لُبُيك.. "قاسم"
بين إيديك، ليك 3 أمنيات هيتحققوا حالاً سينيوريتا "أهلة".

علت الضحكة تُضيء وجه "أهلة" مُجدداً، لتقول بدهشة:
_إيه الجنان دا يا "قاسم"؟!!

غمزها "قاسم" بمشاكسة:

_الوقت يضيع سيده "أهلة"، أرجو منك الإسراع رجاءً.

حارة القناص

رفعت "أهلة" أنظارها للأعلى تُفكر في عرضه الأكثر من
مُغري، وبعد ثوانٍ من التفكير نظرت إليه مُجددًا مُحدثة
برجاء يشوبه الحنين:

متسبنيش.

رد عليها غامزًا:

لك هذا يا كل فوادي.

فكرت مرة أخرى لتتشدق بعدها بنبرة مُترددة قليلًا:
مخبية عليك أسرار كثير، متزعش مني لما تعرفها.

أجابها بحنان:

وهل تحزن السماء من القمر؟

ابتلعت ريقها تُحاول أن تُوازي حنانه الذي يُغدقها بها،
فأكملت طلبها الثالث وهي تقترب منه:

اعملي محشي ورق عنب عشان نفسي فيه.

ضحك بصخبٍ فاختصر المسافة مُتقدمًا منها يحتضنها بحب:

حارة القناص

_ أوامركِ واجبة التنفيذ يا مُخضعة فؤادي.

تنفست هي براحة بين أحضانه وكأنها وجدت ملاذًا بعد
تشردها، رفعت أنظارها تُطالعه عن كُثب وهي تقول
بمشاكسة:

_ لأ بس أنت شاطر في الشعر والغزل وحاجة آخر عظمة
من الآخر.

ضحك بخفة على حديثها فسحبها معه نحو الصخور ليجلسا
معًا عليها أثناء قوله المُمازح:

_ أول حاج تعالي نقعد عشان أنا صحتي على قدي.

قهقهت بشدة فأدارها لتستند بظهرها على صدره وقدميها
مُرفوعتان بموازاة جسدها تستند على الصخور الأخرى،
وهو خلفها يسند جسدها وأعينهم ترى مشهد المدينة
المُنيرة بأكملها في مشهد قابض للأنفاس.

رفعت رأسها للأعلى تُطالع عيناه عندما طال صمته، فقالت
بحنق:

_ مجاوبتنيش ليه.

نسيت

قالها ببراءة لتلوي شفيتها ساخطة ثم عادت بنظرها نحو الفراغ الذي أمامها، اتسعت ابتسامته على فعلتها فهبط بوجهه مُستندًا بذقنه على كتفها قائلاً:

كنت بحضر ندورات شعر كثير لما كنت باخذ إجازة، دا غير إني كنت في وقت ما كنت بحس إني لوحدني كنت بكتب اللي حاسس بيه بس بكلمات عميقة شويتين تلاتة، دا غير إني كنت بحب اللغة العربية أوي وأنا صُغير.

ردت عليه بحماس هي الأخرى:

وأنا كمان كنت بحب العربي أوي.

التوت شفتي "قاسم" بحسرة وهو يقول:

بس للأسف كنت فاشل في النحو، دا أنا لحد دلوقتي مش بعرف أعرب.

علت ضحكات "أهلة" بصخب ليشاركها "قاسم" في ذلك، لتُسيطر "أهلة" على ذاتها وهي تقول بشغب:

طَب ما تسمعنا حاجة كدا ولا كدا على ذوقك.

هز "قاسم" رأسه بالنفي وهو يقول:

لَا مش دلوقتي لما يجي الوقت المناسب، أنت مينفعش فيك بيت شعر ولا اتنين، أنا لو عليا أكتبك قصيدة كاملة.

طالعته "أهله" بنظراتٍ مُلتمة مُمتنة، لو ظلت حياتها تشكره على معرفه معها لن تنتهي، أخفضت رأسها ناظرة للأمام حيث المناظر الطبيعية وعلى ثغرها ترتسم عريضة، كانت منذ قليل تأن بألم، والآن تشعر بالسعادة تختلج جسدها بشراسة في وجوده، شعرت بقُبلة صغيرة تُطبع أعلى رأسها فسرى الاطمئنان بأوردتها، وفي ذلك لم تجد ما تقول سوى أنها تمتمت قائلة بهمس:

الحمد لله

مرَّ أسبوعٌ كامل لم يحدث به أي شيء جديد، سوى أن الشباب أوقفوا انتقامهم لأيام معدودة حتى يستطيع "وليد" بمهارته أن يرفع شك "مختار" عن "قاسم وصهيب".

بينما الطبيب "مايكل" أخبر "قاسم" أن يُبْطِئ قليلاً في رحلة علاج "أهله" حتى لا يشهدوا انهياراً عظيماً منها يؤدي إلى انتكاستها، وبالطبع وافق "قاسم" مُسرِعاً طالما أنها ستكون بخير.

و"حياة" كما هي بالمشفى، حالتها مُستقرة ولم يجدوا أي تطوراً سيئاً قد يدعو للقلق، هي فقط مسألة وقت وتستفيق تدريجياً.

و"لوسيندا" مازالت تقبع بغرفة "جون" الذي لم يستيقظ حتى الآن، حالته جيدة لكن يبدو أن حالته النفسية سيئة فهرب من واقعه بغيوبته المؤقتة كما أخبرهم "قاسم" بذلك، والذي كان مُشرفاً على حالته في الفترة الأخيرة.

ازداد حقد الستة أبناء تجاه والدتهم وزوجها، خاصةً عندما توصلوا إلى الفاعل، والذي لم يكن سوى ذلك الحقير عشيق والدتهم مُحاولاً تحذيرهم بطريقة غير مُباشرة، لكنه لم يفعل شيئاً إلا أنه زاد من غضب هؤلاء الوحوش الذين عزموا على تدميره كُلياً، لكن ينتظرون فقط استيقاظ شقيقهم حتى يأخذ بثأره معهم ويرى تدميره بعينه.

الفتيات يُحاولن بشتى الطُرق أن يُخرجن "لوسيندا" من قوقعة حزنها التي دفنت ذاتها بها بعد ما حدث لزوجها الحبيب، لكنهم فشلوا في ذلك، فروح "لوسيندا" مُتعلقة بـ"چون" كالغراء، ورؤيته بذلك المظهر مؤلم لقلبها وبشدة.

بينما "فور" بدأ بالبحث أكثر عن الدين الإسلامي!.

صعد "ألبرت" للطابق الموجود به عُرفة أخيه "چون"، وما كاد أن يرفع يده ليطرق على باب غرفته حتى وجد باب الغرفة يُفتح ويخرج منه "فور" بمعالم حزينة وأعين حمراء بشدة تعكس ما كان يفعله منذ قليل.

طالعه "ألبرت" الذي اقترب منه بحنان ثم عانقه دون أن يتحدث بكلمة واحدة، شدد "فور" من عناقته بشدة أثناء محاولته لإبتلاع تلك الغصة المؤلمة التي علقت بجوفه، ليستمع إلى صوت "ألبرت" يواسيه بحنان:
_سيكون بخير أقسم لك، لا تخف عزيزي.

حارة القناص

ابتلع "فور" ريقه بصعوبة قائلاً بصوتٍ مرتعش:

لستُ خائفاً عليه، لقد استعار مني عشرة دولارات أخشى
أن يموت قبل أن يسددهم لي.

ارتسمت ابتسامة متألّمة على ثغر "ألبرت" الذي يعلم كل
العلم بمحاولة أخيه في تخفيف ألمه، لكن لم تمر سوى
ثواني معدودة حتى وجده ينفجر في البكاء قائلاً بشهقاتٍ
عالية:

أنا خائف عليه بشدة يا أخي، أقسم أن أموت خلفه إن
حدث له شيء.

أغمض "ألبرت" عيناه بغضبٍ جامحٍ وحقدٍ يزداد تجاه
والدته لإيصال أشقائه لتلك الحالة من البؤس، شدد من
احتضانه لأخيه قائلاً وهو يُربت على ظهره:

لن يموت عزيزي "فور"، لقد أخبرني "قاسم" بأن حالته
أكثر من جيدة، هي فقط مسألة وقت.

وما كان من "فور" سوى أنه تمتم بألمٍ وقلبٍ مُتصدع
بقشوعٍ عميقة:

حارة القناص

_أنا أكرهها أخي، أكرهها هي وعشيقها النكرة، أقسم إن حدث شيء لأخي سأقتلها بيدي.

تمتم "ألبرت" بنبرة غامضة:

_سنقلتهم أخي لا تقلق، لكن أولاً أريد رؤيتهم وهم يتعذبون كالحيوانات أمامي.

صمت "فور" بعجزٍ ولم يجد ما يُضيفه من الحديث، يشعر أن فؤاده يبكي كمدًا حُزنًا على توأمه الحبيب، لطالما كان "چون" هو روحه الأخرى وعيناه المُنيرة له في الظلام، خرج من أحضان "ألبرت" بعدما أخذ كفايته من الحنان لجعله يُكمل ما سعى خلفه طويلاً، وبعدها رسم ابتسامة مُمتنة على وجهه وهو يقول:

_شُكرًا لوجودك جانبنا أخي، شكرًا لك حقًا.

ضربه "ألبرت" بمزاحٍ على صدره وهو يقول:

_إن أردت شُكري حقًا فاترك لي طعامًا بدلًا من أكله يا مُغفل.

مسح "فور" دموعه ثم فكّر بجدية شديدة أدهشت "ألبرت" الذي طالعه بعدم تصديق، وبعد صمته لعدة ثواني تحدث قائلاً بشفقة:

_ أعدك أن أترك لك قدم الدجاجة المرة المقبلة، لقد أثرت شفقتي حقاً.

لوى "ألبرت" شفتيه بسخرية مُجيباً إياه:

_ أوووه شكراً على كرمك عزيزي "فور"، لولاك لكنت ميتاً جوعاً أقسم.

أجابه "فور" بحنان وهو يُربت على كتفه قبل أن يذهب:

_ لا شكر بيننا، أنت شقيقي يا فتى علام تشكرني!؟!

تشنج وجه "ألبرت" أثناء مُتابعته لرحيل شقيقه الذي كان يتحدث بجدية بالغة، هل حقاً سيترك له قدم دجاجة فقط رفقا به!

هز رأسه وهو يبتسم بياس ثم عدّل من ثيابه واتجه نحو الداخل حيث يقبع شقيقه العزيز، أغلق الباب خلفه قبل أن يسير نحو الفراش ويجلس على المقعد المُقابل لجسد "چون" المُوصل بالكثير من الأسلاك والأجهزة، ابتلع

"ألبرت" غصته المؤلمة تباع رؤيته لأخيه بهذا الشكل
المؤلم لفؤاده، وبيبطي شديد مدّ كفه ليُمسك بخاصته بحنانٍ
بالغ قبل أن يرفعه ويُقبله بود.

وعقب فعلته ابتسم "ألبرت" باشتياق أثناء تمتته الضاحكة
بقوله:

هل تتذكر تلك الفِعلَة "چون"؟! لطالما كنت تخجل حينما
أُمسِك بكف يدك وأقبله بحنان، كنت كصغيري الخجول
ومازلت.

هبطت دمعة حارقة على وجهه عقب تذكره لأيام طفولتهم
الجميلة، وبعدها ابتسم ضاحكًا وهو يقول:

كنت أكثرنا خجلًا و"فور" أكثرنا فجعًا، لك أن تتخيل أنه
استمع لحديثي هذا؟! سيأتي ويوبخنا معًا.

أنهى حديثه وهو يضحك لكن عيناه تأبى الضحك مُسقطَة
دموعًا كثيفة، ارتعشت شفتي "ألبرت" ببكاء قبل أن يرجوه
بقوله:

استيقظ أخي وكفى هُراءً، أتعجبك حالتنا تلك؟! نحن بدونك
لا شيء، لقد وُلدنا سبعة وسنظل حتى الممات، لا يُمكنك فعل
هذا بنا.

في تلك الأثناء كان "فور" قد عاد مُجددًا لأخذ مفاتيح سيارته، وبدون قصدٍ استمع لبكاء شقيقه ولكلماته الحزينة، لتهبط دموعه كالشلالات أثناء استناده بجبينه على باب الغرفة، وقف يُتابع انحناء رأس "ألبرت" مُجددًا يُقبّل يد "جون" بحنان، فهمس حاقداً:

فلتذهبي إلى الجحيم "إيلينا" أنتِ وعشيقك الحقير.

قالها ثم ابتعد عن الغرفة مُسرّعاً مُتجهًا نحو عُرفته يُغلقها عليه قبل أن يُمسك بالفازة الزجاجية ضارباً إياها في الحائط بكل قوته، ارتفع صدره هبوطاً وصعوداً تزامناً مع تصاعد درجة حرارته بقوة نتيجة لغضبه، لا يعلم ما يمكن فعله حتى يُخمد النيران المُشتعلة بداخله، يود قتل شخص ما لإفراغ شُحناته السلبية، دائماً ما كان العنف آخر همه، لكن الآن.. يشعر بطاقة عنيفة تقبع داخله.

جلس على الفراش وكتفيه مُتهدلان بيأسٍ عارم، ليهبط تدريجياً ليجلس على الأرض الباردة الصلبة وعيناه غائمتان بحزنٍ يظهر للعيان، أعاد رأسه للخلف أثناء إغماضه لعينيه قائلاً بصوتٍ حمل تعب الكون بأكمله:

لَمْ فَعَلْتِ هَذَا بِنَا "إِيلِينَا"؟! نَحْنُ لَا نَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، أَقْسِمُ نَحْنُ لَا نَسْتَحِقُّ.

وقبل أن تبتلعه موجة أحزانه التي غرق بها منذ أسبوعٍ تقريبًا؛ استمع إلى صوت إشعار يأتي من هاتفه، كان الهاتف يقبع على الكومود المائل بجانبه مباشرةً، لذلك مد يده بلامبالاة ثم قام بفتح الرسالة عندما رأى أن الراسل هو صديقه "رائد"، وللعجب كان قد أرسل إليه روابط عديدة لفيدويوهات غبية بعض الشيء! ليقرأها "فور" بتعجب وهو يقطب جبينه بعدم فهم:

انظر سبحان الله! رجل يتحول إلى ضفدعة لأنه لم يتزوج حبيبته.

وفيديو آخر بعنوان:

ديك لا يكف عن الصياح، وعند الكشف عن الأمر ظهر بأنه رجل تم سخطه ليتحول إلى ديك دائم الصياح بسبب حبيبته.

وآخر يُماثلهم:

حارة القناص

_شاب يتحول إلى طائرة تصطدم في السحاب؛ فتتفجر، لأن حبيبته قد دعت عليه في ليلة مُمطرة عند عدم الزواج منها.

قطب "فور" جبينه بتعجب وهو يتسائل مع ذاته بغباء:
_هل تصطدم الطائرات في السحاب حقًا!

فقط هكذا؟! ترك كل شيء وهذا ما لفت انتباهه لا أكثر؟!!

نظر "فور" للعناوين مُجددًا حتى انتفض من مكانه مستوعبًا الأمر أخيرًا، ليبتلع ريقه بريبة وهو يقول بهمس:
_يا ويلي؟! هل من الممكن أن أتحول إلى ديكٍ حقًا؟!!

صمت قليلًا ليتحدث بعدها حانقًا:

_لكنني لا أحب الديوك، أفضّل التحول إلى عنزة تأكل ليل نهار بدلًا من ديكٍ دائم الصياح.

وقف من مجلسه ثم اعتدل مُتربّعًا على فراشه بعد أن خلع حذائه، وبترددٍ واضح قام بإرسال رسالة قصيرة إلى "سهيلة" يسألها بريبة:

_ "هايلة" هل يمكنني السؤال عن شيء؟!!

في تلك الأثناء، كان هاتف "سهيلة" قابلاً بين يدي "رائد" الذي ما إن رأى رسالة "فور" حتى ابتسم بانتصارٍ شديد، وبأصابع مرنة دَوَّن:
_بالطبع أخي "فور".

اهتز الهاتف بين يدي "فور" يُعلمه بوصول رسالة له منها، ففكر قليلاً في ما يُريد سؤاله عنه، يشعر بالضيق لظنه بأنه يخون صديقه، ورغم ذلك سأل بتردد:
_هل.. هل تُحبيني؟!

كانت "سهيلة" تجلس بجانب أخيها تشعر بالبرودة تسري بأوردتها، طالعتها "رائد" بحاجبين مرفوعين وهو يستدير برأسه لها مُغتاضاً:

_بيقولك بتحبيني؟! والله لو كان قدامي لكنت كسرت دماغه، آه يا ناري.

همس بالأخيرة بضجر وشقيقته تُطالعه باستنكار، وما كادت أن ترد عليه حتى استمعاً إلى صوت إشعار رسالة أخرى منه مُدون بها:

_أنا أسف.. أعتذر حقاً على سُوالي هذا، لكن أريد إجابة واحدة، وبعدها أقسم لكِ بالأحداثك مرة أخرى.

حارة القناص

هدأ غضب "رائد" قليلاً ونظر لشقيقته التي تنظر للرسالة بحنانٍ شديد، تكاد تُقسم بأنه كتب تلك الرسالة وعيناه مُمتلئة بكل كلمات الاعتذار كطفلٍ صغيرٍ يشعر بالذنب، وفي تلك اللحظة انتشلت الهاتف من يد أخيها تكتب له بكل الحب:

إن كان القادم من عمري معك؛ فعُمري بأكمله لك.

كان "فور" ينتظر إشعار رسالتها بنفاذ صبرٍ ونيرانٍ كادت أن تحرقه، حتى ظهرت له رسالتها التي جعلته يقفز من مكانه صارخاً بسعادةٍ جليّة، شعر بالرؤية تتشوش داخل عيناه بسبب تلك الدموع التي تكونت لاإرادياً، فأمسك بالهاتف جيداً بين أنامله المُرتعشة كاتباً:

فهنياً لي بعمرِكَ، وهنيئاً لقلبي بك.

كتب تلك الكلمات ثم قفز بجنونٍ واندهاش، لكنه توقف عن القفز بسعادةٍ هاتفاً بصدمةٍ واضحةٍ عندما أرشده عقله إلى نقطة سوداء:

تبا! هل هذا يعني أنني سأتحول إلى ديكٍ دائم الصياح إن لم أتزوج بها؟!!!

حارة القناص

وعلى الناحية الأخرى، هجم "رائد" على "سهيلة" يجذبها
من خصلاتها وهو يهتف بغیظ:

_ هو أنتِ يا بت محدش مالي عينك؟! أباجورة أنا جنبك يا
اللي تنشكي في جنابك!؟!

تأوهت "سهيلة" بقوة ثم دفعته مُبعدة إياه عنها وهي تهتف
بحنق:

_ يوه بقى يا "رائد" سيب شعري يا جدع.

ترك "رائد" خصلاتها فأمسك بها من أذنها بدلاً من ذلك
وصاح باستنكار:

_ سيرة "فور" لو جت على لسانك دا هقطع هوك، سامعة
يابت أنتِ ولا لآ؟!!

التوى ثغر الأخرى بسخرية أثناء تمتتها الساخطة:

_ ما أنتِ فضلت تقولي متقلقيش، ههلك الموضوع، حُطي
في بطنك بطيخة صيفي، وأنت رايح عملي لينكات
لفيديوهات هبله عشان تخوفه بيها!

دفعها على الفراش بعيداً عنه وهو يُشبح بيده أمام وجهها:

حارة القناص

متعرفيش أنت الفيديوهات دي هتعمل فيه إيه.

هبت من مكانها مُتخصرة من مكانها وهي تقول:

_وهتعمل إيه يا عين أمك؟! هو إيه شاب يتحول إلى ديك
لأنه لم يتزوج حبيبته؟! إيه حبيبته كانت من أولياء الله
الصالحين?!_

جدد "رائد" جبينه بضيق من سخريتها الواضحة على
مجهوداته العظيمة، ليدفعها مرة أخرى من وجهها لترتمي
على الفراش من خلفها وهو يُصيح حانقًا:

_ابعدي عن خلقتي يا بومة يا وش الفقر أنت، ما البعيدة لو
كانت حَبَّت كائن من فصيلتها كُنَّا هنقول ماشي، لكن راحة
تحبيلي واحد لو اتقلبتلكوا قرد أو شمبانزي مش هعرف
أجوزكوا غير ما يأسلم._

قال كلماته الحانقة ثم اتجه نحو الخارج بعد أن دفعها
بالوسادة في وجهها، صرخت "سهيلة" بغیظ من عُنْفه
الغير مُبرر معها بالمرّة صائحة بصراخٍ بعد أن ترك الغرفة
بأكملها وذهب:

وهو أنا عملت إيه يعني؟! مش بمزاجي يا شوية أوباش.

هبط "ألبرت" من غرفة أخيه بعد أن تحدث بما يجيش به صدره، كان على أول درجات السلم فوجد أخواته الأربعة يصعدون الدرج بسرعة كأنهم مُجندين على وشك الهجوم، مما جعله يقطب جبينه بتعجب فتسائل باستغراب:

_ إلى أين تذهبون؟!

أجابته "إيغور" ببساطة:

_ لـ"جون".

احتل النكران وجه "ألبرت" الذي أشار لهم بسبابته وهو يقول بتشنج:

_ من يراكم يظن بأنكم ذاهبون للانتقام، ليس لزيارة مريض.

رد عليه "آندريه" ببراعة:

_ وماذا فعلنا نحن؟!

أيده "ليونيد" وهو يُمصمص على شفثيه كما تعلم من العجائز وهو يقول:

_ أخبره يا أخي، يظننا همجيين!!

نظر لهم "ستيفن" قائلاً باغتيال:

ـ قلت لكم بأن أصد له أولاً، لكنكم حمقى أو غاد.

كان "ألبرت" يتابع حديثهم ببرود أثناء وضعه لكفيه داخل جيب بنطاله، وحين انتهوا أمرهم بثباتٍ مُشيرًا للخلف:
ـ إلى الأسفل.

وكاد الأربعة أن يعترضوا، لكنهم لمحوا يد "ألبرت" التي استقرت على كتفي اثنين منهم مُكرراً حديثه بتهديد:
ـ قلتُ إلى الأسفل أيها الحمقى.

ابتسم "ليونيد" باهتزاز أثناء هبوطه للأسفل وهو يقول
بغباء:
ـ لم أكن أريد الصعود معهم من الأساس.

تبع "ليونيد" أخواته الآخرين، بينما "ألبرت" تبعهم بابتسامة ساخرة وهو يهز رأسه بياس:
ـ يُريدون الصعود معاً لزيارته! إن لم يمت بالطلقات فسيموت بذبحة صدرية بالتأكيد.

حارة القناص

قالها ثم هبط الدرج بترو يرى تجمع أخواته على المقاعد
بغرفة الصالون مع الفتيات، وكالعادة يتشاجرون! دفع
"إيغور" ذلك اللزج "ليونيد" صارخاً بغضب:

__ ابتعد عن مكاني أيها اللزج المُخادع، هذا المكان خاص
بي.

اعتدل "ليونيد" في مكانه بأريحية وهو يُجيبه ببرود:
__ هل موضوعٌ عليه أوراق ملكية باسمك يا هذا؟!!

دفعهم "آندريه" معاً وهو يصرخ بهم:
__ ابتعدا أيها المُغفلون، أنا من جُلس أولاً.

__ تلك الأريكة تنتمي لي، أريد التمدد عليها براحة.

قالها "إيغور" غاضباً، ليأتيه صوت "آندريه" المُستفز:
__ إن أردت التمدد اصعد إلى غرفتك، أشخاصٌ أوغاد.

اشتعل الغضب بعيني "ليونيد" الذي اقترب منه للكمة وهو
يقول:

حارة القناص

_أنا أكبر منك سنًا أيها الوقح الصغير، عليك احترامي وإفساح المكان لي.

سيطر الحقد على "آندريه"، وفي ثوانٍ رد إليه لكمته صارخًا:

_أنت هو الوقح يا عديم الأخلاق والشرف، يا مُحبي العجائز.

وفي اللحظة التي تلتها كان "إيغور" يلكمهما معًا وهو يقول بصخب:

_أنا أكبركما يا وقحان، لذلك عليكم ترك أريكتي لأرتاح.

كان "ستيفن" يتابعهما بلامبالاة عندما اختار أن يخرج من كل هذا النزاع والجلوس على مقعد مُنفصل، انحنى قليلاً ثم أمسك بزجاجة المشروب الغازية مراقبًا إياهم باستمتاع وكأنه جالسًا أمام أحد العروض السينيمائية المضحكة، ليس وأن أشقائه يتعاركون معًا مثلًا!

وفي وسط هذا الصخب والجو المليء بالفوضى، استمع الجميع إلى صوت طلقة عالية صنمتهم، والتي خرجت من سلاح "ألبرت" الذي بدوره صرخ باهتياج:

حارة القناص

أقسِم أيها الأوغاد إن استمعت لصوتِ أحدٍ منكم؛ سأفرغ
طلقاتي داخل رؤوسكم العفنة اللعينة تلك.

ساد الصمت بين الجميع ولم يجرؤ أحد على الاعتراض،
ففتح "آندريه" فاهه مُعترضاً بقوله:

لكن أخ... آآآه

قطع حديثه مُتأوهاً بعنف عندما باغته "ألبرت" بضربة
قوية من إحدى الزجاجات استقرت في قدمه وعلى وجهه
يرتسم السخط والتشنج.

ابتلع "آندريه" باقي جملته قائلاً بخفوتٍ متألم:
لَكَ ما شئت أخي الحبيب.

كل هذا وكانت الفتيات يُتابعن ما يحدث بصدمة جلية، عدا
"آهله" و"مهرايل" التي كانت تفتح فاهها بانبهار!

بينما "لوسيندا" ارتعدت أوصالها خوفاً ووقفت مُهرولة
للأعلى حيث غرفة زوجها للإحتماء بها، بينما "حبيبة"

انكشيت على ذاتها بجانب "أهلة" التي أحاطتها بحماية وهي تُربت على ظهرها بحنان.

أتى بتلك اللحظة كُلاً من "قاسم وصهيب" ليروا مصدر تلك الطلقات، وعند رؤية "قاسم" لمظهر "أندريه" وقدمه النازفة؛ استدار ليُطالع "ألبرت" بضيق وهو يقول:
_إيه اللي أنت عملته دا يا "ألبرت"؟! مش شايف البنات قاعدين وخافين إزاي!؟

استدار "ألبرت" برأسه إلى الفتيات ثم عاد بنظره إليه ساخرًا بقوله:

_أي خوف هذا بحق الله؟! تقصد زوجتك التي لم تتحرك من مكانها حتى؟! أم تلك البلهاء التي تفتح فاهها مُنبهرة بكل ما يحدث؟!!

كان يقصد بحديثه الأخير "مهرايل" بالطبع، بينما أكمل حديثه قاصداً "حبيبة":

_لا يوجد سوى زوجة شقيقك هي الخائفة، وأظن أمرها سهل لذا لا تُهَوّل الأمر.

هزَّ "قاسم" رأسه باقتناع وهو ينظر لزوجته التي لا تُبالي بشيء، بينما "صهيب" اتجه نحو زوجته آخذًا إياها بين أحضانه مُربتًا على ظهرها وهو يقول بغیظ:

متخافيش يا بسكوتة أنا معاك، حسبي الله ونعم الوكيل في الناس الظالمة اللي مبيحسوش.

كانت "حبيبة" ترتعش بين ذراعيه خوفًا وبكاءً، لقد رأت ذلك المُتوحش أثناء إطلاقه للنيران على الآخر، هل يوجد أناس بمثل تلك الوحشية والعنف!

طالعه "ألبرت" باستخفاف ثم حوّل أنظاره نحو مكان أخواته الذين اختفوا من الأرجاء فجأةً وكأنهم غير موجودين من الأساس! بينما "مهرائيل" هبت من مكانها مُقتربة منه قائلة بعدم تصديق وانبهار:

__ "ألبرت" علمني إزاي أمسك السلاح وأضرب نار.

تشنج وجه "ألبرت" الذي تسائل باستنكار:

__ ما هذا الهُراء! لم تودين تعلم شيئًا كهذا؟!!

أجابته ببساطة وكأنه تهز رأسها:

فيه واحدة كانت بتضايقتني في الجامعة فعازرة أخوفها
بالمسدس.

فقط!

تسائل بها، لتؤكد له بحماسة وهي تقول بحالمية أثناء
إغماضها لعينيها:

ياها! تخيل كدا أمسك المسدس في إيدي وموقفه
الجامعة كلها على رجل واحدة خوفاً مني! ياها على
المتعة ياها!

انتظرت حديثه وموافقته على حديثها لكنه لم يتحدث، فتحت
عيناها مرة أخرى لتتحدث فوجدت المكان حولها فارغ تماماً
و"ألبرت" غير موجود بالمرّة! هل يُعقل بأنه قد ملّ منها
وذهب؟!!

هزت رأسها بلا اهتمام ثم قررت الخروج إلى الحديقة
والبحث عنه حتى تُقنعه بتعليمها، تلك البلهاء لن تصمت
حتى يقتلها هي الأخرى دون شك.

حارة القناص

بينما "قاسم" اتجه نحو "أهلة" التي تُراقب شقيقه باستتكار، والذي أخذ زوجته إلى مكانٍ مخفي عن الأنظار بعيدًا عن الجميع، مما جعله يُطلق ضحكات عالية وهو يجذبها إليه قائلًا بمشاكسة:

_ نفسي أعرف بينك وبين "صهيب" إيه! دا يا شيخة لو كان عدوك كنتِ عاملتيه أحسن من كدا.

ردت عليه "أهلة" بحنق:

_ أنا مش مرتاحة لأخوك، البت دي خسارة فيه والله وهو حـ.

قاطعها "قاسم" بتحذير لئِن:

_ ها! قولنا اللي هتتلمي عنه دا أخويا.

نفخت "أهلة" بغيظ وهي تُربع ذراعيها أمام صدرها، لتستمع إلى ضحكة "قاسم" الخافتة والذي سألها بيأس:

_ مش دي هدومي!؟

قالها وهو يُمسِك بالتيشرت الذي ترتديه، فطالعتة بطرف عينها قبل أن يُصحح هو حديثه بقوله:

_قصدي هدمنا!

احتلت الابتسامة وجه "أهلة" والتي أجابته بمزاح وهي
تفرد ذراعيها لثريه الثياب:

_أيوا دي هدمنا الجميلة اللذيذة، إيه رأيك فيها؟!!

غمزها بعينيه العابثة قبل أن يردف بمشاكسة:
_كفاءة.

رفعت رأسها بعنجهية قبل أن ترد عليه:
_كنت عارفة على فكرة.

مدَّ يده ليجذب بها من قُبعة ثيابها ثم قَرَّبها إليه مُحذراً إياها
ببعض العنف الزائف:

_هدومي يا "أهلة" اتقي الله، مش كل ما آجي ألبس حاجة
ألاقيك لابساها يا ماما.

تأففت أثناء محاولتها للتخلص من بين يديه وهي تقول:

حارة القناص

_ يا جدع ما هدومك هي اللي حلوة، وبعدين الجواز إيه غير
إني هدومك هدومي، وتيشيرتاتك تيشيرتاتي!

_ هو دا كل مفهومك عن الجواز!؟!

تسائل بتشنج، ليجدها تستدير له بكامل جسدها ثم باغته
هي تلك المرة بالإقتراب منه حتى بات وجهها مُوازيًا
لخاصته، وبحركة جريئة منها رفعت ذراعيها تُمسك بياقة
قميصه مُتحدثة بدلالٍ سلبٍ لُبه للمرة المليون:

_ لأ طبعًا مش دا بس.

هو سُحر.. بل فُتِن في عينيّ المها التي تُقابل حدقاته،
ليتسائل بصوتٍ آجش وهو يُحيط بخصرها:

_ وإيه كمان!

ابتسمت برقة وهي تُجيبه بما جعل هذا المشهد الشعاري
يُزال من فداحة قولها:

_ وأعرف كمان إن الزوج الصالح بيعمل لمراته محشي
الورق عنب اللي هي نفسها فيه.

حارة القناص

تبخرت ابتسامته رويداً تزامناً مع تشكُّل نظراتٍ مُغتاظة على وجهه وهو يُجيبها:

تصدقني وتؤمنني بالله! أنا غلطان إني واقف أتكلم معاك،
وهدومي لو لمحتك لابسها تاني مش هحك.

أبعدها عنه ثم اتجه للخارج حيث الحديقة المليئة بالثلوج،
لترتفع ضحكاتها بصخبٍ وهي تقول بمشاكسة أثناء
مُلاحقتها له:

يوه كنت بهزر معاك يا "قاسم" الله!

مقدور الحب لا يقل سوى بانسحاب الأنفاس، مقيتٌ هو
العشق يُذل الإنسان، لكن في الوقت ذاته لذيذٌ يرتعش من
خلاله الأبدان، فكيف يكون الفؤاد بذلك الهيام، وهو الذي
ذاق طعم المرارة والحِرمان!

طرقَ كُلاً من "يحيى ورائد" باب المنزل الخاص بالفتيات
ولم يحملوا أصابعهم من على زر الجرس ولو لثانية حتى،
اتسعت ابتسامتهم فجأة عندما شعروا به يُفتح، لكن ثوانٍ ما

حارة القناص

انمحت تلك الابتسامة عندما رأوا "نبيلة" بلامح وجهها
الغاضبة والتي صرخت بهم بدورها:

_ انتوا إيه اللي جابكم هنا؟!!! إحنا مش هنخلص بقى!!

حكَّ "يحيى" رقبته من الخلف مُردداً بابتسامة غبية:
_ إزيك يا حماتي!؟!

سددت له "نبيلة" نظرة نارية وهي تقول:
_ أحسن منك ياخويا.

فبادر تلك المرة "رائد" بالحديث قائلاً بمشاكسة:
_ كل سنة وأنتِ طيبة يا طنط "نبيلة" يا قمر.

قطبت "نبيلة" جبينها بعدم فهم وهي تتسائل:
_ كل سنة وأنا طيبة ليه مش فاهمة!؟!

طالعه "يحيى" بغباء، وكذلك كانت تُتطالعه "نبيلة"
باستفهام، ليُخرج "رائد" من خلف ظهره وردة حمراء ذو

حارة القناص

رائحة نفاذة يُقدّمها إليها أثناء قوله الحنون المُبتذل _ من
وجهة نظر يحيى_:

_ كل عيد أم وأنتِ وسطنا يا ست الكل.

اهتزت معالم "نبيلة" بتوتر وحاولت بقدر الإمكان السيطرة
على ذاتها ومشاعرها الأمومية التي ظهرت عقب اهتمام
"رائد" بها، مما جعل "رائد" يبتسم بانتصار على ذكائه
النبيل.

جز "يحيى" على أسنانه غيظًا قبل أن يهتف بهمسٍ حائق:
_ يابن الغدارة!! مقولتليش ليه يلا أجيب معاك وأنا جاي!؟!

همس له "رائد" له بصوتٍ غير مسموع:

_ تجيب إيه يا عم؟! دي وردة أنا سارقها من الفازة
المحطوطة قدام الشقة بتاعتهم.

فتح "يحيى" عيناه بصدمة هامسًا:

_ يعني غدار وبجح وحرامي كمان!

غمزه "رائد" بمشاكسة وهو يقول:

حارة القناص

_ اللي مي جيش معاك بالزق، خُده بالحنية وهيلين.

مدت "نبيلة" يدها تأخذ هديته البسيطة منه، ثم شكرته
بخفوت:

_ شكرًا يا حبيبي تسلملي.

اتسعت ابتسامته "رائد" الذي عدل من وضعية ثيابه بغرور،
لكن ابتسامته خفتت تدريجيًا عندما استمع إلى قولها
الساخر:

_ بس لما تيجي تسرق وردة ابقى اسرقها من قدام شقة حد
تاني، مش من قدام شقتي يا خفيف.

قالتها ثم دفعتهم للخلف غالقة باب الشقة بوجه كليهما
تاركة إياهم ينظرون لبعضهم البعض بذهول، نظر "رائد"
لـ "يحيى" بعدم تصديق، ليبادلته "يحيى" النظرات بأخرى
مُشابهة له، ولم تمر سوى ثواني وعلت ضحكاتهم العالية
تدوي لها الأرجاء بصخبٍ من غبائهم، ضرب "يحيى" كفه
بكف "رائد" وهو يقول من بين ضحكاته:

_ دا يخربيت التخلف والغباء اللي في دماغك، جاموسة
طايحة في البلد.

أمسك "رائد" معدته التي آلمته بقوة من كثرة الضحك وهو يقول:

_وأنا اللي قُوت دي صدقت وهدخل! طَلعت عارفة اللي فيها.

ظلوا يضحكون دون القدرة على التوقف، فانتظروا لدقائق أخرى حتى تحكّموا بأنفسهم ثم اعتدلوا واقفين، رفع "رائد" ذراعه يلفها حول كتف "يحيى" أثناء هبوطهم للدرج قائلاً بمزاح:

_أقولك نُكّته ياض!؟

أوما له "يحيى" مُوافقًا بضحك، ليردّ "رائد" قائلاً:
_مرة حنّفة دمها خفيف كانت بتتنزل المية نكتة نكتة ههه.

انكمش وجه "يحيى" اشمئزًا، ليهتف "رائد" مُسرّعًا:
_مرة سمكة مش عارفة تخرج عارف ليه؟!!! ضهرها كان
.A fish

حارة القناص

دفعه "يحيى" بقرف وهو يصرخ به:

_ ابعدي يا خربيت سماجة أهلك.

قهقهه "رائد" عاليًا فهرول خلفه في الشارع دون أن يلقي
بالاً للأشخاص الذين يطالعونهم بتعجب:

_ طب استنى والله هقولك واحدة تانية حلوة.

لحق به حتى وصل إليه ليسير جواره ثم قال بغباء:

_ مرة مهندس زراعي اترقد عشان عمل مشاتل ههه.

تلك المرة استدار له "يحيى" بكامل جسده ثم لكمه بقوة في
وجهه وهو ينهره:

_ أنا حذرتك مرة يا غتت يا حيوان.

قالها ثم صعد لسيارته ورحل بها تاركًا "رائد" يضع يده
على وجهه مكان لكمته وهو يطالع أثره بحقدٍ شديد وتوعد:

_ وحياة أمي لأعرفك يا "يحيى"، النكت اللي مش عاجباك
دي بكرة تيجي وتتذلل عليا عشان أقولك غيرها.

تجهز كُلاً من "قاسم وأهله" للذهاب إلى الطبيب، تلك هي الجلسة السادسة تقريباً، وحتى الآن لم تتحسن حالة "أهله" ولو بمقدار صغير! لقد قصت كل ما عانتها في تلك الجلسات، روت بوأس حياتها ولحظاتها الصعبة مع ذلك المُستبد الذي كان يتلذذ بتعذيبها وتآلمها، كانت تشمئز كثيراً أثناء تذكرها، بل وتتقيأ أكثر! لكن رغم ذلك لم يتركها "قاسم" ولو للحظة واحدة، أصرَّ على البقاء والاستماع إلى ما يورقها ويحزنها، وكان يُنصت بصدْرٍ رحب، وكأن الكون بأكمله توقف عن الحديث ولا يظل سواها هي!

وقفوا أسفل البناية المقصودة، وقبل أن يصعدا؛ أوقف "قاسم" زوجته مُديرًا إياها في اتجاهه، ثم أمسك بكفيها معاً يضمهما إليه وهو يقول بحنان:

كدا يبقي بقالنا أسبوعين بالظبط بنيجي هنا عشان تتعالجي، ويشهد ربنا إني لا في مرة تعبت ولا مليت منك، بالعكس أنا كنت بستمع ليك ولا كأنك حِته من روعي، ورغم حُزني على تعبك ومُعاناتك؛ إلا إني عايزك تتعالجي عشان تعيشي حياتك الطبيعية.

حارة القناص

كانت تستمع إليه بانتباه وهي على يقين تام بأن القادم لن يعجبها، وقد صدق حدسها عندما أكمل حديثه قائلاً:

_الدكتور النهاردة قالي إن علاجك هيكون صعب، خصوصاً بعد ما فشل في إنه يستفز مشاعرك العاطفية ويخليك تعيطي، حتى التنويم المغناطيسي اللي عمله ليك الجلستين اللي فاتوا مجابش معاك نتيجة، والحل الأخير هنستخدمه النهاردة، أنا مش عارف هو قصده إيه ولا العلاج ممكن يكون عامل إزاي، بس كل اللي عارفه إني لا يمكن أتخلي عنك أبداً، خليك واثقة ومتأكدة إنك مكان ما تكوني هتلاقيني، ووقت ما تعوزيني هتلاقيني جواك ومعاك، هكون معاك خطوة بخطوة، بس أنا عايزك تستحملي النهاردة بس، عايزك تحاولي علشانِي.

حديثه بتّ الخوف بداخلها، لكن ما يُطمئنها هو أنه جوارها! رسمت ابتسامة صغيرة على ثغرها أثناء تشديدها على أصابعه، ثم تسائلت بحذر:

_هتكون معايا مش كدا؟!!

جائها الرد سريعاً دون تفكير:

_ومش هسيبك لحظة.

لترد عليه بضحكة صغيرة:

_يبقى مش قلقانة.

زفر "قاسم" يائسًا قبل أن يجذبها له داخل أحضانها بعنف:

_بس أنا قلقان.

أغمضت "أهلة" عيناها بإرهاق قبل أن تُحاوطه وهي تقول:

_أنا مطمئة بوجودك فمتضعفش.

دفن "قاسم" وجهه بين خصلاتها مُجيبًا إياها بهمس:

_روحي بقت متعلقة بيك وقلبي بيوجعني على حُزنك، ليك

دوا لقلبي!؟

هزت رأسها بالنفي فأخرجته من أحضانها واضعة كفها على

جانب وجهها هامسة أمام وجهه:

_أنت دوايا يا "قاسم"، وزى ما أنت بتدوايني فأنا هحاول

أداويك.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغر "قاسم" قبل أن يهبط على جبينها مُقبلاً إياه بعاطفة جياشة، وبعدها همس قائلاً:
_ يلا بينا يا "هولا".

أمسك بكفها يُحيطه بتملك، يخشى ما هو مُقبل عليه وما ستعرض له بعد قليل، تُرى كيف ستكون خطوتها الأخيرة؟!
إلام ستُجهز وكيف سيتم علاجها؟! هل ستتألم أم أن الأمر سيمر بسهولة؟! ماذا ستكون ردة فعلها وكيف ستستقبل علاجها؟! العديد والعديد من الأسئلة تراحمت بعقله أثناء صعودهم لى الدرج، وحتى الآن لم يجد لها إجابة، لكن الآن سيرى!

صعدوا إلى الأعلى ثم دلفوا للداخل لتستقبلهم السكرتيرة التي أدخلتهم على الفور بأمرٍ من طبيبها، أجلسهم "مايكل" أمامه مُحيياً إياهم بابتسامة صغيرة وهو يقول:
_ أهلاً بيكم اتفضلوا.

جلس "قاسم" وبجانبه "أهلة" التي رفضت تركه والجلوس بالمقعد المقابل له، ليبدأ "مايكل" حديثه بعملية شديدة وهو يُشبك أصابعه أمامه معاً:

طبعًا يا مدام "أهلة" أنتِ عارفة كل اللي حصل في الأسبوعين اللي مروا، المرض النفسي مش بيتعالج في أسبوع أو اتنين أو حتى شهر، لكن على الأقل طول الفترة دي بيكون فيه تحول أو تغير بيكون ملحوظ على الأقل بنسبة صغيرة جدًا، لكن في حالتك مفيش أي تغيير نهائي، وكان القوات الدمعية اللي عندك جفت من قلة العياط، ودا طبعًا نظرية غبية لكن بتوضح الضغط اللي أنتِ اتعرضتيله، ولأسفي الشديد حالتك دي مش نافع معاها أي علاج، حتى التنويم المغناطيسي مجابش نتيجة معاك، ويؤسفني أقولك إننا هنضطر نستخدم العلاج الأخير.

كانت "أهلة" تستمع إليه بانتباه شديد، والأكثر منها هو "قاسم" الذي انتظر أن يقول الحل الذي آرقه لعدة أيام، ليبدأ "مايكل" في التوضيح والشرح بعملية:

الكتمان المُزمن هو مش مرض مُباشِر بيتعالج، بس هو عَرَض من أعراض الكبت ودا اللي أنتِ اتعرضتي ليه وبقوة نتيجة للعنف والضرب، وبسبب كتمانك لألمك وبكائك فأنتِ فقدتي القدرة على البكاء والتعبير عن مشاعرك بالطريقة اللي كل الناس بتتعامل بيها من وأنتِ طفلة، والمدة مكانتش صغيرة اللي هو سنة أو سنتين علشان نعرف نعالجها بسهولة، بل كانت لمدة 13 سنة، يعني الأنسجة عندك في

حالة خمول شديدة، وعلشان ننشط الأنسجة دي لازم ننشط أنسجة الجسم كله بإنه يحس بالوجع، ولما أنسجة الجسم عندك تتنشط بالتالي القوات الدماغية عندك هتتنشط لكن بطريقة مش هتكون لطيفة نوعاً ما، والعلاج محذور في الدول العربية لعدم آدميته، بل اللي بيعالج بالطريقة دي ممكن يتعاقب كمان.

زفر "قاسم" بضيق وهو يتسائل:

__ وإيه هو العلاج يا "مايكل"؟!!

وقف "مايكل" من مجلسه طالباً منهم أن يتبعوه، وبالفعل وقف كلاً من "قاسم وأهله" ثم ساروا خلفه حتى وصلوا إلى مقعد «الشازلونج»، أشار "مايكل" لـ "أهله" حيث المقعد ثم طلب منها:

__ اتفضلي اقدي يا مدام "أهله"، اقدي مش تنامي.

سارت "أهله" ببطي ثم جلست على المقعد وقدمها ممددتان على الأرض كما تجلس على المقعد العادي، بينما انحنى "مايكل" قليلاً ثم سحب آلة غريبة بعض الشيء ومُخيفة ليضعها أسفل قدمها، لكن قدمها لم تظلمها بعد!

حارة القناص

انكشيت قدم "أهله" قليلاً وها قد بدأ الادرنالين يرتفع
بجسدها تدريجياً، بينما "قاسم" صُعِق مما يرى وهو
يتسائل:

إيه دا؟!!!

عدّل "مايكل" من وضعية نظارته الطبية ثم رد عليه بهدوء:
_ دا لوح من المسامير المُدببة المريض بيقف عليها لمدة
نص دقيقة تقريباً لحد ما يصرخ ويطّع كل الألم اللي جواه.

في تلك اللحظة ثار به "قاسم" صارخاً:

_ يا أخي عن أبوها ما حسيت بالألم، أنت فيه في دماغ أهلك
حاجة!! أنا عمري ما هوافق على حاجة زي كدا.

علم "مايكل" بأنه من الممكن ألا يُوافق وهذا حقه، لكنه
تحدث بجدية شديدة يُحاول ردعه عن قراره:

_ يا "قاسم" صدقتي هو دا الحل الوحيد، وأنت شوفت
بنفسك إننا جربنا معاها كل حاجة ومنفَعش.

هز "قاسم" رأسه بالنفي وهو يقول بإصرار قوي:

_دي ممكن تموت فيها، لأ.. لأ أنا مش موافق، هي عجباني
كدا أنا مش عايزها تتعالج.

ناقشه "مايكل" بكل هدوء وظل الرفض مُرتسمًا بقوة على
وجه "قاسم" الذي يرفض تعرضها لشيءٍ مؤلم حد الجحيم
كهذا، هل حقًا سيجعلها تقف على لوحٍ مليء بالمسامير
المُدببة حتى تبكي؟!!

بينما "أهلة" كانت تراقب اللوح بنظراتٍ زائغة، حياتها
مُتوقفة على دهسة واحدة من قدميها، وإن كان الألم سيشند
بقدمها، فإن ألم قلبها أكبر ولا يُحتمل، وفي لحظة تهور
هبطت بجسدها لتقف بقدميها على هذا اللوح المُدبب!

صنم جسديهما تلك الصرخة المدوية التي صعدت من فم
"أهلة" دون أدنى إرادة منها، ليُهرول إليها "قاسم" كالبرق
ساندًا إياها وهو يصرخ بها بعدم تصديق:

_إيه اللي أنت عملتيه دا؟!!!

أغمضت "أهلة" عينيها بقوة شديدة وهي تتمسك في ثيابه
بشدة، تشعر بنيران تخترق كف قدمها حتى كادت أن تُغرَز

بها وتمر للداخل! أمسك بها "قاسم" من خصرها وكاد أن
يُبعدّها؛ فوجد كف "مايكل" يمنعه بقوة:
_ صدقتي هو دا الحل الوحيد متضيعهاش.

سبة بذينة خرجت من فم "قاسم" الذي صرخ به باهتياج،
بل سبها أيضاً ولعن غبائها وتهورها الذي ألم فؤاده.

ثانية.. وثانيتان.. وعلت صرخات "أهلة" تملأ الأرجاء،
الألم حارق وجسدها بات لا يحتمل، صوتها يصعد لكن
ذكرياتها غشت على الآلام، كل مشهد عنف، ضرب، إهانة،
يمر الآن بخاطرها، طفولتها المُنتهكة كانت تتعجج أمام
حدقتها الغائمتان، تلك الأيام المُغتصبة بها جميع حقوقها لم
ترحمها ولو لثانية واحدة، صرخاتها تصم الأذان لكنها لم
تستمع إليها، بل تستمع لصوته المقيت وهو يصرخ عليها،
تستمع لضربات القاتلة في منتصف جسدها، تستمع لصوت
بكائها المكتوم، تستمع لأناتها في منتصف الليل حينما يشتد
الألم بجسدها، تستمع لصوت بكاء والدتها حينما تجلس
بجانبها تُداوي بها جروحها، كل تلك الأصوات كانت تخفي
أصوات صُراخها، لكن انهيارها لم يدوم طويلاً حينما هبطت
دموعها وتحررت من سجنها، كان هبوطها كشلالاً مُحْتبس
لآلاف السنين، وحينما تحرر أحدث الخراب في المكان،

وتلك المرة امتزجت صرخاتها مع بكائها، وامتزج الماضي مع الحاضر وانشق الفؤاد تألماً.

أشار "مايكل" لـ "قاسم" بسرعة أن يحملها، لينحني هو بسرعة ويُبَعدها عن مصدر الأذى، بينما "مايكل" جذب اللوح من أسفل قدمها ووضعها في مكانه، جلس "قاسم" أرضاً يضم جسدها له بقوة شديدة بعدما قرر "مايكل" ترك الغرفة لهم لتركهم على راحتهم.

كان "قاسم" مُستعداً أن يشهد بكاؤها وصراخها، لكنه لم يكن يعلم بأنه سيجد انهياراً عظيماً يُوشم بقلبه لن يُمحي بمرور الزمن، دفعته "أهله" بكل قوتها في حالة اهتياج حتى يتركها لكنه أبى تركها والابتعاد، بينما هي كانت تبكي وتصرخ كما لو فقدت عزيزاً، وقد كان! لقد فقدت روحها وبرائتها، فقدت ذاتها ولم يعلق ببالها سوى الألم، وها هي! بعد مرور أكثر من ثلاثة عشرة عاماً استطاعت البكاء بعد أن تعرضت لأكثر الطرق بشاعة، تشعر بسكاكين تُغرز داخل قدميها وهي ليس لها القدرة على التعبير سوى بالبكاء، البكاء الذي فشلت في إخراجه منذ أمد.

هبطت دموع "قاسم" مقهوراً على حالتها، هو لم يعتاد البكاء كثيراً لكن رؤيتها بهذا الشكل يستفز دموعه وبقوة،

ليس دموعه فقط.. بل رغبته في تعذيب كل من ساعد على أذيتها تزداد أيضاً، كانت "أهلة" تدفن وجهها داخل صدره بعدما وعت لما حدث، تتدفق دموعها من عينيها بقوة بعد أن لقت حُريتها، صوتها يعلو أحياناً ويخفت أحياناً، روحها مُتعبة وجسدها مُنهك، حتى عيناها الحبيبة تعبت من دموعها أيضاً.

ظلا جالسان على الأرض الباردة لمدة ساعة تقريباً، هي بين أحضانها وهو يُحيطها بحماية وكأنها كل عائلته، ومن الحين للآخر يُردد أسفه لها ليعتذر منها عن بشاعة العالم، ساعة كاملة تبكي دون توقف حتى شعرت بجسدها يهدم تدريجياً، لتُحاول إخراج صوتها بصعوبة بالغة وهي تقول بصوتٍ مبحوحٍ باكٍ يندمج مع نههاتها المُتألّمة:

__ ع.. عايزة أم.. أمشي.

لبي رغبته على الفور حينما حمل جسدها بين ذراعيه وخرج بها من الغرفة بأكمله، ليُقابله "مايكل" الذي هب من مكانه ما إن رآه ثم ربت على كتفه قائلاً باطمئنان:

__ متقلّش عليها هتكون كويسة والله.

أوماً له "قاسم" بهدوء دون أن يتحدث بكلمة واحدة، ثم أخذها وهبط للأسفل حيث سيارته، وجهها كان مدفوناً بصدره، دموعها تملأ ثيابه، وصوت شهقاتها يصم آذانه، لا يوجد شيئاً أكثر ألماً من ذلك، شخصٌ بمثابة روح يتألم أمامك وأنت مُكْتَفٍ الأذرع لا تعلم ما عليك فعله، خاصةً إن كان ألمه هو بداية الطريق لشفائه!

فتح باب السيارة بتروٍ ثم أجلسها على المقعد بحرصٍ شديد، أرجع ظهر المقعد للخلف لتسهل لها نومتها، بينما هو انتشل عدة مناديل ورقية كثيرة ثم جلس القرفصاء أمامها خارج السيارة، وأمسك بقدمها بهدوء شديد ثم بدأ بتجفيف الدماء العالقة بقدمها، لكنه وجدها جافة بالفعل!

زفر باختناق فاعتدل من مكانه ثم استدار ليجلس بالمقعد الذي يجاورها، استدار لها بجسده مُقْتَرِباً منها ثم أبعدها عن خصلاتها الملتصقة بدموعها عن وجهها، ليميل بثغره على جبينها مُقْبِلاً إياها بعاطفة جياشة قبل أن يهمس بألم:

__حَقِّكَ عَلَيَا، يَعْزُّ عَلَيَا تَعْبُكَ وَبُكَاءُكَ يَا نُورَ عَيْنِي.

الليل يطفو في الأرجاء والظلام يعم قلوب الجميع، رائحة المكان الكريهة تكتم على الأنف من بشاعتها، وهنا حيث يوجد ذلك المقعد المُتهالك، يجلس عليه رجل في أواخر العشرينات مُكبّل بالحبال القوية، وأمامه يقف ذلك الطاغي المُسمى بـ "مختار الأرماني" يرميه بسهامٍ من داخل عيناه الحارقة وهو يتسائل بفحيح:

_ ها قولي يا "خميس" مين اللي وراك؟!!

رفع خميس أنظاره المُتورمة له ووجهه مليء بالكدمات العديدة بعدما قضى رجال الآخر ليلتهم في ضربه دون أي شفقة أو رحمة، سعل "خميس" بقوة ثم أجابه بصوتٍ لاهث وأنفاسٍ هاربة:

_ سي.. سيبيني يا باشا أبوس إيدك.

وضع "مختار" يديه خلف ظهره وهو يقول بنبرة قاتلة:

_ مين اللي باعتك؟!!

لم يُجيبه "خميس في البداية"، فأشار "مختار" لأحد رجاله الذي ما إن رأى إشارته حتى هبط على وجه الآخر يُبرحه ضرباً، وبعد وقتٍ صاح "خميس" ببكاء وهو يصرخ بألم:

حارة القناص

_ خلاص.. خلاص هقول يا باشا.. هقول..

أشار "مختار" لرجله بالتوقف فتسائل بعدها بحذر:

_ها!! مين اللي وراك!!

صعد صدر الآخر صعودًا وهبوطًا مُجيبًا إياه بنهيج:

_ق.. "قاسم طاحون".

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق حسن.

"تتراكم عليك الذنوب في قبرك!

من اجل صورةٍ تافهة، او مقطعٍ موسيقيٍ تافه!

تذكر أن الأعمالَ سواءً كانت خيرةً أم سيئةً فإنها جاريةٌ

حتى بعد موتك!

صحيحٌ أن مواقعَ التّواصلِ عالمِ إفتراضي؛

لكن ذنوبه حقيقيّة"

#الفصل_الثاني_والأربعون.

#حارة_القناص.

#رمضان_مبارك.

ما لي سواك يا الله لأرجوه، فأعني على تحمل بلائك ولا أمقته.

كان "قاسم" جالسًا على المقعد الوثير الموجود بالشرفة يُحيط جسده بشرشف ثقيلٍ ليحميه ولو قليلاً من برودة الأجواء أثناء تلاوته للآيات بصوتٍ خاشع، لقد أهمل ورده اليومي الأيام الفائتة، يُحافظ على صلاته لكن الغبار تكون على مصحفه، فقرر العودة لمأمنه وراحته ويتلو آيات الرحمن ليشعر بعدها بالطمأنينة تختلج فؤاده المتراحم، فيأتي القرآن ويُزيح هذا الازدحام ويُعيد ترتيب راحة فؤاده من جديد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَعَاتُوا أَيْتَامَ الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

كان "فور" يقف مُتابعًا إياه بصمت عندما علم بشأن ما حدث لزوجته من "مهرايل"، ليُصادف حينها بتلاوته لتلك الآيات التي انتبهت لها كل حواسه وخاصةً آذانه، لقد استطاع "قاسم" بصوته الآخاذ أن يبث القشعريرة في جسد ذلك الصامت، وبدون أي حديث اقترب منه "فور" حتى قام بالجلوس بجانبه يستمع لبقية الآيات، ليُكمل "قاسم" قراءة بقية الآيات دون أية مقاطعة:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾

أنهى "قاسم" قراءة تلك الآية ثم صدق ليستدير لـ "فور" مُطالعًا إياه بابتسامة خافتة صغيرة، بادله "فور" الابتسامة وبعدها تسائل بفضول وهو يعتدل في جلسته:

لِمَ عليكم الزواج من أربعة نساء؟!

وضع "قاسم" مصحفه جانبًا وهو يهز رأسه نافيًا ما يقول، ليبدأ بشرح الآية له بكل تفصيل:

حارة القناص

ليس واجبًا لكنه يجوز، لكن لم يستطيع أن يعدل بين أربعتهم، بمعنى أصح ألا يُفضّل واحدة عن الأخرى، ألا يُشعر إحداهما بأنها باتت همّ ثقيل على قلبه أو غير مرغوب بها، فإن استطاع ألا يعدل بينهما فيكتفي بزوجة واحدة.

هز "فور" رأسه باقتناع وهو يُقَلِّب حديثه داخل عقله ويرى صحته، لكن تحولت نظرات "فور" للعبث وهو يسأله بمشاكسة:

__ وهل ستتزوج أخرى غير زوجتك؟!

هامت نظرات "قاسم" الذي أجابه بتهيدة عاشقة:
__ زوجتي بالنساء كلهن.

اتسعت ابتسامة "فور" بحب على تلك العلاقة الزوجية المثالية من وجهة نظره، ليُرَبِّت على قدم صديقه مُتحدثًا بحنان:

__ أتمنى أن تجد بها مأمناك وسكينك أخي.

ابتسم له "قاسم" بامتنان وهو يقول:

__ وأنت كذلك "فور"، أتمنى أن تصل لما تبغاه ويُشغلك.

تنهد " فور " بثقل كما لو أن هناك حملاً ثقيلاً يقبع فوق صدره، وبعدها أردف بتمني:

_ أتمنى ذلك حقاً، وبالمناسبة! لقد بدأت في البحث حول الدين الإسلامي أكثر.

احتلت الدهشة وجه "قاسم" الذي صاح بتفاجئ:

_ ماذا؟! هل تتحدث بصدق أم أن هذه مجرد مزحة سخيفة لا أكثر؟!!

هز "فور" رأسه بالنفي ضاحكاً وهو يقول:

_ لا أمزح أقسم لك، بدأت بالفعل البحث عن الأمر.

نال ذلك إعجاب "قاسم" وبشدة، الأمر رائع لدرجة أنه شعر بالسعادة تتسلل إلى فؤاده رغماً عنه، لكنه ضيق عيناه بشك وهو يتسائل:

_ هل تفعل هذا فقط من أجل "سهيلة"؟! أم أنك بالفعل تريد البحث لتقتنع به؟!!

طالعه "فور" بصمتٍ لعدة ثواني قبل أن يزفر بيأس وهو يُجيبه:

_ لا أنكر بأنني فعلت هذا في البداية من أجل "هايلة"، لكن حينما تعمقت في البحث انتابني الفضول الشديد حول قصص المعجزات التي تُروى بينكم كمسلمين، بثُ مُبهرًا حقًا وأنا أبحث عن تلك القصص التي أثارت ذهني، خاصةً قصة النبي "يونس" حينما سُجِن في بطن الحوت، لا أُصدق نجاته ولا كيف حدث هذا، دعاءً واحد فقط ظل يُرده كان السبب في نجاته! لم أفسّر ذلك سوى بأنه مُعجزة جميلة تركت أثرًا على فؤادي.

خوفه وخشيته كان من إعلانه لإسلامه من أجل الزواج من فتاة، لكن أعين "فور" المُلتمة وانفعالات جسده الظاهرة أثناء قصّه لما توّصل إليه جعله يتقن بأن الله زرع حُب الدين تلقائيًا داخل فؤاده، احتلت الابتسامة وجه "قاسم" الذي اقترب على بغتة ضاممًا "فور" إليه بحب أخوي شديد وهو يهمس له:

_ إن أردت أن أروي لك كل يوم قصصٍ عن الأنبياء ومُعجزاتهم فسأكون أكثر من سعيد صدقتي، رؤيتك تسلك الطريق الصحيح يجعلني يائسًا عن الرد أو الحديث، يمكنني أن أرشدك إلى الصواب ولن أمّل منك أبدًا "فور".

بادله "فور" العناق بحب وهو يُرَبِّت على ظهره بحنان قائلاً
بصوتٍ مُتأثر:

لم أكن أعلم بأنك ستسعد هكذا! سأحتاجك كثيراً الأيام
المُقبلة "قاسم"، أريد منك أن تشرح لي الكثير من الأشياء
التي أرسلها لي "رائد"، لقد أثار ريبتي يا رجل حقاً.

ابتعد عنه "قاسم" مُقَطَّب الجبين وهو يتسائل:
ماذا أرسل لك هذا المُغفل؟!!

انفلتت ضحكة خافتة من فاه "فور" وكاد أن يتحدث، لكنه
ابتلع جملته عندما استمعوا إلى صوتٍ صراخٍ صاخبٍ يتبعه
تكسير قادم من غرفة "قاسم"!

انتفض "قاسم" من مكانه ثم هروا مُسرِعاً نحو غُرفته
وهو يقول مُوجهاً حديثه لـ "فور":
_ خليك هنا يا "فور".

أوماً له "فور" بالإيجاب رغم قلقه الشديد، لكنه احترم رغبة
صديقه في عدم الدخول خاصةً عندما تبيّن أن الصراخ قادم

من "أهلة"، لذلك وقف أمام الباب المُنغلق مُنتظرًا كلمة واحدة من "قاسم" حتى يتمكن من مساعدته.

وبالداخل.. كانت صوت صرخات "أهلة" تعلو في الأرجاء، دموعها تهبط بكثافة ويديها لا تكفان عن تدمير كل ما تطاله، ذُهل "قاسم" من حالتها فاقترب منها بسرعة في نية لاحتضانها وتهدأتها، لكن لم يجد سوى يد "أهلة" تدفعه بعنف وهي تصرخ به بعدم مُلامسته لها، وبالفعل ابتعد عنها "قاسم" ليترك لها الحُرية لإخراج كل ما تدفنه داخلها، والذي تدفنه بداخلها لم يكن بالهين، وانعكس ذلك على تدميرها لكل أثاث الغرفة وتمزيق كل الثياب، تصره وتبكي بآنٍ واحد وفؤادها يطرق بصخب، ظلت هكذا قرابة النصف ساعة، لا تفعل شيئاً سوى الصراخ، الصراخ الذي امتنعت عنه لأعوامٍ عديدة حتى شعرت بالإنهاك وجلست لتبكي أرضاً!

انتهز الفرصة واقترب ببطئ حتى جلس على مقربة منها مُتربعاً على الأرض السيراميكية الباردة، كانت شهقات "أهلة" تعلو تدريجياً وهي تهز رأسها بهزات مُتريبة ثابتة، حتى شعرت بيدٍ تُوضع على كتفها فدفعتها بعنفٍ وهي تصرخ بهستيرياً:

سيبوني في حالي بقى!!! أنا بكرهكم، ربنا
ياخدكم سيبوني في حالي.

اختلف "قاسم" وشعر بتلك الغصة العالقة في جوفه تكاد
تُهلكه، ألمها يُتعبه بل يكاد يقتله، لكن عليه التحمل من
أجلها، تركها تصرخ وتتفعل كما تشاء، جعلها تُدمر وتكسر
كل ما تمسكه، ترك لها الحرية في الصراخ والبكاء، حتى
أنه ابتعد عنها بمسافة لا بأس بها جالسًا خلفها مُتربع
الأقدام خافضًا رأسه للأسفل، يمنع دموعه من الانهمار
بصعوبة شديدة، اللعنة على كل من سبب لها الدمار، لكن
مهلاً! سيذيقهم من نفس الكأس لا محالة.

بينما هي تعبت من البكاء والصراخ، شعرت بالخواء يُمزق
فؤادها، أردات عناقًا دافئًا يُزيل عنها همومها، رغبت
بالاختفاء عن العالم بأكمله، وبدون تردد دارت بنظرها في
الغرفة لتبحث عنه، وكأنه هو ملاذها وطوق نجاتها الوحيد،
وأخيرًا وقعت عيناها عليه جالسًا بعيدًا عنها مُطأطيء
الرأس، لم تستطع قدماها حملها للوقوف والذهاب إليه،
لذلك استندت على ركبتيها وسارت عليهما حتى وصلت إليه
مُلقية ذاتها بين ذراعيه وهي تهمس بضعف:

_"قاسم".

التقطها "قاسم" بين ذراعيه يُحيط بها بحنانٍ شديد، بينما هي تركت له زمام أمورها وظلت تبكي داخل أحضانها، تشعر بقلبها يبكي كحال عينيها، بما أخطأت هي لتحصد زرع سام هي ليست بصاحبه؟! كانت طفلة تنتظر من الحياة أن تُدللها، لكن الحياة أخذت بيدها ثم أبرحتها ضربًا على غفلة، كانت تجلس على قدم "قاسم" تُحيط خصره بقدميها كالطفلة، بينما هو ظل يهتز بها للأمام وللخلف بحركات مُتريثة ويتلو على آذانها آيات من القرآن لتهدأتها، ولأسفها الشديد لم تستمع لهمسه، بل طغى صوت بكائها على صوت كل ما حولها، والآخر لم يمل منها، بل هبطت عدة دمعات من عينيه حسرةً على حالتها، ومن الحين للآخر يطبع قُبلة صغيرة على جانب عنقها ويعتذر إليها.

هي تلك المرأة المنكسرة التي لم تجد من يُعيد تصليحها، وكما يُقال دائمًا؛ ما كُسر لا يمكن إصلاحه، لقد تهشمت المرأة ولم يبق منها سوى فُتاتٍ يُغرز في أقدام الذاكرة؛ فيجرحها، حلقات من الماضي تدور حول عنقي فتتسبب في اختناقي ومُعاناتي، تلك المُعاناة التي ظلت أُخزنها حتى باتت ذاكرتي مُمتلئة بها، وحين أعلنت استسلامي؛ انتشرت شظايا الذكريات بمُعاناتها لتقضي على الباقي من روعي المُعذبة.

حارة القناص

وتلك المرة لم يتركها "قاسم" لتغرق داخل شواطيء ماضيها الملوثة، فظل يُنادي عليها بصوتٍ هاديء حتى استفاقت أخيراً لذاتها، كانت في تلك الأثناء تستند على كتفه وذراعيها يلفان حول عنقه، خرجت من أحضانه على صوته المُلح ناظرة إليه بوجهٍ أحمر بشدة وكذلك عيناها الحمراوتان، كانت تظن بأنها ستجد نظرات شفقة أو تألم، لكنها لم تجد سوى ابتسامة صغيرة تُزين ثغره ثم رفع كفيه وجفف به وجهها المُمتليء بالدموع أثناء وجه المُمازح:

_ لو خلصتي ممكن ناكل دلوقتي ورق العنب اللي أنا سهرت فيه طول الليل عشان أعملهولك؟!!

حنانه يُبكيها أكثر فانفجرت باكية وهي تُصيح به بصراخ:
_ أنت ليه كدا؟! ليه مُصّر تعيطني أكثر؟!!

ابتلع تلك الغصة المؤلمة التي تشكلت في حلقه، ثم أجابها بهدوءٍ أثناء ارجاعه لخُصلاتها المُشعثة خلف أذنها:

_ عشان أنا مش زيهم ومش هأديك، وأنا بحبك، واللي بيحب مش بيجرح يا "أهلة".

ردت عليه من بين شهقاتها التي تُحاول السيطرة عليها:

حارة القناص

هما.. هما عملوا كل حاج تأذيني يا "قاسم"، أنا كنت بتوجع قدامهم ومحدثش كان حاسس بيا، كنت بتحايل عليهم يسيبوني في حالي بس عياطي ووجعي كان بيضحكهم، أنا بكره الناس أوي، بكره الناس كلهم.

اقترب منها "قاسم" بوجهه واستند بخده على خاصتها قائلاً بهمس:

راحتك في إيدك، ابعدني عن الكل، البشر مؤذيين ومش بيحي من وراهم غير الوجع.

وهعمل إيه بعد كدا؟! هفضل لوحدني!؟

قالتها بهمس ضعيف، فابتعد بوجهه ناظرًا إليها بحب قبل أن يقول بابتسامة صغيرة زينت ثغره:

هتصلي، هيكون معاك ربنا اللي خلقنا كلنا، هتستجدي بيه هيزرع في قلبك الهدوء والطمأنينة والسلام النفسي، هتبعدي عن الكل وهتكتفي بنفسك، وأنت بعيدة عن الناس هتدعيه إن ربنا يلهمك الصواب ويقرب منك الصُحبة الصالحة زي "حبيبة وسهيلة ومهرائل ولوسيندا" كلهم بيحبوك وبيخافوا عليك، ولو هما مش صالحين ادعي ربنا

حارة القناص

إن هما يصلح ليهم حالهم ويهديهم ، هتدعي ربنا إنه يحفظك أخواتك ووالدتك، وهتعطي وتشكيله وجعك وحزنك، ومن هنا هتبدأي تقربي منه أكثر، وربنا لما يلاقي العبد محتاجه مش بيرده غير وهو مجبور خاطر، ربنا بيحب يختبرنا ويختبر صبرنا ولازم ننجح في الاختبار دا، مشوارك هيبقى طويل بس أنا هفضل معاك ومش هسيبك.

وإن قالت أن حديثه قد بتّ الراحة والطمأنينة داخل صدرها لن تُبالغ، فهذا هو "قاسم" بالنسبة لها، كالبلم يوضع على جروحها ليمحوها، شروخ فؤادها عادةً ما يُرممها.

هزت رأسها بالإيجاب له ثم هبطت على ثيابه لتمسح وجهها وأنفها من المياه الموجودة عليها، تشنج وجه "قاسم" والذي سألها باستنكار:

ـ أنتِ بتعملي إيه لمواخدة؟!!

اعتدلت في جلستها أثناء محاولتها في عدم البكاء ثم أجابته بارتعاش:

ـ بمسح وشي.

حارة القناص

قالتها ثم انفجرت في البكاء مرةً أخرى مما جعله يفتح فاهه
بدهشة وهو يقول بهلع:

_طب خلاص، وعهد الله أجيبك هدومي كلها تمسحي فيها
بس كفاية عياط.

كانت شهقاتها تعلو تدريجيًا أثناء استنادها بجبينها على
صدره وهي تقول بضعف:

_أنا تعبانة أوي يا "قاسم" ومش عارفة أبطل عياط،
متزهقش مني أنا أسفة.

تحولت معالم وجه "قاسم" إلى اللين عقب استماعه لصوتها
الواهن الضعيف، لذلك ضمها إليه وهو يتنفس بعمق قائلاً:

_وهو في حد بيزهق من روحه؟!!

قال جملته ثم هبَّ واقفًا حاملاً إياها على ذراعيه حتى لا
يؤذي قدمها المجروحة أثر ليلة أمس، وهي لفت ذراعها
حول عنقه ودفنت وجهها في صدره، بينما اتجه هو
للمرحاض وهي مازالت على ذراعيه، أجلسها على طرف
«البانيو» ثم قام بتشغيل الصنبور على المياه الدافئة أثناء
قوله الحنون:

حارة القناص

_أعصابك مشدودة يا روح "قاسم" وجسمك عايز يرتاح،
عشان كدا أنت محتاجة شاور خفيف كدا عشان تفوقي.

كان الصداع يفتك برأسها في هذا الوقت؛ لذلك هزت رأسها
بالرفض وهي تقول بدوار:

_لأ مش قادرة دلوقتي أنا تعبانة.

انحنى بجسده قليلاً ثم قبّل جبينها بحب وهو يقول:

_هساعدك أنا متقلقيش.

احمّرت وجنتاها خجلاً وهي تنظر له بارتياح، بينما هو
حاول بقدر الإمكان عدم النظر إلى وجهها حتى لا ينفجر
ضاحكاً على معالمها المُمثلة بالصدمة.

هزت "أهلة" رأسها بالنفي قائلة برفض تام:

_لأ.. مستحيل.. لأ بجد مش هينفع.. إيه قلة الأدب دي؟!!

استدار لها "قاسم" بجسده وهو يقول ببراعة:

_في إيه يا "أهلة" يا حبيبتي عادي يعني!! وبعدين أنت
هتكوني لابسة هدومك عادي.

طالعه "أهله" بشكٍ وريبة، وها هو نجح أخيراً بخبثه
وعبثه أن يُلهيها عن البكاء ولو قليلاً، يشعر بأن أحبالها
الصوتية قد جُرحت من صراخها لذلك قرر التخفيف عنها
بمشاقتها.

وبالخارج..

كان الجميع يقف على أعصابه بعدما استمعوا إلى صوت
الصراخ قادم من غرفة "قاسم"، وازداد التوتر بينهم أكثر
عندما أخبرهم "فور" أن صوت الصرخات تأتي من "أهله"
تحديداً.

بكت "حبيبة" داخل أحضان "صهيب" الذي أحاطها مُربتاً
على ظهرها بحنان، لكن عقله مُنشغل مع أخيه الآن، خرجت
"حبيبة" من أحضانه مُبتعدة عنه وهي تقول بقلق:

__هي.. هي "أهله" مالها؟!!

طالعه "صهيب" بقلة حيلة وهو يرى خوفها الشديد على
الأخرى، لقد أخبرته من قبل أن "أهله" أخذت مثابة جميع

حارة القناص

العائلة والأصدقاء لحنانها الشديد معها، لذلك لن يستطيع
اغلاقها أكثر، لذلك تحدث بحنان أثناء تجفيفه لدموعها:

_متقلقيش عليها يا "بيبة" ههي هتبقى كويسة، وبعدين
"أهلة" اتعالجت وبقت تعيط أهي! يعني اللي بيحصل دا
ضروري عشان مرحلة علاجها.

ارتعشت شفتي "حبيبة" بحزن وهي تُجيبه:

_بس هي عمالة تعيط أوي، أنا بحبها ومش يكون عايزاها
تزعل.

ربت "صهيب" على ظهرها بحنان وهو يهمس بـرجاء:

_هتبقى كويسة صدقيني، و"قاسم" كمان معاها متقلقيش.

وبالتوجه نحو "مهرايل"، كانت تجلس بصمتٍ على غير
العادة، الحزن يرتسم على وجهها ببراعة وأنظارها مُتعلقة
بالأعلى حيث غرفة "أهلة"، لم يكن هذا هو السبب الوحيد
المتسبب في أحزانها، لكنها أخذته حجة للتعبير عن تعاستها
المخفية خلف قناع المرح والضحك.

حارة القناص

جلست بجانبها "لوسيندا" بلامح وجه عابسة حزينة، تعلم ما يدور بخلفها من صمتٍ وصراعاتٍ كثيرة، لذلك اقتربت منها لتعانقها بحنان وهي تهمس:

_ كل حاجة بتعدي، وكل حاجة وليها آخر، حتى "أهله"
هتبقى كويسة متقلقيش.

كان "ألبرت" جالسًا على المقعد مع الجميع مُدعيًا البرود واللامبالاة، لكن في الحقيقة هو قلق بشأن صديقه، ومن الناحية الأخرى قلقًا على تلك المُصيبة الصامتة على غير عاداتها!

استفاق على صوت الجلبة القادمة من الخارج، فانتظر قليلًا حتى ظهر أخواته المُزعجين أخيرًا، "ستيفن وإيغور" في الأمام، وفي الخلف "آندريه" مُستندًا على ذراع شقيقه "ليونيد" بسبب إصابة قدمه، وما إن لمح "آندريه" أخيه "ألبرت" جالسًا؛ استدار برأسه نحو "ليونيد" مُتحدثًا بحزنٍ مُبتذل:

_ انظر "ليونيد"!! لقد كاد أخي أن يقتلني يا فتى! ماذا ترك هو للغريب بحق الله إن فعل هو هكذا؟!!

حارة القناص

مصمص "ليونيد" على شفثيه قائلاً بمواساة:

_ لا تحزن أخي العزيز، فـ"ألبرت" ورغم قسوته حنوناً.

هز "آندريه" رأسه بالنفي وهو يقول ببكاء زائف:

_ لا يا أخي لا، لقد جرح قلبي هذا القاسي، انظر إلى قلبي
المجروح.

_ أين؟!!

قالها "ليونيد" ببلاهة وهو ينظر موضع قلبه كما طلب،
ليدفعه "آندريه" غيظاً من غبائه عندما وصل إلى الأريكة
حتى يجلس عليها مُتحدثاً بهمس مُغتاظ:

_ أيها الأحمق هل أنت أبله أو ما شابه؟!!

التوى نُغر "ألبرت" بسخرية أثناء قوله الساخر:

_ صدقني عزيزي "آندريه" إن كنت أريد قتلك لصوبتها نحو
رأسك، أعلم جيداً أن الزجاجة لم تستقر في قدمك وإنما هو
خدش بسيط.

حارة القناص

حمم "أندريه" بقلق ثم اعتدل في جلسته قائلاً بابتسامة متوترة:

_كـ.. كنت أمزح معك أخي.

طالعه "ألبرت" بطرف عينه ثم أدار وجهه للناحية الأخرى وهو يُحاول إخفاء ابتسامته التي كادت أن تظهر من بلاهة شقيقه، ليس هو فقط، بل باقي أشقائه أيضاً.

_ها يا "خميس"؟! مين اللي مسلطك عليا؟!

كانت تلك كلمات "مختار" المليئة بالشر مع نظراته الحارقة التي يخترق بها الآخر، ليأخذ الآخر أنفاسه بنهيج مُتعب وهو يُجيبه بأسف:

_قـ.. "قاسم طاحون".

اسمه خرج من بين شفثيه بارتجاف، ليتحول وجه "مختار" إلى الحقد وهو يهمس اسمه بكل حقد، وسؤال واحد بدأ يدور بخلده:

_هل "وليد" كاذب؟!

استفاق من شروده على سقوط رجاله صرعى أرضاً بعد أن أصابت الطلقات رؤوسهم مباشرةً، فتح "مختار" عيناه بفزع والذي أخرج سلاحه وهو يدور حول نفسه بهستيريا للبحث عن الفاعل، لكن يبدو أن الفاعل مجهول ولا يظهر من أي مكان يُطلق هو، لذلك هرول للخارج يسير خلف الأشياء الخشبية والمعدنية ليتفادى الرصاصات الطائشة التي تُبادل بين رجاله والفاعل، وبالفعل صعد إلى سيارته وانطلق بها مُسرِعاً، بينما رجاله سقطوا جميعاً أموات أمام ذلك المدعو بـ "خميس"، والذي كاد أن يُبلل سرواله من شدة الخوف.

عمّ الصمت المكان فجأةً، وبعد ثوانٍ معدودة ظهر الفاعل يرتدي قناعاً أسود اللون على وجهه ليخفي معالمه، بينما يحمل على ذراعه بُندقية كبيرة مليئة بالرصاصات، ابتلع "خميس" ريقه بخوفٍ شديد ثم تحدث بتلعثم:
_أنا.. أنا م.. معملتش حاجة.

رفع الرجل يده ثم أزال بها قناعه القماشي على بغته، لتتسع عيني "خميس" بدهشة وهو ينطق اسمه بعدم تصديق:
_ "وليد"؟!!

طالعه "وليد" بخيبة وهو يُعنفه:

_ليه يا "خميس" ليه؟! ليه تخون "قاسم طاحون" اللي
بيحميني وبيحميك?!!

أنزل "خميس" رأسه بخزي قائلاً:

_غصب عني والله، كان هيقتلني وهيقتل ابني لو متكلمتش.

ابتسامة مُتعصبة ارتسمت على ثغره وهو يُجيبه بضحكة
حاقدة:

_ما هو كدا كدا كان هيقتلك، أنا لو كنت استنيت ثانية واحدة
كمان أنت كنت زمانك دلوقتي في خبر كان، بس أنت جبان،
جبان ومش راجل وبوظتنا كل اللي إحنا بنخططه دلوقتي.

قال جملته الأخيرة وهو يشد على خصلاته الطويلة بغيظ،
بينما شعر "خميس" بالذنب الشديد عقب خيانتة، لذلك صعد
صوته مُتوترًا بخجل:

_أنا.. أنا أسف، مكنتش أقصد أقسمك بالله بس أنا خوفت،
أنا عارف إنه كان هيقتلني بس لو مكنتش اتكلمت كان
هيجيب مراتي وابني وهيقتلهم قدامي وبعدها يسـيـبـني
محسور العمر كله.

طالعه "وليد" بعصبية لكنه هزَّ رأسه بيأس وهو يسب الحقير الآخر، لقد نُزعت منه كل معاني الإنسانية والرحمة، والآخر معه حق، إن لم يكن قد تحدث؛ فكان سيُقهَر قلبه على عائلته الصغيرة، لذلك اتجه "وليد" إليه بخطى رتيبة حتى توقف خلفه، ثم فكَّ عنه الحبال كلها.

وقف "خميس" من مكانه ثم نظر إليه آسفًا قائلاً باعتذار:
_سامحني.. بس أنت عارف إن "مختار الأرماني"
مبيرحمش، ومكانش هيرحمني لا أنا ولا ابني ومراتي.

هدأ غضب "وليد" قليلاً لعلمه بحقيقة حديثه، لذلك رفع كفه مُربتًا بها على كتفه وهو يقول بهدوء يشوبه الصرامة:
_أنت غلظت يا "خميس" بس أنا مقدر سبب اللي عملته
كويس، عشان كدا خُد الفلوس دي واطلع برا البلد خالص،
احمي نفسك واحمي ابنك ومراتك.

هز "خميس" رأسه بالنفي قائلاً برفض تام:
_لا أنا مش هاخذ حاجة، كفاية اللي أنا عملته، ابني ومراتي
أنا متكفل بمصاريفهم، تسلم يا صاحبي.

طالعه "وليد" بيأس، ورغم علمه بخطأه؛ اقترب منه
لاحتضانه قائلاً بود:

_خَلِي بالك من نفسك يا "خميس"، ولو عوزت أي حاجة
كلمني أنا أخوك.

ربت "خميس" على كتفه بامتنان ثم تركه وذهب من أمامه،
بينما "وليد" طالع أثره بإحباط مُفكراً بأنه عليه تبليغ
"قاسم" بالأمر الآن، وإلا لن يمر الأمر مرور الكرام.

إن الفؤاد يصرخ تهلاً، بالسعادة فور رؤيته لضحكاته.

_بقولك لف وشك يا "قاسم".

قالتها "أهلة" التي تقف مُستندة على خزانة الملابس وهي
تُطالعه بغيظٍ ارتفع على أثره ضحكاته بصخب، ليستدير
بالفعل ويُصبح ظهره مُطالِعاً لوجهها المُمتعض على هذا
الخبيث الذي استغلها وقام بخلع ثيابها، لتظل هي ببلوزة
ذات أكمام قصيرة للغاية، وبنطال يصل لما بعد ركبتيهما،
ورغم أنها كانت ترتدي ثيابها؛ إلا أنها خجلت منه وبقوة،
خاصةً مع نظراته العابثة التي يُسدها لها من الحين للآخر.

حارة القناص

نفخت "أهلة" بغیظ وهي تُبدل ثيابها المبللة، حتى انتهت وأخيراً بعد عشر دقائق كاملة، صاح "قاسم" بنفاذ صبر والذي سألها بضجر:
_ها؟! أبص ولا لسه.

جاءه صوتها الحائق وهي تخبره:
_بص ياخويا بص.

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغره واستدار لها، لكن ثوانٍ ما انمحت عندما رأى ما ترتدي!! ليقطب جبينه بضيق ثم تحدث ساخطاً:

_هو مش الدولار مليون بهدومك أهو?! لا بسة هدومي ليه بقى?!

سدت له "أهلة" نظرة باردة وهي تُجيبه باستفزاز:
_مزاجي.

عض على شفثيه بغیظ وود لو يذهب إليها ويشد خُصلاتها المبللة بين يديه حتى يُهدّيء من روعه، وما أثار غيظه أكثر هو حديثها الهاديء بقولها:

حارة القناص

_تعالى اسندنى عشان رجلى بتوجعنى.

رسم ابتسامه صفراء على ثغره ثم ذهب إليها مُمسكًا إياها
من قُبعة ثيابها قائلاً وهو يهزها بقلة حيلة:

_قوليلي أعمل فيك إيه وأنتِ فيكِ كل العبر؟!!

تبددت نظراتها الباردة وطالعته ببراعة أهلكته وهي تقول:

_يعني شوية هدموم وتشيرتات هيخسرونا بعض يا
"قاسم"؟!!

قالت الأخيرة ببعضٍ من الدلال الذي أطاح به وبفؤاده
المسكين، ليزفر يعنف أثناء انحناءه لحملها:

_لأ طبعًا يا قلب "قاسم"، دا "قاسم" وهدومه ليك يا
عيوني.

أنهى حديثه تزامنًا مع وضعها على الفراش، وبعدها انتفض
على صوت صراخها الحائق وهي تقول:

_وطالما كدا عاملك فيلم من الصبح ليه؟! ولا هي حرقه دم
وخلص؟!!

حارة القناص

فرغ "قاسم" فاهه من تحولها المفاجيء والذي أفرعه في البداية، لكنه استفاق لنفسه فاقترب منها مُمسكًا بأذنها بين إصبعيه يضغط عليه بقوة قليلة أثناء قولها الحانق:

_ هو أنتِ عايزة تحرقى دمي وخلص؟! يعني أنا سيبتك هدمي يا شحاتة تلبسيها وفي الآخر مش عاجبك.

تأوهت وهي تنظر إليه بغيظ، وما كادت أن تتحدث حتى استمعت إلى صوته المُحذر يقول:

_ مش هسيبك غير لما تقولي أنا أسفة.

_ على جُنتي.

قالتها بقوة رغم تألمها، وبعد ما يقرب الدقيقتان كانت تهتف بوجع:

_ خلاص.. خلاص أنا أسفة.

ترك "قاسم" أذنها وبسمة انتصار ترتسم على فمه ببراعة، مما زاد من حنقها وضيقها منه، لكنه بالطبع لم يهتم.. حسنًا دعوني أخبركم بأنه مُهتم لكنه يُمثّل اللامبالاة.

حارة القناص

اتجه نحو دُرج الكومود وقام بفتحه بهدوء، ثم أخرج منه
عُلبة كريم للتطيف من وجع قدمها، وبعدها اتجه إليها
جالسًا في نهاية الفراش أمام قدمها، مما جعلها تقطب
جبينها بتعجب وتتسائل باستغراب:
_ أنت هتعمل إيه؟!!

أجابها ببساطة أثناء فتحه للعلبة:
_ هحطك مرهم عشان رجلك.

حاولت سحب قدمها وهي تقول برفض:
_ لأ.. هات أنا هحط لنفسي، مينفعش أنت تحطلي.

أمسكها من قدمها مانعًا إياها من سحبها، ثم تحدث بصوتٍ
صارم وملامح وجهه جدية للغاية:
_ "أهـلـة"!! لازم تعرفي إن أنا جوزك واللي هعمله دا
مش هيقبل مني، أنتِ مراتي وملزومة مني، يعني اللي بعمله
دا هو الطبيعي والعادي.

صمتت "أهلة" تُطالعه بابتسامة صغيرة ولم تتحدث، بينما
هو شرع في وضع الكريم على كف قدمها المجروح بكل

حارة القناص

حنانٍ وكأنها صغيرته، وهي بالفعل صغيرته الروحية التي لا يستطيع الاستغناء عنها، يغرق إن تركها وحدها ورحل، هي مصدر بهجته وسعادته ولن يستطيع التفريط بها بسهولة.

كانت تُطالعه بكل حُبٍ وامتنان، يهديها الحنان المسلوب منها دون مُقابل، لم ينتظر بديلاً بل يُعطي بلا اهتمام، حنانه وافر وحبه أكبر، ويبدو بأنها سقطت في بئر عشقه هي الأخرى، لكن لن تتفوه بما تشعر به الآن، ستنتظر الفرصة المناسبة والقريبة وتعترف بما يختلج به صدرها.

أنهى ما يفعل ثم أغلق العُلبه ووضعها مكانها مُجدداً، ثم التف إليها مُقبلاً جبينها بحنان قبل أن يردف بحب:

__هنزل أجيبك أكل وجاي تاني، ماشي؟!!

أومات له بابتسامة شاكرة فتركها ثم هبط للأسفل ليجلب لها الطعام الذي حضّره خصيصاً لها، بينما هي تابعت أثره بأعين مُلتمة شغوفة، وعقب ذهابه رفعت ياقة ثيابها لتغوص بها وهي تُتمتم بسعادة:

__يخربيتك سُكر.

إن كَفَّت الأصوات عن الحديث، فلن يكف الفؤاد عن التهليل
بفرحة رمضان.

_ أنت يا بني ناواني فرع الزينة دا، دماغي بتصفر من الهوا
فوق.

تحدث "رائد" بتلك الكلمات بحق شديد وهو يصرخ
بـ "يحيى" الذي يتركه ويقف جانبًا ليتناول سحوره للمرة
المليون.

رفع "يحيى" أنظاره الحانقة له وهو يصرخ بفمٍ مُمتليء
بالطعام:

_ يعني متسحرش عشان حضرتك؟! ما أنا قولتك علق أفرع
النور حوالين رقبتك.

فاض الكيل بـ "رائد" الذي صرخ به بنفاذ صبر دون أن يعي
للنظرات التي التفت له:

_ يا حيوان أنت بتتسحر من الضهر، أنت عايز تجلطني!!

حارة القناص

تأفف "يحيى" بحنق لكنه أكمل تناول طعامه بكل نهم وتلذذ، لا يعلم كيف سيصوم غدًا وسيكف عن تناول الطعام لثلاث عشرة ساعة مُتتالية، بينما "رائد" كاد أن ينفجر من الغضب والغیظ من غياب صديقه.

استمع إلى صوت ضحكات تأتي من جانبه، ليجد "سيف" جاره والذي ساعده "قاسم" من قبل لسد ديونه يُناوله فرع الزينة اللامع وهو يقول ضاحكًا:
_ خُد يا "رائد" ووفر طاقتك للصيام.

أخذ منه "رائد" الزينة ثم شكره قائلاً:
_ تسلم يا "سيف"، نردهالك في الأفراح يا صحبي.

ابتسم له "سيف" ووقف مُتابعًا إياه بابتسامة خافتة، كم يرغب بصداقة كخاصة "يحيى ورائد"، صداقة مبنية على الحب، الثقة، الإحترام، بعيدًا عن المصالح والأنانية، لكنه حتى الآن لم يجد ذلك الصديق الذي سيكمل معه الطريق دون كلل أو ملل.

أنهى "رائد" تعليق فرع الزينة والذي كان الأخير لحُسن حظه، لكنه استدار برأسه تجاه "سيف" طالبًا منه بأسف:

حارة القناص

_ معلىش يا "سيف" ناوونى الفانوس دا الله يكرمك لحد ما
البغل التانى يخلص أكل.

طالعه "يحيى" بسخط من طرف عينه ثم حذره بصوتٍ
صارم:

_ اتلم ياض بدل ما أجي أقلبك بالسلم، أنا مش عشان طيب
وابن ناس مفكرني هسكتلك.

تناول "رائد" الفانوس من "سيف" أثناء ترديده لجملته
الأخيرة بكل سخرية:

_ طيب وابن ناس آه، ياض دا إحنا دافنيه سوا.

قالها ثم أشار لـ "سيف" على الفانوس الآخر قائلاً:

_ يارب تتجوز هات الفانوس اللي على يمينك دا.

ضحك "سيف" بخفة، فاتحنى جاذبًا الفانوس ثم أعطاه له
بكل مرونة، ليتحدث "سيف" بعدها بمشاكسة أثناء توجيهه
لحديثه إلى "يحيى":

_ كل يا "يحيى" يا حبيبي أصل باين عليك هفتان.

حارة القناص

طالعه "يحيى" بمسكنة بعد أن أنهى الطعام، ثم أردف
بتنهيدة ثقيلة تُعبر عن مدى الظلم الذي يتعرض له:

_قوله يا "سيف" ياخويا قوله، الناس بقت ظالمة وقلوبها
ظالمة، واللي تحسبه صاحبك يطلع جوز أمك.

هبط "رائد" من على السلم ثم دفعه وهو يقول بسخرية:

_طب يلا يا روح أمك عشان نكمل تعليق الزينة.

قالها وهو يُبعده بيده ليسير أمامه، بينما توقف "سيف"
مكانه مُتابِعًا أثر خطواتهم بابتسامة حزينة تُعبر عن خواء
فؤاده.

بينما سار كُلاً من "يحيى ورائد" بجانب بعضهم البعض،
فشعر "يحيى" بقلّة عددهم، استدار للخلف فوجد "سيف"
واقفًا في مكانه دون أن يتحرك، لذلك قطب جبينه بتعجب
وهو يتسائل:

_واقف عندك كدا ليه؟! مش هتيجي معانا؟!

نظر "سيف" حوله بزهورٍ علّه يُحدّث أحدًا غيره، لكن لم
يكن هناك سواه لينظر إليه، لذلك أشار لذاته مُرددًا بدهشة:

_أنا؟!!

سخر "يحيى" قائلاً:

_لأ بكلم خيالك، يلا يا بني تعالى معانا أنت هتعملي فيها
مكسوف؟!!

اتسعت ابتسامة "سيف" كما لم يضحك بسعادة من قبل، ثم
ذهب إليه بخطواتٍ سريعة حتى بات جوارهم مباشرةً، أحاط
"يحيى" الممتعض "رائد" بالذراع اليمنى، و"سيف"
بالذراع اليسرى، وسار هو بالمنتصف وهو يقول بمزاح:

_كدا خلوني أقولكم يا أخواتي إن رمضان في مصر حاجة
تانية والسر في التفاصيل.

سخر "رائد" بقوله الحانق:

_أي تفاصيل دي؟! قصدك السحور العشرين اللي أنت
اتسحرتة؟!!

قلب "يحيى" عيناه بملل من حنقه الذي لا ينتهي، فاستدار
ناظرًا نحو "سيف" قائلاً بابتسامة مُتسعة:

حارة القناص

_ بقولك إيه يا "سيفو" يا حبيبي! عاملين إيه النهاردة على السحور؟!

ضحك "سيف" بسخِطٍ على صدمة "رائد" الظاهرة على وجهه، ثم أجابه بجهل:

_ مش عارف والله، ممكن أقضيها بحتة جبنة ورغيفين عيش وخلص.

استنكر "رائد" ذلك والذي تحدث بابتسامة واسعة:

_ لأ مفيش الكلام دا، أنت هتيجي تتسحر معنا أنا و"يحيى" ويبقى سحور جماعي.

ابتلع "سيف" ريقه بحرج وهو يُجيبه:

_ مش هينفع، عشان مكونش ثقيل عليكم.

وهذا أكثر ما كان يُورقه في صداقاته مع زملائه، أن يكون غير مرغوب به أو جَمَلًا ثقيلًا فوق رؤوسهم، لكن "رائد" نفى ذلك قائلًا بقوة:

_ لأ طبعاً ثقيل دا إيه؟! أنت أخونا ياض، وياما جينا كلنا من إيد والدتك من وإحنا صغيرين.

قطب "يحيى" جبينه بضيق قائلاً:

_إيه دا؟! أنا مكلتش حاجة من إيدك مامتك يا "سيفو".

علت ضحكات "سيف" والذي رد عليه بمشاكسة قائلاً:

_تعالى كُلى يا عم ولا تزعل نفسك، وبالمناسبة السعيدة دي أنا عازمكم بكرة على أول فطار في رمضان.

وللمرة الثانية يعترض "رائد" وهو يُولول ضارباً على وجهه:

_نهارك منيل؟! أنت عايز "جيجي" تقتلنا ولا تبيعنا أعضاء؟! هات أمك يا عم وتعالى افطر معانا أنت، أنا كدا كدا كنت هعزمك.

أخفض "يحيى" ذراعه ثم صفق بكفيه قائلاً بحماس:

_كدا قُل أوي، يبقى كدا اتفقتا، هنفطر بكرة كلنا سوى.

أكدوا على حديثه، ليقول "رائد" بنبرة جدية زائفة بعد أن اعتدل في مكانه:

بما إننا اتفقنا؛ فـ يلا يا استاذ أنت وهو عشان نكمل تعليق
الزينة.

هبط "قاسم" للأسفل فوجد الجميع مُتجمع يجلسون
بالصالون يظهر على محياهم إمارات القلق والتوتر، وما إن
رأته "حبيبة" حتى هرولت إليه مُتحدثة بقلق:
_ "أهله" كويسة؟!!

ابتسم لها "قاسم" ابتسامة صغيرة وهو يقول:
_ أيوا الحمد لله بقت كويسة.

جاورها "صهيب" ثم وجّه حديثه لشقيقه قائلاً:
_ كله تمام ولا محتاج أي مساعدة؟!!

ربت "قاسم" على ذراعه مُتشدقاً بحب:
_ لأ يا حبيبي تسلملي.

حارة القناص

طالعه "حبيبة" بتردد أثناء قولها المُتوتر:
_ ههو أنا ينفع أطلعها عشان أظمن عليها?._

وافق "قاسم" بقوله:
_ أكيد براحتك._

شكرته بامتنان ثم هرولت للأعلى حيث تقبع "أهله" تلك
الصديقة الودودة التي دعمتها في محنتها، بينما أتى "ألبرت
وفور" وجميع أخواتهم ليقفوا أمام "قاسم" للإطمئنان على
زوجته، فطمأن "قاسم" الجميع عن صحتها الجيدة، خاصة
الفتيات اللواتي كان القلق ينهش بأفئدتهم، وظهر هذا في
قول "مهرايل" المُرتاح:

_ الحمد لله إنها بقت كويسة، وبكرة الصبح إن شاء الله
هتظمن عليها عشان متعبهاش أكثر._

وافق "قاسم" مُبتسمًا للجميع بامتنان، بينما "ألبرت" أشار
لجميع أخواته بنظرة واحدة من عينه بإشارة فهموها جميعًا
بامتياز، وبعدها اتجهوا جميعًا للخارج حيث الحديقة وتركوا
البقية يقفون معًا.

تركّتهم "لوسيندا" وصعدت إلى غرفة زوجها للإطمئنان عليه، بينما "قاسم" اتجه نحو المطبخ ومعه شقيقه "صهيب" لأخذ الطعام لـ "أهلة"، بينما "مهرائيل" وجدت نفسها تقف وحيدة ولا أحد حولها!

تنفست بعمق وبدأت ظواهر الضيق والحزن تظهر ببراعة على وجهها، فأتجهت نحو الخارج حيث نسّمت الهواء البارد ليضرب به وجهها، ثم جلست على المقعد الوثير مُمسكةً بهاتفها لتعبث به.

فتحت تطبيقات التواصل الاجتماعي بأكملها وجميعهم يحتفلون بشيءٍ واحد، ألا وهو «عيد الأم»، الجميع يحتفلون بوالدتهن لكن هي كانت يتيمة! هي ليست سيئة، لكنها لا تستطيع السعادة من أجلهن، لقد فقدت والدتها في سنٍ صغير وثرّكت لجبروت أبيها حتى يفعل بها ما يشاء، وحين اشتد الألم بفؤادها؛ رمت الهاتف أرضاً ثم رفعت قدمها لتضم ركبتيها لصدرها ومن ثم شرعت في البكاء.

هي أكثر من يحتاج إلى عناقٍ دافئة من والدتها الآن، تريد أن يُجبر فؤادها بدلاً من آلامه المُتزايدة، وبفؤادٍ مكلوم وشهقاتٍ حادة همست بألم:

__وحشتيني يا ماما، وحشتيني أوي.

قالتها ببكاءٍ عنيفٍ لم تستطيع إيقافه، وكيف تُوقفه وهي قد
فقدت قطعة من روحها!! لم تجد مَنْ يُحبها بصدقٍ مثلما
كانت تفعل هي، دائماً ما كانت تُعطي من دون مُقابل، والآن
هي رحلت عن العالم بأكمله وتركتها تُعاني من الويلات.

شعرت بمن يجلس بجانبها لكنها لم ترفع عيناها له، لقد
عرفته من رائحة عطره المُميزة، وكعاداته الأخيرة؛ فقد شهد
ضعفها مرة أخرى، أمسك "ألبرت" بكف "مهرايل" يُبعده
عن وجهها المليء بالدموع، وبأصابعه قام بتجفيف دموعها
بحنوٍ بالغ وهو يتسائل:

_ ما بكِ جروي الصغير؟!

في تلك الأثناء كانت "مهرايل" تُحاول السيطرة على ذاتها
والكذب عليه، لكن مشاعرها طغت على لسانها وانفجرت
في البكاء، جذبها "ألبرت" لأحضانه وهو يُربت على ظهرها
بحنان أثناء قوله:

**_ شششش كفى عن البكاء عزيزتي، لا شيء يستدعي تلك
الدموع كلها.**

حارة القناص

وهمسة واحدة خرجت منها بصوتٍ مبحوحٍ باكي:
_ماما.. ماما وحشتني أوي.

والآن علم ما بها، لكن لم يجد سوى مواساة جيدة تُناسب
هذا الموقف، أغمض عيناه بألمٍ شاعرًا بكل ما يختلجها
الآن، هو يعيش نفس شعورها، لكن الفرق الوحيد أن والدته
على قيد الحياة، زفر بضيقٍ فمال على خصلاتها يُقبلهم
بحنان وهو يقول:

_هي الآن تراكِ، تسمعكِ، وتشعر بكِ، لا تجعلها حزينة
لرؤيتها لدموعك بهذا الشكل.

_أنا محتاجاها معايا، حاسة إني لوحدني.

همست بها بضعف، ليرفع رأسها مقابل وجهه ثم أردف
بحنان:

_أنتِ لستِ وحدك، أنا هنا معكِ وبجانبك.

طالعه "مهرائيل" بعدم فهم أثناء تجفيفها لدموعها بيدها،
ثم تحدثت بحيرة:

حارة القناص

_بس انتوا مسيركوا هتزهقوا مني وهمشي من هنا.

رد عليها "ألبرت" بقوله:

_ليس بعد أن أنهكت عقلي وتفكيري أتركك تذهبين بكل تلك السهولة.

قطبت جبينها بعدم فهم رغم التوتر الذي أصاب محياها:

_مش.. مش فاهمة!!

اقترب منها "ألبرت" على بغتة ثم قبّل وجنتها بحنانٍ قبل أن يقول بنبرة مُبهمة غير واضحة:

_ستعلمين ما أقصده قريبًا جروي الصغير.

كان "صهيب" واقفًا بجانب أخيه يرمي على مسامعه كلمات المواساة والطمأنينة حتى يستعيد هدوئه وراحته، حتى زفر "قاسم" صائحًا بضيق:

_يابني والله أنا كويس ومش زعلان.

نفي "صهيب" برأسه وهو يقول بصرامة:

_ لَأ أنت مش كويس إيش عرفك أنت؟!!

أغمض "قاسم" عيناه بيأس من عناد أخيه المُلَازِم لقلقه،
بينما عاد "صهيب" لنفس الحديث الذي يُعيدُه منذ أكثر من
نصف ساعة:

_ المهم أنا مش عايزك مضغوط أو متضايق، أنا حاسس بيك
ياض عشان أنت أخويا، يعني من لحمي ومن دمي، فلو في
أي وقت من الأوقات حبيت تتكلم أو تحكي اللي مضايقتك؛
هتلاقيني موجود على طول.

ضحك "قاسم" بيأس بعد أن أنهى رص الأطباق، ثم اقترب
منه يحتضنه بحب شديد وهو يقول:
_ ربنا يخليك ليا يا حبيب أخوك.

بادله "صهيب" العناق بسعادة، فابتعد عنه "قاسم" ثم
تشدق أثناء حمله لصينية الطعام:
_ يلاً بقى نطلع للبنات ونشوفهم بيعملوا إيه.

حارة القناص

وافقه "صهيب" على الفور ثم صعد بجانبه الدرجات، وحين اقتربوا من الغرفة تحدث "صهيب" بثقة:

متقلّش، هتلاقي "حبيبة" فرشتهاك دلوقتي وبقت 100
فُل وعشرة.

وحين وصولهم إلى أعتاب الغرفة، استمعوا إلى صوت "حبيبة" المبحوح والذي يظهر عليه آثار البكاء تقول:

خلاص لو مش مرتاحة معاه اتطلقي منه طالما بيخليك
تعيطي كدا.

طالع "قاسم" أخيه بتشنج والذي طالعه بضحكة غبية زادت من حنقه، ليجز "قاسم" على أسنانه هاتفاً بغیظ:

تدخل تاخد مراتك ومشوفش وشكم تاني، مراتك جاية
تخرب عليا بعد ما الدنيا هدیت.

جعد "صهيب" جبينه وهو ينفي بقوة:

لأ طبعاً، هتلاقيها كانت بتهدّيها بس التعبير خانها.

والله إيدي اللي هتخوني دلوقتي وهتنزل على وشك تعلم
عليه.

قالها من بين أسنانه، ثم طرق الباب بهدوء وبعدها دلف
للداخل واضعاً الطعام على الطاولة تزامناً مع مسح "حببية"
لدموعها ونظراتها الحارقة التي ترميها إليه وكأنه هو مَنْ
تسبب في دموع صديقتها العزيزة!

همس "قاسم" لذاته مُتَحَسِراً:

_حسبي الله ونعم الوكيل على سوء الظن دا!

بينما ذهب "صهيب" إلى "حببية" يجذبها إليه وهو يُطلق
ضحكات صاخبة على هيئتها اللطيفة أثناء غضبها، ليقول
من بين ضحكاته:

_يلا يا "بيبة" ننزل إحنا دلوقتي ونسيبهم على راحتهم.

أومأت إليه "حببية" بصمت، ثم استدارت نحو "أهلة"
واحتضنتها بحب قائلة:

_أنا موجودة لو عايزاني ابقني ناديلي.

ربتت "أهلة" على كفها وهي تقول بامتنان:

_حاضر يا "بيبة" متقلقيش عليا.

سددت لها "حبيبة" نظرة حنونة قبل أن ترحل وتذهب مع زوجها، ولكن قبل أن ترحل رمت نظرات حانقة نحو "قاسم" الذي طالعها بدهشة حقيقية بالفعل!! ما ذنبه هو في كل هذا ليؤخذ به؟!!

ضحكت "أهلة" بصخب على قسماته المُتشنجة، ليستدير إليها "قاسم" مُتحدثاً بسخط:
_والله ياختي؟! يعني عاجبك اللي بيحصل؟!!

أتى الليل سريعاً، وقام "قاسم" بإطعام "أهلة" الطعام بيده بكل حنان وكأنها طفلة المدللة.

ذهب "ألبرت" وأخواته إلى إحدى المهام المجهولة والتي لن تكون يسيرة بالطبع، دلفوا إلى أحد الغارات وغابوا بداخلها لبعض الوقت، وبعد نصف ساعة خرجوا منها مُهرولين و"فور" يحمل على ظهره حقيبة مليئة بالمواد الثقيلة، وبعدها وقفوا بعيداً عن تلك الغارة، ولم تمر سوى

ثوانٍ معدودة من خروجهم حتى وانفجرت الغارة بمن فيها
بأكملها.

ضرب الأخوة كفهم بكفٍ بعضٍ بغرورٍ وبعدها قرروا العودة
إلى المنزل، وبعد نصف ساعة وصلوا جميعًا إلى قصرهم
الكبير.

لكن مهلاً! فالقصر مليء بكل أنواع الزينة في حديقته، أو
بالأصح «زينة رمضان»، قطب "ألبرت" جبينه وهو ينظر
حوله بتعجب مُتسائلاً:

من فعل هذا؟!

لم يأتي الرد من أحدٍ من أخواته بالطبع، بل أكملوا السير
ليروا «الفوانيس» تملأ الأركان بألوانها الذهبية المبهجة،
وفروعٌ كثيرة من النور على شكل هلال أو نجمة مُعلقين في
كل مكان، وعلى كلا الجانبين يوجد عمودين من النور مُعلق
بهما مصباحين يدور بكافة الألوان والأشكال، مما حوّل
الحديقة لقاعة ديسكو كما يُقال، دلفوا للداخل فكان المظهر
كالتالي:

حارة القناص

"قاسم" يُعلق بقية الزينة داخل القصر وكأنه منزل أبيه أو ما شابه

"صهيب" يُساعده في تثبيت الفوانيس ووضعها كالتيكات للتريين.

"حبيبة" تجلس بجانب "أهلة" تُطالع القصر بانبهار بعد أن زادت ألوان الزينة جمالاً فوق جماله.

و"مهرايل" تُغني بصخب وهي تتمايل ببلاهة يميناً ويساراً:
_رمضان جانا.. وفرحنا به.. بعد غيابـه.. أهلاً
رمضان.. رمضان جانا.. أهلاً رمضان.. مرحب
بهدومك.. يا رمضان.. ونعيش ونصونك.. يا رمضان.. أهلاً
رمضان.. رمضان جانا.

ارتفعت ضحكات الجميع بصخب ليتحدث "قاسم" ضاحكاً:
_ أنا ليه حاسس إنك فرحانة أكثر مننا برمضان!؟!

أجابته "مهرايل" وهي تُصفق بحنان:
_ طبعا فرحانة.. هو رمضان بيحي كل شهر يعني!؟!

وتلك المرة تحدثت "أهله" ضاحكة:

_يا بنتي فوقي أنتِ مسيحية وأقسم بالله!! تعالي بس أقعدني هنا واتهدي لحد ما يخلصوا تعليق الزينة.

هبط "قاسم" من على الكرسي مُنفضاً كفيه معاً وهو يقول:
_أنا خلصت تعليق الزينة وكله بقى تمام.

_حقاً؟!!

صعدت تلك الكلمة من فاه "ألبرت" الذي نطقها باستنكار، فاستدار له "قاسم" مُتفاجئاً بوجوده ثم أردف ضاحكاً:
_معذرةً عزيزي "ألبرت"، رمضان بكرة وكل سنة وأنت طيب بقى، وطبيعي إحنا مش في مصر فمش هنلاقي الأجواء دي هنا، عشان كذا قررت أعملها بنفسى.


كاد "ألبرت" أن يتحدث لكنه قاطع حديثه أثناء قول "مهرائيل" المُتحدث بحماسة:
_بما إننا كلنا متجمعين فـ يلا نتسحر.

حارة القناص

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

اللهم لا تخرجنا من رمضان إلا وقد اصلحت حالنا، واسعدت
حياتنا، وغفرت ذنوبنا، وتقبلت صلاتنا وصيامنا وحققت لنا
ما نتمناه. 

#الفصل_الثالث_والأربعون.

#حارة_القناص.

#استعادت_وعياها.

كان الشباب يحملون الأطباق بين أيديهم بعد أن أمرتهم
"جيهان" بمساعدتها، تأفف "رائد" أثناء وضعه للطعام
على الطاولة بقوله:

_يعني الواحد عشان ياكل لازم يتذل كدا؟! والله حرام.

جاءه الرد من "جيهان" التي ضربته بقبضتها على ظهره
وهي تقول بحنق:

_أومال عايز تاكل كدا من غير ما تعمل بأقمتك؟! اخلص يا
ولا ادخل هات باقي الأطباق.

طالعتها "رائد" بضجر ثم استدار برأسه تجاه "يحيى"
الجالس على الطاولة يأكل بنهم، ليُشير إليه بسبابته قائلاً
بغضب:

_إشمعنى "يحيى" جاب طبقين وبعد كدا قعد؟!!

حارة القناص

نظرت "چيهان" حيث "يحيى" اللامبالي، ثم ذهبت إليه
تجذبه من ياقة ثيابه أثناء قولها الحانق:

_وأنت قوم يا منيل هات طبقين الفول من جوا.

رفع "يحيى" أنظاره إليها مُطالِعًا إياها هي وابنها بضيق،
ثم هبَّ من مكانه زافرًا بسخط:

_أنا مش عارف الناس إيه اللي جرالها؟! مفيش احترام
للضيف كدا خالص؟! لا حول ولا قوة إلا بالله.

رفعت "چيهان" حاجبيها باستنكار وبعدها تحدثت باستفزاز:
_خلصت؟! ادخل بقى هات باقي الأطباق بدل ما أحلف
عليك ما أنت واكل.

لوى "يحيى" شفتيه بغيظ ثم استدار لـ "رائد" دافعًا إياه
أمامه باتجاه المطبخ، وبعدها تحدث بصوت حانق:
_يلا ياخويا نجيب باقي الأكل من جوا، أصل أنت وأمك
هتذلوني.

قالها ثم دلف كلاهما إلى المطبخ لجلب بقية الصحون، بينما
التفت "چيهان" نحو "سيف" الذي يُطالع الجميع بابتسامة

حارة القناص

خجولة حَرَجَة، رسمت "جيهان" على فاهها ابتسامة واسعة
أثناء اقترابها منه وهي تقول:

_منور يا حبيبي.

رد عليها "سيف" مُبتسمًا بخفوت:

_بنورك يا طنط تسلمي.

طالعته "جيهان" بحنان قبل أن تُشَبِّك أصابعها معًا وهي
تقول بحسرة:

_عيني عليك يا بني!! إيه بس اللي جمعك مع جوز التيران
دول!! هيبوظوك وأنت لسه قلبك طيب.

قطب جبينه بتعجب وهو يتسائل باستغراب:

_إزاي مش فاهم!؟

اقتربت منه "جيهان" للجلوس بجانبه، ثم تحدثت بصوتٍ
خافت هاديء حتى لا يسمعونها زوج الثيران _ كما تقول _:

_أصل بيني وبينك العيال دول متربوش.

حارة القناص

حدجها مُستعجبًا، لثوميء له برأسها وهي تؤكد له:

_أيوا اسمع مني، الواد "رائد" دا أساسًا مش ابني وأنا متبنياه، و"يحيى" صاحبه، يعني طبيعي يبقى زيّه.

فرغ فاهه وهو يضحك بدهشة حقيقية، لتكمل حديثها بهمس وهي تُمسك بمعصمه:

_اهرب.. اسمع مني أنت متتفعلش مع الأشكال دي.

ضحك "سيف" عاليًا ثم أردف من بين ضحكاته:

_يا طنط بتقولي إيه بس؟! والله "رائد ويحيى" محترمين جدًا.

في تلك الأثناء أتى كُلاً من "رائد ويحيى" الذين تسائلوا بتعجب:

_ضحكونا معاكم!

تجاهلتهم "چيهان" التي طالعت "سيف" بنظرات ودودة ثم أخبرته قائلة:

_ما بلاش بقى كلمة طنط دي وقولي يا "چيجي" زي العيال دي.

توترت أنظار "سيف" الذي طالع أصدقائه لينجدوه، لكنهم وقفوا مُبتسمين للموقف بأكمله، فعاد هو بنظراته نحو "جيهان" قائلاً بحرج:

__بس.. بس مش هينفع، حضرتك في مقام والدتي ومينفعش أقولك كدا.

استدارت "جيهان" برأسها نحو الشابين قائلة:
__شايقين الأدب والأخلاق؟! اتعلموا يمكن تتربوا.

امتعضت وجوههم بسخطٍ، فعادت بنظراتها نحو "سيف" الذي يضحك بخفة، ثم تحدثت بحنان:

__لأ يا حبيبي هينفع وأنا هكون مبسوطة بدا، وبعدين أنا لسه صغيرة، إيه طنط اللي بتقولها لي دي؟!!

تدخل "يحيى" في الحديث بقوله الحانق:
__يابني قولها يا "چيچي" وانجز عايزين ناكل.

طالعتها "سيف" بتردد قبل أن يتشدد بحرج:
__حاضر يا "چيچي".

ربتت "چيهان" على قدمه بحنوٍ بالغٍ ثم هبت من مجلسها
تقول له بود:

_ايوا كدا، يلا قوم بقى علشان نتسحر.

وقف معها "سيف" ثم سار معها عدة خطوات ليجلس على
مقعد السُفرة العريضة بجانب "يحيى" الذي يجلس
بالمنتصف بينه وبين "رائد"، ولم تمر سوى ثوانٍ حتى
خرج "محروس" من غرفته مُتثائبًا وهو يتشدق بضيق:

_قولتلك يا "چيچي" نتسحر قبل ما ننام بس أنتِ مش
بتسمعي الكلام.

أجابته "چيهان" وهي تضع خُبزًا أمامه بعد أن جلس
مُترأسًا الطاولة:

_ناكل قبل ما ننام ونفضل طول النهار جعائين يا
"محروس"؟!!

هز "محروس" رأسه بياسٍ قبل أن يتثائب مُجددًا، لكنه
انتبه الآن من وجود "سيف" الذي يشعر بالخجل من
اقتحامه لخصوصيتهم بهذا الشكل، عكس "يحيى" الذي
يأكل دون أن يُبالي بمن حوله:

_إيه دا "سيف"؟! عامل إيه يا ابني؟!

رد عليه "سيف" وهو يبتسم بمُجاملة:

_الحمد لله يا عمو بخير، معلىش بقى أسف على الإزعاج.

هز "محروس" رأسه نفيًا وهو يُعاتبه:

_إزعاج إيه بس هزعل منك، دا أنت زي ابني وأبوك الله
يرحمه كان عشرة عُمر يا راجل.

_تسلملي يا حج ربنا يخليك.

قالها بهدوءٍ ناظرًا إليه بامتنان، لينتبه على صوت "چيهان"
الذي تسائل باهتمام:

_أومال فين الست والدتك مجتش معاك ليه؟!

أجابها ضاحكًا بعد أن ابتلع الطعام الذي بحلقه:

_لأ ماما زمانها رايحة في سابع نومة، هي بتصلي العشا
وتنام على طول بسبب دواها.

ردت عليه "جيهان" بحنان:

_ربنا يشفيها ويبارك في عمرها يارب.

آمن الجميع على دعائها، وفضلوا تناول الطعام بصمت، بعد فترة من الوقت رفع "رائد" أنظاره لوالدته يتسائل بانتباه:

_أومال فين "سهيلة" يا ماما؟!!

أجابته والدته وهي تلوك الطعام داخل فمها:

_قالت إنها مش جعانة وقاعدة بتذاكر في أوضتها.

أوما لها "رائد" بصمت وفواده يطرق بقلق على حالة شقيقته، يعلم بأنها تتعامل باعتيادية مع الجميع، لكنه يفهم الحزن الذي تخفيه عنهم، وهو سيعمل على تخفيفه.

وبالذهاب إلى قصر "عائلة تشارلي".

وجد أن الجميع قد انتهوا من تناول الطعام (السحور) ثم تفرقوا إلى غرفهم بعد أن ألقى كُلاً من "قاسم وصهيب" نظرة مُفتخرة على المنزل الذي حولوه إلى مكان مليء بالزينة الرمضانية والفوانيس المُبهجة للنفوس.

جلست "أهلة" على الأريكة أمام المدفئة وبجانبها "قاسم" يعبث بهاتفه وهو يُدلك فروة رأسها بحنان بعد أن أخبرته عن صداع رأسها، فقرّر تخفيفه ولو قليلاً وأتى بطبقٍ من الطعام المُفضل لها «ورق عنب» ليُطعمها إياه حتى يأتي موعد آذان الفجر.

مطّ "قاسم" شفّتيه بصمتٍ مريب وهو ينظر لتلك الرسالة التي بعثها إليه "وليد"، لم يترك ذاته لرأسه تُفكر أكثر، بل قام بمهاافته على الفور والنقاش حول ما علمه.

في تلك الأثناء كانت "أهلة" شاردة في "قاسم" تُطالعه بابتسامة هائمة وكأنها لم ترى رجلٍ قط، تنظر لوجهه البشوش، عيناه الحادة القاتمة، وتستمع لصوته العميق الآجش، تستشعر حنانه المُغلف بالحب، كل شيءٍ به يؤسرها وهي باتت كالسجينة تحت ملكوت يده.

حارة القناص

انتبه لنظراتها وهو يتحدث بالهاتف، فأرسل إليها ابتسامة صافية شغوفة زادت من نبضات فؤادها أثناء تدليكه لرأسها بحنان، انتقلت عدوى ابتسامته لها فابتسمت هي بالمقابل له، وبعدها سمعته يتحدث للطرف الآخر بقوله الخبيث:

_اممم.. يعني هو دلوقتي عرف كل حاجة واللعب بقى على المكشوف!!

انتظر قليلاً حتى استمع للطرف الآخر، فأنحني بجسده قليلاً يلتقط إصبعاً من طبق الطعام الذي أمامه ثم وضعه داخل فمها وكأنها طفلة لا تقدر على تناول الطعام وحدها، وبعدها تشدق بخبت:

_لأ متعملش حاجة، وطالما عرف يبقى يا مليون أهلاً وسهلاً، دا الغالي ولازم نوجب معاه برضه.

كانت "أهلة" تتابعه باهتمام وهي تلوك الطعام داخل فمها، حديثه غير مفهوم لكنه مُقلق بعض الشيء، جفلت على مد "قاسم" يده بالطعام مرة أخرى، لتقول بهمس:
_شبعنا والله.

حارة القناص

رمى لها نظراتٍ مُحذرة فاضطرت إلى تناول الطعام رَغْمًا عنها، فحاول "قاسم" إخفاء ابتسامته التي ظهرت ثم تشدق بجدية لـ "وليد":

_ طيب تمام يا "وليد" أنت كدا عملت اللي عليك وزيادة، المهم دلوقتي تخلي بالك كويس أوي عشان أكيد "مختار" شك فيك بنسبة مليون في المية، ولو حسيت بأي خطر على حياتك انسحب فورًا من غير تفكير، أنا معنديش استعداد أخسرك لأجل مصالحي.

انتظر قليلًا ليستمع للطرف الآخر، وبعدها ابتسم بخفة وهو يقول بامتنان:

_ تسلم يا "وليد"، سلام.

أغلق الهاتف ثم مدَّ يده مرة أخرى لإلتقاط الطعام، لتزفر "أهلة" بضيق وهي تتذمر:

_ والله شِبت حرام بقى.

أصمتها بتحذيرٍ وهو يقول بقوة:

_ اصمتي يا امرأة، كُلِّي كويس عشان تعرفي تصومي بكرة بدل ما تقعي مني.

تناولت ما بيده من طعام ثم قالت وهي تُقلبه داخل فمها:
_ يعني هي دي أول مرة أصوم؟! وبعدين أنا مكنتش بتسحر
أصلاً أنت تحمد ربنا.

قرصها "قاسم" من خدها بخفة قائلاً بمشاكسة:
_ كُلي يا "هولا" ومتجادلنيش عشان هتاكلي يعني هتاكلي.

طالعته "أهلة" بياس أثناء ابتلاعها للطعام، ليقرر أن يرفق
بها قليلاً، فأبعد الطعام عنها ثم استدار لها بجسده بأكمله
متشدقاً أثناء امساكه بكفها:

_ ها قوليلي بقى! حاسة إن بقى فيه تغيير في حالتك بعد ما
اتعالجتى من الكتمان؟!!

طالعته "أهلة" قليلاً بصمتٍ ثم أومأت له بالإيجاب وهي
تتنهد بعمق، ثم أردفت بنظراتٍ شاردة:

_ بقيت أحسن بكثير، حاسة كانه جبل واتشال من على قلبي،
كنت زي الغريق اللي مش لاقى طوق النجاة واتعلقت
بقشاية.

حارة القناص

طالعتها بحنوٍ بالغٍ، فمرر إصبع إبهامه على كفها من الداخل
مُتسائلاً بترقب:

__والوسواس؟!!

أجابته بعد أن زفرت بضيق:

__بدأ يقل.

تسائل مُجدداً وكأنه لا يمل من السؤال على صحتها:

__طيب أنت كنتِ بتتقرفي وبتجيبني اللي في بطنك كثير،
دلوقتي بقيتي بترجعي قد إيه؟!!

استشعرت حنانه ونبرته القلقة، فردت عليه بابتسامة
خافتة:

__يعني أنا في الأول كان ممكن أجيب اللي في بطني حوالي
خمسين مرة في اليوم، حرفياً كنت بتقرف من أي حاجة
لدرجة إنني لما بغير هدومي كان ممكن أرجع بسبب إنني
مقروفة من إن الهدوم دي، يمكن تكون مش مغسولة كويس
أو لسه مش نظيفة.

__ودلوقتي؟!!

تسائل بترقب لتُجيبه بارتياح:

_ دلوقتي ممكن 10 مرات أو 15 مرة في اليوم.

_ ومن إيه التغير دا؟! إيه الفرق يعني!؟

_ في الأول كنت بكتم في نفسي دايمًا، مش بعرف أعبر عن حزني أوي زعلي فبضطر إني أفكر كل الذكريات البشعة اللي أنا مریت بيها، مكنش قدامي فرصة في التعبير عن اللي واجعني فكنت بتقرف، لكن دلوقتي الموضوع اختلف، بقيت بعرف أعيط وبيين مشاعري، رغم إني لسه متعالجتش من الوسواس بس أثاره لسه عندي وعايزة دا كله ينتهي.

كان يستمتع إليها بكل ذرة في وجدانه، عيناها المُلتمعة بسعادة بثت الفرح داخل فؤاده، اقترب منها قليلًا ثم ضمها إليه قائلاً وهو يُقبّل جبينها بحنان:

_ هتعالجي وهتبقي كويسة وأحسن من الأول، كلها أسبوع وهترجعي تستكملي رحلة علاجك.

كانت قلقة بشأن هذا الأمر، سيُكشف كل شيءٍ كانت تُخفيه عن الجميع، تخشى أن يعلم به "قاسم" فيتركها وحدها

حارة القناص

لتنكس بدونه، ابتلعت ريقها بصعوبة تُحارب تلك الأفكار
التي لا تنفك أن تحوم داخل عقلها، وحينها لم تجد ما
يُطمئنها سوى مُبادلته لعناقه الدافئ الجميل، ودت لو تظل
هكذا حتى لو ألف عامٍ وتبقى لجواره، لكن كل أحلامها ذهبت
هباءً عندما ابتعد بجسده عنها دون حتى الحديث!

تابعته بعيناها بتعجب، لتجده قد ذهب نحو أحد الأدرج وقام
بفتحه، وبعدها قام بإخراج صندوق متوسط الحجم مُغلف
ومربوطٍ بشريطة لامعة بنية اللون، عاد بخطواته لها ثم
جلس أمامها راميًا إليها ابتسامة مُتسعة، لتتسائل هي
بتعجب:

__إيه دا؟!!

أجابها وهو يُراقب وجهها الذي تحول للسعادة عقب إجابته:
__وعدتك إني هجيبك بوكس رمضان، ودلوقتي أنا بوفي
بوعدي ليك.

نظرت إليه بسعادة ثم حوّلت أنظارها نحو ذلك الصندوق
المُغلف تُتابعه بأعين مُلتمة، بينما هو مدّ يده بالهدية قائلاً
بحب:

__كل سنة وأنتِ طيبة وفي حياتي يا "هولا".

ظلت "أهلة" صامته لثوانٍ وهي وحدها من تستمع لصخب فؤادها، وبعد مدة قليلة مدت يديها لأخذ الصندوق بعد أن هتف بإصرار:

مش هتاخدي هديتك تشوف فيها؟!!

التقطت "أهلة" هديتها وعلى ثغرها ترسم ابتسامة واسعة سعيدة، وبترو شديد قامت بإزالة الرابطة من حول الصندوق، وبعدها قامت بفتحه، لتُصدم من جمال الهدية التي جعلت الدمعات تترقق داخل حدقتها بسعادة!

فقد كان الصندوق يحتوي على مصفحين متوسطي الحجم، واحد من اللون الأسود، والآخر من اللون الوردي المبهج، لكن صفحاته تحتوي على ألواناً مختلفة لتسهل الحفظ، وبجانبهم يوجد كتابين صغيرين يقصان قصص الصحابة وغزوات الرسول ﷺ، لكن ما شغل انتباهها أكثر هو ذلك الإسدال والذي كان أبيض اللون ومنقوشاً بنقوش سوداء زادت جمالاً، وموضوعاً أسفله فانوساً من اللون البني الداكن يحتوي بداخله على هلال من اللون الذهبي اللامع، ومن الخارج منقوشاً عليه «أهلة القاسم» بخط ذهبي مُزخرف جميل، وأخيراً رأت مسبحتان متجاورتان، واحدة

من اللون الأسود، والأخرى من اللون الأبيض، وفي النهاية وجدت ورقة مُدون عليها بخط يد جميل ومُهدم:

_عيناكِ كنجمتين وجدتني ضالاً شريداً؛ فهديتني.

رفعت أنظارها إليه تُطالعه بدموع وعدم تصديق، هل فعل هذا كله لأجلها هي!! كان هو ينتظر ردها لكنه لم يجد سوى دموع تُزين حدقاتها، ليقترّب منها مُجففاً دموعها مُتشدقاً بعتاب:

_وليه الدموع دي بس!؟!

وبدون أي كلمة أَلقت ذاتها داخل أحضانه بعد أن وضعت الصندوق جانباً، أحاطت عنقه بكل قوة لا تريد تركه ولو للحظة واحدة، بينما هو أحاط بخصرها يضمها إليها بشوق وعشقٍ يتزايد دون إرادة منه، لقد امتلكته بالمعنى الحرفي ولا يجد طوق نجاة من عينيها، لقد أسرته!

استمع إلى صوت شهقاتها الخافتة التي صعّدت رغماً عنها، ليُهددها بحنانٍ أثناء قوله المُشاكس:

_هي الهدايا بتعيطك أوي كدا؟! على كدا بقى وفرتي عليا جامد ومش هجيبك هدايا تاني.

ضحكت رغماً عنها ضاربة إياه بقبضتها الصغيرة على ظهره، لتستمع إلى صوت ضحكاته يعلو تدريجياً عليها، وللمرة التي لا تعلم عددها أخرجها من حزنها واحتوى تعبها دون كللٍ أو مللٍ منه، قبّل جانب عنقها برقة ثم أبعدا عنه قائلاً وهو يُجفف عبراتها المناسبة:

_قومي يلا اتوضي واجهزي علشان الفجر قرّب يأذن.

أكملت مسح عبراتها العالقة بين أهدابها ثم وقفت في مكانها في نية للتوجه إلى المرحاض لتتوضأ، لكنها توقفت في مكانها ثم انحنت عليه مُقبّلة وجنته وهي تقول بامتنان قبل أن تذهب مُسرعة إلى المرحاض:

_ربنا يديمك ليا.

قالتها ثم هرولت خجلاً، ولسوء حظها لم ترى ابتسامته الهائمة التي تشكلت على وجهه، وبهمسٍ عاشقٍ تحدث:

_ويديمك ليا يا روح قلبي.

مرت بعض الدقائق وخرجت "أهلة" من المرحاض مُرتدية الإسدال الذي جلبه لها "قاسم" وكم كان رائعاً عليها بحق!

حارة القناص

اتسعت ابتسامته عند رؤيتها فاقترب منها حتى وقف قبالتها وهو يقول بمشاكسة:

__ شايفة وشك في الحجاب منور إزاي؟!!

استدارت "أهلة" نحو المرأة تُطالع مظهرها بتمعن، بات وجهها طفولياً وجميلاً يحمل من الرقة ما جعل فؤاد الآخر ينبض بقوة، عادت بأنظارها له فوجدته يمد يده لها بزجاجة المياه وهو يقول:

__ خُدي اشربي بسرعة فاضل دقيقتين.

وبالفعل قامت بشرب المياه وانتظر كلاهما لعدة دقائق ثم بدأ "قاسم" بالصلاة، هو إمامها وهي تقف خلفه، صوته شجن يبث الراحة للقلوب، ينتقي من الآيات ما يُريح الأنفس والعقول، كانت تستمع إليه بكل ذرّة بوجدانها، تتمعن في معاني الكلمات بكل انتباه حتى انتهوا من صلاة الفجر، وبعدها رفع هو يده للأعلى يُناجي المولى عز وجل، يدعو لذاته أحياناً، ولشفاء والدته تارةً، وأن يحمي أخيه أحياناً أخرى، حتى أنهى دعائه بقوله الهامس المترجي:

__ وفؤادي يا الله بات مُتعلقاً بها، فأرني بها عجائب قُدرتك وأدخل السعادة لقلبها، وأدخل السرور بداخلها ليتغلغل بين

أوردتها، فإنه يعز عليّ ضعفها وحُزنها، وأنقذ عبدٌ فقيرٌ
جاء لبابك راجياً، واجعلها من عبادك الصالحين فتدخل الجنة
راكضة.

أنهى دعائه ثم استغفر قليلاً فوجدها تفعل المثل، وما كاد أن
يتحدث حتى وجدها تمد يدها له بالمسبحة تطلب منه
بابتسامة واسعة:

__ خُد سبِّح ربنا.

أخذ منها المسبحة السوداء وجلسا معاً على سجادة الصلاة
يسبحان معاً، لتتطلق بعدها صوت الأمطار تهبط بكثافة من
حولهم في الأرجاء، وأصوات السماء التي تُفتح مُسببة
الرعد الذي يصدح بضجة عالية، وكأن إليهم يُخبرهم
بوجوده، يُخبرهم بأن يدعوهم ليستجيب لهم، أبواب السماء
مُنفتحة ودعواتهم تُستجاب بسرعة عالية.

اليوم الأول من رمضان الذي تصومه بكل خشوع، تقف في
المقابر وسط الآلاف من الأموات الذين غادروا تلك الحياة
تاركين ندوباً في أفئدة أحبائهم، وضعت "سهيلة" الورد

المُمسكة بها على قبر صديقتها الحبيبة الراحلة، تُطالعه
بنظراتٍ مُشوشة بسبب تلك الدموع التي احتلت عيناها،
وبقلبٍ مكلومٍ همست باشتياق:
وحشتيني يا "عائشة".

ومع همستها الأخير هبطت دمعة شاردة من عيناها بعد أن
تمردت في أسرها، اقتربت "سهيلة" أكثر حتى وضعت كفها
على صخورِ القبر وكأنها تلمس صديقتها، وبابتسامة
واسعة مليئة بالألم أردفت:

_أنا جيتك النهاردة أول واحدة، جيتك وأنا متغيرة من جوا
ومن برا، أنا لبست الخمار يا "عائشة"._

عضت على شففتيها تُحاول منع ذاتها من البكاء، لكن
محاولتها بائت بالفشل عندما ارتفعت شهقاتها لتعلو رغبًا
عنها وهي تستكمل حديثها بقولها الباكي:

_فكرت في الخطوة دي كتير قبل ما أخدها، وبحثت كتير
علشان ألبسه صح، كنت هبدأ بالحجاب الأول بس.. بس أنا
عايزة أكون زيك، عايزة لما أموت أكون مُبتسمة وفرحانة
زي ما شوفتك، أنتِ وحشتيني أوي، وحشني الكلام معاكِ
وضحكنا مع بعض، سيبتني فراغ كبير في حياتي أنا مش
عارفة أتعود عليه._

تمالكت نفسها قليلاً فرفعت كفها لمسح دموعها، ثم أردفت ببسمة مُمتزجة بدموعها:

_فاكرة لما كنتِ بتقوليلي إنك عايزاني أعمل كل حاجة ترضي ربنا عشان يوم القيامة ندور على بعض وندخل الجنة سوا؟!!! أنا دلوقتي بعمل كل حاجة أقدر عليها عشان أدخل الجنة، بقيت أحفظ قرآن، ومحافضة على صلاتي، مبقتش أسمع مسلسلات ولا أفلام، سيبت كل حاجة وحشة أنا كنت بعملها، يوم القيامة لو ملقتيش في الجنة يا "عائشة" ابقي نادي عليا، اطلبي من ربنا إنه يشفعلي.

ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة وقد استحكت غصتها الباكية على حلقها، وبدون إرادة منها انفجرت باكية، وضعت كفها على وجهها لتُخفية قائلة من بين شهقاتها العالية:

_أنتِ وحشتيني أوي يا "عائشة"، وحشتيني أوي ونفسي أشوفك وأحضنك ولو لمرّة واحدة بس.

أخفت وجهها وظلت كما هي تبكي، ذكرياتها القليلة مع صديقتها تُحيي بداخلها الكثير والكثير من المشاعر المُشتاقة، تلك المشاعر التي ظنتها ستخفت تدريجياً مع مرور الأيام، لكن الأيام لم تُزيدها إلا شوقاً، شعرت بمن يُربت على ظهرها ويُحيط بكتفها، لكنها لم ترفع وجهها

حارة القناص

وظلت تُخفيه عن الأنظار، رفضت رفع وجهها حتى لا يراها أحد بهذا المظهر البشع، لقد انهارت بما فيه الكفاية.

لكن مهلاً!! تلك الرائحة هي تعرفها جيداً!! تلك الرائحة التي ظلت عالقة بذهنها حتى الآن!! رائحة المسك التي تخص صديقتها والتي استنشقتها يوم وفاتها!! حينها كانت الغرفة تفوح بتلك الرائحة حتى تركت أثراً داخل فؤادها، كيف تشمها الآن؟! كانت مازالت تلك الأيدي تُربت على ظهرها لتُهددها، لكن ما إن رفعت وجهها لترى الفاعل؛ حتى صُدمت عندما لم تجد أحداً يُحيطها، المكان فارغ بالكامل ولا يوجد سواها!!

طرق فؤادها ببعضٍ من الخوف ومازالت تنظر حولها بسرعةٍ عليها تلمح أحداً، لكنها لم تجد ظل شخصٍ واحد حتى، وتلك الرائحة! تلك الرائحة مازالت تحوم حولها؛ وكأن روح صديقتها موجودة معها الآن وأنت لمواساتها، ولو كانت في موقف آخر لهرولت بعيداً عن المكان بأكمله، لكنها ابتسمت سعيدة مُرددة بعدم تصديق:

_"عائشة"؟!!! "عائشة" أنتِ معايا وسمعاني صح؟!!!"

ولأسفها الشديد لم تحصل على جواب، وكيف ستحصل على جوابٍ من شخصٍ ميت؟! لكنها رمت كل هذا خلف ظهرها وتحدثت بسعادة بعد أن جففت دموعها:

_ لو شيفاني بُصي الخمار حلو عليا إزاي؟! أنا بجد مبسوفة وفرحانة أوي، أنتِ أول واحدة تشوفيني، أنا خرجت من البيت بدري أوي عشان محدش يشوفني وتكوني أنتِ أول واحدة.

قالت كل حديثها بحماسٍ دفعةً واحدة وكأنها تخشى ذهاب صديقتها قبل أن تبوح بما يختلج صدرها، لكن كل هذا الحماس خفت تدريجياً عندما تداركت الأمر، وعادت الدموع لتحتل عيناها مجدداً، وبعدها همست بصوتٍ مبحوح:

_ أنا طلعت صدقة جارية كثير على روحك، وختمت القرآن مرتين، وبإذن الله لو روحت عملت عُمره هعملك معايا، أنا بحبك أوي وعايذك معايا على طول.

وظلت تتحدث مع صديقتها لدقائق أو ربما لساعاتٍ، لا تدري، لكنها اشتاقت لها وبقوة، قصت لها حياتها وما حدث طوال فترة غيابها، كذلك روت لها على "فور" وأنها باتت لا تُحدثه، بل إنها تركت الأمر لخالقها وإن كان خيراً لها، فسيأتي دون مجهودٍ منها، وتمر الساعات وهي هكذا،

تجلس وتحكي وتبكي أحياناً، لكن الشعور الطاغي على
فؤادها هو الاشتياق.

مرارة الفراق قاسية، خاصةً وإن كان الراجل قطعة من
الروح وفلذة من الكبد.

أنهت "نبيلة" صلاة الصبح وبعدها قرأت وردها اليومي،
وبعدما انتهت من قرائته وضعت المصحف جانباً، ثم مدت
يدها أسفل الفراش لتُخرج صندوق صغير يحتوي على
بعض الأشياء التي تتخذها كذكرى لها، أمسكت "نبيلة"
بإحدى الصور ثم نظرت لمن بها، فتاة شابة تعدت الثامنة
عشر من عمرها تحتضنها وعلى ثغرها ابتسامة واسعة،
هبطت دموع "نبيلة" بصمتٍ وهي تهمس بقلب أمٍ مفطور:

__وحشتيني يا حبيبتي، وحشتيني أوي يا نور عيني.

قالتها ببكاءٍ ثم رفعت الصورة إلى فمها لتقبلها بحنان شديد،
لكن عيناها قد لمحت صورة أخرى لأكثر رجل تبغضه، وهو
زوجها، زوجها الذي تسبب في دمارهم بسبب فسقه
وجبروته، وبعد وفاة ابنتها عاد نادماً يبكي، وكأنه لم يقوم

ببدمير الجميع عندما اجتمع مع رجال فاسدون تسببوا في
تجرعه للمواد المُخدرة، ليتحول حينها كالثور الهائج ويَطيح
بالجميع دون النظر إلى هيئته الجسدية أو سنه الصغير.

وبصوتٍ مبجوحٍ أردفت:

_ربنا يجحّمك زي ما أنت حولت حياتنا لجحيم.

همست بها من كل قلبها، فؤادها مكلومٌ وربها سميع، وفي
تلك الأثناء دخلت عليها "يمنى" التي تحدثت بتلقائية:

_ماما فين الـ...

لكنها قطعت حديثها بجزع عندما أبصرت والدتها التي تمسح
دموعها بسرعة حتى لا تراها، لكن الوقت قد فات ورأتها،
اقتربت "يمنى" من والدتها ثم تسائلت بقلق وهي تجلس
أرضاً جانبها:

_مالك يا ماما بتعيطي ليه؟!!

نفت "نبيلة" برأسها وهي تُربت بيدها على وجهها بحنان:

_مش بعيط يا حبيبتي أنا كويسة.

لم تُصدّقها "يمنى" بالطبع، وازداد تأكدها عندما رأت الصورة التي تُمسكها بين يدها، لتلتقطها منها وهي تنظر إليه بابتسامة قائلة:

_أختي؟!!!

عادت الدموع لتتكون بعينيّ "نبيلة" مُجددًا، ثم أومأت لها باشتياق وهي تقول:

_أيوا هي.

عادت "يمنى" بأنظارها نحو الصورة مُجددًا تُطالع وجه تلك الفتاة، وجهها أبيض وخديها مُملتيء قليلًا، تُشبه والدتها إلى حدٍ كبير، خاصةً بعيناها العسلية التي تمتاز بها، وبحنينٍ بالغ همست:

_ربنا يرحمها.

ورغمًا عنها تشكلت الدموع داخل عيناها، تُذكرها تلك الفتاة بمعاناة شقيقتها "أهلة"، لقد عانت مثلها تمامًا أو أكثر قليلًا، رفعت ناظريها إلى "نبيلة" فوجدت دموعها تبهط بصمت، لتضع "يمنى" الصورة جانبًا ثم ضمت ذاتها إلى والدتها التي أحاطتها بحب وهي تهمس قائلة:

حارة القناص

_متزعليش يا ماما، هي أكيد في مكان أحسن من هنا،
ادعيها بس ربنا يرحمها، وإحنا كمان مش ناسينها في
دعائنا.

ربتت "نبيلة" على ظهرها بحنانٍ قائلة:
_ربنا يخليكوا ليا ويبارك فيكم يا حبيبتى.

ابتعدت عنها "يمنى" وهي تمسح دموعها ثم أردفت بمزاح:
_فرفشى بقى لأحسن "ملك" تدخل علينا دلوقتي وتشوفنا
بنعيط تقلبها مناحة.

ضحكت "نبيلة" بخفة تُوافقها الرأي:
_على رأيك، رغم إن دماغها جذمة قديمة إلا إنها أحسن
واحدة فيكم.

أومات لها "يمنى" موافقة إياها وهي تقول بحب:
_معاك حق، "ملك" قلبها أبيض رغم تصرفات العيال اللي
هي بتعملها، وبتحبنا كلنا ولا كائنا حياتها كلها.

حارة القناص

وما إن أنهت حديثها حتى وجدت "ملك" تدخل عليهم الغرفة
قائلة بطريقة سوقية بعض الشيء:

_يامّا!! هنعمل أكل إيه النهاردة!!?

طالعتها "نبيلة" باشمئزاز وحاولت بقدر الإمكان ألا تضحك:
_يامّا!! تصدقي يا بت أنتِ لو متربية في الشارع هتتكلمي
أحسن من كدا.

جدت "ملك" وجهها بسخط وردت قائلة مُتجاهلة حديثها:
_أيوا مقولتيش هنعمل أكل إيه النهاردة!!?

كتمت "يمنى" ضحكتها بصعوبة، لتستمع إلى صوت
"نبيلة" الحانق وهي تُشبح بيدها أمام وجه الأخرى:
_المطبخ عندك، ادخلي أنتِ وأختك اعملوا اللي انتوا
عايزينه.

فتحت "ملك" فاهها بعدم تصديق وهي تقول بصدمة:
_إيه!! إحنا اللي هنطبخ!!?

حارة القناص

لُجيبها "نبيلة" ساخرة:

_أومال أنا اللي هطبخ؟! يعني مش عيب يكون معايا
شحطتين زيكم وأنا اللي أقوم أطبخ؟!!

نظرت إليها "يمنى" بضيق قائلة باعتراض:

_في إيه يا ماما؟! على الأقل راعي إني كنت بواسيك من
شوية.

دفعتها "نبيلة" من كتفها بخفة وهي تقول مُستكرة:

_شكرًا ليك يا عين أمك، قومي يلا بقى واطبخي أنتِ
والهظة الثانية.

نظرت الفتاتان لبعضهما بجهلٍ، لتستكمل "نبيلة" حديثها
بخبت:

_لو مقومتيش أنتِ وهي؛ هقول لـ "يحيى" يجي ياخذ
حاجته، وهرفض "رائد" اللي جه يتقدم لـ "ملك".

طالعتها الفتاتان بصدمة، لتهب "يمنى" فجأة من مكانها
قائلة وهي تدفع شقيقتها التي مازالت على صدمتها أمامها
وهي تقول بلهفة:

__ياخذ حاجته إيه بس يا ست الكل؟! إحنا أساسًا كُنا هنعمل
الأكل بس بنهزر معاكِ.

نظرت "نبيلة" لهم بنظرة جامدة مُحذرة، وما إن اختفوا عن
ناظريها؛ حتى ارتسمت على شفثيها ابتسامة حنونة،
وبهمسٍ خافت دعت لهم برجاءٍ بقولها:

__يارب احفظهم ليا يارب ومتورنيش فيهم حاجة وحشة قادر
يا كريم.

أصواتُ النسيم العليل تلمح الوجوه والأماكن؛ فتُسبب
انتعاشها، لفتح الهواء البارد بشرة "أهلة" النائمة بعمق،
نظرت جانبيها فلم تجد "قاسم" موجودًا في مكانه بالأساس،
اعتدلت من مضجعتها وتثأبت بكسلٍ وهي تفرد ذراعيها
ليتبخر كسلها، نظرت لما ترتديه فوجدت ذاتها ترتدي ثياب
"قاسم"، ذلك المُتذمر الحنون والذي يغضب عند ارتدائها
لثيابه، ضحكت بخفة عندما تذكرت رداً فعله في الآونة
الأخيرة، وتلك المرة قررت اغاظته مرة أخرى والهبوط
بثيابه لتتبخر أمامه، ولكن قبل هذا توضأت وصلت فرض
الظهيرة أولاً قبل الهبوط.

هبطت "أهلة" للأسفل فوجدت الفتيات وحدهن من يجلسن
بغرفة الصالون، ولا يوجد أثرًا للرجال حولهن، اقتربت منهم
ببطيء فوجدت "مهرايل" تجلس بجانب "لوسيندا" تُربت
على ظهرها بقلق، وما إن باتت مُجاورة لهم حتى تسألت
باستغراب:

__مالك يا "لوسيندا"؟!!

رفعت "لوسيندا" أنظارها الزائغة لها، فتصنعت الابتسامة
وهي تُخبرها بهدوءٍ زائف:

__مفيش يا "أهلة" أنا كويسة.

نفت "مهرايل" حديثها والتي صاحت بضجر:

__لأ مش كويسة، وقولتلك تعالي نروح لدكتور وأنتِ مش
موافقة، أنتِ بقالك أسبوع تعبانة ودايخة وأنا ملاحظة
ومتكلمتش.

ابتلعت "لوسيندا" ريقها بصعوبة والتي ردت عليها بوهن:

__مفيش حاجة يا "مهرايل"، دا من القلق والتوتر على
"جون" بس مش أكثر.

تلك المرة تدخلت "أهلة" مُتحدثة بقولها الصارم:

_حتى ولو، أنتِ لازم تكشفي وتشوفي سبب حالتك دي إيه،
افرضي جوزك فاق دلوقتي ولقائك بالحالة دي؟! يقول علينا
كُنا بنعذبها؟!

قالت جُملتها الأخيرة بمزاحٍ عليها تُخفف الأجواء، لكن التوى
ثُغر "لوسيندا" بابتسامة ساخرة وهي تُجيبها بدموع:
_وهو فين جوزي دا بس؟! بقاله أسبوعين على حالته دي
وأنا قلبي واجعني مبقتش قادرة أعمل حاجة.

ادمعت عين "مهراييل" حُزنًا على شقيقتها، بينما "أهلة"
اقتربت منها حتى جلست بجانبها، ثم أمسكت بكفها تضغط
عليه لتدعمها:

_ "چون" هيبقى كويس والله صدقيني، لو فيه خطر على
حياته كان "قاسم" هيقولنا أو هيبان عليه القلق على الأقل،
أنتِ عارفة إن "چون" مكانته كبيرة عنده زي "صهيب"
بالظبط، هي بس مسألة وقت مش أكثر وبإذن الله هتلاقيه
فاق قُريب.

آمنت "لوسيندا" على دعائها وهي تضغط على عينيها
بتمني، تريد زوجها جانبها وتتمتع بحنانه التي فقدته الأيام
الأخيرة، تلك الأيام التي شعرت بها بأنها يتيمة من دونه،
كانت تقضي ليلتها تبكي بجانبه على يرأف بحال قلبها
المسكين، وللأسف الشديد لم يكن ليستجيب لها.

استفاقت على صوت شقيقتها "مهرايل" التي مدت يدها لها
بالطعام قائلة بترجي:

_خُدي كُلّي بقى أنتِ محتطيش حاجة في بؤك بقالك كام
يوم.

وبأس شديد مدت "لوسيندا" يدها لتأكل، لكن خارت قوتها
وشعرت بالدوار والتقيؤ، أغمضت عيناها بقوة فشعرت
"مهرايل" بالرعب على حالتها، لذلك شارعت هي على
اطعامها بيدها عدة لقيمات حتى تستعيد قوتها الواهية،
تناولت "لوسيندا" الطعام من يدها حتى لا تُقلقها، بينما
"أهله" تُمسد على خصلاتها بحنانٍ لتُقلل من توترها.

بينما "حبيبة" كانت تُتابع كل شيء بقلقٍ بالغ، حالة
"لوسيندا" أثارت ريبتها وخوفها، تخشى أن يُصيبها مكروه
أو تنتكس بسبب حالة زوجها، وظهر هلعها على كفيها
المُرتعشين بقوة.

انتبهت إليها "أهلة" لترفع يدها لها وتقوم بالإمساك بكفها
المُرتعش حتى تُطمئننها، ابتسمت لها "حبيبة" بامتنان ثم
اقتربت منه حتى جلست بجانبها، كانت كُلاً من "لوسيندا
ومهرائيل" مُنشغلان معاً، لذلك استدارت "أهلة" لـ "حبيبة"
تسألها بحنان:

__ عاملة إيه؟!!

ردت عليها "حبيبة" بابتسامة عريضة:
__ الحمد لله كويسة.

صمتت قليلاً ثم مدت إصبعها لها تقول بسعادة طفولية:
__ شوفتي "صهيب" جابلي إيه?!!

نظرت "أهلة" للأسفل حيث تُشير، فوجدتها ترتدي مسبحة
تُشبه خاصتها لكن من اللون الوردى، ابتسمت لها "أهلة"
باتساع ثم مدت إصبعها هي الأخرى لثريها خاصتها وهي
تقول:

__ وأنا كمان "قاسم" جابلي واحدة، وكمان جابلي إسدال
وفانوس.

صفقت "حبيبة" بيدها بحماس وهي تصرخ بسعادة:
_إيه دا بجد؟! و"صهيب" جابلي كدا كمان.

نظرت إليهما الفتاتان باستغراب، لتتسائل "مهرايل" بتعجب
وهي تقطب جبينها:
_جيبتوا إيه?!!!

فكرت "أهلة" قليلاً ثم هبت من مكانها قائلة بخبثٍ وهي
تسحب "حبيبة" خلفها:
_هتشوفوا دلوقتي، خليكم هنا خمس دقائق وجايين.

بينما الشباب اجتمعوا معاً "قاسم، صهيب، ألبرت، فور،
آندريه، ليونيد، وإيغور" أمام أحد الشركات، نظر "قاسم"
لـ"ألبرت" بطرف عينه وهو يقول:
_مُتأكد من اللي أنت عايز تعمله دا؟!!

حارة القناص

نظر "ألبرت" أمامه بشرود ثم أوماً له قائلاً بصوتٍ جامد
خالٍ من المشاعر:

__ سأحرق فؤاد "إيلينا" اليوم، بنا لننطلق.

أنهى جملته ثم انطلق نحو شركة "ميلانو شيفت" وخلفه
أخواته، ليسير في النهاية "صهيب" و"قاسم" الذي هز
كتفيه بلامبالاة وهو يقول بعبث:

__ ما إحنا كدا كدا اتكشفتنا وكل حاجة بقت على المكشوف،
يلا بينا نهد الدنيا فوق دماغ اللي جابوهم.

تحولت نظرات "صهيب" إلى المكر أثناء إخراجه لسلاحه
من جيب بنطاله الخلفي، وبعدها تشدق بمكر:

__ والله وهنرجع لزمان الشقاوة من تاني.

ضحك "قاسم" بخفة ثم اتبع "ألبرت" وأخواته، أراني قد
نسيت بأن أخبركم عن سبب وجودهم هنا؟! حسناً، دعوني
أخبركم أن تلك الشركة تعود إلى "ميلانو شيفت وعائلة
الأرمانى" معاً، وهم هنا الآن للهجوم عليها في وضح النهار
وتدميرها كلياً، سبعة رجال قادمون لتدمير شركة مليئة
بعشرات الرجال، لكن هم ليسوا رجال عاديون، بل هم

كالوحوش ومُدرّبون على أعلى مستوى، لذلك الخوف كله ليس عليهم؛ بل على ضحاياهم المسكينة.

وكانت أول رصاصة تصعد من سلاح "ألبرت" الذي ضربها في رأس رجل الأمن فوجع صريعًا في الحال، كما عاونه "فور" الذي كان يسير على يساره وأطلق النيران داخل صدر الرجل الآخر الذي يُجاوره، ملامحه كانت جامدة غير التي يظهر بها دائمًا، كان مُخيفًا.

ومن بعد انطلاق تلك الرصاصتان؛ تم تبادل الطلقات بين الطرفين، لتتشنت المجموعة كُلّ منهم وحده وقاموا باصتياد فرائسهم، جميعهم مُدرّبون على أعلى مستوى لذلك كانوا كالدجاجات أمامهم، لمح "قاسم" أحدهم قد صعد للأعلى وسيبدأ في الإطلاق، فابتسم بسخرية وهو يُصوب تجاه رأسه، وفي الثانية الأخرى كان الرجل يسقط صريعًا بعد أن استقرت رصاصة "قاسم" داخل رأسه.

"آندريه وليونيد" تولوا مهمة الجزء الخلفي من الشركة وقاموا بالقضاء على جميع الرجال، كان عددهم تقريبًا ثمانية، ولم يأخذوا بأيديهم ثلاث دقائق تقريبًا، وفي الأمام كان هناك "ألبرت وفور" اللذان قضيا على نصف الرجال تقريبًا دون أن ترف جفونهم، بينما "قاسم وصهيب"

حارة القناص

يسطادون الماكرون الذين يحاولون مُحاربتهم في الخفاء، و"إيغور" دلف للشركة من الداخل يقتل كل من يظهر أمامه دون تفاهم، تزامناً مع زرعه للقنابل في الطرقات والغرف.

بينما وفي الغرفة الكبيرة ذات الطابع الكلاسيكي الفخم، كان يجلس بارتعاب على مقعده الوثير ينظر لشاشة المراقبة بكل فزع، لقد أنهو على خمسين رجلٍ تقريباً ولا خسائر لديهم، وبسبب توتره وخوفه لم يرى الشاشة الأخرى والتي يظهر بها "إيغور" بوجهٍ واجم قاتم، وجهه يُماثل الجحيم وغضبه بارز على جميع انفعالات جسده، يبدو أن نهاية هذا الحقير الليلة لا محالة.

كاد "ميلانو" أن يُبذل بنطاله من الخوف، وما زاد رُعبه هو انفتاح الباب على بغتة وظهور "إيغور" من خلفه بابتسامة قاتمة وهو يهمس بفحيح:

_مرحباً يا حقير؟!!!

وبالخارج.. أنهوا بالفعل جميع الرجال أو هكذا ظنوا، فاجتمعوا في نقطة تلاقي جمعتهم أخيراً، وما كاد "ألبرت" أن يفتح فاهه للتحدث، حتى رفع "قاسم" يده للأعلى مُطلقاً على أحدهم على بغتة ليلقى مصرعه في الحال، وبعدها عاد بأنظاره نحو "ألبرت" مُتحدثاً بابتسامة هادئة:

تحدث عزيزي.

وبالفعل بدأ "ألبرت" بالحديث، حيث وجّه حديثه للجميع بصوتٍ غليظ:

اللاء سيرسل لنا القوات بعد عشر دقائق تقريبًا، وفي تلك الأثناء سندلف للداخل، من يُعطلكم عن امحوه من الحياة كُليًا، ولا بأس ببعض المتعة مع الحقير الآخر.

ارتسمت ابتسامة خبيثة على ثغر الجميع، ليست ابتسامة عادية، بل تُخفي خلفها شرًا يُدمر الأرض واليابس، وفي الثانية التالية كانوا جميعهم يذفون إلى بهو الشركة، "ألبرت وقاسم" في المقدمة، والبقية مُرتصون على الجانبين، وكلتا يديهم مُمسكة بسلاح مُدمر.

وبالفعل قد وصلوا لوجهتهم، حيث غرفة مكتب "ميلانو" والذي وجده راكعًا على ركبتيه أرضًا يبكي أمام "إيغور"، بعد أن استعمل معه أبشع وسائل التعذيب في الخمس دقائق تلك!! حيث قام بجذب آله معدنية حادة ثم قربها من أصابع يده وقام بخلع أظافره الخمسة واحدة تلو الأخرى بكل تلذذ، وذلك بالتأكيد بعد أن أبرحه ضربًا ليشفي غليله.

حارة القناص

تحول وجه جميع أخواته إلى الغضب، ليتحدث "آندريه"
بسخطٍ بعد أن اقترب منه ودفعه من ظهره:

_ هيببببب يا رجل، هذه مهمتي أنا.

استدار له "إيغور" بنصف رأسه وهو يقول ببرود:

_ أعتذر منك يا أخي، لكن الأمر مُمتع حقًا.

اقترب "فور" من "ميلانو" الذي يرتمي أرضًا يبكي بألم،
ثم انحنى له جالسًا القرفصاء أثناء قوله المُشمئز:

_ أتعلم "ميلانو"؟! أنت الوحيد التي تُغلق شهيتي عند
رؤيتي لوجهك.

قلب أخواته أعينهم بيأسٍ من بلاهة شقيقه، فاقترب منه
"ألبرت" ليوقفه، ثم طالع الآخر باستحقار وهو يقول:

_ اعتدل ولا تتحني، فهو الذي سينحني لنا حتى نقتله بدلًا
من تعذيبه.

وهنا صدح صوت "ميلانو" الباكي يُصيح بهم برجاء:

أقسم أنا لم أفعل شيء، "إيلينا" من اتحدت مع "مختار الأرمني" ليرسل لها دواء فاسد، كانت تضعه لأبيكم في كل طعامه حتى تسمم ومات.

كان يظن بأنه سيخمد من غضبهم عند تفوهه بالحقيقة، لكن هذا لم يزيدهم إلا غضبًا وحقداً، وبسرعة شديدة انطلق إليه "ليونيد" يهبط فوق جسده بالكلمات والضربات الموجهة المميتة، كان يسبه بأبشع الألفاظ، يتذكر والدهم الحبيب وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بكل ألم، وبعد هذا أطلقت والدتهم النيران عليه لتتأكد من موته.

بعد أن أنهى "ليونيد" جرعة غضبه، ترك جسد "ميلانو" الهامد فاقداً للوعي، لكنه بصق عليه بكل كره، استمعوا جميعاً إلى زفرة "قاسم" المغتظة وهو يقول بملل:
_ لم تتركوا لي شيئاً لأفعله؟!!! أنتم أو غاداً حقاً.

قال تلك الكلمات عندما استمع إلى صوت صافرات الشرطة، حتى مُتعتة ذهبت من بين يديه الآن ولم يبرحه ضرباً مثلهم، طالعهم جميعاً بسخط قبل أن يلتف بجسده ويذهب من أمامهم، ولحق به أخيه "صهيب" والذي تمت بضحة مكتومة:

__استتنى يا قموصة خُذني معاك.

كانت "لوسيندا" تستند برأسها على كتف "مهرائيل" عليها
تُقلل من صداع رأسها ولو قليلاً، في نفس الوقت الذي
هبطت فيه الفتاتين من الأعلى وهم يرتدون الإسدال الخاص
بكل واحدةٍ منهم، اعتدلت "لوسيندا" في جلستها ثم قطبت
جبينها بتعجب وهي تتسائل:

__لابسين كدا ليه؟!!

ردت عليها "حبيبة" بابتسامة واسعة:

__عشان إحنا في رمضان ومينفعش أي راجل يشوفنا
بشعرنا عشان حرام.

ضحكت "أهلة" بخفة وهي تُصح حديثها:

__هو عملياً وعلمياً إن الحجاب فرض علينا، بس ربنا يهدينا
ونلبسه إحنا الاتنين، بس دلوقتي إحنا عاملين احترام للشهر
الكريم اللي إحنا فيه وربنا يثبتنا.

_طب وأنا؟!!!

نظقت بها "مهرائيل" بحماس، لتقطب "أهلة" جبينها
بتعجب وهي تتسائل:

_وأنتِ إيه؟!!!

ردت عليها "مهرائيل" بحماسة بعد أن شبكت كفيها معًا:
_لبسوني زيكم ومش هعمل صوت.

نظرت إليها "أهلة" بصمتٍ لبعض الوقت، ثم هزت رأسها
يأسًا:

_أنا حقيقي فقدت الأمل فيكِ خلاص.

في تلك الأثناء دخل الشباب جميعهم معًا، وبدون أي حديث
ارتقى كل واحدٍ من على الأريكة بإنهاك، بينما اتجه
"صهيب" نحو "حبيبة" هامسًا في أذنها بحب:

_إيه الحلاوة والجمال يا بسكوتة؟!!! الحجاب هياكل منك
حتة.

_بجد يا "صهيب"؟!!!

تسائلت بسعادة، ليوكد حديثه بإيماءة مؤكدة قائلاً:

_بجد يا روح "صهيب".

بينما "قاسم" لف ذراعه حول كتف "أهلة" ثم أخذها إلى أحد الأركان الغير مرئية دون الحديث، استعجبت هي من فعلته وكادت أن تسأله عن سبب فعلته؛ لكنه سبقها في الحديث وهو يسألها بحيرة:

_هو فعلاً البسبوسة بتفطر؟!!

قطبت جبينها بدهشة ثم أكدت له قائلة:

_أكيد طبعاً.

مال على وجنتها يُقبلها بحنانٍ ثم ابتعد يُطالع وجهها المُنصدم وهو يتسائل بعث:

_يعني لما بوستك دلوقتي بقيت فاطر؟!!

ضحكة غير مصدقة ارتسمت على وجهها قبل أن تتشدد بدهشة:

بجد أنت مش طبيعي.

هز كتفه بلامبالاه وهو يُجيبها:

ما طبيعي أبقى مش طبيعي، وهو أنا بقى فيا عقل من
ساعة ما حبيتك؟!!

إن قيل لها بأنها ستسمع تلك الكلمات يوماً وتعجبها؛ كانت
ستضحك ساخرة، لكن الآن الأمر مُختلف بالفعل، لقد
أخفضت رأسها خجلاً ولم تجد القدرة على الرد، هذا الرجل
خطر على قلبها وبشدة.

أراد "قاسم" أن يُكمل كلماته العابثة معها، لكن توقف عندما
استمع إلى صوت صرخات قادمة من الداخل، قطب جبينه
بتعجب ثم هرول لمصدر الصوت مُسرِعاً هو و"أهله"،
فوجدوا "لوسيندا" تركض مُسرعة إلى الأعلى وخلفها
جميع الرجال.

انقبض قلب "قاسم" فزعاً، فاستدار لـ "مهرايل" يسألها
بفزع:

هو في إيه؟!!

التقطت "مهرايل" هاتفها وهاتف شقيقتها الذي وقع أرضاً أثناء ركضها، ثم أخبرته بابتسامة سعيدة قبل أن تُهرول خلفهم:

__المُمرضة بتقول "جون" فاق.

تهللت أساريره فلحق بهم نحو الأعلى ومعه زوجته، وصل إلى أعتاب باب الغرفة فوجد "لوسيندا" مُرتمية داخل أحضان "چون" الذي يضمها بوهن، وصوت بكائها يصعد عاليًا.

هلَّ الليلُ وكانت تلك أول ليلة رمضان تتمر على الجميع، صوت الشيوخ في صلاة التراويح يصدح في الأرجاء فتبت البهجة في القلوب، نسماّت الهواء العليل تضرب الوجوه فتُسبب الانتعاش، وأصوات الأطفال في الشوارع وصرخاتهم رغم ازعاجها تُعطي للأجواء ملمسًا خاص برائحة الأطفال.

وبالأسفل وسط أجواء الصرخات تقف الفتاتان معًا، أمسك "ملك" بقطعة من السلك وجعلت أحد الأطفال يشعلونها،

حارة القناص

وبكل عفوية وروح طفولية قامت باللعب ونثر شرارات
النيران من حولها.

وعلى بُعدٍ منها كانت "يمنى" تُسجل تلك اللحظات بكل
سعادة حتى تُرسلها إلى "أهلة"، بينما "ملك" هرولت من
أحد الأطفال وهي تُصيح به بحنق:

_ يا عم متهزرش معايا تاني يا عم هتحرقلي الإسدال.

وقف الطفل أمامها يهتز بخفة مُشيرًا لأحد الأركان وهو
يقول:

_ عمو ده هو اللي قالي.

نظرت "ملك" لما يُشير، فوجدت أمامها "رائد" يضحك
بصخب، ومن خلفه "يحيى وسيف" اللذان يتاعان
صواريخًا وسلك زائد حتى يلعبوا معًا.

تخصرت "ملك" مكانها والتي أردفت بضيق:

_ أنت رخم على فكرة، الواد كان هيشيِّط ليا هدومي.

رد عليها ببراءة:

حارة القناص

_أنا قولتله هزر معاها بس، مكنتش أعرف إنه هيسخف
معاك كدا.

ظل وجهها مُمتعضًا بضيق حتى بعد حديثه، لتجده قد أخرج
من خلف ظهره كومه سلك كبيرة أثناء قوله المُشاكس:

_توريني ضحكتك الحلوة وأديك السلك دا؟!!!

اتسعت ابتسامة "ملك" تلقائيًا ثم مدت يدها لأخذه منه، وهو
أعطاه لها بصدْرٍ رحبٍ بعد أن رأى ابتسامتها التي تُحيي
فؤاده.

بينما "يحيي" اتجه نحو "يمنى" يُعطيها علبة الصواريخ
ونصف السلك وأخذ هو النصف الآخر، ليردف هو بعدها
دون النظر إليها:

_خُذي يا أخت "يمنى"، فلنلعب ونمرح ونُحيي شعائر
رمضان.

قهقهت "يمنى" على طريقة تحدثه، ويا ليتها لم توافق على
اللعب، فها هي تُهرول صارخة أمامه بعد أن أشعل السلك
وهرول خلفها مُصرًا على إشعال النيران بها!!

بينما "ملك" تلعب مع الأطفال بعد أن تجاهلها "رائد" عندما وجد أن اللعب مع الصغار أمتع بكثير، ليس وحده، بل اشترك "سيف" في هذا أيضاً، وانطلقت ضحكاتهم تعلو في الأرجاء، بينما "يمنى" هي الوحيدة التي تصرخ بفرع!!

وبالعودة إلى روسيا..

كان الجميع مُتجمعًا بغرفة "چون" لقد اطمئنوا عليه وانتشرت الراحة في قلوبهم بعد أن أخبرهم "قاسم" باستقرار حالته، لم تتركه "لوسيندا" ولو للحظة واحدة، وكأنها تخشى أن يكون هذا كله حُلماً جميلاً وستستيقظ منه بعد قليل.

بينما "فور" تحدث بيأس أثناء زفرته المُرتاحة:
_ أه يا أخي لقد كنت قلقاً عليك بشدة.

طالعه "چون" بحب وهو يبتسم بحنان، ففتح فاهه للتحدث ومواساته، لكن توقف عن الحديث وانمحت بسمته عندما أكمل "فور" حديثه بقوله المُمتعض:

حارة القناص

لكن تَبًّا لك، لقد قلت عدد مرات طعامي وقل وزني بسببك.

أنهى حديثه وبعدها شعر بوسادة ثقيلة تُرمى على وجهه
وصوت "چون" يصعد بعدها حانقًا:
للخارج أيها القذر.

كان الجميع يُراقب الحديث الدائر بضحك، حتى رن هاتف
"قاسم" برقم "وليد"، وبالطبع أجاب على الفور مُتسائلًا
بترقب:

خير يا "وليد"؟!!

أجابه "وليد" من الطرف الآخر قائلاً:
"صفوت الأرمني" مات.

جلس كلاً من "يحيى، رائد، سيف" على درج أحد المنازل
للإستراحة قليلاً، بعد أن صعدت الفتيات للأعلى بعدما نادتهم
والدتهم للصعود، رن هاتف "يحيى" باسم جعل ابتسامته
تتسع تدريجياً وهو يُجيب بسعادة:

حارة القناص

_ أهلاً أهلاً، "بادر هارون" بذات نفسه بيتصل علياً؟!!

وصله صوت ضحكات "بادر" والذي أردف باشتياق:

_ تصدق يا ض كنت واحشني وجيت على بالي النهاردة؟!!

رد عليه "يحيى" بود:

_ والله وأنت كمان، رمضان كريم يا صحبي.

فأتاه رد "جابر" بقوله:

_ الله أكرم يا حبيب أخوك، المهم أنت معزوم عندي بكرة
ومش هقبل أي أذار.

_ معزوم عندك فين؟!!

رددها "يحيى" باستغراب، ليأتيه جواب "بادر" ساخرًا:

_ في عشة الفراخ يا "يحيى"، هتكون معزوم عندي فين
يعني؟!! أكيد في البيت يعني.

فكّر "يحيى" قليلاً لعدة لحظات، حتى أجابه مُبتسمًا:

_ دعوتك مقبولة يا صحبي وهاجي أفطر معاك بكرة.

_إخس عليك يا خاين يا خسيس!! أنت مصاحب حد غيرنا
يلا!! لا وكمان رايح تفطر عنده بكرة!!

حمم "يحيى" بتوتر والذي تشدق مُتسائلًا:
_ينفع أجيب واحد صحبي معايا؟!؛

لم يُمانع "بادر"، فتدخل "سيف" قائلاً بضجر:
_طب واشمعنى أنا؟!!!

صحح "يحيى" حديثه:
_ينفع أجيب اتنين صحابي معايا.

رد عليه "بادر" ضاحكًا:
_هاتهم يا عم، المهم متجيبش أكثر من كدا علشان
منطردش ونفطر كلنا على موائد الرحمن.

ضحك "يحيى" عاليًا فنفى له بقوله:
_لا متخافش هما اتنين بس.

طبيب يا صحبي، هستناك بكرة سلام.

كان الصمت يعم المكان عندما علم الجميع بموت "صفوت الأرماني"، والذي يُعتبر الشقيق الأكبر لـ "مختار الأرماني"، لتخرج "أهله" عن حلقة الصمت تلك وتتسائل بترقب:

وبعدين؟!

هز "قاسم" كتفه مُجيباً إياها بجمود:

ولا قبلين، يروح في داهية، بس أهم حاجة نفكر في الخطوة الجاية.

وللمرة الثانية على التوالي يصدح هاتف "قاسم"، وتلك المرة هب مُنتفضاً من مكانه والجميع خلفه، عندما رأى رقم الطبيب المسؤول عن حالة والدته يُهاتفه في ذلك الوقت:

مرحباً أيها الطبيب، هل حدث شيء؟!

جاءه رد الطبيب من الناحية الأخرى وهو يهتف بسعادة:

_دكتور "قاسم"، لقد استعادت والدتك وعيها.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

تَأَمَّلْتُ فِي أَكْثَرِ الْمُنتَكْسِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ فَرَأَيْتَهُمْ كَانُوا
يَطْعَنُونَ فِي النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا يَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ عَمَّا لَا
يَعْنِيهِمْ.

_سليمان العلوان.

#الفصل_الرابع_والأربعون.

#حارة_القناص.

#رحلة_وداع.

جلس "مختار" وبجانبه شقيقه "نادر الأرماني" يأخذون
العزاء بعد موت "صفوت الأرماني" بذبحه صدرية، الغضب
يرتسم على وجوههم بقوة، وكأن الشر المنتشر على العالم
بأكمله جاء ليتسطر بين تجاعيد وجههم الظاهرة، كان
صوت القاريء يصدح بوضوح وهو يتلو آيات القرآن، نظر
"نادر" للجمع المرتص أمامه بنظرة شمولية ثم مال على
"مختار" مُتحدثًا بخفوت:

_ هتعمل إيه؟!!!

رمقه "مختار" بطرف عينيه ثم تحدث بجمود:

_ هعمل كتير، كتير أوي أوي بس أخلص من الموال دا
الأول.

_ و"صهيب"؟!!

تسائل "نادر" بترقب، ليُجيبه "مختار" بفحيح:

_ لو اللي في دماغى صح و"صهيب" طلع عارف كل حاجة،
يبقى قول عليه يا رحمن يا رحيم.

أوما له "نادر" بشرود وهو يزفر بصمت، ثم تحدث قائلاً
بغموض:

_ أنا ليا معارفى هناك فى روسيا وهوصل للحقيقة فى أقرب
وقت، سيب الموضوع دا عليا.

هز "مختار" وجهه يُوافقه، وداخل عقله تدور الكثير
والكثير من الأفكار، لكن ليست أفكار عادية أو آدمية، بل
تفكير فى منتهى الشر والقذارة، قطع شروده قدوم "وليد"
إليه بهرولة، ثم أجابه بأنفاس سريعة وقلق زائف:
_ "مختار" بيه إحق فيه مصيبة.

هَبَّ "مختار" من مكانه وكذلك "نادر" الذى طالعه بفرع،
طال صمت "وليد" وهو يأخذ أنفاسه؛ ليصرخ به "مختار"
الذى أجابه بأعصابٍ مشدودة متوترة:
_ ما تنطق يا "وليد" أنا فى اللي مكفيني.

نظر إليه "وليد" ببعض التردد حتى نجح فى بث الرعب
والقلق داخل قلب كليهما، وأخيراً فتح فاهه للتحدث قائلاً:
_ الشركة المُشتركة بينا وبين "ميلانو شيفت" اتفجرت،
و"ميلانو وإيلينا" اتقبض عليهم.

حارة القناص

صُعِقَ الاثنان مما استمعوا إليه وشُلت أجسادهم فلم يقدرُوا
على الحراك، وبصعوبة بالغة حرك "نادر" رأسه نحو
"مختار" يسألها بصدمة:

_مش.. مش دي الشركة اللي أنت حطيت فيها ممتلكاتنا
كلها؟!!!

وبدون أن يتحدث حرَّك رأسه يُوميء له بالإيجاب، مما جعل
"نادر" يضع يده على قلبه بألم عندما شعر بانقباضة قوية
تضرب داخل صدره، أسنده "وليد" بسرعة والذي تحدث
بقلقٍ بالغ:

_مالك يا "نادر" بيه؟!!!

أغمض "نادر" عيناه بقوة يُحاول السيطرة على ضربات
قلبه التي تتزايد بسرعة رهيبة، لا يعلم أهي تتزايد أم
تنقص، لكن هو يشعر بألم رهيب يضرب فؤاده.

كانت السعادة تتراقص داخل فؤاد "وليد" لكنه أخفاها
ببراعة، لقد اختاروا الشراكة الصحيحة لتدميرها، والتي
تُعتبر مصدر الأموال لعائلة الأرماني بعد أن تم تدمير جميع
ممتلكاته في مصر.

وفي نفس الوقت على الناحية الأخرى..

كان "يحيى" ومعه "رائد" يتسلقون سور الفيلا الخاص بعائلة "الأرمانى"، بعد أن رأوا أن تلك الليلة هي المناسبة لإقتحام منزله والبحث بين المستندات عن الأوراق التي تُدين "صهيب" في كل العمليات الغير شرعية التي قامت بها العائلة، تسللوا على تطرف أقدامهم عندما قفزوا للحديقة الخلفية، وبالطبع كان "وليد" على علمٍ بكل ما يحدث الآن، فهو قد سهّل عملية دخولهم وأمن لهم الطريق للدخول، دخلوا من الباب الخلفي للمطبخ، فوجدوا ابنة "صفوت" تقف به، والتي ترتدي ثياباً سوداءً بالكامل، غير وجهها الأحمر الذي يعكس بكائها لساعاتٍ طويلة، ومعها تقف الخادمة، مدت "ريماس" يدها بكوب العصير بعد أن وضعت به بعض الحبوب المجهولة ثم أعطته للخادمة أمره إياها بتحسرج:

_ اطلعي وادي دا لـ "أنس" زي ما اتفقنا، ولو قالك مش عايز قوليله "مختار" بيه هو اللي قالك.

أومأت لها الخادمة بصمت على وجهها يترسم القلق بوضوح، لتعنفها "ريماس" بقوة وهي تصرخ بها:

_ افردي وشك عشان منتكشفس، أقسم بالله لو اتكشفنا لهقول إنك اللي بتحطيله الحبوب دي.

أصاب الرعب جسد المسكينة الأخرى والتي أومأت لها بفرع
وهي تقول:

_حـِـ حاضر يا هاتم.

قالتها ثم هرولت من أمامها وهي تُمسِك بكوب العصير
وصعدت به نحو الأعلى حيث غرفة "أنس"، نظر كُلاً من
"رائد ويحيى" إلى بعضهم البعض بتعجب، ليتحدث "رائد"
قائلاً:

_أنا مش متفائل.

فرد عليه "يحيى" وهو يقول:

_ولا أنا كمان.

تابع كلاهما خروج "ريماس" من المطبخ باهتمام حتى
ابتعدت عنهم كُلياً، خرج "يحيى" من مخبأه وخلفه "رائد"
وسارا نحو الداخل بحذر شديد، اشربأب "يحيى" ليرى
المارة بالخارج، لكنه لم يلمح شيئاً، لذلك أشار لـ "رائد"
بسرعة أن يتبعه، وبالفعل تبعه "رائد" وظلا يسيران في
المناطق المخفية عن الأنظار حتى وصلا أخيراً إلى مكتب
"مختار الأرماني" الذي يعلمه "يحيى" عن ظهر قلب.

دلفا للداخل وأغلقا الباب خلفهما بسرعة حتى لا يراهما الحرس أو سكان المنزل، وهنا بدأت رحلتهم في البحث عن الاوراق التي أتوا من أجلها، بحث "رائد" في أركان وأدراج الغرفة، و"يحيى" بدأ في البحث في المكتب ورؤية الأماكن التي كان يضع بها "مختار" الاوراق الهامة كما رأى منه في الفترة الأخيرة.

استمرت مدة البحث حوالي عشر دقائق وكلاهما يضع يده على قلبه خشية من كشف أمرهم، حينها سيتم قتلهم بدم بارد دون أن يعلم أحد بمقتلهم من الأساس، وبعد ثلاث دقائق أخرى؛ صاح "رائد" لـ"يحيى" بصوتٍ خافت:
_ "يحيى" تعالِ بُص بسرعة.

ذهب إليه "يحيى" مُسرِعًا أثناء إمساكه ببعض الأوراق وهو يتسائل:
_ في إيه؟!!

فتح "رائد" الأوراق أمام ناظره ليُريه إياها:
_ دي ورق من صفقات أعضاء قديمة لـ"مختار ونادر"،
ودي سُحنة هيتم تسليمها بكرة ميناء روسيا فيها أدوية

حارة القناص

منتهية الصلاحية، والشحنة دي "مختار" هو اللي ماضي عليها عشان "صهيب" مكانش معاه في الفترة الأخيرة.

التمعت عيني "يحيى" بسعادة، فمد يده بالأوراق التي معه وأردف بحماس:

_ودي كمان ورق لشحنة أغذية مُسرطنة هتتسلم بعد أسبوع هنا في مصر، ودا كل الورق اللي "صهيب" مضى عليه من غير علمه.

اتسعت ابتسامة "رائد" والذي أردف بلهفة وهو يُخفي جميع الأوراق التي معه داخل ثيابه:

_طيب دا كويس أوي، يلا نمشي بقي قبل ما نتكشف.

وافقه "يحيى" مُسرعاً وهو يقول:

_تمام.. يلا بينا.

منذ أن أتوا إلى هنا وكُلَّ من "قاسم وصهيب" يقبعان داخل أحضان والدتهم، كُلُّ يستند على كتف ويضموا خصرها إلى

حارة القناص

أجسادهم، لقد عادت إليهم مصدر الأمان مُجددًا، عادت إليهم
والدتهم الحبيبة، بل وتجلس معهم وتُعانقهم أيضًا، كان
الصمت يعم المكان، صوت أنفاسهم هو الذي يصدح فقط،
بينما "قاسم" كان بين الدقيقة والأخرى يرفع رأسه ويُقبّل
وجهها بحنان.

هددتهم "حياة" كالأطفال ومن الحين للأخر تُقبل وجوههم
بحنان، حتى قررت التخلي عن الصمت أخيرًا والتحدث بنبرة
مشتاقة:

_ عاملين إيه يا حبايبي.

رد عليها "قاسم" ومازال مُحْتَضِنًا إياها:

_ احنا بخير بوجودك يا ماما.

ضمها "قاسم" إليه أكثر وهو يقول:

_ وحشتيني.. وحشتيني أوي يا ماما.

طبعت "حياة" قُبلة أعلى رأسه وهي تُجيبه بحنان:

_ وانتوا كمان وحشتوني يا نور عيني.

حارة القناص

مسح "قاسم" دموعه التي هبطت سعادةً، وخرج من
أحضانها قائلاً وهو يتلمس وجهها بلهفة:

_ أنتِ كويسة دلوقتي؟! يعني مش حاسة بأي وجع؟!!

هزت "حياة" رأسها بالنفي قائلة:

_ لأ يا حبيبي مفيش وجع، أنا بس مش قادرة أحرك رجلي،
حاساها منملة.

ارتاح فؤاد "قاسم" ثم أجابها باطمئنان:

_ متقلقش يا حبيبي، من كُتر النوم والرقدة بس مش أكثر،
وبعدين أنتِ هتحتاجي علاج طبيعي لو حسيتي بوجع وأنتِ
بتمشي ولا حاجة.

أومات له بهدوء وكان كفها مازال يُربت على ظهر
"صهيب" النائم على كتفها، اغتاظ "قاسم" منه فقام بنغزه
في جانبه وهو يقول بحنق:

_ ما تقوم يا بغل أنتِ، هتخلع كتفها هي ناقصاك؟!!

حارة القناص

لم يُجيبه "صهيب" بل ظل مُستندًا على كتفها دون الرد عليه، نظر "قاسم" بدهشة لوالدته التي تضحك بصوتٍ خفيض، ليتحدث بتعجب:

_ هو مبيردش ليه؟!!!

هزت والدته كتفها بجهل، ليلتف "قاسم" له قائلاً وهو يهزه بخفة:

_ ولا يا "صهيب"؟! أنت يالا؟!!!

وللمرة الثانية لا يُجيبه، لينظر "قاسم" لوالدته بقلق وصمتٍ لبضعة ثواني، حتى شهق فرعًا وهو يضرب على صدره:

_ يا مصيبتى؟!!! ليكون مات!!

هزت والدته رأسها بيأس وهي تقول بعتاب:

_ بعد الشر عليه دا حبيبي، هتلاقيه بس نام من غير ما يحس، ما دي عادته من وهو صغير.

_ نام؟!!

رددتها "قاسم" بدهشة، لتوميء له والدته بضحكة مكتومة مما زاد الغيظ بفواد "قاسم" الذي نغزه بقوة:

حارة القناص

_ ما تتنيل تقوم من على كتف أمك يالا!!

زمجر "صهيب" أثناء نومته، فتجد وجه "قاسم" ساخطًا،
لكن سرعان ما تشكل على ثغره ابتسامة خبيثة وهو يقترب
منه صارخًا بأذنه:

_ ولاء يا "صهيب" قوم مراتك بتولد يالا.

انتفض "صهيب" من مكانه فوق على الأرض بفرع، مما
أدى إلى علو الضحكات من حوله، نظر حوله بتيهة فتشدد
بدوار:

_ "حبيبة" بتولد إزاي.

اقتربت منه "حبيبة" تجلس القرفصاء بجانبه، ثم تشدقت
برقة وهي تُربت على كتفه:
_ أنا هنا أهو يا "صهيب".

طالعتها "صهيب" بتيهة ثم ابتسم ببلاهة متشدقًا:
_ لو جيبتني ولد سميه على اسمي.

حارة القناص

كتمت "حبيبة" ضحكاتها وهو توميء له بالإيجاب، ثم ساعدته على الوقوف والجلوس على الأريكة العريضة، بينما "حياة" نظرت إلى "حبيبة" قائلة بابتسامة هادئة:
_ أنتِ مرات "صهيب"؟! _

طالعتها "حبيبة" بحرج ثم هزت رأسها لها بالإيجاب، لتمد "حياة" كفها إليها وهي تطلب منها بود:
_ طيب تعالي هنا جنبي. _

نظرت "حبيبة" إليها بتردد وهي تعض بأسنانها على شففتيها، ثم حوّلت أنظارها تجاه "صهيب" الذي أوماً إليها بحنان لتذهب إليها، و ببعضٍ من التوتر اقتربت منها حتى جلست على طرفِ الفراش، فقربتها منها "حياة" تُعانقها بود، ثم تمتمت بصوتٍ حنون وهي تُربت على ظهرها:
_ قمر يا حبيبتى ما شاء الله عليكِ. _

ابتسمت "حبيبة" بخجل وهي ترد عليها:
_ تسلمي يا طنط حضرتك اللي قمر. _

طالعتها "حياة" بضحك وهي تقول بمشاكسة:

حارة القناص

_طنط وحضرتك؟! اممم الحكاية شكلها مطولة حبتين
تلاتة.

لم تفهم "حبيبة" مقصدها لكنها ابتسم احترامًا لها، بينما
نظرت "حياة" نحو "أهلة" الاي تُتابعهم بابتسامة هادئة، ثم
تشدقت بمزاح:

_إيه يا "أهلة"؟! "قاسم" منكد عليكِ عشان كدا مش عايزة
تسلمي عليا؟!!

ضحكت "أهلة" بخفة ثم ذهبت إليها مسرعة وبعدها
احتضنت إياها بود كما فعلت الأخرى، ثم أردفت بمشاكسة:
_لأ "قاسم" مش بينكد عليا، أنا اللي بنكد عليه.

قهقهت الأخرى وهي تضمها إليها بحنان، ثم تشدقت وهي
تنظر لابنها المُتابع للحديث باهتمام:

_أيوا كدا عايزاكِ مسيطرة، أصل اللي زي دول ميقدرش
عليهم غير القوي أوي.

اقترب منهم "قاسم" مُتهدًا بيأس:

_والله هي القوي أوي والوحيدة اللي قدرت عليا.

ضحكوا بصخبٍ، فاستدارت "حياة" إلى "حبيبة" تسألها
بترقب:

ـ وأنتِ مسيطرة ولا الواد دا بيزعلك؟!!

كاد "صهيب" أن ينفى بلهفة، فردت عليه "حبيبة"
بامتعاض:

ـ آه بيزعلني وأنا مش بتكلم، بس "أهلة" بتجيبلي حقي.

فرغ "صهيب" فاهه بصدمة ناظرًا إلى "حبيبة" بدهشة
جلية، مما جعل "قاسم" يضع يظه على فمه ليُخفي ضحكته
التي كادت أن تصعد بقوة، بينما "حياة" رمت إلى "صهيب"
نظرة حارقة ثم عادت بأنظارها نحو "حبيبة" لتسألها:
ـ زعلك كام مرة؟!!

ردت عليها "حبيبة" بخفوت وهي تُخفض رأسها للأسفل:
ـ مرة واحدة.

وتلك المرة لم يستطيع "قاسم" أن يسيطر على ضحكاته،
ليصدح صدى صوته في أنحاء الغرفة عندما رأى تشنج

حارة القناص

وجه والدته، وفعلت مثله "أهلة" التي أدارت وجهها للناحية الأخرى حتى لا ترى "حبيبة" ابتسامتها التي تشكلت على ثغرها.

طالعت "حبيبة" أخ زوجها بحنق، فتحدثت ساخطة وهي تُوجه حديثها لـ "حياة":

و"قاسم" برضه بيزعل "أهلة" وكانت بتعيط بسببه امبارح.

ابتلع "قاسم" باقي ضحكاته وهو ينظر إليها بصدمة، وتلك المرة تبدلت الأدوار وصدحت ضحكات "صهيب" بصخب، زوجته تنتقم من كلاهما!! "حبيبة" البسكوتة باتت شرسة وتشكو منهم لوالدتهم!!

طالعت "حياة" ابنائها بصمتٍ مشحون بالغضب لعدة ثواني، قبل أن تهتف بحدة:

اطلعوا انتوا الاتنين برا.

(2 رمضان).

يومٌ جديد لا يوجد به أي أحداث جديدة سوى:

بات "صهيب وقاسم" وزوجاتهم مع والدتهم بالمشفى
اشتياقاً لها.

قام "مختار الأرماني" بتأجيل كل شيءٍ الآن حتى يجد خطة
بديلة للقضاء على "قاسم وصهيب طاحون"، بعد أن تأكد
أن "صهيب" على علم بكل شيء.

"ألبرت" وأخواته ظلوا جالسين طيلة الليلة بجانب شقيقهم
"چون" يتحدثون عن مواضيع مختلفة، واعتذروا من
"قاسم" على عدم الذهاب معه لكنه تفهم الأمر بصدق.

و"فور" مازال يبحث أكثر بتعمق عن الدين الإسلامي ليقنع
به.

حارة القناص

حالة "لوسيندا" الصحية كانت سيئة للغاية، خاصةً عندما ازداد تقيؤها لعدة مرات، لكنها تجاهلت الأمر ظناً منها بأنه مجرد تعب بسيط كغيره وسيرحل وحده.

وأخيراً وافقت "نبيلة" على "رائد" كزوج لابنتها، لكن الخطبة ستتم بعد عودة شقيقتها.

وأخيراً تم تحديد زفاف "لواظ" ثاني أيام العيد!!

الساعة الخامسة مساءً، تبقى على آذان المغرب ساعة كاملة بالضبط، وهم مازالوا بحارتهم هنا بعد أن تأخر "رائد" في ارتداء ثيابه وكأنه فتاة أو ما شابه!!

زفر "يحيى" بضيق وهو يقف أسفل منزل "رائد" ينظر لساعة معصمه بسخط، وبجانبه "سيف" الذي يستند على السيارة بلامبالاة وعدم اهتمام.

وبعد عدة دقائق، خرج "رائد" مُرتديًا ثيابه والتي كانت عبارة عن بنطال من الجينز الأسود، وقميص من اللون البني الغامق، وخصلاته مُصففة بعناية، كان يُعدّل من كُم قميصه دون أن يُدرك بنظرات "يحيى" الحارقة، فذهب إليه مُمسكًا إياه من ياقة ثيابه يجذبه خلفه وهو يصيح بحنق:

_ ما هو احنا مش رايعين فرح ستك عشان تتشيك كدا.

انصدم "رائد" من هجومه العنيف، خاصةً عندما فتح باب السيارة ودفعه للداخل، لكنه ترك كل هذا جانبًا وصاح به صرخًا:

_ أنت بتدلني بستي!!

طالعه "يحيى" باستفزاز ولم يُجيبه، بل استدار صاعدًا للسيارة وبالخلف جلس "سيف" الذي تمدد على الأريكة الخلفية قائلاً بتأوب:

_ لما نوصل ابقوا صحوني يا شباب، يلا انجوي.

تشنّج وجهه كُلاً من رائد ويحيى "الذان تابعاه باستنكار، ليقوم "يحيى" بتدوير مُحرك السيارة وهو يهتف بحنق:

_ شوية عيال معندهاش دم، دا أنا ياريتني ما جيبتم.

حارة القناص

انطلق بالسيارة بسرعة عالية حتى يصلوا مُسرعين، وبعد 45 دقيقة تقريبًا وصلوا، كان يتبقى على آذان المغرب عشر دقائق تقريبًا، فهبطوا من السيارة ليجدوا "بادر" مُستقبلًا إياهم بابتسامة واسعة، ثم اتجه نحو "يحيى" يحتضن إياه وهو يهتف بود:

_ أهلاً أهلاً نورت المنطقة كلها يا صحتي.

بادله "يحيى" العناق مُربتًا على ظهره وهو يقول:
_ تسلم والله يا حبيب أخوك.

ابتعد عنه ثم أشار لكلٍ من "رائد وسيف" مُعرفًا إياهم:
_ دول صحابي اللي ما يتسموا، "رائد وسيف".

ورغم أن "رائد" لا يعرف "بادر" ولا تعامل معه ولو لمرة واحدة حتى، لكنه ذهب إليه وعانقه قائلاً بمزاح:
_ واحشني يا صحتي.

قهقه "بادر" عاليًا وهو يحتضنه، ثم أردف بضحك:
_ وأنت كمان واحشني يعم.

حارة القناص

وجاء دور "سيف" الذي تشدق بتهذيب وهو يصفحه:
_ازيك عامل إيه؟!!!

صافحه "بادر" والذي أردف بود:
_بخير الحمد لله... تعالوا بقى عشان المغرب فاضل عليه
دقايق ويأذن.

ساروا جميعاً بجانبه حتى وصلوا إلى منزله والذي كان
يحتوي على أربعة طوابق، اثنان خاصين بأبيه وأخيه
الأكبر، والأثنان الآخران ملكٌ لأعمامه، صعدوا معاً على
الدرج وأثناء صعودهم تحدث "بادر" بابتسامة هادئة:
_هندخل وأعرفكم على أخواتي، متأكد إنكم هتحبوهم أوي.

قال جملته ثم فتح باب الشقة ودخل هو أولاً، وهم دخلوا
خلفه، وما كاد "رائد" أن يدخل هو الآخر مثلهم؛ حتى شعر
بحذاء يصطدم بوجهه بعنف! تلاه صوت ذكوري عنيف أيقن
بأنه أباهم:

_والله يا تربية وسخة أنت وهو لهطين عيشة اللي خلفوكم
النهاردة.

حارة القناص

حمم "يحيى" بتوتر والذي اختبأ خلف "بادر":
_ واضح إن احنا جينا في وقت غير مناسب.

بينما "سيف" حك عنقه من الخلف بتوتر وهي يتمتم:
_ أنا إيه اللي جابني بس!؟

كان "هارون" يقف أمام أولاده الذين ارتصوا كصفٍ واحد،
بدايةً من "يعقوب" حتى "بدير"، وأخيراً صاح بهم
"هارون" صارخاً بغضب:

_ هو انتوا عايزين تجننوني؟! كل شوية هروح أجيبكم من
خناقة شكل.

امتعض وجه "يعقوب" الذي تدخل بقوله الحائق:
_ يابا احنا جوانا شخصيات مُحترمة، بس الناس هي اللي
متربتش.

صاح به "هارون" وهو يشد ثيابه الخاصة بنفاذ صبر:
_ الناس هي اللي متربتش يا عديم الرباية أنت واخواتك?!؟

حارة القناص

صمت ليلتقط أنفاسه ثم نظر إليهم بحدة وهو يُشير إليهم
بسبابته قائلاً بتحذير:

_ اسمع يا ض أنت وهو، يمين بالله لو سمعت إنكم اتخانقتوا
مع حد تاني ما انتوا بايتين في البيت دا تاني، انتوا
سمعتوا؟!!

وتلك المرة تدخل "حمزة" والذي تحدث بسخط:

_ يعني عايزنا نكون هفاً ومنجيبش حقنا يا بابا؟! دا حتى
يكون عيب في حقنا والله.

أيد "مصعب" حديث شقيقه وأضاف عليه بقوله:

_ أيوا صح يا بابا، وبعدين مش ولاد "الحاج هارون" اللي
يتعلم عليهم.

طالعه "هارون" بنظرات حارقة وهو يُعنفه بقوة:

_ أنت بالذات تسكت خالص يا مُتمتر يا قليل الأدب، رايح
تتريق على راجل كبير قد أبوك وتقوله ودانك فاضلها اتنين
سنتي وتطير بيهم?!!

_ ما هو اللي ودانه كبيرة فعلاً.

تمتم بها ببساطة، ليضع "هارون" يده على فواده بقلة حيلة
وهو يهمس:

ـ يارب يا تهديهم يا يتجوزا ويغوروا من وشي.

وهنا تحدث "بدير" بلهفة:

ـ ما أنا قولتلك يابا توافق على العروسة اللي متقدمالي
وهريحك مني.

وهنا صرخ "هارون" بنفاذ صبر:

ـ يارب صبرني على ما بليتني.

أتت بتلك اللحظة "حنان" التي كانت مُشغلة بتجهيز الطاولة
وتركتهم يتشاجرون كيفما يشاءوا، لاحظت وقوف ابنها
ومعه ثلاثة من الشباب الذين أخبرها عنهم، لثُرحب بهم
بتهليل:

ـ أهلاً يا حبايبي اتفضلوا، أنا جهزت الأكل تعالوا ادخلوا.

والآن فقط انتبه "هارون" وأبناءه على وقوف الشباب،
ليزفر "هارون" مُحمماً ثم رحب بهم بابتسامة مُتكلفة:

حارة القناص

__اتفضلوا يا شباب، اتمنى تكونوا انبسطوا بالعرض اللطيف
اللي قدمناه من شوية دا.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. 

أدعوك اليوم

وغداً

وكلّ يوم

أن "لا تكلني إلى نفسي طرفة عَيْن". 

#الفصل_الخامس_والأربعون.

#حارة_القناص.

#أعلن_إسلامه.

مر أسبوع كامل دون وجود أي أحداثٍ تُذكر، فـ"مختار"
الأرمني مازال صامتًا ولم يأخذ أي خطوة للانتقام، خاصةً
بعد أن قاموا بالتبليغ عن شُحنته الأخيرة الموجودة بمصر
وتم القبض عليه، لكنه خرج بكفالة بعد أن استطاع بكل
خبثٍ أن يُثبت التهمة على شخصٍ غيره، ومن بعدها لم يتخذ
أي خطوة أو يُكلف ذاته للبحث عن الفاعل!

تجهز "قاسم" وانتهي من ارتداء ثيابه ثم وقف مُعدلاً إياها
أمام المرآة وهو يُنادي بصوتٍ عالي:
_ يلا يا "هولا" هنتأخر.

خرجت "أهلة" من المرحاض وهي تربط خصلات شعرها
للخلف على هيئة كعكة فوضوية، اقترب منها "قاسم" وعلى
نُغره ترتسم ابتسامة خفيفة حتى وقف قبالتها مُباشرة،
وبعدها رفع يديه وقام برفع قُبعة المعطف على خصلاتها
ليُغطيها ويخفيها عن أنظار الرجال، وبعد ما انتهى؛ هبط
على وجنتها يُقبلها بأطف أثناء قوله الحنون:

_ ابقني فكريني واحنا راجعين أجيبك لبس مُحجبات وطُرح
مناسبة.

حارة القناص

رفعت إليه أنظارها وهي تبتسم بسعادة، ثم أومأت له بحماس أثناء قولها الشغوف:

_الله بجد، أنا من بعد ما شوفت "سهيلة" لابساه وأنا عندي رغبة غريبة عشان ألبسه.

مسد على خدها بلطف مُتشدقًا بنبرة مُحبة:

_مُتأكد إنك هتكوني زي القمر بيه.

أنهى حديثه ثم قربها منه ليحتضنها أثناء همسه لها بشغف:

_خليك عارفة إني فخور بيك أوي، وهساعدك في كل خطوة صح هتاخديها في حياتك مهما كانت.

أحاطت "أهلة" خصره وهي تقول بامتنان:

_ربنا يخليك ليا.

ابتسم براحة عليها وعلى قرارها الصائب بارتداء الحجاب، رأى نظراتها تلتمع حينما رأت "سهيلة" ترتديه، فانتهز هو الفرصة وجلس يشرح لها عن ضرورة ارتدائه لتُخفي فتنتها عن معشر الرجال، وهي كانت مُرحبة بالأمر بكل جوارحها

حارة القناص

ومُنْتَبِهَةٌ لكل حرف يخرج من فمه، خاصةً وأنه استدل
بالآيات القرآنية والأحاديث ليثبت لها.

ابتعد عنها "قاسم" ثم أمسك بكفها وسار للخارج بسرعة
وهو يتحدث بمزاح:

يا مـراري احنا اتأخرنا! يلا بسرعة قبل ما "مايكل"
يطرдна سوا.

ضحكت "أهلة" بخفة وهي تسأله:

احنا المفروض نروح الساعة كام؟!!

أجابها "قاسم" أثناء فتحه لباب السيارة وادخالها به:

المفروض نروح الساعة 12، والساعة دلوقتي 2 يا مدام.

انطلق بالسيارة مُسرِعًا فاستمع إلى سؤالها المُتَعَجِب:

طيب ومصحتيش ليه عشان نروح في ميعادنا؟!!

نظر لها "قاسم" بطرف عينه ثم غمزها مُتحدِّثًا بمشاكسة:

حارة القناص

_أصحيك من النوم وأقلق راحتك؟! لا يا ستي هو يستنى
زي ما هو عايز وأنت ترتاحي براحتك.

ضمت "أهله" قبضة يدها ثم مدتها له تحته على ضرب
خاصته بخاصتها:

_أنت راجل محترم وأنا اخترت صح.

تجاهل "قاسم" يدها التي تمدها له، ثم جذبها على بغته حتى
باتت بين أحضانه وهو يقول بعث أثناء تقبيله لوجنتها:

_أنا مش بتفاوض غير بالأحضان يا "هولا".

ضحكت بخفة وهي تُحيط بخصره ثم أجابته بمشاكسة:

_هعمك استثناء وهسمحك بالتفاوض دا.

_دا يا بختي بجد بقى.

رد عليها مُشاكسها إياها، بينما هي ابتسمت برقة وهي
تنظر أمامها للطريق، هي بين أحضانه الآن واستثنته عن
الجميع حتى بات مصدر أمانها، هل بعد ما سيعرفه في تلك
الجلسة أو الجلسة القادمة سيبتعد عنها؟! هل ستُحرم من

حارة القناص

أحضانة؟! هل ستعود وحدها مُجددًا؟! ووسط عاصفة
أفكارها العاتية؛ انتشلها صوته الذي سألها بهدوء:

_مالك؟!!!

هزت رأسها بالنفي وهي تُجيبه بهدوء:
_لأ مفيش.

ثبّت يد على عجلة القيادة، واليد الأخرى ربّت بها على
خصلاتها وهو يتسائل بحنان:
_خايفة؟!!!

ردت عليه وهي تبتلع غصتها بصعوبة:
_شوية.

طمأنها بقوله الحنون:

_دكتور "مايكل" قال إن المرحلة دي أسهل بكثير من اللي
فاتت، ومهما كانت صعوبتها أو سهولتها فاتأكدي دايماً إنني
هكون ضهرك وقت ضعفك.

سحبت نفسًا عميقًا ثم زفرته على مهل وهي تقول:
_بتمنى كدا.

مرت نصف ساعة أخرى حتى وصلوا إلى مبنى الطبيب
"مايكل"، دخلوا وكالعادة استقبلتهم السكرتيرة أولاً ثم دلفوا
بعدها على الفور، استقبلهم "مايكل" بمعالم مُمتعضة وهو
يُرحب بهم بسخط:

_لسه بدري يا أساتذة، مستعجلين ليه كدا؟!!!

جلس "قاسم" على المقعد واضعًا قدمًا فوق الأخرى وهو
يُجيبه بغرور:

_حبيبي والله ولا استعجال ولا حاجة، احنا بس بنحترم
المواعيد مش أكثر.

التوى "ثغر" مايكل ساخرًا ثم أشار نحو المقعد الخاص
بالجلسة (الشازلونج) قائلاً بعملية:

_اتفضلي يا مدام.

وقفت "أهلة" من مكانها وسارت بثبات حتى جلست وتمددت عليه، بينما فؤادها يطرق بعنف خوفاً من القادم، بينما "قاسم" ظل جالساً مكانه واعتدل لِيُتابعها باهتمام، أمسك "مايكل" بدفتر الملاحظات ثم بدأ حديثه بعملية شديدة وهو يقول:

_ أول حاجة عايزة أبدأ بيها وأقولها لك؛ إن الوسواس القهري ليه عدة عوامل وعدة أعراض، يعني بيعتمد على حسب حالة الشخص، فيه أشخاص يكون عندها وراثية، وأوقات بيجي من هوس الإنسان بالنضافة أو عدم الثقة في نفسه، وأوقات تانية بيكون فيه شيء تسبب في الوسواس القهري دا، وهو بينقسم لعدة أجزاء، الخوف من التلوث، الشك ومواجهة صعوبة في تحمل عدم اليقين، هوسك إن الأشياء تكون بشكل منظم ومتناسق، وأوقات بتكون أفكار عدوانية وفقدان السيطرة وإيذاء نفسك أو الأشخاص اللي حواليك، أفكار غير مرغوب فيها، بما في ذلك العنف أو الموضوعات اللي تخص الزواج بصفة عامة.

أنهى حديثه مُتابعاً وجهها الثابت وكان ما قاله لم يكن ليُعنيها أو ما شابه! وبالرغم من ذلك تسائل بانتباه:

_ الوسواس القهري عندك وراثية ولا نتيجة لحدث معين؟!!

حارة القناص

أجابته بهدوء وهي تُشَبِّكُ كفيها معاً:
_نتيجة لحدث معين.

_نوعه إيه؟!!

تسائل مُجددًا حتى يعلم بما سيبدأ لعلاجها، فأجابته هي:
_نضافة، بس الموضوع عندي متطور شوية، يعني بغسل
إيدي كثير جدًا لما أتقرف وساعات بجرحها، وبتقيأ كثير
وأوقات مش بكون قادرة آخذ نفسي.

أوما لها بهدوء ثم فكَرَّ قليلًا قبل أن يتسائل مُجددًا وهو
يُمسك جيدًا من دفتره وقلمه:

_الوسواس القهري بدأ عندك من إمتي؟!!

أجابته بهدوء وهي تُطالع لون الطلاء الأبيض في السقف:
_من وأنا عندي 15 سنة.

دَوْن ما قالته ثم سألها مُباشرةً:
_والسبب؟!!

توترت ملامحها فأغمضت عيناها حتى تُسيطر على حالة
الاشمئزاز التي تحكمت بها، وبصعوبة بالغة أجابته بعد مُدة
طويلة من الصمت:

كان.. كان في حد بيلمسني بطريقة مش كويسة.

وما إن أنهت حديثها حتى حوّلت أنظارها تجاه "قاسم"
لترى ردة فعله، والذي كان وجهه مشدودًا للغاية، هربت من
أنظاره وهي تكاد تبكي خوفًا، حسنًا لا بأس، فهو لن يتركها
على أية حال كما أخبرها.

بينما "مايكل" علم أن القادم لن يكون يسيرًا بالمرّة، لا
عليها ولا على زوجها حتى، لكن رغمًا عنه مضطرًا
لاستكمال جلسته، حتى وإن كان سيضطر إلى تقسيمها على
جلستين مُتتاليتين، سحب نفسًا عميقًا ثم زفره على مهلٍ
وسألها بطريقة مباشرة:

احكي اللي تقدر عليه.

لا تعلم "أهلة" ما ذلك الدوار الذي أصابها، أهو من توترها
أم من فكرة تذكّرها للأمر مرة أخرى؟! شعرت بالقشعريرة
تسري في أنحاء جسدها، والبرودة تتسلل تدريجيًا إليها،

حارة القناص

كحال الجميع عند شعورهم بالتوتر، لكنها شعرت بيدٍ دافئة
ثمسك بكفها وتضغط عليه بقوة، فتحت عيناها بفزع؛ لترى
أن "قاسم" جلس بجانبها وأمسك بيدها لبث الدفيء به، ثم
أردف بصوتٍ حنون وهو يُسددها لها ابتسامة دافئة:
_ احكي متخافيش.

لعتت شففتها بعد أن شعرت بقليلٍ من الراحة وهي تقول
بصوتٍ مبجوح:

_ في يوم من الأيام، ماما كانت بتشتغل وسايباني مع بابا،
بس.. بس في الوقت دا صاحبه كان موجود معاه في البيت،
كنت طفلة وقتها وروحت عشان أسلم عليه فهو سلم عليا
زي ما أنا ما متعودة، ووقتها أنا قعدت معاهم لحد ما ماما
تيجي من الشغل، كانوا بيتكلموا في حاجات كتير غريبة وأنا
وقتها مكنتش فاهماها، فلما كنت بروح أسأل ماما عليها
كانت بتروح تتخاقق مع بابا، بس مكانتش بتقوله إن أنا
اللي قولتله، حتى إنها طلبت منه الطلاق كتير أوي بسبب
الحاجات اللي هو يقولها ويعملها.

_ وإيه هو مغزى الكلام اللي كان يقوله؟!!

سؤال صريح صعد من فاه "مايكل"، ليتحول وجه "أهله" إلى الاشمئزاز تدريجياً:

_بابا كان بيخون ماما، كان يفضل هو وصاحبه دا يتكلموا عن الستات بطريقة وحشة، حتى إني شوفته مرة مع مرات عمي، كان شكلهم وحش أوي، ماما وقتها مكانتش موجودة بس.. بس أنا قولتلها، وقتها صممت على الطلاق وكانت ثابتة على موقفها، لكن هو هددها لو اتطلقت هياخدني منها، خصوصاً إنها كانت بتشتغل وكانت من عيلة فقيرة، وعلشانني وافقت تعيش معاه، وافقت بكل قذارته وقرفه عشان خاطري أنا.

هبطت دموعها دون وعي منها، فتحشرج صوتها في النهاية وهي تتشدق ببكاء عنيف:

_كانت بتستحمل خيانتة عشان مياخدنيش منها.

جذبها "قاسم" لأحضانه وهو يُغمض عيناه بألم شديد، يود سحب تلك الآلام وتكون بجسده بدلاً منها، دموعها تُرهقه وحُزنها يُتعبه، لذلك همس لها وهو يُشدد من احتضانها:

_لو مش عايزة تكلمي ممكن نمشي عادي ونكمل بكرة.

هزت رأسها بالنفي وهي تبتعد عنه، ثم مسحت دموعها
بعنفٍ وهي تقول بقوة:

__ لا أنا عايزة أخلص من كل اللي فيه دا.

أوما لها بصمتٍ وظل مُحاوِّطاً بيدها بين كفيه، بينما هي
أكملت حديثها بألم:

__ وفي مرة سابتي وراحت الشغل بتاعها كعادتها، بس اليوم
دا كان مختلف، بابا جاب صاحبه وفضلوا يشربوا سجائر
كثير أوي، ريحتها كانت وحشة بس أنا مهتمتش، وقتها
ماما كانت قايلالي مخرجش من أوضتي، بس كنت جعانة
أوي ومكلتش من الصبح، عشان كدا روحت المطبخ على
طول، عملت ساندوتش صغير ليا وجيت أرجع أوضتي لقيت
صاحب بابا قدامي، أنا خوفت وجسمي اترعش جامد
خصوصاً لما قرب مني أوي، ولما بقى قدامي على طول
شالني وأنا فضلت أنادي على بابا، عمل نفسه بيهديني
وكان.. كان بيبوسني من وشي.. بعدها.. بعدها..

كانت ستكمل بقية حديثها لكنها انتفضت من مكانها مُهرولة
إلى المرحاض الموجود بالغرفة لتتقيأ، لقد حاولت السيطرة
على ذاتها لكن خارت قوتها التي كانت تتصنعها، كاد
"قاسم" أن يُهرول خلفها لكن أوقفه "مايكل بقوله:

__ سييها عشان متخرجهاش.

نفض "قاسم" يده رافضاً بقوة:

_مينفعش أسيبها لوحدها.

قالها ثم ذهب خلفها مُسرِعاً حتى يرى ما بها، فوجدها تستند على المرحاض وتُفرغ كل ما بجوفها، تلك اللمسات، الهمسات، والأحاديث المُقززة تتصارع داخل رأسها بعنف، حتى غضبت عليها معدتها ونفضت كل ما بها، وقف بجانبها يُربت على ظهرها بقولها لمساعدتها، بينما هي كانت تتنفس بصعوبة، مرت دقيقة كاملة كانت تُعاني بها بكل جوارحها، وهو يقف كحارسها المغوار ليدعمها، لكن حصونه قد انهارت، وجذبها في عناقٍ طويل بعد أن انتهت.

انصهرت الثلوج الموجودة على وجدانها وانهارت باكية، أمسك بقميصه تُشدد من الإمساك به وهي تهز رأسها بعنف، وكأنها تُحاول إخراج تلك الذكريات البشعة من داخل عقلها، شدد "قاسم" من عناقها أثناء همسه لها بكلماتٍ باتت حنونة إلى أقصى حد:

حارة القناص

_بس.. بس إهدي يا عيوني.. أنا معاك بس اهدي.. كله
حاجة هتعدني.. هتبقى كويسة صدقيني.. لو عايزانا نمشي
دلوقتي هنمشي.. كفاية عياط شششش.

هدأت شهقاتها قليلاً، فباتت تستمع إلى هدهداته الحنونة،
كان يُمسد على خصلاتها بعد أن سقطت قُبعة ملابسها، يُقبّل
جبينها تارةً وخصلاتها تارةً أخرى، ومن الحين للآخر كان
يهمس في أذنها بكلماتٍ حنونة داعمة، طفلة الجريحة هي،
وهو سيعمل على شفاها.

أبعدها عنه بعد أن همست بصوتٍ مبجوح:
_عايزة.. عايزة أمشي.

أوما لها بحنان ثم أسندها وأحاط بها من خصرها، خرجوا
من المرحاض فوجدوا "مايكل" في انتظارها، ليتحدث
"قاسم" بهدوء:

_هنكمل بكرة يا "مايكل" لأنها مش قادرة تكمل النهاردة.

لم يُمانع الطبيب، لكنه طلب منهم بتهذيب وهو يُشير نحو
المقاعد:

_مفيش أي مشكلة، بس أنا حابب أتكلم مع الأستاذة "أهلة"
3 دقائق بالظبط مش أكثر.

طالعت "أهلة" بتوتر، بينما مال عليها "قاسم" يهمس لها:
_لو مش عايزة هنمشي، بس هنشوف عايز إيه ونمشي
على طول.

وافقت على حديثه ثم سارت معه عدة خطوات حتى جلست
على المقعد وهو بجانبها، بينما "مايكل" جلس أمام كلاهما
مُتحدثًا بعملية:

_أنا عارف إن حضرتك مريتي بماضي يظهر إنه صعب،
بس عارف وواثق إنك هتقاومي، الحالة النفسية بتأثر بشكل
كبير جدًا على العلاج والاستجابة، عايزك في الفترة الجاية
تقاومي بكل قوتك، ومعنى إنك تقاومي إنك تحاولي تشنتي
تركيزك عن الذكريات اللي بتسببك الاشمزاز والتقيؤ، ولو
فشتلي وافكرتيها؛ خُدي نفس عميق وطلعيه بالراحة، اقفي
في مكان ريحته حلوة وابعدي عن أي مصدر إزعاج ليك.

ابتلعت "أهلة" ريقها بصعوبة ثم أجابته بخفوت:

_مش بعرف أسيطر على نفسي، لما أفكر أي حاجة بيكون
كل همي إني أجيب اللي في بطني عشان أنسى.

رد عليها بعقلانية:

_قواتك مصدر علاجك في إيدك، خُدي نفس عميق، أكيد
مش هقولك متفتكريش عشان بكدا هنكون بنهرب من
السبب الرئيسي للعلاج، بل بالعكس لازم تفتكري، لكن
الفرق إن تحاولي بقدر إنك تطردي الاشمنزاز من جواك،
خُدي نفس عميق وطلعيه على مهلك، لو معرفتيش خُدي
نفس سريع وخرجيه بسرعة، واعلمي كذا كذا مرة ورا
بعض.

أومات له بشرود، فاستطرد هو حديثه مُبتسمًا بعملية:

_بكرة إن شاء الله لما نكمل الجلسة هكتبك علاج مُناسب
هيساعدك، المهم إنك تساعديني في دا.

وقف "قاسم" مكانه ثم اقترب منه يُصافحة وهو يقول
بامتنان:

_شكرًا يا "مايكل".

رد عليه "مايكل" ببساطة وهو يبتسم له:

_العفو دا واجبي، وربنا يكمل شفاها على خير.

آمن "قاسم" على حديثه، ثم استدار لها مُمسكًا كفها بحنان،
وبعدها اتجهوا خارج البناية بأكملها، صعد "قاسم" لسيارته
وكذلك فعلت "أهلة"، وكالعادة ظلت صامتة، شاردة،
وحزينة!

أنهكه حُزنها لكن ما باليد حيلة، سيجعلها تستكمل علاجها
رغم أن صدره يحترق بنيران الحقد والغضب، يشعر بأن
داخله طاقة مُتصاعدة يريد التنفيس عنها، لكن مهلاً
"قاسم"، ستأخذ بثأرها عندما تعلم من هو الفاعل، غداً فقط
وسينتهي كل شيء

توقفت السيارة بعد عشرون دقيقة من السير، لتعتدل
"أهلة" في جلستها ظناً منها بأنهم قد وصلوا، لكنها وجدت
السيارة تقف وسط كثير من المحلات، قطبت جبينها بتعجب
ثم تسائلت بصوتٍ مبجوح مُتناسية حديثهم قبل أن يأتوا إلى
هنا:

وقفنا هنا ليه؟!!

ابتسم لها بحنان ثم قرص وجنتها بخفة وهو يقول
بمشاكسة:

حارة القناص

_جاين عشان نجيب لبس مُحجبات للكفاءة اللي ليا.

تذكرت هذا الأمر لكنها كانت مُتعبة للغاية، لذلك عادت
لتستند على المقعد قائلة بانهاك:
_بس أنا تعبانة دلوقتي مش قادرة.

قطع حديثها بصرامة:

_اصمتي يا امرأة، هو إيه اللي مش قادرة؟! يلا يا بت بلاش
دلغ ماسخ وننزل نشتري هدوم حلوة زيك كدا، اللهم إني
صائم.

هوئ فوادي في عشق من أحببت، صُدفة هي ما جمعتنا،
ترابطت أفئدتنا برباطٍ وهمي من التفاهم، حينها عادت،
ورفضت، وصرخت بأني لم أعشق، لكني في النهاية
عشقت.

هبط "چون" على رأس "لوسيندا" يُقبلها بحنان، ثم أردف
بود وهي يعبث بخصلاتها:

_ ما بها حبيبي صامته؟!!

رفعت "لوسيندا" رأسها له وعلى ثغرها ترسم ابتسامة لطيفة، وبعدها تسألت بحب:

_ صحيت إمتي؟!!

_ منذ وأن كنتِ شاردة، ماذا حدث؟! لمَ تبدين حزينة هكذا؟!!

هزت رأسها بالنفي وهي تعتدل في مكانها، ثم أجابته بعد أن مالت على وجنته تُقبلها بحب:

_ لأ مش زعلانة ولا حاجة، قولي بقي أنت بقيت كويس؟!!

اعتدل "چون" في جلسته بهدوء نظرًا لأن جرح صدره قارب على الشفاء، ثم سحبها إليه يحتضنها بحب مُتسائلًا:

_ أنا كويس، مالك يا "لوسي"؟!!

ضحكت بخفة وهي تقول بمزاح:

_ بتبقى كيوت أوي وأنت بتتكلم زيي.

حارة القناص

داعب وجهها بأنفه ثم أجابها بمرح:

_ لاَ دا أنا ممكن أقلبك من شبرا لو عايزة.

أطلقت "لوسيندا" ضحكات صاخبة وهي تقول:

_ لاَ أنا بدأت أخاف منك، شبرا مرة واحدة؟! طب ما أنت مش بتتكلم كدا كتير ليه طالما بتعرف؟!!

أجابها وهو يهز كتفه ببساطة:

_ لا أحب الحديث بالعربية كثيرًا، خاصةً إن كانت بالعامية، الفصحى أفضل منها بكثير.

كانت "لوسيندا" ستُنازعه لكنها صمتت عند شعورها بالدوار، خفتت ابتسامتها وأغمضت عيناها بتعب رَغْمًا عنها، انتفض "چون" من مكانه ثم أمسك بوجهها مُتحدثًا بقلق لكن بالروسية:

_ ما.. ما بكِ "لوسيندا"؟!!

وعند عدم اجابتها له تحدث بهلع وهو يضرب على وجهها:

_ "لوسيندا" حبيبتى مالك متقلقيش عليك؟!!

أغمضت "لوسيندا" عيناها بألم وهي تهمس:
_دايخة.. دايخة أوي.

ومع جملتها الأخيرة كانت قد فقدت وعيها كليًا، لقد فقدت آخر ذرّة للتحمل ولم تعد تستطيع الثبات أكثر، انتفض "جون" مكانه على الفراش مما أدى إلى ألم شديد داخل صدره بسبب جرحه الذي لم يتعافى كليًا، لذلك صرخ بجنون وصوتٍ عالٍ:

_أخي، "ألبرت"، "فور".. تعالوا بسرعة.

نادى باسم أخويه لأنه يعلم بأن بقية أشقائه ذهب ليقضيا مهمة غامضة كعادتهم، وجد الباب يُفتح بسرعة ويدلف منه كلاً من "ألبرت وفور" الذي يرتسم على وجوههم القلق، ومن خلفهم جاءت "مهرائيل" مُهرولة عندما استمعت لصراخه، وما إن رأت شقيقتها مُمددة على الفراش حتى صرخت بفرع وهي تهول إليها:

_ "لوسيندا" .. "لوسيندا" مالها مبردش عليا ليه؟!!!

اقترب "ألبرت" من أخيه المنصدم فتسائل بقلق:

_ ما بها زوجتك "جون"؟! ماذا حدث لها؟!!!.

حارة القناص

هز "جون" رأسه بتيهة وهو يهز رأسه بخوفٍ بالغ:
_لا.. لا أعلم.. لقد فقدت وعيها فجأة.

وقف "فور" أمام أخيه ضاربًا إياه على خده ضربات خفيفة
وهو يُعنفه:

_فق أخي وهيا سنأخذها للمشفى سريعًا.

نظر "جون" للجبيرة على صدره بضعف، فربت "فور"
على كتفه قائلاً بدعم:

_أنا أخاك، سأظل معك وذراعك مدى الحياة.

طالعه "جون" بدموع مُتجرة في عيناه، فذهب "ألبرت"
سريعًا نحو خزانته وأخرج منها ثيابًا مناسبة لأخيه الذي لا
يرتدي ثيابًا على جزعه العلوي وساعده على ارتدائها.

بينما "فور" اتجه نحو جسد "لوسيندا" ثم حمله على مهل
بعد أن حاول طمأنة "مهرائيل" المُنهمة في البكاء، وبعدها
انطلق نحو الخارج مُسرعًا وخلفه أخويه اللذان لحقوا به
بسرعة، وضعها في المقعد الخلفي للسيارة وجلس بجانبها
"جون" الذي أسندها على صدره رغم ألمه، وبالجانب
الآخر جلست "مهرائيل" التي تبكي خوفًا على شقيقتها.

ذنبها الوحيد أنها أحبته، هل تنتظرون مني أن أدون بعض كلمات الغزل؟! بالفعل ذنبها الوحيد بأنها أحبته بكل معنى الكلمة، ذلك الـ "يحيى" الغبي، العابث، الطفل، الحقير، ليلة أمس؛ قام بالركوض خلفها بالسلك المشتعل حتى أتلف لها ثيابها وتسبب في إتلافها.

في تلك الأثناء؛ كانت كُلاً من "يمنى وملك" تسيران في الشارع الطويل المؤدي إلى منزلهن، بعد أن ذهبوا لشراء بعد مقادير الطعام الناقصة وثياب جديدة للصلاة تخص "يمنى"، ظهر أمامهما من العدل كُلاً من "يحيى ورائد"، قلب "يمنى" عيناه بضجر بينما هو اقترب منها مُتحدثاً بابتسامة واسعة وهو يُحاول غض بصره بقدر الإمكان عنها:

__أخت "يمنى"، لقد اشتقت إليك يا فتاة.

نفخت "يمنى" وهي تُردد بنفاذ صبر:

حارة القناص

_ اللهم إني صائمة، عايز إيه يا "يحيى" مني تاني؟! جاي
تشيظلي لبسي المرة دي كمان!!

وضع "يحيى" يده على فاهه شاهقًا بصدمة:
_ إيه دا هي هدومك شاطت من السلك؟! يقطني.

تشنج وجه "يمنى" ثم صرخت بـ "ملك" التي تبتسم بسمات
خجولة عند رؤيتها لنظرات "رائد" الهائمة:

_ يلاً يا "ملك" بدل ما قسمًا بربي أرتكب جناية هنا
ومحدثش هيحوشني.

أنهت حديثها وهي تجذب يد "ملك" خلفها ثم سارت عدة
خطوات، لكنها توقفت عند وقف "يحيى" أمامها يمنعها من
استكمال سيرها، رفعت أنظارها الحادة إليه وكادت أن
تُوبخه، لكنها ابتلعت حديثها عندما تمت لها باعتذار وملامح
بريئة للغاية:

_ خلاص أنا أسف متزعليش مني، حقك عليا، عارف إني
كنت غبي معاك بس الحماس خدني وبحب ألعب معاك.

حارة القناص

هل قالت بأنها كانت مُزعجة مُذ قليل؟!!! حسنًا، تَبًا لها
ولمشاعرها التي تحولت في أقل من ثانية، لقد تبدد حُزنها
وسار وكأنه لم يكن من الأساس!

لاحظ "يحيى" صمتها بلامح متوترة، فانتهاز الفرصة
وأخرج من جيب بنطاله علبة مستطيلة الشكل وقداحة
(ولاعة)، قطبت "يمنى" جبينها بتعجب فسبقها هو مُحدثًا
بابتسامة مُتسعة:

_تيجي نلعب ونفرق صواريخ مع العيال؟!!!

نظرت "يمنى" لـ "ملك" بتردد، فصرخت "ملك" بحماس
وهي تُردد بسعادة:

_الله أنا موافقة.

انتشل "رائد" علبة المفرقات من يد "يحيى" ثم ابتسم
ببلاهة وهو يقول لـ "ملك" بغباء:

_على فكرة أنا اللي جايبها علشانك.

تشنج وجه "يحيى" ثم انتشلها منه مُرددًا بسخط:

حارة القناص

_ يخربيت البجاجة وقلّة الأدب، غور ياض من هنا، بتكذب
وفي رمضان؟!..

اغتاظ منه "رائد" ثم صرخ به حانقًا:

_ هروح أشترى واحدة يا نتن يا معفن، مش عايز حاجة من
أشكالك.

قال كلماته بغيظ ثم استدار لـ "ملك" التي تكتم ضحكاتها
بصعوبة ثم تحدث بلين:

_ تعالي معايا أشتريلك واحدة يا أجمل صاروخ فرقع في
قلبي.

زمجرت به "يمنى" بفضاظة وهي تُعنفه:

_ اتلم واحترم نفسك، خطوبتكم بعد العيد لسه، يا إما والله
هقول لماما.

فزع كلاً من "رائد وملك" من تهديدها فذهبت إليها "ملك"
والتي أمسكت يدها برجاء، ثم تحدثت بابتسامة متوترة:

_ لـ. لأ خلاص يا "يمنى" هو "رائد" مش قصده.

حارة القناص

حك "رائد" عنقه مُستغفراً في سره عن الذنب العظيم الذي فعله، فلقد ذكرته "يمنى" الآن بعدم وجود أي رابط شرعي بينهما، لذلك قرر الانسحاب حتى لا يسير خلف وسوسة نفسه الأمانة بالسوء، فانسحب مُعتذراً:

_ طيب عن إذلكم ورايا حاجة ضروري لازم أعملها دلوقتي، سلام.

طالعت "ملك" أثره بحزن بعد أن ذهب مُسرِعاً ولم ينتظر جواب أحد، ثم استدارت لشقيقتها تُطالعها بعتاب يشوبه الحزن، أمسكت "يمنى" بكفها وهي تُتمتم باعتذار:

_ مينفعش والله بس حقك عليا مش قصدي أزعلك.

زفرت "ملك" بضيقٍ ثم أومأت لها بصمت، ليتدخل "يحيى" في الحديث قائلاً بابتسامة هادئة:

_ على فكرة هو مش زعلان، بس هو بيحاول يحافظ عليك من نفسه لحد ما تبقي حلاله، وأنا بصراحة اللي اتكلمت معاه في الموضوع دا عشان ميغلطش غلطي أنا و"يمنى" في الأول.

ابتسمت له "ملك" ثم تشدقت بنبرة مُمازحة:

حارة القناص

_مش ز علانة والله، بس شكله كان كيونت خالص لما حسيته
اتقمص.

التوى ثغر "يحيى" بسخرية وهو يُردد حديثها:
_كيونت؟! آه ياختي كيونت أوي أنت هتقوليلي!!

صمت ثم أردف بنبرة مُتحمسة:

_يلا بقى نلعب مع العيال قبل ما يتفرقوا.

أومأت له الفتاتان بحماس، فذهبت "يمنى" خلف "يحيى"،
لكن "ملك" توقفت مُتأوهة بألم عندما شعرت بشيء يصطدم
برأسها ويقع على الأرض! قطبت جبينها بتعجب ثم انحنت
لتلتقطه، فوجدته عُلبة من المُفرقات! اعتدلت في مكانها ثم
دارت حول ذاتها، فوجدت "رائد" يقف على بُعد كبيرٍ منها
ثم غمز لها قائلاً:

_دي علشان تعرفي تلعبى براحتك.

قالها ثم رحل مُسرِعاً وتركها تنظر في أثره بهيام، وبعد أن
اختفى نظرت للعلبة التي بين يديها ثم ابتسمت بحب شديد،
خاصةً عندما رأت المُدون عليها بخط حبري ثقيل:

_"للصاروخ الأقوى على الإطلاق".

ضحكت بمرح وهي تنظر لكلماته العابثة، تكاد تُقسِم بأنه لو أمامها سيكون المكر هو كل ما يحتل وجهه المُشاكس.

بينما "يحيى" كان يُشعل الصواريخ لـ "يمنى" وهي ترميها بكل مرح وسط الأطفال الذين يُهرولون للاختفاء خوفاً من الشرارات المُصاحبة لها، لكن ضحكاتهم الصاخبة كانت تملأ الأجواء المليئة بالبهجة.

مرت نصف ساعة أخرى وهم يلعبون فشعرت "يمنى" بتأخر الوقت، لذلك اقتربت من "يحيى" قائلة بابتسامة هادئة:

_"همشي أنا بقى يا "يحيى" عشان اتأخرت."

بادلها الابتسامة ثم وافق قائلاً بهدوء:

_"ماشى، وقولي لمامتك إني ممكن إجيلكم بالليل شوية."

اتسعت ابتسامتها أكثر وأومات له بحماس، ثم حملت مشترياتها واتجهت نحو منزلها، أراد أن يُشاكسها قليلاً

حارة القناص

بأمسك بعودٍ من الصواريخ وقام بإشعاله ثم قذفه أسفل
قدميها، ظناً منه بأنه يُداعبها!! لكن ما حدث بعد ذلك هي
صراخها بفزع عقب استماعها لصوت انفجار قريبٍ منها،
ليتحول وجهه للتوتر عقب استدارتها له وتسديد نظرة نارية
منها ثم صرخت به بنفاذ صبر:

"يحيى؟!!!!!!"

المرء يحتاج إلى شريكٍ صالح يأخذ بيده للصلاح، فاللهم
الجنة مع مَنْ أحب وأرشدني إلى الصواب.

_ لأحسس إنه ديق شوية.

تمتم "قاسم" بتلك الكلمات وهو يطم شفتيه بعدم رضا،
لتزفر "أهله" وهي تقول بحنق:

_ يا "قاسم" يالهوي بقى!! والله أنا رجلي ورمت من كُتر
اللف وفي الآخر مجبناش غير طقمين.

وضع "قاسم" كفيه داخل جيب بنطاله مُجيباً إياها بلامبالاة:

_ وماله، هنلف تاني لحد ما نلاقي هدوم حلوة تتفع لوحدة
مُحترمة زيك كدا.

زفرت "أهلة" بسخط، فابتسم لها "قاسم" بهدوء ثم اقترب منها وأحاط بذراعه كتفها أثناء قوله المُشاكس:

_ خلاص يا ستي ولا تزعلي نفسك، تعالي وأنا هختار معاكِ.

ارتسمت ابتسامة يائسة على ثُغر "أهلة" ثم قالت بقلّة حيلة:

_ ماشي، يلا وأمري لله.

دلف معها "قاسم" لداخل الكثير والكثير من المحلات الموجودة بالمول الكبير، ثم انتقى من الثياب أوسعها وأجملها وأنقاها، اختار لها فستانًا بسيطًا من اللون الأبيض ومُزينًا بورودٍ زرقاء، واختار معه حجابًا مُماثلًا للون الورورد، وفستانًا آخر من اللون الأسود لكن بدون نقوش، فقط يوجد بعض الأزرار السوداء الموجودة بالمنتصف، وحزام عريض موضوع عند الخصر، وانتقى معه حجابًا من اللون النبيذي الرائق، وآخر من اللون البيج، وفستان ثالث من اللون البنفسجي به حزام لامع من المنتصف، وآخر من اللون الأحمر الغامق، كانت جميع اختياراته غاية في الجمال والروعة، والأهم من ذلك انتقى لها ثياب مُحتشمة.

حارة القناص

نظرت "أهلة للثياب بابتسامة سعيدة، فثبتت أنظارها على آخر خطف أنظارها، كان يُشبه خاصتها والذي كان من اللون الأبيض ولكن به ورود وردية جميلة، لتستدير إلى "قاسم" تطلب منه برجاء:

_"قاسم" عايزة أجيب الدريس دا.

استدار "قاسم" حيث تُشير، فوجد أنه مُشابهاً للذي ابتاعه في البداية، ليتحدث بتعجب:

_"بس أنت جيبتي واحد زيه بالظبط، خليني أجيبك واخد تاني."

هزت رأسها بالنفي وهي تقول بسعادة:

_"لأ دا مش ليا، أنا هجيبه لـ"حبيبة"."

ابتسم "قاسم" تلقائياً ثم أوما لها دون وعي، ثم ذهب ليبتاع ما تُريده، لم يكن يعلم بأنها بكل ذلك الحنان والود، وهذا شيء زاد من نقاط حبها داخل فواده.

كانت تقف تبحث حولها عن أشياء قد تُعجبها أخرى لكنها لم تجد، لذلك اكتفت بالذي اشترته، لم تكن لتُصدق من الأساس أن تجد بروسيا أماكن لبيع ملابس للمحجبات، لكنها دُهِشَت

حارة القناص

حينما وجدته، بل وبه الكثير من الثياب الرائعة و..
والمثيرة!!

احمرت وجنتاها وذهبت ببصرها بعيداً عن ثياب مكشوفة
بطريقة مُبالغ بها، لقد خجلت من رؤيتها فقط!! حممت
بانتهاب عندما وجدت "قاسم" يقترب منها وبيده الكثير من
الحقائب، قطبت جبينها بتعجب شديد ثم تسائلت:

__ أنت اشتريت حاجة تاني؟!!

أوما لها ثم رفع الحقائب أمام عيناها قائلاً بابتسامة واسعة:
_ آه، خلّيت البنت اللي هنا تجيبلي من كل حاجة خدناها مرة
تانية، عشان أنتِ و"حبيبة" تلبسوا على راحتكم.

اتسعت ابتسامتها بسعادة ثم تشدقت بحماس وتلقائية:
__ طب والله كفاءة وسكر.

قهقهه عاليًا ثم عدلّ من الإمساك بالحقائب، ثم أردف بمزاح:
__ مفيش حد كفاءة غيرك يا عسل.

صمت قليلاً عندما رأى لمعة عيناها الرائعة، ثم تحدث قائلاً:

حارة القناص

_يلا ننزل بقى أصل الشنط وجعت إيدي.

انحنت لثمسك حقائب الثياب الخاصة بها، ثم هبطت معه حتى وصلوا إلى السيارة، وبعدها وضعوا الحقائب بصندوق السيارة الخلفي وأغلقوا عليها جيداً، صعدت "أهلة" للسيارة وصعد هو جانبها ثم تسائل بابتسامة هادئة:

_مبسوطة؟!!!

أومات له بسعادة وهي تقول بامتنان:

_أوي أوي بجد.

قرّبها منه ثم قبّل وجنتها بحنانٍ مُتشدّقاً بحب:

_ربنا يديم فرحتك يا حبيبتي.

ابتسمت له بحب، فابتعد عنها عندما استمع إلى صوت رنين هاتفه، رأى اسم "فور" يُزين شاشته فأجابة بهدوء:

_آلو!!

انتظر قليلاً ليستمع إلى صوته المُلتاع، فرد عليه "قاسم" بتعجب:

حارة القناص

_في المستشفى مالها؟!!!

.....

_طيب تمام إحنا جايين حالاً، ابعتلي اللوكيشن بس.

اعتدلت "أهلة" في جلستها ثم تسائلت بقلق بعد أن أغلق الهاتف:

_مستشفى ليه؟!!!

رد عليها "قاسم" وهو يُدير مُحرك سيارته:

_ "لوسيندا" تعبت ونقلوها المستشفى وإحنا هنروحهم على هناك.

الظلام يعم المكان، الصمت المُنتشر قد يبث الرعب بفؤادك، لا يوجد سوى صوت أنفاس لاهثة تصدح من أحد الأركان، وصوت عقارب الساعة تتناغم على التوالي، وحيث السكون يوجد كُرسِيّ يتمايل بانتظام للأمام وللخلف، يجلس عليه لا تظهر معالم وجهه سوى بعض الرتوش البسيطة، وببطئ شديد رفع ذلك الشخص كأس النبيذ إلى فمه لارتشافه، عقله صاحب لا يهدأ عكس الهدوء الذي يُغلف به وجهه، أمواج فؤاده الهائجة قاربت على اقتلاع جميع الثمار من حوله، وقد قاربت!

حارة القناص

قطع ذلك الصمت هو انفتاح الباب دُفعةً وفتح أحدهم للأنوار
المُغلقة تبعه صراخه المُهتاج:

_ أنت قاعد كدا ولا على بالك يا "مختار" وكل حاجة بتروح
من بين إيدينا!!

رفع "مختار" يده بلقافة تبغه يستنشقها بترو ثم أخرج
دخانها على مهل دون أن يُجيبه، مما أدى إلى تصاعد الدماء
بوجه "نادر" والذي صرخ بدوره:

_ هو أنا بكلم نفسي؟!!! سيادتك قاعد كدا وسايب كل حاجة
تضرب تقلب ومش هامك؟!!! احنا فلوسنا وثروتنا بتضيع يا
"مختار" سامع؟!!! شقانا كله بينهار قدام عينينا واحنا مش
عارفين نتصرف.

فعل "مختار" فعلته الأولى واستنشق من لقافة تبغه قبل أن
يردف بجمود:

_ "صهيب" عارف كل حاجة ومتفق مع ابن طاحون.

احتلت الصدمة وجه "نادر" الذي تشدق بدهشة:

_ إيه؟!!! عرف كل حاجة إزاي يعني؟!!! وأنت عرفت إزاي؟!!!

حارة القناص

نفخ "مختار" دخان سيجاره ثم تشدق بلامبالاة:
_مش مهم عرفت إزاي، المهم إني عرفت.

تقدم منه "نادر" بصدمة حتى جلس قبالتة ثم تحدث
مشدوهاً:

_طب.. طب والعمل؟!!

رد عليه "مختار" بغموض:

_سبب العمل عليا أنا بقى، كل حاجة لازم ترجع لمكانها
الطبيعي.

_يعني إيه؟!!

تسائل بها "نادر" ومعالم الصدمة مازالت مُرتسمة فوق
وجهه، ليعتدل "مختار" في جلسته دون أن يُجيبه، ثم رفع
سماعة هاتفه الأرضي على أذانه وانتظر قليلاً وبعدها تشدق
بجمود:

_تعالى يا "وليد" عايزك.

حارة القناص

قالها ثم وضع سماعة الهاتف وشبك كفيه معًا وظل صامتًا
حتى همس بفحيح:

_ودلوقتي هنبدا بـ"وليد".

وصل كُلاً من "قاسم وأهله" إلى المشفى تزامناً مع وصول
"صهيب وحببية"، تقابل "صهيب" مع شقيقه والذي تسائل
بقلق:

_متعرفش حصل إيه؟!!!

هز "قاسم" كتفه بجهل وهو يقول:

_ "فور" مقالش حاجة.

_طب يلا ندخل وربنا يستر.

ولجوا لداخل المشفى وقاموا بالاستفسار عن الحالة ورقم
الغرفة حتى أخبرهم موظف الاستقبال عن مكانها، أمسكت
"حببية" بيد "أهله" بخوف فأحاطت "أهله" يدها بحماية،
ثم أسرعوا من خطواتهم حتى يلحقوا بالرجال.

حارة القناص

لمحوا "ألبرت وفور" يقفون بجانب "جون" الخائف
لمواساته، فاقتربوا منهم بسرعة وتساءل "قاسم" بقلق:

_إيه اللي حصل؟!!!

هز "ألبرت" كتفه بجهل وهو يقول:

_فقدت وعيها فجأة.

وقفت الفتاتان بجانب "مهرايل" التي كانت منهارة في
البكاء خوفاً على شقيقتها لتهدأتها، وبعد مرور خمس دقائق
أخرى خرج الطبيب فهول إليه الجميع على بغتة مما جعله
يعود للخلف برعب!!

تساءل "جون" بقلق بالغ:

_ما.. ما بها زوجتي أيها الطبيب؟!!!

استعاد الطبيب رباطة جأشه ثم أجابهم بنبرة عملية
وابتسامة صغيرة تزين ثغره:

_لا يوجد بها شيء يا سيد، مبارك؛ فزوجتك تحمل بين
أحشائها طفلاً وهو من تسبب بتلك الفوضى.

حارة القناص

عمت الفوضى المكان ما بين تهليل وسعادة وصرخات غير مُصدقة، ووسط كل هذا كان جسد "جون" مُتصنماً في مكانه، أي طفلٍ هذا؟! طفل زوجته!! نعم طفل زوجته ليس طفله هو.

احتضن "ألبرت" جسد شقيقه المُتجرر مُتحدثاً بسعادة:
_أخي العزيز مُبارك يا فتى.

طالعه "جون" بنظراتٍ مصدومة وكأنه لم يعي معنى الحديث الذي يُقال، جاء دور "قاسم" الذي احتضن "جون" مردفاً بفرحة عارمة:

_مُبارك عزيزي "جون"، ستكون أباً رائع أنا أثق بذلك.

جاء دور "صهيب" والذي تحدث بعث وهو يحتضنه:
_والله وعملوها الرجالة ياض.

والآن فقط استوعب "جون" ما يحدث، ليُهرول فجأة إلى غرفة زوجته والابتسامة تشق وجهه والجميع خلفه، عدا "مهرائيل" التي تسلت ودلفت أولاً إلى شقيقتها.

حارة القناص

توقفت "حبيبة" وأمسكت بيد "أهلة" قبل أن تلحق بهم، ثم
اقتربت من أذنها هامسة بتوتر:

_"أهلة" تعالي معايا عايزاك في حاجة."

قطبت "أهلة" جبينها بدهشة وهي تتسائل:

_"حاجة إيه؟!!"

سحبتها "حبيبة" خلفها وهي تقول بإصرار:

_"تعالي بس وأنا هقولك."

وبالفعل ذهبت معها "أهلة" فتسائلت بدهشة وهي تتلمس
كف يد "حبيبة" البارد:

_"أنت إيدك سقعة كدا ليه؟! مالك، أنتِ تعبانة؟!!"

عضت "حبيبة" على شفيتها والتي أردفت بتوتر وخوف:

_"آه تعبانة."

حارة القناص

كانوا حينها قد دلفوا إلى المصعد الكهربائي الذي وقاموا
بالضغط على الطابق الثالث، لتتحسس "أهلة" وجه
"حبيبة" وهي تتسائل بقلق:

_تعبانة مالك؟! ومكشفتيش ليه?!!!

ابتلعت "حبيبة" ريقها بصعوبة وامتلات حدقتها بالدموع
وهي تُجيبها بصوتٍ مُرتعشٍ خائف:

_أنا.. أنا حاسة إني حامل.

وعلى عكس المتوقع ضربت "أهلة" على صدرها مُرددة
بعدم تصديق:

_يا مصيبتى!!!

بكت "حبيبة" خوفاً من ردة فعلها لذلك اردفت بسرعة:

_دا مجرد احساس بس، أنا أوقات بحس إن فيه حاجة
بتتحرك في بطني.

وبالأسفل..

دخل الجميع الغرفة فوجدوا "مهراييل" تميل على معدة
شقيقتها تحتضنها وهي تُردد بسعادة:
_ حبيب قلب خالتو.

ضحكت "لوسيندا" بخفة على جنون شقيقتها، وبالرغم من
ذلك ابتسمت لها بحنان على سعادتها الواضحة والظاهرة،
حتى ظنت بأنها سعيدة أكثر منها على الأغلب!!

اعتدلت "مهراييل" في جلستها ثم اقتربت على شقيقتها
تضمها بحنان هامسة لها بصوتٍ مُتَحَشِّرَج:
_ ألف مبروك يا حبيبة قلبي، هتكون أحلى أم في الدنيا كلها.

أدمعت عيني "لوسيندا" تأثرًا ثم بادلت شقيقتها العناق
مُقبلة جانب وجهها، ثم أردفت بحب:
_ عقبالك يا حبيبتي.

_ "لوسيندا"!!!

حارة القناص

كانت تلك همسة "چون" الغير مُصدقة، فمسحت "مهرايل"
عينها على الفور وأفسحت له المكان للجلوس، جلس
"چون" أمام "لوسيندا" التي ابتسمت له بحنان، فوضع هو
يده على معدتها هاتفاً بتردد:

_طفل.. ط.. طفلنا!!

أومات له "لوسيندا" بالأيجاب وهي تبتسم بسعادة، ثم
أمسكت بكفه الموضوع على معدتها قائلة بحنان:
_نعم طفلنا "چون"، أنت ستكون أب رائع حبيبي.

أدمعت عيني "جون" بسعادة وهو يضحك بعدم تصديق،
وعلى بغتة جذبها في عناقٍ قوي وهو يهمس:
_أنا أحبك.. بل أعشقتك.. أنا.. أنا أهيمُ بكِ عشقًا "لوسيندا".

دفنت "لوسيندا" وجهها بعنقه هامسة بتحشرج:
_وأنا أحبك كثيرًا "چون"، أحبك أكثر من حياتي حتى.

كانت الأجواء مليئة بالحب والشاعرية من تلك الأحاسيس
التي تدور بين عاشقين نالوا ثمرة حُبهم، لكنهم انتفضوا
برعب عندنا استمعوا إلى صرخة "فور" الغاضبة:

حارة القناص

كفى، أنا لا أريد هذا الطفل.

استدار له الجميع يُطالعونه بتعجب، حتى صدح صوت "ألبرت" المُعنف:

ما هذا الهُراء "فور"؟! هل جُننت؟!!

ذهب "فور" ليقف أمام شقيقه "جون" هاتفاً بغضب:

ألسنا توأمان؟! إذا عليك انتظاري حتى أتزوج أنا أيضاً
وبعدها نأتي بطفلان سويًا في نفس الوقت حتى يصيرا
توأمان مثلنا.

فرغ "چون" فاهه بصدمة، وما كاد أن يتحدث حتى استمع
إلى صوت أخيه المُتخاذل:

لم أكن أتوقع هذا منك يا أخي، لقد غدرت بي وطعنت
فؤادي بلا شفقة، تبًا لك.

قال كلماته ثم دفعه وذهب من أمامه وخرج من الغرفة
بأكملها، بينما الجميع يُتابع أثره ببلاهة، تقدم "ألبرت" من
"چون" مُربتًا على كتفه ثم تحدث بيأس:

لا تحمل همًا "چون" أنا سأحل أمره.

وفي تلك اللحظة لاحظ "قاسم" غياب الفتاتان، فمال على
أذن شقيقه يهمس له:
_ مراتي ومراتك مش موجودين.

نظر "صهيب" حوله فلم يجدهما بالفعل، ليهمس بنفس
طريقة شقيقه:
_ استر ياللي بتستر، استرها علينا يارب.

وفي الثانية التي تلت حديثهما، وجدا الباب يُفتح وتدخل منه
كُلًّا من "أهلة وحببية" بلامح وجه ثابتة لا يظهر عليه
شيء، وما إن رأوا "لوسيندا" حتى ذهبوا لها مبتسمين
بود، اقتربت منها "حببية" ثم احتضنتها بحب قائلة:
_ ألف مبروك يا "لوسيندا"، ربنا يتملك على خير يا
حبيبتي.

بادلتها "لوسيندا" العناق وهي تقول بود:
_ الله يبارك فيك يا "بيبة" عقبالك.

حارة القناص

ابتسمت "حبيبة" بتوتر قبل أن تفسح المكان لـ "أهلة" التي
اقتربت تحتضن "لوسيندا" بحنان:

_أجمل واحدة هتجيب بيبي يا روح قلبي.

احتضنتها "لوسيندا" بقوة قائلة وهي تضحك:

_حبيب قلبي وأيامي والله، وأنتِ هتبقي أجمل خالتو في
الدنيا والله.

ربتت "أهلة" على خصلاتها بحنان ثم ابتعدت عنها بعدما
اقترب منها "چون" الذي تحدث بحب:

_ارتاحي الآن حبيبتى.

اعتدل "ألبرت" واضعاً كفيه داخل جيب بنطاله ثم أردف
بصوتٍ هاديء:

_سأهبط لأجلب لكم الطعام وأنهى أوراق الخروج.

هبت "مهرائيل" الجالسة من مجلسها ثم تشدقت ببعض من
الضيقة:

_خُدني معاك يا "ألبرت" أصل الجو بقى خنقة.

حارة القناص

تفوهت بجملتها الأخيرة بغضبٍ متواري وهي تُطالع كُلاً من
"أهلة وحببية" اللتان طالعاها بتعجب!!

خرج "ألبرت" ومعه "مهرائيل"، بينما مال "قاسم" على
أذن "أهلة" هامساً بعبث:

_عقبالك يا كفاءة، هتبقى أجمل مامي في الدنيا.

عضت "أهلة" على شفيتها بخجل، لكنها قررت مُشاكسته
فأردفت بمكر وهي تتصنع التفكير:

_بس تفكر جوزي هيكون بيحب الخلفة؟!!

تشنج وجه "قاسم" وهو يُردد كلمتها التي أثارت غيظه:

_جوزك؟!!

أكدت له ببراءة زائفة:

_أيوا جوزي، مش احنا هنتطلق؟!؛ وبما إننا هنتطلق فأكيد
هتجوز تاني.

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجهه مُجيباً إياها وهو يجز
على أسنانه بغضب:

حارة القناص

_جوزوك لقرء أقرع، أءور، أعمى ىا بعءة.

قال ءمءته ثم تركها وءرء من العرفة بعضب، بىنما هى لءقت به وهى ءضحك بصءبٍ ثم ءءءت من بىن ضءكاتها:

_ىا "قاسم" اسءنى مءبقاش قموصة بقى!!

بىنما "ءبىبة" ءهبت للوقوف بءانب "صهىب" ثم ءءءت باءءسامة مءوءرة مءءسة:

_إزىك؟!!!

ءاول "صهىب" كءم ضءكاته بصعوبة فأءابها ببعض من الءءىة:

_ءءمء لله كوىس، أنء إءبارك إىه؟!!!

أءابته بنفس ءلك الاءءسامة ءى زاءء من رىبته:

_ءءمء لله بعئر، ءامل إىه؟!!

وءلك المرة قطب ءبىنه بءعءب وهو ىقول برىبة:

_لأ أنا كءا بءأء أءلق بءء، اسءرها ىارب.

ردت عليه "حبيبة" بتلعثم:

لـ.. لأ مفيش حاجة.. بقولك إيه أنا جعانة.

ورغم عدم اقتناعه أوما لها وما زال القلق يرتسم على وجهه:

تعالى إما أأكلك وربنا يستر.

أنهى "ألبرت" جميع الاجراءات ومعه "مهرايل"، فوقف كلاهما في حديقة المشفى ينظران لمظهر الغروب بصمت، بعد أن نجحت "مهرايل" بإصابة رأسه بالصداع المزمّن بسبب كثرة حديثها!!

ظل الصمت دائر بين كليهما حتى خرج "ألبرت" أخيراً عن صمته قائلاً:

أفكر بأن أقدم خدمة كبيرة للبشرية.

طالعه "مهرايل" بتعجب ثم تسائلت:

_خدمة إيه؟!!!

وتلك المرة استدار إليها "ألبرت" بكامل جسده وهو يقول
بأعين مُلتمة:

_أتزوجك.

حلَّ الليل على الجميع واجتمع الجميع بغرفة المعيشة للقصر
بعد أن عادوا للمشفى، هجم "آندريه، ليونيد، ستيفن،
إيغور" على شقيقهم "جون" يحتضنون إياه وهم يصرخون
بحماس، علت الضحكات والبسمات بين الجميع وسط جو
عائلي مليء بالدفء والحب.

تحرك "جون" من مكانه مُتجهًا نحو "فور" المُمتعض،
وبدون أي حديث قام باحتضانه بقوة، وبعدها همس له
بحب:

_أعتذر حقًا لا تحزن، طفلي سيكون هو طفلك بكل تأكيد،
ستكون أنت أباه الثاني وعمه العزيز، أنت المُفضل لدي
دائمًا وأبدًا، لذلك ستكون المُفضل عند طفلي دون شك.

تبدد غضب "فور" تدريجيًا عقب سماعه لكلمات المُربطة
على فؤاده، وبحذر شديد تسائل بعد أن ابتعد عنه:

حارة القناص

_ هل ستجعلني أَلعب به؟! !!

علت ضحكات الجميع بصخب، لكن "چون" أوماً ضاحكًا:
_ بالتأكيد ستلعب به كيفما شئت.

اتسعت ابتسامة "فور" بكل سعادة واقترب منه ليُعانقه أثناء
حديثه السعيد:
_ أنا أحبك أخي.

قطع هذا الجو صوت صققات "أهلة" التي وقفت من مكانها
قائلة بتهليل:
_ انتبـاه.. انتبـاه.. انتبـاه.. عايزة أقول حاجة.

تحولت معالم وجه الجميع إلى الدهشة، فأكملت هي
بابتسامة واسعة:
_ "حبيبة" حامل.

بصقت "حبيبة" المياه التي ترتشفها، بينما تحول وجه
الجميع إلى الصدمة، فاستغل "فور" صدمتهم وقرر أن
يضرب بقبلته هو الآخر:

_وأنا أيضاً.

استمع إلى شهقة عالية كان مصدرها "مهرائيل" التي
رددت بعدم تصديق:

_أنت كمان حامل؟!!!

نفى "فور" مُسرّعاً وتحدث بريية:

_لقد.. لقد أعلنت إسلامي.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. 

حارة القناص

صلاةً منك على النبي ﷺ = عشر صلواتٍ من ربِّك عليك !
وإن زدت = زاد ربُّك و ضاعف .
اللهم صلِّ و سلِّم على نبيِّنا محمَّد ﷺ

#الفصل_السادس_والأربعون.

#حارة_القناص.

#صاعقة_كبرى.

لحظاتٌ من الصمتِ مرت على الجميع، منهم المُنصدم،
ومنهم المُندهش، ومنهم السعيد، ومنهم الغاضب!!

ماذا قلت للتو؟!!!

كلماتٌ صعدت من فاهِ "ألبرت" الذي تسائل بحذر أثناء
اقترابه أكثر من "فور"، ليبتلع "فور" لُعبه بريبة أثناء
نظره لملامح وجه أخيه الجامدة، وبالرغم من ذلك لم
يتراجع بحديثه، بل أعاده بكل قوة وهو ينظر له:

لقد اعتنقت الإسلام أخي.

أمسكه "آلبرت" من تلايبه وهو يهزه بعنف قائلاً من بين
أسنانه بغضب:

ما هذا الهُراء الذي تتفوه به الآن؟! أي إسلامٍ هذا الذي
اعتنقته؟!

أغمض "فور" عيناه يُحاول التحدث بكل هدوء وعقلانية
ليمتص غضب شقيقه، لذلك تحدث برزانة:

لقد سكلت الطريق الذي أشعرتني بالراحة أخي، لم أشعر
بمثل هذا المقدار من السرور من قبل.

اقترب منهم "ستيفن" والذي تحدث بتعجب وابتسامة غير
مُصدقة مُتشكلة على ثغره:

بماذا تهذي "فور" بحق الله؟! هل تعني بهذا الحديث أنك
ستتركنا؟!!

انقبض فؤاد جميع الأخوة برعبٍ من تلك الفكرة، لينفي
"فور" برأسه مُسرعاً وهو يقول:

بالطبع لا، لقد اخترت الطريق الذي أراه صواباً من وجهة
نظري، لكن هذا لا يعني بأنني سأترككم، أنتم أخوتي مهما
اختلفت أدياننا.

كانت النظرات مُشتعلة بين الجميع، لكن بالنسبة لـ "قاسم"
فكان بوادٍ آخر غير الجميع، حين انتفض من مكانه مُتسائلاً
بسعادة عارمة وهو يُمسك بذراعي "أهلة":

_يعني إيه؟! يعني "صهيب" هيبقى أب؟! وأنا هبقى
عم؟! وماما هتبقى تيتا؟! وأنتِ هتبقى مرات عمه
الهربوءة?!!

صعدت ضحكات "أهلة" الصاخبة تنطلق وهي ترى جنونه
وسعادته في نفس الوقت، لكنها قررت مُجاراته وأومات له
بأعين دامعة:

_أيوا هبقى مرات عم حربوءة.

وفي اللحظة التي تلتها كانت تستقر بين أحضانه وهو
يحتضنها بقوة أثناء قوله السعيد:

_أحلى حربوءة في الدنيا.

لم تتمالك "أهلة" ذاتها أكثر وزادت ضحكاتهما، لكنها شهقت
بفرع عندما دفعها "قاسم" على الأريكة وتحديداً على قدم
"مهرايل" ثم هرول تجاه "فور" الذي استقبل لكمة عنيفة

حارة القناص

من يد أخيه، وفي اللحظة التي تلتها كان "قاسم" يحتضنه
مُهلاً بسعادة:

_مبروك يا "فور"، سيبك من اخواتك التيران دول
أنت كدا في السليم.

وضع "فور" كفه على وجهه مكان لكمة أخيه بألم، ثم
تحدث وهو ينظر بنظرات مُغتاظة نحو أخيه:

_شكرًا لك "قاسم"، لولاك ما كنت أخذت ذلك القرار.

جز "ألبرت" على أسنانه بغيظ ثم تحدث بفحيحٍ قبل أن
يذهب من أمامه كُليًا:

_حسنًا "فور" أنت من اخترت، ليس لي علاقة بك بعد
الآن، لا أريد رؤية وجهك أمامي.

قالها ثم ذهب وتركه ينظر في أثره بحزن، رفع "فور"
أنظاره أخواته الباقون فوجد علامات الخذلان مُرتسمة على
وجوههم، عدا "چون وليونيد"، اقترب "ستيفن" من شقيقه
حتى وقف أمامه وأردف:

_بفعلتك تلك أنت تُقرر الانفصال عنا كُليًا.

حارة القناص

هز "فور" رأسه نافيًا حديثه بسرعة، وما كاد أن يفتح فاهه للحديث حتى قاطعه "قاسم" مُتحدثًا برزانة:

لن يحدث أي شيءٍ من هذا "ستيفن"، والدليل هنا، أنا وشقيقي مُسلمان ولم يؤثر اختلاف الأديان على صداقتنا ولو بقدرٍ صغير، كما أن "فور" سيظل ماركًا هنا معكم أي أنه لن يذهب لمكان.

طالعه "ستيفن" بعدم اقتناع ثم ذهب هو الآخر وترك الجميع، وكان الخصمان الآخر هُم "إيغور وأندريه"، اللذان نظرا لـ "فور" لثوانٍ من الصمت ثم رحلوا أيضًا تاركين إياه ينظر لأثرهم بألمٍ بالغ، ربت "قاسم" على ظهره وهو يتشدد بدعم:

لا تحزن عزيزي هُم بالنهاية إخوتك ولن تطول مقاطعتهم لك.

اقترب منه كُلاً من "چون وليونيد" اللذان احتضنناه بحب حتى لا يحزن، فبدأ "ليونيد" الحديث أولاً بقوله:

لستُ راضٍ عن ما فعلت بنسبة مئة بالمئة لكن لا بأس، المهم ألا تبتعد عنا "فور".

أيد "جون" حديثه قائلاً بحب:

حارة القناص

_ نحن نحبك "فور" وأنت تعلم هذا، وما فعله أخواتك طبيعي
تمامًا، سيهدأون فقط ثم ستري بأنهم قد سامحوك.

ضمهم "فور" إليه قائلًا بحب:

_ أنا أحبكم حقًا حتى أكثر من ذاتي، لا يمكنني الابتعاد عنكم
حتى لو لإنشٍ واحد.

ربت "ليونيد" على ظهره بحنان وهو يقول:

_ نحن نعم ذلك، الأمور ستعود لوضعها الطبيعي لا تقلق.

وعلى الجانب الآخر.. بعد مرور نصف ساعة تقريبًا..

كان "صهيب" يُطالع "حبيبة" بنظراتٍ مرتابةٍ وحين تتلاقى
أنظارها يُبعدها عن على الفور، نظر لها بطرف عينه ليجدها
صامتةً تنتظر ردة فعله بعدما أعلنت "أهلة" بكل غدرٍ عن
حملها المفاجيء، وهو كان يهمس بينه وبين ذاته:
_ أكيد أنا سمعت غلط.

وحين تلاقى أنظارهم مُجددًا؛ هرب بها لجهة أخرى وهو
يهمس بنفس الجملة، وبعد ثانيتين أخريتان قام بالنظر إليها

حارة القناص

بطرف عينه ويتسائل كيف للبسكوتة خاصته أن تكون أمًا؟!
وللمرة المائة على التوالي تلاقت أنظارهم فهرب هو بأنظاره
وهو يهمس لذاته بعدم تصديق:

_ أكيد أنا من تأثير الصدمة سمعت غلط، "حببية" حامل؟!!

وبكل بلاهة وحماسة عاد لينظر إليها مُجددًا وكأنه يتأكد من
هويتها أو ما شابها، لكنه انتفض من مكانه بفرع عندما
صرخت به "أهلة" بنفاذ صبر:

_ جرا إيه يا عم الكتكوت!! بقالك ساعة مصدوم وبتبص
للبت ولا كأنها كانت عقيمة وحامل؟! ما تقوم تحضنها يا
جدع أنت ولا تعملك أي أكشن في ليلتك دي.

طالعها ببلاهة لعدة ثوانٍ ثم عاد لحالته التي كان عليها منذ
دقائق، وكأنها لم تتحدث من الأساس!!

اقترب منه "قاسم" ثم جلس جانبه وتساءل بضحكة مكتومة:
_ مالك يا "صهيب" متتح كدا ليه?!!

طالعه "صهيب" بعدم فهم ثم أشار لزوجته وكأنه يشكي
منها:

_مراتك بتقول إن مراتي حامل.

أخفى "قاسم" ضحكته بصعوبة بالغة، ثم تسائل بجديّة
زائفة:

_أيوا وفين المُشكلة؟!!

رمش "صهيب" بأهدابه عدة مرات ولا يجد إجابة لسؤاله،
وبكل بلاهة قام بالإنحناء للأمام ليرى وجه زوجته الذي
يُخفيه "قاسم" خلف جسده، وبنفس الغباء عاد لموضعه
مُجددًا وهو يشكو له:

_طيب بذمتك دي هتخلف إزاي؟! هربيها أنا ولا هربي
ابنها?!!

تشنج وجه "قاسم" وهو يُردد كلمته:

_ابنها?! وهو جاي باتصاله من البلوتوث ولا إيه مش
فاهم?!!

ابتلع "صهيب" ريقه بصعوبة والآن فقط بدأ يُقلّب الحديث
داخل عقله، زوجته حامل!! تحمل داخل معدتها طفل!!
والطفل يكون طفله هو!! أي أنه سيكون أبًا!! وبعد تلك

حارة القناص

النتائج المذهلة التي وصل إليها؛ شهق بحدة وعدم تصديق وهو ينتفض من مكانه وهو ينظر لزوجته:

_ أنتِ حامل بجد؟!!

خافت "حبيبة" أن يكون كارهاً لذلك، فأدمعت عيناها بقوة وهي تقول بنبرة مُرتعشة وإجابة غبية تُشبه الموقف بأكمله:

_ أنا مليش دعوة الدكتوراة هي اللي قالتلي.

لوت "أهلة" شفيتها بسخط على بلاهة "حبيبة"، ثم هبت من مكانها واتجهت نحو "قاسم" حتى جلست بجانبه، ثم مالت عليه هامسة بغيظ:

_ شايف أخوك مربى للبت الرعب إزاي؟!!

ضحك "قاسم" بصوتٍ خفيضٍ رغماً عنه ثم تمتم:

_ يا بنتي هو أخويا لسه عمل حاجة، بقولك إيه اتفرجي وأنتِ ساكتة.

حارة القناص

قالها وهو يُحيط كتفها بذراعه، بينما هي نظرت إليه بعدم رضا ثم حوّلت أنظارها لثّابع ما يحدث كحال الجميع تمامًا.

اقترب "صهيب" من "حبيبة" ثم وقف قبالتها مُباشرةً وهو يقول بصدمة:

_"حبيبة" أنتِ بجد حامل؟!!!"

عضت على شفّتها وهي تُطالعه بريبة، وبهدوءٍ وحذر أجابته:

_"على حسب، يعني لو هتفرح فأيوأ أنا حامل، ولو هتزعل وربنا ألم هدومي وهروح أبات مع "أهلة" في أوضتها."

كادت أن تُكمل حديثها لكنها صمّمت بفرع عندما وجدت جسدها يطير عاليًا بعد أن جذبها لأحضانه ودار بها حول ذاته بكل سرور، وكان فرحة العالم بأكمله جاءت لتتشكل أمام حدقتاه الآن بعد أن أخبرته بحملها.

صدحت الضحكات وتعالّت التصفيقات، وأطلقت "مهرائل" صافرة من داخل فمها وهي تُصفق بسعادة، أنزل "صهيب" زوجته التي تتمسك في رقبتة بقوة شديدة وهي تضحك

حارة القناص

بقوة، وبحبٍ شديدٍ قَبَّ لَ جبينها وهو يردف بسعادة وأعين دامعة:

_ أنتِ.. أنتِ مش بتهزري صح؟! !!

تجمعت الدموع بأعين "حبيبة" التي هزت رأسها بالنفي، ثم أجابته بحب:

_ لأ مش بهزر، أنا حامل بجد يا "صهيب"، روحت أنا و"أهلة" النهاردة علشان نحل والتحليل عملناه مستعجل ونتيجته طلعت إنى حامل ولسه في الشهر الأول.

وللمرة الثانية ضمها "صهيب" إليه وهو يُتمم بالحمد ودموع السعادة تجمعت داخل حدقاته بكثافة، أحاط خصرها بقوة بينما هي أحاطت رقبته وهي تدفن وجهها داخل عنقه تستنشقه بكل لذة، ضحك "صهيب" على فعلتها لكنه لم يريد أن يفصلها عن وصلة وحمها التي بدأت بالظهور من الآن!

كانت "أهلة" تُتابعهم بابتسامة سعيدة للغاية وهي تضم كفيها لصدرها بكل حماس، وجدت قُبلة تطبع على وجنتها بقوة وصوت "قاسم" الحنون يصعد قائلاً:

_ هسنتى اليوم اللي هتبلغيني فيه إنك حامل بنفاذ الصبر، وهسنتى عوض ربنا لينا بعد كل الإختبارات اللي إحنا مرينا

حارة القناص

بيها سوا، هستنى جزء منى بيتكون جواك بكل حماس
وشغف، وهستنى طفل تكونى أنتِ أمه وأنا أبوه.

ابتسمت "أهلة" باتساع وهي تتخيل كل ما يتمناه، حلمٌ
جميلٌ تتمنى بأن يتحقق، طفلٌ يُشبهها وفتاةٌ تُشبهه!! مجرد
التخيل جعلها عيناها تلتمع بدموع الفرحة والسعادة، وتلقائياً
استدارت له وأحاطت بخصره أثناء وضعها لرأسها على
صدره لتستمع إلى خفقاته العالية، أغمضت عيناها براحة ثم
همست بعد وقتٍ من الصمت:

_وأنا كمان بتمنى من ربنا يعوضنا العوض اللي بجد، رغم
إني خايفة من الفكرة ذات نفسها بس يكفي إنك هتكون
معايا.

رفعت أنظارها تُطالع وجهه عن كُثم، فوجدت ابتسامة
واسعة مُرسمة على شفثيه من حديثها، وتلقائياً هبط على
عينيها ليُقبلهما وهو يهمس بعشق:

_عايز ولادنا كلهم ياخدوا عينيكِ، بدوب فيهم ولا كاني
بغرق.

حارة القناص

قطع حديثهم الرومانسي قدوم "مهرائيل" إليهم والتي مدت
يدها إليها بطبقٍ من الطعام وهي تقول بوجهٍ جامد:
_ خُدي كُلِّي عشان المغرب أذن بقاله ساعة وأنتِ مكلتيش
حاجة.

اعتدلت "أهلة" في وقفها ثم أخذت منها طبق الطعام وهي
تُطالعها بامتنان، لكنها قطبت جبينها بتعجب عندما وجدتها
ترحل دون حتى أن تنظر إليها أو ترد إليها ابتسامتها،
نظرت "أهلة" لأثرها بتعجب وبعدها حوّلت أبصارها
لـ "قاسم" الذي كان يُتابع حديثهما باهتمام ثم تسائلت
بتعجب:

_ هي زعلانة مني ليه؟!!!

هز "قاسم" كتفه بجهلٍ ثم تحدث بمزاحٍ قبل أن يتركها
ويذهب لأخيه:
_ قدامك مهمة مُصالحة يا "هولا"، انطلقي يا امرأة.

وبالفعل انطلقت "أهلة" نحو "مهرائيل" التي كانت تجلس
على الأريكة بجانب شقيقتها، جلست "أهلة" بجانبها من
الناحية الأخرى ثم تحدث بمزاح:

_الجميل زعلان مني ليه؟!!!

رَبعت "مهرائيل" ذراعِها أمام صدرها ثم أردفت بجمود:

_وأنتِ عملتي حاجة عشان أزعل منك؟!!

فكرت "أهلة" بجدية لبعض الوقت، لكنها نفت بعد ذلك وهي تقول:

_على حسب ما أتذكر لأ، بس قوليلي أنتِ زعلانة ليه يمكن زعلتك بدون قصد.

استدارت لها "مهرائيل" بعصبية ثم تحدثت بحنق:

_ما هو أنتِ هتاخدي بالك إزاي وأنتِ أصلاً مش معبراني لا أنا ولا "لوسيندا"، دائماً باجي أتكلم معاكِ وبكون مبسوفة وأنا بكلمك لكن بحس إن فيه من ناحيتك لامبالاة وإنك مش عايزة تتكلمي معايا، ولما قولت لـ "لوسيندا" قالتلي يمكن أنتِ مشغولة أو زعلانة، لكن دائماً بشوفك مع "حبيبة" وبتضحكوا وتهزروا سوا، رغم إن أنا كمان بحبك زيها بس مش بلاقي مُقابل منك.

كانت "أهلة" تستمع إليها بدهشة وهي تفتح فاهها بعدم تصديق، تُطالعها وهي تُحاول استيعاب من الذي يلومها أو

لماذا، لكن النتيجة كانت بأن "مهرايل" هي التي تتحدث، تحول وجه "أهلة" إلى الجمود ثم عادت للخلف قليلاً بعدما كانت مُلتصقة بها ثم تحدثت بهدوء يشوبه الخذلان:

_طيب ما أنتِ كمان كدا، رغم إننا عايشين في بيت واحد أنتِ مش عارفة أنا بمر بايه، أيوا أنا عارفة إنط بتحبيني وبتحبي تتكلمي معايا لكن أنتِ بتيجي في أوقات غلط، أنتِ تعرفي إيه عني؟! تعرفي إني بدأت أتعالج بقالي شهر تقريباً؟! تعرفي إني بعاني بالليل مع نفسي ومع أفكاري وبحارب عشان مرجعش لنقطة الصفر تاني؟! تعرفي إني بقيت أعيط ودموعي مبقتش تجف من الوجع اللي بحس بيه كل يوم في رحلة علاجي؟! تعرفي إن "حبيبة" هي الوحيدة اللي بتجيلي كل يوم وتقع معايا عشان تخفف عني علشان كدا هي بقت قريبة مني؟! أنتِ فعلاً بتحاولي تقربي مني وأنا مش كارهة دا، بس "حبيبة" بتخفف من وجعي وأنا الفترة دي مش عايزة حاجة غير إن وجود الكل يكون خفيف على قلبي عشان أعرف أكمل.

استمعت إليها "مهرايل" بدهشة ولم تكن تعلم بمقدار الألم الذي يتشكل داخل فؤاد صديقتها، بينما "أهلة" أردفت بكلماتها دُفعةً واحدة ثم ابتعدت عنها واتجهت نحو الحديقة الخلفية للقصر، نظرت "لوسيندا" لشقيقتها بعتاب ثم أردفت:

حارة القناص

_مش قولتك هتلاقي عندها ظروف تاعبها وأنتِ
مصدقتنيش؟!!

قضمت "مهرائيل" أظافرها ثم تحدثت بتوتر:

_ما أنا مكنتش أعرف، أنا قولت أعاتبها عشان بحبها بس
طلعت أنا اللي مقصرة في حقها أوي، هعمل إيه دلوقتي
بقي؟!!

هبت "لوسيندا" من مكانها ثم سحبت "شقيقتها معها وهي
تقول بحسم:

_هنصالحها طبعًا وهي دي فيها كلام!! هسبقك أنا وأنتِ
روحي هاتي "حبيبة" وتعالى.

أومأت لها "مهرائيل" وهي تشعر بالذنب الشديد يتخللها،
ثم اتجهت نحو "حبيبة" وأخذتها من جانب زوجها دون
حتى الحديث أو الاستئذان، وتركت "صهيب" ينظر إلى
أثرهم بتشنج واضح ثم صاح بسخط:

_هي إيه الستات القادرة اللي إحنا عايشين معاهم دول؟!!
دي مبقتش عيشة دي.

ضحك "فور" عاليًا والذي تشدق بمشاكسة بالمصرية:

حارة القناص

_ معلىش يابني هي الدنيا كدا، اسمع الكلام يا إما هتاخذ على
دماغك.

أيده "چون" بحسرة:

_ دي حتى "لوسيندا" قامت وخذت في وشها ولا كأي
موجود، حزب النساء دا مقلقتي وحاسة إنه فيه مؤامرات
هتتنفذ ضدنا.

وعلى الجانب الآخر..

جلست "لوسيندا" على الأريكة الوثيرة الموجودة بالحديقة
ثم تحدثت باعتذار:

_ متزعليش مني ولا من "مهرائيل"، إحنا بنحبك والله
فعشان كدا هي اتكلمت لما لقتك بتبعدي عنها.

نظرت إليها "أهلة" بطرف عيناها ثم تحدثت ساخرة:

_ لأ واضح إن هي بتحبني أوي.

زفرت "لوسيندا" بضيق ثم تحدثت بحزنٍ وهي تخفض
رأسها للأسفل:

حارة القناص

_بُصي يا "أهلة" أنا عارفة إن إحنا مش قريبين منك أوي زي "حبيبة"، بس أنا و"مهرايل" بالذات عندنا استعداد نصاحب الكل ونرسم البسمة على وشوشهم، بس مش بنحب نتدخل في التفاصيل، دايماً عندنا إحساس إن الشخص اللي قدامنا مش هيكون متقبل اهتمامنا الزايد فممکن نكون نُقال على قلبه، رغم إن ممكن الشخص دا يكون غالي على قلوبنا جداً ونفسنا نفضل جنبه دايماً، لكن الاحساس بعدم الرغبة والخوف مسـببـلنا فوبيا إن احنا مش محبوبين، علشان كدا مش بنحاول نحشر نفسنا في التفاصيل.

لانـت ملامح "أهلة" والتي استدارت لها وهي تقول بضيق:
_طيب ما إحنا صحاب وعلى طول جنب بعض، ليه هتضايق من فكرة وجودك أو وجود "مهرايل"؟! انتوا لو فعلاً مش مرغوبين من ناحيتي مش هتلاقوني بكلمكم أو يهمني زعلكم.

تنهدت "لوسيندا" بألم وهي تُجيبها:

_أنا وهي اتخذلنا من صحاب كثير أوي لحد ما بقى معندناش ثقة في حد، بنحاول على قد ما نقدر إن وجودنا يكون خفيف على قلوب الكل عشان ميزهقوش مننا، مش بنشكي زعلنا لحد نهائي، لو أنا زعلانة أوقات بروح اشتكيلها وأعطيت في حضنها، وأوقات تانية بيعيط لوحدي

حارة القناص

عشان مشيلهاش فوق طاقتها، وهي برضه كدا، احنا
اجتماعيين بس متوحدين في نفس الوقت.

شعرت "لوسيندا" بنغزة قوية في كتفها، فاستدارت بغضب
لرؤية الفاعل الحقير، وبالطبع لم تكن سوا "مهرائيل" التي
هتفت بغیظ:

_ أنتِ متوحدة لكن أنا فرفوشة وملكيش دعوة بيا، قال
متوحدة قال.

قالت جملتها ثم استدارت للجلوس بجانب "أهلة" من
الناحية الأخرى، وبعدها أمسكت كفها بود قائلة برجاء:

_ متز عليش مني أنا أسفة والله، بس أنا مكنتش عايزة أتقل
عليك وأسالك مالك عشان متضايقيش أو تحسي إني بحشر
نفسي في اللي مليش فيه.

كانت "أهلة" تُحاول أن تظل على موقفها وتدعي الحزن،
لكنها ابتسمت تلقائياً عندما أردفت الأخرى بيأس:

_ يا "هولا" بقى متز علس مني يوه، طب خلاص هبقى أرخم
عليك وهسأل عليك على طول بس متزهقيش مني.

حارة القناص

ضحكت "أهلة" وهي تهز رأسها بيأس، ثم اقتربت منها
لتحتضنها وهي تقول بحنان:

_يا ستي مش بزهق والله، وأنا أطول إن "مهاميهو" تسأل
عليا أصلاً؟!_

ضمتها "مهرايل" بقوة وهي تقول بحب:
حبيبة قلب "مهاميهو" والله.

ابتعدت عنها ثم استدارت نحو "لوسيندا" وعانقتها هي
الأخرى ثم قرصتها من ظهرها وهي تقول بمزاح:
_وأنتِ يا ست كُخة ابقى تعالي واحكي كل اللي في نفسك
لتجيبني للواد عُقدة وإحنا مش ناقصين._

ضحكت "لوسيندا" بمرح وهي تُبادلها العناق، وبعدها
ابتعدت عنها، تحمست "أهلة" أكثر ثم صفتت بكفيها معاً
عندما جال بخاطرها فكرة عظيمة، وما كادت ان تفتح فاهها
للتحدث؛ حتى وقع بصرها على "حبيبة" التي تُطالعها بحنق
هي الأخرى أثناء تربيعها لذراعيها أمام صدرها!!

قهقهت "أهلة" بقوة عندما توصلت إلى سبب اغتيالها، ثم
هبت من مكانها واتجهت نحو "حبيبة" ذات الملامح

حارة القناص

الحانقة، وبعدها احتضنتها مثلما احتضنت الفتاتان الأخريتان
وهي تقول بمرح:

_حبيبة عيني واللي ليا والله.

بادلتها "حبيبة" العناق أثناء قولها الساخط:

_والله!! ما أنتِ كنتِ مش هتحضنيني زيهم.

ربتت "أهلة" على ظهرها وهي تقول باعتذار:

_حقك عليا والله، وبعدين هما كانوا زعلانين وبصالحهم،
لكن أنتِ حبيبي يعم ومع بعض دايمًا.

ابتسمت "حبيبة" والتي بادلتها العناق، ثم أردفت برقة:

_خلاص هسامحك عشان بحبك.

_أروح ويقتلونني ولا أنفد بجلدي!!

حارة القناص

كانت تلك الكلمات تصعد من فاه "وليد" والذي نطق بها بعد أن حادثه "مختار" وطلب منه القدوم، وقف في منتصف الصالون بمنزله واضعاً يده أسفل ذقنه وهو يقول بتفكير:

_ ما هو أكيد عرف الحقيقة وإني كنت بكذب عليه، يا خراب بيتك يا "وليد"!!؟!!

أمسك بهاتفه ثم طلب رقم "قاسم" لكن لم يكن هناك إجابة، زفر بضيق ثم دار حول نفسه لعدة ثوانٍ وهو يفكر في حل لتلك المعضلة التي ستودي بحياته لا محالة، توقف فجأة وقرر مُهاتفة "يحيى أو رائد"، فظهر أمامه رقم "رائد" أولاً فقام بطلبه وانتظر قليلاً حتى أتاه الرد من الناحية الأخرى:

_ حبيبي أخبارك إيه!!؟!!

رد عليه "وليد" بابتسامة هادئة:

_ الحمد لله يا حبيب أخوك بخير، بقولك إيه أنت فاضي أنت و"يحيى"!!؟!! عايزكوا في حوار كدا.

نظر "رائد" لـ "يحيى" الذي يجلس مع "لواحظ" ويتسامرون معاً، ثم قال أثناء التقاطه لثمرة من التفاح:

حارة القناص

_تعالى يا عم البيت ينور، هنروح نصلي العشا على ما
تيجي وادينى رنة.

وافق "وليد" وهو يقول:

_ماشي يا صحبي، يلا سلام.

أغلق "رائد" معه الهاتف ثم استدار نحو "يحيى" الذي يأكل
بعض المُقبلات أثناء حديثه مع "لواظ" التي تشكو له من
إهمال "عبدالقادر لها الفترة الأخيرة، ليُمصص "يحيى"
على شفّتيه وهو يقول باستنكار:

_شوفي ياختي الراجل؟! !! يعني أنت بعّتيه كل سنة وأنت
طيب يا عبده عالواتساب وشافها ومردش!؟

أومأت له "لواظ" بأعين دامعة، ثم تشدقت بحزنٍ وهي
تتنهد بحرقة:

_أنا حاسّة إنه مبقاش يحبني زي الأول، أنا متأكدة إن
الولية أم رفعت لفت عليه وسرقته مني.

مد "يحيى" يده ليُربت على كفها المُجعد، وبعدها أردف
بحزن:

حارة القناص

_متز عيش يا "لولي" ومتظلمهوش، مش يمكن مشغول
ولا وراه مشاكل ومش عايز يدوشك بيها!!

هزت "لواحظ" رأسها بالنفي وهي تقول:

_لأ معندهوش مشاكل، دا كان بيبعتلي كل يوم كيلو تفاح،
تخيل مبقاش بيبعتلي!!

ضرب "يحيى" على صدره مُتحدثًا بصدمة:

_حتى التفاح مبقاش بيعتهولك!! لأ دا كدا في الحوار إن
ولازم نعرفه، لو مكنش هو هيبعتك تفاح احنا هناكل تفاح
منين!!

قال جملته الأخيرة ثم قضم قطعة من التفاح الذي بين يده،
بينما هي هبت من مكانها وأردفت بحسم:

_معاك حق، أنا لازم أعرف الحوار هيخلص على إيه عشان
مبقاش مُغفلة كدا.

قالت كلماتها ثم اتجهت نحو غرفتها لتتحدث مع
"عبدالقادر" وترى إلى أين سيصل أمرهم.

حارة القناص

أكمل "يحيى" تناول الطعام دون أي مبالاة مُستلذاً بمذاق
الحلوى داخل فمه، طالعه "رائد" باستخفاف ثم اقترب منه
ليجلس على المقعد الذي يُجاوره وهو يقول بسخرية:
_ أراك تأكل في بيت أمك.

نظر إليه "يحيى" قائلاً بابتسامة صفراء:

_ حبيبي متقولش كدا إحنا أهل، يلا غور من هنا بقى وروح
شوف أبوك وأمك بيعملوا إيه.

قالها وهو يُشير نحو "محروس وچيهان" اللذان يجلسان
على الأريكة العريضة أمام التلفاز، ويُتابعان أحد الأفلام
القديمة وهم يتهامسان، استدار له "رائد" ثم تحدث بسخط:
_ يا عم إحنا عيلة قليلة الأدب ملكش دعوة بينا، يلا قوم
عشان نصلي العشا.

وضع "يحيى" آخر قطعة من الحلوى داخل فمه ثم ارتشف
بعدها بضعة قطرات من المياه وهب من مكانه وهو يقول
بجدية:

_ يلا يا عم وربنا يتقبل منا.

حارة القناص

اتجهوا نحو باب المنزل في نية للذهاب، فاستدار "رائد"
لأبويه أولاً وهو يردف بهدوء:
_ أنا خارج أ..

وقبل أن يكمل حديثه؛ قاطعه صوت أبيه الحائق:
_ وياريت متيجش تاني أنت وصاحبك الرزل دا، سِكم
خضرا.

استدار "رائد" لـ "يحيى" ثم دفعه للخارج وهو يقول بحنق:
_ يلا يا عم نغور من هنا، دا إيه العالم دي!!

بدأ إحساس الظلم يتسلل تدريجياً إلى فؤاد "يحيى"، فتهد
بيأس وهو يقول بحزنٍ مبالغ به:

_ أنا مش عارف الناس بقت وحشة كدا ليه!! ففيهل إيه
يعني لما أفضل قاعد عندكم طول النهار وممشيش غير على
السحور!!

ربت "رائد" على كتفه قائلاً وهو يتهد بيأس:
_ معلىش يابني استحمل، يمكن ربنا يجازينا خير.

وصلا كلاهما إلى المسجد ثم دلفا إليه لتأدية صلاة العشاء جماعة، تلك هي عاداتهم منذ أن قدوم رمضان، فلقد غير عاداتهم إلى الأفضل وأصبحوا ملتزمين كثيرًا عما كانوا عليه من قبل.

تجمع الأربعة فتيات أمام شاشة الحاسوب الكبيرة ووضعوه أمامهم على الطاولة الموجودة في الحديقة ثم انتظروا قليلًا، وبعد عدة ثوانٍ ظهرت كُلاً من "ملك ويمنى" اللواتي ما إن رأوهن حتى صاحوا يصرخون بسعادة، خاصة "ملك" التي أدمعت عيناها فور رؤيتها لشقيقتها.

أدمعت عيني "أهلة" حين رؤيتها لشقيقاتها اللواتي لم تراهن منذ أسبوعٍ تقريبًا، بادرت "يمنى" بالحديث وهي تنظر لشقيقتها:

ـ وحشتيني أوي يا "أهلة"، وحشتيني بجد.

ردت عليها "أهلة" بتأثر وهي ترى دموعها:

ـ وأنتِ كمان وحشتيني أوي يا "يمونتي".

حارة القناص

ضحكت "يمنى" باشتياق عند تذكرها لذلك الاسم الذي كانت تُناديه بها منذ الصغر، وتلك المرة تدخلت "ملك" في الحديث تسألها بصوتٍ مكتوم:

_ عاملة إيه يا "هولا"؟! هتيجي إمتى أنت وحشتيني أوي.

ورغمًا عنها هبطت دموعها وهي ترى لهفة أشقائها عليها، لتضع "يمنى" كفها تكتم شهقتها وهي تتسائل بعدم تصديق:

_ "أهلة" أنت.. أنت بتعيطي؟!!

هبطت دموع "أهلة" أكثر وهي تُوميء لها بالإيجاب، وبصوتٍ مليء بالمشاعر ردت عليها:

_ أيوا.. أنا اتعالجت يا "يمنى" من الكتمان، اتعالجت وبقيت كويسة وبعرف أعيط.

وقفت "ملك" من مكانها حتى تنحت بعيدًا عن شاشة الهاتف، وببكاءٍ عنيف وضعت يدها على فمها لتكتم صوت شهقاتها، علمت "أهلة" بأنها تبكي فنادت عليها بصوتٍ مبجوح:

_ "ملك" تعالي.

حارة القناص

هزت "ملك" رأسها بالنفي وكان الأخرى تراها، لتُعيد
"أهلة" طلبها ولكن بصوت راجٍ أكثر:

__ عشان خاطري تعالي.

الأمر كان لا يحتاج لكل تلك الدموع، لكن رؤيتهم لشقيقتهم
وهي بكامل عافيتها أشعل بهم الكثير من المشاعر السعيدة،
وكعادة الفتيات فأفضل طريقة للتعبير عن الفرحة هي
الدموع، جففت "يمنى" دموعها والبسمة تُثير محياها، ثم
مدت يدها لجذب يد "ملك" وهي تقول بمشاكسة:

__ تعالي بقى إحنا ما صدقنا نتكلم متبقيش قطاعة أرزاق.

أنت "ملك" لتجلس مكانها مرة أخرى ولكن تلك المرة بوجه
ممتليء بالدموع، كانت "أهلة" قد جففت دموعها، لتطلب
منها "ملك" بصوتٍ مُتَحَشِّر:

__ عيطي كدا تاني عشان اتأكد إن أنتِ اتعالجتى!!

ضحكت "أهلة" عاليًا وهي تُجفف باقي الدموع المُتبقية بين
أهدابها، وبعدها تحدثت بمزاح:

__ لأ دموعي غالية مش بتنزّل غير بمواعيد.

حارة القناص

تدخلت "لوسيندا" في الحديث مُسَددة قُبلة في الهواء لهن
قائلة:-

_وحشتوني وحشتوني وحشتوني أوي بجد.

ردت عليها "يمنى" باشتياق:

_وأنتِ كمان وحشتينا يا "لوسي" أوي، عاملة إيه؟!!!

ردت عليها "مهرائيل" بحماس وهي تُصفق بكلتا يديها:

_ "لوسيندا" حامل.

شهقت "ملك" بسعادة، لتُكمل "مهرائيل" بسعادة أكبر:

_ و"حبيبة" هي كمان حامل.

صرخت "يمنى" بسعادة وهي تردف بعدم تصديق:

_الله احلفي بجد!!

وبتلقائية شديدة رددت "مهرائيل":

_ آه وأقسم بالله زي ما بقولك كدا.

تعالت الضحكات بينهم بصخب، بينما وجه "حببية" تحول إلى اللون الأحمر من شدة الخجل، لتبدأ بينهم الأحاديث العابثة والتي أصابتها بخجلٍ أشد، وظلوا يتسامرون لساعاتٍ طويلةٍ وناقشوا الكثير من المواضيع المختلفة وسط جو من المرح والحب والاحتواء.

بداخل المسجد..

كان الجميع يُؤدون صلاة العشاء حتى جلسوا للتحيات، أغمض "يحيى" عيناه ليخشع أكثر في الصلاة، لكنه فتحها بفزع عندما شعر بصفعة قوية تهبط فوق وجنته من يد أحد الأطفال الموجودين في المسجد!!

كاد أن يُطلق سبة بذينة من فمه لكنه تمالك نفسه بصعوبة احتراماً للمكان الذي يُصلي به، بينما "رائد" بجانبه كاد أن يموت من الضحك من هول الصفعة التي استمع لها جميع من بالمسجد تقريباً!!

حارة القناص

وأخيرًا انتهوا من الصلاة وألقوا السلام على الجانبين، لبدأ "يحيى" بالبحث عن الفاعل المُجرم، بينما "رائد" وضع يده على فاهه يُحاول كتم ضحكاته العالية التي صعدت رغمًا عنه حتى لا يتهمه أحد بقلّة التربية أو ما شابه، طالعه "يحيى" بغيظ ثم نظر لصف الأطفال الأخير المُرتص أمامه يُدجهم باتهامٍ شديد، ولم يخرج من المسجد إلا عندما جذبته "رائد" بصعوبة شديدة بعدما كان أن يُعاقب جميع الأطفال.

جز "يحيى" على أسنانه بغيظ هامسًا:

_ شوية عيال مشافتش تربية بجنيه.

وعلى الجانب الآخر؛ وصل "وليد" إلى منزل "رائد" فصعد للأعلى حتى وصل إلى الطابق المقصود، ضغط بإصبعه على جرس الباب وانتظر قليلًا حتى فُتح الباب وظهر من خلفه شاب في مثل سنه تقريبًا والذي تسائل بتعجب:

_ أنت مين؟!!!

أجابه "وليد" بثقة وهو يضع يده في جيب بنطاله:

_ أنا "وليد سعيد".

لوى الآخر فمه بحسرة ثم رد عليه بحسد:

حارة القناص

_يا بختك، وأنا "سيف" حزين.

طالعه "وليد" بسخرية ثم أجابه بنفس الحسرة المُرتسمة
على وجهه:

_لأ للأسف دا اسمي، لكن الحالة هتبقى "وليد" المرحوم إن
شاء الله.

قطب "سيف" جبينه بعدم فهم ثم تسائل بفضول:

_إزاي مش فاهم؟!!

اعتدل "وليد" في وقفته ثم أردف بحماس:

_بقولك إيه أنا ارتحتلك، تعالى إما ننزل تحت وأحكملك.

أوما له "سيف" بابتسامة مُتسعة، وبالفعل أغلق خرج من
المنزل وأغلق الباب خلفه، وما كادا أن يتحركا خطوة
واحدة؛ وجدا كُلاً من "رائد ويحيى" قد أتوا، قطب "رائد"
جبينه وهو يتسائل بتعجب:

_إيه دا أنتوا لحقتوا تتصاحبوا.

حارة القناص

لف "وليد" ذراعه حول كتف "سيف" وتحدث بابتسامة واسعة:

_ دا بقى حبيبي دا وكنت هحكيله قصة حياتي دلوقتي.

ضحك "يحيى" بخفة، فأردف وهو يكمل الصعود للأعلى وكأنه منزله لا منزل "رائد":

_ طيب تعالوا نقعد نكمل كلامنا على السطوح، الجو جامد فوق.

وافقه الجميع وصعدوا خلفه، وبدأوا بالتناقش حول المشكلة التي حلت فوق رأس "وليد" وحاولوا التوصل إلى حلٍ مناسبٍ.

في اليوم التالي..

تجهزت كلاً من "قاسم وأهله" للذهاب إلى الطبيب النفسي مرة أخرى.

حارة القناص

زفر "قاسم" بأسى وهو يقول في نية لإقناعها:
_يا بنتي نعتذر لو مش عايزة، أنا مش عايز أضغط عليكِ.

أحكمت "أهلة" لف الحجاب حول رأسها ثم هزت رأسها
بالنفي وهي تقول:

_لأ أنا عايزة أروح، عايزة أخلص من الحمل الموجود على
قلبي وعايزة أتعالج.

اتجه "قاسم" إليها ثم أدخل عدة خصلات كانت ظاهرة أسفل
الحجاب جيداً، وبعدها تحدث باستسلام:

_خلاص براحتك، بس وقت ما تحسي إنه خلاص مش قادرة
تكلمي وتعبتي قوليلي واحنا هنمشي.

أومأت إليه بابتسامة هادئة، لكن سرعان ما انمحت وهي
تسأله بريية:

_توعدني إن مهما كان اللي هتعرفه النهاردة مش
هتسييني؟!!!

أحاط وجهها بحنان ثم تحدث بكل الحب الموجود بالعالم:

حارة القناص

_ عمري في حياتي ما هسيبك، مش هينفع أسيبك بعد ما
لقيتك.

أمسكت بكفه المُحيط به وجهها وأغمضت عيناها بتمني
وهي تهمس:
_ ياريت.. ياريت بجد.

كان "ألبرت" واقفًا أمام المسبح الكبير ينظر لمياهه بشرود،
يظن بأنها تُشبهه، فبالرغم من هدوئها إلا أنها تحمل عُمقًا
وضجيجًا كبيرًا بداخلها، وهذا حاله منذ العديد من السنوات.

شعر بمن يقف بجانبه والتي لم تكن سوى "مهرايل"
بابتسامتها الساحر وشعرها المُتطاير حول وجهها:
_ هاي!!

رد عليها "ألبرت" بانطفاء:
_ أهلاً.

حارة القناص

أرجعت "مهرائيل" خصلاتها خلف أذنها ثم تقدمت للوقوف
أمامه وتساءلت باندهاش:

_ أنت لسه زعلان من امبارح!!?

أجابها ساخرًا:

_ ما ظنك أنت!! هل عليّ أن أسعد!!?

طالعته بيأس ثم هزت كتفيها ببساطة وهي تشرح له
نظريتها بيدها:

_ بُص أنت ليك حق تزعل أنا عارفة، بس مش هنقيم الحد
يعني عشان الواد اختار اللي يريحه، سواء بقى مسلم أو
مسيحي أظن إن دا مش هياثر في علاقتكم كأخوات، يعني
أعتقد إن اختلاف الأديان دا شيء عادي بالنسبالي.

سحب "ألبرت" نفسًا عميقًا ثم زفره على مهل بثقل وصمت،
ظنت "مهرائيل" بأنه لم يقتنع بحديثها كالعادة فقلبت عيناها
بممل ثم صمتت مثله، لكنه فاجئها يتحدث بعد صمتٍ دام
طويلاً:

_ ما يُحزنني هو أنه لم يعود لي ويسألني قبل أن يأخذ قرار
كهذا.

حارة القناص

شرحت له "مهرائيل" بعقلانية قليل ما تظهر:

_ ما هو ذا اللي بحاول أفهمهولك، هو أكيد كان خايف إنك تعترض وأكيد أنت كنت هتتعترض، فعشان كذا أخذ القرار من دماغه وبعد كذا جه وقالنا، صدقني أخوك زعلان من زعلك منه ودا ظهر على كلامه إمبراح، متقلقش من فكرة إنه أسلم وهيبعد عنكم، والدليل قدامك أهو، أنا وأختي مع البنات علاقتنا أحسن من الأخوات، لإن الحب بيكون نابع من القلب مش من اختلاف أو تشابه الأديان.

حسنًا.. حديثها بث الطمأنينة في قلبه بنسبة كبيرة للغاية، لكنه لم يُريد أن يُظهر هذا، تحولت نظرات "مهرائيل" للعبث وهي تقول بابتسامة عابثة:

_ على فكرة أنا فكرت إني أقدم خدمة كبيرة للبشرية زيك بالظبط.

التوى ثغره بابتسامة جانبية ثم تسائل:

_ خدمة ماذا؟!!!

أجابته بابتسامة واسعة قبل أن تهرب راکضة من أمامه:

_ أوافق أتجوزك.

حارة القناص

قالتها ثم هرولت ودلفت للداخل بخجلٍ شديد، لكنها استمعت إلى صوت ضحكاته يصدح عاليًا وهو يُراقب أثرها، وبابتسامة واسعة عاد بأنظاره نحو المسبح وهو يهمس:
_جرؤ جميل.

وصلوا إلى العيادة وتمت الترتيبات وتمددت هي على الشازلونج كما اعتادت، أمسك "قاسم" بكفها بحنان بينما "مايكل" بدأ حديثه طالبًا منها بجدية:
_اتفضلي احكي يا مدام "أهلة".

ضغطت "أهلة" فوق يد "قاسم" ثم بدأت حديثها بقولها:
_المرّة اللي فاتت قولتلك إن صاحب بابا كان بيحاول يبوسني، بس بعدها بابا جه وأنا قولتله واشتكيته وهو زعقلي وضربني رغم إني مش غلطانة، كل دا عشان شغله ميتأثرش بينه وبين صاحبه، مرّة ورا الثانية الموضوع بدأ يزيد، بس أنا مسكتش وقولت لماما، راحت اتخانقت مع بابا وفضلت تهدده إنها هتبلغ عنهم لو صاحبه دا مبعدهش عني، بابا راح اتخانق معاه خناقة كبيرة وبعد كدا مبقاش يكلمني، بابا بدأ يكون كويس معايا ويعاملني كويس وأنا كنت فرحانة

أوي، وفي مرة طلبت منه إني أروح معاه الشغل، وللأسف وافق.

هبطت دموع "أهلة" بأسى ثم أكملت بشهقاتٍ حادة:

_سابني في المكتب وراح يخلص أوراق، صاحبه جه فلقاني موجودة بس أنا مهتمش، بس برضه لقيته بيقرّب منه بطريقة وحشة أوي أوي، ولما عيظت وقولتله إني هقول لبابا هددني وضربني، ضربني جامد أوي وقالني إني لو قولت لحد هيضربني تاني، كان بيركز على الأماكن اللي مش باينة من جسمي ويضربني فيها عشان محدش ياخذ باله، ويوم ورا الثاني بدأ يجي عندنا البيت أكثر من الأول، وبابا رجع أسوأ من الأول بمراحل، وصاحبه كان مستمر في ضربني وكل ما أعيط يضربني أكثر، لحد مبقتش أعرف أعيط خالص، كنت بكتم بوقي وأنا بعيط واتكوم على نفسي جنب الحيطه، بس هو مكاتش بيحس بيا، كان بيضربني جامد أوي وأنا مش عارفة أشكي لحد وخايفة.

كادت أن تختنق من حدة بكائها فوجدت "قاسم" يُعدلها في مكانها بقوة وجذبها لأحضانه، أدار وجهه للناحية الأخرى حتى لا يرى "مايكل" دموعه التي هبطت رغماً عنه، ربت على ظهرها بحنان ورغم الأذى الذي بها أكملت حديثها من وسط بكائها:

حارة القناص

_بابا بقى بيشرب مخدرات وبقى بيرجع سكران، كنت بستخبى في حزن ماما، بس اكتشفت إن ماما كل ليلة بتكون نائمة مش حاسة بحاجة خالص، كنت بستغرب بس كنت بكتفي إني نائمة في حزنها، لحد.. لحد ما في يوم بابا تأخر برا وأنا كنت عطشانة أوي وخرجت أشرب، وفي الوقت دا حاول.. حاول يعتدي عليا.. كان.. كان سكران خالص ومش شايف قدامه.

اتسعت حدقتي "مايكل" بصاعقة كُبرى وتساءل مُجددًا عنه
استمع إلى شيءٍ آخر:

_مين اللي كان بيحاول يعتدي عليكِ؟!!!

وبهمسٍ يكاد لا يُسمع وبصوتٍ مقهور رددت "أهلة"
حديثها:
_أبويا.

_كفاية يا "أهلة" كفاية.

صرخ "قاسم" بتلك الكلمات واستدار نحو "مايكل" مُرددًا
بأعين حمراء كالدماء:

كفاية لحد كدا يا "مايكل".

لم يعترض "مايكل" نظراً لحالة "أهله" التي كانت لا تُرثى لها، خاصةً عندما هرولت نحو المرحاض وأفرغت كل ما في جوفها، ولكن تلك المرة قررت الهروب من الواقع الأليم وفقدت وعيها على الفور.

دائمًا ما يُعوضك المولى بهدايا تأتي على هيئة أشخاص، فلا تياس، ولا تبتئس، ضع ثقتك في خالقك وادعو بقلبٍ خاشع وانتظر أنت الإجابة.

دخل "رائد" على شقيقتها فوجدها جالسة على فراشها تقرأ إحدى الروايات الورقية، لكن تلك المرة لم تكن خادشة للحياء مثلما كانت تقرأ، بل تعلمت من تجربتها السابقة واستطاعت أن تجلب لذاتها روايات تستمع بها وبذات الوقت تتعلم منها.

رفعت "سهيلة" أنظارها لأخيها الذي هتف بمرح:

حبيبة أخوها بتعمل إيه؟!!!

حارة القناص

رفعت "سهيلة" أنظارها إليه ثم ابتسمت له واعتدلت في
مضجعها وهي تُجيبه:
_بقرأ رواية.

نظر "رائد" للرواية التي بين يديها ثم أردف بعد تفكير:
_لما تخلصيها ابقي هاتيها عشان أقرأها، بقالي كتير أوي
مقرأتش.

غمزته بمشاكسة وهي تُجيبه:
_عيني يا عم بس كدا؟!!! المهم بقى قولي إيه سر الدخلة
اللي مش سعيدة دي!!

جعد "رائد" وجهه بقرف ثم تحدث ساخطاً:
_تصدقي إنك عيلة باردة وعهد الله؟!!! أنا غلطان إني جاي
أقولك خبر حلو.

وقف في مكانه وكاد أن يذهب، لكنها انتفضت من مكانها
وتوقفت أمامه ثم تسائلت بحماس:
_خبر إيه دا؟!!!

حارة القناص

أصرّ "رائد" على موقفه وتحدث بعناد:
_ لا مش هقولك.

ترجته بأعين بريئة:
_ عشان خاطري يا "رائد" بقى قول.

تصنع "رائد" اليأس ثم تشدق بعبث:
_ متقدمك عريس.

_ وحياة أمك؟! احنا هنهزر؟!!!

ردت عليه بطريقة سوقية، لئجيبها بعبث أكبر:
_ مش لما تعرفي مين العريس الأول؟!!!

أشاحت بيدها أمام وجهه ثم تجاهلته وذهبت للجلوس على
فراشها مرة أخرى:
_ اتجوزه أنت.

حارة القناص

أعطت ظهرها له، فأردف هو دون مراوغة:
_ "فور" أسلم يا "سهيلة".

تصنمت مكانها واستدارت له تُطالعه بصدمة قوية،
وبصعوبة شديدة رددت بعدم تصديق:
_ إيه؟!!!

ارتسمت ابتسامة حنونة على ثُغر "رائد" ثم ذهب إليها
وجلس أمامها، وبعدها أردف بنبرة حانية:
_ ربنا استجاب لدعاك وهداه للإسلام، وهو حالياً متقدمك
رسمي.

ارتعشت شفتي "سهيلة" وهي تهز رأسها بعدم تصديق،
استندت على رُكبتها ثم تسائلت ببكاء وهي تُمسك بيده
برجاء ألا يكون أن يمزح:

_ بتتكلم بجد يا "رائد" ولا بتضحك عليا؟! بالله عليك قولي
الحقيقة.

رفع "رائد" كفيه ليُجفف دموع شقيقته التي هبطت بكثافة،
وبعدها أردف بحنان:

والله ما بهزر، "فور" لسه مكلّم بابا من شوية وطلب إيدك منه.

احتضنته "سهيلة" وانفجرت باكية وحتى الآن لا تُصدق، لقد حدثت مُعجزة بالفعل كان من الصعب تحقيقها، لقد استجاب الله لدعائها واستمع لبكائها، أرفق بقلبها المسكين وقرر أن يجعله ينال مطلبه، ومن وسط بكاؤها كانت تُتمتم بالحمد، الحمد لخالقها الذي لم يرد يداها فارغة بعد دعاءٍ وبكاء دام لليالٍ كثيرة.

جلس "قاسم" في شرفة الشرفة الغرفة بعد أن عاد من الخارج معها، فواده يحترق بنيرانٍ تستطيع إحراق الجميع، فواده مُشتعل حتى شعر بأنه على مشارف الاختناق، زفر بضيق شديد وهو يتذكر كل ما روته وقصته على أذانه، لقد كاد أن يُصاب بالصنم من هول ما استمع إليه، فما بالك بهي؟!!

أباها حاول الاعتداء عليها، وصديق والدها كان يقوم بضربها والتحرش بها حتى سبب لها مرض مزمن، وهي

حارة القناص

كانت تُعاني فقط طيلة حياتها، أين كانت والدتها؟! أين كان أخواتها؟! عائلتها؟! الكثير والكثير من الأسئلة تدور حول رأسه حتى شعر بها تكاد أن تنفجر.

استمع لصوت تكسير يأتي من الداخل فهزول مُسرِعًا إلى مصدر الصوت، لقد أوقعت زجاجة المياه رَغْمًا عنها وانتشرت شظاياها أسفل قدمها حتى جرحتها، جلست على الأرض تتأوه بألم، وهو جلس بجانبها وأمسك بالمناديل الورقية وقام بالتنظيف، مدت قدمها إليه وهي تشكو له بشفتين مُرتعشتين وكأنها طفلة صغيرة تطلب العون من والداها:

__ اتعورت.

جفف الدماء بالمناديل الورقية وكانت مجرد خدوش لا أكثر، اقترب منها بعد أن أعدلها وأحاط بها ليُقربها منه ثم أخذها في عناقٍ طويل، وبهدوء شديد طلب منها:

__ عيطي يا "أهلة" ومتكتميش جواك.

وكان حديثه هو نقطة الإنذار بالنسبة لها، حيث انفجرت هي في البكاء وهي تتشبث في ثيابه أكثر، كانت تُتمتم من وسط بكائها ببعض الكلمات التي لم يفهما لكنه تركها تشكو كما

حارة القناص

تشاء، تركها تُخرج ما في جبعثها من ألم تحملته وحدها
لعدة أعوام، لقد عانت وحدها ولم يُشاركها أحد الألم، رأت
من العذاب ألوانٍ ولم تجد من يُخفف عنها، لذلك تركها على
راحتها لإخراج الكبت الموجود داخل صدرها.

مرت نصف ساعة وهم على وضعهم هذا، لكن صدره كان
يحترق، يريد معرفة الحقيقة بأي طريقة، تلك الأفكار التي
تدور برأسه تُهاجمه بشراسة، لذلك أبعدا عنه وسألها
بجدية تامة:

_ احكي لي يا "أهلة" كل حاجة، إزاي أبوك كان بيحاول
يعتدي عليكِ ووالدتك ممنعتوش!

هزت "أهلة" رأسها بالرفض وأردفت ببكاء:
_ لأ.. لأ مش هحكي.

هزها من كتفيها بعنف وهو يصرخ بها بعد أن نفذ صبره
وأعمى الغضب بصيرته:

_ لأ هتحكلي.. مش هينفع تسيبيني لدماعي كدا.. أنا حاسس
إن دماغي هتفجر من كُتر التفكير.. احكي لي.

حارة القناص

أصرت وهي تُعاود البكاء مرة أخرى بعنفٍ أكبر، لينتفض
من مكانه وصرخ بها بعد أن أمسك بهاتفه:

_ طالما مش عايزة تحكي لي فأنا هتصل بوالدتك وهي اللي
هتحيكي.

تصنمت فجأة في محلها، رفعت أنظارها له تُطالعه بصاعقة
كُبرى فوجدته بالفعل يعبث بهاتفه، انتفضت من مكانها
بسرعة ثم انتشلت منه الهاتف تُخبئه خلف ظهرها وهي
تنفي بهسيريا:

_ لأ.. ماما لأ.. ماما تعبانة يا "قاسم" مش هتستحمل لأ.

اقترب منها بغضب ثم ثبت جسدها وانتشل منها الهاتف
وأردف بتحدي:

_ طالما خايفة على أمك أوي كدا فبلاش هي، هتصل بأختك
"يمنى أو ملك" ما هما أكيد عارفين.

وبالفعل بدأ يبحث عن رقم شقيقتها "يمنى"، فاقتربت منه
صارخة ببكاء دافعة إياه من صدره بقوة وصوت يكاد أن
يُحيي الأموات في قبورها من ارتفاعه:

_ "نبيلة" مش أمي، "يمنى وملك" مش اخواتي.. "نبيلة"
اتبنتنا احنا الثلاثة بعد ما كُنا مرمين في الشارع.

حارة القناص

تصنم جسد "قاسم" بغثة وهو يستمع لحديثها الصادم،
والذي كان كالقنبلة بالنسبة إليه، بينما هي ارتمت على
الأرض مُتحدثة بوهن والدموع تتسابق على وجنتيها:
_أنا و"يمنى وملك" ملناش علاقة ببعض، احنا الثلاثة مش
أخوات.

اقترب منها "قاسم" بصعوبة وجلس أمامها بنفس الصدمة،
ثم ردد بعدم تصديق:
_ أنتِ بتقولي إيه؟! يعني إيه الكلام دا؟!!!

رفعت عيناها الحمراء تُطالعه ببكاء وضعف شديدين، قبل
أن تهمس بما شلّ لسانه عن الحديث:

_أنا ابقي "أهلة مختار الأرماني".

#يُتبغ.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

لو علم الإنسان أن أجله بعد ساعة، لما بقي في قلبه هوى
لمعصية، ولا عذر لمخالفة، ولكنه طول الأمل.

#الفصل_السابع_والأربعون.

#حارة_القناص.

#أصابها_في_مقتل.

ليتني أقف على حافةٍ عالية لألقي بجميع همومي، وأتخلص
من جميع آهاتي، أشعر بالخراب يزداد داخل فؤادي فيُبعثر

حارة القناص

الباقي من شتاتي، أيتها الحياة أيمكنك تخليصي من آلامي؟!
أم أنك تزيدين من قهري وإحزاني؟!

_ أنا ابقى "أهلة مختار الأرماني".

جُملة واحدة خرجت من فاه "أهلة" ودموعها تملأ وجهها،
فؤادها يصرخ بألم وكأنه ينهرها على وضع اسم ذلك الحقيير
بجانب اسمها، وكيف تستطيع الاعتراف به وهو السبب
الرئيسي في تدميرها؟!

أباها؟! عدوه اللدود وأكثر رجل يكرهه بالعالم هو والدها؟!
وقف "قاسم" من مكانه بعد أن انتفض بصدمة، فتح فمه
للتحدث لكن الحروف لم تصعد، وكأن لسانه قد سُلَّ عن
الحديث وإبداء أي رد فعل طبيعي!!

رفعت "أهلة" عيناها الحمراء تُطالع ردة فعله بحذر، لكن
دموعها مازالت تهبط بصمت وملامح الحسرة ترتسم
بوضوح على وجهها، رفعت كفيها تمسح وجهها بهدوءٍ
شديد بعد ان زفرت بقوة لتستجمع روحها المُشتتة، وبعدها
طالعه بقوة ثم قررت تفجير قنبلتها التالية:

_وأنا اللي قتلت عمي... "رفعت الأرماني".

صمت.. صمت.. صمت.. كل ما حصلت عليه هو الصمت الذي عمّ كل ركن من أركان الغرفة، نبرتها كانت جامدة، باردة، وكأنها ليست نادمة على قتله أو ما شابه، بينما "قاسم" نظر إليها بلامح مُبهمة وكأنها كائن غريب برأسين مثلاً!! ارتمى بجسده يجلس على الفراش وعيناه مُتجرة على نقطة واهية بالغرفة، حتى صوته رفض بالخروج وقدماه لم تقدر على حمله!

التوى ثغرها بابتسامة جانبية ساخرة، ثم رفعت يدها لتستند على الكومود بجانبها حتى نجحت بالوقوف، وبهدوء شديد توجهت نحو المرحاض وأغلقت الباب خلفها، دون حتى أن توجه له أي نظرة حتى لو نظرة عابرة! وهو فعل المثل، لكن بعد إغلاقها للباب رفع أنظاره يُطالع الباب المُغلق بصمتٍ وبدون تحرك، وبعدها هب من مكانه واقفاً وخرج من الغرفة بأكملها بسرعة بعد أن أغلق بابها بعنفٍ ناتج عن صدمته.

وبداخل المرحاض؛ تكومت "أهلة" على ذاتها بعد أن جلست على الأرض السيراميكية الباردة، انتفضت من مكانها عندما استمعت إلى صوت الباب يُغلق بعنف، فعلمت بأنه قد خرج

حارة القناص

من الغرفة بأكملها، وهُنا سمحت لذاتها بالانهيار، هبطت دموعها وعلت شهقاتها الحادة لتملأ المكان، وهُنا عادت لعادتها القديمة، وضعت يدها على فمها لتمنع صعود شهقاتها الحادة، تُحاول أن تمنع ذاتها بشتى الطرق عن البكاء، وهُنا تمننت لو أنها لم تُعالج من الكتمان من الأساس.

مرت ساعة تقريباً وهي تجلس نفس تلك الجلسة وتبكي، حتى قاومت وتوقفت من مكانها ثم اتجهت نحو الخارج، ذهبت أبصارها رغماً عنها نحو المرأة فرأت بوضوح وجهها المتورم وعيناها الحمراء بقوة، اقتربت أكثر حتى أصبحت قبالتها تماماً، فارتعشت شفيتها أكثر وهي ترى انعكاسها أمامها وهي تهمس بألم:

مش ذنبي.. والله مش ذنبي.

أخفضت رأسها للأسفل وأكملت بكائها العنيف، شعرت بأن قواها ستخور فاستندت بكفيها على تسريحة المرأة الموجودة أمامها ثم أكملت بكائها، ورغماً عنها دار بخلدها بعض من اللحظات التي تجمعها مع "مختار الأرماني" بعد أن حاول الاعتداء عليها، أنظاره كانت حادة وحديثه مُغلف بالكراهية والحقد، تذكرت تهديداته لها وعنفه الغير مُبرر معها، وهُنا صرخت بألم عنيف ثم أمسكت بزجاجة العطر

حارة القناص

الكبير وابتعدت قليلاً، وبعدها قامت بقذفها نحو المرأة بكل قوتها وهي تصرخ بأن لا ذنب لها.

تتأثر الزجاج وأتى أسفلها، لكن كل هذا لم يهمها، آلامها الداخلية كانت أكبر وأقوى من الألم الجسدي الذي تشعر به الآن، لذلك توجهت نحو الفراش ببطء شديد ولم تُبالي لقدمها التي جُرحت وتنزف الدماء، بل أكملت السير ثم نامت مُتكورة على ذاتها بعد أن غطت كل جسدها بالحاف الثقيل.

_أحيه!! يعني مراتك طلعت بنت "مختار الأرماني"!!؟!

هتف "صهيب" تلك الكلمات بصدمة، ليوميء له "قاسم" بصمت والذي يضع رأسه على مقود السيارة مُغمضاً لجفنيه بانهاك، لكنه فُزع تلك المرة بحق عندما شهق "صهيب" بحدة وهي يضرب على صدره:

_أحيه تاني!!

طالع "قاسم" شقيقه بغيظ، فأمسك بعنبة المناديل الورقية ثم قذفها على وجهه وهو يصرخ عليه بغضب:

حارة القناص

_ يقولك إيه يلا أنا فيا اللي مكفيني وأعصابي بايظة لوحدها،
قول اللي عندك واخلص.

حكّ "صهيب" وجهه وهو يُحدج "قاسم" بانبهار وكأنه
توصل لاكتشافٍ عظيم، ولقد كان بالفعل!
_ معنى كدا إنك "أهلة وحببية" أخوات!!

وتلك المرة ردد "قاسم" بصدمة:

_ أحيه!!

أكد "صهيب" على حديثه وهو يوميء له:

_ هو فعلاً أحيه، ياه يا جدع!! دي مصر كلها طلعت أوضة
وصالة!!

أوما له "قاسم" باقتناع وهو يفكر ملياً في تصرفات "أهلة"
الودودة مع "حببية"، فتحدث مُفكرًا:

_ عشان كدا "أهلة" كانت بتعامل "حببية" بطريقة مُميزة!
وهي فاكرة إنها بنت عمها مش أختها أصلاً!

أيده "صهيب" أثناء وضعه لكفه أسفل ذقنه قائلاً:

حارة القناص

أظن إن إحنا في ورطة، أنت لازم تقول لـ "أهله" إن
"حبيبه" أختها، وأنا لازم أقول لـ "حبيبه" إن "مختار
الأرمني" هو أبوها.

أصاب الدوار رأس "قاسم" من كم الحقائق الصادمة التي
علم بها دفعة واحدة، وضع يده على رأسه قائلاً بانهاك:
أنا دماغي لفت وصدعت.

خاف "صهيب" على شقيقه فتحدث بقلق:

أنت هببت مني ولا إيه؟! بقولك إيه افطر النهاردة عشان
أنت لو أغمى عليك هضطر أعملك قبلة الحياة وأنا بقرف.

نظر "قاسم" لـ "صهيب" بنظراتٍ حادة نارية، فمال عليه
قليلاً ثم فتح باب السيارة ودفعه للخارج بعنف أثناء قوله
الغاضب:

بقولك إيه انزل مش عايز أفطر عليك، أبو معرفتك يا
شيخ.

وبالفعل دفعه خارج السيارة رغم مقاومة الآخر الحانقة، ثم
انطلق بها متحرّكاً بعيداً وهو يُتمتم ببعض الكلمات

الساخطة، بينما "صهيب" نظر للشارع الفارغ من حوله ثم صاح صارخاً على شقيقه بغضب:

يمين بالله أنت متربتش ولا شميت ريحة التريبة يلا، دا أنت خسارة فيك المواساة يا عديم الإحساس.

حين تُتاح الفرص سأعبر عن مكنونات فؤادي المُختبئة بين ثناياه، سأصرخ بأني قد وقعت بين أمواج عينيك التي أغرقتني دون إرادتي، جذبني حُبك كالمغناطيس، وأصحبتُ أنا كالأسير، وحين تربعت بداخل وجدانك؛ أغلقت جميع أبوابك، فبِتُ أنا السجين.

كانت "لوسيندا" تقوم بتبديل ثيابها والتي كانت عبارة عن منامة وردية اللون ومُزينة ببعض من النقوش البيضاء، سرحت خصلاتها وهذبتها ثم استدارت نحو "چون" الذي يُطالعها بنظراتٍ هائمة، وكأنها لم يری من النساء مثلها، لقد اكتفى بها وظن أنه قد نجى، لكن عشقها قد أنهكه فأصبح لا يحتمل صخب فؤاده النابض باسمها، استدارت له وعلى ثغرها ابتسامة هادئة يكاد يُقسم بأنها أفضل ابتسامة قد رآها طيلة حياته، ثم اقتربت منه بخطوات بطيئة رآها

حارة القناص

مُتدللة بعض الشيء، صعّدت على الفراش بجانبه ثم
التصقت به دون أن تتفوه بكلمة، وبعدها تمتمت بحب:

أعشّك "چون".

أحاط "چون" بخصرها وقربها منه أكثر، ثم قبّل وجنتها
بحنان وهو يهمس:

و"چون" هائم بكِ "لوسيندا".

اتسعت ابتسامتها حتى ظهرت نواجزها، فاعتدلت بحماس ثم
جلست قبّالته وهي تقول بأعين مُتلهفة:

هنسمي ابنا إيه؟!!!

انتقل إليه حماسها فرد عليها ضاحكًا وعيناه مُلتمة بشعر
لذكر هذه السيرة:

ولو بنت؟!

عضت على شفّتها وهي تُفكر لعدة ثوانٍ، وبعدها هتفت
قائلة:

خلاص نختار اسم بنت واسم ولد من دلوقتي، إيه رأيك؟!!!

حارة القناص

طرق فؤاده بعنف وهو يتخيل صغيره من الآن وكيف سيكون، عمّ الصمت على كليهما لدقيقة كاملة تقريبًا، ليهتف بعدها "چون" بحماس وهو يُمسك كفها بسعادة:

_ لو بنت نسميها "چوليا"، إيه رأيك؟!

التمعت حدقتها بحماس وهي تُوميء له بسعادة:

_ الله حلو أوي، ولو ولد هنسميه "راف"، حلو؟!

أوما لها وابتسامته تتسع تدريجيًا، فيما هتف هو بعدها بعد أن جعلها تستقر على صدره:

_ أطفالنا سيكونون لطفاء للغاية، مثلك تمامًا حبيبتى "لوسيندا".

رفعت "لوسيندا" رأسها له ثم قبلت وجنته بحب، وبعدها تسائلت بنظراتٍ مُترقبة:

_ هل ستظل تحبني "چون"؟!

أجابها دون مراوغة أو تفكير:

_ حتى نهاية أنفاسي "لوسيندا".

لاحظ حدقتها اللامعة بدموعٍ مُتأثرة، فأحاط بوجهها وهو يقول بعشق:

إن توقف فؤادي عن النبض ستكون آخر نبضة تُنادي باسمك، وآخر دمعة مني ستهبط حسرةً على عدم رؤيتك مُجددًا، الابتسامة الأخيرة ستكون لأجلك فقط، أنا هنا لأنك بنفس المكان "لوسيندا".

هبطت دمعة شاردة من عين "لوسيندا" تأثرًا بحديثه، ذلك الرجل يحتل كيانها بأكمله دون أن يبذل أي مجهود، اعتدلت جالسة ثم أحاطت بعنقه بقوة شديدة وهي تهمس:

بعد الشر عليك، أنا بحبك أوي.

بادلها العناق بقوة لكن طفيفة بعض الشيء خوفًا على طفله، ثم قبّل جانب عنقها هامسًا:

وأنا أيضًا أحبك "لوسيندا".

سعادتها كبيرة وفرحتها أكبر تكفي لأن تُوزع على العالم بأكمله، لذلك قررت مشاركتها مع أصدقائها، هرولت "سهيلة" إلى منزل كُلاً من "يمنى وملك" وهي تكاد تقفز

حارة القناص

من السعادة، طرقت على باب منزلهم بنغماتٍ مُتجانسة حتى
فتحت "نبيلة" بوجهٍ واجم، لكن انحمت وجومها فور رؤيتها
لـ"سهيلة" تقف على أعتاب المنزل بابتسامة واسعة،
فبادلتها الابتسامة واحتضنتها عندما اقتربت منها الأخرى
قائلة بترحيب:

ـ "سهيلة"؟! إزيك يا حبيبتى؟!!!

ردت عليها "سهيلة" بود وهي تُربت على ظهرها بخفة:

ـ الحمد لله يا طنط كويسة، أنت أخبارك إيه؟!!!

ابتعدت عنها "نبيلة" ثم أجابتها وهي تجذبها نحو الداخل:

ـ الحمد لله بخير يا حبيبتى، إيه القمر والحلاوة دي؟!!!
شكك قمر بالحجاب ما شاء الله.

أخفضت "سهيلة" رأسها ببعض الخجل ثم أجابتها على
استحياء:

ـ تسلميلي يا طنط دي عيونك اللي حلوة.

ربتت "نبيلة" على ظهرها بود ثم أشارت لها لغرفة "ملك"
وهي تقول بضحك:

حارة القناص

_ ادخلي هتلاقي البنات جوا، وربنا يكون في عونك على الغباء اللي هتشوفيه.

ضحكت "سهيلة" بخفة على مزحتها ثم اتجهت نحو الغرفة بالفعل، لكنها قررت مشاكستهم قليلاً، ففتحت باب الغرفة ببطء شديد وظلت برأسها للداخل حتى ترى ماذا يفعلون، وكان المشهد كالتالي:

"ملك" تجلس مُتربعة على الفراش مُتربعة وهي تُطالع شقيقتها "يمنى" بخوف، و"يمنى" تصرخ بغضب وهي تجذب خصلاتها بجنون والتي تشعثت من غضبها، وأمامهم يوجد الكثير من الكتب:

_ أطم ولا أجيب لطامة ولا أعمل في أمك إيه أنا؟!!!

ابتسمت "ملك" بتوتر وهي تلاحظ غضبها الذي بدأ يتصاعد أكثر، فزادت الطين بلة بقولها الأحمق:

_ يا "يمنى" يا حبيبتي أعصابك لتطق وتموتي، وبعدين مالها الإجابة بتاعتي يعني؟!!! ما هي صح وزى الفل أهو!

حارة القناص

طالعتها "يمنى" بشر فاستندت على الفراش بركبتها ثم
مدت يدها تُمسك بخصلاتها بقوة وهي تجذبها نحوها أثلاء
صراخها الغاضب:

_ هو إيه اللي زي الفل؟! أنا نفسي أعرف أنتِ دخلتي تربية
انجليزي إزاي؟! طالما حمارة ومبتفهميش داخلة تتقنري
وتتفشخري فيها ليه!!

تأوهت "ملك" بألم، فرفعت يدها لثُبع يد شقيقتها عن
خصلاتها وهي تُبرر:

_ على فكرة دي كُلية سطحية وتوكسيك، وترجمتي أنا اللي
صح اسمي مني!

نفذ صبر "يمنى" التي صرخت بالمقابل وهي تشعث
خصلاتها أكثر:

_ لأ تعاليلي بقي، ترجمة إيه هي اللي صح!! جايلك ترجمة
فيها Hot dog تقومي تترجميها كلب حار؟! ليه بيغريك
بروح أمك.

كتمت "ملك" ضحكها التي كادت أن تصعد رغماً عنها،
فأجابتها بهدوء أثار استفزاز الأخرى:

حارة القناص

_ ما هي دي الترجمة الصح، أنت لو ترجمتي Dog هتلاقيها
كلب، ولو ترجمتي Hot هتلاقيها حار، فين الغلط بقى!!!

فتحت "يمنى" فمها للرد عليها، لكنها ابتلعت حديثها عندما
شعرت بأنوار الغرفة تُغلق، تركت "يمنى" خصلات "ملك"
وابتعدت عنها ثم أردفت بريبة وهي تنظر إلى عقب الباب:
_ هو النور قطع هنا في الأوضة بس ولا إيه؟! أنوار الشقة
كلها قايدة.

انتفضت "ملك" من مكانها ثم اقتربت منها حتى التصقت
بها بقوة وهي تُمسك بذراعها أثناء قولها الخائف:
_ هما مش بيتسلسلوا في رمضان ولا إيه?!!!

ابتلعت "يمنى" ريقها بريبة وهي تتسائل بفرع:
_ هما مين دول؟!!!

شدت "ملك" من الإمساك بذراعها وهي تُردد بخوف:
_ اللهم احفظنا.

حارة القناص

أمسكت "يمنى" بثياب "ملك" بقوة وكأنها لم تكن تمسك
بها من خصلاتها وتُعنفها منذ قليل:

_بقولك إيه! تعالي ننزل من على السرير سوا ونروح ناحية
الباب ونفتحه._

عضت "ملك" على شفتيها وهي تُردد بصوتٍ مُرتعش:
لأ روحي أنتِ وأنا هفضل مكاني أشجعك.

تحولت معالم وجه "يمنى" إلى الحنق، فأردفت بإصرار:
لأ هنروح سوا، يلا ننزل.

أومأت لها شقيقتها مُوافقة إياها، وما كادا أن يضعوا أرجلهم
على الأرض؛ حتى استمعوا إلى صوت الباب يُغلق بالمفتاح،
وخيالٌ يمر من أمام المنطقة المُنيرة أسفل الباب، لطمت
"ملك" على وجهها بفرع ثم نادى بصوتٍ مُتذبذب على
والدتها:

يا.. يا ماما... ي..

قطعت حديثها صارخة بقوة هي و"يمنى" عندما ظهر
أمامهم جسد شخص مجهول يوجه ضوء مصباح الهاتف

حارة القناص

إلى وجهه بطريقة مُفزعة، دفعت "يمنى" شقيقتها "ملك"
وهي تصرخ بعنف:

_خدوها هي أنا صايمة وهي فاطرة.

صرخت بها "ملك" وهي تكاد تبكي من الخوف:

_يا كذابة.. متسمعش منها يا أستاذ عفريت أنا صايمة
أقسم بالله.

كان فزعهم وصل إلى ذروته، لكنهم صمتوا عندما استمعوا
إلى صوت قهقهات أنثوية تنطلق في الأرجاء، قطبا جبينهما
بتعجب مُبتلعين ريقهم بريبة، وفي اللحظة التي تلتها فُتح
نور الغرفة وظهرت "سهيلة" التي صدحت عاليًا، طالعتها
كُلًا من "يمنى وملك" بدهشة، ثوانٍ ما تحولت نظراتهم إلى
الحقد ثم اندفعوا إليها معًا وأبرحوها ضربًا.

بعد عشر دقائق تقريبًا؛ ارتمت الثلاثة فتيات على الفراش
وهن يتنفسن بعنف أثر المجهود المضني الذي فعلوه، فلقد
وصل الشجار إلى ضربهم لبعضهم البعض، فتارةً تضرب
"يمنى" "سهيلة"، وتارةً أخرى تحصل "ملك" على نصيبها
من الضرب، وهكذا نفس الشيء مع "سهيلة وملك".

حارة القناص

اعتدلت "سهيلة" أولاً ثم عدّلت من حجابها الذي خرب كُلياً،
وبعدها اعتدلت "يمنى وملك" معاً، فبدأت "سهيلة" بحديثها
المُتحمس وهي تخلع الحجاب تماماً:

__ كنت جاية أفرحكم معايا عشان أنا فرحانة أوي.

أرجعت "يمنى" خصلاتها للخلف وتساءلت بانتباه:
__ خير اللهم اجعله خير، إيه اللي حصل؟!!

انتقلت "سهيلة" بأنظارهما بين كلتاها لتراقب وجوههم
الفضولية، ثم تشدقت بابتسامة سعيدة للغاية:
__ "فور" أسلم.

صرخت "ملك" بعدم تصديق والابتسامة تشق وجهها بقوة:
__ قولي أقسم بالله كدا؟!!!! "فور" بتاعنا قصدك!!!

ضحكت "سهيلة" بقوة وهي تُوميء لها، فصفتت "يمنى"
بحماس وسعادة شديدة:

__ الله بجد!! يعني كدا مفيش أي مانع إنكم تتجوزوا صح؟!!

حارة القناص

اتسعت ابتسامه "سهيلة" والتي أجابتها بأعين مُلتمة:
_ طلب إيدي من بابا، وبابا قاله خليها بعد العيد، أنا بجد
مبسوطة أوي.

أنهت حديثها؛ فوجدت الفتاتان تحتضنان إياها بقوة بالغة
وهم يلقون على مسامعها جمل المُباركة التي زادت من
سعادتها.

ابتعدت عنها "يمنى" ثم أبلغتها بابتسامه سعيدة:
_ وعشان الخبر السعيد دا حبيت أفرحك أكثر وأقولك إن
"حبيبة ولوسيندا" الاتنين حوامل.

وضعت "سهيلة" فاهها بعدم تصديق وهي تردف بدهشة:
_ إيه بتهزري!!

ضحكت "ملك" على ردة فعلها وتحدثت بحماس أشد:
_ و"أهله" اتعالجت من الكتمان وبتتعالج من الوسواس
دلوقتي.

حارة القناص

التمعت عيني "سهيلة" بدموع السعادة ثم أردفت بتحسرج
وصوتٍ مُتأثرٍ بكم الأحداث السعيدة التي تسمعها الآن:

_ الحمد لله بجد، كرم ربنا كبير ورمضان جه وجاب معاه
الجبر لقلوبنا كلنا.

وافقاها على الحديث وكُلًّا منهم تبتسم بسعادة، فالمشاكل
بدأت بالزوال وأتى مكانها الفرح والسعادة، الحزن يتبدد
والسرور يقتحم القلوب، كل شيء بدأ يعود مثلما كان
وأفضل مما كان عليه.

وصل "قاسم" إلى وجهته بعد نصف ساعة من القيادة
ودلف إلى المشفى، قام بالصعود حيث غرفة والده دون أن
يلقى أي اعتراض من الأطباء نظرًا لعلمهم بمكانته هنا، فتح
باب الغرفة ببطئ ثم اتجه نحو الداخل فوجد والدته نائمة
بسلام، لم يتركها لترتاح أو تُكمل نومها، بل جلس على
الفرش بجانبها ثم هز كتفها مُناديًا عليها:

_ ماما!! ياما!! أما!! يام!!

حارة القناص

كان يُناديها بأسلوبٍ سوقي بعض الشيء يظهر كلما يغضب
أو يكون حزين ليُخفي من وجعه، تملمت والدته في مكانها
بضيق وفتحت عيناها ببطئ حتى تعتاد على الضوء، وحينما
رأته تسألت بصوتٍ مُتحرج:

_ في إيه يا "قاسم"!!؟

سألها "قاسم" ببلاهة:

_ أنتِ نايمة!!؟

نظرت والدته له لبضعة ثوان بصمتٍ قبل أن تترحزح من
مكانها قليلاً لتُفسح له المكان، ثم مدت ذراعها له وهي تقول
بحنان:

_ تعالى يا "قاسم" نام على دراعي واحكي لي مالك يا حبيبي.

نظر إليها "قاسم" بعينٍ مُمتلئة بالألم وقد صدق حدسها،
طفلها لا يأتي إليها مُهرولاً إلا عندما يهلكه الكتمان ولديه
رغبة بالبوح عن آلامه، خلع "قاسم" حذاءه ثم صعد على
الفراش مُتمدداً بجانبها، ووضع رأسه على ذراعها التي
أحاطت رأسه بحنان، وباليد الأخرى كانت تعبت بخصلاته
لتُهدأه من صخب رأسه.

حارة القناص

عم الصمت لمدة خمس دقائق تقريبًا، حتى خرجت "حياة"
عن صمتها تسأله بانتباه:

_ها احكي لي مالك بقي.

زفر "قاسم" بثقل جعل والدته تتيقن من ما شعرت به،
انحنت على رأسه تُقبل رأسه بحنان ثم تسألت مرة أخرى:

_مالك يا حبيبي؟!!

بدأ "قاسم" يقص لها ما حدث وعقله يكاد أن ينفجر من
فرط التفكير، كم الحقائق التي هبطت فوق رأسه دفعةً واحدة
أوقفت لسانه عن الحديث أمامها، خاصةً عندما رأى الضعف
يرتسم داخل عيناها وهي لا تجد مفرًا من قص الحقيقة، إن
أخفتها الآن ستُحسب مُذنبه، لقد أرادت أن ترمي حملها من
فوق كاهلها وهو لم يستطع حمله معها من فرط مفاجأته،
كانت والدته تستمع إليه بإنصات حتى انتهى، وبعدما صمت
تسألت هي بترقب:

_يعني أنت عايز تسيبها وتطلقها دلوقتي؟!!

رفع رأسه يُطالع والدته بتشنج بعدما انتفض من مكانه وهو
يقول باستنكار:

حارة القناص

_أطلقها دا إيه!! ما "صهيب" متجوز ومراته من نفس العيلة ومتكلمناش، هتيجي على البت اللي حيلتي وأطلقها!!

ابتسمت والدته بعث بعدما توصلت إلى ما تريد، ثم تشدقت بمشاكسة:

_طالما كدا يبقى إيه اللي مزعلك؟! زعلان إنها من عيلة "الأرمانى" ولا من إنها بنت راجل خسيس وحقير!!

ابتلع ريقه بتفكير ثم أجابها وهو يهز كتفه بلامبالاة:

_أنا مش زعلان أصلاً، أنا بس مصدوم والصدمة كتمتني فمبقتش عارف أواسيها ولا أتكلم ولا أعمل أي حاجة.

_قوم كدا!!

قالتها بجمود، ليقطب جبينه بتعجب وهو يجلس بالفعل، وبعدها اعتدلت والدته جالسة بترو وساعدها "قاسم" على ذلك، طالعت "حياة" ابنها بنظراتٍ نارية ثم أمسكته بياقة ثيابه وهزته بعنف وهي تُوبخه:

_أنت قولت إيه!! سيبتها بتعيط ومنهارة وجيت ومرزوع هنا!!

حارة القناص

ابتلع "قاسم" ريقه بحذر وهو يُجيبها:
_آه.

ولم يشعر بشيء بعد ذلك سوى دفع والدته له فوق من
الفراش على ظهره مما جعله يتأوه بعنف، تبعه صراخها
عليه وهي تُشير نحو الباب:

_قوم يا حيوان يا عديم الإحساس روح لمراتك ومتجيليش
المرّة الجاية غير وهي معاك.

فتح "قاسم" فاهه بعدم تصديق أثناء تسطيحه على الأرض،
ثم أشار لنفسه بصدمة وهو يقول بعدم تصديق:
_ أنت بتطرديني؟! يا ماما أنا اللي ابنك مش هي!!

قال جملته الأخيرة بحنق، لثوبخه بحدة وعيناها ترميه
بنظراتٍ غاضبة:

_ ابني أقف جنبه لما يكون مظلوم، لكن سايب مراتك زعلانة
وبتعيط في البيت وجاي تتمرقع هنا يبقى كدا أنت متربتش،
دا أبوك عُمره ما سابني في يوم زعلانة ولا متضايقة، تيجي
أنت تخرج وتسبب مراتك زعلانة لوحدھا في البيت وأنت
عارف ظروفھا إيه وبتمر بإيه!!

ترجع "قاسم" على الأرضية الصلبة وظل يُفكر جديًا بكل كلمة قالتها، هو بالفعل تركها وحدها تُعاني من صراعاتها الداخلية، لكنه يُقسِم بأنه فعل هذا من صدمته ليس إلا، هو يعيشها، بل يهيم بها عشقًا لكن الحقيقة كانت مريرة، انتفض من مكانه واقفًا وقرر الذهاب والعودة حيث ملجأه، وقبل أن يذهب اتجه نحو والدته وقبلَ خدها بقوة وهو يقول:
_بحبك.

قالها ثم هرول راکضًا نحو الخارج ليعود مُسرعًا إلى المنزل، بينما "حياة" نظرت لأثره بحنان وهي تهز رأسها بياس أثناء تمتتها:
_ربنا يهدي سرك يا بني.

وللمرة الثانية على التوالي يتجمع الشباب معًا على سطح المنزل الخاص بـ "رائد"، كان الجو باردًا والهواء العاصف يضرب أجسادهم فيتسبب في برودتهم، أشعل "يحيى" بعض الأخشاب وساعده "وليد" في ذلك، بينما "رائد" جلب ركوة اسطوانية (كنكة) ووضع بها بعض المياه والسكر والشاي ووضعها على الأخشاب بعد أن تفحمت وهدأت نيرانها قليلًا، جلسوا على شكل دائرة حول النيران فأخرجهم "سيف" من الصمت وهو يتسائل بتعجب:

حارة القناص

_مين "مختار الأرماني" اللي عمالين تشتموا في سلسبيل
أهله دا؟!!!

رد عليه "وليد" بلامبالاة:

_دا واحد عايز يقتلني عشان اكتشف إني بخونه.

وببلاهة شديدة تسائل "سيف":

_هو انتوا كنتوا مرتبطين؟!!!

تشنج وجه "وليد" باشمنزاز مُطالعًا إياه بقرف، ثم رد عليه
بقوله الحائق:

_مرتبطين إيه بس يا عم؟!!! من قلة الستات هروح أبص
لراجل قد أبويا؟!!!

تسائل "يحيى" مُستفسرًا:

_يعني لو مكانش قد أبوك كان هيبقى عادي؟!!!

قذفه "وليد" بحجر صغير كان موجود بجانبه ثم صرخ بهم
بحنق:

حارة القناص

_ ما تبطلوا سفالة وقلّة أدب بقي، أنا مش هصوم أصوم
وأفطر على أشكال نتنة زيكم.

ربت "رائد" على صدره وهو يقول بجدية:
_ حبيبي والله تسلم.

التوى ثغر "وليد" بابتسامة جانبية وهو يهز رأسه بيأس،
فاستمع بعدها إلى سؤال "يحيى" الذي أردف بجدية شديدة
تلك المرة:

_ طيب وأنت عملت إيه من إمبراح!!

أجابه "وليد" بهدوء وهو يتنهد بثقل:

_ ولا حاجة، كلمت "قاسم" وحكيتله الحوار من أوله لآخره
قالى أنسحب فورًا عشان معرضش حياتي للخطر.

طالعه "رائد" بتفكير ثم تسائل بشك:

_ بس أنت عرفت إزاي إن هو كشفك يا "وليد"؟! ما
هو أنت أكيد مش مكشوف عنك الحجاب عشان تعرف
لوحدك.

حارة القناص

ضحك "وليد" بخفة ثم رد عليه بدهاء:

_ودي هتفوت عليا برضه يا "رائد" يا حبيبي؟! قفلا
"مختار الأرماني" متزرعة بأجهزة تنصت وخصوصًا في
مكتبه وأوضة نومه، كل حركة بتحصل في القفلا أنا على
علم بيها.

ربت "سيف" على فخذة بفخر قائلاً:

_جدع ياض أنا فخور بيك.

ضرب "وليد" كفه بخاصته أثناء قوله المُشاكس:

_صحبي وحبيبي وعم ولادي وعهد الله.

سخر منهم "رائد" الذي يقوم بصب أكواب الشاي:

_انتوا لحقتوا؟! دا انتوا لسه متعرفين إمبراح.

أخذ منه "وليد" قذح الشاي مُجيبًا إياه وهو يضحك:

_متعرفش أنت الشوية دول اتكلمنا في إيه ولا عملنا إيه.

حارة القناص

ارتشف الجميع من الشاي بتلذذ وعم الصمت لدقائق، أيديهم
تلف حول الأكواب الساخنة لتبث لأجسادهم الدفء، قطع
هذا الصمت صوت "وليد" الذي رفع رأسه لـ "رائد"
مُتسائلاً:

_صحيح يا "رائد" أنت بتنتقم من عيلة "الأرمانى" ليه؟!!!

صوت ابتسامة ساخرة صعدت من فم "يحيى"، فطالعه
"رائد" بغيظ وهو يرتشف من كوبه بصمت، ضيق "سيف"
عيناه بحذر وهو يتسائل:
_دا سر ولا إيه؟!!!

رد عليه "رائد" نافياً بقوله:

_ولا سر ولا حاجة، كل الحكاية إني مبننتقمش أصلاً وهو
معملش فيا حاجة.

قطب "وليد" عينه باستغراب فاستفسر:

_إزاي مش فاهم؟!!!

أجابه "رائد" ببساطة:

حارة القناص

_يعني أنا مليش علاقة أساسًا بحوار الانتقام دا، أنا و"قاسم" صحاب من زمان أوي من لما كان بيدرس في الجامعة، وعرفت كل حكايته وقررت أساعده، بس المساعدة مش إنني أقتل معاهم بالاتفاق مع الشرطة، بس بساعدهم بطريقة غير مباشرة، يعني بجيب لهم الأخبار عن طريق ناس صحابي شغالين في شركة الأرماني.

مصمص "سيف" على شفتيه قائلًا:

_وأنا اللي كنت فاكرك عميق ووراك حاجة! طلعت عبيط.

قهقه الرجال عاليًا، ليُطالعه "رائد" بغيظ قائلًا وهو يدفعه من قدمه:

_ههه لأ خفة ياض أنت وهو.

كتموا ضحكاتهم رغبًا عنهم، فهتف "يحيى" مُتحمسًا:

_إيه رأيكم نروح عند الواد "بادر" نكمل عنده السهرة؟!!!

اعترض "رائد" حانقًا:

_لأ يا عم مش رايح، أبوه المرة اللي فاتت حدفني بالشبشب لحد ما ساوى مناخيري بوشي.

حارة القناص

علت ضحكات "يحيى" بصخب وكذلك "سيف" الذي تذكر ما حدث المرة السابقة، لكن قاطعهم صوت "وليد" الذي تحدث بملل:

_لأ أنا مش رايح في مكان.

طالعه "يحيى" بضيق وكاد أن يفتح فاهه ليتكلم، لكن قاطعه صوت هاتف "وليد" الذي ارتفع صوت رنينه، أخرج هاتفه من جيب بنطاله ثم أجاب بهدوء:

_ألو!

جاءه صوت الطرف الآخر يهتف بفرع:

_أيوا يا "وليد"؟! "مختار الأرماني" قالب الدنيا عليك وحالف لهيخلص عليك النهاردة.

أغلق "وليد" الهاتف ثم نظر إلى "يحيى" مُتحدثاً بغباء:

_يلا نروح نكمل سهرتنا عند صحبتك.

علت ضحكات الثلاثة بصخب وكأنه قال مزحة، ليس وكأنه سيقتل مثلاً! وبالفعل قام "يحيى" بمهاتفة "بادر" وأخبره

حارة القناص

بقدومه، فرحب "بادر" بالأمر كثيرًا مُخبرًا إياه أن يأتي
ويجلس معه ومع أخواته وأصدقائه الضيوف، لكن مَنْ
سيكون الضيوف يا ثرى!!

وصل "قاسم" إلى القصر ووصل مُسرعًا إلى غرفته، فتح
الباب بهدوء شديد فوجد الصمت يعم الغرفة بأكملها، قطب
جبينه بقلق ثم اقترب أكثر بعد أن أغلق الباب من خلفه
فوجد جسد متكوم على الفراش ويحيطه غطاء يُغطيه
بأكمله، شعر بالذنب يتآكله فاقترب أكثر واستمع لهنهات
بكاء طفيفة، هل يُعقل بأنها ظلت تبكي لمدة ثلاث ساعات
مُتواصلة ومازالت!!

خلع حذائه ثم صعد على الفراش من خلفها وجذب الغطاء
ليُحيط بجسد كليهما، لم تتحرك "أهلة" بل ظلت مُتكومة
ثابتة على ذاتها دون حتى أن تستدير له أو تُعطيه أي
اهتمام، تألم فواده لحالتها وعلم بأن كل كلمة قد قالتها
والدته فهي مُحقة بها بنسبة مئة بالمئة، مسد "قاسم" على
خصلات "أهلة" أثناء مُناداته لها بصوتٍ حنون:

_"هولا"؟!

ظلت على حالتها الصامته تُخفي وجهها عنها وتُعطيه
ظهرها، لكنه لم يمل أو يصمت، بل استند بذراعه بجانب
رأسها وباليدي الأخرى مسد على خصلاتها المُشعثة بحنان
وهو يقول بحزن على حالتها:

_متزعليش مني، مش قصدي أسيبك والله وأنتِ في حالتك
دي، أنتِ أكيد حاسة بيا وحسيتي بصدمتي لما عرفت منك
الحقيقة، حقك على قلبي والله.

ارتفعت شهقاتها تدريجياً مما زاد شعوره بالذنب بداخله،
ورغم اعتراضها ودفعه إليها؛ قام بجذب جسدها إليه
وأدارها له حتى تُصبح في مواجهته، ولسوء حظه صُدم بكم
الدموع التي تُغرق وجهها، ناهيك عن وجهها وعينيها
المتورمتين من كثرة البكاء، هبط على عينيها يُقبلهما بحنان
وهو يقول باعتذار:

_حقك عليا والله، متزعليش مني مش هيهون عليا زعلك.

دفعته قائلة بعصبية لكن بصوتٍ مُتحرج:

_ابعد عني وملكش دعوة بيا.

التوى نُغره بابتسامة جانبية وهو يتحدث بتشنج:

حارة القناص

__ لا ما أنا مش هبقى متخزوق وكمان هتهزق!!

دفعته "أهله" بعيدًا عنها لكنه ما كان ليتركها، وعندما نفذت قواها انهارت باكية وسقط قناع قوتها الباكية، تركها "قاسم" تُخرج ما بها من آلام وقرر تخفيفه، تارة يُقبّل رأسها وتارة أخرى يُهددها كالأطفال، وهي كانت تتشبث به رغم مقتها له منذ قليل، مر الوقت ومرت الدقائق حتى همست هي بألم:

__ مش ذنبي.. والله ما ذنبي.

طمئنها "قاسم" بقوله الحنون ويده تتحرك صعودًا وهبوطًا على ظهرها:

__ أنا عارف.. عارف.

بينما هي أكملت حديثها بكل ألمٍ وشهقات تتصاعد تدريجيًا:

__ مش سهل عليا إني أكون عايزة أنتقم من أبويا وأقتله، والله العظيم كل دا ما سهل عليا، كل دا مش ذنبي، أنا.. أنا..

قاطعها جاذبًا إياها لأحضانها أكثر حتى باتت قطعة منه تقريبًا، فلقد وضع ذراعه أسفل رأسها وباتت مُستقرة على صدره، ويداه تُحيط بخصرها لتُقرّبها منه، والغطاء موضوع

حارة القناص

فوق جسد كليهما، ومن الحين للآخر يضع قُبلة رقيقة على
خدها يتبعها حديث هاديء وحنون يُهديء من روعها.

مرت نصف ساعة وهو يُحاول بشتى الطرق صرف عقلها
عن التفكير في كل ما هو بشع، لذلك سألها بمزاح وهو
يعبث بخصلاتها:

_ أحكيك حدوتة؟! _

ردت عليه بصوتٍ مُهاجم:

_ مش عايزة أسمع منك حاجة.

فكّر قليلاً ثم عاد ليتسائل مُجدداً:

_ طيب أحكيك عن طفولتي البريئة؟! _

وللمرة الثانية ترد عليه بنفس الهجوم:

_ قولتك مش عايزة أسمع منك حاجة.

لُجيبها "قاسم" بعبت:

_ يبقى هحكيك.

رفعت أنظارها إليه تُطالعه بغيظ، بينما هو تجاهل نظراتها الغاضبة وبدأ بقص ذكريات طفولته البريئة _ كما يقول _:

_ زمان كُنا عايشين في منطقة ريفية وسط فلاحين من جيراننا وكدا، المُهم إن في الوقت دا السرقة كانت زائدة جدًا، فبابا دايماً كان بيقولي إني أنا راجل البيت في عدم وجوده، كنت باخد الكلام جد أوي وبنفذ الكلمة بالحرف الواحد، لحد ما في يوم بابا اتأخر في الشغل أوي، طبعًا ساعتها أنا كنت سهران علشان أحرس ماما وأخويا، تقريبًا كانوا عايزين يشغلوني غفير، في الوقت دا سمعت صوت باب البيت بيتفتح براحة خالص، فأنا من ذكائي ونباهتي فكرت إنه حرامي، قومت مسكت الخشبة الكبيرة ووقفت ورا الباب عشان استخبي، وأول ما الباب اتفتح والحرامي دخل نزلت فوق دماغه ضرب، أصل بعيد عنك كنت شجاع حبتين، فين وفين بقي على ما استوعبت إن الحرامي دا بابا الله يرحمه، ووقتها اتخبط أربع عُرز وحلف عليا إني أنام من المغرب بعد كدا.

تناست "أهلة" غضبها وحزنها وصمتت لتستمع إلى قصته الشجاعة، لكن شعرت برغبة عارمة في الضحك عندما

حارة القناص

استمعت إلى الجزء الأخير من قصته، لاحظ "قاسم" هذا
فأردف بعث:

_طب والله عايز تضحكي، اضحكي بقى!

وبالفعل اتسعت ابتسامة "أهله" وصاحبها صوت قهقهات
خفيفة منها، ليبادلها "قاسم" الضحك ثم هبط على خدها
يقبله بحنان وهو يقول:

_روح قلبي والله، مشوفتش أجمل من ضحكتك دي.

أخفضت "أهله" رأسها بخجل منه ومن كلماته التي تثير
مشاعرها، بينما هو طالعها بابتسامة حنونة ثم قبل خصلاتها
بحب وهو يقول:

_غمضي عينك وارتاحي عشان أنتِ تعبتي أوي النهاردة.

_____ تحركت "مهرايل"

خارج غرفتها وقررت التوجه إلى مكتب "ألبرت" لتراه،
وإن تسألتم عن السبب فهي قد اشتاقت له ولمشاكسته!

ابتسمت بخفة عندما تذكرت طلبه للزواج وموافقته عليه
بنفس الطريقة العابثة، حتى نظراته الماكرة التي يرميها
إليها من الحين للآخر تُشعرها بأنها في كوكب آخر غير
الذي به!

حارة القناص

وصلت إلى مكتبه ورفعت كفها لتطرق على الباب؛ لكنها وجدت الباب مفتوحًا أو بمعنى أصح مُواربًا بفتحة صغيرة، قطبت جبينها بتعجب فدفعته على مهل لتتصنم بعدها مكانها بعد ما رآته! فتاة شقراء ترتدي ثيابًا تكاد تكون جلدًا آخر على جلدها مُقتربة من "البرت" الذي يُحيط خصرها بامتلاك، وتلك النظرة اللامعة التي يُسدها لها هو ما أصابها في مقتل!!

#يُتبع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. 

((وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا))

يَتَاكَلُ قَلْبُكَ،

وَتَنْطَفِي رُوحُكَ مِنْ هُمُومٍ مُتْرَاكِمَةٍ أَثْقَلَتْكَ.

ثُمَّ يَأْتِيكَ عِوَضُ اللَّهِ لِيَجْبُرَكَ جَبْرًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ،

جَبْرًا عَجَزْتَ أَنْ تَتَّخِيَلَهُ!

((فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَجَرَّرُ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)).

2013

شروق حسن

(الفصل الثامن والأربعون).

(رواية حارة القناص).

(لقت مصرعها).

طعناتُ الفؤاد مؤلمةٌ وخذلانه بشع، أن تضع كامل ثقتك في شخصٍ ما فتجده قد بعثرها؛ من أكثر أنواع الخيانة ألمًا، أن تبني حياتك على وعودٍ تكتشف فيما بعد بأنها واهية؛ فالأمر مُفرع، أن تعلق بسعادتك للسماء فتسقط على بغتة؛ فالنتيجة هي جسد بلا روح.

أول ما لاحظته هي نظراته التي يرميها لتلك الحية، بسمته التي تظهر قليلًا رأتها الآن، يداه! يداه تلتفان حول خصرها والأخرى تُحيط بعنقه، رفعت تلك الشقراء يدها لتلمس بأصابعها جانب وجهه وهي تهمس بشغف:
_ أفعل أي شيءٍ لأجلك "ألبرت".

ابتسامة جانبية خبيثة تشكلت على ثغر "ألبرت"، ولأن الأخرى كانت هائمة به؛ لم تلاحظ ذلك، فتح فمه في نية للرد عليها، لكنه ابتلع حديثه عندما استمع إلى صوت صرخة

حارة القناص

أنثوية حادة والتي كان مصدرها "مهرائيل" التي اقتربت منهم وصاحت به بعنف:

_وحياة أمك!! بقي تطلب إيدي للجواز بليل وتخوني الصبح؟! عامل نبطشية بروح أهلك!!

ابتعدت الفتاة بفرع عن "ألبرت" ناظرة لها بتعجب، ثم حوّلت أنظارها إليه وهي تتسائل:
_مَن تلك الدخيلة عزيزي!!

لم يُجيبها "ألبرت"، بل اكتفى بتسديد نظرات نارية نحو "مهرائيل" التي لم تُبالي به أو بنظراته المُحذرة، بل اقتربت أكثر وهي تُصيح بغضب مُوجهة حديثها له بلغته الأم:
_مَن تلك الفتاة "ألبرت" وماذا تفعل هنا!!

_للخارج "مهرائيل".

نطق بها ببرود يُنافي غضب عيناه، لتُشّيح أمام وجهه وصوتها بدأ يرتفع تدريجيًا:

حارة القناص

_ لن أخرج من هنا قبل أن أعرف من تلك الحقيرة وما
العلاقة التي تجمعكما.

وتلك المرة صاحت بها الفتاة التي اقتربت منها بهجوم ثم
نكزتها في كتفها وهي تردف بنبرة حادة:

_ أنتِ امرأةٌ قادرةٌ ولا يوجد سواكِ الحقيرة هنا، لا يكفي بأنكِ
عديمة الأدب ودخلتِ إلى هنا دون حتى الاستئذان!؟

نظرت "مهرايل" إلى كتفها مكان ضربتها، ثم همست
بفحيح:

_ دا أنتِ يوم أهلك مش معدي النهاردة.

قالت جملتها ثم هجمت عليها تضربها في أنحاء مُتفرقة في
جسدها حتى أوقعتها أرضاً وجلست هي فوقها حتى تتحكم
بها تمامًا، ولم تكتفي بذلك فقط؛ بل مدت يدها لجذب
خصلاتها الشقراء بين يديها حتى أخرجت بضعة خصلات
في يدها، كل ذلك في نفس الوقت الذي لم يكف به لسانها
عن سبها بحقد، ولم تشعر بدموعها التي تهبط من بين
جفنيها رغم غضبها.

حارة القناص

تملك الغضب من "ألبرت" وشعر بصبره قد بدأ بالنفاز، انحنى بجسده على "مهرائيل" ثم حاول إبعادها عن الفتاة المسكينة التي تصرخ أسفل قدميها لطلب النجدة، في البداية ظن أن الأمر سيكون سهلاً لإبعادها، لكن "مهرائيل" كانت مُهتاجة بطريقة غريبة جعلته يتعجب لها، وبقوة مقصودة منه قام بجذبها من خصرها حتى حملها عن الأخرى.

حاولت "مهرائيل" التملص من بين يديه بكل قوتها لكنه لم يتركها، بينما "ألبرت" نظر للفتاة قائلاً بنبرة جامدة تشوبها بعض الحدة:

فلتذهبي الآن "ريتاليا".

وقفت "ريتاليا" في مكانها بصعوبة وهي تتأوه بألم، وبعد أن سيطرت على توازنها أردفت بحقد وهي تُشير نحو "مهرائيل":

إن لم تجلب لي حقي من تلك الحقيرة؛ أقسم بأن أقتلها.

وتلك المرة صرخ بها "ألبرت" بصوتٍ مُهتاجٍ غاضبٍ بعد أن تخلى عن هدوئه:

قلْتُ لكِ فلتذهبي الآن واللعنة.

حارة القناص

ارتعش جسد "ريتاليا" بخوفٍ خاصةً وهي تعلم بأن غضب "ألبرت" لا يظهر إلا قليلاً، وإن ظهر يعني هذا بداية الهلاك، لذلك أومأت له بهدوء بعد أن ازدرقت ريقها بصعوبة حتى تستطيع التحكم بذاتها، ثم انحنت للأسفل والتقطت حقيبتها التي وقعت منها أثناء هجوم "مهرائيل" المفاجيء عليها، وبعدها انطلقت للخارج واختفت من الغرفة بأكملها.

بعد ذهابها؛ دفعها "ألبرت" بعيداً عنه بعنف حتى كادت أن تسقط على وجهها، استندت "مهرائيل" على المقعد قبل أن يصل جسدها إلى الأرض واستدارت له تُحدجه بغضب يشوبه الصدمة، اعتدلت في وقفته تزامناً مع اقترابه الهاديء منه وهمسه بفحيح:

ما الذي فعلتية الآن؟!

حاولت أن تمتلك غصة البكاء التي تكونت بحلقها في نفس الوقت الذي توقف فيه أمامها مباشرةً، كان فرق الطول بينهما هائلاً؛ فهي بالكاد تصل إلى آخر صدره تقريباً، ابتعدت عنه قليلاً حتى تستطيع رؤية وجهه ثم رفعت إصبع سبابتها وضربته عدة مرات في صدره وهي تقول بعنف:

من المفترض أن تسأل ذاتك هذا السؤال، ما الذي فعلته الآن؟!

حارة القناص

احتدت عيناه غضبًا فجز على أسنانه مُحاولًا ألا يُلصق
جسدها في الحائط من خلفها، ثم تحدث بهدوءٍ مثير
للإستفزاز:

_ لا تُخرجني أسوأ ما بي "مهرايل"، أقسم إن تركتُ غضبي
يتحكم بي سأقتلك.

ورغمًا عنها تجمعت الدموع داخل مقلتها وهي تُجيبه
بصوتٍ مُرتعش:
_ أنت حقيرٌ "ألبرت".

رد عليها بلامبالاة وهو يُعطيها ظهره:

_ أعلم ذلك، والآن اخرجني من هنا ولا أريد رؤية وجهك هنا
مُجددًا، لا تنسي بأنك مُجرد ضيفة هنا.

رفعت أنظارها تُطالعه بصدمة، بينما هو أكمل حديثه ببرودٍ
وهو ينظر لنقطةٍ ما:

_ كل ما قُلته لك ليلة أمس انسيه، سأتزوج من "ريتاليا"
الشهر القادم.

حارة القناص

شعرت بالبرودة تتسلل إلى جسدها تدريجيًا وهي مُتصنمة مكانها، طالعته بأعين دامعة وإمارات الدهشة وعدم التصديق مُرتسمة ببراعة على معالم وجهها، وبعد عدة ثواني من الصمت؛ رفعت كفها لتمسح دموعها التي أغرقت وجهها، ثم أردفت بصوتٍ جامد:

__حسناً، أنت من اخترت ذلك.

قالتها ثم سارت عدة خطوات نحو الخارج، لكن قبل أن تخرج من الغرفة كُليًا؛ لمحت بعينها قطعة من الأنتيكات الموضوع بجانب باب الغرفة، لذلك انتشلتها على عجلة ثم استدارت له وقذفتها في اتجاهه قبل أن تصرخ به باهتياج:

__اللعة على من رباك يا حقير.

أردفت بها ببكاءٍ حاد قبل أن تستدير مُجددًا وتخرج من الغرفة بأكملها، لكنها لمحت حين خروجها "ريتاليا" وهي تبعد مُهرولة عن الغرفة، يبدو بأنها كانت تستمع للحديث بأكمله!!

بينما "آلبرت" نظر لأثرها الراحل بصدمة شديدة، كادت أن تقتله لولا انخفاضه للأسفل قبل أن تصطدم القطعة الأثرية برأسه!! رمش بأهدابه عدة مرات قبل أن يهمس بيأس:

جرؤ مُختل أقسم بذلك!.

تجمع أربعة من الشباب يعني الهلاك، ماذا إن تجمع فوق
العشرون رجلاً؟!

وصل كلاً من "يحيى، رائد، وليد، وسيف" إلى أسفل منزل
"هارون"، نظر "رائد" نحو "يحيى" ثم تحدث بضجر:
_كلمه يا عم وشوف أبوه فوق ولا لأ.

ضحك "يحيى" بخفة واستدار للجهة الأخرى حتى لا يرى
"رائد" ابتسامته ويتسبب في حنقه أكثر، ثم أخرج هاتفه
وطلب رقم "بادر" وانتظر قليلاً حتى يُجيب، وعلى الناحية
الأخرى كان "وليد" يُكمل قص حكايته لـ "سيف" الذي
يستمتع إليه بانتباه شديد:

_أصلاً عمتي دي ولية حربوءة وطول عمرها مكانتش
بتحب أمي عشان بتغير منها، وأنا آه كنت صغير بس
عفريت وكله إلا أمي، جت في مرة كانت ماسكة حوالي
عشرة كيلو لبن وراحة عشان تعمل طفح ليها ولجوزها،

حارة القناص

قومت كعبلتها وطلعت أجري، أصل معلش كُله إلا أمي،
متنامش هي زعلانة ودمعتها على خدها والحربوءة الثانية
تنام مبسوطة.

طالعه "سيف" بفخر ثم ربت على كتفه قائلاً بقوة:

_جدع ياض أنا فخور بيك، طب وإيه اللي حصل بعد كذا؟!!

كان "يحيى" يُتابعهم وهو يقلب عيناه بملل، طيلة الطريق
لم يصمت "وليد" عن الحديث عن حياته لـ "سيف" الذي
عرفه منذ الأمس فقط! بل روى له أيضاً عن "مختار
الأرمني" وقذارته وكأنه من بقية عائلته!

نظر "رائد" لـ "يحيى" قائلاً بانتباه:

_ها رد عليك ولا لسه؟!!

أخفض "يحيى" بضجر وهو يُخفض الهاتف عن أذنه:

_لا يا عم لسه مردش، تعالى نطلع وخلص يعني هي هتبقى
ضربة شبشب ولا أكثر!

نفخ "رائد" بغیظ ثم استدار نحو "سيف ووليد" وهو يقول:

حارة القناص

_ يلا يا حبيبي أنت وهو نطلع، مش هنقضي اليوم كله رغي
في ماضيكم القدر.

رمى "وليد" عقب سيجارته التي انتهى من للتو، ثم رد
عليه بهدوء:
_ يلا يا باشا.

صعد الأربعة شباب نحو الأعلى حيث الطابق الثاني، ثم
طرقوا جرس المنزل وانتظروا قليلاً حتى فُتح بعد ثوانٍ من
الانتظار، قطب "يحيى" جبينه عندما رأى شابان غريبان
يقفان أمامه ثم تسائل ببلاهة:

_ هو مش دا بيت الحاج "هارون"؟! هما عزلوا ولا إيه؟!

ضيق أحد الشباب عيناه ثم تسائل بحذر:

_ أنت "يحيى" صاحب "بادر"؟!!

لم يرتاح "يحيى" لهما وطالع إياهم بصمت، وزادت ريبته
أكثر عندما استمع لصوت صراخ يأتي من الداخل، فازدرق
ريقه بقلق قبل أن يجيبه بالنفي:

_ لأ مش إحنا، شكلنا جينا شقة غلط.

حارة القناص

وبكل غباءٍ اعترض "سيف" نافيًا بقوة:

_ في إيه يا "يحيى"؟! هو إحنا مش جايين لـ "بادر" صاحبك.

طالعه "يحيى" بنظراتٍ حارقةٍ وما كاد أن يفتح فاهه ليؤبّخه، حتى شعر بمن يضحك عاليًا والذي أردف بمزاح:

_ في إيه يا جدع أنت؟! مالك خايف كدا ليه؟!!

نظر "رائد" بريية للشباب الآخر والذي تحدث لتوه، ثم تسائل بحذر:

_ يعني انتوا مش عصابة؟!!

أجابه مؤكدًا:

_ لأ طبعًا إحنا عصابة، وقطع لسان اللي يقول غير كدا.

تأفف "وليد" ساخطًا من سخافة الموقف بأكمله، ثم دفع الشباب واقترب مُصافحًا أحدهم وهو يقول بترحيب:

_ أنا "وليد سعيد فريد".

حارة القناص

أجابه الآخر ضاحكًا:

_وأنا "مدثر ريان الطحاوي".

وصافحه الآخر بدوره مُعرفًا عن ذاته:

_وأنا "سليم يزن الراوي".

رد عليهم "وليد" مُبتسمًا:

_تشرفنا يا حضرات، فين الأخ "بادر" بقى؟!!

رد عليه "مدثر" حانقًا:

_أهو مرزوع جوا، عيل قفيل.

دلف "وليد" للداخل أولًا على الرغم من أنه لا يعرف أي منهم، وتبعه "يحيى" الذي صافح الشابان أيضًا وتحدث ضاحكًا:

_معلش أصل إحنا مستنيين نتقتل في أي لحظة فبناخد بالنا.

رد عليه "سليم" وهو يُمازحه:

حارة القناص

__ومالك بتقولها كدا ولا كأنك رايح دريم بارك؟!!

تنهد "يحيى" بدرامية وهو يُجيبه:

__أصل إحنا متعودين على كدا، وزى ما تقول كدا أكل العيش مُر يا بني.

دفعه "رائد" من الخلف والذي تحدث بغیظ:

__ما تخلص أدخل يا حبيبي هو إحنا هنفضل واقفين على الباب كتير كدا؟!!

طالعه "يحيى" بقتوط قبل أن يتبع "وليد" للداخل، فصافح "رائد وسيف" الشباب بدورهما ثم تجمعوا جميعًا بالداخل، لكنهم تصنموا بدهشة عندما وجدوا الصالة مُمتلئة على آخرها بالرجال، ليصعد صوت "وليد" ساخرًا بوقاحة:

__دا حتى مفيش حتة طرية تنعش القاعدة؟!!

وفي تلك الأثناء شهق "بادر" والتي تحدث صارخًا:

__يعني كمان مشغلين أغاني، وكمان عايزين تجيبوا نساء؟!!

حارة القناص

سخر منه "إسحاق" مُعانداً إياه:

_ اسمها نسوان يا أخ "بادر".

طالعهم "بادر" بنظراتٍ حارقةٍ ثم صرخ بهم بغضب:

_ انتوا ناس مش متربية وأنا لا يمكن أقعد بينكم يا عالم يا فاسقة، أنا ماشي.

وقف في مكانه بغضب بعد أن كان جالساً، ليُجلسه أخيه
"حمزة" بالعنف وهو يهتف بحنق:

_ أقعد يا أخي بقي ومتقرفناش معاك.

نفخ "بادر" بسخطٍ أثناء مُطالعتة بغضب، فوجّه رأسه نحو
"يحيى" الذي أردف بهدوء:

_ مش هتعرفنا يا "بادر" على الضيوف؟!!

وبعناد رد عليه قائلاً:

_ لأ متتعارفوش على دول هيبوظوكوا.

رد عليه "رائد" بلامبالاة:

حارة القناص

_ لآ عادي؁ اإنا كدا كدا بايظين ولا يهملك.

جاء "يعقوب" من الداخل جالبًا صينية كبيرة من العصائر ثم وضعها على الطاولة؁ وبعدها اتجه نحو "يحيى" مُحيطًا إياه من كتفه وهو يقول:

_ أنا هعرفكم عليهم؁ انتوا عارفين أخواتي من الزيارة اللي فاتت صح؟!

كاد "يحيى" أن يُوميء له؁ فتدخل "وليد" الذي كان يستند بظهره على أحد المقاعد قائلاً بهدوء:

_ أنا مش عارفهم.

_ يبقى نبدأ من الأول خالص وأعرفكم بينا كلنا.

قالها ثم بدأ للإشارة لكل واحدٍ منهم وبدأ بالتعريف عنهم:

_ دا أخويا "عمران هارون"؁ ودا "بدران هارون"؁ ودا بدير هارون؁ ودا بادر هارون؁ ودا مصعب هارون؁ ودا حمزة هارون؁ ودا مدثر الطحاوي؁ ودا سليم الراوي؁ ودا إسحاق موسى؁ ودا سليمان محمود؁ ودا رياض الراوي؁ ودا عدي النويهي؁ وأنا يعقوب هارون".

حارة القناص

رمش "وليد" بأهدابه عدة مرات علّه يتذكر أي اسمٍ مما
قاله، ليهتف بعدها ضاحكًا:
_ ياريتني ما سألتِ.

_ أنا اللي كسبت، أنت حرامي يلا.

هتف "بدير" بتلك الكلمات مُوجهاً إياها لـ "رياض" الذي
هتف بمسكنة:

_ إخص عليك بقي أنا حرامي؟! شكرًا يا عم.

التوى ثغر "بدير" بسخط والذي أمسكه من ياقة ثيابه وهو
يقول:

_ لأ حركاتك دي مش هتدخل عليا المرادي، أنا مش أهبل.

رد عليه "رياض" باستخفاف وهو يُحرك حاجبيه معًا:

_ ما الحركات دي دخلت عليك المرة اللي فاتت!

أجابه "بدير" بإجابة مُقتعة:

حارة القناص

__ ما المرة اللي فاتت كنت أهبل، لكن المرادي لأ.

طالعه "رياض" بقنوط والذي أردف ضاجراً:

__ يعني عايز إيه أنت دلوقتي؟!!

هزه "بدير" من ياقة ثيابه وهو يقول بسخط:

__ طَّع الولاد اللي معاك كدا إما أشوف جبت الولد الخامس دا
منين!

إن قيل بأنهم في عالم موازي فهذا خطأ، بل أنهم في عالم
موازي للعالم الموازي بعيداً عن عالمنا بأكمله، شخصان
سخيفان اجتمعا معاً ماذا تظن منهم مثلاً؟! هل سيخترعان
شيئاً يُفيد العالم؟!!

تدخل "رائد" في الحديث الذي اقترب منهم جالساً
القرفصاء:

__ مما تلعبوني معاكم الله يستركم.

ترحزح له "بدير" قليلاً ثم أردف مُرحباً:

__ تعالى يا صحبي اقعد وهنفرق الورق من أول وجديد.

هز الجميع رؤوسهم بياس على كم هذا الغباء المُتمثل في
هؤلاء الثلاثة، بينما "وليد" طالعهم بضجر مرة أخرى
وتسائل مرة أخرى بوقاحة:

_أيوا مقولتوش برضه فين النسوان؟!!

وتلك المرة رد عليه "مدثر" باحترام:

_استغفر الله يا أخ "وليد" نسوان إيه بس؟! إحنا رجالة
متربيين ومحترمين ومتجوزيين وملناش في قلة الأدب دي.

تشنج وجه "إسحاق" تلك المرة والذي مال عليه هامسًا:

_ما بلاش أنت يا صاحب الأخلاق الخليعة.

نظر إليه "مدثر" بتحذير:

_ولد؟! أنت إزاي تتكلم معايا كدا يا قليل الأدب؟! أنت
نسيت إني أكبر منك بسبع سنين ولا إيه؟!!

تجدد وجه "إسحاق" مُتشنجًا، ثم صاح باستنكار وهو يُشيح
بيده أمام وجهه:

_ياخويا اتلهي، دا أنت أتفه واحد فينا أساسًا.

طالعه "مدثر" بطرف عينه دون أن يُجيبه، لكن وجهه كان
مُضحك للغاية، كتم "إسحاق" ضحكته وأدار وجهه للناحية
الأخرى، بينما "بدران" هب من مكانه قائلاً:

ـ اشربوا العصير يلا يا شباب لحد ما نشوف حاجة نعملها
في ليلتنا دي.

وبالفعل التقط كل منهم كأس من العصير، بينما "سليم"
توجه نحو غرفة الشرفة ليُدخن سيجاره، ذهب خلفه "وليد"
والذي وقف بجانبه مُستنداً بذراعيه على سور الشرفة،
وقبل أن يعي "سليم" لمن يقف جواره؛ فوجيء بـ "وليد"
ينتشل سيجاره من بين اصبعيه ويضعها في فمه هو عند
قوله:

ـ معاك سيجارة؟!!

التوى ثغر "سليم" بابتسامة حانقة وهو يقول:
ـ ما شاء الله عليك، بتستأذن؟! ما أنت أخذتها خلاص.

نفخ "وليد" الدخان من بين شفتيه قبل أن يُجيبه بلامبالاة:
ـ لأ قصدي معاك سيجارة تانية؟! سجايري خلصت.

انتشل "سليم" السيجار منه مُجددًا وهو يقول:
_ لا مش معايا دي واخدها من واحد صحبي، أبويا بيز عقلي.

مازحه "وليد" بقوله الضاحك:
_ يوغتي بطة بابا بيز عقلك يا بيضة!!

كان يظن بأنه سيغضب، لكنه وجد ابتسامة ساخرة تتشكل
على ثغر "سليم" الذي نفخ دخان سيجاره بهدوء:
_ ليك حق تقول كدا، ما أنت مش عارف مين "يزن
الراوي".

قطب "وليد" جبينه وتساءل بجدية:
_ مين "يزن الراوي"؟! حاسس إني سمعت الاسم دا قبل
كدا.

فتح "سليم" فاهه ليتحدث، لكنه صمت فجأة عندما استمع
إلى صوت فرقعة عالية تأتي من الأسفل، يبدو أن الأطفال
يلعبون بالمفرقات، لكن ما حدث من "وليد" كان غريبًا،
حيث أخرج سلاحه من جيب بنطاله بسرعة ظنًا منه بأنهم

حارة القناص

قد تبعوه إلى هنا، لتتشكل ابتسامة ساخرة على ثغر "سليم"
والذي أردف بترحيب:

_ أهلاً!! دا أنت شكلك حكايتك حكاية.

اطمنن "وليد" قليلاً بعد أن تأكد أن الصوت من الأطفال
بالأسفل، ثم أدخل سلاحه مرة أخرى ونظر لـ "سليم" قائلاً:

_ بقولك بيدورا عليا عشان يقتلونني، والموضوع مش ضحك
أو هزار، دا بجد.

_ ليه؟!!

تسائل بها "سليم" أثناء سحبه من عقب سيجاره، ليرد عليه
"وليد" بهدوء وهو يعود لوضعه مُجدداً:

_ خونت حِتة ثقيلة في البلد.

_ جدع.

هتف بها "سليم" ددون أن يتطراً لداخل الحديث أكثر،
ليُطالعه "وليد" بتعجب من عدم فضوله والذي يظهر على
المُعظم غالباً، فاستمع بعدها لبقية حديثه والذي أردف به:

حارة القناص

_لو عايز أي مساعدة قولي وأنا هقول لبابا يساعذك، وأكيد مش هيتأخر ثانية طالما أنت في السليم.

استدار له "وليد" بكامل جسده وتساءل بانتباه:
_وأبوك هيوافق؟!

رد عليه "سليم" بثقة شديدة:
_طبعًا يابني، استنى هكلمهولك وخذ أنت كلمه.

أومأ له "وليد" بجدية، فأخرج "سليم" هاتفه وعبث به قليلًا حتى وصل إلى رقم والده ثم قام بالإتصال به، انتظر لثوانٍ حتى أتاه الرد، ليتحدث "سليم" باحترام مع والده كعادته:

_بابا كنت عايزك في حوار كدا.

_لأ.

قالها "يزن" باختصار قبل أن يُغلق هاتفه في وجه "سليم" الذي نظر للهاتف مصعوقًا!!!

_يعني إيه مش لاقيينه؟! إيه الأرض انشقت وبلعته?!!!

صاح "مختار" بتلك الكلمات بغضب جامح بعد أن أخبره الحارس بعدم عثورهم على "وليد" الذي اختفى كُليًا، فتح الحارس فمه للتحدث فأردف بتلعثم:

_يا.. يا باشا دورنا في كل مكان بيروحه والله، ملهوش أثر في أي مكان.

احتدت عيني "مختار" بغضب عارم، فهب من مجلسه واستدار له بسرعة كبيرة حتى بات يقف أمامه مباشرةً، أمسك بالحارس من تلايب ثيابه بعنف ثم صرخ به بحدة:

_قسماً بالله لو ملقتهوش لحد بكرة ما هيطلع عليك نهار.

ارتعدت أوصال الآخر برعب ثم أوماً له مُسرعاً حتى يتجنب غضب سيده، وبتلعثم واضح قال:

_ح.. حاضر يا باشا.. اللي توامر بيه.

دفعه "مختار" بغل أمراً إياه:

_اطلع برا ومتورنيش وشك غير وهو معاك.

أوماً لها الحارس ثم استدار وخرج من المكتب بأكمله وهو يرتعش خوفاً، يعلم بأن الرجال مثيلة "مختار الأرماني" لا

يعرفون الرحمة أو التهديد، بل يُنفذون مهام القتل دون حتى أن يرف لهم جفن.

بينما "مختار الأرماني" ظل يدور في الغرفة ذهابًا وإيابًا وعقله يكاد أن ينفجر من فرط التفكير، لقد أصبحت سيرته على المحك وسط رجال الأعمال، حتى أمواله! استثمرها جميعًا في شركة "ميلانو شيفت" التي انفجرت بروسيا، ضاعت ثروته وضاع كل شيء كان يُخطط له، حتى "صهيب" الذي قام بإنقاذه من الموت منذ أن كان صغيرًا قام بخيانتته.

جز على أسنانه بحقد وهو يتذكر ردة فعل شقيقه "نادر" على الكارثة التي هبطت فوق رؤوسهم، لقد هدده بفض شراكته معه وفضحه إن لم يأتي بأمواله التي وضعها معه، وبالطبع تلك الأموال قد وضعها في استثمار شركة "شيفت"، جلس على المقعد خاصته وظل يهتز للأمام وللخلف وهو يفكر بتمعن في كيفية جلب الأموال بطريقة سريعة لتعويض الخسائر، وبالطبع عقله لم يهديه إلى خيار واحد، وهو تجارة الأعضاء.

غداً ستكون عملية لشابٍ في ريعان شبابه محجوز بالمشفى منذ أسبوع تقريبًا، وطيلة ذلك الوقت لم يجد من يأتي لزيارته، وفي العادة يختار ضحاياه إما من الطبقة الفقيرة

الجاهلة، وإما الأشخاص من دون عائلة حتى يضمن نجاح عملياته دون وجود أي عوائق، وللأسف الشديد وقع الاختيار على الشاب المسكين.

نفخ بغيظٍ عندما تذكر أمر الأوراق التي يُدين بها "صهيب طاحون"، لكن ولسوء حظه لم يجدها، بل وجد خزنته فارغة ومعها اختفت أوراق الشُّحنات التي كانت ستتم بروسيا ومصر، لذلك قام بتأجيلها على الفور، كل شيء من حوله خرب تمامًا ولم يتبقى سوى القليل الذي بالكاد سيُساعده، لقد مات "صفوت" وترك له ابنتان لا يراهما على الأغلب، وتبقى "نادر" والذي يقوم بتهديده، ومعه ابنه "أنس" الذي ترك عمله بعد أن خسرت شركته جميع أموالها، بعد أن تم سحب الأموال من قِبَل المُستثمرين بسبب أعماله الغير شرعية.

شعر بالدوار يُصيبه من فرط التفكير، فاعتدل في مكانه ثم التقط كوب المياه وارتشف منه القليل قبل أن يهمس بحقد:
_ماشي.. ماشي يا "وليد".

وعلى الجانب الآخر في نفس القيلا، وخاصةً في الطابق الثاني حيث غرفة "أنس الأرماني"، كان يقف أمام حوض المرحاض يتقيأ كل ما في جوفه شاعرًا بمعدته تكاد أن

حارة القناص

تفتت من قوة الألم الذي بها، استند على صنوبر المياه
وكلتا يديه مُستقرة على معدته من الخارج وصوت تأوهات
يعلو بالتدريج، لم تكن تلك هي المرة الوحيدة التي يشعر بها
بهذا الألم ويتقيأ، لكن تلك المرة مُختلفة تمامًا، حيث كان
تقيؤه مصحوبًا بالدماء التي امتزجت مع جرح حنجرته
فتسببت في نزيفها هي الأخرى.

مرت دقيقة كاملة وهو على حالته تلك، يقف مُستندًا أمام
حوض المراة وصدرة يعلو ويهبط بألم، رفع رأسه للأعلى
فلاحظ ملامح وجهه التي تحولت للشحوب والاصفرار فجأة،
عيناه باتت لونها مُماثلًا للون الدماء، وقل ألم معدته قليلًا
بعد تقيؤه.

استند على الحائط ثم توجه نحو الخارج وسار عدة خطوات
أخرى وارتمى على فراشه الوثير، نظر إلى ساعة الحائط
فوجد أن الرؤية باتت مشوشة أمام عيناه ولا يرى بطريقة
سليمة، لذلك قرر استشارة الطبيب غذا ليُعلمه عن سبب
حالته ويُعطيه دواءً لتخفيف ذلك الألم.

أغض عيناه لكي يرتاح قليلًا، لكنه استمع إلى صوت الباب
تلاه دخول الخادمة التي أردفت بصوتٍ مُتوتر لم يلاحظه
بسبب تعبته:

حارة القناص

_اتفضل يا "أنس" بيه كوباية العصير دي، حضرتك تعبنا
من الصبح ومحطتش حاجة في بطنك.

ولعدم وجود شيء بمعدته اعتدل قليلاً مُستنداً على ذراعه،
ثم مد يده ليلتقط كوب العصير وهو يقول بانهاك:
_هاتي يا "دلال".

مدت "دلال" يدها له بكاسة العصير وهي ترتعش خوفاً،
خاصةً وهي تعلم بأن حالته تلك بسبب العصير الذي تُعطيه
لها "ريماس" بعد أن تضع له بعض الحبوب المجهولة
بالنسبة لها، انهى "أنس" ارتشاف العصير بأكمله لشعوره
بالعطش الشديد، ثم همس لها بعد أن ارتمى بجسده للخلف
بانهاك:

_اخرجي واقفلي الباب وراكِ كويس يا "دلال".

أومأت له المدعوة "دلال" بسرعة وهي تلتقط من الكوب
الفارغ، ثم هرولت للخارج وهي ترتعش خوفاً من أن يُصيبه
أي مكروه وتُسجن هي.

حارة القناص

باتت الساعة الثانية عشر صباحًا، لقد ناما كلاهما بعمق
يتمتعان بدفئ بعضهما البعض، تمللت "أهلة" في نومتها
بكسل فشعرت بأحدهم يُقصر من حركتها، فتحت عيناها
بتروٍ فقابلها وجه "قاسم" النائم بثباتٍ عميق، تحول وجهها
للغيظ عندما تذكرت آخر ما حدث بينهما وتركه لها والذهاب
دون حتى أن يُواسيها، لكنها لم تعلم أنه فعل هذا بسبب
صدمته ليس إلا.

حاولت الفكاك من بين ذراعيه التي تُحيطان بخصرها لكنها
لم تستطيع، فلقد كان يمسكها وكأنها ستذهب بعيدًا، كما لو
كان سيُدخلها داخل أضلعه، عناقه كان بمثابة اعتذارٍ لها
لكنها لن تُسامح بسهولة، وبعنفٍ مقصود قامت بالصراخ
بجانب أذنه تمامًا مُنادية عليه:

_"قاسم".

انتفض "قاسم" مُبتعدًا عنها بفرع فتسائل بتيهة وصعوبة
في فتح عينيه:
_إيه في إيه؟!!

ردت عليه "أهلة" باستفزاز وهي تبتعد عن الفراش:

حارة القناص

_مفيش حاجة يا عسل، أنا قولت أصحيك أصلك طولت في نومتك أوي.

رمش بأهدابه عدة مرات وهو يُطالعها بعدم تصديق، لتبتسم هي بانتصار شديد ثم استدارت في نية للتوجه نحو المرحاض، لكنها شعرت بشيء ثقيل يصطدم في ظهرها تبعها صراخ "قاسم" بغیظ:

_لأبقى ما هو أنا مش عشان كنت طيب وبقولك كلام حلو الأيام اللي فاتت تهيصي فيها، هتسوقي العوج هسوقك العربية وأنا في السواقة معنديش يامًا ارحميني.

مسدت على ظهرها بألم وهي تُطالعه بحقد، ليجدها تتحدث بفحيح وهي تقترب منه:

_أنت قد اللي أنت عملته دا؟!!

ورغم نبرة التحذير التي كانت بصوتها، رد عليها مُجيبًا إياها بتحدٍ:

_آه قده، هتعملي إيه يعني يا بتاعة أنتِ.

_أنا هوريك البتاعة دي هتعمل فيك إيه.

قالت جُمَنتها ولم تُعطي له الفرصة للإستيعاب، حيث عادت مُهرولة له ثم قفزت على الفراش ودفعته للخلف بقوة أدت إلى سقوطه على ظهره، ولم تكتفي بذلك فقط، بل مالت على كتفه وغرزت أسنانها به لتعضه بحقد، علت صرخاته بألم؛ فأمسكها من خصلاتها بغضب وأبعدها عنه، وبعدها أمسك بكفها وقام بغرز أسنانه به مثلما فعلت هي في ذراعه، لتتعالى صرخاتها هي الأخرى بألم، لكنها لم تصمت، بل أمسكت بخصلاته وجذبتها لها وهي تصرخ فيه بتحذير:

_ أنا مش عايزة أتغابي عليك وربنا!._

عض على أسنانه بغيظ بسبب جذبها لخصلاته الطويلة
فصرخ بها بدوره:

_ يمين بالله يا "أهلة" مما هديهاك._

استشعرت تهديده وغضبه الحقيقي لذلك خفتت من قبضتها
وأردفت بنهيج:

_ خلاص سيب وأنا أسيب._

تركها "قاسم" وقامت هي بتركه هي الأخرى، وما إن أبصرت وجهه؛ رأت عيناه كادت أن تُخرج شرراً من شدة الغضب، ابتعدت عنه بقدمها ثم تشدقت بتوتر:
_ في إيه؟! أنا.. أنا بهزر معاك على فكرة و..

شَهقت بفزع وابتلعت بقية حديثها عندما جذبها من قدمها وقربها منه على بغتة، ابتلعت ريقها بتوتر وكالعادة رسمت ابتسامة بلهاء على ثغرها لتُقل من حدة الموقف، اقترب منها بوجهه ثم همس بفحيح:

_ أنتِ عارفة لو حد غيرك اللي عمل العملة دي أنا كنت هعمل فيه إيه؟! قسمًا بالله كنت هكسر إيدته اللي فكرت تتمد عليا.

رمشت "أهله" بعينها عدة مرات وردت عليه قائلة:

_ ما هو أنت اللي غلطان وأنا متغاضة منك ومش طايقاك، أنت كنت حلوف معايا وأنا زعلت منك أوي.

تركها ثم اعتدل في وقفته قائلاً وهو مُقطب الجبين:

_ ما تحطي نفسك مكاني، أنا جالي وقت لا عرفت أتكلم ولا حتى أتحرك، وعلى ما فوقت لنفسي لقيتك دخلتني الحمام فخرجت أنا من الأوضة، كان فيه مليون سؤال في دماغي

حارة القناص

ولو كنت فضلت أكثر من كذا مكنتش هسيبك قبل ما أعرف
كل حاجة، وأنتِ حالتك مكنتش تسمح بدا.

انتفضت من مكانها بحدة قائلة بدورها:
_مش مبرر على فكرة.

تشنج وجهه وهو يتسائل بسخط:
_والله؟! وهو فيه مبررات أكثر من كذا؟! بقولك أنا من
الصدمة تنحت، تنحت ومبقتش عارف أقول إيه.

تززع ثباتها لعلمها الشديد بحقيقة حديثه، الصدمة كانت
كبيرة عليه وعلى الجميع، لكنها وبالرغم من ذلك أردفت
بعناد:

_مش مبرر برضه.

اغتاظ أكثر من تحديها وعناده، فلم يجد سوى رفعه لكفه
ودفعها للخلف لتفترش السرير بظهرها، تركها تنظر إليه
بصدمة ثم تتم بسخط:

_دا أنتِ غتة.

تجمع الشباب حول الطاولة الكبيرة التي اتسعت إليهم جميعًا
مُستمعين بانتباه نحو "وليد" الذي أنهى حديثه مُتتهدًا:
_وبس يا شباب، هو دا كل اللي حصل معايا.

نعم فما تُفكرون به حدث بالفعل، لقد قص لهم "وليد" ما
حدث في حياته بأكملها كعادته عندما يجد أصدقاء جُدد،
مصمص "مصعب" على شفثيه قائلاً بمسكنة:

_عيني عليك وعلى شبابك يا بني!! يعني أنت كدا المفروض
تتقتل؟!!

أكد له "وليد" وهو يُوميء برأسه في حسرة:
_للأسف شديد آه.

وكعادة "مصعب" المُتتمرة أردف بصراحة مُغلقة بالوقاحة:
_وأنت هتلاقي قبر يلمك بكرشك دا؟!!

تشنج وجه "وليد" باستنكار شديد وحول أنظاره تلقائيًا نحو
معدته المُنتفخة بالفعل، ليُصيح به بسخط وهو يصرخ:

حارة القناص

_ دا مش كرش ياض دا القاولون، أنا لما اتعصب أو أتوتر
بطني بتتنفخ وبقى شبه الست اللي في السابع.

أيده "رياض" الذي دعم حديثه بحسرة:

_ وأنا زيك والله يا "وليد" يا صحبي، لكن الأوباش اللي
شبه "مصعب" مش بيسيبيوا المساكين اللي زينا في حالهم.

طالعه "مصعب" بتشنج، ليحمم "رياض" مُصححًا قوله:

_ مش مساكين أوي يعني، بس المهم إننا مساكين.

كان "مدثر" صامت يفكر في حلٍ لتلك المُعضلة الكبيرة،
ليضرب كفيه ببعضهما البعض بعد أن أنار بعقله فكرة ذكية
للغاية:

_ إحنا نكلم "يزن الراوي" وهو اللي هيحللنا الموضوع.

رد عليه "سليم" ساخرًا:

_ كان على عيني بس اتهزقتا والتليفون اتقفل في وشنا ولا
ولاد الشوارع.

حارة القناص

نفخ "يعقوب" بيأس والذي وضع كفه أسفل ذقنه وهو يقول
بسخط:

_طب وهنعمل إيه دلوقتي؟! الواد حياته على المحك
وهيموت لو لقوه.

وتلك المرة تدخل "رائد" ساخرًا:

_وخط معاه "يحيى" كمان، لو عرفوا إن هو عايش
هيتصفي معاه.

نظر "يحيى" لـ "وليد" بابتسامة واسعة، ثم مال عليه
واحتضنه وكذلك بادلته "وليد" الاحتضان وهو يضحك
بصخب أثناء قول "يحيى" الأبله:

_هنموت سوا ياض.

ربت "وليد" على ظهره والذي أردف بمزاح:

_وهندفن سوا كمان.

وببلاهة شديدة تحدث "سيف" حانقًا:

_طب وأنا؟!!

حارة القناص

رد عليه "عمران" بتشنج:

_ أنت كمان إيه؟!!!

أجابه "سيف" ببساطة:

_ عايز أموت معاهم.

دعمه "رياض" بابتسامة واسعة:

_ خدوني معاكم يا اخواتي.

فتدخل "بدير" متحمسًا:

_ وأنا وأنا.

انتفض الجميع بفزع عندما استمعوا إلى ضربة غاضبة من يدٍ قوية هبطت على الطاولة، نظر الجميع للفاعل فوجدوه "مدثر" الذي يقطب جبينه بغضب مُعاكس لشخصيته الحقيقية، لكن ثوانٍ ما انمحي تعجبهم وحلّ محله الخبث عندما تشدق "مدثر" بنبرة عابثة:

_ طب وليه نستتاهاهم لحد ما يلاقونا في حين إن ممكن إحنا اللي نروحلهم بنفسنا!!

حارة القناص

تبادل الجميع نظرات خبيثة كانت تكفي لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك، فذهاب سبعة عشر رجل من أجل القتال يبث الرعب في القلوب، خاصةً وإن كانوا من نوعية الشباب العابثة مثلهم تمامًا!!

مد "مدثر" يده للأمام ووضعها بالمنتصف ثم تسائل بنبرة مأكرة:

__ها يا رجالة موافقين؟!

وما إن وضع يده حتى وجد الجميع يضعون أيديهم فوق خاصته مُرددين بصوتٍ جهوري قوي:

__موافقين طبعًا.

وهنا صعد صوت "بادر" الذي ردد برفضٍ وإصرار:

__لأ طبعًا مش موافق على المهزلة دي.

قاطعته شقيقه "حمزة" والذي تشدق بصرامة:

__هتيجي ورجلك فوق رقبتك يا شيخ "بادر"، أنا أخوك الكبير يا قليل الأدب ولا بُد إنك تسمع كلامي.

خرج "قاسم" من المرحاض وهو يُجفف خصلاته المُبللة بالمنشفة بعد أن أخذ حمامًا دافئًا ليُريح به أعصابه المُتوترة، لمح بطرف عينه "أهلة" التي وقفت أمامه بطريقة طفولية بعض الشيء وهي تُطالعه ببراعة، رفع حاجبيه باستخفاف ورسم على شفثيه ابتسامة جانبية ساخرة وهو يتسائل:

_خير يا أستاذة!؟!

شبكت "أهلة" كفيها معًا وجسدها يهتز للخلف وللأمام بهزات رتيبة وهي تقول:

_متزعلش مني.

تصنع "قاسم" الجمود وربّع ذراعيه معًا أمام صدره وهو يسألها بصرامة:

_يعني ينفع اللي أنتِ عملتيه دا؟!!!

شعرت بالخجل من ذاتها فهزت رأسه بالنفي دون أن تتحدث، فعاد هو ليتسائل مرة أخرى بنفس الصرامة:

حارة القناص

_فيه واحدة مؤدبة ومحترمة تعمل في جوزها كدا؟!!!

وللمرة الثانية تهز رأسها بالنفي وهي تُطالعه ببراعة،
فتسائل مُجددًا وهو يقطب جبينه بحذر:

_هتعملي كدا تاني؟!!!

وكانت إجابتها نفس الإجابة، حيث هزت رأسها بالنفي وهي
تقول بصوتٍ خفيض:

_لأ مش هعمل كدا تاني.

تبدد الوجود من على وجهه وحل محله ابتسامة صافية من
برائتها التي لا تظهر إلا معه تقريبًا، ففتح ذراعيه لها أثناء
قوله المُشاكس:

_حيث كدا بقى تعالي في حضن عمو.

اتسعت ابتسامتها على آخرها فذهبت لإحتضانه وهي تضحك
بخفة، بينما هو أحاط بها بقوة ثم قبّل جانب عنقها وهو
يقول بتهيدة عاشقة:

_هحبك أكثر من كدا إيه بس؟!!

حارة القناص

ردت عليه "أهلة" بمشاكسة:

_حبني وأنت ساكت بقي علشان إحنا بنتحسد.

أجابها "قاسم" بسخرية:

_دا إحنا ياريتنا بنتحسد بس، دا إحنا بنتهان وعهد الله.

أومات له "أهلة" بضحك وهي تدفن ذاتها أكثر بين أحضانه
لتنمتع بدفئ جسده، لكنها شعرت بجسدها يبتعد عن خاصته
ونظراته الحارقة تُسدد إليها بعدما انمحت ابتسامته وجاء
بدلاً منها الوجوم:

_هي مش دي هدومي!!

وكعادتها أجابتها بمشاكسة وهي تحرك حاجبيها معاً:

_توتو، دي هدومنا.

لوى شفتيه بسخط وهي يدفعها بعيداً أثناء قوله:

_طب روعي ياختي البسي طرحتك علشان هننزل تحت.

قطبت جبينها بتعجب وهي تتسائل:

__هننزل تحت نعمل إيه؟!!!

أجابها بهدوء:

__هننزل نعمل أي أكل وناكل عشان مفطرناش، وكمان "صهيب" ومراته مستتينا تحت عشان عايزينكوا في حوار كدا.

ضيقت "أهلة" عيناها بشك، فوجدته يُزجر بها قائلاً:

__يلا يا حبيبتي البسي حجابك عايزين ننزل.

أومأت له رغم القلق الذي بدأ ينهش بفؤادها، ثم اتجهت نحو الخزانة وأخرجت حجاب من اللون الأسود ليلىق مع التيشرت الذي كانت ترتديه من اللون الأبيض وتتوسطه كلمة كبيرة في المنتصف من اللون الأسود.

بعد خمس دقائق، هبط كلاً من "قاسم وأهلة" إلى المطبخ، ليجدوا "صهيب" يُشاكس "حبيبة" بوضعه لبعض الدقيق على وجهها مُستمتعاً بحنقها منه، رفعاً أنظارهما عندما لمحا الآخران يذفان إلى المطبخ، لتتسع ابتسامه "حبيبة" فور رؤيتها لـ "أهلة"، فتحركت من مكانها وذهبت لإحتضانها، عانقتها "أهلة" بحب ثم تسائلت باهتمام:

_ عاملة إيه يا "بيبة"؟!_

ردت عليها "حببية" بود:

_ الحمد لله كويسة.

بينما "صهيب" نظر لشقيقه وهو يُحرك شفثيه يمينًا ويسارًا
كحركة شعبية شائعة تدل على الخوف والإستكار.

حمم "صهيب" بجدية ثم جلس على المقعد بجانب شقيقه
قائلًا:

_ تعالوا اتفضلوا اقعدوا انتوا الاتنين جنب بعض عشان
عايزينكم في موضوع ضروري.

نظرت كُلاً من "أهلة وحببية" لبعضهم البعض بريبة،
فأمسكت "أهلة" بيد "حببية" ثم اتجهوا نحو الطاولة الاي
يجلسون عليها، وجلسوا بجانب بعضهم وفي المقابل
للرجال، وهنا بدأ "صهيب" حديثه بجدية:

_ طبعًا اللي إحنا هنقوله دا هيكون صدمة بالنسبة ليكم بس
انتوا لازم تعرفوا الحقيقة.

حقيقة إيه؟!!

تسألت بها "أهله"، ليُجيبها "قاسم" بدون مُراوغة:
_ أنتِ و"حبيبة" أخوات مش ولاد عم.

رغم تأخر الوقت؛ خاصم النوم جفنيها ولم تجد راحتها بالنوم، لذلك قررت ارتداء ملابس ثقيلة والهبوط إلى حديقة المنزل الواسعة، لفح الهواء البارد بشرتها البيضاء فتسبب في احمرار خديها بطريقة لذيذة، أغمضت عيناها الزيتونتان الحمراءتان لتستمع بالأجواء من حولها، ورغم هدوئها وصمتها كان يكون ضجيج كبير بفؤادها، تنهدت "مهرايل" بثقل وعقلها لا ينفك في طرد حديثه الذي ضرب فؤادها بقوة آلمته، كانت تظن بأن الأمر سيمر خلال ساعات، لكن يبدو بأنه أكبر من ذلك بكثير!

شعرت بمن يأتي وقف بجانبها فوجدته هو! ذلك المُتسبب في دموعها وألم فؤادها، طالعت بحقدٍ وبنظراتٍ هجومية لم تُقلل من برودة وجهه، طالعت جانب وجهه بغضب ولم تشعر سوى بدموعها الساخنة التي هبطت على وجنتيها، ابتلعت ريقها بصمت ثم قررت الذهاب والابتعاد عن مصدر ألمها، وما كادت أن تفعل؛ حتى وجدته يمسك بكفها طالبًا منها بصوتٍ هامسٍ لم تستطع تحديد ماهيته:

_ لا تفعلي "مهرايل".

جذبت كفها من بين يده بعنف ثم صرخت به وهي ترفع
إصبع سبابتها أمام وجهه:

_ إياك ولمسي مُجددًا، أسمعت؟!!

ظلت ملامحه ثابتة فابتعدت هي بظهرها قائلة بنبرة
مُنكسرة:

_ أنا مُجرد ضيفة فقط كما قُلت، سأرحل عندما يحين الوقت
وأُخلصك من إزعاجي.

قالت جُملتها الأخيرة بألم شديد ولم تعي لنبرتها المُرتعشة
التي تحدثت بها، وما إن أنهت حديثها حتى هرولت من
أمامه وسمحت لذاتها بالبكاء مرةٍ أخرى، لم تكن تعلم بأنه
قد تسلل لفؤادها دون أن تعي، يبدو بأنها ستُعاني فيما بعد
لنسيانه، ستُعاني لنسيان حُبه!

نظر هو لأثرها بصمتٍ وجمود، وما إن اختفت عن الأنظار؛
حتى همس راجيًا مُكرّرًا جُمَلته السابقة:

_ لا تفعلي "مهرايل".

وبمكانٍ آخر مليء بالصخب والموسيقى والأجساد العارية،
تجلس "ريمانا الأرماني" على إحدى الطاولات وهي ترتشف
من كأس نبيذها، ذهب عقلها ولم يتبقى منها شيء سوى
جسدها العاري الذي يتمايل بكل فجور بين أجساد الرجال
الراقصة.

جذبها أحد الشباب نحو طاولة يرتص عليها الكثير من
الفتيات والشباب ذو الأخلاق المنحطة، منهم من يشرب
نبيذ، ومنهم من يشرب سيجارًا، ومنهم من يستنشق
العقاقير المُخدرة!

جلست "ريمانا" بجسد مُتمايل غير واع، فمد أحد الشباب
يده لها بمادة وهو يغمز لها بعث: _خدي يا "ريمو" جربي
النوع دا خطير وهيعجبك، بس متكتريش منه.
أخذته منه "ريمانا" وهي تضحك بخلاعة قائلة:
_متخافش يا برو أنا متعودة.

وضعت تلك اللقافة المليئة بمادة بيضاء غريبة على الطاولة
الزجاجية والتي كانت مليئة بكل أنواع الخمر والمُحرمات،

حارة القناص

ثم ظلت تستنشق منها بعنف، شعرت بمن يجذبها من يدها
ليمنعها من استنشاق أكثر من ذلك لكنها دفعت يده بقوة
وأكملت في فعلتها، ولسوء حظها كُتِم صدرها بتلك المواد
وظلت تسعل كثيرًا حتى احمر وجهها وباتت لا تستطيع
التنفس بطريقة طبيعية، توترت معالم أصدقائها وتلبسهم
الخوف والرهبة، وزادت صرخاتهم وفزعهم عندما سقطت
"ريمانا" أمامهم بوجهٍ شاحبٍ وأنفاسٍ مُنقطعة تمامًا، فيبدو
بأنها لقت مصرعها!

#يُتبغ.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. ✨

قال لي: تعبنا!

فأجبتة:

حفت الجنة بالمكاره.. أنت على الطريق الصحيح.

إحنا بنكره تعب المذاكرة،

بس بالنية التعب دا عليه أجر ودا اللي مصبرنا، فمتسوش
النية".

حارة القناص

#الفصل_التاسع_والأربعون.

#حارة_القناص.

#كُتِبَ_عليهم_الفراق.

إن كنت تظن أن المعاناة ستنتهي حين زوال المصدر الأساسي؛ فأنت مُخطئ، سيظل هناك وشوم محفورة داخل فؤادك بسنٍ حادٍ لن تُمحي بسهولة، تلك الأيام الحالكة التي مرت على قلبك أخذت حيزًا لا بأس به بين ثنايا فؤادك، صرخاتك المُتألّمة لم يسمعها أحد سوى نفسك المُنكسرة، إن كنت تظن أن الأمور جيدة، فلا شيء جيد.

_أنتِ و"حبيبة" أخوات مش وولاد عم.

جُملة نطق بها "قاسم" بهدوء لكن نتیجتها كانت كالصاعقة بالنسبة لكليهما، نظرت "حبيبة" لـ "أهلة" بصدمة، بينما "أهلة" نظراتها كانت مُتجمدة في الفراغ من هول ما وقع على مسامعها، وكانت أول من تخرج عن الصمت هي "حبيبة" التي تسألت بصدمة:

_إ.. إيه؟! إزاي؟!

حمم "صهيب" وحاول التوضيح لها بطريقة بسيطة:

_اللي أنت متعرفهوش يا "حبيبة" إن "أهلة" هي بنت
"مختار الأرماني".

رمشت "حبيبة" بأهدابها عدة مرات ومازالت لا تستوعب
الحديث بأكمله، وللمرة الثانية تُحوّل أنظارها نحو "أهلة"
التي أجمتها الصدمة، وبتلعثم وغبطة تسألت "حبيبة":

_طب.. طب إزاي؟! عمي.. عمي "مختار" كان عنده بنت
واحدة بس و.. وماتت، إزاي هي تبقى بنته وأنا أختها؟!
أنا مش فاهمة حاجة!!

كانت نظرات "قاسم" تركز على "أهلة" المتصنمة في
مكانها، دارت نظراته نحو "صهيب" الذي بدأ بالحديث عند
محاولته بقدر الإمكان في انتقاء كلماته حتى لا يجرح زوجته
وزجة أخيه:

_والدتك "صوفيا" كانت بتخون "رفعت" مع "مختار"،
الموضوع كان مستمر تقريباً من قبل جوازهم، ودا اللي
سمعتة منهم بالصدفة وأنا رايح لمكتب "مختار الأرماني"
لما كنت عايش معاهم.

هبطت دموع "حبيبة" بعدم تصديق وهي تهز رأسها
بالنفي، لا يكفي بأن والدتها كانت قاسية للحد الذي جعلها

حارة القناص

تكرهها، بل كانت خائنة أيضاً لوالدها، أو للذي كانت تظنه
والدها!! التوى ثغرها بضحكة خافتة تعكس مقدار الألم الذي
ينمو تدريجياً داخلها وهي تقول:

_ أنت.. أنت أكيد بتهزر وهي صح!!?

ابتلع "صهيب" ريقه بصعوبة ولم يجد الإجابة المناسبة
للرد عليها، يريد أن ينفي كل ما قاله ويذهب لها ويأخذها
بين أحضانها ليُداوي جروحها، لكن لا بُد أن تعلم الحقيقة،
بينما "حبيبة" أكملت حديثها برجاء وهي تبكي بعنف:

_ عشان خاطري يا "صهيب" قولي إنك بتهزر وإن دي
كذبة، متوجعش قلبي أكثر من كدا.

مدّ "صهيب" كفه ليُمسك بكفِ "حبيبة" ثم تشدق بحنان:

_ اهدي يا "حبيبة" عشان خاطري.

أخذت "حبيبة" أنفاسها بصعوبة ثم تسألت بتيهة:

_ طيب.. طيب إزاي "حبيبة" بنت "مختار"؟! إزاي أنا مش
فاهمة حاجة!! طب هي بتنتقم منه ليه!!?

زفر "صهيب" باختناق وهو يُجيبها:

إزاي وليه بقى دي "أهلة" اللي هتجاوبك عليها.

انتقلت "حبيبة" بأبصارها نحو "أهلة" والتي قررت أخيراً تحرير الدموع المنهمرة داخل مقلتها، يبدو بأن الألم لن يزول أبداً، يبدو أن الذكريات لن تتركها وشأنها، يبدو أن الحياة بأكملها تتفق ضدها، وهي المسكينة المحتجزة بين كل هذا، ترتطم بين أمواج الماضي والحاضر وفيما بعد المستقبل، المشاهد القديمة تلتف حول عنقها فتسبب في اختناقها، فلم تجد مفراً من اللاشيء سوى بالبكاء الصامت، تحررت دموعها كشلالاتٍ تتسابق على صفحة وجهها، ورغم بأنها دموع سائلة فهي تتسبب في إحراقها.

شعرت بمن يقترب منها ويحيط بها من خصرها أثناء وضعه لرأسها على صدره موضع قلبه، ربت "قاسم" بحنان على ظهرها وشفثيه تستقر على خدها الأيمن يقبلها بحنان، لم تصدر صوتاً أثناء بكائها، بل كانت عبراتها تصعد على هيئة شهقات خافتة وكأنها تصعد من فم طفلٍ صغير، ارتعش جسدها حينما كانت تتذكر رؤيتها لوالدها في وضع مُخل مع زوجة عمها، كانت صغيرة ولا تفقه شيء لكن الأمر حفر داخلها ألماً لم يزول حتى الآن.

وعلى عكسها تمامًا طالعتها "حبيبة" ببكاء وحرزًا لحرزها، استدارت لـ "صهيب" الذي يُطالع الوضع بأكمله بألم شديد، ثم انطلقت إلى أحزانه تبكي بعنفٍ وكأنها لم تبكي من قبل، كانت تتحدث من وسط بكائها بكلماتٍ غير مفهومة، لكن الجملة الوحيدة التي وصلت إلى مسامعه هي قولها الحاقد:

__ أنا بكرهم أوي، بكرهم ونفسي كلهم يموتوا.

احتضنها "صهيب" بقوة وهو يهمس لها:

__ كلنا بكرهم أوي ونفسنا يموتوا، ربنا هيجيب حقنا كلنا منهم.

نظر الشقيقان لبعضهما البعض بقلة حيلة، كُلاً منهم يرى ضعف زوجته والأمهم، آلامٌ لا يستطيعوا محوها بسهولة كما كانوا يظنون، لكنها محفورة بجدارة داخل أفئدة كل منهم.

خرجت "حبيبة" من أحضان "صهيب" بعد أن مرت دقائق كثيرة في البكاء، ثم اتجهت نحو "أهلة" التي يُحيط بها "قاسم" بعناية ليهدأها بعد أن زادت في البكاء، راقب "صهيب" زوجته التي وقفت خلفها بيأسٍ ولا تعلم بما

حارة القناص

تتحدث أو تقول، كل الذي فعلته هو أنها وضعت كفها على ظهر "أهلة" وتطلب منها برجاء:

_ خلاص متعيطيش.

كان جسد "أهلة" يهتز بخفة نتيجة لبكائها الصامت، فاستكملت "حبيبة" حديثها بنبرة مُرتعشة:

_ أنا.. أنا مليش ذنب، مليش دعوة بيهم.

هدأ بكاء "أهلة" قليلاً وخفت تدريجياً، وعندما طال صمتها سحبت "حبيبة" كفها وعادت الدموع لتتشكل داخل مقلتها مُجدداً، ضمت قبضتها وأبعدتها وهي تشعر بالعجز، جميع الحروف قد توقفت على طرف لسانها، نست جميع كلمات المواساة وشُلَّ لسانها عن الحديث، عادت خطوتان إلى الخلف فاستدمت بصدر "صهيب" الذي أحاط كتفها بحنان، رفعت أنظارها الدامعة إليها ثم تسائلت بصوتٍ مبجوح مُرتعش:

_ هي مبقتش تحبني!؟

هز "صهيب" رأسه بالنفي على الفور وهو يقول:

_ لأ طبعاً، هي بس لسه مصدومة والصدمة كانت شديدة عليها.

ارتعشت شفتي "حببية" وهي تُجيبه بنبرة باكية:
_بس أنا مليش دعوة.

الأغلب سيظن بأن ردة فعلها مُبالغ بها بعض الشيء، لكنها كانت طبيعية للحد الذي يبث الرعب في كل مَنْ ذاق مرارة الوحدة طيلة حياته، لقد عانت كثيرًا حينما كانت تُحتبس بين جدران عُرفتها الأربعة ولا تجد رفيقًا يُهَوِّن عليها رحلتها، و"أهلة" هي مَنْ قامت بهذا الدور ببراعة منذ أن تعرفت عليها، كانت تُعاملها كطفلة رقيقة تخشى خدشها، والآن مُرتابة من فكرة تغييرها أو ابتعادها عنها.

اقترب منها "صهيب" أكثر ثم قبَّل جبينها وهو يقول بصوتٍ حنون:

_أنتِ ملكيش دعوة يا "بيبة"، متقلقيش يا حياتي.

مرت خمس دقائق أخرى وهم على نفس الوضع، "قاسم" يعمل على تهدئة زوجته التي خفت بكائها قليلًا، فيما تقف "حببية" بجوار زوجها تُراقبها بأعين دامعة، وأخيرًا قررت "أهلة" قطع هذا الصمت والابتعاد عن أحضان "قاسم" أثناء تجفيفها لوجهها، انتقلت بأبصارها نحو "حببية" التي

ابتعدت عن "صهيب" فور رؤيتها والتي تفرك كفيها بتوتر وإمارات وجهها تدل على البكاء، ظلت تنظر إليها بصمتٍ لعدة ثوانٍ قليلة ثم خطت بأقدامها إليها حتى وقفت أمامها، ابتلعت "حبيبة" ريقها بتوتر وشُلَّ لسانها عن التحرك أو الحديث، فتحت فاهها للتحدث؛ لكنها شهقت بخفة عندما جذبتها "أهله" إلى أحضانها بقوة شديدة، وهنا انفجرت كلتاها في البكاء معًا.

علت صوت شهقاتهم في المكان كُلِّ منهن تُعانق الأخرى وكأنها آخر أمل لها في الحياة، "حبيبة" تبكي على الموقف بأكمله ويزداد حقدًا على عائلتها الحقيرة، و"أهله" تبكي حسرةً على كل ما مرت به، لا يكفي بأن الحياة أعطتها دروسًا قاسية من قبل! بل مازالت مُستمرة في إعطائها حتى الآن، وهي الضعيفة الهشة التي نفذت قدرتها ولم يعد بوسعها التحمل، والطريقة الوحيدة التي ستُطفيء من نيرانها المُشتعلة؛ هي احتضانها لشقيقتها التي اكتشفتها للتو!

اقترب "صهيب" من "قاسم" الذي يُراقب بكاء عزيزته بأعينٍ دامعة مُتألّمة، ربت على ظهره بحنان وهو يُسدد له ابتسامة صغيرة أثناء قوله الداعم له:

متقلقش كل حاجة هتعدى وهيكونوا بخير.

آمن "قاسم" على حديثه برجاءٍ نابع من قلبه، ليستمع بعد إلى استكمال شقيقه للحديث بنبرة مازحة:

_وبعدين احنا المفروض نخاف منهم مش عليهم، أنت عارف اجتماع مراتك ومراتي مع بعض يعني إيه؟! يعني بالصلاة عالنبى مش هنشوف وشوشهم تاني غير ما ربنا يفرجها.

ضحك "قاسم" بخفة وهو يقول:

_ربنا يسترها علينا والله.

وبالعودة إلى الفتاتين، ابتعدتا عن بعضهما البعض، فمدت "أهله" يدها لمسح دموع "حبيبة" بحنان، وبعدها أردفت بصوتٍ مبحوح مُرتعش من أثر البكاء:

_خلاص كفاية عياط، هما ميستاهلوش إننا نعيط عليهم.

استمعت "حبيبة" إلى حديثها وهي تهز رأسها بالإيجاب تُوافقها على كل كلمة تتفوه بها، وبعدها مدت يدها هي الأخرى تمسح عبراتها وهي تقول بألم:

_وأنتِ كمان متعيطيش، ومتزعليش مني.

أدمعت عيني "أهلة" التي حاولت السيطرة على ذاتها بقدر
الإمكان وعدم البكاء مُجددًا، فسحبت نفسًا عميقًا ثم زفرته
على مهلٍ، وابتلعت ريقها بصعوبة حتى استطاعت أخيرًا
العودة إلى حالتها الطبيعية، نظرت إليها "حبيبة" بترقب
وكانها طفلة تنتظر حُكم والدتها عليها بعد أن أخطأت دون
قصد، لتجد "أهلة" قد طالعتها بابتسامة هادئة قبل أن
تقترب منها مرة أخرى وتقوم باحتضانها، لكن تلك المرة لم
يكن حُزنًا، بل اشتياقًا!

وبعدها خرج صوت "أهلة" تُخبرها بصوتٍ حنون:

_أنا مش زعلانة منك، أنا مبسوطة إنك طلعتي بعد دا كله
أختي ومن دمي بعد الوجع اللي مرينا بيه دا كله، دا بعيدًا
إن مصدر الدم دا فاسد أصلًا.

قالت الأخيرة بمزاح، لتضحك "حبيبة" بخفة وهي تُشدد من
عناقها أكثر، كان المشهد يُشبه احتضان الأم لصغيرها،
وازدادت واقعيته خاصةً وأن "أهلة" تفوق "حبيبة" في
الطول بحوالي سبعة سنتيمترات كاملة، فكانت تقوم بدور
الأم وببراعة.

حارة القناص

في تلك الأثناء؛ دخلت عليهم بوجه أحمر وعينان مُنتفختان من شدة البكاء، ابتعدت "أهلة" عن "حبيبة" وطالعتها باستغراب، ثم اتجهت نحو "مهرائيل" تسألها بقلق:

_مالك يا "مهرائيل" بتعيطي ليه؟!!!

مسحت "مهرائيل" دموعها ثم طالعت الأربعة بملامح حانقة وهي تقول بغيظ:

_انتوا بتعملوا إيه هنا؟! هو الواحد ميعرفش يعيط في مكان براحته؟!!!

طالعوها بعدم فهم، لتتقدم منها "حبيبة" هي الأخرى وتسالها:

_بتعيطي ليه مالك؟!!!

عادت أعينها لتدمع من جديد ثم أجابتها بصوتٍ خافت وهي تنفي بوجهها:

_لأ مفيش حاجة، دا بغل دخل في عيني.

ضيّق "قاسم" عيناه بشك وهو يتسائل بعث:

_أي بغل قصدك؟!!!

ردت عليه بنبرة مُتعصبة لثُداري بها حزنها:

_بغل حقير ربنا يهده، المعفن الجربان اللي يحمد ربنا
ويبوس إيدِه ليل نهار إني عبرت اللي خلفوه.

التوى تُغر "قاسم" بابتسامة ماكرة وهو يقول:

_طيب خلي بالك عشان البغل واقف وراكِ.

وتلقائياً التفتت "مهرايل" بسرعة لتتنظر خلفها، فوجدت
"ألبرت" يستند على باب المطبخ بكتفه واضعاً كفيه داخل
جيب بنطاله ويُطالعها بنظراتٍ باردة، جعدت وجهها بقرف
وهي تُطالعه باشمئزاز، ثم أشاحت بيدها أمام وجهه وهي
تصرخ به:

_أنت إيه اللي جابك هنا؟! مكفاش اللي أنت عملته جاي
تنكد عليا كمان!؟!!

رد عليها "ألبرت" بنبرة باردة بعد أن اعتدل وتقدم عدة
خطوات، ثم أزاحها بيده جانباً وهو يُجيبها باستفزاز أثناء
تحدثه بلغتهم الطبيعية:

_ياختي اتلهي على عينك أنا جاي أشرب.

رمشت "مهرائيل" بأهدابها عدة مرات بعدم فهم، ثم ضربت
بقدمها في الأرض وهي تصرخ به بغضب:

_طيب بما إن الحلو طلع بي فهم عربي مش جاموسة زي ما
كنت فاهمة، فخليني أقولك إنك بني آدم حلوف وقليل الذوق
وبارد، والحمد لله إن ربنا عرفني حقيقة إنسان حقير وقديم
المشاعر زيك، وحققي أنا ندمانة على كل لحظة قضيتها
معك.

أنهى "آلبرت" تجرع المياه الموجودة في الكأس ثم وضع
الكأس مكانه مرة أخرى، وبعدها أجابها بهدوء بعد أن
طالعتها بنظرات ثاقبة تسببت في توترها:

_ماشي.

اكتفى بكلمته تلك ثم توجه نحو الخارج بوجه جامد، بينما
هي نظرت لأثره بدموعٍ عادت لتتشكل مرة أخرى داخل
مقلتاها وهي تهمس:

_أه يا جرو يا حقير!!

اقتربت "حبيبة" من "مهرائيل" ثم ربتت على ظهرها بخفة
وهي تواسيها بقولها:

حارة القناص

_متز عlish يا "ميهو"، أكيد هتلاقي حد أحسن منه.

طالعتها "مهرايل" بضعف ثم أجابتها بغباء وهي تهز رأسها بالنفي:

_أنا مش عايزة حد أحسن منه، أنا عايزاه هو.

ضربتها "أهله" على ظهرها بقوة ثم صرخت بها:
_أنتِ كدا مش مُخلصة، أنتِ كدا عديمة الكرامة.

نفخت "مهرايل" بغیظ وهي تُجيبها:

_بقولكوا إيه سيبوکوا مني وقولولي انتوا كنتوا بتعيطوا ليه
انتوا كمان؟!؛

هز "قاسم" رأسه عدة مرات بالرفض من حديث النساء
الذي لا ينتهي، ف جذب ذراع أخيه خلفه ثم خرج من المطبخ
نهائياً وهو يقول:

_تعالى يا بني نمشي احنا أصل رغي الستات دا مش
بيخلص.

وافقه "صهيب" في الحديث وهو يتبعه، لكن قبل أن يخرج نهائياً؛ غمز لـ "حبيبة" بمشاكسة فابتسمت بخجل على أثرها، وبعدها جلس الثلاث الفتيات حول الطاولة الموجودة في المنتصف، وكلٌ منهم بدأت بقص حكايتها البائسة للأخرى.

__ أومال فين أبوك يا "يعقوب"؟!!

تسائل "رائد" بتلك الكلمات وهو يدور بأنظاره في أرجاء المنزل، ليُجيبه "يعقوب" الذي يأكل من طبق الحلويات خاصته:

__ راح هو وأمي يزوروا قرايينا، صلة رحم بقى وكدا.

تنهد "رائد" بارتياح هامساً:

__ طب الحمد لله.

تثائب "بادر" وهو يميل برأسه على الأريكة، ليتشددق "يحيى" مازحاً:

حارة القناص

_أتمنى نكون مش متقلين عليكم يا جماعة، دول هما أربع
خمس ساعات اللي قعدناهم معاكم.

رد عليه "مدثر" نافيًا:

_لأ يا حبيب أخوك خُد راحتك البيت بيتك.

قذفه "بدران" بالمزهرية البلاستيكية في وجهه وهو يقول
حانقًا:

_بيت أبوك هو يلا صح!!

التقط "مدثر" المزهرية قبل أن تصل إلى وجهه، ثم طالعه
بنظرات غاضبة بعد أن انتفض في مكانه صارخًا:

_كانت هتيجي عليا وتبوظ وشي الوسيم يا حيوان!

وكالعادة تنمر عليه "مصعب" ضاحكًا وهو يقول بمكر:

_وسيم إيه يا عنيا؟! دا أنت تحمد ربنا إن مراتك رضيت
بواحد شبه القرد زيك.

حارة القناص

وتلك المرة لم يصمت "مدثر" عن حقه وأصرَّ على ردع حقه بعد أن أخطأ في وسامته، هجم عليه لاكمًا إياه في وجهه بقوة، ليطلق "عمران" صفيرًا عاليًا وهو يُشجع:

_إديله كمان المُتتمر اللي مترباش دا.

طالعه "مصعب" بغضب أثناء ضرب "مدثر" له، ثم صرخ به ينهره بحدة:

_أنا أخوك يا حيوان قوم انقذني.

أشاح "عمران" بيده بلامبالاة ثم استدار جهة أخيه "يعقوب" ومد يده تجاه طبق الحلوى التي يأكل منها، لكنه انتفض بفرع عندما صرخ به "يعقوب" بغضب:

_إيدك يا حرامي.

تشنج وجه "عمران" والذي تشدق بغیظ:

_لأ ما هو مش كل ما نجيب بسبوسة أو أي حلويات تاكلها لوحذك، حضرتك معاك بني آدمين غيرك.

رد عليه "يعقوب" بفضاظة أثناء حمله للطبق وأخذه بين أحضانه:

حارة القناص

_ غور يلا من هنا، مش مكسوف على دمك وأنت جاي تاكل
معايا وبجح كمان؟!!!

رفع "عمران" حاجبيه بدهشة وهو يردد بعدم تصديق:
_ وهو أنا لحقت أكل حاجة يا عم أنت؟!!!

طالعه "يعقوب" بقرف وابتعد عنه ذاهبًا لأريكة أخرى، فرغ
"عمران" فاهه بعدم تصديق أثناء تثبيته لنظراته على
شقيقه، لقد وصل مع الأمر إلى درجة إدمان الحلوى، فحين
يجلب لهم أباهم عُلبة كبيرة؛ يقوم بإلتهامها بأكملها، وإن
اعترض أحد يقوم بتوبيخه كما لو أنه لص سارق.

نفخ "سليمان" والذي يتمدد على الأريكة ويضع رأسه على
قدم "عدي" الذي غلبه النوم:

_ يا جدعان إحنا هنروح المهمة دي إمتى، أنا بنام على
نفسي وعهد الله.

رد عليه "يحيى" الذي يجلس بجانب "سيف وبدير" اللذان
يُشاهدان فيلمًا من الرعب:

_ لما الساعة تيجي اتنين كدا، عشان لما نهجم؛ نهجم بقلب
جامد وناخداهم على غفلة.

حارة القناص

هبّ "حمزة" من مكانه والذي أردف بثأوب وهو يفرد
ذراعيه كُـل منهم في جهة:

_ على كدا احنا قدامنا ساعتين!! هدخل أريح أنا شوية بقي.

_ خُـدني معاك.

هتف بها "رائد" الذي ذهب خلفه، ليضحك "حمزة" بصخب
وهو يلف ذراعه حول كتفه:

_ تعالى يا حبيبي، ما أنت بقيت صاحب بيت بقي.

وبالفعل دخل معه "رائد" ليتتعمأ بنوم هاديء بعيداً عن
هؤلاء الثيران.

أمسك "سيف" في ذراع "بدير" الذي ينكمش على ذاته
رعباً، ثم همس له بخوف:

_ اقلب يلا الفيلم دا وهاتلنا كرتون ولا أي نيلة تانية.

ورغم خوف "بدير" وفزعه، إلا أنه هز رأسه بقوة قائلاً:

_ انشف ياض متبقاش طري كدا!! خليك راجل زيي
ومتخافش.

حارة القناص

ابتلع "سيف" ريقه بريية وهو يُشدد الإمساك في كُم
ملابسه، وفجأة فتح عيناه بفرع عندما رأى ذلك البشري
يأكل لحم صديقه!! وبعدها قام بإخراج أمعائه ثم قام بطهيها
وتلذذ في أكلها وهي ساخنة!!

صرخ كلاهما بفرع عندما انغلقت أنوار الشقة بأكملها،
لينتفض "سيف" لاطمًا على وجهه وهو يُولول:
_هياكلونا، هياكلونا.

أمسك "بدير" في ثيابه بقوة وهو يصرخ بعلو صوته:
_يا "يعقوب" يا "عمران" إلحقونا.

انتظر الاثنان قليلًا عليهما يستمعا إلى صوت أحد الشباب،
لكنهما ابتلعا ريقهما برعب عندما لم يسمعا سوى الصمت
الذي يغلب على المكان، اقترب منه "سيف" ثم همس له
برعب:

_تفكر هيكون ماتوا ولا هياكلوهم!!

أجابه "بدير" بارتعاش:

وقع "سيف" أرضاً من أثر الدفعة وفوقه وقع "بدير"، وفي تلك اللحظة أنارت الأنوار وظهرت فضيحتهم أمام الجميع!!

لوى "رياض" شفّتيه يميناً ويساراً وهو يتحدث بصوت خافت:

_إخيه على رجالة اليومين دول، عليه العوض ومنه العوض.

هَبَّ "بدير" من مكانه واقفاً وهو يصرخ به:

_اتلم رياض واحترم نفسك، أنا "بدير" آه بس راجل أوي.

مصمص "يحيى" على شفّتيه والذي أردف بحسرة:

_حتى أنت يا "سيف"؟! شكلنا اتخدعنا فيك يا صاحبي.

ترك "وليد" ذلك الاجتماع التافه ثم هَبَّ من مكانه هاتفاً:

_أنا نازل أجيب سجاير، دا انتوا عالم دماغكم تعبانة.

سار من وسط ذلك الحشد الكبير حتى وصل إلى أعتاب
المنزل أخيرًا، وقبل أن يخرج كُليًا استدار نحو "سليم"
وتسائل:

ـ تيجي معايا؟!!

ـ تو.

حركة خرجت من فم "سليم" الذي أجابه بلامبالاة ونعاس،
فأوماً له "وليد" بصمت قبل أن يهبط لشراء ما يُريد.

جلست "يمنى" على الفراش بانهاك بعد يومٍ طويل قضته
مع شقيقتها لاستذكار دروسها، ولكم أثارت غضبها بسبب
غيابها الذي لا تتفك عن إظهاره، تثأبت مكانها بنعاس لكنها
حاولت المقاومة حتى آذان الفجر لتقوم بتأدية فرضها وتنام
براحة.

لكن تلك المرة غلبها نعاسها وأغمضت عينيها وذهبت في
نُباتٍ عميق، وهذه المرة لم ترى حُلماً أو كابوساً، بل رأت
حقيقةً بشعة لاتزال تلحق بها حتى الآن، مرت ذكرياتها مع
أبيها ووالدتها بكل لحظة حتى أنها شعرت بأنها حقيقة!

عاد "شاهين" من العمل وعلى وجهه يظهر الإنهاك بوضوح، لكنه ورغم تعبته لم ينسى حلوى صغيرته الجميلة والتي طلبتها منه، دخل للمنزل ولكن تلك المرة كان هادئاً على غير العادة! قطب جبينه بتعجب ثم دار بأنظاره في المنزل عله يلمح زوجته أو حتى ابنته، لكن لم يجد شيئاً.

ذهب نحو غرفة نومه ثم فتحها وكانت النتيجة ذاتها، فذهب نحو غرفة صغيرته لكن كما سبق لم يجد أحد، لكنه لاحظ حركة غريبة بالغرفة! تقدم أكثر حتى بات في المنتصف، وفجأة عاد للخلف خطوتان بفرع عندما وجد صغيرته تخرج من الخزانة صارخة بوجهه وهي تُقهقه بطفولية.

وضع يده على صدره بخضة ثم تشدق بعتاب:

__ كدا يا "يُمَنتي" تُخُضي بابا؟!!

انطلقت "يمنى" الصغيرة مُهرولة إلى أحضان والدها وهي تضحك بسخط، فالتقطها أبيها حاملاً إياها بين أحضانه وهو يُقبلها بحب:

__ حبيبة قلب بابا، فين ماما راحت فين؟!!

حارة القناص

قبّلته الصغيرة من وجنته بحب ثم أجابته بطفولية:
_خرجت.

قطب "شاهين" جبينه بضيق ثم ردد بهمس لم تفهمه
حينها:

_خرجت إزاي؟! أنا قايلها 100 مرة متخرجش وتسبيك
لوحدك.

لم تُبالي الصغيرة بحديثه، بل جعدت وجهها مُتسائلة بحنق
طفولي لذيذ:

_بابا فين الشيكولاتة؟!!

تصنع "شاهين" الصدمة وهو يقول بنسيان زائف:
_يا خبر!! دا أنا نسيت!

نظرت له عدة ثواني وكأنها تُقلب حديثه داخل عقلها،
وبعدها تحدثت مُبتسمة بعد أن قبلت وجنته بحب:

_مش هزعل منك المرادي عشان أنت بتجييلي كل يوم وأنا
بحبك.

حارة القناص

احتضنها "شاهين" بقوة مُقبلاً جانب وجهها، تلك الكُتلة من اللطافة يُريد أن يلتهمها لبرائتها، ابنته حنونة ولديها من الحب ما يكفي للجميع، وهذا ما حاول جاهداً أن يزرعه داخلها طيلة سنوات عمره، أطل فترة عناقها فاستعجبت "يمنى" حالة والدها العجيبة لذلك تسائلت وهي تُربت على ظهره بحب:

_مالك يا بابا أنت كويس!؟!

أخرجها "شاهين" من أحضانه واضعاً إياها أرضاً واستند هو بركبتيه أمامها ثم أخرج قطع الحلوى من جيب حلتها التي يرتديها وهو يقول:

_بابا حبيب "يُمنته" مستحيل ينسى حاجة بنته قالتله عليها أبداً.

التمعت عينها بشغف واتسعت ابتسامتها بقوة، ثم قفزت داخل أحضان والدها وهي تُقبله في جميع أنحاء وجهه وهو يضحك بصخب، لطالما كان والدها هو حبه الأول ومصدر بهجتها الذي سيظل عالقاً داخل ذاكرتها طيلة حياتها، فكيف لأبٍ عاش حياته بأكملها يُدافع عن عائلته أن يُمحي بتلك السهولة!؟!

في تلك الأثناء دخلت عليهم "هبة" والددة "يمنى" وزوجة "شاهين" وهي تحمل بين يديها حقيبة بلاستيكية بيضاء، وقف "شاهين" من مكانه واعتدل واقفاً أمامها وهو يردف بضيق:

ـ كنتِ فين يا "هبة"؟! مش قولتلك متسيبيش "يمنى" في البيت لوحدها تاني!

أخذت "هبة" أنفاسها والتي كان يبدو عليها بأنها أخذت الطريق بأكمله بخطوات سريعة، وبعدها أجابته بيأس:

ـ والله كانت نائمة وأنا سبيتها وروحت أجيبلها العلاج علشان الكحة اللي عندها دي.

تصنع "شاهين" الضيق فأردف بلامح مُقتضبة:

ـ مش مُبرر لأ يا "هبة"، وغير دا كله أنتِ بقيتي مُهملة البت وأبو البت ودا غير مسموح أبداً.

ابتسمت "هبة" بخفة عندما علمت بأنه يمزح، فاقتربت منه مُحيطه خصره بذراعيها ثم وضعت رأسها على صدره وهي تقول بحب:

حارة القناص

_البت وأبو البت في عيوني من جوا، حقم عليا والله عارفة
إني مقصرة اليومين دول بس مبقتش ملاحقة على شغل
البيت.

أحاط بها "شاهين" بعد أن قبّل رأسها بحنان، ثم أردف
بحب:

_متقوليش كدا يا غالية، دا بسبب اللي بتعمليه دا أشيك
فوق راسي العمر كله.

وعقب حديثه شعر "شاهين" بضربة خفيفة على ركبتيه من
الأسفل، نظر فوجدها "يمنى" تنظر إليهم بلامح واجمة
وهي تقول بغضب:

_وأنا يا بابا؟!!!

قهقه "شاهين" بمرح وشاركته "هبة" في الضحك قبل أن
ينحني قليلاً ويحملها على ذراعيه أثناء تقبيله بقوة لخدّها
المنتفخ، وبعدها تشدق بحنان:

_أنتِ روح قلب بابا من جوا يا "يُمنتي".

اتسعت ابتسامة الصغيرة بسعادة، وهكذا مرت عليهم الأيام
حتى مرَّ عام كامل تعيش مع عائلتها الصغيرة بسعادة

شديدة، كان منزلهم مليء بالدفئ والحب حتى أتى ذلك اليوم الذي رحل عنه الدفئ تمامًا، وذلك اليوم كان يوم وفاة والدتها الحبيبة!

حينها رأت ظهر أبيها قد انحنى بضعفٍ، تسمع بكائه الذي كان يُمزق نياط فؤادها رغم صغر عمرها، وكعادتها منذ وفاة والدتها كانت نائمة بجانب والدها، حينما أُصيبت بانهيار وهي ترى رحيل غالياتها أمام عيناها الدامعتان، لكن تلك المرة كانت رحيلاً للأبد ليس بضعة دقائق كما اعتادت، وقتها استمعت إلى حديث أبيها والذي كان يهمس ببكاءٍ خافت وهو ينظر لصورة والدتها:

حَقِّكِ عليا يا "هبة"، حَقِّكِ عليا يا حبيبتي سامحيني، أنا عارف إن أنا السبب بس وغلاوتك عندي حَقِّكِ هيجي لحد عندك، هتوحشيني لحد ما أجيلك يا نور عيني.

لم تكن تفقه شيئاً سوى أن أبيها كان السبب فيما حدث لوالدتها بطريقة غير مباشرة، سنواتها العشر لم تُسعفها في فهم ما يدور من حولها، لكنها أرادت معرفة كيف ماتت والدتها، نعم أعوامها كانت قليلة للغاية، لكنها كانت من نوعية الأطفال شديدي الذكاء وهذا ما أتعب والدها معها كثيراً.

مرّ عامان آخران وأتى ذلك اليوم المشؤوم، حينما أخذها والدها معها ليلهو معاً كما اعتادَ منه على انشغاله بعمله عنها، وفي طريق العودة شعروا بالكثير من السيارات المُصفحة تُحيط بهم، وبعدها قاموا بخطفهم معاً دون النظر إلى صراخ "شاهين" لترك ابنته، وبكاء "يمنى" خوفاً منهم، تم أخذهم لمكان قديم أشبه بالمخزن وقاموا بربط قدم ويدي "شاهين"، لكنهم استخفوا بوجود الصغيرة وتركوها دون رباط.

انكشفت "يمنى" بخوف وظلت نائمة على صدر والدها تبكي بصمت، ناداها "شاهين" بفرع فطالعه هي بأعين دامعة، فأمرها بصوتٍ منخفض:

__ "يمنى" بُصيلي يا حبيبة بابا متخافيش أنا معاكى.

نظرت "يمنى" لأبيها بارتعاش فاستمعت إليه يُكمل حديثه:
_ هاتي أي خشبة وافتحي الشباك الصغير اللي فوق دا، واجري بسرعة واستخبي ورا أي حاجة المهم محدش يشوفك.

حارة القناص

هبطت دموع "يمنى" فارتمت بين أحضانه وهي تهتف
ببكاء عنيف:

_ طيب وأنت يا بابا؟!!

اقترب منها أبيها مُقبلاً جانب وجهها بحنان، ثم أردف
بسرعة:

_ أنا معاك يا روح بابا، المهم يلا بسرعة روجي اعلمي اللي
قولتلك عليه.

تحاملت الصغيرة على ذاتها ثم وقفت مُسرعة ونفضت
الغبار عن فستانها الوردي الجميل، ثم أمسكت بعصى
خشبية وفتحت الشباك الموجود على بعد ضئيل منها،
وبعدها هرولت لإحدى الأركان واختبئت خلف أريكة مُتهالكة
بعد أن أشار إليها والدها، ولم تمر سوى دقائق واستمعت
إلى صوت خطوات تبعه صوت غليظ يهتف بحدة:

_ فين بنتك يا "شاهين"؟!!

رد عليه "شاهين" بابتسامة مُستفزة وهو يُشير نحو الشباك
المفتوح:

_ هربت.

أجابه الآخر بغلاظة بعد أن سحب زناد مسدسه:

_قواتك يا "شاهين" إن اللعب معايا وحش، وأنت شوفت
غضبي من سنتين لما مراتك اتسمت ومعرفتش تثبت أي
حاجة ضدي.

اشتعلت عينيّ "شاهين" بنيران الحقد ثم أجابه بغضب:

_هيجي اليوم اللي هنتقم فيه منكم يا "مختار"، صدقتي
هتندموا أشد الندم.

ابتسم رجلٌ آخر معه بخبث وهو يقول:

_دا لو عيشت لحظة واحدة بعدي دي يا "شاهين"، اللي
يقف في سكة "صادق مهران" و"مختار الأرماني" يستاهل
الموت.

ومن بعدها شهقت "يمنى" بفزع والتي كانت تتابع كل ما
يحدث بأعين مُرتعبة، هبطت الدموع من عينيها بكثافة
عندما رأت جسد والدها يقع صريعًا عندما سدده له "صادق"
طلقة غادرة استقرت في منتصف رأسه أنهت حياته على
الفور!

انتفضت "يمنى" من نومتها وهي تشهق بفزع، وضعت يدها على وجهها لتفركه فوجدت الدموع تُبلل وجنتاها بقوة، يبدو بأنها لم تبكي في كابوسها فقط! ارتعشت شفيتها ببكاء وحاولت السيطرة على ذاتها، لكنها ولأسفها الشديد لم تستطيع، فعلت صوت شهقاتها بحسرةٍ على فقدانها أعلى الغاليين على فؤادها، وقفت من مضجعتها ثم اتجهت إلى شرفة غرفتها وفتحتها، فتركت نسيمات الهواء الباردة تضرب وجهها عليها تُخفف من وجعها.

كل الذكريات الجميلة التي مرت مع أبيها وأمها تتأرجح أمام عيناها، فتزيد من لوعة قلبها ونزيف عيناها، شعرت بجميع جدران الغرفة تطبق فوق صدرها، أرادت أن تشكي لشقيقتها "أهلة" الآن لكنها خافت من فكرة كونها نائمة، لذلك قررت اللجوء إلى مصدر أمانها الثاني وهو "يحيى"، أمسكت بهاتفها ومازالت دموعها تهبط بصمت، وكأنها فقدت القدرة على السيطرة على عينيها، أتت برقم هاتفه وقررت الاتصال به مرة واحدة فقط حتى لا تُزعجه إن كان نائمًا، ولم تمر سوى ثانتين واستمعت إلى صوته الذي تحدث باشتياق:

_"يمونة" قلب "يحيى".

حارة القناص

ابتسمت شفيتها عكس بكاء عيناها، وبصوتٍ مبجوح نادته
بقهر:

_"يحيى"؟!!

انتفض "يمنى" بفرع وترك مجلس الشباب مُبتعدًا عنهم،
حتى وقف في الشرفة هو الآخر وتساءل بقلق بالغ:

_"يمنى" مالك يا حبيبتى بتعطي ليه؟!!

ابتلعت "يمنى" ريقها بصعوبة ثم تشدقت بهمس باكٍ:

_"بابا.. بابا وحشني أوي يا "يحيى"."

تأثر "يحيى" من على الجهة الأخرى ولم يعرف بما
يواسيها، لم يجد سوى الكلمات المُعتادة التي تُقال في مثل
تلك المواقف، لكن كانت كلماتٍ من نوعٍ خاص:

_"حبيبتى ربنا يرحمه يارب، وأكد هو في مكان أحسن،
كفاية إنه سايب بنت عظيمة زيك فاكرة كل ذكرى ليه ومش
بتنساه في دعائها، حقيقي يا "يمنى" أنا نفسي يكون عندي
بنت زيك تفتكرني حتى بعد موتي، أنا فخور بيك أوي يا
"يمنى"، وأكد باباك فخور بيك هو كمان، متقضيـش ليك

حارة القناص

في البُكا يا عيوني، خففي على قلبك وهوني على نفسك
وروحي صلي ركعتين لله وادعيه.

وهذا كل ما كانت تحتاجه، دعمه المُغلف بالحب والاحتواء،
لقد أحسنت الاختيار عندما انتقته من وسط ملايين من
الرجال، هو رجلها الثاني الذي حصل على كل الحب بعد
وفاة والدها، جفت دموعها وابتسمت بحب وهي تقول:

_ أنا مش عارفة أشكرك إزاي يا "يحيى"؟! حقيقي أنا
محظوظة بوجودك وعايزة أقولك إني بحبك أوي ومن كل
قلبي.

ابتسم "يحيى" باتساع ورغم طرب قلبه قرر مُشاكستها
والابتعاد عن أحاديث الحب والغرام حتى حين زواجهم، فقال
بعبت:

_ أقولك نكتة؟!!!

تصنمت الابتسامة على شفيتها وهي تتذكر نكاته البائسة
والثقيلة، فأردفت بتثاؤب مصطنع:

_ لأ خلاص مش قادرة أنا هروح أنام.

ضحك بصخبٍ وأردف من بين ضحكاته:

حارة القناص

__ ماشي هعديهاك المرادي ها؟! يلا سلام يا حبيبي.

ردت عليه بابتسامة مكتومة:

__ سلام، خلي بالك من نفسك.

أجابها بهيامٍ بعد أن تنهد بعشق:

__ نفسي معاك فخلي بالك أنتِ مني.

هبط "وليد" درجات السلم وهو يُندن ببعض الألقان، خرج من البناية بأكملها ثم مدَّ يده في جيب بنطاله وانشغل في اخراج الأموال منه، ولم يعي لذلك الجسد الضعيف الذي اصطدم به إلا عندما صاحت به الفتاة بنبرة غاضبة:

__ ما تُبص قدامك يا اخويا هو انتوا ماشيين تخطوا وخلص في خلق الله؟!!

قطب "وليد" جبينه بتعجب فرفع عيناه ليرى صاحبة ذلك الصوت المزعج والنبرة العالية، رأى أمامه فتاة ذو بشرة بيضاء شاحبة وجسد نحيل، عيناها سوداوتان واسعة

حارة القناص

وكحيلّة، يوجد أعلى شفّتها شامة (حسنة) سوداء صغيرة
أضافت مظهرًا رائعًا لوجهها، بالإضافة إلى طابع الحُسن
الذي كان يُزين ذقنها، في النهاية هي جميلة.

ارتسمت ابتسامة جانبية صغيرة على ثغر "وليد" الذي
اعتذر منها باحترام أخرجها:
_بعذر منك يا أنسة مكنش قصدي.

حمحت بجدية وهدأ غضبها بسبب احترامه المُبالغ به، ثم
تشدقت بنبرة هادئة:
_ولا يهملك يا أستاذ، عن إذّك.

قالتها بسُرعة ثم ذهبت مُسرعة عندما استمعت إلى نداء
زوجة أبيها تُناديها بغلظة:
_بت يا "نرجس" اخلصي يا بت.

ظل "وليد" مُتابعًا لأثرها حتى اختفت عن أنظاره حينما
دخلت إلى أحد المنازل، لوى شفّته بمكرٍ وهو يُهمهم
بتفكير:

_مممم.. "نرجس"!!؟

انتفض في وقفته عندما شعر بيد غليظة توضع على كتفه
من الخلف فجأة، استدار بسرعة فوجد "سليم" يُطالعه
بنظراته الخبيثة وهو يقول بمشاكسة:

_بتعمل إيه يا "وليد" يا حبيبي!!

أجابه "وليد" بثبات وهو يهز كتفه بلامبالاة:
_بجيب سجاير.

وعقب إجابته تسائل "سليم" بشغب:
_وحلوة السجاير!؟

غمزه "وليد" بضحك:
_قمر السجاير.

قهقه "سليم" بصخب أثناء ضربه لكفه بكف "وليد" الذي
بادل المصافحة وهو يُشاركه الضحك، فتسائل "وليد" بعد
أن أخذ أنفاسه قليلاً:

_إيه اللي نزلك مش قولت مش جاي!!

وتلك المرة غمزه "سليم" أثناء قوله المُشاكس:

_مهانش عليا أسيبك تنزل لوحك ياض.

ابتسم "وليد" بامتنان وكاد أن يتحدث؛ لكنه قطع حديثه
عندما استمعوا إلى صوت "مدثر" المُغْتَظ يأتي من خلفهم:

_يعني انتوا نازلين وساييني لوحدي مع شوية التيران اللي
فوق دول؟!!!

أحاط به "سليم" من كتفه ثم سار ثلاثهم بجانب بعضهم
البعض في طريقهم نحو الكشك، ثم أَرَدَفَ "سليم" بخبث:
_تعالى أحكيك على حلاوة السجاير بتاعة "وليد".

تشنج وجه "وليد" بغیظ، فضربه على صدره بقوة هاتفاً:

_ما تتلم يلا إيه بتاعة "وليد" دي؟!!!

وصلوا إلى الكُشك الصغير فأعطى "وليد" الأموال للبائع
وطلب مطلبه، وبعد دقيقة عادوا من نفس الطريق الذي أتوا
منه، وطيلة الطريق كان "سليم" يروي لـ "مدثر" عن

حارة القناص

(حلاوة السجائر الخاصة بوليد)، و"وليد" يتابعهم بلامح حانقة.

أخرج سيجارتان من الغلابة فمد يده بواحدة لـ"سليم" الذي أخذها منه، والأخرى لـ"مدثر" الذي رفض هاتفاً باشمنزاز:
_لأ يا عم مش بحب القرف دا.

أشعل "وليد" سيجاره وهو يقول بلامبالاة:
_براحتك، دي مزاج.

طالعه "مدثر" باستخفاف وهز رأسه بيأس وهو ينظر إليهم، فكيف لإنسانٍ عاقل أن يحب السجائر ويستلذ بها؟!
فهي بالرغم من سوء رائحتها يوجد عليها إقبال كبير بشكلٍ مخيف من الشباب، ولحسن حظه هو ليس منهم.

انشغل "وليد" للمرة الثانية بسجائره ولم يعي لذلك الجسد الذي اصطدم به للمرة الثانية، شهقت الفتاة بخفة ليرفع "وليد" يديه باستسلام وهو يقول بمشاكسة:
_مش ذنبي المرادي، أنتِ اللي كنتِ بتجري.

حارة القناص

تأففت الفتاة بضيق أثناء قولها الساخط:

_لأ أنت اللي غلطان، ولو سمحت وسَّع من وشي بقى بدل
ما أطلع غُلبى كله عليك.

ضيق "وليد" عيناه بخبث وهو يستنشق من سيجارته ثم
نفخ دخانها في وجهها أثناء قوله العابث:

_طب ما تطلعي غُلبك عليا وناخد وندي بشكل ودي لحد ما
نوصل لحل سلمي.

طالعه باشمئزاز من رأسه لإخمص قدمه، ثم قررت تجاهله
والابتعاد عن طريقه كلياً حتى لا تصعد الأقاويل عنها خاصةً
وأنها في حارة شعبية، خطت خطوتان بعيداً عنه؛ لكنها
صرخت بفرع عندما استمعت إلى صوت طلقات النيران
تصعد في الأرجاء!!

أمسك "وليد" بكف "نرجس" ثم هرول بها إلى أقرب بناية
له ثم دفعها بها وهو يصرخ:

_يخربيت فقرك يا بومة، اليوم كله كان تمام ولما قابلتك
كشفوني.

فرغت "نرجس" فاهها بصدمة وهي تُطالعه بعدم تصديق،
أغلق باب البناية الرئيسية عليها ثم عاد إلى "سليم
ومدثر"، لكنه لم يجد سوى "سليم" يقف حوله بتيهة بعد
أن تركه "مدثر" وهروا إلى المنزل؟!!!

لاحظ "وليد" وقوف "سليم" وحده، فهروا إليه بأنفاس
ناهجة ثم جذبته راضاً إلى طريق بعيد عن المنطقة بأكملها
وهو يقول:

__تعالى نبعد عن هنا عشان محدش يتأذي.

أوماً له "سليم" موافقاً إياه، وبالفعل هروا بعيداً خلف
البيوت حتى وصلوا إلى منطقة زراعية يغشها الزرع
والأشجار من كل مكان، وقفوا يلتقطون أنفاسهم عدة ثوانٍ،
فاستدار "وليد" لـ"سليم" مُتسائلاً بجدية:

__بتعرف تمسك سلاح.

ورغم عدم فهم الآخر إلا أنه أوماً بالإيجاب، ليجد بعدها
"وليد" قد أخرج سلاحين من جيب بنطاله وأعطى له واحداً
وهو يغمز له:

__هنلعب في وشهم خريطة يا حبيب أخوك.

التوى نُغر "سليم" بابتسامة ماكرة أثناء قوله العابت:
_أبويا هيفرح بيا أوي لما يعرف.

اختبأ كلاهما خلف الأشجار كُلّ منهم خلف واحدة مختلفة
والتزما الصمت، شعرا بصوت أقدام تدهس على القش
فُتسبب صوت خفيف يتسبب في التوتر، لكن بالنسبة لكل
من "سليم ووليد"؟! فالأمر لم يؤثر بهم بالمرّة!

أشار "وليد" لـ "سليم" بإشارة للهجوم، فأوماً له "سليم"
بثقة قبل أن تمر ثلاث ثواني ويخرجوا من خلف الأشجار
موجهين أسلحتهم نحو أجساد المُلتئمين الضخام، لكن مهلاً؟!
أعدادهم تفوق العشرة وهم اثنان بسلاحين فقط! الأمر
محسوم ونهايتهم قد قاربت لا محالة!

جاء خبر وفاة "ريمانا صفوت الأرمانى" إلى "مختار" الذي
لم يؤثر به الأمر بأي شكل من الأشكال، فلقد جائه منذ قليل
جواب من البنك يُخبره بتسديد الأموال التي قام بقرضها،
والتي من المُفترض أن يُسدها من أموال الشُحنات التي قام
بتأجيلها بسبب كشفه لهم!

صرخ "مختار" بانھیار وهو یُدمر كل ما تطوله أیدیه فی
المكتب، لقد أصبحت ثروته ومركزه كرجل أعمال علی
المحك، وكل ذلك بسبب "قاسم وصهیب طاحون" ومن
معهم؟!!!! احمرت عیناه بحقد وهو یهمس بفحیح:

_ آه یا ولاد ال***، وديني لأقتلكم واحد واحد.

دخل علیه فی تلك الأثناء شقيقه "نادر الأرماني" والذي
صاح به بغضب:

_ فلوسي فين يا "مختار"؟! قولتلي استنى يومين وأديني
استنيت اسبوع بحالهم ومفیش جديد.

طالعه "مختار" بحقدٍ قبل أن يُصيح به بصراخ:
_ سيبيني في حالي يا "نادر" أنا مش ناقصك.

ذهب إليه "نادر" بخطواتٍ سريعةٍ ثم لكمة في وجهه بعنف
وهو يصرخ به باهتياج:

_ فلوسي يا "مختار"، ضيعت شقى عمري؟!!!

طالعه " مختار " بنظراتٍ زائغةٍ وكلماتٍ شقيقةٍ تتردد داخل أذنه كالسوطِ دون أن ترفق به، لقد ضاع كل شيءٍ من بين يديه بالمعنى الحرفي، عالمه ينهار أمام ناظريه ولا يستطيع فعل شيءٍ، أفعاله القديمة تُرد إليه الآن بعد أن أفنى حياته بأكملها في تجميع الأموال بطريقةٍ غير شرعيةٍ، بعد أن سرق، نهب، وقتل، واستباح أجساد النساء! وليس هو فقط.. بل جميع أشقائه أيضاً طالتهم تلك اللعنة، فـ " رفعت الأرمني " قد قُتِلَ، و " صفوت الأرمني " مات بذبحةٍ صدريةٍ، وهو فقد جميع أمواله وأوشك على إعلان إفلاسه، بينما عقاب " نادر " ظهر مُسرِعاً عندما وجد الخادمة تدخل عليهم الغرفة وتتشدق برعب:

إلحق يا " نادر " بيه! " أنس " بيه ابن حضرتك أغمى عليه فوق وقاطع النفس.

ابني؟!!!

صرخ بها " نادر " برعبٍ ومن ثم هروا إلى غرفة ابنه بسرعةٍ مهولة!

بينما " مختار " نظر لأثره بصمتٍ وهو يفكر في أقدر خطةٍ قد يفعلها إنسان طيلة حياته ليجلب الأموال، وهو أخذ جثة ابنة شقيقه " ريمانا " وبيعها لتجار الأعضاء!!

كان "محروس، جيهان، وسهيلة" يجلسون على الأريكة يُشاهدون إحدى البرامج الدينية التي تُعرض على التلفاز، لتخرج "لواظ" من الغرفة ثم وقفت أمامهم لتمنع عنهم الرؤية، جعدت "سهيلة" جبينها بضيق وهي تهتف قائلة:

_ ابعدى شوية يا تيتا عايزة أفرج!

لم تُبالي "لواظ" بحديثها، بل قررت إخبارهم عن شيءٍ أثار حُزنها، لقد كُتِبَ على حُبهما الهلاك لذلك أردفت بصوتٍ خافت مُتأثر:

_ أنا و"عبده" فركشنا الخطوبة.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. 

«إذا لم تستطع أن تنافس الصالحين في أعمالهم فنافس المذنبين في استغفارهم».

_ ابن رجب.

صلوا على رسول الأمة.

#الفصل_الخمسون.

#حارة_القناص.

#يونس.

يا فؤاد تأنى فالنصر قادم، تبقى القليل والعشق آتٍ، رميتُ
لكَ أسهمي وبتَ أنت السائق، لتقودني إلى طريقٍ مليءٍ
بالعواقب، كنتُ أظن أنى مُنتصر، لكن هُزمتُ أمام عينانٍ
أخضعت كل حواسي.

كان "فور" جالسًا أمام سُفرة الطعام يأكل بنهم، يكاد أن
يبكي منذ أن أخبره "قاسم" بضرورة صيامه غدًا طالما
أعلن إسلامه، في البداية لم يُبالي، لكنه صُدم عندما أخبره
بقواعد الصيام عند المُسلمين، والذي يبدأ من الفجر حتى
آذان المغرب، وبين تلك الفترتين لم يتجرع ولو شربة ماء
واحدة، وضع قطعة كبيرة من الدجاج داخل فمه وهو يهمس
بحسرة:

يا ويلي! كيف سأتوقف عن الطعام طوال تلك المُدة؟!

جاء في تلك الأثناء "قاسم" الذي كان يُطالعه من بعيد
بضحكة مكتومة، لن ينسى معالم وجهه عندما أخبره عن كل
شيء يخص الصيام، كان مصدومًا للحد الذي جعله أن
ينفجر من الضحك، لكن ابتسامته تبددت شيئًا فشيئًا عندما
اقترب منه وتوقف بجانبه، تشنّج وجه "قاسم" بسخط
والذي تسائل مُستنكرًا:

_ أنت بتتسحر فراخ ولحمة؟!_

طالعه "فور" بطرف عينه بحنق لكن فمه لم يتوقف عن
مضغ الطعام، ووسط سباحته وسط الطعام؛ تشدق ساخطًا
بالعربية:

_ سيبيني في حالي دلوقتي عشان أنا مش طايق حد.

ضربه "قاسم" على رقبتة من الخلف بخفة وهو يقول:

_ وأنا مال أهلي؟! مش أنت اللي جاي تأسلم في رمضان
وأنت أصلًا طِفْس ومفجوع؟! اشرب بقى.

مضغ "فور" الطعام بأكمله ثم تسائل مُتعجبًا:

_ اشرب إيه؟!_

التوى ثغر "قاسم" بابتسامة ساخرة وهو يُجيبه:
_ اشرب شاي.

قالها ثم ابتعد عنه بعدة خطوات، وارتدى على الأريكة
بإنهاك في انتظار زوجته التي لم تنتهي حتى الآن من
التحدث مع الفتيات، امتعض وجه "قاسم" والذي همس
لذاته بسخط:

_ يارب نخلص من أم اليوم دا بقى، بقالهم ساعتين بيتكلموا
وأنا عايز اتخمد.

_ طب ما تتخمد.

هتف بها "ألبرت" الذي جاوره في الجلسة، ليرد عليه
"قاسم" الذي تنهد بضيق:

_ لأ هنتخمد سوا، مبعرفش أنا من غيرها.

ضيق "ألبرت" عيناه بخبثٍ أثناء قوله المُشاكس وهو ينكره
في كتفه:

_ يا سيدي يا سيدي، اوعدنا يارب.

حارة القناص

أخرج "قاسم" من فمه ضحكة ساخرة ثم استدار له بجسده
قائلاً بقتوط:

_ ما هو أنت اللي حلوف صحيح، إيه اللي غير موقفك من
ناحية "مهرائيل" وخلاها مش طايقاك كدا؟!!

رد عليها "ألبرت" ببراعة بعد أن رمش بأهدابه عدة مرات:
_ والله ما عملت حاجة، كل الحكاية إني قولت لها إني هتجوز
"ريتاليا" آخر الشهر دا.

طالعه "قاسم" بتشنج وهو يُجدد وجهه، ثم تسائل بعدم
فهم:

_ مش "ريتاليا" دي سكرتيرة "ميلانو" اللي أنت قولتلي
عليها؟!!

أوماً له "ألبرت" بالإيجاب وعلى ثغره ترتسم ابتسامة خبيثة
مُحملة بعقب الكره والانتقام، وعلى الفور فهم "قاسم" ما
يدور برأسه فابتسم بخفة أثناء قوله:

_ لا جدع، طلعت ظلمتك.

جاء في تلك اللحظة "فور" مُمسكًا بطبقٍ كبيرٍ من الطعام ثم وضعه على الطاولة، استدار له "ألبرت" يُطالعه ببرود وبعدها حوّل أنظاره عنه دون أن ينبث بكلمةٍ واحدة، اقترب منه "فور" ببطئٍ حتى جلس بجانبه ثم ناداه بصوتٍ خفيض:

_أخي!

رد عليه "ألبرت" بلامح جامدة:

_ابتعد عني "فور" لا أريد رؤية وجهك أمامي.

استند "قاسم" بظهره يرتاح أكثر على الأريكة وعيناه تُتابع حوارهم بصمتٍ دون التدخل، بينما "فور" لم يُبالي بحديث أخيه واقترب أكثر وهو يتحدث برجاء:

_رجاءً أخي لا تحزن، أنت تعلم بأنني أُحبك كثيرًا أليس كذلك؟!

رَبَّع "ألبرت" ذراعيه أمام صدره بلامح وجه واجمة دون أن يُجيبه، فزفر "فور" بضيق أثناء قوله:

_حسنًا ما الذي تريده لتسامحني؟!

حارة القناص

وكالعادة الإجابة هي الصمت، يئس "فور" من محاولته لمُصالحة شقيقه الذي ظل يُعامله وكأنه هواءً منذ يومين، وقف من مكانه بملامح وجه مُقتضبة حزينة ثم سار عدة خطوات مُبتعدًا عنه، اعتدل "قاسم" في مكانه ثم نكز "ألبرت" بقوة في جانبه أثناء همسه الغاضب:

__ ما تتلم يلا بقى وفُكك من الجو دا وصالح أخوك.

امتعض وجه "ألبرت" بضيق ثم نفخ بغضب، وقبل أن يخرج "فور" من الغرفة بأكملها تحدث بصوتٍ جامد بعد أن وقف من مجلسه:

__ سأسامحك لكن بشرط!

توقف "فور" في مكانه واستدار له يُطالعه بلهفة وهو يقول:

__ شرط ماذا؟!!

صمت لثوانٍ مرت على "فور" وكأنها دهورًا، ليتخلى "ألبرت" عن صمته قائلاً وهو يفتح له ذراعيه:

__ عناق.

حارة القناص

اتسعت ابتسامه "فور" بسعادة ثم هرول إلى شقيقه دافعًا جسده إلى أحضانه بقوة ثم قَبَّل كل إنش في وجهه بجنون وهو يردد بسعادة:

_أحبك أخي.. أقسم بأي أحبك كثيرًا.. أحبك أكثر من "ليونيد" الأحمق.

علت ضحكات "ألبرت" بسخط أثناء محاولته للإبتعاد عن قُبَلات أخيه الهستيرية، ليتشدد من بين ضحكاته بضحكٍ ممزوج بالحنق:

_يا أحمق ابتعد عني.

دخل عليهم "صهيب" مُمسكًا بهاتفه واضعًا إياه على أذنه وهو يصرخ بغضب:

_أنت بتهزري يا "يحيى"؟! رجالة إيه اللي راحوا وراكم لبيت ناس غريبة؟!!

أتاه صوت "يحيى" من على الجانب الآخر وهو يحك عنقه بضيق:

_يا "صهيب" لو كُنا سيينا "وليد" لوحدنا كانوا صفوه، ولما لاقوه كانوا بُعاد عن بيت "هارون".

حارة القناص

انتفض "قاسم" من مكانه ثم اتجه نحو أخيه بخطواتٍ سريعة، وبعدها انتشل منه الهاتف مُحدثًا بصوتٍ غاضبٍ:

_الناس اللي انتوا عندهم دول يعرفوا حاجة عن اللي بنعملوا يا "يحيى".

ابتلع "يحيى" ريقه بتوتر أثناء نظره للشباب المُتجمعين أمام ناظره، لطم "رائد" على وجهه والذي استمع للحديث بأكمله بسبب فتح "يحيى" لمكبر الصوت، وبعدها همس بفزع:

_ "قاسم" لو عرف هيقتلنا كُلنا.

صاح صوت "قاسم" مُجددًا لكن تلك المرة بصراخٍ مُهتاجٍ:
_ انطق يا "يحيى" ومتعصبنيش، الناس اللي أنت عندهم يعرفوا حاجة؟!!!

وبهمسٍ خافتٍ أردف:

_ أيوا.

وبعدها لم يسمع أي منهم إلى شيء سوى صوت صرخات "قاسم" وسبابه المُهتاج الذي نال كل منهم جميعًا، نظر

حارة القناص

الجميع إلى بعضهم البعض بتوتر من حدة الموقف، فبرر
"يحيى" ما حدث بقوله الهاديء مُحاولًا امتصاص غضبه
بقدر الإمكان:

يا "قاسم" اهدى واسمعي، أنا...

قاطعته صوت "قاسم" بفضافة صارخًا:

أفهم إيـه؟! أنت عارف لو "مختار" ورجالته وصلوا
ليكم هيعملوا فيكم إيـه؟! هتعرض ناس ملهاش ذنب للخطر
عشان سيادتك أنت والغبي الثاني اللي ميتبلش في بوقه
فولة، انتوا عايزين تجنوني?!!!

حمم "يحيى" شاعرًا بظورة حديثه وصحته، فلو وصل
إليهم "مختار" سيتسبب في أذية أصدقائه وهم الذين
استقبلونهم في منزلهم بكل ودٍ وحب، لم يجد حديثًا يُجيبه
به، فاقترب "مدثر" من "يحيى" وتحدث بالجانب من
سماعة الهاتف ليسمعه:

الرجالة لما وصلوا لـ"وليد" كان في الشارع هو و"سليم"
بعيد عن البيت بمسافة كبيرة، يعني صعب يوصلوا للمكان
اللي إحنا فيه دلوقتي.

حارة القناص

جاءه صوت "قاسم" والذي ضيَّق ما بين حاجبيه بسخط
وهو يتسائل:

_ أنت مين؟!!

رد عليه "مدثر" بثباتٍ عكس فؤاده الذي يقرع خائفًا على
صديقه:

_ أنا "مدثر الطحاوي" كنت معاهم وجيت هنا بسرعة عشان
أبلغهم.

شدَّ "قاسم" على خصلاته بنفازٍ صبرٍ وهو يُغمض عيناه
غاضبًا، وبعدها تحدث بصوتٍ مكتومٍ قائلاً بعد ثوانٍ من
الصمت:

_ حاولوا تلحقوهم بأي شكل من الأشكال، وياريت وشوشكم
متظهرش عشان ميكونش فيه أي خطر على حياتكم.

أجابه "مصعب" تلك المرة مُتحدثًا بثقة:

_ متقلقش كل حاجة هتبقى تمام.

أوماً "قاسم" بصمتٍ وكأنه يراه ثم أردف بنهيج:

حارة القناص

_ ماشي، وخليك معايا يا "يحيى" واتصل بيا بعد ما تخلصوا على طول.

رد عليه "يحيى" بهدوء:
_ حاضر، يلا سلام.

أغلق "قاسم" الهاتف بغضب ثم أعطاه لشقيقه تزامناً مع صراخه المُهتاج:

_ "مختار الأرماني" مش ناوي يجيبها لبر، وديني ما هرحمه ابن الـ****.

كانت الفتيات قد تجمعن بدايةً من الحديث عندما ارتفع صوت صراخ "قاسم"، طالعت "أهلة" وجه "قاسم" الأحمر نتيجة لغضبه، وعيناه التي باتت حادة مُخيفة، ابتلعت ريقها بهدوءٍ ثم زفرت بإنهاكٍ وتعبٍ وهي تهز رأسها بيأس، رغم أن لا ذنب لها فإنها بشكلٍ أو بآخر لها علاقة بما يحدث، ففي النهاية "مختار الأرماني" هو والدها.

اقترب "ألبرت" من "قاسم" ثم ربت على كتفه مُتحدثاً بقوة:

متقلّش كل حاجة هتبقى كويسة، استتى شوية بس وهنبقى نكلمهم نطمئن عليهم.

كور "قاسم" قبضته بغضب وود في تلك اللحظة تحطيم كل شيء أمامه، الغضب الذي يحتبسه داخل صدره كبير ويفوق تحمله، أصدقائه في خطر هناك وهو هنا عاجز عن مساعدتهم بأي شكل من الأشكال، رغم أن "صهيب" استغل حديثه وقام بمهاتفة العميد "مغازي" لإرسال قوة حيث «حارة هارون»، لكنهم بالطبع سيأخذون وقتًا للوصول لهم.

تركهم "قاسم" يقفون ينظرون لبعضهم البعض بحيرة ثم اتجه نحو الخارج بخطواتٍ تعكس الغضب الذي يشعر به، نفخ "صهيب" بضيق وكذلك "ألبرت"، بينما تحرك "فور" ليلحق بـ "قاسم" فأوقفته "أهله" قائلة بصوتٍ هاديء لكنه به لمحة من الخوف:

خليك أنت يا "فور" أنا هروح وراه.

طالعتها "فور" بتردد، فسددت له ابتسامة طفيفة قبل أن تذهب من أمامه وتتبع "قاسم" الذي خرج إلى الحديقة الخلفية للقصر، واختارها تحديدًا لأنها مخفية عن الأنظار بعض الشيء، دارت بعيناها في المكان حتى رآته يقف أمام المسبح ينظر له بشرود، لكن صدره الذي يعلو ويهبط

أوضح لها مدى غضبه الشديد، لكن ما لا تعرفه بأنه غضب
ممزوج بالخوف على رفاقه.

اقتربت منه رويداً حتى توففت على مسافة قريبة منه ونادته
بخفوت:

_"قاسم"؟!"

استدار لها بوجهه مُجيباً إياها بهجوم:

_"عايزة إيه؟!"

ابتلعت باقي كلماتها من طريقته الفجة، فأوضح لها عقلها
الباطن بأن مُعاملته تلك ناتجة عن فعلة أبيها بهم، حاولت
التحكم بتلك الغصة التي تتشكل داخل حلقتها فتراجعت قائلة
بخفوت:

_"خ... خلاص."

قالتها ثم استدارت لتعود من حيث أتت، لكن تلك المرة بقلبٍ
مكرومٍ مُتألم، سارت عدة خطوات بعيداً، وما كادت أن تبتعد
خطوة أخرى وجدت يد غليظة تُمسك بخاصتها، استدارت له
تُطالعه بحدقتين مُملئتين بالدموع من فظاظته معها، فزفر

حارة القناص

هو بضيق قبل أن يجذبها لأحضانه قائلاً وهو يُربت على
ظهرها بحنان:

متزعليش مني بس أنا متعصب دلوقتي.

وبترددٍ واضح سألته بارتعاش:

متعصب مني؟! أنا مليش ذنب.

أغمض عيناه بألم على حالتها، فأحاط بوجهها ثم قرَّب
شفتيه منه طابعاً قُبلةً طويلةً على جبينها قبل أن يتحدث
بانهاك:

_أنتِ ملكيش ذنب يا حبيبتي والله أنا عارف، متحطيش
التفكير دا في دماغك ومتخوفيش نفسك على الفاضي._

هبطت دمعة شاردة من إحدى عينيها ثم أردفت بخوف:
خايفة تسيبني.

هز رأسه بسرعة ينفي ما تُفكر به وهو يقول بحب:

_وأنا خايف من حُبي المريض ليك، أنتِ بقيتي إدمان ليا
وأنا حابه ومش عايز أتعالج منه._

حارة القناص

بضعة كلمات منه كانت كالبلسم الذي ربت على فؤادها
لئداوي جروحه، استمعت إلى زفرته الحادة فربتت هي تلك
المرّة على ظهره وهي تقول بمؤازرة:
_متقلّش هما هيكونوا كويسين.

آمن على حديثها بقلبٍ مُتمني:
_يارب.. يارب.

وصل الشباب إلى المنطقة الزراعية التي أخبر "سليم" بها
"مدثر" قبل ذهابه لمُنادة الرجال، أخرج "يحيى" سلاحه
من جيب بنطاله ثم أرفف بعينان حادثان:
_هندخل بالراحة علشان ميحسوش بينا.

أمسك "يعقوب" جيّدًا بعصاته الخشبية الغليظة، ثم تشدق
بمكرٍ:

_لأ إحنا عايزينهم يحسوا بينا، مهما حصل معلى لازم
ياخدوا ضيافتهم في "حارة هارون".

حارة القناص

ابتسم جميع إخوته بمكرٍ مُماثل له، فتحدث "حمزة" قائلاً
بضحك:

رغم إن الحاج "هارون" هيبقى ليه رأي تاني في
الموضوع دا بس يلا، أهو كله بثوابه.

سار "عمران" بخطوات سريعة خلف "يحيى ورائد ومدثر"
الذين سبقوهم وهو يقول بمشاكسة:

احنا بنكون قاعدين في حالنا والمشاكل هي اللي بتتحدف
علينا، مش ذنبنا يا ولاد.

بينما "بادر" كان يُقاوم بكل قوته وهو يصرخ بهم:

أنا مش عايز آجي معاكم يا شوية بلطجية سيبوني.

جذبه "مصعب" معه بكل قوته والذي تشدق بحنق:

ما تتنيل امشي يالا بدل ما أكسر الشومة دي فوق دماغك
اللي شبه البقلاوة دي!

سار معه "بادر" بعد أن لكمه في معدته تزامناً مع قوله
المُتشنج:

يا جدع اتمم بقى وبطل تتمر، ولادك هيطلعوا نسانيس بسببك.

توقف "يحيى" فجأة واستدار لهم مُشيرًا بإصبع سبابته على فمه للصمت، ثم عاد بأنظاره لنفس النقطة التي تركها منذ قليل، نظر الجميع لأفق عيناه فوجدوا مجموعة كبيرة من الرجال المُسلحين يرتصون أمام كُلِّ من "وليد وسليم" الواقفين في موقف لا يُحسد عليه، نظر "يعقوب" لـ "يحيى" بجدية وهو يقول:

المكان هنا إحنا حافظينه، هنلف من الناحية الثانية عشان نهجم عليهم على غفلة ونشتتهم، وأنت و"رائد ومدثر وسيف" هتروحوا من قُدام على أساس إن دا عددكم كلكم، وإحنا الـ 11 هنهجم عليهم من ورا.

نالت الفكرة استحسان الجميع وبالفعل بدأوا في تنفيذها، أخذ "يعقوب" إخوانه ومعهم "عُدي، إسحاق، سليمان، ورياض" ثم استداروا إلى الجهة المُعاكسة لاستخدام عنصر المُفاجأة، بينما اقترب منهم "يحيى" ومعه "مدثر، سيف، ورائد" حتى وصلوا إليهم، رفع الرجال أسلحتهم على وجوههم ليتحدث "يحيى" بنبرة ساخرة:

متخافوش يا رجالة إحنا مش جايين نتخايق.

حارة القناص

طالعه أحدهم بصدمة مُردداً:

_"يحيى"!!؟!"

لوى "يحيى" تُغره مؤكداً بثقة وهو يُطالع الجميع بكره:

_"آه "يحيى" يا "وائل"، إيه مستغرب إني عايش مش كدا؟!!"

نظر إليه "وائل" بعدم فهم، ليبتسم "يحيى" بانتصار بعد أن بدأ في تشتيتهم، فاستطرد حديثه مُكملاً بسخرية:

_"ما هو أنا مستحيل كنت أكمل مع واحد زي "مختار الأرماني"، فيه ناس أنصف بكتير للأسف."

احتدت عيني "وائل" بغضب أثناء قوله الحاد:

_"بس أنت كدا خاين!!!"

شهق "يحيى" بسوقية وهو يرفع إحدى طرفي شفتيه:

_"لا حوش يا ولا الإيمان والتقوى اللي بيخر منك!!!"

طالعه الرجال بغضب، فاستطرد هو حديثه قائلاً بغضب:

حارة القناص

انتوا روحتوا واشتغلتموا مع "مختار الأرماني" وشاركتوه
في كل جريمه، ودلوقتي هتشتروكوا في جريمة أكبر، جاين
تاخدوا "وليد" لـ "مختار الأرماني" وانتوا عارفين مليون
في المية إنه هيقتله.

لم يُبالي "وائل" بحديثه هذا وأردف ببرود:
_ ميخصناش، احنا بننفذ الأوامر بس.

_ وإحنا مش بننفذ أوامر حد، إحنا ماشيين بمزاجنا.

صعدت تلك الكلمات فجأة من فاه "يعقوب" بنبرة خبيثة،
وما كاد الرجال أن يستوعبوا ما يحدث؛ حتى شعروا
بالعُصي الغليظة تهبط فوق رؤوسهم بعنف، وبدون أي
مُبالغة فقد الجميع وعيهم نتيجة لعنفهم المُبالغ به!

طالعهم "وليد" بفخرٍ ثم صاح بسعادة:
_ نردهاكم في الأفراح يا رجالة.

استدار له "رياض" والذي أردف بحماس:
_ شوفتني وأنا بضربه على دماغه بالخشبة؟!!

قهقهه "وليد" عاليًا وهو يُوميء له بالإيجاب، ثم أجابه
بمراوغة:

_كنت جامد يا ض، لأ فخور بيك.

طالعه "رياض" بغرورٍ زائف، بينما "مدثر" تشدق وهو
يتنهد بتعب:

_وأخيرًا خلصنا!! ياه الإنسان حاسس إنه مُتعب بشكل!

تشنج وجه "سليم" والذي تشدق باستنكار:

_تعب إيه يا أبو تعب؟! دا أنت كنت واقف جنبى هنا
متحركتش.

جعد "مدثر" جبينه بضيق وهو يقول:

_لأ بقولك إيه أنا مبحبش حد يستقل بقدرتي ومجهودي،
أنت مش عارف أنا عملت إيه!!

_عملت إيه؟!!

تسائل بها "سليم"، ليُجيبه "مدثر" بثقة:

_جريت عشان أقولهم إنكم في خطر يا ناكر للجميل.

أكد "إسحاق" على حديثه والذي اقترب منه ليُربت على ظهره بمأساة:

_أنا شاهد على دا، أنت تعبت أوي يا ض بس هما اللي معندهمش دم.

استدار "مدثر" لـ "إسحاق" مُحْتَضِنًا إياه وهو يقول بتأثر:

_أنا مليش غيرك والله، غير كدا هما صحاب فكسانة وأنت الأصل يا حبيب قلبي.

ضحك "إسحاق" بصخبٍ وبادله العناق، بينما "رائد" تقدم من "يحيى" وتحدث بإرهاق:

_كلم "قاسم" وكلمه عشان زمانه قالب الدنيا.

اتسعت عيني "وليد" بصدمة وتشدق بغير تصديق:

_هو "قاسم" عرف؟!!!!

لوى "سيف" شفتيه بسخرية قائلاً:

حارة القناص

_ دا أنت يومك مش معدي، دا حالف يقطعك لسانك من لغالغو.

ابتلع "وليد" ريقه بتوتر ثم قال:

_ يا مراري أنت بتهزر؟! بس أكيد أنت مقولتلوش إني قولتلكوا حاجة صح؟!!

ابتسم "سيف" ببلاهة قائلاً:

_ لأ قالوله.

_ يا مصيبتى!!

_ هو يا مصيبتك فعلاً.

كان ذلك صوت "قاسم" الذي أتاه عبر هاتف "يحيى" بعد أن هاتفه ليُطمئنَه على الوضع.

نظر "وليد" للأوجه من حوله عليهم ينقذوه، لكنه وجدهم يكتمون ضحكاتهم بصعوبة على ردة فعله، وفي تلك اللحظة علم بأنهم لن ينقذوه و"قاسم" لن يرأف به عند رؤيته، لذلك تشدق مُسرِعاً:

حارة القناص

_ على فكرة أنا مليش دعوة هما اللي جرجروني في الكلام
وأنا كنت قاعد مُحترم.

أتاه صوت "قاسم" الذي تحدث بحدة:

_ والله؟! يعني مش أنت اللي انسحبت من لسانك وحكيتلهم
كل حاجة؟!!

وبغباء أجابه "وليد" وهو يهز رأسه بالنفي:

_ لأ طبعًا مش أنا، هو أنا عيل صغير عشان ينضحك عليا
بسهولة؟!!

زفر "قاسم" بضيق وأخيرًا شعر بالراحة تتخلله، بينما
"أهله" تجلس بجانبه على الأرجوحة تضحك بصمتٍ على
الحوار الفكاهي الدائر بين كليهما، تنهد "قاسم" بدوار
يُصيبه دائمًا عند توتره، ثم أردف بهدوء:

_ لازم تختفي دلوقتي يا "وليد" نهائي، رُوح أي فندق يكون
مشهور ومشغول الـ24 ساعة عشان أكيد "مختار" هيبعت
ناس تانية لما يلاقي رجالته اتأخروا.

أومأ له "وليد" وهو يقول بثبات:

حارة القناص

__هعمل كدا فعلاً لحد ما الأمور تهدى شوية.

وافقه "قاسم" بقوله:

__تمام.. وأنا كلها أسبوعين وجاي، ومتروحش من غير
"رائد ويحيى" عشان يكونوا معاك دائماً.

__حاضر.

__يلا سلام، ولو عوزت أي حاجة كلمني ومتحملش هم.

قالها "قاسم" بجدية، ليبتسم "وليد" بامتنان قائلاً:

__ربنا يخليك يا "قاسم"، سلام يا باشا.

أغلق "يحيى" الخط والجميع يبتسم بانتصار على نجاح
خطتهم ونجاتهم جميعاً سالمين، وبعد قليل أتت قوات
الشرطة وقامت بالقبض على جميع رجال "مختار" الذين
استفاقوا، وأثناء الضجة الموجودة ضرب "وليد" على
صدره شاهقاً بصدمة:

__يالهيوي البت لسه محبوسة!!!

وبالعودة إلى "قاسم وهلاله" الحبيب..

أرجع رأسه للخلف بإنهاك وهو يهمس:
_ آه دماغي كانت هتفجر..

اعتدت "أهله" في جلستها وانمحت الابتسامة عن وجهها
وهي تسأله بقلق:
_ مالك يا "قاسم"؟!!

رد عليها بهدوء وهو على نفس حالته:
_ مفيش حاجة متقلقيش، أنا لما بتعصب أو بتوتر بصدع.

طالعته بصمت قبل أن تجذب رأسه إليها، طالعتها بتعجب
وهو يقطب جبينه بعدم فهم، لتوضح له فعلتها وهي تبتسم
برقة:

_ هعمك مساج عشان ترتاح.

ولم تُعطيه الفرصة للحديث بعد ذلك، بل وضعت رأسه على صدرها وأحاطته بذراعها، وباليد الأخرى قامت بدسها بين خصلاته التي طالت عما كانت عليه من قبل، وبدأت في تدليك فروة رأسه ببطئ، أغمض عيناه براحة وشعر بالراحة تتغلغل بين أوردته، رفع ذراعه وقام بلفهما حول خصرها ليُقربها منه أكثر مما جعلها تبتسم بحنان على فعلته.

_ محكتيش ليا بقى، أنتِ و" يمنى وملك" اتعرفتوا إزاي.

سحبت "أهلة" نفسًا عميقًا من داخل رئتيها ثم زفرته على مهل ثم بدأت بقص ما حدث لها:

_ في اليوم اللي قررت أهرب فيه من "مختار" كان السواق واخذني فيه للقصر، بس جاله مُكالمة إنه يطلع على مخزن من مخازن العيلة بس لحد دلوقتي مش عارفة ليه، هو ركن العربية وقلها عليا ونزل ودخل المخزن، وقتها أنا كنت يأست من الحياة كلها وقررت أهرب، كنت دايمًا بشوف السواق بيعين نسخة احتياطية من المفاتيح في صندوق العربية وكان سهل عليا إني أجيبه بما إني كنت وقتها وصلت لـ 15 سنة، ونزلت وهربت، وقتها لقيت "يمنى" كانت بتجري وبتعيط جامد أوي، أنا خوفت منها في الأول بس هي كانت أصغر مني بـ 3 سنين فصعبت عليا، ولما سألتها بتعيط ليه مكنتش بترد عليا، فقدت النطق لشهرين

تقريبًا من الصدمة اللي اتعرضت ليها لما شافت باباها اتقتل
قدام عنيتها من "مختار الأرماني وصادق مهران"، قعدنا في
الشارع أسبوع كامل كنا بناكل من الزبالة والله يا "قاسم"،
لحد ما ماما "نبيلة" شافتنا وصعبنا عليها وأخذتنا عندها،
وقتها "ملك" كانت هناك، كانت بنت جارتها وجارتها دي
ماتت وكانوا فقرا خالص، لحد ما قررت تربيتها هي كمان،
هي مش بتنتقم معانا وملهاش أي عداوة مع "عيلة
الأرماني"، هي بس بتكرهم من حقدنا وكرهنا ليهم،
وبس..من وقتها ماما "نبيلة" هي كل حياتنا ومهما عملنا
مش هنوفياها حقها.

كان "قاسم" يستمع إليها بتأثر، فشدد من الإحاطة بخصرها
وهو يقول بحنان:

ـ هعوضك عن كل الأذى اللي شوفتيه، أو عدك إني هعمل كل
اللي أقدر عليه عشان يسعدك.

كان الجو شاعريًا للغاية، حبيبان يجلسان على الأرجوحة
أسفل ضوء القمر المُنير بجاذبية تخطف الأنفاس، لفحات
الهواء الباردة تضرب بشرة وجوههم الصافية، السماء
السوداء مُزينة بالنجوم اللي أعطت للقمر دلالة ووقارًا، وهو
يضع رأسه على صدرها موضع قلبها يستشعر دقاته العنيفة

حارة القناص

في حضرته، وفؤاده يتاغم في طربه مع خاصتها، وكان بينهما ترابط جمع بين كليهما.

"قاسم".

نادته "أهلة" بها ببعض من التردد، ليُهمهم هو على ندائها وهو يقول:

"عيونه".

أغمضت "أهلة" عيناها برهبة شديدة ولا تعلم بما تبدأ حديثها أو ماذا تقول، لكنها حاولت ضبط أنفاسها اللاهثة وأخرجت من فاهها ما يريد فؤادها النطق به:

"بحبك".

توقفت أنفاسه عقب ما استمع إليه، شعر بفراشاتٍ تُحلق داخل معدته بقوة، لو قيل له أن الحديث مع مَنْ تُحب يُشعرك بأنك تطير عاليًا لما كان سيُصدق، لكن الآن! الآن يشعر بأنه طائر يُحلق بجناحيه دون الشعور بجسده!

ابتعد عنها مُطالعًا إياها بعدم تصديق وهو يُردد بتيهة:

__ أنتِ .. أنتِ قولتي ليه؟! !!

ابتلعت "أهلة" ريقها بصعوبة، والآن فقط شعرت بحجم الكارثة التي هبطت فوق رأسها، هبت من مكانها تقف بعيداً عنه ثم أردفت بتوتر:

__ مـ.. مفيش، قصدي يعني..

اقترب منها على بغتةٍ ثم أحاط بوجهها قائلاً بأعين مُتلهفة:
__ قولها يا "أهلة" تاني.

طالعت لهفته وأعينه المُلتمعة، نظراته الراجية على ترديد كلمتها وكأنها طوق النجاة بالنسبة له، تشبكت نظراتهما معاً، وتتساجت أفئدتهم بخيوطٍ واهية لكنها متينة، وبصوتٍ عاشق تفوهت قائلة:

__ أنا بحبك يا "قاسم، بحبك أوي.

وفي اللحظة التي تلتها كانت تُحبس بين أضلاعه، يُحيطُ بخصرها بقوة وكأنه يُريد إدخالها داخل ضلوعها، يُريد احتجازها بين ثنايا قلبه ويُحيط بها بأسوارٍ عالية حتى لا تهرب، وكذلك هي.. شددت من عناقه وكأنه آخر أمل لها، وقد كان ذلك بالفعل!

خرج صوت "قاسم" مكتومًا نتيجة لدفنه لوجهه بين ثنايا عنقها وهو يقول:

وأنا بموت فيك يا روح وقلب "قاسم".

تم نقل "أنس الأرماني" إلى المشفى بعد أن وجدوه مُلقياً على الأرض في حالة يُرثى لها، ذهب معه "مختار الأرماني" والذي قرر تنفيذ خطته الدنيئة بعد أن يطمئنوا جميعاً على صحة ابن شقيقه، استقبلوهم الأطباء على وجهٍ من السرعة لعلمهم بصلة القرابة بين المريض وصاحب المشفى والذي لم يكن سوى "مختار".

تم إدخاله إلى غرفة الطوارئ عندما وجدوا مادة بيضاء تخرج من داخل فمه، زادت شكوكهم حول فكرة تسممه، وقف "نادر" بالخارج وعقله كاد أن ينفجر من شدة الخوف، ناهيك عن ارتعاشة جسده التي ظهرت فجأة، كانت "ريماس" تُتابع كل ما يحدث بضحكة شامتة، تتيقن بأنه سيلقى مصرعه تلك الليلة، وهذا كل ما تريده، تلك العائلة الحقيرة التي أفقدتها أعز ما تملك، والدها، وشقيقتها أيضاً،

حارة القناص

الجميع تركها وغادر وظلت بين عميين جشعين، لكن هي لن تصمت وستأخذ بثأرها من الجميع، وكأنها ليست المُخطئة!

مرت نصف ساعة ولم يخرج أحد لطمئنتهم، ليصرخ "نادر" بغضب ناتج عن قلقه:

_محدث بيخرج عشان يطمنا ليه؟!!!

اقتربت منه "ريماس" بترو شديد حتى وقفت بجانبه، وببطئ ربت على كتفه قائلة بنظرات ذات مغزى:

_متقلقش يا عمي، أكيد هيبقى كويس.. وكويس أوي كمان.

كان حديثها يخفي كوارث كبرى لكن لم يفهم أحد مغزاه سواها، مرت عشر دقائق أخرى حتى خرج الطبيب أخيراً من غرفة العناية، هرول إليه "نادر" بتلهف وهو يقول:

_طمني يا دكتور "أنس" عامل إيه دلوقتي؟!!!

هز الطبيب رأسه أسفاً قبل أن يُبلغه بيأس:

_للأسف مقدرناش نعمله حاجة، البقاء لله.

حارة القناص

فتح "نادر" عيناه على آخرهما يُطالع الطبيب بعدم تصديق،
وبعد ثانيتين أصابته حالة من الهياج العصبي فأمسك
الطبيب من ثيابه يهزه بعنف وهو يصرخ به:
_ أنت اتجننت؟! أنت بتقول إيه?!!!

فزع الطبيب من هجومه المفاجيء فبرر مُسرِعًا:
_ يا "نادر" بيه السم كان انتشر في جسمه كله ومقدرناش
نلحقه، فيه حد كان بيحطلوا السم دا بقاله فترة كبيرة ودا
نوعه نادر جدًا عشان بيبقى بطيء المفعول وأثره مش
بيظهر على المريض إلا في الأيام الأخيرة بس.

أبعده "مختار" عن الطبيب قائلاً بأسى:
_ قدر الله وما شاء فعل، شد حيلك يا "نادر".

هبطت دموع "نادر" وهو يُطالعه بتيهة وعدم تصديق،
وبصوت هامس أردف:
_ ابني!! ابني مات!! طب.. طب ليه?!!!

بينما "ريماس" اطمئنت على نجاح خطتها وتغرها يرتسم
عليه ابتسامة النصر، لكنها لم تشعر بتلك الدمعة الشاردة

التي هبطت من داخل حدقتها، كانت دمعة مُتحسرة قبل أن تكون حزينة، لقد عاشت وسط عائلة أقل ما يُقال عنها بأنها قدرة، زرعت بها فكرة الغرور والكره لكل من حولها، حتى باتت نسخة مُصغرة منهم، ضميرها كان يُؤنبها أحياناً على أفعالها وأحياناً أخرى تشعر أنها بدون ضميرٍ من الأساس، وتلقائياً هبطت يداها نحو جوفها تُمسد عليه بلُطف، ينمو بداخلها صغير أقسمت على جعله أفضل ما يكون، ستبتعد عن هنا نهائياً وتقوم بتربية صغيرها، لقد أخطأت وهو سيدفع الثمن طيلة حياته، لكن على الأقل تستطيع تربيته بشكلٍ صحيح أليس كذلك؟!!

رحلت من المشفى نهائياً بعد أن زارت شقيقتها المحفوظة داخل ثلاجة الموتى، رحلت بعد أن قبلت جبينها وهمست لها بصوتٍ يائس:

__ربنا يرحمك يا "ريمانا"، ربنا يرحمك ويتقبل توبتي.

صعدت إلى سيارة الأجرة التي جاءت بها، وبنفس تلك السيارة توجد حقيبتها التي جلبتها معها للرحيل تماماً عن ذلك العالم القذر، ستبتعد هي وصغيرها وتقضي حياتها في التكفير عن ذنوبها، أخرجت هاتفها وقامت بكتابة رسالة نصية إلى أحد الأرقام كانت فحواها:

__"أنا آسفة".

وبعدها قامت بطلب أحد الأرقام وانتظرت قليلاً حتى أتتها
الإجابة، لترد بعدة بصوتٍ ثابت:
_ عايزة أبلغ عن عملية غير مشروعة هتتم بعد ساعة من
دلوقتي في «مستشفى الأرماني».

عاد "وليد" مُهرولاً حيث ترك تلك الفتاة فوجد جميع مَنْ
بالشارع يظهر على وجوههم الهلع والخوف، تجاهلهم
جميعاً واتجه نحو الفتاة التي تمتلك شامة فوق شفتها، فتح
البوابة الحديدية الكبيرة التي أغلقها عليها فوجدتها تجلس
على الدرج واضعة كفها أسفل ذقنها، زفر بارتياح عند
رؤيتها سالمة ثم تقدمها منها وهو يتسائل:

_ أنتِ كويسة؟!!!

رفعت عيناها السوداوتان الحادة تُطالعه بحنق، ثم هبت من
مرقضا مُتحدثة بتشنج:

_ والله لسه فاكرني؟!!! بقالك نص ساعة حابسني في مدخل
بيت مهجور لحد ما قربت أتلبس خلاص؟!!!

قطب "وليد" جبينه بتعجب وهو يقول:

حارة القناص

__ومفتحتيش وخرجتي ليه أنا مش قافل الباب بحاجة.

نظرت خلفه على الباب بغضب، فاستدار هو ناظرًا حيث تقع
عينها، فوجد البوابة الحديدية خالية من أي عنصر مُساعد
يُساعدها على فتحها، بمعنى أصح لا يوجد بها أوكرة من
الداخل، بل من الخارج فقط، رسم "وليد" ابتسامه بلهاء
على ثغره وهو يعود بأنظارها مُجددًا أثناء قوله:

__طبعًا لو حلفتك إني مكنتش أعرف هتصدقيني صح؟!!!

فتحت فاهها لتُجيبه، لكنها ابتلعت كلماتها بفرع عندما
استمعت إلى أصوات غريبة تأتي من الأعلى، قطب جبينه
بتعجب قبل أن يتسائل باستغراب:

__مش أنتِ قولتي البيت دا مهجور؟!!!

ابتلعت ريقها برعب وهي تُجيبه قبل أن تهول راکضة إلى
الخارج:

__هو مهجور من الناس بس مسكون بحاجات تانية.

فتح عيناه بصدمة حتى كادت أن تخرج من محجرها، وبعدها
تبعها مُهرولاً وهو يصرخ بفرع:

حارة القناص

__ يعني إيه مسكون بحاجات تانية الله يخربيتك.

وقفت بعيداً عن المنزل وصدورها يعلو ويهبط بنهيج، وضعت
كفها موضع قلبها ثم تمتت بنهيج:

__ دا أنت شووم على البشرية، في الساعة اللي شوفتك فيها
كنت هتقتل وهتلبس الاتنين مع بعض.

تشنج وجه "وليد" باستنكار قبل أن يجيبها:

__ أنا طول عمري متداري وبعمل كل حاجة من تحت لتحت
من غير ما يتشك فيا، فمتخلنيش أخلص عليكِ وأتاوي
جتتك.

فرغت فاهها بصدمة وعادت خطوتان للخلف أثناء قولها
المُتلعثم:

__ أنت .. أنت قصدك إيه؟!!

وما كاد أن يجيبها؛ حتى استمع إلى صوت أنثوي غليظ
يُنادي الأخرى أثناء اقترابها منهم:

__ بت يا "نرجس" واقفة هنا بتعملي إيه?!!

حارة القناص

نظرت "نرجس" لزوجة أبيها بتوتر وهي تقول:
مفيش يا مرات أبويا دا أنا كنت مستخبية.

لم تقتنع الأخرى بحديثها وظهر ذلك على معالم وجهها الحادة، نقلت أبصارها حيث "وليد" الذي يتابعها ببرود ثم أشارت له بسبابتها وهي تتسائل بحدة:
_أومال مين الجدع اللي أنتِ واقفة معاه دا؟! انطقي!

صرخت بالأخيرة بصوتٍ جهوري قصدت به إحراجها أمام المارة الذي انتبهوا لصوتها العالي، ابتلعت "نرجس" ريقها برعبٍ وشعرت برغبة عارمة في البكاء من فكرة إهانتها بهذا الشكل أمام الجميع، وبالطبع لم تجد ما تقوله، فجاءتها الإجابة من "وليد" والذي أردف بنبرة جامدة:

_وأنت مالك؟!!

فتحت عيناها بصدمة قائلة:

_إيه؟!!

ليؤكد لها حديثه بوقاحة:

_ أيوا أنت مالك عايزة تعرفيني ليه؟! هتطلعيلي بطاقة؟!!

احتدت نظراتها تزامناً مع صعود صوت صرخاتها الغاضب:
_ أنت قليل الأدب ومتربتش.

التوى ثغر "وليد" بضحكة ساخرة وهو يقول بخبت:
_ أيوا أنا فعلاً متربتش عرفتي إزاي؟! ولو عايزاني أثبتك
عملي أنا معنديش مشكلة.

قال جُمَلته الأخيرة بعد أن انمحت سُخريته وحلَّ محلها نبرة
التهديد التي ظهرت واضحة في صوته، حديثه أخافها
وشجعها على التراجع وعدم الحديث معه، فاستدارت إلى
"نرجس" التي شحب وجهها بخوف، ثم أمسكتها من
معصمها بقوة آلتها ثم جذبتها خلفها بقوة بعد أن تشدقت
بعنف:

_ امشي فضحتينا، كلامي مش معاك، كلامي مع أبوك اللي
معرفةش يربيك.

طالع "وليد" أثرهما بغضبٍ جامح من تلك المرأة السليطة
والتي يبدو على محياها الشر، وظهر ذلك في مُعاملتها
الحقيرة التي أوضحت مدى عناء المسكينة الأخرى معها،

نفخ بغيظ جاذبًا خصلاته بسخط تزامنًا مع دخول "نرجس"
وزوجة أبيها إلى منزلهما البسيط.

أتى الشباب من خلفه بعد أن أنهوا جميع الاجراءات مع
قوات الشرطة وتسليمهم لرجال "مختار" لهم، فتقدم
"يحيى" من "وليد" قائلاً:

يلا يا "وليد" نروح نشوف فندق تقضي فيه ليلتك النهاردة
لحد ما الصبح يطلع.

أوما له "وليد" وبالفعل ذهب هو ومعه السادس عشرة
رجلاً بعد نقاشات كثيرة بينهم على ضرورة قدومهم معه،
لكنهم أصروا على الذهاب معه حتى يجدوا له مكان آمن
يبيت به، وصلوا جميعًا إلى فندق كبير خمسة نجوم به
الكثير والكثير من الزبائن وخدمته متاحة أربعة وعشرون
ساعة كما أخبره "قاسم".

كان دخولهم يُشبه دخول رجال العصابات للإستيلاء على
المكان، سبعة عشر رجلاً بأجساد رشيقة يدلّفون معًا داخل
الفندق بلامح وجه جامدة للغاية، نظر الجميع لبعضهم
البعض بقلق ظنًا منهم بأنهم أحد المسؤولين ذو المكانة
الرفيعة في البلدة، وكذلك توترت معالم رجل الاستقبال الذي

حارة القناص

يجلس أمام جهاز الحاسوب عندما وجدهم أمامه، ابتلع ريقه بصعوبة ثم تسائل بثباتٍ طفيف:

_أقدر أساعد حضرتك إزاي يا فندم.

وعلى غير المُتوقع تحدث "يحيى" مُبتسمًا:

_عايزين نحجز أوضة هنا في الفندق.

نظر الآخر إلى الكم الهائل من الرجال بأعين غير مُصدقة، وبتلقائية شديدة رفع سبابته أمام وجهه وهو يقول:

_أوضة واحدة؟!!

أكد له "يحيى" بقوله:

_أيوا بالظبط أوضة واحدة.

_ليكم كلكم يا فندم؟!!

أجابه "يحيى" ببساطة:

_لأ لواحد بس.

حك الرجل جبينه بحيرة وعيناه مازالت تمر على عدد
الرجال الكبير، فأخفض يديه ووضع أصابعه على لوحة
المفاتيح الخاصة بالحاسوب وهو يقول:
_ اسم حضرتك وبطاقتك يا فندم.

فتح "يحيى" فاهه ليتحدث، لكن قاطعه "وليد" قائلاً بثقة
وهو يضع بطاقته أمامه:
_ "رائف سعيد المحمدي".

بدأ الرجل بكتابة اسمه ولم ينتبه لردات فعل الجميع
وصدمتهم المُرْتَسمة بوضوح على وجوههم، قطب "رائد"
جبينه باستغراب شديد وهو يسأله:
_ مين "رائف سعيد المحمدي"!!!?

أجابه "وليد" وهو يهز كتفه ببساطة:
_ أنا.

تجدد وجه "سليم" الذي تسائل بعدم فهم:

حارة القناص

_ هو أنت مش اسمك "وليد سعيد فريد"؟! مين "رائف سعيد المحمدي"?!!

رد عليه بخبثٍ ونظرات المكر تدور داخل مقلتاه:

_ "وليد سعيد فريد" هو اسم مستعار كنت بستعمله عشان لو "مختار الأرماني" كشفني وحب يدور عليا زي دلوقتي ميلاقنيش، أما "رائف سعيد المحمدي" فهو اسمي الحقيقي.

وتلك المرة تحدث "يحيى" بغیظ:

_ يا ابن الغدارة!!!.

على طاولة الطعام..

كان "فور" يجلس وهو يطالع "صهيب" الذي سحب "حببية" يدعوها لتناول الطعام، مد يده لأخذ قطعة من الدجاج فصرخ به "فور" غاضبًا:

_ هذه لي.

طالعه "صهيب" باستفزاز ثم أخذ قطعة الدجاج بالرغم عن الآخر الذي طالعه بحقد، ثم أعطاها لـ "حبيبة" وهو يقول بابتسامة حنونة:

_ خُدي وكلي كويس يا بسكوتة عشان تعرفي تصومي بكرة.

نظرت "حبيبة" إلى "فور" بتردد، فأردفت ترفض الطعام بقولها:

_ لأ خلاص مش عايزة طالما هو هيتضايق.

فتح "صهيب" فاهه ليتحدث، لكنه صمت عندما صدح صوت "مهرايل" التي هبت من على الأريكة مُنتشلة قطعة الدجاج من يد "صهيب"، ثم وضعتها على الطبق الخاص بـ "حبيبة" أثناء قولها الساخط:

_ هو إيه اللي هيزعل، هو هيشـتغلنا هو وأخوه ولا إيه؟! !!
متخافيش يا حبيبتى وكلي هما كلهم دماغهم تعبانة كدا.

رفع "ألبرت" حاجبيه باستنكار أثناء مُطالعه لها، بينما هي سددت له نظرة نارية وهي تُكمل حديثها:

_ كُلي يا ماما علشان تغذي اللي في بطنك، واتوحي على حاجة عدلة الله يسترلك، أديك شايفة الأشكال اللي بتظهر قدامنا فجأة.

_ ماذا تقصدين؟!_

تسائل بها "ألبرت"، لتُجيبه "مهرائيل" بابتسامة مُستفزة:
_ اللي على راسه بطحة يا عسل.

نفخ "ألبرت" بغیظ وطلعها بحنق وهو يهز رأسه بیأس،
جاء بتلك اللحظة "قاسم" ومعه "أهلة" وعلى شففتهم
ترتسم ابتسامة طفيفة، جلست "أهلة" بجانب "حبیبة"
مُسددة لهم ابتسامة مُحبة، وعلى الجانب الآخر جلس
"قاسم" بجانب "فور" قائلاً بضحك:
_ كل كویس عشان تعرف تصوم.

نفخ "فور" بغیظ أثناء ابتلاعه للطعام، ثم تشدق برجاء:
_ هل يجب عليّ أن أصوم؟! حَقاً هذا الأمر صعبٌ للغاية.

أكد له "قاسم" بقوة:

_ لازم تصوم يا "فور"، لازم جداً كمان.

حارة القناص

سحبت "أهلة" يد "حبيبة" ثم أردفت بهدوء:
_ هاخذ "حبيبة" عشر دقائق وهنيجي تاني.

أوما لها "قاسم" بحنان لعلمه بما تريد أن تفعله، بينما
"أهلة" استدارت نحو "مهرائيل" التي تُحاول عدم إظهار
حُزنها ظناً منها بأنهم سيذهبوا وحدهم، ثم تشدقت بابتسامة
هادئة:

_ تعالي معانا يا "مهاميهو".

اتسعت ابتسامة "مهرائيل" ثم هبت من مكانها وذهبت معهم
بحماس، صعدوا إلى غرفة "أهلة" فاتجهت نحو الخزانة
وفتحتهَا ثم أخرجت منها عدة ثياب تخص المُحجبات،
اقتربت "حبيبة" منها ثم تسائلت بتعجب:

_ إيه الهدوم دي كلها؟!

وضعت "أهلة" الفساتين التي أتت بهم على الفراش، ثم
استدارت إلى "حبيبة" قائلة بحب:

_ الدريسات دي كلها ليك، جبتهم وأنا بجيب هدوم مُحجبات
ليا علشان نلبس اللي نفسنا فيه في رمضان من غير ما
نشيل ذنب، وبإذن الله هنلبسهم دايمًا.

اتسعت ابتسامة "حبيبة" وهي ترى كل تلك الثياب التي أتت بها من أجلها هي، لم تُجرب ذلك الشعور من قبل سوى من "صهيب"، والآن "أهلة" تجعلها تعيش ذلك الشعور مُجددًا، بمشاعر جديدة من الحب والود والحنان، أدمعت أعين "حبيبة" تأثرًا فذهبت إليها مُسرعة ثم عانقتها على بغتة وهي تهمس:

_ أنا بجد بحبك أوي.

قبّلت "أهلة" رأسها بحنان وهي تُشدد من احتضانها، ثم همست لها بمشاعر أخوية بحتة:

_ وأنا كمان بحبك أوي.

استمعوا إلى صوت شهقات خافتة تأتي من جانبهم، فابتعدوا ناظرين إلى مصدر الصوت فوجدوها "مهرايل"، قطبوا جبينهما بتعجب ثم اقتربوا منها بقلق، فتحدثت "أهلة" بقلق:

_ مالك يا "مهرايل".

ردت عليها "مهرايل" بقهر:

_ أختي اللي منها لله من ساعة ما اتجوزت معبرتنيش بشراب حتى، والله لهروح أنكد عليها هي وجوزها دلوقتي.

قالت كلماتها الأخيرة ثم هرولت إلى غرفة شقيقتها لتُفسد
ليلتها هي وزوجها كما قالت، بينما "أهلة وحببية" نظرا
لأثرها ببلاهة قبل أن تنفجر كلتاها في الضحك.

في اليوم التالي وتحديداً في الساعة التاسعة صباحاً..
ارتى "فور" على الأريكة وهو يهمس بإنهاك:
_ فليندقني أحد أتوسل إليكم، أنا أموت جوعاً.

علت ضحكات "قاسم" بصخب والذي اقترب منه ضارباً
على كتفه بابتسامة مكتومة:
_ هانت يا بطل، كلها عشر ساعات وناكل.

رفع "فور" إصبع سبابته قائلاً برجاء:
_ دجاجة واحدة فقط.. أقسم بأي ساكل دجاجة واحدة فقط
وبعدها سأصوم.

حارة القناص

جلس "صهيب" بجانبه على الناحية الأخرى، ثم تمت
بسخرية:

_يا بني أنت مش عارف الفراخ بكام دلوقتي؟! ولا هما الكام
مليون اللي حيلتك مقويين قلبك?!!

ابتلع "فور" ريقه بصعوبة، ثم أجابه بنهيج:
_لدى كل منا ملياران فقط.

فتح "صهيب" عيناه بعدم تصديق وهو يقول بصدمة:
_ملياران?! مبتفكرش في الجواز يسطا?!!

علت ضحكات "قاسم" عاليًا والذي ضرب كفه بكف شقيقه
الذي شاركه الضحكات قائلة من بين ضحكاته:
_يخربيت دماغك القدرة.

_أنت مش شايف بيقولك كام ياعم?!!

تدخل "فور" في الحديث وهو يهز كتفيه ببساطة:
_أنا بالفعل سأتزوج.

انتبهت لهم حواس "قاسم وصهيب"، ليخرج "صهيب" من
تعجبه مُتسائلاً:

_ هتجوز مين؟!!

أجابه "فور" بنظراتٍ هائمة:

_ "هايلة".

وفي الجامعة الخاصة بـ "سهيلة"، جلست بجانب "مريم"
قائلة بابتسامة واسعة سعيدة:

_ أنا مبسوطة أوي يا "مريم"، عُمرى ما فرحت بالطريقة
دي.

أمسكت "مريم" كف يدها بحنان وهي تقول:

_ شوفتي الحلال حلو إزاي؟! مش قولتلك لما ترفعي إيدك
لربنا وتدعي بثقة وإلحاح ربنا عُمره ما هيرد إيدك وهي
فاضية أبدأ! ربك بيستجيب للدعوة في الوقت المُناسب في
الوقت اللي أنتِ بتيأسي فيه.

أدمعت عين "سهيلة" تأثراً ثم همست شاكراً:

حارة القناص

_ الحمد لله بجد، أنا كنت في غفلة والشيطان كان عامي بصيرتي، كنت ماشية في طريق اللي يمشي فيه ميرجيش تاني، لحد ما ربنا بعثلي "عائشة" الله يرحمها، لو فضلت عمري كله أدعيها وأشكرها على اللي عملته معايا أنا عمري ما هوفيها حقها.

_ ربنا يرحمها يارب، "عائشة" كان قلبها أبيض وسابت أثر كبير على قلوبنا كلنا.

تهدت "سهيلة" بحزن على صديقتها الراحلة وبعدها تشدقت بابتسامة طفيفة:

_ في يوم من الأيام هروح أزور بيت ربنا وهعمل عمرة على روحها، في يوم من الأيام مع الإنسان اللي بحبه واللي هيبقى جوزي بإذن الله.

بعد مرور أسبوع:

استعد "ألبرت" ومعه جميع أخواته وكذلك "قاسم وصهيب" لحضور جلسة قضية والدتهم ومعها "ميلانو" بعد مرور أسبوع كامل، صعدوا إلى سيارتهم وانطلقوا بها إلى مبنى المحكمة العليا، جلسوا في أماكنهم وعلى وجوه السبعة

إخوة يرتسم الجمود بوضوح، ربت "قاسم" على قدم
"ألبرت" قائلاً بمؤازرة:

لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يُرام.

أوماً له "ألبرت" بصمت، وبعد عشر دقائق دخل القاضي
إلى ساحة المحكمة وجلس على كُرسيه الخاص، وبعده دخل
"ميلانو" ومعه "إيلينا بوجهٍ واجم، اسودت وجوه الإخوة
السبعة عقب رؤيتهم معاً، لتُسد لهم "إيلينا" نظرة مُترجية
قابلوها باستخاف شديد.

مرت نصف ساعة أخرى بين حديثٍ وأدلة وغير ذلك، حتى
حمم القاضي أخيراً وجاء وقت النطق بالحكم، انتبهت
حواس الجميع عقب إصدار حكم القاضي وهو ينظر للأوراق
بين يديه قائلاً بلغتهم الروسية:

بعد النظر إلى الأدلة وكل ما تنتمي له الحقائق والبراهين،
قررنا نحن على المُتهمين "ميلانو شيفت وإيلينا چاكي"
بالإعدام.

وبرغم مرارة وصعوبة ما استمعوا إليه، إلا أنه كان أقل
شيء يقدمونه لوالدتهم الخائنة، ومن هنا تبدأ حياة جديدة
لهم دون وجود أي شوائب.

كانت "مهرايل" تقف أمام المسبح تشرب كوبًا من عصيرها المفضل، أغمضت عيناها تتلذذ بمذاقه لكنها فتحتها فجأة عندما شعرت بمن ينتشل الكوب من بين يديها، تجعد وجهها بسخطٍ عندما وجدت "ألبرت" يتجرع من الكوب بتلذذ، وعندما ترابطت أبصارهما؛ ضرب كتفه بخاصتها وهو يقول بمشاكسة:

_ كيف حالك جروي المزعج.

طالعه بنظراتٍ ضائقة وكأنها تُعاتبه دون حديث، بينما هو ارتشف القليل من العصير مُجددًا ثم أكمل بخلت:

_ أتتذكرين تلك الفتاة "ريتاليا"؟! تلك التي أخبرتكِ بأنني سأزوجها.

تصنعت "مهرايل" التفكير وبعدها قالت ببرود:

_ قصدك البت أم شعر أصفر وعيون زرقا وطويلة وكيرقي؟!!

ضحك "ألبرت" وهو يوميء لها:

_ أيوا هي.

نفث "مهرايل" برأسها قائلة:

__ لأ مش فاكراها.

__ اتقبض عليها.

حاولت "مهرائيل" عدم إظهار سعادتها والثبات على موقفها، فأردفت بجمود ظاهري:

__ بركة، عقبالك أنت كمان، عشان تتجوزها في السجن يا خفيف.

علت ضحكاتهما على مُشاكسة تزامناً مع طرق فؤادها بقوةٍ رغماً عنها، لقد سيطر هذا المُختل على كيانه دون أن تشعر، وهي البهاء التي سلمته مفاتيح قلبها، اقترب منها "ألبرت" خطوتان بعد أن توقف عن الضحك، ثم همس أمام وجهها بحب:

__ لن أتزوج غيرك جروي الصغير، هذا وببساطة لأنني أُحبك.

شلت الصدمة جسد "مهرائيل" التي طالعتة بعدم تصديق، وهو كالعادة لم يراف بحالتها، بل اقترب أكثر مُحيطاً بوجهها ثم تشدق بتساؤل:

حارة القناص

_أخبريني كيف استطعتي أن تهدمي حصوني، آرقتِ نومي،
وأزعجتِ قلبي، وتشتاق لكِ عيني.

ارتعش جسد "مهرايل" وابتعدت عنه خطوتان إلى الخلف،
وبتلعثم وأنفاسٍ ثقيلة تسائلت بخوف:

_ "ألبرت" .. أنت بتضحك عليا ولا بتتكلم بجد؟!!

كان يعلم بأنها لن تصدقه، فابتسم لها بخفة ثم أردف بهدوء:
_ أتحدث بكل جدية وأنا بكامل قواي العقلية، في اللحظة التي
ظننت بها بأنني مللت، كنتُ قد ملتُ ووقعت.

وعلى الجانب الآخر:

وقف "فور" أمام رجل السجل وبجانبه كُلاً من "قاسم
وصهيب وجون" كذلك، وهو يُفكر في اسمٍ جيد حتى يتناسب
مع ديانته الجديدة، تأفف الرجل عندما طال صمته فتشدد
بنفاد صبر:

_ هيا سيدي رجاءً، يوجد الكثير في الصف وأنت مازلت
تُفكر؟!!

حارة القناص

رفع "فور" أنظاره إليه ثم أردف بحماس:
_أريد تغيير اسمي إلى "يونس".

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

السلام عليكم

كفاكم نشرًا للموسيقى

أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيهِ!

•(الفصل الواحد والخمسون)•

•(حارة القناص)•

•(هروب)•

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

وعد الله بها عباده الصالحين ويُبشِّرهم بما يسرهم في الدنيا والآخرة، الذين اصطبروا على الإبتلاء والخوف من الأعداء، والجوع بسبب قلة الطعام، والأموال بسبب صعوبة الحصول عليها، وبنقص في الأنفس بسبب الآفات التي تُهلك الناس، والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله عائدون يوم القيامة، هؤلاء عليهم ثناء من ربهم، ورحمة من الله عليهم، وألئك هم المهتدون إلى الطريق الحق.

وكما يُقال طريق الشر قصير مهما بلغ طوله، لذلك تم القبض على "مختار الأرماني" بتهمة الإتجار بالأعضاء، وتم القبض على شحنة مليئة بالمواد الغذائية المُسرطنة باسمه هو، كما قامت قوات الشرطة بتشميع جميع ممتلكاته بما فيهم المشفى الخاصة، كما أُلقي القبض على "نادر الأرماني" الذي شاركه في فعلته بسبب جشعهم.

وقف "مختار" و بجانبه "نادر" أمام مكتب الضابط بوجه واجمة، ليترك الباب وتبعه دخول الشرطي الذي أدى تحيته العسكرية ثم أردف بنبرة عملية جادة:

_ العميد "مُغازي" برا وعازير يقابل حضرتك يا فندم.

هبّ الضابط من مضجعه ثم تشدق بسرعة:

_ دخله يابني بسرعة.

_ تمام يا فندم.

قالها الشرطي بعد أن أدى التحية العسكرية مرة ثم خرج، مرت ثوانٍ قبل أن يدخل العميد "مُغازي" بكل ثقة، فاقترب منه الضابط يُصافحه بود:

_ نورت المكتب كله يا سيادة النقيب.

بادلله العميد "مُغازي" المُصافحة أثناء تحويله لأنظاره إلى "مختار ونادر"، طالعه "مختار" بغلٍ دفين وهو يركز على أسنانه بحقد، التوى ثُغر "مُغازي" بابتسامة مُلتوية قبل أن يقترب منه أثناء وضعه لكفيه داخل جيب بنطاله، وبيروِدٍ تحدث قائلاً:

_ نورت القسم كله يا "مختار"، بقالي سنين مستني اللحظة دي من زمان أوي.

ابتلع "مختار" ريقه الجاف ثم أجابه بوعيد:

_ هطلع يا "مُغازي" غصب عنك، وبكرا هتشوف إن مش "مختار الأرماني" هو اللي يتحبس ويتهدد.

أخرج "مُغازي" كفه من جيب بنطاله ثم حك بإصبع إبهامه جانب فمه وهو يقول بابتسامة ساخرة:

_ ومالو! ما هو دا اللي ناقص يا "مختار"، بس قبل ما تهرب عايز أوريك هدية صغيرة خالص أنت والبيه أخوك.

رفع "نادر" أنظاره التائهة له مُطالعًا إياه بحيرة، لقد انحنى ظهره وظهر الشحوب واضحًا على وجهه، بالإضافة إلى ذلك الإسمرار الذي يظهر أسفل عينيه الحمراوتين من كثرة التعب والإنهاك، وبصوتٍ مبجوح تسائل:

هدية إيه؟!!!

نظر "مُغازي" خلفه دون أن يستدير بجسده، ورفع يده يُشير إلى العساكر الذين ينتظرون إشارته، لينطلق إليه أربعة رجال شُرطيين وقاموا بالإمساك بهم من كل جانب، وقبل أن يرحلوا نظر "مُغازي" نحو الضابط وهو يقول بهدوء:

عن إندك يا سيادة النقيب، محتاجهم في حاجة كدا.

أوما له الضابط باحترام وهو يؤدي له التحية العسكرية:
تمام يا فندم.

سار "مُغازي" في الأمام، وخلفه سار كلاً من "مختار وناذر" مُحيطان بالعساكر وساروا بين أروقة القسم لعدة دقائق، كان "مختار" يشعر بوجود خطبٍ ما، وهذا ما يُقلقه ويثير ريبته، نفذ كل تلك الأفكار عن رأسه وقرر الانتظار حتى يرى تلك الهدية التي يتحدث عنها العميد "مُغازي"، وأخيراً بعد مرور عدة دقائق ودخولهم إلى أماكن سرية وصلوا إلى وجهتهم، وهنا كانت الساعة الكُبرى التي هبطت فوق رأس كليهما.

فبمجرد فتح العسكري للباب الحديدي المُغلق بالكثير من الأقفال الحديدية، ظهر من خلفه جميع الموتى الذي قام القناص بقتلهم! لكن هم ليسوا أموات الآن؛ بل أحياء!!

رمش كلاهما بصدمة وإرتعاشة تمر بأجسادهم، كيف أصبحوا أحياء الآن وهم الذين قُتلوا منذ عدة أشهر؟! ابتلع "مختار" ريقه برعبٍ وأنظاره تدور على جميع الأوجه من حوله، بدايةً من "حاتم الأرمني، والطبيب اللذان قُتلوا، وكذلك شقيقه "مُنير الأرمني" الذي قُتل داخل فيلته الخاصة، حتى "صوفيا" موجودة بقفصٍ مُعزل عنهم!! والسؤال الذي يتردد داخل عقول الجميع واحد، كيف!!

بينما "نادر" كان في وادٍ آخر، ثبت أنظاره على ابنه الذي من المُفترض أن يكون قد قُتل "حاتم الأرمني"، شل جسده عن التحرك وتوقفت أنفاسه عن الخروج بصورة طبيعية، وكل الذي يراه الآن هو مظهر ابنه المقتول أمام عيناه بواسطة القناص!! وذلك المرة بادر "نادر" بالتحدث وهو يقول بصدمة:

.. إزاي؟!!

ارتسمت ابتسامة خبيثة على ثغر "مُغازي" والذي أُردف بمكر:

حارة القناص

إزاي دي بقى مش أنا اللي هجاوبك عليها، دا القناص بنفسه هو اللي هيرد عليك.

قالها وهو ينظر خلفهم مما جعلم كُلاً من "مختار ونادر" يستديروا إلى الخلف، فوجدوا "قاسم" يقف بكل شموخ يليق بهيبته العظيمة كطبيبٍ وقاتلٍ معاً! وبخطواتٍ مترويةً اقترب حتى تخطاهم، لكن أنظاره الحاقدة مازالت مُثبتة عليهم.

وقف بجانب العميد "مُغازي" واضعاً كفيه داخل جيب بنطاله، وبوقاحة تليق بهما تشدق:
إزيكم يا أعفن خلق الله.

احتدت عيني "مختار" بغضب وبدأ الحقد يزداد بشكلٍ عنيف داخل فؤاده، يشعر بأنه يريد قتل الجميع والثأر لذاته ولأمواله المهدورة بسببهم، شعر "قاسم" بالإنشاء عقب رؤيته لحالتهم المزرية، فأفسح لهم الرؤية قليلاً وهو يُشير للرجال من خلفه:

إيه رأيكم في المفاجأة دي؟! تجنن مش كدا؟!

أرجع "قاسم" خصلاته التي هبطت عن عينه ثم ذهب نحو "حاتم الأرمني" حتى وقف بجانبه، كان رأسه يميل على جسده للأسفل، فجذبه "قاسم" من خصلاته ليظهر وجهه المُمْتَلِيء بالكدمات الزرقاء، تأوه "حاتم" بقوة مما جعل "نادر" يصرخ لا إرادياً:

_ابني!!

قالها أثناء محاولته للتملص من بين أيدي العساكر الذين يُمسكون به، لكنهم أوقفوا رغماً عنه فوق هو وأنظاره مُثَبِّتة على ابنه الذي يُعاني بقهر الآن، وبصراخٍ هز أرجاء المكان تحدث "نادر" بغضب:

_ابني ملهوش ذنب يا ابن "طاحون"، عداوتك معايا أنا.

دفع "قاسم" رأس "حاتم" بعنف ثم اقترب منه وهو يهمس بفحيح:

_ابنك وسخ زيك بالظبط يا "نادر"، كان بيتاجر في المخدرات وصاحب كيف زيك بالظبط، وفوق دا كله كان بيعتدي على بنات قاصرات عشان هو عارف إن هما هيفخافوا يحكوا لأهاليهم، بس من حظه إن في اليوم اللي قررت بنت من الضحايا تحكي لأهلها عن وساخته إحنا كنا بنخطط ونرتب عشان نكمل خطتنا، كان نفسي أشوفه مذلول للأسف بس مش مشكلة تتعوض.

لم يُبالي "نادر" بأي شيء مما قيل، بل هز رأسه بهستيريا وهو يبكي بعنف:

_ سيب ابني يا "قاسم"، "أنس" ماتت وكنت مفكر إن "حاتم" كمان ميت، سيبه ليا أبوس إيدك.

رمش "مختار" عدة مرات بعدم فهم قبل أن يتسائل بصدمة:
_ مش "حاتم" ابن "رفعت"!!؟

هز "نادر" رأسه بالنفي مُسرِعًا وهو يقول بصراخ:
_ لأ مش ابن "رفعت"، دا ابني أنا.

_ إيه!!؟

رددتها "مختار" بعدم تصديق، فاستمع بعدها إلى صوت ضحكة مُستنكرة خرجت من فاه "قاسم" وبعدها تحدث بسخرية:

_ طيب ما "حبيبة" مش بنت "رفعت" وبنتك يا "مختار"، وانتوا استغلّيتوا إن "رفعت" مش بيخلف وعقيم وكنت مقضيينها مع مراته اللي متقلش عنكم في الوساخة.

قال جُمَلته الأخيرة وهو يُشير تجاه "صوفيا" التي تُتابع كل ما يحدث بأعين جامدة، انتقلت أنظار الجميع إليها يُطالعونها باشمنزاز على دنائتها وقذارتها التي أوصلتها لخيانة زوجها العقيم مع شقيقه دون ذرة خجل أو ندم واحدة! حوّل "مختار" أنظاره نحو "قاسم" وتحدث بنبرة غير مُصدقة:

أنت عرفت دا كله إزاي؟! واللعبة دي كلها عملتها ليه؟!!!
هتستفاد إيه من دا كله؟!!!

نطق الأخيرة بعصبية شديدة أشعلت الانتشاء بفؤاد "قاسم" والذي رد عليه ببرود:

هستفاد إني موسخش إيدي بالدم زيكم، هستفاد إني أحرق قلوبكم، هكون مبسوط وأنا شايف نظرات الرعب والخوف عينيكم وكل واحد فيكم مستني دوره علشان يموت، أملاككم كلها بـح، خلصت، شُحناتك اتمسكت، فلوسك وشركاتك ادمروا، أخذت حقي أنا وأخويا وأمي وأبويا من غير نقطة دم واحدة، خرجت من المعركة كسبان وأنا نضيف.

ثقلت أنفاس "نادر" بقوة وأصابه الدوار الشديد، ورغم ذلك تسائل بأنفاسٍ لاهثة:

حارة القناص

_إزاي؟! إزاي وإحنا شايفين جُثثهم وهما بيتدفنوا قصاد
عنيننا?!!

رد عليه "قاسم" ببساطة وخبث:

_بما إني دكتور فأنا عارف نقطة ضعف الإنسان في جسمه،
شوية بنج على منومات والدنيا مشيت تمام طول مدة
الجنازة، ومع شوية جراحة عند الرقبة وماسكات اللي
يشوفها يقول إنها جروح حقيقية كل حاجة مشيت تمام من
غير ما يتشك فيها.

_يعني.. يعني دا كله كان لعبة?!! كل اللي إحنا فيه دا كان
وهم?!!

تسائل بها "مختار" بصدمة، لينفي "قاسم" حديثه بقوله
الخبث:

_تو.. تو مش وهم، في الأول وفي الآخر كلهم هيموتوا بس
بطريقة شرعية، هسيب القانون ياخذ مجراه وهافرغ عليكم
وانتوا بتتعدموا واحد واحد.

كانت معالم الجميع شاحبة بطريقة لا تُوصف، فلقد استطاع
"قاسم" بث الخوف داخل أفئدتهم بشكلٍ بارع يليق بالقناص،

حتى وإن لم يقتل ضحيته كما كان مذكورًا من قبل، فعقليته
البارعة في التفكير والتخطيط ما هو إلا عقل شيطاني يليق
بشخصيته، تصنع "قاسم" الأسى أثناء إكماله حديثه بكيد:

_ أخويا رجع لحضني، وأمي صحتها رجعتها، "حبيبة"
واتجوزها "صهيب"، وبنتك اللي هربت منك من عشر
سنين يا "مختار" يا "أرماني" أنا اتجوزتها.

فتح "مختار" عيناه على آخرهما وقد كُتمت أنفاسه مما
يسمع، بينما اقترب منه "قاسم" خطوتان أخريتان حتى
وقف قبالة مباشرة، قَرَّب شفثيه من أذنيه هامسًا له بحقد
وهو يضغط على كتفه بقوة:

_ بنتك اللي كنت بتحاول تعدي عليها فاكرها؟!!! بنتك اللي
كنت بتسيبها لـ "رفعت" يضربها فاكرها؟!!! بنتك اللي هربت
منك بسبب جبروتك فاكرها؟!!! أنا أخذتها واتجوزتها
وعالجتها.

طالعه "مختار" بعدم تصديق وهو يهز رأسه بالنفي،
وبصوت مكتوم أردف بتلعثم:

_ لأ.. ب.. بنتي ماتت.. السواق قالي إنها ماتت.

حارة القناص

ابتعد "قاسم" وعاد لمكانه وهو ينفي:

_تو بنتك ممانتش، السواق العربية انفجرت بيه بعد ما
اتعمل خطة عشان يخلصوا على بنتك وهي معاه، بس من
حظها إن قررت تهرب في الوقت دا بالذات.

كانت علامات الإستنكار مُرتسمة بوضوح على أوجه الجميع
بما فيهم النقيب "مُغازي" الذي علم الأحداث الأخيرة الآن
فقط، ليستطرد "قاسم" حديثه بأقسى طريقة مُمكنة:

_عارف الشركة المُنافسة واللي كانت بتخسر كل
الصفقات؟!!! "أهله" بنتك عملاها مخصوص عشان تدمرك.

_أنت.. أنت كداب.

التوى تُغر "قاسم" بابتسامة مأكرة قبل أن يقول بمكر:

_معاك حق.

قال جُمَلته ثم خرج كيفما جاء وخلفه سار العميد "مُغازي"،
تاركًا عقول الجميع تكاد أن تتفجر من التفكير، كل الأشياء
السيئة التي فعلوها رُدت إليهم دون هوادة، لعنة الله هبطت
فوق رؤوسهم نتيجة لأفعالهم الشنيعة، سُحبت الطمأنينة من

داخل صدورهم وحل محلها الخوف والفرع، ورغم ذلك لم يتوقفوا عن أفعالهم، بل زادت أضعافاً عن ذي قبل.

تملكين وجهًا يُشبهه وجه القمر، وروحٌ تُذيبُ من داخلي الألم، وضحكاتٌ تُدخل السرور لقلبي، ولمعة تنصهر بها عيني، وبعد كل ذلك تسأليني لِمَ أحببتك؟! " من زوجك المُتيم بك "

كانت تلك ورقة وجدتها "أهلة" بجانبها عندما استيقظت من نومتها ولم تجده، اتسعت ابتسامتها بقوة وكان تلك الكلمات أدخلت السرور لقلبها، وكيف لا وهو الذي أنقذها من ظلامها الدامس وجعلها تعيش حياة وردية يأسى أن تجدها.

هبت من مضجعتها وتثأبت بتكاسل ووضعت الورقة أسفل وسادتها بعد أن قبلتها بحنين، دخلت إلى المرحاض وتوضأت ثم أدت فريضتها وبعدها توقفت أمام الخزانة لتبدأ حيرتها في انتقاء الملابس، وبعد تفكير عميق اختارت فُستان أسود اللون دون نقوش به حزام جلدي أبيض اللون

حارة القناص

في المنتصف، وانتقت مع حجاباً من اللون النبيذي الذي لاق
مع لون بشرتها القمحية.

نظرت لذاتها برضا ثم هبطت نحو الأسفل، لمعت عيناها
بسعادة كُبرى عندما وجدت شقيقتها "حبيبة" ترتدي نفس
الفستان مُفاجأةً، ولأن بشرتها أفتح من خاصتها ارتدت
عليه حجاباً من اللون الأبيض المماثل للون الحزام، تركت
"حبيبة" مجلسها بجانب "صهيب" واتجهت نحو "أهلة"
مُطالعة إياها بسعادة وهي تتحدث بانبهار:

_ شوفتي إحنا لابسين زي بعض إزاي؟! !!

أومأت لها "أهلة" وهي تضحك بخفة ثم عانقتها بحنان
وهي تقول:

_ زي القمر يا "بيبة".

بادلتها "حبيبة" العناق وهي تقول بحب:

_ أنتِ اللي قمر وستين قمر.

وعلى الجانب الآخر.. كانت "مهرايل" تجلس بجانب
"ألبرت" على الأريكة، والذي أردف بعد أن ارتشف قليلاً
من المياه:

_ لا تُخبري أحداً الآن حتى ننتي..

ولم يكد يكمل جُمَلته حتى هبت "مهراييل" من مضجعتها
مُصفقة بكلتا يديها لتجذب انتباههم، وبعدها أردفت بصوتٍ
عالٍ وابتسامة سعيدة تُزين ثغرها:

_ يا جماعسة "ألبرت" قالي إنه بيحبني واتقدملي وأنا
وافقت.

بصق "ألبرت" المياه التي ارتشفها حينما تركته وذهبت، ثم
همس بحنق وهو يجز على أسنانه بغيظ:

_ اللعنة عليكِ جرؤ عديم الأدب.

صعدت شهقة "لوسيندا" بعدم تصديق، ثم هبت من مكانها
مُتحدثة بسعادة والابتسامة ترسم بوضوح على ثغرها:

_ بجد ولا بتهزري!!

أكدت لها "مهراييل" حديثها وهي تضحك بفرحة عارمة:

_ لأ والله بتكلم بجد، الحجر اتكلم وقالي إنه هيتجوزني.

حارة القناص

رفع "ألبرت" حاجبيه باستنكار، فاقترب منه "چون"
ليجلس جانبه ثم قال بضحكة مكتومة:

_ يبدو بأنها سبتك كثيرًا أخي!

نظر إليه "ألبرت" بسخرية وهو يُوميء له مؤكدًا حديثه:
_ بالتأكيد فعلت ذلك، تلك السليطة أقسم أن أعلمها الأدب من
جديد.

قهقه "چون" بخفة قبل أن يقترب من أخيه ليُعانقه بود، ثم
همس له بصوتٍ سعيد:

_ مُبارك عليك يا أخي، أتمنى أن تعيش سعيدًا معها دائمًا.

ربت "ألبرت" على ظهره بحنان وهو يُجيبه:

_ وأنت كذلك عزيزي "چون".

اقتربت كلاً من "أهلة وحببية" ليُعانقاها بسعادة عارمة،
لتتشدق "أهلة" بمرح:

_ يارب تخفي صياح وعويل بقى عشان إحنا صدعنا.

حارة القناص

ضربتها "مهرائيل" على كتفها بخفة وهي تضحك، ثم
اقتربت منها هامسة بخفوت:

_ طيب بدمتك مش قمر ويستاهل؟!!!

لوت "أهله" شفتها وهي ترفض طلبها:

_ لأ يا ستي مش بعاكس راجل غير جوزي.

سخرت منها "لوسيندا" والتي تشدقت بعبث:

_ على أساس إن البعيدة بتعاكس جوزها أصلاً؟!!

نكزتها "أهله" بغيظ قائلة بتبرير:

_ على فكرة بعاكسه بس بيني وبين نفسي.

جذبت "مهرائيل" ثلاثتهم إلى الخارج وهي تقول بحماس:

_ تعالوا نقعد برا في الجُينة عشان أحكيلكم كل اللي حصل
من طأطأ لسلامو عليكموا.

هز "ألبرت" رأسه بياس أثناء قوله بخيبة أمل:

_ أقسم بأني أخبرتها بالأ تقول لأحد وهي وعدتني!

ضحك "صهيب" بخفة وهو يُجيبه بلغته:

_ جلسة الفتيات تكون هكذا دائماً عزيزي "ألبرت"، هذا ليس جديداً لا تقلق.

أوما له "چون" ساخرًا وهو يؤكد على حديثه، ثم اعتدل في مضجعه مُتسائلاً بجدية:

_ أين وصل "قاسم" الآن؟!!!

تنهد "صهيب" مُطولاً قبل أن يُجيبه بهدوء:

_ من المفترض أن يصل بعد ساعة من الآن، لقد أخبرني العميد بأنه رحل منذ عدة ساعات.

تسائل "ألبرت" بانتباه:

_ هل انتهى كل شيء هكذا؟!!!

أجابه "صهيب" وهو يهز كتفه بجهل:

_ لا أعلم، من المفترض أن يكون نعم، لكن من الممكن أن يتغير كل شيء بين ليلة وضحاها.

ربت "جون" على قدمه مُردفًا باطمئنان:

_ لا تقلق عزيزي، سيكون كل شيء على ما يُرام أنا أثق في ذلك.

سدد له "صهيب" ابتسامة مُمتنة في نفس الوقت الذي أتى به "فور" يلهث وهو يقول بنهيج:

_ فلينقذني أحد، أنا أموت جوعًا.

علت ضحكات "صهيب" بصخبٍ على معالم وجهه المُثيرة للضحك، بينما "فور" ارتمى على الأريكة وهو يقول بتعب:

_ كم تبقى من الوقت؟! أنا جائع للغاية، معدتي تصرخ من الألم أيها الحقير الأحمق.

زادت ضحكات "صهيب" أكثر، وشاركه تلك المرة "ألبرت وجون"، تحكم "صهيب" في ضحكاته قليلًا ثم أردف بصعوبة:

_ تبقى ساعتان يا بطل، لقد أوشكنا على الإفطار.

دفعه "فور" بعيداً بغيظ ثم همس أثناء رميه لرأسه على طرف الأريكة:

__ أنت أكثر رجل حقير رأيتَه في حياتي أقسم.

دخانٌ كثيف يصعد من بين شفّتيه حالك كحالِ فؤاده، هو التائه بين الطرقات، العابس بين الوجوه، هو المكلوم الضاحك، هو "رائف سعيد المحمدي"، والذي كان "وليد سعيد فريد" سابقاً، ابن أحد أكبر العائلات في صعيد مصر وبالتحديد في سوهاج، لكن قدره قدره أوصله لهذا دون اختيار منه.

انتشله من شروده صوت هاتفه الذي أعاد له وعيه، نفخ دخان سيجاره ببرودٍ قبل أن يستند بجسده على ذراعه، ومدّ الذراع الآخر لانتشال هاتفه من على الكومود، تأفف عندما رأى اسم المُتصل وعلم ما يُريده، وبالرغم من انزعاجه قرر الإجابة بقوله الجامد:

__ أيوا يا جدي!!

جاءه الرد من الطرف الآخر والذي هتف بغضب:

حارة القناص

والله؟! لسه فاكر إن ليك جد يا أستاذ "رائف"؟ ولا أنت
قُعادك في مصر نستك أصلك وأهلك!؟

تحرك "رائف" من مكانه وسار عدة خطوات حتى وقف أمام
الشُرفة الكبيرة أثناء سحبه من عقب سيجاره، وعندما
استمع إلى حديثه الغاضب رد عليه ببرود:
_بالظبط كدا.

اشتغل الغضب داخل فؤاد جده والذي أمره بنبرة جدية لا
تحمل النقاش:
_ارجع يا "رائف" بدل ما وديني أ...

وتلك المرة قاطعه "رائف" صارخاً بغضبٍ يفوقه أضعافاً:
_اسمع أنت يا جدي، أنا مبتهددش وحضرتك عارف كدا
كويس، ورجوع أنا مش راجع، ومش هتجوز بنت عمي
بالغصب أنا مش عيل صغير قدامك عشان تغصب عليا، أنا
راجل وعارف أنا بعمل إيه كويس.

رد عليه جده بغضب يشوبه الصدمة:
_أنت.. أنت بتزعقلي يا ولدا؟!!!

التوى تُغر "رائف" بابتسامة ساخرة مُتهكمة قبل أن يُجيبه
بوقاحة:

_مش أول مرة يا جدي، عن إذنك بقى عشان هنام.

قالها ثم أغلق الهاتف دون أن يستمع لإجابة الآخر، بالرغم
من تأكده من سبه له مئة بالمئة، لكن هو لم ولن يُبالي أبدًا،
رمى هاتفه على الفراش وقرر ارتداء ثيابه للذهاب إلى
حارة "هارون"، وإن تسائلتم عن السبب فهو سيذهب
لشراء السجائر لا أكثر!

جلست "أهلة" على المقاعد الموجودة في الحديقة مع
الفتيات وذهبت بذاكرتها إلى ما حدث ليلة أمس، حينما ظلت
تبكي ليلاً بحرقة وكأنها لم تبكي من قبل، حينما قرأت عدة
آيات من القرآن وجاءت عند الآية: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]

هنا انهارت حصونها وشعرت بفداحة فعلتها، لقد قتلت!
لكنها تُقسم بأنها لم تقصد فعلها، فرغم كُرها لتلك العائلة
إلا أنها لم تُفكر في القتل ولو لمرة واحدة، في تلك الأثناء
دلف "قاسم" للغرفة فوجدها على حالتها المُنهارة تلك،
تزعزع ثباته وهول إليها يجلس بجانبها وهو يتسائل
بقلق:

_مالك يا "أهلة"!! مالك يا حبيبي بتعطي ليه!!?

لم تستطيع "أهلة" إجابته من الوهلة الأولى، لقد كان
بُكاؤها يطغي عليها ولم تستطيع الحديث، ضمها إلى صدره
وربت على ظهرها وفؤاده يطرق بقلق، قَبَل خصلاتها بحنانٍ
وظل يُهددها لعدة دقائق عليها تهدأ، وبعد دقائق قليلة
صمتت عقب كلماته المُهدئة، فأخرجها من بين أحضانها
يُجفف دموعها بحنان ثم تسائل بحب:

_مالك يا "هولا" احكي لي.

حاولت الثبات لكنها لم تستطيع، بل عادت الدموع لتتجمع
داخل مقلتها مُجددًا وهي تُجيبه بصوتٍ مُرتعش:

_أنا.. أنا قتلت.. بس والله أنا مكنتش قصدي أقتله.. هو..
هو حاول يعتدي عليا تاني.

قطب جبينه بتعجب شديد ولم يفهم كلمة مما تقوله، لذلك
تربع وجلس أمامها مباشرةً أثناء إمساكه لكفيها معاً، ثم
تسائل بعدم فهم:

مش فاهم حاجة فهميني.

_أنا.. أنا لما قابلت "رفعت الأرماني" أول مرة كان بغرض
تهديده وتخويله بس مش قتله، هددته إن هفضح كل حاجة
عملها هو وإخواته قدام الناس كلها وهقول للبوليس وهقدم
كل الأدلة اللي تثبت كلامي، كنت عايزة أشوف نظرة الخوف
في عينيه وآخد بحقي زمان، وفعلاً خاف، بس.. بس لقيته
مرة واحدة قرب عليا جامد وقالِي أنتِ شكل أيام زمان
وحشتك، موعتش بحاجة غير إنه بيتهجم عليا وعايز يكرر
اللي عمله زمان، وأنا كنت عايزة أدافع عن نفسي طبيعي،
ملقتش معايا غير السكينة، بس غزتها في بطنه، طعنته
مرتين، واحدة في بطنه وواحدة في جانبه، بس والله يا
"قاسم" أنا مكنتش أقصد، أنا كنت بدافع عن نفسي بس،
مكنتش عايزة أعيش الماضي بكل وجعه من ثاني لو
مدافعتش عن نفسي، محستش بنفسي غير وأنا برمي
الكارت اللي كنت بتسببه في كل جريمة وبعدها جريت،
بعدها.. بعدها نزل خبر موته إنه اتقتل بنفس الطريقة اللي
بيقتل بيها القناص وإنه اتدبح، بس والله ما أنا اللي عملت

حارة القناص

كدا.. والله مش أنا صدقني.. أنا كنت عايزاه يموت بس مش
أنا اللي أقتله.

قالت حديثها الأخير بانها حتى شعرت بأحبها الصوتية
بأنها قد جُرحت، جذبها لأحضانها بقوة وظل يُهددها بحنان،
لكن ما جعلها تصمت هو قوله الثابت وهو يُربت على
خصلاتها:

__مش أنتِ اللي قتلتيه يا "أهلة" إهدي.

تصنمت "أهلة" داخل أحضانها بعد أن توقفت عن البكاء،
وبعدها ابتعدت عنه ناظرة إليه بعدم تصديق وهي تقول:
__إيه؟! إزاي مش فاهمة؟!

تهد "قاسم" قبل أن يُجيبها بثباتٍ أثناء تجفيفه لدموعها:
__يعني "رفعت الأرماني" كان عايش وإصابته مكانتش
خطيرة ولا حاجة وكان ممكن يعيش عادي جدًا، بس نقول
إيه بقى سبحان الله! الدكاترة البايظة اللي في المستشفى
بتاعة عيلته لما استقبلوه كسلوا يعملوا إختبارات حساسية
قبل ما يحقنوه بالبنج، ومن حظه إنه كان عنده السكر ونوع
البنج اللي أخده كان خطر عليه فمات.

حارة القناص

رمشت "أهلة" بعيناها عدة مرات وهي تُطالعه بعدم تصديق، وبعد عدة ثوانٍ من الصمت تسائلت بأنفاسٍ مُتثاقلة:

__ يعني.. يعني هو مماتش بسببي.

هز "قاسم" رأسه بالنفي راسمًا على نُغره ابتسامة طفيفة، ثم اقترب منها مُقبلًا جبينها بحب قبل أن يهمس لها:

__ لأ مش بسببك، بسبب قذارته وقذاره عيلته ربنا كتب عليه يموت بين إيديهم.

هبطت دموع "أهلة" بكثافة وهي تتسائل برجاءٍ مُمتزج بالبكاء:

__ بجد يا "قاسم" ولا بتضحك عليا؟! أنا من اليوم دا وأنا بيجيلي كوابيس وضميري مأنبني، أنا بكرههم كلهم آه بس مش عايزة أوسخ إيدي بدمهم.

برر لها "قاسم" أثناء وقوفه وجذبه لها:

__ يا عيون "قاسم" والله أنا بتكلم بجد، حتى إن إحنا بعد ما دا حصل دورنا على اللي عمل كدا كتير بس موصلناش لحاجة عشان ماكنش فيه كاميرات في المكان، فطلع تصریح

إن اللي قتله هو القناص بما إن الكارت كان موجود، مع إن السبب الأساسي هما الدكاترة بتوع المستشفى.

زاد بكاء "أهله" فقالت وهي تشهق بعنف:
_ أنا مش عايزة ربنا يزعل مني.

شدد من ضمها وأغمض عيناه بألم من وجعها الذي يتجدد كل فترة بسبب تلك العائلة الحقيرة، ذلك طبع قبلة حنونة على خدها قبل أن يقول بهمس:

_ ربنا مش زعلان منك، أنتِ لو مكنتيش ندمانة مش هتكوني بتعيطي دلوقتي، بالرغم من إن عملتك غلط إلا إنها كانت دفاع عن شرفك اللي كان بيحاول ينتهكه، وربنا قال بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وأنتِ ضربتیه بالخطأ عشان تدافعي عن نفسك، ومع ذلك فإن سبب موته هو إهمال الدكاترة الموجودين في المستشفى، مش أنتِ خالص.

في البداية كانت تستمع إليه بقلبٍ مكلومٍ باكٍ، لكن مع تفسيره وسرده للقرآن بطريقة سلسة وبسيطة وشرحه لفداحة فعلتها، بدأ الصخب يهدأ قليلاً وعادت الراحة لتستقر داخلها، صمتت عن البكاء نهائياً لكنها شعرت برغبة كبيرة في النوم، لذلك أغضت عيناها براحة قبل أن تهمس بوهن:
شكرًا.. أنا بحبك أوي.

قبّل رأسها بعشقٍ يزداد رغبًا عنه داخل فواده وبادلها الهمس بقوله المُتيم:
وأنا بموت فيك، ارتاحي أنتِ دلوقتي.

وبالرغم من إنها استمعت لحديثه، إلا أنها لم تمتلك القدرة للرد عليه، بل ذهبت في ثباتٍ عميق ولم تشعر به يحملها بين ذراعيه ووضعها لها على الفراش، وبعدها استدار هو ليتمدد جانبها ثم أخذها لتنام بين أحضانها وتتعم بدفيء أحضانها.

استفاقت "أهلة" على صوت انفتاح البوابة الرئيسية للقصر ودخول سيارة سوداء منها ثم توقفت بعد أن وصلت إلى مُنتصف الممر، مرت ثواني قبل أن يهبط منها "قاسم"

حارة القناص

مُرتديًا قميصًا أسود وبنطال من نفس اللون، ويضع على
عيناه نظاره شمسية سوداء أيضًا، كان مظهره مُهيبًا
وخاطف لفؤادها هي خصيصًا.

اتسعت ابتسامتها تلقائيًا عند رؤيته ثم هبت من مكانها
واتجهت نحوه، انتقلت ابتسامتها له فبادلها الابتسام هو
الآخر، فتح ذراعيه لها مُستقبلًا جسدها بين ذراعيه ثم
ضمها إليه بشوقٍ وهو يهمس بحب:
_وحشتيني الشوية دول يا "هولا".

تشبثت في ثيابه أكثر وهي تُجيبه بحب:
_وأنت كمان وحشتني.

تركها بعد أن دفعته وابتعدت عنه مُمسكة بفستانها الأسود
الواسع، ثم دارت حول نفسها مُتسائلة بضحكة سعيدة:
_إيه رأيك فيا؟!!!

خلع نظارته السوداء من على عينيه ثم حوّل نظارته إلى
ثيابه، فطالعها من رأسها حتى إخمص قدمها بنظراتٍ
مُلتمة، وبعد ثوانٍ عديدة من الصمت غمز لها بمشاكسة:

كفاءة.

ضحكت تلقائياً على كلمته المفضلة بالنسبة لها، وما كادت أن تفتح فاهها حتى تتحدث؛ استمعت إلى صوت أنثوي حائق يأتي من داخل السيارة يهتف بغیظ:

ما تخلص يا حبيبي خرجني من العربية بدل ما أنت واقف تحبلي وساييني كدا؟!!!

استدار "قاسم" إلى الجهة الأخرى من السيارة قبل أن يهتف بفرع ونسيان:

يالهي ماما!!!

فتح باب السيارة بسرعة فوجد قبضة والدته تلتصق بصدرة بحنق أثناء قولها الساخط:

آه يا اخويا ماما، هو من لقي أحبابه نسي صحابه ولا إيه؟!!!

ضحكت "أهلة" بخفة والتي اتجهت نحو "حياة" تحتضنها بحب بعد أن أسندها "قاسم" لتقف وهي تقول:

ألف حمدالله على السلامة يا ماما، نورتي مكانك بينا.

ربت "حياة" على ظهرها بود قائلة:

_حبيبتي الله يسلمك يارب، عاملة إيه وحشتيني؟!!

ردت عليها "أهلة" بامتنان بعد أن ابتعدت عنها:

_أنا الحمد لله كويسة بخير، اعذريني قصرت في حقك الأيام
اللي فاتت بس كنت بمر بظروف وحشة حقك عليا.

أمسكت "حياة" كفها بحنو وهي تقول بود:

_متعذريش يا حبيبتي، "قاسم" كان بيجيلي كل يوم
ومعرفني كل حاجة.

انتقلت "أهلة" بأنظارها نحو "قاسم" تُطالعه بامتنان، فسدد
لها ابتسامة صغيرة مطمئنة وكأنه يقول لها "لا داعي للقلق
فأنا معك".

انحنى "قاسم" بجسده قليلاً ثم حمل والدته على بغتة
فاجئتها وهو يقول بمشاكسة:

_أوبـا يا "يويو" إيه الحلاوة دي؟! أنا بفكر نشوفك
عريس بقى عشان تبدأي حياتك وأنتِ في عز شبابك.

قهقهت "حياة" بيأس ثم ضربت ابنها على كتفه بمزاح وهي تقول بيأس:

_يا بني عريس إيه دا اللي هتشوفهولي؟! دا أنا يادوب أربيك أنت وأخوك من أول وجديد.

سار بها "قاسم" للداخل بوجهٍ مُمتعض، ثم قال ساخطًا:

_أنتِ ليه محسساني إني مش متربي؟! دا أنا مفيش في أدبي ولا في أخلاقي والله.

ربتت "حياة" على جانب وجهه بحنان بعد أن تراجعت عن عنادها معه، ثم أردفت بحب:

_أكيد يا حبيبي.

قربها "قاسم" منه بحنان ثم قبّل جبينها وهو يقول باشتياق:

_نورتينا بوجودك معانا من تاني يا ماما.

وصل "قاسم" إلى البهو حيث يجلس الرجال، وما إن رآهم "صهيب" حتى انتفض من مكانه مُتجهًا نحو شقيقه الذي أنزل والدته بهدوء وتروٍ شديد، ثم طالعه بصدمة وهو يُردد:

_ أنت.. أنت خرجتها ليه؟! !!

رد عليه "قاسم" بابتسامه واسعه:

_ الحمد لله شفائها اكتمل على خير، فاضل العلاج الطبيعي وهتقدر تمشي على رجليها من تاني.

نظر "صهيب" لوالدته بعدم تصديق ولم يشعر بتلك الدموع التي تشكلت داخل حدقاته، لقد عادت والدته لهم من جديد، وبغضبٍ قام بإحتضانها ضامًا جسدها إلى خاصته وأحاط خصرها بقوة حتى حملها من على الأرض بأكملها، هبطت دموعه بقوة دون حتى أن يُسيطر عليها، وبصوتٍ مبجوح تحدث بلهفة:

_ وأخيرًا همبقي سوا ومع بعض من تاني؟! !!

تكونت الدموع داخل مقلتي "حياة" سعادةً من ردة فعل أولادها، يُعاملونها كماسة يخشوا خدشها، ولم تعلم بأنها الحياة بأكملها لديهم، ربتت على ظهره بحنان قبل أن تردف بحب:

_ الحمد لله يا حبيبي، قولتلك إن كرم ربنا كبير وعوضه أكبر.

_ الحمد لله.

تمتم الجميع بالحمد، فابتعد "صهيب" عم والدته ثم أسندها
بذراعيه قبل أن ينظر لشقيقه مُتسائلاً بلهفة:

_ طيب وهي هتكمل العلاج الطبيعي فين؟!!!

أجابه "قاسم" بهدوء وعيناه تدوران على الوجوه من
حوله:

_ بعد يومين.. في مصر.

بعد مرور شهران..

_ يا حماتي بقى الله يباركلك أنا عايز أكتب على "ملك" أنا
كمان، إشمعنى "يحيى" يعني؟!!!

طالعه "نبيلة" بضجر من سخطه الذي لم يقل منذ ساعتين
كاملتين، ثم أعادت حديثها للمرة التي لا تعلم عددها وهي
تصرخ به:

حارة القناص

_يا بني أطم منك ولا أشد في شعوري؟! مما قولتك إنه
متتيل خاطبها بقاله 6 شهر، وأنت والهبلة الثانية اللي
عمالة تزن فوق دماغي مخطوبين من شهر بس!!

اعترض "رائد" بقوة وهو ينفي بوجهه:

_مش مبرر.. أنا مليش دعوة هكتب معاه النهاردة يعني
هكتب معاه النهاردة.

هبت "نبيلة" من على الأريكة بغضب، ثم حذرتة بعد أن
يأست من إقناعه:

_اسمع يالا بقى أنا جبت أخري، أنا قولت مفيش كتب كتاب
غير بعد ما النتيجة بتاعتها تظهر، لو نجحت أديها متلقحة
عندك ابقى خدّها ومتصعدناش.

تأفف "رائد" بسخط ثم استدار نحو "ملك" التي تتزين
بفستان من اللون الأزرق الحالك بمناسبة عقد قران
شقيقتها، ورغم أن هيئتها كانت فاتنة إلا أنه تسائل بعصبية:

_أنتِ ضامنة إنك تنجحي يا بنتي ولا إيه نظامك?!!!

ارتسمت ابتسامة بلهاء على ثغر "ملك" التي هزت رأسها
بالنفي، وعندما رأت تشنج وجهه بررت بقولها:

حارة القناص

_أنا ممكن أشيل مقال وصوتيات وقواعد، فبكدا هعيد السنة، بس ممكن أنجح بدرجات الرأفة متقلقش.

جذب "رائد" خصلاته بغضب ثم نظر للجميع طالبًا منهم برجاء:

_بعد إذنكم يا جماعة وانتوا بتصلوا متنسوش الأستاذة في دعائكم، ادعولها تتجح عشان أتجوزها.

جذبه "قاسم" بجانبه ثم هتف بحنق:

_يابني اترزع واسكت بقى صدعت دماغي، لسه قدامنا "يونس وسهيلة" يعني ارسى كدا.

تم عقد قران "يحيى ويمنى" وما إن أنهى المأذون جملته المعتادة "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"، حتى صدحت صوت الزغاريد من فاه "يحيى" والذي قام بإطلاقها وكأنه حصل على انتصارًا عظيمًا وقد ناله للتو!

صعدت ضحكات الجميع عاليًا ومن بينهم "أهله" التي كانت ترتدي فستان أحمر اللون وحجاب من اللون الأبيض، سارت عدة خطوات باتجاه "يمنى" لتعانقها لكنها شهقت بفزع عندما وجدت جسد "يحيى" يقتحم الجميع واحتضنها بقوة

حارة القناص

دون أن يُراعي لوجودهم، دفن وجهه بتجويف عنقها أثناء إحاطته خصرها بشدة وكأنه يخشى تركها، وبعدها قام بحملها ودار بها عدة مرات حول نفسه، علت التصفيقات والتهليلات الشبابية، والزغاريد والتصفيقات من النساء، وبعدها أنزلها أرضاً ثم قَبَّلَ جبينها بحب وهو يهمس لها بشغف:

_مبروك علينا يا نور عيني.

كانت "أهلة" تُراقبه بغيظ لمنعها من عناق شقيقتها، ليتقدم منها "قاسم" وهو يُقهقه بصخب، ثم هبط على خدها يُقبله بحب أثناء قوله العابت:

_شوفتي لما تخنتي بقيتي بطاية إزاي؟!!!

شهقت "أهلة" من وقاحتها ثم وبخته قائلة:

_عيب يا "قاسم" إحنا وسط الناس.

أحاط "قاسم" خصرها وهو يردف بوقاحة:

_ناس مين! كل واحد مشغول بمراته، وأنا مشغول بالقمر بتاعي.

عضت على شفيتها بخجل ثم رفعت أنظارها إليه وهي تقول
بإبتسامة هادئة:

_ على فكرة أنا كملت علاجي كله ومبقتش أتقرف، الدكتورة
أكدتلي إمبارح وقالتلي إني نجحت أتخطى الوسواس
وهعرف أمارس حياتي بطريقة طبيعية بعد كدا.

اتسعت ابتسامه "قاسم" وهو يسألها بلهفة:

_ إيه دا بجد؟!!!

أومات له ضاحكة، فتحولت تعابيره إلى الخبث عند إكماله
لحديثه بنبرة غامضة ووقحة:

_ نبقى نشوف الحوار دا بعدين لما نروح بيتنا.

دفعته "أهله" بعيداً ثم سارت تجاه شقيقاتها وهي تهز
رأسها بياس قائلة:

_ مفيش فايده، هتفضل قليل الأدب كدا دائماً.

جاء موعد قران "يونس وسهيلة" فجلس "يونس/فور"
أمام المأذون، وحوله يلتف أخواته الستة وكأنهم حصن

منيع يحموه، كان يشعر بنبضاته ترتفع تلقائياً عند تريده للكلمات خلفه، سرت البرودة في جسده والإدرنالين يزداد تدريجياً دون إرادة منه، لكنه شعر بتوقف أنفاسه وتوتره الذي زاد عن حده عند هتاف المأذون بصوته الوقور "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير".

وقف "يونس" في مكانه بتوتر ثم نظر لـ "صهيب" يسأله بريبة:

_ هل يمكنني احتضانها الآن؟!!

ضحك "صهيب" بخفة وهو يُوميء له بالإيجاب، فاستدار "يونس" نحو "سهيلة" التي كانت ترتدي فستاناً من اللون الأبيض السيتان والخالي من أي نقوش، ومن فوقه ترتدي خماراً من نفس لونه الرقيق واكتفت بوضع مُلمع شفاه على ثغرها فقط، كانت رقيقة ومُهالكة وخجولة؟!!

ارتفعت الزغاريد من حولهم، لكنه لم يستمع لأي شيء مما حوله، فقط يستمع لصوت فؤاد كليهما والنايض بعنف، وقف أمامها مباشرة ثم ناداها بصوت هامس مُعبق بالمشاعر:

_ "هايلة"؟!!

كانت "سهيلة" تكاد أن تنصهر من الخجل، لكن عند مناداته لها رفعت أنظارها تُطالعه بأعين عاشقة، وتلك المرة ستُطالعه كيفما تشاء بعد أن أصبحت زوجته شرعاً، لم تشعر بشيءٍ بعدها سوى أنه اقترب منها ثم أحاط بها من خصرها بقوة، يضمها لفؤاده قبل جسده، ذلك النبض العاشق بين ثنايا صدره يُهلل لقربها منه، لقد انتظر كثيراً وصبر، وها هو استمتع بلذة الوصول لها، حملها من على الأرض نهائياً وهي أحاطت بعنقه بكل قوتها، ولم تشعر بدموع سعادتها التي هبطت على ثيابه.

اشتتم عبقها وردد هامساً:

_دعوتُ بكِ في كل صلاتي، وأبكي لربي في كل قيام، وها أنا حصلت على جائزتي بعد صبرٍ وعناءِ.

وتلك المرة رددت هامسة دون خوف:

_بحبك.. بحبك أوي وعمري ما هحب حد زيك.

كان الجميع يُتابعهم بتأثر حتى قطع كل ذلك صوت هاتف "قاسم"، والذي ابتعد عن الجميع ليُجيب عليه بعد أن رأى

حارة القناص

اسم العميد "مُغازي" يُزين شاشته، لكنه تصنم مكانه عندما
أتاه صوت العميد غاضبًا:



_حُكم الإعدام كان المفروض يتنفذ النهاردة بس "مختار"
هرب.

#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

#شروق_حسن. 

«إذا لم تستطع أن تنافس الصالحين في أعمالهم فنافس
المذنبين في استغفارهم».

قوموا صلوا القيام لعلها ليلة القدر.  

•(الفصل الثاني والخمسون)

•(حارة القناص)

•(وصيتها الأخيرة)

_حُكَم الإعدام كان المفروض يتنفذ النهاردة بس "مختار" هرب.

بضعة كلمات نطق بها العميد "مغازي" أدت إلى اشتعال النيران داخل فؤاد "قاسم" الذي احتدت عيناه بغضب جامح، نظر حوله حيث الأوجه التي تُحيطه فوجد كل منهم مُنشغلاً بالشيء الذي يخصه، ترك الجميع ثم اتجه نحو الشرفة حتى بات يقف وحده وبعدها تشدق بغضب دون أن يعي لمكانة المُتحدث:

_يعني إيه هرب يا سيادة العميد هو لعب عيال؟!!!

قطب "مُغازي" جبينه بضيق ثم أردف بصوتٍ حاد:

_اتكلم عدل يا "قاسم" ومنتساش أنت بتكلم مين، أنا مقدر إن أنت مش في وعيك لكن مش هسمحك بأي تجاوز.

نفخ "قاسم" بغضب أثناء جذبه لخصلاته بعنف، حاول العودة إلى ثباته من جديد فتحدث قائلاً باعتذار:

_بعذر لحضرتك يا سيادة العميد، بس حضرتك عارف معنى إن "مختار الأرماني" يهرب يعني إيه؟!!! يعني كل عيلتي دلوقتي كلها في خطر.

كان معه حق في كل كلمة صعدت من فاهه مئة مئة بالمئة، فهدأ العميد قليلاً ثم تحدث بصوتٍ رزين:

_ عارف يا "قاسم"، وعشان كدا أنا بعثك قوة هتوصل بعد نص ساعة بالظبط هتراقب بيتك، لإن احتمال كبير "مختار" بيعت حد من رجالته ليكم.

ازدادت نبضات "قاسم" بعنف خوفاً على كل فرد بعائلته، شعر بالهواء يُسحب من حوله وعاد بأنظاره للداخل يُطالع وجوههم السعيدة وضحكاتهم التي تملأ المكان، حوّل أنظاره مرة أخرى إلى اللاشيء ثم تحدث قائلاً بوعيد:

_ صدقني يا سيادة العميد لو فكر مجرد التفكير إنه يقرب لحد من عيلتي أنا هنسى كل الإتفاقات اللي كانت ما بينا وهقتله المرادي ومحدث هيمنعني، حتى القانون مش هيعرف يمنعني إني أحمي عيلتي.

طمئنه "مغازي" بقوله الهاديء:

_ متقلقش يا "قاسم"، أنا اللي بوعدك إن عيلتك هتفضل في أمان لحد ما نقدر نوصل ليه من تاني.

أوماً له "قاسم" بصمتٍ ثم أغلق الهاتف معه بعد أن استأذن منه، كَوَّر قبضته بغضبه ثم ضربها بعنف على سور الشرفة

وهو يسب "مختار" بأفزع الشتائم، لم يرى في حياته من هو أقدر منه، ظن بأنه قد تخلص منه للأبد حينما تم الحكم عليه وهو وأخويه بالإعدام شنقًا، كما تم الحكم على "حاتم" والطبيين بالسجن المؤبد، وكذلك "صوفيا" حكّم عليها بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، لكن يبدو أن تلك العائلة ورغم ما بها من آفات لا تصمت أو تُعلن استسلامها، بل تُكمل قذارتها حتى النفس الأخير.

شعر بيد غليظة تُوضع على كتفه، فاستدار بوجه نصف استدارة ليجد شقيقه يقطب جبينه بتعجب، ثم تسائل باستغراب:

واقف لوحدك كذا ليه؟! وما لك ضارب بوزك شبرين قدام؟! فيه حاجة حصلت؟!!!

تنفس "قاسم" بعنف قبل أن يُجيبه بصوتٍ مكتومٍ غاضب:
_ "مختار الأرمانى" هرب.

صُدّم "صهيب" مما يُقال ففتح عينيه بعدم تصديق وهو يُردد:

_ إيه هرب؟!!! هرب إزاي؟!!!

حارة القناص

نفخ "قاسم" بغضب مُجيبًا إياه وهو يهز رأسه بالنفي:

_ معرفش.. معرفش يا "صهيب"، المهم دلوقتي محدش يخرج من البيت نهائي لحد ما يتقبض عليه تاني، الخطر محاطنا كلنا دلوقتي.

رفع "صهيب" كفه يحك جبينه بغضب، فحاول التحكم بذاته وهو يقول ببعض من الحدة:

_ هو مش المفروض الزفت دا يتعدم النهاردة؟! أنا نفسي أعرف عرف يهرب إزاي?!!

طالعه "قاسم" بشرود لعدة ثوانٍ قبل أن يُجيبه بتفكير:

_ مش عارف، أكيد فيه حد بيساعده واللي بيساعده دا من الداخلية نفسها وعارف هو بيعمل إيه كويس.

قاطع حديثهم قدوم "ألبرت" بلامح مُتعبة والذي تسائل باستغراب:

_ في إيه مالكم واقفين كدا?!!

أخبره "صهيب" بما حدث بوجهٍ واجم، لتتسع أعين "ألبرت" بصدمة قبل أن يصرخ في "قاسم" بفرع:

حارة القناص

مراتك نزلت يا "قاسم" من شوية.

استدار له "قاسم" بصاعقة وهو يصرخ بعدم تصديق:

بتقول إيه؟! يعني إيه نزلت?!!!

رد عليه "ألبرت" الذي أخرج سلاحه تلقائياً:

_كانت جاية وراك بس لقيتها خرجت تاني ودخلت أوضتكم
وبعد كدا نزلت بسرعة، أنا بحسبكم متخانقين علشان كدا
جيت أسألك._

اتسعت حدقتي "قاسم" بفزع والذي ما إن استمع لحديث
"ألبرت"، حتى اتجه مُسرِعاً إلى غرفته وفتح درج الكومود
وهو يدعو من داخله أن يكون ما يُفكر به ما هو إلا خيالات
من عقله، لكن توقفت أنفاسه عندما وجدته فارغاً، وخاصة
من سلاحه!

ثار جنونه واشتعلت النيران داخل فؤاده وهو ينطق اسمها
بجنون مُمتزجاً بالهلع عند مُناداته لاسمها:
أهْلَة!

حارة القناص

حل الصمت على جميع مَنْ بالمنزل، فتحول من منزل مليء بالضحكات والتهليلات السعيدة إلى منزل صامت يحل عليه الخوف والتوتر، اتجه "قاسم" مُسرِعًا خزانته ثم أخرج منها سلاحه الآخر وهرع للخارج مُجددًا، رأى وجوه الجميع المُرتسم عليه القلق والفرع، فنظر إلى "رائد وسيف" أمرًا إياهم بقوة:

_ "رائد" أنت "وسيف" خليك هنا مع البنات ومحدث يخرج من البيت مهما حصل، سامعين؟!!!

اقترب منه "رائد" وتساءل بقلق:

_ في إيه يا "قاسم" إيه اللي حصل.

رد عليه "قاسم" بصوتٍ غاضب:

_ اسمع اللي بقولك عليه يا "يحيى"، محدش من البنات يخرج إلا وعلى جثتكم انتوا سامعين؟!!!

أومأ له "رائد" دون التفوه بكلمة أخرى، يبدو أن الأمر كبير وهذا ما يظهر على أوجه جميع الرجال الآن، بينما "قاسم" نظر إلى "ألبرت" طالبًا منه بسرعة قبل أن يهبط إلى الأسفل مُهرولاً:

_خَلِي اتنين من اخواتك مع البنات احتياطي يا "ألبرت".

أوماً له "ألبرت" بوجه جامد قبل أن يستدير إلى أخواته
الذين تجهزوا بأسلحتهم تلقائياً:
_ "إيغور وفور" ابقوا هنا.

اعترض "فور" بغضب:
_ لكن يا أخي لن أترككم وحدكم.

حاول "ألبرت" التحكم بأعصابه فاقترب من أخيه أكثر مُربتاً
على كتفه بقوة، ثم تشدق بجدية:
_ "فور" زوجتك تحتاجك الآن، كما أن السيدات كثيرات وكُلًا
من "رائد وسيف" وحدهم لن يستطيعوا حمايتهم إن حدث
شيء سيء.

دار "فور" بأنظاره على أوجه الجميع حتى توقفت حدقاته
على وجه زوجته التي تُطالعه بقلقٍ بالغ، تنهد بأسى قبل أن
ينفخ بضيق:
_ حسناً أخي سأظل معهم.

ربت "ألبرت" على ذراعه قبل أن يرحل هو وأخواته الأربعة
خلف "قاسم"، بينما "حبيبة" جلست بجانب "حياة" وهي
تتسائل بخوفٍ بالغ:

__ "أهله" فين يا ماما؟!!!

دارت "حياة" بأنظارها في المكان ثم تشدقت بقلق وهي
تُجيبها بجهل:

__ والله يا بنتي ما عارفة، هي كانت هنا من شوية مش
عارفة اختفت وراحت فين.

ازداد القلق داخل فؤاد "حبيبة" أكثر ووقفت حائرة تبحث
عن شقيقتها في أرجاء المنزل، بينما "لوسيندا" وضعت
كفها على معدتها وقد شعرت بتقلصها بسبب التوتر الذي
حل على الجميع، تشنج وجهها بألم فانتبهت لها "مهرائيل"
التي سألتها بقلق:

__ مالك يا "لوسيندا"؟!!

استمع كُلاً من "فور وإيغور" إلى سؤال "مهرائيل" فهروا
إليها بقلق بالغ، أجلسها "إيغور" بتريث على الأريكة ثم
تسائل بانتباه:

__ بَمَ تشعرين زوجة أخي؟! هل أحادث الطبيب لفحصك؟!!!

هزت "لوسيندا" رأسها بألم وهي تقول بالروسية:
_ لا "إيغور" أنا بخير، فقط بعض التقلصات تأتي لي من
الحين للآخر.

أمسك "فور" بكأس المياه ثم قربه منها فمها جاعلاً إياها
ترتشف القليل، وبعدها سألها بقلق:

_ هل أنت بخير الآن؟! إن أردت سأهاتف "جون" ليأتي
وأذهب أنا بدلاً منه.

ردت عليه "لوسيندا" هامسة:

_ لا تفعل "فور" أنا بخير لا تقلقه.

وقفت "چيهان" من مضجعتها ثم ذهبت تجاه "لوسيندا"
وتشددت بحنان:

_ تعالي يا حبيبتي ادخلي ارتاحي في أي أوضة جوا.

وافقتها "لوسيندا" لحاجتها إلى التمدد والراحة قليلاً،
فساعدتها في ذلك كلاً من "نبيلة وحياء" اللتان دلفا معها
إلى الغرفة لمساعدتها، وبالتأكيد دخلت معهم "مهرايل"

حتى لا تترك شقيقتها وحدها، بينما "محروس" هب من مكانه ونادى ابنه بصراصة:

_"رائد" تعالى معايا عايزك.

قطب "رائد" جبينه بتعجب، لكنه اتبع والده إلى أحد الأركان لرؤية ما يريد، وقف "محروس" بعيداً عن التجمهر العائلي الكبير ثم سأل "رائد" بحدة:

_"أنا عايز أعرف كل اللي بيحصل هنا من غير كذب، مسدسات داخلية ومسدسات خارجة وقلق وتوتر، هو في إيه بالظبط!!"

هز "رائد" كتفه بجهل مُجيباً إياه بحيرة:

_"والله يا بابا مش عارف محدش قال حاجة، بس متنساش إن إخوان "جون وفور" ظباط فطبيعي يكون معاهم مسدسات يعني متقلقش، شوية كدا وهكلم "قاسم" وأفهم منه إيه الحكاية."

طالع "محروس" ابنه بعدم اقتناع، لكنه وبالرغم من ذلك أوما له ورحل عنه مُتجهاً إلى مقعده على الأريكة مرة أخرى، بينما "رائد" نظر لأثره بحيرة وهو يفكر في سبب

الجلبة التي حدثت منذ قليل وخوف "قاسم" المفاجيء
وركضه للخارج بسرعة.

وقفت "حبيبة" تبكي بأسى في أحد الأركان عندما أيقنت أن
تلك الجلبة التي حدثت منذ قليل خوفاً على شقيقتها "أهلة"،
لاحظتها "يمنى" فاتجهت إليها ثم عانقتها بحنو وهي تُربت
على ظهرها بحب:

_متخافيش عليها والله "أهلة" قوية وهتعرف تاخذ حقها
بأيديها.

وبحديثها هذا كانت تقنع ذاتها أولاً قبل أن تُقنع "حبيبة"،
تموت خوفاً من أن يُصيب شقيقتها أي مكروهٍ بسبب
تهورها، انسحاب الرجال من بينهم بتلك السرعة أخافها
وبث الهلع داخل فؤادها، لكنها تُحاول أن تدعم من حولها
حتى تُخفف من قلقهم وتوترهم ولو قليلاً، وهذه هي عاداتها
منذ أن كانت صغيرة!

وعلى الجانب الآخر، ارتعش كفيّ "سهيلة" بتوتر وهي
تهمس لـ "ملك":

_مش قادرة أسيطر على إيدي عمالة تترعش.

حارة القناص

نظرت "ملك" لكفيها فوجدتهما يرتعشان بالفعل، جففت
أهدابها المبتلة ثم سألتها بصوتٍ متحشرج:

_بتترعش من إيه، أنتِ تعبانة؟!!!

هزت "سهيلة" رأسها بالنفي قبل أن تُجيبها بأنفاسٍ غير
مُنظمة:

_لأ متوترة، وأنا أعصابي بتسيب لما بخاف أو لما بتوتر.

أحاطت "ملك" كفيها تضمها لخاصتها، ثم تنهدت بيأس
وبدموعٍ خائفة:

_متخافيش، أنا مش عارفة إيه اللي حصل بس أنا مش
عايزة غير أختي ترجعلي سليمة.

قالت كلمتها الأخيرة ثم هبطت دمعة شاردة من داخل
مقلتيها، لا تريد أن تستشعر مرارة الفراق والوحدة من
جديد، لقد شعرت بالأمان عند وجود "أهلة ويمنى" معها
بهذا المنزل، وفقدتها لأي منهما قد يُصيبها بالانهيار، تحول
الاحتواء من "ملك" إلى الأخرى، وتلك المرة عانقتها
"سهيلة" بحنان وهي تقول بكلماتٍ مطمئنة:

_هترجع أنا واثقة من دا، وبعدين "قاسم" مش هيسمح لأي
حد إنه يأذيها متخافيش.

استكانت "ملك" بين ذراعي "سهيلة"، وتمنت من كل قلبها أن يُعيد لها الله شقيقتها سالمة دون وجود ما يُصيبها، وبعد دقائق استقرت بجانبها كلاً من "يمنى وحبيبة" وبات أربعتهم يدعمون بعضهم البعض بكلمات هادئة، وبعدها هبوا من مضاجعهم واتجهوا نحو الغرفة التي تمكث بها "لوسيندا" وشقيقتها للإطمئنان عليها.

وفي الشرفة..

تجمع كلاً من "إيغور، يونس/فور، رائد، وسيف"، أخرج "إيغور" جهاز الحاسوب الذي أتى به لها خصيصاً ثم تحدث بابتسامة ماهرة:

__ لنرى ما علينا فعله الآن.

وعلى الجانب الآخر..

حارة القناص

انطلق "قاسم" بسيارته بسرعة جنونية وأنظاره مُثبتة على الهاتف الذي يُظهر إليه خط سير زوجته من خلال الـ Gps الموصل بين جهازيهما، شدد بقضبته على مقود السيارة وعيناه تحتدم بغضب جحيمي، لماذا خرجت بسرعة دون إخباره عن شيء، هل يُعقل بأنها استمعت لحديثه وذهبت لمواجهة "رفعت الأرماني"؟! وإن كان هكذا.. لم تسلك ذلك الطريق المهجور والمنطقة الصحراوية إذا؟!!!

طالع "صهيب" شقيقه بهلع وهو يراه يكاد يطير بالسيارة حتى يُواكب سرعة زوجته ثم صرخ به بغضب:
_ ما تهدي شوية يا "قاسم" هتموتنا قبل ما نوصل.

ضرب "قاسم" بقبضته على المقود الذي أمامه ثم صرخ باهتياج:

_ متقوليش إهدى، أنت عارف لو كانت فعلاً رايحة لـ"مختار الأرماني" ممكن يعمل فيها إيه؟!!!

نفخ "صهيب" غاضباً ثم أردف وهو يجز على أسنانه بضيق:

_ الفكرة هي إزاي عرفت مكانه، أو هي هتستفاد إيه أصلاً لو راحتله.

وبحقدٍ أجابه "قاسم" بكلمة واحدة:

هتقتله.

فتح "صهيب" عيناه على مصرعتهما وهو يُردد بعدم
تصديق:

إيه؟!!!

أسرع "قاسم" من سيارته أكثر مُجيبًا شقيقه بقتوط:

خذت المسدس بتاعي من الدرج وخرجت، مفيش إجابة
تانية غير إنها سمعت كلامنا ودخلت خدت المسدس وراحتله
عشان تقتله.

تسلل القلق داخل فؤاد "صهيب" أكثر، وبدلاً من طلب
الإبطاء منه أردف مُسرِعاً:

طيب سرع شوية خلينا نلحقها بدل ما تعمل حاجة.

وفي السيارة التي تلاحقهم حيث "ألبرت" وأخواته العفنين
كما سبهم منذ قليل..

حارة القناص

دفع "چون" أخيه "آندريه" وهو يتحدث بحنق:
_ابتعد واللعنة! أنت مُزعج حقًا.

تأفف "آندريه" بانزعاج وعلى بغتة قام بلكم "چون" في
وجهه وهو يصرخ بغضب:
_تأدب يا حقير أنا أكبرك سنًا.

وضع "چون" يده على وجهه مكان لكمته مُطالعًا إياه
بنظرات حارقة، ثم دفع الأدوات التي يحملها على قدمه
وهب من مكانه لاكمًا أخيه عدة لكمات على وجهه أثناء
قوله الحانق:
_اللعنة عليك وعلى سنك الحقير.

صرخ "آندريه" أسفل يده طالبًا النجدة:
_أنقذوني من هذا الحمار أيها المَعاتيه.

نظر إليه جميع إخوته بنظراتٍ قاتمة، فحمحم بتوتر بعد أن
ابتعد عنه "چون" حينما انتهى من ضربه، ثم تشدق
بابتسامة غبية:
_أنا أمزح يا إخوتي.

حارة القناص

استدار له "ستيفن" والذي كان يجلس في الأمام بجانب
"ألبرت"، وبعدها تحدث بسخرية:

_ عزيزي "آندريه" لم أجد كائن يمثل حماقتك صدقتي.

ربت "آندريه" على صدره بفخر وكأنه مدحه للتو، ثم أجابه
بابتسامة مُتأثرة:

_ شكرًا لك أخي، وأنا أيضًا أحبك لا داعي لقسمك.

طالعه "ستيفن" بتشنج قبل أن يُعيد نظره للطريق مرة
أخرى أثناء تمتته لبعض الكلمات، يبدو بأنه يسبه وظهر
هذا واضحًا على معالم وجهه الساخطة، بينما "ليونيد" نكز
"آندريه" وهو يقول بابتسامة سعيدة أثناء نظره لهاتفه:

_ انظر! بربك ألم تكن جميلة اليوم؟!!!

نظر "آندريه" إلى ما يُشير إليه، فوجده يأتي بصورة
لـ "لواظ" في أحد الأوضاع والذي التقطها أثناء عقد
القران الخاص بشقيقه، انمحت ابتسامة "آندريه" وهو
يقول بتشنج:

_ ما هذا؟!!

رد عليه "آندريه" وهو يهز كتفه ببساطة:

_ لقد التقطت بعض الصور لـ "لواحظ"، تلك الفتاة جميلة حقًا.

وتلك المرة تدخل "جون" بقوله الساخط:

_ فتاة؟! بربك أخي تلك عجوز، وقد أنجبت رجل أولاده على وشك الزواج!

طالعه "ليونيد" بطرف عيناه بحقد قبل أن يصرخ به مُوبخًا إياه:

_ اصمت يا عديم الأدب! تحدث بطريقة أفضل من هذه على "لولو" وإلا قتلتك.

_ "لولو"؟!!!

رددتها كُلاً من "جون وآنديريه" بتشنج، ليؤكد لهم "ليونيد" حديثه قائلاً بتفاخر:

_ أجل "لولو"، لقد علمت للتو بأنها أنهت خطبتها منذ عدة أشهر، أوه يا رجال أنا سعيد للغاية حقًا.

لم يُجيبه أحد من الجالسين بجانبه، بل صعد صوت "ألبرت"
الغاضب الذي انتهى صبره منهم جميعًا وهو يصرخ بهم :
_ أقسم إن لم تصمتوا سأقتلكم جميعًا أيها الحمقى.

وبالفعل صمت الجميع ولم يجرؤ أحد منهم على التحدث بعد
تحذير شقيقهم المُستبد لهم.

بعد مرور عشر دقائق، وصلت "أهلة" إلى المكان البعيد
النائي التي مازالت تتذكره حتى الآن، تتذكر فيه جميع أيامها
ولهوها وكذلك حزنها صراخها، منزل ضخم ضم طفولة
قدرة إن صح القول، هبطت من السيارة لكنها لم تنسى
انتشال السلاح ثم أمسكت به جيدًا، كان استماعها لكلمات
زوجها عن هروب "مختار الأرمني" كالشعلة التي اشتعلت
داخل فؤادها، لتقرر تلك المرة بعدم تركه يمرح حرًا كما
يشاء، بل قررت الإنهاء عليه كليًا.

دلفت إلى الداخل وبالطبع لم يكن هناك حرس، مما سهّل لها
مهمة الدخول والتسلل كيفما تشاء، كان الباب مُواربًا وذلك
لحسن حظها، قامت بفتحه تمامًا فأصدر صريرًا مُزعجًا
انتشر صده في المكان، في تلك الأثناء كان "مختار"

حارة القناص

مُتمدداً على الأريكة بإنهاك ووجهه مليءً بالكدمات، لكنه انتفض بفرع عندما استمع إلى صوت فتح باب منزله وازداد فزعه عندما شاهد السلاح الذي تُمسكه تلك الغريبة بين يديها، رفع كفه أمام وجهه قائلاً بصعوبة:

_ أنتِ.. أنتِ مين؟! وعرفتِ مكاني هنا إزاي؟! !!

صوبت السلاح نحو وجهه وعلى ثغرها ارتسمت ابتسامة ساخرة مُحملة بالألم، وبعدها تشدقت بسخط:

_ وهو فيه حد بينسى المكان اللي قضى فيه أسوأ سنين عمره يا "مختار"؟! إيه كنت فاكِر إن محدش عارف المكان دا غيرك ولا إيه؟! نسيت إنك بتأخذني معاك وأنت بتخلص صفقاتك القذرة؟! !!

أنزل "مختار" يده أثناء مُطالعتة لها بعدم تصديق، شلت الصدمة جسده ومنعته من إبداء أي ردة فعل، بل ينظر إليها بصاعقة وكأنها كائن غير بشري هجم عليه للتو! وبعد ثوانٍ من الصمت نطق لسانه اسمها دون وعي:

_ "أهلة"؟! !!

حارة القناص

ابتسمت "أهلة" لكن ابتسامة أبعد ما تكون عن السعادة،
وكأنها قادمة من أعماق النقطة السوداء التي بفؤادها، ثم
أجابته بغل:

_ أه "أهلة" يا "مختار"، اوعى تكون نسييتي والله أزعل
منك يا جدع!!

ابتلع "مختار" ريقه بصعوبة وهو يعود للخلف ببطئ، ثم
تسائل بعدم تصديق:
_ إزاي؟! أنت موتي.

أخرجت صوتًا ساخرًا من فمها ثم تصنعت الأسى وهي تنفي
حديثه:

_ للأسف مموتش، عارف مموتش ليه؟! عشان أخلص
عليك أنا الأول.

هز "مختار" رأسه بهستيريا ومازالت قدماه تأخذانه
للخلف، وهو يقول بصوتٍ مُرتعش:

_ لأ.. أكيد مش هتعملي كدا صح؟!!!

أطلقت "أهلة" العنان لضحكاتها الصاخبة بالصعود حتى
أدمعت عيناها، لكن دموع عيناها لم تهبط من كثرة الضحك،
بل من مرارة المشاهد التي مرت بذاكرتها الآن، اقتربت منه
أكثر ثم تحدثت ساخرة:

_ غريبة! متأكد إنى مش هعملها ليه؟! سيبتلي ذكرى واحدة
حلوة أفكرك بيها، سيبتلي أيام كنت مرتاحة فيها؟! سيبتلي
أمي اللي ماتت من كُتر المنومات اللي كنت بتحطها ليهها!!
ليه مُتأكد إنى هخليك تعيش!؟

لم يجد "مختار" إجابة واحدة على كل الأسئلة التي قالتها،
استطدم بطرف الطاولة مما أدى إلى سقوطه على الأرض
بقوة، فصرخ بخوف وفرع:

_ مكنتش في وعيي، والله العظيم مكنتش في وعيي.

_ وأنا كمان دلوقتي مش في وعيي.

قالتها ثم أطلقت النيران عليه، طلقة استقرت في كتفه مما
أدى إلى علو صرخاته المُتألّمة بقوة، هبطت دموعها بكثافة
ثم أطلقت رصاصة أخرى في الكتف الآخر، ومع كل طلقة
تتذكر والدتها الجميلة وهي مُكفنة بغطاء أبيض كبير من
رأسها لإخمص قدمها، كانت تصرخ بهم بأن يتركوها لكن

حارة القناص

كانوا يُطالعونها ببرود ولم يرأفوا بحال تلك المسكينة،
وصمتت صرخاتها كُلياً عندما رأت التراب يحتضن جسد
والدتها، لقد تركتها والدتها مع ذلك القاسي المُتجبر ليفعل
بها ما يشاء!

في تلك الأثناء اقتحم "قاسم" والشباب المنزل ليُصدموا
بذلك المشهد الذي صنمهم في أماكنهم، كان أشبه بالجلاد
والقاضي رغم أن "أهلة" بعيدة كل البعد عن هذا التشبيه،
لكن عيناها كانت معمية، لا ترى سوى أسوأ فترة في
حياتها، صعد صدر بنهيج حاد وقررت إنهاء حياته، لكن
صوت "قاسم" الصارخ أوقفها عن فعلتها المشينة والتي
قاربت على فعلها:
_ "أهلة" لأ.

توقف إصبع "أهلة" عن الضغط على الزناد، ثم طالعته
بأعين مُمتلئة بالدموع، وبصوت ضعيف هزت رأسها بالنفي
وهي تقول:

_ لأ.. هقتله.. هقتله زي ما قتلني زمان وهحسره على كل
حاجة.

قالت جُمَلتها الأخيرة وهي تعاود النظر نحو "مختار" بأعين مُتحدية حاقدة، وكأنها كانت مُقررة من قبل حتى ان تأتي، استعدت للإطلاق لكن تلك المرة ستصوب على قلبه مباشرةً لئُتَهي حياته كُلياً، وللمرة الثانية يوقفها "قاسم" الذي قرر الدخول لها عبر ثغراتها:

_وهتكوني عايزة ربنا يزعل منك!!?

تززع ثبات "أهلة" كُلياً عقب سؤاله، رمشت بأهدابها عدة مرات قبل أن تنظر إلى السلاح الذي بيدها بتعجب، ونظرة أخرى سددها نحو "مُختار" الذي يتألم بسبب إصابة كتفه، ارتعشت شفيتها ببكاء قبل أن تُجيبه وهي تنهمر في البكاء المرير:

_أنا مش عايزاه يعيش، أنا بكرهه، لأ مش هخليه يعيش، هيموت زي ما قتل ماما وحرمني منها.

وبتروِ اقترب منها "قاسم" ثم تحدث بحنان:

_هيموت والله، هيتعدم النهاردة وهترتاحي.

وصل إليها وعلى بغتة انتشل منها السلاح الذي أمسكته، رماه بعيداً ثم جذبها يحصرها بين ذراعيه بقوة، وهي تركت العنان لشهقاتها الحادة بالصعود، صرخاتٌ مُمتزجة بالبكاء

حارة القناص

المريـر، لقد شعرت بضعفها الآن، هي هشة وليست قوية
كما يظهر، أدمعت عيني "قاسم" بقوة فدفن وجهه بين ثنايا
عنقه أثناء محاولته لتهدأتها، رمى إليها بعض الكلمات
المطمئنة، فبالاته الحنونة كان يُغرقها بها حتى هدأت تمامًا.

كان الجميع مُنشغلًا عنهم، لقد أتت قوات الشرطة وتم
القبض على "مختار الأرماني" مُجددًا، لكن تلك المرة
بإصابتين في كتفيه، لم يُشفق أي منهم على حالته المُثيرة،
بل طالعه باشمزاز جلي وكأنه حشرة لا قيمة له.

ابتعدت "أهلة" بوجهها عن "قاسم" قليلًا ثم جففت وجهها
في ثيابه، كتم "قاسم" ضحكته بصعوبة ثم تسائل بصوتٍ
مكتوم:

__بتعملي إيه يا "هولا"؟!!

أجابته بصوتٍ مُتحرج ووجهٍ واجم:
__بمسح وشي.

لوى شفتيه ساخرًا وهو يتسائل:

__في هدومي؟!!

مسحت وجهها كاملاً من دموعها ثم ابتعدت عنه قائلة
بملامح حانقة:

مش عايزة منك حاجة.

فرغ فاهه وهو يُطالعها بصدمة، لكن عاد القلق يحتل محياه
مُجدداً عندما تشكلت الدموع بمقلتيها مرة أخرى، تقدم منها
ثم أحاط وجهها بقلق وهو يتسائل بحنان:

مالك يا حبيبي زعلانة ليه؟!!!

نظرت لثيابها ثم تشدقت بحزن:

الفستان بتاعي باظ، مسك في باب العربية وأنا نازلة.

مسح دموعها بأصابعه ثم اقترب طابعاً قبلة صغيرة على
خدها وهو يقول بحنان:

هجيبيك أحسن منه مترعليش.

رفعت عيناها له تسأله بترقب:

بجد؟!!!

ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهه وهو يُوميء له
بالإيجاب، لتتفي برأسها بضجر قائلة:
_ لأ مليش دعوة عايزة اتنين.

أحاط بكتفها ثم سار معها نحو الخارج أثناء سؤاله
المتعجب:

_ حاضر يا ستي هجيبك اتنين، عايزة حاجة تاني؟!!!

صمتت لثوانٍ تعد على أصابعها بتفكير، وبعدما انتهت رفعت
أنظارها إليه قائلة بابتسامة مُتسعة:
_ عايزة تمانية.

تشنج وجه "قاسم" وهو يسألها بعدم فهم:

_ تمانية إيه لمواخدة؟!!!

_ تمن فساتين، اتنين ليا عشان أنا مراتك وبتحبني، وستة
لإخواتي البنات و"لوسي ومهاميهو وهائلة".

حارة القناص

دفعها في السيارة بقوة طفيفة ثم استدار ليجلس بجانبها
على مقعد السائق وهو يقول بسخرية:

_ آه ما أنا قاعد على بنك، ما كل واحدة من دول متنبيلة
متجوزة أجيبهم ليه أنا؟!!

قطبت "أهلة" جبينها بسخط ثم طالعه متعجبة وهي
تتسائل:

_ أنت شكك بخيل وأنا اتخمت فيك ولا إيه؟!!

انطلق "قاسم" بالسيارة أثناء قوله الساخر:

_ بخيل؟! فوقي يا ماما.. الفستان اللي أنت لابساه دا بألف
جنيه، وأنت عايزاني أجيب تمانية بـ 8000 جنيه يبقى أنت
عايزة تخربي بيتي.

ربعت "أهلة" ذراعيها أمام صدرها وهي تُردد ساخرة:

_ مليش دعوة أنا عايزة تمن فساتين.

أوقف "قاسم" السيارة على بغتة ثم طالعا بنظرات خبيثة
قلقت منها، ابتلعت ريقها بريبة فسألته بحذر:

حارة القناص

_بتبصلي كدا ليه؟! والله أصوت وألم عليك الناس ابعدي عني.

_وحشتيني.

نطق بها بهيامٍ مما جعلها تقطب جبينها بتعجب وهي تقول:
_ أنت بتحاول تقولي كلام حلو علشان تستغلني صح؟!!

نفى برأسه قبل أن يُقربها منه أكثر ثم ضمها لفؤاده وهو يتنهد بعشق:

_ لأ بجد أنتِ وحشتيني، حاسس إنك كنتِ بعيدة عني أوي وعيني كانت مُشتاقالك.

ابتسمت بحنان فرفعت ذراعيها مُحيطَةً بعنقه تضمه بقوة بالغة، بينما هو أحاط بخصرها أكثر قائلاً وهو يتنهد بقوة:

_ متعمليش فيا كدا تاني، معنديش استعداد أعيش نفس الدقايق اللي عيشتها دي من جديد.

دفنت وجهها في عنقها تشتم عقبه، ثم أردفت باعتذار:

حارة القناص

_أنا أسفة مش قصدي أخوفك أو أقلقك، أنا كنت مقهورة
وعايزة أريح قلبي من قهرته، قلبي كان واجعني أوي.

قَبْلَ خدّها بقوة وهو يقول بحنان بجمّته المُعادَة:
_سلامة قلبك من الوجع.

ابتسم بعشقٍ بالغ أثناء شعورها بقُبلته التي هبطت فوق
جبينها، لكنها دفعته على بغّة قائلة بعنادٍ وهي تُربع
ذراعها مُجددًا:

_بس برضه هتجيبلي تمن فساتين.

وصل "صهيب" ومعه الجميع إلى المنزل، فقابلهم الجميع
بلهفة، نظرت "نبيلة" لهم ثم تسائلت برعب:

_فين "أهله"؟! بنتي فين؟!!!

ربت "صهيب" على كتفها بود ثم أجابها باطمئنان:

_متقلقيش عليها هي مع "قاسم" وزمانهم جاينين.

حارة القناص

تنهد الجميع بارتياح، فذهبت إليه "حبيبة" تسأله بقلق:
_ هي فين أنا عايزة أشوفها!

قرصها "صهيب" من وجنتها بمشاكسة أثناء قوله العابث:
_ يـوه يا بسكوتة ما قولتلك جاية مع جوزها، تعالي ندخل
نقعد جوا عشان ترتاحي.

تقدمت "مهرايل" من "چون" ثم أردفت بوجه قلق حتى
كادت أن تبكي:
_ "لوسيندا" تعبانة وبتقاوح يا "چون"، عايزين نكشف
عليها.

انتفض "چون" من مكانه والذي جلس ليرتاح قليلاً، نظر
حواله في الأرجاء ثم تسائل بفرع:
_ هي فين؟!!!

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم أشارت له نحو الغرفة قائلة:
_ هي نامت دلوقتي في الأوضة دي.

حارة القناص

لم تكد تُكمل جُمَلتها حتى هرول هو إلى الغرفة التي تُشير إليها، رمشت بأهدابها عدة مرات تُحاول منع ذاتها من البكاء، فشعرت بمن يُحيط بكتفها ويتسائل بحنو:

_ ما بكِ جروي الصغير حزينة؟!!

طالعه "مهرايل" بأعين دامعة وبعدها أجابته بخفوت:
_ "لوسيندا" تعبانة أوي وأنا خايفة عليها، حملها مش سهل.

ضم رأسها إلى صدره ثم تشدق بحنان:
_ لا تخافي ستكون بخير، تلك الشهور الأولى تكون صعبة دائماً.

كانت قد استكانت بين ذراعيه، لكن عقب حديثه ابتعدت عنه بعنف قائلة وهي تُضيق عيناها بشك:
_ وأنت إيه اللي عرفك إن الشهور الأولى بتبقى صعبة؟!!

أجابها وهو يهز كتفه ببساطة:
_ أنا أعلم.

حارة القناص

لوحث "مهرايل" أمام وجهه وهي تُصيح به:

_لأ كلمني زي ما بكلمك كدا، أنت عارف منين إن الحمل
بيكون صعب في الأول؟!!!

ضربها "آلبرت" على رأسها عدة مرات أثناء قوله المُغتاظ:
_ما تبطلي غياب بقي! العالم كله عارف إن الحمل سواء في
أوله أو في آخره بيكون صعب بس أنت اللي هطلة.

طالعه "مهرايل" بصمت عدة ثوانٍ، ثم أومأت له وهي
ترجع خصلاتها للخلف بغرور وهي تقول:
_كنت عارفة إنك هتقول كدا على فكرة بس كنت بختبرك.

طالعه باستنكار، لتُبادله هي بابتسامة واسعة غبية بعض
الشيء، ثم اقتربت منه مُمسكة بذراعه ووضعته رغبًا عنه
على كتفها ليُحيطه:

_أيوا كدا يا جدع احتويني، حسسني إن إحنا متجوزين مش
كدا.

ضحك بيأسٍ على جنونها الذي لم يقل أبدًا، فهبط على
وجنتها يُقبلها بحنان أعقبه بقوله الحنون:

حارة القناص

_مر أسبوع فقط على زواجنا لكن حتى الآن لا أُصدق هذا.

ابتسمت "مهرائيل" بخفة وهي تُوميء له تؤكد على حديثه،
وبعدها تفوهت بتكبر:

_أكيد مش مصدق إن أنا معاك مش كدا؟!!!

أيد قولها قائلًا:

_نعم، لا أُصدق كيف سأتحمل كتلة الغباء تلك مدى الحياة!

تشنج وجه "مهرائيل" بسخط قبل أن تستدير إليه وهي
تتسائل بغضب:

_ماذا تقصد يا "ألبرت" ياخويا؟!!

أردفت نصف جُملتها الأولى بالروسية، وفي النصف الآخر
نطقت به بالعربية الشعبية، مما جعل ضحكاته تملو بصخب
قائلًا وهو يهبط على خدها يُقبله بقوة:

_لا أقصد شيء يا قلب "ألبرت".

وعلى الجانب الآخر في الشرفة، جلست "سهيلة" مُتتهدة
براحة بعد أن اطمأنت على الجميع، وفي تلك الأثناء كان

"فور" يجلس بجانبها وهو يرتشف قليلاً من كوب النسكافيه خاصته والذي أعدته من أجله فقط! وبينما هي كانت شاردة في القمر المُتعلق في السماء، كان هو شاردًا في قمره الذي يجلس أمامه، والذي يفوق كل شيءٍ جمالاً ودلالاً.

استفاقت "سهيلة" من شرودها على شعورها بامساک أحدهم لكف يدها، كانت إحاطته ليدها حنونة ودافئة، فعلمت من صاحبها، ارتسمت ابتسامة صغيرة على ثغرها وازدادت أكثر عندما همس بمشاعر جياشة:
بحبك

طرق الفؤاد بين جنبات صدرها، وصاحبه تسلل السعادة لأوردتها، واتساع بسمتها على ثغرها، ونمو عشقه أكثر داخل فؤادها، فأيقنت أن وجدانه مُترابط بوجدانها، والعشق يهفو على قلب كليهما، ومنذ البداية فأقدارهما مُتناسجة مع بعضها.

التمعت عيناها بسعادة وردت قائلة:
وأنا كمان

حارة القناص

وضع المشروب الساخن من بين يديه ثم وقف وأوقفها معه، ضمها إلى صدره فاستمعت إلى تهيدته المُرْتاحة التي خرجت من بين شفّتيه، تبعه قوله الهامس:

_ انتظرت ذلك اليوم كثيرًا "هايلة"، اليوم الذي سأضمك فيه بكل راحة ويُسر دون خوف.

وضعت رأسها موضع صدره تستمع لضربات الصاخبة مما أدى إلى اتساع بسمتها، بينما هو استطرد حديثه قائلاً:

_ ذلك الفؤاد التي يعمل كمضخاتٍ ينطق بإسمك فقط، أنتِ المرأة الأولى والوحيدة الذي سيطرق من أجلها "هايلة".

أدمعت عيناها بسعادة مما تستمع إليه للتو، تشعر بأن الله قد عوضها خيرًا نتيجة لصبرها، وبصوتٍ مُتَحَشِّرِج هامس نادته بخفوت:

_ "فور"!!

ابتسم بخفة وصحح لها:

_ "يونس".

هزت رأسها نفيًا وتفوهت بضحك:

حارة القناص

_ لا اعودت على "فور" متجادلنيش.

أوما لها ضاحكًا:

_ حاضر مش هجادلك، كنت عايزة تقولي إيه؟!!!

شدت من ضمها لخصره أثناء قولها العاشق:

_ بحبك أوي.

فتح فاهه ليُجيبها، لكنه شعر بها تبتعد عنه بعنف و"رائد"
يُحيط بها ثم تشدق بغيظ:

_ مفيش لا حب ولا أحضان لحد ما أنا كمان أتجوز، انتوا
سامعين ولا لأ.

تشنج وجه "فور" بسخط قائلاً:

_ دي مراتي.

رد عليه "رائد" بعناد وهو يضمها إليه أكثر:

_ ودي أختي قبل ما تكون مراتك، ويلا اسرح من هنا بقى
وروح شوف أنت رايح فين.

قاطع شجارهم مُناداة "چيهان" لـ "سهيلة" بقولها العالى:
_ تعالى شوفي صحبتك يا "سهيلة".

نظرت "سهيلة" لُكُلٍ من شقيقها وزوجها بضحك، ثم ابتعدت
عنهما لتذهب ورؤية "مريم" التي أتت لتوها، عانقتها
"مريم" بقوة ثم تشدقت بسعادة بالغة:
_ مُبارك يا حبيبة قلبي، فرحانة ليك أوي.

ربتت "سهيلة" بامتنان على ظهرها وهي تُجيبها بحب:
_ الله يبارك فيك يا "مريومة"، اتأخرتي ليه كدا كنت
مستنياك من بدري!

اعتذرت لها "مريم" بأسف:
_ أسفة والله ماما كانت تعبانة شوية ومكنش ينفع أسيبها
لوحدها.

_ لأ ألف سلامة عليها، ابقي سلميلي عليها لحد ما آجي
أزورها بنفسي.

حارة القناص

أومات لها "مريم" مُبتسمة بحب:
_حاضر من عيني.

ذهب "سيف" نحو "رائد" المُغْتَاط من "فور"، ثم مال على
أذنه مُتسائلاً وهو ينظر لـ "مريم":
_بقولك إيه يا "رائد"؟! هي مين اللي واقفة مع أختك
دي؟!!

نظر "رائد" حيث يُشير، فصمت لثوانٍ ثم أجابه:
_دي صاحبة "سهيلة"، بتسأل ليه؟!!

أجابه "سيف" بسخرية قبل أن يبتعد عنه:
_هطلعها بطاقة ياخويا.

وبالداخل حيث "چون ولوسيندا"..
مال "چون" على معدة "لوسيندا" التي تُراقبه بحنان، ثم
قبّل بروز معدتها مُتحدثاً لطفله بعتاب:
_ما بال صغيري يُزعج والدته؟! كُف عن العبث يا مُشاغب.

حارة القناص

ضحكت "لوسيندا" باتساع على حديث زوجها أثناء غرزها
لأصابعها بين خصلاته الطويلة، فرفع هو رأسه لها واعتدل
جالسًا بجانبها ثم سألها بحنان:

_ هل أنت بخير الآن حقًا؟!!

قلبت عيناها بياسٍ مؤكدة له بقولها:

_ والله يا حبيبي أنا بقيت كويسة، أنا بس قلقت عليك مش
أكثر فتعبت.

مال على جبينها يُقبله بحنان بعد أن تفوه بحب:

_ حمدًا لله على سلامتك يا قلب "چون"، أنا لا أُطيقُ تعبك
ولو لدقيقة واحدة.

مسدت على جانب وجهه وهي تقول بحنان:

_ ربنا يخليك ليا يا حبيبي يارب.

وصل "قاسم وأهله" إلى المنزل أثناء حملهم لكثيرٍ من
الحقائب، كانت ابتسامتها ترسم على وجهها باتساع، ليزفر
"قاسم" بانهاك وهو يتحدث بسخرية:

_ على الله الهانم تكون مبسوطة ومرتاحة كدا.

ردت عليه "بحماس:

_جداً جداً والله.

سعد لفرحتها، فتحول وجهه للخبت وهو يتسائل:

_طيب مفيش أي مكافئة كدا ولا كدا؟!!!

نظرت إليه بتعجب، فوجدته يجذبها لأحضانها قائلاً
بمشاكسة:

_تعالى فى حضىنى يا كفاءة حسىنى إنى متجوز كدا.

ضحكت بخفة ثم ارتفعت بجسدها وقبلته بخفة على وجنته
وهي تقول بمرح:

_أحلى مكافئة لأحلى "قاسم" فى الدنيا.

وعلى بُعدٍ آخر، هرولت "نبيلة" خلف "يحيى" الذي يصرخ
طالباً النجدة وهي تُعنفه بضجر:

_بقى أنت عايز تستغل البت يا سافل يا قليل الأدب؟!!!

صرخ "يحيى" وهو يبتعد عنها:

يا حماتي دي بقت مراتي يا خرابي!!

تجمع الجميع بمنزل "قاسم"، كان الجو مليئًا بالحب والألفة، عائلة واحدة تجمعهم صلة الرحم رغم عدم وجود رابط قوي ليجمعهم، لكن الحب كان أقوى من أي رابط، رابط خُطِّ بين السعادة والشقاء، الفرح والحزن، الضحكات والبكاء، وذلك الرابط كان أقوى شيء جمعهم.

ظهر على التلفاز صوت المذيعه والتي التقطت خبرًا وصل لها تفها وكانت "أهله" هي المرسل بينهما، والتي تشدقت بنبرة عملية وجادة للغاية:

وها قد جائتنا الأخبار عن هروب "رفعت الأرماني" والقبض عليه مجددًا، وذلك بعد أن تم إثبات جميع التهم عليه بتجارته في الأعضاء البشرية، وتصدير واستيراد الأغذية المسرطنة، والأدوية منتهية الصلاحية، "مختار الأرماني" هو واحد من رجال الأعمال الذين يخفون جرائمهم تحت ستار الأعمال الخيرية والجمعيات، وما خفى كان أعظم.

حارة القناص

نظر "قاسم" بفخر نحو "أهلة" التي تُتابع بشماتة، ثم غمز لها بمشاكسة قائلاً:

كفاءة.

بعد مرور شهرين..

استيقظ "صهيب" على صوت بكاء من "حبيبة"، فهب من مكانه بفرع وتساءل قلقاً:

مالك يا "حبيبة" بتعطي ليه؟!!!

أجابته "حبيبة" وهي مازالت مُتمددة على ظهرها، لكن تلك المرة وهي تشهق بعنف:

أنا مش بحب حاجة تتحرك في بطني، أنا عايزة أنزله مش عارفة أنا.

طالعتها بعدم تصديق وردد بصدمة:

عايزة إيه؟!!!

شهقت ببكاءٍ حادٍ ثم أجابته:

حارة القناص

_ عايزة انزل البيبي مش عارفة أنام.

_ يعني عايزة تجهضي البيبي عشان عايزة تنامي؟!!!

أومات له وهي تُحاول أخذ انفاسها، فتتهد بهدوء لعلمه بأن هذا ما هي إلا هرمونات قد اعتاد عليها مؤخرًا، كما اعتاد شقيقه أيضًا على وحم "أهله" التي جعلته يترك لها المنزل بأكملها بسبب حنقها منه!!

مال "صهيب" على "حبيبة" مُقبلًا جبينها بحنان، ثم أردف بحب بعد أن مسح دموعها:

_ طيب يا حبيبتى نامي دلوقتي وأوعدك الصبح هنروح ننزل البيبي.

هدأت "حبيبة" قليلًا وبعدها سألته بحذر:

_ بجد يا صهيب ولا بتضحك عليا؟!!!

_ بجد يا قلب "صهيب"، يلا غمضي عينيكِ وارتاحي.

كانت الأيام تسير سريعة للغاية، تزوج الجميع وكذلك حملوا في أرحامهن أجنة صغيرة بدأت بالنمو داخلهم، تزوج كلاً من "يونس، سهيلة" و"يحيى، يمنى" و"رائد، ملك"، وجميعهن في ليلة واحدة، وها هي كل واحدة منهم تحمل داخل منها طفلها.

علت الصرخات فجأة في المكان، والمقصود بالمكان هي المشفى التي أتى لها الجميع لولادة "لوسيندا" الذي ضرب الألم بمعدتها فجأة، و"حبيبة" عندما رأتها في هذا الوضع شعرت بالآلام مُفجعة تضرب معدتها بعنف، آلام لا تتحمل، يبدو بأنها تلد هي الأخرى!!

وعلى سعيدٍ آخر.. علت صرخات التوأمين يعلنون قدومهم لتلك الحياة، لكن الطفلان لم يكونا من تلك العائلة، بل هم أطفال "ريماس الأرماني"!!

نظرت لأطفالها بدموع كثيفة ثم قبلتهما بحنانٍ وشغف، بكت المرأة التي تجلس بجانبها وهي تُمسد على خصلاتها المُبتلة بحنان، ثم سألتها بخوف:

حاسة بايه يا حبيبتي دلوقتي؟!!!

حارة القناص

أجابتها "ريماس" بنهيج:

_خلي بالك من ولادي يا ماما "ورد"، افتحى.. افتحى الدرج
هتلاقيني كاتبة عنوان وديهم عندهم، هما هياخدوا بالهم
منهم.

نفت "ورد" برأسها وهي تقول بأسى:

_متقوليش كدا يا حبيبتي، هتكوني كويسة وهتربيهم أحين
تربية والله.

أمسكت "ريماس" كفها برجاء، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة
وبعدها أردفت بأنفاسٍ ثقيلة:

_عشان خاطري اعلمي اللي بقولك عليه، خليه يسامحوني
واديهم الورقة اللي في إيدك دي، ولادي.. خليه..
يسامحوني.

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي خرجت من فاه
"ريماس" قبل أن تصعد روحها إلى خالقها، بكت "ورد"
بعنف وهي تهز رأسها بأسى، ثم نظرت للطفلين على
ذراعها قائلة بحزن:

_يا ترى الدنيا مخبيالكم إيه يا حبايبي!!

حارة القناص

قالتها ثم نظرت للورقة التي أعطتها إليها، وبالفعل قررت الذهاب إليهم وإعطاء الأطفال لهم كما كانت وصية والدتهم.

#يُتبع.



#حارة_القناص.

#شروق_حسن.

يقول: جلست أحفظ سورة المطففين أكثر من ثلاث ساعات ولما اشتكيت ذلك.

حارة القناص

قال لي احدهم: يا سعدك تجلس مع القرآن أكثر منّا!
" ولربما أنت أيضا في اصطفاء ولكنك لم تلاحظ "

- إنما هي أرزاق  .
- يا طالب القرآن لا بأس ولا يأس ، لا تحزن إن قيل لك
(أعد) .. لا تتعب إن وجدت مشقة وأنت تتعتع في
تصحيح لفظك ، وما يدريك وأنت تصحح نطقك إجلالا
لكلام الله .. ربما نظر الله إليك نظرة الرضا ، وأجزل لك
الأجر.. 

•(الفصل الثالث والخمسون)

•(حارة القناص)

•(عوض المولى)

ظل "صهيب" يسير في طرقات المشفى ذهابًا وإيابًا قلقًا
على زوجته وهو يُردد بتمني:

_يارب بنت يارب، يارب ولد يارب، يارب بنت وولد يارب،
يارب بنتين وولدين يارب، يارب أي حاجة يارب بس يكونوا
كثير يارب.

حارة القناص

كتم "قاسم" ضحكاته من الصعود بصعوبة، بينما "أهلة" نظرت له بتشنج ثم صاحت به باستنكار:

هو إيه اللي يارب يكونوا كثير يارب؟! هتفتح مكتب في الشؤون الاجتماعية؟! وبعدين دا بدل ما تقعد تدعيها قاعد تقول كلام ملهوش لازمة?!!

طالعها "صهيب" بغیظ ثم استدار نحو "قاسم" يصرخ به:
شيل مراتك من قدامي يا "قاسم" أنا مش ناقصها.

احتدت عيني "أهلة" بغضب وقررت إغاضته أكثر فأردفت بكيد:

متخلينيش أحطك في دماغي دلوقتي لأحلف إن أختي تبات معايا الأربعاء يوم بعد الولادة وكله هيبقى بموافقتها.

رمش "صهيب" بأهدابه عدة مرات يُقلب حديثها داخل رأسه، فإن قالت لـ "حبيبة" عن تلك الفكرة ستوافقها سريعاً دون تفكير، قرر جمع الباقي من كرامته ثم رفع رأسه للأعلى وهو يقول بشموخ:

أنت مش هنزل لمستواك وأرد عليك.

حارة القناص

تشنج وجه "أهلة" بسخطٍ وما كادت أن ترد عليه، حتى وجدت "قاسم" يُحيطُ بها من كتفها قائلاً وهو يضحك:
_ خلاص يا حبيبتي ملكيش دعوة بيه، خليك أنتِ أحسن منه.

هدأت "أهلة" قليلاً بينما نظرات الغيظ مازالت تُحاوط "صهيب" الذي يُبادلها نفس النظرات، تركته "أهلة" ثم اتجهت نحو "مهرائيل" التي تنتظر ولادة شقيقتها هي الأخرى وتساءلت:

_ ها محدش طمنكم لسه؟!!!

هزت "مهرائيل" رأسها بالنفي وهي تتهد بتثاقل:
_ لأ لسه، أنا مش عارفة هما يوم ما يولدوا.. يولدوا مع بعض ويقلقونا عليهم كدا!!

اقتربت "حياة" منها ثم ربتت على كتفها وهي تقول بضحك:
_ متقلقيش يا حبيبتي خير إن شاء الله، وبعدين ما جوزها معاها جوا ومرضيش يسيبها يعني اتطمني.

حارة القناص

وما كادت "مهرايل" أن تُجيبها؛ حتى خرج الطبيب من الداخل، فاندفع إليه الجميع يتسائلون بقلق:

_طمنا يا دكتور!؟!

في البداية خاف الطبيب من هذا العدد من الأشخاص، لكنه استعاد ثباته مُجددًا ثم أجابهم بابتسامة هادئة:

_الحمد لله الأم والبنت بخير، كلها دقائق وهنتقل لأوضة عادية.

زفر الجميع بارتياح بما فيهم "قاسم وصهيب"، وما كادوا أن يأخذوا أنفاسهم، حتى خرج الطبيب من الغرفة الأخرى مُبلغًا إياها بعملية:

_حمدالله على سلامتها، العملية عدت على خير والمدام والطفل صحتهم كويسة الحمد لله.

انتشرت التهليلات بين الجميع وارتسمت السعادة بوضوح على وجوههم، اقترب "قاسم" من شقيقه يحتضنه بسعادة وهو يقول بفرحة عارمة:

_ألف مبروك يا حبيبي يتربى في عزك.

حارة القناص

بادلته "صهيب" العناق قائلاً بفرحة:

_الله يبارك فيك عقبالك.

اقتربت "حياة" من ابنها تُعانقه بعد أن أفسح لها "قاسم" المجال، تشكّلت دموع السعادة داخل حدقتها ثم تحدثت بصوتٍ مُتَحَشِّرَج:

_ألف مبروك يا نور عيني، أخيراً هشوف ولادك قبل ما أقابل وجه رب كريم!!

خرج "صهيب" من أحضانه مُمسكاً بكفها يُقبله، ثم تشدق بعتاب:

_بعد الشر عليك يا ست الكل متقوليش كدا تاني علشان خاطري.

مرت الدقائق وتم نقل الفتاتان إلى غرفة واسعة كبيرة بطلب من العائلة، تمددت كُل منهما على فراش مُنفرد، وطفلة "لوسيندا" تحملها "مهرائيل" تُداعبه بحنان، بينما طفل "حبيبة" تحمله "أهلة" وعلى وجهها ترتسم ابتسامة واسعة، وبالطبع لم تُبالي بنظرات "صهيب" الحانقة التي يرميها إليها لعدم سماحها لأحد بحمل الصغير!!

حارة القناص

ذهب "صهيب" إلى "قاسم" يمسكه من ياقة ثيابه وهو يهزه بعنف أثناء جزه على أسنانه بغضب:

_ ما تاخذ مراتك بقى وامشوا من هنا يخربيت معرفتكم!!
دي مش عايزاني أشيل ابني يخربيت الجبروت!!

أنزل "قاسم" يده التي تمسك بثيابه، ثم غمز له بمشاكسة:
_ ابنك هجيبهولك أنا.

تركه بعد أن طالعه باستخفاف واتجه بعدها نحو "أهلة" التي كانت تجلس على فراش "حبيبة" وتمسك الصغير بين ذراعيها، لكن سحر أنظاره تلك الابتسامة الواسعة التي تتشكل على ثغرها أثناء مطالعتها للصغير بأعين هائمة، اقترب منها حتى وقف بجانبها، رفعت هي أنظارها إليه تُطالعه بسعادة، ثم هبت من على الفراش قائلة وهي تُشير للصغير بفرحة عارمة:

_ شايف يا "قاسم" صغير خالص وعسول إزاي؟!!!

تحولت أنظار "قاسم" نحو الصغير الذي يتثائب بطريقة مُهالكة وجميلة، فأكملت "أهلة" حديثها ببسمة واسعة تزامناً مع اقتراب "صهيب" منهم:

_ شكله جميل وفيه شبه مني صح؟!!

تشنج وجه "صهيب" والذي تحدث باستنكار:

_ هو إيه اللي شبهك؟! هي أي بتتجان على أي كوسة
وخلص!! هاتي يا حجة ابني.

ابعدت "أهلة" عن يديه التي امتدت لأخذه، ثم وبخته قائلة:

_ ابعد إيدك أحسنك ومتخلنيش أتصرف تصرف مش
هيعجبك.

زفر "صهيب" بسخط، بينما علت ضحكات "قاسم" والذي
هبط على خدها يُقبله بحنان، ثم تشدق بحب مُجاهلاً وجود
شقيقه:

_ أنا كمان حاسس إن فيه شبه منك، أصله قمر وأنت قمر
فمش معقول يكون مش شبهك.

أخفضت "أهلة" رأسها بخجل، فوجدت "قاسم" يأخذ منها
الصغير ببطئٍ ثم قبّل وجنته بحنان وهو يقول بحب:

_ بسم الله ما شاء الله، يتربى في عزك يا حبيبي.

حارة القناص

قالها ثم استدار جهة "صهيب" الذي تهلتت أساريره بسعادة بالغة، ثم أخذ منه صغيره بعد أن احتضن شقيقه بامتنان على هذا العمل البطولي، وبعدها اتجه نحو زوجته التي كانت تتابع نزاع زوجها وشقيقتها بضحكات خفيفة.

نظرت "أهلة" لـ "قاسم" بضيق، فقربها منه أكثر ثم أردف بغمزة عابثة:

ـ بصراحة أنا غيران، يعني متهميش بيه ومتحبيهوش أكثر مني.

تبدد غضبها تدريجياً قائلة بضحكة غير مُصدقة:
ـ أنت بتتكلم بجد؟! دا طفل لسه مولود.

هز كتفه بلامبالاة أثناء أخذه لها والذهاب لرؤية طفلة "چون":

ـ طالما مش ابني يبقى مني حقي أغير يا كفاءة.

وهكذا استطاع "قاسم" بمكره ودهائه أن يُلهي زوجته العنيدة عن طفل أخيه، وجعلها تلتهي بطفلة "چون" الجميلة.

كانت "ملك" تحمل الصغيرة بكل حبٍ ثم قبلت وجهها الصغير أثناء تحدثها بكلماتٍ غير مفهومة أخافت الطفلة:
_ياختي حلوة جميلة سكر، حبيبة خالتو، وروح خالتو يا ناس.

كلماتها كانت سريعة وغير مفهومة، فأدت إلى صراخ الطفلة ببكاءٍ بعد أن هلعت من صوتها المزعج، ذهبت إليها "مهرايل" وانتشلت الصغيرة منها بلطفٍ لتُدهدها، وبعد أن صممت رفعت أنظارها لـ "ملك" مُتحدثة بصوتٍ خافت مُغناظ:

_يا بنتي سرعتي البت!! وبعدين أنتِ كنتِ بتقوليلها تعاويذ؟!!!

انكمش وجه "ملك" باستنكار وبعدها صاحت بها بسخط وهي تُشيع بيدها أمام وجهها:

_مالك يا بت معوجة علينا كدا؟!!! طيب ما أنا كمان حامل وكلها خمس شهور وهولد يا حبيبتي.

جاءت بتلك الأثناء "جيهان" تُخبرهم بابتسامة هادئة:

حارة القناص

_ يلا يا حبايبي عشان نمشي، الشباب جهزوا العربيات
بتاعتهم ومستنينكم تحت.

رفعت "يمنى" وجهها لـ "چيهان" وتساءلت باستغراب:
_ وهما لحقوا يا "چيجي"؟! دول مكلوش حتى كام ساعة
والمفروض يياتوا عشان نطمئن عليهم.

نفت "چيهان" بقولها:

_ لأ يا حبيبي متقلقش، ولادتهم كانت طبيعية والدكاترة
طمنونا إنها كانت متيسرة ويقدرُوا يتنططوا كمان لو عايزة.

ضحكن بمرح، وبعدها هبطت كل واحدة منهن لزوجها
والسعادة تملأ قلوب الجميع، "أهله" أغاظت "صهيب"
وحملت الرضيع وسط ضحكات "قاسم" العالية، بينما
"صهيب" قام بحمل "حبيبة" على بغتة وهبط بها حيث
سيارة أخيه، وكذلك فعل "چون" المثل مع "لوسيندا" بعد
أن قام بتقبيل الصغيرة وإعطائها إلى "سهيلة" التي كانت
تهيم بها وبجمالها.

اتجه الجميع نحو المنزل الخاص بـ "قاسم"، حيث به خمسة
طوابق ليجمع شمل الجميع، الطابق الأول خاص بتجمع

حارة القناص

جميع أفراد العائلة والأصدقاء، الطابق الثاني خاص بـ "حياة"، والثالث خاص بـ "قاسم وأهله"، والطابق الرابع خاص بـ "صهيب وحبيبة"، كما أن الطابق الخامس خاص بـ "جون ولوسيندا"، و"آلبرت ومهرائيل" و"فور وسهيله"، وذلك الطابق خصيصاً بُني من أجلهم فترة وجودهم بمصر، حيث به أربعة غرف واسعة لنومهم.

اجتمعت العائلة في الطابق السفلي، حيث قاموا بهدم الحوائط لثلاث غرف وجلبوا بها الكثير من الأرائك لتجمع شمل الجميع، جلست "حبيبة" بجانب "صهيب" على الأريكة، وعلى ذراعها تحمل صغيرها، كذلك جلست "لوسيندا" بجانب زوجها، ومن على الناحية الأخرى جلس "فور" بجانب "جون" وذراعه تُحيط بـ "سهيلة" التي كانت تُتابع أحاديث الفتيات باهتمام، "قاسم وآلبرت" تجاورا للتحديث في بعض الأمور الهامة، وانضم إليهم "يحيى" وكذلك "رائد"، بينما كُلاً من "أهله، يمى، ملك، ومهرائيل" قررا الابتعاد قليلاً والجلوس على الأرض بشكل دائري ويتبادلون الأحاديث السخيفة، و"حياة ونبيلة وچيهان" جلسن معاً في جلسة ودية جميلة.

تنهدت "حياة" بسعادة وأنظارها مُتعلقة على الجميع، ثم تشدقت بحنين:

_ العيلة دي حاجة جميلة أوي، ربنا يجمع شملهم دايماً
يارب.

أمنت كُلاً من "جيهان ونبيلة" على حديثها، وبعدها تحدثت
"نبيلة" بصوتٍ مُتمني:

_ كان نفسي بنتي تكون موجودة معاهم دلوقتي.

طالعاها بحزن على ألمها، فتسائلت "جيهان":

_ هي ماتت إزاي يا "نبيلة"؟!

أجابتها بحزنٍ وهي تتنهد بثقل:

_ عملت حادثة وماتت، كانت خايفة من أبوها ونزلت تجري
منه، مخدتش بالها من العربية اللي جاية ناحيتها فخبطتها،
نقلناها المستشفى وفضلت في العناية يومين لحد ما ربنا
استرد أمانته ليه من تاني.

كانت دموعها تهبط بأسى وهي تتذكر سنواتها الماضية مع
ابنتها البشوشة الجميلة، وبين ليلة وضحاها وجدت مكانها
فارغ، تركتها تتجرع كاسات الألم والفراق وحدها، مددت
"حياة" يدها تُربت على قدمها بحزن، ثم تحدثت داعمة
إياها:

حارة القناص

_ الحمد لله على كل شيء، بس متنسش إن ربنا عوضك بعدها بتلت بنات بالدنيا وما فيها، حتى لو كانوا مش من صُلبك بس هما في الأول وفي الآخر ولادك.

رفعت "نبيلة" أنظارها حيث فتياتها الثلاثة تُطالعهم بابتسامة سعيدة، ثم تشدقت قائلة بحب:

_ دول نور عيني، ربنا عوضني بيهم ولو هفضل طول عمري أشكره على النعمة دي مش هوفيه حقه.

قاطع تلك الجلسة رنين جرس المنزل الذي صدح عاليًا، هبت "أهلة" من مكانها بحماس وهي تتخيل أن الطارق هو المندوب الذي أتى لجلب ثياب ابن شقيقتها التي طلبتها، لكن بسمتها خفتت تدريجيًا عندما رأت امرأة كبيرة يتعدى عمرها الخمسون تقريبًا، تقف أمامها وترتدي ثيابًا سوداء، وما جذب انتباهها أكثر هم هذان الطفلان اللذان تحملهما على ذراعها، قطبت "أهلة" جبينها ثم تحدثت بتساؤل:

_ نعم، حضرتك مين؟!!!

ابتلعت "ورد" ريقها بتوتر ثم سألتها بصوتٍ خافت:

_ أنتِ "حبيبة الأرماني"؟!!!

حارة القناص

شعرت "أهلة" بالريبة خاصةً وأن تلك السيدة أتت للسؤال على شقيقتها خصيصًا، لذلك أجابت عليها بالنفي:
_لأ، بس أنا أختها.

طالعتها "ورد" باستغراب من هويتها، لم تذكر لها "ريماس" من قبل عن وجود ابنة عم أخرى لها، رفضت تلك الأفكار عن رأسها وطلبت منها باحترام:
_طيب بعد إذناك ممكن تناديلي الست "حبيبة"!!؟

رمشت "أهلة" عدة مرات بأهدابها، فأفسحت لها الطريق طالبة منها بهدوء:
_طيب اتفضلي ادخلي هي جوا.

خطت "ورد" أولى خطواتها بتردد، وازدادت توترها عندما أبصرت عيناها هذا الجمع الهائل من الرجال والنساء، طالعتها الجميع بنظراتٍ مُتعجبة خاصةً هذان الطفلان اللذان تحملهما، بينما "أهلة" أشارت نحو "حبيبة" وتحدثت قائلة:
_هي دي "حبيبة".

حارة القناص

وقف "قاسم" من مكانه واتجه نحوها في حين مُتابعة الجميع لما يحدث بلامح مُتعجبة، طالعه "ورد" بتوتر عند سؤاله الغليظ:

_ أنت مين؟! !!

ردد عليه "ورد" بخفوت:

_ أنا.. أنا كنت عايزة الست "حبيبة".

تسأل القلق إلى فؤاد "حبيبة" وكذلك "صهيب"، أعطت الطفل إلى "حياة" ثم استندت على ذراع "صهيب" وسارت حتى وقفت قبالتها، وبخفوتٍ تحدثت قائلة:

_ أيوا أنا "حبيبة"، أنت تعرفيني؟! !!

أومأت لها "ورد" وسددت لها ابتسامة هادئة، ثم وبودٍ أجابتها:

_ أيوا أعرفك، "ريماس" بنت عمك حكّت ليا عنك كثير.

رددت "حبيبة" اسمها باستغرابٍ شديد بقولها:

_ "ريماس"؟! !! و"ريماس" تعرفك منين؟! !!

تهدت "ورد" بحزن قبل أن تُجيبها بنبرة يائسة:
_ "ريماس" اتوفت إمبراح وهي بتولد.

صُدْم "صهيب" من حديثها فأردف مصعوقًا:
_ إيه!!! ماتت!!!

هزت "ورد" رأسها بالإيجاب في حين شعورها بتلك الغصة
المؤلمة التي تشكلت بحلقها، ثم نظرت إلى الصغار على
ذراعها وهي تقول بأعين دامعة:
_ أيوا ماتت وهي بتولد، ودول ولادها.

انتقلت أبصار "حبيبة" نحو الطفلين تلقائيًا، شعرت بذلك
الألم يضرب ثنايا فؤادها من أجلهما، وبدون أن تشعر
تسللت الدموع إلى حدقتها، أرادت سؤالها عن والدهما،
لكن لسانها لم يُسعفها وكأنه سُئل من الصدمة، لكن "قاسم"
تسائل بدلًا منها:
_ مين أبوهم!!!

زفرت "ورد" بضيق على ذكر سيرته، ثم أجابته قائلة:
_ "أنس الأرمانى".

لوت "أهله" شفتاها باستنكار وهي تهمس بخفوت:

_كنت واثقة إن القذارة دي متخرجش برا العيلة.

استمعت "ورد" إلى همسها فاستدارت لها مُدافعة:

_والله يا بنتي وما ليكِ عليا حلفان إن "ريماس" ثابت، كان
نفسها تيجي وتطلب منكم السماح بس خافت.

لم تستطع "أهله" الصمت أكثر وسألته بهجوم:

_خافت من إيه؟! أنتِ مش عارفة هي كانت عايزة تعمل
فيها إيه ولا هي محكتش ليكِ.

أخفضت "ورد" رأسها ثم تمتت بيأس:

_حكّلي، بس كلنا بني آدمين وبنغلط، أنا والله عارفة إن
هي غلطانة وغلطها كبير بس هي ثابت، والمساكين دول
ملهمش ذنب يتشردوا ويترموا في الشارع، أنا لو عليا
أربيهم أنا بس أنا مش هعيشلهم العمر كله، أنا ست مريضة
وفي آخر أيامي.

حارة القناص

اتجهت "حياة" إلى "ورد" ثم حملت طفل من الأطفال لتُريح ذراع "ورد" التي من المؤكد بأنها آلمتها، نظر "صهيب" إلى والدته بضيق وهو يقول:

_ استني يا ماما أنتِ بتعملي إيه؟!!!

أحاطت "حياة" بالصغير جيداً ثم نظرت إليه بنظراتٍ صارمة قائلة بحسم:

_ اسمعني أنت كويس، مهما كان اللي حصل فينا من العيلة دي، ومهما صابنا الأذى منهم، فالأطفال دي ملهاش ذنب إنها تتشرد ويترمووا لكلاّب السكك، وأظن أنت وأخوك عارفين كويس يعني إيه أطفال تترمي لكلاّب السكك.

نظر "صهيب" إلى وجه "قاسم"، فوجد أنظاره مُثبتة على الطفلين بجمود، فيما أكملت "حياة" حديثها بصرامة أشد:

_ البنّت تابت بعد ما عرفت غلطها، وربنا حَب يسترد أمانته بعد ما جابت طفلين، هينفع نسيب الأطفال دي تترمي كدا في الشوارع وإحنا في أيدينا نساعدهم؟!!!

اعترض "صهيب" قائلاً:

_ بس العيلة دي معملتش فينا أي جميل نفكرهم بيه، طول حياتنا بنعاني بسببهم.

ردت عليه "حياة" بحسم:

_يبقى تطلق مراتك أنت وهو.

رفع "قاسم" أنظاره الباردة يُطالع والدته، بينما "صهيب"
فتح عيناه يُطالعها بصاعقة كحال الجميع، وبدون قصد
ارتفع صوته على والدته وهو يقول بغضب:

_ أنت بتقولي إيه يا ماما؟!!

زمجر به "قاسم" بحدة:

_ صوتك ميعلاش على أمك.

طالعه "صهيب" بنظراتٍ حارقة، وبعدها حوّل أنظاره تجاه
والدته التي أكملت بعناد:

_ أيوا تطلق مراتك، هي مش مراتك دي مش من نفس العيلة
اللي معملتش فينا أي جميل نفتكرهم بيه؟!!

ابتلع "صهيب" باقي كلماته، فيما أردف "قاسم" ببرود:

_ اللي عاجبك اعمله يا ماما.

عاندته "حياة" بقولها:

_وهيعجبك كمان يا روح ماما، يلا خُد الطفل الثاني وهيبات
معاك الليلة.

فرغ "قاسم" فاهه ببلاهة وارتمم الاستنكار بوضوح على
وجهه، لم تُعطيه "حياة" أي إهتمام، بل استدارت نحو
"صهيب" قائلة بخيبة:

_حظك إن مراتك ولدت النهاردة، لولا كدا أنا كنت خلّيت
الولد الثاني معاك.

لوى "صهيب" شفّتيه بسخط ثم نظر لـ "حبّية" التي كانت
صامتة طيلة الوقت، لكن عيناها تروي آلاف المشاعر
المكبوتة، سارت خطوتين نحو "ورد" حتى وقفت قبالتها،
ثم سألتها بأعين مُتلهفة:

_هما ولدين؟!!!

هزت "ورد" رأسها بالنفي وهي تُجيبها بحنان:
_ولد وبنت، اللي معايا دي البنت.

حارة القناص

مدت "حبيبة" يدها لأخذ الطفلة منها، وبحنانٍ غير مُتوقع
مالت عليها تُقبل جبهتها بحنان، رفعت أنظارها نحو
شقيقتها تقول بابتسامة حزينة:

__ عسولة أوي يا "أهلة" تعالي شوفيها.

رمشت "أهلة" بأهدابها عدة مرات، وبخطواتٍ هادئة اتجهت
إليها، طالعت الصغيرة النائمة بحنوٍ شديد، ثم مدت يدها
لثُمسك بكفها الصغير للغاية، اتسعت ابتسامتها تلقائياً خاصةً
عندما فتحت الصغيرة عيناها تُطالعها بصمت.

اقتربت منهما "حياة" بتروٍ ثم وقفت بجانبهما، وبصوت
خافت لم تسمعه سواهما تسألت:

__ انتوا أكيد مش زعلانين مني وعارفين أنا قولت الكلام دا
ليه صح؟!!!

أومأت لها الفتاتان بالإيجاب وعلى أفوههما ترتسم ابتسامة
هادئة، لتزفر "حياة" براحة قبل أن تضع الصبي بين ذراعي
"أهلة" وهي تقول بحنان:

__ مش هلاقي أحسن منك هآمن ليه على الولاد، أنا عارفة
إنك حنينة عكس ما بتظهري دايمًا، عشان كدا خليهم معاك
لحد ما تولدي.

طالعت "أهلة" الصغير الذي يرتكز بين يديها بتردد، تشعر بحملٍ ثقيلٍ سيوضع فوق كاهلها، شعور المسؤولة والأمومة التي ستحظى بها بعد عدة أشهر يُداهمها الآن وبقوة، وبدون وعيٍ أو مأت لها بالإيجاب، ثم هبطت على وجه الطفل تُقبله بحنانٍ شديدٍ وكأنه فبذة كبدها!

طالعتها "قاسم" بحنان ثم ذهب إلى "حبيبة" وحمل منها الصغيرة ضاممًا إياها إلى صدره، أغمض عيناه مُستلذًا بتلك الرائحة التي اشمها لتوه، عبق الصغيرة الطفولي يُشعره بالاستمتاع والراحة كما كان يسمع من قبل، هل حقًا سيحدث هذا عند قدوم صغيره إلى تلك الحياه؟! أم أن حينها الوضع سيختلف؟!!

صدح فجأة صوت "صهيب" المُتسائل بضجر:

_طيب هنسميهم إيه؟!!

ضربه "قاسم" بذراعه في معدته وهو يقول بعث:

_قول إنك رضيت بوجود العيال، باين على وشك على فكرة.

وبسخط أجابه "صهيب":

_ ملكش دعوة.

تدخل "يونس/فور" في الحديث مُتسائلاً بتفكير:

_ هتسموهم إيه؟!!!

اقترب منهم "رائد" مُتحدثاً بغرور:

_ أنا من رأيي نسمي الولد "رائد".

دفعه "يحيى" من ذراعه قائلاً وهو يُطالعه باشمئزاز:

_ لأ طبعاً إيه القرف دا؟! إحنا نسميه "يحيى" أظن مفيش
أجمل من كدا!

أشاح "قاسم" بوجهه عن كليهما وهو يقول بغلاظة:

_ ابعد يلا أنت وهو من هنا، قال "يحيى ورائد" قال، هي
ناقصة عته؟!!

ضحك الجميع بمرح على تلك المشاكسات التي تحدث دائماً
بين أفراد العائلة، بينما "قاسم" نظر إلى "أهله" قائلاً
بأعين مُلتمة:

_سميهم أنتِ.

_أنا؟!!

رددتها "أهلة" بعدم تصديق، ليؤكد لها "قاسم" برأسه
مُردداً:

_أيوا أنتِ، يلا.

نظرت "أهلة" للطفلان بتفكير و ضرباتٍ صاخبة تشدد داخل
فؤادها، وبعد وقتٍ من الصمت تحدثت أخيراً بابتسامة
واسعة:

_الولد "معاذ أنس الأرماني"، والبنت "سما أنس
الأرماني".

استحسن الجميع اقتراحها، فيما اتسعت ابتسامة "مهرايل"
بسعادة والتي أردفت بحب:

_الله حلوين أوي.

أكد الجميع على حديثها بإماعة صغيرة ثم عادوا بأنظارهم
للطفلين مجدداً، ضم "ألبرت" خصر "مهرايل" بيد وباليد
الأخرى مسد على جوفها بحنان وهو يهمس:

حارة القناص

_مُتأكد بأن صغيرتنا محظوظة لكونك أنتِ والدتها.

أدمعت أعين "مهرايل" بحبٍ ثم مالت برأسها على صدره
تستند عليه وهي تقول بصوتٍ عاشقٍ بلغته الأم:

_لا يوجد شخص محظوظ بهذا الكون سواي "ألبرت"، لقد
حصلت على أجمل رجل بالعالم دون أي مجهودٍ مني.

هبط "ألبرت" على جبينها يُقبله بحنان، وبصوتٍ عاشقٍ
همس لها:

_تظنين بأنك لم تفعلي أي مجهود لكن في الحقيقة لقد
أرهقتي قلبي بشكلٍ لا يُطاق جروي الحبيب.

وبالعودة حيث ذلك التجمع الكبير، غادرت "ورد" من بينهم
بعد أن شكرتهم على لطفهم وحُسن استقبالهم، بينما
استدارت "حياة" نحو "صهيب" تسأله:

_وأنت يا أستاذ مقموص هتسمي ابنك إيه؟!!!

ضرب "صهيب" قدماه بالأرض وهو يقول بحنق:

_يا ماما أنا مش طفل صغير عشان تكلميني كدا!

حارة القناص

ضحكت "حياة" بخفة وهي تُهاوده:

_ لأ طبعًا أنت مش طفل صغير، أنت طفل كبير، ها هتسمي
ابنك إيه؟!!

حمل "صهيب" ابنه من على ذراع "جيهان"، ثم أردف
بحبٍ وهو ينظر لـ "حبيبة":
_ "يزيد صهيب طاحون".

ابتسمت "حبيبة" بسعادة لاختياره الاسم الذي انتقوه سويًا
رغم رفضه له في البداية، لكنه قرر إسعادها وموافقها على
تسميته كيفما تشاء، ربت "قاسم" على ظهر شقيقه وهو
يردف بمزاح:

_ لأ اسم فخم ورايق يا ض.

ضحك بخفة، بينما "حياة" استدارت لـ "چون" وسألته
بحنانٍ مثلما تُعامل أبنائها:
_ وأنت يا "چون" هتسمي بنتك إيه?!!

أحاط "چون" بكتف "لوسيندا" ثم أجابها بابتسامة واسعة:
_ اتفقنا أنا و"لوسي" نسميها "چوليا" يا طنط.

رددت "حياة" اسمها بإعجاب قبل أن تقول:
_ "چوليا"؟! جميل أوي، يتربى في عزك يا حبيبي.

أجابها بامتنان:

_ تسلميلي يا طنط.

وتلك المرة تحدثت "نبيلة" بانهاك:

_ أنا همشي بقى عشان الوقت اتأخر، وكمان البنات محتاجة
ترتاح شوية على الأقل.

أكدت "چيهان" على حديثها بقولها:

_ معاك حق، يلا نمشي بقى وكل واحد على بيته ونبقى
نتجمع بكرة كلنا.

وافق الجميع على اقتراحها، وبالفعل ذهب كل واحد منهم
مع زوجته واتجهوا نحو منازلهم، وتركوا المنزل لأهله
ليرتاحوا قليلاً.

صعد كلاً من "قاسم وأهله" إلى الأعلى ومعهم الطفلين، دلفت "أهله" بهم إلى غرفة الأطفال التي جهزتها خصيصاً لطفلها القادم، حيث يوجد بها سرير هزاز واسع إلى حد ما يتسع لثلاثة أطفال صغار، وضع "قاسم" الطفل أولاً، ثم استدار وحمل الصغيرة من على يد "أهله" التي كانت تُطالعها بحب كبير، هي عاشقة للأطفال، وإن كانت تلك الصغيرة من نفس عائلتها التي تكرها فلا ذنب عليها، لقد جاءت بالخطأ مثلها هي وشقيقتها وسط تلك العائلة.

اعتدل "قاسم" في وقفته ثم أحاط بكتف "أهله" وأنظارهما مثبتة على الأطفال، لفت "أهله" ذراعها حول خصره واستندت برأسها على صدره في حين أن أنظارها تتعلق بالأطفال، وبصوتٍ حنونٍ أردفت:
_شكلهم حلو أوي يا "قاسم".

أوما لها بالإيجاب وعلى ثغره ترتسم ابتسامة صغيرة، وبودٍ أكد على حديثها بقوله:

_حلوين فعلاً، بس أنا مستني ابننا اللي هيجي بفارغ الصبر.

حارة القناص

قال جُمَلته الأخيرة تزامناً مع وضعه لكفه على معدتها
الْمُنْتَفخة، ضحكت "أهلة" بخفة لعلمه ما يدور برأسه،
فطالعا هو بضجر وهو يقول:

_برضه مش عايزانا نعمل تحليل ونشوف نوع الطفل إيه؟!!!

ردت عليه بمشاكسة وهي تهز رأسها بالنفي:

_تو.. تو، أنا عايزة اتفاجيء بابني أو بنتي اللي جاين.

رفع كفه ثم جذبها من خصلتها الشاردة على وجهها أثناء
قوله المَغْتَاط:

_رخمة والله، بس كله يهون لأجل عيون حبيب قلبي اللي
بيكبر جواك دا.

تجدد وجهها بحنق ثم تسائلت بضيق:

_والله؟! يعني عشان خاطر حبيب قلبك بس؟!!! طيب وأم
حبيب قلبك نظامها إيه معاك؟!!!

ابتعد عنها ثم حرك حاجبيه بمشاكسة أثناء قوله العابث:

_هدخل آخذ شاور وهاجي أقولك يا أم حبيب قلبي.

حارة القناص

ازداد غيظها منه فذهبت إليه ودفعته لخارج الغرفة كُليًا، ثم
تشدقت بصوتٍ حانق:

_ طيب يلا يا حبيبي برا بقى وخلي ابنك اللي لسه متولدش
ينفعك.

طالع "قاسم" الباب الذي أُغلق في وجهه بابتسامة مُتعصبة
ووجهٍ غير مُصدق، عض على شفتيه بغيظ ثم همس لذاته:
_ تولدي بس وهطلع عليك القديم والجديد.

قال جُمَلته ثم اتجه نحو المرحاض لأخذ حمام دافيء وخفيف
يُريح عليه تعب اليوم بأكمله.

كان فؤادي شامخًا يعشق التحدي، لكنه هُزم أمام عسليتاك.

ارتمت "يمنى" على الفراش بإنهاكٍ بعد أن عادت لعش
الزوجية الذي يجمعها هو وتوأم روحها، ارتمى "يحيى"
بجانبها ثم تحدث بسعادة:

_ أنا النهاردة مبسوط أوي، حاسس إن الحظ ضحكنا وبقينا
مبسوطين.

حارة القناص

طالعه "يمنى" بأعين هائمة وهي تقول بحب:

_وأنا الدنيا مضحكنايش غير ما أنت دخلت لحياتي يا
"يحيى".

مال "يحيى" على خدها يُقبله بلطف، ثم اعتدل يجلس
مُتربعاً على الفراش بسرعة أثناء قوله المُتحمس:
_بالمناسبة السعيدة دي أنا مجهلك شعر هيفرحك أوي.

اتسعت عيني "يمنى" بسعادة بالغة واعتدلت تجلس أمامه
وهي تتسائل بعدم تصديق:
_بجد يا "يحيى"!!؟! طب سمعني يلا.

محم "يحيى" بجدية لتنظيف حنجرته، ثم أغمض عيناه
وهو يقول بحالمية:

_ياللي جمالك زي التفة، ياللي عينيك بلون الكخة، ياللي
حواجبك زي المقشة، وودانك مدلدلة زي وذن القطة.

انتظر منها تهليلاً وتبجيلاً على كلماته الشعرية العظيمة لكنه
لم يجد سوى الصمت الذي يُقابله!!

فتح عيناه بتعجب، فوجد "يمنى" تُطالعه بملامح مُشمئزة مُقرفة، وعلى حين غرة هبت من مكانها وامسكت بالوسادة الثقيلة وأصقتها بوجهه وهي تصرخ بغضب:

تفة لما تبقى تشييك يا بعيد، روح يا شيخ منك لله دنيا وآخرة، يمين بالله يا "يحيى" ما أنا بايتة معاك النهاردة في أوضة واحدة، يا فاسق يا أبو شعر معفن.

كانت ترمي كلماتها بغضب شديد وصدرها يعلو ويهبط بنهيج، بينما "يحيى" لم يستطع الدفاع حتى عن نفسه لاستعمالها أسلوب المفاجئة في الهجوم، دفعته بعيداً عنها ثم اتجهت بخطوات سريعة نحو الغرفة الأخرى وأغلقت بابها من الداخل، تابع "يحيى" أثرها بتعجب ووجهه مُتشنج من ردة فعلها المُبالغ بها من وجهة نظره، وبهمسٍ مُتعجب تسائل لذاته:

هو الشعر معجبهاش ولا إيه؟!!!

وبداخل الغرفة.. ظلت "يمنى" تسير ذهاباً وإياباً بغضب حتى شعرت بدفعة قوية داخل معدتها من قدم جنينها، وكان طفلها يأمرها بغضب أن تكف عن السير بتلك الطريقة التي تورق نومه!

تأوهت "يمنى" بخفة ثم وضعت كفها على بروز معدتها الصغير، لتهمس بغيظ وهي تنظر لجوفها:

_يعني هتحرق دمي أنت كمان؟! مش كفاية أبوك اللي عايز يشلني!!

وللمرة الثانية على التوالي تشعر بدفعة قوية في معدتها من الداخل، يبدو بأنه غاضب لحديثها عن والده بتلك الطريقة البشرية، لم تشعر "يمنى" بابتسامتها التي تشكلت على ثغرها وهي تتخيل أن طفلها يفهمها بحق! لذلك مسدت على معدتها بحنان مُتسائلة بعتاب:

_يعني ينفع اللي بابا بيعمله فيا دا؟!!

تنهدت وهي تهز رأسها بيأس ثم اتجهت نحو الفراش وتمددت عليه ببطئ، وعادت بذاكرتها إلى ذلك اليوم الذي اجتمعت به مع الرجل الذي عشقته بكل ذرة في وجدانها.

:Flash Back

كانت "أهلة" تقف أمام شقيقاتها تُطالعهما بأعين دامعة، اقتربت أولاً من "ملك" والتي كانت تتزين بفستان أبيض

حارة القناص

واسع مُطرز بكثير من النقوش ثم عانقتها بحب وهي تقول
بصوتٍ مُتَحَرِّجٍ:

_ألف مبروك يا حبيبي.

بادلتها "ملك" العناق قائلة بصوتٍ باكٍ:

_الله يبارك فيك، متعيطيش أنا كدا كدا هتجوزه وهروح
البيت معاكم.

ابتعدت عنها "أهلة" وهي تضحك بخفة ثم تسألت بيأس:

_يعني دوشانا بقالك كام شهر وجاية دلوقتي تقولي
هتروحي معانا؟! بالله ماما هتطين عشتك.

مازحتها "ملك" والتي أردفت بعبت:

_لأ ما انا هاخذ جوزي حبيب قلبي معايا مش هسيبه لوحده
لأ.

دفعتها "يمنى" حانقة ثم احتضنت "أهلة" وهي تقول
بسخط:

_ابعدي بقى متقرفناش، يعني مش متجوزة هتقرفينا
ومتجوزة كمان هتقرفينا!!

حارة القناص

رمت إليها "ملك" بنظراتٍ حارقةٍ ثم وبختها بغضبٍ قائلة:
_بت أنت متعصبينش بدل ما أجيبك من شعرك.

علت ضحكاتٍ "أهلة" بصخبٍ وهي تعانق شقيقتها بقوة،
بينما "يمنى" تسألت بدورها:
_عادي أبوسك صح ولا هتتقرفي؟!!

ردت عليها "أهلة" بضحك:
_بوسي براحتك.

وما إن أنهت حديثها حتى طبعت "يمنى" قُبلةً مُطولةً على
وجنتها وعاودت مُعانقتها مُجددًا، وتلك المرة تحدثت لها
بامتنان:

_صدقيني وجودك أنتِ و"ملك" هون عليا كثير، لو فضلت
طول عمري أشكركم مش هوفيكم حقم.

مسدت "أهلة" على ظهرها بحنانٍ ثم قالت بحب:
_مفيش إخوان بيشكروا بعض، وأنتِ و"ملك" إخواني،
حتى لو اللي بيجمعنا مش صلة دم.

كادت "ملك" أن تبكي من حديثهما المؤثر، فقررت التخفيف من الوضع حتى لا تهبط دموع إحداهما في يوم كهذا، فمصمت على شفيتها باستنكار قائلة:

_وياريتة بيطر فيكم، أنا مش عارفة من غير وجودي معاكم مين اللي كان هيهون عليكم!.

خرجت "يمنى" من أحضان شقيقتها، ثم طالعت "ملك" باشمئزاز استنكرته الأخرى، كانت ستشاجر معها لكن قاطعها دخول "حبيبة" ومعها "مهرايل" التي تحدثت بحماس:

_العِرسان جُم ومستتيينكم تحت.

توترت الفتيات فيما تسألت "يمنى":

_طيب و"سهيلة" فين لسه مجتش؟!!

ردت عليها "أهلة" تُطمئنها:

_متقلقيش هي في الحمام بتظبط هدومها اللي تحت الفستان.

حارة القناص

وفي تلك اللحظة دخلت عليهم "سهيلة" مُهرولة وهي تهتف
بفرع:

يالهوي الزفة جت تحت.

غمزتها "مهرائل" والتي أردفت بمشاكسة:

الزفة وصاحب الزفة كمان، ها واخدة بالك؟!

قفزت "ملك" في مكانها بحماسٍ ثم تشدقت بفرحة:

طيب يلا ننزل ليهم عشان منتأخرش.

أمسكتها "حبيبة" من كفها والتي تحدثت ضاحكة:

يا بنتي اتقلي كدا لحد ما عريسك هو اللي يطلع ياخذك.

أجابتها "ملك" وهي تُنفض يدها بعيدًا:

اللي بياخذ العباد ربنا، أنا اللي هنزل لعريسي.

وبالفعل هبطت للأسفل تاركة ضحكات الفتيات تُحاوطها،
وبعد مرور نصف ساعة من المُباركات والتهنئة والحديث
العابث من الشباب لزوجاتهم، وصل الجميع إلى قاعة

حارة القناص

الزفاف التي ستضم ثلاث من الأميرات مع فرسانهم، جلست
"أهلة" على الطاولة الأولى وبجانبها "قاسم" الذي مال
على وجنتها يُقبلها بحب مُستغلاً انشغال الجميع:

_إيه الجمال والحلاوة دي يا "هولا"؟!، قلبي مش هيعرف
يقاوم جرعة السكر دي كلها.

أخفضت "أهلة" رأسها بخجل وهي تقول بصوتٍ خافت:

_يوه بس بقى يا "قاسم"، نفسي بتجزع من الكلام الحلو.

التوى ثُغر "قاسم" باستنكار ثم دفعها من وجهها أثناء
حديثه الساخط:

_لأ وأنتِ وش كلام حلو يا قلب "قاسم".

ضحكت بصخبٍ لم يُسمع بسبب ارتفاع صوت الموسيقى،
فاقتربت منه قائلة بصوتٍ عابث:

_ابقى فكرني أقولك خبر حلو لما نروح بيتنا.

طالعتها "قاسم" بتعجب وتساءل:

_خبر إيه ما تقولي دلوقتي!

قررت اللعب على أوتار أعصابه فاستتدت بظهرها على
المقعد براحة وهي تقول بمشاكسة:

_لأ لما نروح.

_دا أنتِ غتة.

قالها بحنق، فكتمت هي ضحكتها بصعوبة ثم حولت أنظارها
إلى الفتيات اللواتي يتراقصن بتناغم مع أزواجهن على
المسرح تحت ألحان رومانسية رقيقة، وبعد انتهائها اشتعلت
الأجواء بأغنية أخرى لكنها ذات لحنة أجنبية لم يفهمها
الكثيرون، قطب الجميع أنظارهم بتعجب عقب انغلاق جميع
الأنوار، وظهرت بقعة صغيرة مُضيئة في منتصف القاعة!!

وبعدها ظهر كُلاً من "ألبرت" المُمتعض و"مهراييل" التي
ترتسم السعادة بوضوح على وجهها، يبدو بأنها أجبرته أو
ما شابه!

بدأت كلمات الأغنية في الصعود و"مهراييل" تُغنيها بكل
حماس، لكن حماس ممزوج بالحب، وبسبب تلك النظرات
التي ترميها إليه قرر "ألبرت" مُشاركتها في جنونها ولو
قليلاً.

I love

It when you call me seńorita
I wish I could pretend I didn't need ya
But every touch is ooh, la-la-la
It's true, la-la-la
Ooh, I should be running
Ooh, you keep me coming for ya

أدارها "ألبرت" حول ذاتها عدة مراتٍ ثم أوقفها على بغتة
وجذبها نحو أحضانه مُجددًا، وتلك المرة قام هو بالغناء مع
الكلمات:

Land in Miami

The air was hot from summer rain
Sweat dripping off me
Before I even knew her name, la-la-la
It felt like ooh, la-la-la
Yeah, no

Sapphire moonlight

We danced for hours in the sand

Tequila sunrise

Her body fit right in my hands, la-la-la

It felt like ooh, la-la-la, yeah

كان جسديهما يتراقصان بتناغم شديد، يتمايلون يمينًا ويسارًا، "ألبرت" يُديرها ثم يجذبها مُجددًا، وخصلاتها تطير من حولها، وفي تلك اللحظة نسيا الجميع وبدأت وكان كلمات تلك الأغنية صُنعت من أجلهما خصيصًا، ثم "ألبرت" بجبينه على خاصتها، وبعدها همس لها بعشق:

كيف لي أن أتعيش بتلك الضربات التي تضرب أضلعي؟!
قربك مُهلك "مهرايل".

وللأسف الشديد لم تجد الفرصة لتُجيبه، بل استفاقا كلاهما على صوت التصفيقات الحادة من النساء والتصفيقات المُهللة من الرجال، ابتعدت عنه بخجل فور علمها بتسليط جميع الأضواء عليهما واحمرت وجنتيها حرجًا، وكالعادة لم يرفق "ألبرت" بحالتها، بل مال على أذنها هامسًا بعبث:

أنتِ يا فتاة مُخادعة، تُجبريني على الاقتراب وبعدها
تتصنعين الخجل؟!!!

فرغت "مهرايل" شفيتها بعدم تصديق، بينما هو غمزها
بعث قبل أن يتركها تنظر لأثره بضيق من إخاله لها بتلك
الطريقة.

امتألت القاعة بالأنوار مُجددًا لكن ارتفع صوت ضحكات
الجميع فجأة بشكل غريب، خاصةً عندما رأوا "فور/يونس"
يجلس أمام طاولة البوفيه وبجانبه "سهيلة" ويتناولون
الطعام سويًا!!

كانت الشاشات العريضة تعرضهم نظرًا ولأن غرفة البوفيه
في الطابق العلوي للقاعة، لكن المصور تبعهم وقام
بتصويرهم بهذا الشكل المضحك، ورغم رؤية "يونس" له
لم يُبالي، بل كان يأكل بنهم ويضع الطعام بـ "سهيلة" هي
الأخرى والتي زاد تناولها للطعام في الفترة الأخيرة بشكل
مُرِيب.

ابتلع "فور" الطعام الذي بـ فمه ثم طالع "سهيلة" بحنان
قائلًا:

حارة القناص

_ لا أعلم ما الذي سأقوله "هايلة" لكن...

صمت لثوانٍ، فظنت "سهيلة" بأن هناك خطب ما، لذلك
تسألت بقلق:

_ في إيه يا "فور" قلقتني.

حدجها "فور" بنظراتٍ عاشقةٍ ثم تشدق بحب:
_ أصبحت أحبك أكثر من حبي للطعام "هايلة".

لانت ملامح "سهيلة" وارتسمت ابتسامة واسعة على
وجهها قبل أن تقول هي الأخرى:
_ وأنا كمان بحبك أكثر من حُبي للجلاش باللحمة.

اتسعت ابتسامته عشقًا ثم اعترضت قائلة:
_ ابقى كلمني عربي بقي ما بلاش روسي عشان دماغي
بتصدع منه.

علت ضحكاته بمرح تزامنًا مع أخذه لقطعة من الطعام ثم
وضعها بفمها وهو يقول:

حارة القناص

_حاضر يا حبيبتي، يلا كُلّي عشان حاسس إنك هفتانة
وبياكلوا أكلك.

انتهى حفل الزفاف على خير.. ليس على خير كثيرًا، إنما
بعد أن قرر "يحيى" مُمازحة "يمنى" وحملها أثناء
خروجهم من القاعة، ولم ينتبه إلى تلك الشرارات الموجودة
على الجانبين، وللأسف الشديد أمسكت بطرف فستان
"يمنى"، ولولا إدراكه للأمر لكان أشعل النيران بها.

عاد كُلاً من "قاسم وأهله" إلى منزلهم، فخلع "قاسم"
جاكيت بذلته السوداء وفوجيء بـ"أهله" تقف أمامه وتُحيط
بعنقه، ولم تكتفي بذلك، بل اقتربت منه أكثر تشتم عبقه بكل
لذة قبل أن تردف فجأة:

_أنا حامل.

رمش عدة مرات ببلاهة، ثم نطق:

_مين؟!!

_أنا.

حارة القناص

ابتلع ريقه ثم تسائل:

_مالك؟!!

كتمت ضحكتها بصعوبة وهي تُجيبه:

_حامل.

طالعتها بصمتٍ لعدة ثواني يُحاول استيعاب الأمر، وتلقائياً ارتفعت يداه تحيط بخصرها وهو يقول بصوتٍ مُرتعش:

_أنتِ بتتكلمي بجد ومش بتهزري صح؟!!

هزت "أهلة" رأسها بالنفي ثم قالت بحب:

_مش بهزري يا "قاسم"، اليوم اللي حلمنا بيه أنا وأنت من زمان جِه أخيراً وحلمنا اتحقق، أنا حامل من طفل هتبقى أنت أبوه وأنا أمه.

خفق القلب فرحاً، وتسالت الدموع بعيناه بسعادة، فقام بتشديد يده حول خصرها ثم احتضنها ورفعها عن الأرض حتى باتت قدماها لا تلامسها، صرخاتها امتزجت بضحكاته عندما أدارها بسعادة بالغة وهو يصرخ بعدم تصديق:

_ احلفي بالله؟! يعني أنتِ حامل وأنا هبقى أب؟!!!
بحبكِ.

علت ضحكاتها بصخب وشاركته الجنون، لم تتوقع بأنه
سيسعد بتلك الطريقة، فرحته انتقلت إليها وضاعفت من
سعادتها، ليُدون ذلك اليوم من أطف الأيام التي مرت على
كليهما.

.Back

كانت "أهلة" تداعب الصغار بحنان ولطف، لكن الصبي قد
نام ولم يتبقى سوى الصغيرة التي تتحرك بعفوية، استمعت
إلى صوت طرق الباب وتبعه حديث "قاسم":

_ افتحي يا "هولا" الباب.

عاندته "أهلة" بقولها:

_ لا مش فاتحة.

__ عشان خاطري.

زفرت بسخط ثم وقفت واتجهت نحو الباب وقامت بفتحه
وهي تقول:

__ مش عارفة طيبة قلبي دي هتوديني لحد فين!.

جذبها "قاسم" على بغتة إليه وهو يقول بمشاكسة:
__ هتوديك لحضني يابت.

أبعدته ثم اتجهت نحو الفراش وقامت بالتمدد عليه، ثم
أردفت بغرور:

__ لأشكرًا مش عايزة منك حاجة، واتكل على الله روح نام
في أوضتك بقى عشان أنا هنام هنا النهاردة.

اقترب منها "قاسم" ثم تحدث بعبث وهو يتمدد بجانبها:
__ اسمها هنام هنا.

أعطته ظهرها وثبتت أنظارها على الأطفال أثناء قولها
الناعس:

حارة القناص

_ نام يا "قاسم" ربنا يهديك، نام يا حبيبي.

استند بذقنه على كتفها، وأحاط بخصرها مُقربًا إياها منه
أكثر، بينما كفه هبط على معدتها ليُمسد عليه بحنان وهو
يقول:

_ كلها كام شهر والنونو بتاعنا هينور دُنيتنا.

وبالفعل مرت خمسة أشهر سريعًا وها هم ينامون بنفس
الطريقة التي كانوا عليها من قبل، وتلك المرة تحدث
"قاسم" بحنق وهو يُمسد على معدتها الكبيرة للغاية:

_ أنتِ هتولدي إمتي يا حبيبتِي؟!!

تأففت "أهلة" وهي تقول بصراخ:

_ هو فيه إيه يا "قاسم"!!?

رد عليها "قاسم" ساخطًا:

حارة القناص

_ هو إيه اللي فيه إيه يا "قاسم"؟! بقالك تسع شهور حامل وفاضلك أسبوع وتدخلي على العاشر وأنت لسه مولدتيش، دي لو كانت جاموسة كانت ولدت.

انتفض "أهلة" من على الفراش ثم وقفت مُتخصرة في مكانها ببطنها الكبير وأردفت بتوعد:

_ متبقاش تعيط بقى لما تلاقيني بولد فجأة، أنا راحة أنام في اوضة العيال ومتجيش ورايا.

في اليوم التالي..

تجمعت "أهلة" والفتيات في صالون منزلها الخاص بها هي وزوجها، لكن لم تكن جلسة عادية أبدًا، بل كان أمامهم الكثير من أطباق الرنجة والفسيح وكذلك البصل والليمون، دفعت "أهلة" قطعة كبيرة داخل فمها وهي تقول بتلذذ:

_ الإنسان حاسس إنه ماكلش أكلة نضيفة زي دي قبل كدا.

وافقتها "ملك" في الرأي والتي تتشدد باستمتاع:

_ يا خرابي على حجة الرنجة دي يا بت يا "أهلة" دمار.

رفعت "أهله" أنظارها لها بوجهٍ مُمتليء، ثم تشدقت بصعوبة في الحديث بسبب الطعام:

_دوقيهالي كدا؟!!!

رفعت "يمنى" يدها لها تُطعمها بذاتها، فالتهمتها "أهله" بتلذذ شديد، ثم نظرت نحو "ملك" المنشغلة في تناول الطعام معهم وطلبت منها:

_اشقطيلى حته بصل يا "ملوكة" أصل إيديا مش فاضية.

التقطت "ملك" قطعة بصل كبيرة ثم وضعتها بفاه "أهله" التي قضمت نصفها، والنص الآخر أكلته هي، كانت "حبيبة" تجلس على الأريكة تُطالعهم باشمئزاز أثناء إرضاعها لصغيرها، فهمست بقرف:

_الله يقرفكم بتاكلوا سمك معفن؟!!!

شعرت "أهله" بتقلصاتٍ قوية داخل معدتها أدت إلى انكماش وجهها، حاولت إخفاء شعورها هذا بوضع لقمة أخرى من الفسيخ كبيرة الحجم داخل فمها حتى لا تُفكر في الأمر، لكن الألم اشتد للغاية مما أدى إلى علو صوت صراخها المكتوم، انتفضت شقيقاتها من أماكنهن فتحدثت "حبيبة" بهلع قبل أن تهبط للأسفل:

_ أنت بتولدي ولا إيه؟!!! "قاسم" مش هنا أنا هنزل انادي
لـ"صهيب".

لم تُبالي "أهلة" بحديثها، بل أكملت صراخها وهي تقول
بألم شديد:

_ هاتي يا "ملك" حِتة بصلة كمان أبلع بيها.

طالعتها "ملك" ببلاهة، لتصرخ بها "أهلة" بصراخ:

_ اخلصي يخربيتك الولا هيطلعوا بصلة في وشه
بسببك.

أخذ "صهيب" زوجة أخيه وانطلق بها إلى المشفى، ولاحقه
شقيقاتها ومعهم أزواجهم و"حياة" كذلك، صرخ "صهيب"
بألم عندما شعر بها تجذب خصلاتها وهي تبكي بألم:

_ اتصلي بـ"قاسم"، مش قادرة هموت يخربيتك.

صرخ بها "صهيب" وهو يلطم على وجهه:

_ إحنا اللي هنموت يخربيت معرفتك يا شيخة، سيبي
شعري هنعمل حادثة.

أبعدت "حبيبة" يد "أهله" عن "صهيب" الذي يلعن ويسب بغضب، وفي وقتٍ قياسي وصلوا إلى المشفى وانطلق بها الأطباء نحو غرفة العمليات سريعاً.

وعلى الجانب الآخر..

ترك "قاسم" عيادته الخاصة التي افتتحها مؤخراً وانطلق مُهرولاً نحو المشفى التي تلد بها زوجته، قلبه يقرع بعنف منذ أن هاتفه "يحيى" وأخبره بولادة زوجته، شعر بالدوار الذي يُصيبه عقب توتره وخوفه لكنه حاول التحكم بذاته وبأنفاسه الهاربة، وبعد عشرون دقيقة وصل أخيراً إلى المشفى!!

صعد مُسرِعاً إلى الأعلى بعد أن استعلم من الاستقبال فوجد الجميع يخرجون من غرفتها بلامح وجه يائسة!

للحظة توقفت أنفاسه على الصعود بطريقة طبيعية، فاقرب منهم يسألهم بصوتٍ مُتهدج:

حارة القناص

_ في إيه مالكم؟! فين "أهلة"!!؟!!

اقتربت منه "حياة" ثم ربتت على كتفه وهي تقول بحسرة:
_ ادخلها يابني، ادخلها الله يكون في عونكم.

ولم ينتظر للحظة واحدة أخرى، بل هرول إلى الغرفة مُسرِعًا
وهو يكاد يبكي، وجدها تستند برأسها إلى الخلف مُغمضة
العينين ويظهر الإرهاق واضحًا أسفل عيناها، وبيطئ ناداها
بهمس:

_ "أهلة"!!

رفعت "أهلة" رأسها له، والتي ما إن تلاقت أنظارهما حتى
أدمعت عيناها بقوة مُنادية إياه:
_ "قاسم".

اقترب منها "قاسم" رويدًا وانظاره مُثبتة عليها، جلس على
طرف الفراش ثم تسائل بقلبٍ مُلتاع:
_ أنتِ.. أنتِ كويسة صح؟!!!

حارة القناص

أومأت له بالإيجاب وهي تبتسم من وسط دموعها، ثم
أشارت لأحد الأركان قائلة:

_بُص هناك كدا!!

انتقل "قاسم" بأبصاره حيث تُشير، ففتح عيناه على آخرهما
ثم عاد بأنظاره إليها يسألها بأنفاسٍ مكتومة:

_مين دول؟!!!

أجابته بدموعٍ سعيدة:

_ولادنا.

وبعد تصديق تسائل:

_تلاتة؟!!!

أكدت له حديثه بقولها:

_ولدين وبنت.

قالتها ثم انفجرت باكية بين أحضانه، لم يمنعها، وكيف
سيحدث وهو الذي هبطت دموعه بدون وعي أثناء مُعاودته

للنظر حيث أطفاله الثلاثة، لقد عوض الله صبره وإيمانه
وثقته برزقه ثلاثة أطفال معًا!!!

رفع ذراعه وأحاط بها، وأخيرًا تحدث بسعادة بعد أن
استطاع استيعاب الأمر:

_"أهله" متعيطيش، استني خليك قاعدة وأنا هجيبهم ليك."

ختم حديثه بطبع قُبلة صغيرة أعلى جبينها، ثم اتجه نحو
صغاره وقام بحمل الصبي الأول، وأعطاه إليها بعد أن قبله
عدة مرات في أنحاء وجهه، ثم ذهب للثاني وفعل معه
المثل، كان فؤاده يرقص طربًا وكأنه لا يُصدق الأمر، وكذلك
أعطى الطفل الثاني لوالدته التي استقبلته على ذراعها الآخر
ثم قبلته بحب.

وجاء الدور على الأميرة النائمة، حبيبة أباهما كما همس
لذاته، شعر "قاسم" بفؤاده يتضخم فور أن وقعت أنظاره
على هيئتها الملائكية السالبة للأنفاس، تلك الصغيرة ومعها
أخواتها سرقت جزءًا لا يبس به من فؤاده، وهذا ما كان
يتمناه من قبل.

حارة القناص

ذهب إلى "أهلة" ثم جلس بجانبها أثناء حملها للصغيرة،
وبعدها تشدق بلهفة:

_شايفة جميلة إزاي؟!!!

أكدت "أهلة" على حديثها بإيمائها، فمالت برأسه على
ذراعه تستند عليه ثم سألته بابتسامة عاشقة:

_هتسميهم إيه؟!!

وفي تلك اللحظة ازدادت ضرباته علوًا، فنظر للطفلين أولاً
وهمس بعد تفكير:

_ "غيث قاسم طاحون"، و"مُغيث قاسم طاحون".

اتسعت ابتسامته "أهلة" تزامنًا مع هبوط دموعها السعيدة
وتسائلت:

_والبنت؟!!

فيما نظر هو إلى الأميرة التي تنام بين ذراعه وأردف:

_ "حوراء قاسم طاحون".

#يُتبع.

#حارة_القناص.

#شروق حسن.

أوشكت الرحلة على الانتهاء، اربط أحزمتك جيدًا فها نحن
على وشك توديعهم سويًا. ♡

•(الفصل الرابع والخمسون)

•(حارة القناص)

•(أبله كأبيه)

عادت "أهلة" وزوجها إلى منزلهم بعد أن انتهوا من
إجراءات الخروج من المشفى، وضعت أطفالها الثلاثة في
الغرفة المخصصة لهم والتي تُجاور غرفة أولاد "ريماس"،
ثم اعتدلت في وقفاتها واستدارت لـ "قاسم" مُتحدثة على
عجالة:

_هروح أشوف "معاذ وسما" وبعد كدا هاجي أشوفهم.

أوما لها "قاسم" بحنان ثم تركها تذهب، بينما هو استدار لأطفاله ثم جلس القرفصاء أمام فراشهم الصغير، مال على وجوههم يُقبلها بحنان، ورفع كفه يُمسك بكف حوريته الصغيرة التي تتلمل بآنز عاج، ضحك بخفة عندما وجدها تفتح فاهها بطريقة لذيذة، فمال عليها يُقبلها بحب مُدغماً إياها بأنفه، لكن انتفض فرعاً عندما وجد صراخ الصغيرة يعلو ببيكاء!!

اعتدل "قاسم" في وقفته ناظراً حوله بتوتر، لكنه لا يعلم ما يجب فعله ليُصمتها، لذلك لم يجد مُهرباً سوى بحملها، وبترو وحذرٍ شديد قام بحملها وهددهتها على ذراعه، حتى أنه أخرج أصواتاً غريبة من فاهه حتى تستمع إليها وصممت، وبالفعل صممت الصغيرة، لكن تلك المرة سلبت لُبه بالكامل، حينما فتحت عيناها فوجدتها سوداء لامعة تُشبه عيون المها كوالدتها تماماً، انتفض فواد "قاسم" عشقاً، وبهمسٍ مُتحسر تسائل لذاته:

_ أنا لحد دلوقتي معرفتش أتعالج من عيون أمك، هتعالج من عيونك إزاي دلوقتي؟!_

حملها "قاسم" بحنوٍ ثم رفعها أمام وجهه يهتف بقلق:

حارة القناص

_تبقى مصيبة سودة لو إخوانك الولاد واخدين نفس العيون،
أنا كدا مش هلاحق عليكم.

سمع ضحكة خافتة تأتي من جانبه، فنظر لليمين ليجد
"أهله" تقترب منه وتُحيط بخصره أثناء قولها المُشاكس:

_ومالها عيوني يا "قاسم" بيه؟!!

_تعبوني.

همس بها بهيام أثناء اسناده جبينه على جبينها، فيما أكمل
حديثه العاشق:

_عينيك سلاح مُدمر أقسم بالله، وأنا قدامهم ضعيف.

مسدت بكفها على جانب وجهه تلتمس لحيته النابتة قليلاً،
ثم تحدثت بهيام:

_ويا بختي إني الوحيدة اللي عرفت أسيطر عليك بعيوني يا
"قاسم".

احتضن "قاسم" حوريته بذراع، والذراع الآخر قام بلفه حول خصر "أهلة" إلى فواده، اشتّم عبقها مُتَلذِّذًا باقترابها ثم همس لها بحب:

أنتِ النعمة التي هفضل أشكر ربنا طول حياتي على وجودها، أنا كنت زي الغريق في الدنيا دي ومفيش غيرك اللي نجاني، قلبي كان مليان ضلّمة وأنتِ اللي نورتيه، كنت يائس وفاقد الأمل في إني أعيش حياتي بشكل طبيعي بس أنتِ غيرتي فكرتي، بقيت أحارب أفكارى ودماعى علشانك، كان كل همى إني أنقذك بدل ما أنقذ نفسي، كنت عايز أسعدك وأسعد قلبك قبلى، وفي اللحظة دي اتأكدت إن أنتِ اللي هتنوريلى حياتى.

أدمعت عيني "أهلة" بقوة فغطت وجهها بكفها وهي تقول ب بكاء:

يا "قاسم" والله هعيط كفاية، محدش غيرك اللي يستاهل الشكر، وقبلت بيا رغم كل عيوبى، كملت حياتك معايا وأنتِ عارف أنا بنت مين، أنت مش بتتعوض ولا هتتعوض أبدًا.

ابتسم "قاسم" بحنين وهو يُقبل خصلاتها بحب، وما كاد أن يفتح فاهه ليتحدث، حتى استمع إلى صوت الصغيرين يبكيان معًا، خرجت "أهلة" من أحضان "قاسم" تُجفف دموعها، ثم نظرت للصغيرين أولاً، وبعدها نظرت لـ "قاسم" قائلة بتوتر:

__ "قاسم" الاتنين بيعيطوا مع بعض أعمل إيه؟!!!

أنهت حديثها تزامناً مع صدوح صرخات الصغيرة هي الأخرى، فأصبحت الغرفة مُعبأة ببكاء الثلاثة أطفال، فرغ "قاسم" فاهه ناظراً للوضع بحيرة، ظل يُفكر كثيراً بعد أن أعطى "حوراء" إلى والدتها وبدأ بالبحث عن قنينة الرضاعة التي اشترها مؤخرًا، لكن انقطع حبل أفكاره عندما استمع إلى صوت الصغيرين "معاذ وسما" يبكيان في الغرفة الأخرى!!

مسح "قاسم" على وجهه بعصبية من صوت الصراخ، ثم اتجه إلى الغرفة الأخرى لجلب الصغيرين، بينما "أهلة" بدأت في إرضاع صغيرتها أولاً والتي كانت جائعة للغاية، وكذلك أتى "قاسم" بـ "معاذ وسما" ومعهما قنينة الرضاعة الخاصة بكلٍ منهما، ثم وضعهم على الفراش المُهتز ووضع وبدأ بإرضاع كلاً منهما بحذر حتى لا يتوقف الحليب بحلقهما، وهكذا لم يتبقى سوى بكاء "غيث ومُغيث"، فجهزت "أهلة" قنينة حليب واحدة ثم وضعتها بفم "غيث"، و"مُغيث" قامت بحمله بحذرٍ شديد ثم قامت بإرضاعه في الناحية الأخرى، وأخيراً عم الصمت الغرفة مُجددًا!

نظر "قاسم" لزوجته وتحدث بنبرة ساخرة:

حارة القناص

_ دا إحنا شكلنا داخلين على أيام فحلقي.

أكدت له "أهلة" ضاحكة:

_ لأ هو مش شكلنا، هو أكيد، بس متقلقش "حببية"
هتساعدني في تربية "سما ومعاذ" عشان هي بتحبهم أوي
وأنا اللي كنت بمنعها عشان ابنها.

_ على خيرة الله، المهم بس نربيهم كلهم كويس عشان لما
يكبروا يشرفونا.

قالها بحنين، لترد عليه "أهلة" مُبتسمة:

_ كفاية إن أنت أبوهم يا "قاسم"، دا شيء يخليهم مفتخرين
عمرهم كله.

ألقى لها "قاسم" قُبلة عابثة في الهواء، ثم قال:

_ حبيبة قلب "قاسم" والله.

ضحكت بخفة، فاستمعت إليه يتسائل بجدية:

_ المهم دلوقتي هتعملي إيه؟! هترضعي "معاذ وسما" زي
ما حبيبة عملت ولا هتكتفي بولادك بس!؟

ردت عليه "أهلة" بسرعة:

_ لأ طبعًا هرضعهم، معاذ وسما" هما كمان ولادي وبحبهم،
ومفيش أي فرق بينهم وبين "غيث ومغيث وحوراء"،
الخمسة هيبقوا إخوان.

تنهد "قاسم" براحة:

_ طيب كدا تمام أوي، الولاد ناموا يلا نحطهم على سرايرهم.

قالها ثم أبعد قنينة الحليب عن فم الأطفال، فحمل كل منهم
على حدة ووضعهم في سريره الخاص، ثم عاد إلى "أهلة"
يحمل منها "غيث" أولاً واضعًا إياه على فراشه الخشبي
المُحاط بأعمدة خشبية، وبعدها أخذ "مُغيث" كذلك ووضع
بجانب أخيه، وأخيرًا حمل حوريته منها ثم وضعها بجانب
أخواتها بعد أن طبع قبلة حنونة على خدها.

عاد إلى "أهلة" فجعلها تتمدد على الفراش وقامت بتغطيتها
جيدًا وهو يقول:

_ يلا يا "حبيبتي نامي وارتاحي أنتِ كمان لحد ما أغير
هدومي وأجي أنام جنبك.

حارة القناص

أومأت له بحب، فطبع قبلة رقيقة على خدها ثم اتجه إلى
الخزانة وقام بتبديل ثيابه إلى ثياب أخرى مُريحة.

وفي حين أن الجميع نيام والصمت يعم الأرجاء، كان "رائد"
يجلس أمام صغيره والذي لم يكمل شهره الرابع بعد ويُطلق
الزغاريد حتى يتوقف الآخر عن البكاء، وبالفعل كان الصغير
يكف عن الصراخ ليستمع إلى أبيه الأبله، وعند توقف
"رائد" عن التصفيق يعود ليبيكي مُجددًا!!

لطم "رائد" على وجهه وهو يصرخ بغیظ:
_يا لهوي أعمك لأمك إيه تاني؟! أقوم أرقصك طيب
ولا أنيل إيه!!

ارتسمت ابتسامة واسعة على فم الصغير مما أدى إلى تشنج
وجه "رائد" الذي هبط لمستواه وتحدث بفحیح:
_ أنت بتتريق عليا يا ض؟! واد يا "يامن" أنت هتبقى ابن
عاق ولا إيه?!!

حارة القناص

رفع "يامن" أصابعه الصغيرة يضعها على وجه أبيه
وابتسامته مازالت مُرسمة على وجهه وكأنه يرمي إليه
إحدى النكات، فيما أكمل "رائد" حديثه:

_ أنا طول عمري متربي ومحترم وبسمع كلام أبويا، عشان
كدا عايزك تطلع زيي.

دخلت في تلك الأثناء "ملك" التي قطبت جبينها بتعجب وهي
تتسائل:

_ بتعمل إيه يا "رائد"؟!!

رفع "رائد" رأسه إليها قليلاً مُطالِعًا إياها بطرف عينه، ثم
أجابها بلامبالاة:

_ بهدده عشان أربيه من صُغره.

التوى فم "ملك" باستهزاء ثم اتجهت إليه ودفعته بخفة،
قبل أن تتحني وتحمل صغيرها تُقبله من وجنته بقوة وهي
تقول بحب:

_ أنا ابني هيبقى متربي أحسن تربية وبكرا هتشوف.

حارة القناص

اقترب منها "رائد" مُحيطًا إياها من الخلف، ثم مال على
وجنتها يُقبلها بحنان وهو يقول:

ابني هيطع قمر زي أمه بالظبط.

اتسعت ابتسامه "ملك" ثم طالعه بأعين هائمة وهي تقول
بحب:

ربنا يديمك ليا يا "رائد".

أجابه بعشق:

ويديمك ليا يا قلب وروح "رائد".

عادة ما تكون العائلة هي الداعم الوحيد للإنسان، وما يريد
المرء سوى شخص حنون يُسانده للتقدم، يدٌ مُشجعة تأخذ
بيده للأمام، كلماتٌ مُحفزة للمضي قدمًا، وهذا ما ركّز عليه
شخصيات حكايتنا لتربية أطفالهم تربية سوية نظيفة خالية
من الشوائب والحقْد، وكان قد حدث!

بعد مرور ست سنوات..

يا بنتي بقى متعصبينش وروحي لأبوكِ أنا مش ناقصة.

هتفت "أهلة" تلك الكلمات بعصبية وهي تكاد تجذب
خصلاتها من شدة الغضب بسبب برود ابنتها "فيروزة"
والتي تعدت عامها الثاني منذ خمسة أشهر تقريبًا! طالعتها
"فيروزة" باشمئزاز والتي كانت تلعب بالعجين الذي تعده
والدتها من أجل الكحك بمناسبة عيد الفطر، ثم عادت إلى
لهوها ولعبها بالعجين مجددًا وكان شيء لم يحدث!

جزت "أهلة" على أسنانها بغيظ من ابنتها التي اكتسبت كل
صفات والدها، وأهم العناد، على عكس "حوراء" التي
تشبهها كثيرًا حتى في مظهرها، أتى "قاسم" لهم والذي
تحدث بتعجب:

_في إيه يا "أهلة" بتصوتي ليه؟!!!

تهللت أسارير "فيروزة" ما إن استمعت إلى صوت والدها
الحبيب، لتقف من مكانها بسرعة ثم هرولت إليه وهي
تهتف بسعادة بالغة:

بابا.

حارة القناص

التقطها "قاسم" بين ذراعيه وهو يضحك بصخبٍ على
مظهرها المُشعث وثيابها المُمْتلئة بالدقيق، اقترب منها
طابعًا قُبلة على خدها المُنْتفخ وهو يقول بمرح:
_حبيبة عين بابا، "فيروزتي" مزعلة ماما ليه؟!!!

تجدد وجه "فيروزة" بضيق ثم أشارت إلى والدتها التي
تجلس مُتربعة على أرضية المطبخ قائلة بنبرة يشوبها
السخط والاشمئزاز:
_ماما!!

التوى نُغر "أهلة" بابتسامة حانقة وتحدثت قائلة:
_ما هو أنا لو مرات أبوك قوليلي!! مش معقول المعاملة
التي تقرف دي!

تجاهلتها "فيروزة" واستدارت إلى والدها ثم قبلت جنته
بحبٍ وأحاطت عنقه بحنان، هزت "أهلة" رأسها بياسٍ ثم
عاودت خلط العجين جيدًا، اقترب منها "قاسم" ثم جلس
بجانبها وعلى قدمه ابنته ثم أردف بضحك:
_يا بنتي قولتلك نجيب كعك وبسكوت جاهز أحسن.

حارة القناص

هزت "أهلة" رأسها بالنفي وهي تُجيبه بحسم:
_ لأ طبعًا، حاجة بيتي أنا اللي هعملها ومش حد غيري.

اقترب منها "قاسم" يُشاكسها بوجهه قائلاً بمزاح:
_ مراتي الناضجة العاقلة يا ناس!!؟

ضحكت "أهلة" بخفة على مُشاكسته التي تعشقها، بينما
مدت "فيروزة" يدها لتلتقط قطعة أخرى من العجين لتأكله،
طالعتها "أهلة" بغضب، فرسمت الصغيرة ابتسامة بلهاء
على وجهها وهي تقول بضحك:
_ ماما!

استطاعت سحب غضبها بضحكتها، فانتقلت ابتسامتها إليها
تلقائياً عقب نطقها للكلمة التي تُشعرها بأنها في خضم
سعادتها، اقتربت "أهلة" من "فيروزة" ثم قبلتها من
وجنتها بقوة وهي تقول بحب:
_ قلب ماما يا "فيروزي".

حارة القناص

أمسكت "فيروزة" وجه والدتها بكف يدها الملوثة مما أدى إلى تلطخ وجه "أهلة"، لكنها لم تعي لفعاليتها ثم اقتربت منها مُقبلة وجنتها كما فعلت والدتها منذ قليل!

ضحكت "أهلة" بخفة وهي تهز رأسها بيأس، ثم أردفت ضاحكة:

_لولا البوسة أنا كان هيبقى ليا تصرف تاني معاكِ.

لم تفهمها "فيروزة" كثيرًا، لكنها اعتدلت واقفة من على قدم أباها ثم جذبت يده بقوة تدعوه للوقوف، تنهد "قاسم" بيأس وهو يسألها بعدم فهم:

_عايزة إيه تاني؟! أنا من الصبح بلف في الشقة زي الأراجوز علشانكِ.

امتعض وجه الصغيرة وهي تجذبه رغبًا عنه، فوقف معها ثم سار للخارج تاركًا نظرات "أهلة" الشامتة تلاحقه:

_أحسن، عشان تفضل تدلعيها.

توقفت "فيروزة" مع "قاسم" أمام شاشة التلفاز، ثم توجهت نحو الطاولة الزجاجية وأمسكت بجهاز التحكم ثم أعطته له وهي تُسدده له ابتسامة واسعة قائلة:

_كرتون.

_بقي أنت جيباني مخصوص عشان الكرتون؟!!

أومات له "فيروزة" بالإيجاب، ف جذب منها "قاسم" جهاز التحكم بحنق، وظل يُقلب بين قنوات التلفاز للبحث عن كرتون مناسب لصغيرته، وبعدها أتى لها بكرتون الصغيرة والوحش الذي تعشقه!

ظن "قاسم" بأن مهمته قد انتهت، لكنه وجد صغيرته تدفعه نحو الأريكة ثم أجلسته رغباً عنه، وبعدها صعدت هي للجلوس على قدمه! تشنج وجه "قاسم" بسخط ثم صاح مُعترضاً:

_بس أنا مش عايز أتفرج عليه دلوقتي، أنا سمعته 5000 مرة بسببك لغاية دلوقتي.

رفعت "فيروزة" وجهها تُطالع وجه أبيها الذي يظهر عليه الضيق، ثم امتدت بحسدها قليلاً وطبعت قُبلة صغيرة على ذقنه رامية إياه بابتسامة ساحرة بددت من ضيقه وكأنه لم يكن موجوداً من الأساس، وبالفعل بدأ كلاهما يستمعان إلى التلفاز بانتباه، "فيروزة" تجلس على قدم أبيها، و"قاسم"

حارة القناص

يُحيط بها يضمها إليه، ومن الحين للآخر ترفع كفها الصغير له حيث فمه، فيمسكه هو ثم يُقبل باطن كفها بحنانٍ شديد.

وبالأسفل حيث التجمع العائلي الكبير، هتف "غيث" والذي يبلغ من العمر ست سنوات:

_إزيك يا "أولغا" عاملة إيه؟!!

طالعه "أولغا" ابنة "ألبرت" بعدم فهم للغة الغريبة بالنسبة إليها، واكتفت بتسديد ابتسامة صغيرة له حتى لا تُخرجه، بينما هو أكمل حديثه العابث والذي اكتسبه من "صهيب" وكثرة جلوسه معه أثناء مُغازلته لـ"حبيبة":

_عينيك لون الخضار بتاع المحشي، حلوة أوي.

أرادت عدم إخجاله فتحدثت شاكرة رغم عدم فهمها للحديث:
(. Спасибо_شكرًا لك).

قطب "غيث" جبينه وهو يسألها بغباء:

حارة القناص

_ عايزة كيمو كونو؟! تعالي معايا وأنا هجيبك من فلوسي،
علشان تعرفي إن هبقى قد المسؤولية لما نكبر.

وبالفعل أخذ "غيث" الفتاة البلهاء والتي تُشبه والدتها في
كل شيء، ثم ذهبت معه بابتسامة واسعة سعيدة رغم عدم
فهمها لكل حديثه تقريبًا!

وعلى الجانب الآخر.. جلس "آسر" على قدم أبيه "يحيى"
يطلب منه بحنق:
_ بابا عايز أدخل الحمام.

ربت "يحيى" على ظهره ثم أشار إلى والدته التي تجلس مع
مجتمع النساء قائلاً:
_ روح لماما وخليها توديك الحمام.

هز "آسر" رأسه بالنفي وهو يقول بعناد:
_ لأ أنا عايزك أنت اللي توديني.

رد عليه "يحيى" بتشنج:
_ وأنا مالي هو أنا كنت خلفتك ونسيتك!؟

وتلك المرة جاءتة الإجابة من "صهيب" الذي تحدث ساخرًا:
_مش عايز أصدمك يا "يحيى" بس أنت فعلاً اللي خلفته.

أكد "آسر" على حديثه بقوله الطفولي:
_أيوا يا بابا أنا ابنك، وديني الحمام بقي.

تأفف "يحيى" بسخط، ثم هب من مكانه حاملاً ابنه من ياقة ثيابه ثم اتجه به نحو المرحاض ليقضي حاجته.

وبعيداً عنهم قليلاً، وقف "يزيد" ابن "صهيب" أمام "حوراء" التي تُربع ذراعيها أمام صدرها ويظهر على محياها الضيق والغضب، فصاح صوت "يزيد" الطفولي المبرر:

_يا "حوراء" قولتلك اللي بيني أنا و"آلاء" شغل مش أكثر،
وبعدين هي أصغر مني بسنتين يعني يستحيل أبصلها، دي صغيرة وأنا كبير.

ردت عليه "حوراء" بغضب:

حارة القناص

_ لأمليش دعوة أنا قولتلك متكلمهاش تاني بس أنت برضه بتكلمها، أنا زعلانة منك يا "يزيد".

تنهد "يزيد" بضيق ثم اعتذر بطفولية بحتة قائلاً:

_ خلاص آسف متزعليش مني، وأنا مش هكلم "آلاء" تاني.

نظرت إليه "حوراء" بطرف عينيها وهي تقول بحذر:

_ بجد ولا بتضحك عليا؟!!!

أسرع "يزيد" يقول بلهفة:

_ لآ بجد طبعًا، أنت عارفة إن أنت زي "سديم" أختي ومش بحبك تزعلي مني.

انكمشت ابتساماً "حوراء" تدريجياً وبدون أي حديث طالعه باشمنزاز ثم ذهبت وتركته ينظر لأثرها ببلاهة.

هبط "قاسم" وعلى كتفه "فيروزة" بعد أن انتهيا من الاستماع إلى الفيلم الكرتوني، بينما "أهلة" اتجهت نحو مجلس الفتيات، هبطت "فيروزة" من على ذراع أباه وأخذها "يامن" ابن "رائد" ثم خرجا ليمرحا سوياً!

نظر "قاسم" لأثر "يامن" باشمئزاز ثم نظر لأبيه مُتحدثًا
بحنق:

_ابنك دا مترباش.

ربت "رائد" على صدره وهو يقول بفخر:
_حبيب قلبي تسلم.

هز "قاسم" رأسه بيأس ثم صافح جميع الرجال وجلس
بجانب "آلبرت" الذي مال عليه وتحدث بعبث:
_كنت فوق لحد دلوقتي بتعمل إيه ها؟!!

أجابه "قاسم" بسخط:
_بخلص ذنوبي.

حمم "رائد" بجدية والعي تحدث موجهًا حديثه لـ "قاسم":
_حيث كدا يا "قاسم" بقى كنت عايز أقولك إن الواد "يامن"
ابني هيتجوز البت "فيروزة" بنتك لما يكبروا.

حارة القناص

التوى ثغر "قاسم" بتشنج والذي قال بسخط:
_ابنك أنت يتجوز بنتي أنا؟! دا في أحلامك.

عدل "رائد" من ياقة ثيابه قبل أن يُجيبه بغرور:
_على فكرة "يامن" بيحب "فيروزة" جدًا، وصدقني مش
هتلاقي حد أحسن منه يخاف عليها ويحميها.

وما كاد "قاسم" أن يُجيبه، حتى دخل عليهم "يامن" للكن
بيد فارغة دون "فيروزة" التي ذهبت معه منذ قليل، اعتدل
"قاسم" بسرعة ثم سأله بقلق:

_فين "فيروزة" يا "يامن" مش خرجت معاك من شوية؟!!!

أوما له "يامن" بابتسامة مُفتخرة وهو يُجيبه ببلاهة تُشبه
بلاهة أبيه:

_الكلب بتاعنا كان جعان فإديتها ليه عشان ياكلها.


#يُتَبَع.

#حارة_القناص.

ورحمت الله إذا فُتحت، فلا تسل عن أمدايها

حارة القناص

{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}.

اللهم افتح لنا ابواب رحمتك  .

•(الخاتمة)

•(حارة القناص)

•(ليلة العيد)

إن كان للحب معنى؛ فسيتم تلخيصه على أساس حُب
"يامن" لـ"فيروزة" وتضحيتها.

_فين "فيروزة" يا "يامن" هي مش كانت معاك؟!!

تسائل "قاسم" بقلق، ليرد عليه "يامن" بفخر:

_الكلب بتاعنا كان جعان فإديتها ليه عشان ياكلها.

ولم يستمع "قاسم" لبقية حديثه بل انتفض من مكانه
مُهرولاً للخارج وخلفه الرجال للبحث عن ابنته وهو يسب
"رائد" وابنه المعتوه بغضب.

نظر "يامن" لركوضهم المرعب بتعجب، ثم انتقل بأبصاره
تجاه "آسر" الذي أتى لتوه وهو يعدل من ثيابه، ثم تسائل
بحماس:

__ "آسر" تيجي نلعب عسكر وحرامية؟!!!

رفع "آسر" له عيناه العسلية التي تُشبهه أعين والدته،
واتسعت ابتسامته وهو يهز رأسه بالإيجاب يُوافقهُ أثناء
قوله السعيد:

__ ماشي، بس أنا اللي هبقى الحرامي.

اعترض "يامن" بوجه مُتشنج:

__ لأ أنا الحرامي، أنا المرة اللي فاتت كنت الظابط.

شاركه "آسر" في الاعتراض قائلاً بسخط:

__ لأ مليش دعوة أنا الحرامي.

نفخ "يامن" بضيق وطالعه بصمت لعدة ثوانٍ، لكن انمحي
ضيقه وحل محله ابتسامة واسعة خبيثة وهو يقول:

__ طيب أنا عندي فكرة واللي هينفذها هيبقى هو الحرامي.

صفق "آسر" بكفيه بحماس ثم أوما له مُوافقًا:
_ ماشي يلا أنا موافق.

وبالخارج.. هبط "قاسم" درجات المنزل بسرعة رهيبة
وقلبه يطرق بعنف خوفًا من أن يكون الأحمق الصغير قد
أعطاهما لجروه حقًا! هذا اللعيم الصغير يُقسم بأن يقتله
ويقتل أباه إن مسَّ صغيرته أي مكروه.

توقفت خطواته فجأةً عندما لمح صغيرته تقف أمام "نوح"
ابن "يونس/فور" ووجها مُمتليء بالدموع، خفتت شهقاتها
تدريجياً عندما هبط "نوح" مُستندًا على رُكبتيه ليصل
لمستواها، ثم رفع كفه يمسح دموعها بركة، وبعدها
احتضنها مُمسدًا على ظهرها بحنانٍ وهو يقول:
_ خلاص يا "فيروزة" متعيطيش أنا معاك.

هدأت "فيروزة" التي كادت أن تموت من الرعب منذ قليل،
فلولا رؤية "نوح" لها هي و"يامن" وإنقاذها في الوقت
المُناسب، لهجم عليها الجرو المُفترس، وبصوتٍ متحشرج
وأنفاسٍ لاهثة أردفت بخوف:

_ كلب.

هددها "نوح" بكفه الصغير ثم أخرجها من أحضانه وهو
يقول بابتسامه هادئة:

_متخافيش أنا هحميك، لما نكبر وأبقى ظابط هقبض على
كل اللي زعلك.

ورغم عدم فهمها لحديثه بأكمله، إلا أنها ابتسمت ببراعة
عقب ابتسامته التي سددها لها، هرول لها "قاسم" سريعاً
ثم انتشلها لداخل أحضانه وهو يقول بقلق:

_ "فيروزة" حبيبي أنتِ كويسة؟!!

ابتسمت "فيروزة" بسعادة عند وجود والدها ثم صاحت
مُهاللة أثناء احتضانها له:
_بابا.

أحاط بها "قاسم" وهو يتنفس براحة:
_حبيبة عين بابا، كنتِ فين يا "فيروزة"؟!!

أشارت "فيروزة" بإصبعها نحو الخارج وهي تقول:
_كلب.

نظر "قاسم" حيث تُشير فلم يجد شيئاً، فتدخل "نوح"
يوضح له قائلاً برزانه:

_الكلب في الجنينة اللي ورا يا عمو، وكان هيعضها بس أنا
شدتها قبل ما يوصلها.

مد "قاسم" يده للصغير يُربت على خصلاته قبل أن يجذبه
له ويُقبل وجنته بحنان:
_تسلم يا حبيبي.

قالها ثم اعتدل واقفاً يحمل على ذراعه ابنته، واستدار
لمجتمع الرجال فوجدهم يقفون يُتابعون ما يحدث بانتباه،
ثبت "قاسم" أنظاره الحانقة على "رائد" ثم همس بشر:
_ليلة ابنك مش معدية النهاردة.

أنهى حديثه ثم اتجه نحو الداخل بخطواتٍ غاضبة تعكس
شره، بينما "رائد" لطم على وجهه وهو يلحقه صارخاً:
_يالهيوي هيقتل الواد اللي حيلتي.

ضحك "صهيب" ساخرًا قبل أن يتبعه:

حارة القناص

__ أحسن، يمكن تحس على دمك وتربي ابنك حتى لو خمس دقائق.

وبعد ذهاب الجميع، اقترب "ألبرت" من ابن أخيه ثم جلس القرفصاء أمامه حتى يصل لطوله، وبعدها تحدث مُفتخرًا:

__ أبلت حسنًا يا صغير، أنت ضابط قوي حقًا.

تهللت أسارير "نوح" الذي التمتعت حدقاته بسعادة بالغة، ثم تسائل فرحًا بلغتهم الروسية:

__ حقًا عم "ألبرت"؟!!

ابتسم "ألبرت" وهو يُوميء له بنعم، ثم تحدث بهدوء بعد أن قبّل وجنته بحنان:

__ حقًا يا قلب العم "ألبرت"، على الأقل أنا أرى بك ما لا أراه في ابني المُغفل والذي يسعى خلف الطعام طوال الوقت.

وفي حقيقة الأمر هو معه كل الحق، لقد أخذ "نوح" كل صفات عمه "ألبرت" لكثرة جلوسه معه وحبّه لإهتماماته، حتى أنه أصبح ذو شخصية قوية في صغره ويسعى ليصبح ضابطًا كعمه، بينما "مكسيم" ابن "ألبرت" اكتسب صفات "فور" الحمقاء وشاركه اهتمامته في كثرة تناول الطعام.

وقف "ألبرت" في مكانه ثم أمسك بكف "نوح" الصغير واتجه نحو الداخل حيث يجلس الجميع، وبمعنى أوضح، حيث نشوب تلك المعركة القائمة بين "قاسم" و"يامن".

وإن تسائلتم عن ما يحدث، فالذي يحدث كالآتي:

"قاسم" يقف أمام "يامن" المعلق من ثيابه على أحد المسامير البارزة من من الحائط ويصرخ به بغضب:
_بقي أنت عايز تأكل بنتي يلا للكلب بتاعك!؟

أجابه "يامن" بحنق أثناء مُحاولاته الفاشلة للنزول:
_يا عمو ما "رائد" كان جعان.

رمش "قاسم" عدة مراتٍ ببلاهة لا يستوعب ما يقوله الصغير، فحوّل أنظاره نحو "رائد" الذي ادّعى الانشغال مع أحد الأطفال، ثم عاد بأنظاره نحو "يامن" المعلق يسأله بعدم فهم:

_ "رائد" مين اللي كان جعان!؟

رد عليه "يامن" بنفاذ صبر:

حارة القناص

_الكلب بتاعي يا عمو!!

تعالّت ضحكات "يحيى" بصخبٍ حتى أنه لم يستطيع السيطرة عليها، بينما حاول "صهيب" بقدر الإمكان أن يكتم ابتسامته، وبعد أن هدأت ضحكات "يحيى" تسائل بعدم تصديق:

_أنت مسمي الكلب بتاعك على اسم أبوك!!؟

أوما له "يامن" بالإيجاب وهو يُجيبه بعقلانية:
_أيوا يا عمو عشان أنا بحب بابا.

رد عليه "چون" بابتسامة مكبوتة:
_وعشان بتحب أبوك تقوم تهزقه بالطريقة دي!!؟

نفخ "يامن" وهو يُربع ذراعيه أمام صدره، ثم نظر لـ"قاسم" قائلاً بضيق:
_نزلني بقى يا عمي التيشرت هيتقطع.

صرخ به "قاسم" بنفاذ صبر:

_ قطع رقبتك يا بعيد.

قالها ثم اقترب منه مُمسكًا إياه من ياقة ثيابه بعنق، ثم
همس أمام وجهه بفحيح:

_ أنت عارف يلا لو شوفتك ناحية بنتي تاني هعمل فيك
إيه؟! هقعّدك في أوضة الفراخ.

ابتلع "يامن" ريقه برعب وهو يفتح عيناه بفزع، فhez رأسه
بالنفي أثناء قوله الخائف:

_ لأ يا عمو الفراخ لأ، خلاص مش هكلمها تاني وابقى
شوف مين اللي هيعبرها.

اقترب "رائد" من ابنه بسرعة ضاحكًا بسماجة حتى يُخفي
وقاحة صغيرة:

_ هههه عسل يا "يامن" بتحب تهزر كثير.

أنزل "رائد" ابنه والذي بدوره عدّل من ثيابه، ثم نظر إليه
أبيه مُتحدثًا بتعجب:

_ بس أنا مش بهزر يا بابا.

حارة القناص

كتم "رائد" فم "يامن" ثم حمل جسده على كتفه فباتت رأس الصغير مرمية للخلف، فبرر "رائد" قبل أن يهرول من أمامهم جميعاً:

_هنطلع نشوف "ملك" خلصت عمايل الكحك ولا لسه، سلام يا رجاله.

طالع "قاسم" أثرهم الذي اختفى من أمامه بغضب، ثم ضم إليه "فيروزة" وكأنه يحميه من شيء ما، شعر بقبلة رقيقة تُطبع على وجنته اليمنى فنظر إلى صغيرته والتي يرتسم على وجهها نظرات المُشاكسة التي تخص بها أبيها، دغدغها "قاسم" من عنقها وهو يقول بمزاح:

_يا حرامية.

علت قهقهات "فيروزة" بصخب أثناء محاولاتها لإبعاد يد أبيها، لكنه لم يسمح لها بذلك بل استمر في رسم البسمة داخل فؤادها قبل تُغرها، مصمص "يحيى" على شفثيه مُتחסراً قائلاً وهو يضرب على ظهر "آسر" بخفة:

_شايف؟! اتعلم يمكن تفلح.

جعد "آسر" وجهه بضيق وقال ناقماً:

_يا بابا أنت اللي المفروض تعملي كدا مش أنا!!

وعقب حديثه تسائل "يحيى" ببلاهة:

_إيه دا والله بجد؟!!

تململ "آسر" في وقفته ثم ابتعد عنه راضاً نحو مُجتمع الأطفال، جلس "آسر" بجانب "معاذ" ثم سأله بصوتٍ خافت:

_عملت إيه؟!!

ارتسمت ابتسامة مُنتصرة على ثغر "معاذ" الذي أجابه بفخر:

_ضربته طبعاً زي ما ضربني المرة اللي فاتت في المدرسة، مش هسيب حقي تاني.

ابتسم "آسر" بحماس ثم قال مُهلاً:

_لما تتخانق تاني ابقى ناديلي عشان أتخانق معاك.

أوماً له "مُعاذ" بابتسامة واسعة، ثم عاد بأنظاره حيث الألعاب ليصب تركيزه كله عليها، بينما "آسر" استدار نحو "سما" مُتحدثاً إليها بابتسامة رقيقة:

__إزيك يا "سما"؟!!

رفعت "سما" أنظارها من على شاشة الهاتف، ثم أجابته
مُبتسمة وهي تُعدل من نظارتها الطبية:

__الحمد لله يا "آسر"، أنت عامل إيه؟!!

غمزها بمشاكسة تعلمها مؤخرًا من أبيه، ثم أجابه بعث
طفولي قد يظهر بريئًا للبعض:

__أنا الحمد لله فلُّ يا فلُّ.

ابتسمت له برقة ثم عادت بأبصارها نحو الهاتف مُجددًا.

وعلى النقيض الآخر وبالأعلى تحديدًا على سطح المنزل،
يتمدد كُلاً من "يونس وسهيلة" على الأريكة الموضوعة
بالأعلى، وعلى معدة "يونس" تنام صغيرته البريئة
"عائشة" التي بلغت العامين منذ عدة أيام تقريبًا، نظر
"يونس" للسحاب مُتهدًا بحرارة، فاستدارت إليه "سهيلة"
تسأله بتعجب:

__مالك حساك متضايق؟!!

هز "يونس" رأسه بالنفي، ثم استدار لها نصف استدارة
وسدد إليها ابتسامة ساحرة سلبت فؤادها للمرة الألف بعد
المليون تقريبًا، مال على جبينها يُقبله بحنان ثم تشدق
بصوتٍ حنون:

_مش متضايق، بس مبسوط إن حياتنا بقت مُستقرة مع
العيلة وولادنا، كل المشاكل اختفت وكل حاجة بقت تمام،
ربنا عوضني عن كل حاجة وحشة شوفتها في حياتي،
عوضني بيك أنتِ و"نوح وعائشة"، انتوا أحلى عوض ربنا
رزقتي بيه.

كانت "سهيلة" تنام على ذراعه، فمالت على جانبها
وأحاطت به من خصره ثم قربت ذاتها منه وطبعت قُبلة
رقيقة على وجنته وهي تقول بكل الحب الموجود داخل
فؤادها:

_أنت إنسان طيب وقلبك نضيف يا "يونس"، ربنا اختارك
من وسط ناس كثير وهداك للإسلام، كنت بدعي بيك في كل
ركعة من صلاتي، كنت بتمناك وأنا نائمة وبتمناك وأنا
صاحية، دموعي مكنتش بتجف من خوفي إني أخسرك
بسبب اختلاف ديننا، وفي الوقت اللي "رائد" جه وقال
إنك أعلنت إسلامك أنا فضلت طول اليوم أصلي لربنا
وأشكره إنه استجاب لدعواتي.

صمتت قليلاً تسحب أنفاسها ببطي، ثم أكملت حديثها بعشق:
_ أنت نتيجة دعاوي كثيرة أوي أنا دعيتها في الليل يا
"يونس".

اعتدل "يونس" من نومته وجلس مُمسكاً بصغيرته، ولأنها
كانت نائمة؛ وضعها على الفراش أمامه، ثم استدار نحو
"سهيلة" التي اعتدلت معه واحتضنها بقوة دون أن يردف
بكلمة واحدة، كان عناقه يروي كل ما يُريد أن يقوله، دفن
وجهه بين ثنايا عنقها ثم تشدق بهيام:

_ لقد وقعت بكِ وبعيناكِ، التهمتني نيران عشقك فرُحماكِ،
أنا العبد المسكين وقعت هائماً، تحت سحر محياك سقطت
راجياً، طلبت منك الرحمة فلا تقطني، وابقى معي دائماً
وامكثي.

أدمعت عيني "سهيلة" تأثراً بحديثه، قافيته أوقعتها في
مصرع، ومشاعره أهلكت من قلبه المنهك، فتحت فاهها
لتتحدث لكنها أغلقته مُجدداً عندما استمعت إلى صوت
زمجرة الصغيرة التي استيقظت لتوها، فركت "عائشة"
عيناها بنعاسٍ ثم وقفت بصعوبة بعد أن ساعدها "يونس"
على ذلك، وبدون تردد ألقّت ذاتها بين أحضانه وأبعدت يد

حارة القناص

"سهيلة" عنه، تلك الصغيرة تغار على أبيها وكأنه حبيبها
الوحيد والأوحد!

أطلق "يونس" ضحكات عالية فور وقوع أنظاره على معالم
وجه "سهيلة" الحانقة، وبذراعيه أحاط بـ"عائشة" بعد أن
قبّل وجنتها بحب شديد، تصنعت "سهيلة" الأسى وهي تقول
بنبرة حزينة زائفة:

__ كدا يا "عيوشة" مش بتحبي ماما؟!!

نظرت "عائشة" لوالدتها بعد أن تزعر ثباتها قليلاً لنبرتها
الحزينة، فأكملت "سهيلة" بحزنٍ وهي تُربع ذراعيها أمام
صدرها:

__ أنا زعلانة منك ومش هكلمك تاني.

رمشت "عائشة" عدة مرات وشعرت بالحزن حيال والدتها
الحنونة، فابتعدت عن والدها ثم اتجهت إليها بخطواتٍ
مُتلعثمة وألقت بذاتها بين أحضانها وهي تبتسم باتساع.

ضحكت "سهيلة" بخفة وهي تُحيط بجسد ابنتها الصغير، ثم
قبّلت وجنتها المُنتفخة بقوة وهي تُداعبها:
__ حبيبة قلب مامي يا ناس!! هاتي بوسة.

قالت جُمَلتها الأخيرة تطلب منها قُبلة صغيرة، فمطت
"عائشة" شفيتها لها ثم قبلتها على خدها، وبعدها أخفتها
وجهاً بخجلٍ وهي تضحك بطفولية مُهلكة.

تعالت ضحكات كُلاً من "يونس وسهيله" على مُشاكسة
صغيرتهم وبرائتها، لكن قاطع لحظاتهم صعود "نوح"
إليهم، والذي تقدم منهم ثم تحدث بعد أن طبع قُبلة صغيرة
على وجه أبويه كما اعتاد أن يفعل دائماً:
_عمو "قاسم" وخالتو "أهله" مستتيينكم تحت.

رد "فور" قُبَلته إلى صغيره ثم أردف قائلاً بعد أن وقف من
مكانه:
_حسناً، هيا لنهبط إليهم.

قالها ثم حمل "عائشة" من يد "سهيله" حتى اعتدلت
وارتدت حذائها، وقبل أن يهبطوا قالت "سهيله" بمزاح:
_يا تتكلم بالمصري بس، يا تتكلم بالروسي بس، متنوعش.

شاكسها "يونس" بقوله العابث:

حارة القناص

__ سأحدثك باللاتينية خصيصاً حتى لا يفهم أحد مُغازلتني لكِ.

ردت عليه "سهيلة" ضاحكة وهم يهبطون الدرج معاً:

__ بس أنا مش بفهم لاتيني، دا أنا فهمت روسي بالعافية.

أجابها "يونس" بلامبالاة وهو يهز كتفه:

__ حسناً، ذكّريني بأن أعلمك إياه "هايلة".

هبطاً للشقة التي تجمع الجميع حيث الطابق السفلي، فدلف "يونس" لمجتمع الرجال ومعه صغيرته "عائشة"، واتجهت "سهيلة" إلى غرفة النساء المُغلقة، طالعتها "أهلة" بسخط والتي تشدقت بتشنج:

__ أهلاً بالحلوة اللي سايبانا متدهولين في المحشي وقاعدة مع جوزها.

خلعت "سهيلة" حجابها وهي تضحك، ثم شمّرت عن ساعديها وجلست بجانب الفتيات لتُساعدهم في الطهي، حينها تحدثت بعد أن أطلقت تنهيدة هائلة:

__ أنا عايزة أشوفلي حل في اللي أنا فيه دا.

حارة القناص

سألتها "حبيبة" برقة:

_ وإيه اللي أنتِ فيه؟!!

ردت عليها "سهيلة" مُجيبة إياها بحالمية:

_ كل مرة بقع في حبه وكأنها أول مرة، بغرق في حلاوته يا
ناس!

نكزت "ملك" جانب "سهيلة" ثم أردفت بغیظ:

_ والنبي ياختي ابقي خلي جوزك يقعد مع أخوك ويعلمه
شوية رومانسية، بدل ما هو بيحب فيا بطريقة تشل وتجب
مغص.

لوت "يمنى" شفيتها باستتكار وهي تُردد حديثها:

_ بيحب فيكِ بطريقة تشل؟! هقول إيه ما هي أرزاق.

قطبت "أهلة" جبينها بتعجب ثم تسألت وهي تضع قليلاً من
الأرض على ورقة الملفوف:

_ هو "يحيى" مش بيحب فيكِ بكلام روماني ولا إيه؟!!

حارة القناص

اعترضت "يمنى" بقوة وهي تنفي بطريقة مُبالغ بها جعلتهم
يُطالعونها بريبة:

_مش بيحب فيا دا إيه؟!!! دا بيقولى أحلى غزل، وأحلى
أشعار، وأحلى كلام حب، "يحيى" دا مفيش في رومانسيته.

أنهت مدحها في زوجها ثم همست بالأخيرة:
_اللي تقرف.

لوت "ملك" ثغرها بسخرية قائلة:
_هنعمل نفسنا مصدقين خالص.

وبعد صمتهم استمعوا إلى صوت "مهرايل" المُتلذذ،
طالعونها بتعجب فوجدوها تتذوق الأرز باستمتاع، ثم نظرت
إليهم بتشفي وهي تقول:

_الرُز طعمه تحفة، طعمه جميل، طعمه يهبل.

طالعتها "سهيلة" بسخرية والتي أردفت مُغتاظة:

_خلاص يا حبيبتى كلها بكرة وهنظطر، النهاردة الوقفة
وبكرة العيد وكل سنة وأنت طيبة.

حارة القناص

اعترضت "مهرائيل" بقوة قائلة:

_ولو.. ولو برضه لازم أغيظكم.

طالعتها الفتيات بإشمئزاز فيما تسألت "أهله" بانتباه:

_بنتك برضه لسه متعلمتش مصري؟!!!

هزت "مهرائيل" رأسها بالنفي قائلة:

_لأ، مع إننا بنتكلم قدامها كثير، و"نوح" حتى اتعلم عربي بسبب إن "يونس وسهيلة" بيتكلموا دايماً قدامه مصري، بس مش عارفة البت دي طالعة غبية وفهمها تقيل لمين!

حدجها الجميع باستنكار فوبختهم هي بقولها المُغْتَاط:

_في إيه مالكم بتبصولي كدا ليه؟!!!

تلك المرة ردت عليها شقيقتها "لوسيندا" بقولها الساخر:

_ولا حاجة يا حبيبتي كملّي أكل.

حارة القناص

مرت عدة ساعات وانطلق مدفع الإفطار يضرب عاليًا، تجمع الجميع حول السفرة الكبيرة وكل رجلٍ تجلس بجانبه زوجته وأطفاله، الجميع كان ملهيًا في طعامه حتى انتهوا أخيرًا.

صعد كل واحدٍ منهم إلى شقته الخاصة ليرتاحوا قليلًا، فغداً لديهم يوم طويل منذ بدايته، حيث سيقومون بذبح عجلٍ كبير سيتشاركون به جميعًا.

جلس "قاسم" على الأريكة مُتهدأً وعلى قدمه تجلس صغيرته "فيروزة" والتي لا تتركه بتاتًا، بينما "غيث" ومُغيث" أتوا أمامهم على الأرض وجلبوا مصاحفهم وبدأوا بحفظ الورد اليومي كما علمهم "قاسم" في صغرهم، و"حوراء" دخلت إلى غرفتها دون أن تتكلم مما أثار انتباه الجميع!

نظر "غيث ومغيث" إلى بعضهما البعض، فأشار "مغيث" لشقيقه بالذهاب إلى توأماتهم لمعرفة ما بها أو ما يُحزنها، لكن "قاسم" أوقفهم بقوله الهاديء وهو يسير إلى غرفتها: خليكم هنا أنا هروحها.

حارة القناص

أوما له ولديه بالإيجاب لكنهم مزالوا قلقين على شقيقتهم،
فقررت "أهلة" إلهائم لحين عودة زوجها وهي تقول
بصوتٍ مازح:

_ها يا كتاكيتي الحلوين، مين اللي هيخلص حفظ الجزء
الأول كله؟!!!

رفع الأخوان يديهما بحماس، فتحدثت "مغيث" وهو ينتفض
جالسًا بجانب والدته بشغف:

_أنا فاضل ليا سورة واحدة وأخلصه يا ماما.

اقتربت منه "أهلة" تُقبل وجنته بحب وهي تقول بفخر:
_شاطر يا حبيب ماما.

فانتفض "غيث" هو الآخر من مكانه وجاور والدته في
الجلوس على الأريكة وأردف بحماس يُماثل حماس شقيقه:
_وأنا كمان يا ماما زي "مغيث"، فاضل ليا سورة واحدة
وأخلصه.

وكذلك قبلت "أهلة" وجنته بحنان قائلة:
_روح قلبي شطور خالص.

صاح صوت "فيروزة" الحانق والتي وقفت على قدم
والدتها تُطالعهم بضجر، ثم رددت بطفولية:
_ماما وأنا.

ضحك كُلاً من "غيث ومغيث"، بينما "أهلة" تسائلت
ضاحكة وهي تسندها من ظهرها:
_وأنتِ إيه يا عين ماما.

اقتربت منها "فيروزة" حتى قبّلتها، ثم ابتعدت عنها مُجدداً
وهي تقول بملامح حانقة:
_كدا.

علت ضحكات "أهلة" بصخب قبل أن تهجم على وجنتيها
تُقبلهما بقوة، فارتفع صوت ضحكات "فيروزة" بعلوٍ عندما
انضم أخويها لوالدتهم وبدأوا في دغدغتها.

وبالداخل..

جلس "قاسم" على فراش "حوراء" التي تجلس صامتة
أمامه وتحني رأسها للأسفل، انتقل من مكانه وجلس مُتربعاً

حارة القناص

على الفراش واستند بظهره عليه، ثم جذب ابنته إليه وأجلسها على قدمه الممتدة قبل أن يتسائل بحنو:

_حوريتي زعلانة ليه؟!!!

كانت على نفس حالتها السابقة، تخفض رأسها للأسفل وتلعب بأصابعها معاً دون النظر إليه، فهزت "حوراء" رأسها بالنفي وهي تقول بلامح وجه حزينة:

_مفيش حاجة يا بابا.

اقترب منها مُقبلاً إياها من وجنتها بحب، ثم تسائل بصوتٍ حنون بعد أن ضمها لفؤاده:

_مش اتفقنا مش هنخبي حاجة على بعض أبدأ؟!!

رفعت "حوراء" عيناها المُهلكة تُطالعه بتردد، فابتسم لها "قاسم" يحثها على الحديث بقوله:

_احكي لي يا حبيبتي زعلانة ليه، وأوعدك إني لو ملقتش حل هنقعد نفكر في حل سوا.

بدا التردد واضحاً على وجه "حوراء"، لكن تصميم والدها على الحديث جعلها تردف قائلة بصوتٍ خافت:

حارة القناص

بصراحة يا بابا أنا بحس إنك بتحب "فيروزة" أكثر مني.

لم يتغير ثبات "قاسم" الخارجي رغم تزعره من الداخل،
صغيرته تظن بأنه يحب فتاته الأخرى أكثر منها؟! ماذا فعلت
"قاسم" بحقك؟!

وبصوتٍ هاديءٍ حنونٍ تسائل مُجددًا:

إيه اللي خلاك تحسي بكدا؟!

ردت عليه "حوراء" بصوتٍ حزين:

عشان دايماً بتلعب معاها أكثر مني، وبتشيلها كتير وبتهزر
معاها، مهتم بيها أكثر مني وأنا بحبك وبكون عايزاك تحبني
أنا كمان.

اقترب "قاسم" مُقبلًا رأس صغيرته قبل أن يتحدث بهدوء:

تعرفي إن الكلب النهاردة كان هيعض أختك لولا إن ربنا
ستر وأنقذها في الوقت المناسب!

رفعت "حوراء" عيناها لوالدها تُطالعه بقلق، فأكمل هو
حديثه وهو يُربت على خصلاتها بحنو:

_اليوم اللي فكرت أسيب أختك فيه كان هيحصلها كدا، ما بالك بقى لو أهملتها خالص! ماما مشغولة بسبب ترتيبات العيد فمينفحش تاخد بالها من أختك وتاخذ بالها من الترويق وكمان تطبخ وتغسل وتمسح، "فيروزة" أختك لسه عندها سنتين، يعني صغيرة خالص عشان تاخذ بالها من نفسها، دلوقتي لو سيبتها وحصلها حاجة وحشة أنتِ هتكوني مبسوطة؟!!

هزت "حوراء" رأسها بالنفي، فيما أكمل "قاسم" حديثه بهدوء وكان كل حنان العالم تجمع داخل فؤاده:

_كُننا بيحي علينا فترات بيكون لازم ناخذ بالننا من "فيروزة"، مش أنا لوحدي اللي لازم أعمل كدا، أنتِ و"غيث ومغيث" المفروض تاخدوا بالكوا منها كمان، لما انتوا كنتوا صغيرين أنا وماما كُننا بناخد بالننا منكم زي عنيانا، وأنتِ بالذات ليك حب لوحديك في قلبي يغرق العالم كله، أول مرة شيلتك فيها كنت حاسس إن أكثر واحد في الدنيا دي مبسوط، وقتها قولت إنك أول طريق نجاة ليا من النار، أنتِ من المؤنسات الغاليات وأغلى حد على قلبي يا "حوراء".

كانت "حوراء" تستمع إلى حديث أبيها بأعين مُلتمة عاشقة، والدها هو حبها الأول الذي لن يتكرر طيلة حياتها

مهما فعلت، لا يكتفي بالتبرير فقط، بل يشرح لها وجهات نظره وسبب أفعاله ليُطمئنها مهما كلفه الأمر، سنها صغير وكان من الممكن تجاهلها لكنه لم يفعل، بل أتى خلفها راضياً ليعلم ما بها فتاته حزينة، طالعه "حوراء" بأعين حزينة وهي تقول:

_ أنا مش عايزاك تزعل مني يا بابا، بس أنا والله بحبك
وبكون عايزاك تحبني زي ما أنا بحبك.

ضمها "قاسم" أكثر إليه وهو يقول بصوتٍ مليء بمشاعر الأبوة:

_ وأنا بحبك أكثر ما أنتِ بتحبيني بكثير أوي، بحبك قد الدنيا
كلها يا حوريتي.

ابتسمت "حوراء" باتساع وهي تُحيط بعنق أبيها، فقَبَّل وجنتها في المقابل وهو يمد يده لفتح درج الكومود، ومن ثم قام بالتقاط ألبوم الصور منه، أبعدها عنه ثم مال بظهره للخلف على الفراش، ثم جذبها مُجدداً إليه لتستند برأسها على صدره وهو يُحيط بخصرها، وباليد الأخرى قام بفتح الألبوم وهو يقول بمرح:

_ تعالي نتفرج بقى على صورتك وأنتِ صغيرة.

ضحكت "حوراء" بسعادة وثبتت أنظارها على مُجلد الصور الخاصة بها هي وأخواتها ووالديها، ضحك كلاهما عندما جاءت صورة لـ "غيث" حينما كان في الثانية من عمره يسير بدون أي ملابس، تعالت قهقهات "قاسم" عقب قول "حوراء" المُمازح:
_ "غيث" كان قليل الأدب.

رد عليها بضحك ويدها مازالت تستمر في التقليل بين الصور:
_ ولحد دلوقتي قليل الأدب مفيش حاجة اتغيرت.

ضحكت بصخبٍ، ثم انتبهت إلى صورتها التي كانت تجمعها مع أبيها في أحد المصايف، كانت يحملها على رقبته والشاطيء من خلفهما، سعادتهما كانت واضحة في أعينهما، مال عليها مُقبلاً إياها ثم تشدق بحنين:
_ شايقة كنت بحبك إزاي وأنتِ صغيرة في سن "فيروزة"؟!
دا علشان أنتِ بنتي حبيبتي وكان لازم أهتم بيك أوي في السن دا.

حارة القناص

وكان هذا هو المغزى من فعلة "قاسم"، أن يُريها حبه الشديد لها بطريقة غير مباشرة، هي تحتاج الرعاية والاهتمام والحب وهو لم يُقصر في ذلك، لكن صغيرته تغار من اهتمامه الزائد على شقيقتها الأخرى، أخفضت "حوراء" رأسها بخجل وبصوتٍ خفيض أردفت:

_ أنا أسفة يا بابا، أنا بحبك أوي والله.

تصنع "قاسم" الضيق والذي أردف بوجهٍ مُمتعض:
_ لأ أنا زعلان.

رفعت "حوراء" أنظارها إليه بلهفة، ثم اعتدلت مُستندة على رُكبتها وهي تقول سريعاً:

_ طيب عشان خاطري مش تزعل مني، أنا بحبك وبحب ماما وبحب "فيروزة وغيث ومغيث" كمان.

أصرَّ "قاسم" على موقفه بعنادٍ وهو يتنهد بيأس:

_ لأ أنا زعلان، يلا مش مشكلة، أنا كنت مجهلك مُفاجأة بس ملكيش نصيب.

فتحت "حوراء" عيناها على وسعهما وأردفت بحماس:

__ مفاجأة إيه؟!!!

أجابها "قاسم" بتلاعب:

__ لأ مش هقولك أنا لسه زعلان.

ولم تمر ثانية أخرى إلا وهجمت "حوراء" على وجه أبيه
تقبله وهي تعتذر له من بين قبلاتها مما أدى إلى ارتفاع
صوت ضحكاته عاليًا، التقط أنفاسه اللاهثة وأردف من
بينها:

__ خلاص خلاص هقولك.

توقفت "حوراء" عن تقبيل أبيها وعلى ثغرها يرتسم
ابتسامة سعيدة، فأكمل "قاسم" حديثه وهو يُبعثر خصلاتها
القصيرة بكف يده:

__ يلا قومي إلبسي عشان نخرج ونجيب لبس عيد بدل اللي
مش عاجبك، نجيب كمان حلويات وشيكولاتة كتيرة.

صرخت "حوراء" بفرح وتلك المرة هجمت على والدها
تحتضنه، لكن بحب شديد، بسعادة بالغة، ونقاء داخلي، لم
ييأس "قاسم" من أطفاله وأفعالهم الطفولية من قبل، بل
حرص كل الحرص على مُعاملتهم كجواهر يخشى خدشهم،

حارة القناص

يريد أن يجعلهم أسوياء نفسياً دون وجود أي عقود في حياتهم.

وفي تلك اللحظة فُتح باب الغرفة ودلفت إليهم "فيروزة" راكضة بشكلٍ مُضحك نتيجة لقصرها، التقطها "قاسم" بين ذراعيه ثم قبّل وجنتها المُنتفخة بحنان وهو يقول بمرح:
_حبيبة عين أبوها.

وكذلك مالت "حوراء" على "فيروزة" تُقبل وجنتها بحب، ثم نظرت إلى أبيها طالبة منه بحماس:
_وهناخذ معانا "فيروزة" كمان يا بابا.

امتلاً قلب "قاسم" بالسعادة بعد نجاح حديثه مع صغيرته وتبديد الضغينة والغيرة التي كانت قد بدأت بالتشكل بداخلها، فتح فاهه ليُجيبها، حتى دلف الغرفة كُلاً من "غيث ومغيث" ووهم يُصيحون بتهليل:
_وإحنا كمان هنيجي معاكم.

نظر إليهم "قاسم" بتفاجئٍ وحوّل أنظاره إلى "أهلة" التي أكدت على حديثهم بتهليل:

حارة القناص

_أيوا يا "قاسم" عايزين نيحي معاكم.

التوى نُغر "قاسم" بسخرية وهو يقول:

_إيه يا "هولا" أنت بقيتي تلمعي أوكر ولا إيه؟!!!

نفت "أهلة" بقوة أثناء قولها المُبرر:

_لأ طبعًا، دا أنا كنت راحة المطبخ أشرب فسمعتكم بالصدفة
البحثة.

قالت حديثها الأخير تزامنًا مع جلوسها بجانبه، فأمسك هو
بأذنها يجذبها نحوه بقوة طفيفة وهو يقول:

_إحنا فينا من كدا يا "هولا"؟!!

تأوهت "أهلة" بخفة ثم أبعدت يده عنه، وبعدها جذبت يد
"حوراء" أثناء قولها:

_بس بقى يا "قاسم"، يلا يا ولاد قوموا غيروا هدومكم وأنا
هاخد "حوراء" وفيروزه" أغير ليهم.

اختفى أثرها من أمام "قاسم" الذي هز رأسه بيأس ثم شرع
بتبديل ثيابه.

حارة القناص

_بقي أنت يلا عايز تاكل البت للكلب!! عايز "قاسم" يدفني
أنا وأنت؟!!!

برر له "يامن" بقوله المُبرر وهو يأكل من البسكويت الذي
أعدته والدته:

_يا دادي الكلب كان هياكل حتة صغونة خالص وهيسيبها
ليا.

لم يُبالي "رائد" بحديثه، بل كرر كلمته الأولى بوجه مُتشنج
ومعالم مُشمئزة:

_دادي؟!!! إيه دادي دي يلا!! لأ بقولك إيه أنا عايز ابني
راجل كدا، متعلم الكلمة دي منين!!

رد عليه "يامن" يشرح له بعقلانية غبية:

_اتعلمتها من "مكسيم" ابن عمو "ألبرت".

اقترب منه "رائد" وأمسكه من ياقة ثيابه، ثم أردف وهو
يهزه بعنف:

_ولا سيبك من العيال الطرية دي، أنا عايزك خشن كدا،
قولي بابا، يا حَج، يا زفت، أي حاجة بس بلاش دادي دي.

حارة القناص

أوما له "يامن" بالإيجاب وهو يقول باحترام:
_حاضر يا زفت.

فتح "رائد" عيناه على مصرعهما فصرخ به ينهره:
_يا سافل يا عاق يا قليل الأدب! أنا زفت يا حيوان!!

تأفف "يامن" والذي تملل بين يديه قائلاً بضجر:
_يوه بقى! هو مش حضرتك اللي قولتلي أقولك يا زفت!؟

انكمش وجه "رائد" باشمئزاز ثم دفعه للخلف على الأريكة
فوقع "يامن" على ظهره، وبعدها تشدق ساخرًا:
_حضرتك!! حضرتك إيه بقى دا أنت اللي حضرتك.

ضجر الصغير منه، فاعتدل أخذًا طبق الكعك بين أحضانه ثم
شرع بتناوله بلامبالاة، تاركًا أبيه يكاد ينفجر من الغيظ!

فُتح باب المنزل ودخلت بعده "ملك" التي كانت تُغني
بسعادة وهي تتراقص بجسدها:

العِيد فرحة، يا سلام.. وأجمل فرحة، يا سلام، العِيد
فرحة وأجمل فرحة يملئ قلب قريب وغريب..

اندفعت جرعة كبيرة من الحماس داخل جسد "يامن" عقب
رؤيته لوالدته ترقص، فوضع الطعام من يده ثم هبط من
الأريكة واتجه نحو والدته يرقص ويقفز معها، ارتفعت
ضحكات "ملك" بسعادة فور رؤيتها لفرحة صغيرها
المُشاكس، لم تشأ أن تُفسد سعادته واتجهت نحو التلفاز
وقامت بتشغيل إحدى القنوات التي تعرض الأغاني الخاصة
بالعِيد.

ذهبت "ملك" إلى "رائد" وجذبت من يده وحركت ذراعيه
تحتة على الرقص معهم، وبالطبع لم يُمانع، بل راقصها
وهو يُغني مع ألحان الأغنية بسعادة، ثم هبط لصغيره
وحمله على كتفه وراقصه هو الآخر، رفع "يامن" كفيه
الصغيرين يُصفق بسعادة وهو يُقهقه بفرح، كانت بهجة
العِيد مُختلفة كلياً على الجميع، خاصةً عند وجود أطفالهم
معاً.

العائلة تُعطي للحياة نكهة خاصة، نكهة بطعم الحب والفرح،
تُدخل السرور والسعادة للقلوب، ومهما كُثرت مشاكلك تجد
خلف حائطاً منيع يمنعك من السقوط والتحطم، البهجة

حارة القناص

الْمُنْتَشِرَة فِي الْأَجْوَاء مَا هِيَ إِلَّا سَعَادَة الْعَائِلَة وَجَمُوع
الْأَطْفَال الْمُبْعَثَر هُنَا وَهُنَاكَ، عِبْقَهُم الطَّفُولِي وَصَوْت
ضَحِكَاتِهِمْ يعلو فتتغلغل الراحة للأنفس والقلوب.

بما إن النهاردة الوقفة وبكرة العيد فأنا قررت أقولك شعر
مجهزه ليك مخصوص يا "يمونتي".

كانت "يمنى" جالسة أمام مراتها تضع ماسك القهوة على
وجهها استعدادًا للعيد غدًا، وفور استماعها لحديثه انتفضت
من مكانها فزعًا قائلة بصراخ:

لأ بلاش، أتوسل ليك بلاش، أرجوك يا زوجي وقرة عيني
بلاش.

انكمش وجه "يحىي" بضيق والذي وقف من مضجعه ثم
أمسك بها من كفها وسحبها خلفه حيث الفراش، أجلسها
رغمًا عنها أمامه ثم تشدق مُعانداً:

تعالى بس دا أنا مجهزلك شعر بالفصحى من إمبراح بكتب
فيه.

نظرت إليه "يمنى" بريبة وهي تتسائل:

حارة القناص

_ بجد يا "يحيى" ولا بتضحك عليا؟!!

رد عليها بثقة مؤكداً:

_ بجد طبعاً يا "يمونتي"، أنتِ مش واثقة فيا ولا إيه؟!!

وبسرعة أومات قائلة:

_ بصراحة آه.

_ هنعتر إنني مسمعتش حاجة، المهم ركزي بقى في اللي جاي.

انتبهت له واعتدلت في مكانها، بينما حمم "يحيى" بجدية وثبت عيناه على عسليتيها بهيام أثناء قوله العاشق:

_ لا تستطيع ضحكائك أن تتسع لكل أضلعي، فقد بات الفؤاد مُتلهفاً لضمك، بتِ أنتِ الحياة وأنتِ كلِ الأجابة، حتى أصبح الوجدان يهفو منكِ ولكِ.

رمشت "يمنى" بأهدابها عدة مرات وهي تُطالعه بعدم تصديق، حدجها باستغراب لحالتها ثم تسائل بتعجب:

_ إيه الشعر معجبكيش؟!!

حارة القناص

مدت "يمنى" كفها إلى رأس "يحيى" ثم قاست حرارته
بظهر يدها، ظلت ثوانٍ ثم ابتعدت قائلة باستغراب:

_ أنت مش ساخن أهو، أومال في إيه؟!!!

امتعض وجه "يحيى" من حديثها ثم هب من مكانه قائلاً
بضجر:

_ تصدقي إن أنا غلطان إني تعبت نفسي عشان أقولك حاجة
تفرحك!

ابتعد عنها خطوتان فهبت من مكانها راكضة خلفه ثم سبقته
حتى وقفت أمامه، كان وجهه يظهر عليه الضيق فاقتربت
هي منه ثم أحاطت به من خصره قائلة بحب:

_ "يحيى"! دي سادس سنة نقضيتها سوا وفي بيت واحد،
عمري ما زهقت ولا ملت منك، تصرفاتك وجنانك بقى
عندي منهم نسختين تانيين ورغم كدا أنا معترضتش، دا يا
سعدى يا هنايا إن بقى فيه نسختين من "يحيى".

ارتسمت ابتسامة عاشقة على ثُغر "يحيى"، فبادلها العناق
بقوة أشد قائلاً بنبرة عاشقة:

_ هفضل محظوظ طول عمري بيك يا "يمنى" صدقيني، رغم
إنك ولىة قادرة ومفترية إلا إني بحبك وبموت فيك.

حارة القناص

ضحكت "يمنى" بخفة ثم ارتفعت برأسها وطبعت قبلة على
وجنته ثم ردت عليه بمشاكسة:

_والله أنا برضه اللي مفترية ولا أنت اللي بتكون عايز تولع
فيا بتصرفاتك وهزارك معايا؟!!!

اعترض "يحيى" بضجر وقال ساخطًا:

_وأنا عملت إيه لدا كله يعني؟!!!

ابتعدت عنه "يمنى" مُطالعة إياه بعدم تصديق ثم تشدقت
بجنون:

_هو أنت مش عايز تعترف بغلطك لحد دلوقتي؟!!!

هز "يحيى" رأسه بالنفي قائلاً مُدافعًا عن ذاته:

_أنا مغلطتش على فكرة، دي البت "آلاء" بنتك هي اللي
مقترحة الفكرة وأنا مرضتتش أزعلها.

جزت "يمنى" على أسنانها بغيظ وهي تقول:

_مش عايز تزعلها تقوم فاتح عيون البوتوجاز ومالي
الشقة بالغاز عشان تشوف ردة فعلي؟!!!

تأفف "يحيى" بحنق:

—وه ما بنتك هي اللي وزنتي وأنتِ عارفة الشيطان شاطر.

تنفست "يمنى" بعمق وهي تُغمض عينيها تحاول التقاط أنفاسها الهاربة بسبب "يحيى" وأولاده، لكن فتحت عيناها مُجددًا عندما استمعت إلى صوت ابنتها التي تبلغ أربع سنوات تُهرول نحو والدها قائلة أثناء إمساكها بالهاتف:
—بص يا بابي الفيديو دا!! عايزين نعمل زيه.

حملها "يحيى" على ذراعه ثم نظر للفيديو الذي يعرضه الهاتف، ذهبت إليهم "يمنى" ووقفت جانبهم حتى ترى محتواه، لكنها فتحت عيناها بعدم تصديق عندما رأت أن الهاتف يعرض مجموعة كبيرة من الهواتف وهناك أحد الأشخاص يقوم بتدميرها سعيًا لإغاظة الآخر! وضعت "يمنى" يدها موضع فؤادها وهي تهمس بألم:

—يارب صبرني على ما بليتتي، والله كدا كتير وأنا مش هقدر أستحمل، مش هيبقى العيال وابوهم.

حارة القناص

انتهت من تحدثها لذاتها وبعدها وجدت الصغير "آسر" يفتح باب الشقة ويهرول للداخل مُسرِعًا ثم أغلق بابها مُجددًا، قطب "يحيى" جبينه بتعجب فتسائل باستغراب:

_بتجري كدا ليه يا "آسر"!!

أجابه "آسر" وهو يتنفس بعنف:

_عمو "سيف" بيجري ورايا عشان بتبوس بنته "چنى".

اعترض "يحيى" على فطة "سيف" المشينة وتشدق ساخطًا:

_يعني إيه بيجري وراك عشان بتبوس بنته؟! إيه التسبب والاستهتار دا؟!!!

فرغت "يمنى" فاهها وحدثت بزوجها بعدم تصديق، بينما "يحيى" أخذ ابنته ومعه "آسر" وهبط للأسفل لرؤية ذلك الـ"سيف" الذي يركض خلف ابنه من أجل شيء كهذا!

_عمو "صهيب" هتديني عيديه كام بكرة؟!!!

حارة القناص

نطق "معاذ" تلك الكلمات ببراءة، فطالعه "صهيب" الذي كان يُبدل ثيابه لتيشيرت أبيض صيفي، ثم أردف قائلاً:
_ كل واحد عشرين جنيه.

كانت "حبيبة" تقوم بتسريح خصلات "سما" الطويلة، فاعترضت الصغيرة قائلة بقوة:
_ إيه دا يا عمو لأ طبعًا، أنا عايزة 200 جنيه.

استدار لها "صهيب" بوجه مُتشنج وتساءل مُستنكرًا:
_ عايزة كام ياختي؟! !! ليه شايفاني قاعد على بنك ولا شغال حرامي?!

ردت عليه "سما" بلامبالاة ممزوجة بالوقاحة وهي تهز كتفها بلامبالاة:
_ والله أنت أدري يا عمو، المهم أنا عايزة 200 جنيه.

ردد "صهيب" كلمتها بعدم تصديق:
_ أنا ادري!! بت أنت متعصبينيش هي عشرين جنيه وفل أوي، وبعدين أنت هتعملي إيه بالفلوس دي كلها?!!

حارة القناص

نفخت "سما" في اظافرها المطلية باللون الأحمر وهي تقول:

_ هجيب بيها هدية لـ "مُغيث" ابن عمو "قاسم".

علت ضحكات "حبيبة" بصخبٍ على شقاوة الصغيرة، ثم مالت على وجنة "سما" تُقبلها بقوة وهي تقول:

_ ياختي بطة!! وأنتِ عايزة تجيبي هدية لـ "مغيث" ليه!!

أجابتها "سما" ببراءة:

_ عشان عيد ميلاده يا "بيبة" ولازم أجيبه هدية زي ما جابلي.

انتفض "معاذ" من مكانه يعترض بقوة ذكورية:

_ لأ طبعًا أنا معنديش إخوات بنات تجيب لأي ولد هدية، دي اسمها قلة أدب.

طالعه "سما" بأعين بريئة قائلة:

_ هجيبك معاه يا "معاذ".

حارة القناص

رجع "معاذ" عن تعصبه وأردف بشموخ:
_ إذا كان كذا أنا معنديش مانع.

كان "صهيب" يُطالع ما يحدث بأعين مُتشنجة، فذهب إلى
الصغيرة وأمسك بها من ياقة ثيابها هامسًا أمام وجهها
بفحيح:

_ اسمعي يا بت أنتِ، مفيش هدايا، إحنا مش بتوع الكلام
الماسخ وقلة الأدب دي.

هبت "سما" من مكانها ثم اعترضت بصراخ:

_ لأ بقى كذا حرام وظلم، وبعدين أنا مبقتش صغيرة على
المعاملة دي، أنا في تانية ابتدائي وهعرف اعتمد على نفسي
كويس.

قالت حديثها بعصبية ثم انحنت مُقبلة وجه "حبيبة" التي
تكتم ضحكاتها على مشاكسات الأطفال الدائمة مع
"صهيب"، وبعدها تبعها "معاذ" الذي صرخ بدوره قبل أن
يتبع شقيقته:

_ عاجبك كذا يا عمو؟! أديها مش هتجيبلي هدية أهو.

حارة القناص

نظر "صهيب" إلى أثرهم بفاهٍ فارغٍ يُطالعهم بصدمة، فحوّل
أنظاره إلى "حبيبة" قائلاً باندهاش وهو يُشير بإصبع
سبابته إلى الباب:

_إيه العيال دي؟!!!

أجابته "حبيبة" بضحكة مكتومة:

_معلش يا حبيبي دول أطفال.

التوى ثغره بسخرية قائلاً:

_هما مين اللي أطفال؟! دا إحنا اللي أطفال.

ردت عليه "حبيبة" ضاحكة:

_خلاص بقى يا "صهيب" زهقت العيال في عيشتهم.

تنهد "صهيب" بقوة ثم ارتمى على الفراش وهو يتسائل:

_أومال فين "يزيد وسديم".

ردت عليه "حبيبة" وهي تتمدد بجانبه:

_حميتهم وناموا عشان يصحوا فايقين الصبح.

حارة القناص

ضمها "صهيب" إليه ثم قبّلها من وجنتها وهو يقول بحب:
_أشطر بسكوتة وأجمل أم في الدنيا.

ردت إليه قبّلته أثناء قولها العاشق:
_وأنت أجمل إنسان في الدنيا كلها.

مرت ساعتين على "قاسم" وعائلته وهم يشترون الثياب الخاصة بالعيد وانتهى مشوارهم بجلوسهم في أحد المطاعم المشهورة الخاصة بالبرجر، كان الحماس يقفز من أعين الأطفال وخاصةً "حوراء" التي قرر أبيها لتعويضها عن ذلك الشعور البشع الذي شعرته اليوم.

مال "قاسم" على وجنته "حوراء" يُقبلها بحنان وبعدها تسائل بحب:
_مبسوطة؟!!!

رفعت "حوراء" أنظارها السعيدة إليه ثم أومأت له بحماس وهي تقول:
_أوي أوي يا بابا، أنا بحبك أوي.

حارة القناص

شاركتهم "فيروزة" في الحديث ورددت كلمة شقيقتها
بسعادة رغم أنها لا تفقه شيء مما يُقال:

_بابا.

تأففت "أهلة" بضيق وهي ترى الفتاتان تجتمعان حول
زوجها فتشدقت صارخة:

_ما خلاص يا حبيبتي أنتِ وهي، كل شوية بوس وأحضان
وبحبك وبموت فيك، ما عرفنا.

طالعت "فيروزة" والدتها باشمئزاز مما أدى إلى إغاظه
"أهلة" أكثر وارتفاع صوت ضحكات "قاسم" رغمًا عنه،
وقف "مغيث" من مكانه ثم طبع قبلة رقيقة على خد والدته
قائلًا:

_متزعليش يا ماما أنا كمان بحبك.

أيده "غيث" والذي قبلها هو الآخر بقوله:
_وأنا كمان بحبك يا "هولا".

لوى "قاسم" شفتيه ساخرًا:

حارة القناص

جئتك أوه في جنابك أنت وهو، يلا كلوا عشان نشرب
فراولة باللبن.

وعلى بُعدٍ آخر.. جلس "يونس" على طاولة المطبخ ومعه
"عائشة ومكسيم" ابن "ألبرت" وأمامهم الكثير من
المأكولات، وكما ذُكرَ مُسبقًا فإن "مكسيم" يأخذ كل صفات
"يونس":

ناولني كدا يا "يونس" النص فرخة دي!

قالتها "سهيلة" بفمٍ مُمتليءٍ بالطعام، فأعطاه "يونس" ما
طلبتَه، وبعد أن ابتلع ما في حلقه من طعام تسائل بريية:

متأكدة إن فيه أكل ليهم بكرة؟!!

أكدت له "سهيلة" بثقة وهي تقول:

طبعًا، أنا عامللك حلة المحشي دي مخصوص أصلًا.

طالعها "يونس" بحنان شديد ثم أمسك بكفها وقبله بحب
وبعدها أردف بحنو:

تسلم إيديك يا ح..

حارة القناص

توقفت الكلمات بحلقه عندما وجد "مكسيم" يُقبل يد
"عائشة" التي ضحكت بخجل وخبأت وجهها بكفيها
الصغيرين، انتفض "يونس" مُمسكًا إياه من ياقة ملابسه
وهو يصرخ به:

_ ما تفعل أيها الصغير المُغفل!!

نظر إليه "مكسيم" صاحب الأربع أعوام مُجيبًا إياه بطفولية:
_ أ فعل مثلما تفعل عمي.

رد عليه "يونس" بسخط:

_ هذه زوجتي، وتلك ابنتي، وأنت ابن أخي وبمثابة ابني،
لكن ابنتي لا تحل لك.

طالعه الصغير بعدم فهم فردد بجهل:

_ لا أفهم.

ضحكت "سهيلة" عاليًا، فجذبت "مكسيم" إليها تُقبله
بمشاكسة وهي تقول:

_ أنت بتعمل إيه يا "يونس" مش هيفهمك هو لسه صغير.

حارة القناص

استفاق "يونس" لذاته والذي تشدق بتذكر:
_أيوا صح.

قالها ثم نظر لـ "مكسيم" قائلاً:
_حسناً يا صغيري أكمل طعامك الآن، وحين تكبر سأشرح
لك كل شيء.

عاد "قاسم" وأطفاله إلى المنزل وارتموا بتعبٍ على
الأرائك، بينما "أهله" صرخت بهم قائلة:
_استنوا متتاموش هجيب حاجة من جوا وهاجي على طول.

هب "قاسم" من مكانه قائلاً:
_يلا كله يقوم يغير هدومه عشان نصلي القيام سوا.

أوما له جميع أولاده مُسرعين دون الاعتراض، فتلك هي
عادتهم الذي علمها لهم "قاسم" منذ الصغر، ارتدى "قاسم"
وغيث ومُغيث" بيجاماتهم التي أتت بها "أهله" خصيصاً
من أجل ليلة العيد، بينما "أهله" والفتيات ارتدوا الإسدالات
الخاصة بالصلاة، وبعد انتهائهم من الوضوء صلى بهم
"قاسم" كإمام.

حارة القناص

كان صوته خاشعًا يُجبرهم على الاستماع والخضوع للمولى عز وجل، لقد زرع بأفئدتهم حب الصلاة والقرآن، وكان هذا أفضل إنجاز قام بفعله، أنهى الركعتين وجلس للتشهد، فجاءت إليه صغيرته المُشاكسة "فيروزة" وقبّلت وجنته بمرح ثم ضحكت بخفة، وبعدها جلست على قدمه تعبت بأصابعه التي يضعها على قدمه، وتارةً أخرى تقف على قدمه لكن تلك المرة كادت أن تقع، فضمها "قاسم" مُسرعًا ل صدره قبل السقوط، وأكمل صلاته وهو يحملها.

انتهوا من الصلاة فدغدها "قاسم" بوجهه من رقبتها وهو يقول بمرح:

_مش هتسكتي يا بت أنتِ بقي.

تعالت ضحكات "فيروزة" بقوة أثناء مُحاولتها لإبعاده بكفه الصغير، فابتعد عنها "قاسم" وهو يضحك ثم أشار جهة "حوراء" وهو يقول:

_روحي اقعدي على رجل أختك لحد ما أشوف أمك بتهيب إيه في الحمام.

ذهبت "فيروزة" إلى شقيقتها تجلس على قدمها بسعادة، فمالت عليها "حوراء" تُداعبها بمرح مما يؤدي إلى ضحك

حارة القناص

"فيروزة"، وقف "قاسم" من مكانه وما كاد أن يخطي خطوة واحدة، حتى وجد "أهلة" تخرج من المرحاض وتُمسك بصحن صغير نسيبًا، قطب جبينه بتعجب ثم تسائل وهو يُشير لما تمسكه:

_إيه دا؟!!

أجابته "أهلة" مُبتسمة والتي بدلت ثيابها إلى أخرى جديد، والتي كانت عبارة عن تيشيرت بحمالات رفيعة وبنطالاً ضيق لركبتيها:

_دا ماسك العيد.

ضيق "قاسم" عيناه بريبة وهو يتسائل:

_ودا هتخطيه أنتِ لوحدك صح؟!!

أجابته نافية بقوة:

_لا، هنحطه أنا وأنتِ والعيال.

تشنج وجه "قاسم" والذي تحدث بسخط:

_أنا لا يمكن أحط القرف دا.

حارة القناس

بعد خمس دقائق..

هتفت "أهلة" بضيق وهي تُعدّل من وجه "قاسم":
_يا "قاسم" اثبت بقى مش عارفة أحطك الماسك.

نفخ "قاسم" بضيق وهو يصرخ بها:
_يا ستي متجيش ناحية وشي يا ستي متعصبنيش.

أومات له "أهلة" قائلة بمُجّارة:
_حاضر أنا أسفة اثبت بقى.

نظر "قاسم" لليمين حيث أولاده فوجدهم مُنشغلين بوضع
الماسك لبعضهم البعض، فاستغل هو هذا وأحاط بخصر
"أهلة" يُقربها منه، ثم تشدق بعبث:

_مش هتقوليلي برضه سر حلاوة عينيك إيه؟!!!

غمزته "أهلة" بعبث مُشابه له وهي تقول:
_لما تقولي سر حلاوتك أنت يا جميل.

ضحك "قاسم" بخفة قبل أن يحك أنفه المُلطخ بالماسك من أنفها المُلطخ كذلك، وبعدها تشدق بعد أن تنهد بقوة:

__السر إن مصدر الحلو في حياتي.

__«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولو كره الكافرون، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أنصار سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا».

كانت تلك تكبيرات العيد التي صدحت عاليًا في جميع المساجد والجميع يُردد خلفها بتهليل وفرحة واضحة، كان الرجال يأخذون الصبية، والفتيات معهن الصغيرات، وبعد أن انتهوا من التكبير والصلاة عادوا إلى منازلهم، لكن لن يعودوا بسهولة هكذا، بل سيعودوا للذبح!!

حارة القناص

تجمعت جميع الفتيات أمام المنزل ينتظرون بكل حماس الشباب الذين دلفوا للمنزل لتبديل ثيابهم، وبعد عدة دقائق خرجوا وهم يرتدون جلابيب بيضاء!!

ضحكت "لوسيندا" بصخب وهي ترى "چون" يرتدي ثياب الذبح، ورغم أنه كان وسيماً إلا أن مظهره كان مُضحكاً كثيراً، بدأ الرجال بإحاطة العجل الضخم معاً يُحاولون تصفيده، لكن "يحيى ورائد" وقفا بعيداً خوفاً من بطش الثور!

طالعهما "قاسم" باشمئزاز لكنه ركز على الذبيحة أكثر، فقام هو و"ألبرت" بالهجوم عليها معاً، بينما "فور وجون وسيف" كبلوه من رأسه، لكن ولسوء حظهم أفلتوا زمام الأمور وهاج الثور بغضب وهرول منهم بعيداً!

علت صرخات "يحيى" بولولة وهو يُهرول بكل قوته عندما رأى الثور يركض خلفه بغضب:

يااللهـوي إالحقونـي يا بشر عندي عيال عايز أربيهم.

حارة القناص

كان "آسر" يتابع أبيه الذي يهرول فارتفع صوته مُشجعًا
إياه:

__ يعيش بابا يعيش، قطعه يا بابا.

وبالمقابل صرخ "يحيى" بدوره:

__ اسكتت يابن الهبلة اسكتت، هتتيم بدري
يالهُوي.

توقف مُتهدأ براحة بعد أن صعد الدرج ودخل إلى أحد
المنازل الغير معروفة، وبحسرة تتم مع ذاته:

__ يا ربي أعمل إيه في المصايب اللي بتتحدف عليا دي؟!!!

وبالخارج، على صوت "رائد" قائلاً بصراخ:

__ ولا يا "آلبرت" إلحق مراتك يلا، دي لابسة أحمر.

انقبض فؤاد "آلبرت" بهلع فنظر لـ "سيف" الذي كان
يُجاوره يسأله بخوف:

__ ودا معناه إيه؟!!

أجابه "سيف" ساخرًا:

_نقطة ضعف التيران اللون الأحمر، وأنت ما شاء الله مراتك
متتوصاش.

لم يسمع "ألبرت" بقية حديثه، بل هرول بكل قوته نحو
زوجته الحمقاء التي لا تنتبه لشيء، ثم التقطها بين ذراعيه
ودخل إلى أحد الأركان، لقد كادت أن تطير بضعة مترات
كثيرة إن بقيت لثوانٍ أخرى، طالع "ألبرت" زوجته بسخط
ثم صرخ بها غاضبًا:

_أمعتوهة أنتِ أم ماذا؟!!!

كانت "مهرايل" هائمة به ولم تستمع لتوبيخه، بل أردفت
بكل حماقة:

_ابقى فكرني أجيبك جلابية بيضة عشان شكاك حلو بيها
أوي.

تشنج وجه "ألبرت" بسخط، ثم دفعها للداخل ثم خرج
للرجال مرة أخرى وهو يهمس بغیظ:

_جرؤ أحمق، مُغفل، وعديم الأدب.

حارة القناص

مرت دقائق أخرى حتى تمكن الرجال أخيرًا من السيطرة على الثور، وبعدها قام "قاسم" بذبحه وسط سعادة وتهليل من الجميع، اليوم أكثر من مُميز لاجتماع العائلة، ومرح الأطفال، وسعادة الرجال والنساء.

انتهوا من مراسم الذبح ودفنوا للداخل، وهُنا بدأ موسم آخر، حيث بدأ كل طفل بطلب العيضية الخاصة به، أعطى "صهيب" كل طفل 20 جنيهاً كما قال، لكن تلك السليلة "سما" اعترضت وبقوة، فاضطر آسفًا لإعطائها 50 جنيهاً، وفي نهاية المطاف صرخت قائلة بحنق:

_ على فكرة يا عمو أنت بخيل.

قالتها ثم هرولت من أمامه غاضبة تاركة إياه يصرخ:

_ خُدي يا بت هو مين دا اللي بخيل؟! دا فيه يجي عشرين عيل هنا يا ولية يا صغيرة أنتِ.

قهقهت "حبيبة" بصخبٍ ثم جذبت زوجها مُجددًا ليجلس جانبها، فاستدار لها يقول بعدم تصديق:

_ البت دي مش معقولة، دي هي اللي بتحاسبني!!

حارة القناص

ربتت "حبيبة" على كتفه ضاحكة:

_معلش يا حبيبي أنت الكبير خلاص بقي.

بينما "قاسم" وزّع عيديته على الأطفال وأعطى كل منهم
عشرون هو الآخر، خرجت "أهلة" من المطبخ ووضعت
أمامهم صينية الكحك والبسكويت، فبدأ الجميع بتناوله، نظر
"قاسم" لها بمشاكسة فغمزها قائلاً:

_هُما مش دبحوا الجمال الصُبح ولا إيه؟!!!

كتمت "أهلة" ضحكاتنا بخجل، فاستغل "قاسم" انشغال
الجميع عنهم ثم سحبها بعيداً، لكن "غيث" مازال موجوداً
في الحُلبَة، والذي بدوره غمز لـ "أولغا" وهو يقول بعث:

_مهما تلف وتدور مسيرك هتحن يا بيتيفور.

وعلى الجانب الآخر شهقت "أهلة" بهلع من جذبه لها، ثم
تسائلت بريية:

_في إيه يا "قاسم"؟!!

رد عليها وهو يستند بجبينه على خاصتها:

_فيه إني بحبك قلب وروح "قاسم".

هدأ فؤاد "أهله" قليلاً وطالعه بابتسامة عاشقة، بينما هو
أكمل بصوتٍ مُنْهَكٍ مُعْبِقٍ بالمشاعر:
_ أنا وقعت جريح على حد سيوف عيونك وملقتش اللي
ينقذني.

أحاطت "أهله" وجهه بكفيها، ثم همست بنبرة مُتِيمة:
_ أنت عوض ربنا ليا بعد سنين عذاب كثيرة، بحبك ولو
الحب كلمة قُليلة فأنا بقيت معتبراك روعي وكل حياتي.

كان فؤاده يقرع بعنف بين جنبات صدره، يشعر به يُريد أن
يخرج ليحتضن خاصتها، لكن تلك الضلوع تمنعه من حلمه،
ارتفع برأسه قليلاً ثم قبّل جبينها، وبعدها همس بصوتٍ
عاشقٍ:

_ إن كان الفؤاد يُرى؛ لرأيت في فؤادي عالماً بأكمله لكِ،
وإن كانت الروح تتبادل؛ لاستقرت روعي بداخلك وتشبثت
قاسمة على عدم الرحيل.

(تمت بحمد الله)

(حارة القناص)

• (حلقة خاصة 1).

• (حارة القناص).

• (ذرية صالحه).

بات الفؤاد بين أضلعي مُتيم،

فقد وقع بالعشق بعد أن هام.

جلس "قاسم" أمام أبنائه الستة وكُل واحدٍ منهم يحمل بين يديه مُصحفًا ومُرتصين حوله على شكل دائرة هو مركزها، وإن تسائلتم عن السبب، فسأخبركم بأن أبنائه الستة أقدموا على حفظ الجزء الأول من القرآن الكريم، وهو الآن مُنشغل في الاستماع إلى حفظهم وتأكده بنفسه!

كانت فرحته عارمة وفؤاده يتضخم ويطرق من السعادة، لقد حاول بقدر الإمكان أن يزرع بداخلهم حب الدين والقرآن الكريم، أخبرهم بأن المهرب والملاد الوحيد من العالم هو خالقهم، زرعت الصالحة قد نمت وحصدت بعد جهدٍ وعناءٍ كبير، وها قد نال مطلبه.

حاول السيطرة على الغصة التي تشكلت داخل حلقه عندما
أتم مهمته، لقد حفظوه بالفعل كما توقع! كانت طفلة
"حوراء" هي آخر مَنْ قامت بالتسميع، وبسعادة بالغة
سألته بحماس:

_ سَمَّعت حلو يا بابا؟! !!

ابتلع ريقه بصعوبة ثم ابتسم لها بحبٍ قبل أن يجذبها
لأحضانه ويُقبّل جانب وجهها بقوة، وبتأثر شديد أجابها:
_ فخور بيك أوي يا روح بابا.

اتسعت ابتسامه "حوراء" بقوة، فرفعت ذراعيها وأحاطت
بعنقه ثم ضمته هي الأخرى قائلة:
_ بحبك أوي يا "قاسومتي".

ضحك "قاسم" بخفة وهو يُبعدها، ثم تحدث بنبرة مُشاكسة:
_ أمك لو سمعتك هتبيتنا برا أنا وأنتِ.

ردت عليه بعنادٍ مُشابه لعناد والدتها:
_ ومالو ميضرش، وبعدين أنت أبويا أنا وهي مراتك بس.

قهقهه "قاسم" بصخبٍ أثناء إبعاده لها عن أحضانه، ثم اعتدل في جلسته ومد يده للإمساك بمحفظته الجلدية السوداء، وبعدها أخرج ورقة بفئة المئتي جنيهاً وأعطاهها لصغيرته بعد أن قبّل جبينها مرة أخرى بحب وتشدق:

_ وعدتكم إن لو كل واحد فيكم حفظ جزء كامل من القرآن هكافئه بـ 200 جنية، وأنا بوفي بو عدي.

اتسعت ابتسامه "حوراء" بسعادة ثم انتشلت من النقود صارخة بحماس:

_ الله كدا هغيظ "آلاء" بنت عمو "يحيى".

صعدت ضحكة خافتة من فاه "قاسم" الذي هز رأسه بيأس، وبعدها استدار لـ "معاذ" وأعطاه النقود هو الآخر، انتشل "معاذ" المال من بين يديه بسعادة، ف جذب به "قاسم" لأحضانه هو الآخر وأردف بفخر أبوي حنون:

_ ألف مبروك يا بطل، عقبال ما تختم القرآن كله، وقتها هديتك مش هتكون فلوس بس.

كان "معاذ" يُبادلله العناق بتأثر، لكن ما إن استمع لحديثه، حتى خرج من أحضانه مُتسائلاً بحنان:

_ هتجيبلي إيه يا عمو؟!_

ورغم ضيق "قاسم" من مُناداته له بـ«عمي»، إلا أنه لم يُريد إظهار ذلك للصغير حتى لا يحزن، وبمشاكسة رد عليه بشغب:

_ حاجة أنت نفسك فيها أوي وبتحبها أوي أوي.

احتلت الحيرة وجه الصغار جميعًا خاصةً "معاذ" الذي انكمش وجهه بتفكير، وثوانٍ وكانت عيناه تتسعان بصدمة وهو يصرخ بصدمة:

_ هتجيبلي عربية؟!!!_

قهقهه "قاسم" بصخبٍ على ردة فعله المُتحمسة، ثم أوماً له بالإيجاب، فرغ "معاذ" فاهه بعدم تصديق، وبشكرٍ جاء على هيئة عناقٍ قوي تشدق بسعادة غريبة:

_ شكرًا، أنا بحبك أوي أوي.

ضمه "قاسم" إلى صدره بحبٍ وهو يهمس له:

_ وأنا كمان بحبك أوي أوي أوي.

حارة القناص

ابتعد عنه بعد أن طبع قُبلة صغيرة على وجنته، ثم مد يده
والتقط ورقة ثالثة من فئة المئتي جنيهاً وأعطاهَا لـ "غيث"
الذي صاح بحماس:

__ أنت تاخذ عيني يا "قاسومة" والله.

التوى تُغر "قاسم" بسخرية وهو يرد عليه بقوله:

__ "قاسومة"! تصدق يا ض إنك متربتش!

رفع له "غيث" أنظاره فوجد وجه أبيه مُتشنج، ليُحاول
الدفاع عن نفسه بقوله الساذج:

__ لأ يا بابا دا "مُغيث" هو اللي مترباش أنا في السليم.

وقبل أن يُجيبه "قاسم"، صعد صوت "مُغيث" الحائق قائلاً
بسوقية:

__ اتلم يالا بدل ما أزعلك، و"مُغيث طاحون" لما يزعل الدنيا
بتولع.

طالعه "غيث" بسخرية ثم أردف هازئاً:

__ لو أنت "مُغيث طاحون" فأنا كمان "غيث طاحون"، يعني
لدغتي والقبر.

صعد صوت ساخر من فم "مُغيث" الذي تشدق بخبث:
_مفيش أفعى بتلدغ أفعى يا زميلي.

هدأ الوضع بين اثناهما قليلاً خاصةً بعد حديث "مُغيث"
المُطرز بالخبث، ليغمز له "غيث" قاسومة بمكرٍ مُماثل
للآخر:

_معاك حق يا شقيق.

كان "قاسم" يُتابع ولديه مُفرغاً فاهه بصدمة، من أين
تعلموا تلك الكلمات؟! ومنذ متى والخبث ينطوي بين
أحاديثهم؟! ابتلع "قاسم" ريقه بصعوبة وهو يهمس
بصدمة:

_يا مصيبتك السوداء يا "قاسم"؟! ولادك الاتنين نسخة
منك!!

صمت "قليلاً" يستوعب معنى حديثه، لكن اتسعت حدقاته
بصدمة أكبر عندما توصل إلى فادحة أقبح، ألا وهي أن
"حوراء" هكذا هي الأخرى! فشخصيتها تجمع بين كيد
والدها ودهائه وقوة والدتها وعصبيتها! ما تلك الكارثة التي
حلت فوق رأسه؟! ماذا سيفعل إذاً في شبابهم إن كانت تلك
الصفات مُترسخة جينياً في دواخلهم!.

خرج "قاسم" من صومعة أفكاره ناظرًا لطفليه بقلّة حيلة
داعيًا من داخله أن يهديهما الله، مدّ يده للمال ثم أعطى منّي
جُنِيهَا لـ "مُغِيث"، تبعه قوله الناطق بفخر:

_ خُد يا حبيبي فلوسك واتلم أنت وهو بقى بدل ما أطفش
منكم.

أخذ منه "مُغِيث" المال ناطقًا:

_ ثانكيو يا دادى.

نكزه "غِيث" في جانبه وهو يقول بصوتٍ خشن:

_ اسمها بابا أو أبا يالا، انشف شوية كدا.

انطلقت ضحكات "قاسم" عاليًا خاصةً مع حنق "مُغِيث" من
شقيقه ونظراته الحارقة التي كان يرميها إليه، ثم انتشل
ورقة أخرى من النقود وأعطاهَا لـ "سما" والتي راعاها منذ
صغرها واعتبرها من أطفاله دون أن يُفرّق بينها هي
وأولاده، أخذت "سما" النقود منه ثم شكرته بابتسامة
هادئة:

_ شكرًا يا عمو.

ظنت أن الأمر سينتهي لهذا، لكنها شهقت بخضة عندما وجدت "قاسم" يجذبها لأحضانه ثم قبل وجنتها بحبٍ شديد وحاصرها بين ذراعيه قائلاً:
حبيبة قلبي ربنا يحفظك.

لفت "سما" ذراعيها حول عنقه تُحاول السيطرة على تلك الغصة التي تحكمت بحلقها، فبالرغم من كونها صغيرة لكن عقلها كبير للغاية عكس عمرها القليل، وهذا ما يُرهقها ويُرهق طفولتها، أبعدها "قاسم" عن أحضانه واضعاً إياها على قدمه، ثم لف يده حول خصرها وهو يسألها بحنان أثناء مُدابة يده الأخرى لخصلاتها:

ممكن أعرف سمسة حبيبة قلبي زعلانة ليه؟!!!

أخفضت "سما" رأسها للأسفل بحزن وكُلٍ من "معاذ وغيث ومُغيث" يُطالعانها بقلق وخوفٍ على شقيقتهما، لترد عليه بنبرة خافتة:

مفيش حاجة يا عمو.

لم يُرد "قاسم" تركها حزينة، لم يعتاد أن يجعل أحد من صغاره ينام وقلبه مفتور، لذلك أصرَّ عليها بقوله:

_مش أنا أبوك؟! وأنتِ بنتي?!!! يبقى لما أسألك زعلانة ليه تجاوبيني من غير ما تخبي.

شبَّكت "سما" كفيها معًا وأجابته بنبرة باكية عكست الألم الذي يقبع بين أضلعها:

_كنت عايزة يكون بابا وماما الحقيقيين عايشين، أنا والله عارفة إنك بتحبني وأنا كمان بحبك أوي، بس صحابي بيتريقوا عليا في المدرسة وبيقولولي إن حضرتك مش بابا الحقيقي.

اشتعلت النيران بفؤاد "قاسم" عقب اعترافها لسبب حزنها، صغيرته تُعاني من تنمر الكلمات كما كان يحدث معه سابقًا، حاول أن يضبط أنفاسه بصعوبة شديدة، وبثباتٍ يُحسد عليه تسائل:

_صحابك مين دول؟!!

ردت عليه "سما" ورأسها مازال مُنكثًا للأسفل:

_في الفصل، أنا مش عارفة اسمهم.

حارة القناص

وتلك المرة أتاها الرد، لكن لم يكن من "قاسم"، بل من "معاذ" الذي تشنج جسده بغضب وتحدث بعصبية:

ـ وأنتِ مقولتليش ليه إن في حد بيتريق عليكِ وأنا هجيبلكِ
حقك؟!!!

رفعت "سما" أنظارها الدامعة إلى أخيها وفتحت فاهها
للتحدث، لكن غلبتها روحها المُنهمرة وانفجرت في البكاء!!

ازدادت عصبية "معاذ" أكثر وظهر الغضب جلياً على
قسمات وجهه المُتشنجة، فيما أحاط "قاسم" بـ "سما"
ودفنها بين أحضانها أثناء تسديده لنظراته المُحذرة نحو
"معاذ" ليكف عن الحديث، انحنى "قاسم" على طفلة وقبّل
رأسها بحنان وما زال ذراعيه يُشدّان من ضمها ليبث لها
شعور الاطمئنان أكثر، وهي كانت تتمسك في ثيابه بكفيها
الصغيرين بقوة، لقد شهدت تمرّاً كبيراً أثر في شخصيتها
المرحة والقوية، لتُصبح فيما بعد فتاة هادئة تتلاشى
الحديث!

كاد "معاذ" أن يتجه إليها لكن أوقفته يد "مُغيث" والذي
مال عليه مُتحدثاً بصوتٍ هاديء:

ـ اسكت أنتِ دلوقتي واستنى، بابا هيتصرف متقلقش.

قال "مُغيث" جُمئته ثم اقترب من والده وجلس بجانبه،
وبعدها استند على ركبتيه واقترب من "سما" مُقبلاً
خصلاتها بحنان مثلما فعل والده منذ قليل، وأتبع فعلته
بحديثه الحنون الهاديء:

_متز عليش يا سمسة وملكيش دعوة بكلام حد، أنتِ عارفة
إنك أختنا وإحنا بنحبك، بابا وماما هما بباك ومامتك، كُننا
عيلة واحدة وأنتِ من ضمن عيلتنا.

رفعت "سما" أنظارها الدامعة إليه تُطالعه بحزن، لتقول
ببعضٍ من التردد:
_بس.. بس صحابي..

لم تكذ أن تُكمل حديثها حتى قاطعها صوت "معاذ" بقوله
المتعصب:

_صحابك مين دول؟! وطالما حد بيضايقك ليه مقولتيش أنا
عايزة أفهم!!

_ "مُعاذ"!!

ناداه بها "قاسم" بتحذيرٍ يحمل الحدة، ثم تابع ندائه بقوله
الصارم:

لما أكون قاعد قدامك يبقى مش من حقك ترفع صوتك على
أختك.

ابتلع "معاذ" بقية حديثه ونظر للأسفل بوجهٍ واجم دون أن
يضيف كلمة واحدة أخرى، ناهيك عن كفه الذي تشكل على
هيئة قبضة مُستديرة لكتف غضبه وعصبيته التي لا تُلائم
سنه بتاتاً!

حاول "قاسم" السيطرة على انفعالات جسده والتحكم بغضبه
عما ترويه صغيرته التي تُعاني دون علمٍ منه، وبصوتٍ
هاديء بعيد كُلياً عن العاصفة المُشتعلة داخله تحدث قائلاً:

اسمعي يا "سما" الكلام اللي هقولهولك كويس، كون إن
أنا و"أهلة" مش إحنا اللي خلفناك يبقى أنتِ مش بنتنا، لأ،
الأب والأم هما اللي بيربوا مش اللي بيخلفوا بس، وإحنا
اتكفلنا بتربيتك أنتِ وأخوك من أول يوم جيتوا فيه للدنيا، لا
في يوم زهقنا ولا في يوم ملينا، عمرنا ما قصرنا في تربيتك
أنتِ و"معاذ" ولا فرقنا بينك وبين "حوراء وفيروسة"، كلكم

حارة القناص

ولادي، وكلكم أنا اللي مربيكم، وكلكم عندي واحد ومفيش حد أحسن من الثاني، ربيتم أحسن تربية واللي ناقصكم بيجي ليكم في نفس اليوم من غير تأخير، لا حرمتك من حنان ولا عاملتك بأسلوب يخليك تحسي إنك يتيمة أب وأم، سواء أنت أو أخوك.

صمت قليلاً يُراقب ردة فعلها، فوجد ملامح وجهها بدأت تلين تدريجياً وتعود إلى طبيعتها، ليستطرد حديثه بقوله:

انتوا لما كبرتوا شوية عرفتم الحقيقة وإن انتوا ولاد "أنس وريماس الأرماني"، وأنت عنيدة وللأسف تفكيرك أكبر من سنك ومسكتيش غير لما فهمتي معنى كلامي بالكامل إيه، وبعدها اختارتي تناديلي عمي! ورغم إن اتضايقت وقتها سيبتك على راحتك عشان مغبكيش على حاجة، لكن دلوقتي هغصبك يا "سما"، وبمناسبة إن أنا أبوك وأنا اللي مربيك وأنت بنتي، فأنت وأخوك ملزومة إنكم تتادولي بابا و"أهلة" ماما، لأن دي الحقيقة اللي عمرها ما هتتغير.

رفعت "سما" نظراتها المترددة تجاه "قاسم" علها تلتمس منه الصدق، وقد كان! فمعالمه كانت حازمة يُسيطر عليها الصرامة والإصرار، وكأنه فقط يُخبرها ما عليها فعله وليس لأخذ رأيها!

فتحت فاهها للتحدث، لكن قاطعها "قاسم" بهبوطه لمستواها، وطَبَعَ قُبلة حنونة استقرت على خدها الأيمن، وأتبع فعلته بقوله الحنون الهاديء:

__ أنا مش عايز عقلك يفكّر فوق طاقتة، أنتِ طفلة لسه، يعني متفكريش في أي كلام سلبي اتقال ليك، لكن اللي عايزك تفكري فيه وتعرفيه دايمًا إن إحنا أهلك.

استقر الهدوء والسكينة داخل فؤاد الصغيرة، وكان قلبها ثار لحاجته للإطمئنان، أراد أن يستمع إلى ما يُخمد ثورته الهائجة ويبدد من حُزنه، وللحقيقة "قاسم" لم يُقصر!

اقتربت "حوراء" بدورها من "سما"، وأمسكت بكفها الصغير المُستقر على قدمها، ثم تشدقت بحنو اكتسبته من حنان والدها:

__ متزعليش يا "سمسة"، أنتِ عارفة إن إحنا بنحبك صح؟!

أومأت لها "سما" بالإيجاب دون لحظة تردد واحدة، فتدخل "غيث" بقوله الداعم والواثق:

حارة القناص

طالما عارفة إن إحنا بنحبك فملوش داعي الزعل دا كله،
وحقك هيرجع.

قال الأخيرة بثقة امتزجت بالتهديد الخفي والذي زرع نبتة
القلق داخل فؤاد "قاسم" من نبرته المائلة للعدوانية، وما
زاد الطين بلة هو موافقة "مُغيث" له ودعمه لحديثه بقوله
الخبيث:

__بالظبط كدا، حقك هيرجع.

فشاركهم "معاذ" القول بعد أن خمد غضبه قليلاً:
__ويا ويل اللي لينا حق عنده.

لطم "قاسم" على صدره وعيناه مُنفتحتان بصدمة ظهرت
جليّة على محياه، فصاح بهم بصراخٍ بعد أن أجلس "سما"
أرضاً:

__ولا أنت وهو انتوا بتقولوا إيه؟!!

طالعه أبناءه الصبية ببراءة مُزيفة لم تُزيد إلا من خوفه،
فاستطرد حديثه وهو يقول بتحذير:

حارة القناص

_ قسماً بالله لو ما اتلميتوا أنا هيكون ليا حساب عسير
معاكم.

وبخفة دم غير متوقعة تشدق "غيث" مُمازحاً:
_ عسير ولا لبن هقهقهق.

تجمد وجه "قاسم" بتشنج من دُعابته المنحطة، هاتفاً
باشمنزاز:

_ مش ناقصة خفة دم أهلك دلوقتي، واللي بقوله يتنفذ.

ادّعى الصغار الخضوع وأوما ثلاثهم بصمت لم يقتنع به
أبيهم ولو بنسبة واحد بالمئة، ولأسفه الشديد انشغل بتحذير
الصبية ونسى المصيبة الأكبر، ألا وهي "حوراء، والتي لن
تصمت عن حق شقيقتها بالطبع!

في تلك الأثناء فُتح باب المنزل لتدلف منه "أهلة" وعلى
ذراعها تحمل صغيرتها "فيروزة"، والتي ما إن لمحت
"قاسم" حتى هبطت من على ذراع والدتها وهرولت إليه
وهي تهتف بطفولية سعيدة:

_ بابا!

لان وجه "قاسم" من وجومه وارتسمت ابتسامة واسعة على شفثيه فرحًا بالصغيرة، فتح ذراعيه لها ثم التقطها بين أحضانه، وقبّل وجنتها المنتفخة بقوة أثناء قوله المُشتاق:

_"فيروزتي"! وحشتيني أوي أوي أوي أوي.

قهقهت الصغيرة بعلو خاصةً عندما هبط "قاسم" بوجهه على معدتها يُدغدغها بمرح، لتُحاول هي دفعه بكفيها الصغيران حتى تستطيع التقاط أنفاسها الهاربة من كثرة الضحك.

وأخيرًا قرر "قاسم" الرأفة بها والابتعاد عنها، ثم أعدل جلوسها على قدمه، ونظر لـ "أهلة" التي جلست بجانبه هي والأطفال على الأرض الصلبة، وكان ليس لديهم أرائك او ما شابه، ثم تسائل بهدوء:

__ها عملتي إيه؟!

مدت "أهلة" أصابعها لفك حجابها ثم وضعتة جانبًا، تزامنًا مع حديثها الهاديء الذي تشدقت به قبل أن تهبط على وجنة "مُغيث" الذي كان يُجاورها لتقبيله:

حارة القناص

_كله تمام، وزعت الزكاة والتبرعات على الناس اللي تستاهلها، وخذت "يمنى" معايا عشان مروحش لوحدى.

استحسن "قاسم" فعلتها، فابتسم بهدوء ثم رفع ذراعه لجذبها ل صدره أثناء قوله المُمْتَن:

_حقك عليا تعبتك النهاردة، بس أنتِ عارفة إني جاي من الشغل تعبان.

عاتبته "أهله" برقة والتي ارتفعت بجسدها قليلاً لطبع فُبله صغيرة على ذقنه النامية:

_وأنا وأنت إيه يا "قاسم"؟! متقولش كدا تاني بقى عشان مزعلش منك.

ابتسم بخفة قبل أن يميل عليها ويُقبل خصلاتها، اعتدلت "أهله" في جلستها ثم نظرت إلى أطفالها وهي تتسائل بحذر:

_مالكم بقى! القاعدة دي مش مريحاني.

كاد "قاسم" أن ينفي حديثها حتى لا تتصاعد المشكلة أكثر وأكثر ويشتد العراك، لكن ذلك الغبي "غيث" سبقه وقام

بقص كل شيء لوالدته دُفعةً واحدة، دون حتى أن يغفل عن
تفصيلاً واحدة!

وبعد انتهاء "غيث" من الحديث، سخر "قاسم" بقوله
الحادق:

_ نسيت تقولها إن أنا شربت مائة في وسط الكلام.

ضرب "غيث" على رأسه بتذكر، ثم تشدق مُؤكدًا:
_ أيوا صح! وبابا شرب مائة يا أمي.

عمّ الصمت بعدها ولم تتحدث "أهلة" ولو بكلمة واحدة، بل
وكان حالة من التصنم تلبستها، أغمض "قاسم" عيناه يائسًا
وهو يهز رأسه بسخط بعد أن تأكد أن الأمر لن يمر مرور
الكرام، بل أن زوجته الهادئة ستشعل العالم إن لزم الأمر
لجلب حق ابنتها.

تخلت "أهلة" عن هدونها ثم استدارت بعينيها تجاه كُلاً من
"سما ومعاذ"، وبدون أن تتحدث اقتربت منهما وأدخلتهما
داخل أحضانه وهي تُشد من عناقهما، ارتسمت ابتسامة
هادئة على ثغر الجميع من كم الحب الذي يُحيط بالعائلة،
وبصوتٍ حنون أردفت به "أهلة" بعد تقبيلهم:

طبعًا الكلام دا مش هياثر عليكم، انتوا ولادي وأول فرحتي، حتى لو مكنتوش من دمي، فأنا اللي رببتكم.

تسلل الاطمئنان إلى فؤادِ الطفلين، فبادلا والدتهما العناق بنفسٍ راضية ونسيمٍ مطمئن، وبعدها ابتعدت عنهما ثم ضمت أطفالها الثلاثة الآخرون بنفسِ الشغف، استمعت بعدها إلى زمجرة غاضبة، فنظرت خلفها حيث مصدر الصوت لترى ماهيته، وجدت "فيروزة" تُطالعها بأعين غاضبة ووجهٍ واجم، لتصعد ضحكات "قاسم" عاليًا وكذلك الجميع، فانتشلتها "أهلة" من على قدم أبيها وقبلتها بقوة كما فعلت مع أشقائها منذ قليل.

رأى "قاسم" حالة الحُزن المُسيطرة على وجه صغيرته رغم المرح السائد في الأجواء، لذلك هبَّ من مكانه فجأةً مُعدلاً ثيابه، ثم أردف بنبرة يشوبها المشاكسة والمرح:

حيث كدا بقى، أنا قررت أخذت بناتي الجميلات ونخرج نتفصح شوية.

ابتسمت "أهلة" بحنوٍ لعلمها بأسباب فعلته تلك، ثم تشدقت هي الأخرى وهي تضم أطفالها الصبية إليها:

حارة القناص

_وأنا جايبة لب وفشار وبيبسي وشيبسي وهنقعد ناكلهم
وإحنا بنتفرج على كرتون سندريلي.

هلل جميع الصغار بسعادة وفرحة عارمة، بينما "قاسم"
نظر لـ "أهلة" بامتنان لمساعدته في إرضاء الأطفال، فأخذه
للسنة أطفال معه للتنزه سيكون مجهودًا عظيمًا بالنسبة له،
استغل انشغال أطفاله، ثم اقترب منها هويديًا وعانقها برقة
هامسًا بعشيق:

_بحبك يا "هولا".

حاوطته "أهلة" هي الأخرى والتي أردفت بمشاعر جياشة:
_و"هولا" بتحبك يا قلب "هولا".

ابتعد عنها "قاسم" بعد أن شعر بفتياته يجذبونه للخروج،
فأخذهم ثم هرول معهم إلى خارج المنزل، بينما "أهلة"
استدارت للصبية بعد مغادرة زوجها مع الفتيات، ثم صفقت
بكلتا يديها بحماسٍ وهي تتسائل باقتراح:

_نتفرج على كرتون ولا فيلم رعب!؟

حارة القناص

تملك الحماس من الصغار وهم يفتحون أعينهم الصغيرة
على آخرهما، لكن قطع حماسهم صوت "مُغيث" المُعترض
بقوله:

__ لأ.. رعب لأ.

طالعه "أهله" بابتسامة مكتومة لعلمها بخوفه من تلك
المشاهد التي تبث الرعب لفؤاده، لكنها ورغم ذلك تسائلت
بجهل مصطنع:

__ ليه يا "مُغيث"؟! دا حتى الأفلام الرعب جميلة.

ابتلع "مُغيث" ريقه بالشجاعة الواهية، ثم تشدق بصوتٍ
مُتحليًا بالثبات:

__ هي آه جميلة بس حاسس إن المود بتاعي مش مضبوط
دلوقتي.

قهقهت "أهله" عاليًا، فتشدقت وهي تتجهز لإعداد سهرتهم:
__ طيب هنشوف الحوار دا بعدين، يلا ساعدوني نجهز
الصالة للسهرة.

_يا دادي افهمني، إحنا كل اللي هنعمله هنخلي مامي خارجة من الحمام ونرش على وشها دقيق ونطقش بيضتين عشان المقلب يكون مضبوط.

هم "يحيى" أن يعترض على فكرة ابنته خوفًا من ردة فعل "يمنى" الغير مُتوقعة بالمرّة، لكن قاطعه حديث "أسر" والذي جعله يفتح عيناه على مصرعهما من شدة الصدمة:
_وندخلها الفرن بالمرّة تاخد وش تحمير بقى.

_والله ما فيه حمير غيرك أنت وأختك.

هتف "يحيى" تلك الكلمات ساخطًا أثناء مُطالعة لوجه طفليه بضجر، لكن تلك السلحفاة الصغيرة لم تصمت، بل تحدثت حانقة:

_يا بابي لو سمحت اسمع الكلام اللي بقولك عليه ومتعارضنيش.

لم يتحمل "يحيى" مُعاملتها المُتفهجة تلك، فرفع سبابته يُشير به أمام وجهها وهو يقول بتحذير:

أنتِ تتكلمي عدل يا بت أنتِ أحسنك، أنا مش شغال عن أمك.

أغمضت "آلاء" عيناها بهدوء، ثم سحبت نفساً مُتمهلاً من داخل رنتيها ببطي زافرة إياه على مهل، قبل أن تفتحهما مرة أخرى وهي ترسم ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تقول برقة:

لأ طبعاً يا بابي أنت حبيبي، أنا بس بحب أشاركك الحاجات اللي أنا بحبها.

قالت جُمَلتها الأخيرة وهي تُمسك كف يده بحب، استطاعت تلك الماكرة تبديد غضبه في ثوانٍ لا تُعد، ولا إرادياً ارتسمت ابتسامة صغيرة على نُغْر "يحيى"، وهو يقول قبل أن يهبط على وجنتيها ليُقبلها:

دا أنا عيوني للست "آلاء".

تهللت أسارير "آلاء" بسعادة عارمة، فاحتضنته وهي تضحك بصخب أثناء معانقتها له، اعترض "أسر" بقوله الحانق وهو يضرب قدمه على الأرض غاضباً:

طب ومش هنعطها في الفُرن؟!!

هز "يحيى" رأسه بالنفي وعقب بقوله:

لأ طبعًا كذا أمك هتموت، وإحنا مش عايزين نموتها، إحنا عايزين نجلطها بس.

استسلم "أسر" في نهاية المطاف رغم عدم رضاه الكامل، ثم بدأوا بتنفيذ خطتهم الدنيئة، "يمنى" تتحمم في المرحاض بعد يوم طويل مليء بالتعب، قررت أخذ حمام دافئ لإزالة إجهادها، وبعد أن انتهت لفت جسدها بمنشفة كبيرة غطتها بالكامل، ومنشفة صغيرة أخرى لفت بها خصلات رأسها المبتلة، ثم قررت الخروج لمصيرها!

وما إن خطت بإحدى قدميها للخارج، حتى وجدت طبق الدقيق يلتصق بوجهها! وصوت ضحكات زوجها وأطفالها يتصاعد في الأرجاء، ظلت ضحكاتهم مستمرة وانتظروا قليلًا ليروا ردة فعلها، لكن "يمنى" ظلت صامته وثابتة في مكانها مما أثار حفيظتهم، خفتت الضحكات تدريجيًا حتى انمحت تمامًا ونفس الحالة مُسيطرًا على الأجواء، وهي الصمت!

طالعتهم "يمنى" بأعين خالية تمامًا من المشاعر وهي مُلطخة بأكملها بذرات الدقيق المتناثرة، وبدون أن تُضيف

حارة القناص

كلمة واحدة، عادت مرة أخرى نحو المرحاض وأغلقت بابه بصمت دون أي ردة فعل تُذكر.

نظر ثلاثتهم لبعضهم البعض بصمتٍ مُريبٍ وهو اجس كل منهم بدأت بالتزايد، هل يُعقل بأنها حزنت منهم؟!!!

سؤال صغير خرج من أشخاص مُتجحة، وأول مَنْ شعر بالذنب هو "يحيى"، الذي نظر لأثرها بندم شديد لمجاراته لفكرة طفلته المعتوهة.

اتجه ثلاثتهم نحو الأريكة ليجلسوا عليها بهدوء في انتظار "يمنى" للخروج، مرت الثواني والدقائق وهم ينتظرونها على أحر من الجمر لمصالححتها على فعلتهم السخيفة، ولم يمر الكثير حتى خرجت أخيرًا بعد أن تحممت مرة أخرى، لم تُعطي لهم الفرصة للحديث، بل اتجهت نحو غرفتها مُسرعة وأغلقت بابها خلفها دون الاستماع إلى نداءهم.

نظر "يحيى" لأطفاله بحيرة، فاستمع إلى صوت "آلاء" والتي سألته ببراءة:

__ هي ماما زعلت مننا ولا إيه؟!!

حارة القناص

وضع "أسر" إصبعيه الإبهام والسبابة أسفل ذقنه دلالة على التفكير، ثم أجابها بعد عدة ثواني من الصمت:

_أنا بتوقع إن ماما قفوشة ومش بتستحمل الهزار.

أنهى جملته ثم نظر لوالده يسأله:

_صح ولا إيه يا بابا؟!

طالعه "يحيى" باشمئزاز، وبعدها حوّل نظره نحو تلك الأفعى الصغيرة وهو يقول بغیظ:

_كله منك يا وش المصايب أنت، أنا إيه اللي خلاني أسمع كلامك بس!

نفخت الصغيرة بضجر ثم تشدقت بحنق طفولي وغضب:

_وهو أنا عملت إيه يعني؟! دي مبقتش عيشة دي!

خطى "يحيى" تجاهها حتى وصل إليها، ثم انحنى بجذعه مُمسكاً إياها من ياقة ثيابها يهزها بسخط وهو يقول:

_مالها العيشة دي ياختي؟! أبقي راجل عرة لو سمعت كلامك تاني.

حارة القناص

قالها ثم ابتعد عنها تاركًا إياها تنظر له بسخط، لم يُبالي بها أو بغضبها، بل اتجه نحو باب الغرفة التي تحتجز بها "يمنى" ذاتها ثم طرق عليها بهدوء وهو يقول:

_"يمنى" حبيبتى افتحي، حَقِّك علينا والله مش قاصدين نزعكِ.

انتظر عَليها تُجيبه، لكن لم يأتيه سوى الصمت، كَوَّر قبضه ورفعها في نية لطرق الباب مرة أخرى، لكنه توقف عندما شعر بالباب يُفتح و"يمنى" تظهر من خلفه، تشكلت ابتسامة صغيرة على ثغره ثوانٍ ما انمحت عندما رآها ترتدي كامل ثيابها وكأنها مُستعدة للخروج!

نظر الصغيران لبعضهما البعض بريبة، بينما قطب "يحيى" جبينه بتعجب وهو يتسائل:

_"لابسة وراحة على فين يا "يمنى"؟!"

أجابته وهي تتخطاه بعدة خطوات:

_"راحة عند ماما."

هرع خلفها مُسرِعًا مُمسكًا إياها من ذراعها ليوقفها قبل أن يسأل بدهشة:

_ راحة عند ماما في الوقت دا؟!!

نفضت "يمنى" ذراعها عنه وهي تقول بغضب:

_ آه هروح وهسيبك الشقة أنت وولادك تعملوا فيها مقالب
زي ما انتوا عايزين، إحنا بقينا مش عايشين في بيت، إحنا
بقينا في سيرك.

دُهِش "يحيى" من غضبها والذي نادراً ما يظهر بتلك
الطريقة، فبرر بقوله الهاديء في محاولة لامتصاص
عاصفتها:

_ طيب خلاص إهدي أنتِ معاكِ حق، وإحنا أسفين يا ستي،
وبعدين أنتِ عارفة إن إحنا بنحبك وبنهزر معاكِ ومش
قاصدين نزعلك.

هزت "يمنى" رأسها بالنفي وداخلها إصراراً هائلاً لتعليمهم
درساً لن ينسوه طيلة حياتهم، فتشدقت بقسوة وهي تبتعد
للخارج:

_ لما تبقى تحترمني أنت وولادك هبقى أرجع.

قالت جُمَلتها ثم اتجهت نحو الخارج دون أن تنظر خلفها، لا
تريد أن تُضعِف من قوتها الواهية والرجوع عن قرارها، لقد

حارة القناص

يأست من مقابلهم ومزاحاتهم التي لا تنتهي، طيلة اليوم
تعمل كالآلة داخل المنزل، تُنظف هذا وذاك وهنا وهناك دون
التوقف، لذلك قررت حسم هذا الأمر عليها تريح ولو قليلاً.

بينما "يحيى" نظر لأثرها بندم، ثم استدار لأولاده ناظرًا
إليهم بسخط، قائلاً وهو يجز على أسنانه بغیظ:
_ أه يا ولاد الـ***.

كان الجميع نيام، والصمت يعم المكان، الهدوء والسكينة
يتغلغلان بين الأجواء، لكن الصخب موجود في ذلك المنزل،
وخصيصاً داخل غرفة "ألبرت ومهرائيل".

وقفت "مهرائيل" أعلى فراشها مُرتدية بيجامتها البيتية
الوردية، ترفع ذراعها للأعلى، والذراع الآخر تضعه موضع
قلبها بألم، بينما تُغني بصوتٍ أقل ما يُقال عنه بأنه بشع:

_ أنا شوفت كثير منك ياللي عليا استقويت،
وانت ما بطلتش توجعني يوم واستكفيت،

حارة القناص

بتتام إزاي وأنت يا ساتر مليون جبروت؟!
الله لا يسامحك على جرحك ولا كسرك ليا،
الصبر جميل..

وأهو بكرة تشوف ويجيلك يوم،
والوقت كفيـل..

هيجيب حقي دي دعوة مظلوم،
ودعيتها عليك..

من قلبي بقيت كارهاك بضمير!
داين فـتـدان..

أومال يعني انت مفكر ايه!
ودا درس زمان..

ضرب "آلبرت" باب الخزانة بغضب من بشاعة صوتها، ثم
استدار لها وهو يصرخ بغضب:

ـ اللعنة عليك "مهرايل" وعلى صوتك البشع هذا.

توقفت "مهرايل" عن الغناء مُحدجة إياه بنارية، ثم
صرخت به في المقابل:

حارة القناص

_ دلوقتي مبقتش عاجباك؟! ما أنت شوفتك شوفة بقي
ومبقتش مالية عينك، الله يرحم أيام ما كنت بتحفي ورايا
عشان بس أبصلك بصة واحدة.

التوى نُغر "ألبرت" بابتسامة ساخرة وهو يقول:

_ إن نسييتي فهذا ما كنتِ تفعليه أنتِ لا أنا.

كزت "مهرايل" على أسنانها بغيظ وقررت استكمال حفلة
حدادها على خيانة باكمالها الغناء:

_ متحاسبنيش.. على ذنب عملته إنت يا حبيبي
ومتلومنيش.. طول عمري بخاف إن أنا أجرح يوم
إحساسك.. متسبني أعيش.. أنا رافضة أرجعك بعد خيانتك
ليا مفيش.. عمري ما شكيت لو حتى ثواني في إخلصك.

يا ما قولت عليك!! إن إنت أناني مبتفكرش إلا في روحك..
بتقولي عايشلك وإنت عايش بس لروحك.. بتقولي عايشلك
وإنت عايش بس لروحك.

أنا شوفت عنيك.. وكمان بتكذب عيني وجاي تقول حكايات..
كل ما قربلك تبعدني عنك مسافات.. كل ما قربلك تبعدني
عنك مسافات.. منك لله!

حارة القناص

قاطعها "ألبرت" مرة أخرى عندما تقدم منها ووقف أمام الفراش، ثم رفع سبابته أمام وجهها وهو يتشدد باتهام:

__ لعلمك أنتِ هي المُخَطئة من الأساس!

قفزت "مهراييل" من على الفراش حتى توقفت أمامه مُباشرةً، وعاندته بقولها:

__ لأ أنا مش غلطانة، أنا مبعلطش أصلاً.

دفعها "ألبرت" للخلف بلامبالاة مما أدى إلى وقوعها على الفراش أثناء حديثه القاطن:

__ اغربي عن وجهي "مهراييل".

وكان شيء لم يحدث اعتدلت "مهراييل" مرة أخرى في وقفها، ثم صاحت به مُستكرة:

__ كلمني عربي زي ما بكلمك يا "ألبرت".

عدّل حديثه للعربية كما أرادت وأردف:

__ غوري من وشي يا "مهراييل".

حارة القناص

وبغباةٍ شديد تشدقت ببلاهة:

_ ارجع كلمني روسي تاني يا "ألبرت".

جذبها "ألبرت" من ثيابها أثناء صراخه المُغتاظ:

_ أشق هدومي منك ولا أعمل في أمك إيه؟!!

نفخت "مهرايل" ساخطة وهي تُجيبه بنبرة يشوبها الحزن:

_ ما هو أنا كل ما أطلب منك حاجة تقولي لأ ومبقتش طايقتي.

قطب "ألبرت" جبينه بتعجب ثم تركها وهو يتسائل بتعجب:

_ مبقتش طايقتك! أنتِ شايقة كدا يعني! دا أنا ناقص أقلبك
قرد عشان أرضيك أنتِ وولادك.

هزت "رأسها" نافية وقد بدأت العبرات تتجمع داخل
مقلتيها:

_ لأ يا "ألبرت" لأ، في حاجات معنوية أهم من الحاجات
الجسدية.

حارة القناص

رمش "ألبرت" بأهدابه عدة مراتٍ ببلاهةٍ أثناء مطالعته لها
بغباءٍ، وبعدم فهم تسائل:

_ أنتِ بتقولي إيه؟!!

طالعه بصمتٍ مُريبٍ، فتنهد الآخر بياسٍ قبل أن يقترب منها
ويُحيط وجهها بكتلتا كفيه قائلاً:

_ ما الذي أحزن جروي الصغير؟!!

نفت "مهرايل" برأسها مُجيبة إياه بلغته:

_ لا شيء "ألبرت"، انسى الأمر.

والآن تأكد من حزنها، فاقترب منها أكثر مُحيطاً إياها من
خصرها ليُعانقها، ثم تسائل بمشاكسة:

_ هل هذا الأحمق "فور" تناول طعامك مُجدداً؟!!

نفت، فتسائل مُجدداً:

_ هل أز عجبك "آندريه" ولم يُعطيك أمواله؟!!

ولثاني مرة تنفي بصمتٍ حزينٍ، فعاد ليسألها دون ملل:

حارة القناص

هل تجاهلتك "لوسيندا" واهتمت بـ"جون" أكثر منك؟!

والإجابة هي نفسها؛ النفي، فتشدد بعدم فهم:

إذا ما الذي يُزعج صغيرتي لتلك الدرجة؟!

عايزة أكل رنجة.

قطب "آلبرت" جبينه بقرف حاول إخفاؤه قائلاً:

أتقصدين تلك الأسماك العفنة؟!

أومات له بصمتٍ وهي تضربه بقبضتها على ظهره:

متقولش عليها معفنة، هي طعمها جميل بس أنت اللي نايتي.

ضحك بخفة وهو يضربها على رأسها من الخلف وهو يقول
بمزاح:

لسانك هذا "مهرايل" عليّ قطعه، يا فتاة أنتِ مُزعجة حقًا.

_"ألبرت" أنا حزينة منك، حزينة منك للغاية حتى أنني أشعر بفؤادي يبكي ألمًا.

قالتها "مهرايل" بنبرة مُتَحَشِّرْجَة أدت إلى ضرب فؤاد الآخر بألم موصولاً بها، أخرجها "ألبرت" من أحضانها ثم سألتها بتعجب:

_"حزينة مني أنا؟! لماذا؟!"

رفعت أنظارها الدامعة إليه وهي تقول:

_"أشعر بأنك لم تعد تحبني كسابقك، هل أزعجك أو مللت مني بسبب حماقتي؟! أرى.."

كانت بشرتها مُتَصَبِّغَة باللون الأحمر لكتمها بكائها أثناء الحديث، فقاطعها هو بإستتاده على جبينه وتقيله لوجنتها برقة شديدة، تزامنًا مع صوته الذي سعد ليعكس عشقًا مخفيًا خلف نزاعاته معها:

_"ششش كفى هراءً" مهرايل"، أنا لم ولن أمّل منك طيلة حياتي، أنتِ هي روعي، وأنا لا أستطيع العيش بدون روعي "مهرايل"."

حارة القناص

هبطت دمعة شاردة من إحدى عينيها أثناء سؤالها له:

__ هذا يعني بأنك لن تنظر لتلك الشقراء التي تعمل معك؟!!

كادت ابتسامة واسعة أن تتشكل على ثغره لكنه أخفاها بصعوبة، أسعيداً بحُزنها الذي ينتج عن غيرتها؟! نعم، أدموعها تُفرحه؟! لا وألف لا، فلا شيء يستطيع أسره سوى دموعها، ولا سلاح يستطيع تحريره سوى ضحكاتهما.

مسد على جانب وجهها باصبع إبهامه قائلاً بعشق:

__ أتعلمين "مهرائيل"؟! أنتِ سلاح ذو حدين، ولأول مرة بحياتي أعشق الأسلحة.

عارضته "مهرائيل" بقولها الساخط:

__ كُف عن اتهامي بأشياء لم أفعلها "ألبرت"، من الذي لا يعشق الأسلحة بربك؟!!

__ ضاعت الرومانسية.

قالها "ألبرت" بسخطٍ أثناء دفعه لها وهو يشعر بالضجر، بينما "مهرائيل" ابتسمت له بمشاكسة وها قد عادت لها

حارة القناص

حيويتها وروحها المرحة من جديد، بعد أن طمأنتها بحتمية وجوده معها، وهي كل ما تُريده هو الإطمئنان.

خطى "ألبرت" عدة خطوات نحو الباب تزامناً مع قوله الهاديء:

_ سأذهب للإطمئنان على الأطفال قبل النوم.

أومات له بابتسامة هادئة واستدارت لتعيد ترتيب الفراش الذي بعثرته، لكنها شعرت بقُبلة حنونة تُطبع على وجنتها برقة، وصعد بعدها صوت "ألبرت" المُحب:

_ لا تُفكري في أشياء تُحزنكِ جروي الصغير، فأنا أحبكِ.

ومثلما جاء بهدوء، ذهب أيضاً بهدوء تاركاً ابتسامة حالمة واسعة ترسم على ثغرها وهي تنظر لأثره بعشق.

استمعت "نبيلة" إلى صوت جرس الباب يعلو باستمرار دون التوقف، ذهبت مُسرعة تجاهه وهي تُتمتم بسخط:

_ طيب ياللي عالباب إحنا هنطير!!

فتحت الباب لتجد أمامها "يمنى" والتي هبت في وجهها
تتحدث بكل ما في جيبعتها:

_ ما هو أنتِ يا إما تشوفيلي حل في العيال وأبوهم، يا إما
هطفش وهسيبلكم البلد وهغور.

طالعتها "نبيلة" باشمنزاز بعد أن هدأت، ثم أردفت ساخطة:

_ هو أنا مش هخلص بقى؟! كل يومين والتاني تيجي
تصوتيلي من جوزك وولادك؟! ما أنا قولتلك بلاش الأهل دا
أنتِ اللي مسمعتيش كلامي.

أغلقت "يمنى" الباب خلفها ولحقت بوالدتها التي جلست
بترو على الأريكة، لتعرض على حديثها حانقة:
_ لو سمحتِ يا ماما متقوليش على "يحيى" أهل.

اغتازت "نبيلة" منها ومن موقفها وحديثها المتناقضان
تمامًا، ثم تشدقت قائلة:

_ طب أهل ها.. دا أهل وستين أهل، وبعدين أنتِ مستتية
من عياله يبقوا إيه؟! مكتشفين الذرة!؟!

حارة القناص

جعدت "يمنى" وجهها بضيق وهي تقول:

_لاحظي إنك بتتكلمي على عيالي أنا كمان يا ماما.

أشاحت "نبيلة" بيدها أمام وجهها وهي تهم بالوقوف:

_ياختي وكسة عليكِ وعلى عيالك، دا أنا اللي شوية وهطفش من البيت بسببكم.

قالتها ثم اتجهت نحو المطبخ لتعد لها وجبة العشاء، فعلى الرغم من حنقها من طفوليتها هي وزوجها، إلا أنها تحبهم وتحب مشاكساتهم في النهاية، وقفت "يمنى" من مضجعتها بعد أن قامت بفك حجابها، ثم تشدقت قائلة:

_متجهزيش أكل يا ماما أنا داخلة أنام.

ردت عليها "نبيلة" بلامبالاة:

_أنا أصلاً مش باخد رأيك.

دلفت "يمنى" إلى غرفتها وارتمت على الفراش بانهاك، مُغمضة عيناها براحة، ورغم الهدوء الذي يعم المكان، إلا أنه هدوء بارد دون وجود زوجها وأطفالها، لكن ماذا عليها أن تفعل؟! تصرفاتهم تُثير حنقها وتُشعل الغضب داخلها أكثر

حارة القناص

وأكثر، كان عليها أخذ موقفًا حازمًا تلك المرة لتستطيع
إيقافهم عند حدودهم.

مرت دقائق قليلة حتى استمعت إلى صوت طرقة طفيفة على
باب الغرفة، فردت وهي مُغمضة لعينيها:

_ ادخلي يا ماما.

فُتح باب الغرفة واستمعت إلى صوت خطوات خفيفة، اتبع
صوت تلك الخطوات صوت فتح زجاج النافذة، وحديث
"يحيى" القائل:

_ يا ستار يارب إيه الكتمة دي؟!!

انتفضت "يمنى" من على الفراش فور استماعها لصوته،
وبدهشة رددت اسمه:

_ "يحيى"؟!!

استدار لها "يحيى" غامزًا لها بمشاكسة:

_ أيوا "يحيى" يا قلب وعيون "يحيى".

حارة القناص

أخفت "يمنى" ابتسامتها بصعوبة ثم تحدثت بضيقٍ
مُصطنع:

_إيه اللي جابك هنا؟!!

رد عليها بعبث:

_قلبي يا بت.

طالعه "يمنى" بصمت ثم عادت لوضعيته المتمددة
وتعمدت تجاهله، استتمعت إلى زفرته التي تعكس ضيقه
لكنها لم تُبالي، وبعد ثوانٍ معدودة شعرت به يُجاورها على
الفراش ويُقبل وجنتها برقة مُتمتًا باعتذار:

_متزعليش يا "يمونتي".

فتحت "يمنى" حدقتها وأردفت بعتاب:

_مش أول مرة يا "يحيى" وأنت عارف، المسؤولية بتزيد
كل ما الولاد بيكبروا وأنت مش مساعدني.

_ما أنتِ عارفة يا "يمنى" إني مش بحب أزعلهم، من
ساعة ما اتولدوا للدنيا دي وأنا واخد. عهد على نفسي إني

حارة القناص

أخليهم يحسوا بالحنان والأمان اللي أنا اتحرمت منه بعد موت أبويا وأمي.

اعتدلت "يمنى" من نومتها لتجلس أمامه، ثم أحاطت كفه بكلتا يديها وهي تقول بحنان:

_ أنا عارفة دا كله، وعارفة إنك أحسن وأجمل أب في الدنيا دي كلها، بس لازم نربيهم صح حتى لو هيزعلوا مننا شوية، يعني مرة نشد عليهم ومرة نرخي الحبل شوية، لكن لو فضلنا متهاونين معاهم تربيتنا هتفشل ومش هيكبروا صح.

أوما لها "يحيى" عدة مرات بصمت رافعاً كفها إلى ثغره لتقبيله، فتح فاهه للتحدث، لكن قاطعه تلك العاصفة الهوجاء المُسماة بـ"آلاء" وهي تقول بحنق:

_ هتفضلي زعلانة كثير يا ست ماما؟! دا مش أسلوب دا!

أنهت حديثها تزامناً مع صعودها على الفراش، ثم جلست على قدم "يحيى" وتحمل بين يديها عروسها الصغيرة، وإن كانت منذ قليل حانقة، فهي الآن تُسدد ابتسامة لطيفة نحو والدتها وهي تقول برقة:

_ متر عليش مننا يا مامي إحنا بنحبك.

أكد "يحيى" على حديث صغيرته بقوله:

_أيوا متز عlish مننا يا مامي إحنا بنحبك.

رفعت "آلاء" رأسها نحو "يحيى" قائلة بتحذير:

_بابي لو سمحت متقلدنيش، بتضايق يا أخي!

_حاضر يا "لولي"، اتفضلي يلا صالحى ماما.

توقفت "آلاء" بقامتها القصيرة على الفراش بعد أن وضعت

دميتها على قدم أبيها، ثم احتضنت والدتها بحبٍ وهي تقول:

_متبقيش قموصة يا "يمنى"، إحنا بنحبك.

ضحكت "يمنى" بخفة وهي تهز رأسها يائسة، ثم بادلتها

العناق وهي تقول بنبرة ساخرة:

_ونعم المُصالحة يا طاهرة، ونعم المُصالحة يا شريفة.

قهقه "يحيى" بصخبٍ على مشاغبة فتاتيه الصغيرتان،

تستطيعان بأقل مجهود تحويل حُزنه إلى سعادة كبيرة، هُنَّ

حارة القناص

هدية قد أهداها الله له، وبجانبهم بالطبع صغيره المُشاكس
"آسر"، والذي يُشبهه في كل صفاته تقريبًا!

وعلى ذكر سيرة "آسر"، تسائل "يحيى" بتعجب:
أومال في أخوك "آسر"؟!

ردت عليه "آلاء" بلامبالاة وهي تلعب بدميتها:
_قاعد مع "بسملة" بنت عمو "رائد"، يقولها كلمة سرِ.

كانت الجلسة مليئة بالحب والألفة، حيث تجلس "أهلة" في
المنتصف وعلى جانبيها يرتص أبناءها الصبية يُتابعون فيلم
كرتون من أجل خوف "غيث".

مال "غيث" على شقيقه "مُغيث" هامسًا له:
هنعمل إيه؟! هنسمع كلام أبوك ومش هنجيب حق أختنا؟!

ابتسم "مُغيث" ابتسامة صغيرة وهو يرد عليه:

هنجيبه طبعًا، وبكرة كمان.

وعلى صعيدٍ آخر..

صعدت ضحكات الفتيات بصخبٍ وهم يلهون بالألعاب في مدينة الملاهي، بعد أن قرر "قاسم" أن يُنسي صغيرته حُزنها، بسبب حِفنة الأطفال المُتتمرين الذين قاموا بدس السُم بين حديثهم الكاره، صفقت "فيروزة" بمرح أثناء حمل أبيها لها، فقرر أن يخوض التجربة معها ويُسعدّها كما "حوراء وسما".

اتجه "قاسم" بـ "فيروزة" نحو إحدى الألعاب التي تخص الأطفال في مثل سنّها، ثم صعد معها ووضعها على قدمه، وانتظرا عدة دقائق لا تُعد وانطلقت ضحكاتهم تعلو في الأرجاء مع صوت الأطفال الأخرى، في البداية، كانت "فيروزة" تُمسك في ثياب أبيها خوفًا من فكرة وقوعها، لكن بدأت تندمج تدريجيًا حتى احتلت السعادة وجهها.

وبتلك الطريقة استطاع "قاسم" أن يُنسي جميع أطفاله حُزْنهم، استطاع أن يُلهيهم عن بشاعة الحياة، قرر مُسبقًا

حارة القناص

الحفاظ عليهم، وها هو يفعل كل ما بوسعه ليفي بوعده
لذاته.

مرت الدقائق سريعة ما بين صراخ، ضحك، لعب، لهو،
وسعادة، وحن أخيرًا وقت الرحيل، ابتاع "قاسم" لكلٍ منهن
عزل البنات، فأضاف فوق سعادتهم سعادة أكبر.

"مؤنساته الغاليات"، أو "طوق نجاته من النار"، هكذا
يُسميهن دائمًا.

صعدوا إلى السيارة وجلست "فيروزة" بجانبه، وبالخلف
جلست كُلاً من "حوراء وسما" يتحدثون حول رحلتهم
الجميلة بسعادة، انطلق "قاسم" بسرعة طفيفة وعلى ثغره
ابتسامة مُرتاحة، اتسعت عندما نادته "فيروزته" بطفولية
مُهلكة:

بابا!

استدار لها بوجهه مُجيبًا إياها:

عين بابا.

حارة القناص

تسللت الابطسامة إلى وجه "فيروزة"، والتي تقدمت منه بجسدها أثناء رفعها لكفها له، فأمسك به برقة، ثم قبّله بحنو بالغ، هذه هي فعلته الدائمة مع صغيرته المشاكسة، وكالمعتاد بعد فعلته تلك، تخجل بشدة فتسحب كفها بسرعة لتُخفي به وجهها.

انطلقت ضحكات "قاسم" بصخبٍ وأكمل طريقه بصمتٍ بعد أن تغلب النعاس على فتياته.

مرت نصف ساعة عاد بعدها "قاسم" إلى المنزل، حاملاً ابنته "فيروزة" على ذراعه، وكلاً من "حوراء وسما" تسيران ببطء شديد بسبب نعاسهم، وبمجرد دخولهم إلى المنزل، ارتمت كل واحدة منهم على فراشها المخصص، كذلك وضع "قاسم" صغيرته على الفراش الخاص بها.

كان الصبية قد خلدوا إلى النوم أيضاً بعد معافرتهم للإستيقاظ، لكن غلبتهم جفونهم وذهبوا في ثبات عميق، ساعد "قاسم" زوجته في وضعهم على فراشهم، ثم خرج لها فوجدها تُرتب مكان جلستهم، ابتسمت له بهدوء وأكملت تنظيف الصالون وهي تسأله:

__انبستطوا؟!!

أوما لها بابتسامه هادئة وأنهاها بقوله:

_أيوا الحمد لله.

قالها ثم أمسك بحقيبة بلاستيكية سوداء كان قد أتى بها عند دخوله، ثم أعطاها لها وهو يقول:

_خُدي اعلمي لينا الأندومي دا ونكمل سهرتنا أنا وأنتِ.

اعتدلت في وقفها مُطالعة إياه بسعادة بالغة، ثم اقتربت منه لاحتضانه خاصةً عندما لمحت بعينيها عصيرها المُفضل، ألا وهو «الفراولة باللبن»!

ضمها لفؤاده الذي يُهمل بسعادة لفرحتها، لم ولن يتهاون في تلبية رغباتها أو إسعادها، هي حياته والأمل الذي سُلِبَ منه سابقًا، لذلك سيحافظ عليها بكل ذرّة في وجدانه.

خرجت من أحضانه وتشدقت بابتسامه مُتسعة أثناء ابتعادها عدة خطواتٍ عنه:

_هكمل ترويق الصالة وهدخل أعمالهم.

أوقف سيرها قائلاً:

_سببي الصالة أنا هروقتها وأنتِ روحي اعلمي الإندومي.

اقتربت منه تطبع قبلة رقيقة على وجنته، ثم ذهبت لإعداد وجبة سهرتهم الجميلة، بالتأكيد ستكون جميلة، يكفي وجوده معها.

بينما "قاسم" شرع في ترتيب الأرائك والوسائد، وتجهيز قناة التلفاز التي سيُشاهدونها معاً، وبعد عدة دقائق، أتت "أهلة" حاملة الأطباق وصينية مشروب الفراولة، ثم وضعتهم على الطاولة الزجاجية، ليقوموا بعدها بإغلاق جميع المصابيح، تاركين الضوء يأتي من شاشة التلفاز فقط، وكُلُّ منهم حمل طبقه الخاص به وبدأ في تناوله، "أهلة" تستند برأسها على كتف "قاسم"، و"قاسم" يُقبلها بين الحين والآخر بكل حنانٍ وكأنها ابنته الصغيرة، وقد كانت!

في اليوم التالي..

حارة القناص

وأثناء إنهماك "قاسم" في عمله في عيادته الخاصة، استمع إلى صوت رنين الهاتف، فرفع سماعته مُجيبًا بهدوء وهو يقوم بكتابة الأدوية للمريض الذي يقبع أمامه:

_ السلام عليكم!

_ الأستاذ "قاسم هادي طاحون" معايا؟!!

رد "قاسم" بتعجب مُؤكدًا:

_ أيوا أنا، مين حضرتك؟!!

_ أنا الأستاذ "محمد" مُعلم في مدرسة (*****)، وبتصل بحضرتك عشان أقولك إن ولاد حضرتك مبهدين المدرسة.

هب "قاسم" من مكانه بفرع مُغممًا بصدمة:

_ إيه؟! أنت متأكد؟!!

أجابه الطرف الآخر بضيق:

_ أيوا يا فندم مُتأكد، ومش هما بس، دول معاهم ولاد عمهم وكمان المدام.

_أحيه!! المدام!! هي حصلت!!

_يا أستاذ "قاسم" بتصل بحضرتك عشان تيجي تشوف
المهزلة دي وتوقفها عند حدها، أنت لسه هتتصدم؟!!

وعى "قاسم" لذاته فتحدث مُسرّعًا قبل أن يُغلق الهاتف:
_طيب طيب.. مسافة السِكة هكون عندكوا في المدرسة.

أنهى "قاسم" كتابة الدواء للمريض مُسرّعًا، ثم هرول
للخارج بعد أن أخبر المُمرضة بتأجيل كل مواعيده الآن،
حتى يرى العصابة التي قامت بتدمير المدرسة، وعلى
رأسهم زوجته العفيفة!

وصل إلى المدرسة بعد دقائق لا يعلم أهي كثيرة أم قليلة،
كل الذي يعلمه بأنه سار بكل قوته حتى يصل مُسرّعًا.

وبالداخل.. ضربت "أهلة" على سطح المكتب الخاص
بالمدير بكلتا يديها وهي تصرخ بغضبٍ عارم:

قسماً برب العزة لهوديكم في ستين داهية، هدغدغ
المدرسة دي فوق دماغم كلکم.

تحدث المدير بغضب قبالتها:

يا مدام اللي أنت بتعملیه دا غلط وهتتحاسبي عليه، أنا
مش هسيب حقي ولا حق المدرسة وهتخذ إجراء قانوني
على الهمجية دي.

صاحت "أهلة" بكل قوتها شاهقة:

همجية إيه يا أبو همجية؟! هو أنت لسه شوفت همجية؟!
دا أنا هخربها فوقم كلکم بس الصبر، وحق بنتي أنا هعرف
أجيبه بمعرفتي.

تدخلت إحدى المعلمات بقولها الهاديء:

يا مدام أبناء حضرتك نزلوا ضرب فوق الولاد لحد ما
عوروهم، أنت مش شايفة أشكالهم؟!!

انتقلت "أهلة" بأبصارها تجاه الفتاتان والثلاثة أولاد، والذي
كان مظهرهم مُشعناً للغاية، وما كادت أن تُجيبها حتى
تدخلت "حبيبة" قائلة بحدة:

لأشايقين، وشايقين كويس أوي كمان، بس الظاهر إن أنتِ مش شايقة مظهر بنتي عامل إزاي، ولا عارفة التمر اللي هي بتعرض ليه بسبب شوية عيال أهلهم انشغلوا في تربيتهم، ولو هما أهلهم معرفوش يربوهم، فولادنا أحق إنهم يعلموهم الأدب.

يا مدام مفيش حاجة بتتحل بالعنف، و..

قاطعتها "حبيبة" بغضب:

لأبتحل بالعنف، والمدرسة دي هقدم فيها شكوى، لازم تنقوا طلابكم وتربوهم قبل ما تعلموهم، مش كل يومين بنتي ترجع معيطة بسبب كلام زمائلها ليها لحد ما بقى عندها عقدة نفسية.

كان الأطفال يُتابعون الحديث بصمتٍ و"معاذ" يحتضن شقيقته التي كانت تبكي بصمت، وعلى الجانب الآخر يقف كلاً من "غيث ومُغيث" يرمون فوق أذانها الكلمات المُهدئة، و"يامن وأسر" بالطبع دورهم لم يقل أو ينقص عنهم للدفاع عن "سما"، والتي تُعتبر شقيقتهم الروحية، و"يزيد" يقف بجانب "حوراء" التي تنظر لإحدى الفتيات بابتسامة شامته، لقد لقتها درساً لن تنساه طيلة حياتها.

كان "قاسم" مُتابعًا لكل ما يحدث بأعين حادة صامتة، فقرر قطع ذلك الشجار والتدخل بدخوله، انتقل المدير بأبصاره تجاهه عندما رآه، فتشدد باستنجااد:

__ اتفضل يا أستاذ "قاسم"، وياريت توقف المهزلة دي عند حدها.

ارتسمت ابتسامة مُخيفة على ثغر "قاسم" قبل أن يُغمغم بخطورة:

__ دا أنت يومك أسود.

كان الصمت يعم أرجاء السيارة بعد أن انتهى الأمر بتقديم "قاسم" شكوى على المدرسة، وذلك بعد دفاع مديرها الحقير عن طلابه المُتتمرين بسبب مركز عائلاتهم الكبير في الدولة، وقام بتقديم محضر ضده ضد معلمين الفصل، وهذا أقل واجب يفعله معهم.

كان صمته خطرًا، بث الرعب داخل أفئدة الأطفال وكذلك "أهله وحبيبه"، وذلك بعد أن رأوا ثورته العارمة وغضبه

حارة القناص

الذي لا يظهر إلا قليلاً، ابتلعت "حوراء" ريقها ببطئ
وأردفت:
بابا أنا...

قاطعها "قاسم" بصرامة:
مش عايز أسمع صوت حد لحد ما نوصل.

وبالفعل صمت الجميع ولم يقدرُوا على فتح أفواههم فب
حضرته، وأخيراً وصلوا إلى المنزل، والذي ما إن صدوه،
حتى ارتج بصوت "قاسم" الصارخ بهم:

_هو أنا مش اتنيلت قولت متتصرفوش من دماغكم؟! أنا
عايز أفهم، قولت ولا مقولتش!_

ابتلع الأطفال كلماتهم داخل حلقهم برعبٍ، فحاول "يامن"
التسلل والذهاب إلى والده، ليستمع إلى صوت "قاسم"
يصرخ به:

_لو اتحركت خطوة واحدة كمان يا "يامن" والله لهبيتك في
أوضة الفراخ._

حارة القناص

تصنم "يامن" في مكانه بهلع، ثم عاد لمكانه بجانب "يزيد" الذي ينظر لوالده باستتجاد، بينما "صهيب" طالعه بشماتة وأكمل مشاهدته لما يحدث.

وتلك المرة خرج "مُغيث" عن صمته وتشدق باحترام:
_يا بابا مكانش ينفع نشوف أختنا وهي بتتهان قدامنا ونفضل ساكتين.

_تقوموا نازلين فيهم ضرب؟!!

_ونكسر دماغهم كمان.

_ "مُغيث"؟!!!!

صرخ بها "قاسم" لوقاحته، ليُخفض الآخر رأسه مُغممًا:
_أسف يا بابا.

نفخ "قاسم" بغضبٍ عارم، ليس على أطفاله، وإنما وضعهم في دور المُخطئين أمام الجميع وهم الذي معهم كل الحق، تثبتت أنظاره على "حوراء" الصامتة، فتحدث ساخرًا:

حارة القناص

_ وأنتِ يا طاهرة! مقطعلي شعر البت ومخرشمة وشها ولا همك؟!!

ردت عليه "حوراء" باحترام:

_ هي اللي قليلة الأدب وكانت محتاجة حد يربيهها.

_ تصدقي بالله! انتوا اللي محتاجين تتربوا من أول وجديد يا عصابة يا حوش.

تنفس ببطئ بعد أن هدأت ثورته قليلاً، ثم رفع حدقتاه نحو "أهلة" التي سددت له ابتسامة بلهاء زادت من حنقه، فأردف بعدها مُغتاظاً:

_ قوليلي أعمل فيك إيه وأنا راضي نمتك!

عبثت "أهلة" بأظافرها وهي ترد عليه ببراعة:

_ متعملش حاجة عشان إحنا معملناش حاجة غلط.

حكَّ "قاسم" وجهه بعنف وهو يهز وجهه هامساً بيأس:

_ عليه العوض ومنه العوض، هاتلي حقي منهم يارب.

أتى يومٌ جديد، بإشراقه جديدة، وصباحٌ جديد، وتجمع رائع،
وسط أصوات الحديث بين أفراد أبناء وأحفاد العائلة
الكريمة، لم يكن الذي يربطهم هو رابط الدم، بل رابط أقوى
من ذلك، الحب!

يوم الجمعة المليء بالحماس والحيوية والضحكات، يوم
التجمع والحب والمشاغبات، يوم اللهو واللعب والمؤامرات،
يوم التجمع اللامتناهي بين الأفراد.

اجتمع الأطفال في غرفة الصالون على الأرض، وأبائهم
جالسون على الأرائك يتناقشون في بعض الأمور، جلسوا
حول بعضهم البعض على شكل دائرة حتى كاد الحماس يقفز
من بين أعينهم عندما أخبرهم "يامن" بأنه اتفق مع "أسر"
للعب إحدى الألعاب!

وتلك المرة تسألت "چنى" والتي لم تكن سوى ابنة "سيف"
ومريم" قائلة بانتباه:

لعبة إيه اللي هنلعبها يا "يامن".

رفع "يامن" رأسه بعنجهية واضحة ثم أجابها بغرور:
_الصبر يا أخت "چنى" الصبر.

تأفف "نوح" بنفاذ صبر والذي كان يجلس بجانب "مكسيم"
الذي لم يكف عن تناول الطعام، وبعدها أردف حانقًا:
_ ما تتجزوا بقى عايز أقوم أذاكر.

لوى "مغيث" شففيه بحسرة قبل أن ينكره في جانبه بقوة
طفيفة أدت إلى امتعاض ملامح وجه "نوح"، فمال عليه
"مغيث" وهمس له:

_متجيبش سيرة المذاكرة قدام أمي عشان هتلم مني أنا
وإخواني.

رد عليه "نوح" ساخرًا:

_طب ما تذاكر يا حبيبي أنت وراك حاجة؟!!!

اعتدل "مُغيث" في جلسته ثم رد عليه بلامبالاة:
_مشغول مش فاضي.

التوى تُغر الآخر باستنكار، وعادوا بأبصارهم مُجددًا نحو "أسر" الذي قرر التحدث أخيرًا، لكن حديثه جذب انتباه الكبار ويا ليته لم يتحدث أو يفتح فاهه حتى:

_ أنا و"يامن" قررنا إننا نلعب لعبة جديدة، هنلعب ورق حجر مقص، وكل ولد سيكون مع بنت، واللي هيفوز هيبوس الثاني.

فرغ الجميع فاهه خاصةً "يحيى" الذي يرى ثمرة تعبته واجتهاده في تربيته لابنه قد طرحت سُمًا!!

فتح "يحيى" فاهه للإعراض، لكن قاطعه صوت "حوراء" التي تشدقت بصرامة وحزم رغم صغر سنها:

_ لأ طبعًا كدا حرام وربنا هيزعل منا، بابا قالي مينفعلش نبوس أي ولد غير إخواننا، لكن ولاد عمنا نتعامل معاهم بحدود.

تشكل الفخر داخل أعين الجميع وهم يرون ابنة العائلة وفخرها تُدافع بكل حزم عن الفتيات، لكن لم تكتمل فرحتهم ولأسفهم الشديد، وذلك عندما هبطت "فيروزة" صاحبة

حارة القناص

العامين والنصف من على قدم "يونس" الذي كان يُداعبها،
ثم اتجهت إلى "نوح" وقبّلته برقة على وجنته، ثم هرولت
إلى أحضان والدها تخفي وجهها بخجل وهي تضحك
بصخب!!!

بينما ردة فعل "قاسم" على الموقف بأكمله هي؛ ضربه بكفه
على صدره بصدمة وعبر بقوله المصعوق:

يا شرفك اللي بقى في الأرض يا "قاسم"!!!؟

صدحت ضحكات الجميع تعلو في الأرجاء، لا يصدقون فعلة
تلك الصغيرة المشاغبة! وابنة من! "قاسم" الذي يزرع
الدين داخل أفئدة أبنائه، لكن من الواضح أن "فيروزة" لم
تأخذ نصيبها من التربية بعد!

وعلى صعيد آخر، احمرت وجنتي "نوح" من الخجل، فعلتها
بريئة وهو مُعتاد على ذلك، لكن ليس أمام تلك الحشود
الكبيرة، فـ"فيروزة" تأخذ حيز لا بأس به من الحب داخل
فؤاده، منذ ولادتها وهو قريب منها ودائمًا ما كان يتلفف
لرؤيتها هي خصيصًا، وهي كذلك، لكنها مازالت صغيرة،
وتحبه فقط لأنه يجلب لها شيكولاته كثيرة ويهتم بها.

حارة القناص

وهنا نعلم أن السعادة تكمن في العائلة، ذلك الحب المُنبتق
والعشق القابع بين فؤاد بعضهم البعض يجلب لنا أشخاص
سَوِيَّة، أشخاصٌ لن يُوجدوا مرة أخرى مهما تعدد الزمن
وظالت السُنون، هنا.. حيث الدفء والحنان، نجد أرواحنا
مُطمئنة.

مال "قاسم" على أذن "أهلة" مُستغلاً إنشغال الجميع وهو
يهمس:

_تيجي نهرب!؟

طالعه "أهلة" بتعجب، ثم تسائلت بابتسامة طفيفة:
_نهرب نروح فين!؟

أجابه بهمس:

_مكان مفيهوش غير أنا والليل ونجومه وقمري!

اتسعت ابتسامتها بحماسٍ وقررت مشاركة جنونه وهي
تُوميء له بالإيجاب:
_يلا نهرب.

حارة القناص

أخذها "قاسم" وتسئل من خلف الجميع مُستغلاً انشغالهم،
وذلك بعد أن ذهبت ابنته "فيروزة" لاستكمال لعبها مع
"فور".

انطلقا بالسيارة نحو مكان بعيد، بعيداً للغاية عن بنو البشر،
حيث تلك التلة الموجودة في آخر المدينة، والتي يظهر من
خلالها الأضواء الكثيرة من المنازل أو السيارات، ومن
حولهم صوت الهواء يتماشى مع تناغم موسيقي رائع
يُناسب تلك الأجواء الشاعرية، استند "قاسم" بظهره على
مُقدمة السيارة، وجذب "أهله" وأحاط بها من خصرها،
لُتصبح هي أمامه وهو مُستنداً بذقنه على كتفها، تاركين
لنسمات الهواء العليل رسم يومهم المميز.

__بحبك يا كفاءة.

__وأنا كمان بحبك أوي، أكثر من أي حاجة في الدنيا.

أدارها لُتصبح في مواجهة له:

__وأنتِ بالنسبالي الدنيا.

حارة القناص

لم تجد كلمات مناسبة لثُجيبه، لكن لمعة عيناها كانت كافية
لتصله إجابتها، أمسك بكفها يدعوها بمشاكسة:

تيجي نرقص؟!

غمزته بعبت:

يلا بينا.

أغنيك إيه؟!

فكرت "أهله" قليلاً لعدة ثوانٍ، حتى أجابته بحماسٍ وأعين
مُلتمة:

أول أغنية أنت غنيتها لي.

حاول "قاسم" تذكرها، وبالفعل أتت لذاكرته على الفور،
فأمسك بها من كفها، واليد الأخرى قام بلفها حول خصرها،
وشرع في الغناء:

_أنا العاشق لعينيك.. برب العشق فارحمني،

وخذ بي بين يديك.. نبض القلب أسمعني،

حارة القناص

وضمد جرحي الدامي.. مني إليك فأخذني،
وشافي مر علقمك.. حيث الشؤم يحملني.

"وداويني ببعض الحب.. طمئني وصبرني،
وخذ مني يا روح القلب.. صدق ليس يشغلني،
أو حتى فخذ بالروح.. حطمني وأخبرني،
بأن القلب منك ملك.. لغيري عنك أبعدني.

كلمات تلك الأغنية أول مرة كانت عادية للغاية، لكن الآن
يقصد بها كل كلمة هو ينطقها، هي دائه ودوائه، ألمه
وألمه، حطامه وحياته، هي أصبحت كالروح، عنها لا
يستطيع الاستغناء، وبدونها يرفض العيش ويفضل العناء.

تمت

شروق حسن

حارة القناص